Olin
BP
130
.4
Z23
1891a
+
v.1

CORNELL UNIVERSITY LIBRARY
3 1924 097 311 835

DATE DUE

FEB			

GAYLORD PRINTED IN U.S.A.

In compliance with current
copyright law, Cornell University
Library produced this
replacement volume on paper
that meets the ANSI Standard
Z39.48-1992 to replace the
irreparably deteriorated original.

2003

CORNELL
UNIVERSITY
LIBRARY

﴿الجـــزء الاول﴾

من الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل فى
وجوه التأويل للامام العلامة أبى القاسم جار الله
محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى
المتوفى سـنة ٥٣٨
غفـــر الله
آمين

﴿ومن كلامه رحمه الله تحدثا بنعمة ربه وشكرا﴾

ان التفاسير فى الدنيا بلا عدد • وليس فيها لعمرى مثل كشاف
ان كنت تبغى الهدى فالزم قراءته • فالجهل كالداء والكشاف كالشافى

ومعه الحاشية الفائقة ذات المعانى الباهرة والتقارير الرائقة للعالم العلامة
السيد الشريف المحقق على بن محمد بن على السيد زين الدين أبى الحسن الحسينى
الجرجانى المتوفى سنة ٨١٦

وبالهامش الكتاب الجليل المسمى بالانتصـاف

للامام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الاسكندرى المالكى قاضى الاسكندرية
وفاضلها المشهور المتوفى سـنة ٦٨٣ وقد بين فيه ما تضمنه الكشاف من الاعتزال
وناقشه فى أعاريب وأحسن الجدال مع حسن الايجاز

وبالهامش أيضا القـرآن العظيم بتمامه

وقد ذيل بكتاب تنزيل الآيات على الشواهد من الابيات للعالم المدقق محب الدين
أفندى وهو شرح موجز بليغ على أبيات شواهد الكشاف وهى زهاء ألف بيت

﴿تنبيـــه﴾

قد صدرت كل صحيفة بجملة من الكشاف ثم يكمل بأقوابها تحتاج اليه من حاشية
السـيد المحقق مفصولا بينهما بجدول واضح البيان وكذلك قد ميز فى الهامش
بين القرآن العظيم وبين كتاب الانتصاف بجدول فاصـل بينهما تسهيلا للمراجعة
وعونا على المطالعة

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الذي أنزل القرآن كلاما مؤلفا منظما

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قال جار الله العلامة أحسن الله اكرامه في دار المقامة (الحمد لله الذي أنزل القرآن كلاما مؤلفا منظما) دل بلامي الجنس والملك على اختصاص الحمد به تعالى ثم وصفه بانزال القرآن وتنزيله وما أردفهما به رعاية لبراعة الاستهلال وتنبيها على أنه نعمة جزيلة تستحق أن يحمد عليها وذكر للقرآن أوصافا كمالية تناسب اعجازه الذي سيصرح به ويشد من أعضاد كونه نعمة محمودا عليها ولما كانت هذه الصفات تدل على حدوثه كما هو مذهبه وكان معتنيا باظهاره ومفتخرا به أشار اليه بجملة اعتراضية ونبه أن الحدوث انما لزمه لتنزه ذاته سبحانه عن الشركة في صفة القدم لا لنقصان فيه وهذه جمل من مقاصده ستَرِد عليك تفاصيلها وبالله التوفيق (قوله أنزل) يروى أنه وقع في أم النسخ خلق مكان أنزل ثم غيره المصنف فان صح ذلك فالتغيير لفوائد (الاولى) ان الخلق اذا نسب الى ما هو جنس القول فقد يراد به معنى الاختلاق يقال خلق هذا الكلام واختلقه أي افتراه فلا يحسن استعماله في هذا المقام وان أريد به معنى آخر (الثانية) أن كون القرآن حادثا أمر شنيع عند الخصم فاراد أن يكتمه أولا ثم أن يظهره بعد سوق مقدمات مسلمة عنده ومستلزمة للحدوث في نفس الامر فان ذلك أقوى في استدراجه الى التسليم من حيث لا يشعر به (الثالثة) الاحتراز عن التكرار اذ قد حكم فيما بعد بحدوثه (الرابعة) ان الانزال أدخل في كون القرآن نعمة علينا وأقرب الينا لتأخره عن الخلق (الخامسة) أن الحمد على انزاله واردفيه دون الحمد على خلقه (السادسة) أن أنزل أحسن التئاما مع نزل لما بينهما من الصنعة الاشتقاقية (السابعة) أن في الجمع بين الانزال والتنزيل اشارة الى كيفية النزول على ما روي من أن القرآن أنزل جملة من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا وأمر السفرة الكرام بانتساخه ثم نزل الى الارض نجوما في ثلاث وعشرين سنة وذلك ان الانزال وان كان مطلقا لكنه اذا قوبل بالتنزيل الدال ههنا على التدريج فيما بين أجزاء القرآن لدلالته على التكثير واما لما قيد به من

التنجيم

التنجيم تبادر منه الانزال دفعة (فان قلت) الموصوف بالحركة حقيقة هو المتحيز بالذات من الجواهر الافراد ومايتركب منها دون الاعراض فانه يمتنع فيها ذلك سواء كانت أجزاؤها مجتمعة كاللون أو سيالة كالصوت الذى هو جنس الكلام فكيف يتصور انزال القرآن وتنزيله مع أنهما تحريك من علو الى سفل (قلت) ذلك مبنى على متعارف أهل اللغة حيث يصفون الكلام بما يوصف به مبلغه فيقولون نزل الينا من القصر حكم الامير وكلامه على سبيل الاسناد المجازى وصاحب الكشف جعل وصفه بالتنزيل من هذا القبيل وحمل الانزال على اظهاره فى اللوح المحفوظ زاعما أن للقرآن حركة معنوية وهى الظهور بعد الكمون لازمانا بل ذاتا وان تلك الحركة من الاعلى رتبة وشرفا لان علوم رتبة واجب الوجود تعالى والقلم الاعلى على اللوح لايخفى وتفسير كلامه على مانقل عنه أن القرآن كان كامنا فى العلم الالهى ثم أظهره الله تعالى بواسطة القلم الذى هو العقل الاول فى اللوح المحفوظ الذى هو نفس الكل وهذا الظهور ليس بزمانى لان الزمان مقدار حركة الفلك الاعظم وهو متأخر عما ذكر بمراتب ويرد عليه أنه مبنى على قواعد الفلسفة وان كونه فى علم الله لابد أن يكون أزليا فاذا لم يتأخر الظهور فى اللوح عن الكمون زمانا بل ذاتا كان أزليا اذلو كان حادثا لكان متأخرا زمانا اتفاقا فيلزم قدم اللوح والقلم وذلك باطل قطعا (والقرآن) فى اللغة مصدر بمعنى الجمع يقال قرأت الشئ قرآنا أى جمعته وبمعنى القراءة يقال قرأت الكتاب قراءة وقرآنا ثم نقل الى هذا المجموع المقروء المنزل على الرسول صلى الله عليه وآله المنقول عنه تواترا فيما بين الدفتين وهو المراد ههنا وقد يطلق على القدر المشترك بينه وبين بعض أجزائه الذى له نوع اختصاص به (ومايقال) من أن اثبات القرآن لما كان بالشرع وقد دل الشرع على اتصافه بصفات توجب حدوثه وكان مقصود المصنف تفسير ذلك الحادث صدر كتابه ببعض تلك الصفات مراعاة لبراعة الاستهلال ودلالة على ماهو أشهر مقاصد المعتزلة فى علم الكلام أعنى مسئلة حدوث القرآن فليس بشئ (أما أولا) فلان القرآن عند المصنف هو هذه العبارات المنظومة وهى معجزة اتفاقا ومن شرط المعجزة أن تكون صادرة من الله تعالى لانها تصديق فعلى منه يجرى مجرى التصديق القولى كما بين فى موضعه فهذه المعجزة مالم تعلم أنها من الله تعالى تصديقا لمدعى الرسالة لم تثبت النبوة التى يتفرع علم الشرع فكيف يجوز اثباتها به وتفصيله ان وجود العبارات معلوم بحسب السمع واعجازها اما بالذوق السليق أو المكتسب واما بالاستدلال كما ستعرفه واذا علم اعجازها علم أنها ليست بكلام البشر وانما كلام خالق القوى والقدر كما نص عليه العلامة فيما بعد فتكون هى معجزة من عند الله دالة على صدق مدعى النبوة فالعلم بثبوت الشرع يتوقف على العلم بثبوتها واعجازها وكونها من الله فلا يصح اثبات شئ من ذلك بالشرع (لايقال) نحن نثبت الشرع بمعجزة أخرى ثم نثبت به القرآن أو نثبته ببعض القرآن ثم نثبت به البعض الآخر (لانا نقول) الاول باطل محض لانه بناء الشئ على ماهو دونه فان القرآن أبهر المعجزات وأظهر الدلائل والثانى تحكم بحت والتشبث بامثال ذلك كتمسك الغريق بما لايجديه نفعا اذلا يشتبه على احد أن المعجزة لان نثبت بها الشرع لالان تثبت بالشرع (نعم) اثبات القرآن بمعنى الكلام النفسى عند القائل به انما هو بالشرع (وأما ثانيا) فلان اتصاف القرآن بما ذكر من التأليف والتعظيم والتفخيم مثلا أمر ظاهر مكشوف ليس مما يستفاد من دلالة الشرع عليه (واعلم) أن للمعتزلة على حدوث القرآن دليلا عقليا هو تركبه من أجزاء يمتنع اجتماعها فى الوجود كما سيأتيك تقريره ودليلا سمعيا كقوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث فالاول استدلال على حدوثه بما علم اتصافه به عقلا والثانى استدلال بما ورد فى الشرع ودل على حدوثه لاعلى اتصافه بما يوجب حدوثه كما توهمه هذا القائل (فان قيل) اذا كان القرآن عندهم حادثا لم يكن قائما بالله تعالى لنفيهم عن قيام الحوادث بذاته فلا يكون كلاماله (قلنا) انهم يجوزون قيام كلام الله بغيره ويقولون هو متكلم بمعنى انه موجد للكلام لا انه محل له ويرد عليه أن المتكلم على قاعدة اللغة فى المشتقات كالمتحرك والاسود من قام به الكلام لامن أوجده ومن ههنا ينتظم برهان على اثبات الكلام

ونزله بحسب المصالح منجما وجعله بالتحميد مفتتحا وبالاستعاذة مختتما وأوحاه على قسمين متشابها ومحكما

النفسي والكلام في اللغة اسم جنس يقع على القليل والكثير وعرفه بعض الاصوليين بأنه المنتظم من الحروف المسموعة المتميزة وقد يزاد قيدان آخران فيقال المتواضع عليها اذا صدرت عن قادر واحد ويطلق في عرف النحاة على ما يفيد فائدة تامة والمراد ههنا المعنى الاول الذي باعتباره يوصف صاحبه بأنه متكلم ويقابل الاعجم والاخرس و (كلاما مؤلفا) اما حال موطئة كما صرح به الزمخشري في قوله انا أنزلناه قرآنا عربيا واما حال مؤكدة تقرر ما تضمنه القرآن خصوصا على زعمه ولا بعد في مجيء المؤكدة بعد الجملة الفعلية كقوله تعالى قائما بالقسط على ما صرح به أيضا واما النصب على البدلية أو على المدح ففيه فوات الملاءمة مع ما يناظره في القرينة الاخرى أعني منجما فانه حال قطعا (والتأليف) جمع أشياء متناسبة كما يرشد اليه اشتقاقه من الالفة والمراد به مطلق التركيب من المفردات والجمل (والتنظيم) فوق التأليف لانه من نظم اللؤلؤ ونحوه فيراعى فيه مع المناسبة الجنسية وضع أنيق وترتيب بهيج والمراد جودة التركيب وحسنه برعاية مقتضى الحال والتطبيق على الاغراض فهو من باب علم التحرير والاشبه أن يراد بالتأليف فيما بين المفردات لتحصيل جملة مفيدة والتنظيم فيما بين الجمل اذ قد يحتاج ههنا الى مزيد تأنق فيكون من قبيل التأسيس بخلاف الاول ويتضمن أيضا مشابهة ظاهرة بين آحاد الجمل المتناسبة التي يستقل كل منها بفائدة معتد بها وبين فرائد اللآلئ المتناسقة (قوله بحسب المصالح) أي بقدرها وعددها يقال ليكن عملك بحسب ذلك أي على قدره وعدده والسين فيه مفتوحة وربما سكنت في ضرورة الشعر والظرف أعني (بحسب) متعلق بقوله (منجما) أي موزعا مفرقا بعدد المصالح والنجم في الاصل الكوكب ثم نقل الى الوقت المضروب المعين اذ يتعرفون الاوقات بالنجوم فقيل نجوم الكتابة للاوقات المعينة لاداء حصصها ثم استعمل في تلك الحصص المؤداة في تلك الاوقات ثم اشتق الفعل فقيل نجم الكتابة أو الدية أي وزعها حصصا وأداها دفعات (قوله وجعله بالتحميد) أي جعله مفتتحا بالسورة المشتملة على التحميد ولذلك سميت السورة فاتحة الكتاب وجعله مختتما بالسورة المشتملة على الاستعاذة فكانت خاتمة الكتاب قياسا على فاتحته ولم يرد أن لفظ التحميد أول جزء منه ليدل على أن التسمية ليست جزأ من سورة الحمد ولا ان لفظ الاستعاذة آخر جزء منه ليحتاج في توجيهه الى أن ما بعد الاستعاذة الى آخر السورة متعلق بها فهو من تتمتها وفي نسبة الجعل الى الله سبحانه اشارة الى أن ترتيب القرآن في المصحف على هذا الوجه المطابق لما في اللوح المحفوظ كان بأمر من الله وتعليم الرسول (قوله وأوحاه) تقول وحيت اليه كلاما وأوحيت اذا كلمته بكلام تخفيه عن غيره (قوله على قسمين) ظرف مستقر وقع حالا عن المفعول وقوله متشابها ومحكما بدل عن الحال أي أوحاه متشابها ومحكما ويجوز النصب على التمييز من قسمين لنوع ابهام فيه أو على المدح واستعماله منكرا أكثر أو على أنه حال من المستقر في على قسمين وفيه بعد لان تقييد كونه على قسمين بأنه في حال كونه قسمين مخصوصين مما لا يرتضيه ذوق سليم أو على أنه حال أخرى مرادفة للاولى ولا يخفى ان الابدال أوقع في المعنى من جعل الاولى مقصودة بذاتها أو على انه بدل من محل المجرور فانه منصوب المحل بايصال الجار معنى الفعل اليه كما عطف على محله في قولك مررت بزيد وعمرا أي جاوزت زيدا وعمرا وفيه ضعف ظاهر اذ ليس لتقدير الناصب ههنا ظهور كما في المثال المذكور ومنهم من قدر الكلام في الوجه الاخير هكذا أوحاه على متشابه ومحكم واعترض عليه بان هذا التقدير انما هو على الابدال من لفظ المجرور ولو كان صحيحا على الابدال من محله فاجاب بان المنصوب المحل هو المجرور وحده فالتابع للمحل بمنزلة الواقع بعد حرف الجر أولا ترى ان معنى قوله * يذهبن في نجد وغورا غائرا * في غور وهو مردود بان التابع المنصوب لفظا لما هو منصوب محلا لا يحتاج الى تقدير عامل ينصب المتبوع أولا ثم ينصب التابع اما بانسحاب أو بتقدير مثله فالتابع للمنصوب بمنزلة متبوعه من حيث هو منصوب لا من حيث

وفصله سورا وسوره آيات وميز بينهن بفصول وغايات وماهي الاصفات مبتدا مبتدع وسمات منشا مخترع

هو مجرور فلا احتمال لاعتبار الجار فى التابع المذكور من حيث هو كذلك واما ان قوله غور امعناه فى غور
فلانه ظرف لابد فيه بحسب المعنى من تقدير فى سواء كان معطوفا على محل المجرور كما فى البيت أو على منصوب
لفظا كما لو قيل يذهبن نجدا وغورا غائرا وقد فسر فى آل عمران المحكم بما أحكمت عبارته بان حفظت
عن الاحتمال والاشتباه والمتشابه بما تكون عبارته مشتبهة محتملة فقوله والاشتباه عطف تفسيرى كما تشعر
به عبارته فى تفسير المتشابه فالمحكم عنده ماليس فيه اشتباه والتباس أى هو المتضح المعنى والمتشابه خلافه
فيندرج فى المحكم النص والظاهر وفى المتشابه المجمل والمؤول كما هو المصطلح عليه فى أصول الشافعية
ولتقابلهما شملا لجميع أقسام النظم المذكور فى أصول الحنفية ﴿وفصله سورا وسوره آيات وميز
بينهن بفصول وغايات﴾ سورا اما حال أو مفعول ثان على التضمين أى جعله سورا أو تمييز أى فصل سوره
وسيرد عليك فى الكتاب معنى السورة فى تفسير قوله فأتوا بسورة من مثله وهنالك نذكر ما قيل فى معنى
الآية والضمير فى بينهن للسور والآيات معا وأراد بالفصول أواخر الآى لانها تسمى فواصل وبالغايات
أواخر السور والمعنى أوقع التمييز بين السور بعضها مع بعض بالغايات وبين الآيات بعضها مع بعض بالفصول
وقد يقال الضمير للآيات وحدها وأراد بالفصول الوقوف وبالغايات فواصل الآى (فان قلت) مساق
الكلام يقتضى أن يكون لما وصف به الله تعالى كالانزال والتنزيل ولما وصف به القرآن من التأليف
والتنظيم مدخل فى اقتضاء الحمد فما وجهه (قلت) لما كان القرآن مرشد العباد الى مصالح المعاش
والمعاد كان انزاله عليهم نعمة جزيلة وكونه مؤلفا منظما من مفردات وجمل على أحسن وجوه البلاغة
وسيلة الى ان تدرك منه مقاصد دينية ودنيوية على أبلغ وجه وأكمله فيوجب زيادة فى تلك النعمة
وتنزيله منجما على حسب الحوادث فيه تسهيل ضبط الاحكام والوقوف على دقائق نظم الآيات وفى
الافتتاح بالتحميد تنبيه للتالى على ان يحمد الله على نعمة التوفيق استجلابا للمزيد واستدامة للعتيد وفى
الاختتام بالاستعاذة حث لمن ختم القرآن على ان يستعيذ ربه من وسوسة الشيطان ونفخه واشارة
لطيفة الى ان العود الى بدئه أحمد واما ايجاده محكما ومتشابها ففى المحكم سهولة الاطلاع على المقصود مع
طمأنينة قلب وثلج صدر وفى المتشابه فوائد أشار اليها العلامة يعنى المصنف ههنا ما فى تقادح العلماء
واتعابهم القرائح فى استخراج معانيه ورده الى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات واما
تفصيله سورا وسوره آيات فسيأتى فى الكتاب ان فيه تنشيط القارئ واغتباط الحافظ وتلاحق
الاشكال والنظائر الى غير ذلك (قوله وماهي الاصفات مبتدا مبتدع وسمات منشا مخترع) أشار به
الى أن هذه الصفات المذكورة للقرآن من كونه مؤلفا منظما وكونه منزلا منجما وصيرورته مفتتحا
ومختتما وانقسامه الى متشابه ومحكم وكونه مميزا مفصلا تدل على حدوثه لاستلزامه تركيبه من أجزاء يمتنع
اجتماعها فى الوجود فالمتأخر عند وجود المتقدم معدوم والمتقدم عند وجود المتأخر منتف وكل واحد منهما
حادث لان العدم ينافى القدم سابقا ولاحقا وأيضا المتأخر مسبوق بعدمه المقارن لوجود المتقدم فهو
حادث قطعا والمتقدم لا يتقدمه الا بزمان قليل فيكون حادثا أيضا وكذا المركب منهما لا يقال
الاستدلال بهذا الطريق يكفيه تركبه من الحروف والكلمات الممتنعة الاجتماع كما هو المشهور
فى الكتب الكلامية فأى فائدة لسائر الاوصاف لانا نقول قد سبق ان هذه الصفات كلها مسرودة
لكونها أوصافا كمالية للقرآن مناسبة للاعجاز مقتضية للحمد عليه فليس اثبات حدوثه مقصودا بالذات
ولذلك جعله جملة معترضة فلا استدراك على ان الاستظهار فى اثباته مطلوب عنده فكأنه قال لا يجتمع من
القرآن مفرد مع مفرد ولا جملة مع جملة ولا ما نزل فى حادثة مع ما نزل فى أخرى ولا فاتحة مع خاتمة ولا
متشابه مع محكم ولا سورة مع سورة ولا آية مع آية وفى ذلك مع رعاية تلك المقاصد مبالغة فى ذكر الصفات

فسبحان من استأثر بالاولية والقدم ووسم كل شئ سواه بالحدوث عن العدم أنشأه كتابا ساطعا تبيانه قاطعا برهانه وحيا ناطقا ببينات

المستلزمة للتغير كما بالغ فى اقتضائها الحدوث بقوله وما هى الخ وقد وجه الكلام بان دلالة الانزال على الحدوث من حيث ان الحركة المكانية مختصة بالاجسام وما يحصل فيها وهى حادثة اتفاقا واما دلالة سائر الاوصاف فمن حيث انها مستلزمة للتركيب المستلزم للامكان الذى يلزمه الحدوث بناء على امتناع تعدد القديم ورد عليه بان الخصم لا يساعده على ان كل ممكن حادث ويجوز تعدد القدماء ثم ان الاستدلال بهذه الصفات انما هو على حدوث العبارات المنظومة ردا على الحنابلة ومن يحذو حذوهم حيث زعموا انها قديمة قائمة بذاته لا على القائلين بالكلام النفسى لاعترافهم بحدوث هذه العبارات ويسمونها كلاما لفظيا لكنهم يدعون ان هناك كلاما نفسيا قديما قائما به تعالى ولا خفاء ان الصفات التى استدل بها على الحدوث مخصوصة بالقرآن اللفظى ولا دلالة لها على انتفاء القرآن بمعنى الكلام النفسى ومن حكم بان قوله وما هى الاصفات من قصر الصفة على الموصوف فقد نظر الى حاصل المعنى كأنه قال محصول كلامه ان هذه الصفات مختصة بالحادث لا توجد فى غيره وكل ما يوصف بها كان حادثا فاذا رد عليه بانه من قصر الموصوف على الصفة دون العكس قصور على ظاهر مفهوم العبارة (المبتدا) ماله بدء زمان أى أول زمان وجود (والمبتدع) ما أخرج عن العدم بديعا أى ممتازا بنوع حكمة فيه (والمنشا) المحدث من النشء وهو الظهور والارتفاع (والمخترع) ما روعى تأنق وتعمل فى اخراجه من العدم مأخوذ من الخرع بمعنى الشق واذا استعمل بالنسبة اليه تعالى ما يدل على تكلف وطلب يراد به ما يلزمه من كمال الصنع وجودة المصنوع لانه تعالى منزه عن التروى والاعمال (قوله فسبحان من استأثر بالاولية والقدم ووسم كل شئ سواه بالحدوث عن العدم) هذه الفاء فصيحة من باب فقد جئنا خراسانا أى اذا كان القرآن مع علو شانه ورفعة مكانه وكونه أقرب الاشياء اليه تعالى محدثا فليتعجب المتعجبون من تفرده تعالى بصفة القدم ووسم جميع ماعداه بنقيصة سبق العدم أو اذا كان كذلك فانزهه عن كل وصمة وابرئه عن كل نقيصة وفيه رمز كامن الى ان الحدوث انما لزم القرآن لاقتضاء ذاته تعالى التنزيه عن الشركة فى صفة القدم لا لنقصانه فى نفسه بل هو كامل فى بابه كما نبه عليه حيث أردف المبتدأ بالمبتدع والمنشأ بالمخترع (والاستئثار) التفرد والاستبداد (والاولية) السبق على ما سواه (والقدم) عدم المسبوقية بالعدم وهما متلازمان وجودا لا مفهوما فان ما كان سابقا على جميع ماعداه كان قديما اذ لو كان حادثا لم يكن سابقا مطلقا لوجود القديم وما كان قديما كان سابقا على جميع ما سواه لامتناع تعدد القدماء المتغايرة ولما كان القدم هو المقصود جعل الاولية توطئة له ترقيا فى الكلام (والشئ) فى اللغة كما صرح به فى سورة البقرة والانعام يقع على المحال والمستقيم والجرم والعرض فيختص ههنا بالموجود بقرينة الحدوث عن العدم كما خص بالمستقيم فى قوله تعالى والله على كل شئ قدير بقرينة القدرة واما الشئ بالمعنى المذكور فى علم الكلام فمما لا يلتفت اليه فى أمثال هذا المقام وفى دعوى استئثار الذات بالقدم واتسام كل موجود سواه بالحدوث زيادة مبالغة فى حدوث القرآن ورد على مثبتى صفات زائدة على ذاته تعالى قديمة والمراد بالسبق والقدم والحدوث ما هو بحسب الزمان لانه المتبادر عند الاطلاق فقوله (بالحدوث عن العدم) تنصيص على المراد بعد ظهوره رعاية للسجع (قوله أنشأه كتابا) هو مع ما فى حيزه بدل من أنزل وما عطف عليه رجع به الى ما كان فيه من بيان اتصاف القرآن بصفات الكمال بعد ما وقع فى البين من اثبات الحدوث وما يتبعه من تنزيه الله تعالى وقصد فى هذا البدل ان اتصافه بتلك الاوصاف الجليلة من التأليف والتنظيم والتنجيم والافتتاح والاختتام والتفصيل والتمييز انما كان ليكون نظمه فى افادة معناه كاملا بسطوع تبيانه ومعناه وافيا بما قصد به من الغرض بقطعية برهانه واشتماله على بينات المنقول وحجج المعقول وتباعده عن شوائب العوج وكونه مفتاحا لمنافع الدارين ومصدقا لسائر الكتب المنزلة قبله بل ليكون نظمه البليغ

وحيا قرآنا عربيا غير ذي عوج مفتاحا للمنافع الدينية والدنيوية مصداقا لما بين يديه من الكتب السماوية معجزا باقيا دون كل معجز على وجه كل زمان دائرا من بين سائر الكتب على كل لسان في كل مكان أفحم به من طولب بمعارضته من العرب العرباء وأبكم به من تحدى به من مصاقع الخطباء فلم يتصد للاتيان

في افادة ذلك المعنى الوافي بالفاصلة الاعجاز ويقترن بذلك وعد كونه تبيانا لكل شيء مع الايجاز وانما قال أنشأ أي أحدثه ابتداعا ما أثبته من معتقده وان كان المقصود الاصلي هو القيود المذكورة لا كونه محدثا وهذه المنصوبات أعني كتابا ووحيا وقرآنا ومفتاحا ومصداقا أحوال مترادفة أو مفاعيل ثانية بأن يضمن انشأ معنى جعل وصير والمراد انشاؤه على هذا الوجه لا نقله من وجه آخر اليه وفي ترك العطف اشارة الى ان كل واحدة منها صفة كمال على حدة وقوله معجزا اما أن ينخرط معها في سلكها واما أن يكون بدلا منها باسرها كانه قال انشأه معجزا يقال سطع الصبح يسطع سطوعا اذا ارتفع شبه تبيان القرآن بتباشير الصبح المرتفعة في الوضوح والانجلاء وأثبت له السطوع تخييلا وعبر عن الدلائل النقلية بالبينات لظهورها وعن العقلية بالحجج اذ بها الغلبة على المخالف مطلقا وقدم الاولى لانها أكثر في القرآن وللترقي ورعاية السجع وقيل ما يثبت به الدعوى يسمى بينة من حيث افادته البيان وحجة من حيث يغلب به على الخصم فالعاطف بينهما حينئذ قد توسط بين صفات ذات واحدة والقرآن مفتاح ينفتح به باب الشريعة المشتملة على كل خير وسعادة في الآخرة والاولى ومصداق الشيء ما يصدقه ويبين صدقه كانه آلة الصدقه والقرآن باعجازه مستغن في صدقه عن شهادة غيره وبتصديقه لما تقدمه من الكتب السماوية شاهد صدق لها ومصداقها (بين يديه) حقيقة في المكان ثم اشتهر للزمان المتقدم مستعارا (قوله دون كل معجز) ظرف مستقر وقع حالا من المستكن في باقيا أي متجاوزا في البقاء سائر المعجزات وكذا قوله من بين مستقر وقع حالا من المستتر في دائرا أي منفردا في الدوران من بين سائر الكتب الالهية اذ لم يعهد جريان باقي الكتب على ألسنة أرباب اللغات المخالفة في الدهور المتطاولة (قوله وجه الزمان) استعارة بالكناية وتخييل شبه الزمان لظهور بعض الاشياء الموجودة فيه دون بعض بشيء له ظاهر يبدو ما عليه وباطن يستتر ما فيه فاثبت له الوجه من قولهم وجه الارض لظاهرها فانه شائع الاستعمال فيه وجعل القرآن موضوعا عليه مبالغة في ظهوره وقد تخيل بعضهم ان الوجه اما تخييل واما مستعار للظاهر المكشوف من الزمان وذهب عليه ان الزمان لا ينقسم الى ظاهر مكشوف والى باطن مستور فاذا جعل الوجه بمعنى الظاهر كان تخييلا لا قسيما له (قوله أفحم به) اما صفة ثالثة لمعجزا عدل فيها الى الجملة الفعلية لملاحظة الحدوث وجاز وصفه لكونه بمنزلة الاسم كالممكن ونظائره واما استئناف بيان لاعجازه على سبيل الاجمال كأنه قيل لم قلت انه معجز وبم عرفت ذلك فاجاب بانه أفحم أي اسكت ثم ترقى فقال أبكم وأخذه من بكم قياسا اذ لم يشتهر فعل بني منه سوى ما نقله في الاساس من قوله تكلم فلان فبكم عليه اذا ارتج عليه وقد يجعل استعماله اياه بمنزلة روايته له فانه ثقة في اللغة (المعارضة) ان يأتي الى صاحبه بمثل ما أتى به (والعرب العرباء) هم الخلص منهم كالعرب العاربة أخذ من لفظه فاكد به كقولك ظل ظليل وليل أليل وفائدة لفظة به بعد أفحم وأبكم الاشعار بان اعجاز القرآن كما هو المختار المشار اليه بسياق كلامه انما هو بكمال بلاغته لا بالصرفة كما يتوهم من اسناد الافحام والابكام اليه تعالى لولا تقييدهما بالظرف والتحدي طلب المعارضة وأصله في الحاديين يقال خطيب (مصقع) أي بليغ مجهر بخطبته اما من صقع الديك اذا صاح واما من الصقع بمعنى الجانب لانه يأخذ في كل جانب من الكلام واما من صقعه اذا ضرب بصوقعته أي وسط رأسه كما يأتي في قراءة من قرأ من الصواقع حذر الموت (فلم يتصد) يتعلق بافحم ولم ينهض بابكم وتلخيص معناه انه طولب بمعارضته فصحاء العرب فافحمهم فلم يتعرض للاتيان بما يساوي القرآن أو يقاربه واحد منهم وتحدى به بلغاؤهم فابكمهم به فلم يقم بمقدار اقصر سورة ناهض منهم في الكلام ترقى حيث نسب

بما يوازيه أو يدانيه واحد من فصحائهم ولم ينهض لمقدار أقصر سورة منه ناهض من بلغائهم على أنهم كانوا أكثر من حصا البطحاء وأوفر عددا من رمال الدهناء ولم ينبض منهم عرق العصبية مع اشتهارهم بالافراط في المضادة والمضارة والقائهم الشراشر على المعازة والمعارة ولقائهم دون المناضلة عن أحسابهم الخطط وركوبهم في كل ما يرومونه الشطط ان أتاهم أحد بمفخرة أتوه بمفاخر وان رماهم بمأثرة رموه بمآثر وقد جرد

الافحام الى فصحائهم وأظهر عجزهم عن مجموعه ثم نسب الابكام الى بلغائهم وبين قصورهم عن أقصر سورة (على انهم) حال من البلغاء لانه فاعل في المعنى أي لم ينهض بلغاؤهم على انهم كانوا فالضمير لهم أو من البلغاء والفصحاء معا فالضمير لهما جميعا فالعامل في الحال على الوجهين معنى النفي أي تركوا التصدي والنهوض حال كونهم كذا لا المنفي لفساد المعنى وجدوى هذه الحال ازالة ما عسى ان يتوهم من انهم ربما كانوا قليلا لا يمكن ان يغلب عليهم واحد من جنسهم فلا يثبت الاعجاز لعجزهم وكلمة على في على انهم تدل على رسوخهم في صفة الكثرة واستقرارهم واستعلائهم عليها فما قيل من أنها بمعنى مع فهو حاصل المعنى وسيأتيك في نظيرتها زيادة تحقيق لها (والبطحاء) مسيل واسع فيه دقاق الحصا (والدهناء) بالمد وقد تقصر أرض ببلاد تميم ذات رمال كثيرة (ولم ينبض) أي لم يتحرك عطف على لم يتصد مع ما عطف عليه والضمير في (منهم) للفصحاء والبلغاء مضافين الى العرب العرباء كأنه قيل ولم ينبض من فصحائهم وبلغائهم فيظهر رجوع الضمائر في قوله مع اشتهارهم وما بعده الى العرب العرباء مطلقا على ما ينبغي من غير تفكيك ينافي النظم (والعصبية) المحاماة واضافة العرق لادنى ملابسة أي العرق الذي يتحرك عندها وجاز أن يكون عرق العصبية استعارة مكنية وتخييلا ولم ينبض ترشيحا (مع اشتهارهم) حال من الضمير المجرور في (منهم) وفائدتها دفع ما ربما يتخيل فيهم من المساهلة في تلك المعارضة والمحاماة (المضادة) المعاداة (والمضارة) الضرار (والشراشر) الاثقال واحدها شرشرة يقال ألقى عليه شراشره أي نفسه وجملته حرصا ومحبة (المعازة) بالزاي المعجمة المغالبة وبالراء المهملة المضارة من قولهم فلان يعر قومه أي يدخل عليهم مكروها أراد أنهم كانوا أعلاما في المغالبة والعصبية يتحركون في المحاماة حرصا بالكلية ثم لم يتحرك في معارضة القرآن أضعف عضو منهم لتناهي عجزهم في هذه القضية وانما تتجلى هذه النكتة على تقدير الاضافة لادنى ملابسة لا على التخييل لان العرق حينئذ للعصبية لا لهم (دون المناضلة) أي قدام المراماة والمدافعة وفي أدنى مكان منها (والحسب) ما يحسبه الانسان أي يعده من مفاخر نفسه أو آبائه (والخطط) عظائم الامور وشدائدها جمع خطة بالضم (والشطط) مجاوزة الحد (والمفخرة) بفتح الخاء وضمها وكسرها كل خصلة يفتخر بها (والمأثرة) بالضم والفتح المكرمة لانها تؤثر أي تذكر والشرطيتان أعني ان أتاهم وان رماهم بيان وتحقيق لما تقدمهما من الافراط في المضادة والقاء الشراشر على المعازة ولقاء الخطط في المحافظة على الاحساب والذب عنها وركوب الشطط في كل مرام ولفظة أحد بمعنى الواحد من العدد وجاز أن يكون اسما لمن يصلح أن يخاطب به مطلقا اذ أول الكلام بالنفي أي ما أتاهم أحد بمفخرة الا أتوه بمفاخر اذ لا يستعمل في الاثبات الا مع لفظة كل قوله (وقد جرد) جملة معترضة ذيل بها الكلام تقريرا وتأكيدا لجميع ما تقدم من أنه الى هذا المقام وفائدتها نفي أن يتوهم انهم أهملوا في المعارضة طريقتهم المعهودة قلة مبالاة بها اذ لا يتصور اهمالهم فيها مع الجائهم عليها وقيل جملة حالية وعاملها اما أفحم أي أسكتهم عن المعارضة قاسرا لهم عليها بتجريد السيف عقيب الحجة واما لم يتصد أي لم يتعرضوا لها حال كونهم مقسورين عليها وفيه بحث لان قوله فلم يعارضوا معطوف على قد جرد فهو حينئذ من تتمة الحال وتقييد الافحام أو ترك التصدي بعدم المعارضة مما لا طائل فيه وتجريد الحجة تعريتها عن ملابس الشبهات وتجريد السيف انتضاؤه وتعريته عن غمده فاريد به القدر المشترك بينهما وأسند الى الله مجازا لانه الآمر به وقيل تجريد الحجة منسوب الى الله حقيقة ويضمن في المعطوف فعل مثله

لهم الحجة أولا والسيف آخرا فلم يعارضوا الا السيف وحده على أن السيف القاضب مخراق لاعب ان لم تمض الحجة حده فأعرضوا عن معارضة الحجة الا لعلمهم أن البحر قد زخر فطم على الكواكب وأن الشمس قد أشرقت فطمست نور الكواكب والصلاة على خير من أوحى اليه حبيب الله أبى القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ذى اللواء المرفوع فى بنى لؤى وذى الفرع المنيف فى عبد مناف بن قصى المثبت بالعصمة المؤيد بالحكمة الشادخ الغرة الواضح التحجيل

ويسند اليه مجازا وجاز أن يراد بالتجريد الاظهار مجازا ويسند الى الله حقيقة أى أظهر الحجة على لسان رسوله والسيف على يده أى بيد رسول الله صلى الله عليه وآله و (أولا) نصب على الظرفية بمعنى قبل أى ابدأ به ذا أول فيضم على الغاية كقوله افعله قبل وأما الذى مؤنثه الاولى فغير منصرف (الا السيف وحده) من قبيل وضع المظهر موضع المضمر زيادة تصوير لمتعلق المعارضة وأما قوله (على أن السيف) فليس من هذا القبيل اذ المراد به الجنس لا السيف الذى جرد الظرف حال يبين أن معارضتهم بالسيف مع الخلو عن الحجة مما لا يعتد بها وقد أحاطوا بذلك علما والعامل فيها لم يعارضوا بعد انتقاض النفى أى عارضوا بالسيف وحده عالمين بهذه القضية مستعلين عليها شبه حالهم فى العلم بها واتقانها بحال من اعتلى الشئ وركبه فاستعير لها كلمة على هذا ما وعدناك تحقيقه (والقاضب) القاطع (والمخراق) منديل يلف ليضرب به عند اللعب (وامضاء الحجة حد السيف) تقوية شأنه وترجيح جانبه كأنها تجعل حده أى غراره قاضبا أى قاطعا ولا يخفى على كل ذى مسكة أنهم اذا آثروا المحاربة بالسيف والسنان وبذل الارواح على المقاولة باللسان مع علمهم بأنهم ليسوا فى ذلك على شئ فقد شاهدوا عجزهم عن المعارضة بالمرة وأحاطوا به علما فلذلك فرعه عليه قائلا (فأعرضوا الخ) (زخر البحر) أى ماج وامتلأ وطم أى غلب وعلا يقال جاء السيل فطم على الركية أى دفنها وسواها (والكوكب) الاول جمع كوكب الماء وهو مجتمعه والثانى جمع كوكب السماء مثل أولا حالهم فى تلاشى شبههم واضمحلال مزخرفاتهم لظهور المعجزة الباهرة والحجة البالغة الظاهرة بحال كواكب المياه وغدرانها فى اندراسها بزخر البحر الخضم وطمه عليها وثانيا بحال الكواكب حين أشرقت عليها الشمس وطمست أنوارها ومحت آثارها وقد يقال استعير البحر والشمس لبلاغة القرآن والكواكب بالمعنيين لبلاغاتهم ثم رشحت باستعارة الزخر والاشراق لظهورها واستعارة الطم والطمس لغلبتها عليها وهو تكلف مستغنى عنه (قوله والصلاة) معطوف على التحميد الذى بناه على الانزال والايحاء ولما قصد زيادة الملاءمة بينهما قال (خير من أوحى اليه) دون أرسل وليس فى أوحى ضمير راجع الى القرآن لفساد المعنى بل الظرف قائم مقام فاعله فضله أولا على الانبياء ثم وصفه بما هو منشأ كل سعادة وكمال ثم كناه وسماه استلذاذا وتبركا ثم ذكر نسبه العالى الى هاشم ثم شرع فى حسبه فذكر علو شأنه وظهور سلطانه وقدم فيه الجد الاعلى وهو لؤى على الادنى وهو قصى لان رفعة القدر ونفاذ الامر فى أعلى القبائل أدل على عظم المكانة ثم عقبه بذكر باقى أحسابه من كونه (مثبتا بالعصمة مؤيدا بالحكمة) أى العلم المشفوع بالعمل واشتهار فضائله وكونه نبيا أميا مبشرا به فى الكتب السابقة اللواء العلم وذى اللواء المرفوع فى بنى لؤى كناية عن سيادته عليهم وكونه مطاعا فيهم (ذى الفرع) أى ذى العلو والرفعة من قولهم فرعت القوم علوتهم بالشرف أو بالجمال و (المنيف) المشرف العالى من أناف على كذا أشرف عليه ويجوز أن يراد بالفرع الغصن فشبه النبى صلى الله عليه وآله بشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء مستظل بها فذى استعارة مكنية والفرع تخييل والمنيف ترشيح وان يراد به السيد يقال هو فرع قومه أى سيدهم فيكون تجريدا مبالغة فى سيادته وقد يقال الفرع مستعار لاولاده اشارة الى شرف فروعه كأصوله أو للنبى وذى الفرع صفة لؤى وذى اللواء صفة هاشم ولا يخفى بعدهما (الغرة) البياض فى جبهة الفرس يقال شدخت الغرة اتسعت (والتحجيل) البياض فى قوائمه

النبي الامى المكتوب فى التوراة والانجيل وعلى آله الاطهار وخلفائه من الاختان والاصهار وعلى جميع المهاجرين والانصار * (اعلم) أن متن كل علم وعمود كل صناعة

يقال فرس محجل وقد جلت قوائمه تحجيلا وهما أعنى الغرة والتحجيل مستعاران ههنا للشرف والكمال كما أن الشدوخ والوضوح مستعاران لاشتهارهما فقد أشير الى اشتهار جميع أنواع فضائله وكمالاته من قرنه الى قدمه وتستعمل الغرة وحدها فى الشرف مستعارا مشهورا يقال رجل أغر أى شريف وفى الاشتهار وفى الامتياز مجازا مرسلا كقوله مبارك الاسم أغر اللقب أى مشهور اللقب دون التحجيل وحده وأما قوله عليه السلام ان أمتى يأتون يوم القيامة غرا محجلين من أثر الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل فالظاهر منه أن المراد الانوار المتلألئة من آثار الوضوء على تلك المواضع وقد يحمل على امتيازهم واشتهارهم بين الامم فى ذلك اليوم بسبب هذه العبادة و (الامى) من لا يكتب منسوب الى أمة العرب المشهورين فيما بين الامم بعدم الخط والكتابة أو الى أم القرى لان أهلها كانوا أشهر بذلك أو الى الام أى كما ولدته أمه وكونه عليه الصلاة والسلام أميا صفة مدح له تشهد بنبوته وتنفى ارتياب المبطلين حيث أتى بالعلوم الجمة والحكم الوافرة واخبار القرون الخالية بلا تعلم خط واستفادة من كتاب وقد طابق بين الامى والمكتوب أى ليس بكاتب بل هو مكتوب (قوله وعلى آله) أراد أهل بيته لتبادره عند الاطلاق (والاطهار) جمع طهر بمعنى طاهر كعدل بمعنى عادل فان فاعلا لا يجمع على افعال كما نص عليه الجوهرى (من الاختان والاصهار) فى الصحاح أن الختن عند العامة زوج الابنة وعند العرب كل من كان من قبل المرأة كالاب والاخ والصهر أهل بيت المرأة وأراد الزمخشرى بالاختان متعارف العامة وبالاصهار حقيقته وتقديم الاختان للسجع ومن للتبعيض لان الخلفاء الراشدين كانوا بعض اصهاره وأختانه وجاز أن تجعل للبيان لان أقل الجمع عنده اثنان (وعلى جميع المهاجرين والانصار) أى على جميع الصحابة كما يقال الله خالق السموات والارض أى خالق كل شئ وفى تخصيص الخلفاء من بينهم وتقديمهم عليهم تنويه بشأنهم (قوله اعلم ان متن كل علم) شرع فى فن آخر من الكلام فلذلك فصله عما تقدمه وانما صدره بالامر مؤكدا بان حثا على التشمر لتحقيقه فانه أساس لما هو بصدده من انحصار بيان تفاوت الرتب فى النكت والمتن هو الظهر وهو قوام البدن ينبنى عليه سائر اعضائه فاستعير لاصل العلم وهو أمهات مسائله اذ يتقوم بها نكته ولطائفه (والعمود) الخشبة التى فى وسط الخيمة يستند اليها قيامها فاستعير لاعمدة الصناعة لانه يتفرع عليها شعبها ودقائقها والعلم ان لم يتعلق بكيفية عمل كان المقصود فى نفسه ويسمى علما وان كان متعلقا بها كان المقصود منه ذلك العمل ويسمى صناعة فى عرف الخاصة وينقسم الى قسمين ما يمكن حصوله بمجرد النظر والاستدلال كالطب مثلا وما لا يمكن حصوله الا بمزاولة العمل كالخياطة وهذا القسم يخص باسم الصناعة فى عرف العامة والوجه فى التسمية على العرفين ان حقيقة الصناعة صفة نفسانية راسخة يقتدر بها على استعمال موضوعات ما نحو غرض من الاغراض على وجه البصيرة بحسب الامكان كما يشعر به كلام المصنف حيث قال كل عامل لا يسمى صانعا ولا كل عمل يسمى صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرب ولا شك ان العمل المقصود من العلم لا يتم كماله الا بان يتمرن صاحبه فى ذلك العلم ويصير العمل ملكة له ولما كان علم التفسير مشتملا على المعارف الالهية والاحكام العملية جاز أن يطلق عليه كل من هذين الاسمين واطلاق العلم أولى لانه الاكثر والاشهر والاشرف ثم الظاهر ان المراد بالصناعة ههنا متعارف العامة وان ذكر الصناعات لمشابهتها العلوم فى ان تفاضل مراتب أصحابها بحسب الدقائق دون الاصول (فان قلت) علم الكلام لا تعلق له بكيفية عمل فكيف سماه صناعة (قلت) ذلك على سبيل التشبيه لانه لدقته وغموضه لا يحصل الا بمناظرات متعاقبة ومراجعات متطاولة ولذلك سمى كلاما فله نوع تعلق بالعمل وقد يقال كل علم مارسه الرجل حتى نسب اليه وصار كالحرفة له

طبقات العلماء فيه متدانية وأقدام الصناع فيه متقاربة أو متساوية ان سبق العالم العالم لم يسبقه الا بخطا يسيرة أو تقدم الصانع الصانع لم يتقدمه الا بمسافة قصيرة وانما الذى تباينت فيه الرتب وتحاكت فيه الركب ووقع فيه الاستباق والتناضل وعظم فيه التفاوت والتفاضل حتى انتهى الامر الى أمد من الوهم متباعد وترقى الى أن عدّ ألف بواحد

يسمى صناعة سواء كان متعلقا بالعمل أولا (طبقات العلماء) درجاتهم (فيه) أى فى متن العلوم (واقدام الصناع) منازلهم (فيه) أى فى عمود الصناعات وقد أشار بتخصيص كل من الطبقات والاقدام بوضعه الى اناقة العلوم على الصناعات واقتصر فى طبقات العلماء على التدانى وردد فى اقدام الصناع بين التقارب والتساوى بناء على استبعاد التساوى فى قواعد العلوم دون الصناعات (لا يقال) قوله طبقات العلماء مع مافى حيزه خبر عن المعطوف عليه وحده أعنى متن وقوله واقدام الصناع مع مافى حيزه خبر عن المعطوف وحده أعنى عمود كل صناعة فكيف جاز عطف أحد الخبرين على الآخر (لانا نقول) قد صرح النحاة بان الخبر اذا تعدد لتعدد المخبر عنه حقيقة وان كان متحد اللفظ لا يستعمل الخبران بغير عطف كقوله

يداك يد خيرها يرتجى * وأخرى لاعدائها غائظه

فاذا كان المخبر عنه متعددا حقيقة ولفظا معطوفا بعضه على بعض كان العطف فى الخبر أولى ليكون على وتيرة المخبر عنه والسر فى العطف ان مآل المعنى وان كان الى التوزيع الا ان القصد بحسب الظاهر لامن الالباس الى ربط المجموع بالمجموع فلا بد من أداة الجمع كانه قيل مراتب العلماء والصناع فى أصول العلوم والصناعات متقاربة وقد توهم انه نظير قولك زيد وعمرو قام أبوه وذهب أخوه على ان يكون أحد الضميرين لزيد والآخر لعمرو وانه لابد فى مثله من اعتبار تقديم وتأخير وهو منظور فيه لانه اذا اعتبر تقديم خبر المعطوف عليه على المعطوف لم يبق للواو فى خبر المعطوف وجه وجعله لتأكيد لصوق الخبر بالمخبر عنه قصور وعجز ثم ان المثال المشبه به انما يصح اذا لم يكن القياس فى اختصاص كل خبر بما هو له ويكون حينئذ محمولا على ماقدرناه من ربط المجموع بالمجموع اعتمادا على فهم السامع (ان سبق) هو مع ما عطف عليه بيان وتأكيد للتدانى والتقارب المذكورين واختار صيغة الماضى لان المعنى على المضى أوقع كانه قيل ان كان سبق ويشهد له قوله تباينت وتحاكت واستعملت ان دون اذ الان الشك فى السبق أقرب الى قلة التفاوت وثبوت التضارب وذكر الخطا والمسافة تشبيها للسبق فى المراتب العقلية بالسبق فى المسافات الحسية تصويرا له وتمكينا فى الاذهان ولا شبهة فى ان الخطا أنسب بالاقدام والمسافة بالطبقات الا انه لاحظ جانب المعنى فقط (قوله وانما الذى) هذا الخ معطوف على اعلم ومافى حيزه عطف قصة على قصة لا يلاحظ فيه مناسبة لخصوص جملة مع أخرى ولك أن تقول كلمة اعلم حث على التوجه نحو الخبر الذى هو المقصود فهو عطف بحسب المعنى على ذلك المقصود مجردا عن هذه الكلمة كانه قال ان متن كل علم وعمود كل صناعة ليس فيه تفاوت يعتد به وانما الذى تباينت وهذا أدق وأحسن وقد يتخيل ان الهمزة مفتوحة عطفا على ما بعد اعلم وفيه وجوه من المبالغة التخصيص فانه بالقياس الى القواعد والاصول وقد علم انتفاء التباين فيهما ودلالة انما على ظهور الحصر وايراد المبتدا موصولا تشتمل صلته على مايشوق الى الخبر تشويقا تاما وايراد الخبر بينهما وتعقيبه بالتفسير (تحاكت) أى تصاكت كناية عن شدة السعى وفرط المجاهدة فى المسابقة وقيل كناية عن تحاكى المتناظرين للمباحثة وبعده ظاهر وقوله حتى انتهى الامر أى فى التباين والتفاضل غاية لقوله تباينت وما عطف عليه أو لقوله عظم التفاوت والتفاضل وحده وقوله (الى ان عد) ناظر الى قول البحترى

ولم أر امثال الرجال تفاوتا * لدى المجد حتى عد ألف بواحد

وفى عد ألف بواحد مبالغة ليست فى عكسه حيث جعل الواحد أصلا قوبل به الالف مع ان لفظ العد

مافى العلوم والصناعات من محاسن النكت والفقر ومن لطائف معان يدق فيها مباحث الفكر ومن غوامض أسرار محتجبة وراء أستار لا يكشف عنها من الخاصة الا أوحدهم وأخصهم والا واسطتهم وفصهم وعامتهم عماة عن ادراك حقائقها بأحداقهم عناة فى يد التقليد لا يمن عليهم بجز نواصيهم واطلاقهم * ثم ان أملأ العلوم

بالتكثير أولى (المحاسن) جمع حسن على غير القياس كانه قيل محسن (والنكتة) من النكت كالنقطة من النقط ونكت الكلام اسراره ولطائفه لحصولها بالفكرة التى لا يخلو صاحبها عن نكت فى الارض بنحو الاصبع بل لحصولها بالحالة الفكرية الشبيهة بالنكت (والفقر) جمع فقرة بسكون القاف وهى فى الاصل حلى يصاغ من ذهب على هيئة فقار الظهر يستعار أولا لدقائق المعانى الشبيهة بذلك المصوغ وثانيا لما هو فى النثر بمنزلة البيت اذ لا يخلو عن دقيق معنى غالبا عبر عن دقائق العلوم والصناعات بعبارات مختلفة نظرا الى جهات متفاوتة فسماها أولا بمحاسن النكت والفقر وثانيا بلطائف معان وثالثا بغوامض أسرار ونكر الاخيرين قصدا الى التفنن بايراد طريقين التعريف والتنكير وأيضا المنكر بالوصف أولى وكرر الجار أعنى كلمة من تنزيلا لتغاير الجهات منزلة تغاير الذوات وقوله (لا يكشف) تأكيد وتقرير لمعنى الاحتجاب ومفعوله محذوف أى لا تكشف الاستار عنها أى عن غوامض الاسرار ومن ههنا يعلم ان مؤدى تلك العبارات ذات واحدة والا اختل نظام الكلام (من الخاصة) صفة مقدر هو فاعل أى لا يكشف عنها أحد من الخاصة و(أوحدهم) بدل منه وقد يجعل هو فاعلا ومن الخاصة حالا منه قدمت مرجعا للضمير وفيه ان الاوحدى المضاف الى ضمير الخاصة لا محالة يكون بينهم فلا فائدة فى هذه الحال سوى تأكيد نسبته اليهم وياء النسبة فى الاوحدى للمبالغة كالاحمرى منسوب الى اللفظ تنبيها على انه عريق فى معنى الوحدة يستحق ان يعبر عنه بالاوحد وينسب اليه (واسطتهم) أى خيرهم وأفضلهم من واسطة القلادة لا جود جوهرة فى وسطها (وفصهم) أى مختارهم من فص الخاتم عقب الاوحدى بالاخص والواسطة بالفص لشدة ملاءمة بينهما وأعاد كلمة الا فى الاخيرين اشارة الى انه باعتبار اتصافهم بها كانه شخص آخر يستحق أن يستثنى مرة أخرى مبالغة فى اثبات الحكم له من جهات متعددة أو الى انه قصد استثناء آخر فلم يجد غيره فاستثناه بحسب صفة أخرى تأكيدا لنفى الحكم عن غيره وقيل الاعادة لعدم مجانستهما للاولين فلا يحسن انخراطهما فى سلكهما وهو قصور على ملاحظة اللفظ والضمير فى (عامتهم) للخاصة أى أكثر الخاصة عماة والعمى يستعمل فى البصرية الرجل أعمى وقوم عمى وفى البصيرة يقال رجل عمى القلب وقوم عمون فان حمل على الاول كان مستعارا لعمى البصر (والاحداق) ترشيحا وان حمل على الثانى كان الاحداق مستعارا للبصائر وانما عدل عن قياس الجمع الى عماة جمع عام لمشاكلة عناة وضمير (لحقائقها) لغوامض الاسرار (وباحداقهم) متعلق (بالادراك) أى لا يظهر لهم ظهور المحسوس (وعناة) جمع عان وهو الاسير أى هم أسراء فى يد التقليد لا خلاص لهم أصلا وكانت عادة العرب فى اطلاق أسراهم جز نواصيهم اهانة واذلالا وقوله (ثم ان املأ العلوم) عطف على اعلم مع ما عطف عليه وفيه مبالغات من وجوه لتقرير ما يدعيه فى ذهن السامع ونفى الشبهة عنه التأكيد بان وايراد المسند اليه مبهما مشوقا الى المسند مع الاطناب فيه وتوصيف المسند اجمالا بما يزيده فخامة ويجعل موقعه فى الاذهان وارادفه بتفصيله مبسوطا ومشروحا وفائدة لفظ ثم التنبيه على انه ينبغى ان يتئد السامع فى تحقيق ما قدمناه من ان التفاوت بنكت العلوم لا باصولها حتى يصير منه على ثقة وطمأنينة ثم يتحقق ان أشمل العلوم على النكت واللطائف علم التفسير فيكون الاختلاف بين مراتب المفسرين أكثر (أملأ) أفعل من ملئ بالكسر أى امتلأ فهو ملآن على ماذكره فى المقدمة أى أشد العلوم امتلاء وأخذه من ملؤ بالضم أى غنى بعيد لاستلزامه تشبيه النكت بالاموال وكذا أخذه من ملأه بالفتح على انه للمفعول لانه قليل واما كونه بمعنى الفاعل أى أملأ

عما يغمر القرائح وأنهضها بما يبهر الالباب القوارح من غرائب نكت يلطف مسلكها ومستودعات أسرار يدق سلكها علم التفسير الذي لايتم لتعاطيه واجالة النظر فيه كل ذي علم كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القرآن فالفقيه وان برز على الاقران في علم الفتاوى والاحكام والمتكلم وان بز أهل الدنيا في صناعة الكلام وحافظ القصص والاخبار وان كان من ابن القرية احفظ والواعظ وان كان من الحسن البصري أوعظ والنحوي وان كان أنحى من سيبويه واللغوي وان علك اللغات بقوة لحييه لايتصدى منهم أحد

العلوم للقرائح عما يغمرها فلا منع منه لان ملأت الاناء من الماء وبالماء كلاهما صحيح لان الملاء يبتدى منه وهو آلة له ولعله أظهر وذلك لان ملأ بالفتح أشهر استعمالا من ملئ بالكسر وان جعل العلوم ظرفا للدقائق على خلاف ماهو المعتاد من ان المظروف ليس جزأ من الظرف وان الغمر الذي هو ترشيح الاستعارة حيث كان منسوبا الى القرائح فالظاهر ان الامتلاء منسوب اليها ايضا فانها تمتلئ أولانها تصير مغمورة أي مستورة وان لطائف العلوم تحيي القلوب فهي بالقياس اليها أشبه بالماء منها بالقياس الى العلوم و (القريحة) الطبيعة وهي في الاصل أول ماء يستخرج من البئر لحصوله بالكدح والتأثير وأطلقت على مايقع في القلب بغتة بعد مسابقة طلب ثم نقلت منه الى محله أعني القلب (وأنهض) أفعل من نهض بالامر قام به (يبهر) يغلب و (القوارح) الكوامل الثوابت جمع قارح وهو من ذي الحافر ماتكامل سنه وبلغ أشده (يلطف مسلكها) أي يدق طريق الوصول اليها فلا تسلك الا بفكرة صائبة (والسلك) الخيط ودقته كناية عن لطافة الجواهر المنظومة فلا يدرك الا ببصيرة ثاقبة جمع بين غرابة النكت ولطف المسلك اشارة الى معنى قوله من محاسن النكت ومن لطائف معان وجعل قوله ومستودعات أسرار بازاء قوله ومن غوامض أسرار * التفسير علم يبحث فيه عن أحوال كلام الله المجيد من حيث دلالته على مراده وينقسم الى تفسير وهو مالايدرك الا بالنقل كأسباب النزول والقصص فهو مايتعلق بالرواية والى تأويل وهو مايمكن ادراكه بالقواعد العربية وهو مايتعلق بالدراية فالقول في الاول بلا نقل خطأ وكذا القول في الثاني بمجرد التشهي وان أصاب فيهما واما استنباط المعاني على قوانين اللغة فمما يعد فضلا وكمالا (لايتم) أي لايكمل ولايصلح (لتعاطيه) لتناوله (كما ذكر) نصب على المصدر أي أذكر ذلك عدم صلاحية كل ذي علم لتعاطيه ذكرا مثل ذكره ولانقل ههنا لكلام الجاحظ أصلا بل لما ادعى اجمالا انه لايتم لتعاطيه (كل ذي علم) اشارة الى أن الجاحظ ذكر هذا المعنى في كتابه تأييدا لما ادعاه ثم فصل كلامه المجمل بقوله (فالفقيه الخ) وهذه الفاء أعدل شاهد لما ذكرناه عند من له دربة بأساليب الكلام وذكر بعض من أثق به انه رأى كتاب نظم القرآن فلم يكن شئ من هذه العبارات فيه وعلى هذا فقد سقط مؤنة تعيين منتهى كلامه وتوجيه ماقيل فيه (برز عليه) أي فاق و (الاقران) الاكفاء جمع قرن بالكسر وفي المغرب ان اشتقاق الفتوى من الفتى لانه جواب في حادثة أو احداث حكم أو تقوية لبيان مشكل يعني انه يلاحظ في الفتوى ماينبي عنه الفتى من الحدوث والقوة (بز) غلب (والقصص) بكسر القاف جمع قصة و (ابن القرية) بكسر القاف وتشديد الراء المكسورة أحد فصحاء العرب واسمه أيوب والقرية اسم أمه وهي في الاصل حوصلة الطائر كان من الحفاظ نقل الكتب القديمة الى العربية قتله الحجاج فقال عند القتل لكل جواد كبوة ولكل شجاع نبوة ولكل حكيم هفوة فصارت أمثالا (الحسن البصري) هو المكنى أبا سعيد من أكابر التابعين لقي عليا عليه السلام في المدينة وكان مشهورا بالحكم والمواعظ فاذا أطلق الحسن في الكتاب فهو المراد قدم المصنف كلمة من على أفعل التفضيل في موضعين محافظة على السجع و (أنحى) من نحا ينحو اذا نظر في علم النحو وتكلم فيه ومنه النحاة جمع ناح واللحي منبت اللحية عبر بعلك اللغات عن ضبطها واتقانها ودل على سهولة مأخذها أي يكفي فيها تحريك اللحيين باستعمال اللسان و (لايتصدى) خبر لقوله فالفقيه وما عطف عليه وهذه الشروط أعني قوله وان برز

السلوك تلك الطرائق ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق الا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعاني وعلم البيان وتمهل في ارتيادهما آونة وتعب في التنقير عنهما أزمنة وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله وحرص على استيضاح معجزة رسول الله بعد أن يكون آخذا من سائر العلوم بحظ جامعا بين أمرين تحقيق وحفظ كثير المطالعات طويل المراجعات قد رجع زمانا ورجع اليه ورد ورد عليه فارسا في علم الاعراب مقدما في حملة الكتاب وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها مشتعل القريحة وقادها يقظان النفس دراكا للمحة وان لطف شأنها منتبها على الرمزة وان خفي مكانها لا كزا جاسيا ولا غليظا جافيا

واخواته وقعت أحوالا وقد جردت عن معنى الشرط فلا تحتاج الى تقدير جزاء فان جوز انتصاب الحال من المبتدا يعني ان انتساب الخبر اليه في حال كونه كذا فكل واحد من الفقيه وما عطف عليه صاحب الحال التي تليه والا فصاحب الحال هو أحد بحسب تفصيل معناه أي لا يتصدى منهم الفقيه مبرزا على اقرانه وهكذا وابراز الحال في صورة الشرط ايذان بان هذه الامور غير واقعة بل مفروضة كانه قيل مفروضا تبريزه على اقرانه وغلبته على أهل زمانه وفي التقييد باهل الدنيا اشعار بعظم التفاوت في صناعة الكلام و (تلك الطرائق) اشارة الى قوله مسلكها و (تلك الحقائق) الى قوله مستودعات أسرار يقال غاص في الماء على اللؤلؤ أي حصله واستعلى عليه (الا رجل) مستثنى من أحد فهو في المعنى استثناء من كل ذي علم (برع) بالضم والفتح فاق والباء في قوله (مختصين بالقرآن) ان كانت داخلة على المقصور عليه كما هو أصل اللغة فالمعنى ان استعمالهما في القرآن أكثر وكانهما دونا لمعرفة أسرار بلاغته ودلائل اعجازه فهما للقرآن لا لغيره وان جعلت داخلة في المقصور كما هو المشهور في الاستعمال فالمعنى ان الاطلاع على فرائده والكشف عن وجوه فوائده لا يحصل الا بهما فهو لهما لا لغيرهما (تمهل) أي اتأد من المهل بسكون الهاء أو سبق من المهل بفتحها (والارتياد) من راد الكلأ وارتاده اذا طلبه (آونة) وأزمنة جمع أوان وزمان المنكر برأي أوانا بعد أوان وزمانا بعد زمان كقوله تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم أي صلاة بعد صلاة كما يجيء ولا نظر الى كونهما جمعا قلة اذ لا يناسب المقام أصلا (التنقير) عن الامر البحث عنه و (مظنة الشيء) مالفه الذي يظن كونه فيه ومظان العلمين تراكيب البلغاء * والقرآن حجة الله على خلقه ومعجزة رسوله في اثبات نبوته فيستحق أن يعتني بشأنه وتتحمل المشاق في معرفة لطائفه واستيضاح اعجازه (بعد أن يكون) ظرف لبرع وما عطف عليه (بحظ) مفعول آخذا يقال خذ الخطام وخذ بالخطام ترك العطف بين الاخبار بكون تنبيها على ان كل واحد منها أمر مستبد بنفسه يستاهل ان يثبت استقلالا (قد رجع) بيان لقوله (طويل المراجعات) أي رجع زمانا طويلا في التعلم (ورجع اليه) في التعليم (ورد) على غيره في المناظرات (ورد عليه * فارسا في علم الاعراب) تخصيص للخصوص من بين سائر العلوم أي يكون مع أخذه منها بحظ وافر كاملا في علم الاعراب فانه العمدة في هذا الباب (مقدما) في معرفة كتاب سيبويه على حملته فانه أحسن كتاب وضع فيه قال السيرافي ما سبقه عمله من قبله ولا لحقه من بعده (وكان) عطف على قد برع (مع ذلك) أي مع ما ذكر من براعته في العلمين بعد كونه كذا وكذا (مسترسل الطبيعة) أي سلس الطبيعة في الحركات الفكرية نحو دقائق العلوم سهل القبول لها لانقيادها من قولهم بعير رسل بفتح الراء سهل السير وناقة رسلة فيها لين (مشتعل القريحة) في استجلاء الدقائق وانتقادها عند الوصول اليها وقوله (وقادها) دفع لتوهم الخمود كنار العرفج بعد سرعة الاشتعال كما ان منقادها دفع لتخييل الضعف من الاسترسال وقد يقال حاصله ان له طبيعة كالماء في السلاسة والقبول وكالنار في النفوذ والتوقد (اللمحة) الاشارة الخفية (والرمز) الايماء بالشفتين والحاجبين و (الكزازة) الانقباض واليبس يقال رجل كز وقوم كز بالضم وفرس كزة اذا كان في عودها يبس عن الانعطاف و (الجاسي) الصلب من جسأت يده من العمل أي صلبت (الجافي) النابي من الجفاء وهو الغلظة في العشرة

متصرفا ذا دراية بأساليب النظم والنثر مرتاضا غير ريض بتلقيح بنات الفكر قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف وكيف ينظم ويرصف طالما دفع الى مضايقه ووقع فى مداحضه ومزالقه (ولقد رأيت) اخواننا فى الدين من أفاضل الفئة الناجية العدلية الجامعين بين علم العربية والاصول الدينية كلما رجعوا الىّ فى تفسير آية فأبرزت لهم بعض الحقائق من الحجب أفاضوا فى الاستحسان والتعجب واستطيروا شوقا الى مصنف يضم أطرافا من ذلك حتى اجتمعوا الىّ مقترحين أن أملى عليهم الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل

وترك الرفق فى المعاملة والكلام * أثبت أولا سلاسة الطبيعة وصفاءها وجودة القريحة وذكاءها بحسب الفطرة ثم نفى اضدادها مبالغة فى اثباتها ثم شرع بقوله (متصرفا) فى الصفات العملية المتفرعة على تلك الغرائز الخلقية ولا شبهة فى ان ذلك ترتيب انيق لا قصور فيه ولا الباس فمن لا يعجبه مثل هذا التركيب فليتهم نفسه (والدربة) العادة والتجربة (أساليب الكلام) فنونه (والمرتاض) ما تمت رياضته (والريض) ما كان اهلا لها ولم يرض بعد وقوله (غير ريض) دفع لتوهم التجوز فى المرتاض (بنات الفكر) اما المقدمات وتلقيحها ترتيبها على وجه يؤدى الى المطلوب واما النتائج كما اشتهر فى الاستعمال أو يراد استخراج نتيجة من أخرى دلالة على قوة الفطانة وكمال الرياضة أو يراد التلقيح لاجلها و (قد علم) بيان وتقرير لقوله مرتاض بتلقيح بنات الفكر أى قد علم كيف يرتب أجزاء الكلام ويؤلف بينها وكيف ينظم افرادها ويرصف فى نظمها أى علم كيفية التلقيح فى المقدمات واجزائها (الترصيف) الضم والاحكام (طالما) تأكيد لقوله قد علم وكلمة ما فى طالما وقلما اما مصدرية أى طال اندفاعه واما كافة تكفهما عن طلب الفاعل لفظا وتهيئهما لوقوع الفعل بعدهما ويؤيده انها كتبت موصولة كما فى انما وجاز الفصل بينها وبين الفعل قال الكميت * وقد طال ما يا آل مروان ألتم * (ولقد رأيت) هو الى آخر الخطبة معطوف على قوله ثم ان أملأ العلوم عطف القصة على قصة علم التفسير أى كان طبقات المفسرين فى غاية التباين لكثرة نكته وتوقف ادراكها على شرائط قلما تجتمع فى واحد وكنت أنا فى أعلى طبقة منها قادرا على كشف اسرار هذا الفن وفوائده ووجدت الناس محتاجين الى ذلك غاية الاحتياج ملحين علىّ فى وضع هذا الباب فتصديت لوضع هذا الكتاب فأتمه الله على يدى فى أدنى مدة واللام فى لقد جواب قسم مقدر دفعا لما عسى يختلج فى وهم من له ريبة فى صدقه وتوحيد الضمير فى رأيت لان الرؤية له خاصة وجمعه فى (اخواننا) لارادة أنهم اخوة للطائفة العدلية عامة وبيان (الاخوة) الذى هو جمع قلة (بالافاضل) الذى هو جمع كثرة تنبيه على انهم وان قلوا صورة فهم الكثيرون حقيقة أى شرفا وفضيلة وذكر (الفئة الناجية) اشارة الى انهم الذين حكم فى الحديث بنجاتهم وقوله (فى الدين) ظرف لاخواننا لتضمنه معنى الموافقة والمعاونة (الجامعين) صفة الافاضل (وعلم العربية) يتناول أقسامها من اللغة وغيرها والاصول الدينية علم الكلام والشرطية أعنى (كلما رجعوا) مفعول ثان لرأيت وفى هذا التعميم مبالغة (بعض الحقائق) أى بعض حقائقها أو بعض ما عندى منها (أفاضوا) أى شرعوا دفعة فى استحسان ما أبرزته لهم وفى التعجب منى (استطيروا) استفزوا كأنهم حملوا على الطيران (شوقا) مفعول له لا تمييز اذ لا معنى لقولك استطير شوقه (أطراف) الدينة نواحيها وسوادها فاستعيرت لجوانب الكلام أى يضم أشياء كثيرة من ذلك أى من جنس ما أبرزت لهم وقد يقال أراد ضم ذلك المبرز المتفرق (حتى اجتمعوا) أى أدى تعجبهم وشوقهم الى الاجتماع (والاقتراح) السؤال من غير روية ويدل على كمال الشغف (والاملاء) متعد فاما ان يقدر مفعوله أى املى كتابا فى الكشف أو نزل منزلة اللازم أى أفعل الاملاء فى الكشف (حقائق التنزيل) معانيه التى ينساق اليها بلا صرف عن ظاهره (وتأويله) ان يصرف الى خلاف ظاهره لامارة تدل عليه (وعيون الاقاويل)

في وجوه التأويل فاستعفيت فأبوا الا المراجعة والاستشفاع بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد والذى حدانى على الاستئناف على أنهم طلبوا ما الاجابة اليه علىّ واجبة لان الخوض فيه كفرض العين ما أرى عليه الزمان من رثاثة أحواله وركاكة رجاله

خيارها عطف على حقائق التنزيل أى الكشف عن الحقائق بابرازها وعن العيون بتفصيلها وتوجيهها أو عطف على الكشف والاقاويل جمع أقوال جمع قول والظرف أعنى (فى وجوه) متعلق بالاقاويل وما أحسن هذه العيون فى الوجوه (فاستعفيت) أى طلبت الاعفاء يقال اعفنى من الخروج معك أى دعنى منه (استشفعه) واستشفع به أى سأله ان يكون شفيعاله وعطف (علماء العدل) على (عظماء الدين) من قبيل عطف الصفات أو أراد بعظماء الدين الزهاد والعباد والمعتزلة سموا انفسهم أهل العدل لانهم أوجبوا على الله تعالى ماهو عدل عندهم من ثواب المطيع وعقاب العاصى وتيسير أسباب الطاعات وزواجر المعاصى ورعاية ماهو الاصلح للعباد ولم يجوز واشيأ عايعد ظلما وأهل التوحيد اذلم يثبتوا لله تعالى صفات قديمة زائدة على ذاته لاستلزامه تعدد القدماء المنافى للتوحيد (والذى حدانى) مبتدا خبره (ما أرى عليه) وهو جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه أعنى (فأبوا فاملیت) وفائدتها تأكيد حقية الاقتراح والاستشفاع واظهار ان استعفاءه لم يكن عن قصور بل عن استقصاره من يستضىء بنوره (حدانى) ساقنى وعدى بعلى لتضمين معنى الحمل والبعث (على على) حال من المفعول وقد سبق لك جلية حالها كلمة (ما) موصولة والجملة الآتية صلتها أى طلبوا الامر الذى يجب على صاحبه الاجابة اليه (لان الخوض) تعليل لتخصيص الوجوب واشارة الى ان هذا الامر وان كان من فروض الكفايات الا انه صار عليه كفرض العين اذ كان متعينا له فى زمانه (ما أرى) اما موصوفة أى شىء أرى عليه و (من رثاثة) بيان لها وصفة أخرى لها واما موصولة ومن رثاثة بيان للضمير فى عليه وحال منه لا للموصولة اذلا ينتصب حال من خبر المبتدا وقيل المعنى لا يساعد على جعله حالا من ضمير عليه فامالان المعنى ما أرى الزمان على رثاثة حاله وهو مردود بان المبين ليس فى حكم الساقط بالمرة وهذا ممنوع فى البدل فكيف فى البيان واما لان تقييد الرؤية بحال كونه رثاثة لا فائدة فيه وجوابه ان ما يرى عليه الزمان يتناول بمفهومه ما لا يكون رثاثة كما ان الرجس يتناول بمفهومه ما لا يكون وثنا فكما ان من الاوثان حال من الرجس مقيدة للعامل بكون الرجس وثنا كذلك من رثاثة حال من الضمير فى عليه مقيدة للرؤية بكون المرئى رثاثة وهى البذاذة يقال ثوب رث أى خلق (والركاكة) الضعف قال رحمه الله الركاكة والرقة من باب واحد الا ان الركاكة غلبت فى ذم المعانى والاقوال يقال معنى ركيك وقول ركيك واستعيرت لذم الاعيان ورجل ركيك أى ضعيف لا عقل له (فضلا) مصدر يتوسط بين أدنى وأعلى للتنبيه بنفى الادنى واستبعاده عن الوقوع على نفى الاعلى واستحالته أى عدّه محالا عرفا فيقع بعد نفى اما صريح كقولك فلان لا يعطى الدرهم فضلا عن أن يعطى الدينار فاعطاء الدرهم منفى عنه ومستبعد فكيف يتصور منه اعطاء الدينار واما ضمنى كقوله وتقاصرهممهم الخ يعنى ان هممهم تقاصرت عن بلوغ أدنى عدد هذا العلم وصار منفيا مستبعدا عنهم فكيف يترقى الى ماذكر من الكلام المؤسس وهو مصدر قولك فضل عن المال كذا اذا ذهب أكثره وبقى أقله ولما اشتمل على معنى الذهاب والبقاء ومعنى الكثرة والقلة نظر بعضهم الى معنى الذهاب والبقاء فقال تقدير الكلام فى المثال الاول فضل عدم اعطاء الدرهم عن الدينار أى ذهب اعطاء الدينار بالكلية وبقى عدم اعطاء الدرهم وفى المثال الثانى فضل تقاصر الهمم عن بلوغ أدنى العدد عن الترقى بالمرة أى ذهب الترقى بالمرة وبقى التقاصر فالباقى هو نفى الادنى المذكور قبل فضلا والذاهب نفس الأعلى المذكور بعده وحينئذ يفوت شيآن من أصل الاستعمال الاول كون الباقى من جنس الذاهب اذ ليس انتفاء الادنى من جنس الاعلى الثانى كون الباقى أقل من الذاهب اذ لا معنى لكون انتفاء الادنى أقل من نفس الاعلى (فان قلت) المفهوم من فضلا حينئذ ان ما بعده

وتقاصر هممهم عن أدنى عدد هذا العلم فضلا أن ترتقى الى الكلام المؤسس على علمى المعانى والبيان فأمليت عليهم مسئلة فى الفواتح وطائفة من الكلام فى حقائق سورة البقرة وكان كلاما مبسوطا كثير السؤال والجواب طويل الذيول والاذناب وانما حاولت به التنبيه على غزارة نكت هذا العلم وأن يكون لهم منارا ينتحونه ومثالا يحتذونه فلما صمم العزم على معاودة جوار الله والاناخة بحرم الله فتوجهت تلقاء مكة وجدت فى مجتازى بكل بلد من فيه مسكة من أهلها وقليل ما هم عطشى الاكباد الى العثور على ذلك المملى متطلعين الى ايناسه حراصا على اقتباسه فهز ما رأيت من عطفى وحرك الساكن من نشاطى

ذاهب منتف بتمامه واما انه أدخل فى الانتفاء وأقوى فيه مما نفى قبله كما هو المقصود فلا (قلت) قد يفهم ذلك من كونه أعلى وأدنى اذ الاعلى أولى بالانتفاء من الادنى ونظر آخرون الى معنى القلة والكثرة فقالوا التقدير فى المثال الاول فضل عدم اعطاء الدرهم عن عدم اعطاء الدينار أى العدم الاول قليل بالقياس الى العدم الثانى فان الاول عدم ممكن ويستبعد وقوعه والثانى عدم مستحيل فهو أكثر قوة وأرسخ من الاول وفى المثال الثانى فضل تقاصر الهمم عن الادنى عن تقاصرها عن الترقى أى التقاصر الاول قليل بالقياس الى الثانى فان التقاصر عن الترقى واجب وعلى هذا التوجيه يفوت من أصل الاستعمال معنى الذهاب والبقاء ويلزم أن لا تكون كلمة عن صلة له بحسب معناه المراد بل بحسب أصله ويحتاج الى تقدير النفى فيما بعد فضلا وابعضهم توجيه ثالث مبنى على اعتبار ورود النفى على الادنى بعد توسط فضلا بينه وبين الاعلى كأنه قيل يعطى الدرهم فضلا عن الدينار أى فضل اعطاء الدرهم عن اعطاء الدينار على معنى ذهب اعطاء الدينار وبقى من جنسه بقية هى اعطاء الدرهم ثم أورد النفى على البقية واذا انتفت بقية الشئ كان ما عداها أقدم منها فى الانتفاء ويرجع حاصل المعنى الى أن اعطاء الدينار انتفى أولا ثم تبعه فى الانتفاء اعطاء الدرهم وهكذا بلوغ الهمم الى أدنى العدد بقية من جنس الترقى فاذا تقاصرت عن البلوغ كان تقاصرها عن الترقى مقدما عليه وناصب فضلا محذوف وجوبا لجريه مجرى تتمة الاول بمنزلة لاسيما ولا محل لذلك المحذوف من الاعراب وان زعم بعضهم أنه حال ولا يلتبس عليك ان فاعل ذلك الفعل المحذوف هو الادنى على الوجه الاخير ونفيه على الوجهين الاولين (قوله أدنى عدد هذا العلم) هو اللغة والصرف والنحو مما يتوصل به الى المعانى الوضعية (الى الكلام المؤسس) أى الى ادراكه بتحصيل عدده ويريد به كلامه فى الكشف عن حقائق التنزيل لانه بصدد ابداء عذر الاستعفاء عن املائه وأيضا قوله (وطائفة من الكلام) يرشد اليه فمن قال المراد به القرآن فقد سها (فى الفواتح) أى الحروف المقطعة فى أوائل السور وقيل أراد الفاتحة وصيغة الجمع تعظيم لها وهو بعيد جدا والاولى أن يراد فاتحة الكتاب مع فواتح السور (وكان) أى المملى (حاولت به) قصدت بذلك المبسوط (منارا) علما (ينتحونه) يقصدونه و (يحتذونه) يقتدون به ويقيسون عليه (صمم العزم) أى خلص عن التردد وصار ماضيا لا فتور فيه يقال صمم السيف اذا مضى فى العظم وقطعه وصمم فلان على أمره أى مضى على رأيه فيه (وجدت) جواب لما (فى مجتازى) اما مصدر فيتعلق به الجار أى فى اجتيازى بكل بلد واما مكان فيتعلق الجار بوجدت (والمسكة) مقدار ما يتمسك به من عقل أو علم أو قوة والضمير فى أهلها للبلد بتأويل البلدة ولقد تفنن بازاء معنى واحد فى صور مختلفة فوحد الضمير المذكر فى قوله فيه نظرا الى اللفظ من وجمعه فى (قليل ما هم) نظرا الى معناه وأفرد قليل مع أنه خبر لقوله (هم) قدم عليه اهتماما به بناء على أنه صفة لقدر لفظه مفرد ومعناه جمع مثل فوج أو حزب وقال (عطشى الاكباد) لانهم جماعة واستعمل جمع السلامة والتكسير (التطلع) التشوف (والايناس) الابصار (العطف) الجانب وهز العطف كناية عن السرور لان الفرحان يتحرك جانباه نشاطا و (من) للتبعيض ومن (عطفى) مفعول هز أى حصل فى بعض الارتياح لان تمامه كان باستدعاء الشريف وقد يقال هز

فلما حططت الرحل بمكة اذا أنا بالشعبة السنية من الدوحة الحسنية الأمير الشريف الامام شرف آل رسول الله أبي الحسن علي بن حمزة بن وهاس أدام الله مجده وهو النكتة والشامة في بني الحسن مع كثرة محاسنهم وجموم مناقبهم أعطش الناس كبدا وألهبهم حشى وأوفاهم رغبة حتى ذكر أنه كان يحدث نفسه في مدة غيبتي عن الحجاز مع تزاحم ماهو فيه من المشاده بقطع الفيافي وطي المهامه والوفادة علينا بخوارزم ليتوصل الى اصابة هذا الغرض فقلت قد ضاقت على المستعفى الحيل وعيت به العلل ورأيتني قد أخذت مني السن وتقعقع الشن وناهزت العشر التي سمتها العرب دقاقة الرقاب فأخذت في طريقة أخصر من الاولى مع ضمان التكثير من الفوائد والفحص عن السرائر ووفق الله وسدد ففرغ منه في مقدار مدة خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكان يقدر تمامه في أكثر من ثلاثين سنة

العطف كناية عن ازالة الغفلة فان الغافل ينبه بتحريك جانبه والمقام ناب عنه (اذا) للمفاجأة أي فاجأت زمان أنا ملتبس (بالشعبة) فاذا مفعول به لفاجأت وهو جواب لما (السنية) الرفيعة (والدوحة) الشجرة العظيمة (والامير) بدل من الشعبة أو بيان وبه خرج الكلام عن الاستعارة الى التشبيه كقوله تعالى من الفجر (والنكتة) كل نقطة من بياض في سواد أو عكسه (والشامة) الخال يقال هو النكتة والشامة في قومه أي العلم المشار اليه (أعطش الناس) قيل حال وانما يصح عند من يجعل اضافته لفظية ولم يذهب اليه المصنف فالاولى أن يكون مفعولا لما دل عليه المفاجأة من معنى وجدت وهذا جائز عند الكوفية مطلقا وعند البصرية في مثل هذا المحل لتقدم قوله وجدت (المشاده) المشاغل وقياس واحده مشده بضم الميم وكسر الدال من أشده كما أن المشاغل جمع مشغل من أشغله وهو لغة ضعيفة في شغله الا أن مشده لم يستعمل أصلا وانما المستعمل شده الرجل أي شغل أو دهش فهو مشدوه وجاز أن يكون من الثلاثي جمع مشده بفتح الميم والدال أي موقع الشده فان المشاغل مقاس الحيرة والدهش كما يقال الولد مجبنة مبخلة أي مخلقة ومقمنة لذلك (الفيفاء) الصحراء الملساء (والمهمه) المفازة البعيدة والجمع الفيافي والمهامه (وفد) فلان على الامير أي ورد عليه رسولا في خطب من تهنئة ونحوها جمع الضمير في (علينا) تعظيما للتناسب لفظ الوفادة والقول بأنه للتواضع والاشارة الى أن وفادته لا تكون على وحدي بل مع اخواني من الافاضل يدفعه قوله ليتوصل الى هذا الغرض فانه منحصر فيه كما مر والقصد الى جعل الاخوان شفعاء عنده لا يلائم المقام (فقلت) عطف على جواب لما أعني وجدت (على المستعفى) أراد نفسه والتفت لان الحيل والعلل يناسبان وصف الاستعفاء لا ذات المتكلم يقال عي بالامر اذا لم يهتد لوجهه فمعنى عيت به العلل أنها لم تهتد اليه لم يكن له التمسك بها وهذا أبلغ من أن يقال عي بالعلل اي لم يهتد اليها كان عدم الاهتداء سرى منه اليها وقد تجعل الباء للتعدية أي أعجزته العلل فلم يجد ما يتعلل به وحينئذ تفوت تلك المبالغة والاستعمال المشهور أعني كون الباء صلة للفعل (ورأيتني) معطوف على قلت وبيان لسبب العدول عن طريقة المملى والاخذ في طريقة أخصر منها (أخذت مني السن) أثرت في وأخذت من قواي ونقصت منها (الشن) القربة البالية وتقعقع الشن تصوته ليبسه أراد استيلاء اليبس على جلده لكبر سنه (ناهزت) شارفت وقاربت و(العشر) المسماة (بدقاقة الرقاب) ما بين الستين الى السبعين وقد حكم سيد البرايا بأنها معترك المنايا (فأخذت) عطف على رأيتني (مع ضمان) حال من أخذت أي مقارنا الضمان وكفالتي بذلك دفعا لما يتوهم في الاختصار من فوت الفوائد (السرائر) جمع سريرة بمعنى السر (سدد) أي رفق للسداد وهو الصواب من القول والعمل (ففرغ منه) أي من الكتاب لدلالة السياق عليه بل لكونه مذكورا معنى لان قوله طريقة أخصر عبارة عنه ولم يصرح باسناده الفراغ الى نفسه تنبيها على أن الفراغ منه في مثل ذلك الزمان لا يتصور من انسان بل هو محض موهبة من عند الله المنان (مدة خلافة أبي بكر رضي الله عنه) سنتان وأربعة أشهر أو ثلاثة أشهر وتسع ليال أي

وماهى الآية من آيات هذا البيت المحرم وبركة أفيضت على من بركات هذا الحرم المعظم أسأل الله أن يجعل ماتعبت فيه منه سببا ينجينى ونورا لى على الصراط يسعى بين يدى وبيمينى ونعم المسؤل

﴿سورة فاتحة الكتاب﴾

كان يقدر تمامه فى أكثر من مدة خلافة الاربعة فاتفق فى مدة خلافة أقلهم مدة (وماهى) أى الفراغ فى تلك المدة القليلة وتأنيث الضمير باعتبار الخبر الذى هو (آية) وقوله (من آيات هذا البيت المحرم) ناظر الى قوله تعالى فيه آيات بينات (ماتعبت فيه منه) الضمير الاول لما والثانى للكتاب فتجعل من بيانية لا تبعيضية لانه تعب فى مجموعه لا فى بعضه فقط وقيل بالعكس أى ماتعبت منه فى تصنيف الكتاب وقيل الاول لله والثانى لما أى ماتعبت فيه أى فى ذات الله ومرضاته كقوله تعالى جاهدوا فينا وقيل بالعكس فيكون منه صفة لسببا فلما قدمت صارت حالا أى يجعل المتعوب فيه وهو الكتاب سببا من الله تعالى وقد يقال الاول للحرم والثانى لما أى ماتعبت منه فى الحرم والباقى (بيمينى) بمعنى فى أى يسعى بين يدى وفى يمينى وهو مقتبس من قوله تعالى يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم (ونعم المسؤل) عطف على أسأل الله فاما أن يجعل أسأل الله انشاء السؤال أو يقدر القول فى نعم أى وأقول نعم والمخصوص بالمدح محذوف أى نعم المسؤل أى المدعو هو أى الله تعالى أو نعم المطلوب هو أى الجعل المذكور

﴿سورة فاتحة الكتاب﴾

فاتحة الشئ أوله فقيل الفاتحة فى الاصل مصدر بمعنى الفتح كالكاذبة بمعنى الكذب ثم أطلقت على أول الشئ تسمية للمفعول بالمصدر لان الفتح يتعلق به أولا وبواسطته يتعلق بالمجموع فهو المفتوح الاول وقيل الفاتحة صفة ثم جعلت اسما لاول الشئ اذ به يتعلق الفتح بمجموعه فهو كالباعث على الفتح وأدخل التاء علامة للنقل من الوصفية الى الاسمية كما فى النطيحة وهذا هو الوجه لان فاعلة فى المصادر قليلة وقس على الفاتحة حال الخاتمة (قوله الكتاب) كالقرآن يطلق على مجموع المنزل المكتوب فى المصحف وعلى القدر المشترك بينه وبين أجزائه المخصوصة ومعنى فاتحة الكتاب أوله ثم صارت بالغلبة علما لسورة الحمد وقد تطلق عليها الفاتحة وحدها فاما أن يكون علما آخر بالغلبة أيضا لكون اللام لازمة واما أن يكون اختصار الفاتحة الكتاب واللام كالخلف عن الاضافة الى الكتاب مع لمح الوصفية الاصلية ﴿قال صاحب الكشف رحمه الله تعالى﴾ وهذه الاضافة بمعنى من لان أول الشئ بعضه ورد عليه بأن البعض قد يطلق على ماهو فرد الشئ كما يقال زيد بعض الانسان وعلى ماهو جزء له كما يقال اليد بعض زيد واضافة الاول الى الشئ بمعنى من دون الثانى ومن ثمة اشترط فى الاضافة بمعنى من كون المضاف اليه جنسا للمضاف صادقا عليه وجعل من بيانية كخاتم فضة ﴿فان قلت﴾ لم لا يجعل الكتاب بمعنى القدر المشترك الصادق على سورة الحمد وغيرها أى فاتحة هى الكتاب ﴿قلت﴾ يأباه أن كونها فاتحة أولا بالقياس الى مجموع المنزل لا القدر المشترك ﴿فان قلت﴾ جوز العلامة فى سورة لقمان الاضافة بمعنى من التبعيضية وجعلها قسيم الاضافة بمعنى من البيانية حيث قال معنى اضافة اللهو الى الحديث التبيين وهى الاضافة بمعنى من كقولك باب ساج والمعنى من يشترى اللهو من الحديث واللهو يكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء فى الحديث الحديث فى المسجد يأكل الحسنات ويجوز أن تكون الاضافة بمعنى من التبعيضية كأنه قيل ومن الناس من يشترى بعض الحديث الذى اللهو منه فنقول على التقدير الثانى ان أريد بالحديث مطلقه كان جنس اللهو صادقا عليه كما ان الحديث المنكر يصدق عليه وكانت الاضافة بيانية كما فى باب ساج فلم يجز جعلها مقابلا اياها وان أريد بالحديث العموم والاستغراق فقد ثبت اضافة الجزء الى الكل بمعنى من التبعيضية وان كانت غير مشهورة ﴿قلت﴾ الظاهر أن المراد مطلق الحديث لكنه دقق النظر فى اضافة الشئ الى ماهو صادق عليه

مكية وقيل مكية ومدنية لانها نزلت بمكة مرة و بالمدينة أخرى وتسمى أم القرآن لاشتمالها على المعانى التى فى القرآن من الثناء على الله تعالى بما هو أهله ومن التعبد بالامر والنهى ومن الوعد والوعيد وسورة الكنز والوافية لذلك وسورة الحمد والمثانى لانها تثنى فى كل ركعة وسورة الصلاة لانها تكون فاضلة أو مجزئة

فما كان فيه المضاف اليه يحسن جعله بيانا وتمييزا للمضاف كالساج للباب وكالحديث المنكر للهو جعلها بيانية ومالم يحسن ذلك فيه كالحديث المطلق للهو جعلها تبعيضية ميلا الى جانب المعنى (قوله مكية) ذكر المصنف فى سورة الفلق ان أكثر المفسرين على أن الفاتحة أول سورة نزلت ثم القلم فتكون مكية واما أنها نزلت مرة أخرى بالمدينة حين حولت القبلة كما نزلت بمكة حين افترضت الصلاة فهو قول البعض وقد يتوهم أنها مدنية فقط ويرده اتفاق الاكثر على أنها متقدمة فى النزول على سورة القلم وان كان صدر القلم أول منزل وسيأتيك تحقيقه عن كثب ولما كانت تسمية هذه السورة بفاتحة الكتاب وسورة الحمد ظاهرة وكذا تسميتها بسورة الشفاء والشافية اذ قد ورد انها شفاء من كل داء لم يتعرض لها وأما تسميتها بأم القرآن وسورة الكنز والوافية فلاشتمالها على أصول معانى القرآن وهى ثلاثة الاول الثناء على الله بما هو أهله الثانى تعبد العباد وتكليفهم بالامر والنهى الثالث الوعد والوعيد بالترغيب والترهيب أما الثناء أعنى اجراء صفات الكمال على الله تعالى فظاهر وأما العبادة ففى قوله تعالى اياك نعبد فان العبادة قيام العبد بحق العبودية وما تعبد به من امتثال أوامر المولى ونواهيه أو فى قوله الصراط المستقيم اذا أريد به ملة الاسلام المشتملة على الاحكام أو فى قوله الحمد لله لانه لتعليم العباد فالمعناه قولوا الحمد لله والامر بالشئ ايجابا يستلزم النهى عن ضده وأما الوعد والوعيد ففى قوله أنعمت عليهم والمغضوب عليهم أو فى قوله يوم الدين أى الجزاء فانه يتناول الثواب والعقاب والوجه فى انحصار مقاصد الكتاب المجيد فى الاصول الثلاثة أن القرآن أنزل ارشادا للعباد الى معرفة المبدأ والمعاد ليؤدوا حق المبدأ بامتثال ما أمر ونهى ويدخروا بذلك للمعاد مثوبة كبرى وبعبارة أخرى أنزل القرآن كافلا بسعادة الانسان وذلك بأن يعرف مولاه ويتوصل اليه بما يقربه منه ويتنصل عما يبعده عنه ولا بد فى التوصل من باعث هو الوعد وفى التنصل من زاجر هو الوعيد ولولاهما لاستولى الكسل الطبيعى على النفوس وتسلط عليها دواعى الهوى وحجبت عن حضرة النور بظلمات بعضها فوق بعض وقد يظن أن ههنا مقصدا رابعا هو الدعاء والسؤال فى قوله اهدنا ويجاب بأنه متفرع على ما ذكر فان المعتد به من الدعاء ما كان فى أمر الآخرة وأداء الطاعة وترك المعصية ﴿لا يقال﴾ كثير من السور تشتمل على هذه المعانى ولم تسم أم القرآن ﴿لانا نقول﴾ لما كانت هذه السورة متقدمة على سائر السور وضعا بل نزولا على قول الاكثر وكانت مشتملة على تلك المعانى مجملة على أحسن ترتيب ثم صارت مفصلة فى السور الباقية فنزلت منها منزلة مكة من سائر القرى حيث مهدت أرضها أولا ثم دحيت الارض من تحتها فكما أن مكة أم القرى كذلك الفاتحة أم القرآن على أن ما ذكرناه وجه التسمية ولا يجب اطراده (المثانى) جمع مثنى على صيغة المفعول من التثنية بمعنى مردود مكرر ويجوز أن يكون جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير والاعادة كذا فى سورة الزمر وقال فى سورة الحجر واحدها مثناة ففى بعض النسخ على صيغة المفعول من التثنية كما فى الوجه الاول فى الزمر وفى أكثرها بفتح الميم مفعلة من الثنى كما فى الوجه الثانى فيها وسميت الآيات السبع التى هى الفاتحة بالمثانى لانها تثنى فى كل ركعة أى صلاة تسمية للكل باسم الجزء وقد صرح بذلك فى سورة الحجر وقال المثانى من التثنية وهى التكرير لان الفاتحة مما تكرر قراءتها فى الصلاة وغيرها وهذه العبارة أعنى لانها تثنى فى كل ركعة وردت فى صحاح الجوهرى أيضا ولعل فائدة المجاز المبالغة فى أن كل صلاة فعلة واحدة كركعة وقد تعددت الفاتحة فيها فيتضح تكررها زيادة ايضاح وربما يقال انها تتكرر فى كل ركعة بالقياس الى أخرى ففى

بقراءتها فيها وسورة الشفاء والشافية وهى سبع آيات بالاتفاق الا أن منهم ٣ من عد أنعمت عليهم دون التسمية ومنهم من مذهبه على العكس (بسم الله الرحمن الرحيم) قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على أن التسمية ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وانما كتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها كما بدئ بذكرها فى كل أمر ذى بال وهو مذهب أبى حنيفة رحمه الله ومن تابعه ولذلك لا يجهر بها عندهم فى الصلاة وقراء مكة والكوفة وفقهاؤهما على أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعى وأصحابه رحمهم الله ولذلك يجهرون بها وقالوا قد أثبتها السلف فى المصحف

الثانية بوقوعها مرة فى الاولى وفى الاولى عند انضمام الثانية اليها ولا يرد على الوجهين التنفل بركعة واحدة اذ ليس من مذهب المصنف ﴿فان قلت﴾ هل يمكن لمن جوز التنفل بها أن يعلل التسمية بأنها تثنى فى كل ركعة على أحد التأويلين ﴿قلت﴾ نعم على أن يجعل عاما مخصوصا فان تكررها فى أكثر الصلوات والركعات كاف فى تسميتها بالمثانى وأما صلاة الجنازة فلا يرد على أحد فى هذه العبارة لانها لا تسمى ركعة أصلا قال رحمه الله تعالى والاشبه أن يراد بيان محل التكرر على معنى أن الفاتحة مما تكرر بحسب الركعة لا بحسب أركانها كالطمأنينة ولا بحسب كل ركعتين كالتشهد فى الرباعية ولا بحسب كل الصلاة كالتسليم فان تعددت الركعة تكررت الفاتحة والا فلا كانه قيل لانها تثنى باعتبار تعدد الركعة ويتجه عليه أن هذا المعنى وان كان واضحا فى نفسه الا أن دلالة هذه العبارة عليه فى غاية الخفاء كما لا يخفى الباء فى قوله (بقراءتها) للسببية أى قراءتها فى الصلاة سبب لفضيلتها على مذهب أبى حنيفة وسبب لاجزائها على مذهب الشافعى فقد توقفت فضيلة الصلاة أو اجزاؤها عليها توقف المسبب على السبب فسميت سورة الصلاة لهذه العلاقة وقد يتوهم ان الاولى أن يقال لانها لا تكون فاضلة أو مجزئة الا بقراءتها فيها لتفيد ما قصده من توقف الفضيلة أو الاجزاء على الفاتحة بيانا للمذهبين وجوابه أن التوقف مفهوم من السببية فلا حاجة الى القصر فى العبارة ﴿لا يقال﴾ لعل هناك شيأ آخر ﴿لانا نقول﴾ الاصل عدمه وهذا القدر واف بتأدية المقصود فى متعارف أهل اللغة (قوله من عد أنعمت عليهم) آية أراد صراط الذين أنعمت عليهم الا أنه اختصر لظهور ان الصلة دون الموصول والمضاف اليه بدون المضاف لا يعد لان الكل فى حكم كلمة واحدة (قوله قراء المدينة) أجمعت الامة على ان التسمية فى سورة النمل بعض آية منها فهى من القرآن قطعا واختلفوا فى التسمية فى أوائل السور فقال بعضهم انها آية من كل سورة وهى من أوائلها مائة وثلاث عشرة آية من القرآن وهو سعيد ابن جبير والزهرى وعطاء وابن المبارك وعليه الشافعى وأصحابه وقال آخرون انها ليست من القرآن أصلا وهو مذهب ابن مسعود ومذهب مالك والمشهور من مذهب أبى حنيفة رضى الله عنه وأتباعه وذهب المتأخرون من علماء الحنفية الى أن الصحيح من المذهب أنها آية واحدة من القرآن ليست بجزء لشئ من السور بل أنزلت للفصل بينها تبركا بها فنشأ من ذلك اختلاف آخر وهو أنها آيات بعدد كل سورة مصدرة بها أو آية واحدة منفردة عنها ونقل بعض الناس أنها بعض آية من واحدة من تلك السور والمصنف لم ينقل الا الخلاف الاول ولم يعتد بما عداه ويدل على ذلك أمران الاول أنه نسب القول الاول الى قراء المدينة والبصرة والشام وفقهائها ومذهبهم أنها ليست من القرآن أصلا حتى قال مالك لا ينبغى أن تقرأ فى الصلاة لا جهرا ولا سرا الثانى أنه قال وانما كتبت للفصل والتبرك ولم يقل انها نزلت ويؤيد ذلك أنه شبه اثباتها فى أوائل السور بذكرها فى أول كل أمر ذى بال فتعين ان يكون قوله على أن التسمية ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها من السور محمولا على المشهور من مذهب أبى حنيفة أعنى أنها ليست من القرآن وان كان بحسب المفهوم متناولا أيضا لما اختاره المتأخرون من الحنفية وعولوا عليه فى الفتوى وكان حق العبارة أن يقول على أن التسمية ليست من القرآن لكن عدل عنه لفائدتين الاولى أن يرد النفى فى هذا القول على ما هو مذهب المخالف لاظهار التقابل الثانية أن يرد على من قال انها آية منفردة عن

(بسم الله الرحمن الرحيم)

٣ قوله من عد أنعمت عليهم الظاهر أن يقول غير المغضوب عليهم كما هو واضح فليتأمل اه مصححه

مع توصيتهم بتجريد القرآن ولذلك لم يثبتوا آمين فلولا أنها من القرآن لما أثبتوها وعن ابن عباس من تركها فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله تعالى (فان قلت) بم تعلقت الباء (قلت) بمحذوف تقديره بسم الله اقرأ أو أتلو لان الذى يتلو التسمية مقروء كما أن المسافر اذا حل أو ارتحل فقال بسم الله والبركات كان المعنى بسم الله أحل وبسم الله أرتحل وكذلك

السور بناء على ما قدمه من أن القرآن مفصل سورا وسوره آيات أى اذا كانت آية من القرآن كانت من سورة قطعا واذا تحققت ما تلوناه انكشف لك أمور الاول ان تفريع ترك الجهر بالتسمية على القول بأنها ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها منتظم لان حاصله أنها ليست من القرآن على رأيهم فلا يجهر بها عندهم ولا يتوجه عليه أنه لا يلزم مما ذكر أن لا يجهر بها لجواز أن تكون آية منفردة أو بعض آية من كل سورة وقد دفعه بعض بان قوله ولذلك لا يجهر بها عندهم ليس فى معرض الاستدلال بل اخبار لما بنوا عليه ترك الجهر وهو مدفوع بان السؤال أيضا اخبار بان ذلك البناء منهم غير منتظم كما انتظم بناء الشافعية الجهر بها على كونها آية من كل سورة الثانى ان الاستدلال باثبات السلف اياها فى المصحف بخطه على انها من كل سورة صحيح ولا يرد عليه ان ذلك انما يدل على كونها من القرآن لا على انها من كل سورة لما مر من جواز كونها آية على حدة أو بعض آية لما عرفت من انه لم يعتد بهذين الاحتمالين فاذا كانت من القرآن كانت آية من كل سورة الثالث ان التمسك بقول ابن عباس فى اثبات ذلك المدعى تام لما أشرنا اليه ولا يتجه عليه انه انما يدل على انها ليست آية واحدة واما على انها آية من كل سورة فلا الا أن يلتجأ الى أن التسمية مائة وثلاث عشرة آية لا من السور مما لم يذهب اليه أحد واعلم ان الباء فى قوله بالابتداء ليست صلة للتبرك لان التبرك به نفس التسمية لا الابتداء به وانما هى بيان للتبرك أى التبرك بالتسمية بان يبتدئ بها واما انه قال أولا بالابتداء بها فجعل الابتداء متعلقا بالتسمية وثانيا كما بدأ بذكرها فجعله متعلقا بذكر التسمية فلا يقتضى فرقا يعتد به فى المعنى (قوله مع توصيتهم بتجريد القرآن) اعترض عليه بانه أثبت فى المصحف أسماء السور وأعداد الآى وأجيب بان من فعل ذلك فقد ميزه وأثبته بلون آخر (قوله وأربع عشرة آية) الظاهر ثلاث عشرة لخلو براءة عن التسمية وأجيب بوجوه الاول انه اعتقد وجود التسمية فى براءة ويؤيده انه سأل عثمان رضى الله عنه عن ترك التسمية فيها كما نقله المصنف هناك الثانى أنه اعتبر بنزول الفاتحة مرتين ففيهما تسميتان هما آيتان ويرد عليه ان الفاتحة حينئذ أربع عشرة وقد مر أنها سبع آيات اتفاقا الثالث انه أراد ترك التسمية مطلقا فيتناول ما فى أثناء سورة النمل وهى وان كانت بعض الآية يتضمن تركها واعترض عليه بان النزاع بين الائمة انما وقع فى التسمية فى أوائل السور فالظاهر ان كلامه رضى الله عنه كان فيها الرابع انه أراد الحاق المعدوم بالمتروك تغليبا وتوبيخا ويتجه عليه أن جعله من باب التغليب يسقط الاستدلال به على المطلوب لجواز أن يكون التغليب فى أكثر من سورة واحدة ورد أيضا بان عكسه أعنى الحاق المتروك بالمعدوم أدخل فى التغليظ والتوبيخ وفيه بحث لان تغليب المعدوم على المتروك يوجب فوات نسبة الفعل الى التارك صريحا اذ يصير حينئذ نظم الكلام هكذا من تركها فقد أعدم مائة وأربع عشرة آية ولا شك ان التصريح بنسبة الفعل القبيح اليه أبلغ فى ذمه وأقوى فى زجره من ان يجعل سببا للفعل فى الجملة ولا مجال لاعتبار الاعدام بان يقال فقد أعدم مائة وأربع عشرة آية اذ ليس منه اعدام أصلا فكيف يتصور التغليب (قوله بم تعلقت الباء) الادوات التى تفضى بمعانى الافعال الى ما بعدها فروع لها ومتعلقة بها وكذلك المعمول من حيث هو معمول فرع على عامله ومتعلق به فلذلك قال بم تعلقت الباء وتراهم يقولون أحوال متعلقات الفعل بكسر اللام واذا نظر الى جانب المعنى قيل تعلق الفعل بكذا اما بنفسه أو بواسطة حرف (قوله اقرأ أو اتلو) تنبيه على ان المعتبر خصوص المعنى دون اللفظ (قوله لان الذى يتلو التسمية مقروء) بيان للقرينة المعينة فان حرف الجر

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قال محمود رحمه الله تعالى الباء فى البسملة تتعلق بمحذوف تقديره بسم الله أقرأ أو أتلو) قال أحمد رحمه الله تعالى الذى يقدره النحاة أبتدئ وهو المختار لوجوه الاول ان فعل الابتداء يصح تقديره فى كل بسملة ابتدئ بها فعل تما من الافعال خلاف فعل القراءة والعام صحة تقديره أولى أن يقدر الا تراهم يقدرون متعلق الجار الواقع خبرا أو صفة أو صلة أو حالا بالكون والاستقرار حيث ما وقع ويؤثرونه لعموم صحة تقديره والثانى ان تقدير فعل الابتداء مستقل بالغرض من البسملة اذ الغرض منها أن تقع مبدأ فتقدير فعل الابتداء أوقع بالمحل وأنت اذا قدرت أقرأ فانما معنى ابتدئ القراءة والواقع فى أثناء التلاوة قراءة أيضا لكن البسملة غير مشروعة فى غير الابتداء ومنها ظهور فعل الابتداء فى قوله تعالى اقرأ باسم ربك وقال عليه السلام كل أمر خطير ذى بال لا يبدأ فيه باسم

الذابح وكل فاعل يبدأ فى فعله بيسم الله كان مضمرا ما جعل التسمية مبدأ له ونظيره فى حذف متعلق الجار قوله عز وجل فى تسع آيات الى فرعون وقومه أى اذهب فى تسع آيات

وان اقتضى فعلا يجر معناه الى مجروره لكن لا تعطى دلالته مطلق الفعل فاحتيج فى تعيينه الى قرينة أخرى ولقد بالغ فى تقرير الجواب حيث بين أولا حال المسؤل عنه ثم زاده بيانا بالكشف عن حال مثالين كثيرى الوقوع مشاركين له فى خصوص الجار والمجرور واعتبار التقديم ثم أشار الى ضابطه لنوع المسؤل عنه ثم أورد نظيره من جنسه فى حذف متعلق الجار اما مخالفا له فى خصوص الجار والمجرور معا كالاول والرابع أو فى المجرور فقط كالثانى والثالث وليس فى شئ من هذه النظائر الجنسية تقديم الجار والمجرور على ما يتعلق به وقدم النظير من التنزيل لانه أقوى وعقبه بما هو أقرب منه فى القوة فالاقرب كقول العرب عامة وقول بعض الاعراب خاصة وقول الشاعر المعين ﴿فان قيل﴾ الانسب أن يقول الذى يتلو التسمية قراءة لان المقصود افتتاح القراءة بالتسمية كما دل عليه قوله وكل فاعل يبدأ فى فعله بيسم الله ﴿أجيب﴾ بان المقصود من تلو المقروء تلو القراءة لاستلزامه اياه وانما ترك ذكره ودل عليه رعاية للمجانسة بين التالى والمتلو اذا أمكنت وبيانه ان المراد بالتسمية هى هذه العبارة المخصوصة التى عدت آية لا المعنى المصدرى ويتلوها شيئان أحدهما من جنسها ويتلو ذكره ذكرها وهو المقروء أعنى الحمد لله مثلا والثانى من غير جنسها ويتلو وجوده ذكرها وهو القراءة وتلو كل واحد منهما يستلزم تلو الآخر فصرح بتلو الاول ليفهم الثانى مع المحافظة على التجانس وانما قلنا ههنا اذا أمكنت الرعاية لان تسمية الذابح مثلا لا يتلوها الا الذبح فانه يتبع وجوده ذكرها واما المذبوح فلا يتبع ذكره ذكرها لا فى الوجود ولا فى الذكر فلا يستقيم أن يقال الذى يتلو التسمية مذبوح (قوله كان مضمرا ما جعلت التسمية مبدأ له) التسمية جعلت مبدأ الفعل الحقيقى أعنى الحدث كالقراءة والحلول والارتحال وليس الاضمار متعلقا به بل بالفعل النحوى الدال عليه ففى الكلام اضمار أى كان مضمرا لفظ ما جعل وزعم بعض النحويين ان تقدير الابتداء أولى فيقال مثلا بسم الله أبتدئ القراءة أو الحلول أو الارتحال واستشهد لذلك بوجهين الاول ان الابتداء أعم من خصوصيات تلك الافعال فهو بالتقدير أولى ألا ترى أن النحاة يقدرون متعلق الظرف المستقر فعلا عاما كالحصول والكون الثانى ان فعل الابتداء مستقل بما قصد بالتسمية من وقوعها مبتدأ بها فتقديره أوقع فى المعنى قال ولا يرد علينا قوله تعالى اقرأ باسم ربك لان الاهم هناك فعل القراءة لا الابتداء بها فلذلك صرح بها وقدمت ابتداء بالاهم كما فى البسملة وأجاب غيره بان تقدير خصوصيات الافعال أمس بالمقام وأوفى بتأدية المرام فانك اذا قدرت اقرأ دل على تلبس القراءة كلها بالتسمية على وجه التبرك أو الاستعانة وان قدرت أبتدئ القراءة أفاد تلبس ابتداء القراءة بها والاستشهاد بقول النحويين لا يجديه نفعا فان ما ذكروه تمثيل وتقريب فانك اذا قلت زيد على الفرس أو من العلماء أو فى البصرة كان المقدر راكب ومعدود ومقيم واما قوله الغرض وقوع التسمية مبتدأ بها فسلم لانه حاصل بان يبتدئ بها فى أوائل الافعال سواء قدر لفظ الابتداء أو ألفاظ خصوص تلك الافعال وبذلك خرج الجواب عن قوله لا الابتداء بها كما فى البسملة قال الفاضل اليمنى تقوية للمجيب النحويون يقدرون فى الظرف المستقر فعلا عاما اذا لم توجد قرينة الخصوص واما اذا وجدت فلا بد من تقديره لانه أكثر فائدة وأقول تحقيقه ان هذا القسم من الظرف انما سمى مستقرا لانه استقر فيه معنى عامله وفهم منه فان لم يفهم منه سوى الافعال العامة كان المقدر منها وان فهم منه شئ من خصوص الافعال كان المقدر بحسب المعنى فعلا خاصا كما فى الامثلة السابقة وذلك لا يخرجها عن كونها ظرفا مستقرا لان معنى ذلك الخاص استقر فيها أيضا وجاز تقدير الفعل العام لتوجيه الاعراب فقط ولما كان تقدير الافعال العامة مطردا بخلاف الخاصة فلا يستقيم الا مع قيام قرينة الخصوص نظروا ضابطا اعتبره النحاة وفسروا المستقر بما عامله

الله فهو أبتر ولا يعارض هذا ما ذكره من ظهور فعل القراءة فى قوله تعالى اقرأ باسم ربك فان فعل القراءة انما ظهر ثم لان الاهم هو القراءة غير منظور الى الابتداء بها ألا ترى الى تقدم الفعل فيها على متعلقه لانه الاهم ولا كذلك فى البسملة فان الفعل المقدر كائنا ما كان انما يقدر بعدها ولو قدر قبل الاسم لفات الغرض من قصد الابتداء اذا علم انه الاهم فى البسملة فوجب تقديره وسيأتى الكلام على هذه النكتة

وكذلك قول العرب فى الدعاء للمعرس بالرفاء والبنين وقول الاعرابى باليمن والبركة بمعنى أعرست أو نكحت ومنه قوله

فقلت الى الطعام فقال منهم * فريق نحسد الانس الطعاما

(فان قلت) لم قدرت المحذوف متأخرا (قلت) لان الاهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به لانهم كانوا يبدؤن بأسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات باسم العزى فوجب أن يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وجل بالابتداء

محذوف وعام هذا وقد يتوهم من قوله فيما بعد فوجب ان يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله تعالى بالابتداء ان المقدر هو أبتدئ فكأنه جوز كل واحد من التقديرين وليرد عليك هناك ما يزيل عنك الشبهة (والعرب) هو هؤلاء الصنف المقابل للعجم والاعراب منهم سكان البادية خاصة والنسب الى الاعراب اعرابى لانه لا واحد له (أعرس) بأهله اذا بنى بها وكذا اذا غشيها و(الرفاء) بالمد الالتئام وحسن المعاشرة من رفأت الثوب أصلحت ماوهى منه وربما ترك همزته وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن قولهم بالرفاء والبنين لانه من شعار الجاهلية (ومنه) فصله اما لان الجار لم يقع فى الابتداء كما فى سائر الامثلة واما لانه نظم (الى الطعام) أى هلموا اليه والبيت للفرزدق وقيل لشمر بن الحرث الضبى وقبله

أتوا نارى فقلت منون أنتم * فقالوا الجن قلت عموا ظلاما

قال الجوهرى قولهم عم صباحا كلمة تحية كانه محذوف من نعم ينعم بالكسر فيهما وهى لغة شاذة فى نعم ينعم بالضم فيهما انعومة أى صار ناعما لينا ويقال أنعم الله صباحك من النعومة ونقل عن الازهرى انه من الوعامة بمعنى السهولة وعن يونس انه من وعمت الدار أعمها اذا قلت لها أنعمى و(فريق) فاعل و(منهم) حال من الفاعل و(الانس) بفتح الهمزة والنون رواية الجوهرى وبكسر الهمزة وسكون النون رواية غيره (قوله لم قدرت المحذوف متأخرا) هذا السؤال لا يختص بتسمية القارئ بل يتناول تسمية القارئ والمسافر والذابح وكل فاعل جعلت التسمية مبدأ فعله فانه قد صرح بتأخير المقدر فى كلام المسافر وأشار الى ذلك فى كلام غيره (قوله لان الاهم من الفعل والمتعلق به) من هذه تبعيضية والمعطوف فى حكم الانسحاب أى الذى هو أهم من صاحبه من هذين فاللام فى الاهم قائمة مقام من التفضيلية (قوله لانهم كانوا يبدؤن) بيان لوجه الاهتمام لئلا يكفى ان يقال قدم للاهتمام بل لابد ان يبين ما يقتضى الاهتمام بذكره والاعتناء بشأنه كما نص عليه الشيخ عبد القاهر رحمه الله تعالى أى كان المشركون يبدؤن فى أفعالهم بأسماء آلهتهم فيقولون عند الشروع باسم اللات وباسم العزى وكان التقديم منهم لمجرد الاهتمام الناشئ من قصد التبرك والتعظيم لا للاختصاص اذ لم يكونوا ينفون التبرك به تعالى بل كانوا يتبركون به أيضا فوجب على الموحد ان يقصد بعبارته قطع شركة الاصنام كيلا يتوهم منه تجويز الابتداء بأسمائها فيكون قصر افراد (قوله معنى اختصاص اسم الله تعالى) أقحم لفظ معنى واضافه الى الاختصاص مبالغة فى بيان المقصود أى ان يقصد الموحد معنى هو اختصاص اسم الله تعالى وأيضا كانه تنصيص على ان المقصود الدلالة على الاختصاص لا على فعل الاختصاص بان يبتدأ به لا بغيره ﴿فان قلت﴾ (قوله اختصاص اسم الله بالابتداء) يدل على ان المقدر أبتدئ وان يكون معنى قوله وذلك بتقديمه وتأخير الفعل ان اختصاص اسم الله يحصل بتقديمه وتأخير الفعل الذى هو أبتدئ لان اختصاص اسمه بالابتداء انما يحصل بذلك لا بتقديم اسم الله تعالى وتأخير الفعل الذى هو اقرأ اذ به يحصل اختصاص اسمه بالقراءة لا بالابتداء فحينئذ لا يكون جوابه مطابقا للسؤال لانه سأل عن سبب تقدير اقرأ متأخرا وأجاب بما لا يقتضى الا تقدير أبتدئ متأخرا ﴿قلت﴾ أراد بالابتداء الفعل الذى يبتدأ به ويشرع فيه كالقراءة ونحوها لا مفهومه الحقيقى ولذلك قال وتأخير الفعل ولم يقل تأخير الابتداء وبهذا القدر يتسق نظم الكلام فان المشرك لما كان يبتدئ فى أفعاله المخصوصة باسم آلهته وجب على الموحد ان يبتدئ فى أفعاله المخصوصة باسم

(قال محمود لم قدرت المحذوف متأخرا الخ) قال أحمد لانك لو ابتدأت بالفعل فى التقدير لما كان الاسم مبتدأ به فيفوت الغرض من التبرك باسم الله تعالى أول نطقك وأما افادة التقديم الاختصاص ففيه نظر سيأتى ان شاء الله تعالى

وذلك بتقديمه وتأخير الفعل كما فعل في قوله اياك نعبد حيث صرح بتقديم الاسم ارادة للاختصاص والدليل عليه قوله بسم الله مجراها ومرساها (فان قلت) فقد قال اقرأ باسم ربك فقدم الفعل (قلت) هناك تقديم الفعل أوقع لانها أول سورة نزلت فكان الامر بالقراءة أهم

الله تعالى ويدل أيضا على اختصاص اسم الله بتلك الافعال رداعلى المشرك واظهار التوحيد فيتطابق الجواب والسؤال والباء في قوله بالابتداء داخلة على المقصور لا على المقصور عليه وتوضيحه ان الاختصاص وكذا التخصيص والخصوص يقتضي بحسب مفهومه الاصلي ان تدخل الباء على المقصور عليه فيقال اختص الجود بزيد أي صار مقصورا على زيد لا يتجاوزه الى غيره ومنه قوله (واما الله بحذف الهمزة فختص بالمعبود الحق لم يطلق على غيره) وقوله بعد الدلالة على اختصاص الحمد به أي بالله وهذا عربي الا أن الاكثر في الاستعمال ادخال الباء على المقصور وذلك لان تخصيص شيء بآخر في قوة تمييز الآخر به واستعمل فيه مجازا مشهورا فعنى اختصاص اسم بفعل تمييزه من الاسماء وافراده عنها بذلك وهو حاصل معنى قصر ذلك الفعل عليه وقس عليه قوله واختص بوا أي ميز المندوب عن المنادى بهذه الكلمة فتكون هي مقصورة عليه وقولهم في اياك نعبد نخصك بالعبادة أي غيرك أو نفردك من بين المعبودين بالعبادة لا لغيره وقوله يختص برحمته من يشاء أي يميزه عن غيره بها فالرحمة مقصورة على من يشاء دون العكس (قوله كما فعل) أي تقديم الاسم وتأخير الفعل (قوله والدليل عليه) أي على تقديم اسم الله وتأخير الفعل في هذا الموضع لقصد معنى الاختصاص بين أولا أن المقام يناسب التقديم والتأخير ليتأدى ما يجب على الموحدين من الدلالة على الاختصاص واستشهد ثانيا بجملة اسمية شاركت المبحوث عنه في معناه وخبرها ذلك الظرف المخصوص وقد قدم فيها الخبر لافادة الاختصاص أي اجراؤها مجراها ومرساها باسم الله لا بهبوب الرياح والقاء المرساة كما يتوهمه أهل العرف فدل على ان المتعلق في المبحوث عنه مقدم على الفعل أيضا لافادة الاختصاص فالاستدلال بوقوع تقديم الظرف في أحد المتناظرين على تقديره في الآخر وان افترقا في ان الظرف في المستشهد به مستقر قطعا وفي المستشهد عليه مستقر على وجه ولغو على آخر فانه غير قادح واما دلالة التقديم على الاختصاص فبالفحوى وحكم الذوق وهذا الاستشهاد انما يتم اذا جعل باسم الله تعالى خبر المجراها وهو الراجح لا متعلقا باركبوا (قوله فقد قال) نبه بالفاء على ان السؤال ناش عما قبله ومسبب عنه أي لما وجب ان يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله بفعل القراءة وغيرها وهو بتقديم اسم الله عليها فكيف أخره في قوله اقرأ باسم ربك حتى فات ذلك الواجب (قوله لانها أول سورة نزلت) أي الى قوله ما لم يعلم كما دلت عليه الاحاديث الصحيحة وقرره الائمة في مسئلة تأخير البيان ولا ينافي ذلك قول الاكثرين ان أول سورة نزلت هي الفاتحة لان الخلاف في السورة بتمامها (قوله فكان الامر بالقراءة أهم) يريد ان كون اسم الله ههنا أهم انما نشأ من قصد معنى الاختصاص لاقتضاء المقام اياه كان الموحد يقول باسم الله لا باسم غيره دفعا لما عسى يتخالج في وهم المخاطب من الشرك فسوق الكلام على ان القراءة أمر مسلم والمقصود بيان ما يبتدأ به فيها من الاسامي واما ههنا فالمطلوب أصل القراءة فانها غير معلومة الوجوب لانها أول سورة نزلت لا تخصيصها فان المخاطب ليس عنده وهم فيه تجويز الشركة فكان الفعل أي الامر بالقراءة أهم فقدم لذلك ولرعاية الاصل الذي هو تقديم العامل (لا يقال) اسم الله أهم عند المؤمن على كل حال (لانا نقول) اسم الله من حيث انه اسمه يتعلق به اهتمام وعناية وقد يعرض له بحسب المقامات عناية أخرى كما اذا قصد الاختصاص فاذا اجتمعت العنايتان قدم كما في التسمية واذا انفردت الاولى عن الثانية فان لم يعارضها ما هو أولى بالاعتبار قدم أيضا والا فلا وفي قوله اقرأ باسم ربك عارضها العناية بالقراءة فكانت أولى بالاعتبار ليحصل ما هو المقصود من طلب أصل القراءة ولو قدم اسم الله تعالى لفات الغرض الاصلي وأفاد ان المطلوب كون القراءة مفتتحة

(فان قلت) مامعنى تعلق اسم الله بالقراءة (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يتعلق بها تعلق القلم بالكتبة فى قولك كتبت بالقلم على معنى أن المؤمن لما اعتقد أن فعله لا يجيء معتدا به فى الشرع واقعا على السنة حتى يصدر بذكر اسم الله لقوله عليه الصلاة والسلام كل أمر ذى بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر والا كان فعلا كلا فعل جعل فعله مفعولا باسم الله كما يفعل الكتب بالقلم والثانى أن يتعلق بها تعلق الدهن بالانبات فى قوله تنبت بالدهن على معنى متبركا باسم الله اقرأ وكذلك قول الداعى للمعرس بالرفاء والبنين معناه أعرست ملتبسا بالرفاء والبنين وهذا الوجه أعرب وأحسن

باسم الله تعالى لا باسم الاصنام ولا يخفى بعده عن هذا المقام قال المصنف معناه مفتتحا باسم ربك أى قل باسم الله ثم اقرأ فالفعل وان قدم فى هذه العبارة لكن طلب بها قراءة مصدرة باسم الله تعالى كما هو المقصود والحاصل أن القراءة يجب تصديرها باسم الله تعالى ردا على المخالف واما طلب القراءة المصدرة به ففيه تفصيل فان كانت القراءة مقصودة اصالة وقيدها تبعا كما فى اقرأ باسم ربك لم يجز تقديم الاسم وان عكس الامر وجب التقديم (قوله مامعنى تعلق اسم الله تعالى) جعل المتعلق بالفعل ههنا المجرور وحده وفى قوله بم تعلقت الباء الجار وحده وفى قوله لان الاهم من الفعل والمتعلق به مجموع الجار والمجرور وذلك لان الجار اداة لافضاء معنى الفعل والمجرور معمول له بواسطة الجار فكل واحد منهما متعلق به كما مر فكذا المجموع واما وجه تخصيص كل بموضعه فهو ان الباء سواء دخلت على اسم الله تعالى أو على غيره تفضى معنى الفعل فالعمدة فى سؤال طلب المتعلق هو الباء ولما لم يكن معنى تعلق اسم الله بالقراءة بواسطة الباء ظاهرا كان منشأ السؤال هو المجرور والمتقدم على الفعل هو مجموع الجار والمجرور والمتعلق فى المشهور والقول بان الامر فى ذلك سهل لان المقصود واحد مجزوء قصور (قوله حتى يصدر) غاية للنفى لا للمنفى أى عدم مجيئه معتدا به ينتهى عند التصدير بذكر اسم الله وقوله لقوله عليه السلام دليل لذلك النفى المغيا فانه يدل على انه اذا لم يبدأ فيه باسم الله كان أبتر مقطوع الذنب ناقصا واذا بدئ به لم يكن ناقصا وزاد المصنف لفظ ذكر حيث قال حتى يصدر بذكر اسم الله تصريحا بالمراد فان تصدير الفعل باسم الله لا يكون الا بذكر اسم الله ويقع على وجهين أحدهما ان يذكر اسم خاص من أسمائه تعالى كلفظ الله مثلا والثانى ان يذكر لفظ دال على اسمه فان لفظ اسم مضاف الى الله يراد به اسمه تعالى فقد ذكرههنا أيضا اسمه لكن لا بخصوصه بل بلفظ دال عليه مطلقا فيستفاد ان التبرك أو الاستعانة بجميع اسمائه واما الباء فهى وسيلة الى ذكره على وجه يؤذن بجعله مبدأ للفعل فهى من تتمة ذكره على الوجه المطلوب فاندفع ما يتوهم من ان الابتداء بالتسمية ليس ابتداء باسم الله لان الباء واسم ليس شئ منهما اسماء الله ﴿فان قلت﴾ مافائدة اسم وهلا قيل بالله الرحمن الرحيم ﴿قلت﴾ فائدته الفرق بين التيمن واليمين وذلك لان التيمن باسم الله لا بذاته وكذا اسمه يجعل آلة للفعل لا ذاته بخلاف اليمين فان الحلف به لا باسمائه التى هى ألفاظ (البال) الحال والشان وأمر ذو بال أى شريف يهتم به والبال أيضا القلب كان الامر ملك قلب صاحبه لاشتغاله به وقد شبه بذى قلب على الاستعارة المكنية وفى هذا الوصف فائدتان الاولى رعاية تعظيم اسم الله تعالى اذ قد يبتدأ به فى الامور المعتد بها والثانية التيسير على الناس فى محقرات الامور (قوله كلا فعل) قيل كلمة لا هذه اسم بمعنى غير الا ان اعرابها ظهر فيما بعدها لكونه على صورة الحرف كما فى الا بمعنى غير (قوله على معنى متبركا باسم الله) لم يرد أن الباء صلة التبرك ليكون الظرف لغوا بل أراد التلبس على وجه التبرك وقد سبق تحقيقه (قوله أعرب وأحسن) اما انه أعرب أى أدخل فى لغة العرب وأفصح وأبين فلان باء المصاحبة والملابسة أكثر استعمالا من باء الاستعانة لا سيما فى المعانى وما يجرى مجراها من الاقوال واما انه أحسن أى أوفق لمقتضى المقام فلوجوه الاول أن التبرك باسم الله تأدب معه وتعظيم له بخلاف جعله آلة فانها مبتذلة وغير مقصودة بذاتها الثانى أن ابتداء المشركين باسماء آلهتهم كان على وجه التبرك

(قال محمود فان قلت مامعنى تعلق اسم الله تعالى بالقراءة الخ) قال أحمد وفى قوله ان اسم الله هو الذى صير فعله معتبرا شرعا حيد عن الحق المعتقد لاهل السنة فى قاعدتين احداهما أن الاسم هو المسمى والاخرى أن فعل العبد موجود بقدرة الله تعالى لا غير فعلى هذا تكون الاستعانة باسم الله معناها اعتراف العبد فى أول فعله بأنه جار على يديه وهو محل له لا غير وأما وجود الفعل فيه فبالله تعالى أى بقدرته تسليما لله فى أول كل فعل والزمخشرى رحمه الله لا يستطيع هذا التحقيق لاتباعه الهوى فى مخالفة القاعدتين المذكورتين فيعتقد ان اسم الله تعالى الذى هو التسمية معتبر فى شرعية الفعل لا فى وجوده اذ وجوده على زعمه بقدرة العبد فعلى ذلك بنى كلامه ﴿أقول دعواه أن عند أهل السنة الاسم غير المسمى ممنوعة وتحقيقه قد ذكر فى غير هذا الكتاب

(فان قلت) فكيف قال الله تبارك وتعالى متبركا باسم الله أقرأ (قلت) هذا مقول على ألسنة العباد كما يقول الرجل الشعر على لسان غيره وكذلك الحمد لله رب العالمين الى آخره وكثير من القرآن على هذا المنهاج ومعناه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه وكيف يحمدونه ويمجدونه ويعظمونه (فان قلت) من حق حروف المعاني التي جاءت على حرف واحد أن تبنى على الفتحة التي هي أخت السكون نحو كاف التشبيه ولام الابتداء وواو العطف وفائه وغير ذلك فما بال لام الاضافة وبائها بنيتا على الكسر (قلت) أما اللام فللفصل بينها وبين لام الابتداء وأما الباء فلكونها لازمة للحرفية والجر

بما فينبغي ان يرد عليهم في ذلك الثالث أن الباء اذا حملت على المصاحبة والمعية كانت أدل على ملابسة جميع أجزاء الفعل لاسم الله منها اذا حملت داخلة على الآلة الرابع أن التبرك باسم الله تعالى معنى مكشوف يفهمه كل أحد ممن يتصدى به في أموره والتأويل المذكور في كونه آلة لا يتصدى اليه الا بنظر دقيق الخامس أن كون اسم الله تعالى آلة للفعل ليس الا باعتبار انه يتوسل اليه ببركته فقد رجع بالآخرة الى التبرك وليس في اعتباره زيادة معنى يعتد به وقد يقال جعله آلة مشعر بان له زيادة مدخل في الفعل ويشتمل على جعل الموجود لفوت كماله بمنزلة المعدوم ومثله يعد من محسنات الكلام (قوله فكيف قال الله تعالى) تفريع على الوجه المختار وان كان السؤال متوجها على الوجهين (قوله كيف يتبركون) أي باي عبارة يتبركون فلا يرد ان ذلك تعليم للتبرك باسمه لا تعليم لكيفيته (قوله من حق حروف المعاني) أراد بها ما يقابل الاسماء والافعال فانها موضوعة للمعاني وأما الالفاظ المبسوطة التي يتركب منها الكلم فتسمى حروف المباني (قوله التي هي أخت السكون) لما كان البناء لا يختلف بتعاقب العوامل كان الاصل فيه السكون لخفته فان الدائم بالخفيف أولى وأيضا لما كان مقابلا للاعراب الذي أصله ان يكون وجوديا لكونه اثر العامل وعلما للمعاني كان أصله ان يكون عدميا وقد امتنع البناء على السكون في حروف المعاني التي جاءت على حرف واحد من حيث انها كلم برأسها منفصلة لوقوعها في ابتداء الكلام وقد رفضوا الابتداء بالساكن فحقها ان تبنى على الفتحة التي هي أخت السكون في الخفة وان كانت الكسرة أختا له في المخرج لانها أدوات كثيرة الدوران على الالسنة فاستحقت الاخف الا ان لام الاضافة اذا دخلت على المظهر بنيت على الكسر فصلا بينها وبين لام الابتداء سيما فيما لا يظهر فيه اعراب فاجريت لام الابتداء على الاصل وكسرت لام الاضافة لتوافق حركة العامل اثره واذا أدخلت على المضمر كانت مفتوحة لان الفرق حاصل بجوهر المدخول عليه فان لام الابتداء لا تدخل الا على المرفوع وكذا باء الاضافة بنيت على الكسر (لانها لازمة للحرفية والجر) أي غير مفارقة لهما بمعنى انها لا توجد بدونهما يقال لزم فلان بيته اذا لم يفارقه ولم يوجد في غيره ومنه قولهم أم المتصلة لازمة لهمزة الاستفهام وكل واحدة من الحرفية والجر يناسب الكسر اما الجر فلموافقة حركة الباء اثرها واما الحرفية فلاقتضائها السكون الذي هو عدم الحركة والكسر بمنزلة العدم لقلته اذ لا يوجد في الافعال ولا في غير المنصرف من الاسماء ولا في الحروف الا على الندرة بخلاف فقيل هاهنا وجهان ونقض الاول بواو العطف وفائه اللازمتين للحرفية والثاني بكاف التشبيه اللازمة للجر وقيل المجموع دليل واحد فاندفعا وبقي النقض بواو القسم وتائه وأجيب بان عملهما بنيابة الباء فكان الجر ليس اثرا لهما ﴿لا يقال﴾ اعتبار الحرفية احتراز عن كاف التشبيه مستدرك لان الكاف اذا كانت اسما لا تعمل جرا في المضاف اليه فان العامل فيه هو الحرف المقدر على ما ذكره في المفصل ﴿لانا نقول﴾ احترز عنها دفعا للانتقاض بها على مذهب من جعل المضاف عاملا ومن الناس من دفع النقض بواو القسم وتائه بان اعتبار خصوصية القسم ليس بلازم قالوا وان لزمت الحرفية لا تلازم الجزاء وقد تكون عاطفة والتاء لا تلازم شيأ منهما لانها قد تكون اسما كضمير الخطاب فورد عليه ان الكاف أيضا لا يعتبر فيها خصوصية التشبيه ولم تكن لازمة للجر أيضا كضمير المخاطب فيلزم قيد لزوم الحرفية لانه احتراز عن الكاف اتفاقا فاضطر الى ان قال وكلام الزجاج ان الباء

*والاسم أحد الاسماء العشرة التي بنوا أوائلها على السكون فاذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة لئلا يقع ابتداؤهم بالساكن اذ كان دأبهم أن يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا على الساكن لسلامة لغتهم من كل لكنة وبشاعة ولوضعها على غاية من الاحكام والرصانة واذا وقعت في الدرج لم تفتقر الى زيادة شئ ومنهم من لم يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال سم وسم قال *باسم الذى فى كل سورة سمه* وهو من الاسماء المحذوفة الاعجاز كيد ودم

بنيت على الكسر فصلا بين ما يجر وقد يكون اسما كالكاف بما يجر وما يكون الا حرفا كالباء ويشبه ان يكون هذا مراد المصنف وفيه بعد لان القوم اعتبروا خصوصيات المعانى فقالوا كاف التشبيه اما حرف واما اسم بمعنى مثل ولم يلتفتوا الى مجرد صورة الكاف ولم يقولوا أيضا انها تكون ضميرا أو حرف خطاب وقول المصنف نحو كاف التشبيه ولام الابتداء الخ يدل على اعتبار خصوصيات المعانى وكيف لا وبذلك يظهر تعدد اللامين وكون أحدهما مفتوحة والاخرى مكسورة (قوله أحد الاسماء العشرة) فى المفصل أحد عشر فامان لا يبتدأ بايم الله لانه منقوص اين واما ابنم لانه مزيد ابن والاول أولى لان المنقوص قد يوزن بوزن أصله فيقال ايم افعل كأيمن وكأنه هو بخلاف المزيد اذ لا يوزن ابنم بوزن ابن أصلا (قوله بنوا أوائلها) أى بنوها الذلك تحقيقا واستعمالا وان كان يعتبر تحريك أوائلها تقديرا وقياسا كما قال أصله سمو وكما يقال أصل ابن بنو ولعل الحكمة فى وضعها كذلك التفنن فى الوضع وطلب الخفة فيها لكثرة استعمالها فى الدرج وقوله لئلا يقع تعليل للزيادة مطلقا وأما خصوصية الهمزة فلتضير بقوتها وكونها من أقصى المخارج ضعفها بسكون أوائلها وضعا (قوله اذ كان دأبهم) التعليل بذلك دون الامتناع اشارة الى جواز الابتداء بالساكن وهو الحق ومن قال بامتناعه لا يسمع منه الا حكايته عن لسانه (نعم) يمتنع الابتداء بالمدات الا ان ذلك لذواتها لا لسكونها واذا استقريت لغة العجم وجدت فيها الابتداء بالساكن المدغم وقد يستدل على الجواز بانه لولم يجز لكان التلفظ بالحرف المبتدأ به موقوفا على التلفظ بالحركة فيدور لان الحركة موقوفة على الحرف فى التلفظ توقف العارض على المعروض ويجاب بان امتناع الابتداء بالساكن يستلزم امتناع انفكاك الحركة عن الحرف المبتدأ به واما توقفه على الحركة فلا لجواز ان تكون الحركة تابعة غير منفكة واعلم ان الحركة والسكون بالمعنى المشهور مختصان بالاجسام وان المراد بحركة الحرف كونه بحيث يمكن ان يتلفظ بعده باحدى المدات الثلاث وسكونه كونه بحيث لا يمكن فيه ذلك (قوله لسلامة لغتهم ولوضعها) نشر لما سبق فالاول علة للابتداء بالمتحرك دون الساكن اذ فى الابتداء بالساكن (لكنة) وهى عى فى اللسان (وبشاعة) أى أخذ فى الحلق أو كراهة فى السمع يقال شئ بشيع أى كريه الطعم يأخذ فى الحلق أو كراهة من السامع لسماعه والثانى علة للوقف على الساكن لان الوقف كالفراغ من البناء وانما يكون بعد لا قلق فيه ولا اضطراب فغاية الاحكام والرصانة تقتضى ان لا يوقف على المتحرك لان الحركة تقلق الحرف وتزعجه من مخرجه كما يشهد لها الوجدان وقيل الثانى أيضا علة لتخصيص الابتداء بالمتحرك فان الابتداء للكلام كالاس للبناء فكما ان البناء الحاذق لا يبنى الا على أساس محكم كذلك المتكلم اذا أراد احكام كلامه ورصانته لا يبنيه الا على متحرك ليقويه بالحركة الوجودية دون الساكن لتطرق الضعف اليه لسكونه العدمى واما لوقف على الساكن فلانه ضد للابتداء فجعل علامته ضد العلامته (قوله من لم يزدها) أى فى الابتداء واستغنى عن الهمزة بتحريك الساكن فى الابتداء وجعل الدرج تابعا له فحرك فيه أيضا كما فى المستشهد به واذا ثبت التحريك فى الدرج مع الاستغناء عنه كان فى الابتداء أولى فتارة يحرك بالكسر لانه الاصل فى تحريك الساكن ولانه حركة أصله الذى هو سمو بكسر السين وتارة يحرك بالضم لانه أقوى ولانه أيضا حركة أصله الذى هو سمو بضم السين قال ابن الانبارى فى الاسم خمس لغات اسم وأسم بكسر الهمزة وضمها وسم وسم بكسر السين وضمها وسمى على وزن هدى (قوله باسم الذى) قال رحمه الله هو لرؤبة وبعده

وأصله سمو بدليل تصريفه كأسماء وسمي وسميت واشتقاقه من السمو لان التسمية تنويه بالمسمى واشادة
بذكره ومنه قيل للقب النبز من النبز بمعنى النبر وهو رفع الصوت والنبز قشر النخلة الاعلى (فان قلت) فلم
حذفت الالف في الخط وأثبتت في قوله باسم ربك (قلت) قد اتبعوا في حذفها حكم الدرج دون الابتداء الذي
عليه وضع الخط لكثرة الاستعمال وقالوا طولت الباء تعويضا من طرح الالف وعن عمر بن عبد العزيز أنه قال
لكاتبه طول الباء وأظهر السينات ودور الميم و (الله) أصله الاله قال * معاذ الاله أن تكون كظبية * ونظيره

أرسل فيها بازلا يقرمه * فهو بها ينحو طريقا يعلمه

وجعل الفاضل اليمني هذا البيت مقدما على قوله باسم الذي وأيا ما كان فالباء تتعلق (بارسل) أي باسمه
ارسل الراعي في الابل (بازلا يقرمه) أي يتركه عن الاستعمال بالركوب والحمل ليتقوى للفحلية فالجملة صفة
بازلا وقد يجعل حالا من المرسل لان الوصف بصيغة الماضي أولى فهو أي البازل يقصد بتلك الابل طريقا
يعلمه لاعتياده بتلك الفعلة (قوله وأصله سمو) كسر او ضما فاريد تخفيفه في طرفيه لكثرة استعماله فحذف
آخره ولم يحذف أوله تفاديا عن الاجحاف بحذف حركته (قوله بدليل تصريفه) رد به على الكوفية حيث
زعموا انه من الاسماء المحذوفة الفاء وأصله وسم ولو صح لكان جمعه أوساما وتصغيره وسيما والفعل المأخوذ
منه وسمت فقد تبين من ذلك ان الاسم يوافق السمو في التركيب ولما لم يكن كافيا في اشتقاقه منه بل لا بد
معه من التناسب في المعنى أشار اليه بقوله (لان التسمية تنويه) يقال ناه ينوه ارتفع ونوهته رفعته
(والاشادة) رفع الصوت بالشئ وأشاد بذكره رفع قدره وفي التسمية رفع للمسمى عن حضيض الخفاء الى
منصة الظهور ليتجلى باعين البصائر واعلاء قدره حيث جعل معتدا به ونصب علامة بازائه (ومنه) أي ومن
ان التسمية تنويه بالمسمى (والنبز بمعنى النبر) بالراء المهملة ومنه المنبر وأما القشر الاعلى من النخلة فهو النبز
بالزاي المعجمة وكسر النون (قوله فلم حذفت) وأراد أن وضع الخط على حكم الابتداء دون الدرج اذ الاصل
في كل كلمة ان تكتب على صورة لفظها بتقدير الابتداء والوقف عليها فكان يجب ان تكتب الهمزة ههنا
لثبوتها في الابتداء كما كتبت في باسم ربك وعبر عنها بالالف اذ هي هنا على صورتها في الخط ﴿فان قلت﴾
الجواب ليس الا ان حذف الالف في الخط لكثرة الاستعمال فباقي الكلام مستدرك ﴿قلت﴾ بين في
الجواب ان وضع الخط على الابتداء دون الدرج تصريحا بالمقدمة التي طواها في السؤال ولا بد منها ليتضح
تفريعه بالفاء عما قبله وذكر حديث التعويض وتأييده بقول أعدل بني مروان اشارة الى ان الاصل أيضا
مرعي بقدر الامكان جمعا بين قاعدة الخط والاستعمال ثم ان في تطويل الباء واظهار السين وتدوير الميم
تحسينا للخط محافظة على تفخيم الاسم نظرا الى جلالة ما أريد به من أسماء الله المعظمة بكبرياء مسماها
والموجود في النسخ المعتبرة السينات جعل كل سنة سينة مجازا مبالغة في اظهارها كأنه قال اجعل كل
سنة بمنزلة سينة في الظهور وقال وهذه أصح رواية ودراية على من قال السينات أصح رواية والسينات
بدالها أصح دراية (قوله أصله الاله) اما ثبوت الهمزة في اله أصله فلوجودها في تصاريفه واما كونه على
الصيغة المخصوصة أعني الاله فلاستعمالها في معناه كما في قوله معاذ الاله وتمامه
* ولا دمية ولا عقيلة ربرب * الدمية بالضم الصورة المنقوشة من العاج ونحوه وعقيلة كل شئ أكرمه
والربرب السرب من بقر الوحش استعاذ بالله من تشبيه الحبيبة بهذه الاشياء التي جرت عادة الشعراء على
تشبيه المحبوب بها ولما اشتملت الاستعاذة على معنى النفي أتى بلا تأكيدا له كقوله
* أبي الله ان اسمو بام ولا أب * وذكر الجوهري ان سيبويه جوز أن يكون أصله لاها من لاه يليه اذا استتر
ثم ادخلت عليه الالف واللام فجرى مجرى الاسم العلم كالعباس والحسن الا انه يخالف الاعلام من حيث
كان غير صفة وقولهم يا الله بقطع الهمزة انما جاز لانه ينوى به الوقف على حرف النداء تفخيما للاسم ويضعفه
استعمال اله بمعنى المعبود واطلاق الاله على الله سبحانه (قوله ونظيره) أي في ثبوت الهمزة في أصله

الناس أصله الأناس قال   إن المنايا يطلعن على الأناس الآمنينا
فحذفت الهمزة وعوض منها حرف التعريف ولذلك قيل في النداء يا ألله بالقطع كما يقال يا إله والإله من أسماء
الأجناس كالرجل والفرس اسم يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بحق كما أن النجم اسم
لكل كوكب ثم غلب على الثريا وكذلك السنة على عام القحط والبيت على الكعبة والكتاب على كتاب
سيبويه وأما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره

(الناس وأصله الأناس) أما ثبوت الهمزة في أصله فلدورانها في وجوه تصريفه وأما صيغة الأناس فلكونها
بمعناه وقيل لما كان الإله والناس مع اللام قليلين في الاستعمال أورد لكل استشهادا على أنه مستعمل
في الجملة (قوله فحذفت الهمزة من إله) حذفا من غير قياس ويدل عليه وجوب الادغام والتعويض فان
المحذوف قياسا في حكم المثبت وقوله لاه أبوك نادر واختار أبو البقاء انه على قياس التخفيف فلزوم الحذف
والتعويض مع وجوب الادغام من خواص هذا الاسم التي يمتاز بها عن نظائره امتياز مسماه عن سائر
الموجودات بما لا يوجد الا فيه (قوله وعوض منها لام التعريف) أي الألف واللام معا كما هو مذهب
الخليل وحينئذ يظهر قطع الهمزة لانها جزء العوض من الحرف الأصلي أو اللام الساكنة وحدها الا ان
همزة الوصل لما اجتلبت للنطق باللام جرت ههنا مجرى الحركة فلما عوضت اللام من حرف متحرك كان
للهمزة مدخل ما في التعويض فلذلك جاز قطعها وانما اختص القطع بالنداء اذ هناك يتمحض الحرف
للعوضية ولا يلاحظ معها شائبة تعريف أصلا حذرا من اجتماع أداتي التعريف وأما في غير النداء فيجري
الحرف على أصله ويدل على ان قطعها في النداء لكونها عوضا لا لمجرد لزومها وصيرورتها جزأ أنهم لا يجمعوا بينها
وبين النداء في نحو يا التي على الشذوذ لم يجوز واقطعها وان كانت جزأ من الكلمة متمحضة لاعنها معنى
التعريف وذلك لان المحافظة على الأصل واجبة ما لم يعارضه موجب أقوى كالتعويض فيما نحن فيه
وتوهم أبو علي في الاغفال ان اللام في الناس أيضا عوض من الهمزة اذ لا يجتمعان في الأناس الا ضرورة ورد
بكثرة استعمال ناس كثيرا منكرا دون لاه وبامتناع يا الناس دون يا الله (قوله والإله من أسماء الأجناس)
اعلم أن العقلاء كما تاهوا في ذات الله وصفاته لاحتجابها بأنوار العظمة وأستار الجبروت كذلك تحيروا في
لفظ الله كأنه انعكس اليه من مسماه أشعة من تلك الأنوار قهرت أعين المستبصرين عن ادراكه
فاختلفوا أسرياني هو أم عربي اسم أو صفة مشتق وما اشتقاقه وما أصله أو غير مشتق علم أو غير علم واختار
العلامة انه عربي وانه كان في الأصل اسم جنس ثم صار علما للذات المعبود بالحق وأصله الإله وانه مشتق
من أله بمعنى تحير (قوله اسم يقع على كل معبود بحق أو باطل) لم يرد انه مرادف للمعبود ليكون صفة مثله
فينافي ما اختاره من انه اسم غير صفة وسيأتيك تحقيقه هناك (ثم غلب على المعبود بحق) أي على الذات
المخصوصة فصار علما له بالغلبة منصرفا اليه عند الاطلاق كسائر الأعلام الغالبة ثم أريد تأكيد الاختصاص
بالتغيير فحذف الهمزة وصار الله بحذف الهمزة مختصا بالمعبود بالحق فاله قبل حذف الهمزة وبعده علم لتلك
الذات المعينة الا انه قبل الحذف أطلق على غيره اطلاق النجم على غير الثريا وبعده لم يطلق على غيره أصلا
﴿قال الفاضل اليمني﴾ جعل الله مختصا بخلاف الإله مع انه غالب والغالب أيضا مختص بناء على ان الإله في
أصل وضعه قبل غلبته كان يستعمل في المعبود مطلقا فأما الله فلم يستعمل الا في المعبود بحق وزعم بعضهم
ان المراد بغلبته على المعبود بحق انه غلب على هذا المفهوم الذي هو أخص من معناه الأصلي وأراد باختصاصه
بالمعبود بالحق انه اختص بذاته تعالى علما واستدل لذلك بتنكير حق في الأول وتعريفه في الثاني قال وأما
تشبيه الإله بالنجم وغيره من الأعلام فليس في العلمية بل في مجرد الغلبة سواء انتهت الى حد العلمية أولا
ألا ترى ان السنة ليست علما شخصيا ولا جنسيا اذ لا ضرورة تدعو الى علميته وجوابه ان الإله يتبادر منه
الفرد المعين عند اطلاقه تبادر الثريا من النجم فلذلك شبه به أولا يجعل أحدهما علما دون الآخر تحكم

ومن هذا الاسم اشتق تأله وأله واستأله كما قيل استنوق واستحجر في الاشتقاق من الناقة والحجر (فان قلت)
أاسم هو أم صفة (قلت) بل اسم غير صفة ألا تراك تصفه ولا تصف به لا تقول شيء إله كما لا تقول شيء رجل
وتقول إله واحد صمد كما تقول رجل كريم خير وأيضا فان صفاته تعالى لا بد لها من موصوف تجري عليه

وأما السنة ففيها مانع مخصوص يخرجها عما يقتضيه ظاهر التشبيه من كونها علما اذ لا يفهم منها معنى
تنقضي انضمها من أعلام الأشخاص ولا ضرورة في جعلها علما جنسيا وأما استشهاده بتنكير الحق
وتعريفه فلا يعتد به نفعا لأن المتعلق بتعيين ذات المعبود هو تعريفه ولا مدخل لتعريف الحق وتنكيره
في ذلك كقولك الذي عليك حق أو عليك الحق على أن المقصود من قوله على كل معبود هو الذات المعبودة
لا المفهوم واللازم في المعبود بحق تكون اشارة الى بعض تلك الذوات المعبودة وأما الحق فقد أريد به
مفهومه المقابل للباطل ولا تعدد فيه فلا حاجة الى تعريفه فذكره ثانيا منكرا أيضا كقوله
تعالى هو الذي في السماء اله وفي الأرض اله وانما عرفه ثالثا مع جواز تنكيره تفننا في العبارة وكان الثالث
أولى لتقدم ذكره مرتين ولو عرف الأول وقال على كل معبود بالحق أو بالباطل لم يتغير المقصود من المعبود
(قوله ومن هذا الاسم) أي الاله قد اشتهر ان الاله فعال بمعنى المألوه أي المعبود مشتق من الالاهة بمعنى
العبادة واختار المصنف ان الالاهة وتصاريفها من نحو تأله أي تعبد وأله بالفتح أي عبد واستأله استعبد
مشتقة من الاله وان كان اسم عين فان الاشتقاق قد يكون من الأعيان وجعل الاله مشتقا من أله بالكسر
اذا تحير ودهش واعترض عليه أولا بأنه تحكم لجواز العكس وأجيب بأن اللفظين اذا توافقا في التركيب
وكان أحدهما أشهر في المعنى المشترك بينهما كان أولى بأن يكون مشتقا منه ولا شك ان الاله بمعنى العبادة
أشهر من الالاهة ومتصرفاتها وان أله في معنى التحير أشهر من الاله ولذلك احتيج الى بيان اشتقاقه على
معنى الحيرة ولا يقدح فيما ذكرنا كون أله بمعنى عبد أشهر وأكثر استعمالا من أله بمعنى تحير وقد يجاب
بأن المصنف ربما لاح له بنقل أو تتبع ان أله لم يوجد في اللغة الأصلية واستعمالات الأقدمين بخلاف الاله
فلم يجوز اشتقاقه منه أو يدفعه قراءة ابن عباس ويذرك والهتك وثانيا ان اشتقاق الفعل من الأعيان
على خلاف القياس سيما في الثلاثي المجرد فانه نادر كقولهم أبل ابالة على وزن شكس شكاسة اذا تأنق في
رعيه الابل وأحسن القيام بمصالحها وثالثا بأن معنى المشتق منه يجب ان يعتبر في المشتق وليس معنى
الاله أي المعبود موجودا في الالاهة أي العبادة بل الأمر بالعكس وأجيب بأن معنى بالعبادة خدمة الاله
كما ان أبل بمعنى خدم الابل ورعاية الابل لا يجب ان يوجد معنى المشتق منه بتمامه في المشتق والا امتنع
اشتقاق الاسم كضارب من الفعل كضرب وفيه بحث لأن الظاهر في الاشتقاق الصغير أن يعتبر في المشتق
معنى أصله بتمامه وبذلك يرجح اشتقاق الفعل من المصدر على عكسه ومعنى قولهم ضارب مشتق من
ضرب انه مشتق من مصدره وانما اختار صيغة الماضي على المصدر تنبيها على الحروف المعتبرة في
الاشتقاق اذ بعض المصادر كالخروج والقبول تشتمل على حروف لا تعتبر فيه (قوله بل اسم) أورد كلمة
الاضراب ردعا للسائل عن شكه في مبحث هو معترك الأنظار كأنه قال أعرض عن التردد واجزم بأنه اسم
وقوله (غير صفة) مبالغة في تعيين المراد دفعا لأن يتوهم من الاسم ما يقابل الفعل ويعم الصفة ﴿فان
قلت﴾ ذكر أولا ان الاله بمعنى المعبود فيكون صفة فكيف قطع بنفي الوصفية ههنا ﴿قلت﴾ لم يذكر انه
بمعناه بل قال (هو اسم يقع على المعبود) ولا يلزم من ذلك كونه صفة كما ان الكتاب اسم يقع على المكتوب
وليس بصفة وبيانه ان الاسم قد يوضع لذات مبهمة باعتبار معنى معين يقوم به فيتركب مدلوله من ذات
مبهم لم يلاحظ معه خصوصيته أصلا ومن صفة معينة فيصح اطلاقه على كل متصف بتلك الصفة ومثل
ذلك يسمى صفة وذلك المعنى المعتبر فيه يسمى مصحح الاطلاق كالمعبود مثلا ولا يلتزم ذكر موصوف معه
لفظا أو تقديرا تعيينا للذات التي قام بها المعنى وقد يوضع لذات معينة ولا يلاحظ معها شيء من المعاني القائمة
بها فيكون اسما لا يشتبه بالصفة قطعا كفرس وابل وقد يوضع لها ويلاحظ في الوضع معنى له نوع تعلق

فلو جعلتها كلها صفات بقيت غير جارية على اسم موصوف بها وهذا محال (فان قلت) هل لهذا الاسم اشتقاق (قلت) معنى الاشتقاق أن ينتظم الصيغتين فصاعدا معنى واحد وصيغة هذا الاسم وصيغة قولهم أله اذا تحير

بها وذلك على قسمين الاول أن يكون ذلك المعنى خارجا عن الموضوع له وسببا باعثا لتعيين الاسم بازائه كأحمر اذا جعل علما لولد فيه حمرة وكالدابة اذا جعلت اسما للذوات الاربع في أنفسها وجعل دبيبها سببا للوضع لا جزأ من مفهوم اللفظ الثاني أن يكون ذلك المعنى داخلا في الموضوع له فيتركب من ذات معينة ومعنى مخصوص كأسماء الآلة والمكان والزمان وكالدابة اذا جعلت اسما للذوات الاربع مع دبيبها وهذان القسمان أيضا من الاسماء والمعنى المعتبر فيهما مرجح للتسمية لا مصحح للاطلاق ولا يطردان في كل ما وجد فيه ذلك المعنى ولا يقعان صفة لشئ ولكنهما ربما اشتبهان بالصفات والقسم الاخير أشد التباسا لان المعنى المعتبر في الوضع داخل في مفهوم كل منهما ومعيار الفرق انهما يوصفان ولا يوصف بهما على عكس الصفات وحيث وجد في الاستعمال اله واحد ولم يوجد شئ اله مع كثرة دورانه على الالسنة عرف انه من الاسماء دون الصفات وهكذا حكم كتاب وامام وسائر ما اعتبر فيه المعاني مع خصوصية ما للذات (قوله فلو جعلتها كلها صفات) اعترض عليه تارة بأن الكلام في اله بدليل قوله لا تقول شئ اله وتقول اله واحد ومن الجائز أن يكون اله صفة ويكون الله اسما للذات فلا يلزم بقاء صفاته غير جارية على موصوف وأخرى بأنه لم لا يجوز أن يوضع لذاته باعتبار قيام معان بها ألفاظ ولا يوضع لخصوصية الذات اسم ولا استحالة في ذلك انما المستحيل أن توجد صفات في نفس الامر ولا يكون هناك ذات موصوفة بها وأجيب عن الاول بأن الله تعالى هو الاله بحذف الهمزة فان كان الاله صفة كان الله أيضا صفة وان عرض له الاسمية لصيرورته علما والمقصود ان الها لو كان صفة لم يكن لله تعالى في أصل الوضع اسم تجري عليه صفاته وفيه نظر لان الها لو كان اسما لم يكن لله أيضا في أصل الوضع اسم تجري عليه صفاته فان الها ليس في أصل وضعه اسما له بل للمعبود مطلقا فالمحذور مشترك وعن الثاني بأن المراد من الاستحالة مخالفة القاعدة المعلومة من اللغة فان الاستقراء دال على ان كل حقيقة يتوجه الاذهان الى فهمها وتفهيمها فيما بين أهل اللغة قد وضع لها اسم يجري عليه صفاتها وأحكامها والى ذلك أشار بعض العلماء حيث قال اذا كان الله صفة وسائر أسمائه صفات يلزم ان العرب لم تبق شيئا من الاشياء المعتبرة الا سمته ولم تسم خالق الاشياء ومبدعها هذا محال وفيه بحث لانه ان أراد ان الله اسم لذاته تعالى لا يقصد به معنى الصفة حال اطلاقه عليه كما هو الظاهر من عبارته فقد تم كلامه ولا يجديكم نفعا لجواز أن يكون صفة في أصله ثم صار علما وان أراد انه اسم في أصله فاثباته مشكل لما عرفت من ان الها اذا جعل اسما فليس موضوعا بازاء ذاته تعالى فلو كان الاختصاص العارض للاسم العام كافيا في تسميته تعالى في اللغة كان الاختصاص العارض للصفة كافيا فيها (لا يقال) الاسم قبل الاختصاص أمكن أن يطلق عليه فتجري عليه صفاته بخلاف الصفة قبل اختصاصها فتبقى الصفات حينئذ غير جارية على الموصوف (لانا نقول) لما كفى في اجراء الصفات التعبير عنه باسم عام فليعبر عنه باسم آخر كلفظ الشئ مثلا ولا مخلص لمن يزعم انه اسم في أصله الا أن يقول لا بد لجنس المعبود من اسم تجري عليه صفاته فانه معنى متعارف وليس له اسم سوى اله ولك أن تقول الضمير في قوله (اسم هو أو صفة) راجع الى الله الا انه بين اسميته في الدليل الاول بنفي الوصفية عن أصله وفي الدليل الثاني بنفي الوصفية عنه حال اطلاقه عليه تعالى سواء كان اسما في أصله أو صفة فيندفع الاشكال بحذافيره وعلى هذا الانسب أن تكون الاشارة في قوله (ومن هذا الاسم المشتق) وقوله (هل لهذا الاسم اشتقاق) راجع الى الله تعالى كما ان الضمير في قوله (هل تفخم لامه) راجع اليه (قوله هل لهذا الاسم) أي الاله أو الله (اشتقاق) من شئ فانه المتبادر من العبارة وأيضا قد فرغ من بيان كونه مشتقا منه فلم يبق الا كونه مشتقا (فان قلت) لم يذكر في الجواب الا اثبات الاشتقاق بين الاله واله ولم يبين مشتقا ولا مشتقا منه (قلت) اعتمد على مفهوم السؤال وسياق الكلام وأيضا لما بين ان الاله يتضمن معنى اله فقد آذن أن الاله مشتق من اله فان المشتق هو الذي يعتبر فيه معنى المشتق منه مع خصوصيته دون العكس (قوله معنى الاشتقاق)

ومن أخواته دله وعله ينتظمهما معنى التحير والدهشة وذلك أن الاوهام تتحير في معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذلك كثر الضلال وفشا الباطل وقل النظر الصحيح ﴿فان قلت﴾ هل تفخم لامه ﴿قلت﴾ نعم قد ذكر الزجاج أن تفخيمها سنة وعلى ذلك العرب كلهم واطباقهم عليه دليل أنهم ورثوه كابرا عن كابر

قال رحمه الله تعالى عدل عن الجواب الظاهر وهو نعم اشارة الى ان المبحث محل اختلاف لا يتهذب الا بالتخليص ليتميز الحق عن الباطل ولم يرد بما ذكره تحديد الاشتقاق حتى ينقض بمثل نصر واعان بل أراد ان الاشتراك في المعنى كاف في اشتقاق الاله من اله لتوافقهما تركيبا وقيل أراد تحديده واستغنى عن قيد التناسب في التركيب لشهرته وقد يقال لصيغتان هما اللفظتان المختلفتان وزنا ففيه دلالة على تعدد الوزن فلعل اختياره على الكلمتين أو اللفظتين اشعار باتحاد التركيب كأنه قال أن ينتظم اللفظتين المتخالفتين وزنا المتوافقتين تركيبا والقول بأن الصيغة مجرد الهيئة العارضة لجوهر الحروف فالمعنى أن ينتظم الصورتين اللتين لهما مادة واحدة مردود بقوله صيغة هذا الاسم وصيغة قولهم اله لان معنى التحير والدهشة ليس مدلولا لصورتيهما العارضة لمادتهما (قوله ومن أخواته) جملة اعتراضية أشار بها الى الاشتقاق الاكبر في اثناء بيان الاشتقاق الصغير فان الهمزة والعين يتقاربان مخرجا والهمزة والدال يتشاركان في صفة الجهر ﴿لا يقال﴾ اشتقاق الاله من اله أيضا اشتقاق أكبر لان همزة اله منقلبة عن الواو كما نص عليه الجوهري والهمزة تشارك الواو في الجهر فقوله هل لهذا الاسم (اشتقاق) سؤال عن الاشتقاق الاكبر والجواب مطابق له ولذلك قال ومن اخواته ﴿لانا نقول﴾ الاشتقاق اذا أطلق يتبادر منه الصغير والنزاع بين أئمة اللغة انما وقع في ان الاله مشتق اشتقاقا صغيرا أولا فلا مجال لحمل كلام المصنف على غيره كيف وقد جعل بيان الاشتقاق الاكبر اعتراضا لا مقصودا من الكلام وأما قول الجوهري فمعارض بقول غيره من الائمة ولو سلم فلتكن همزة الاله واوا وان جعلها الجوهري أصلا (قوله في معرفة المعبود) أي الذي يعبد فاتخذ الناس آلهة وزعم كل ان الحق ما هو عليه (وكثر الضلال) في الافكار (وفشا الباطل) في الاعتقاد (وقل النظر الصحيح) وما يؤدي اليه من الحق وان جعلت الاشارة في السؤال راجعة الى الله فالمعنى ان الاوهام تتحير في معرفة ذاته وما يجوز عليه من أفعاله وصفاته ﴿فان قلت﴾ هل يقصد بلفظ الله حال اطلاقه عليه الدلالة على معنى الحيرة ﴿قلت﴾ لا لانه علم فلا يقصد به الا الذات (قوله هل تفخم لامه) أي لام الله دون الاله ﴿فان قلت﴾ الضمير في السؤال الاول والاشارة في الثاني ان أرجعه الى الاله ورجع الضمير في الثالث الى غيره تفكك نظم الكلام ﴿قلت﴾ لفظ الله هو الاله بحذف الهمزة فالمعنى على ذلك التقدير هل يفخم لام الاله بعد حذف همزته اذ لا يتصور تفخيمها قبله وأريد بالتفخيم ههنا ضد الترقيق وهو التغليظ وقد يطلق على ما يقابل الامالة وعلى امالة الالف نحو مخرج الواو كالصلوة والزكاة (قوله قلت نعم) اعترض عليه بانه على جريان التفخيم في اللام مطلقا ولا تفخيم بعد الكسرة اتفاقا لاستثقال علو التفخيم بعد الكسرة وأجيب بأن السؤال عن جريانه على سنن الاستقامة أو تولده من تحريفات العامة لا عن محله لشهرته فأجاب بصحته وتسننه أي طريقة مسلوكة ثم بين انها قديمة (قوله وعلى ذلك العرب كلهم) أي الذين شاهدناهم أو نقل الينا كلامهم واطباقهم على التفخيم دليل على انهم وجدوا عليه آباءهم الاقدمين فهم على آثارهم مقتدون (قوله كابرا عن كابر) قيل جملة وقعت حالا فنصب صدرها كفوهم بايعته يدا بيد وكلمته فاه الى في قال الشاعر

فتذا كروها آخرا عن أول * وتوارثوها كابرا عن كابر

وقيل مفعول ثان كقولك ورثت زيدا مالا أي ورثوه من كابر بعد كابر كقوله طبقا عن طبق أي بعد طبق واعترض عليه بفوات المقصود أعني وصف كل واحد من الوارث والموروث منه بالكبر ورد بأن ذلك انما يقصد في الكبر بمعنى العز والشرف وأما في كبر السن فلا ولعله المقصود ههنا ويؤيده ما نقله من انه قد يقال ورثوه صاغرا عن كابر على أن الغرض الاصلي بيان القدم وجعله مفعولا ثانيا أدل عليه كما يقال ورثوه

و (الرحمن) فعلان من رحم كغضبان وسكران من غضب وسكر وكذلك الرحيم فعيل منه كمريض وسقيم من مرض وسقم وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قالوا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا ويقولون ان الزيادة في البناء لزيادة المعنى وقال الزجاج في الغضبان هو الممتلئ غضبا ومما طن على أذني من ملح العرب أنهم يسمون مركبا من مراكبهم بالشقدف وهو مركب خفيف ليس في ثقل محامل العراق فقلت في طريق الطائف لرجل منهم ما اسم هذا المحمل أردت المحمل العراقي فقال أليس ذاك اسمه الشقدف قلت بلى فقال هذا اسمه الشقنداف فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمى وهو من الصفات الغالبة كالدبران والعيوق والصعق لم يستعمل في غير الله عز وجل

من أب بعد أب وقيل كابرا مفعول وقع حالا كما كان صاغرا كذلك أي ورثوه كابرين عن كابرين أو صاغرين عن كابرين والافراد لكونه بمعنى جمعا كابرا وصاغرا كما في قوله تعالى سامرا تهجرون أي جماعة سامرا ويرد عليه ان هذه العبارة كما لا يختلف جمعا وافرادا كذلك لا يختلف تأنيثا وتثنية فيقال ورثته كابرا عن كابر وتوارثناه كابرا عن كابر وجوز في صاغرا أن يكون تمييزا أي ورثه صاغرهم عن كابرهم وجاز أن يكون مثل كابرا صدر الجملة الحالية والكابر بمعنى الكبير كالصاغر بمعنى الصغير قال الجوهري قولهم كابرا عن كابر أي كبيرا منهم عن كبير وفي الاساس انه من كبرته أي غلبته في الكبر فانا كابر (قوله والرحمن فعلان من رحم) ﴿فان قلت﴾ الرحمن صفة مشبهة فلا تشتق الا من فعل لازم فكيف اشتق من رحم وهو متعد وكذا القول في رب وما لا يحدث عدا صفة مشبهة وأما الرحيم فان جعل صيغة مبالغة كما نص عليه سيبويه في قولهم هو رحيم فلانا فلا اشكال وان جعل صفة مشبهة كما يشعر به تمثيله بمريض وسقيم توجه عليه السؤال أيضا ﴿قلت﴾ الفعل المتعدي قد يجعل لازما بمنزلة الغرائز فينقل الى فعل بضم العين ثم يشتق منه الصفة المشبهة وهذا مطرد في باب المدح والذم نص عليه في تصريف المفتاح وذكره المصنف في الفائق في رفيع وفقير ألا ترى الى قوله تعالى رفيع الدرجات لا رافع الدرجات (قوله وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم) تلك المبالغة اما بحسب شمول الرحمن للدارين واختصاص الرحيم بالدنيا كما في الاثر الذي رواه واما بحسب كثرة افراد المرحومين كما ورد يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة واما بحسب جلالة النعم ودقتها كما اختاره في التسمية والمدعى أن في الرحمن مبالغة في الرحمة ليست في الرحيم فيقصد به رحمة زائدة بوجه ما فلا ينافيه ما يروى من قولهم يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما لجواز أن يراد بهما ههنا جلائل النعم ودقائقها (قوله ويقولون) استدل أولا بالمأثور عن السلف فجاء بصيغة الماضي وهو استدلال بالاستعمال وثانيا بالقول الدائر فيما بين العلماء فعبر عنه بالمضارع وهو استدلال بالقياس ويستشهد ثالثا بما ذكره الزجاج في نظير الرحمن تمثيلا لتلك القاعدة المذكورة وايماء الى قياس الرحمن عليه في مطلق الابلغية ونقضت القاعدة بمثل حذر فانه أبلغ من حاذر وأجيب بأن الشرط في ذلك بعد تلاقي الكلمتين في الاشتقاق اتحادهما في النوع كصد وصديان وغرث وغرثان وفرح وفرحان فاندفع النقض لان حذر وحاذر مختلفان نوعا وقد يجاب بان القاعدة أكثرية لا كلية فلا نقض وبأن حذرا انما كان أبلغ لالحاقه في الثبوت بالامور الجبلية كشره وفهم وفطن وذلك لا ينافي كون حاذر أبلغ بوجه آخر فجاز أن يدل على زيادة الحذر وان لم يدل على ثبوته ولزومه (قوله وهو من الصفات الغالبة) أي تقديرا اذ مقتضى القياس استعماله في غيره تعالى لان معناه البالغ في الرحمة وحيث اختص به ولم يستعمل في غيره فكأنه غلب عليه من بين ما اقتضى القياس اطلاقه عليه وكذلك غلبة (الدبران والعيوق) تقديرية أيضا اذ لم يستعمل في غير هذين الكوكبين أصلا لكن لما اعتبر فيهما معنى الدبور والعوق كان مقتضى القياس أن يستعملا في غيرهما أيضا وحيث اختصا بهما علم انهما غلبا عليهما بخلاف الصعق فان غلبته تحقيقية ومن هنا أي من أجل انقسام الغلبة الى التقديرية والتحقيقية تراهم يقولون الغلبة اما بالنظر الى القياس والاستدلال واما بالنظر الى الواقع والاستعمال ﴿فان قلت﴾ الرحمن صفة أو يوصف

(قال محمود وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم الخ) قال أحمد لا يتم الاستدلال بقصر البناء وطوله على نقصان المبالغة وتمامها ألا ترى بعض صيغ المبالغة كفعل أحد الامثلة أقصر من فاعل الذي لا مبالغة فيه البتة وأما قولهم رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا فلا دلالة فيه أيضا على مبالغة رحمن بالنسبة الى رحيم فان حاصله ان الرحمة منه بالدلالة على اتمامها ألا ترى ان ضاربا لما كان أعم من ضراب كان ضراب أبلغ منه لخصوصه فلا يلزم اذا من خصوص رحيم أن يكون أقصر مبالغة من رحمن لعمومه

(قال محمود رحمه الله تعالى فان قلت كيف تقول الله رحمن أتصرفه أم لا الخ) قال أحمد ليت شعرى بعد امتناع فعلانة وفعلى ما الذى عين قياسه على عطشان دون ندمان مع أن قياسه على ندمان معتضد بالاصل فى الاسماء وهو الصرف أقول الذى عينه هو أن باب سكران وعطشان أكثر من باب ندمان واذا احتمل أن يكون من كل واحد منهما فحمله على ما هو الاكثر أولى ولان رحمن وعطشان مشترك كان فى عدم وجود فعلانة بخلاف ندمان فلهذا كان حمله على عطشان أولى ثم قال وقد نقل غيره خلافا فى صرف رحمن مجردا من التعريف وبناه على تعيين العلة فى منع صرف عطشان هل هى وجود فعلى فيصرف رحمن أو امتناع فعلانة فيمتنع الصرف وهو أيضا نظر قاصر وأتم منهما أن يقال امتنع صرف عطشان وفاقا وامتناع صرفه معلل بشبه زيادتيه بألفى التأنيث والشبه دائر على وجود فعلى وامتناع فعلانة فاما أن يجعل الامران وصفى شبههما مجموعهما مستقل أو كل واحد منهما مستقلا بيان الشبه أو أحدهما دون الآخر عن البدل فهذه أربع احتمالات فان كان مقتضى الشبه المجموع أو وجود فعلى خاصة انصرف رحمن وان كان كل واحد من الامرين مستقلا أو الشبه بامتناع فعلانة خاصة منع رحمن من الصرف فلم يبق الا تعيين ما به حصل الشبه فى عطشان بين زيادتيه وبين ألفى التأنيث من الاحتمالات الاربعة وعليه يبتنى الصرف وعدمه والتحقيق ان كل واحد من الامرين المذكورين مستقل باقتضاء الشبه فيمتنع صرف رحمن لوجود احدى العلتين المتعلقتين فى الشبه وهى امتناع فعلانة على هذا التقدير وانما قلنا ذلك لان امتناع فعلانة فيه حاصله امتناع دخول تاء التأنيث على زيادتيه كامتناع دخولهما على ألفى التأنيث فحصل الشبه بهذا الوجه ووجود فعلى يحقق ان مذكره مختص ببناء ومؤنثه مختص ببناء آخر فيشبه افعل وفعلى فى اختصاص كل واحد منهما ببناء غير الآخر فهذا وجه آخر من الشبه ومن تأمل كلام سيبويه فهم منه ما قررته ﴿فان قيل﴾ حاصل ذلك مناسبة كل واحد من الامرين المذكورين لاقتضاء الشبه فالذى دل على استقلال كل واحد منهما بالعلة فى الشبه وهلا كان المجموع علة وحينئذ ينصرف رحمن وهو أحد الاحتمالات الاربعة المتقدمة ﴿قلت﴾ امتناع صرف عمران العلم يدل على استقلال كل واحد من الامرين

كما أن الله من الاسماء الغالبة وأما قول بنى حنيفة فى مسيلمة رحمان اليمامة وقول شاعرهم فيه
* وأنت غيث الورى لازلت رحمانا * فباب من تعنتهم فى كفرهم (فان قلت) كيف تقول الله رحمن أتصرفه أم لا (قلت) أقيسه على أخواته من بابه أعنى نحو عطشان وغرثان وسكران فلا أصرفه (فان قلت) قد شرط فى امتناع صرف فعلان أن يكون فعلان فعلى واختصاصه بالله يحظر أن يكون فعلان فعلى فلم تمنعه الصرف (قلت) كما حظر ذلك أن يكون له مؤنث على فعلى كعطشى فقد حظر أن يكون له مؤنث على فعلانة كندمانة فاذا لا عبرة بامتناع التأنيث للاختصاص العارض فوجب الرجوع الى الاصل قبل الاختصاص وهو

به ولا يوصف ولان المفهوم منه بليغ الرحمة وقد اختص به تعالى معرفا ومنكرا وليس بعلم قطعا فكيف شبهه بالاعلام التى يلزمها اللام ﴿قلت﴾ أراد بالتشبيه الاشتراك فى مطلق الغلبة والاختصاص سواء كانت تقديرية أو تحقيقية مع اللام أو بدونها على وجه العلمية أو الوصفية (قوله كما ان الله تعالى من الاسماء الغالبة) يعنى تقديرا فلا ينافى قوله وأما الله فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره تعالى قال وكفى بذلك دليلا على ذلك انه جعل الرحمن من الصفات الغالبة وحكم بأنه لم يستعمل فى غير الله تعالى يريد كما ان غلبة الرحمن تقديرية غير منافية لعدم استعماله فى غيره تعالى كذلك غلبة الله تقديرية اذ أصله الاله فاقتضى القياس صحة اطلاقه على غيره كأصله الا انه لم يطلق الا عليه تعالى وقد نقل هذه الكلمة من أول وضعها الى ان صارت علما اسم واحد فاوردت فى مقابلة الرحمن وحكم عليها بالغلبة التحقيقية فى الجملة وذلك لاتصافها فى بعض أطوارها أعنى قبل حذف الهمزة وأما الحكم بالاختصاص وعدم الاطلاق على غيره تعالى فانما هو على هذه الكلمة مقيدة بحذف الهمزة فى مقابلتها مقيدة بوجودها ولذلك قال (وأما الله بحذف الهمزة) (قوله وأنت غيث الورى) أوله * سموت بالمجد يا ابن الاكرمين أبا * ويروى الاكرمين نداى (فباب من تعنتهم فى كفرهم) حيث بالغوا فيه حتى خرجوا عن طريقة اللغة أيضا والتعنت بطلب الايقاع فى أمر شاق فاما ان يراد ايقاع بعضهم بعضا فى أمر شاق أو ايقاع كل واحد نفسه (قوله كيف تقول الله رحمن) أوقعه فى التركيب وجرده عن اللام ليستحق الاعراب ويظهر حكم الانصراف وعدمه (قوله أقيسه على اخواته من بابه) أى من فعل بالكسر فان كان فعلان من ذلك فانه غير منصرف ﴿فان قلت﴾ هذا منقوض بندمان فانه فعلان من ندم وهو منصرف لمجئ ندمانة ﴿قلت﴾ المأخوذ من ندم بمعنى النادم غير منصرف كسكران ومؤنثه ندمى كسكرى وأما الذى هو منصرف ومؤنثه ندمانة فهو من المنادمة فى الشراب بمعنى النديم فلا يوجد فعلان من فعل بالكسر الا غير منصرف وما ذكره المرزوقى من ان الصفة من خشى الكسر خشيان وخشيانة معارض بقول الجوهرى ان الصفة منه خشيان وخشيا وهو أرجح قياسا على الصفات المأخوذة من هذا الباب على انه لو صح كان نادرا فلا يلحق به الرحمن فى الصرف بل بالاعم الاغلب فى منعه وانما قال فى الجواب أقيسه على اخوانه لان وجود علة منع صرفه انما تظهر بذلك كما ستعرفه ان شاء الله تعالى (قوله قد شرط) يريد ان فعلان اذا كان صفة

القياس على نظائره ﴿فان قلت﴾ ما معنى وصف الله تعالى بالرحمة ومعناها العطف والحنو ومنها الرحم لانعطافها على ما فيها ﴿قلت﴾ هو مجاز عن انعامه على عباده لان الملك اذا عطف على رعيته ورق لهم أصابهم بمعروفه وانعامه كما أنه اذا أدركته الفظاظة والقسوة عنف بهم ومنعهم خيره ومعروفه

شرطه في منع صرفه أن يكون مؤنثه فعلى وقد انتفى هذا الشرط في رحمن لاختصاصه بالله تعالى فوجب أن لا يمنع صرفه والجواب ان هذا الشرط انما اعتبر ليتحقق انتفاء فعلانة لانه اذا انتفائها تحقق مضارعتهما الالف التأنيث والاختصاص العارض كما منع وجود فعلى منع وجود فعلانة فان نظر الى انتفاء فعلى وجب أن لا يمنع صرفه لان وجود فعلى هو الشرط ومناط الحكم في الظاهر وان نظر الى انتفاء فعلانة وجب أن يمنع صرفه لان انتفاءها هو مناط الحكم في الحقيقة الا انه لخفائه جعل وجود فعلى امارة عليه ومناطا لحكمه فاعتبار الاختصاص يوجب أن يكون ممنوعا من الصرف غير ممنوع منه وهو محال فوجب أن لا يعتبر امتناع التأنيث أى انتفاء فعلانة وانتفاء فعلى بسبب الاختصاص العارض وان يرجع الى أصل هذه الكلمة قبل الاختصاص ويعرف حالها قبله وذلك بالقياس على نظائرها من بابها أى فعل بالكسر فاذا كانت كلها ممنوعة من الصرف لتحقق وجود فعلى فيها علم ان هذه الكلمة أيضا في أصلها مما يتحقق فيها وجود فعلى فيمنع من الصرف أيضا وقيل المراد ببابه فعلان صفة مطلقا وحينئذ يقال فعلان الذى مؤنثه فعلى أكثر من فعلان الذى مؤنثه فعلانة والفرد انما يلحق بالاعم الاكثر ومن الناس من قرر الجواب بأن وجود فعلى شرط لعدم الانصراف ووجود فعلانة شرط للانصراف فان المتفق على صرفه ما يكون مؤنثه فعلانة قال فحينئذ لا عبرة بانتفاء الشرط للاختصاص العارض لان معنى الاشتراط انه اذا أطلق اللفظ على مؤنثه فان كان على فعلى ففعلانة غير منصرف وان كان على فعلانة فنصرف وههنا لم يطلق على مؤنث لم يعلم ان مؤنثه فعلانة لينصرف أو فعلى فيمنع فوجب الرجوع الى الاصل وهو الالحاق باخوانه وهذا فاسد بوجهين الاول انه يلزم منه استدراك التعرض لانتفاء فعلانة اذ يكفيه أن يقول لا عبرة بانتفاء الشرط الذى هو وجود فعلى بسبب الاختصاص لان معنى الاشتراط انه اذا أطلق على مؤنث كان على فعلى وحيث لم يطلق ههنا على مؤنث لم يعلم ان الشرط حاصل او ليس بحاصل فوجب أن يرجع الى الاصل الثانى ان عدم العبرة بانتفاء الشرط لما علل بقوله لان معنى الاشتراط الخ ما ذكره كان الحاصل منه عدم انتفاء الشرط لانه جعل من الاشتراط الاطلاق ولو سلم فاللازم من كلامه عدم العلم بانتفاء الشرط لا انه غير معتبر لان عدم الاعتبار بالشئ فرع لتحققه وقد تقرر الجواب بأن هناك مذهبين اشتراط وجود فعلى واشتراط انتفاء فعلانة ولا ترجيح لاحدهما على الآخر فوجب أن لا يعتبر انتفاء التأنيث لاجل الاختصاص والا يلزم أن لا يحكم بالصرف ولا بمنعه تفاديا عن التحكم فتعين الرجوع الى الاصل وقد يقال حال الاختصاص وجد الشرط على مذهب وانتفى على آخر فتعارضا وتساقطا فيصار الى ما قبل الاختصاص (قوله ومعناها العطف والحنو) أراد الميل النفسانى أى الشفقة والرقة وهى من الكيفيات التابعة للمزاج والله تعالى منزه عنها وقيل أراد الميل الجسمانى أى الانعطاف والانحناء وليس بصحيح فانه ليس معنى الرحمة وان كان مشابها لمعناها ومسببا عنه ومدلولا لبعض ما يلاقيها فى الاشتقاق كالرحم أولا ترى انه جعل الانعام مسببا عن الرقة لا عن الانحناء (قوله هو مجاز عن انعامه) أى مجاز مرسل فان الرحمة والرقة سبب للانعام كما بينه ولو جعل مجازا مرسلا عن ارادة الانعام لجاز فان الرحمة سبب للارادة أولا وبواسطة الارادة للانعام ثانيا ويجوز أن يجعل استعارة على سبيل التمثيل كما اختاره فى الغضب وقد يتوهم انه جعل الرحمة مجازا عن الانعام والغضب عن ارادة الانتقام اشارة الى أن رحمته سبقت غضبه فهو للانعام فاعل وللانتقام مريد وان كانت ارادة مفضية الى فعله قطعا وسيرد عليك تفصيل الكلام وتحقيقه هناك بعون الله وتوفيقه (الفظاظة) الغلظة (عنف) بضم النون مخففة من العنف وهو ضد الرفق يقال عنف عليه وعنف به وقد يوجد فى بعض النسخ بالتشديد من التعنيف وهو التعيير واللوم فيحتاج الى تضمين معنى العنف أى عيرهم عنيفا بهم

بالشبه المانع من الصرف لاذعم ان علما لا فعلى له وهو غير منصرف وفاقا أقول قد عثر ههنا رحمه الله وان الجواد قد يعثر لان اعتبار وجود فعلى أو انتفاء فعلانة انما كان فى الصفة أما فى الاسم فشرطه العلمية لا وجود فعلى ولا انتفاء فعلانة (قال محمود رحمه الله فان قلت ما معنى وصف الله بالرحمة الخ) قال أحمد رحمه الله فالرحمة على هذا من صفات الافعال ولك أن تفسرها بارادة الخير فيرجع الى صفات الذات وكلا الامرين قال به الاشعرية فى الرحمة وأمثالها مما لا يصح اطلاقه باعتبار حقيقته اللغوية على الله تعالى فمنهم من صرفه الى صفة الذات ومنهم من صرفه الى صفة الفعل

(فان قلت) فلم قدم ما هو أبلغ من الوصفين على ما هو دونه والقياس الترقي من الادنى الى الاعلى كقولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض (قلت) لما قال الرحمن فتناول جلائل النعم وعظائمها وأصولها أردفه الرحيم كالتتمة والرديف ليتناول مادق منها ولطف * الحمد والمدح أخوان وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها تقول حمدت الرجل على انعامه وحمدته على حسبه وشجاعته وأما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال أفادتكم النعماء مني ثلاثة * يدي ولساني والضمير المحجبا

(قوله فلم قدم ما هو أبلغ من الوصفين) تفريع على ما ذكر من ان الرحمن أبلغ في المعنى من الرحيم وكلمة من هذه تبعيضية والتفضيلية مقدرة أى ما هو أبلغ من صاحبه من هذين الوصفين وتلخيص الجواب ان الابلغ اذا كان أخص مما دونه ومشتملا على مفهومه تعين هناك طريقة الترقي اذ لو قدم الابلغ كان ذكر الآخر عاريا عن الفائدة كما في الامثلة المذكورة فان النحرير يشتمل على مفهوم العالم وزيادة وكذلك الباسل والفياض بالقياس الى الشجاع والجواد وأما اذا لم يكن الابلغ مشتملا على مفهوم الادنى كالرحمن والرحيم اذا أريد بالاول جلائل النعم وبالثاني دقائقها جاز سلوك كل واحد من طريقي التتميم والترقي نظرا الى مقتضى الحال ولما كان الملتفت اليه بالقصد الاول في مقام العظمة والكبرياء جلائل النعم وعظائمها دون دقائقها قدم الرحمن واردف بالرحيم كالتتمة تنبيها على ان الكل منه وان عنايته شاملة لذوات الوجود كيلا يتوهم ان محقرات الامور لا تليق بذاته فيحتشم عنه من سؤالها وقيل الرحمن ناسب اسم العلم من جهة الاختصاص والدلالة على زيادة المعنى فكان تقديمه أولى وقيل تأخير الرحيم للترقي فانه أبلغ من الرحمن فان فعيلا للامور الغريزية كشريف وكريم وفعلان للامور العارضة كسكران وغضبان وابطل بان ذلك من باب فعل بالضم لا من صيغة فعيل (قوله والحمد والمدح اخوان) أى مترادفان ويدل على ذلك انه قال في الفائق الحمد هو المدح والوصف بالجميل وانه يجعل ههنا نقيض المدح أعني الذم نقيضا للحمد لا يقال نقيض المدح هو الهجو لا الذم لانا نقول المدح يطلق على الثناء الخاص أى الوصف بالجميل ويقابله الذم وقد يخص بعد المآثر ويقابله حينئذ الهجو أى عد المثالب والكلام في المعنى الاول وقيل أراد انهما اخوان في الاشتقاق الكبير ويشهد له وجهان الاول ان الشائع في كتب المصنف استعمال الاخوة فيما بين لفظتين يتلاقيان في الاشتقاق الكبير أو الاكبر أما الكبير فبان يشتركا في الحروف الاصول من غير ترتيب مع اتحاد في المعنى أو تناسب فيه كالجذب والجبذ وكالحمد والمدح وأما الاكبر فبأن يشتركا في أكثر تلك الحروف فقط ويتناسب الباقي مع الاتحاد أو التناسب في المعنى كاله وله وكالفلق والفلج الثاني ان الحمد مخصوص بالجميل الاختياري والمدح يعمه وغيره يقال مدحت اللؤلؤة على صفائها ولا يقال حمدتها فاختير ههنا الحمد على المدح ليشعر بالاختيار وعلى الشكر ليتناول الفضائل والفواضل ورد الاول بان ما ذكرناه من الدليلين أوجب حمل الاخوة على الترادف والثاني بأن المصنف صرح في تفسير قوله تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان بأن المدح لا يكون بفعل الغير وتأول المدح بالجمال وحسن الوجه فالمدح عنده أيضا مخصوص بالاختياري وانما ترك قيد الاختياري في تفسير معنى الحمد اعتمادا على الامثلة فانها اختيارية واما انه أراد بالجميل الفعل الجميل وهو بالاختيار فقوله من نعمة أى انعاما بنعمة واعلم ان الحمد اذا اختص بالافعال الاختيارية يلزم أن لا يحمد الله على صفاته الذاتية كالعلم والقدرة والارادة سواء جعلت عين ذاته أو زائدة عليها بل على انعاماته الصادرة عنه باختياره اللهم الا أن تجعل تلك الصفات لكون ذاته كافية فيها بمنزلة أفعال اختيارية يستقل بها فاعلها (قوله وهو الثناء) أى الحمد لانه المقصود بالتفسير والثناء هو الذكر بالخير عقبه (بالنداء) وهو رفع الصوت اظهارا لما ادعاه من اختصاصه باللسان وكونه أشيع وأدل (قوله وأما الشكر) لما فسر الحمد وكان الشكر قريبا منه في المعنى وقرينا له في الاستعمال كان هناك مظنة أن يقع في ذهن السامع أن الشكر ما ذا هل هو هذا المعنى أو شيء آخر يقرب منه فأورد كلمة اما تفصيلا للمجمل الواقع في ذهنه وازالة للتردد والشكر اما بالقلب بأن يعتقد اتصاف

﴿ الحمد لله ﴾

(قال محمود رحمه الله فان قلت فلم قدم ما هو أبلغ من الوصفين على ما هو دونه الخ) قال أحمد رحمه الله انما كان القياس تقديم أدنى الوصفين لان في تقديم أعلاهما ثم الارداف بأدناهما نوعا من التكرار اذ يلزم من حصول الابلغ حصول الادنى فذكره بعده غير مفيد ولا كذلك العكس فانه ترق من الادنى الى مزيد مزية الاعلى لم يتقدم ما يستلزمه ولذلك كان هذا الترتيب خاصا بالاثبات وأما النفي فعلى عكسه تقدم فيه الاعلى تقول ما فلان نحريرا ولا عالما ولو عكست لوقعت في التكرار اذ يلزم من نفي الادنى عنه نفي الاعلى وكل ذلك مستمد في عموم الادنى وخصوص الابلغ واثبات الاخص يستلزم ثبوت الاعم ونفي الاعم يستلزم نفي الاخص

﴿ القول في سورة الفاتحة ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قال محمود رحمه الله الاصل في الحمد النصب الخ) قال أحمد رحمه الله

والحمد باللسان وحده فهو احدى شعب الشكر ومنه قوله عليه السلام الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وانما جعله رأس الشكر لان ذكر النعمة باللسان والثناء على موليها أشيع لها وأدل على مكانها من الاعتقاد وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب وما فى عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذى يفصح عن كل خفى ويجلى كل مشتبه * والحمد نقيضه الذم والشكر نقيضه الكفران وارتفاع الحمد بالابتداء وخبره الظرف الذى هو لله وأصله النصب الذى هو قراءة بعضهم باضمار فعله على أنه من المصادر التى تنصبها العرب بأفعال مضمرة فى معنى الاخبار كقولهم شكرا وكفرا وعجبا وما أشبه ذلك ومنها

المنعم بصفات الكمال وانه ولى النعمة واما باللسان بأن يثنى عليه بلسانه واما بالجوارح بأن يدئب نفسه فى طاعته وانقياده وقوله افادتكم النعماء استشهاد معنوى على ان الشكر يطلق على أفعال الموارد الثلاثة وبيان ذلك انه جعلها بازاء النعم جزاء لها متفرعا عليها وكل ماهو جزاء النعمة عرفا يطلق عليه الشكر لغة ومن لم يتنبه لذلك زعم ان المقصود مجرد التمثيل لجميع شعب الشكر لا الاستشهاد على ان لفظ الشكر يطلق عليها فانه غير مذكور ههنا ﴿فان قلت﴾ الشاعر جعل المجموع بازاء النعمة فالشكر يجب ان يطلق عليه وأما على ان ذلك واحد من الثلاثة فلا ﴿قلت﴾ لا شبهة فى ان الشكر يطلق على فعل اللسان اتفاقا وانما الاشتباه فى اطلاقه على فعل القلب والجوارح حتى توهم كثير من الناس ان الشكر فى اللغة باللسان وحده وانما جمع الشاعر الاول مع الاخيرين وجعلها ثلاثة على ان كل واحد شكر النعمة على حدة كأنه أراد ان نعما كم كثرت عندى وعظمت فاقتضت استيفاء أنواع الشكر وبالغ فى ذلك حتى جعل مواردها واقعة فى مقابلة النعماء مملوكة لاصحابها مستفادا منها كأنه قال يدى ولسانى وقلبى لكم فليس فى القلب الا محبتكم ولا فى اللسان الا ثناؤكم ومحمدتكم ولا فى اليد والجوارح الا مكافأتكم وخدمتكم وفى وصف الضمير بالمحجب اشارة الى انهم ملكوا ظاهره وباطنه (قوله فهو احدى شعب الشكر) أى باعتبار المورد وان كان الشكر باعتبار المتعلق احدى شعب الحمد وعبر عن الاقسام بالشعب لانها متشعبة عن مقسمها (قوله ما شكر الله عبد لم يحمده) فانه اذا لم يعترف بانعام المولى ولم يثن عليه بما يدل على تعظيمه واكرامه لم يظهر منه شكر ظهورا كاملا وان اعتقد وعمل فلم يعد شاكرا لان حقيقة الشكر اظهار النعمة والكشف عنها كما ان كفرانها اخفاؤها وسترها والاعتقاد أمر خفى فى نفسه وعمل الجوارح وان كان ظاهرا الا انه يحتمل خلاف ما قصد به فانك اذا قمت تعظيما لاحد احتمل القيام أمرا آخر اذ لم يتعين التعظيم بخلاف النطق فانه ظاهر فى نفسه ومعين لما أريد به وضعا (قوله وأما النطق فهو الذى يفصح عن كل خفى) ولا خفاء فيه (ويجلى عن كل مشتبه) فلا احتمال له بل هو ظاهر فى نفسه ومعين لما أريد به وضعا كما ان الرأس أظهر الاعضاء وأعلاها وهو أصل لها وعمدة لبقائها كذلك الحمد أظهر أنواع الشكر وأشهرها وأعلاها على حقيقة الشكر والابانة عن النعمة حتى لو فقد كان ما عداه بمنزلة العدم (قوله وارتفاع الحمد بالابتداء) ربما توهم ان المجرور معمول للمصدر واللام لتقويته كما فى قولك أعجبنى الحمد لله فذكر ارتفاعه بالابتداء مع ظهوره ليتبين ان الظرف ههنا مستقر وقع خبرا له وليرتبط به بيان أصله أعنى النصب واعلم ان الجار والمجرور مطلقا يسمى ظرفا لان كثيرا من المجرورات ظروف زمانية أو مكانية فاطلق اسم الاخص على الاعم وقيل سمى بذلك لان معنى الاستقرار يعرض له فان تقدير الكلام الحمد مستقر لله وكل ما يستقر به غيره فهو ظرف له قال المصنف ولان الحمد لما اختص بالله صار كأنه مستقر وكل مستقر ظرف وأنت تعلم ان اعتبار عروض الاستقرار فى مثل قولك رميت عن القوس مستبعد جدا فيحتاج الى تسمية الاعم بالاخص (قوله وأصله النصب) المصادر احداث متعلقة بمحالها كأنها تقتضى أن يدل على نسبتها اليها والاصل فى بيان النسب والمتعلقات هو الافعال فهذه مناسبة تستدعى أن تلاحظ مع المصادر أفعالها الناصبة لها وقد تأيدت هذه المناسبة فى مصادر مخصوصة بكثرة استعمالها منصوبة بأفعال مضمرة فلذلك حكم بأن أصله النصب وأيده بأنه قراءة بعضهم وانما قال (فى معنى الاخبار) لان بعضها فى معنى الانشاء كقوله سبحان الله

ولان الرفع أثبت اختار سيبويه فى قول القائل رأيت زيدا فاذا له علم علم الفقهاء الرفع وفى مثل رأيت زيدا فاذا له صوت صوت حمار النصب والسر فى الفرق بين الرفع والنصب ان فى النصب اشعارا بالفعل وفى صيغة الفعل اشعار بالتجدد والطرو ولا كذلك الرفع فانه انما يستدعى اسما فذلك الاسم صفة ثابتة ألا ترى ان المقدر مع النصب نحمد الله الحمد ومع الرفع الحمد ثابت لله أو مستقر

سبحانك ومعاذ الله ينزلونها منزلة أفعالها ويسدون بها مسدها ولذلك لا يستعملونها معها ويجعلون استعمالها كالشريعة المنسوخة والعدل بها عن النصب الى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى واستقراره ومنه قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام رفع السلام الثانى للدلالة على أن ابراهيم عليه السلام حياهم بتحية أحسن من تحيتهم لان الرفع دال على معنى ثبات السلام لهم دون تجدده وحدوثه والمعنى نحمد الله حمدا ولذلك قيل اياك نعبد واياك نستعين لانه بيان لحمدهم له كانه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد (فان قلت) ما معنى التعريف فيه

ومعاذ الله ولذلك فصلهما أو فعل الفصل لان المصدر فيهما معرفة أو لانه غير متصرف أى لا يستعمل الا منصوبا (قوله ينزلونها) بيان وتأكيد لقوله (تنصبها) أى ينزلون تلك المصادر (منزلة أفعالها) لفظا (ويسدون بها مسد أفعالها) معنى فقد استوفت الافعال حقوقها فى اللفظ والمعنى فلا يستعملون المصادر مع افعالها ولا يستعملون أفعالها معها ويجعلون استعمال أحدهما مع الآخر كاستعمال الشريعة المنسوخة فى انه خروج عن طريقة مسلوكة الى طريقة مهجورة يستنكرها المتدين بمقاصد أهل اللغة فى قواعدها (قوله والعدل بها) أى العدول بتلك المصادر (قوله رفع السلام الثانى) أى حكى رفعه فى القرآن (للدلالة) على ذلك وأما رفع ابراهيم عليه السلام فلتكون تحيته أحسن من تحيتهم لا للدلالة عليه (دون تجدده) لما كان الرفع دالا على الثبوت مجردا عن قيد التجدد والحدوث ناسب أن يقصد به الثبات والدوام بمعونة المقام بخلاف النصب المستلزم لتقدير الفعل الدال بوضعه على الحدوث والتقضى (قوله والمعنى نحمد الله حمدا) أراد به ان أصل المعنى ذلك أى الفعل المقدر حال كون حمدا منصوبا هو المضارع لدلالته على الحال الذى هو أهم الازمنة وأولاها ببيان ما هو واقع فيها ولا نبائه عن الاستمرار فى الجملة مع نون الحكاية لما مر من انه مقول على ألسنة العباد ولم يرد معناه حال كونه مرفوعا والا لفاتت نكتة العدول الى الرفع لان المضارع لا يفيد الا استمرارا تجدديا فى بعض المواضع والمقصود بالعدول استمرار ثبوتى ولذلك قال أولا على ثبات المعنى واستقراره وقال ثانيا على معنى ثبات السلام وأيضا لو أفاد الفعل المقدر ما يستفاد من الرفع لم يكن للعدول معنى (قوله ولذلك) استدلال بقوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين على ما ذكره من ان أصل معنى الكلام وتقديره نحمد الله حمدا وقوله لانه بيان لوجه دلالته عليه وقد يقال الاول تعليل للبين بمطابقة البيان بحسب العلم والثانى تعليل للبيان بمطابقة المبين بحسب المقصود فلا دور (قوله كانه قيل كيف تحمدونه) هذا السؤال عن كيفية الحمد لا عن ماهيته فصح ان يجاب بالعبادة المشتملة على الحمد وعلى غيره لان ضم غيره اليه بيان لكيفيته أى حال حمدنا انا نجمعه بسائر عبادات الجوارح والاستعانة فى المهمات ونخص مجموعها بك وقيل صح كون العبادة بيانا للحمد مع اختصاصه باللسان من حيث ان أقصى غاية الخضوع يقتضى اعترافا تاما بالانعام ووصفا المنعم بصفات الجلال والاكرام وذلك أبلغ حمد وأكمله غاية ما فى الباب ان الجواب يشتمل على زيادة فى البيان قال رحمه الله تعالى كان حق الجواب اياك نحمد أى حال حمدنا انا لا نشرك فيه غيرك فعدل عنه تنبيها على ان الحمد أصل العبادة ورأسها كما مر فان حقيقة العبادة شكر المنعم الحقيقى أى اظهار انقياده بقدر الامكان قال وجعل اياك نعبد بيانا استئناس بتقدير الاصل فى الحمد لله وتطبيق لقراءة النصب بان الفعل المحذوف فى الرفع يلحظ فى الجملة حيث بين بالجملة الفعلية والارجح أن يجعل استئنافا جوابا لسؤال يقتضيه اجراء تلك الصفات العظام على الموصوف بها أزلا وأبدا كأن سائلا يقول ما شأنكم مع هذا الموصوف وكيف توجهكم اليه فأجيب بحصر العبادة والاستعانة فيه وقيل لما قطع حديث الغيبة الى الخطاب ترك العاطف لافتراق الحالتين (قوله ما معنى التعريف فيه) ذكر أولا معنى الحمد واعرابه وما يتعلق بهما ثم شرع فى معنى اللام الداخلة عليه وبينه بطريق السؤال والجواب بناء على انه مقصد فى نفسه يستحق ان يتوجه نحوه ويلحظ على حدة وقال ما معنى التعريف فيه ولم يقل ما معنى اللام

﴿قلت﴾ هو نحو التعريف في أرسلها العراك وهو تعريف الجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل أحد من أن الحد ما هو والعراك ما هو من بين أجناس الافعال

تنبيها على ان اللام للتعريف اتفاقا وان وقع اشتباه في معنى التعريف وقال في الجواب (هو نحو التعريف في ارسلها العراك) أي في قول لبيد

فارسلها العراك ولم يذدها * ولم يشفق على نغص الدخال

فشبه بمثال من المصادر مشهور بعيد عن توهم الاستغراق ثم أشار الى ان القدر المشترك بينهما مسمى بتعريف الجنس ثم فصل معنى القدر المشترك على وجه اتضح به حال كل منهما بخصوصه وعرف به أيضا معنى تعريف الجنس مطلقا مميزا عما يمتاز به أحدهما عن الآخر وفاعل ارسل ضمير راجع الى العير ومفعوله راجع الى الاتن والعراك اما حال أى ارسلها معتركة واما مصدر وناصبه حال أى تعترك العراك يقال أورد ابله العراك اذا أوردها الماء جميعا دفعة ونغص البعير بالكسر نغصا اذا لم يتم شربه والدخال في الورود ان يشرب البعير مرة ثم يرد من العطن الى الحوض فيدخل بين بعيرين عطشانين ليشرب مرة أخرى (قوله ومعناه الاشارة) فيه تصريح بان معنى تعريف الجنس الاشارة الى حضور الماهية في الذهن وتميزها هناك من سائر الماهيات فان المنكر وان دل على ماهية معقولة متميزة في الذهن حاضرة عنده الا انه لا اشارة فيه الى تعينها وحضورها فاذا عرف بلام الجنس فقد أشير الى ذلك والفرق بين حضورها وتعينها في الذهن وبين الاشارة الى تعينها وحضورها مما لا يخفى وتوهم كثير من الناس ان معنى تعريف الجنس هو الاستغراق وبطلانه ظاهر لان معنى التعريف الاشارة الى المعرفة والحضور وليس هذا من الاحاطة والاستغراق في شيء وكفاك شاهدا على ذلك استغراق نحو لا رجل وتمرة خير من جرادة فقد تحقق الاستغراق في النفي والاثبات وليس معه تعريف أصلا ﴿فان قلت﴾ المصنف قد حمل المعرف بلام الجنس في مواضع من هذا الكتاب على الشمول والاحاطة وهو معنى الاستغراق بعينه فكيف جعله ههنا وهما ﴿قلت﴾ الوهم كون الاستغراق معنى تعريف الجنس لا كونه مستفادا من المعرف باللام بمعونة المقام فقوله يتوهمه أي يتوهم انه معنى تعريف الجنس بدليل قوله ما معنى التعريف فيه وقوله ومعناه الاشارة وتحقيق الكلام ان معنى التعريف مطلقا هو الاشارة الى أن مدلول اللفظ معهود أي معلوم متعين حاضر في ذهن السامع يرشدك الى ذلك ما فسر به المصنف تعريف الجنس ههنا وما صرح به الشيخ ابن الحاجب في الايضاح من ان زيدا موضوع لمعهود بين المتكلم والمخاطب ومن ان غلام زيد لمعهود بينهما بحسب تلك النسبة المخصوصة وقول الادباء المعرفة ما يعرفه مخاطبك والنكرة ما لا يعرفه واجماعهم على أن الصلة يجب ان تكون جملة معلومة الانتساب للسامع واذا استقريت كلامهم وتحققت محصوله استوثقت مما ذكرناه وقد صرح به بعض الفضلاء حيث قال التعريف يقصد به معين عند السامع من حيث هو معين كانه اشارة اليه بذلك الاعتبار وأما النكرة فيقصد بها التفات النفس الى المعين من حيث ذاته ولا يلاحظ فيها تعينه وان كان معينا في نفسه لكن بين مصاحبة التعيين وملاحظته فرق جلي ومهد في تصوير ذلك مقدمة هي ان فهم المعاني من الالفاظ بمعونة الوضع والعلم به فلا بد ان يكون المعاني متصورة ممتازة بعضها عن بعض عند السامع فاذا دل باسم على معنى فلا يخلو اما ان يكون ذلك الاعتبار أي كون المعنى معينا عند السامع متميزا في ذهنه ملحوظا أولا فالاول يسمى معرفة والثاني نكرة ثم الاشارة الى تعيين المعنى وحضوره ان كانت بجوهر اللفظ تسمى علما اما جنسيا ان كان المعهود الحاضر جنسا وماهية كاسامة واما شخصيا ان كان فردا منها كزيد أو أكثر كابانين والا فلا بد من خارج عنه يشار به الى ذلك مثل الاشارة في اسماء الاشارة وكقرينة التكلم والخطاب والغيبة في الضمائر وكالنسبة المعلومة جملية في الموصولات والمضاف الى المعارف وكحرف اللام والنداء في المعرفات بهما فاللام اذا دخلت على اسم فاما أن يشار بها الى حصة معينة من مسماه

(قال محمود رحمه الله وتعريف الحمد نحو التعريف في أرسلها العراك وهو تعريف الجنس ومعناه الخ) قال أحمد رحمه الله تعريف التكرار باللام اما عهدي واما جنسي والعهدي اما أن ينصرف العهد فيه الى فرد معين من أفراد الجنس باعتبار تميزه عن غيره من الافراد كالتعريف في نحو فعصى فرعون الرسول واما أن ينصرف العهد فيه الى الماهية باعتبار تميزها عن غيرها من الماهيات كالتعريف في نحو أكلت الخبز وشربت الماء والجنسي هو الذي ينضم اليه شمول الآحاد نحو الرجل أفضل من المرأة وكلا نوعي العهد لا يوجب استغراقها وانما يوجبه الجنسي خاصة فالزمخشري جعل تعريف الحمد من النوع الثاني من نوعي العهد وان كان قد عبر عنه بتعريف الجنس لعدم اعتنائه باصطلاح أصول الفقه وغير الزمخشري جعله للجنس فقضى بافادته لاستغراق جميع أنواع الحمد وليس ببعيد

والاستغراق الذي يتوهمه كثير من الناس وهم منهم وقرأ الحسن البصري الحمد لله بكسر الدال لاتباعها اللام وقرأ ابراهيم بن أبي عبلة الحمد لله بضم اللام لاتباعها الدال

فردا كان أو افرادا مذكورة تحقيقا أو تقديرا وتسمى لام العهد ونظيره العلم الشخصي واما ان يشار بها الى مسماه وتسمى لام الجنس وحينئذ اما ان يقصد المسمى من حيث هو كما في التعريفات ونحو قولنا الرجل خير من المرأة وتسمى لام الحقيقة والطبيعة ونظيره العلم الجنسي واما ان يقصد المسمى من حيث هو موجود في ضمن الافراد بقرينة الاحكام الجارية عليه الثابتة له في ضمنها فاما في جميعها كما في المقام الخطابي بعلة ايهام ان القصد الى بعضها دون بعض ترجيح لاحد المتساويين على الآخر وتسمى لام الاستغراق ونظيره كلمة كل مضافة الى النكرة واما في ضمن بعضها كما في المقام الاستدلالي كقولك ادخل السوق حيث لا عهد وتسمى لام العهد الذهني ومؤداه مؤدى النكرة ولذلك تجري عليه أحكامها وظهر ان اللام أيضا للتعريف الجنس أو لتعريف العهد كما ذكر في المفصل وان الاستغراق ليس معنى تعريف الجنس وان كان مستفادا من التعريف الجنسي في المواضع الخطابية بقرائن الاحوال وما نقل عن المصنف من أن اللام لا تفيد سوى التعريف والاشارة والاسم لا يدل الا على مسماه فاذا لا يكون ثمة استغراق أراد به أن ليس ثمة استغراق هو مدلول الاسم أو اللام لانه لا استفادة له من الامور الخارجية واقتضاء المقام ﴿فان قلت﴾ اسم الجنس ان كان موضوعا للماهية من حيث هي فكيف يستعمل في فرد معين كما في العهد الخارجي أو غير معين كما في العهد الذهني أو في جميع الافراد كما في الاستغراق وان كان موضوعا للفرد منتشر منها أشكل استعماله في الماهية وفرد معين منها وجميع أفرادها ﴿قلت﴾ اما على الاول وهو المختار فلا اشكال في الاستغراق والعهد الذهني لما عرفت من ان الاسم فيهما مستعمل في طبيعة الجنس فقط والقرائن تفهم فرد غير معين أو جميع الافراد من أمور خارجة واما المعهود الخارجي فالظاهر ان الاسم مستعمل فيه وان له وضعا آخر بازاء خصوصية كل معهود ومثله يسمى وضعا عاما وأما على الثاني فالحال في الخارجي على ما ذكرنا وكذا في الاستغراق فان الفرد المنتشر كالماهية يصدق على كل فرد منها واما استعماله في الماهية فاما مجاز أو هناك وضع آخر بازائها ﴿فان قلت﴾ هلا جعلت العهد الخارجي كالذهني والاستغراق راجعا الى الجنس ﴿قلت﴾ لان معنى معرفة الجنس غير كافية في تعيين شيء من افراده بل يحتاج فيه الى معرفة أخرى وهذا الكلام وقع في البين فلنرجع الى ما كنا فيه فنقول المصنف جعل الحمد محمولا على الجنس دون الاستغراق لانه اقتصر ههنا على ذكر جنس الحمد وامتيازه من بين أجناس الافعال ولم يتعرض لشموله واحاطته لافراده ولانه قال فيما بعد بعد الدلالة على اختصاص الحمد به ولم يقل على اختصاص المحامد والتمسك في ذلك بقوله والاستغراق الخ لا يجدي نفعا لجواز أن لا يكون الاستغراق معنى التعريف مع انه مستفاد من المعرف بمعونة المقام كما نبهناك عليه والاستغراق الذي يتوهمه الخ وهم قد كشفنا عنه غطاءه فقيل اختياره الجنس على الاستغراق مبني على خلق الاعمال على طريقة الاعتزال فان أفعال العباد لما كانت مخلوقة لهم كانت المحامد عليها راجعة اليهم فلا يصح جعل المحامد كلها مختصة به تعالى وفساده ظاهر لان اختصاص الجنس به تعالى مستلزم لاختصاص افراده أيضا اذ لو وجد فرد منه لغيره لثبت الجنس له في ضمنه وقيل مبني على ان هذه المصادر نائبة مناب افعالها الساده مسدها والافعال لا تعدد ولا انتهاء لها في الحقيقة الى الاستغراق ورد بان ذلك لا ينافي قصد الاستغراق بمعونة المقام واقتضاء الحال وقيل انما اختاره بناء على ان الجنس هو المتبادر الى الفهم الشائع في الاستعمال لا سيما في المصادر وعند خفاء قرائن الاستغراق وهو أيضا مردود لان المحلى بلام الجنس في المقامات الخطابية يتبادر منه الاستغراق وهو الشائع في الاستعمال سواء هناك مصدرا كان أو غيره وأي مقام أولى بملاحظة الشمول والاحاطة من مقام تخصيص الحمد بالله تعالى تعظيما له وتمجيدا فقرينة الاستغراق فيما نحن فيه كنار على علم والحق ان السبب في الاختيار هو ان اختصاص الجنس مستفاد من جوهر الكلام ومستلزم لاختصاص جميع الافراد فلا حاجة في تأدية المقصود الذي هو ثبوت

(قال محمود رحمه الله العالم اسم لذوي العلم من الملائكة الى آخره) قال أحمد رحمه الله تعليله الجمع بافادة استغراقه لكل جنس تحته فيه نظر فان عالما كما قرره اسم جنس عرف باللام الجنسية فصار العالم وهو مفرد أدل على الاستغراق منه جمعا قال امام الحرمين رحمه الله التمر أحرى باستغراق الجنس من التمور فان التمر يسترسل على الجنس لا بصيغة لفظية والتمور ترده الى تخيل الوحدان ثم الاستغراق بعده بصيغة الجمع وفي صيغة الجمع مضطرب انتهى كلامه والتحقيق في هذا وفي كل ما يجمع من أسماء الاجناس ثم يعرف تعريف الجنس انه يفيد أمرين أحدهما ان ذلك الجنس تحته أنواع مختلفة والآخر انه مستغرق لجميع ما تحته منها لكن المفيد لاختلاف الانواع الجمع والمفيد لاستغراق جميعها التعريف ألا ترى انه اذا جمع مجردا من التعريف دل على اختلاف الانواع ثم اذا عرف أفاد الاستغراق غير موقوف على

والذى جسرهما على ذلك والاتباع انما يكون فى كلمة واحدة كقولهم منحدر الجبل ومغيرة تنزل الكلمتين منزلة كلمة لكثرة استعمالهما مقترنتين واشف القراءتين قراءة ابراهيم حيث جعل الحركة البنائية تابعة للاعرابية التى هى أقوى بخلاف قراءة الحسن * الرب المالك ومنه قول صفوان لابى سفيان لان يربنى رجل من قريش أحب الى من أن يربنى رجل من هوازن تقول ربه يربه فهو رب كما تقول نم عليه ينم فهو نم ويجوز أن يكون وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب الا فى الله وحده وهو فى غيره

الحمد لله تعالى وانتفاؤه عن غيره الى ان يلاحظ الشمول والاحاطة ويستعان فيه بامر خارج عن اللفظ بل نقول على ما اختاره يكون اختصاص جميع الافراد ثابتا بطريق برهانى أقوى من اثباته ابتداء ﴿فان قلت﴾ فكيف صح على مذهبه تخصيص جنس الحمد لله تعالى ﴿قلت﴾ صح ذلك بناء على ان افعالهم الحسنة التى يستحقون بها الحمد عندهم انما هى بتمكين الله تعالى واقداره عليها فمن هذا الوجه يمكنه جعل الحمد راجعا اليه تعالى أيضا وقد أشار الى ذلك حيث قال فى سورة التغابن قدم الظرفان ليدل بتقديمهما على اختصاص الملك والحمد بالله تعالى ثم قال واما حمد غيره فاعتداد بان نعم الله تعالى جرت على يديه ولا يرد على ذلك افعالهم القبيحة التى يستحقون بها الذم أيضا باقدار الله تعالى وتمكينه فتكون المذمة أيضا راجعة اليه لما تبين فى علم الكلام ان اقدار المختار على الافعال الحسنة حسن وعلى القبيحة ليس بقبيح وربما يجاب بان يحمل الجنس فى المقام الخطابى منصرفا الى الكامل كانه كل الحقيقة من باب ذلك الكتاب وحاتم الجواد قيل ومن ههنا يظهر ان الحمل على الجنس دون الاستغراق محافظة على مذهبه وفيه نظر لجواز الحمل على الاستغراق دون الجنس أيضا بتنزيل محامد غيره تعالى منزلة العدم بالقياس الى محامده فلا فرق بين اختصاص الجنس والاستغراق فى انه ما ينافيان ظاهر طريقة الاعتزال وأن منافاتهما تندفع باحدى الوجهين المذكورين (قوله والذى جسرهما) قيل فيه جسارة لاشعاره بان قراءتهما نشأت عن متابعة أحكام اللغة بلا رواية والسلف مبرؤن عنها فان قراءتهم ماخوذة بخصوصياتها عن روايات وصلت اليهم لكن المصنف لا يتحاشى عن امثال ذلك بناء على ما روى من الاذن بقراءة القرآن بسبع لغات فلا يجب النقل فى خصوصية كل قراءة على انه لا يبالى من اسناد القراءة المتواترة الى صورة الكتابة فى المصحف فاسناد غيرها الى قاعدة اللغة أولى (قوله واشف القراءتين) أى أفضلهما والشف من الاضداد يطلق على الزيادة والنقصان والحركة الاعرابية مع طريانها أقوى من الحركة البنائية مع دوامها لان الاعرابية موضوعة لمعان مقصودة يتميز بها بعضها عن بعض فالاخلال بها يؤدى الى التباس المعانى فيفوت ما هو الغرض الاصلى من وضع الالفاظ وهيآتها أعنى الابانة عما فى الضمير (قوله ومنه قول صفوان) وهو صفوان بن أمية بن خلف الجمحى هرب يوم الفتح ثم رجع الى النبى صلى الله عليه وآله وشهد معه حنينا وهو كافر قال المصنف فى أعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله من غنائم حنين ما استكثره وقال لا يطيب به الا قلب نبى فآمن ولما انهزم المسلمون يوم حنين فى أول القتال استبشر أبو سفيان بن حرب وقال غلبت والله هوازن اذن لا يردهم شئ الا البحر فرد عليه صفوان فقال لابفيك الكثكث لان يربنى الخ الكثكث بكسر الكافين وفتحهما وضمهما دقاق الحجارة والتراب ومعنى يربنى يكون مالكا لى يقال ربه كان مالكا له كقولك ساده كان سيدا له صفوان أراد برجل من قريش محمدا صلى الله عليه وآله وبرجل من هوازن كان رئيسهم مالك بن عوف (قوله فهو رب) يشعر بانه صفة مشبهة من فعل متعد الا أنه أراد اخذها منه بعد جعله لازما بالنقل الى فعل بالضم كما سلف قيل ولما كان مجىء الصفة على فعل من باب فعل يفعل بفتح العين فى الماضى وضمها فى المضارع عزيزا استشهد له بمثاله يقال (نم) الحديث ينمه بالضم والكسر فهو نم ولا بد فيه من النقل أيضا وكان فى ترك المفعول نوع اشارة اليه (قوله ويجوز) عطف على قوله الرب المالك أى الرب بمعنى المالك اما على انه صفة مشبهة واما على انه وصف بالمصدر (قوله ولم يطلقوا الرب) أى ولم يستعملوا لفظ رب فى غير الله تعالى مجردا عن الاضافة

الجمعية اذ هذا حكم مفرده اذا عرف فقول الزمخشرى اذا ان فائدة جمع العالمين الاستغراق مردود بثبوت هذه الفائدة وان لم يجمع وقول امام الحرمين ان الجمع يؤيد الاشعار بالاستغراق لما تقتضيه من الرد الى الوجدان مردود بان فائدة الجمع الاشعار باختلاف الانواع واختلافها لا ينافى استغراقها بصيغة المفرد المقرون بتعريف الجنس وان أراد ان الجمع يخيل الاشارة الى أنواع محله معهودة فهذا التخييل بعينه من المفرد فالعالم

﴿رب﴾

اذا جمع ليفيد اختلاف الانواع المندرجة تحته من الجن والانس والملائكة وعرف ليفيد عموم الربوبية لله تعالى فى كل أنواعه وتوضيح هذا التحرير انا لو فرضنا جنسا ليس تحته الا آحاد متساوية وهو الذى يسميه غير النحاة النوع الاسفل لما جاز جمع هذا بحال لا معرفا ولا منكرا وبهذه الفائدة يرد قول امام الحرمين ان التمور جمع من حيث اللفظ لا معنى تحته بجمع الجمع فى نحو

على التقييد بالاضافة كقولهم رب الدار ورب الناقة وقوله تعالى ارجع الى ربك انه ربى أحسن مثواى وقرأ زيد بن على رضى الله عنهما رب العالمين بالنصب على المدح وقيل بما دل عليه الحمد لله كأنه قيل نحمد الله رب العالمين * العالم اسم لذوى العلم من الملائكة والثقلين وقيل كل ما علم به الخالق من الاجسام والاعراض (فان قلت) لم جمع (قلت) ليشمل كل جنس مما سمى به

ولو استعمل كان نادرا كقول الحارث بن حلزه

وهو الرب والشهيد على * يوم الحيارين والبلاء بلاء

واما لفظ الارباب فحيث لم يطلق على الله وحده جاز تقييده بالاضافة واطلاقه كما يقال رب الارباب وقال تعالى أأرباب متفرقون (قوله بما دل عليه الحمد) لم يجعل المصدر عاملا فيه لقلة اعمال المصدر المحلى باللام ولانه يلزم الفصل بينه وبين معموله بالخبر وانما قال نحمد الله رب العالمين لان الرب فى المعنى صفة لا بد لها من موصوف فاشار الى أن العامل فيهما واحد (قوله العالم) يريد كما أن الطابع والخاتم مع اشتقاقهما من الطبع والختم اسمان لما يطبع ويختم به كذلك العالم مع اشتقاقه من العلم اسم لذوى العلم أى هو اسم يطلق على كل جنس من أجناس ذوى العلم لا على فرد منهم فيقال عالم الملك وعالم الانس وعالم الجن ولا يقال عالم زيد مثلا وقيل هو اسم يطلق على كل جنس مما يعلم به الخالق أعنى ما سوى الله سبحانه وتعالى فيقال أيضا عالم الافلاك وعالم العناصر وعالم النبات وعالم الحيوان وعالم الاعراض الى غير ذلك فهو اسم للقدر المشترك بين أجناس ذوى العلم وأجناس ما يعلم به الخالق فيصح اطلاقه على كل واحد منها وعلى مجموعها أيضا ولم يرد أنه اسم لمجموع ذوى العلم أو لمجموع ما يعلم به الخالق من حيث هو مجموع والا امتنع جمعه اذ لا تعدد فى شئ من المجموعين ويدل على ذلك شيآن الاول أنه سأل عن فائدة الجمع فقال لم جمع ولو قصد به اسم المجموع لسأل عن صحته وقال كيف جمع الثانى قوله ليشمل فانه تصريح باسناد الشمول الى الجمع فلا يكون العالم اسما للمجموع والا لم يكن للجمع مدخل فى الشمول أصلا وحاصل الجواب أن الافراد وان كان أصلا واحق الا أنه لو أفرد معرفا باللام لربما توهم أن القصد الى استغراق أفراد جنس واحد مما سمى به أو الى الحقيقة أى القدر المشترك بين الاجناس فلما جمع وأشير بصيغة الجمع الى تعدد الاجناس واستغراق أفرادها بالتعريف زال التوهم بلا شبهة وفهم المقصود بلا مرية ﴿فان قلت﴾ العالم لا يطلق على واحد من أفراد الجنس المسمى به كزيد مثلا فاذا عرف باللام امتنع استغراقه لافراد جنس واحد فان اللفظ المفرد لا يستغرق الا أفرادا يطلق على كل واحد منها وكذا اذا جمع وعرف لم يتناول الا الاجناس التى يطلق عليها دون أفرادها ﴿قلت﴾ لما كان العالم مطلقا على الجنس بأسره كما نبهناك عليه ينزل منزلة الجمع ومن ثمة قيل هو جمع لا واحد له من لفظه وكما أن الجمع اذا عرف استغرق آحاد مفرده كما سيأتى تحقيقه ان شاء الله تعالى وان لم يكن صادقا عليها كقوله تعالى والله يحب المحسنين أى كل محسن وكقولك لا أشترى العبيد أى كل واحد منهم كذلك العالم ينزل منزلة الجمع المعرف فيشمل جميع أفراد الجنس المسمى به وان لم يكن مطلقا عليها كأنها آحاد مفرده المقدر وعلى هذا فالعالمون بمنزلة جمع الجمع فكما أن لفظ الاقاويل يتناول كل واحد من آحاد الاقوال كذلك العالمون يتناول كل واحد من آحاد الاجناس فقوله يشمل كل جنس أى أفراد كل جنس من الاجناس المسماة به ومن الناس من حمل كلامه على شمول الاجناس أنفسها توهما من ظاهر العبارة ولم يرتض ارادة شمول أفرادها بناء على أن العالم لا يطلق عليها وقرر الجواب بأنه لو أفرد لتبادر منه هذا العالم المشاهد بشهادة العرف فجمع ليشمل كل جنس سمى بالعالم وهما مدخولان اما الاول فلأن المقام يقتضى ملاحظة شمول آحاد الاشياء المخلوقة كلها ويشهد بذلك قوله ههنا مالك العالمين لا يخرج منهم شئ عن ملكوته وقوله فى تفسير وما الله يريد ظلما للعالمين نكر ظلما وجمع العالمين على معنى ما يريد شيأ من الظلم لاحد من خلقه وقد بينا لك آنفا وجه شمولها وأما

العالمين الرحمن الرحيم

نوق ونياق وأنيق واما تعليل الزمخشرى جمعه بالواو والنون باشعاره لصفة العلم فيلحق بصفات من يعقل فصحيح اذا بنى الامر على انه لا يتناول الا اولى العلم وأما على القول بانه اسم لكل موجود سوى الله فيحتاج الى مزيد نظر فى تغليب العاقل فى الجمع على غير العاقل

(فان قلت) هو اسم غير صفة وانما تجمع بالواو والنون صفات العقلاء أو ما فى حكمها من الاعلام

الثانى فلأن المقابل للعالم المشاهد العالم الغائب فاذا كان الافراد موهما أن المقصود هو الاول فقط ناسب أن يؤتى بما يتناولهما معا فان الكل مندرج فيهما وربما يقال تلخيص الجواب أنه لما قصد ههنا شمول الاجناس وشمول أفرادها مبالغة اختير لفظ ينبئ عن تناول المتعدد بوجهين فالجمعية لشمول الاجناس بمساعدة التعريف والتعريف لشمول الافراد بمعونة المقام فالمعنى رب كل جنس من الاجناس ورب كل فرد منه وقيل فى توجيه نظم القرآن ان التعريف للاستغراق والجمع للدلالة على أن العالم أجناس مختلفة كما قيل فى جمع السموات وتوحيد الارض وبيان المناسبة أن الحقائق المختلفة اذا اشتركت فى مفهوم اسم فهى من حيث اختلافها تقتضى أن يعبر عن كل واحد بلفظ على حدة ومن حيث اشتراكها فى ذلك المفهوم تقتضى أن يعبر عن الكل بلفظ واحد فروعى الجهتان بصيغة الجمع فانه الفظة واحدة صورة وألفاظ متعددة معنى ولو أفرد وقيل رب العالم لم يعلم أن الربوبية شاملة لاجناس مختلفة ومن أراد الاستقصاء فى مباحث استغراق المفرد والجمع منكرا أو معرفة فعليه بكتابنا المسمى بالمصباح فى شرح المفتاح ﴿لا يقال﴾ قد اشتهر فى كلامهم ان استغراق المفرد أشمل من استغراق الجمع فما منشؤه وما الحق فيه ﴿لانا نقول﴾ أما منشؤه فهو أن المفرد اذا عم استغرق أفراد مدلوله أعنى الآحاد فلا يخرج عنه شئ من تلك الآحاد فعلى هذا القياس اذا عم الجمع ينبغى أن يستغرق أفراد مدلوله أعنى الجموع وذلك لا ينافى أن يخرج منه واحد مطلقا على كل قول أو اثنان على قول ومن هنا قال ابن عباس الكتاب أكثر من الكتب وبينه عليه المصنف بأنه اذا أريد بالواحد الجنس والجنسية قائمة فى وحدان الجنس كلها لم يخرج منه شئ وأما الجمع فلان يدخل تحته الا ما فيه معنى الجنسية من الجموع واذا كان معنى الجمع المستغرق كل جمع جمع فلو أثبت له حكم فهم اثباته للمجموع فان كان من الاحكام التى يستلزم ثبوتها الكل فرد منه فهم ثبوته للآحاد والا كانت باقية على الاحتمال وأما الحق فهو ان هذا المعنى يقتضى تكرارا فى مفهوم الجمع المستغرق فان مراتب الجموع متفاوتة يندرج بعضها تحت بعض فالثلاثة تكون معتبرة فيه بنفسها وفى الاربعة والخمسة وما فوقهما بل نقول الكل من حيث هو كل جمع من الجموع فيندرج فيه مع اشتماله على سائر الجموع والظاهر أنه غير مقصود وأما قولهم لا رجال فانما يقصد به نفى كل جماعة بل نفى مفهوم المركب من الجنس والجمعية فيلزم منه انتفاء ما صدق عليه هذا المفهوم من الجموع دون الآحاد كما ان لا رجل لم يقصد به الا نفى الجنس ولزم منه نفى ما صدق عليه من الآحاد فليس العموم مقصودا منهما ابتداء بل هو لازم لما قصد بهما من مفهوميهما وما لزم من مفهوم المفرد أشمل مما لزم من مفهوم الجمع فالحكم بأن استغراق المفرد أشمل انما يصح ههنا بناء على الوجه الذى قررناه وأما الجموع المعرفة فتستعمل على وجهين أحدهما أن يراد بها الكل من حيث هو فيكون الحكم مستندا اليه دون كل واحد كقولك للرجال عندى درهم فانه لا يلزم درهم واحد بخلاف قولك ان لكل رجل عندى درهم والثانى وهو الاكثر والاشهر استعمالا أن يراد بها كل واحد من أفرادها فيكون الحكم مستندا الى كل فرد سواء كان اثباتا كقوله تعالى والله يحب المحسنين أى كل محسن أو نفيا كقولك لا أشترى العبيد أى لا هذا ولا ذاك ولما استفيد منها انتساب الاحكام الى كل فرد كما فى المفردات المستغرقة حكم بعض الاصوليين بأن الجمع المعرف بلام الجنس بطل عنه الجمعية وصار للجنسية ﴿لا يقال﴾ فلا فائدة حينئذ لصيغة الجمع ﴿لانا نقول﴾ صيغة الجمع أظهر فى قصد الافراد وأولى بالشمول والاحاطة كما يظهر من المباحث السابقة (قوله فهو اسم) اشارة بالفاء الى تسببه عما تقدم من أنه اسم لذوى العلم أو لكل ما علم به الخالق فعلى الاول ينتفى شرط واحد أعنى كونه صفة أو ما فى حكمها من الاعلام فان العلم يؤول بالمسمى بهذا الاسم لتجانس مسمياته فيصح جمعه وعلى الثانى ينتفى الشرطان معا وقدم السؤال الاول لانه سؤال عن فائدة الجمع مطلقا سواء كان مصححا كالعالمين أو مكسرا كالعوالم ولا نظر فيه الى خصوصية جمع التصحيح ولذلك أطلق وقال لم جمع والثانى سؤال عن وجه

(قلت) ساغ ذلك لما فى الوصفية فيه وهى الدلالة على معنى العلم * قرئ ملك يوم الدين ومالك وملْك بتخفيف اللام وقرأ أبو حنيفة رضى الله عنه ملَكَ يوم الدين بلفظ الفعل ونصب اليوم وقرأ أبو هريرة رضى الله عنه مالكَ بالنصب وقرأ غيره ملكَ وهو نصب على المدح ومنهم من قرأ مالكٌ بالرفع وملك هو الاختيار لانه قراءة أهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولقوله ملك الناس ولان الملك يعم والملك يخص ويوم الدين يوم الجزاء ومنه قولهم كما تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق سوى العدوا * ن دناهم كما دانوا

(فان قلت) ماهذه الاضافة (قلت) هى اضافة اسم الفاعل الى الظرف على طريق الاتساع مجرى مجرى المفعول به كقولهم ياسارق الليلة أهل الدار

صحة خصوصية الجمع بالواو والنون وبيان فائدة المطلق مقدم على وجه صحة المقيد ومن لم يتنبه لذلك زعم أن الاول قدم على الثانى مع أن طلب فائدة الجمع متأخر عن صحته اهتماما بشأن الفوائد والمعانى (قوله ساغ ذلك) أى هو اسم شابه الصفة فى دلالته على الذات باعتبار معنى هو كونه يعلم أو يعلم به فساغ لذلك جمعه بالواو والنون مع شذوذه أما على المعنى الاول فعلى الحقيقة لاختصاصه بأولى العلم وأما على الثانى فعلى تغليب العقلاء على غيرهم (قوله قرأ أبو حنيفة) هى قراءة حسنة تحتمل معنى المالك والملك وملك هو المختار أما أولا فلانه قراءة أهل الحرمين وهم أولى الناس بأن يقرؤا القرآن غضا طريا كما أنزل الله أو قراؤهم الاعلون رواية وفصاحة وقد وافقهم قارئ البصرة والشام وحمزة من الكوفة وأما ثانيا فلقوله تعالى لمن الملك اليوم فقد وصف ذاته بأنه الملك يوم القيامة والقرآن يتعاضد بعضه ببعض وتتناسب معانيه فى المواد وأما ثالثا فلقوله ملك الناس ففى خاتمة الكتاب لما تدرج من وصفه تعالى بالربوبية الى وصفه بالملكية ناسب أن تكون فاتحته كذلك وأما رابعا فلان الملك بالضم يعم والملك بالكسر يخص وذلك لان ماتحت حياطة الملك من حيث انه ملك أكثر مما تحت حياطة المالك من حيث انه مالك فان الشخص يوصف بالمالكية بالنظر الى أقل قليل ولا يوصف بالملكية الا نظرا الى أكثر كثير وأيضا الملك أقدر على مايريد فى متصرفاته وأكثر تصرفا فيها وسياسة لها وأقوى تمكنا منها واستيلاء عليها من المالك فى مملوكاته ولا يقدح فى الاول أنه يقال مالك الدواب والانعام ولا يقال ملكهما لان ذلك ليس من حيث ان حياطته قاصرة عنها بل من حيث ان الملك انما يضاف عرفا الى ماينفذ فيه التصرف بالامر والنهى ولا فى الثانى ان المالك له التصرف فى مملوكه بالبيع وأمثاله وليس ذلك للملك فى رعاياه لان الكلام فى الموضوع اللغوى دون العرفى الفقهى فللملك أن يتصرف فيهم بما شاء وأما كون التصرف حقا أو ليس بحق فمما لا يعتبر فى الملك ولا فى المالك لغة بل شرعا (قوله ويوم الدين يوم الجزاء) قيل فى اختيار يوم الدين على يوم القيامة وعلى سائر الاسامى رعاية للفاصلة وافادة للعموم فان الجزاء يتناول جميع أحوال الآخرة الى السرمد (قوله كما تدين تدان) أى كما تفعل تجازى (ودناهم كما دانوا) أى جزيناهم بمثل ماابتدؤنا به (قوله ماهذه الاضافة) أراد اضافة مالك ولذلك قال هى اضافة اسم الفاعل وفرع عليه قوله فاضافة اسم الفاعل وأما اضافة ملك فلا اشكال فيها لانها اضافة المشبهة الى غير معمولها كما فى رب العالمين فتكون حقيقية ﴿لا يقال﴾ ماأضيف به مفعول به فى المعنى فتكون لفظية ﴿لانا نقول﴾ الصفة المشبهة لاتعمل النصب أبدا الا ترى الى قولهم واضافة الصفة المشبهة الى فاعلها فى تمثيل الاضافة اللفظية ولا يرد على ذلك هو رحيم فلانا وجليس زيد الا ان الاول صيغة مبالغة كما مر والثانى بمعنى مجالس والا لم يكن متعديا وأما ان الصفة المشبهة لاتشتق الا من فعل لازم والملك والرب مشتقان من متعد فجوابه ماعرفت من أن المتعدى يجعل لازما بالنقل ثم يشتق منه الصفة والاضافة فيهما كما فى قولك ملك العصر وكريم الدهر وحسن البلد فتكون حقيقية قطعا (قوله مجرى مجرى المفعول به) الاول صيغة مفعول من الاجراء وقعت حالا من الظرف والثانى يروى بالضم والفتح اما مصدر أو مكان والاتساع فى الظرف

مالك يوم الدين

والمعنى على الظرفية ومعناه مالك الامر كله فى يوم الدين كقوله لمن الملك اليوم (فان قلت) فاضافة اسم الفاعل اضافة غير حقيقية فلا تكون معطية معنى التعريف فكيف ساغ وقوعه صفة للمعرفة (قلت) انما تكون غير حقيقية اذا أريد باسم الفاعل الحال أو الاستقبال فكان فى تقدير الانفصال كقولك مالك الساعة أو غدا فأما اذا قصد معنى الماضى كقولك هو مالك عبده أمس أو زمان مستمر كقولك زيد مالك العبيد كانت الاضافة حقيقية كقولك مولى العبيد

أن لا يقدر معه فى توسعا فينصب نصب المفعول به كقوله ويوم شهدناه أو يضاف اليه على وتيرته كمالك يوم الدين وسارق الليلة حيث جعل اليوم مملوكا والليلة مسروقة وأما مكر الليل والنهار فان جعلا ممكورا بهما كما يقتضيه سياق كلامه فى المفصل كان مثالا لما نحن فيه من اجراء الظرف مجرى المفعول به وان كان بواسطة حرف جر وان جعلا ماكرين كان تشبيها فى اعطاء الظرف حكم غيره والاضافة فى الكل بمعنى اللام ولم يعتد المصنف بالاضافة بمعنى فى وان كانت رافعة مؤنة الاتساع وما يتبعه من الاشكال اما لان اجراء الظرف مجرى المفعول به قد تحقق فى الضمائر بلا خلاف فصورة الاضافة لما احتملت وجهين كانت محمولة على ما تحقق فلا اضافة عنده بمعنى فى وأما لان الاتساع يستلزم فخامة فى المعنى فكان بالاعتبار عند أرباب البيان أولى وأما النحوى فقد اعتد بهم القصور نظره فى تصحيح العبارة على ظاهرها وأهل الدار منصوب بسارق لاعتماده على حرف النداء كقولك يا ضاربا زيدا ويا طالعا جبلا وتحقيقه أن النداء يناسب الذات فاقتضى تقدير موصوف أى يا شخصا ضاربا (قوله والمعنى على الظرفية) يريد أن الظرف وان وقع فى الصورة عن تقدير فى وأوقع موقع المفعول به الا أن المعنى المقصود الذى سيق الكلام لاجله على الظرفية لان كونه مالكا ليوم الدين كناية عن كونه مالكا فيه الامر كله فان تملك الزمان كتملك المكان يستلزم تملك جميع ما فيه وقوله لمن الملك استشهاد على ارادة العموم المناسب لمقام العظمة والكبرياء فان معناه أن لا تصرف أصلا فى ذلك اليوم الا لله فلا مالك ولا ملك يومئذ الا هو ومن قال ان الاضافة فى مالك يوم الدين مجاز حكمى ثم زعم أن المفعول به محذوف عام شهد لعمومه الحذف بلا قرينة خصوص ورد عليه أن هذا المحذوف مقدر فى حكم الملفوظ فلا مجاز حكميا حينئذ كما فى اسأل القرية اذا كان الاهل مقدرا (قوله فاضافة اسم الفاعل) أى اذا كان الظرف متسعا فيه جاريا مجرى المفعول به كانت اضافة اسم الفاعل اليه غير حقيقية فلا يتعرف بها المضاف فلا يسوغ وقوعه صفة لله تعالى أجاب بأن اضافة اسم الفاعل انما تكون غير حقيقية اذا أريد به الحال والاستقبال ليكون عاملا وفى تقدير الانفصال وأما اذا قصد به الماضى أو الاستمرار فاضافته حقيقية كاضافة الاسم الذى لا يدل على زمان أصلا ولا ينصب مفعولا به قطعا كمولى العبيد وأورد المضاف اليه فى مثال الماضى مفردا لكفايته فيه وقيده بأمس تحقيقا للمضى واشارة الى جواز عمله فى الظروف حال كون اضافته حقيقية وفى مثال المستمر جمعا لانه أنسب بالاستمرار وأظهر فى تصوره واعترض عليه بأنه ذكر فى قوله تعالى جاعل الليل سكنا ان جاعلا دل على جعل مستمر فى الازمنة المختلفة ومع ذلك جعله عاملا فى المضاف اليه ناصبا له حيث جوز عطف والشمس والقمر فى قراءة النصب على محل الليل وفيه تصريح بأن اسم الفاعل اذا أريد به الاستمرار كان عاملا فتكون اضافته غير حقيقية وهذا مناف لما ذكره ههنا ﴿وأجيب﴾ بأن الزمان المستمر يشتمل على الماضى وعلى الحال والاستقبال فجاز أن يعتبر جانب الماضى فلا يكون الاسم عاملا وكانت اضافته حقيقية وان يعتبر جانب الحال والاستقبال فكان الاسم عاملا واضافته غير حقيقية وكل واحد من الاعتبارين يتعين بحسب اقتضاء المقامات وقرائن الاحوال ﴿وأجيب﴾ أيضا بأنه لا منافاة بين أن يكون المستمر عاملا واضافته حقيقية ووجه بأن المستمر لما احتوى على الماضى ومقابليه روعى الجهتان معا فجعلت الاضافة حقيقية نظرا الى الاولى واسم الفاعل عاملا نظرا الى الثانية فجعل اضافته حقيقية مع

وهـذا هو المعنى فى مالك يوم الدين ويجوز أن يكون المعنى ملك الامور يوم الدين كقوله ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب الاعراف والدليـل عليه قراءة أبى حنيفـة ملك يوم الدين وهذه الاوصـاف التى أجريت على الله سـبحانه من كونه ربا مالكا للعالمين لا يخرج منهم شىء من ملكوته وربوبيته ومن كونه منعـما بالنعم كلها الظاهرة والباطنة والجلائل والدقائق ومن كونه مالكا للامر كله فى العاقبة يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به

أنه عامل فلا منافاة بين كلاميه وفيه نظر لان مدار الاضافة فى كونها معنوية ولفظية على كون الصفة عاملة وغير عاملة كما هو المشهور ويمكن أن يقال الاستمرار فى مالك يوم الدين ثبوتى وفى جاعل الليـل تجددى بتعاقب أفراده وكان الثانى عاملا واضافته لفظية لورود المضارع بمعناه دون الاول وستزيدك هنالك تبيانا لهذا المعنى ان شاء الله تعالى (قوله وهذا هو المعنى فى مالك يوم الدين) أى المقصود منه الزمان المستمر لا الحـال أو الاسـتقبال والحصر بالقياس اليهما فلا ينافى تجويز المـاضى وجاز أن يجعل بالقياس الى الكل اشارة الى أنه المختار الذى لا يلتفت معه الى غيره ثم كأنه تنزل عن ذلك وجوزه قصد الماضى ﴿فان قيل﴾ اذا لم يكن يوم الدين وما فيه مستمرا فى جميع الازمنة لم يكن هو مالكا له على الاستمرار ﴿وأجيب﴾ بانه مالك للاشياء كلها أزلا وابدا ولا يتغير بوجودها وعدمها الا تعلق ملكه بها كما قيل فى التـكوين ويرد عليه أن المـاضى لا يحتاج الى أن يؤول ويجعل من قبيل ونادى وقد يجاب بان معنى الاسـتمرار هو الثبوت من غير ان يعتبر معه حدوث فى أحد الازمنة وذلك ممكن فى المسـتقبل كأنه قيل هو ثابت المـالكية فى يوم الدين واذا لم يعتبر فى مفهومه الحـدوث لم يكن عاملا لانتفاء مشابهة الفعل ويدفعـه ان الاستمرار صريح فى الدوام والاولى ان يوم الدين لتحقق وقوعه وبقائه ابدا جعل كأنه متحقق مستمر الا انه لم يصرح بذلك اعتمادا على ما ذكره من التأويل فى المـاضى وهو ان يجعل المستقبل المحقق وقوعه بمنزلة المـاضى الواقع مبالغة فى تحقق وقوعه فيستعمل فيه اسم الفاعل على انه ماض ادعاء وان كان مستقبلا حقيقة ومثله لا يعمل كالمـاضى حقيقة فاضافته معنوية واستدل على ارادة المـاضى المؤول بقراءة أبى حنيفة رحمه الله فانها بمعنى المـاضى مؤولا وانه قصد بالاستدلال نوع تقوية له لاختياره على الاستمرار ﴿لا يقال﴾ الحكم بكون الظرف متـعلقا به قائما مقام المفعول به حكم بكون اسم الفاعل عاملا فيه ناصـبا له فكيف يتصور ان اضافته اليه حقيقية وهل هذا الا تناقض ﴿لانا نقول﴾ لا تناقض لانه انما حكم بكونه مفعولا به من حيث المعنى لا من حيث الاعراب أى يتعلق المالك به تعلق المملوكة حتى لو كانت شرائط العمل حاصلة لعمل فيه ألا ترى انك تقول فى مالك عبيده أمس انه مضاف الى المفعول وتريد انه كذلك معنى لا انه منصوب محلا لان شرط العمل مفقود (قوله وهذه الاوصاف) يعنى لما دل بلامى التعريف والاختصاص على ان جنس الحمد مختص به تعالى وحق له اجراء تلك الصفات العظام ليكون حجة واضحة على انحصار الحمد فيه واستحقاقه اياه فذكر أولا ما يتعلق بالابتـداء من كونه ربا أى مالكا للاشياء كلها لا يخرج شىء من الاشياء عن ملكوته أى سلطنته الشاملة ومن ربوبيته الكاملة يتصرف فيها بواجب حكمته على وفق مشـيئته ويربيها أى يرقيها فى مدارج الكمال على مقتضى عنايته باقاضـة الوجود واعداد الاسـباب الـكاملة وثانيا ما يتعلق بالبقاء من اسباغه عليها نعما ظاهرة وباطنة جليلة ودقيقة وثالثا ما يتعلق بالاعادة من كونه مالكا للامر كله يوم الجزاء كأنه قيل الحمد لله الذى منه الابتـداء واليه الانتهاء وبه البقاء فهو الحقيق بالثناء وظهر بذلك ان هذه الاوصاف ليسـت أجنبية فاصلة بين الحمد وما يتبعه من العبادة وقوله هذه الاوصاف مبتدا خبره دليـل ولم يؤنثه لانه صار فى عداد الاسماء وافراده اشارة الى أن المجموع دليل واحد فلا يتوهم شائبة اشتراك أصلا فى استحقاق الحمد وكرر من فى قوله ومن كونه منعما ومن كونه مالكا تنبيها على الشروع فى وصف آخر وقيل تكريرها اشـعار باستقلال كل وصف بكونه دليـلا على حدة وقوله بعد الدلالة ظرف لاجريت فوجب أن يكون قوله من كونه ربا الخ بيانا للمستتر فى أجريت لا لقوله هذه

وأنه به حقيق فى قوله الحمد لله دليل على أن من كانت هذه صفاته لم يكن أحد أحق منه بالحمد والثناء عليه بما هو أهله (ايا) ضمير منفصل للمنصوب واللواحق التى تلحقه من الكاف والهاء والياء فى قولك اياك واياه واياى لبيان الخطاب والغيبة والتكلم ولا محل لها من الاعراب كما لا محل للكاف فى أرأيتك وليست باسماء مضمرة وهو مذهب الاخفش وعليه المحققون وأما ما حكاه الخليل عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه واياالشواب فشيء شاذ لا يعوّل عليه وتقديم المفعول لقصد الاختصاص

الاوصاف لئلا يقع فصل بين اجزاء الصلة بغيرها ﴿فان قلت﴾ اختار أولا ملكا على مالك فلا نسب أن يقول ههنا ومن كونه ملكا للأمر كله فى العاقبة ﴿قلت﴾ النظر ههنا الى مآل المعنى فكونه مالكا للامور كلها يوم الدين فى قوة كونه ملكا فيه كما أن كونه مالكا للعالمين فى قوة كونه ملكا لهم ولذا قال لا يخرج منهم شيء من ملكوته وما تقدم من اختياره انما كان نظرا الى اللفظ والى محض المفهوم (قوله وانه به حقيق) قيل الضمير الاول للحمد والثانى لله تعالى كما يشعر به قوله على اختصاص الحمد به أى الحمد حقيق بالله لا بغيره ويفهم من كون الحمد حقيقا به كونه حقيقا بالحمد ولذلك قال لم يكن أحد أحق منه على معنى انه أحق من كل أحد فان قولك ليس أحد أفضل من زيد وان دل على نفى الافضل فقط لغة الا أن نفى المساوى مفهوم منه أيضا عرفا ﴿فان قلت﴾ المناسب لكون الحمد حقيقا به دون غيره وما يفهم منه ان يقول لم يكن أحد غيره حقيقا بالحمد لان قوله أحق يدل على ان غيره حقيق فى الجملة ﴿قلت﴾ أشار أولا الى انحصار الحمد فيه سبحانه

اياك نعبد واياك نستعين

واستحقاقه اياه ثم نبه على أن ذلك ادعائى على ما سبق من التأويل ايماء الى مذهبه وقيل الضمير الاول لله والثانى للحمد ويوافقه قوله وكان حقيقا بأقصى غاية الخضوع وقوله حقيق بالثناء ورد بان تقديم الظرف يستلزم قصره تعالى على الحمد وأجيب بان تقديمه لمحض الاهتمام بما يتعلق به الاستحقاق (قوله ايا ضمير منفصل) قال الزجاج ومتابعوه ايا اسم مظهر مبهم مضاف الى المضمرات الواقعة بعده من الكاف ونحوه اضافة العام الى الخاص فانه مبهم يتعين بالمضاف اليه كأن اياك بمعنى نفسك استدلوا على ذلك باضافته الى المظهر فى قوله واياالشواب وقال الخليل انه ضمير مضاف الى ما بعده من الاسماء واستشهد على كونه مضافا باضافته الى المظهر فى ما حكاه عن بعض العرب واستضعف بان الضمير لا يضاف وذهب بعض الكوفيين وابن كيسان من البصرية الى ان الكاف واخواته هى الضمائر التى كانت متصلة وايا دعامة لها لتصير منفصلة بسببها وقال قوم من الكوفة اياك بكماله هو الضمير وزيف بان ليس فى الاسماء المضمرة ولا المظهرة ما يختلف آخره كافا وهاء وياء وذهب الاخفش وجمهور المحققين الى ان ايا ضمير منفصل واللواحق التى تلحقه حروف تدل على أحوال المرجوع اليه قال الشيخ ابن الحاجب والدليل على ذلك انها ألفاظ اتصلت بما قبله واحد ويتعين بها ما يرجع اليه فوجب أن تكون حروفا كاللواحق بان فى أنت أنتما أنتم فانها حروف مبينة لاحوال المرجوع اليه فجعلها مقيسا عليها فى انتفاء الاعراب المحلى ولم يعتد بما نقل عن مذهب الفراء بان الضمير هو أنت بكماله ولا بما قاله بعضهم من ان اللواحق هى الضمائر التى كانت موضوعة متصلة وان دعامة لها دعمت حين أريد انفصالها لتستقل لفظا (قوله كما لا محل للكاف) الكاف واخواتها فى أرأيتك أرأيتكما أرأيتكم بمعنى طلب الاخبار حروف اجماعا تدل على أحوال المخاطب ويتعين بها ما أريد بالتاء فكانت أولى بجعلها مقيسا عليها فى انتفاء الاعراب محلا من اللواحق بان قال المصنف لما كانت مشاهدة الاشياء ورؤيتها طريقا الى الاحاطة بها علما وصحة الخبر عنها استعملوا أرأيت بمعنى أخبروهذا يدل على انها من رؤية البصر وذكر فى سورة القلم ما يدل على انها من رؤية القلب وايا ما كان فالاستفهام مستعمل فى معنى الامر (قوله فاياه واياالشواب) بالغ فى التحذير وأدخل ايا على الشواب لانه يوهم ان كلا منهما يحذر من الآخر أى عليه ان يقى نفسه عن التعرض للشواب ويقيهن عن التعرض له وعليهن مثل ذلك وانما قال فشيء شاذ ولم يقل فشاذ زيادة استحقاره واستضعاف مبالغة فى انه لا معول عليه أصلا ولا يستدل به على

كقوله تعالى قل أفغير الله تأمرونى أعبد قل أغير الله أبغى ربا والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك بطلب المعونة وقرئ ايَاك بتخفيف الياء وأَياك بفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء قال طفيل الغنوى

فهياك والامر الذى ان تراحبت * موارده ضاقت عليك مصادره

*والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه ثوب ذو عبدة اذا كان فى غاية الصفاقة وقوة النسج ولذلك لم تستعمل الا فى الخضوع لله تعالى لانه مولى أعظم النعم فكان حقيقا بأقصى غاية الخضوع (فان قلت) لم عدل عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب (قلت) هذا يسمى الالتفات فى علم البيان قد يكون من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم كقوله تعالى حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم وقوله تعالى والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه

انه مظهر مضاف الى المضمرات ولا على انه مضمر مضاف الى ما بعده كما مر من مذهبى الزجاج والخليل (قوله كقوله تعالى قل أفغير الله) قيل الهمزة فى الاثنين للانكار فلو أفاد التقديم الاختصاص لدلت الاولى على انكار اختصاص غير الله بالعبادة والامر بها والثانية على انكار اختصاص غيره باتخاذه ربا فلا يفهم منهما انكار الشركة بل جوازها لان الانكار فى حكم النفى فى نفى الحكم يتوجه الى القيد ويفيد ثبوت أصل الحكم فاذا دخل على الامر بعبادة الغير مقيدة بالاختصاص دل على ان المنكر قيد الاختصاص دون أصل العبادة والامر بها (و) وأجيب بان ذلك انما يلزم اذا اعتبر التقديم أولا ودخول الهمزة ثانيا ليكون الانكار واردا على الاختصاص وأما اذا عكس كان الاختصاص واردا على الانكار وأفاد الكلام ان انكار العبادة والامر بها مخصوص بغيره تعالى وقد تعين هذا المعنى بقرينة المقام أولا يرى ان قوله تعالى لو يطيعكم محمول على استمرار الامتناع لا على امتناع الاستمرار كما صرح به فى المفتاح وان قوله وما هم بمؤمنين يفيد تأكيد النفى لا نفى التأكيد وان قولك ما أنا قلت هذا يدل على معنى لم أقله وقاله غيرى لا على معنى لم أقله وحدى بل قلته أنا وغيرى والضابط ان النفى وما فى حكمه اذا كان مع قيد فى الكلام يجعل تارة قيدا للنفى فيرد النفى على المقيد ويتبادر منه عرفا انتفاء القيد وثبوت أصله وأخرى قيد المنفى ويتعين كل واحد من الاعتبارين بقرينة تدل عليه (قوله والمعنى نخصك بالعبادة) وقد سبق فى تحقيقه ما فيه غنية عن اعادته (قوله قال طفيل الغنوى فهياك) قال رحمه الله تعالى هكذا رواية الكشاف وفى الحماسة لمضرس بن ربعى

فاياك والامر الذى ان توسعت * موارده ضاقت عليك المصادر

وقبل البيت الذى رواه المصنف من قصيدة مطلعها

تحمل من وادى أشيقر حاضره * وألوى بريعان الخيام أعاصره

والموارد مواضع الورود والدخول والمصادر مواضع الصدور والرجوع أى احذر ان تلابس أمرا ان توسعت مداخله ضاقت عليك مخارجه والمقصود الحث على التدبر فى عواقب الامور قبل الشروع فيها (قوله أقصى غاية الخضوع) الخضوع حدود ونهايات ولفظ الغاية شامل لكونها اسم جنس مضافا فصح اضافة أقصى اليها كأنه قال أقصى غاياته قال الراغب العبودية اظهار التذلل والعبادة أبلغ منها لانها غاية التذلل (قوله لانه مولى أعظم النعم فكان حقيقا بأقصى غاية الخضوع) بيان لوجه استعمال العبادة فى الخضوع لله تعالى لا لحصر استعمالها فيه كأنه جعل مقتضى الاستعمال ظاهر الانتفاء عن غيره فلم يتعرض للحصر لا فى المقتضى ولا فى المقتضى الاستعمال فبطل ما يقال من ان الصواب ان يقال وكان هو الحقيق (قوله هذا يسمى الالتفات) لما كان السؤال عن فائدة العدول مشتملا على نوع استبعاد واستنكار له لمخالفته مقتضى الظاهر الذى تتسارع الطباع الى قبوله وتتباعد عما يخالفه أزال الاستبعاد أولا بانه فن من فنون البلاغة مشهور فيما بين علماء البيان له اسم مخصوص وأنواع كثيرة وأمثلة غير محصورة وثانيا بانه عادة مألوفة للعرب العرباء قد تعودوا بها فى أساليب كلامهم وأشار فى ضمنه الى فائدة

وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات فى ثلاثة أبيات

تطاول ليلك بالاثمد * ونام الخلى ولم ترقد * وبات وباتت له ليلة

كليلة ذى العائر الارمد * وذلك من نبإ جاءنى * وخبرته عن أبى الاسود

وذلك على عادة افتنانهم فى الكلام وتصرفهم فيه ولان الكلام اذا نقل من أسلوب الى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع وايقاظا للاصغاء اليه من اجرائه على أسلوب واحد وقد تختص مواقعه بفوائد

عامة للالتفات من جهة المتكلم وهى التصرف والافتنان فى وجوه الكلام واظهار القدرة عليها والتمكن منها وبفائدة أخرى له أيضا من جهة السامع وهى تطرية نشاطه فى سماع الكلام واستدرار اصغائه اليه بحسن الايقاظ ثم ذكر ان له بحسب مواقعه فوائد مخصوصة وبين الفائدة المختصة بهذا الموضع فكأنه قال ليس العدول من طريق الى آخر بمستبعد بل هو مشهور ومعتاد وله فوائد عامة وخاصة فكان الجواب منطبقا على السؤال حق الانطباق وأشار بقوله هذا يسمى الالتفات الى ما يفهم من الكلام السابق من مطلق العدول الواقع بين الطرق الثلاثة وصرح من أنواعه الستة الحاصلة من ضرب الثلاثة فى اثنين بثلاثة أولها ما يندرج فيه المسؤل عنه أعنى الانتقال من الغيبة الى الخطاب ولذلك لم يذكر له مثالا وثانيها ما يشاركه الاول فى طرفيه على التبادل وثالثها ما يشاركه فى الطرف الاول وأشار بقوله (وقد التفت امرؤ القيس) الى نوع رابع هو الانتقال من التكلم الى الخطاب فى ليلك واقتصر على هذه الاربعة لانها أكثر الانواع وأشهرها وأراد بعلم البيان ههنا كما فى خطبة المفصل العلوم الثلاثة ﴿قال بعض الافاضل﴾ يبحث عن الالتفات فى كل واحد منها اما فى علم المعانى فباعتبار كونه على خلاف مقتضى الظاهر واما فى البيان فباعتبار انه ايراد معنى واحد فى طرق مختلفة الدلالة عليه جلاء وخفاء وبهذين الاعتبارين يفيد الكلام حسنا ذاتيا للبلاغة واما فى البديع فمن حيث ان فيه جمعا بين صور متقابلة فى معنى واحد فكان من المحسنات المعنوية ويؤيده ان صاحب المفتاح أورده تارة فى المعانى وأخرى فى البديع وفى عده خلاف مقتضى الظاهر كناية ايماء الى انه من البيان أيضا (قوله ثلاث التفاتات فى ثلاثة أبيات) يجرى مجرى النص على ان فى كل بيت التفاتا فيكون ليلك التفاتا من التكلم الى الخطاب فتعين ان الالتفات عنده مخالفة الظاهر فى التعبير عن الشئ بالعدول عن احدى الطرق الثلاث الى أخرى منها اما تحقيقا واما تقديرا كما اختاره الامام السكاكى ومنهم من اشترط سبق التعبير بالطريق المعدول عنه وحاول تطبيق كلام المصنف عليه فزعم ان الالتفات الاول فى بات من الخطاب الى الغيبة والثانى فى ذلك من الغيبة الى الخطاب والثالث فى جاءنى من الخطاب الى التكلم ورد بان حرف الخطاب جار على أصله من كونه لمن يتلقى عنه الكلام لا أنه خاطب به نفسه ولذلك لم يعد السكاكى فى الابيات الثلاثة أربع التفاتات وربما قيل ان فى جاءنى التفاتين نظرا الى الغيبة والخطاب السابقين وفساده ظاهر ﴿واعلم﴾ ان قوله تطاول ليلك ان حمل على الالتفات لم يكن تجريدا وان عد تجريدا كقوله

* وهل تطيق وداعا أيها الرجل * لم يكن التفاتا لان مبنى التجريد على مغايرة المنتزع للمنتزع منه ليترتب عليه ما قصد به من المبالغة فى الوصف ومدار الالتفات على اتحاد المعنى ليحصل ما أريد به من ايراد المعنى فى صورة أخرى غير ما يستحقه بحسب ظاهره ويؤيد ذلك ما نقله الفاضل اليمنى من ان أبا على وابن جنى وابن الاثير حكموا بان ليلك تجريد وليس بالتفات فمن ادعى ان أحد أقسام التجريد أعنى مخاطبة الانسان نفسه التفات وانه لا منافاة بينهما فقد سها والاثمد بفتح الهمزة وضم الميم اسم الموضع وبكسرهما كذلك على ما نقله رحمه الله تعالى ولا ينافى ذلك كونه اسم الحجر يكتحل به والخلى الخالى من الهم والنازف أعنى له حال من ليلة أخرى اذ لا معنى لتعلقه ببات العائر بمعنى العوار وهو القذى الرطب الذى تلفظه العين عند الوجع وبمعنى الرمد أيضا قال رحمه الله تعالى يطلق العائر على ما به العوار فيحتاج حينئذ الى تقدير أى ذى الجفن

(قال محمود رحمه الله وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات فى ثلاثة أبيات الخ) قال أحمد رحمه الله يعنى أنه ابتدأ بالخطاب ثم التفت الى الغيبة ثم الى التكلم وعلى هذا فهما التفاتان لا غير وانما أراد الزمخشرى والله أعلم انه أتى بثلاثة أساليب خطاب لحاضر وغائب ولنفسه فوهم بقوله ثلاث التفاتات أو نجعل الاخير ملتفتا التفاتين عن الثانى وعن الاول فيكون ثلاثا والامر فيه سهل

وممـا اختص به هذا الموضع أنه لمـا ذكر الحقيق بالحمد وأجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشـأن حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل اياك يامن هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة لانعبد غيرك ولانستعينه ليكون الخطاب أدل على أن العبادة له لذلك التميز الذي لايحق العبادة الابه (فان قلت) لم قرنت الاستعانة بالعبادة (قلت) ليجمع بين مايتقرب به العباد الى ربهم وبين مايطلبونه ويحتاجون اليه من جهته

العاثر والارمد صـفة ذي والنبأ هو خبر قتل أبي الاسود لان القصـيدة مرثيته وقوله ولان الـكلام ظرف مستقر عطف على مثـله أعني على عادة أي وذلك كائن على عادة وكائن لان الـكلام (قوله ومما اختص به) اشارة الى ان الفائدة المختصة به لاتنحصر فيمـا ذكره بل هناك فوائد جـمة وفي المفتاح ان فائدة الالتفات التنبيه على ان القراءة انمـا تكون معتـدا بها اذا كانت صادرة عن قلب حاضر وتأمل وافر بحيث يجـد القارئ من نفسـه في أول قراءته محركا نحو الاقبال على منعـمه الذي أجرى حـمده على لسـانه ثم يزداد قوة ذلك المحرك بحسب اجراء تلك الصـفات العظام حتى اذا آل الامر الى خاتمتها أوجب اقباله علـيـه وخطابه اياه بحصر العبادة والاسـتعانة فيه فتنطبق قراءته على المنزل ومن فوائده الايذان بان الحـمد والثناء ينبغي أن يكون على وجه يوجب ترقي الحامد من حضـيض بعد الحجاب والمغايبة الى ذروة قرب المشاهدة والمخاطبة ومنهـا الاشارة الى ان العبادة المستطابة والاستعانة المستجابة انمـا تكون في مقام الاحسان الذي هو أن تعبد ربك كأنك تراه وتخاطبه (قوله لمـا ذكر الحقيق بالحمد) حاصله انه لو قيل اياه نعبد واياه نستعين كما يقتضيه مساق الـكلام بظاهره لم يكن فيـه دلالة على ان العبادة له والاسـتعانة به لاجـل اتصافه بتلك الصـفات الجراة عليـه وتميزه بها عن غيره لان ذلك الضمير راجع الى ذاته بمقتضى وصفه وليس فيـه ملاحظة لصـفاته وان كان متصـفا بها فالحـكم متعلق بالذات فلا يفهم منه سببه عرفا واذا قيـل اياك بدل اياه فقد نزل الغائب بواسـطة أوصافه المذكورة الموجبـة لتميزه وانكشافه حتى صار كأنه يتبدل خفاء غيبته بجـلاء حضوره منزلة المخاطب في التميـز والظهور ثم أطلق عليـه ماهو موضوع للمخاطب ففي اطلاقه عليـه ملاحظة لاوصافه التي جعلته كالمخاطب فصار الحكم مرتبا على الوصف المناسب بمنزلة أن يقال أيها الموصوف المتميز نعبدك ونسـتعينك فيتبادر منـه في المتعارف ان العبـادة والاسـتعانة لتميزه بتلك الصـفات ونظير اياك ههنا اسم الاشارة في قوله أولئك على هـدى من ربهـم وسـيأتي تقريره ان شاء الله تعالى ومعـنى قوله (فخوطب) أريد بخطابه فقيـل أو تقول هو مجمل عقب بتفصيـله وتقـديم (اياك) في قوله (يامن هذه صفاته نخص) لموافقة المنزل ونخص تصريح بفائدة التقديم فيـه وقوله (لانعبـد غيرك ولانسـتعينه) تأكيد له ولو جعـل تقديم اياك في هذه العبـارة للتخصـيص أفادنا نخصك ولا نخص غيرك وهو فاسد من وجهين الاول ان هذه ليس معنى اياك نعبـد الثاني انه لايوافقـه قوله لانعبـد غيرك ﴿فان قلت﴾ (قوله ليكون الخطاب أدل) تصريح بان الغيبـة لهـا دلالة على ذلك وماقـدرناه من وجـه الدلالة ينافي دلالتها ﴿قلت﴾ ضمير الغائب بجريانه على أصـله ورجوعه على الذات ليس فيـه مايقتضي فهم الصـفات لكن لتقـدم ذكرها ربمـا يفهم معه لا به وهذا القدر كاف لاشعاره بالعلية في الجـملة ولمـا كان صـفاته تعـالى عين ذاته أو مستندة اليها وحـدها وكانت أفعاله متفرعة عن صفاته الذاتيـة كان استحقاقه العبادة لصـفاته وأفعاله راجعـا الى الاستحقاق الذاتي (قوله لم قرنت الاستعانة بالعبادة) أراد لاي مناسبة وتعلق جمع بينهما فاجاب بان العبادة أمر يتقرب به العباد الى ربهم والاسـتعانة طلب مايحتاجون اليـه من جهته أي من جهـة الرب وهو اعانته اياهم في حوائجهم ومهماتهم ولا يخفى ان تقربهـم اليه وطلبهم منـه المعونة في مهماتهـم متناسبان غاية التناسب فقرن أحدهمـا بالآخر فالوجه في تفريـع السؤال حينئذ ان العبادة لمـا كانت تقربهم الى مولاهم بأفعالهم والاسـتعانة طلب الفـعل المولى كان تقديمها على العبادة أولى

(فان قلت) لم قدمت العبادة على الاستعانة (قلت) لان تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الاجابة اليها (فان قلت) لم أطلقت الاستعانة (قلت) ليتناول كل مستعان فيه والاحسن أن زاد الاستعانة به وبتوفيقه على أداء العبادة ويكون قوله اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة كأنه قيل كيف أعينكم فقالوا اهدنا الصراط المستقيم وانما كان أحسن لتلاؤم الكلام وأخذ بعضه بحجزة بعض

لم قدمت عليها والجواب ان الاستعانة طلب الحاجة والعبادة وسيلة اليها فقدم الوسيلة على مجرى العادة ليستحقوا الاجابة وقيل الضمير في قوله من جهته راجع الى ما يتقرب به على معنى ان الاعانة تطلب ويحتاج اليها من جهة العبادة ولاجل تحصيلها فيظهر على هذا التقدير تفريع السؤال لان طلب ما يحتاج اليه في حصول العبادة ينبغي ان يقدم عليها وبطلانه من وجوه الاول ان قوله ليتناول كل مستعان فيه ينافيه الثاني انه يجعل هذا الوجه راجعا الى الاحسن الذي سيذكره وقد جعله المصنف مقابلا له الثالث ان الجواب لا يطابقه فان العبادة حينئذ مقصودة بذاتها والاعانة وسيلة اليها على عكس ما ذكره في الجواب فينبغي حينئذ ان يجاب بان الاعانة مطلوبة لتكميل العبادة بازديادها أو بثباتها يدل على ذلك جعل اهدنا بيانا لها وطلب ما يزداد به الشئ أو يستمر متأخر عنه ولو جعلت الاعانة مطلوبة لتحصيل العبادة ابتداء وأجيب على هذا التقدير بان تقديم المقصود على طلب وسيلة تحصيله للاهتمام لكان له وجه وجيه واختار الفاضل اليمني ان الضمير للرب كما هو الحق لكنه وجه التفريع بان الاستعانة لما كانت شاملة لكل مستعان فيه دخلت فيه الاستعانة على العبادات دخولا أوليا فكانت الاعانة أمرا مطلوبا محتاجا اليه في أداء العبادات كما في سائر المهمات فالاولى ان يقدم طلبها على العبادة وفيه نظر لان الحكم بتناول الاستعانة كل مستعان متأخر عن هذا السؤال فكيف يبتني تفريعه عليه وأيضا اذا كانت الاعانة على تحصيل العبادة أو تكميلها داخلة في المطلوب لم تكن العبادة وسيلة اليه مطلقا بل هي مقصودة بالقياس الى بعضه وهو الاعانة على العبادة تحصيلا أو تكميلا ووسيلة الى بعضه وهو الاعانة فيما عداها وذلك خلاف المفهوم من قوله لان تقديم الوسيلة الخ ﴿لا يقال﴾ العبادة متعددة أنواعا وأشخاصا فجاز ان يكون بعضها وسيلة الى الاعانة على بعض ﴿لانا نقول﴾ لا اختصاص لقوله نعبد ونستعين ببعض العبادات دون بعض بل هما مطلقان بنسبتهما الى الكل على السوية والذي يلوح من كلامه انه أراد بالمهمات في قوله وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات ما لا يتناوله غاية الخضوع أي العبادة فانه المتبادر من العبارة والمناسب للعرف العام وحينئذ يستقيم تفريع السؤال كما وجهنا أولا ويظهر صحة الجواب مطلقا ويراد باطلاق الاستعانة تناولها لكل مستعان فيه من تلك المهمات (قوله لم أطلقت) أي لم ترك تقييدها بما تقتضيه من المفعول بواسطة حرف الجر أجاب بان حذف المفعول لافادة العموم بناء على ان الحمل على بعض دون بعض ترجيح بلا مرجح وهكذا معنى قوله وأطلق الانعام ليشمل كل انعام فالعموم مستفاد من الاطلاق بمعونة المقام فمن شنع عليه بانه لم يفرق بين المطلق والعام فقد تخلف بمراحل عن ادراك المرام (قوله كل مستعان فيه) أي يستعان عليه يقال أعانه على كذا وأعانه في كذا ومحصولهما واحد (قوله والاحسن الخ) عطف بحسب المعنى على جميع ما سبق من كلامه الدال على أن الاستعانة متعلقة بالمهمات وعامة فيها كأنه قال هي مطلقة في المهمات غير مقيدة بالعبادة والاحسن انها مقيدة بها وانما أطلقت وحذف مفعولها لفظا لمجرد الاختصار مع وجود القرينة الدالة على تقييدها بالعبادة وهو اقترانها بها وظهور احتياجها الى الاعانة عليها (به وبتوفيقه) من باب أعجبني زيد وكرمه (قوله لتلاؤم الكلام) أي لتناسب الجمل الواقعة فيه وانتظام بعضها مع بعض حيث دل اياك نستعين على طلب الاعانة على العبادة فصار اهدنا بيانا للاعانة المطلوبة فانتظمت الجمل الثلاث انتظاما تاما لمزيد ارتباط بينها وربما يقال اياك نعبد بيان للحمد أو استئناف نشأ من اجراء الاوصاف على المحمود فكانت الجمل الاربع التي في الفاتحة

(قال محمود رحمه الله فان قلت لم قدمت العبادة على الاستعانة الخ) قال أحمد رحمه الله معتقد أهل السنة ان العبد لا يستوجب على ربه بجزاء تعالى الله عن ذلك والثواب عندنا من الاعانة في الدنيا على العبادة ومن صنوف النعيم في الآخرة ليس بواجب على الله تعالى بل فضل منه واحسان في الحديث انه عليه الصلاة والسلام قال لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله برحمته مضافا الى دليل العقل المحيل ان يجب على الله تعالى شئ لكن كما قام الدليل عقلا وشرعا على أنه تعالى لا يجب عليه شئ فقد قام عقلا وشرعا على ان خبره تعالى صدق ووعده حق أي يجب عقلا أن يقع فاما أن يكون الزمخشري تسامح في اطلاق الاستيجاب وأراد وجوب صدق الخبر واما أن يكون أخرجه على قواعد البدعية في اعتقاد وجوب الخير على الله تعالى وان لم يكن وعد

وقرأ ابن حبيش نستعين بكسر النون ❊ هدى أصله أن يتعدى باللام أو بالى كقوله تعالى ان هذا القرآن
يهدى للتى هى أقوم وانك لتهدى الى صراط مستقيم فعومل معاملة اختار فى قوله تعالى واختار موسى
قومه ومعنى طلب الهداية وهم مهتدون طلب زيادة الهدى بمنح الالطاف كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم
هدى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وعن على وأبى رضى الله عنهما اهدنا ثبتنا وصيغة الامر والدعاء
واحدة لان كل واحد منهما طلب وانما يتفاوتان فى الرتبة وقرأ عبد الله أرشدنا (السراط) الجادة من سرط
الشئ اذا ابتلعه لانه يسترط السابلة اذا سلكوه كما سمى لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا

متلاصقة متلاحقة والاخذ بالحجزة وهى معقد الازار وموضع التكة من السراويل عبارة عن شدة
الاتصال واذا جعلت الاستعانة عامة لم يكن اهدنا بيانا للمعونة المطلوبة ولا المعونة مخصوصة بالعبادة فلم يكن
الاتصال بين الجمل بتلك المثابة (قوله هدى أصله ان يتعدى) فيه اشعار بان لافرق بين المتعدى بنفسه والمتعدى
بالحرف لكنه فرق بان هداه لكذا والى كذا انما يقال اذا لم يكن فى ذلك فيصل بالهداية اليه وهداه كذا لمن
يكون فيه فيزداد او يثبت ولمن لايكون فيصل وقد يقال لانزاع فى الاستعمالات الثلاثة ومنهم من فرق بان
ماتعدى بنفسه معناه الاتصال الى المطلوب ولا يكون الا فعل الله فلا يسند الا اليه كقوله تعالى لنهدينهم سبلنا
وما تعدى بالحروف معناه الدلالة الى ما يوصل الى المطلوب فيسند تارة الى القرآن كقوله يهدى للتى هى
أقوم وتارة الى النبى صلى الله عليه وآله وانك لتهدى الى صراط مستقيم (قوله ومعنى طلب الهداية) أى طلبهم
الهداية فاعل المصدر محذوف وقوله وهم مهتدون حال منه وتقرير الاشكال ان من خص الحمد بالله تعالى
وأجرى عليه تلك الصفات المشتملة على أحوال المبدا والمعاد وما بينهما وحصر العبادة والاستعانة فيه كان
مهتديا فكيف يطلب الهداية وما هو الا طلب لتحصيل الحاصل والجواب ان الحاصل أصل الاهتداء
والمطلوب زيادته أو الثبات عليه ﴿فان قلت﴾ المؤمنون وان كانوا مهتدين فى اعتقادهم وعباداتهم الا ان
عباداتهم ليست مقصودة بذاتها بل هى وسيلة الى مطالبهم الحقيقية التى هى السعادات الابدية ولما لم
تكن كافية فى حصول تلك المطالب بل لابد معها من الاستعانة بهداية الله اليها قالوا اهدنا الصراط المستقيم
طلبا للهداية اليها فلا حاجة الى شئ من التأويلين ﴿قلت﴾ لما حمل المصنف الصراط المستقيم على ملة
الاسلام احتاج الى أحدهما على ان طلب الهداية الى تلك المطالب راجع الى طلب زيادة الهدى فان حمل
الهدى على التثبت كان مجازا ولو حمل على زيادته فان جعل مفهوم الزيادة داخلا فى المعنى المستعمل فيه كان
مجازا أيضا وان جعل خارجا عنه مدلولا عليه بالقرائن كان حقيقة لان الهداية الزائدة هداية وما ذكره
فى قوله يا أيها الناس اعبدوا ربكم من ان الازدياد من العبادة عبادة فلا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز فبنى على
هذا الوجه الاخير (قوله بمنح الالطاف) وهى المصالح التى عندها يطيع المكلف أو تكون أقرب الى
الطاعة ولا تفضى الى الالجاء والقسر رد على من قال هداية الله لعباده ايجاده الاهتداء فيهم وأريد ههنا
ايجاد زيادته أو الثبات عليه (قوله زادهم هدى) استشهاد معنوى حيث صرح فيه بزيادة الهدى بعد اثبات
الاهتداء (قوله لنهدينهم سبلنا) نظير لاهدنا فانه لما أثبت لهم المجاهدة بصيغة الماضى وجعل ضمير الذات
ظرفها مبالغة فى اخلاصهم دل على ثبوت الهداية فحمل على الزيادة وكما أيد الوجه الاول بنظائر الآية أشار
الى تأييد الثانى بالنقل عن الصحابة (قوله لان كل واحد منهما طلب وانما يتفاوتان فى الرتبة) اشارة الى ان
تلك الصيغة موضوعة لطلب الفعل مطلقا لكنه من الاعلى أمر ومن الادنى دعاء ومن المساوى التماس
واللفظ فى الاحوال كلها مستعمل فى معناه الحقيقى واعتبر أبو الحسين فى الامر الاستعلاء وفى الدعاء
التضرع وفى الالتماس عدمهما وهو أولى (قوله وقرأ عبد الله) هو اذا أطلق أريد به ابن مسعود كما ان الحسن
اذا أطلق أريد به الحسن البصرى (قوله لانه يسترط السابلة) أى يبتلعهم والسابلة أبناء السبيل المختلفة
فى الطرقات قال الراغب سمى بالصراط بناء على توهم انه يبتلع سالكه أو يبتلعه سالكه يقال أكلته المفازة

اهدنا الصراط المستقيم

صراط الذين أنعمت عليهم

لاجل الطاء كقوله مصيطر في مسيطر وقد تشم الصاد صوت الزاى وقرئ بهن جميعا وفصحاهن اخلاص الصاد وهى لغة قريش وهى الثابتة فى الامام ويجمع سرط نحو كتاب وكتب ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل والمراد به طريق الحق وهو ملة الاسلام (صراط الذين أنعمت عليهم) بدل من الصراط المستقيم وهو فى حكم تكرير العامل كأنه قيل اهدنا الصراط المستقيم اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم كما قال للذين استضعفوا لمن آمن منهم (فان قلت) مافائدة البدل وهلا قيل اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم (قلت) فائدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير والاشعار بأن الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على أبلغ وجه وآكده كما تقول هل أدلك على أكرم الناس وأفضلهم فلان فيكون ذلك أبلغ فى وصفه بالكرم والفضل من قولك هل أدلك على فلان الاكرم الافضل لانك ثنيت ذكره مجملا أولا ومفصلا ثانيا وأوقعت فلانا تفسيرا وايضاحا للاكرم الافضل فجعلته علما فى الكرم والفضل فكأنك قلت من أراد رجلا جامعا للخصلتين فعليه بفلان فهو المشخص المعين لاجتماعهما فيه غير مدافع ولا منازع

اذا أضمرته أو أهلكته وأكل المفازة اذا قطعها ولذلك يسمى باللقم لانه يلتقمهم أو يلتقمونه (قوله لاجل الطاء) فانها مجهورة مستعلية والسين مهموسة منخفضة واجتماعهما لا يخلو عن ثقل فابدلت صادا لانها تناسب الطاء فى الاستعلاء والسين فى الهمس وقد تشم الصاد صوت الزاى لتكتسى بذلك نوع جهر فيزيد قربها من الطاء (قوله كما قال الذين استضعفوا) استدل بتكرير العامل أعنى اللام ههنا لفظا على ان البدل فى حكم التكرير واعترض عليه بجواز أن يكون مجموع الجار والمجرور بدلا عن جميع الجار والمجرور فلا تكرير للعامل حينئذ لانه الفعل حينئذ وأجيب بان ابدال المفرد من المفرد أكثر فكان أولى ورد بان الحمل عليه مستلزم تكرير العامل لفظا وهو أقل قليل بل جميع صوره متنازعة فيه ونحن نقول لما اعتبر فى البدل أن يكون مقصودا بالنسبة وقد علم ان حروف الجر أدوات لافضاء معانى الافعال الى ما بعدها تبين ان اللام ليست جزأ من المنسوب اليه فلا تكون جزأ من البدل (قوله مافائدة البدل وهلا قيل) هذا سؤال واحد أى مافائدة جعل صراط الذين أنعمت عليهم بدلا وتابعا وهلا ذكر استقلالا واصالة مع انه المقصود حقيقة والجواب ان له فائدتين احداهما التأكيد بذكر الصراط مرتين وتكرير العامل وبالتكرير يمتاز عن التأكيد وعطف البيان على المختار وبكونه مقصودا بالنسبة يمتاز عنهما مطلقا والثانية الايضاح بتفسير المبهم بقوله (والاشعار) بالرفع عطف على التأكيد وقد روى مجرورا بخط المصنف فالفائدة على هذا هى التأكيد من الوجوه الثلاثة فان ذكر الشئ مبهما وتفسيره يفيد تقريره وتأكيده (قوله ليكون ذلك شهادة) متعلق بالتأكيد والاشعار معا أى أكد بوجوه وأشعر بكذا ليكون الكلام المشتمل عليها شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على وجه أبلغ وآكد من ان يوصف صراطهم بالاستقامة اما أولا فبتثنية ذكره ليتمكن المشهود له فى ذهن السامع وأشار اليه فى المثال بقوله لانك ثنيت ذكره وذلك لان المراد بأكرم الناس وأفضلهم هو الذات كما أريدت بفلان واما الاكرم والافضل التابعان لفلان فاريد بهما مفهومهما لا الذات واما ثانيا فبالتفصيل بعد الاجمال فانه أوقع فى البيان وأقوى فى الشهادة وأشار اليه بقوله (مجملا أولا ومفصلا ثانيا) وتقدير الكلام ثنيت ذكره فذكرته أولا مجملا وثانيا مفصلا واما ثالثا فلتكرير العامل تقديرا وله مع افادة تأكيد النسبة فائدة أخرى تقوى أركان الشهادة المذكورة وقد فصلها بقوله وأوقعت فلانا الى آخر الكلام يعنى وأوقعته تفسيرا وايضاحا مع قصد تكرير العامل كما مر فان جعله علما وكونه مشخصا معينا لما ذكر انما يترتب على تقدير العامل المؤذن باستئناف القصد كأنه قيل هل أدلك على زيد فينبغى أن يكون علما فى الكرم والفضل فى ذلك (غير مدافع ولا منازع) ليكون أوفى بتأدية ماهو المقصود أعنى كونه أكرم وأفضل فيستحق ان يستأنف القصد اليه وقد يتوهم من ظاهر عبارته ان

غير المغضوب عليهم ولا الضالين

والذين أنعمت عليهم هم المؤمنون وأطلق الانعام ليشمل كل انعام لان من أنعم الله عليه بنعمة الاسلام لم تبق نعمة الا أصابته واشتملت عليه وعن ابن عباس هم أصحاب موسى قبل أن يغيروا وقيل هم الانبياء وقرأ ابن مسعود صراط من أنعمت عليهم (غير المغضوب عليهم) بدل من الذين أنعمت عليهم على معنى أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال أو صفة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة من غضب الله والضلال (فان قلت) كيف صح أن يقع غير صفة للمعرفة وهو لا يتعرف وان أضيف الى المعارف (قلت) الذين أنعمت عليهم لا توقيت فيه كقوله

* ولقد أمر على اللئيم يسبني *

قوله ليكون متعلقا بالاشعار وحده ووجوه الابلغية راجعا الى كونه بيانا وتفسيرا فيلزم ان يشاركه فيه عطف البيان مع ان اقتضاءه تعيين فلان وتشخيصه بلا مدافعة لا يخلو عن منازعة وقوله غير مدافع نصب على الحال اما من الضمير المجرور في الظرف واما من المرفوع المستكن في المعين (قوله وأطلق الانعام) أي لم يقيده بمفعوله الذي يتعدى اليه بالباء ليستغرق بمعونة المقام كل انعام بنعمه ولما كان هذا الشمول ادعائيا قال (لان من أنعم الله عليه الخ) فان نعمة الاسلام لاشتمالها على سعادة النشأتين فهي النعمة كل النعمة فمن فاز بها فقد أنعم الله عليه بالنعم (قوله على معنى ان المنعم عليهم) أي اذا جعل غير المغضوب عليهم بدلا أريد بالثاني أيضا الذات مع قصد تكرير العامل وتفسير المبهم فيوجد فيه ثلاث المبالغات فالبدل في الآية أوقع من الصفة قال رحمه الله قوله هم الذين سلموا نظير قوله فهو المشخص المعين (قوله على معنى انهم جمعوا) لان النعمة المطلقة أثبتت لهم بطريق الصلة والسلامة بطريق الصفة ويفهم من ذلك انهم جمعوا بينهما وقوله وهي نعمة الايمان مع قوله سابقا بنعمة الاسلام يدل على ان الايمان متحد بالاسلام ومشتمل على الاعمال كما هو مذهب الاعتزال وحينئذ كان الوصف بالسلامة عن الغضب والضلال بعد اثبات الايمان تأكيدا لا تقييدا اللهم الا اذا حمل الايمان على مجرد التصديق اما وحده أو مع الاقرار كما ذهب اليه غيره (قوله لا توقيت فيه) أي لا تعيين يقال وقت اذا حدد وعين فان تعيين الحوادث بالاوقات أي لم يرد بالذين أنعمت عليهم قوم باعيانهم فان الموصول في حكم المعرف باللام فاذا أريد به الجنس من حيث وجوده في ضمن بعض افراده لا بعينه كان في المعنى كالنكرة وهو المسمى بالمعهود الذهني فتارة ينظر الى معناه فيعامل معاملة النكرة كالوصف بالنكرة وبالجملة وأخرى الى لفظه فيوصف بالمعرفة ويجعل مبتدأ وذا حال ﴿فان قلت﴾ ذكر أولا انهم المؤمنون مطلقا ثم نقل انهم أصحاب موسى صلى الله عليه وسلم قبل تحريف التوراة وتغيير أحكامها أو الانبياء فهو على الاخيرين عهد خارجي تقديري فيكون معينا وعلى الاول مستغرق الكل وهو أيضا أمر معين لا تعدد فيه أصلا فليس هناك معنى لا توقيت فيه ﴿قلت﴾ يحتمل أن يريد بالمؤمنين طائفة منهم لا باعيانهم فاذا حمل على الاستغراق كما هو الظاهر من السياق تعين انطباق الجواب بوجه رابع وهو العهد الذهني كما يدل تشبيهه بقول الشاعر وقيل الكل لكثرته لا يحيط العلم بحصره فاشبه المنكر فعومل معاملته وهذا مع انه احداث قول بلا ثبت في الاستعمال يدفعه ذلك التشبيه دفعا ظاهرا (قوله على اللئيم) لم يرد الكل اذ لا مرور عليه ولا فردا معينا اذ لا دلالة عليه ولقصوره عن افادة ما هو المقصود من وصفه بكمال الحلم وقوة الاناة ولا الماهية من حيث هي اذ لا يناسبها المرور بل هي باعتبار وجودها في ضمن فرد لا بعينه أي على لئيم والجملة صفة لا حال منه فان المعنى ليس على تقييد المرور بحال السب بل على ان له مرورا مستمرا في أوقات متعاقبة على لئيم من اللئام اتخذ سبه دأبا ومع ذلك يعرض عنه صفحا فانه أدل على اغضائه عن السفهاء واعراضه عن الجاهلين وتمامه فمضيت ثمت قلت لا يعنيني * أي فأمضي ثم أقول على قصد الاستمرار كما في قوله ولقد أمر وانما عدل الى صيغة الماضي تحقيقا لاتصافه بالحلم والاغضاء وثمت حرف عطف لحقتها التاء قيل وذلك مخصوص بعطف الجمل

(قال محمود رحمه الله وأطلق الانعام ليشمل كل انعام) قال أحمد رحمه الله ان اطلاق الانعام يفيد الشمول كقوله ان اطلاق الاستعانة يتناول كل مستعان فيه وليس بعلم فان الفعل لا عموم لمصدره والتحقيق ان الاطلاق انما يقتضي ابهاما وشيوعا والنفس الى المبهم أشوق منها الى المقيد لتعلق الامل مع الابهام لكل نعمة تخطر بالبال

ولان المغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم عليهم فليس فى غير اذن الابهام الذى يأبى عليه أن يتعرف وقرئ بالنصب على الحال وهى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب وروىت عن ابن كثير وذو الحال الضمير فى عليهم والعامل أنعمت وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لقوله عز وجل من لعنه الله وغضب عليه والضالون هم النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل (فان قلت) ما معنى غضب الله (قلت) هو ارادة الانتقام من العصاة وانزال العقوبة بهم وأن يفعل بهم ما يفعله الملك اذا غضب على من تحت يده نعوذ بالله من غضبه ونسأله رضاه ورحمته

ومعنى ثم التراخى فى الرتبة أى قضيت لم اشتغل بمكافأته وترقيت الى مرتبة أعلى وقلت لا يعنينى بالسب فكأنه نسى نفسه تلك الحالة وتصورها بصورة أخرى تكرما وذلك غاية التؤدة والوقار والتباعد عن لحوق العار (قوله ولان المغضوب عليهم) عطف بحسب المعنى على ما تقدم أى صح ذلك لان الذين أنعمت عليهم لا توقيت فيه ولان المغضوب عليهم أجاب أولا بان الموصوف نكرة معنى وثانيا بان الصفة معرفة فعلى الاول يجب أن يحمل المغضوب عليهم والضالين على اليهود والنصارى كما سينقله ليبقى غير على ابهامه نكرة مثل موصوفه فيظهر التشبيه باللئيم وعلى الثانى يجب أن يحمل على مطلق المغضوب عليهم والضالين ليكون المضاف مشتهرا بمغايرة المضاف اليه فيتعرف غير ويكون الموصوف حينئذ محمولا على الوجوه الثلاثة المذكورة أولا فيتوافقان تعريفا لفظا ومعنى ويجاز أيضا ان يراد بالموصوف ما لا توقيت فيه على ماض ويوصف بالمعرفة نظرا الى لفظه وبعض المتصلفين بكشفه عن أسرار الكتاب طرا واحاطته بما فيه خبرا تحير فى تحقيق هذا المقام فتشبث بأذيال الجدال قائلا ان حاصل الجواب انا لا نسلم ان الموصوف معرفة ولو سلم فلا نسلم ان الصفة نكرة فما قيل من ان المضاف اذا كان مما اشتهر بمغايرة المضاف اليه كان معرفة قطعا فلا يكون كقوله على اللئيم يسبنى خارج عن قانون التوجيه ﴿نعم﴾ يتجه ان الموصول ههنا لم يرد به بعض مبهم ليصح وصفه بالنكرة كاللئيم بل أريد به العموم وأنت خبير بان افساده لكلام المصنف بما سطه أكثر من اصلاحه اياه بما دفعه وقد حققناه بما لا غبار عليه هذا وأما اذا قرئ غير بالنصب على الحال فلا بد أن يكون نكرة كما أشرنا اليه وجعله بمعنى مغايرا لتكون اضافته لفظية كما يشهد له ادخال اللام عليه فى عبارة كثير من العلماء مما لا يرتضيه الادباء ولم ترد شهادة فى كلام يستشهد به (قوله وهى قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله) أى عادته قبل العرضة الاخيرة والا فكل القرآن قراءته وقيل كل واحدة من السبع المتواترة تنسب الى واحد من الائمة لاشتهاره بها وتفرده فيها باحكام خاصة فى الاداء وأما غيرها فاذا ظهر فيها أمر الرواية ولم يشتهر بها أحد تنسب الى النبى صلى الله عليه وآله ولا يلزم من ذلك اعتياده بها وهذا أولى (قوله وذو الحال الضمير فى عليهم والعامل) فى الحال هو (أنعمت) ﴿لا يقال﴾ فقد اختلف العامل فى الحال وذى الحال لان العامل فى الاول هو الفعل وفى الثانى هو الجار ﴿لانا نقول﴾ العامل فيهما هو الفعل لان حرف الجر أداة توصل معنى الفعل الى مجروره والمجرور ههنا وحده منصوب المحل بالفعل وبهذا الاعتبار وقع ذا الحال وهكذا نقول المرفوع المحل فى عليهم الثانية هو المجرور لا مجموع الجار والمجرور ليرد الاشكال بان المجموع ليس باسم والاسناد اليه من خواصه والقول بأن الجار والمجرور فى محل النصب أو الرفع مساهلة فى العبارة اتكالا على ما تقرر من القواعد ﴿فان قلت﴾ محل المستقر متعلق بمجموعه الواقع موقع عامله فان الواقع خبرا هو مجموع فى الدار لا الدار وحدها ﴿قلت﴾ لا نزاع فى ذلك لوقوع مجموعه موقع عامله الذى هو حاصل انما الكلام فى النصب أو فى الرفع الذى أوجبه معنى الفعل الذى أوصله حرف الجر الى ما بعده كالنصب اللازم من تعلق الحصول بالدار بواسطة الجار والرفع الذى اقتضاه تعلق المغضوب بواسطة على فانهما للمجرور وحده (قوله هو ارادة الانتقام) لما امتنع وصفه تعالى بحقيقة الغضب كما فى الرحمة لانها من الاعراض النفسانية المستحيلة عليه سبحانه وجب صرف الكلام عن ظاهره وذلك من وجوه

(قال محمود رحمه الله ومعنى الغضب من الله تعالى ارادة الانتقام الخ) قال أحمد رحمه الله أدرج فى هذا ما يقتضى عنده وجوب وعيد العصاة وليس مذهب أهل السنة بل الامر عندهم فى المؤمن العاصى موكول الى المشيئة فمنهم من أراد الله تعالى عقوبته والانتقام منه فيقع ذلك لا محالة ومنهم من أراد العفو عنه واثابته فضلا منه تعالى على ان المغضوب عليهم والضالين واقمان على الكفار ووعيدهم واقع لا محالة ومراد والله الموفق * أقول قول الزمخشرى رحمه الله الغضب من الله تعالى ارادة الانتقام من العصاة الخ لا يدل على ما فسره فان وجوب وعيد العصاة لا يعلم منه والغضب من الله عند أهل السنة والمعتزلة عبارة عما ذكره الزمخشرى رحمه الله الا أن عند أهل السنة ان الله تعالى ان شاء عذب صاحب الكبيرة وان شاء غفر له وعند المعتزلة وجوب عذابه فعند المعتزلة ظاهر ان الغضب عبارة عن ارادة الانتقام وعند

(فان قلت) أى فرق بين عليهم الاولى وعليهم الثانية (قلت) الاولى محلها النصب على المفعولية والثانية محلها الرفع على الفاعلية (فان قلت) لم دخلت لا فى ولا الضالين (قلت) لما فى غير من معنى النفى كأنه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين وتقول أنا زيدا غير ضارب مع امتناع قولك أنا زيدا مثل ضارب لانه بمنزلة قولك أنا زيدا لا ضارب وعن عمر وعلى رضى الله عنهما أنهما قرآ وغير الضالين وقرأ أيوب السختيانى ولا الضألين بالهمز كما قرأ عمرو بن عبيد ولا جأن

الاول ان يجعل الرحمة مجازا عن ارادة الانعام والغضب عن ارادة الانتقام من باب اطلاق السبب على مسببه القريب الثانى ان يجعلا مجازين عن الانعام والانتقام اطلاقا لاسم السبب على المسبب البعيد فانهما مسببان عن الارادة المسببة عنهما الثالث ان يحمل الكلام على الاستعارة التمثيلية والمصنف اختار فى الرحمة الوجه الثانى حيث قال هو مجاز عن انعامه وبين العلاقة السببية بقوله لان الملك اذا عطف على رعيته ورق لهم اصابهم بمعروفه وانعامه وأشار فى الغضب الى التمثيل وهو ان يشبه حال الله تعالى مع العصاة فى عصيانهم اياه وارادته الانتقام منهم وانزال العقوبة بهم بحال الملك اذا غضب على من عصاه وأراد أن ينتقم منهم وانزال العقوبة بهم ويشهد لقصد التمثيل انه أشار الى علاقة المشابهة حيث قال وان يفعل بهم ما يفعله الملك أى مثل ما يفعله الملك اذا غضب على من تحت يده واعتبر التركيب فقال هو ارادة الانتقام وانزال العقوبة برفع اللام كما فى النسخ المعول عليها فيكون قوله وان يفعل مرفوع المحل أيضا ويعلم من جريان التمثيل ههنا جريانه فى الرحمة كما يعلم من جعلها مجازا عن الانعام جواز كون الغضب مجازا عن الانتقام ومن زعم ان اللام مجرورة وان المصنف جعل الغضب مجازا عن الارادة دون الانتقام مع جعله الرحمة مجازا عن الانعام دون ارادته اشارة الى سبق رحمته على غضبه كما مر تقريره فقد خالف تلك النسخ ولزمه ان لا يكون لقوله وانزال العقوبة بهم فائدة اذ ليس فى الانتقام اشتباه ليعطف عليه ما يفسره وان يكون التعرض للتشبيه مستدركا بل الواجب حينئذ أن يقول ان الملك اذا غضب على من تحت يده أراد أن ينتقم منهم على ان تلك النكتة تخييلية لا تحقيقية فان ارادة الله تعالى اذا تعلقت بافعاله افضت اليها اتفاقا والظاهر ان المصنف لم يلتفت فى شئ منهما الى المجاز عن الارادة لان الوصف بالانعام والانتقام أقوى فى الترغيب والترهيب من الوصف بارادتهما قال ابن جنى لما ذكر النعمة صرح بالخطاب تقربا بذكر نعمته واسنادها اليه ولما ذكر الغضب زوى عنه اسناده بادئا أى أنت ولى الانعام وهو الفائض من جنابك وهؤلاء يستحقون أن يغضب عليهم (قوله محلها الرفع على الفاعلية) مفعول ما لم يسم فاعله فاعل عنده وهو مذهب عبد القاهر وقدماء البصرة قال أبو البقاء لا ضمير فى المغضوب عليهم لقيام الجار والمجرور مقام الفاعل ولذلك لم يجمع كما جمع ولا الضالين (قوله لم دخلت) يعنى لا المسماة بالمزيدة عند البصريين مع انها انما تقع بعد الواو العاطفة فى سياق النفى للتأكيد والتصريح بتعلق النفى بكل من المعطوف والمعطوف عليه كيلا يتوهم ان المنفى هو المجموع من حيث هو مجموع فيجوز حينئذ ثبوت أحدهما وليس ههنا نفى ليصح دخول لا فالسؤال عن وجه الصحة كما يدل عليه جوابه لا عن الفائدة كما توهمه اللام كانه قال لاى سبب ومصحح دخلت لا والجواب ان كلمة غير تتضمن معنى النفى فجاز وقوع لا فى سياقها ﴿فان قلت﴾ كلمة لا فى قوله لا المغضوب عليهم ليست عاطفة اذ لم يرد اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم لا صراط المغضوب عليهم بل أريد وصف المنعم عليهم بمغايرة المغضوب عليهم فلا وجه لها سوى ان يكون بمعنى غير فلا فائدة حينئذ لتبديل غير بها فى تصوير معنى النفى وتحقيقه ﴿قلت﴾ لفظة لا فى أصلها موضوعة للنفى واشتهرت بهذا المعنى كأنها علم له فهى وان جعلت بمعنى غير أظهر دلالة على النفى وأرسخ قدما فيه (قوله وتقول أنا زيدا غير ضارب) استدلال على ان غيرا فى حكم لا حيث جوز فيه تقديم معمول ما أضيف اليه بناء على انه بمنزلة لا فكأنه لا اضافة ههنا ولم يجوز ذلك فى مثل لان الاضافة فيه ليست فى حكم العدم واذا منعت من تقديم المضاف اليه على المضاف

أهل السنة ان غفر له فلا غضب وان لم يغفر له فغضبه عبارة عما ذكره

وهذه لغة من جدّ فى الهرب من التقاء الساكنين ومنها ما حكاه أبو زيد من قولهم شابّة ودابّة (آمين) صوت سمي به الفعل الذى هو استجب كما أن رويد وحيهل وهلم أصوات سميت بها الافعال التى هى أمهل وأسرع وأقبل وعن ابن عباس سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين فقال افعل وفيه لغتان مدّ ألفه

كانت التقديم معموله على المضاف أمنع فان المعمول لا يقع الا حيث يصح ان يقع عامله فيه وتلخيص الكلام ان غير اوضعت للمغايرة وهى مستلزمة للنفى فتارة يراد بها اثبات المغايرة كما فى الآية فتكون اثباتا فى حكم النفى لتضمنه اياه فيجوز تأكيده بلا وأخرى يراد بها النفى كقولك أنا غير ضارب زيدا أى لست ضاربا له لا انى مغاير لشخص ضارب له فيكون نفيا صريحا والاضافة بمنزلة العدم فى المعنى فيجوز تقديم المعمول أيضا ولذلك قال فى الاول كانه قيل لا المغضوب عليهم وفى الثانى لانه بمنزلة قولك أنا زيدا لا ضارب ﴿فان قيل﴾ صرح السخاوى بان لا فى مثل قولك أنا الا ضارب زيدا اسم بمعنى غير الا أنه لما كان على صورة الحرف أجرى اعرابه على ما بعده كما فى الا تقول جئت بلا شئ ورأيت لا راكبا قال الله تعالى لا فارض ولا بكر ولا بارد ولا كريم فوجب أن يمتنع تقديم المعمول فيه أيضا ﴿أجيب﴾ أولا بمنع الاسمية وثانيا بجواز التقديم نظرا الى صورة الحرفية المقتضية لانتفاء الاضافة المانعة من التقديم ﴿لا يقال﴾ هناك مانع آخر وهو ان ما فى حيز النفى يمتنع ان يتقدم عليه ﴿لانا نقول﴾ انما يمتنع ذلك اذا كان النفى بما أو ان فانهما لما دخلا على الاسم والفعل أشبها الاستفهام فلم يجز تقديم ما فى حيزهما عليهما بخلاف لم ولن فانهما اختصا بالفعل وعملا فيه وصارا كالجزء منه فجاز ان يعمل ما بعدهما فيما قبلهما واما كلمة لا فانما جاز التقديم معها وان دخلت على القبيلين لانها حرف يتصرف فيها حيث عمل ما قبلها فيما بعدها كقولك جئت بلا شئ وأريد ان لا تخرج فجاز أيضا اعمال ما بعدها فيما قبلها بخلاف ما اذ لا يتخطاها العامل أصلا والكوفيون جوزوا تقديم ما فى حيزها اياها قياسا على اخواتها (قوله لغة من جد فى الهرب) حيث هرب من التقاء الساكنين على حده مع كونه مغتفرا ومن لغته التقرفى الوقف على النقر (قوله آمين صوت) أى لفظ انما اختاره اما لقرب اسماء الافعال من الاصوات ولذلك جمعهما فى المفصل فى فصل واحد واما لانهم يعبرون عن أسماء لا يعرف لها تصرف واشتقاق بالصوت كانه لقصورها عن مرتبة اخواتها انحطت درجتها عن درجة الاسماء بل عن اللفظية واستحقت ان يعبر عنها بالصوت الذى هو أعم (قوله سمي به الفعل الذى هو استجب) اشارة الى أن أسماء الافعال موضوعة بازاء الافعال كاستجب واسرع وامهل واقبل من حيث يراد بها معانيها الا من حيث يراد بها أنفسها فاذا قلت آمين فهم منه لفظ استجب أو ما يرادفه مقصودا به طلب الاستجابة كما فى قولك اللهم استجب لا مقصودا نفسه كما فى قولك استجب صيغة أمر وبذلك صح كونها اسماء وان استفدنا منها معانى الافعال لان مدلولاتها التى وضعت هى لها ألفاظ ولم يعتبر معها اقترانها بزمان وأما المعانى المقترنة بالزمان فهى مدلولة لتلك الالفاظ فتنتقل من الاسماء اليها بواسطتها وهذا تأويل مناسب لتسميتها بأسماء الافعال وقال بعض النحويين انها فى الحقيقة أسماء المصادر السادة مسد أفعالها فصه معناه سكوتك بالنصب أى اسكت سكوتك فهى بمعنى المصادر لا الافعال ومن ثم كانت أسماء والقول بانها أسماء الافعال مفيدة لمعانيها أقصر للمسافة وقد نص الزجاج على ان كلمة آمين موضوعة موضع الاستجابة كما ان صه موضوع موضع السكوت الا ان بناءها على هذا القول لا يتضح ايضاحها على القول الاول وذكر بعض المحققين من النحاة ان الذى حملهم على ان قالوا هذه الكلمات ليست بأفعال مع تأديتها معانيها بل اسماء لها وارتكبوا تأويلا فى تصحيحه أمر لفظى هو ان صيغتها مخالفة لصيغ الافعال فانها لا تتصرف فيها تصرفها وتدخل اللام فى بعضها والتنوين فى بعض ونقل بعضهم ان آمين كلمة أعجمية على وزن قابيل وهابيل وجوز ان يكون أصلها القصر فتكون عربية مصدرا على وزن النذير والنكير ثم جعل اسم فعل ومن الشارحين من تصدى لبيان مدلولات أسماء الافعال فقال وتحقيق ذلك ان كل لفظ وضع لمعنى اسما كان أو فعلا أو حرفا فله اسم

وقصرها قال * ويرحم الله عبدا قال آمينا * وقال * أمين فزاد الله ما بيننا بعدا * وعن النبي صلى الله عليه وسلم لقنني جبريل عليه السلام آمين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب وليس من القرآن بدليل أنه لم يثبت في المصاحف وعن الحسن لا يقولها الامام لانه الداعي وعن أبي حنيفة رحمه الله مثله والمشهور عنه وعن أصحابه أنه يخفيها وروى الاخفاء عبد الله بن مغفل وأنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند الشافعي يجهر بها وعن وائل بن حجر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبي بن كعب ألا أخبرك بسورة لم ينزل في التوراة والانجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني

علم هو نفس ذلك اللفظ من حيث دلالته على ذلك الاسم أو الفعل أو الحرف ألا ترى انك تقول في قولنا خرج زيد من البصرة خرج فعل ماض وزيد اسم ومن حرف جر فتجعل كل واحد من الثلاثة محكوما عليه قال لكن هذا وضع غير قصدي لا يصير به اللفظ مشتركا ولا يفهم منه بذلك معنى مسماه وقد اتفق ان وضع لبعض الافعال اسماء غير ألفاظها تطلق ويراد بها الافعال من حيث دلالتها على معانيها كأمس وسموها اسماء الافعال وفيه نظر لان دلالة الالفاظ على نفسها ليست مستندة الى وضع أصلا لوجودها في المهملات بلا تفاوت وجعلها محكوما عليها لا يقتضي كونها اسماء لان الكلمات بأسرها متساوية الاقدام في جواز الاخبار عن ألفاظها بل هو جار في الالفاظ المهملة كقولك حسن مركب من حروف ثلاثة ودعوى ان الواضع وضع المهملات بازاء نفسها وضعا قصديا أو غير قصدي وانها أسماء بهذا الاعتبار خروج عن الانصاف ومكابرة في قواعد اللغة على ان اثبات وضع غير قصدي أمر لا يساعده نقل ولا عقل وانما ارتكبه تفصيا عن الزام الاشتراك في جميع الكلم والتحقيق انه اذا أريد الحكم على لفظ بلفظ مخصوص فان تلفظ به لم يحتج هناك الى وضع ولا الى دال على المحكوم عليه للاستغناء بذاته عما يدل عليه فتشارك الالفاظ كلها في صحة الحكم عليها عند التلفظ بها أنفسها وانما يحتاج الى ذلك اذا لم يكن المحكوم عليه لفظا أو كان ولم يتلفظ به نفسه فينصب هناك ما يدل عليه ليتوجه الحكم اليه وما وقع في عبارة بعضهم من ان ضرب ومن واخواتهما اسماء لالفاظها الدالة على معانيها واعلام لها فكلام تقريبي قالوا بذلك لقيامها مقام الاسماء الاعلام في تحصيل المرام وسيأتيك تتمة لذلك في تفسير قوله واذا قيل لهم لا تفسدوا (قوله ويرحم الله عبدا قال آمينا) أوله * يا رب لا تسلبني حبها أبدا * روى أن قيس بن الملوح لما قدم مكة قال له أبوه تعلق باستار الكعبة وقل اللهم ارحني من ليلى وحبها فقال اللهم من علي بليلى وقربها فضربه أبوه فأنشأ يقول يا رب البيت (قوله وقال أمين فزاد الله الخ) أوله * تباعد عني فطحل اذ دعوته * وروى الزجاج اذ لقيته وروى سألته وفطحل على وزن جعفر اسم رجل وحق آمين ان تؤخر عن الدعاء أعني قوله فزاد الله لان طلب الاستجابة انما يكون بعده الا أنه قدم اهتماما بالاجابة (قوله كالختم على الكتاب) لانه يمنع الدعاء عن فساده الذي هو الخيبة كما ان الختم يمنع الكتاب عن فساده الذي هو ظهوره على غير من كتب اليه (قوله لا يقولها) أي كلمة آمين (الامام) أنثها بتأويل الكلمة أو اللفظة لانه الداعي أي بقوله اهدنا (قوله ورفع بها صوته) قيل كان رفعه تعليم الاصحاب ثم انه خافت بها (قوله ألا أخبرك) هذا حديث صحيح وقول بعض المحدثين ان من الموضوع الاحاديث المروية عن أبي بن كعب في فضائل السور أراد به أكثرها اه قال الصغاني وضعها رجل من عبادان واعتذر بان الناس لما اشتغلوا بالاشعار وفقه أبي حنيفة وغير ذلك ونبذوا القران وراء ظهورهم أردت أن أرغبهم فيه وأكثر المفسرين أوردوا الفضائل في أوائل السور ترغيبا والمصنف أخرها نظرا الى انها أوصاف فحقها ان تتأخر عن موصوفها (قوله لم تنزل) أنث الفعل المسند الى المثل لاكتساب التأنيث مما أضيف اليه أو لانه أريد به سورة أخرى تماثلها في الفضيلة قيل لم يذكر الزبور اما لانه لم يكن حينئذ متلوا كتلاوة الكتب الثلاثة واما لانه تابع للتورية (قوله قلت بلى) الذي يقتضيه سياق الحديث أن يقال قال

والقرآن العظيم الذى أوتيته وعن حذيفة بن اليمان أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبى من صبيانهم فى الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب أربعين سنة

﴿سورة البقرة مدنية وهى مائتان وسبع وثمانون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الم) اعلم أن الالفاظ التى يتهجى بها أسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التى منها ركبت الكلم فقولك ضاد اسم سمى به ضه من ضرب اذا تهجيته وكذلك را با اسمان لقولك ره به وقد روعيت فى هذه التسمية لطيفة وهى أن المسميات لما كانت ألفاظا كأساميها وهى حروف وحدان والاسامى عدد حروفها مرتق

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الم

(القول فى سورة البقرة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

أبى فى جوابه بلى فاحتيج الى تقدير أبى او عن أبى انه قال قلت بلى فكأنه لما ذكر انه روى عنه صلى الله عليه وآله كذا سأل سائل ما روى عن أبى فاجاب بانه روى عنه انه قال قلت لكنه اختصر فى العبارة ولا يكفى تقدير قال وحده كما توهم اذ يصير المعنى قال أبى فى جواب رسول الله صلى الله عليه وآله قلت بلى وفساده بين وقوله صلى الله عليه وآله انها السبع المثانى اشارة الى تفسير قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم (قوله فى الكتاب) بضم الكاف وتشديد التاء يطلق على الكتبة وعلى المكتب أيضا وهو المراد ههنا وخطأ المبرد اطلاقه على المكتب ورد بنقل الليث اياه فاما ان يكون حقيقة بالاشتراك واما مجازا لانه موضع الكتاب بمعنى الكتبة جمع كاتب

﴿سورة البقرة﴾

(قوله يتهجى بها) التهجى تعداد الحروف بأساميها يقال هجوت الحروف وهجيتها وتهجيتها ناقصة ومهموزة أى عددتها باساميها وفى الاساس ومن المجاز هجوه أى عدد معايبه قال رحمه الله الباء فى بها لتضمين معنى الاتيان أى يؤتى بها مهجوة قيل عليه انه سهو لان المهجوة هى المسميات لا الاسماء فالباء للصلة والآلة أى الالفاظ التى يعدد بها على حذف المفعول بلا واسطة أعنى الحروف واقامة الجار والمجرور مقام الفاعل كما فى قولك الخشب الذى يضرب به وفيه بحث لان التهجى لو كان بمعنى عد الحروف مطلقا لكان الباء صلة وآلة على قياس قولك عددت الحروف باساميها لكنه عد الحروف باساميها فان الحروف اذا عددت ملفوظة بانفسها لم يكن ذلك تهجيا كما دل عليه قوله فيما سيجىء ان شاء الله تعالى وان تلفظ بها غير متهجاة لا يحلى بطائل وعلى هذا فقولك تهجيت الحروف معناه عددتها باساميها فلا تتعلق به الباء صلة وآلة ولا يقال تهجيتها باساميها الا ان المصنف جرد التهجى عن التقييد بالاسماء وجعله بمعنى عد الحروف مطلقا أو ضمن معناه الاتيان أى أتيت باسماء الحروف متهجيا اياها وكلاهما خلاف الاصل فجاز الحمل على الثانى وان كان الاول أظهر وأما قوله مهجوة فمعناه مهجوة مسمياتها او تشبيه قول المصنف والسبب فى أن قصرت متهجاة اذا حمل على ان المعنى قصرت الاسماء متهجى مسمياتها ومع هذا الاحتمال لا وجه للجزم بكونه سهوا ﴿لا يقال﴾ ربما يجعل تهجيت الحروف باساميها من قبيل أبصرته بعينى فلا حاجة الى ما ذكرتم من التجريد والتضمين ﴿لانا نقول﴾ هذا على تقدير صحته مخالف للظاهر أيضا بعيد عن مناسبة المقام فلا يجدى معه أيضا عن ارتكاب التضمين (قوله المبسوطة) أى المتفرقة المنثورة التى تجمع وتنتظم منها الكلم (قوله تسمى به ضه) أى تذكر به من قولك سميت زيدا باسمه اذا ذكرته به وأما التسمية فى قوله روعيت فى هذه التسمية فمعناها وضع الاسم لمسماه ﴿لا يقال﴾ كيف يصح ذلك وهذه التسمية اشارة الى مصدر سمى ﴿لانا نقول﴾ كلا بل هى اشارة الى ما دل عليه قوله اسماء مسمياتها الحروف لان المقصود بيان رعاية تلك اللطيفة فى أسماء الحروف مطلقا لا فى أسماء هذه الحروف المخصوصة ولفظة ضه بغير افصاح الهاء فى التلفظ وانما كتبت الهاء على تقدير الوقف كما هو قاعدة الخط والضمير فى تهجيته راجع الى ضرب أى تهجيت حروفه (قوله

الى الثلاثة اتجه لهم طريق الى أن يدلوا فى التسمية على المسمى فلم يغفلوها وجعلوا المسمى صدر كل اسم منها
كما ترى الا الالف فانهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لانه لا يكون الا ساكنا ومما يضاهيها فى ابداع اللفظ
دلالة على المعنى التهليل والحوقلة والحيعلة والبسملة وحكمها ما لم تلها العوامل أن تكون ساكنة الاعجاز
موقوفة كأسماء الاعداد فيقال ألف لام ميم كما يقال واحد اثنان ثلاثة فاذا وليتها العوامل أدركها
الاعراب تقول هذه ألف وكتبت ألفا ونظرت الى ألف وهكذا كل اسم عمدت الى تأدية ذاته فحسب قبل
أن يحدث فيه بدخول العوامل شىء من تأثيراتها فحقك أن تلفظ به موقوفا ألا ترى أنك اذا أردت أن تلقى
على الحاسب أجناسا مختلفة ليرفع حسبانها كيف تصنع وكيف تلقيها أغفالا من سمة الاعراب فتقول
دار غلام جارية ثوب بساط ولو أعربت ركبت شططا (فان قلت) لم قضيت لهذه الالفاظ بالاسمية
وهلا زعمت أنها حروف كما وقع فى عبارات المتقدمين (قلت) قد استوضحت بالبرهان النير أنها أسماء غير
حروف فعلمت أن قولهم خليق بأن يصرف الى التسامح وقد وجدناهم متسامحين فى تسمية كثير من الاسماء
التى لا يقدح اشكال فى اسميتها كالظروف وغيرها بالحروف مستعملين الحرف فى معنى الكلمة

وهى أن المسميات) لا خفاء فى ان اللطيفة هى الدلالة على المسمى بجعله صدر الاسم الا انه أدرج فى تفسيرها
بيان امكانها بان المسميات ألفاظ كأساميها فان المسمى لو لم يكن لفظا لم يمكن جعله جزأ من اسمه وبانها أقل
من عدد حروف الاسماء اذ لو كان المسمى مساويا للاسم لاتحدا ولم يمكن جعله صدر الاسم كما اذا كان أريد
منه وبهذا القدر ظهر امكانها واما ان المسميات حروف وحدان واقعة فى أدنى درجات الالفاظ وان الاسامى
مرتقية الى أعدل أوزان الكلمات المشتملة على الابتداء والوسط والانتهاء فبيان للواقع لا مدخل له فى بيان
الامكان فان الاسم لو كان على حرفين مثلا أو المسمى أزيد من حرف واحد لامكن جعل المسمى صدر الاسم
أى أوله وانما قال مرتق الى الثلاثة ولم يقل ثلاثة تلويحا الى ما ذكرناه وقيل لانه لم يتبين بعد ان مثلوا
بالثلاثى أم لا وهو سهو لان المحكوم عليه لما كان شاملا لجميع الاسامى وقد حكم بان عدد حروف كل واحد
منها مرتق الى الثلاثة كان هذا جزما بكون الكل ثلاثيا كما لو قال ثلاثة يقال أنجه له رأى اذا سنح وظهر
(قوله فلم يغفلوها) أى لم يجعلوا تلك التسمية غفلا عن سمة الدلالة على المسمى من قولهم غنم اغفال لا سمة عليها
وأغفلتها اذا لم تسمها أو لم يتركوا تلك الطريقة غير مسلوكة اذ تلك الدلالة غير مرعية من أغفلت الشىء اذا
تركته وانما جعلوا المسمى صدرا ليكون هو أول ما يقرع السمع من الاسم (قوله الا الالف) هى تطلق على
الساكنة التى هى المدة كاوسط حروف قال وبهذا الاعتبار استثناها وتطلق على المتحركة التى هى الهمزة
وبهذا الاعتبار شاركت سائر الاسماء فى كونها مصدرة بالمسمى ولم يستثن الهمزة مع خلوها عن تصدير المسمى
لانها اسم مستحدث كما نص عليه ابن جنى والكلام فى الاسماء الاصلية (قوله ومما يضاهيها) أى يشابه أسماء
الحروف فى ابداع اللفظ دلالة على معناه زائدة على ما يقتضيه الوضع ناشئة عن مناسبة الاسم للمسمى
باشتماله عليه أو على بعض حروفه (قوله كأسماء الاعداد) خصها بالذكر لمشاركتها أسماء الحروف فى كثرة
استعمالها غير مركبة ثم عمم الحكم فى الاسماء كلها (قوله فاذا وليتها العوامل) أى قاربتها وتعلقت بها سواء
تقدمت عليها أو تأخرت عنها (قوله الى تأدية ذاته) أى مدلوله الافرادى مجردا عن المعانى الطارئة فان الالفاظ
المفردة تؤدى معانيها الى ذهن السامع باحضارها فيه ان سبق منه ادراكها لعلمه بالوضع (قوله شىء من
تأثيراتها) من اما تبعيضية فالمصدر بمعنى المفعول أى أثرا من آثارها واما ابتدائية أى أثر ناشئ من تأثيراتها
(قوله اغفالا عن سمة الاعراب) أى خالية عنها جمع غفل يقال أرض غفل ليس بها عمارة وفلاة غفل لا علم بها
ودابة غفل لا سمة عليها (قوله ركبت شططا) أى تجاوزا عن حد اللغة وبعدا عنه (قوله كما وقع) ما كافة وفاعل
وقع ضمير يرجع الى انها حروف والتشبيه فى مضمون الجملتين وقد تجعل ما موصولة أو موصوفة أى هلا
زعمت بها زعما مثل الزعم الذى وقع أو مثل زعم وقع (قوله قد استوضحت) ذكر الاستيضاح وعبر عن الدليل

وذلك أن قولك ألف دلالته على أوسط حروف قال وقام دلالة فرس على الحيوان المخصوص لا فضل فيما يرجع الى التسمية بين الدلالتين ألا ترى أن الحرف ما دل على معنى فى غيره وهذا كما ترى دال على معنى فى نفسه ولانها متصرف فيها بالامالة كقولك با تا و بالتفخيم كقولك يا ها و بالتعريف والتنكير والجمع والتصغير والوصف والاسناد والاضافة وجميع ما للاسماء المتصرفة ثم انى عثرت من جانب الخليل على نص فى ذلك قال سيبويه قال الخليل يوما وسأل أصحابه كيف تقولون اذا أردتم أن تلفظوا بالكاف التى فى لك والباء التى فى ضرب فقيل نقول با كاف فقال انما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف وقال أقول كه به وذكر أبو على فى كتاب الحجة فى يس وامالة يا انهم قالوا يا زيد فى النداء فأمالوا وان كان حرفا قال فاذا كانوا قد أمالوا ما لا يمال من الحروف من أجل الياء

الذى أسند اليه علمه بالبرهان و وصفه بالنير وأكد كونها أسماء بقوله غير حروف مبالغة فى تيقنه بذلك وزوال الشبهة عنه بالكلية ثم رتب عليه قوله فعلت وأيده بانهم قد تسامحوا ومثل هذا التسامح فى مواضع أخر فاستعملوا الحروف فى معنى الكلمة اطلاقا للخاص على العام ولعل فائدة التسامح فى أسماء الحروف رعاية الموافقة بين الاسم والمسمى فى التعبير عنهما بالحرف وان اختلف معناه فيهما ويجوز أن تكون من باب اطلاق اسم المدلول على الدال وأما فى الظرف ونحوها من أسماء الاشارة وغيرها فالتنبيه على نوع قصور فيها عن مرتبة الاسماء الكاملة ومشابهتها الحروف (قوله وذلك) اشارة الى البرهان النير استدل على اسمية هذه الالفاظ بصدق حد الاسم عليها دون حد الحرف و بوجود علامات الاسم فيها ولما كان المقصود قطع توهم حرفيتها للاشتباه حكم هناك بانها أسماء غير حروف واقتصر ههنا فى الحد على التصريح بما يميزها عن الحرف أعنى الاستقلال ولم يصرح فيه بعدم الاقتران الذى يميزه عن الفعل بل رمز اليه سابقا بقوله لا فضل فيما يرجع الى التسمية بين الدلالتين وأورد فى العلامات ما هى خاصة للاسم اما مطلقا أو بالاضافة الى الحرف (قوله ولانها) الى قوله (والاسناد) عطف على ما تقدم بحسب المعنى أى هى أسماء لصدق حد الاسم عليها ولانها متصرف فيها أو عطف على قوله ان قولك ألف بناء على ان ذلك اشارة الى أنها أسماء أى كونها أسماء ثابت لان قولك ولانها (قوله وبالتفخيم) اعترض عليه بانه ان أراد به ما يقابل الامالة كما يدل عليه ذكره عقيبها فهو ليس مختصا بالاسم لا مطلقا ولا بالاضافة الى الحرف بل يجرى فى أخواته أيضا فلا استدلال به أصلا وان أراد امالة الالف نحو مخرج الواو فهى انما تجرى فى الالف المنقلبة عنها وأجيب بجريانها فى غير المنقلبة عن الواو أيضا كما سيجىء فى كهيعص من ان الحسن قرأ بضم الهاء والياء اذ بهذا الضم لا تنقلب الالف واوا بل يميل اليه هكذا قيل والحق ان جريانها فى غير المنقلبة منها لم تثبت وأما الضم المنقول عن الحسن فدلالته على قلب الالف واوا أظهر من دلالته على امالتها الى الواو كما فى الصلوة والزكوة ويمكن أن يقال أراد بالتفخيم ضد الامالة وانما ذكره معها تحقيقا لشأنها وايضاحا لها كيلا يتوهم من كثرة امالتها ان هذه الالفاظ فى وضعها على صورة الامالة وارادفه الحد بالعلامة وتعديده علامات مخصوصة تفصيلا وتعقيبه اياه اجمالا بذكر جميع ما يثبت للاسماء المتصرفة من الخواص كالنسبة والتثنية ودخول الجر اثارة للبرهان فانها براهين متعاضدة (قوله ثم انى عثرت) أشار بثم الى الترقى عن مقام الاستدلال على كونها أسماء بالحد والعلامات الى التمسك بالنص الوارد من متقدم أصحاب العربية برواية من هو أعلى كعبا فيها كأنه قال هناك نص يستغنى معه عن مؤنة ذلك البرهان وان كان نيرا ومن قال البرهان النير صدق حد الاسم عليها ووجود علامات فيها وتصريح الائمة الموثوق بهم بانها أسماء فقد وقع عن درك لطائف افتنانه فى عبارته على مراحل وفى لفظ الجانب تعظيم للخليل كما ان فى لفظ النص تعظيما لكلامه واشارة الى علو درجته فى الكشف عن المطلوب (قوله وذكر أبو على) كما اتبع الحد بالعلامة اتبع كلام الخليل بكلام أبى على وكتاب الحجة كتاب له فى توجيه القراآت وحججها (قوله قال) أبو على فاذا كانوا أى العرب ومن فى قوله من الحروف

الم (قال محمود رحمه الله وقد سأل الخليل أصحابه كيف ينطقون بالكاف الخ) قال أحمد رحمه الله وسألهم أيضا كيف ينطقون بالقاف من يقبل فقالوا قاف كقولهم الاول فأجابهم بجوابه الاول وقال أما أنا فأقول اقه فالحق رضى الله عنه أولا هاء السكت لان الحرف المنطوق به متحرك وثانيا همزة الوصل لانه ساكن

فلأن يميلوا الاسم الذي هو يس أجدر ألا ترى أن هذه الحروف أسماء لما يلفظ بها (فان قلت) من أى قبيل هي من الاسماء أمعربة أم مبنية (قلت) بل هي أسماء معربة وانما سكنت سكون زيد وعمرو وغيرهما من الاسماء حيث لا يمسها اعراب لفقد مقتضيه وموجبه والدليل على أن سكونها وقف

ان كانت بيانية كان المعنى انهم امالوا الحروف مع انها من شأنها أن لا تمال وأراد بامالة الحروف تعلق الامالة بها في الجملة كامالتهم يا في النداء وان كانت تبعيضية كانت ما عبارة عن حرف النداء في يا زيد والمعنى انهم أمالوا هذه الكلمة التي هي بعض الحروف وحقها ان لا تمال لكونها بعض الحروف فان الامالة لا تجرى في الحروف الا نادرا على التشبيه والالحاق بغيره (قوله الاسم الذي هو ياسين) أي الذي هو يا من ياسين فانه المقصود كما صرح به المصنف في قوله ياسين وامالة يا فقد حكم أبو على ان يا اسم ثم عمم الحكم فقال ألا ترى ان هذه الحروف أي ياوسين واخواتهما اسماء فعبر عنها بالحروف وصرح بانها اسماء فعلم ان اطلاق الحروف عليها تسامح على أحد الوجهين كما مر قال بعض الشارحين الاستشهاد في قوله اسماء لا في قوله الاسم الذي هو ياسين اذ ربما يتوهم انه أراد به ان مجموع ياسين اسم للسورة لكن يعلم بالتأمل انه لو أراد به ذلك لم يبق لقوله ألا ترى الى قوله لما يلفظ بها معنى وأنت تعلم ان التوهم الذي يدفعه أول الكلام وآخره لا عبرة به فلا يقدح في الاستشهاد قال أيضا وكان الاولى أن يقول الاسم الذي هو يا وكانه حاول ان يصحح الامالة على تقدير كون الفواتح أسماء السور فان يا حينئذ جزء من الاسم وقد عرفت ان ذلك التقدير مناف لقوله ألا ترى كما اعترف به هذا القائل فلا وجه لاعتباره لا وحده ولا مع غيره (قوله لما يلفظ بها) أي الحروف الملفوظة يقال لفظ القول ولفظ به كلاهما بمعنى واحد فالضمير في بها راجع الى ما والظرف قائم مقام الفاعل وما يلفظ بها كناية عن حروف المباني فانها هي الملفوظة حقيقة في تراكيب الكلام ومفرداته لان التلفظ بزيد مثلا تلفظ بحروفه على وضع معين وهيئة مخصوصة وقيل في يلفظ ضمير ما وضمير بها لهذه الحروف أي ما يصير ملفوظا بهذه الحروف أعنى مسمياتها التي يعبر عنها بتلك الاسامى ولا يجوز رجوعه الى ما لفساد المعنى اذ ليست هذه الالفاظ اسماء لما يلفظ بها في الجملة بل للملفوظات بعينها وفيه مخالفة الاستعمال المشهور من ان الباء صلة وان الملفوظ به بمعنى الملفوظ وارتكاب معنى ركيك وهو جعل ألفاظ مخصوصة ملفوظة بالتلفظ بألفاظ أخر هي أسماؤها ومنشؤه الغفول عن وجه الكناية (قوله من أى قبيل) أجمل في السؤال أولا ثم فصل بقوله أمعربة أم مبنية وأتى في الجواب بحرف الاضراب تنبيها على انه بحث فيه دقة وغموض وشائبة ريبة وقد سبق منا كلام في نظيره ﴿لا يقال﴾ قد علم ان هذه الاسماء اذا وليتها العوامل أدركها الاعراب فقد علم انها معربة فالسؤال مستدرك ﴿لانا نقول﴾ المعرب يطلق على معنيين أحدهما مفعول من أعربت الكلمة والثاني ما يقابل المبنى اصطلاحا والذي علم من قوله أدركها الاعراب أنها اذا دخلت عليها العوامل كانت معربة بالمعنى الاول والمقصود من السؤال والجواب انها حال كونها معددة مفردة ساكنة الاعجاز معربة بالمعنى الثاني والعلم بالاول لا يستلزم العلم بالثاني كيف وقد ذهب ابن الحاجب الى ان هذه الاسماء وغيرها مبنية قبل التركيب على انه لو استلزم لم يكن استدراك أيضا اذ قد بينه قصدا بعد ما علم ضمنا وقرن به احتجاجا يزيل منها شبهة البناء ﴿واعلم﴾ ان المصنف وجمهور المحققين من النحاة حصروا سبب بناء الاسماء في مناسبة ما لا تمكن له وسموا الاسماء الخالية عن تلك المناسبة معربة وجعلوا سكون اعجازها قبل التركيب وقفا لا بناء قالوا والدليل على ان سكونها وقف ان العرب جوزت في الاسماء قبل التركيب التقاء الساكنين على طريقة الوقف فقالوا زيد عمرو وصاد قاف ولو كان سكونها بناء لما جمعوا بينهما كما في سائر الاسماء المبنية نحو كيف واخواتها ﴿فان قلت﴾ ربما عددت الاسماء ساكنة الاعجاز متصلا بعضها ببعض فلا يكون هناك وقف ﴿قلت﴾ هي قبل التركيب في حكم الوقف سواء كانت متفاصلة أو متواصلة فان الوقف قطع الكلمة عما بعدها اما لضرورة التنفس أو لتحسين اللفظ أو لعدم ما يوجب

وليس ببناء أنها لو بنيت لحذي بها حذو كيف وأين وهؤلاء ولم يقل ص ق ن مجموعا فيها بين الساكنين (فان قلت) فلم لفظ المتهجي بما آخره ألف منها مقصورا فلما أعرب مد فقال هذه باء وياء وهاء وذلك يخيل أن وزانها وزان قولك لا مقصورة فاذا جعلتها اسما مددت فقلت كتبت لاء

الوصلة من التركيب فالمتواصلة منها في نية الوقف فتكون ساكنة بخلاف كيف وأين وحيث وجير اذا عددت وصلا فان حركاتها الكونها لازمة لا تزول الا بوجود الوقف حقيقة ونقل عن ابن مالك انه قال رأى من جعل الاسم قبل التركيب معربا حكما لا يبعد عن الصواب اذ لو كان مبنيا لم يسكن وصلا في التعديد اذ لم يرد مبني كذلك فهؤلاء قد اكتفوا في كون الاسم معربا باصطلاحا بمجرد انتفاء المانع من قبول الاعراب ولم يشترطوا وجود مقتضيه وعرفوا المعرب بما يختلف آخره باختلاف العوامل في أوله وأرادوا ما يمكن فيه الاختلاف على قانون اللغة سواء اتصف به بالفعل أو كان من شأنه ذلك اما قريبا كما اذا وقع في التركيب ولم يعرب واما بعيدا كما اذا وقع في التعديد ومن اشترط في المعرب وجود المقتضى فقد اعتبر الاتصاف بالفعل والقريب منه ولا مشاحة في الاصطلاحات الا أن ما آثره المصنف أولى لان المذهب الآخر يحتاج فيه الى الفرق بين سببي للبناء أعني عدم المقتضي ووجود المانع بتجويز التقاء الساكنين مع الاول دون الثاني وهو تحكم لجواز عكسه وقد يدفع بان تلك الاسماء قد استمر لها السكون قبل التركيب فاشبهت الموقوف فاغتفر فيها ما جاز فيه ﴿لا يقال﴾ البناء المناسبة عارض بعد التركيب كالاعراب وكان بالحركة أولى تنبيها على تخالفهما كتخالف الاعراب والبناء ﴿لانا نقول﴾ المناسبة حاصلة قبل التركيب أيضا قال رحمه الله تعالى ومما يؤيد مذهب الجمهور انك لا تفرق بين زيد وعمرو وبين هؤلاء وأين في ايجاب السكون قبل التركيب ولا شك ان سكون الآخرين وقف لانهما مبنيان على الحركة فكذا سكون الاولين ﴿لا يقال﴾ هما قبل التركيب مبنيان على السكون لعدم المقتضي للاعراب وبعده على الحركة لوجود المانع ﴿لانا نقول﴾ ان وجود المانع أي المناسبة مع مبني الاصل مستمر وسبب مستقل فاسناد البناء اليه في وقت آخر ترجيح بلا مرجح والقول بان البناء المانع انما يعتبر مع وجود المقتضي لا يناسب مقتضى عرف اللغة وسيأتي زيادة تأييد في آل عمران ان شاء الله تعالى (قوله لحذي بها) قيل المشهور في كتب اللغة حذوت النعل بالنعل اذا قدرتها بها فينبغي أن يقال حذيت بكيف وأين وهؤلاء حذوا بادخال الباء عليها لانها مقدر بها الا أنه قلب وأدخل الباء في المقدر أمنا من اللبس فانقلب الضمير المستتر بارزا وسقط الباء وأضيف المصدر الى المقدر بها ومال جماعة الى ان الفعل المتعدي نزل منزلة اللازم ثم عدي بالباء وكأنه قدرت تقدير كيف والثاني أضعف من الاول وقيل هو من قولهم حذا الولد حذو والده اذا اتبع أثره حذوا سار سيرته على ان حذوا اما ظرف أي سلك طريقته واما مصدر مضاف الى المفعول أي اتبع والده اتباعا واما مفعول به أي اتبع سيرته كقوله تعالى اتبعوا ملة ابراهيم والباء للتعدية أي لجعلت تابعة لكيف سالكة مسلكها في البناء على الحركة ﴿والاظهر أن يقال﴾ بالتضمين أي لذهب بها محذوة حذو كيف أي مقدرة تقديرها ومن نظائره ما يقولون لا يحذو بها حذو انك (قوله فلم لفظ بها المتهجي) يريد انما ذكرتم من انها أسماء معربة وان سكون اعجازها وقف ينافي كونها مقصورة تارة وممدودة أخرى فان ذلك يخيل ان طريقة هذه الالفاظ في قصرها ومدها طريقة قولك لا مقصورة حرف وممدودة اسم فتكون حالة التهجي حروفا وانما قال يخيل لان المشاركة في بعض الاحوال تتصور مع المخالفة في الحقيقة ولان هذه المخالفة مختصة ببعض تلك الاسماء (قوله كتبت لاء) من ذلك قوله

كانك في الكتاب وجدت لاء * محرمة عليك فلا تحل

وقوله في مدح النبي صلى الله عليه وآله

ما قال لا قط الا في تشهده * لولا التشهد لم تسمع له لاء

فالممدود اسم للمقصور وليس من قبيل كون اللفظ علما لنفسه بل من باب اشتمال الاسم على المسمى

(قلت) هذا التخييل يضمحل بما لخصته من الدليل والسبب في أن قصرت متهجاة ومدت حين مسها الاعراب أن حال التهجي خليقة بالاخف الاوجز واستعمالها فيه أكثر (فان قلت) قد تبين أنها أسماء لحروف المعجم وأنها من قبيل المعربة وأن سكون أعجازها عند الهجاء لاجل الوقف فما وجه وقوعها على هذه الصورة فواتح للسور (قلت) فيه أوجه أحدها وعليه اطباق الاكثر أنها أسماء السور وقد ترجم صاحب الكتاب الباب الذي كسره على ذكرها في حد ما لا ينصرف بباب أسماء السور وهي في ذلك على ضربين أحدهما ما لا يتأتى فيه اعراب نحو كهيعص والمر والثاني ما يتأتى فيه الاعراب وهو اما أن يكون اسما فردا كص وق ون أو أسماء عدة مجموعها على زنة مفرد كحم وطس ويس فانها موازنة لقابيل وهابيل وكذلك طسم يتأتى فيها أن تفتح نونها وتصير ميم مضمومة الى طس فيجعلا اسما واحدا كدارابجرد فالنوع الاول محكي ليس الا وأما النوع الثاني فسائغ فيه الامران الاعراب والحكاية

كأسماء الحروف وفي قوله فاذا اجعلتها أسماء مدت اشارة الى ان المقصورة ليست أسماء سواء أريد بها لفظها كما في قوله ما قال لا أو معناها وفي ذلك تقوية لما شيدنا أركانه فليكن على ذكرك (قوله متهجاة) أي متهجى مسمياتها فحذف المضاف واستتر المضاف اليه في الصفة من تهجيت الحروف عددتها بأسمائها وقد ذكرناه وقيل أي معددة تعديدا غير مركبة تركيبا أو المراد متهجاة بها فحذف الجار واستكن الضمير (قوله أن حال التهجي خليقة بالاخف) لان التهجي انما يكون غالبا التعليم المبتدي ولان استعمال هذه الاسماء في التهجي أكثر فناسب الاخف الاوجز الى المقصور وانما وقعت في الفواتح مقصورة لانها على نمط التعديد أو مأخوذة منه (قوله قد تبين أنها أسماء) حقق أولا معاني هذه الالفاظ لغة وما يتعلق بها ثم شرع يبين وجه وقوعها على هذه الصورة أي على صورة الهجاء والتعديد فواتح السور من القرآن وانما كرر ذكر ما تبين تلخيصا لما تقرر وضبطا للمحصول ما تقرر (قوله لحروف المعجم) قال الجوهري العجم النقط بالسواد وغيره مثل التاء عليها نقطتان تقول أعجمت الحرف وعجمته مشددا ولا تقول عجمته مخففا ومنه حروف المعجم وهي الحروف المقطعة التي يختص أكثرها بالنقط من بين سائر حروف الامم ومعناه حروف الخط المعجم كما تقول مسجد الجامع وصلاة الاولى وناس يجعلون المعجم مصدرا بمعنى الاعجام كالمدخل والمخرج أي من شأن هذه الحروف أن تعجم أي تنقط ونقل الازهري عن الليث ان الحروف المقطعة سميت معجمة لانها أعجمية أي لا بيان لها وان كانت أصلا للكلام كلها واما كتاب معجم فمعناه منقط لتبيين عجمته فتكون الهمزة للسلب والاعتماد على ما نقله وقيل حقيقة أعجمت الحرف أزلت عجمته بنقطة فالمعنى حروف الاعجام أي ازالة العجمة (قوله وقد ترجم) أي لقب وسمى وأصل الترجمة تفسير لسان بلسان آخر كسره على ذكرها أي رتبه وجعله مشتملا عليها يقال كسر الطائر جناحيه أي ضمهما للوقوع في حد ما لا ينصرف أي في بحثه وبيانه وكثيرا ما يستعمله سيبويه بهذا المعنى (قوله وهي في ذلك) أي في كونها أسماء السور وانما اعتبر هذا القيد لانها من حيث هي أسماء الحروف مفردات يتأتى الاعراب في كل واحد منها (قوله ان تفتح نونها) فتصير طاسين بمنزلة اسم واحد كهابيل ثم تركب مع اسم آخر وهو ميم ونظيره دارابجرد علم بلدة بفارس فانه معرب دارا بكرد فهو مركب من كلمتين احداهما دارا اسم ملك بناها والثانية بكرد وقيل هو معرب داراب كرد فتكون ثلاث كلمات في العجمية لان داراب معناه دار آب سمي بذلك لانه وجد في الماء وصار بالغلبة اسما واحدا فضمت اليه كلمة أخرى وجعلت كبعلبك وعلى هذا تتأكد المشابهة بينه وبين طاسين ميم فانه في التحقيق مركبة من ثلاث كلمات وقد وجد في نسخة المصنف درابجرد بلا ألف بعد الدال وانه سهو من طغيان القلم والافات المقصود من اثبات موازن له في كلامهم (قوله واما النوع الثاني فسائغ فيه الامران الاعراب والحكاية) قيل الحكاية في الاعلام انما تجري في الجمل كتأبط شرا رعاية صورها المنبئة عن أسباب نقلت لاجلها وفي الالفاظ التي وقعت اعلاما لانفسها كقولك ضرب

قال قاتل محمد بن طلحة السجاد وهو شريح بن أوفى العبسي

يذكرني حاميم والرمح شاجر * فهلا تلا حاميم قبل التقدم

فأعرب حاميم ومنعها الصرف وهكذا كلما أعرب من أخواتها الاجتماع سببي منع الصرف فيها وهما العلمية والتأنيث والحكاية أن تجيء بالقول بعد نقله على استبقاء صورته الاولى كقولك دعني من تمرتان وبدأت بالحمد لله وقرأت سورة أنزلناها قال

فعل ماض وكم للتكثير ومن حرف جر لحفظ المجانسة مع المسمى والاشعار بانها ليست منقولة عن الاصل بالكلية وأما في غيرهما فلا وجه للحكاية سواء كان مفردا أو مركبا اضافيا أو مزجيا أولا ترى ان ضرب مجردا عن الضمير اذا سمي به رجل لم يكن محكيا وما نحن فيه من هذا القبيل فينبغي ان يتعين فيه الاعراب ولا تسوغ فيه الحكاية واما النوع الاول فلما لم يمكن فيه الاعراب أصلا وجب أن يحكى ضرورة ولا ضرورة في النوع الثاني وهكذا نقول في النوع الاول وأجيب بان أسماء الحروف كثر استعمالها معدودة ساكنة الاعجاز وموقوفة حتى صارت هذه الحالة كانها أصل فيها وما عداها عارض لها فلما جعلت أسماء للسور جوزت حكايتها على تلك الهيئة الراسخة فيها تنبيها على ان فيها ثمة من ملاحظة الاصل لان مسمياتها مركبة من مدلولاتها الاصلية أعني الحروف المبسوطة والمقصود من التسمية بها الايقاظ وقرع العصا فتجويز الحكاية مخصوص بهذه الاسماء حال كونها اعلاما للسور فلو سمي مثلا رجل بصاد أو سورة بالفاتحة لم تجز الحكاية قال رحمه الله تعالى ومما شهد لهذه الاسماء بصحة الحكاية أسماء الاصوات المحكية فانها لما غلب استعمالها مفردة حكيت على حالها من حركة أو سكون اذا وقعت مركبة الا أن تلك مبنية وهذه موقوفة وفيه بحث لان غاق اذا جعل علما لشخص كان معربا لا محكيا واما في قولك غاق حكاية صوت الغراب فقد أريد به لفظ فلذلك حكي بناؤه (قوله محمد بن طلحة) هو طلحة بن عبيد الله القرشي يتصل نسبه بالاب السابع من آباء النبي صلى الله عليه وآله أعني مرة بن كعب لقب بالسجاد أمره أبوه يوم الجمل ان يتقدم للقتال فنثل درعه بين رجليه وكلما حمل عليه رجل قال نشدتك بحم يريد ما في حمعسق من قوله تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى ويظهر من ذلك انه من القرابة الذين وجبت محبتهم وكف الاذى عنهم وقيل كان شعار حزب الحق في ذلك اليوم حم لتلك الآية وكان محمد يدعي بذلك انه ليس من حزب المخالفين فلما قتله العبسي أنشأ مفتخرا

وأشعث قوام بآيات ربه * قليل الكرى فيما ترى العين مسلم

شككت له بالرمح جيب قميصه * فخر صريعا لليدين وللفم

على غير شيء غير ان ليس تابعا * عليا ومن لا يتبع الحق يظلم

يذكرني حم البيت ويروى ان عليا رضي الله عنه لما رآه بين القتلى استرجع وقال ان كان لشابا صالحا ثم قعد كئيبا أي رب أشعث وشككت أي شققت وقوله على غير شيء يتعلق بشككت أي خرقت جيب قميصه بلا تسبب وغير ان نصب على الاستثناء من شيء لعمومه بالنفي وجاز أن يجعل بدلا عن محله أي لم يوجد شيء من الاسباب غير هذا الا انه فتح للبناء والرمح شاجر أي طاعن أي ذو طعن من شجرته بالرمح طعنته وقيل أي مختلف من شجر الرمح اختلف والتشاجر التخاصم وكل شيء دخل بعضه في بعض فقد تشاجر ومعنى قوله فهلا تلا حم على الاول انه تلاها بعد تقدمي اليه لطعنه وعلى الثاني هلا تلاها قبل تقدمه الى الحرب وتردد الرماح وعمل بها ليرتدع عن محاربة العترة الطاهرة فيسلم اذ ذاك عن طعني وقوله يظلم أي يجازى بظلمه فان عدم اتباع الحق ظلم (قوله ان تجيء بالقول) أي باللفظ مفردا كان أو مركبا وقد مثل بهما وكثر الامثلة تقريرا للحكاية وانها باب مطرد في نوعي الجمل والمفردات معلوم من اللغة بالاستقراء فامكن اجراؤها في أسماء الحروف اذا جعلت اعلاما للسور وان لم تكن مسموعة فيها بخصوصها (قوله دعني من تمرتان) في جواب ألك تمرتان

وجدنا فى كتاب بنى تميم ✱ أحق الخيل بالركض المعار

وقال ذو الرمة سمعت الناس ينتجعون غيثا ✱ فقلت لصيدح انتجعى بلالا

وقال آخر تنادوا بالرحيل غدا ✱ وفى ترحالهم نفسى

وروى منصوبا ومجرورا ويقول أهل الحجاز فى استعلام من يقول رأيت زيدا من زيدا وقال سيبويه سمعت من العرب لا من أين يا فتى (فان قلت) فما وجه قراءة من قرأ ص وق ون مفتوحات (قلت) الاوجه أن يقال ذاك نصب وليس بفتح وانما لم يصحبه التنوين لامتناع الصرف على ما ذكرت وانتصابها بفعل مضمر نحو اذكر وقد أجاز سيبويه مثل ذلك فى حم وطس ويس لو قرئ به وحكى أبو سعيد السيرافى أن بعضهم قرأ يس ويجوز أن يقال حركت لالتقاء الساكنين كما قرأ من قرأ ولا الضالين

أو يكفيك تمرتان أو ما أشبههما ومعناه دعنى من هذا الحديث ولو قيل من تمرتين لم يؤد هذا المعنى (قوله أحق الخيل بالركض المعار) هذه جملة محكية وقعت مفعول وجدنا الاول وقيل من باب الالغاء مع كون الفعل مقدما أو بتقدير اللام المعلقة أو ضمير الشان ورد بشذوذها وبان تقييد الوجدان بالظرف أعنى فى كتاب بنى تميم فان المكتوب فيه هو العبارة وان كانت لاداء المعنى فهو قرينة للحكاية والمعار بالعين المهملة من عار الفرس اذا ذهب يمينا وشمالا من مرحه ونشاطه وأعاره صاحبه والموجود فى كتاب بنى تميم

أعيروا خيلكم ثم اركضوها ✱ أحق الخيل بالركض المعار

وانما كان أحق لانه اذا أعيرتهيأ وارتاح للعدو وقال أبو عبيدة ومن الناس من يعتقد انه من العارية وهو خطأ وروى المغار بالغين المعجمة وفسر بالمضمر من أغرت الحبل فتلته فتلا محكما فقيل صدره على هذه الرواية أغيروا بالغين المعجمة أيضا وقيل بالمهملة كما فى الاول على معنى ضمروها بترديدها من عار يعير اذا ذهب وجاء (قوله سمعت الناس ينتجعون غيثا) جملة من مبتدا وخبر وقعت مفعول سمعت فحكيت على حالها أى سمعت هذا الحديث كانه يقول أطبق الناس على انتجاع الغيث واشتهر روايه وأخبر عنهم بذلك فسمعته من أفواههم واخترت الممدوح بدلا عنه فالحكاية أبلغ من أن ينصب الناس على انه من قبيل سمعت زيدا يقول بناء على تضمين الانتجاع معنى القول أى يسألونه ويطلبون منه لفوات الاشتهار واستفاضة الاخبار بسمعتهم وربما يقال ادراك العين وان كان ادعاء أقوى من ادراك الخبر والنجعة بالضم طلب الكلأ فى موضع يقال انتجعت فلانا اذا أتيته تطلب معروفه وصيدح علم ناقته وبلال هو ابن بردة ابن أبى موسى الاشعرى قاضى البصرة ممدوح ذى الرمة كان جوادا فياضا (قوله تنادوا بالرحيل) الرحيل مرفوع بالابتداء وخبره غدا أى حاصل فيه كقولك الصلح يوم الجمعة أى تنادوا بهذه الجملة وروى منصوبا على انه مصدر أى ارحلوا الرحيل أو مفعول به أى الزموه فحكى الرفع والنصب بعد التاء وأما اذا روى مجرورا فلا حكاية فيه (قوله وفى ترحالهم نفسى) أى هلاكها جعل ترحالهم ظرفا له مبالغة وقيل جعل نفسه وروحه فى ترحالهم فاذا ارتحلوا وفارقوا فارقته وقيل أراد بنفسه محبوبه (قوله لا من أين يا فتى) أى لا تسألنى هذا السؤال فان هناك ما هو اهم منه فحكى كلام السائل وادخل عليه لا ولولا الحكاية لم يكن لدخولها وجه صحة (قوله فما وجه) جاء بالفاء لانكار ما علم سابقا من ان النوع الثانى جاز فيه الاعراب والحكاية يعنى أين الاعراب فى هذه القراءة ولا عامل يقتضيه وأين الحكاية وحقها السكون ولا سكون ههنا فهى تدل على انها مبنية محذو بها حذو أين وكيف فى بنائها على الفتح أجاب أولا بالاعراب وتقدير العامل مع منع الصرف وثانيا بالحكاية الا انها حركت للجد فى الهرب من التقاء الساكنين وان كان مغتفرا فى الوقف اغتفاره اذا كان على حده تقوله ويجوز أن يقال مقابل لقوله الاوجه أن يقال ذلك نصب وليس بفتح وانما جعله أوجه لان الجد فى الهرب لغة قليلة وأيضا تحريك الساكن بالكسر أولى وقيل السؤال نشأ من قوله بل هى أسماء معربة أى كيف تكون كذلك وقد برزت هذه الفواتح فى صورة المبنى حيث حركت فتحا بلا تنوين وفيه بعد

(قال محمود رحمه الله فان قلت فما وجه من قرأ ص وق ون مفتوحات الخ) قال أحمد رحمه الله تعالى كلامه على الوجه الاول يوجب كونها معربة وعلى الوجه الثانى يحتمل أن يكون أراد أن الفتحة لالتقاء الساكنين نشأت عن سكون الحكاية فانها انما تحكى ساكنة مجردة من سمة الاعراب فلا تكون الحركة اذا اعرابا اذ لا مقتضى له مع الحكاية ولا بناء اذ هى معربة عنده على هذا التقدير ويحتمل أن يكون أراد انها مبنية فتكون الحركة مثلها فى أين وكيف حركة بناء والاول هو الظاهر من مراده لانه حتم قبل أنها معربة على ان سيبويه نص فى كتابه على ما أورده بلفظه قال وأما ص فلا يحتاج الى أن يجعل اسما أعجميا لان وزنه فى كلامهم ولكنه يجوز أن يكون اسما للصورة فلا يصرف ويجوز أن يكون أيضا يس وص اسمين غير متمكنين فيلزمان الفتح كما ألزمت الاسماء غير المتمكنة الحركات نحو كيف وأين وحيث وأمس اه كلام سيبويه وفيه رد على

(فان قلت) هلا زعمت أنها مقسم بها وأنها نصبت نصب قولهم ايم الله لافعلن وآى الله لافعلن على حذف حرف الجر واعمال فعل القسم وقال ذو الرمة * ألا رب من قلبى له الله ناصح * وقال آخر * فذاك أمانة الله الثريد * (قلت) ان القرآن والقلم بعد هذه الفواتح محلوف بهما فلو زعمت ذلك لجمعت بين قسمين على مقسم واحد وقد استكرهوا ذلك قال الخليل فى قوله عز وجل والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى الواوان الاخريان ليستا بمنزلة الاولى ولكنهما الواوان اللتان تضمان الاسماء الى الاسماء فى قولك مررت بزيد وعمرو والاولى بمنزلة الباء والتاء قال سيبويه قلت للخليل فلم لا تكون الاخريان بمنزلة الاولى فقال انما أقسم بهذه الاشياء على شئ ولو كان انقضى قسمه بالاول على شئ لجاز أن يستعمل كلاما آخر فيكون كقولك بالله لافعلن بالله لاخرجن اليوم ولا يقوى أن تقول وحقك وحق زيد لافعلن

عن سياق الكلام (قوله هلا زعمت) أراد ان هناك وجها آخر فى الاعراب فهلا ادعيته ولم تركته مع رجحانه على ما ذكرته فان الاقسام بالسور تفخيما لها وان لم يكن راجحا فلا أقل من المساواة (قوله ألا رب من قلبى له الله ناصح) وتمامه * ومن قلبه لى فى الظباء السوانح * هو فى الحقيقة من عطف الصفة على الصفة أى رب شخص قلبى له ناصح وقلبه لى فى الظباء السوانح وانما أعاد الموصوف مبالغة فى اتصافه بكل واحدة من الصفتين استقلالا كأنه يستحق أن يذكر ذاته مع كل منهما ونظيره تكرير الموصول فى قوله

أما والذى أبكى وأضحك والذى * أمات وأحيا والذى أمره الامر

والمعنى قلبى ناصح له يحبه ويألفه وقلبه نافر عنى نفور الظباء اللاتى تعرض وتمر مستوحشة من سنح لى سانح أى عرض وقيل معناه وقلبه أيضا ناصح لى كالسانح من الظباء فان العرب تتيمن به وهو ما يمر من مياسرك الى ميامنك كما تتشاءم بالبارح وهو ما يمر من ميامنك الى مياسرك لانه لا يمكنك أن ترميه حتى ينحرف وهذا معنى ما يقال السانح ما ولاك ميامنه من ظبى أو غيره والبارح ما ولاك مياسره فى المثل من لى بالسانح بعد البارح نقل الازهرى عن شمر ان العرب قد تتشاءم بالسانح والنسخ بمعناه وأنشد لعمرو بن قميئة * وأشأم طير الزاجرين سنيحها * قال رحمه الله تعالى كان السبب فى ذلك اختلاف تفسير السانح حيث قال شمر هو ما ولاك مياسره فينبغى أن تتيمن بالبارح الا أنه لم ينقل فرجع المعنى حينئذ الى ان قلبه ليس بناصح لى (قوله فذاك أمانة الله الثريد) أوله * اذا ما الخبز تأدمه بلحم * أى الخبز المأدوم باللحم هو الحقيق بان يسمى ثريدا لا المتعارف الجمهور من الخبز المكسور فى المرقة ونحوها (قوله قلت ان القرآن) تلخيص الجواب ان هذه الفواتح ان جعلت مقسما بها منصوبة بنزع الخافض واتصال الفعل اليها فالواو فى القرآن بعد صاد وقاف وفى القلم بعد نون اما أن تكون للقسم أو للعطف لا سبيل الى الاول لاستلزامه الجمع بين قسمين على مقسم عليه واحد ولا الى الثانى لمخالفة فى الاعراب لكن المصنف بنى الجواب على ان الواو للقسم فجزم بانه يلزم اجتماع قسمين على شئ واحد وقال هو مستكره ونقل عن الخليل نصا على استكراهه مع الاشارة الى وجهه ثم تعرض لابطال العطف (قوله قال الخليل) لما حكم ان الواوين الاخيرين ليسا للقسم بل للعطف سأله سيبويه عن ذلك فقال اذا كانت الاولى بمنزلة الباء والتاء فلم لا تكون الاخريان كذلك وأجاب عنه واستدل عليه انهما للعطف بوجهين الاول قوله انما أقسم بهذه الاشياء الخ فقيل معناه ان المقسم عليه الذى هو جواب القسم اذا كان شيأ واحدا والمقسم به أشياء متعددة كان المقصود هناك قسم واحد تشترك فيه تلك الاشياء وحينئذ لا بد من أداة التشريك ليفهم المقصود على ما هو عليه ولو كان القسم متعددا يستقل كل واحد بجوابه لجاز ان لا يدل على تشريك أصلا كما فى قوله بالله لافعلن بالله لاخرجن اما اذا اتحد المقسم عليه كقوله وحقك وحق زيد لافعلن فلا يقوى أن تجعل الواو الاخيرة للقسم دون العطف بل يستكره وذلك لقصور العبارة عما قصد من وحدة القسم واشتراكه بين المتعدد الذى وقع مقسما به بل لايهامها خلافه من تعدد القسم واقتضاء كل واحد جوابا برأسه لكنه لا يمتنع وانما لم يمتنع لجواز أن يفهم المقصود بشواهد القرائن وقيل معناه انه أقسم بهذه الاشياء على شئ واحد فلو جعل الواوان

الزمخشرى رحمه الله فى حقه أن تكون معربة وان فتحتها نصب أو لالتقاء الساكنين العارض للحكاية على ما ظهر من قوله آنفا وسيأتى له أيضا ما يدل على انه لا يجوز بناؤها البتة * أقول بعد تسليم أن الاول هو الظاهر من مراده فما ذكره حكاية عن سيبويه غير وارد عليه لانه اختار أحد الوجهين (قال محمود رحمه الله هلا زعمت أنها مقسم بها الخ) قال أحمد رحمه الله وله البقاء على أنها منصوبة على القسم وجعل الواو عاطفة على مذهب الخليل وسيبويه فى أمثاله ويسلك حينئذ فى العطف سبيل * ولا سابق شيأ اذا كان جائيا * فان المقسم به وان كان منصوبا لانه محل بمهد وفيه الخبر فعطف بالجر رعاية لذلك المهد وههنا أولى بالصحة منه فى بيت زهير المذكور لان انتصاب المقسم به انما نشأ عن حذف حرف الجر الذى هو أصل فى القسم وانتصاب خبر ليس أصل فى نفسه ليس ناشئا عن حذف غايته أن حرف الجر قد يصحب خبرها

الاخيرتان للقسم كان كل واحد قسما مستقلا يقصد مستأنف يقتضى ارتباط الجواب به ارتباط الجزاء
بشرطه فيلزم الانتقال من كلام الى آخر قبل اتمامه فان القسم الاول انما يتم بالمقسم عليه وقد فصل بينهما
بالقسم الثانى فاقتضى القياس امتناعه الا ان الثانى لما كان متوجها الى ما توجه اليه الاول لم يكن أجنبيا عنه
من كل وجه فلم يمتنع الانتقال اليه والفصل به بين الاول وجوابه بل كان ضعيفا مستكرها ولو كان القسم
الاول منقضيا بجوابه مستوفيا حقه الذى هو المقسم عليه لم يكن هناك انتقال وفصل وجاز استعمال القسم
الثانى على انه كلام آخر عقيب تمام الاول كما فى صورة تعدد المقسم عليه ﴿لا يقال﴾ اذا اجتمع القسم والشرط
على جواب واحد جعل ذلك الجواب لاحدهما لفظا ومعنى وللآخر معنى فقط واعتمد فى ذلك على القرينة
ولم يستكره أصلا مع ان العبارة قاصرة فى بعضها عن تأدية ما أريد بهما من اشتراك الجواب بينهما والفصل
واقع بين أحدهما وجزائه فليكن الحال فى اجتماع القسمين على هذا المنوال ﴿لانا نقول﴾ ثم ضرورة هى
اختلاف القسم والشرط وتنافى جوابيهما فى الاحكام اللفظية قدعت الى ارتكاب ما ذكر ولا ضرورة فى
القسم المذكورة فيستقبح فيه العدول عن الظاهر المستحسن أعنى جعل الواو عاطفة ليكون المجموع قسما
واحدا على مقسم عليه واحد سواء اعتبر العطف أولا وتعلق الاقسام ثانيا أو بالعكس فلا يلزم قصور الدلالة
عن المرام ولا فصل بين اجزاء الكلام وبذلك يندفع أيضا ما يورد على المعنى الثانى وحده من حذف جواب
القسم الاول فانه أيضا عدول عن الظاهر بلا ضرورة تدعو اليه الوجه الثانى فى ان الواو ين للعطف
لا للقسم تقريره ان ثم والفاء قد يقعان موقع الواو فى مثل هذا التركيب أعنى ان يكون المقسم عليه متحدا
مع تعدد فى المقسم به كقولك وحياتى ثم حياتك لافعلن وقوله تعالى والصافات صفا فالزاجرات زجرا ولا
يتفاوت المعنى الا بما يفيده هذان الحرفان من التراخى والتعقيب الزائدين على معنى الواو وكان ثم والفاء
للعطف والتشريك دون القسم كذلك الواو ﴿فان قلت﴾ المقصود من نقله كلام الخليل أن يستدل على
أن الجمع بين قسمين على مقسم عليه واحد مستكره وقد تم بالوجه الاول فلا فائدة فى نقل الثانى اذ لا تعلق له
بحديث الاستكراه ﴿قلت﴾ هو تتميم لما نقله عنه أولا وفيه تمهيد لذكر العطف كأنه قال لو كانت تلك
الواوات مقسما بها امتنع وبه لكانت الواو بعدها للعطف قياسا على النظائر لكنه متعذر للمخالفة فى الاعراب
وأيضا الظهور العطف مدخل فى استقباح تعدد القسم على شئ واحد كما عرفت ﴿لا يقال﴾ التخالف فى
الاعراب لا يمنع العطف لجواز أن يكون على توهم الجر فى المعطوف عليه باضمار الجار كقولك لست مدرك
ما مضى ولا سابق ﴿لانا نقول﴾ هذا التوهم انما يعتبر فيما كثر وجوده كالباء فى خبر ليس وأما اضمار
الجار فى القسم فقليل جدا فلا عبرة بتوهمه بل هو أشد استكراها وقد يجاب بان الجار فى البيت مفروض
لا مقدر وحين فرض فرض عاملا فى المعطوف عليه وفيما نحن بصدده مقدر وقد عزل عن العمل فى الاقرب
فلا يحسن اعماله فى الابعد واعترض على قول الخليل بان الواو فى والنهار اذا تجلى ان كانت عاطفة لزم العطف
على معمولى عاملين مختلفين فان الليل مجرور بواو القسم واذا يغشى منصوب بفعله وقد عطف النهار
واذا تجلى عليه بعاطف واحد أجاب عنه المصنف بان واو القسم يطرح معها ابراز الفعل اطراحا كليا بخلاف
الباء حيث أبرز معها الفعل وأضمر فالواو نائبة مناب الفعل والباء معا وسدت مسدهما فصارت كأنها هى
العاملة جرا ونصبا فى الليل والظرف فالعطف حينئذ على معمولى عامل واحد كقولك ضرب زيد عمرا وبكر
خالدا ورد بعدم اطراده فيما اذا صرح بالفعل مع الباء كقوله تعالى فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل
اذا عسعس والصبح اذا تنفس فان الصبح معطوف على الليل المجرور بالباء واذا تنفس معطوف على اذا
عسعس المنصوب بالفعل ﴿وههنا اشكال آخر﴾ وهو تقييد القسم بالظرف مع انه مطلق اذ ليس المعنى
فى القسمين على انه أقسم بالليل وقت غشيانه أو عسعسته والصبح وقت تنفسه وهو لازم سواء جعل الظرف
مفعولا لفعل القسم أو الواو القائمة مقامه وجعل الظرف حالا كما اختاره ابن الحاجب لا يدفعه فان الحال
قيد للفعل أيضا والاولى أن يجعل اذا معا بدلا من الليل أى أقسم بالليل بوقت غشيانه وبالنهار وقت تجليه

دخيلا فمراعاة الاصل
أجدر من مراعاة
العارض فقد تحرر فى
فتح ص وجهان أحدهما
أن يكون اعرابا وهو
لما جرى على الوجه
الذى أبداه الزمخشرى
أو ذهب على الوجه
الذى نقلته عن سيبويه
ثانيهما أنه لا اعراب ولا
بناء وهو عروضه على
الوقف فى الحكاية

والواو الاخيرة واو قسم لا يجوز الا مستكرها قال وتقول وحياتى ثم حياتك لافعلن فثم ههنا بمنزلة الواو هذا ولا سبيل فيما نحن بصدده الى أن تجعل الواو للعطف لمخالفة الثانى الاول فى الاعراب (فان قلت) فقدرها مجرورة باضمار الباء القسمية لا بحذفها فقد جاء نعم الله لافعلن مجرورا ونظيره قولهم لاه أبوك غير أنها فتحت فى موضع الجر لكونها غير مصروفة واجعل الواو للعطف

وبالصبح وقت تنفسه أو يجعل ظرفا ويقدر مضاف قبل الليل أى وعظمة الليل وقت عشيانه فالمضاف المقدر هو العامل خفضا ونصبا فيندفع الاشكالان معا وتقدير الغشيان وان كان دافعا لهما الا أنه لا يجدى طائلا بحسب المعنى (قوله والواو الاخيرة واو قسم) جملة حالية عاملها تقول وقوله (لا يجوز الا مستكرها) بيان وتأكيد لقوله لا يقوى وقوله هذا فصل بين كلامى الخليل والمصنف معناه مضى هذا أو خذ هذا أو هذا كما ذكرت وجعله اشارة الى الواو صفة لها أو بدلا يؤدى الى ترك الفصل الذى هو أليق بسياق كلامه على ان الانسب حينئذ ان يقال هذه ليناسب قوله الواو الاخيرة (قوله فقدرها مجرورة) أى اذا كان المانع من كون تلك الفواتح مقسما بها جعلها منصوبة اذ بذلك يخالف اعرابها اعراب ما بعدها فامتنع العطف ولزم الجمع بين القسمين على مقسم عليه واحد اذ بامتناع العطف يتعين القسم المستكره فأزل هذا المانع وقدرها مجرورة باضمار الجار واجعل الواو للعطف حتى يتم لك المصير الى ما أشرت اليه بضم التاء على التكلم كما فى النسخ المعول عليها فما أشرت اليه عبارة عن كونها مقسما بها منصوبة فانه الذى اشار اليه السائل ولام على تركه فذكره بقوله هلا زعمت ونحوه عبارة عن كونها مقسما بها مجرورة يعنى اذا لم يتم لك المصير الى ما طلبنا أولا للمانع فى طريقه فاختر طريقة أخرى ليتم لك المصير الى نظيره المشارك له فيما هو المقصود الاصلى أعنى كونه مقسما بها فان هذا النظير أيضا وجه من الاعراب مغاير لكونها منصوبة بتقدير اذكر وقرأه بعض المتأخرين بفتح التاء على الخطاب كما وقع فى بعض النسخ وفسر ما أشرت اليه بعدم الجمع بين القسمين وهو منظور فيه اما أولا فلأن المفهوم من قوله حتى يستتب لك المصير الى نحو ما أشرت اليه ان هناك مطلوبا لم يستتب المصير اليه للمانع واذا اختير ما ذكره ههنا زال المانع واستتب له المصير الى ما هو نحوه وقائم مقامه وعدم الجمع بين القسمين ليس أمرا مطلوبا بهذه الصفة عرض له مانع من المصير اليه بل هو عدم مانع فى طريق المطلوب وهذا مما لا يشتبه على من له فى معرفة التراكيب ونقد المعانى قدم راسخ وضرس قاطع واما ثانيا فلان لفظة نحو لا يبقى لها على هذا التفسير معنى أصلا كما لا يخفى على من له أدنى مسكة وحملها على الكناية كما فى مثلك لا يبخل مما لا يلتفت اليه واما ثالثا فلان قوله وبعضده ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ينافيه فان المروى عنه لا يعضد عدم الجمع بين القسمين بل لا تعلق له بذلك انما يعضد كونها مقسما بها (ولا يقال) لعله يحمل لفظة نحو على العطف كما يظهر من كلام غيره (لانا نقول) فحينئذ يصير المعنى واجعل الواو للعطف حتى يتم لك المصير الى العطف وذلك مما يعد لغوا وأيضا يدفعه الوجه الاول لان العطف ليس مطلوبا ههنا بل وسيلة اليه وكذا الوجه الثالث فان قول ابن عباس أقسم الله بهذه الحروف لا يتعلق بالعطف وتأييده أصلا على ان لفظة نحو انما تطلق على الشابه والعطف مستلزم لعدم الجمع بين القسمين ههنا لا مشابه له (قوله باضمار الباء) خصها بالاضمار دون الواو والباء لا صالتها فى القسم وكثرة استعمالها فيه وقوله (لا بحذفها) اشارة الى ان المضمر يبقى أثره دون المحذوف وقال هنالك وانما نصب نصب قولهم نعم الله لافعلن وقال ههنا فقد جاء نعم الله لافعلن مجرورا تنبيها على كثرة النصب بحذف الجار وقلة الجر باضماره (قوله لاه أبوك) أصله لله أبوك أضمرت الجارة وحذفت الزائدة المدغمة فى الاصلية لئلا يلزم الابتداء بالساكن وقيل حذفت الاصلية لان الزائدة محتاجة لمعنى فهى بالابقاء أولى وربما يقال حذفت الزائدة والاصلية معا وفتحت الجارة وحينئذ لا تكون نظير المانحن فيه ومعنى لله أبوك مدح وتعجب أى هو لعظمته وغرابة شأنه مختص بالله

حتى يستتب لك المصير الى نحو ما أشرت اليه (قلت) هذا لا يبعد عن الصواب ويعضده ما رووا عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال أقسم الله بهذه الحروف (فان قلت) فما وجه قراءة بعضهم ص وق بالكسر (قلت) وجهها ما ذكرت من التحريك لالتقاء الساكنين والذي يبسط من عذر المحرك أن الوقف لما استمر بهذه الاسامي شاكلت لذلك ما اجتمع في آخره ساكنان من المبنيات فحوملت تارة معاملة الآن وأخرى معاملة هؤلاء (فان قلت) هل تسوغ لي في المحكية مثل ما سوغت لي في المعربة من ارادة معنى القسم (قلت) لا عليك في ذلك وأن تقدر حرف القسم مضمرا في نحو قوله عز وجل حم والكتاب المبين كأنه قيل أقسم بهذه السورة وبالكتاب المبين انا جعلناه وأما قوله صلى الله عليه وسلم حم لا ينصرون فيصلح أن يقضى له بالجر والنصب جميعا على حذف الجار واضماره

الذي توحد بكمال قدرته عظائم الامور العجيبة الشأن (قوله يستتب) أي يتم من التباب وهو الهلاك فانه يتبع التمام ويردفه فكان ما تم بطلبه ومنه * اذا تم أمر بدا نقصه * (قوله أقسم الله بهذه الحروف) قال الفاضل اليمني وذلك لشرفها لانها مباني كتب الله وأسمائه ويرد عليه انه يستلزم أن يكون لهذه الاسماء حال كونها مسرودة على نمط التعديد أي مرادا بها الحروف المباني محل من الاعراب وقد نص المصنف على خلافه فالصواب عنده ان يحمل على الاقسام بهذه الكلمات حال كونها اعلام السور (قوله فما وجه قراءة بعضهم) أي ما ذكرته في قراءة الفتح من اضمار الجار مع كون الفواتح غير مصروفة لا تتأتى في قراءة الكسر ولا يمكن أيضا جعلها مصروفة لسكون وسطها والا لكانت منونة فما وجهها أجاب بان وجهها ما ذكرناه على سبيل الاحتمال في قراءة الفتح من التحريك للجد في الهرب من التقاء الساكنين فانه متعين في هذه القراءة لا وجه لها غيره (قوله والذي يبسط من عذر المحرك) أي فتحا أو كسرا وفي ذكر هذا البسط نوع تقوية لهذا الوجه أعني التحريك للجد في الهرب كي لا يتمسك بقراءة الكسر بل بالفتح أيضا على ان الاسماء قبل التركيب مبنية اذ لو كانت موقوفة لما حركت هذه الفواتح لالتقاء الساكنين فانه مغتفر في الوقف سائغ وحاصل الاعتذار أن هذه الاسماء كثر استعمالها غير مركبة موقوفة ساكنة الاعجاز كأنها موضوعة على حالة لا تختلف فأشبهت بذلك تلك المبنيات التي يجتمع في آخرها ساكنان لو بقيت على السكون فعوملت معاملتها فتارة حركت بالفتح طلبا للخفة كالآن وتارة حركت بالكسر على ما هو الاصل في تحريك الساكن كهؤلاء (قوله هل تسوغ لي في المحكية) في ذكر التسويغ اشعار بضعف ارادة معنى القسم في الفواتح ومن ثم قال هذا لا يبعد عن الصواب وان أيده بالاثر وقوله لا عليك أيضا والمراد بالمعربة ههنا ما أدركه الاعراب كصاد وقاف ونون مفتوحات اذا قدرت مجرورة باضمار الباء وبالمحكية ما يقابلها فيندرج فيها ما لا يتأتى فيه الاعراب كالم فانه محكي على السكون وجوبا وما يتأتى فيه ذلك لكنه لم يعرب بل حكي على الحالة الوقفية سواء لم يغير عن سكونه كحم أو غير بالتحريك للجد في الهرب كصاد وقاف ونون في قراءة الكسر مطلقا وفي قراءة الفتح على وجه والضابط ان المحكية ما سكن آخره أو تحرك لالتقاء الساكنين فان فسرها بما ذكرت على طريق الحكاية من غير حركة في الآخر فقد زلت قدمه (قوله لا عليك في ذلك) أي لا بأس عليك في حمل المحكية على ارادة معنى القسم منها وقوله أن تقدر عطف على قوله ذلك يعني اذا كان بعد المحكية مجرور مع الواو كقوله حم والكتاب المبين وجعلتها مقسما بها فقدرها مجرورة المحل باضمار حرف القسم لا منصوبة بحذفه والا امتنع العطف للتخالف ولزم الجمع بين القسمين على شيء واحد واما اذا لم يكن بعدها مجرور مع الواو كقوله صلى الله عليه وآله لا تبصرون فلك اذا جعلتها مقسما بها ان تحكم لها بالنصب والجر جميعا على حذف الجار وايصال الفعل واضماره اذ لا محذور في النصب حينئذ بل هو أولى لكثرته قال رحمه الله تعالى هذا التسويغ يختص بما يكون بعده قسم أو ما يصلح أن يكون جوابا للقسم واما نحو الم ذلك الكتاب والم الله فلا تسويغ فيه ومنهم من عمم على حذف جواب القسم

(قال محمود رحمه الله فان قلت فما وجه قراءة بعضهم ص وق بالكسر الخ) قال أحمد رحمه الله وهذا تحقق لك مخالفته لما نقلته من نص سيبويه من أنها غير متمكنة ويدلك على ان فتحتها التي قال قبل انها لالتقاء الساكنين فتحة بناء أنه انما أراد السكون العارض في الحكاية لا سكون البناء وهو مخالف لنص سيبويه كما نبهت عليه أيضا (قال محمود رحمه الله هل تسوغ لي في المحكية ارادة القسم كما سوغت لي في المعربة الخ) قال أحمد رحمه الله وقد منع الزمخشري أن يكون ص منصوبا على القسم لما تقدم وأجاز أن يكون حم في الحديث المذكور منصوبة على القسم بخلاف حم في القرآن فتلك يتعين أن يكون نصبا على اضمار الفعل أو مجرورة على القسم وأما النصب مع القسم فلا يجيزه الا في الحديث والفرق عنده ان المانع من اجازته في القرآن مجيء المعطوف بعده مخالفا له في الاعراب اذ المعطوفات

(فان قلت) فما معنى تسمية السور بهذه الالفاظ خاصة (قلت) كأن المعنى فى ذلك الاشعار بأن الفرقان ليس الا كلما عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الالفاظ كما قال عز من قائل قرآنا عربيا (فان قلت) فما بالها مكتوبة فى المصحف على صور الحروف أنفسها لا على صور أساميها (قلت) لان الكلم لما كانت مركبة من ذوات الحروف واستمرت العادة متى تهجيت

نحو انه اعجز لكن اللفظ لما لم يكن صريحا فى القسم ليجعل دليلا على اقتضاء الجواب كان حذفه ضعيفا جدا والتعويل فى ذلك على ان كثيرا من الفواتح قد عطف عليه قسم وذكر معه ما يصلح أن يكون جوابا لا يدفع ضعفه بل يصححه فى الجملة وتمثيل المصنف فى تجويز النصب والجر معا بقول النبى صلى الله عليه وآله حم لا ينصرون دون نظم القرآن من نحو الم ذلك الكتاب الخ لا يخلو من ايماء الى ما اختاره رحمه الله أى التخصيص وذكر فى الفائق ان حم لا ينصرون كان شعارا لقوم يوم الاحزاب وذلك اشارة الى ان السور المصدرة بها لفخامة شأنها حقيقة بأن تنزل نصرة المؤمنين وفل شوكة الكفار قال وحم اما منصوب بفعل مضمر أى قولوا حم ولا ينصرون استئناف كأنه قيل ماذا يكون اذا قلنا هذه الكلمة فقال لا ينصرون واما قسم على حذف المضاف أى ورب حم ومنزل حم ولا ينصرون جواب القسم ولم يتعرض فى الكشاف لتقدير المضاف اذ لا احتياج اليه لان القسم بالفواتح أنفسها وزعم بعضهم ان حم من أسماء الله تعالى أى اللهم لا ينصرون وتمسك بما ورد فى المروى عن على عليه السلام يا كهيعص يا حم عسق قال رحمه الله تعالى هو وجه مستقل فى الفواتح كلها لكنه ضعيف لان أسماءه تعالى تدل على معنى تعظيم وتنزيه وما أشبه ذلك علم ذلك بالاستقراء والفواتح لا تدل على شئ منها واما الدعاء فعلى تأويل يا رب أو يا منزل كما مر (قوله فما معنى تسمية السور) أى قد تحقق بما ذكرت وفصلت انها أسماء السور فبين لنا وجه تسميتها بهذه الالفاظ دون غيرها مع تساويها فيما يقصد بالاعلام من الدلالة على المسمى والجواب ان الوجه فى ذلك الاشعار بأن القرآن ليس الا كلما عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الالفاظ على قانون لغتهم فيكون فيه ايماء الى الاعجاز والتحدى على سبيل الايقاظ ووجه الاشعار ان الاولى فى الاعلام المنقولة أن تراعى فيما أمكنت مناسبة بين معانيها الاصلية والعلمية عند التسمية ورعاية لاحظ تلك المناسبة حال الاطلاق بحسب المقامات ولما كانت السور كلها مركبة من حروف مخصوصة لها أسماء فى لغة العرب وجعلت تلك الاسماء أعلاما للسور كان ذلك لتركبها من تلك الحروف على قاعدة اللغة التى هذه الاسماء منها فاذا أطلقت عليها لوحظ هذا المعنى لاقتضاء المقام اياه ولما كان القرآن نوعا واحدا من لغة واحدة كان الاشعار يكون بعض سوره منها عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الالفاظ اشعارا بان مجموعه كذلك وانما قال كان ولم يجزم لان رعاية المناسبة فى الاعلام غير واجبة واقتصر على ذكر الاشعار بان الفرقان عربى واستشهد له ولم يذكر الايماء الى الايقاظ اعتمادا على ما سنفصله من الوجه الثانى فانما قصد فيه اصالة يقصد فى الاول تبعا كأنه نبهنا عليه ومن ثم توهم انه اراد مجرد الدلالة على كونه عربيا (قوله فما بالها) أراد ان هذه الالفاظ التى جعلت أعلاما للسور هى أسامى الحروف لا نفس الحروف وقياس الخط أن يكتب كل لفظ على صورته فلماذا خولف القياس ولم تكتب هذه الالفاظ على صورها أى أنفسها بل كتبت على صورة الحروف وقوله لا على صور أساميها أصله لا على صورها على ان الضمير لهذه الالفاظ كما فى فما بالها فوضع الاسامى موضع ذلك الضمير وأضيف الى ضمير الحروف تصريحا بان هذه الالفاظ أسامى الحروف فحقها ان تكتب على صورة الاسامى والجواب بوجوه ثلاثة ان الكلم كلها مركبة من ذوات الحروف لا من أسمائها وذلك يقتضى كثرة وقوع صور الحروف فى الخط واعتياد الكاتب بها دون صورة أساميها وانضم الى ذلك انه استمرت العادة بانه اذا أريد ان يؤمر بتصور ذوات الحروف تهجى أى تعدد تلك الحروف بأساميها قيل له مثلا كتب ألف با تا فيكتب ا ب ت فيقع فى التلفظ الاسماء وفى

كلها مجرورة وبتقدير عنده القسم فى التوافق نحو فامن جمع قسمين على مقسم واحد ولا كذلك الحديث فانه لم يأت بعده ما يأباه فلذلك خص جواز هذا الوجه بالحديث وأما على الوجه الذى أوضحته فيم جواز ذلك القرآن والحديث جميعا (قال محمود رحمه الله فان قلت فما بالها مكتوبة فى المصحف على صورة الحروف الخ) قال أحمد رحمه الله على هذا المعنى من خروج خط المصحف عن قياس الخط اعتمد القاضى رضى الله عنه فى كتاب الانتصار فى الجواب عما نقل عن عثمان رضى الله عنه أن عكرمة لما عرض عليه المصحف وجد فيه حروفا من اللحن فقال لا تغيروها فان العرب ستقيمها بألسنتها فلو كان الكاتب من ثقيف والمملى من هذيل لم يوجد فيه هذه الحروف قال القاضى وانما قال عثمان رضى الله عنه ذلك لان ثقيفا كانت أبصر بالهجاء وهذيلا كانت تظهر الهمزة والهمزة اذا ظهرت فى لفظ المملى كتبها الكاتب

ومتى قيل للكاتب اكتب كيت وكيت أن يلفظ بالاسماء وتقع فى الكتابة الحروف أنفسها عمل على تلك
الشاكلة المألوفة فى كتابة هذه الفواتح وأيضا فان شهرة أمرها واقامة ألسن الاسود والاحمر لها وان
اللافظ بها غير متهجاة لا يحلى بطائل منها وان بعضها مفرد لا يخطر ببال غير ما هو عليه من مورده أمنت
وقوع اللبس فيها وقد اتفقت فى خط المصحف أشياء خارجة عن القياسات التى بنى عليها علم الخط والهجاء ثم
ما عاد ذلك بضير ولا نقصان لاستقامة اللفظ وبقاء الحفظ وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف

الكتابة الحروف أنفسها فتكتب فكأنه لما قيل لكاتب الفواتح اكتب ألف لام ميم مثلا عمل على تلك
الطريقة المألوفة فصور ذوات الحروف على ما هو قاعدة التأليف تنبيها على هذا الضمير تهجيت راجع الى
الحروف وقد يتوهم رجوعه الى الكلم والمعنى انه اذا أريد ان يؤمر بتصوير الكلم تتهجى حروفها على الترتيب
فيقال فى الامر بتصوير ضرب مثلا اكتب ضاد را با فيكتب هكذا ضرب وفيه انه لا تصح حينئذ دعوى
استمرار العادة بذلك فان التلفظ بانفس الكلم فى الامر بكتابتها أكثر من ان يتهجى حروفها (قوله ومتى قيل
للكاتب) عطف يجرى مجرى التفسير لقوله متى تهجيت وكيت وكيت كناية عن الحروف وان يلفظ متعلقة
باستمرت وعمل جواب لما وهو مسند الى الظرف الذى بعده والشاكلة الطريق والجهة (قوله وأيضا)
اشارة الى الوجه الثانى وحاصله انه اختير فى كتابة الفواتح ما هو أخف وأخصر أعنى صور الحروف أمنا من
الالباس اذ لا شبهة ان المتلفظ فى أوائل تلك السور هى الاسامى دون الحروف والسبب فى عدم الاشتباه
أمور الاول شهرة أمر الفواتح باقامة ألسن العرب والعجم بها والثانى ان التلفظ فى الفواتح بالحروف
أنفسها لا بأساميها عار عن الفائدة فان حروف المبانى لا معانى لها أصلا بخلاف أسمائها ﴿ لا يقال ﴾ ربما
يعتبر من تلك الحروف فى الفواتح ألفاظ مستعملة كألم فى الم وحم فى حم ﴿ لانا نقول ﴾ المقصود
الامن من وقوع اللبس بذوات الحروف لتقاربهما أى الحروف وأساميها الا بكلمة مركبة منها فانه مستبعد
جدا ولو حمل على الامن من الالباس مطلقا قيل التلفظ بالفواتح لا على وجه تعدد حروفها المكتوبة
بأساميها لا يشتمل على كبير فائدة اذ لا يحصل منها الا ألفاظ تفيد بنفسها معانى لا يعتد بها الثالث ان بعض
الفواتح مفرد لا يخطر ببال أحد غير مورده وهو ان يتلفظ باسم الحرف كصاد وقاف ودال ولما كانت
الفواتح من باب واحد لم يبق اشتباه أيضا فى الثانى وتمامخص المفردات بعدم الاخطار اذ لا يتوهم
منها ألفاظ موضوعة لمعنى فى بعض المركبات ولو كانت ق مثلا أمرا من الوقاية لكتبت بالهاء فقوله
واقامة عطف على شهرة تجرى مجرى التفسير له (قوله وان اللافظ بها وان بعضها) عطف على اسم ان ويجوز
عطف أن المفتوحة مع ما فى حيزها على اسم ان المكسورة وان لم يجز ان تقع اسما لها بلا فصل وضميرها
راجع الى الفواتح المصورة بصورة الحروف وغير متهجاة حال منها أى غير معددة حروفها المكتوبة
باسمائها وذلك بان يؤتى بالحروف أنفسها (قوله لا يحلى بطائل) أى لا يحظى بفائدة فى الاساس ما حليت منه
بطائل أى بفائدة وقال الجوهرى لم يحل منه بطائل أى لم يستفد منه كبير فائدة ولا يتكلم به الامع الجحد
أى النفى وقوله لا يخطر بضم الياء وكسر الطاء وفاعله ضمير راجع الى مفرد فالجملة صفة له أو الى بعضها فالجملة
خبر ثان وضمير هو ومورده للبعض وضمير عليه لما وأمنت خبر لقوله فان شهرة وما عطف عليه (قوله وقد
اتفقت) اشارة الى الوجه الثالث أى لا يحتاج فى كتبت الفواتح الى اعتذار فان خط المصحف خالف
القياس فى مواضع كثيرة وليس فى ذلك مضرة لحصول المقصود من الكتابة وهو استقامة الالفاظ وبقاؤها
محفوظة على حالها والخط تصوير اللفظ بحروف هجائية وقد عرفت ان الهجاء فى أصله تعديد الحروف
بأساميها لكنه استعمل فى تصوير الحروف ههنا وعطفه على الخط كانه تفسير له على علم تصوير الالفاظ
وتصوير الحروف وقوله (سنة) أى طريقة مسلوكة لا تخالف وقد حكم مالك رحمه الله تعالى بحرمة المخالفة
فيما يقصد به البقاء كالمصاحف وأما ما لا يقصد به الا التفهيم كالواح الصبيان وما يجرى مجراها فيجوزان

على صورتها افا أراد
عثمان رضى الله عنه
الان تلك الحروف
كتبت على خلاف
قياس الخط مثل
كتابة الصلوة والزكوة
بالواو لا بالالف قال
القاضى وانما أخذ
الله على الحفظة ان
لا يغيروا التلاوة وأما
الخط فلم يأخذ عليهم
رسما بعينه حتى
لا يسوغ الخروج من
قياس رسم خاص من
رسوم الخط اه كلامه

قال عبد الله بن درستويه في كتابه المترجم بكتاب الكتاب المتمم في الخط والهجاء خطان لا يقاسان خط المصحف لانه سنة وخط العروض لانه يثبت فيه ما أثبته اللفظ ويسقط عنه ما أسقطه ✽ الوجه الثاني أن يكون ورود هذه الاسماء هكذا مسرودة على نمط التعديد كالايقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن وبغرابة نظمه وكالتحريك للنظر في أن هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ليؤديهم النظر الى أن يستيقنوا أن لم تتساقط مقدرتهم دونه ولم تتظاهر معجزتهم عن أن يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة وهم أمراء الكلام وزعماء الحوار وهم الحراص على التساجل في اقتضاب الخطب والمتهالكون على الافتنان

لا تكتب على قانون الخط (قوله بكتاب الكتاب) أى كتاب الكتابة قال الفاضل اليمنى وفى بعض النسخ الكتَّاب بالتشديد وخط المصحف وخط العروض مبتدا خبره خطان لا يقاسان قدم عليه تشويقا ولو جعل خطان لا يقاسان مبتدا خبره محذوف أى ههنا أولنا كان أقعد في المعنى ﴿فان قلت﴾ لماذا خص سؤال كتابة الفواتح على صورة الحروف بتقدير كونها أسماء السورة ﴿قلت﴾ لانه اذا أريد بها تعديد الحروف للايقاظ أو للاغراب لم يستبعد كتابتها على صورها فان المعتاد في التهجي ان تكتب ذوات الحروف ويتلفظ بأسمائها كما عرفت في الوجه الاول من الجواب (قوله هكذا) قيل صفة مصدر محذوف أى ورودا هكذا ومسرودة حال والاولى انه حال أى كائنة على الهيئة التى وردت عليها ومسرودة بدل منها أو بيان لها وكالايقاظ خبر ليكون وقرع العصا كناية عن التنبيه أصله ان عامر بن الظرب العدوانى كان أحد فرسان العرب وحكامهم لا يعدل بفهمه فهم فلما طعن في السن أنكر من عقله فقال لبنيه قد كبرت سنى وعرض لى سهو فاذا رأيتمونى خرجت من كلامى وأخذت في غيره فاقرعوا لى العصا فقيل ان العصا قرعت لذى الحلم (قوله وكالتحريك) عطف على الايقاظ على معنى انه قصد بورودها هكذا ايقاظهم وازالة توهمهم وغفلتهم عن حال القرآن وتحريكهم للنظر فيما يؤدى الى معرفة انه كلام الله تعالى (قوله وقد عجزوا) حال عن الضمير المجرور في عليهم أو من المرفوع المستكن في المتلو (قوله عن آخرهم) صفة مصدر محذوف أى عجزا صادرا عن آخرهم وهو عبارة عن الشمول والاستيعاب فان العجز اذا صدر عن الآخر فقد صدر أولا عن الاول وقيل معناه عجزا متجاوزا عن آخرهم فيدل على شموله اياهم وتجاوزه عنهم فهو أبلغ من ان يقال عجزوا كلهم وردبان التجاوز بمعنى التعدى والمجاوزة يتعدى بنفسه والذى يتعدى بعن معناه العفو ويمكن ان يدفع بتضمين معنى التباعد بمعونة المقام اذ لا مجال لقصد العفو وقيل يتعدى بكلمة عن أيضا لورود استعماله عمن يوثق به وقيل عجزا صادرا عن آخرهم الى أولهم ورد بان مقابل الى هو من لا عن (قوله ليؤديهم) تعليل للتحريك (والمقدرة) بضم الدال وفتحها وكسرها القدرة (والمعجزة) بفتح الجيم وكسرها العجز (ودونه) أى دون هذا المتلو في أدنى مكان وسيأتى تحقيقه ان شاء الله تعالى (وبعد المراجعات) ظرف ليأتوا (وهم أمراء الكلام) حال من المضاف اليه في معجزتهم والعامل هو المضاف أى عجزوا وهم على صفة تنافى عجزهم وذلك له مدخل في الاستيقان لا من فاعل يأتوا لفساد المعنى ويجوز ان يجعل حالا من الفاعل المقدر للمراجعات فانه يؤكد عجزهم واما كونه حالا من الضمير المجرور في مقدرتهم ومعجزتهم على ان العامل هو الفعل المنفى فانما يصح لو جاز حذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه كما في ملة ابراهيم حنيفا وتقدير تساقطوا عن القدرة وظهروا الى في العجز تكلف جدا (قوله وزعماء الحوار) أى رؤساء المكالمة والمحاورة (قوله وهم الحراص) وصفهم بكمال الارادة بعد وصفهم بكمال القدرة فكرر المسند اليه تنبيها على انه صفة أخرى تستحق ان تلاحظ معها الذات ويثبت لها استقلالا (والتساجل) التفاخر بان يصنع مثل صنعه وأصله من السجل أى الدلو والمغالبة في مائه (واقتضاب) الكلام ارتجاله (والمتهالك) على الشىء المبالغ في الحرص عليه كأنه يظهر من نفسه هلاكه فيه وذلك بيان لمزيد اهتمامهم بالنظر يقال افتن الرجل في حديثه وفي خطبته اذا جاء بالافانين

(قال محمود رحمه الله الوجه الثانى أن يكون ورود هذه الأسماء هكذا مسرودة على نمط التعديد الخ) قال أحمد رحمه الله انما أوردت هذا الفصل فى كلام الزمخشرى لانه غاية الصناعة ونهاية البراعة لولا الاخلال بلطيفة لو سلكها التمت فصاحته وهى انه بنى أول الكلام على النفى وطول فيه حتى انتهى الى الاثبات فكان أول الكلام رهين الآخره يفهم على الضد حتى ينقضى على البعد فهو كما انتقد على أبى الطيب قوله فى الخيل

ولا ركبت بها الا الى ظفر
ولا حملت بها الا على أمل

فانه صدر الصدر والعجز بما صورته الدعاء على المخاطب فى العرض مستدركا بعد وانما يؤاخذ بهذا مثل أبى الطيب والزمخشرى لان لهما فى مراتب الفصاحة علوا يفطن السامع لمثل هذا النقد

في القصيد والرجز ولم يبلغ من الجزالة وحسن النظم المبالغ التي بزت بلاغة كل ناطق وشقت غبار كل سابق ولم يتجاوز الحد الخارج من قوى الفصحاء ولم يقع وراء مطامح أعين البصراء الا لانه ليس بكلام البشر وأنه كلام خالق القوى والقدر وهذا القول من القوة والخلاقة بالقبول بمنزل ولناصره على الاول أن يقول ان القرآن انما نزل بلسان العرب مصبوبا فى أساليبهم واستعمالاتهم والعرب لم تتجاوز ما سموا به مجموع اسمين ولم يسم أحد منهم بمجموع ثلاثة أسماء وأربعة وخمسة والقول بانها أسماء السور حقيقة يخرج الى ما ليس فى لغة العرب ويؤدى أيضا الى صيرورة الاسم والمسمى واحدا

(والقصيد) جمع القصيدة من الشعر كالسفين والسفينة وفى الاساس أصله من القصيد وهو المخ المتكسر الذى يتقصد أى يتكسر لسمنه اذا استخرج من قصبته فنقلوه اليه وسموه به كما استعير السمين الجزل من الكلام والغث للردى، وقيل هو فعيل بمعنى مفعول فان الشاعر يقصده لينقحه ويحرره (والرجز) ضرب من الشعر سمى به لتقارب أجزائه وقلة حروفه وتصور اضطراب فى اللسان عند انشاده من الرجز وهو داء يصيب الابل فى أعجازها فاذا ثارت الناقة ارتعشت فخذاها ساعة ثم تنبسط يقال رجز البعير بالكسر رجزا فهو راجز وناقة رجزاء (قوله ولم يبلغ) أى هذا المتلو عطف على لم يتساقط وقوله (من الجزالة) اما تعليل للبلوغ أى من أجلها واما حال من المبالغ وهى المراتب التى تبلغ اليها وايا ما كان هو اشارة الى ان اعجاز القرآن ببلاغته وجزالة معناه وفخامته وحسن نظمه وعبارته (وبزت) أى غلبت (قوله وشق الغبار) كناية عن الوصول والسبق وهو من قول قصير لجذيمة فاركب العصا فانه لا يشق غباره الان قصيرا كنى عن السبق بعدم شق الغبار وهو ظاهر بنفسه والمصنف رحمه الله تعالى كنى عنه بشقه والغبار ظهر بمعونة المقام (والمطامح) من طمح بصره الى الشئ ارتفع وطمح اليه بنظره اذا رفعه لينظر اليه ولا يخفى ان تجاوز القرآن الحد الخارج ووقوعه وراء المطامح يدل على اعجازه من بلوغ تلك المبالغ (قوله الا لانه) استثناء من قوله لم يتساقط وما عطف عليه من المنفيات أى لم يكن سقوط المقدرة ولا ظهور المعجزة ولا بلوغ المتلو غاية الجزالة ولا تجاوزه الحد الخارج عن قول أرباب الفصاحة ولا وقوعه وراء ما تقع اليه أعين أرباب البلاغة لشئ من الاشياء الا لانه (قوله وهذا القول) قال رحمه الله تعالى جعل اسم الاشارة مبتدأ ووصفه بالقول واستعمل لفظ القوة ثم لفظ الخلاقة المنبئة عن كونه مخلوقا للقبول ونكر الخبر أعنى كونه بمنزلة دلالة على انه أرجح من الاول وذلك من وجوه الاول انه أوفق بلطائف القرآن ورموز اشاراته وأليق باساليبه ووجوه اختصاراته الثانى ان الاصل عدم النقل الثالث ان المقصود من الاعلام تمييز مسمياتها وأكثر الفواتح تشترك فيها عدة من السور كالم الرابع ان التسمية بأسماء منثورة على وجه التعديد لم توجد فى كلامهم وما ذكره سيبويه مجرد قياس الخامس ان ارتكاب الحكاية فيها بعد وقوعها فى التركيب المقتضى للاعراب مخالف للظاهر وما ذكرناه فى توجيهها مجوز لها فى الجملة هذا وقد رجح الاول على الثانى بان العلمية أكثر فائدة اذ يستفاد معها الايقاظ أيضا كما مر وبأن اختيارها موافقة للجمهور والجواب عن الاول ان الايقاظ مع العلمية تبع غير لازم وههنا على تقدير التعديد مقصود اصالة وعن الثانى ان قولهم مؤول بما سيأتى على ان المتبع هو الدليل لا كثرة القائلين وأما الوجه الثالث فهو قريب من الثانى وقد يعد من توابعه وفوائده واجراؤه فى الاول لا يخلو عن تكلف (قوله من القوة) اما حال من المجرور مع تقدمها عليه واما صفة لمحذوف يفسره قوله بمنزلة (قوله لم يتجاوز) بتذكير الفعل على ان ما سموا فاعله ومجموع اسمين مفعوله ويروى بتأنيثه على معنى لم تتجاوز العرب فيما سموا به مجموعهما (قوله حقيقة) احتراز عما سيأتى من القول بانها الاسماء السور مجازا أى يطلق عليها انها اسماء على سبيل المجاز لمشابهتها الاعلام فيما يقصد بها من افادتها التمييز (قوله الى ما ليس فى لغة العرب) أى من التسمية بثلاثة أسماء كالم وبأربعة كالمر وبخمسة كحمعسق (قوله ويؤدى أيضا) محذور آخر للوجه الاول على ما توهم ان الجزء لا يغاير كله والا غاير جميع أجزائه فكان

فان اعترضت عليه بانه قول مقول على وجه الدهر وأنه لا سبيل الى رده * أجابك بأن له محملا سوى ما يذهب اليه وأنه نظير قول الناس فلان يروى قفا نبك وعفت الديار ويقول الرجل لصاحبه ما قرأت فيقول الحمد لله وبراءة من الله ورسوله ويوصيكم الله فى أولادكم والله نور السموات والارض وليست هذه الجمل بأسامى هذه القصائد وهذه السور والآى وانما تعنى رواية القصيدة التى ذاك استهلالها وتلاوة السورة أو الآية التى تلك فاتحتها فلما جرى الكلام على أسلوب من يقصد التسمية واستفيد منها ما يستفاد من التسمية قالوا ذلك على سبيل المجاز دون الحقيقة وللمجيب عن الاعتراضين على الوجه الاول أن يقول التسمية بثلاثة أسماء فصاعدا مستنكرة لعمرى وخروج عن كلام العرب ولكن اذا جعلت اسما واحدا على طريقة حضرموت فاما غير مركبة منثورة نثر أسماء العدد فلا استنكار فيها لانها من باب التسمية بما حقه أن يحكى حكاية كما سموا بتأبط شرا وبرق نحره وشاب قرناها وكما لو سمى بزيد منطلق أو بيت شعر وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وبين التسمية بطائفة من أسماء حروف المعجم دلالة قاطعة على صحة ذلك وأما تسمية السورة كلها بفاتحتها فليست بتصيير الاسم والمسمى واحدا لانها تسمية مؤلف بمفرد والمؤلف غير المفرد الا ترى أنهم جعلوا اسم الحرف مؤلفا منه ومن حرفين مضمومين اليه كقولهم صاد فلم يكن من جعل الاسم والمسمى واحدا حيث كان الاسم مؤلفا والمسمى مفردا * الوجه الثالث أن ترد السور مصدرة بذلك ليكون أول ما يقرع الاسماع مستقلا بوجه من الاغراب

مغاير لنفسه وكون الاسم متحدا مع المسمى باطل لان الشئ لا يكون علامة موضوعة لنفسه (قوله فان اعترضت عليه) أى على ناصر الوجه الثانى بانه أى بأن القول بكونها اسماء للسور مقول على وجه الدهر أى مشهور فيما بين الناس وقد مر نظيره فى الخطبة لا سبيل الى رده لشهرته وقربه من الاجماع (قوله سوى ما يذهب اليه) من كونها اسماء لها حقيقة وتذهب على الخطاب وفى بعض النسخ بالغيبة على صيغة ما لم يسم فاعله (قوله على طريقة حضرموت) أى على وجه المزج والتركيب بحيث يصير المجموع اسما واحدا يصح ان يجرى الاعراب على آخره (غير مركبة) أى غير مجعولة اسما واحدا على الطريقة المذكورة وهو نصب على الحال و (منثورة) بدل منه أو بيان له وتقدير الكلام فاما التسمية بها أى بثلاثة أسماء فصاعدا حال كونها غير مركبة وقيل مفعول وتقديره فاما اذا جعلت غير مركبة وفيه بعد بحسب المعنى (قوله وناهيك بتسوية سيبويه) أى حسبك وكافيك تسويته وهو اسم فاعل من النهى كأنه ينهاك عن تطلب دليل سواه يقال زيد ناهيك من رجل أى هو ينهاك عن غيره بجده وغنائه عن طلب غيره ودخول الباء للنظر الى مآل المعنى كأنه قيل اكتف بتسويته (قوله دلالة قاطعة) نصب على التمييز من ناهيك (قوله والمؤلف غير المفرد) أى هما متغايران صفة وذاتا فلا يلزم من تسمية المؤلف بالمفرد اتحاد الاسم مع المسمى كما لا يلزم ذلك من عكسها فى أسماء الحروف والشبهة مندفعة لان مغايرة الشئ لآخر لا تستلزم مغايرته لكل جزء منه حتى يلزم ذلك المحذور وأما ان الجزء قد يطلق عليه العين فهو اصطلاح مخالف للعرف واللغة والكلام ههنا ليس مبنيا على الاصطلاح ﴿لا يقال﴾ جزء الشئ متقدم عليه واسمه متأخر عنه فلا يكون جزء الشئ اسما له والا لكان متقدما عليه ومتأخرا عنه ﴿لانا نقول﴾ ذات الجزء متقدم على ذات الكل فى الوجود العينى والعلمى واما ذات الاسم فلا يجب تأخره عن ذات المسمى فى شئ منهما بل ربما كان جزأ المسمى كما فى الفواتح فيجب تقدمه وربما كان بخلافه كما فى أسماء الحروف فيجب تأخره عنها وربما لم يكن شيأ منهما فلا يوصف بالتقدم والتأخر بالقياس الى مسماه ﴿نعم﴾ وصف الاسمية متأخر عن ذات المسمى مطلقا ﴿فان قيل﴾ وقوعها أجزاء للسور من حيث انها اسماء لها فاذا كانت الاسمية متأخرة يلزم تأخر الجزء ﴿قلنا﴾ يلزم من ذلك تأخر وصف الجزئية عن ذات الكل ولا محذور فيه (قوله ليكون أول ما يقرع الاسماع) أى من السور المصدرة بها مستقلا أى مستبدا بوجه من الاغراب أى مستبدا به غير محتاج

وتقدمة من دلائل الاعجاز وذلك أن النطق بالحروف أنفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام الاميون منهم وأهل الكتاب بخلاف النطق بأسامي الحروف فانه كان مختصا بمن خط وقرأ وخالط أهل الكتاب وتعلم منهم وكان مستغربا مستبعدا من الامي التكلم بها استبعاد الخط والتلاوة كما قال عز وجل وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون فكان حكم النطق بذلك مع اشتهار أنه لم يكن ممن اقتبس شيأ من أهله حكم الاقاصيص المذكورة فى القرآن التى لم تكن قريش ومن دان بدينها فى شئ من الاحاطة بها فى أن ذلك حاصل له من جهة الوحى وشاهد بصحة نبوته وبمنزلة أن يتكلم بالرطانة من غير ان يسمعها من أحد * واعلم أنك اذا تأملت ما أورده الله عز سلطانه فى الفواتح من هذه

فيه الى ما بعده من الكلام يقال أغرب الرجل اذا جاء بشئ غريب (قوله وتقدمة من دلائل الاعجاز) أى امارات له اشارة الى ان المقصود من الاغراب فى أوائل السور ان يكون دليلا على اعجاز ما يرد بعدها ومقدمة منبهة عليه فالفواتح على الوجه الثانى قصد بها التنبيه على ان هذا المتلو أى القرآن لتركبه من الحروف التى يتركب منها كلامهم على قواعدهم ليس اعجازه ببلاغته الفائقة الا لكونه من الله وعلى الوجه الثالث قصد بها التنبيه على انها لاستقلالها بوجه من الاغراب من الافتتاح من حيث صدورها عمن تستبعد منه امارة على ان الكلام الوارد بعدها معجز بالنسبة الى حال من ظهر على لسانه فيكون تكلمه بما يستغرب منه دلالة على كون تكلمه بما بعده منه معجزا فالوجهان حينئذ مدارهما على ما ذكر من قوله تعالى فأتوا بسورة من مثله من ان الضمير لما نزلنا أو لعبدنا وقد يجعل الاعجاز المشار اليه بالاغراب اعجاز المنزل اما مطلقا أو فى نفسه فقد لوحظ ههنا حال المتكلم المنزل عليه فى اغراب الفواتح كما لوحظ هناك حالة اعجاز ما نزل عليه والاول أحسن وأنسب واعترض صاحب التقرير بأن النطق بأسامي الحروف لا اغراب فيه لانه يمكن تعلمه ولو بسماع من صبى فى أقصر مدة فليس فى النطق بها اغراب وتقدمة لامارة اعجازه وأجيب بانه وان كان فى نفسه ممكنا الا ان صدوره عمن اشتهر انه لم يتعلم قط بل نشأ بين قوم أميين ولم يخالط أحدا ممن قرأ وخط مستغرب قطعا وقيل ان قوله واعلم الخ من تتمة هذا الوجه وجواب لهذا السؤال بأن المستغرب هو النطق بأسامي الحروف مرعيا فيها تلك اللطائف التى لا يمكن رعايتها من أمى الا بوحى لا بمجرد التلفظ بها ورد بان صريح كلام المصنف دل على ان المستغرب هو النطق بأسامي الحروف مطلقا لا النطق بالاسامي المخصوصة مع الاشتهار بعدم الاقتباس وأيضا المقصود بيان الفائدة فى كل فاتحة وتلك الرعاية انما هى فى الفواتح باسرها وأيضا لا يفهمها الا ماهر فى أوصاف الحروف وأحوالها بعد تأمل بليغ ورب عالم يفطن لها قبل المصنف أحد من حذاق العلماء المتبحرين فيما يتعلق بالحروف فضلا ان يفطن لها غيرهم فكيف يكون أول ما يقرع أسماع المخاطبين بها مستقلا بوجه من الاغراب وتقدمة من دلائل الاعجاز وأيضا جعل المصنف نتيجة ما فصله بقوله اعلم ان الله تعالى عدد على العرب الالفاظ التى تركب منها كلامهم تبكيتا لهم والزاما للحجة عليهم بان المتحدى به مؤلف منها لا من غيرها فليس اعجازه الا لكونه من الله تعالى يدل على انه مزيد تحقيق وتفصيل بالوجه الثانى المختار عنده وان أمكن ان يجعل تأييدا لاختيار التسمية بهذه الالفاظ المخصوصة وتقوية للاغراب فى النطق بها وحدها نظرا الى جنبها وبالجملة دعوى اختصاصه بالوجه الثالث لا وجه لها (قوله وأهل الكتاب) أراد به أهل الكتابة (قوله كما قال تعالى) استشهاد معنوى يدل على ان كونه أميا لا يتلو ولا يكتب ينفى الارتياب ويقلعه من أصله اذ لا يتصور منه الاتيان بمثل القرآن ولو كان يتلو كتابا ويخطه بيمينه لكان للمبطل فى ارتيابه شبهة يتعلل بها وكذا أسماء الحروف يستغرب من الامى التكلم بها الا من غيره (قوله فى ان ذلك) يتعلق بقوله فكان حكم النطق بذلك حكم الاقاصيص أى كحكمها فى ان ذلك الخ وهو وجه التشبيه وقوله (وبمنزلة ان يتكلم) عطف على حكم الاقاصيص أى كان النطق بذلك (بمنزلة أن يتكلم بالرطانة) أى العجمية بفتح الراء وكسرها وقيل عطف على

(قال محمود رحمه الله واعلم انك اذا تأملت ما أورده الله عز سلطانه فى الفواتح من هذه الاسماء وجدتها نصف أسامى حروف المعجم الخ) قال أحمد رحمه الله بقى عليه من الاصناف الحروف الشديدة وقد ذكر تعالى نصفها الهمزة المعبر عنها بالالف والكاف والقاف والطاء والمطبقة وقد ذكر تعالى نصفها الصاد والطاء والمفتحة وقد ذكر نصفها الالف والحاء والراء والسين والعين والقاف والكاف واللام والميم والنون والهاء والياء وحروف الصفير لما كانت ثلاثا السين والصاد والزاى لم يكن لها نصف فذكر منها اثنين السين والصاد وتلك العادة المأنوسة فيما يقصد الى تنصفه فلا يمكن فيتم الكسر ألا ترى طلاق العبد وعدة الامة ونحو ذلك والحروف اللينة وهى ثلاثة الالف والياء والواو وذكر منها اثنين الالف والياء كحروف الصفير والمكرر وهو الراء والهاوى وهو الالف والمنحرف وهو اللام وقد ذكرها ولم يبق من أصناف الحروف خارجا عن هذا النمط الا

الاسماء وجدتها نصف أسامى حروف المعجم أربعة عشر سواء وهى الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون فى تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم ثم اذا نظرت فى هذه الاربعة عشر وجدتها مشتملة على أنصاف أجناس الحروف بيان ذلك أن فيها من المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها الالف والكاف والطاء والقاف ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء ومن المنفتحة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون ومن المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء ومن المنخفضة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء

حاصل فيندرج فى وجه الشبه (قوله أربعة عشر) سواء جعل أسامى الحروف ثمانية وعشرين مع ان الحروف تسعة وعشرين كما صرح به بناء على ان الالف تتناول المدة والهمزة ومن ثمة قيل ان الالف اما ساكنة أو متحركة والف الوصل تسقط فى الدرج والالف واللام للتعريف وقد مر قول المصنف فى اسم الله ﴿فان قلت﴾ فلم حذف الالف فى الخط وبهذا انهم استعملوا اسم الهمزة بتمييز المتحركة عن الساكنة ولذلك لم يذكر الهمزة فى التهجى بل اقتصر على الالف ولم تستثن عن حكم تصدير الاسم بالمسمى فأربعة عشر نصف الاسامى تحقيقا وانما قال سواء أى وجدتها نصفها مستويا بلا زيادة عليه ولا نقصان عنه دفعا للتوهم كون الاسماء على عدد المسميات وقيل الاسماء أيضا تسعة وعشرون الا أنه أراد نصفها تقريبا لامتناع اعتبار الكسر كما فى المستعلية وحروف القلقلة وسواء صفة لاربعة عشر تأكيدا لا حالا مؤكدة من نصف الاسامى ولا من ضمير وجدتها اى مستوية أو متساوية للنصف لا زائدة ولا ناقصة وضعفه لا يخفى وقال رحمه الله تعالى الهمزة والالف حرف واحد عند الفقهاء وحرفان فى عرف العامة فحيث قال نصف الاسامى أربعة عشر بناء على الاول وحيث أظهر المناسبة بين أعداد السور والحروف بناء على الثانى فنبه على الطرفين فى ضمن ذكر فائدتين ولا خفاء فى انه تأويل لا ضرورة فى ارتكابه ﴿فان قلت﴾ قوله الا الالف فانهم استعاروا الهمزة مكان مسماها الا انه لا يكون الا ساكنا دل على اختصاص الالف بالمدة فانها الساكنة أبدا وان الهمزة مغايرة لمسماها ﴿قلت﴾ قد مر هناك أن استثناء الالف انما هو باعتبار أحد معنييها فقط أعنى الساكنة وأما ههنا فقد اعتبرت من حيث انه اسم لهما مشتركا بينهما (قوله ثم اذا نظرت) أى بعد ان عرفت ان المورد فى الفواتح نصف الاسامى على عدد الحروف اذا نظرت فى هذا النصف وجدته مشتملا على أنصاف أسماء أجناس الحروف اما تحقيقا كما فى المهموسة فانها عشرة مجموعة فى قولك ستشحثك خصفه وقد عد منها خمسة وكما فى المجهورة التى هى ما عداها فان أسماء حروفها ثمانية عشر وان كانت هى تسعة عشر وقد ذكر ههنا تسعة وكما فى الشديدة المجموعة ثمانية فى أجدك قطبت وقد أورد منها أربعة وكما فى الرخوة المفسرة بما يقابل الشديدة فان أسماء حروفها عشرون ان اختص الالف بالهمزة لتختص بالشديدة كما يظهر من كلامه وقد ذكر منها عشرة وكما فى المطبقة المنحصرة فى أربعة وقد عد منها اثنان وكما فى المنفتحة وهى التى تقابلها فان أسماءها أربعة وعشرون والمورد منها اثنا عشر واما تقريبا كما فى المستعلية فانها سبعة لا نصف لها صحيحا فاقتصر منها على ثلاثة وتدورك هذا النقصان فى أسماء المنخفضة التى تقابلها فذكر منها احد عشر وترك عشرة وكما فى حروف القلقلة المجتمعة فى قد طبج والمذكور منها اثنان ثم أراد بأجناس الحروف أكثرها لان المذكور فى حروف الذلاقة ستة مجموعة فى قولك مر بنفل وقد ذكر من هذا أربعة فعد الاكثر منها ونقص من المصمتة المقابلة لها بقى من أسمائها عشرة من اثنين وعشرين وحروف الصفير ثلاثة ذكر منها اثنان الصاد والسين وقد ذكر أيضا ما لا عدد له منقسمة كالمتكرر والمنحرف قال رحمه الله تعالى فاذا كان الملفى مكثورا

مابين الشديد والرخو فانه لم يقتصر منها على النصف لان ما ذكر منها زائدا على النصف اندرج فى غيرها من الاصناف فلم يمكن الاقتصار لها كالشديدة والرخوة فلم يكن بها عناية وأما الحروف الذلاقة والمصمتة فالصحيح أن لا يعدا صنفين ولئن عدهما صنفين متميزين بخبط طويل فى جهة تميزهما حتى أبعد الزمخشرى فى مفصله فى تميزهما فقال حروف الذلاقة التى يعتمد الناطق فيها على ذلق اللسان أى طرفه وهو تميز مردود جدا لان من جملتها الميم والباء والفاء ولا مدخل لطرف اللسان فيها ثم لا يتم على هذا التمييز مطابقتها للمصمتة اذ المصمتة مفسرة عنده بانها حروف تكون عن تركيب كلمة رباعية فاراد منها حتى يدرج معها أحد حروف الذلاقة فكيف المقابلة بين الخروج من طرف اللسان وبين الصمت فالحق انهما صنفان ضعيف تميزهما فلم يعتبر جريانهما على النمط المستمر فى غيرهما من الاصناف الذين امتيازها وعد الزمخشرى فى هذا النمط حروف القلقلة

ثم اذا استقريت الكلم وتراكيبها رأيت الحروف التى ألغى الله ذكرها من هذه الاجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها فسبحان الذى دقت فى كل شئ حكمته وقد علمت أن معظم الشئ وجله ينزل منزلة كله وهو المطابق للطائف التنزيل واختصاراته فكأن الله عز اسمه عدد على العرب الالفاظ التى منها تراكيب كلامهم اشارة الى ما ذكرت من التبكيت لهم والزام الحجة اياهم * ومما يدل على أنه تعمد بالذكر من حروف المعجم أكثرها وقوعا فى تراكيب الكلم أن الالف واللام لما تكاثر وقوعهما فيها جاءتا فى معظم هذه الفواتح مكررتين وهى فواتح سورة البقرة وآل عمران والروم والعنكبوت ولقمان والسجدة والاعراف والرعد ويونس وابراهيم وهود ويوسف والحجر

بالمذكور لفظا ومعنى وربما يقال من الاجناس المهتوت أعنى التاء لضعفها وخفائها لم تذكر أصلا ومنها الهاوى كالالف بمعنى المدة ولم تذكر على توجيه المصنف ﴿لا يقال﴾ ما ذكرتم من الاوصاف اصطلاحات استحدثها أرباب العربية حين دونوها فكيف يقصد حال نزول القرآن المتقدم عليها ﴿لانا نقول﴾ المستحدث هو الاسامى والعبارات لا المعانى المرادة وهى المقصودة ههنا وانما جعلنا انصاف الاجناس على انصاف أسمائها لانه أنسب بما ذكر انه يشتمل عليها أعنى نصف الاسامى الذى هو المراد بقوله هذه الاربعة عشر ولو حملت على انصاف الاجناس أنفسها لم يصح التنصيف تحقيقا فى متقابلين معا مثلا اذ صح فى المهموسة لم يصح فى المجهورة ولو جعل الرخوة ههنا متناولة لما سماها فى المفصل بما بين الشديدة والرخوة أعنى حروف لم يروعنا المحافظة على النصف اذ لو خصت الرخوة بما عداها لم يصح ذكر النصف فى شئ منهما ولذلك أيضا حمل الالف على الهمزة وحدها حيث عدها فى الشديدة المشتملة على الهمزة دون الرخوة المتناولة للمدة ودعوى ان اسم الالف أشهر فى الهمزة غير مسموعة (قوله ثم اذا استقريت) بين أولا انه ذكر نصف الاسامى فى سور على عدد الحروف وفى ذلك اشارة الى مجموع الحروف مع اختصار واعتدال وثانيا ان ما ذكر مشتمل على انصاف أجناس الحروف وفيه تقوية لتلك الاشارة على أنه مقصود فى نفسه اذ تكون اعانة على الايقاظ وامارة والاعجاز نتيجة منه وثالثا أن المذكور من هذه الاجناس أكثر فى تراكيب الكلم مما الغى منها فصار المذكور كذلك معظم ما تركب منها كلامهم وجله فينزل منزلة كله (قوله مكثورة) أى مغلوبة فى الكثرة من كاثرته فكثرته أى غلبته فى الكثرة (قوله وقد علمت) أى هو معلوم لك والجملة حال وعاملها رأيت واعترض بينهما بقوله فسبحان (قوله فكأن الله فائدة) متعلقة بجميع الفواتح من حيث هى متفرعة عما تقدم من ذكر الحروف المشتملة على انصاف الاجناس النازلة منزلة كلها ولم يجزم بها لاحتمال التأدب وأراد بالالفاظ التى منها تراكيب كلامهم حروف التهجى باسرها وبعدها ذكرها باسامى الا ان نصف الاسامى ههنا قائم مقام جميعها (قوله الى ما ذكرت) أى فى الوجه الثانى يقال بكته بالحجة أى غلبه بها (قوله والزام الحجة اياهم) يعنى ان المتلو كلام الله (قوله لما تكاثر) أى لما كان وقوع الالف واللام فى تراكيب الكلم من بين الحروف الغالبة على غيرها فى الاستعمال أكثر من وقوع ما عداهما فيها جاءتا متكررتين فى معظم هذه الفواتح أى فى عدد كثير منها وهو ثلاث عشرة كما فصلها ولم يرد بمعظمها أكثرها لان المجموع تسع وعشرون ﴿فان قيل﴾ كرر الميم فى سبع عشرة منها ﴿قلنا﴾ أريد تكررهما مجتمعين كما فى تراكيب الكلم وليس فى الفواتح حرفان كررا كذلك مثلهما وحينئذ نسب تكررهما الى مجموع المعظم لا الى كل واحد منه فلا حاجة فيه الى تأويل كما فى تكرير الفاتحة فى كل ركعة من الصلاة (قوله وهى فواتح) الضمير للمعظم أنثه نظرا الى الخبر أو الى ان معنى المعظم فواتح كثيرة ولقد راعى فى عد الاسامى والاربع عشرة ترتيب السور الواقعة هى فيها كما مر واما ههنا فقد عقب الزهراوين بأربع سور توافقهما فى الفاتحة وعقب الاعراف بالرعد لاشتراكهما فى الزيادة على الم بحرف واحد ثم لاحظ ترتيب المصحف الا أنه قدم ابراهيم على هود ويوسف فان كان ذلك لفضله فالاولى ان يقدم على يونس أيضا (قوله

وذكر أن المذكور منها النصف القاف والطاء ووهم فانها خمسة أحرف لم يذكر منها فى الفواتح سوى الحرفين المذكورين وعلى الجملة فلا يقدم الناظر تخريج ما لم يجر على هذا النمط من الاصناف على وجه يمكن الاستئناس اليه (قال محمود رحمه الله ومما يدل على انه تعمد بالذكر من حروف المعجم أكثرها وقوعا فى تراكيب الكلم ان الالف واللام الخ) قال أحمد رحمه الله الالف المذكورة فى الفواتح يحتمل ان يكون المراد بها الهمزة اللينة وقد اضطرب فيها كلام الزمخشرى فى هذا الفصل فعند ما عد الحروف أربعة عشر حرفا فى الفواتح قال انها نصف حروف العربية فهذا يدل على أن جملتها ثمانية وعشرون حرفا فلابد من سقوط أحد الحرفين من هذا العدد اما اللينة أو الهمزة والا كانت تسعة وعشرين والظاهر ان الساقط الهمزة وعند ما قال فى تسع وعشرين على عدد الحروف اقتضى هذا دخول الالفين فى العدد

(فان قلت) فهلا عددت بأجمعها فى أول القرآن وما الها جاءت مفرقة على السور (قلت) لان اعادة التنبيه على أن المتحدى به مؤلف منها لاغير وتجديده فى غير موضع واحد أوصل الى الغرض وأقر له فى الاسماع والقلوب من أن يفرد ذكره مرة وكذلك مذهب كل تكرير جاء فى القرآن فمطلوب به تمكين المقرر فى النفوس وتقريره (فان قلت) فهلا جاءت على وتيرة واحدة ولم اختلفت أعداد حروفها فوردت ص وق ون على حرف وطه وطس ويس وحم على حرفين والم والر وطسم على ثلاثة أحرف والمص والمر على أربعة أحرف وكهيعص وحم عسق على خمسة أحرف (قلت) هذا على عادة افتنانهم فى أساليب الكلام وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب متنوعة وكما أن أبنية كلماتهم على حرف وحرفين الى خمسة أحرف لم تتجاوز ذلك سلك بهذه الفواتح ذلك المسلك (فان قلت) فما وجه اختصاص كل سورة بالفاتحة التى اختصت بها (قلت) اذا كان الغرض هو التنبيه والمبادى كلها فى تأدية هذا الغرض سواء لامفاضلة كان تطلب وجه الاختصاص ساقطا كما اذا سمى الرجل بعض أولاده زيدا والآخر عمرا لم يقل له لم خصصت ولدك هذا بزيد وذاك بعمرو لان الغرض هو التمييز وهو حاصل أية سلك ولذلك لا يقال لم سمى هذا الجنس بالرجل وذاك بالفرس ولم قيل للاعتماد الضرب وللانتصاب

فهلا عددت وما الها جاءت) سؤال واحد فرعه على الوجه الثانى الذى استحسنه أولا واختاره آخرا كما يدل عليه جوابه يعنى ان المقصود بالفواتح الايقاظ والتحريك للنظر فهلا ذكرت مجتمعة فانه واف بالغرض فى أول القرآن فانه أولى من غيره وأى فائدة فى تفريقها على السور وان أريد تفريعه على ما ذكر فى مجموع الفواتح بان يقال لما كان ذكر نصف الاسامى عدا لجميع الحروف تبكيتا والزاما فهلا عدد الحروف باسرها بنصف أسمائها مجتمعة فى أوله لم ينطبق عليه الجواب لان التنبيه المستفاد من عد جميع الحروف بنصف الاسامى لم يتكرر انما المتكرر التنبيه الحاصل بعد شئ من جنس الحروف فانه أيضا يدل على ان المتحدى به مؤلف منها أى من الحروف لاغير وان كان عد الجميع أدل على ذلك اللهم الا ان يؤول بانه انما اختير التفريق ليتكرر أحد التنبيهين فى مواضع متعددة فى ذلك رعاية لهما على أحسن وجه (قوله وتجديده) عطف على اعادة والضمير للتنبيه (قوله اوصل) أى أشد اتصالا الى الغرض وهو ما نبه عليه من ان المتحدى به كذا وما يتوصل به اليه وأقر أى أشد اقرارا اى تقريرا أو تثبيتا له أى للغرض وكلاهما اسم تفضيل بنى من المزيد والضمير فى ذكره راجع الى التنبيه (قوله وكذلك مذهب كل تكرير) أى تكرير سائر المعانى كاعادة التنبيه مع طلب التمكن اما مع اتحاد اللفظ كما فى سورة الرحمن وويل يومئذ للمكذبين وامابدونه كقصص وحم والقصص المكررة بعبارات مختلفة ولك ان تورد السؤال على الوجه الثالث وتقول لما كان تصدير السور بهذه الالفاظ يوجب الاغراب فهلا عددت مجتمعة وتجيب عنه بان اعادة الاغراب وتكرير أمارة الاعجاز أوفق بالمطلوب ولا ورود للسؤال على الوجه الاول فان المقصود الاصلى هناك الدلالة على مسميات مخصوصة باسماء هى أجزاؤها وأما الايقاظ فربما يقصد تبعا (قوله فهلا جاءت ولم اختلفت) هذان سؤالان أى هلا كانت الفواتح على طريقة واحدة مع ان ما قصد بها من اعادة التنبيه وتجديده حاصل بذلك وأيضا لم كان اختلافها على الكيفية المخصوصة فالضميران فى جاءت وحروفها للفواتح بأجمعها (قوله فوردت الخ) تفصيل لاختلاف اعداد حروفها المعددة بها وقيل الضميران للصور المكتوبة فى الفواتح فان الحروف الملفوظة فى صاد مثلا ثلاثة وهو سهو وقيل هما الذوات الحروف المعددة باسامها وفى اضافة الحروف الى ضميرها نوع سماجة (قوله وكما ان ابنية كلماتهم) جواب عن السؤال الثانى والمعنى على التوزيع أى بعض الابنية على حرف واحد وبعضها على حرفين كما فى الحروف وغير المتمكنة من الاسماء وهكذا يرتقى الى خمسة أحرف أصول وينتهى بها (قوله لم تتجاوز) أى الابنية ذلك أى كونها الى خمسة أحرف والجملة حال من ضمير الابنية فى الظرف وجوز وان تكون خبرا آخر لان ولا يخفى عليك ورود السؤالين على الوجه الاول والثالث وتطبيق الجواب عليهما (قوله فما وجه) أى عرفنا الوجه فى مجيئها مفرقة على

والظاهر من كلامه ان الالف عنده هى اللينة فلذلك علل تسميتها بالالف بان النطق لما تعذر بها أولا استقرت الهمزة مكانها وفاء برعاية تلك اللطيفة التى قدمها من جعل مسمى الحرف أول اسمه وأما عند النحاة فالالف المعدودة فى حروف المعجم مفردة هى الهمزة وأما اللينة فهى المعدودة مع اللام حيث يقولون لام ألف ويكتبونها على صورة لا

القيام ولنقيضه القعود (فان قلت) ما بالهم عدوا بعض هذه الفواتح آية دون بعض (قلت) هذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور أما الم فآية حيث وقعت من السور المفتتحة بها وهي ست وكذلك المص آية والمر لم تعد آية والر ليست بآية في سورها الخمس وطسم آية في سورتيها وطه ويس آيتان وطس ليست بآية وحم آية في سورها كلها وحمعسق آيتان وكهيعص آية واحدة وص وق ون ثلاثتها لم تعد آية هذا مذهب الكوفيين ومن عداهم لم يعدوا شيأ منها آية (فان قلت) فكيف عد ما هو في حكم كلمة واحدة آية (قلت) كما عد الرحمن وحده ومدهامتان وحدها آيتين على طريق التوقيف (فان قلت) ما حكمها في باب الوقف (قلت) يوقف على جميعها وقف التمام اذا حملت على معنى مستقل غير محتاج الى ما بعده وذلك اذا لم تجعل أسماء للسور ونعق بها كما ينعق بالاصوات أو جعلت وحدها اخبار ابتداء محذوف كقوله عز قائلا الم الله أي هذه الم ثم ابتدأ فقال الله لا اله الا هو

السور متفاوتة في اعداد الحروف فمرفناوجه اختصاص كل سورة بفاتحتها واختصاص السور بفاتحتها على الاطلاق اذ لا يوجد فيها فاتحة أخرى واختصاص الفاتحة بسورتها اما على الاطلاق واما بالاضافة الى بعض السور والسؤال يعم الاوجه الثلاثة وقوله اذا كان الغرض هو التنبيه جواب على الوجه الثاني المرضي عنده وفي قوله كما اذا سمي الرجل تقوية له واشارة الى الجواب على الوجه الاول ويعرف منهما بالمقايسة الجواب على الوجه الثالث (قوله آية) هي مجردة عن معنى الاستفهام وقعت ظرفا للحاصل وتنوينها عوض عن المضاف اليه والجملة أعني سلك صفة لها أي التمييز حاصل في الطريقة سلكها الرجل ولا يقدح في ذلك عروض الاشتباه لاجل الاشتراك في الاعلام كما في بعض الفواتح أيضا اذ قد يزال بالقرائن وقيل التمييز عن الكل حاصل بالنظر الى الوضع العلمي قبل اعتبار الاشتراك ورد بان الغرض تمييزه حال اطلاقه عليه وليس بحاصل (نعم) ان كان الواضع متعددا كان العذر واضحا بخلاف ما اذا كان واحدا كما في الفواتح (قوله وكذلك) لا يقال ذكر حديث الاعلام وأردفه بذكر الاجناس وأورد لها أمثلة من الاجرام والاعراض زيادة تأييد لما هو فيه (قوله ما بالهم) أي القراء والعلماء على الاطلاق ومعنى عدوا أي وجد هذا العد فيما بينهم لا من كل واحد منهم فلا ينافي قوله ومن عداهم لم يعدوا شيأ منها آية (قوله هذا مذهب الكوفيين) قيل هذه رواية المصنف والذي يعلم من كتاب المرشد ان الفواتح باسرها آيات عندهم في السور كلها بلا فرق بينها وفي بعض الحواشي اعتراض على قوله اما الم فآية حيث وقعت بانها في آل عمران ليست آية عندهم والوجه في الترتيب في ذكر الفواتح انه ابتدأ بالم وأتبعها بما زيد فيه عليها حرف ثم بما يخالفها في حرف واحد أعني الر ثم بما يوافقها في عدد الحروف فقط أعني طسم ثم ذكر ما هو على حرفين وقدم يس لمشاركتها طه في كونها آية ثم انتقل الى ما هو على خمسة أحرف وقدم حمعسق لمناسبته الحواميم ثم ذكر ما هو على حرف واحد (قوله والمر لم تعد آية) قيل صوابه أن يقول ليست بآية فان أجيب بأنه أراد ان ينبه على أن قياسها على المص يقتضي ان تكون آية لكنه خولف ولم يعد آية رد بقوله ثلاثتها لم تعد آية اذ لم يخالف فيها قياس والظاهر انه تفنن في العبارة وتصريح بانه المراد في النفي والاثبات في هذه الاحكام كما يدل عليه قوله ما بالهم عدوا وقوله لم يعدوا وقوله فكيف عد وهو استنكار واستبعاد لان يعد آية ما هو في حكم كلمة واحدة كحم وياس وأجاب بما هو كلمة واحدة وقد عد آية اتفاقا (قوله وقف التمام) الوقف على ما لا يفيد معنى مستقلا قبيح وعلى ما يفيده حسن فان استقل ما بعده أيضا سمي تاما والا سمي كافيا وحسنا غير تام فالوقف على بسم قبيح وعلى الله تعالى وعلى الرحمن كاف وعلى الرحيم تام واشترط بعضهم في الكافي أن يتعلق بالموقوف عليه ما بعده تعلقا اعرابيا وسيأتي ما فيه (قوله أو جعلت) عطف على لم تجعل ويقابل لم على معنى اذا جعلت اسماء للسور وجعلت مع ذلك أخبار ابتداء محذوف وانما قال وحدها احترازا عما اذا جعل ما بعدها أيضا خبرا آخر لذلك الابتداء أو بدلا منها فان الوقف حينئذ غير تام لان ما بعدها غير مستقل واما اذا جعلت وحدها

(فان قلت) هل لهذه الفواتح محل من الاعراب (قلت) نعم لها محل فيمن جعلها أسماء للسور لانها عنده كسائر الاسماء الاعلام (فان قلت) ما محلها (قلت) يحتمل الاوجه الثلاثة أما الرفع فعلى الابتداء وأما النصب والجر فلما مر من صحة القسم بها وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين ومن لم يجعلها أسماء للسور لم يتصور أن يكون لها محل في مذهبه كما لا محل للجمل المبتدأة وللمفردات المعددة (فان قلت) لم صحت الاشارة بذلك الى ماليس ببعيد (قلت) وقعت الاشارة الى الم بعد ما سبق التكلم به وتقضى والمتقضى في حكم المتباعد وهذا في كل كلام يحدث الرجل بحديث ثم يقول وذلك مالا شك فيه ويحسب الحاسب ثم يقول فذلك كذا وكذا وقال الله تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وقال ذلكما مما علمني ربي ولانه لما وصل من المرسل الى

كذلك كان كل من الموقوف عليه وما بعده مستقلا كما اذا جعلت بمنزلة الاصوات فقد أشار في التمثيل الى اعتبار الاستقلال فيما بعد الموقوف عليه وقف تام وان لم يصرح به أولا ﴿فان قلت﴾ كيف حصر استقلالها فيما اذا نعق بها أو جعلت وحدها أخبارا مع انها اذا قدرت منصوبة بنحو اذكر أو قسما محذوف الجواب كانت مستقلة أيضا والوقف عليها تاما ﴿قلت﴾ لا حصر هنا بل أورد على كل واحد من تقديري جعلها اسماء وعدمه مثالا ولو سلم كان الحصر بالقياس الى ما ذهب اليه المصنف فيما سيأتي وما ذكرتم ليس من مذهبه للاستقلال وان جوز (قوله هل لهذه الفواتح محل من الاعراب) قيل السؤال مستدرك اذ قد علم بما سبق اعرابها لفظا فانه جوز في ص وق ون فيمن قرأها مفتوحات ان تكون معربة لفظا اما منصوبة بفعل مضمر واما مجرورة على اضمار حرف القسم أو محلا حيث سوغ ارادة معنى القسم في المحكية أيضا فعلم أن لها محلا من الاعراب اما نصبا واما جرا ثم ذكر ان الفواتح تجعل أخبار المبتدا محذوف فعلم انها مرفوعة محلا وأجيب بان ما تقدم من بيان اعرابها كان على تقدير كونها اسماء للسورة وهذا سؤال عن حالها مطلقا ولذلك قال في الجواب ومن لم يجعلها الخ فلا استدراك ولا حاجة الى ان يقال انما كرر هذا السؤال عنه وان كان معلوما ليبني عليه السؤال المتعقب له وهو قوله ما محلها (قوله لانها عنده كسائر الاسماء الاعلام) يعني قد وقعت في التركيب وامتنع ظهور اعرابها حيث كانت محكية على وقفها اما ساكنة أو متحركة للجد في الهرب فلا بد ان يكون مقدرا في محلها واما اذا ظهر الاعراب فلا حاجة الى محل (قوله اما الرفع فعلى الابتداء) يتناول المبتدا والخبر فان العامل فيهما عنده هو الابتداء (قوله واما النصب والجر فلما مر من صحة القسم بها) فيه تفصيل سبق تقريره في بحث التسويغ ثم ان الاوجه الثلاثة جارية بلا ضعف في كل فاتحة تصلح في الظاهر ان تكون قسما اما الرفع والجر فمطلقا واما النصب فبشرط ان لا يلزم اجتماع قسمين كما أشرنا اليه آنفا واما في غيرها فلا يجرى النصب بالقسم بل بفعل مضمر ولا الجر مطلقا الا على وجه ضعيف وهو ان يقدر جواب للقسم من نحو انه لمعجز وما شاكله فاما ان يريد جريان كل في كل فانه كثيرا ما يذكر في هذا الكتاب الوجه الراجح والمرجوح معا من غير تفرقة بينهما اعتمادا على فهم الشارع فيه واما ان يريد التوزيع على معنى ان بعضا من الفواتح تجرى فيه الاوجه كلها والباقي منها يجرى فيه بعضها ويتكل في ذلك أيضا على ما ذكر وان كان المتبادر من العبارة هو الاول (قوله ومن لم يجعلها) عطف على قوله نعم لها محل فيمن جعلها اسماء للسور وتتمة للجواب عن قوله هل لهذه الفواتح محل من الاعراب والفاصل بينهما ليس أجنبيا بل هو تفصيل للمعطوف عليه فلا اشكال (قوله كما لا محل للجمل المبتدأة) أي التي وقعت في ابتداء الكلام فلم تقع موقع مفرد ليطرأ عليها ما يقتضي اعرابا في محلها (قوله وللمفردات المعددة) أي الواردة على نمط التعديد فلم تقع في تركيب ليتوارد عليها ما يوجب اعرابها لفظا أو محلا والحاصل ان هذه الالفاظ اذا سردت على طريقة التهجي لم يكن لها اعراب أصلا لفقد المقتضي والعامل قيل انما أورد مثالين تنبيها على ان ما انتفى اعرابه لفقد مقتضيه قسمان جملة ومفرد مع رعاية المناسبة فان بعض الفواتح كالجملة في تعدد كلماته وبعضها كالمفرد في انه كلمة واحدة (قوله الى ماليس ببعيد) هو ما دل عليه الم أعني

(قال محمود رحمه الله فان قلت ما محل هذه الفواتح من الاعراب الخ) قال أحمد رحمه الله وانما جاز النصب مع القسم فيما لا يعقبه معطوف مجرور فاما ما يعقبه معطوف مجرور مثل ص وق ون فانه لا يجيز فيه النصب مع القسم البتة ويحمله على اضمار فعل أو على أن الفتح في موضع الجر واما على وجه يدنه فيه تقدم فيجوز النصب مع القسم في جميعها بجدبه عهد أو على النصب باضمار فعل أعربها سيبويه في كتابه

* قوله تعالى ذلك الكتاب

(قال محمود رحمه الله فان قلت لم صحت الاشارة بذلك الى ماليس ببعيد الخ) قال أحمد رحمه الله ولان البعد هنا باعتبار علو المنزلة وبعد مرتبة المشار اليه من مرتبة كل كتاب سواه كما يقطعون بثم للاشعار بتراخي المراتب وقد يكون المعطوف سابقا في الوجود على المعطوف عليه وسيأتي أمثاله

السورة أو المنزل المؤلف من هذه الحروف على الوجهين الاولين واما الوجه الثالث فكأنه من تتمة الثانى
يريد ان الم ذكر آنفا فقوله ليس ببعيد فكيف صح ان يشار اليه بما وضع للبعيد أجاب أولا بانه اشارة اليه
لكنه فى حكم البعيد من وجهين أحدهما انه تقضى ذكره والمتقضى بمنزلة المتباعد وأشار بقوله فى كل كلام
الى انه مطرد فى العرف أى جعل المتقضى فى حكم المتباعد والاشارة اليه بلفظ البعيد جار فى كل كلام وثانيهما
انه لما وصل الخ وأشار أيضا الى اطراده عرفا بقوله كما تقول واعترض عليه بانه قبل الوصول الى المرسل اليه
كان كذلك وأجيب بانه لم يرد بالمرسل اليه النبى صلى الله عليه وآله بل من وصل اليه اللفظ حال ايجاده
كالسامع لكلامك وفيه بحث لانه خلاف الظاهر ولا يفهم من العبارة وأيضا ان أراد اللفظ الذى وصل
الى السامع لفظ الم فذلك ليس اشارة اليه بل الى مادل به عليه وان أراد جميع السورة أو المنزل فقبل ان
يصل اليه هذا كان لفظ ذلك على حاله والصواب ان المتكلم اذا ألف كلاما ليلقيه على غيره ويوصله اليه ربما
لاحظ فى تركيبه وصوله اليه وبنى كلامه عليه وأجاب ثانيا بان ذلك ليس اشارة الى الم بل الى الكتاب
الموعود على لسان موسى وعيسى عليهما السلام وقيل بقوله سنلقى عليك قولا ثقيلا وفيه ان الانسب
حينئذ ان يقول الذى وعد به وههنا ابحاث الاول قال بعضهم السؤال مخصوص بما اذا كان الم اسما للسورة
وقد عرفت عمومه ويؤيده قول المصنف فيما بعد أى ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل وقوله أى
هو يعنى المؤلف من هذه الحروف ﴿ونعم﴾ ربما يقال لما كان مجموع المنزل مرموزا اليه لا مصرحا به
كالسورة ينزل بذلك أيضا منزلة البعيد الثانى قوله ولانه لما وصل عطف على قوله وقعت الاشارة اذ معناه
لانه وقعت بقرينة قوله لم صحت وأما قوله وقيل فعطف على قلت ولما لم يكن مختارا عنده أخره وان اقتضى
ترتيب البحث تقديمه بان يقال ليس ذلك اشارة الى الم وان سلم فهو فى حكم البعيد الثالث ذكر الامام
السكاكى ان المشار اليه باسم الاشارة اما مدرك بالبصر او منزل منزلته وتحقيقه على ما فصل فى بعض شروح
الكافية من ان المعتبر فى أسماء الاشارة هو الاشارة الحسية فالاصل فيها أن يشار بها الى محسوس مشاهد
قريب أو بعيد فان أشير بها الى مستحيل احساسه نحو ذلكم الله أو الى محسوس غير مشاهد نحو تلك الجنة
فلتصييره كالمشاهد وان كل غائب عينا كان أو معنى اذا ذكر جاز أن يشار اليه بلفظ البعيد نظرا الى ان
المذكور غائب تقول جاءنى رجل فقال ذلك الرجل وتضاربوا ضربا شديدا فهالنى ذلك الضرب وجاز على قلة
ان يشار اليه بلفظ القريب نظرا الى قرب ذكره فيقول هذا الرجل وهذا الضرب وكذلك يجوز لك فى
القول المسموع عن قريب ان تشير اليه بلفظ البعيد لانه زال سماعه فصار فى حكم البعيد كقولك بالله الطالب
وذلك قسم عظيم لافعلن كذا والاغلب فى مثله ان يؤتى بالقريب فيقال وهذا قسم وبالجملة لما كان اسم
الاشارة موضوعا للمشار اليه اشارة حسية فاستعماله فيما لا تدركه تلك الاشارة كالشخص البعيد مثلا مجاز
بان تجعل الاشارة العقلية كالحسية لما بينهما من المناسبة اذا عرفت هذا فنقول لفظ ذلك ان كان اشارة الى
الم فقوله سواء كان اسم السورة أو رمزا الى المنزل ليس مدركا بالبصر بل منزل منزلته فان نظر الى ابتداء
نزوله كان المعنى حاضرا جعل كالمشاهد لذكره وفى حكم البعيد لزوال ذكره وتقضيه وان نظر الى انه لم ينزل
بتمامه كان المعنى غائبا صير مشاهدا بعيدا لما ذكر وجاز ان تعلل مشاهدته بالذكر وبعده بتقدير وصوله
الى المرسل اليه ووقوعه بذلك فى حد البعيد من المرسل وان كان اشارة الى الكتاب الموعود فهو بعد ذكره
بمنزلة مشاهد بعيد وقيل انما صحت الاشارة اليه مع انه ليس بمحسوس لانه جعل كالمحسوس اشارة الى صدق
الوعد والقول بأنه لا حاجة الى تأويل لان المحققين على ان المشار اليه اذا كان مذكورا مع اسم الاشارة صفة
له لم يلزم ان يكون محسوسا غلط منشؤه أن من نقلنا كلامه فى تحقيق أسماء الاشارة ذكر فى موضع
آخر ان اسم الاشارة مبهم الذات وانما تتعين الذات المشار اليها اما بالاشارة الحسية أو بالصفة وأراد ان ازالة
الابهام اما بالاشارة الحسية وحدها أو بالصفة معها يدل على ذلك انه صرح فى كلامه المنقول آنفا بان
المذكور فى حد اسم الاشارة هو الاشارة الحسية فقط وانه موضوع لما يشار اليه اشارة حسية واستعماله

المرسل اليه وقع في حد البعد كما تقول لصاحبك وقد أعطيته شيأ احتفظ بذلك وقيل معناه ذلك الكتاب الذى وعدوا به (فان قلت) لم ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة (قلت) لا أخلو من أن أجعل الكتاب خبره أو صفته فان جعلته خبره كان ذلك في معناه ومسماه مسماه فجاز اجراء حكمه عليه في التذكير كما أجرى عليه في التأنيث في قولهم من كانت أمك وان جعلته صفته فانما أشير به الى الكتاب صريحا لان اسم الاشارة مشار به الى الجنس الواقع صفة له تقول هند ذلك الانسان أو ذلك الشخص فعل كذا وقال الذبيانى

نبئت نعمى على الهجران عاتبة * سقيا ورعيا لذاك العاتب الزارى

في غيره مجاز ﴿نعم﴾ دعوى ان لفظ ذلك شاع استعماله فيما هو من المعانى والمعقولات مع ذلك التأويل وان المصنف لم يذهب الى ان ذلك للتعظيم اشارة الى بعد درجته في الهداية كما اختير في المفتاح لان ما ذكره أشهر في العرف وأجرى في الموارد وأقرب الى الحقيقة وربما يتخيل انه صار فيه حقيقة هذا والرابع ذكر بعض الافاضل ان الكتاب الموعود ان أريد ما وعدوا به في التوراة والانجيل أعنى القرآن لم يصح أن يكون ذلك الكتاب خبر الم لانه جزء القرآن لا هو الآن يراد بالم القرآن كله بناء على انه جزء أو يجعل موعودا في ضمن كله واذا حمل على الموعود الاجمالى صح ذلك فيه وان أريد ما وعد به النبى صلى الله عليه وآله جاز أن يكون خبرا له الخامس انه اذا ذكر لفظ مفرد أو مركب وزال سماعه جاز أن يشار بلفظ القريب والبعيد الى كل واحد من اللفظ والمعنى بلا تفاوت بينهما في ذلك (قوله لم ذكر اسم الاشارة) هذا السؤال انما يتجه اذا كان الم اسما للسورة فلذلك صرح به ﴿فان قلت﴾ الم علم المنزل مخصوص وليس هناك تأنيث لا في لفظه ولا في معناه فحقه ان يشار اليه بمذكر وأما ان لفظة السورة تطلق عليه فلا يقتضى تأنيثه ﴿نعم﴾ لو عبر عنه بالسورة كان مؤنثا كما اذا عبر عن زيد بالنسمة ﴿قلت﴾ لما اشتهر في المتعارف التعبير عن ذلك المنزل بالسورة واستمر ذلك حتى صار كان حقه أن يعبر عنه بها فيقال سورة البقرة مثلا وقصد بوضع العلم تمييزه عن سائر السور كان اعتبار كونه سورة ملحوظا في وضعه له وكان قوله الم في قوة قوله هذه السورة فحقه أن يؤنث وأما اعلام الامكنة والقبائل فحيث عبر عن مدلولاتها تارة بألفاظ مذكرة وأخرى بألفاظ مؤنثة ولم يستمر فيها شئ منها جاز تأنيثها وتذكيرها وهذا اعتبار مناسب لانظارهم في أحوال الالفاظ (قوله فان جعلته) أى ان كان الكتاب خبر ذلك كان ذلك في معنى الكتاب ومسماه مسمى الكتاب أى يصدقان على شئ واحد وان تغاير مفهوما فجاز اجراء حكم الكتاب الذى هو الخبر على ذلك الذى هو المبتدا في التذكير كما أجرى حكم الخبر على المبتدا في التأنيث في قولهم من كانت أمك حيث أنث الضمير الراجع الى من وهو مذكر نظرا الى الخبر أعنى أمك واعترض بان من اذا أريد به مؤنثا جاز تذكير ضميره وتأنيثه لفظه ومعناه سواء كان هناك خبر مؤنث أولا وأجيب بانه تمثيل لا استدلال ولا تنافى بين الاعتبارين اجتماعا وانفرادا وقيل ما ذكره المصنف ههنا هو بعينه تأنيث من نظرا الى ما هو عبارة عنه وهو مردود بان ما ذكره أخص منه وقيل الحمل على اللفظ أكثر فاعتبار الخبر وهو ضعيف لجواز أن يكون هذا من قبيل ما ليس بأكثر (قوله وان جعلته) أى جعلت الكتاب صفة لذلك هو اشارة الى الكتاب صريحا لا ضمنا كما في الوجه الاول فالواجب ان يطابقه في تذكيره وان كان المجموع عبارة عن مؤنث واما ان السورة مسماة بالكتاب فجاز تذكير الاشارة اليها لذلك مع قطع النظر عن الخبر فهو وجه آخر توهم بعضهم ان قوله صريحا اشارة اليه (قوله نبئت نعمى) أورد المصراع الاول لان الاستشهاد بالثانى انما يتم به ونعم بضم النون اسم امرأة ضرف لانه ثلاثى ساكن الاوسط كدعد ويروى نعمى على وزن حبلى وذكر اسم الاشارة لان المعنى لذلك الانسان أو الشخص والى هذا التأويل أشار المصنف بقوله هند ذلك الانسان الخ وقيل ذكر لانه اشارة الى العاتب الزارى على معنى النسبة كما تقول هند لابن أى ذات لبن يقال عتب عليه اذا غضب وزرى عليه اذا عابه وقوله على

(قال محمود رحمه فان قلت لم ذكر اسم الاشارة الخ قال أحمد رحمه الله ومثل ذلك بقول القائل حصان كانت دابتك لكان أقوى وأسلم من الفرق عما في لفظ من من الابهام الصالح للمذكر والمؤنث ومثل هذا قوله تعالى يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فمن وصل الكلام جعل هم العدو جملة في موضع المفعول الثانى للحسبان وعدل عن ان يقول هى العدو نظرا الى المفعول الثانى الذى هو في المعنى خبر عن الصيحة فذكر وجمع لما كان المبتدأ هو الخبر في المعنى وقد وجه الشيخ أبو عمرو قول الزمخشرى وتسمى الجملة بالتاء والباء عقيب قوله والكلام هو المركب من كلمتين بهذا التوجيه * قوله تعالى هدى للمتقين

(فان قلت) أخبرنى عن تأليف ذلك الكتاب مع الم (قلت) ان جعلت الم اسما للسورة ففى التأليف وجوه أن يكون الم مبتدأ وذلك مبتدأ ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدا الاول ومعناه أن ذلك الكتاب هو الكتاب الكامل كان ما عداه من الكتب فى مقابلته ناقص وانه الذى يستأهل أن يسمى كتابا كما تقول هو الرجل أى الكامل فى الرجولية الجامع لما يكون فى الرجال من مرضيات الخصال وكما قال

* هم القوم كل القوم يا أم خالد * وأن يكون الكتاب صفة ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود وأن يكون الم خبر مبتدا محذوف أى هذه الم ويكون ذلك خبرا ثانيا أو بدلا على أن الكتاب صفة وأن يكون هذه الم جملة وذلك الكتاب جملة أخرى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب

الهجران ظرف لعاتبة وجوز أن يكون حالا من نعمى أو من ضميرها فى عاتبة وقبله

عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار * ماذا تحيون من نؤى وأحجار

لقد أرانى ونعمى لاهيين بها * والدهر والعيش لم يهمم بامرار

العوج عطف زمام البعير ليقف وقوله ماذا تحيون كانه رد به على نفسه قوله فحيوا (قوله والجملة خبر المبتدا الاول) والعائد فيها هو اسم الاشارة القائم مقام الضمير (قوله ومعناه ان ذلك هو الكتاب) أدخل ضمير الفصل بين المبتدا والخبر ايذانا بان التركيب يفيد الحصر بناء على ان اللام للجنس حيث لا عهد ووصف الكتاب بالكامل تنبيها على ان المقصود من حصر الجنس حصر الكمال والا لم يكن الحصر صحيحا وقال كان ما عداه قصر صاحبا يتضمنه حصر الكمال فيه من اثبات النقصان لما يقابله من الكتب تأكيدا وفى لفظ كان نوع تأدب مع سائر كتب الله تعالى وقيل هو اشارة الى ان الحصر على وجه المبالغة دون الحقيقة وليس بشئ فانه لو جزم بنقصان ما عداه لكان الامر كذلك ولما فرغ من بيان المعنى المقصود الذى هو حصر الكمال اثباتا ونفيا شرع فى وجه افادة حصر الجنس اياه بقوله وانه الذى معطوف على قوله ان ذلك يريد انه لكماله فى بابه ونقصان ما سواه من جنسه هو الذى يستحق به أن يسمى كتابا كانه الجنس كله وما عداه خارج عنه ثم مثل له مثالا مشهورا فى العرف أعنى قوله هو الرجل وأردفه بما صرح فيه بحصر كل الجنس فى الكامل أعنى قوله هم القوم كل القوم ازالة لما عسى يتخالج فى الاوهام من استبعاد حصر الجنس فى بعض افراده وأوله * وان الذى حانت بفلج دماؤهم * أراد الذى حانت من الحين مفتوح الحاء بمعنى الهلاك أى هلكت دماؤهم وأريقت بفلج وهو موضع قريب من البصرة وقيل من الحينونة والمعنى حان سفك دمائهم (قوله يستأهل) أى يستحق قال فى الاساس لستأهل فلان لكذا أى هو أهل له وأهل الحجاز يستعملونه استعمالا واسعا وفى الصحاح ودرة الغواص فى أوهام الخواص أن المستأهل من يأخذ الاهالة أو يأكلها ﴿فان قلت﴾ اذا كان الم اسما للسورة وذلك اشارة اليها كان حصر الكمال فيها اثباتا للنقصان فى سائر السور لانها المقابلة لها لا الكتب المتقدمة ﴿قلت﴾ هذا انما يلزم اذا لوحظت السورة من حيث خصوصها وأما اذا لوحظت من حيث انها قرآن فلا لان مقابلها من هذه الحيثية هو الكتب المتقدمة لا سائر السور وأيضا يجوز أن يراد باسم السورة القرآن كله مجازا (قوله وان يكون الكتاب صفة) أى لذلك فيكون حينئذ ذلك الكتاب على هذا التقدير خبرا مفردا والكلام جملة واحدة ومعناه ما ذكره وقد سبق تحقيقه وجعل اللام فى الكتاب للعهد على تقدير كونه صفة لذلك لانه المتبادر عند الاشارة اليه وأيضا لا فائدة فى الاخبار عن السورة بصدق جنس الكتاب عليها وان قصد الحصر كان اسم الاشارة لغوا وأما ان ذلك الكتاب بدل من الم على تقدير كونه مبتدا وما بعده خبره فلم يلتفت اليه اذ لم يقع الابدال فيه موقعه لا فى المعهود ولا فى الجنس بشهادة الفطن السليمة (قوله على ان الكتاب صفة) أى لذلك سواء كان خبرا ثانيا أو بدلا من الخبر الاول يعنى الم وأما اذا جعل ذلك مبتدا والكتاب خبره والجملة خبرا بعد خبر أو بدلا من الخبر المفرد فذلك غير ما ذكره المصنف لان الخبر الثانى أو البدل هو مجموع الجملة

ذلك الكتاب لا ريب فيه

أي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل أو الكتاب صفة والخبر ما بعده أو قدر مبتدأ محذوف أي هو يعني المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرأ عبد الله الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه وتأليف هذا ظاهر * والريب مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه ما روى الحسن بن علي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة وان الصدق طمأنينة أي فان كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوائبه ومنه انه مر بظبي حاقف فقال لا يريبه أحد بشيء (فان قلت) كيف نفى الريب على سبيل الاستغراق وكم من مرتاب فيه (قلت) ما نفى أن أحدا لا يرتاب فيه

لا ذلك وحده والمقدر خلافه ﴿فان قلت﴾ كيف صح الاخبار عن هذه بالم ﴿قلت﴾ صح ذلك على معنى ان هذه السورة هي السورة المشهورة فضلا وكمالا وبلاغة وهداية أو على انها مسماة بهذا الاسم (قوله أي ذلك الكتاب المنزل) يريد ان ذلك اشارة الى ما نزل اليه بتعديد هذه الاحرف وكذا قوله يعني هو المؤلف من هذه الحروف اشارة الى ان الضمير المقدر راجع الى ذلك المرموز اليه وهذا ظاهر في الوجه الثاني أعني قرع العصا وأما اذا قصد بذكر الحروف الاعراب كان دلالتها على المنزل المؤلف منها تبعا لا قصدا فيصح بذلك رجوع الاشارة والضمير اليه وفيه خفاء (قوله وتأليف هذا ظاهر) فانك اذا جعلت الم اسما للسورة فهو مبتدأ بتقدير مضاف أي تنزيل الم تنزيل الكتاب أو هو خبر مبتدأ محذوف أي هذه الم وان جعلته تعديدا فتنزيل الكتاب اما خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره لا ريب فيه أو هو اعتراض والخبر هدى للمتقين وانما جعله ظاهر للاحاطة بالوجوه السابقة في القراءة المشهورة وقيل لقلتها بالقياس عليها (قوله والريب مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة) هو في أصله كذلك الا أنه استعمل في هذا الموضع ونظائره بمعنى الريبة والشك ولو أريد هو بمعناه الاصلي لقيل لا ريب له كما يقال لا ضرب لزيد (قوله وحقيقة الريبة) يريد ان الريبة وان اشتهرت في معنى الشك الا ان حقيقتها ومعناها الاصلي قلق النفس واضطرابها ومنه أي ومما ورد فيه الريبة على حقيقتها استشهد بقوله صلى الله عليه وآله فان الشك ريبة على ان الريبة غير الشك والا لم يكن في الكلام فائدة وبجعلها مقابلة للطمأنينة على انها القلق ومعنى الحديث دع ما يريبك أي يقلقك ذاهبا الى ما يطمئن به قلبك فان كون الشيء في نفسه مشكوكا فيه غير صحيح مما تقلق له النفس الزكية وتضطرب معه وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له أي اذا وجدت نفسك مضطربة في أمر فدعه واذا وجدتها مطمئنة فيه فاستمسك به لان اضطراب قلب المؤمن في شيء علامة كونه باطلا محلا لان يشك فيه وطمأنينته فيه علامة كونه حقا وصدقا وقيل معناه دع ما تشك فيه الى ما تعلمه فان العمل بالمشكوك فيه يقتضي قلقا وترددا وفي ذلك مشقة بخلاف العمل بالمعلوم فانه يقتضي سكونا وراحة والاول أقوى وعبارة الكتاب محمولة عليه واعلم ان الحديث من رواية الترمذي والنسائي وفيها فان الكذب ريبة فتوهم بعضهم ان ما ذكره المصنف لا يصح رواية لذلك ولا دراية لان الريبة هي الشك بعينه فلا فائدة في الاخبار بها عنه وأجاب بان صحة احدى الروايتين لا ينافي صحة الاخرى وأما فائدة الاخبار فقد حققها العلامة بما لا مزيد عليه (قوله ويشخص بالقلوب) أي يقلقها من شخص به اذا أورد عليه أمر يقلقه كأنه يجعله شاخصا بصره فلا يطرف من حيرته وقيل أي يذهب بالقلوب يقال شخص من بلد الى بلد أي ذهب فالباء للتعدية (قوله بظبي حاقف) هو الذي تثنى وانحنى في نومه لا يريبه أي لا يقلقه ولا يزعجه بالتعرض له روى انه صلى الله عليه وآله مر هو وأصحابه بظبي حاقف في ظل شجرة وهم محرمون فقال يا فلان قف ههنا حتى يمر الناس لا يريبه أحد بشيء (قوله كيف نفى الريب) أي الشك نفيا على سبيل الاستغراق فان معنى لا ريب فيه لا شك فيه من أحد (قوله ما نفى ان أحدا لا يرتاب فيه)

وانما المنفى كونه متعلقا للريب ومظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغى لمرتاب
ان يقع فيه ألا ترى الى قوله تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله فما أبعد وجود
الريب منهم وانما عرفهم الطريق الى مزيل الريب وهو أن يحرزوا أنفسهم ويروزوا قواهم فى البلاغة هل
تتم للمعارضة أم تتضاءل دونها فيتحققوا عند عجزهم أن ليس فيه مجال الشبهة ولا مدخل للريبة (فان قلت)
فهلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول فى قوله تعالى لا فيها غول (قلت) لان القصد فى ايلاء الريب
حرف النفى نفى الريب عنه واثبات أنه حق وصدق لا باطل وكذب كما كان المشركون يدعونه ولو أولى الظرف

الظاهر يرتاب بدون لا لان وجودها يفسد المعنى لان نفى نفى الريب اثبات له فقيل هى زائدة وقيل
نفى مسند الى مستتر راجع الى الريب كما يدل عليه السؤال وحرف الجر محذوف أى ما نفى الريب لان
أحدا أو على معنى ان أحدا لا يرتاب فيه ورد بان النفى حينئذ يتوجه الى العلة أو التفسير فلا يقابله قوله
وانما المنفى كونه متعلقا للريب بل الواجب ان يقال وانما نفى الريب لكذا أو على معنى كذا وقيل النفى
بمعنى الاتيان بالخبر منفيا أى ما أتى بان أحدا لا يرتاب فيه منفيا أى ليست الجملة المأتى بها منفية
هى هذه ومحصوله ان ليس المنفى الارتياب فتصح المقابلة الا ان فى الكلام فى استعمال النفى بهذا
المعنى على ان الحكم بزيادة لا أقل منه تكلفا (قوله وانما المنفى) جمع بين تعريف المسند اليه وكلمة
انما للمبالغة فى الحصر أى ليس المنفى ههنا الا كون القرآن محلا صالحا فى نفسه لتعلق الريب به ومظنة
له أى لا هو فى نفسه بل هو لوضوح الدلالة وسطوع البرهان على كونه حقا منزلا من عند الله تعالى
بحيث لا ينبغى لاحد أن يرتاب فيه يجب على كل واحد أن يكون منه على يقين وهذا معنى صحيح صادق
لا يقدح فى صدقه ارتياب جميع الناس فيه فضلا عن ارتياب بعضهم وفى اختيار انما اشعار بان كون
المنفى ما ذكره أمر مكشوف يتبادر من العبارة فانك تقول بعد تلخيص الحق فى المسئلة بعد تردد المخاطب
بعد وهذا مما لا شك فيه ولا يشتبه على أحد فانك تريد بذلك كونها يقينية فى نفسها لا ينبغى أن يتعلق
شك بها لا ان أحدا لا يشك فيها وكذلك اذا قلت لمن ينكر أمرا هذا الانكار فيه أوليس هذا محلا للانكار
أردت انه ليس خليقا بالانكار ومظنة لصلاحه ولا ينبغى أن يرتاب فيه وبهذا التحقيق يندفع ما يقال
من ان القرآن مئنة للريب فكيف ينفى كونه مظنة له (قوله ان يقع فيه) الضمير للارتياب الذى دل عليه
مرتاب أى لا ينبغى لصاحب ارتياب أن يقع فيه وقيل للقرآن على معنى ان يطعن فيه من قولهم وقع فى فلان
اذا اغتابه وطعن فيه ورد بان المفهوم حينئذ ان الطعن من المرتاب مما لا ينبغى لا ما هو المقصود بمعنى ان
ارتيابه مما لا ينبغى الا أن يجعل الارتياب طعنا وانه تمحل عنه غنى (قوله ألا ترى) استشهاد على ان المنفى
ليس هو الارتياب بل كونه متعلقا للريب بالمعنى المذكور (قوله فما أبعد) ما فيه نافية لا تعجبية أى لم
يبعد وجود الريب منهم ولم ينفه عنهم بل أرشدهم الى ما يزيل ريبهم ويوصلهم الى أن يتحققوا ان القرآن
مما لا ينبغى أن يرتاب فيه (قوله فهلا قدم) لما بين ان المقصود بالنفى ههنا ليس هو الريب بل كونه
متعلقا له توهم ان النفى لم يتوجه الى أصل الريب بل الى متعلقه الذى هو الظرف فكان أهم فهلا قدم
أجاب بان النفى متوجه الى الريب لا الى متعلقه لكن لم يقصد بنفى الريب عنه انه لم يرتب فيه أحد بل قصد
اثبات انه حق وصدق وان الريب فيه غير واقع موقعه ومن المعلوم ان هذا القصد لا يقتضى تقديم
الظرف على ان ثم مانعا عنه وهو انه لو قدم لافاد معنى بعيدا عن المراد وهو ان الريب ثابت فى كتاب آخر
لا فى هذا الكتاب وهذا المعنى وان فرض استقامته لا يناسب المقام اذ المقصود ان القرآن حق لا مجال
فيه للريبة ردا لما زعمه المشركون لا ان الريب منفى عنه وثابت فى غيره اذ لم يكن هناك منازعة فى ذلك
وفى المفتاح امتنع تقديم الظرف لدلالته على ان ريبا فى سائر كتب الله وانه باطل ولا خفاء فى انه توجيه آخر
(قوله فى ايلاء الريب حرف النفى) أى جعله بحيث يلى أى يقرب منه ويعقبه بلا فصل وعلى هذا فقوله ولو

لقصد الى ما يبعد عن المراد وهو أن كتابا آخر فيه الريب لا فيه كما قصد فى قوله لا فيها غول تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بانها لا تغتال العقول كما تغتالها هى كأنه قيل ليس فيها ما فى غيرها من هذا العيب والنقيصة وقرأ أبو الشعثاء لا ريب فيه بالرفع والفرق بينها وبين المشهورة أن المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم أنهما وقفا على لا ريب ولا بد للواقف من أن ينوى خبرا ونظيره قوله تعالى قالوا لا ضير وقول العرب لا بأس وهى كثيرة فى لسان أهل الحجاز

أولى الظرف بالرفع ويحتمل النصب على معنى ولو جعل حرف النفى بحيث يلى الظرف أى يقرب منه ويتقدمه بلا فاصل (قوله أن كتابا آخر فيه الريب لا فيه) هذه عبارة جزلة لا غبار عليها فالريب مبتدأ قدم عليه خبره للتخصيص وقوله لا فيه عطف على ذلك الخبر المقدم وتصريح بما يتضمنه التخصيص من النفى تأكيدا له والمجموع خبران وقد روعى فيها لطيفة هى ان التخصيص يتألف من اثبات ونفى فصرح امامهما أو بأحدهما على ما يقتضيه الحال ونظم التنزيل على تقدير التقديم أعنى لا فيه ريب يقتضى تخصيصا صرح فيه بالنفى وحده لكن بعده عن المرام ونبوه من مناسبة المقام انما هو للارتياب فى غيره فلذلك اختار العلامة التصريح به مع المحافظة على طريق التقديم واستبقاء الظرف على صورته واستدرك بالعطف ما فاته من كون النفى مصرحا به فى ذلك النظم وقيل حق العبارة ان كتابا آخر فيه الريب لا اياه أى القرآن أو ان فى كتاب آخر الريب لا فيه وكلاهما مردود اما الثانى فلفوات بقاء الظرف على هيئته فى النظم المقدر وأما الاول فلان قوله فيه الريب ان كان جملة مفيدة للحصر كما بيناه كان المعنى ان الريب مخصوص بكتاب آخر لا بالقرآن وانه فاسد وان كان محمولا على ان الريب فاعل الظرف لم يوافق النظم فى افادة التخصيص بالتقديم وكان تعريف الريب مستدركا وكأن هذا القائل توهم فى عبارة الكتاب ان الظرف خبر ان والريب فاعله فلم يجز عنده أن يعطف عليه قوله لا فيه لخلوه عن ضمير المخبر عنه فاستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير (قوله لا فيها غول) ان نظر الى حاصل المعنى كان قصرا لصفة الاغتيال على خمور الدنيا وان روعى القاعدة القائلة ان تقديم المسند يفيد حصر المسند اليه عد قصر الموصوف على الصفة أى الغول مقصور على عدم الحصول فى خمور الجنة لا يتعداه الى عدم الحصول فيما يقابلها أو عدم الغول مقصور على الحصول فيها لا يتجاوزه الى الحصول فى هذه الخمور وبالجملة تجعل حرف النفى جزأ أو حرفا من حروف المسند أو المسند اليه وقس على ذلك نظائره (قوله أبو الشعثاء) هو تابعى مشهور اسمه سليم بن أسود المحاربى (قوله أن المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه) بيان ذلك أن المشهورة لنفى الجنس أى الحقيقة ويلزمه نفى افرادها بأسرها اذ لو ثبت شئ منها كانت الحقيقة ثابتة فى ضمنه ولا تحتمل معنى آخر فهى نص فى الاستغراق توجبه فاذا قيل لا رجل فى الدار بالفتح لم يصح بل رجلان أو رجال وغير المشهورة مجوزة للاستغراق على معنى انها ظاهرة فيه ومحتملة لمعنى آخر أما الاول فلأن المتبادر من النكرة المنونة فردلا بعينه وهو مساو للحقيقة فاذا نفى استلزم نفى جميع الافراد وأما الثانى فلأنه قد يقصد بذلك نفى الوحدة المنفردة أى المجردة عن العدد فيقال لا رجل فى الدار بل رجال أى الجنس موصوف بالتعدد لا بالوحدة وأما اذا زدت لفظة من الاستغراقية وقلت لا من رجل زال ذلك الاحتمال وصار نصا فى الاستغراق كالمبنى الان مفهوم المبنى نفى الحقيقة ومفهوم لا من رجل نفى فرد لا بعينه حتى اذا فسرت الاول بالفارسية قلت نيست هيچ مردى والثانى قلت نيست هيچ مردى دوس أى وأما لا رجل بالرفع فمعناه نيست مردى وقيل استغراق النفى لتضمنه معنى من مقدرة فيجب ان لا يفترقا مفهوما ﴿لا يقال﴾ صحة الاستثناء من لا رجل ولا من رجل يقدح فى نصوصيتها ﴿لانا نقول﴾ لا قدح لجريانه فى الالفاظ الناصة اتفاقا كأسماء العدد وقد حقق فى موضعه (قوله هو المشهور) فعلى هذا يكون الكتاب نفسه هدى وعلى الآخر ظرفا له والاول أبلغ فالمشهور أولى (قوله من أن ينوى خبرا) وذلك ليكون الموقوف عليه

والتقدير لاريب فيه (فيه هدى) الهدى مصدر على فعل كالسرى والبكى وهو الدلالة الموصلة الى البغية بدليل وقوع الضلالة فى مقابلته قال الله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقال تعالى لعلى هدى أو فى ضلال مبين ويقال مهدى فى موضع المدح كمهتد ولان اهتدى مطاوع هدى ولن يكون المطاوع فى خلاف معنى أصله ألا ترى الى نحو غمه فاغتم وكسره فانكسر وأشباه ذلك (فان قلت) فلم قيل هدى للمتقين والمتقون مهتدون

مفيدا معنى تاما والا كان بالوقف قبيحا ناقصا (قوله بدليل وقوع الضلالة فى مقابلته) استدل على ان الهدى هو الدلالة الموصلة الى البغية أى المطلوب لا مطلق الدلالة على ما يوصل اليها بوجوه ثلاثة الاول انه يقابل الضلالة استعمالا كما فى الآيتين ولا شك ان الخيبة وعدم الوصول الى المطلوب معتبر فى مفهوم الضلالة فلو لم يعتبر الوصول اليه فى مفهوم الهدى لم يصح التقابل واعترض بان المذكور فى مقابلة الضلالة هو الهدى اللازم بمعنى الاهتدا اما مجازا واما اشتراكا كما قال فى الصحاح هدى واهتدى بمعنى والكلام فى المتعدى ومقابله الاضلال والاستدلال به لا يتم اذ ربما يفسر بالدلالة على ما لا يوصل الى المرام لا بجعله ضالا أى غير واصل وأجيب بانه لا فرق الا باللزوم والتعدى لانه مطاوعه فلا يخالفه الا بانه تأثير ومطاوعه تأثر واذا اعتبر الوصول فى اللازم كان معتبرا فى المتعدى أيضا وأما الضمير فى مقابلته الراجع الى اللازم فسبيله الاستخدام ويرد عليه ان التمسك بالمطاوعة وجه مستقل وذكر المقابلة حينئذ يكون مستدركا لان اعتبار الوصول فى الاهتدا مستغن عن الدليل الثانى انه يقال فى موضع المدح فلان مهدى كما يقال فلان مهتد ولا مدح الا بالوصول الى الكمال المطلوب ولو فسر بان استعداد الكمال والتمكن من الوصول اليه أيضا فضيلة يستحق عليها المدح وبان المهدى فى مقام المدح يراد به المنتفع بالهدى مجازا فان من لم ينتفع بالهدى كان فى حقه كأنه معدوم اذ لا اعتداد بالوسيلة عند فقدان المقصود وأجيب عن الاول بان التمكن مع عدم الوصول نقيصة يذم عليها وعن الثانى بان الاصل فى الاطلاق الحقيقة فلما استعمل المهدى هناك فى الواصل كان حقيقة فيه الثالث ان اهتدى مطاوع هدى يقال هديته فاهتدى والمطاوعة عبارة عن حصول الاثر فى المفعول بسبب تعلق الفعل المتعدى فلا يكون المطاوع مخالفا لاصله الا فى أنه تأثر وأصله تأثير فان المنكسر مثلا فيه حالة يسمى تحصيلها كسرا وقبولها انكسارا فلو لم يكن فى الهدى اتصال الى المطلوب لم يكن فى الاهتدا وصول اليه ونقض بنحو أمرته فلم يأتمر وعلمته فلم يتعلم ورد بان حقيقة الائتمار صيرورته مأمورا وهو بهذا المعنى مطاوع الامر ثم استعمل فى الامتثال مجازا حتى صار حقيقة عرفية وليس هذا بمعنى الامتثال مطاوعا للامر وان كان مرتبا عليه فى الجملة على صورة المطاوعة قال الفاضل اليمنى هو مطاوع لكنه نادر لا يلحق به غيره بل بالاعم الاغلب فاما علمته فى المثال المذكور فلم يرد به ما هو حقيقته أى حصلت فيه العلم بل أريد به معناه المجازى أى وجهت نحوه ما يفضى الى العلم غالبا وليس التعلم مطاوعا الا لمعناه الحقيقى قال رحمه الله وبذلك يندفع ما يقال ان المتأثر ان كان مختارا لم يجب أن يكون مطاوعا موافقا لاصله وان لم يكن مختارا وجب «نعم» قد كثر فى قسم المختار استعمال الاصل فى معناه مجازا أعنى توجيه ما يفضى الى الفعل غالبا وقيل فى جواب النقض بالائتمار ان حقيقة الامر لغة لا تثبت الا الامتثال لكن منع من ذلك لزوم الجبر وسقوط الاختيار فيتخلف عنه لمانع مخصوص وفيه ان هذا المانع موجود فى الاهتدا فيتخلف عن الهدى وعورضت الوجوه الثلاثة بقوله تعالى وأما ثمود فهديناهم وأجيب بانه مجاز عن ازاحة العلل وافاضة أسباب الاهتدا بقرينة قوله تعالى فاستحبوا العمى على الهدى أى آثروه عليه ولولاها لتبادر منه الايصال ورد بان الاصل الحقيقة ودفع بانه لولا تلك القرينة وما أشبهها لتبادر منه غير ذلك المعنى وهو كونه غير مجاز فيه هذا وأما قوله ويقال مهدى وقوله ولان اهتدى فمعطوف على قوله بدليل وقوع الضلالة بحسب المعنى أى لان الضلالة واقعة فى مقابلته ولانه يقال ولان اهتدى (قوله فلم قيل) الفاء مؤذنة بالاستنكار

(قال محمود رحمه الله ان قلت فلم قيل هدى للمتقين والمتقون مهتدون الخ) قال أحمد رحمه الله الهدى يطلق فى القرآن على معنيين أحدهما الارشاد وايضاح سبيل الحق ومنه قوله تعالى وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى وعلى هذا يكون الهدى للضال باعتبار انه رشد الى الحق سواء حصل له الاهتداء أو لا والآخر خلق الله تعالى الاهتداء فى قلب العبد ومنه أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فاذا ثبت وروده على المعنيين فهو فى هذه الآية يحتمل أن يراد به المعنيان جميعا وأما قول الزمخشرى ان القرآن لا يكون هدى للمعلوم بقاؤهم على الضلالة فانما يستقيم اذا أريد بالهدى خلق الاهتداء فى قلوبهم وأما اذا أريد معناه الاول فلا يمتنع ان الله تعالى أرشد الخلق أجمعين وبين للناس ما نزل اليهم فمنهم من اهتدى ومنهم من حقت عليه الضلالة هذا مذهب أهل السنة

(قلت) هو كقولك للعزيز المكرم أعزك الله وأكرمك تريد طلب الزيادة الى ما هو ثابت فيه واستدامته كقوله اهدنا الصراط المستقيم ووجه آخر وهو أنه سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه وعن ابن عباس اذا أراد أحدكم الحج فليعجل فانه يمرض المريض وتضل الضالة وتكتنف الحاجة فسمى المشارف للقتل والمرض والضلال قتيلا ومريضا وضالة ومنه قوله تعالى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا أى صائرا الى الفجور والكفر

أى ما ذكرتم فى تفسير الهدى يقتضى أن يكون هدى للمتقين دالا على تحصيل الحاصل كأنه قيل دلالة موصلة الى المطلوب للمتقين الواصلين اليه ولو فسر الهدى بالدلالة على ما يوصل اليه كان هناك محذور آخر وهو ان تعلقه بالمتقين عار عن الفائدة فان من اهتدى الى المقصود كانت دلالته على ما يوصل اليه لغوا (قوله هو كقولك) يعنى أريد بالهدى زيادة الهدى الى مطالب أخرى غير حاصلة والتثبت على ما كان حاصلا كما فى قوله تعالى اهدنا أو أريد بالمتقين المشارفون للتقوى والاول هو المختار الملائم لنظم القرآن وسيأتى اشارة اليه فقدمه لذلك ولئلا يفصل به بين الثانى وما يتفرع عليه من السؤال الآتى ﴿لا يقال﴾ قد سبق ان الهدى فى التثبت مجاز وفى الزيادة حقيقة أو مجاز فكيف جمع بينهما ههنا ﴿لانا نقول﴾ لم يرد ان اللفظ مستعمل فيهما معا بل فى الزيادة فقط والتثبت لازم تبعا وان صح أن يجعل مقصودا بنفسه ويستعمل اللفظ فيه وحده ﴿فان قلت﴾ نحو قولك أعزك الله وأكرمك يحتاج الى التأويل المذكور فانه طلب مختص بالاستقبال ولو لم يؤول لزم طلب تحصيل الحاصل وأما هدى للمتقين فلا حاجة فيه الى التأويل أصلا اذ لا دلالة على زمان قطعا بل معناه هدى للمتقين المهتدين بذلك الهدى فلا اشكال أولا ترى انك اذا قلت السلاح عصمة للمعتصم على معنى انه سبب لها لم يفهم ان هناك عصمة أخرى مغايرة لما كان عليه الشخص المعتصم به معتصما ﴿قلت﴾ انك اذا عبرت عن شئ بما فيه معنى وصفية وعاقبت به المعنى المصدرى فى صيغة فعل أو غيرها فهم منه فى عرف اللغة ان ذلك الشئ موصوف بتلك الصفة حال تعلق ذلك المعنى لا بسببه مثلا اذا قلت ضربت مضروبا تبادر الى الفهم فى ذلك العرف انه موصوف بالمضروبية قبل زمان تعلق ضربك به لا بسبب ضربك اياه والسر فى ذلك انك فى بيان تعلق ضربك به تلاحظ ما هو عليه فى زمان التعلق وتعبر عنه بما هو مسلم له ويستحق ان تعبر به عنه وان لم يتعلق به ضربك اسما كان أو صفة فاذا عبرت عنه بالمضروب كانت مضروبيته صفة مسلمة له مأخوذة على انها حقه وان لم تضربه ولا شك ان مضروبيته بهذا الضرب صفة متفرعة على ما أنت متصد لبيان ثبوته فى ذلك الزمان فلا تكون مسلمة فيه مستحقة له فاذا أردت انه مضروب بضربك هذا كان مخالفا للظاهر مجازا باعتبار المآل كقولك هدى لزيد والضال أو اضلال لبكر والمهتد جار على ظاهره بخلاف قولك هدى للمتقين واضلال للضال وأما حديث العصمة فلا يجديك منفعة اذ لم يرد معناه المصدرى المتضمن للتجدد والحدوث بل أريد الحاصل بالمصدر وهو معنى مستقر ثابت يضاف الى المعتصم وينسب اليه باللام على ان الظرف مستقر أى عصمة كائنة للمعتصم وان جعلت مصدرا واللام لتقوية العمل كما هو الظاهر من هدى للمتقين احتيج هناك أيضا الى أحد التأويلين وقس على ذلك نحو قولك صحة للصحيح ومرض للمريض وعكسهما ﴿فان قلت﴾ متعلقات الافعال وأطراف النسب هل حقها على الاطلاق ان يعبر عنها حال التكلم بما تستحق ان يعبر عنها به حال التعلق والنسبة لا حال الحكم حتى لو خولف ذلك كان مجازا ﴿قلت﴾ لا فان قولك عصرت هذا الخل فى السنة الماضية مشيرا الى خل بين يديك ليس فيه مجاز مع انه لم يكن خلا زمان العصر وقولك سأشرب هذا الخل مشيرا الى عصير عندك مجاز باعتبار المآل وان كان خلا حال الشرب فمن قال المعتبر فى المجاز بحسب الصيرورة والمشارفة هو حال النسبة لا حال الحكم فقد سها بل الواجب فى ذلك ان يرجع الى موضع الكلام وطريقته فتارة يعتبر زمان النسبة

(فان قلت) فهلا قيل هدى للضالين (قلت) لان الضالين فريقان فريق علم بقاؤهم على الضلالة وهم المطبوع على قلوبهم وفريق علم أن مصيرهم الى الهدى فلا يكون هدى للفريق الباقين على الضلالة فبقى أن يكون هدى لهؤلاء فلو جيء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين الى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام باجرائه على الطريقة التي ذكرنا فقيل هدى للمتقين وأيضا فقد جعل ذلك سلما الى تصدير السورة التي هي أولى الزهراوين وسنام القرآن وأول المثاني بذكر أولياء الله والمرتضين من عباده * والمتقي في اللغة اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة ومنه فرس واق وهذه الدابة تقي من وجاها اذا أصابه ضلع من غلظ الارض ورقة الحافر فهو يقي حافره أن يصيبه أدنى شيء يؤلمه وهو في الشريعة الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل أو ترك * واختلف في الصغائر

كما في الامثلة المتقدمة وتارة يعتبر زمان اثباتها كما في هذين المثالين ثم المجاز بحسب المآل قد يكون بطريق المشارفة كما في من قتل قتيلا ومرض المريض وتضل الضالة فانه قتيل ومريض عقيب تعلق القتل والمرض به بلا تراخ وكذلك حال الضالة وقد يكون بطريق الصيرورة مجردة عن المشارفة كما في قوله ولا يلدوا الا فاجرا كفارا فان الاتصاف بالفجور والكفر متراخ عن تعلق الولادة بالمولود فلذلك فصله عما تقدمه بقوله ومنه (قوله فهلا قيل) سؤال تفريع على الوجه الثاني أي اذا أريد بالمتقين ما ذكرتم فهلا جيء بما هو حقيقة في المراد وأي فائدة في العدول الى المجاز وأجاب بان هناك فائدتين الاولى الاختصار الذي هو من باب ايجاز القصر الثاني تصدير السورة الكريمة بذكر أسماء أولياء الله تعالى رعاية لحسن المطلع (قوله على الطريقة التي ذكرنا) أراد طريقة المشارفة المصرحة فيما تقدم الا ان المناسب لقوله علم ان مصيرهم الى الهدى وما يتلوه ان يكتفي بمطلق الصيرورة فكانه أشار به الى ذلك واختار المشارفة لكونها أوفق للصفات المتعقبة للمتقين (قوله وأيضا فقد جعل) عطف على قوله فاختصر ولا بد من تقدير أي وأيضا اذا كان كذا فقد جعل أو ونقول أيضا فقد جعل ذلك الاجراء المؤدي الى الاختصار سلما الى فائدة أخرى فهي اعلى منه وتلخيصه فقد أجرى الكلام على تلك الطريقة للاختصار والتصدير وقيل هو عطف بحسب المعنى على قوله لان الضالين بناء على ان ذلك التقسيم له مدخل في تفريع الاختصار دون التصدير ولفظ ذلك اشارة الى ترك الضالين الى المتقين وأما عطفه على فقيل فيقتضي اندراجه في تفصيل الاختصار (قوله اولى الزهراوين) أي المنيرتين من قوله صلى الله عليه وآله اقرأوا الزهراوين البقرة وآل عمران الحديث قيل سميتا بذلك لانهما زهراوين في الاعجاز وسميت البقرة سنام القرآن لانها أعظم سورة منه وأرفعها كما ان السنام أعظم أعضاء الابل وأعلاها وسميت أيضا أول المثاني أي السبع الطوال التي تثنى فيها صفات المؤمنين والكفار والوعد والوعيد وغيرها وهي البقرة والاعراف وما بينهما ويونس ولا يصح حمل المثاني ههنا على مجموع القرآن والفاتحة كما لا يخفى وذكر لفظ أول على معنى مثنى هو أول المثاني (قوله بذكر أولياء الله) أي بذكر اسمهم وهو لفظ المتقين الذي أبدل مكان لفظ الضالين الصائرين الى التقوى مع اتحاد المراد منهما وقد غلط من زعم ان المصنف جعل هؤلاء أولياء الله نظرا الى ظاهر لفظ المتقين والا فالضال وان كان مصيره الى التقوى لا يكون وليا لله تعالى الا على القول بان السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقي في بطن أمه وهي مسئلة موافاة الاشعري (قوله من وجاها) أي من أجل وجع في حافرها يقال وجي الفرس بالكسر اذا وجد وجعا في حافره والضمائر في قوله يؤلمه للفرس واما الواحد من الفرس أو الدابة لا ضمير يصيبه فانه للحافر وفي قوله أدنى شيء اشارة الى فرط الصيانة (قوله من فعل أو ترك) اعترض بان صوابه وترك لان ما يستحق به عام متناول لهما معا والجواب انه مطلق مفسر باحدهما الا انه لوقوعه مع تفسيره بعد ما يتضمن نفيا أفاد استغراقا كأنه قيل لا يفعل ما يستحق به العقوبة من فعل وترك (قوله واختلف في الصغائر) هل يعتبر اجتنابها في المتقي فقيل نعم لان فرط الصيانة يقتضي

(قال محمود رحمه الله واختلف في الصغائر الخ) قال أحمد رحمه الله ومن تمني القدرية على الله تعالى اعتقادهم أن الصغائر ممحوة عنهم ما اجتنبوا الكبائر وانه يجب أن يعفو الله عنها لمجتنب الكبائر كما يجب عندهم أن لا يعفو عن مرتكب الكبائر وهذا هو الخطأ الصراح والمحادة لآيات الله البينات وسنن رسوله صلى الله عليه وسلم الصحاح والحق أن غفران الصغائر وان اجتنبت الكبائر موكول الى المشيئة كما ان غفران الكبائر موكول اليها أيضا ومن لا يعتقد ذلك وهم القدرية يضطرون الى الوقوف عند قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فانه ناطق بالمؤاخذة بالصغائر ويتحيرون عند قوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا فانه مصرح بمغفرة الكبائر أما أهل السنة فقد ألفوا بين هاتين الآيتين بقوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فان التقييد بالمشيئة في هذه يقضي على الآيتين المطلقتين

وقيل الصحيح أنه لا يتناولها الا انها تقع مكفرة عن مجتنب الكبائر وقيل يطلق على الرجل اسم المؤمن لظاهر الحال والمتقي لا يطلق الا عن خبرة كما لا يجوز اطلاق العدل الا على المختبر ومحل هدى للمتقين الرفع لانه خبر مبتدا محذوف أو خبر مع لا ريب فيه لذلك أو مبتدأ اذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه ويجوز أن ينصب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة أو الظرف والذى هو أرسخ عرقا في البلاغة أن يضرب عن هذه المحال صفحا

ذلك ويؤكده قوله صلى الله عليه وآله لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به البأس في تفسير المتقي بما ذكر وقيل الصحيح انه أي المتقي لا يتناول الصغائر أي لا يعتبر في مفهومه اجتنابها وعلى هذا يفسر بتفسير آخر ويقال هو من يجتنب الكبائر ولا يقدح في ذلك ان الاصرار على الصغائر سالب في العدالة فكيف بالتقوى لان الاصرار عليها كبيرة اذا فاوليس بداخل تحت التكفير فان الاجتناب عنه داخل في الاجتناب عن الكبائر وقد يقال الاختلاف في ان ما يستحق به العقوبة هل يتناول الصغائر أم لا فمن قال يتناولها تشبث بان احتياجها الى التكفير دل على كونها اسبابا لاستحقاق العقوبة ومن قال لا يتناولها تشبث بانها لما وقعت مكفرة لم يظهر للاستحقاق بها أثر فكانه لا استحقاق فلا يندرج فيما يستحق به العقوبة عند الاطلاق (قوله وقيل يطلق) ليس هذا قولا آخر مقابلا لما تقدم بل هو نقل كلام يتضمن نوع بيان حال اسم المتقي ويشير الى الفرق بينه وبين اسم المؤمن اذا اشترط دخول الاعمال في الايمان وأما اذا لم يشترط فالفرق أظهر من ذلك (قوله أو خبر مع لا ريب فيه لذلك) أورد المعية في كون كل منهما خبرا له على حدة (قوله والعامل فيه معنى الاشارة) كانه قيل أشير الى الكتاب حال كونه هاديا فالعامل في الحال وصاحبها واحد لان المنصوب المحل بالفعل المذكور هو المجرور وحده على ما حقق وهو بهذا الاعتبار وقع ذا حال قال المصنف في قوله تعالى هذا بعلي شيخا العامل في شيخا ما في حرف التنبيه أو اسم الاشارة من معنى الفعل فاعترض عليه بلزوم اختلاف العامل لان صاحب الحال معمول للابتدا فأجاب بان التقدير انبه أو أشير اليه شيخا فذو الحال هو ذلك الضمير المنصوب محلا بالفعل الناصب للحال فاتحد العامل فيهما وقصد بذلك التقدير ابراز معنى الفعل الذى يتضمنه حرف التنبيه أو اسم الاشارة أي معنى هذا بعلي انبه على بعلي أو أشير اليه ولم يرد ان هناك فعلا محذوفا كما ظن بعضهم واعترض بان العامل حينئذ ليس ما فهم مما من معنى الفعل (قوله أو الظرف) بالرفع اى العامل في الحال الظرف أعني فيه ويروى بالجر أى معنى الظرف وذو الحال هو الضمير المجرور لانه مفعول معنى لا المضمر المستتر في الظرف الراجع الى الريب لفساد المعنى وقيل الاولى ان كونه حالا من المجرور أيضا ليس بسديد من جهة المعنى الا أن غرضه بيان وجه الاعراب بحسب ما يحتمله ظاهر اللفظ وانه باطل اذ لا وجه لبيان محتملات الالفاظ مع قطع النظر عن سداد المعنى بل المراد أن العامل في الحال هو حاصل معنى الظرف أعني انتفاء حصول الريب كانه قيل لم يحصل فيه الريب حال كونه هاديا على انه قيد للنفي لا للمنفي حتى يرد ان القيد والمقيد متنافيان ظاهرا وان النفي حينئذ متوجه الى القيد فيفسد المعنى (قوله والذى هو أرسخ عرقا في البلاغة) أي أدخل فيها وذلك لاشتماله على ما هو مدار البلاغة ومنبعها من رعاية جانب المعنى وفخامته واعتبار الدلالات العقلية والروابط المعنوية وفيما عداه من الوجوه روعي جانب الالفاظ وارتباط بعضها ببعض ارتباطا صوريا مع سداد المعنى وصحته (قوله ان يضرب) أي يعرض عن هذه المحال يريد عن اعتبار مجموعها الا عن كل واحد منها فان بعضها أعني كون الم خبر مبتدا محذوف وكون ذلك مبتدا خبره الكتاب وكون هدى في محل الرفع على انه خبر مبتدا محذوف وكون فيه خبر لا ريب مقرر على حاله في هذا الوجه المختار وقوله صفحا ظرف أي في صفح وجانب واما مصدر أي اعراضا قال رحمه الله تعالى في الكلام اشارة الى ان الواجب على مفسر كلام الله تعالى ان يلتفت

وأن يقال ان قوله الم جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق بعض فالثانية متحدة بالاولى معتنقة لها وهلم جرا الى الثالثة والرابعة بيان ذلك أنه نبه أولا على أنه الكلام المتحدى به ثم أشير اليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي وشدا من أعضاده ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلا بكماله لانه لا كمال أكمل مما للحق واليقين ولا نقص أنقص مما للباطل والشبهة وقيل لبعض العلماء فيم لذتك فقال في حجة تتبختر اتضاحا وفي شبهة تتضاءل افتضاحا ثم أخبر عنه بأنه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم لم تخل كل واحدة من الاربع بعد أن رتبت هذا الترتيب الانيق ونظمت هذا النظم السري من نكتة ذات جزالة

لفن المعاني ويحافظ عليها ويجعل الالفاظ تبعا لها (قوله جملة برأسها) أي مع قطع النظر عما بعدها (قوله مستقلة بنفسها) أي غير محتاجة الى غيرها في افادة ما أريد بها من الايقاظ أو تقدمة الاعجاز فنزلت لذلك منزلة جملة لا محل لها فكان ذلك الكتاب جملة ثانية على هذا التقدير أيضا (قوله مفصل البلاغة) بالنصب أي جعل ترتيبها مصيبا اياه فالباء للتعدية وقد ترتفع على انها للسببية والآلة هكذا مفعول أي هذا النوع من التناسق (قوله وذلك) أي المجيء بها غير متعاطفة (لمجيئها متآخية) متناسبة غاية التناسب وقوله آخذا بعضها بعنق بعض تأكيد للتآخي وأقوى في الدلالة على كمال الاتصال مما تقدم من أخذ بعض الكلام بحجزة بعض (قوله وهلم جرا) أي تعال على هينة وسهولة وهو من أمثال العرب وأصله من الجر في السوق وهو ان تترك الابل ترعى في مسيرها وجرا مصدر وقع حالا أي جارا أو منجرا وقيل منصوب على المصدرية لان في هلم معنى جر وهو معطوف على مقدر أي فاحكم باتحاد الثانية بالاولى وهلم جرا الى ما بعدها (قوله بيان ذلك) أي بيان مجيئها متآخية متحدة كل لاحقة منها بسابقتها (قوله على أنه الكلام المتحدى به) أي على ان المنزل هو الكلام الذي يحق ان يتحدى به وذلك على تقدير التعديد والايقاظ أو تقدمة ظاهر وأما على تقدير العلمية فلما مر من ان التسمية بهذه الالفاظ خاصة فيها اشعار بان الفرقان ليس الا كلما عربية معروفة التركيب من مسمياتها وقيل الاخبار عن اسم الاشارة بانه القرآن يقتضي ذلك (قوله المنعوت بغاية الكمال) أي في نظمه ومعناه بحيث لا يستحق غيره أن يسمى كتابا وفي ذلك تقرير وتحقيق لجهة التحدي وانه الحقيق بان يتحدى به (قوله وتسجيلا بكماله) أي حكما مقطوعا بذلك فيكون لا ريب فيه تأكيدا لذلك الكتاب كما ان هدى للمتقين تأكيد للاريب فيه وكل واحدة من هذه الجمل الثلاث مؤكدة ومقررة معنى ما اتصلت به لفظا فلا مجال للعاطف بينها ﴿فان قلت﴾ اذا كان الم مفردات معددة لم يصح أن يعطف عليها جملة ذلك الكتاب وان لم يؤكد ما أريد بها فلا فائدة لبيان التقرير على هذا التقدير ﴿قلت﴾ فائدته الاشارة الى انه لو عبر عما أريد بها بجملة لم يصح العطف أيضا وجعل صاحب المفتاح لا ريب فيه تأكيدا لذلك الكتاب نفيا لتوهم المجازفة فيما بولغ فيه من وصف الكتاب بغاية الكمال حيث جعل المبتدا ذلك وعرف الخبر ثم قال هدى للمتقين تقريرا وتأكيد المجموع ذلك الكتاب لا ريب فيه وتحقيقه يعلم هناك (قوله ثم لم تخل) عطف على قوله قد أصيب ومن قال هو عطف على جيء بها متناسقة فقد أصيب وذلك لان جيء بها واقع في حيز تعليل اصابة مفصل البلاغة بترتيب تلك الجمل بعضها مع بعض وعدم خلو كل واحدة في نفسها عن نكتة لا مدخل له في تلك الاصابة وأيضا (قوله بعد ان رتبت هذا الترتيب الانيق) أي المعجب (ونظمت هذا النظم السري) أي الحسن ينادي على فساد جعل عدم الخلو جزأ من علة اصابة الترتيب المفصل وموجب حسن النظم

ففى الاولى الحذف والرمز الى الغرض بألطف وجه وأرشقه وفى الثانية مافى التعريف من الفخامة وفى الثالثة مافى تقديم الريب على الظرف وفى الرابعة الحذف ووضع المصدر الذى هو هدى موضع الوصف الذى هو هاد وايراده منكرا والايجاز فى ذكر المتقين زادنا الله اطلاعا على أسرار كلامه وتبيينا لنكت تنزيله وتوفيقا للعمل بما فيه (الذين يؤمنون) اما موصول بالمتقين على أنه صفة مجرورة أو مدح منصوب أو مرفوع بتقدير أعنى الذين يؤمنون أو هم الذين يؤمنون واما مقتطع عن المتقين مرفوع على الابتداء مخبر عنه بأولئك على هدى فاذا كان موصولا كان الوقف على المتقين حسنا غير تام واذا كان مقتطعا كان وقفا تاما (فان قلت) ماهذه الصفة أواردة بيانا وكشفا للمتقين أم مسرودة مع المتقين تفيد غير فائدتها

الذين يؤمنون بالغيب

وأيضا اذا جعل جزأ من علتها فلا وجه للعطف بثم ولا فائدة للفظ بعدوأما على الوجه الذى ذكرناه فكأنه قيل تلك الاصابة كافية فى حسن الكلام وعلو درجته ثم ان جاوزتها وطلبت وجها آخر لزيادة حسنه ورونقه لاحظت عدم الخلو بعد اعتبار ذلك الترتيب وقوله كل واحدة لشمول النفى أى لم يجد واحدة منها خالية من نكتة ذات جزالة بل اشتمل عليها كل منها (قوله ففى الاولى الحذف) أى حذف المبتدا الذى هو هذه والرمز الى الغرض وهو ان المتحدى به معجزة من الله تعالى (قوله مافى تقديم الريب على الظرف) وهو انه يفيد نفى الريب بالكلية من غير تعرض لوجود ريب فى غيره (قوله وايراده منكرا) لانه يدل على انه هدى لا يكتنه كنهه (قوله اما موصول واما منقطع) جعل المنصوب على المدح والمرفوع به موصولا كالصفة المجرورة يدل على انهما تابعان حقيقة وان خرجا عن التبعية صورة وجعل المستأنف منقطعا يدل على انه ليس تابعا حقيقة كالمخصوص بالمدح وبيان ذلك ان الصفة اذا قطعت عن اعراب موصوفها مدحا أو ذما لم يتغير فى المعنى ماقصد بها من اجرائها على موصوفها وأما المستأنف فقد قصد الاخبار عنه بما بعده لا اتباعه لما قبله وان فهم ذلك ضمنا فليس هو جاريا عليه فى المعنى حقيقة بل كالجارى عليه كذلك لما سيجئ قال أبو على اذا ذكرت صفات المدح أو الذم وخولف فى بعضها الاعراب فقد خولف للافتنان ويسمى نحو ذلك قطعا فقد صرح بان الكل صفات وانما سمى قطعا نظرا الى اللفظ فلا ينافى جعله موصولا نظرا الى المعنى ﴿فان قلت﴾ تغيير الاعراب نصبا أو رفعا من أى وجه يدل على ماقصد به من مدح أو ذم أو غيرهما ﴿قلت﴾ من حيث ان تغيير المألوف يدل على زيادة ترغيب فى استماع المذكور ومزيد اهتمام بشأنه سيما مع التزام حذف الفعل أو المبتدا وذلك لما يقصد به مما يناسبه ويليق بالمقام من المدح أو الذم أو نحو ذلك ويتعين بمعونة المقام وذكر ابن مالك انه التزم حذف الفعل فى المنصوب اشعارا بانه لانشاء المدح كالمنادى وحذف المبتدا فى المرفوع اجراء للوجهين على سنن واحد (قوله أعنى الذين أو هم الذين) نشر لما تقدم (قوله حسنا غير تام) قد عرفت ان التام هو الوقف على مستقل يكون مابعده أيضا مستقلا وان الحسن هو الوقف على مستقل سواء استقل مابعده أولا وحيث كان المخصوص بالمدح تابعا حقيقة لم يكن مستقلا كيف وقد نبهوا على شدة اتصاله وعدم استقلاله بالتزام حذف الفعل والمبتدا ليكون فى صورة متعلق بما قبله فالوقف على المتقين حينئذ غير تام ومن اشترط فى ذلك ان يكون لما بعد الموقوف عليه تعلق اعرابى به قال المخصوص وصف فى المعنى لما قبله فكأنه تابع فى الاعراب (قوله كان وقفا تاما) لان المستأنف كلام مفيد مستقل وان كان مرتبطا بما قبله ارتباطا معنويا مانعا للصلوحية ان يعطف عليه قوله ان الذين كفروا وسيأتيك تحقيقه (قوله ماهذه الصفة) أجمل فى الاستفهام ثم فصل مبالغة وتنبيها على ان هذه الصفة لها شأن وانها تحتمل وجوها ههنا وقدم الكاشفة ترجيحا لها وان كانت المخصصة أدور فى الاستعمال وغير الاسلوب فى المادحة بقوله أم جاءت لقلتها كما يقال فى النحو وقد يجئ لمجرد الثناء ولذلك أشار الى مثالها وقوله (واردة) خبر مبتدا محذوف على معنى أهى واردة وقيل بدل من ما الاستفهامية وانما تصح اذا جعلت ماخبرا مقدما

* قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب

أم جاءت على سبيل المدح والثناء كصفات الله الجارية عليه تمجيدا (قلت) يحتمل أن ترد على طريق البيان والكشف لاشتمالها على ما أسست عليه حال المتقين من فعل الحسنات وترك السيآت أما الفعل فقد انطوى تحت ذكر الايمان الذى هو أساس الحسنات ومنصبها وذكر الصلاة والصدقة لان هاتين أما العبادات البدنية والمالية وهما العيار على غيرهما ألم تر كيف سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين وجعل الفاصل بين الاسلام والكفر ترك الصلاة وسمى الزكاة قنطرة الاسلام وقال الله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة فلما كانتا بهذه المثابة

اذ لو كانت مبتدأ لم يجز أن تعطف أم جاءت على واردة فان الفعل لا يعطف على ما هو بدل من المحكوم عليه وبيانا اما مفعول له لكون واردة بمعنى موردة واما حال ويؤيده ان قوله تفيد حال والضمير فى فائدتها عائد الى الواردة بيانا كما تشعر به عبارة المفتاح أو الى المتقين بتأويل الكلمة أو اللفظة وهذا أولى لان معنى قوله بيانا وكشفا للمتقين انها لا تفيد غير فائدة لفظ المتقين بل تفصل مفهومها والذى يقابل ذلك انها تفيد غير فائدتها وأيضا قوله فيما بعد وتكون صفة برأسها معناه انها صفة مخصصة مفيدة غير ما افاده موصوفها لا أنها مفيدة غير فائدة الكشف كما قيل (قوله أم جاءت على سبيل المدح والثناء) قال رحمه الله تعالى الفرق بين المدح صفة والمدح اختصاصا من وجهين الاول ان المقصود الاصلى من الاول اظهار كمال الممدوح والاستلذاذ بذكره وربما تضمن تخصيص بعض صفاته بالذكر اشارة الى انافتها على سائر الصفات المسكوت عنها ومن الثانى اظهار ان تلك الصفة أقوى باستقلال المدح من سائر الصفات الكمالية اما مطلقا أو بحسب ذلك المقام حقيقة أو ادعاء الثانى ان الوصف فى الاول أصلى والمدح تبع وفى الثانى بالعكس (قوله تمجيدا) مفعول له اما على انه فعل للصفات مجازا أو على ان الجار به يدل على معنى الجراة (قوله يحتمل ان ترد على طريق البيان والكشف) يعنى ان المتقى فى الشريعة كما مر من يقى نفسه ما يستحق به العقوبة من فعل سيئة أو ترك حسنة ومحصله انه الذى يفعل الحسنات ويترك السيئات فحال المتقين مؤسسة على هذين الامرين وهذه الصفة أعنى الذين يؤمنون بالغيب الخ مشتملة عليهما فهى كاشفة لموصوفها على وجه لطيف وهو انه عدل من تلك العبارة الجامعة الى المنزل لفوائد الاولى ان الحسنات أساسا وعمدة وان واحدة منها وهى الصلاة تستتبع ترك السيئات الثانية انقسام الحسنات الى قلبية وقالبية ومالية الثالثة التنبيه بترتيب ذكرها على تفاصيلها الرابعة انه اقتصر من القلبية بالايمان ومن الآخرين بالصلوة والصدقة ايماء الى انها أصول وما عداها منطوية تحتها وفى قوله أساس الحسنات ومنصبها أى الاصل الذى نصبت هى فيه وقوله أما العبادات البدنية والمالية دلالة على تفضيل الايمان عليهما من جهتين الاولى انه أصل للحسنات كلها وهما لبعضها الثانية انه أساس لها لا توجد حسنة بدونه كما لا يوجد بناء دون أساسه بخلاف الصلوة للعبادات البدنية والصدقة للمالية فانهما ليستا شرطين لصحتهما وان كانتا أصلين لهما فجعلتا بمنزلة الام اذ قد يستغنى عنها بعد الولادة (قوله وهما العيار) أى الشاهد يريد أن من أتى بهما كان آتيا بغيرهما ولم يقل وهما العياران نظرا الى أصله فانه مصدر عايرت المكاييل والموازين اذا قايستها ثم نقل الى الآلة أعنى ما يقايس به ويعاير ثم أطلق على الدليل الذى يعرف به صحة الشئ من فساده تشبيها له بتلك الآلة ﴿فان قلت﴾ هما عيار على البدنية والمالية فما الشاهد على حسنات القلب ﴿قلت﴾ الايمان فانه مع كونه أصلا للكل له مزيد مجانسة معها (قوله عماد الدين) حيث قال فى حديث طويل رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة وقال الصلاة عماد الدين فمن أقامها الحديث واذا كان ترك الصلاة فاصلا بين الكفر والاسلام لقوله صلى الله عليه وآله من تركها متعمدا فقد كفر كان الاتيان بها عمدة فى الاسلام واذا كان ترك الزكاة سببا للوعيد مع الاشراك كان ايتاؤها عدة صالحة فى تحصيل النجاة (قوله بهذه المثابة) اشارة الى كون الصلاة عمادا وعمدة فى الدين

كان من شأنهما استجرار سائر العبادات واستتباعها ومن ثم اختصر الكلام اختصارا بأن استغنى عن عد
الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لها والذى اذا وجد لم تتوقف أخواته أن تقترن به مع ما فى ذلك من
الافصاح عن فضل هاتين العبادتين وأما الترك فكذلك ألا ترى الى قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء
والمنكر ويحتمل أن لا تكون بيانا للمتقين وتكون صفة برأسها دالة على فعل الطاعات ويراد بالمتقين الذين
يجتنبون المعاصى ويحتمل أن تكون مدحا للموصوفين بالتقوى وتخصيص الايمان بالغيب واقام الصلاة
وايتاء الزكاة بالذكر اظهارا لانافتها على سائر ما يدخل تحت حقيقة هذا الاسم من الحسنات * والايمان
افعال من الامن يقال أمنته وآمنته غيرى ثم يقال آمنه اذا صدقه وحقيقته آمنه التكذيب والمخالفة

وكون الزكاة قنطرة وعمدة فيه (قوله كان من شأنهما) أى من شأن كل واحدة منهما استجرار ما يجانسها
ويناسبها مزيد مناسبة فى البدنية والمالية فاستدل بالاحاديث على كونهما أمين مستتبعين لما عداهما
ويلزم كونهما عيارا عليه والمقصود انما يتم به فلذلك قال ومن ثمة أى ومن أجل انهما مستتبعان سائر العبادات
وأشار الى كونهما عيارا بقوله كالعنوان وهو ظاهر الكتاب الذى يدل على باطنه اجمالا (قوله والذى)
عطف على ما هو وعدم توقف الاخوات فى الاقتران راجع الى أداء معنى الاستجرار والاستتباع وقوله
(أن يقترن) صح مع الياء وتشديد النون بادغام لام الكلمة فى نون الضمير (قوله مع ما فى ذلك) أى فى
ذكر هاتين العبادتين وجعلهما دليلا فائدتان الاختصار والافصاح عن فضلهما بأنهما أصلان يتبعهما
ما سواهما فلا يحتاج الى ذكره معهما وعلى هذا فسائر العبادات وترك السيئات مفهومة تبعا لانهما
داخلان فيما استعمل فيه اللفظ وزعم بعضهم ان الايمان بالغيب واقام الصلاة وايتاء الزكاة كناية عن
فعل جميع الحسنات وترك جميع السيئات وعلى هذا تكون الطاعات باسرها مذكورة بلفظ بعضها
فلا ينحصر المذكور فيما هو عنوان لها وهو خلاف المتبادر من عبارة الكتاب ولا حاجة اليه فان المعانى
المقصودة تبعا لم تستعمل فيها الالفاظ وليست أجزاء لما استعملت هى فيها (قوله وأما الترك فكذلك)
أى فقد انطوى فيما ذكر (قوله ويراد بالمتقين) قيل هذا معنى لغوى لان التقوى فى اللغة هو الاحتراز
وقيل المراد ههنا احتراز خاص فلا يكون حقيقة لغوية وبالجملة لفظ المتقى يطلق على مجتنب المعاصى سواء
أتى بالطاعات أولا وعلى هذا فالصفة مخصصة لموصوفها دالة على بعض أحواله الخارجة عنه كزيد العالم
واعترض بان اجتناب المعاصى كلها مستلزم للاتيان بالطاعات فان ترك الطاعة معصية لقوله تعالى
لا يعصون الله ما أمرهم فلا تكون الصفة مخصصة وأجيب بانه أريد بالمعصية ههنا ما تعلق به نهى
صريح وترك المأمور به منهى عنه ضمنا وبان المعصية فعل ما نهى عنه والترك ليس بفعل فلا يندرج
فيها (قوله اظهارا لانافتها) أى لعلوها وزيادتها وذلك لما مر من ان تخصيصها بالذكر فى مقام المدح من بين
ما يشتمل عليه هذا الاسم يدل على انها أشرف مما عداها وأولى بان يمدح بها وليس ههنا ملاحظة استجلابها
لما سواها كما فى الاول فلذلك بالغ هناك بذكر الافصاح والفضل وأورد ههنا الاظهار والانافة فتأمل
والحاصل ان المتقى ان حمل على المعنى الشرعى فان جعل خطابا لمن عرف تفصيله كانت الصفة مادحة
والا فكاشفة وان حمل على مجتنب المعاصى كانت مخصصة قال رحمه الله تعالى وحيث كان الاستئناف أرجح
عنده فلا فائدة فى الترجيح بين هذه الاقسام والتفريع عليها واعلم ان المتقين ان حمل على المشارفين لم يحسن
أن يجعل الذين يؤمنون بالغيب صفة ولا مخصوصا بالمدح نصبا أو رفعا ولا استئنافا أيضا لان الضالين
الصائرين الى التقوى ليسوا متصفين بشئ مما ذكر وحمل الكل على الاستقبال والمشارفة يأباه مساق
الكلام عند من له ذوق سليم وهذا ما وعدناك فى ترجيح تأويل الهدى بالزيادة والثبات (قوله والايمان
افعال من الامن) يتعدى الى مفعول واحد تقول أمنته فاذا عدى بالهمزة يتعدى الى مفعولين تقول آمنته
غيرى ثم استعمل فى التصديق فقيل مجازا لغويا واليه أشار بقوله (وحقيقته) أى حقيقة آمن بمعنى صدق

وأما تعديته بالباء فلتضمينه معنى أقر واعترف وأما ما حكى أبو زيد عن العرب ما آمنت أن أجد صحابة أى ما وثقت فحقيقته صرت ذا أمن به أى ذا سكون وطمأنينة وكلا الوجهين حسن فى يؤمنون بالغيب أى يعترفون به أو يثقون بأنه حق

يعنى ان الايمان حقيقة فى جعل الشخص آمنا ثم أطلق على التصديق لاستلزامه اياه فانك اذا صدقته فقد آمنته التكذيب وقيل حقيقة لغوية كما يشعر به كلامه فى الاساس وما ذكره من ان حقيقته كذا بيان للمعنى الحقيقى الاصلى الذى وضع اللفظ له أولا فى اللغة ثم وضع ثانيا فيها لمعنى آخر يناسبه وهكذا دأبه فى تحقيق الاوضاع الاصلية ومناسبات المعانى اللغوية بعضها لبعض (قوله وأما تعديته) الايمان بمعنى التصديق يتعدى بنفسه فاذا عدى بالباء كان لتضمينه معنى الاعتراف والاقرار فانك اذا صدقت شيأ فقد اعترفت به (والتضمين) ان يقصد بلفظ فعل معناه الحقيقى ويلاحظ معه معنى فعل آخر يناسبه ويدل عليه بذكر شئ من متعلقاته كقوله أحمد اليك فلانا لاحظت مع الحمد معنى الانهاء ودللت عليه بذكر صلته أعنى الى أى أنهى حمده اليك وفائدة التضمين اعطاء مجموع المعنيين فالفعلان مقصودان معا قصدا وتبعا قال المصنف من شأنهم انهم يضمنون الفعل معنى فعل آخر فيجرونه مجراه فيقولون هيجنى شوقا فعدى الى مفعولين بنفسه وان كان هو يتعدى الى الثانى بالى يقال هيجه الى كذا لتضمنه معنى ذكر وقال ابن جنى لو جمعت تضمينات العرب لاجتمعت مجلدات ﴿فان قلت﴾ اللفظ اذا كان مستعملا فى معنيين معا كان جمعا بين الحقيقة والمجاز وان كان مستعملا فى أحدهما فلم يقصد به الآخر فلا تضمين ﴿قلت﴾ هو مستعمل فى معناه الحقيقى فقط والمعنى الآخر مراد بلفظ محذوف يدل عليه ذكر ما هو من متعلقاته فتارة يجعل المذكور أصلا فى الكلام والمحذوف حالا كما فى قوله تعالى ولتكبروا الله على ما هداكم كأنه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم وتارة يعكس فيجعل المحذوف أصلا والمذكور مفعولا كما مر من المثال أو حالا كما يشير اليه قوله أى يعترفون به فانه لا بد من تقدير الحال أى يعترفون به مؤمنين والا لم يكن تضمينا بل مجازا عن الاعتراف ﴿فان قلت﴾ اذا كان المعنى الآخر مدلولا عليه بلفظ محذوف لم يكن فى ضمن المذكور فكيف قيل انه مضمن اياه ﴿قلت﴾ لما كان مناسبة المعنى للمذكور بمعونة ذكر صلته قرينة على اعتباره جعل كأنه فى ضمنه ومن ثم كان جعله حالا وتبعا للمذكور أولى من عكسه وقيل ذكر صلة المتروك يدل على انه المقصود أصالة ورد بانه يدل على أنه مراد فى الجملة اذ لولاه لم يكن مرادا أصلا وربما قال أريد كلا المعنيين معا فى التضمين بلفظ واحد على انه كناية اذ يراد بها معناه الاصلى ليتوسل بفهمه الى ما هو المقصود الاصلى الحقيقى فلا حاجة الى تقدير الا لتصوير المعنى وابرازه فينقلب الحال وفيه ضعف لان المكنى به فى الكناية قد لا يقصد ثبوته وفى التضمين يجب أن يقصد ثبوت كل واحد من المضمن والمضمن فيه ولو قيل أريد بلفظ المذكور معناه قصدا وما يناسبه تبعا له وجعل ذكر صلته دليلا على انه مقصود منه كذلك فلا يكون اللفظ مستعملا الا فى معناه حقيقة ولم يكن هناك محذوف لم يكن بعيدا بل كأنه أقرب الى مفهوم التضمين (قوله وأما ما حكى أبو زيد) يريد ان الايمان مستعمل بمعنى الوثوق مأخوذ من الامن على ان الهمزة للصيرورة فان من وثق بشئ صار ذا أمن وفسر الامن بالسكون والطمأنينة فان الآمن يجدهما من نفسه كما ان الخائف يجد قلقا واضطرابا وأشار بقوله حكى أبو زيد الى قلة استعماله فى هذا المعنى وكونه مجازا فيه كما أشار الى كثرة استعماله فى التصديق بقوله ثم يقال فيكون قوله فحقيقته صرت ذا أمن به مجريا على ظاهره والظرف أعنى به مستقر صفة لامن بخلافه فى قولك وثقت به فان الباء صلة للوثوق ولما ذكر ان الايمان بمعنى التصديق يتعدى بنفسه كان مظنة لان يتردد فى حال الباء الذى يستعمل معه فقصله وحققه بقوله وأما تعديته ولما بين ان حقيقة الايمان بذلك المعنى ماهى اقتضى أن يعقبه ببيان حقيقته بمعنى الوثوق (قوله ما آمنت ان أجد صحابة) أى رفقاء وهذا الكلام يقوله من نوى سفرا ثم تأخر عنه لهذا العذر

ويجوز أن لا يكون بالغيب صلة للإيمان وأن يكون في موضع الحال أي يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته ملتبسين بالغيب كقوله الذين يخشون ربهم بالغيب ليعلم أني لم أخنه بالغيب ويعضده ما روي أن أصحاب عبد الله ذكروا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وإيمانهم فقال ابن مسعود إن أمر محمد كان بينا لمن رآه والذي لا إله غيره ما آمن مؤمن أفضل من إيمان بغيب ثم قرأ هذه الآية (فإن قلت) فما المراد بالغيب إن جعلته صلة وإن جعلته حالا (قلت) إن جعلته صلة كان بمعنى الغائب إما تسمية بالمصدر من قولك غاب الشيء غيبا كما سمي الشاهد بالشهادة قال الله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الأرض غيبا وعن النضر بن شميل شربت الإبل حتى وارت غيوب كلاها يريد بالغيب الخمصة التي تكون في موضع الكلية إذا بطنت الدابة انتفخت وإما أن يكون فيعلا فخفف كما قيل قيل وأصله قيل والمراد به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء إلا علم اللطيف الخبير وإنما نعلم منه نحن ما أعلمناه أو نصب لنا دليلا عليه ولهذا لا يجوز أن يطلق فيقال فلان يعلم الغيب وذلك نحو الصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد وغير ذلك وإن جعلته حالا كان بمعنى الغيبة والخفاء (فإن قلت) ما الإيمان الصحيح (قلت) أن يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله فمن أخل بالاعتقاد وإن شهد

(قوله ويجوز أن لا يكون) عطف بحسب المعنى على قوله وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب كأنه قال ويحسن أن يكون بالغيب صلة للإيمان إما أصالة أو تضمينا ويجوز أن لا يكون صلة له (قوله وحقيقته ملتبسين بالغيب) يريد أن ما ذكره أولا حاصل معناه وحقيقته هذا (قوله إن أصحاب عبد الله) قد مر أنه إذا أطلق يراد به ابن مسعود فالأنسب أن يقال فقال عبد الله وكأنه أراد مزيد توضيح واحترازا عن تكرير اللفظ (قوله من إيمان بغيب) أي ملتبس بغيب عن المؤمن به وهو إيمان من آمن بمحمد صلى الله عليه وآله غائبا عنه ولم يره ولما استشهد بالآية دل على أنها محمولة على هذا المعنى (قوله فما المراد) تفريع على ما جوزه من كون الباء صلة وغير صلة عنده فإنه مما يحرك للسؤال عن معنى الغيب وأنه يتحد فيهما أو يختلف (قوله تسمي المطمئن من الأرض) يروى بفتح الهمزة على أنه مكان وبكسرها على أنه صفة والتذكير باعتبار الموضع (قوله والخمصة) أراد بها الحفرة في موضع الكلية وأصلها الجوعة (قوله وإما أن يكون) عطف على تسمية على معنى أن الغيب إذا جعل بمعنى الغائب فإما لتسمية الفاعل بالمصدر وإما لكونه فيعلا بمعنى الفاعل (قوله والمراد منه) أي من الغيب بمعنى الغائب سواء كان مصدرا أو مخففا من فيعل (قوله ما أعلمناه) بفتح الميم أي جعلنا اللطيف الخبير عالمين به وهو إشارة إلى الدليل السمعي كما أن قوله أو نصب لنا دليلا إشارة إلى الدليل العقلي وقد يقال أراد بالأول ما نص عليه نفسه والثاني ما نصب عليه دليلا عقليا أو سمعيا يتوصل منه إليه (قوله ولهذا) أي لأن المراد بالغيب ما ذكروا إنما لم يجز الإطلاق في غيره تعالى لأنه يتبادر منه تعلق علمه به ابتداء فيكون مناقضا وأما إذا قيد وقيل أعلمه الله تعالى الغيب أو اطلعه عليه فلا محذور فيه (وذلك) أي وذلك الخفي (قوله وما يتعلق بها) أي بالنبوات كأحوال المعجزات وهو مع ما قبله مثال لما نصب لنا دليلا عقليا وما بعده مثال لما أعلمناه بدليل نقلي وقد فسر ما يتعلق بالنبوات بالشرائع والأحكام فيتعلق بما بعده والأولى أن يفسر بهما معا أو يترك التخصيص في الأمثلة فإن بعض الصفات قد تعلم بالسمع (قوله وغير ذلك) أي من الصراط وتطاير الكتب والميزان ونظائرها (قوله وإن جعلته حالا) قيل الفرق بين جعله صلة وجعله حالا أن الإيمان على الأول إما ضمن فيه معنى الاعتراف أو مجاز عن الوثوق والغيبة في المعنى صفة للمؤمن به أي يؤمنون بما هو غائب عنهم وعلى الثاني بمعنى التصديق بلا تضمين والغيبة صفة للمؤمن والمؤمن به محذوف للفهم أي يؤمنون حال الغيبة كما يؤمنون في حال الحضور لا كالذين نافقوا (قوله ما الإيمان) سؤال عن الإيمان الشرعي إذ قد فرغ من بيان معناه اللغوي ولذلك قيده بالصحيح أي المعتبر شرعا فاحترز به عن إيمان الفاسق (قوله أن يعتقد الحق) أي يجزم به ويذعن له بقلبه وهذا هو المسمى بالتصديق الذي اكتفى به

(قال محمود رحمه الله تعالى إن قلت ما معنى الإيمان الصحيح الخ قال أحمد رحمه الله يعني بالفاسق غير مؤمن ولا كافر وهذا من الأسماء التي سماها القدرية وما أنزل الله بها من سلطان ومعتقد أهل السنة أن الموحد لله الذي لا خلل في عقيدته مؤمن وإن ارتكب الكبائر وهذا الصحيح لغة وشرعا أما لغة فإن الإيمان هو التصديق وهو مصدق وأما شرعا فقريب شاهد عليه هذه الآية فإنه لما عطف فيها العمل الصالح على الإيمان دل على أن الإيمان مقبول بدونه ولو كان العمل الصالح من الإيمان لكان العطف تكرارا وانظر حيلة الزمخشري على تقريب معتقده من اللغة بقوله المؤمن من اعتقد الحق وأعرب عنه بلسانه وصدقه بعمله فجعل التصديق من حظ العمل حتى يتم له أن من لم يعمل فقد فوت التصديق الذي هو الإيمان لغة ولقد أوضحنا أن التصديق إنما هو بالقلب ولا يتوقف وجوده على عمل الجوارح فاتضح معتقد أهل السنة

وعمل فهو منافق ومن أخل بالشهادة فهو كافر ومن أخل بالعمل فهو فاسق * ومعنى اقامة الصلاة تعديل أركانها وحفظها من أن يقع زيغ فى فرائضها وسننها وآدابها من أقام العود اذا قومه أو الدوام عليها والمحافظة عليها كما قال عز وعلا الذين هم على صلاتهم دائمون والذين هم على صلواتهم يحافظون من قامت السوق اذا نفقت وأقامها قال أقامت غزالة سوق الضراب * لاهل العراقين حولا قميطا

لانها اذا حوفظ عليها كانت كالشئ النافق الذى تتوجه اليه الرغبات ويتنافس فيه المحصلون واذا عطلت وأضيعت كانت كالشئ الكاسد الذى لا يرغب فيه أو التجلد والتشمر لادائها وأن لا يكون فى مؤديها فتور عنها ولا توان من قولهم قام بالامر وقامت الحرب على ساقها وفى ضده قعد عن الامر وتقاعد عنه اذا تقاعس وتثبط أو أداؤها فعبر عن الاداء بالاقامة لان القيام بعض أركانها كما عبر عنه بالقنوت والقنوت القيام وبالركوع وبالسجود وقالوا سبح اذا صلى

الاشعرى واتباعه فى الايمان وجعلوا الاقرار منشأ لاجراء الاحكام واعتبرت الحنفية معه الاقرار وزادت المعتزلة العمل (قوله ومن أخل بالشهادة) أى من ترك الشهادة ومايقوم مقامها كالاشارة فى الاخرس مثلا عامدا متمكنا سواء كان معتقدا أولا فهو كافر أى ماحض مجاهر بكفره بخلاف المنافق فانه خلط صورة الايمان بحقيقة الكفر وأما الفاسق أى مرتكب الكبيرة فله عندهم مرتبة بين المرتبتين والسلف الصالحون قد أطبقوا على انه مؤمن كما دلت عليه الاحاديث الصحيحة فما نقل عنهم من ان الايمان معرفة بالجنان واقرار باللسان وعمل بالاركان محمول على الايمان الكامل (قوله ومعنى اقامة الصلاة) ذكر لاقامة الصلاة معانى أربعة فعلى الاولين يقيمون استعارة تبعية وعلى الاخيرين مجاز مرسل (قوله من أقام العود) القيام هو الانتصاب والاقامة افعال منه والهمزة للتعدية فمعنى أقام الشئ جعله قائما أى منتصبا ثم قيل أقام العود اذا قومه أى سواه وأزال اعوجاجه فصار قويما يشبه القائم ثم استعيرت الاقامة من تسوية الاجسام فانه حقيقة فيها للتسوية المعانى كتعديل أركان الصلاة على ماهو حقها الا من تحصيل هيئة القيام فيها مراعاة لزيادة المناسبة بين المعانى (قوله من قامت السوق) نفاق السوق كانتصاب الشخص فى حسن الحال والظهور التام فاستعمل القيام فيه والاقامة فى انفاقها أى جعلها نافقة ثم استعيرت منه للمداومة على الشئ فان كلا منهما يجعل متعلقه مرغوبا اليه متنافسا فيه واعترض بأن هذه المشابهة خفية جدا وأيضا الاصل أعنى أقام السوق مجاز فالتجوز منه ضعيف وأجيب عن الاول بانه مجاز مرسل لعلاقة اللزوم فان الانفاق يستلزم المداومة عادة ورد بان الانفاق لا يلزم المداومة ولا يستلزمها أيضا وأيضا هو خلاف كلام المصنف وعن الثانى بانه صار بمنزلة الحقيقة (قوله أقامت غزالة) هى اسم امرأة شبيب الخارجى لما قتل الحجاج زوجها حاربته سنة كاملة (سوق الضراب) أى سوق المضاربة بالسيوف على التخييل أو التشبيه (والعراقان) الكوفة والبصرة (والقميط) كناية عن التمام كانه شد بالقماط وعدل جانبا (قوله بالامر) يقال قام بالامر اذا اجتهد فى تحصيله وتجلد فيه بلا توان وحقيقته قام ملتبسا بالامر والقيام به يدل على الاعتناء بشأنه ويلزمه التجلد والتشمر فأطلق القيام على لازمه ومنه قامت الحرب على ساقها اذا التحمت كأنها اقامت وتشمرت لسلب الارواح ولتخريب الابدان واعترض بان الاقامة اذا كانت مأخوذة من ذلك كان معناها على قياس التعدية جعل الصلاة متجلدة متشمرة لا كون المصلى متشمرا فى ادائها بلا فتور عنها كما ذكره وأيضا لا يصح ذلك المعنى الا اذا وصفت الصلاة بما هو لفاعلها على قياس باب جد جده ولا يخفى بعده (لا يقال) الباء فى قام بالامر للتعدية فالمستعمل بمعنى التجلد والاجتهاد هو الاقامة فى الحقيقة (لانا نقول) هى للابسة كما أشرنا اليه يدل عليه قولهم تقاعد عن الامر فى ضده وان القيام يناسب التشمير لا الاقامة كما ان القعود يلائم الكسل لا الاقعاد (قوله لان القيام بعض أركانها) ان أراد ان القيام يطلق على الصلاة لكونه بعض أركانها ثم توجد منه الاقامة ورد عليه ان الهمزة اذا جعلت

ويقيمون

ان من آمن بالله ورسوله ثم اخترم قبل أن يتعين عليه عمل من أعمال الجوارح فهو مؤمن باتفاق وان لم يعمل وأصدق شاهد على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام ان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى اذا لم يبق بينه وبينها الا فواق ناقة عمل بعمل أهل الجنة فكتب من أهل الجنة وانما مثل عليه الصلاة والسلام بفواق الناقة لانه الغاية فى القصر ومثل هذا الزمان انما يتصور فيه القصد الصحيح خاصة ومع ذلك فقد عده من أهل الجنة وانما يدخل المؤمن الجنة باتفاق الفريقين والادلة على ذلك تجرد كون الشرط فيه شطرا * أقول تفسير الفاسق بغير مؤمن ولا كافر كما هو مذهب المعتزلة غير موجه والشئ الذى هو لم يصرح به لا يجب علينا تصريحه وتعريفه فان عندنا الضال من أخل بالعمل فهو فاسق قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون

لوجود التسبيح فيها فلولا أنه كان من المسبحين * والصلاة فعلة من صلى كالزكاة من زكى وكتابتها بالواو على
لفظ المفخم وحقيقة صلى حرك الصلوين لان المصلى يفعل ذلك فى ركوعه وسجوده ونظيره كفر اليهودى
اذا طأطأ رأسه وانحنى عند تعظيم صاحبه لانه ينثنى على الكاذتين وهما الكافرتان وقيل للداعى مصل
تشبيها فى تخشعه بالراكع والساجد

للتعدية كان معناها جعل الصلاة مصلية ان كانت الصلاة مفعولا به أو جعل نفسه مصليا ان كانت
مفعولا مطلقا وان جعلت للصيرورة كان معنى أقام صار ذا صلاة فلا يصح ذكر الصلاة معه الا ان كانت
مفعولا مطلقا والكل بعيد وان أراد ان القيام لما كان ركنا منها كانت الاقامة التى هى فعله ركنا لها
أيضا اتجه عليه ان الركن فعل القيام فى المصلى بمعنى تحصيل هيئة القيام فيه حال الصلاة لا تحصيلها فى
الصلاة وجعلها قائمة فان تجوز عن هذا المعنى كان يقيمون وحده بمعنى يصلون فتكون الصلاة مفعولا الصلوة
مطلقا وهو مستبعد ﴿لا يقال﴾ أراد ان القيام لما كان جزأ منها كان ايجاده أى الاقامة جزأ من ايجادها
الذى هو أداؤها لان ايجاد الجزء جزء لايجاد الكل فجاز أن يعبر عنه بها ﴿لانا نقول﴾ المحذور لازم فان
معنى يقيمون حينئذ يؤدون الصلاة فيحتاج فى ذكر الصلاة معه الى تأويل بعيد قال رحمه الله تعالى الاقامة
قد تستعمل بمعنى جعل الشئ قائما فى الخارج أى حاصلا فيه فان القيام بمعنى الحصول سائغ الاستعمال منه
القيوم فانه القائم بنفسه المقيم لغيره ومنه القوام وهو ما يقام به الشئ أى يحصل ومنه وأقيموا الصلاة
من الاقامة بهذا المعنى أى حصلوها وائتوا بها على الوجه المجزى شرعا وهو معنى الاداء وما نحن فيه
أعنى يقيمون الصلاة لما كان فى معرض المدح بلا دلالة على ايجاب كان حمله على تعديل أركانها كما ذكره
المصنف أولى فانه المناسب بترتيب الهدى الكامل والفلاح الشامل ومن جعله بمعنى يؤدون الصلاة فوجهه
ما لخصناه لا ما ذهب اليه المصنف وأما المعنيان الاخيران أعنى المداومة والتجلد لا يخلو وجه تخريجهما
عن خدشة (قوله لوجود التسبيح) أى اذا جاز التعبير عن الصلاة بالتسبيح لوجوده فيها وان لم يكن ركنا
منها فلان يعبر عنها بما هو ركن لها أولى (قوله على لفظ المفخم) التفخيم ههنا امالة الالف نحو مخرج الواو
لا ما هو ضد الامالة أو الترقيق (قوله وحقيقة صلى) يريد ان صلى مأخوذ من الصلاة على معنى حرك
الصلوين وهما العظمان الناتئان فى أعلى الفخذين يقال ضرب الفرس صلويه بذنبه أى ما عن يمينه وشماله
ثم استعمل بمعنى فعل الهيآت المخصوصة مجازا لغويا لان المصلى يحرك صلويه فى ركوعه وسجوده ثم
استعيرت منه للدعاء تشبيها الداعى بالمصلى فى خضوعه وخشوعه وفيه ضعف من وجهين الاول ان
الاشتقاق مما ليس بحدث قليل الثانى ان الصلاة بمعنى الدعاء سائغ فى اشعار الجاهلية ولم يروعنهم اطلاقها
على ذات الاركان بل ما كانوا يعرفونها فأنى لهم التجوز عنها فالاولى ما ذهب اليه الجمهور من ان الصلاة
حقيقة فى الدعاء مجاز لغوى فى الهيئات المخصوصة المشتملة عليه وفى هذا المقام كلام مشهور فى أصول الفقه
﴿فان قيل﴾ اذا ثبت صلى بمعنى تحريك العضوين كان الانسب أن يؤخذ منه لفظ الصلاة بمعنى الهيئة
ثم يشتق منها صلى بمعنى احداثها فلم عكس ﴿قلت﴾ لان المناسبة بين تحريك العضو واحداث الهيئة أقوى
منها بين تحريكه ونفس الهيئة على ان قوله الصلاة من صلى قد يراد به انها من جنسه أى انهما قد يتلاقيان
فى الاشتقاق بلا تعيين للمشتق منه فجاز ان يكون صلى مشتقا منها (قوله كفر اليهودى) أى حرك الكفرتين
وهما الاليتان وأما الكاذتان فهما اللحمتان المكتنزتان بين الورك والفخذ فى أعلى الفخذين فى موضع
الكى من جاعرتى الحمار وقيل الكافرة لحم ظاهر العجز أسفل من الجاعرة ويقرب منه ما قاله الجوهرى
من ان الكاذة ما نتأ من اللحم فى أعلى الفخذ والمصنف لم يفرق بين الكاذتين والكافرتين ولا بعد فيه
لعلاقة الجزئية قال رحمه الله تعالى استعمال التكفير فى الخضوع والانقياد مشهور قال جرير
* وضعوا السلاح وكفروا تكفيرا * أى خضعوا وانقادوا وفى الحديث فان الاعضاء كلها تكفر اللسان أى

* واسناد الرزق الى نفسه للاعلام بأنهم ينفقون الحلال الطلق الذى يستأهل أن يضاف الى الله ويسمى رزقا منه وأدخل من التبعيضية صيانة لهم وكفا عن الاسراف والتبذير المنهى عنه وقدم مفعول الفعل دلالة على كونه أهم كانه قال ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به وجائز أن يراد به الزكاة المفروضة لاقترانه بأخت الزكاة وشقيقتها وهى الصلاة وأن تراد هى وغيرها من النفقات فى سبيل الخير لمجيئه مطلقا يصلح أن يتناول كل منفق وأنفق الشئ وأنفده أخوان وعن يعقوب نفق الشئ ونفد واحد وكل ما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء فدال على معنى الخروج والذهاب ونحو ذلك اذا تأملت

تذل وتفزع بالطاعة فالاوضح أن يشتق من الكفر من باب قردت البعير فهو بمعنى ازالته لان الخضوع من باب الشكر أو من الكفر بمعنى الستر فانه يستر معايبه عند من خضع له (قوله واسناد الرزق) لاخلاف بين الجماعة والمعتزلة فى ان المراد بما رزقناهم هو الحلال الا أن الجماعة لما سموا الحرام رزقا وأسندوا الاشياء كلها الى الله تعالى تمسكوا فى ذلك بان المدح انما يكون بالانفاق من الحلال وبان الاتصاف بالتقوى يقتضيه أيضا وبان الاسناد الى الله تعالى عند الاطلاق منصرف الى ما هو أفضل وأكمل وأما المعتزلة فلا يسمون الحرام رزقا لانه ليس برزق لغة ولا يجوزون اسناده الى الله تعالى لتعاليه عن القبائح فلفظ الرزق واسناده الى الله تعالى دليلان لهم على ان المنفق هو الحلال الطلق الخالص الطيب والمصنف تمسك بالاسناد فقط نظرا الى ان الرزق لغة يتناول الحرام أيضا وتخصيصه بما عداه عندهم عرف شرعى ولهذا قال يسمى رزقا منه وربما بنى الكلام على الفرض أى لو فرض أنه يسمى رزقا شرعا أو لغة فالاسناد الى الله تعالى يخرجه قطعا واعلم ان الرزق لغة هو اخراج حظ الى آخر لينتفع به ثم شاع استعماله عرفا شرعا على اعطاء الله تعالى الحيوان ما ينتفع به ويستعمل بمعنى المرزوق فتارة يراد به ما أعطاه الله تعالى عبده ومكنه من التصرف فيه وبهذا المعنى يمكن أن ينفق بعضه أو كله وأخرى يراد ما هو لقوامه وبقائه خاصة فلا يتصور فيه انفاق على غيره (قوله وكفا) عطف تفسيرى لقوله صيانة فقد يتوهم ان الكف للباقين والصيانة للماضين أو الكف فى الاستقبال والصيانة فى الماضى أى أدخل من التبعيضية للدلالة على كونهم مصونين عن رذيلة الاسراف (قوله وقدم مفعول الفعل) سمى الجار والمجرور مفعول الفعل على الاطلاق تنبيها على انه مفعول به فى المعنى أى بعض ما رزقناهم ينفقون ولذلك قال يخصون بعض المال الحلال واما بحسب اللفظ فيقدر هنالك موصوف أى شيأ مما رزقناهم واما كونه أهم فلقصد معنى الاختصاص مع رعاية الفاصلة ﴿فان قلت﴾ ادخال من التبعيضية يغنى عن التقدم للتخصيص فان انفاق البعض يتبادر منه عدم الشمول ومن ثم كان فيه صيانة وكف ﴿قلت﴾ قد يجوز معه الشمول على انه محتمل مرجوح فاذا قدم زال احتماله بالكلية يدلك على ذلك تأملك فى الفرق بين قولك أنفق زيد بعض ماله وقولك بعض ماله أنفق (قوله وجائز أن يراد به) أى ببعض المال الذى خص بالتصدق أو بقوله مما رزقناهم (قوله باخت الزكاة وشقيقتها) أى من حيث انهما أمان لسائر العبادات البدنية والمالية ومن حيث انهما يذكران فى القرآن معا نحو أقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واما قولهم باب الصلوة وباب الزكوة وفلان يقيم الصلوة ويؤتى الزكوة فمتفرع على استعمال القرآن فلا يستشهد به ههنا ﴿فان قلت﴾ تخصيص الزكوة بالانفاق ينافى ما يقابلها من لتطوع وصدقة الفطر والمقام يأباه ﴿قلت﴾ لما عبر عنها ببعض ما رزقنا كانت بهذا الاعتبار مقابلة لجميع المال فالنفى موجه نحوه حفظا عن منقصة التبذير (قوله لمجيئه) أى اللفظ وهو مما رزقناهم مطلقا أى غير مقيد بما يعين الزكوة وغيرها وقوله (يصلح) صفة لمطلقا وقد مر وجه الصلوح غير مرة ﴿فان قلت﴾ الاقتران بالصلاة قرينة للزكاة ﴿قلت﴾ مقام المدح قرينة لقصد الاطلاق والعموم (قوله اخوان) أى بينهما الاشتقاق الاكبر لاشتراكهما فى أصل المعنى وأكثر الحروف الاصول مع التوافق فى الباقى (ويعقوب) حيث أطلق فى كتب اللغة يريد به ابن السكيت صاحب اصلاح المنطق (قوله مما فاؤه نون وعينه فاء)

ومما رزقناهم ينفقون
والذين يؤمنون

(قال محمود رحمه الله أضاف الرزق الى نفسه للاعلام بانهم انما ينفقون من الحلال المطلق الخ) قال أحمد رحمه الله فهذه بدعة قدرية فانهم يرون ان الله تعالى لا يرزق الا الحلال وأما الحرام فالعبد يرزقه لنفسه حتى يقسمون الارزاق قسمين هذا لله بزعمهم وهذا لشركائه واذا أثبتوا خالقا غير الله فلا يأنفون عن اثبات رازق غيره أما أهل السنة فلا خالق ولا رازق فى عقدهم الا الله سبحانه تصديقا بقوله تعالى هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فأنى تؤفكون أيها القدرية

(فان قلت) والذين يؤمنون أهم غير الاولين أم هم الاولون وانما وسط العاطف كما يوسط بين الصفات في قولك هو الشجاع والجواد وفي قوله

الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة في المزدحم

﴿وقوله﴾

يا لهف زيابة للحارث الصـ * ـابح فالغانم فالآيب

(قلت) يحتمل أن يراد بهؤلاء مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه من الذين آمنوا فاشتمل ايمانهم على كل وحي أنزل من عند الله وأيقنوا بالآخرة ايقانا زال معه ما كانوا عليه من أنه لا يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى وأن النار لن تمسهم الا أياما معدودات واجتماعهم على الاقرار بالنشأة الاخرى واعادة الارواح في الاجساد ثم افتراقهم فرقتين منهم من قال تجري حالهم في التلذذ بالمطاعم والمشارب والمناكح على حسب مجراها في الدنيا ودفعه آخرون فزعموا أن ذلك انما احتيج اليه في هذه الدار من أجل نماء

نحو نفر ونفى ونفع ونفض ونفث وأمثالها (قوله كما يوسط بين الصفات) أشار بتكرير الامثلة لتوسط العاطف بين الصفات ان عطف بعض الصفات على بعض كثير في الكلام بناء على تغاير المفهومات وان كانت متحدة في الذات وقد تكون بالواو وقد تكون بغيرها على ما يقصد فيهما من معاني الحروف العاطفة (القرم) هو السيد وأصله الفحل المكرم الذي لا يحمل عليه (والهمام) هو العظيم الهمة وهو من أسماء الملوك (وليث الكتيبة) أي الجيش مؤول بمعنى الصفة (والمزدحم) موضع الازدحام وهو المعركة (قوله يا لهف زيابة) هو من الحماسة والشعر لابن زيابة أي يا حسرة أبي من أجل الحرث فيما حصل له من مراده واتصف به من الاوصاف المتعاقبة قيل تهكم به لان الحرث توعد ابن زيابة بالقتل ثم نكص عن جزائه وقيل هو على ظاهره والصابح هو المغير صباحا وعطف عليه بالفاء نظرا الى الترتيب في الاتصاف أي الذي صبح فغنم فآب سالما وبعده والله لو لاقيته وحده * لآب سيفانا مع الغالب

أراد معي لكنه التفت ادعاء لظهور أن الغلبة له وقد يغلط فيه فيقال زيابة هو الشاعر يتلهف لاجل الحرث وسلبه أو زيابة اسم أبي المهجو أو الممدوح والحرث اسمه (قوله وأضرابه) أي أمثاله قال المصنف أكثر الناس على أنه جمع ضرب بفتح الضاد وعندي بكسرها فعل بمعنى مفعول كالطحن وهو الذي يضرب به المثل ولا بد أن يكون المضروب به مثلا مماثلا للمضروب فيه وبعضده مثل وشبه (قوله من الذين آمنوا) أي بالقرآن من أهل الكتاب فان جعل متعلقا بجميع المعطوف والمعطوف عليه كانت من بيانية وان خص بالمعطوف كانت تبعيضية والاول أوقع في المعنى (قوله فاشتمل) عطف على آمنوا أي الذين آمنوا منهم بالقرآن مع كونهم مؤمنين بكتابهم اشتمل ايمانهم بذلك (على كل وحي) سابق ولاحق بصفة الانفراد أي آمنوا بكل على انفراده استقلالا لا تبعا كالذين آمنوا من غيرهم فان ايمانهم بالكتب السابقة في ضمن ايمانهم بالقرآن (وأيقنوا) عطف على آمنوا وفي قوله آمنوا وأيقنوا ايذان بانهما الاصل وانما عدل في النظم الى المضارع للاستمرار وكذا الحال في يؤمنون ويقيمون وينفقون ان حمل لفظ المتقين على الحقيقة (قوله ايقانا زال معه ما كانوا عليه) قيد الايقان بوصف يخصصهم كما أشار الى اختصاص الايمان أيضا ليظهر بذلك كله وجه حمل الكلام على مؤمني أهل الكتاب (قوله واجتماعهم) يروى مجرورا عطفا على ما بعد من في قوله من انه لا يدخل الجنة ومرفوعا عطفا على ما كانوا وقوله ثم افتراقهم بالجر والرفع على اجتماعهم والمعنى زال عنهم اجتماعهم المستعقب للافتراق فالزوال متوجه نحو القيد الذي هو استعقاب الافتراق أي صاروا مجتمعين متفقين على الاعادة وجريان التلذذ على طريقة الحياة الدنيا وانما ذكر الاجتماع مع انه لم يزل تنبيها على استبعاد ذلك الافتراق بعد الاجتماع على اعادة الارواح الى الاجساد ولذلك فسر النشأة الآخرة باعادة الارواح الى الاجساد وقال (ودفعه آخرون فزعموا) قال الفاضل اليمني أشار أولا الى زوال ما كانوا عليه من

الاجسام ولما كان التوالد والتناسل وأهل الجنة مستغنون عنه فلا يتلذذون الا بالنسيم والارواح العبقة والسماع اللذيذ والفرح والسرور واختلافهم فى الدوام والانقطاع فيكون المعطوف غير المعطوف عليه ويحتمل أن يراد وصف الاولين ووسط العاطف على معنى انهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه (فان قلت) فان أريد بهؤلاء غير أولئك فهل يدخلون فى جملة المتقين أم لا (قلت) ان عطفتهم على الذين يؤمنون بالغيب دخلوا وكانت صفة التقوى مشتملة على الزمرتين من مؤمنى أهل الكتاب وغيرهم وان عطفتهم على المتقين لم يدخلوا وكانه قيل هدى للمتقين وهدى للذين يؤمنون بما أنزل اليك

محض الباطل وثانيا الى زوال خلطهم الحق بالباطل أعنى الاجتماع بما بعده (قوله واختلافهم) عطف على اجتماعهم فى وجهيه لا على ما بعده ثم والالفات المقصود أعنى التنصيص على زوال الاختلاف فان انتفاء الاجتماع المستعقب للافتراق فى الكيفية والاختلاف فى الكمية ربما كان بزوال أحدهما دون الآخر ولا ضرورة فى جعله قيد اللاجتماع كما فى الافتراق وقد يقال الافتراق المذكور مستبعد جدا بعد ذلك الاجتماع دون الاختلاف فلا يحسن ادراجه فى حيز الاستبعاد وأيضا الافتراق ضد الاجتماع فيحسن ايراد ثم بينهما وليس الاختلاف كذلك (والارواح) جمع ريح فان أصله واو ويقال عبق به الطيب بالكسر اذا لصق به ولزمه (قوله فيكون) عطف على ان يراد (قوله ويحتمل ان يراد وصف الاولين) ﴿فان قلت﴾ الايمان بالكتب المنزلة يندرج تحت الايمان بالغيب فلم خص بالذكر ﴿قلت﴾ للاعتناء بشأنه كأنه العمدة ﴿فان قلت﴾ لم أعيد الموصول ولم يكتف بعطف الصلات ﴿قلت﴾ للدلالة على استقلال هذه الصفات واستدعائها ان يذكر معها موصوفها كان الموصوف بها مغاير للموصوف بما تقدم واما فائدة العطف فأشار اليه من معنى الجمع بين تلك الصفات وهذه كما فى العطف بالواو فى سائر الصفات قال رحمه الله تعالى هذا الاحتمال أرجح من الاول لان الايمان بما أنزل الى النبى صلى الله عليه وآله وما أنزل من قبله مشترك بين المؤمنين قاطبة فلا وجه لتخصيصه بمؤمنى أهل الكتاب ﴿فان قلت﴾ ايمان غيرهم بما أنزل من قبله فى ضمن ايمانهم بما أنزل اليه وقد أفرد بالذكر فى الآية فدل على الايمان بكل واحد منهما استقلالا وذلك مختص بهم ﴿قلت﴾ لا دلالة للافراد على الاستقلال ألا ترى الى قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم الآية كيف أفرد بالذكر فيه الكتب المنزلة من قبل وأمر بالايمان بها والاقرار به ولم يقصد الايمان بها على الانفراد وأيضا ماذكره فى تقديم بالآخرة وبناء يوقنون على هم انما يقع موقعه اذا عم المؤمنين والا لاوهم نفيه عن الطائفة الاولى وأيضا أهل الكتاب لم يكونوا مؤمنين بجميع ما أنزل من قبل استقلالا فان اليهود ما آمنوا بالانجيل وأجيب عن ذلك بان اشتمال ايمانهم على كل وحى بالنظر الى المجموع بمعنى ان ايمان اليهود اشتمل على القرآن والتوراة وايمان النصارى على القرآن والانجيل وهو ضعيف لان المفهوم المتبادر من أمثال هذه المواضع ثبوت الحكم لكل واحد لا للمجموع من حيث هو هذا والحمل على بعض المنزل يخالف الظاهر ويوجب فك النظم وأيضا الصفات السابقة ثابتة لمؤمنى أهل الكتاب فتخصيصها بمن عداهم تحكم وجعل الكلام من عطف الخاص على العام لا يلائم المقام وأما ما يقال من ان الاصل فى العطف المغايرة بالذات فتفصيله ان أداة العطف ان توسطت بين الذوات اقتضت تغايرا بالذات وان توسطت بين الصفات اقتضت تغايرا فى المفهوم وكذلك الحكم فى التأكيد والبدل ونحوهما وان وقعت فيما يحتملهما احتمالا على سواء كان الحمل على التغاير بالذات أولى فلا يحكم فى مثل زيد عالم وعاقل بان الحمل على تغاير الذات أظهر وقد ترجح ههنا الصفة لان وضع الذى ليكون صفة مع ان ما تقدم من الوجوه يشهد لها (قوله وكانت صفة التقوى مشتملة على الزمرتين) وكان المعنى للترجيح على تقسيم المتقين اليهما وهذا العطف صحيح سواء جعل الذين يؤمنون بالغيب موصولا بما قبله أو منقطعا عنه وأما العطف على المتقين فانما يصح على تقدير الوصل فقط قال رحمه الله تعالى والاول أرجح اذ لا وجه لاخراجهم عن المتقين مع

(فان قلت) قوله بما أنزل اليك ان عنى به القرآن بأسره والشريعة عن آخرها فلم يكن ذلك منزلا وقت ايمانهم فكيف قيل أنزل بلفظ المضى وان أريد المقدار الذى سبق انزاله وقت ايمانهم فهو ايمان ببعض المنزل واشتمال الايمان على الجميع سالفه ومترقبه واجب (قلت) المراد المنزل كله وانما عبر عنه بلفظ المضى وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد كما يغلب المتكلم على المخاطب والمخاطب على الغائب فيقال أنا وأنت فعلنا وانت وزيد تفعلان ولانه اذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر النزول جعل كأن كله قد نزل وانتهى نزوله ويدل عليه قوله تعالى انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى ولم يسمعوا جميع الكتاب ولا كان كله منزلا ولكن سبيله سبيل ما ذكرنا ونظيره قولك كل ما خطب به فلان فهو فصيح وما تكلم بشئ الا وهو نادر ولا تريد بهذا الماضى منه فحسب دون الآتى لكونه معقودا بعضه ببعض ومربوطا آتيه بماضيه وقرأ يزيد بن قطيب بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك على لفظ ما سمى فاعله

بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون

اتصافهم بالتقوى الا أن يراد المشارفون فيتعين العطف على المتقين لبعد الحمل على المشارفة فى المعطوف
اذا اتحد الموصولان ذاتا فان جعل الموصول الاول استئنافا وجب ان يعطف الثانى عليه وان جعل صفة
أو مدحا كان ذلك أولى الا أن الكشف قدم بالمعطوف عليه فليتأمل (قوله واشتمال الايمان على الجميع
سالفه ومترقبه واجب) لم يرد ان الايمان بتفاصيل المترقب واجب حال كونه مترقبا فان ذلك انما يكون عند
نزوله وتحققه بل أراد وجوب الايمان بان كل ما سينزل فهو حق ولا خفاء انهم اذا وصفوا بالايمان بما يجب ان
يؤمن به وجب ان يشار الى اشتمال ايمانهم على كله (قوله المراد المنزل كله) لانه المطابق لمقتضى الحال وما
تبين فى السؤال وهو المناسب لما سيأتى من ترتيب الهدى الكامل والفلاح الشامل ويؤيده أيضا ان
ما أنزل اليك قوبل بما أنزل من قبلك وانما يقابل بمجموع ما أنزل اليه لا ببعضه وكذا قوله تعالى يؤمنون فانه
بدلالته على الاستمرار يدل على حصول عدم الاقتصار على ما تحقق نزوله فى الماضى كأنه قال يجدد دون الايمان
شيأ فشيأ على حسب تجدد الانزال وأما التعبير عن الماضى والمترقب بصيغة الماضى فله وجهان أحدهما
تغليب ما وجد نزوله على ما لم يوجد الثانى تشبيه مجموع المنزل بما نزل فى تحقق النزول وذلك ان بعضه
نازل وبعضه منتظر سينزل قطعا وقد أورد على الوجهين لزوم الجمع بين الحقيقة والمجاز اذ ليس هناك معنى
ثالث يعمهما معا حتى يعد فى عموم المجاز وأجيب بان الجمع انما يلزم اذا كان كل واحد منهما مرادا باللفظ
وههنا أريد به معنى واحد تركب من المعنى الحقيقى والمجازى ولم يستعمل اللفظ فى واحد منهما بل فى المجموع
مجازا ولا يلزم جريان ذلك فى جميع المعانى الحقيقية والمجازية لجواز أن لا يكون هناك ارتباط يجعلهما معنى
واحدا عرفا يقصد اليه بارادة واحدة فى استعمال الالفاظ (قوله ويدل عليه) أى على ما ذكر من الوجهين
فان المراد بقوله كتابا هو المجموع لانه المتبادر عند الاطلاق خصوصا اذا قيد بكونه منزلا من بعد كتاب موسى
لا بعضه ولا القدر المشترك بينه وبين كله وقد عبر عن انزاله بلفظ الماضى مع ان بعضه كان حينئذ مترقبا
فوجب ان يؤول بأحد التأويلين وأما قوله سمعنا فالظاهر فيه تغليب المسموع على ما لم يسمع فى ايقاع
السماع ولما ذكر ان المراد بما أنزل اليك هو المنزل كله وبين وجهه واستشهد فى ذلك بما ورد فى التنزيل
بما هو أظهر منه فى الحمل على الكل واستدعاء التأويل أورد له نظيرا مما يتعارفه أهل اللغة ولا يشتبه على
أحد تناوله للماضى والآتى معا الا أن حمله على التغليب أولى من حمله على التشبيه فى التحقيق هذا
وقد اعترض على قوله أنا وأنت فعلنا فان الضمير موضوع للمتكلم مع غيره وقد استعمل فى معناه فلا تغليب
وأجيب بان ذلك اذا لم يعبر عن غيره بطريق الخطاب أو الغيبة وأما اذا عبر عنه بأحدهما فحقه ان يجرى
على تلك الطريقة لا ان يجعل تابعا للمتكلم وقوله ولانه معطوف على تغليبا والضمير راجع الى المنزل كله
وكذلك المستتر فى جعل وأما المجرور فى نظيره فعائد الى ما أنزل قوله لكونه معقودا تعليل لعدم ارادة
الماضى فقط واشارة الى ان المترقب ارتبط بالماضى بحيث صارا معنى واحدا تعلق به الفعل المذكور كما

أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون

وفى تقديم الآخرة وبناء يوقنون على هم تعريض بأهل الكتاب وبما كانوا عليه من اثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته وأن قولهم ليس بصادر عن ايقان وأن اليقين ما عليه من آمن بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والايقان اتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه والآخرة تأنيث الآخر الذى هو نقيض الاول وهى صفة الدار بدليل قوله تلك الدار الآخرة وهى من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا وعن نافع أنه خففها بأن حذف الهمزة وألقى حركتها على اللام كقوله دابة الارض وقرأ أبو حية النميرى يؤقنون بالهمز جعل الضمة فى جار الواو كأنها فيه فقلم اقلب واو وجوه ووقتت ونحوه

لحب المؤقدان الى مؤسى ※ وجعدة اذ أضاءهما الوقود

(أولئك على هدى) الجملة فى محل الرفع ان كان الذين يؤمنون بالغيب مبتدأ والا فلا محل لها ونظم الكلام

أومأنا اليه (قوله وفى تقديم الآخرة) يريد ان هنالك تقديمين الاول تقديم الظرف الذى هو بالآخرة ويفيد تخصيص ايقانهم بالآخرة أى ايقانهم مقصور على حقيقة الآخرة لا يتعداه الى خلاف حقيقتها وفى ذلك تعريض بان ما عليه مقابلوهم ليس من حقيقة الآخرة فى شئ كأنه قال يوقنون بالآخرة لا بغيرها كأهل الكتاب الثانى تقديم المسند اليه أعنى الضمير الذى بنى عليه الفعل ويفيد أيضا ان اختصاص الايقان بالآخرة مقصور عليهم لا يتجاوزهم الى الذين لا يؤمنوا من أهل الكتاب وفيه تعريض بان اعتقادهم الذى يزعمون انه ايقان بالآخرة ليس ايقانا أصلا بل هو جهل محض كان معتقدهم خيال باطل وانما الايقان ما عليه المؤمنون كان الآخرة هى التى يعتقدونها فقوله بأهل الكتاب توطئة لما بعده أعنى بما كانوا وان قولهم عطف عليه على طريقة قولك أعجبنى زيد وكرمه والكلام على النشر المرتب أى فى تقديم الآخرة تعريض بما كانوا عليه وفى بناء يوقنون على هم تعريض بان قولهم ليس بصادر (قوله وان اليقين) معطوف على ان قولهم وتتمة له باعتبار ما يفيده من نفى اليقين عما عليه أهل الكتاب وبهذا الاعتبار صح وقوع مجموع المعطوف والمعطوف عليه معمولا للتعريض واما اثبات اليقين بما هو عليه من آمن فصرح به ومن ثمة توهم انه معطوف على تعريض أى وفى بناء يوقنون تعريض بأن قولهم وتصريح بأن اليقين ورد بأن البناء لا مدخل له فى ذلك التصريح اذ لو قيل يوقنون لكان التصريح باقيا على حاله (قوله بانتفاء الشك والشبهة) قيل أراد ان العلم الذى من شأنه ان يتطرق اليه الشك والشبهة اذا انتفيا عنه كان ايقانا ولذلك لا يوصف به العلم القديم ولا الضرورى فلا يقال تيقنت ان الكل أعظم من الجزء (قوله الذى هو نقيض الاول) صفة كاشفة أى الآخر الذى معناه الاخير المقابل للاول وهو اسم فاعل من آخر بمعنى تأخر الا أنه لم يستعمل وكذلك الآخر بفتح الخاء افعل تفضيل منه (قوله من الصفات الغالبة) قال المصنف رحمه الله الغالبة قد تكون فى الاسماء كالبيت على الكعبة والكتاب على كتاب سيبويه وفى الصفات كالرحمن والرب من دون اضافته على الله تعالى وفى المعانى كالحوض على الشروع فى الباطل خاصة والآخرة صفة غالبة على تلك الدار والدنيا على هذه ثم انهما مع كونهما من الصفات الغالبة قد جريا مجرى الاسماء اذ قد غاب ترك ذكر اسم موصوفهما معهما كأنهما ليسا من الصفات (قوله لحب) روى بفتح الحاء وضمها وأصله حبب على وزن شرف أى صار محبوبا فادغم الباء بالاسكان أو بنقل ضمها الى الحاء يقال حب الى فلان وبفلان على زيادة الباء أى ما أحبه الى واللام جواب قسم محذوف ولم يؤت بقد على انه ماض مثبت لاجرائه مجرى المدح كقولك والله لنعم الرجل (قوله المؤقدان) أراد نار القرى فانه المتبادر فى استعمالات العرب خصوصا فى مقام المدح ووصفهما بالكرم وكنى عنه بايقاد النار وبالاشتهار به فكنى عنه باضاءة الوقود وقد صحح ههنا ضم الواو وهو مصدر واما بفتحها فهو اسم لما يتوقد به والشعر لجرير على ما فى الحواشى ومؤسى وجعدة ابناه وقيل لابى حية النميرى قال الفاضل اليمنى روى عن سيبويه قلب الواو همزة فى المؤقدان ومؤسى (قوله الجملة فى محل الرفع) هذا مذكور فيما تقدم وانما كرره ليربط به قوله والا فلا محل لها أى وان لم يكن

على الوجهين انك اذا نويت الابتداء بالذين يؤمنون بالغيب فقد ذهبت به مذهب الاستئناف وذلك أنه لما قيل هدى للمتقين واختص المتقون بأن الكتاب لهم هدى اتجه لسائل أن يسأل فيقول ما بال المتقين مخصوصين بذلك فوقع قوله الذين يؤمنون بالغيب الى ساقته كأنه جواب لهذا السؤال المقدر وجيء بصفة المتقين المنطوية تحتها خصائصهم التي استوجبوا بها من الله أن يلطف بهم ويفعل بهم ما لا يفعل بمن ليسوا على صفتهم أي الذين هؤلاء عقائدهم وأعمالهم أحقاء بأن يهديهم الله ويعطيهم الفلاح ونظيره قولك أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار الذين قارعوا دونه وكشفوا الكرب عن وجهه أولئك أهل المحبة وان جعلته تابعا للمتقين وقع الاستئناف على أولئك كأنه قيل ما للمستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فأجيب بأن أولئك الموصوفين غير مستبعد أن يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا

الذين يؤمنون بالغيب مبتدأ بل موصولا بالمتقين صفة أو مدحا منصوبا أو مرفوعا فلا محل لتلك الجملة بنى على ما سبق من جعل والذين يوقنون معطوفا على المتقين أو على الذين يؤمنون بالغيب واما اذا أجرى الموصول الاول على المتقين وجعل الثاني مرفوعا على الابتداء مخبرا عنه بأولئك فلها محل أيضا كما سيأتي قال رحمه الله تعالى وفي هذا الاطلاق تعريض بان الوجه الآتي مرجوح كما سينكشف لك عن قريب (قوله اذا نويت) استعمل في هذا الوجه اذا وفيما يقابله ان اشعارا برجحانه وان الثاني مجرد احتمال وذلك ان السؤال والجواب على الاول يقعان على ما ينبغي فانه اذا قيل هدى للمتقين فدل باللام الجارة على اختصاصهم بكون الكتاب هدى لهم اتجه ان يقال ما بال المتقين مخصوصين بذلك وهل هم أحقاء به فآل السؤال الى كونهم مستحقين لما أثبت لهم من الاختصاص والجواب مشتمل على هذا الحكم المطلوب مع تلخيص موجبه بذكر صفات مختصة بهم استحقوا بها اختصاص الهدى وزيد فيه ضم نتيجة الهدى اليه وهو الفلاح تقوية للمبالغة الذي تضمنها هدى وسلوكا للاسلوب الحكيم واما على الثاني فلا وجه للسؤال لان الاوصاف التي أجريت عليهم مقتضية لذلك الاختصاص اقتضاء ظاهرا لكن السائل قد غفل عن اقتضائها فسأل ولذلك أجيب باعادة الدعوى بعينها تنبيها على ان التأمل فيها يغنيه عن مؤنة السؤال لكن غير وجه النسبة بين الهدى والمتقين وزيد التصريح بالنتيجة احترازا عن بشاعة التكرار (قوله فوقع) عطف على اتجه وانما قال كأنه جواب اذ ليس هناك سؤال بل اتجاه سؤال يجعل لذلك كأنه مقدر (قوله بصفة المتقين) أراد بها جميع ما ذكر من أحوالهم وجعل علة لاستحقاقهم وفي قوله خصائصهم اشارة الى ان كل واحدة من تلك الاحوال مما تصلح ان تكون سببا فكيف اذا اجتمعت (قوله استوجبوا) أي استحقوا أما عند أهل السنة فمبنى ان ذلك ملائم مجارى العادات (قوله أي الذين هؤلاء عقائدهم) أي الذين كملوا اعتقادا وعملا أحقاء أن يختصوا بالهدى في الدنيا والفلاح في الآخرة فيعلم من الجواب انهم يستحقون الاختصاص وان السبب في ذلك تلك الاوصاف المخصوصة بهم التي رتب عليها الحكم واستغنى عن تأكيد النسبة ببيان علتها وقيل المقصود في السؤال هو السبب فقط أي ما هو سبب اختصاصهم واستحقاقهم اياه لكنه بين في الجواب مرتبا عليه مسببه فان ذلك أوصل الى معرفة السبب فرغة لم يحتج الى تأكيد الجملة وربما يقال قصد مجموع الامرين أي هل هم أحقاء بذلك وما السبب فيه حتى يكونوا كذلك وقس على ما ذكرنا مال قولك أحب رسول الله الانصار (قوله وان جعلته) عطفا على اذا نويت أي جعلت الذين يؤمنون تابعا اما صفة أو مدحا نصبا أو رفعا (قوله غير مستبعد) اشارة الى سقوط السؤال وانه نشأ من استبعاد السائل كون تلك الصفات علة لاستجلاب الاختصاص وليس ذلك مستبعدا ﴿فان قلت﴾ صفة التقوى كافية في الاستحقاق والسببية وكيف لا وتلك الاوصاف بيان وتفسير للمتقين فيكون السؤال على الوجه الاول أيضا ساقطا ﴿قلت﴾ ان سلم كونها بيانا كان المفهوم من المتقين معنى مجملا يتجه معه السؤال وأما اذا فصلت بتلك المعاني ولخصت فالسؤال ساقط كما لا يخفى (قوله دون الناس) اشارة الى الاختصاص الحاصل من ترتب الحكم على الوصف

* واعلم أن هذا النوع من الاستئناف يجيء تارة باعادة اسم من استؤنف عنه الحديث كقولك قد أحسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان وتارة باعادة صفته كقولك أحسنت الى زيد صديقك القديم أهل لذلك منك فيكون الاستئناف باعادة الصفة أحسن وأبلغ لانطوائها على بيان الموجب وتلخيصه (فان قلت) هل يجوز أن يجرى الموصول الاول على المتقين وأن يرتفع الثانى على الابتداء وأولئك خبره (قلت) نعم على أن يجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا بأهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ظانون أنهم على الهدى وطامعون أنهم ينالون الفلاح عند الله

لان المعنى كما سيأتى تحقيقه أولئك الموصوفون بتلك الصفات على هدى واذا كان الحكم مرتبا مسببا عن الوصف انتفى بانتفائه ﴿فان قلت﴾ فعلى الوجه الاول يلزم التكرار فى ذكر الاوصاف ﴿قلت﴾ لا بعد فى ان تذكر الصفات المختصة ثم يشار اليها مجملة ليتعلق بها الحكم من وجهين ثم يربط بها ما هو مسبب عنها فان ذلك أوفى بتأدية الغرض وأنت خبير بتطبيق مثال الانصار على هذا الوجه أيضا وان المطلوب بالسؤال فيه اما الحكم واما السبب أوهما معا على قياس ما تقدم (قوله أن هذا النوع من الاستئناف) يريد به ما يشتمل على اعادة ذكر ما استؤنف عنه الحديث جوابا عن سؤال استحقاقه لما نسب اليه فاذا قيل أحسنت الى زيد اتجه أن يقال هل هو حقيق بذلك فان أجيب بانه حقيق بالاحسان فقد ترك تأكيده جريا على خلاف مقتضى الظاهر وان أجيب بذكر الصفة فقد أفاد الحكم المطلوب مع بيان سببه القائم مقام تأكيده وقيل أراد بهذا النوع ما يكون مشتملا على تلك الاعادة جوابا للسؤال عن سبب الحكم فيخرج ما لا يكون جوابا عن السبب أو يكون جوابا عنه ولا يشتمل على اعادة الذكر كقوله سهر دائم ثم ان اعادة الذكر تدل اجمالا على ان هناك سببا فكان الاستئناف باعادة الصفة ابلغ لاشتماله على تفصيل السبب وتلخيصه وفيه بحث لانه اذا قيل ما سبب الاحسان اليه واستحقاقه اياه كان طلبا لمعرفة سبب معين بعد ان عرف ان له سببا في الجملة فلا يصح أن يجاب الا بما يفيد تصور سبب مخصوص ومن ههنا يعلم امتناع الحمل على السؤال عن الحكم مشفوعا بسببه تبعا له ومعنى قوله باعادة اسمه وباعادة صفته أنه يعاد ذكر من استؤنف عنه الحديث اما باسمه أو بصفته فالمعاد هو ذكره فلا يرد ان الصفة غير مذكورة أولا فكيف يعاد والمقصود فى هذا التقسيم ان الاستئناف الذى فى التنزيل سواء وقع على الذين يؤمنون بالغيب أو على أولئك وارد على هذا الوجه الاحسن الذى هو اعادة الصفة وان كان الاول أرجح عما ذكرناه وقد يتوهم انه على الثانى من اعادة الاسم ولذلك كان مرجوحا وهو مدفوع بقوله وأجيب بان أولئك الموصوفين وقوله فى اسم الاشارة (قوله نعم على ان يجعل اختصاصهم) الموصول الثانى ان اتحد بالاول ذاتا فحقه أن يجرى على ما جرى عليه الاول فان قطع عن ذلك وجعل مبتدأ فاما أن يجعل الاختصاص الحاصل من تعليق الحكم بالوصف المناسب الذى يتضمنه المبتدأ تعريضا باعاذكر أولا فعلى الثانى قطع عما هو حقه وامتنع فائدة الاستئناف بلا غرض يدعو الى ذلك مع انه نوع تكرار لما تقدم وعلى الاول كان التعريض فائدة مطلوبة يرتكب لها خلاف الظاهر ووجهه انه لما عبر عن المؤمنين بأنهم جامعون فى الايمان بين ما أنزل على محمد صلى الله عليه وآله وبين ما أنزل من قبله قابلهم بهذا الاعتبار من انفرد بأحدهما أعنى كفار أهل الكتاب فعرض بان ظنهم بكونهم على الهدى ظن كاذب وان طمعهم فى نيل الفلاح طمع فارغ ومعنى الكلام حينئذ ان الكتاب هدى للذين آمنوا به والذين لم يؤمنوا به ليسوا على هدى وان ظنوه ولا فلاح لهم وان طمعوا فيه فالجملتان بحسب المعنى وان توافقتا فى الظرف وتقابلتا فى الايمان اثباتا وسلبا ليستا على حد يحسن العطف بينهما كل الحسن فان الاولى فى وصف الكتاب بكمال الهداية للمؤمنين والثانية لسلب الاهتداء عن طائفة أخرى لم يؤمنوا به وقيل المعنى على التعريض ان الكتاب هدى للمتقين وليس هدى لمن عداهم فالمعطوف والمعطوف عليه متناسبان غاية التناسب وفيه نظر لان سلب كونه هدى لطائفة أخرى ليس صفة كمال له

وفي اسم الاشارة الذى هو أولئك ايذان بأن مايرد عقيبه فالمذكورون قبله أهل لاكتسابه من أجل الخصال التى عددت لهم كما قال حاتم ولله صعلوك ثم عدد له خصالا فاضلة ثم عقب تعديدها بقوله

فذلك ان يهلك فحسنى ثناؤه * وان عاش لم يقعد ضعيفا مذمما

فلا يلائم تلك الاوصاف الفاضلة التى يشد بعضها بعضا بخلاف سلب الهداية عن من لم يؤمن به فان فيه اشارة الى كماله وان اختلف الموصولان ذاتا فالاولى بالثانى ان يعطف على الاول تقسيما للمتقين فاذا جعل مبتدا فان لم يجعل الاختصاص تعريضا فقد ترك ماهو أولى بلاسبب وفات نكتة السؤال المقدر وكان التخصيص الموجود فى المعطوف منافيا فى الظاهر لما قصد فى المعطوف عليه من التخصيص وان جعل تعريضا كان وجهه ههنا أظهر ولم يكن التخصيص فى المعطوف مقصودا بل وسيلة اليه وتعين أن يكون بالقياس الى المعرض بهم والحال فى العطف كما سلف (قوله وفى اسم الاشارة) توهم بعضهم ان الايذان بالمذكور مختص بما اذا وقع الاستئناف على أولئك وهو باطل فانه جار على جميع الاوجه وذلك لما عرفت من ان أسماء الاشارة حقها أن يشار بها الى محسوس مشاهد أو الى ماينزل منزلته فى تميزه وظهوره ولما كان الصفات المجراة على المتقين مميزة لهم جاعلة اياهم كأنهم حاضرون مشاهدون ووضع أولئك موضع المضمر لشارة اليهم من حيث انهم موصوفون بها كأنه قيل أولئك المتميزون بتلك الصفات فصار الكلام من ترتيب الحكم على الاوصاف المناسبة وافادة العلية بخلاف المضمر فانه راجع الى الذات وليس فيه ملاحظة أوصافها وان كانت متصفة بها فى نفسها فلا ترتيب هناك على وصف مناسب ﴿فان قلت﴾ قد تقدم منك فى توجيه قوله فيكون الخطاب أدل على ان العبادة له بذلك التميز مايدل على ان فى المضمر ايذانا فى الجملة وسياق كلامه ههنا ينافيه ﴿قلت﴾ اذا حمل التنوين فى ايذان على التعظيم زالت المنافاة (قوله فالمذكورون) ادخل الفاء فى خبر ان المفتوحة على معنى السببية بحسب الاخبار وانما قال أهل لاكتسابه لان الهدى والفلاح نتيجة الكسب (قوله ولله صعلوك) أوله

لحا الله صعلوكا مناه وهمه * من العيش أن يلقى لبوسا ومطعما
ينام الضحى حتى اذا ليله أتى * تنبه مسلوب الفؤاد متيما
ولله صعلوك تشاوره همه * ويمضى على الاحداث والدهر مقدما
فتى طلبات لا يرى الخمص ترحة * ولا شبعة ان نالها عد مغنما
اذا ما رأى يوما مكارم أعرضت * تيمم كبراهن ثمة صمما
يرى رمحه أو نبله ومجنه * وذا شطب عضب الضريبة مخذما
واحناء سرج فاتر ولجامه * عتاد أخى هيجا وطرفا مسوما
ويغشى اذا ما كان يوم كريهة * صدور العوالى وهو مختضب دما
اذا الحرب أبدت ناجذيها وشمرت * وولى هدان القوم أقبل معلما
فذلك ان يهلك فحسنى ثناؤه * وان عاش لم يقعد ضعيفا مذمما

يقال لحاه الله أى قبحه ولعنه والصعلوك الفقير وصعاليك العرب متلصصوهم واللبوس بالفتح مايلبس ولله كذا كلمة تعجب ومدح عند استغراب الشئ واستعظامه أى هو صنعه ومخصوص به اذ له القدرة على خلق أمثاله والمشاورة المواثبة والهم القصد والعزيمة وقوله على الاحداث متعلق بيمضى أى لا تمنعه الاحداث والدهر عن الاقدام على ماهو المرام وفتى اما بدل من صعلوك أو صفة له أو مخصوص بالمدح نصبا أو رفعا واضافته الى طلبات اشارة الى علو همته والخمص الجوع والترحة الشدة وشبعة مفعول عد أعرضت أى استبانت وظهرت وثم للتراخى فى الرتبة بين القصد والتصميم وعطف النبل على الرمح باو اذ قلما يجمع بينهما ومجنة معطوف على مدلول ماتقدم أعنى أحدهما وشطب السيف بضم الشين وفتح الطاء

ومعنى الاستعلاء

وضمها أيضا طرائقه التي في متنه جمع شطبة والعضب القاطع والضريبة المضروب بالسيف وانما دخلت التاء وان كان بمعنى مفعول لانه في عداد الاسماء كالنطيحة والجذم بالخاء والذال المعجمتين وقد يروى بالحاء المهملة من الحذم وهو القطع السريع والاحناء جمع حنو بالكسر وهو ما فيه اعوجاج من السرج والقتب ومنعرج الجبل وغيرها وسرج قاتر بالقاف واق لا يعقر ظهر الفرس وعتاد ثاني مفعولي يرى وأولهما رمحه وما عطف عليه واقتد طبق المفصل في افراد العتاد لان الكل عتاد واحد وفي اضافته الى اخي الهيجاء دون نفسه وفي جعل الطرف بالكسر وهو الكريم من الخيل عتادا على حدة فقوله وطرفا معطوف على أول المفعولين أعني رمحه وما عطف عليه والمسوم المعلم تشهيرا بعتقه من السومة وهي العلامة أو المسيب ليسوم ولا يركب الا في الحرب والهدان بالكسر الاحمق الثقيل وحسنى مصدر بمعنى حسن ويروى بحسن ثنائه على الندا (قوله ومعنى الاستعلاء) يريد ان كلمة على هذه استعارة تبعية شبه تمسك المتقين بالهدى باستعلاء الراكب على مركوبه في التمكن والاستقرار فاستعير له الحرف الموضوع للاستعلاء كما شبه استعلاء المصلوب على الجذع باستقرار المظروف في الظرف بجامع الثبات فاستعير له الحرف الموضوع للظرفية في قوله تعالى ولاصلبنكم في جذوع النخل وانما قال ومعنى الاستعلاء دون معنى على لان الاستعارة في الحروف تقع أولا في متعلق معناها كالاستعلاء والظرفية والابتداء مثلا ثم يسري اليها تبعيته وقوله مثل أي تصوير اذ المقصود في الاستعارة تصوير المشبه بصورة المشبه به ابرازا لوجه الشبه في جانب المشبه في صورته في جانب المشبه به مبالغة في شأنه كأنه هو فانك اذا قلت رأيت أسدا يرمي فقد صورته في شجاعته بصورة الاسد وجرأته وانما قدم تصوير التمكن والاستقرار أعني وجه الشبه على تصوير التمسك أي المشبه لانه المقصود الاصلي بالقياس اليه وزعم بعض الناس ان الاستعارة ههنا تبعية تمثيلية قال اما كونها تبعية فلجريانها أولا في متعلق معنى الحرف وتبعيتها في الحرف وأما كونها تمثيلية فلكون كل من طرفي التشبيه حالة منتزعة من عدة أمور واعترض عليه بان انتزاع كل من طرفي التشبيه من أمور عدة يستلزم تركيبه من معان متعددة ولا شك ان متعلق معنى الحرف هو الاستعلاء وانه من المعاني المفردة كالضرب وأمثاله فلا يكون مشبها به في التشبيه الذي ركب طرفاه نعم ربما يعتبر هناك معه شيء آخر ليحصل منهما مجموع هو المشبه به واذا لم يكن معنى الاستعلاء مشبها به في ذلك التشبيه سواء كان جزأ منه أولا فكيف يسري التشبيه والاستعارة منه الى معنى الحرف ومحصله ان معنى كون على استعارة تبعية يستلزم كون معنى الاستعلاء مشبها به وان تركب الطرفين يستلزم أن لا يكون مشبها به فلا يجتمعان فاذا جعلت على تبعية لم تكن تمثيلية مركبة الطرفين بل كانت استعارة في المفرد كما بيناه فأجاب بان انتزاع كل من طرفي التشبيه من عدة أمور لا توجب تركبه في نفسه بل تقتضي تعددا في مأخذه ورد عليه بان المشبه مثلا اذا كان منتزعا من أشياء متعددة فاما أن ينتزع بتمامه من كل واحد منها وذلك باطل لانه اذا أخذ بتمامه من كل واحد منها كان أخذه مرة ثانية من شيء آخر لغوا بل تحصيلا للحاصل واما ان ينتزع من كل واحد منها بعض منه فيكون مركبا بالضرورة واما أن لا يكون هناك لا هذا ولا ذاك وهو أيضا باطل اذ لا انتزاع حينئذ للمشبه منها أصلا فتعين القسم الثاني ولزم المطلوب وكيف لا وقد صرح هذا الزاعم في تفسير قوله تعالى كمثل الذي استوقد نارا بانه لا معنى لتشبيه المركب بالمركب الا ان ينتزع كيفية من امور عدة ويشبه بكيفية أخرى مثلها فيقع في كل واحد من الطرفين أمور متعددة وأيضا فقد اتفقوا على ان وجه التشبيه في التمثيل يجب أن يكون مركبا وما ذاك الا لكونه منتزعا من متعدد وأمثال ذلك مما لا يلتبس على ذي فطنة نافذة وفكرة صائبة وكأني بك قد تطامت نوازع من قلبك الى ما يشفي غليل صدرك من تحقيق المقام الذي زلت فيه الاقدام فنقول وبالله التوفيق

فى قوله على هدى مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به شبهت حالهم بحال من اعتلى الشئ وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك فى قولهم جعل الغواية مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى

(قوله على هدى) يحتمل وجوها ثلاثة الاول ان نسبة التمسك بالهدى باستعلاء الراكب كما سلف الثانى أن نسبة هيئة منتزعة من المتقى والهدى وتمسكه بالهيئة المنتزعة من الراكب والمركوب واعتلائه عليه فيكون هناك استعارة تمثيلية مركب كل واحد من طرفيها الا انه لم تصرح من اللفظ الذى هو بازاء المشبه به الا بكلمة على فان مدلولها ما هو العمدة فى تلك الهيئة وما عداه تبع له يلاحظ معه فى ضمن ألفاظ تنوبه متعددة وليس حينئذ فى على استعارة أصلا بل هى على حالها قبل الاستعارة كما اذا صرح بتلك الالفاظ كلها الثالث انه شبه الهدى بالمركوب على طريقة الاستعارة بالكناية وتجعل على قرينة لها على عكس الاول كما اختاره الامام السكاكى وحينئذ ان اعتبر فى طرفى التشبيه تلك الهيئة الوحدانية وحكم بان الاستعارة تبعية فقد اشتبه عليه الوجه الاول بالثانى وقد تمادى فى ذلك من ادعى تكرره فى الكشاف وهو برئ عنه وتوهم ان عبارة المفتاح فى تقرير الاستعارة التبعية فى لعل بينة فى اجتماع التبعية والتمثيلية فيما ادعاه وليس فيها الا انه شبه حال المكلف بحالة المرتجى والحال أعم من المفرد والمركب كما لا يخفى ﴿فان قلت﴾ اذا جوز فى التمثيل أن تكون طرفاه مفردين مع تركب وجهه أمكن ان يجامع الاستعارة التبعية فى الحروف والافعال ﴿قلت﴾ نعم لكن الحق استلزام التمثيل تركب طرفيه فان المتبادر من قولهم التمثيل ما وجهه منتزع من عدة أمور انتزاع وجهه من عدة أمور فى كل من الطرفين وان أمكن أن يراد انتزاعه من أمور هى أجزاؤه كما فى الهيئة المنتزعة التى تجعل مشبهة أو مشبها به ﴿لا يقال﴾ تركب طرفيه واجب بحسب المعنى وأما بحسب اللفظ فلا اذ ربما يطلق لفظ واحد على قصة كقوله تعالى مثلهم كمثل الذى استوقد نارا ﴿لانا نقول﴾ المراد بكون المعنى مفردا أن يلاحظ ملاحظة واحدة فى ضمن لفظ واحد سواء لم يكن له أجزاء أو كانت له أجزاء متعددة لوحظت دفعة اجمالا وبكون المعنى مركبا أن يلتفت الى أشياء عدة كل على حدة ثم يضم بعضها الى بعض وتصير هيئة وحدانية وكل معنى ذى أجزاء عبر عنه بلفظ واحد لم تكن تفاصيلها ملحوظة ولم تعد مركبا وأما التشبيه بالمثل فلا يغنى عنك شيأ فان الحالة المختصة المشبهة انما تفهم من ألفاظ مقدرة أى مثلهم بما ذكر من اظهار الايمان وابطان الكفر وما يترتب عليه من الخداع المستتبع للمنافع كما ان الحالة المشبهة بها تفهم من جميع الالفاظ المذكورة ههنا (قوله ونحوه هو على الحق) تجرى فيه الوجوه الثلاثة (قوله وقد صرحوا بذلك) لما ذكر ان كلمة على مستعارة للتمسك بالهدى لزم من ذلك تشبيه الهدى ونظائره بالمركوب وربما تبادر بعض الاوهام الى استبعاده فأزاله بان هذا التشبيه فيما ذكرناه تبع غير مقصود من الكلام وقد صرحوا به فى مواضع أخر وجعلوه مقصودا منه أما فى صورة التشبيه كما فى قولهم جعل الغواية مركبا فانه فى قوة قولك الغواية مركب أى كالمركب وأما فى صورة الاستعارة كما فى قولهم اقتعد غارب الهوى فقد شبه الهوى بالمطية على طريقة الاستعارة المكنية ورمز اليها باثبات الغارب ورشح بذكر الاقتعاد وأما قولهم امتطى الجهل فان كان بمنزلة قولك ركب مطا الجهل كان استعارة بالكناية كغارب الهوى وان كان فى قوة قولك اتخذ الجهل مطية كان تشبيها كالاول وأيا ما كان فتشبيه الجهل بالمطية مقصود من الكلام وهو المراد بكونه مصرحا به ومنهم من قال هو استعارة تبعية شبه اتصافه بالجهل واستقراره عليه بامتطاء المطية واستعير اسم المشبه به للمشبه وسرت الاستعارة الى الفعل وذكر المفعول أى الجهل قرينة لها ويرد عليه انه لا فرق حينئذ بينه وبين قوله على هدى فى ان تشبيه الهدى والجهل بالمركوب ليس مقصودا منهما والتشبيه المقصود مستفاد من الاستعارة التبعية فجعله فى أحدهما مصرحا به دون الآخر تحكم

ومعنى هدى من ربهم أى منحوه من عنده وأوتوه من قبله وهو اللطف والتوفيق الذى اعتضدوا به على أعمال الخير والترقى الى الافضل فالافضل ونكر هدى ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره كأنه قيل على أى هدى كما تقول لو أبصرت فلانا لابصرت رجلا وقال الهذلى

فلا وأبى الطير المربة بالضحى * على خالد لقد وقعت على لحم

* والنون فى من ربهم أدغمت بغنة وبغير غنة فالكسائى وحمزة ويزيد وورش فى رواية والهاشمى عن ابن كثير لم يغنوها وقد أغنها الباقون الا أبا عمرو فقد روى عنه فيها روايتان * وفى تكرير أولئك تنبيه على أنهم كما ثبتت لهم الاثرة بالهدى فهى ثابتة لهم بالفلاح فجعلت كل واحدة من الاثرتين فى تمييزهم بها عن غيرهم بالمثابة التى لو انفردت كفت مميزة على حيالها (فان قلت) لم جاء مع العاطف وما الفرق بينه وبين قوله أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون (قلت) قد اختلف الخبران ههنا فلذلك دخل العاطف بخلاف الخبرين ثمة فانهما متفقان لان التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم بالبهائم شىء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة لما فى الاولى فهى من العطف بمعزل

والفرق بان معنى الاستعلاء خارج عن معنى الحرف ومعنى المصدر داخل فى الفعل غير صحيح وعلى تقدير صحته فالظاهر انه لا يوجب الاختلاف المذكور وقد يتوهم ان لفظ ذلك فى قوله وقد صرحوا بذلك اشارة الى التشبيه المدلول عليه بقوله شبهت أعنى التشبيه المقصود بالاستعارة فى على وهو بعيد اذ لا ينطبق عليه شىء من الامثلة وقيل اشارة الى ارادتهم معنى الاستعلاء والركوب وهذا أبعد (قوله أى منحوه) زاد حرف التفسير بين المبتدا والخبر تأكيدا للاتحاد وزيادة فى البيان والمقصود ان من ابتدائية (ومن ربهم) صفة الهدى وتفسيره باللطف والتوفيق رعاية لمذهبه وأما عند الجماعة فهو خلق الاهتداء فيهم والتوفيق هو اللطف الداعى الى أعمال الخير كما ان العصمة هو اللطف الزاجر عن أعمال الشر (قوله الى الافضل فالافضل) قيل الفاء هذه للتعقيب على سبيل الاستمرار والمعنى انه اذا ساعدهم اللطف على عمل فأقدموا عليه استنزلوا لطفا آخر أكمل من الاول فيحدثوا به عملا أفضل وهكذا كل لطف يدعو الى عمل يستجلب لطفا فلا يزالون يترقون فى الاعمال الفاضلة (قوله الهذلى) هو أبو خراش يرثى خالد ابن زهير ولا زائدة فى أول القسم كما فى فلا أقسم ولقد وقعت فى جواب القسم والخطاب للطير على طريقة الالتفات وتنكير لحم للتعظيم أى على لحم أى لحم استعظم لحم خالد لعظمه فاستعظم الطير لوقعة عليه واباها حيث أقسم به ولا حاجة الى ما توهم من أن أبى ههنا جمع على الشذوذ نظرا الى كثرة الطير وقيل الاب مقحم أريد به خالد نفسه وأضيف اليه لوقوعها عليه وملابسته اياها كما تقول أبو الثريد وأبو تراب (والمربة) اللازمة بالمكان من أرب بالمكان أقام به ولزمه وعن المصنف أنه كان يقول ما أفصحك يا بيت المربة (قوله وبغير غنة) المشهور عند القراء انه لا غنة مع اللام والراء وقد وردت عنهم فى بعض الروايات الغنة معهما على تفصيل يقرب مما ذكره المصنف وأما بحسب العربية فلا نزاع فى جوازها (قوله كما ثبتت) فى موضع المصدر لقوله ثابتة (والاثرة) بفتح الهمزة والثاء التقدم والاستبداد فالفاء للدلالة على ان الاثرة بالهدى سبب للاثرة بالفلاح وقد سبق تحقيقه فى نظيره وقوله (فى تمييزهم) اما متعلق بجعلت أو بالظرف الذى وقع موقع المفعول الثانى أعنى بالمثابة أى المنزلة وسيأتى بيان أصلها فى قوله تعالى مثابة للناس (والحاصل) ان تكرير أولئك أفاد اختصاصهم بكل واحد منهما على حدة ليكون كل منهما مميزا لهم عمن عداهم ولو لم يتكرر لربما فهم اختصاصهم بالمجموع فيكون هو المميز لا كل واحدة على حيالها حيال الشىء وحواله وحوله بمعنى أى كفت مميزة على انفرادها مستقلة فى ذلك مع ما حولها وفى حيزها (قوله قد اختلف الخبران ههنا) أى على هدى والمفلحون يريد انهما مع مناسبتهما معنيان متمايزان تمعة لا وهو ظاهر ووجودا فان الهدى فى الدنيا والفلاح فى العقبى وان اثبات كل منهما

*وهم فصل وفائدته الدلالة على أن الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد وإيجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره أو هو مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر أولئك ومعنى التعريف فى المفلحون الدلالة على أن المتقين هم الناس الذين عنهم بلغك أنهم يفلحون فى الآخرة كما إذا بلغك أن إنسانا قد تاب من أهل بلدك فاستخبرت من هو فقيل زيد التائب أى هو الذى أخبرت بتوبته

أمر مقصود فى نفسه فالجملتان المشتملتان عليهما المتحدتان فى المخبر عنه متوسطتان بين كمالى الاتصال والانقطاع فلذلك أدخل العاطف بينهما وأما الخبران أعنى كالأنعام والغافلون فهما متحدان معنى مقصودا إذ لا معنى للتشبيه بالأنعام إلا المبالغة فى الغفلة فكان الجملة الثانية المشاركة للأولى فى المحكوم عليه مؤكدة لها فلا مجال للعطف بينهما (قوله وفائدته) يريد أن لضمير الفصل فوائد الأولى الدلالة على أن ما ورد بعده خبر لما قبله لا نعت له ولذلك سمى فصلا الثانية توكيد الحكم للدلالة على ربط المسند بالمسند إليه وقيل توكيد المحكوم عليه لأنه راجع إليه فهو تكرير له الثالث الدلالة على حصر المسند فى المسند إليه فعلا كان أو اسما معرفا كان أو منكرا فإن قولك زيد هو أفضل من عمرو معناه بالفارسية زيد است كه أفضل است از عمرو ومنهم من استشهد على إفادته الحصر بالاستعمال فى مثل إن الله هو الرزاق وكنت أنت الرقيب ثم قال وهذه الغاية إذا استفيد منه التخصيص فيما كان الخبر فيه نكرة والا فتعريف الخبر باللام الجنسية هو المفيد للحصر على المبتدأ وإن لم يكن هناك فصل كقولك زيد الأمير (قوله أو هو مبتدأ) قيل هذا جار على تقديرى العهد والجنس وأما كونه فصلا فمخصوص بالجنس (قوله على أن المتقين هم الناس الذين) فاللام حينئذ تعريف العهد الخارجى ولا حاجة إلى اعتبار قصر كما فى قولك الزيدون هم المنطلقون إشارة إلى معهودين بالانطلاق إلا أن تجعل كلمة هم فصلا فتقصد إلى قصر المسند على المسند إليه إفرادا دفعا لما عسى أن يتوهم من تناول المعهودين بالفلاح فى الآخرة غير المتقين أيضا (قوله فقيل زيد التائب) اعترض عليه بأنه غير مستقيم فإنك قد عرفت أن إنسانا قد تاب فإنما سؤالك عنه طالب تعيينه بأن تحكم عليه بأنه زيد مثلا فالجواب المطابق التائب زيد حتى لو اقتصر على ذكر زيد كان خبر المبتدأ محذوف لا مبتدأ خبره محذوف وأجيب بأن الضمير فى قولك من هو راجع إلى التائب أى من التائب فمن مبتدأ والتائب خبره كما هو مذهب سيبويه والمعنى أزيد التائب أم عمرو أم غيرهما فالمطلوب بهذا السؤال أن يحكم بالتائب على خصوصية ما من تلك الخصوصيات فالصحيح ما ذكره العلامة ليكون الجواب مطابقا للسؤال والمثال موافقا للنظم التنزيل فى كون الخبر معرفا بلام العهد نعم إن جعل كلمة من خبرا مقدما كان الحق ما ذكره المعترض إلا أنه يفوت موافقة المثال للمقصود والعجب أن هذا مع شدة وضوحه قد خفى على كثير من الأذهان وأعجب منه أن بعضهم نبه على ما قررناه ولم يتنبه له وزعم أن دعوى رعاية المطابقة منقوضة بأن من قام جملة اسمية وقد يجاب بجملة فعلية كقوله تعالى قل يحييها الذى أنشأها أول مرة فى جواب من يحيى العظام وقوله تعالى ليقولن خلقهن العزيز العليم فى جواب من خلق السموات والأرض ولم يدر أن المحكوم عليه حقيقة فى زيد قام هو زيد قدم أو أخر فالسائل عن قام طالب الحكم بالقيام على زيد أو عمرو فإذا أجيب بقام زيد طابق سؤاله فى المعنى وإن خالفه فى اللفظ بكونه جملة فعلية فلم يطلعك عليه إذا كان وقته بخلاف زيد التائب فإن التقديم فيه يوجب اختلاف المحكوم عليه فتفوت المطابقة المعنوية التى تجب المحافظة عليها كما فى قولك أخوك زيد وزيد أخوك ثم إن هذا الزاعم بتضييره فى توجيه هذا المقام ذكر أن الشيخ عبد القاهر فى دلائل الإعجاز كلاما يؤيد أوله كلام المصنف وآخره كلام المعترض وهذا أيضا خبط آخر فإن محصل ما أورده الشيخ هناك أنك إذا عهدت إنسانا بالانطلاق وجوزت أن يكون زيدا أو غيره فإذا قيل زيد المنطلق أو المنطلق زيد كان بيانا لاتحاد زيد مع الشخص المعهود لا بيانا لانطلاقه فإنه معلوم ولم يرد أن

أو على أنهم الذين ان حصلت صفة المفلحين وتحققوا ما هم وتصوروا بصورتهم الحقيقية فهم هم

تقديم زيد على المنطلق وتأخيره عنه يجوز ان معا في حالة واحدة بل أراد ان كل واحد منهما انما هو بحسب ما يقتضيه مقالك وحالك من طلب الحكم على هذا بذاك وعلى ذاك بهذا الا انه لم يتعرض ههنا لتعيينه وقوله في آخر كلامه واذا قيل المنطلق زيد فالمعنى على انك رأيت انسانا ينطلق بالبعد عنك فلم تعلم أزيد هو أم عمرو فقال صاحبك المنطلق زيد أي هذا الشخص الذي تراه من بعيد هو زيد ليس فيه اشارة الى تقدير السؤال من المخاطب بل قوله أزيد هو أم عمرو بيان في الجملة باتحاد زيد بذات الشخص المعهود وأمثال هذه المباحث لا تزال من له قدم راسخ في قواعد المعاني واستخراج نكتها مؤسسة على تلك المباني (قوله أو على انهم الذين ان حصلت) اشارة الى المعنى الثاني لتعريف المفلحين وهو تعريف الجنس المسمى بتعيين الحقيقة الا ان الخبر المعرف بلام الجنس قد يقصد به تارة حصره على المبتدا اما حقيقة أو ادعاء نحو زيد الامير اذا انحصرت الامارة فيه أو كان كاملا فيها كأنه قيل زيد كل الامير وجميع افراده فيظهر الوجه في افادة الجنس وقد يقصد به أخرى ان المبتدا هو عين ذلك الجنس ومتحد به لا أن ذلك الجنس مفهوم آخر مغاير له فيحصر في المبتدا بحيث لا يوجد في غيره كما في الحصر الحقيقي او كامل فيه بحيث لا يعتد به في غيره كما في الحصر الادعائي فهذا معنى آخر للخبر المعرف بلام الجنس غير الحصر وهذا هو الذي ذكره الشيخ في دلائل الاعجاز وملخص ما أورده فيه ان الخبر المعرف باللام قد يراد به العهد كما في قولك زيد المنطلق لمن يعلم انه كان انطلاق ولم يعلم انه لمن كان وقد يراد به حصر مفهومه في المبتدا على انه لم يحصل لغيره أصلا أو على الكمال كما في زيد الشجاع وقد يراد به ظهور اتصاف المبتدا بهذه الصفة كما في قوله ووالدك العبد أي ظاهر اتصافه بالعبدية وقد يراد به معنى آخر دقيق يكون المتأمل عنده كما يقال يعرف وينكر كقولك هو البطل المحامي فانك لا تريد به العهد ولا حصر جنس ولا ظهور اتصاف بل تريد أن تقول لصاحبك هل سمعت بالبطل المحامي وهل تصورت حقيقته ما هي فان قتلته علما واحطت به خبرا فعليك بفلان اشدد به يدك فهو ضالتك وعنده بغيتك وطريقته طريقة قولك هل سمعت بالاسد وهل تعرف ما هو فان كنت تعرفه فزيد هو هو بعينه لا حقيقة له وراءه ثم ان دعوى كون زيد حقيقة الاسد مثلا انما يتأتى اذا تصورت تلك الحقيقة في الوهم بصورة تناسب تلك الدعوى فانها لو تركت على حالها لم يكن ادعاء اتحاد زيد بها مستحسنا مقبولا فلذلك قال الشيخ بعد توضيح هذا المعنى وتكثير أمثلته هذا كله على معنى الوهم والتقدير وان تصور في خاطره شيأ لم يره ولم يعلمه ثم تجريه مجرى ما علمه وليس شيء أغلب على هذا الضرب الموهوم من الذي فانه يجيء كثيرا على انك تقدر شيأ في وهمك ثم تعبر عنه بالذي كقوله

أخوك الذي ان تدعه لملمة * يجبك وان تغضب الى السيف يغضب

فتخيل من ذلك بعض الناس ان تعريف الخبر في هذا المعنى ليس تعريف الجنس وقال أطبق الناظرون في هذا الكتاب على انه يريد بذلك تعريف الجنس وينبغي ان تعلم انه اشارة الى معنى آخر لتعريف الخبر وهو فاسد اذ قد ثبت لك انه تعريف جنس اعتبر معه تصوير الحقيقة بصورة وهمية توصلا الى دعوى الاتحاد بينها وبين ما أخبر عنها فهو من فروع الجنس كالحمل على الكمال وكيف لا والتعريف باللام منحصر في العهد والجنس ﴿فان قلت﴾ ظهور الاتصاف بمضمون الخبر ليس شيأ منهما ﴿قلت﴾ هو راجع الى الجنس أيضا كأنه بعد ما جعل خبرا عرف باللام اشارة الى حضور الجنس في الاذهان من حيث انها صفة للمخبر عنه وهذا معنى ظهور اتصافه به وقد اختار العلامة في تعريف المفلحون ذلك المعنى على حصر الجنس لانه أدق وأبلغ فقوله (ما هم) مفعول ثان لتحققوا ومثله لا يسمى تعلية الوجود العمل في المفعول الاول وقوله (وتصوروا بصورتهم الحقيقية) اشارة الى تصوير حقيقة المفلحين بالصورة التي حقها أن يكونوا عليها وقوله (فهم هم) فيه اشارة الى الاتحاد والضمير الاول للمتقين والثاني للمفلحين

لا يعدون تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك هل عرفت الأسد وما جبل عليه من فرط الاقدام ان زيدا هو هو فانظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله أحد على طرق شتى وهي ذكر اسم الاشارة وتكريره وتعريف المفلحين وتوسيط الفصل بينه وبين أولئك ليبصرك مراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا ويثبطك عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب والتمني على الله ما لا تقتضيه حكمته ولم تسبق به كلمته اللهم زينا بلباس التقوى واحشرنا في زمرة من صدرت بذكرهم سورة البقرة والمفلح الفائز بالبغية كأنه الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه والمفلج بالجيم مثله ومنه قولهم للمطلقة استفلحي بأمرك بالحاء والجيم والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذلك أخواته في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى * لما قدم ذكر أوليائه وخالصة عباده بصفاتهم التي أهلتهم لاصابة الزلفى عنده وبين أن الكتاب هدى ولطف لهم خاصة قفى على اثره بذكر أضدادهم وهم العتاة المردة من الكفار الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا يجدي عليهم اللطف وسواء عليهم وجود الكتاب وعدمه وانذار الرسول وسكوته (فان قلت) لم قطعت قصة الكفار عن قصة المؤمنين ولم تعطف كنحو قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وغيره من الآي الكثيرة (قلت) ليس وزان هاتين القصتين وزان ما ذكرت لان الاولى فيما نحن فيه مسوقة لذكر الكتاب وأنه هدى للمتقين وسيقت الثانية لان الكفار من صفتهم كيت وكيت

وقوله (لا يعدون تلك الحقيقة) تأكيد للاتحاد لا تصوير ببيان لحصر المبتدا في الخبر كما ظن حيث قيل اذا جعل اللام للعهد أريد قصر الفلاح عليهم واذا جعلت للجنس أريد قصرهم على صفة الفلاح فانه مخالف للقاعدة المقررة من ان تعريف الخبر بلام الجنس يفيد قصره على المبتدا لا عكسه وان أشعر به كلامه في الفائق حيث قال معنى قوله ان الله هو الدهر ان الله هو الجالب للحوادث لا غير الجالب وذهب رحمه الله تعالى الى ان الحصر في الوجهين للمسند على المسند اليه أو على العهد قصر افراد أو على الجنس قصر قلب الخ وما حققناه هو المعول عليه ﴿فان قلت﴾ اذا ادعى ان المتقين عين حقيقة المفلحين فلا يتصور هناك حصر أصلا فكيف استعمل فيه ضمير الفصل ﴿قلت﴾ قد يجرد لتمييز الخبر عن النعت وتأكيد الحكم اما معا أو لاحدهما وكذا اذا أريد حصر المبتدا في الخبر وتوسط بينهما كقولك الكرم هو التقوى أي لا كرم الا التقوى وأما اذا كان الخبر المعرف مفيدا لحصر الجنس في المبتدا كان الفصل مؤكدا كقولك زيد هو الامير (قوله فانظر كيف) لما كان النظر وسيلة الى العلم كان متضمنا لمعناه فجاز ايقاعه على الاستفهام معلقا عنه وقوله عز من قائل كقولك عز قائلا هو تمييز عن النسبة أي عز قائليه أو حال على ان المراد بقائل الجنس أي عز قائلا من القائلين (قوله على طرق شتى) متعلق بكرر التنبيه باسم الاشارة وتكريره لما عرفت من انه بمنزلة اعادة الوصف وتعليق الحكم به وان تكريره يدل على اختصاص كل واحد من الهدى والفلاح بهم واما بتعريف المفلحين فعلى العهد ظاهر سواء اعتبر فيه حصر أولا وأما على الجنس فلأن المقصود هو الاتحاد بتلك الحقيقة وذلك أبلغ من الاختصاص واما بتوسط الفصل فمن حيث دلالته على الحصر أو تأكيد الحكم (قوله ويثبطك الخ) يشير الى أن أصحاب الكبائر لا يفوزون بالشفاعة والنجاة من العقوبة ودخول الجنة وانهم مخلدون في النار تعريض بأهل السنة حيث يطمعون في ذلك والجواب ان المقصود اختصاصهم بالكامل من الهدى والفلاح فلا يلزم من ذلك ان لا يكون لغيرهم هدى ولا فلاح أصلا (قوله استفلحي) من كنايات الطلاق أي فوزي واستقلي بأمرك (قوله على معنى الشق) يقال فلحت الارض أي شققت والحديد بالحديد يفلح أي يشق ويقطع ومنه الفلاحة بمعنى الحراثة (قوله فلق) شق وفلذ قطع وفلى فرق الشعر لطلب القمل (قوله قفى على اثره) يقال قفيته به وقفيت به على اثره أي اتبعته اياه وفي قوله سواء عليهم وجود الكتاب وعدمه اشارة الى التناسب بين القصتين الذي حسن به تعقيب احداهما بالاخرى زيادة حسن وان لم يصلح

فبين الجملتين تباين في الغرض والاسلوب وهما على حد لا مجال فيه للعاطف (فان قلت) هذا اذا زعمت ان الذين يؤمنون جار على المتقين فاما اذا ابتدأته وبنيت الكلام لصفة المؤمنين ثم عقبته بكلام آخر في صفة أضدادهم كان مثل تلك الآي المتلوة (قلت) قد مر لي أن الكلام المبتدأ عقيب المتقين سبيله الاستئناف وأنه مبني على تقدير سؤال فذلك ادراج له في حكم المتقين وتابع له في المعنى وان كان مبتدأ في اللفظ فهو في الحقيقة كالجاري عليه

مصحح للعطف بينهما (قوله فبين الجملتين تباين في الغرض والاسلوب) أما التباين في الاول فلان الغرض من الاولى بيان بلوغ الكتاب غاية الكمال في الهداية تقريرا لكونه يقينا لا مجال فيه للشك وتحقيقا لكونه ذلك الكتاب الكامل في جنسه المتحدى باعجازه ومن الثانية بيان اصرار الكفار على ما هم عليه من الكفر والضلال وانه لا يجدي عليهم الالطاف والانذار وأما التباين في الثاني أي الاسلوب وهو الفن والطريق فلان طريق الاداء في الاولى أن يحكم على الكتاب مع حذفه لفظا بانه هدى للمتقين قيدا لما حكم به عليه وفي الثانية أن يحكم على الكفار قصدا مع ذكرهم لفظا وصدرت بان اشعارا بالانقطاع والشروع في فن آخر لا يقال الجملتان مسوقتان لبيان حال الكتاب فالاولى لبيان انه هدى للمتقين والثانية لبيان انه ليس هدى لاضدادهم فهما على حد يحسن العطف بينهما (لانا نقول) الذي سيق له الثانية هو الحكم على الكفار بالاصرار وان وجود الانذار وعدمه سواء عليهم وأما ان الكتاب بحيث لا يجديهم فمعلوم تبعا لا قصدا ولو كان مقصودا لم يحسن العطف أيضا لان الانتفاع به صفة كمال له يؤيد ما سيق له الكلام في المقام من تفخيم شأنه وارتفاع مكانه بخلاف عدم الانتفاع (قوله فهو في الحقيقة كالجاري عليه) يعني انه وان كان في صورة كلام مستقل منقطع عما قبله حيث جعل مبتدأ لفظا مخبرا عنه باولئك لكنه مرتبط به ارتباطا معنويا صار به من تتمة ما قبله متصلا به اتصال التابع بمتبوعه فكما لا يصح العطف على تقدير كونه موصولا اما صفة مجرورة أو مخصوصا منصوبا أو مرفوعا لم يصح أيضا على تقدير كونه منقطعا وانما قال كالجاري عليه اشارة الى الفرق بين المستأنف والمخصوص نصبا أو رفعا فان المخصوص وان لم يكن جاريا على متبوعه صورة فهو جار عليه حقيقة فانه مسوق لاثبات مفهومه للمنعوت الذي قطع هو عن اعرابه بخلاف المستأنف الذي سيق للحكم عليه بالهدى والفلاح وانما يفهم ثبوته للمتقين ضمنا فهو كالجاري في الاتصال وعدم الاستقلال وذلك لانه مبني على السؤال المبني على ما نشأ منه أي من مستتبعاته فاذا لم يصلح لذلك ما هو من توابعه وروادفه لم يصلح هو لذلك (فان قلت) يرد عليه الوجه الاخير وهو أن يجعل والذين يؤمنون مبتدأ خبره أولئك على هدى فانها حينئذ جملة مستقلة من وصف المؤمنين جاءت معطوفة على ما تقدمها فليعطف عليها جملة وصف الكافرين (قلت) يندفع بانه بنى الكلام ههنا على الوجه المرضي وما ذكرته وجه ضعيف كما لوح اليه بل ربما يستدل بهذا البناء على ضعفه وأيضا قد عرفت ان هذه الجملة محمولة على التعريض وان معناها على ما حققناه يناسب وصف الكتاب بالكمال ولذلك جاز عطفها على سابقتها وأما جملة ان الذين كفروا فلا مدخل لها في ذلك فلا وجه للعطف فيما هذا وقد زعم بعضهم ان خلاصة الجواب المذكور في الكتاب ان الذين يؤمنون بالغيب الى ساقته استئناف وقع جوابا عن سؤال وقوله ان الذين كفروا لا يصلح أن يكون جوابا عن ذلك السؤال فامتنع العطف لذلك ورد بانه مع كونه غير كلام المصنف غير مستقيم فانه اذا قيل ما بال المتقين مخصوصين بكون الكتاب هدى لهم دون من عداهم حسن غاية الحسن أن يقال لان الموصوفين بتلك الصفات أحقاء بذلك والكفار المصرين لا ينتفعون به بل مستو عليهم وجود الكتاب وعدمه فان هذا المعطوف يؤكد اختصاصهم بالهدى عن غيرهم وتوهم آخرون في الآية انه ترك العطف لانه استئناف آخر كأنه قيل ثانيا ما بال غيرهم لم يهتدوا به فأجيب بانهم لاعراضهم وزوال استعدادهم لم تنجع فيهم دعوة الكتاب الى الايمان ورد بانه بعد ما تقرر ان تلك

* والتعريف في (الذين كفروا) يجوز أن يكون للعهد وأن يراد بهم ناس بأعيانهم كأبي لهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة وأضرابهم وأن يكون للجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوي بعده وغيرهم ودل على تناوله للمصرين الحديث عنهم باستواء الانذار وتركه عليهم و (سواء) اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر ومنه قوله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم في أربعة أيام سواء للسائلين بمعنى مستوية وارتفاعه على أنه خبر لان وأأنذرتهم أم لم تنذرهم في موضع المرتفع به على الفاعلية كأنه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه كما تقول ان زيدا مختصم أخوه وابن عمه أو يكون أأنذرتهم أم لم تنذرهم في موضع الابتداء وسواء خبرا مقدما بمعنى سواء عليهم انذارك وعدمه والجملة خبر لان (فان قلت) الفعل أبدا خبر لا مخبر عنه

الاوصاف المختصة هي المقتضية لذلك السؤال لم يبق لهذا السؤال وجه وقيل ترك العطف لغاية الاتحاد والاتصال وهو أيضا مردود بأن شرح تمرد الكفار لا يؤكد كون الكتاب كاملا في الهداية (قوله والتعريف في الذين كفروا) وذلك ان تعريف الذي من بين الموصولات كتعريف ذي اللام في كونه للعهد تارة والجنس أخرى سواء جعلت من المعرف باللام كما ذهب اليه شرذمة من النحاة أولا كما عليه المحققون والوجه في العهد ان هؤلاء أعلام الكفر المشهورون به فهم لذلك كالحاضرين في الاذهان فاذا أطلق اللفظ التفت اليهم واذا حمل على الجنس يعم الكفار الا ان الاخبار عنهم بما يدل على الاصرار دل على ان المراد هم المصرون فقط فيكون اللفظ عاما مقصورا على بعض افراده بقرينة الخبر ﴿لا يقال﴾ المصنف لم يذهب الى ان الجمع المحلى بلام الجنس للاستغراق بل هو عنده للاطلاق الصالح للكل والبعض حيث صرح في قوله تعالى اذا طلقتم النساء انه لا عموم ولا خصوص في النساء ولكنه اسم جنس وفي قوله تعالى والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء بأن اللفظ مطلق في تناول الجنس صالح لكله وبعضه فجاء في أحد ما يصلح له يعني في ذوات الاقراء كالاسم المشترك ﴿لانا نقول﴾ هو لا يمنع صلوحه للعموم بل يمنع ظهوره فيه كما هو مذهب أصحاب الاصول فذهب ههنا المصنف الى ان هذا الصالح للعموم مستعمل فيه ومقصور على البعض بواسطة القرينة وفيه انه تطويل للمسافة بلا طائل وقيل المختار عنده ان مثل هذا الجمع للعموم وأما كونه للاطلاق فشيء ذكره في بعض المواضع من هذا الكتاب وهو مردود بالنص المنقول منه وأما تفسيره للجمع المعرف باللام بمعنى الاستغراق فذلك لاستفادته منها بمعونة المقام لا لظهورها فيه ولا معونة للمقام ههنا فالصحيح انه أراد كونه مطلقا في تناول الجنس صالحا بحسب مفهومه لان يراد به كله وبعضه لكن الخبر دل على تقييده فقوله متناولا كل من صمم لم يرد به الشمول بل التناول بحسب الاطلاق نظرا الى اللفظ وحده واذا اعتبرت القرينة معه دلت على تناوله بحسب الارادة للمصرين فقط ومعنى لا يرعوي لا ينزجر ولا يمتنع (قوله كما يوصف بالمصادر) أي كما تجري المصادر على ما تتصف بها كذلك سواء يجري على ما يتصف بالاستواء أي يجعل له وصفا معنويا أو نعتا نحويا كما في كلمة سواء وأربعة أيام سواء بالجر والمشهور هو النصب وأما غيره كما في هذه الآية فان سواء ههنا في موقع مستو اما خبرا عما قبله ومسندا الى ما بعده كما يسند الفعل الى فاعله فيجب حينئذ توحيده واما خبرا عما بعده فيكون ترك تثنيته لجهة المصدر وكأنه نبه على ذلك حيث قال أولا مستو عليهم وثانيا سواء عليهم واختار بعضهم الوجه الثاني لانه اسم غير صفة فالاصل فيه أن لا يعمل وأيضا المقصود من الوصف بالمصادر المبالغة في بيان محالها كأنها صارت غير ما قام بها فمعنى قولنا زيد عدل أنه عين العدل كأنه تجسم منه واذا أولت بمعنى اسم الفاعل كمستو مثلا فات ذلك المقصود وكذا ان حملت على حذف المضاف (قوله الفعل أبدا خبر) لما حكم بأن قوله تعالى أأنذرتهم أم لم تنذرهم مرتفع المحل اما على الفاعلية أو على الابتداء مع تقدم الخبر توجه عليه أسئلة الاول ان الفعل كيف وقع مخبرا عنه ومسندا اليه الثاني انه اذ كره يبطل تصدر الاستفهام الثالث

---

* قوله تعالى سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم (قال محمود رحمه الله والهمزة وأم مجردتان لمعنى الاستواء الخ) قال أحمد رحمه الله وحاصل هذا النقل استعمال الحرف في أعم معناه فالهمزة المعادلة لام موضوعة في الاصل للاستفهام عن أحد متعادلين في عدم علم التعين فنقلت الى مطلق المعادلة وان لم يكن استفهاما واستعملت في الجزء المحقق وكذلك حرف النداء موضوع في الاصل لتخصيص المنادى بالدعاء ثم نقل الى مطلق التخصيص ولا نداء كما يكون المجاز بالتخصيص والقصر مثل تخصيص الدابة بذوات الاربع وان كانت في الاصل لكل ما دب فقد يكون بالتعميم والتعدي مثل تسمية الرجل الشجاع أسدا نقلا لهذا الاسم من موصوف بالشجاعة مخصوص وهو الحيوان المعروف الى كل موصوف بتلك الصفة غير مقصورة على محلها الاصلي * قوله تعالى ختم الله على قلوبهم الآية

فكيف صح الاخبار عنه فى هذا الكلام (قلت) هو من جنس الكلام المهجور فيه جانب اللفظ الى جانب المعنى وقد وجدنا العرب يميلون فى مواضع من كلامهم مع المعانى ميلا بينا من ذلك قولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن معناه لا يكن منك أكل السمك وشرب اللبن وان كان ظاهر اللفظ على ما لا يصح من عطف الاسم على الفعل والهمزة وأم مجردتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام رأسا قال سيبويه جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء قولك اللهم اغفر لنا أيتها العصابة يعنى أن هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام كما أن ذلك جرى على صورة النداء ولا نداء ومعنى الاستواء استواؤهما فى علم المستفهم عنهما لانه قد علم أن أحد الامرين كائن اما الانذار واما عدمه ولكن لا بعينه

ان الهمزة وأم موضوعان لاحد الامرين وما يسند اليه سواء يجب أن يكون متعددا فصرح بالسؤال الاول وأجاب عنه وعقبه بما هو جواب عن الاخيرين (قوله فكيف صح الاخبار عنه) أى عن الفعل قيل المخبر عنه ههنا هو الجملة لا الفعل وحده فقد جعل الفعل مع فاعله المضمر فعلا وهو شائع فى عباراتهم ولا حاجة الى ذلك لان الاخبار فيما نحن فيه انما هو عن الفعل وأما فاعله فهو قيد للمخبر عنه لا جزء منه (قوله المهجور فيه جانب اللفظ) فان الفعل اذا نظر الى لفظه واعتبر معناه على ما يقتضيه ظاهره امتنع الاخبار عنه لكن هجر ههنا مقتضى لفظه وأول بمعنى مصدر مضاف الى فاعله فلذلك صح أن يخبر عنه وقوله (مع المعانى) من قبيل التضمين أى يميلون دائرين معها ولا يلتفتون الى ما تقتضيه ظواهر ألفاظها (قوله من ذلك قولهم) فانه ان أجرى على ظاهره لزم عطف الاسم وهو تشرب بالنصب على الفعل بل عطف مفرد على جملة لا محل لها فهو من قبيل ما هجر فيه جانب لفظه الى معناه من حيث انه أول لا تأكل السمك بما فيه اسم يصلح لان يعطف عليه أن تشرب أى لا يكن منك أكل السمك وشرب اللبن لا من حيث انه جعل لا تأكل فى تأويل المصدر على قياس قوله أم لم تنذرهم فان الفرق بين ﴿فان قلت﴾ هذه الواو بمعنى مع اذ المنهى عنه هو الجمع فلو جعل ما بعدها مفعولا معه كما فى قولك ما صنعت واباك لاستغنى عن التأويل ﴿قلت﴾ بل يحتاج اليه أيضا لان ما بعد الواو لا يصلح لمصاحبة معمول لا تأكل بل لمصاحبة معمول فعل يئال اليه أى لا يكن منك أكل السمك مع شرب اللبن (قوله والهمزة وأم) هذا مع كونه تفسيرا لمعنى الآية يتضمن فائدتين الاولى تأكيد الجواب عن السؤال الاول وذلك لان تجريد الهمزة وأم لما ذكره من معنى الاستواء هجر عن جانب اللفظ الثانية دفع السؤالين الباقيين تقريره ان هاتين الكلمتين قد انسلخ عنهما ههنا معنى الاستفهام بالمرة حتى زال عنهما الدلالة على أحد الامرين وصارتا لمجرد معنى الاستواء فان اللفظ الحامل لمعنيين قد يجرد لاحدهما و يستعمل فيه وحده كما فى صيغة النداء فانها كانت للاختصاص الندائى فجردت لمطلق الاختصاص وفى هذه الآية كما خولف لفظ الفعل وأريد به الحدث مضافا الى فاعله فصح الاخبار عنه كذلك خولف لفظ الهمزة وأم فجردتا عن معنى الاستفهام لمعنى الاستواء فبطل اقتضاء صدر الكلام وزال كونهما لاحد الامرين ﴿لا يقال﴾ فعلى ما ذكرتم يؤول المعنى الى ان المستويين سواء وانه تكرار بلا حاصل ﴿لانا نقول﴾ بل المعنى ان المستويين فى صحة الوقوع مستويان فى عدم النفع وتحريره ان هاتين الكلمتين يدلان على الاستفهام واستواء الامرين فى العلم بالوقوع وبصحته أيضا فنقلتا الى مجرد استوائهما فى صحة الوقوع من غير استفهام واعتبار علم وأخبر عنهما بسواء على انه مقيد بعدم النفع أو بما يجرى مجراه مما يناسب المقام (قوله ومعنى الاستواء) أراد به ان هذا معناهما فى أصلهما ليظهر تضمنهما للاستواء فيصح الحكم بتجريدهما الا ان الاستواء فى علم المستفهم مقصود منهما كيف وهما بعد التجريد لا يقعان فى كلام المستفهم وقيل أراد به ان الاستواء الذى جردتا له هو استواؤهما فى علم المستفهم عند استعمالهما فى الاستفهام وههنا قد ذهب الاستفهام وبقى الاستواء فى العلم وهذا أقرب الى الحقيقة وأليق بقوله مجردتان لمعنى الاستواء منسلخا عنهما معنى الاستفهام لاقتضائه أن يكون المراد بهما

فكلاهما معلوم بعلم غير معين * وقرئ (أأنذرتهم) بتحقيق الهمزتين والتخفيف أعرب وأكثر وبتخفيف الثانية بين بين وبتوسيط ألف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه وإلقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ قد افلح

هو الاستواء الذي كان مع الاستفهام والا لم يكن تجريدا عن مجرد الاستفهام فالمستفاد منهما هو الاستواء في علم المستفهم والمستفاد من سواء هو الاستواء فيما سيق له الكلام كأنه قيل المستويان في علمك مستويان في عدم الجدوى وهذا ما نقل عن المصنف من ان معناه ما استوى فيه علمك حتى اشتغلت به مستو في عدم التأثير كأنه سأل ربه أأنذرهم أم لا فقيل له ذلك ومحصول هذا المنقول ان هناك سؤالا مقدرا أوقع هذا الكلام تنبيه فأشير الى الاستواء في علم ذلك المستفهم وحكى بعض المحققين عن أبي علي أن الفعلين مع الحرفين في تأويل اسمين بينهما واو العطف لان ما بعد كلمتي الاستفهام مثل قولك أقمت أم قعدت متساويان في علم المستفهم فاذا قيل سواء علي أقمت أم قعدت فقد أقيما مقام المستويين وهما قيامك وقعودك كما أقيم لفظ النداء مقام الاختصاص وعلى هذا يكون الواقع موقع الفاعل أو المبتدا مجموع الفعلين مع الحرفين ثم اختار ان سواء في مثله خبر مبتدا محذوف تقديره الامران سواء علي ثم بين الامرين بقوله أقمت أم قعدت وهذان الفعلان في معنى الشرط والجملة الاسمية السابقة دالة على جوابه أي ان قمت أو قعدت فالامران سواء علي ألا ترى ان الماضي المذكور في مثله يفيد معنى المستقبل وما ذاك الا لتضمنه معنى الشرط ولذلك استوى عن الاخفش على ما حكى عنه في الحجة أن يقع بعدهما الابتدائية وأما قوله تعالى سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون فلتقدم الفعلية والا لم يجز واستقبح أيضا وقوع المضارع بعدهما وذلك لان افادة الماضي معنى الاستقبال أدل على ارادة معنى الشرط ويؤيده ان ما جاء في التنزيل من هذا القبيل جاء على صيغة الماضي وانما افادت الهمزة فائدة ان الشرطية لان كلمة ان تستعمل في الاغلب في أمر مفروض مجهول الوقوع وكذلك حرف الاستفهام يستعمل فيما لم يتيقن حصوله فجاز قيامها مقامها مجردة عن معنى الاستفهام وكذا أم جردت عن معناها وجعلت بمعنى أو لانها مثلها في افادة أحد الشيئين قال ويرشدك الى أن سواء ساد مسد جواب الشرط لا خبر مقدم ان معنى سواء علي أقمت أم قعدت ولا أبالي أقمت أم قعدت واحد في الحقيقة ولا أبالي ليس خبر المبتدا بل المعنى ان قمت أو قعدت فلا أبالي بهما وكذا يرشدك اليه قوله

سيان عندي ان بروا وان فجروا * فليس يجري على أمثالهم قلم

وقوله

أدرت في هذه الدنيا وساكنها * طرفي فأبصرت دارا ما بها ارم

الواجدون غني والعادمون نهى * ايس الذي وجدوا مثل الذي عدموا

ليسوا وان وجدوا عيشا سوى نعم * ورعيا نعمت في مثلها نعم

وانما خص استعمال الهمزة وأم في هذا المعنى بما بعد سواء ولا أبالي وما يجري مجراهما لان المراد التسوية في الشرط بين أمرين فاشترط فيما يقع موقع الجزاء أن يشتمل على معنى الاستواء قضاء لحق المناسبة ولهذا وجب تكرير الشرط ولم يصح لا أبالي أقام زيد فعلى ما اختاره هذا الفاضل تكون الجملة الشرطية خبر ان والمعنى ان الذين كفروا ان أنذرتهم أو لم تنذرهم فهما سواء عليهم (قوله بعلم غير معين) صح بكسر الياء في نسخة المصنف على صيغة اسم الفاعل أي بعلم لا يفيد التعيين فيكونان مستويين في العلم بهما والمستفهم طالب لتعيين أحدهما (قوله والتخفيف أعرب) أي أفصح وأدخل في العربية من تحقيق الهمزتين وهو جملة معترضة وقوله وبتخفيف الثانية شروع في بيان ما ذكر انه أعرب (قوله وبحذف حرف الاستفهام) هذه وما بعدها من الشواذ والباقية من السبع المتواترة وانما جعل المحذوف همزة الاستفهام لكثرة حذفها كما في بيت الكتاب * بسبع رمين الجمر أم بثمان * دون همزة الافعال (قوله والقاء حركته) المتبادر من هذه العبارة انه أراد القاء حركة ذلك المحذوف أعني حرف الاستفهام

أأنذرتهم أم لم تنذرهم

لا يؤمنون ختم الله على
قلوبهم وعلى سمعهم
وعلى أبصارهم

(فان قلت) ماتقول فيمن يقلب الثانية ألفا (قلت) هو لاحن خارج عن كلام العرب خروجين أحدهما
الاقدام على جمع الساكنين على غير حده وحده أن يكون الاول حرف لين والثانى حرفا مدغما نحو قوله
الضالين وخويصة والثانى اخطاء طريق التخفيف لان طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ماقبلها
أن تخرج بين بين فأما القلب ألفا فهو تخفيف الهمزة الساكنة المفتوح ماقبلها كهمزة رأس والانذار
التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصى (فان قلت) ماموقع (لا يؤمنون) (قلت) اما أن يكون جملة
مؤكدة للجملة قبلها أو خبرا لان والجملة قبلها اعتراض * الختم والكتم أخوان لان فى الاستيثاق من الشئ
بضرب الخاتم عليه كتماله وتغطية لئلا يتوصل اليه ولا يطلع عليه * والغشاوة الغطاء فعالة من غشاه اذا
غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشئ كالعصابة والعمامة (فان قلت) مامعنى الختم على القلوب والاسماع
وتغشية الابصار (قلت) لاختم ولا تغشية ثم على الحقيقة وانما هو من باب المجاز ويحتمل أن يكون من كلا
نوعيه وهما الاستعارة والتمثيل أما الاستعارة فأن تجعل قلوبهم لان الحق لا ينفذ فيها

فتصير القراءة عليهم أنذرتهم بحركة الميم والهمزة جميعا وهى مع كونها غير مروية عن أحد مخالفة للقياس
وموجبة للنقل فلذلك قيل ان الضمير انما هو راجع الى الحرف الذى بعد حرف الاستفهام فتكون القراءة
عليهم انذرتهم بفتح الميم مع سكون النون بلا همزة أصلا ويشهد له قوله كما قرئ قد افلح (قوله هو لاحن
خارج خروجين) اعتذر عن الاول بأن من قلب الهمزة ألفا اشبع الالف مقدارا زائدا على المعتاد ليكون
ذلك فاصلا بين الساكنين كما ذكر فى قراءة من قرأ محياى بسكون الياء وصلا وعن الثانى بأن المتحركة
قد تقلب ألفا على الشذوذ كقول حسان * سالت هذيل رسول الله فاحشة * وقول الفرزدق
* فارعى فزارة لاهناك المرتع * والشاذ لا يكون خارجا عن كلام العرب وهذه القراءة من قبيل الاداء
ورواية المصريين عن ورش وغيرهم روى عنه التسهيل بين بين كالقياس فلا يكون الطعن فيها لطعنا فيما هو
فى السبع المتواترة على ان المصنف لا يبالى بذلك أيضا (قوله جملة مؤكدة للجملة قبلها) جعل لا يؤمنون
تأكيدا أو بيانا للاستواء فى عدم الاجداء أولى من أن يجعل خبرا وماقبله اعتراضا لان ماتقدمه أقوى
وأظهر فى افادة ماسيق له الكلام فبالحرى أن تكون عمدة فيه لا معترضة مستغنى عنها فان جعل
لا يؤمنون خبرا كان له محل من الاعراب وكذا ان جعل بيانا للجملة قبله ان أجرى مجرى التوابع هذا
اذا كان ماقبله جملة وان قدر انه اسم فاعل مع فاعله تعين أن يكون لا يؤمنون تقريرا أو بيانا لمضمونه
لان الاعتراض عنده لا يكون الا جملة لا محل لها (قوله اخوان) أى متشاركان فى العين واللام ومتناسبان
فى المعنى كما بينه بقوله لان فى الاستيثاق الخ وقد أشار فى السؤال الى اندراج الاسماع فى حكم الختم كما
سيصرح به ويؤيده وفى قوله لاختم ولا تغشية ثم على الحقيقة رد على من زعم ذلك من أصحاب الظاهر
وأراد بباب المجاز مايكون علاقته المشابهة لا مايتناول المرسل وذلك ليحصر فى هذين النوعين كما يقتضيه
ظاهر عبارته وبالاستعارة المجاز المبنى على المبالغة فى تشبيه مفرد بمفرد وبالتمثيل مابنى من المجاز على تشبيه
هيئة منتزعة من أمور عدة بهيئة مثلها وتسمى مجازا مركبا وأجزاء هذا المركب وان كان لها مدخل
فى انتزاع وجه الشبه الا انه ليس فى شئ منها على انفراده تجوز باعتبار هذا المجاز المتعلق بمجموعها بل
هى باقية على حالها من كونها حقيقة أو مجازا كما حقق فى موضعه فظهر ان المجاز المبنى على التشبيه
ينقسم عند المصنف الى هذين القسمين كما ذكر فى الايضاح ويوافقه كلام الشيخ عبد القاهر وكثير
من القدماء وقد تقرر فى هذا الكتاب الفرق بينهما حيث قال فى قوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا
يجوز أن يكون تمثيلا وان يكون استعارة وجعل السكاكى التمثيل بالمعنى المذكور نوعا من الاستعارة
التى أراد بها المجاز الذى مبناه على المشابهة وميزه عن النوع الآخر بأن سماه استعارة تمثيلية ولا مناقشة
فى الاصطلاحات لكن يجب التنبيه عليها كيلا يغلط فى المعانى باختلافها (قوله اما الاستعارة فأن تجعل)

ولا يخلص الى ضمائرها من قبل اعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده واسماعهم لانها تمجه وتنبو عن الاصغاء اليه وتعاف استماعه كانها مستوثق منها بالختم وأبصارهم لانها لا تجتلى آيات الله المعروضة ودلائله المنصوبة كما تجتليها أعين المعتبرين المستبصرين كانما غطى عليها او حجبت وحيل بينها او بين الادراك وأما التمثيل فان تمثل حيث لم يستنفعوا بها فى الاغراض الدينية التى كلفوها وخلقوا من أجلها بأشياء ضرب حجاب بينها او بين الاستنفاع بها بالختم والتغطية

حاصل ماذكره فى الاستعارة ان لفظ الختم استعير من ضرب الخاتم على نحو الاوانى لاحداث هيئة فى القلب والسمع مانعة من خلوص الحق اليهما كما يمنع نقش الخاتم على تلك الظروف من نفوذ ما هو بصدد الانصباب فيها فيكون استعارة محسوس لمعقول بجامع عقلى هو الاشتمال على منع القابل عما من شانه وحقه أن يقبله ثم اشتق من الختم المستعار صيغة الماضى ففى ختم استعارة تصريحية تبعية وقوله (من قبل اعراضهم واستكبارهم) اشارة الى الهيئة الحادثة فى القلوب المانعة من ان ينفذ فيها الحق ويخلص الى ضمائرها ففيه تنبيه على المشبه وعلى وجه التشبيه كما ان قوله (لانها تمجه وتنبو) ايماء اليهما الا ان مج الاسماع الحق ونبوها عن الاصغاء اليه وكراهتها الاستماع به يدل على عدم نفوذه فيها لاجل هيئة حادثة فيها مانعة من النفوذ ويلزم من التشبيه الذى تتضمنه هذه الاستعارة تشبيه القلوب والاسماع بالاوانى لكنه تابع لذلك التشبيه ولا يمكن أن يقصد ابتداء فبطل ما توهم من ان القلوب والاسماع استعارة بالكناية والختم تخييل وكيف لا وسيرد عليك ان رد التبعية فى أمثال هذه الصور الى المكنية كما ذهب اليه السكاكى مما لا يستحسن أصلا ومن ههنا يعلم ان قوله (فان تجعل قلوبهم وأسماعهم كانها مستوثق منها بالختم) لا يدل على ان المقصود تشبيه القلوب والاسماع كما يتبادر اليه الوهم بل هو بمنزلة ان يقال تجعل الحال لكونها دالة على كذا كانها ناطقة به مع ان المراد تشبيه دلالتها بالنطق لا تشبيهها بالناطق وان لفظ الغشاوة استعير من معناه الاصلى لحالة فى أبصارهم مقتضية لعدم اجتلائها آيات الله ودلائله فهو استعارة مصرح بها أصلية من محسوس لمعقول والجامع ماذكر فى تلك التبعية ودعوى كون الابصار استعارة مكنية باطلة أيضا لما مر ألا ترى انه حكم بأن الختم والتغشية من باب المجاز ومحصول ما قرره فى التمثيل أن تشبيه حال قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم مع الهيئة الحادثة فيها المانعة من الانتفاع بها فى الاغراض الدينية التى خلقت هذه الآلات لاجلها بحال أشياء معدة للانتفاع بها فى مصالح مهمة مع المنع عن ذلك بالختم والتغطية ثم يستعار للمشبه اللفظ الدال على المشبه به فيكون كل واحد من طرفى التشبيه مركبا من عدة أمور والجامع عدم الانتفاع بما أعد له بسبب عروض مانع يكون فيه كالمانع الاصلى وهو أمر عقلى منتزع من تلك العدة فتكون الاستعارة حينئذ تمثيلية وليس الاسناد الى الخاتم والمغشى فى هاتين الجملتين الاسمية والفعلية مدخل فى هذا القبيل كما لا مدخل له فى اراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى ﴿فان قيل﴾ اذا استعير اللفظ من حالة مركبة لاخرى مثلها وجب أن يكون ذلك اللفظ مركبا قطعا اذ لا يراد بالمعنى المركب ههنا ماله أجزاء فى نفسه بل ما دل عليه بلفظ مركب فان معنى كل واحد من الاسد والجبل والارض من المعانى المفردة التى تلاحظ ملاحظة واحدة بألفاظ مفردة وان كانت مشتملة على أجزاء متكثرة واذا قصد تلك الاجزاء بألفاظ متعددة متألفة كانت معانى مركبة بلا شبهة وعلى هذا كيف يمكن حمل الآية على التمثيل وليس فيها لفظ مركب مستعار من المشبه به للمشبه بل ههنا لفظان مفردان صالحان للاستعارة فقط ﴿قلنا﴾ اذا حمل ما نحن فيه على الاستعارة كان المستعار لفظا مفردا كما مر تحقيقه واذا حمل على التمثيل كان المستعار لفظا مركبا بعضه ملفوظ وبعضه منوى فى الارادة وسنطلعك على ان ملاحظة المعانى قصدا انما بألفاظ مذكورة أو مقدرة فى نظم الكلام أو منوية بلا ذكر ولا تقدير فيه وانما صرح بالختم وحده وبالغشاوة وحدها لانهما الاصل فى تلك

(قال محمود رحمه الله ان قلت كيف أسند الختم الى الله تعالى الخ) قال أحمد رحمه الله هذا أول عشواء خبطها فى مهواة من الاهواء هبطها حيث نزل من منصة النص الى حضيض تأويله ابتغاء الفتنة استبقاء لما كتب عليه من المحنة فانطوى كلامه هذا على ضلالات أعدها وأردها * الاولى مخالفة دليل العقل على وحدانية الله تعالى ومقتضاه انه لا حادث الا بقدرة الله تعالى لا شريك له والامتناع من قبول الحق من جملة الحوادث فوجب انتظامه فى سلك متعلقات القدرة العامة التعلق بالكائنات والممكنات * الثانية مخالفة دليل النقل المضاهى لدليل العقل كامثال قوله تعالى الله خالق كل شئ هل من خالق غير الله وهذه الآية أيضا فان الختم فيها مسند الى الله تعالى نصا والزمخشرى رحمه الله لا يأبى ذلك ولكنه يدعى الالتجاء الى تأويله الدليل قام عنده عليه فاذا أثبت ان الدليل العقلى على وفق ما دلت عليه وجب عليه ابقاؤها على ظاهرها بل لو وردت على خلاف ذلك ظاهرا لوجب تأويلها بالدليل جمعا بين العقل والنقل * الثالثة الفرار من نسبة ما اعتقده قبيحا الى الله تعالى تنزيها على زعمه ان الاشراك به فى اعتقاد ان الشيطان هو الذى يخلق الختم والكافر يخلقه لنفسه بقدرته على خلاف مراد ربه فلقد استوخم من السنة المناهل العذاب وورد من حميم البدعة موارد العذاب * الرابعة الغلط باعتقاد ان ما يقبح شاهدا يقبح غائبا فلما كان المنع من قبول الحق قبيحا فى الشاهد وجب على زعمه أن يكون قبيحا من الغائب وهذه قاعدة قد فرغ من بطلانها فى فنها * الخامسة اعتقاده ان ذلك لو فرض وجوده بقدرة الله تعالى لكان ظلما

وقد جعل بعض المازنيين الحبسة فى اللسان والعى ختما عليه فقال

ختم الاله على لسان عذافر * ختما فليس على الكلام بقادر

واذا أراد النطق خلت لسانه * لحما يحركه لصقر ناقر

(فان قلت) فلم أسند الختم الى الله تعالى واسناده اليه يدل على المنع من قبول الحق والتوصل اليه بطرقه وهو قبيح والله يتعالى عن فعل القبيح علوا كبيرا لعلمه بقبحه وعلمه بغناه عنه وقد نص على تنزيه ذاته بقوله وما أنا بظلام للعبيد وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ان الله لا يأمر بالفحشاء ونظائر ذلك مما نطق به التنزيل

الحالة المركبة فقد لاحظنا باقى الاجزاء قصدا بألفاظ مفصلة اذ لا بد فى التركيب من ملاحظات قصدية متعلقة بتلك الاجزاء ولا سبيل الى ذلك الا بتفصيل ألفاظ بازائها كما يقتضيه جريان العادة ويشهد به رجوعك الى وجدانك ومن فوائد هذه الطريقة جواز الحمل على كل واحد من الاستعارة والتمثيل فعلى الاول يكون التجوز فى لفظى ختم وغشاوة وعلى الثانى لا تجوز فيهما بل فى المجموع المركب منهما ومن المنوى معهما (قوله وقد جعل بعض المازنيين) هذا بحسب ظاهره تأييد للاستعارة فانه لما جاز أن يستعار الختم للحبسة التى لا يفوت معها بالكلية ما هو المقصود أعنى النطق كان استعارته لتلك الهيئات المانعة عن المقاصد بالمرة أولى بالجواز لكن تأخيره عن التمثيل يقتضى أن يؤيده أيضا فيقال حينئذ لا يقتصر فى التشبيه على مجرد معنى الحبسة كما فى الاستعارة بل يعتبر معه حالة مخصوصة مركبة من أمور متعددة على قياس ما مر تجويزه وفى البيت الثانى نوع اشعار باعتبار التركيب (قوله فلم أسند) تفريع هذا

والله تعالى منزه عن الظلم بقوله تعالى وما أنا بظلام للعبيد ومن الظلم البين جهل حقيقة الظلم فانه التصرف فى ملك الغير بغير اذنه فكيف يتصور ثبوت حقيقته لله تعالى وكل مفروض محصور بسور ملكه عز وجل الملك لله الواحد القهار * السادسة انه فر من اعتقاد نسبة الظلم الى الله تعالى فتورط فيه الى عنقه لانه قد جزم بان المنع من قبول الحق لو كان من فعل الله تعالى

لكان ظلما فيقال له وقد قام البرهان على انه من فعل الله تعالى فيلزمك أن يكون ظلما تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا والخيال الذى يدندن حوله هؤلاء أن أفعال العبد لو كانت مخلوقة لله تعالى لما نعاها على عباده ولا عاقبهم ولا قامت حجة الله عليهم وهذه الشبهة قد أجراها فى ادراج كلامه المتقدم فيقال لهم لم قلتم انها لو كانت مخلوقة لله لما نعاها على عباده فان أسندوا هذه الملازمة وكذلك يفعلون الى قاعدة التحسين والتقبيح وقالوا معاقبة الانسان بفعل غيره قبيحة فى الشاهد لا سيما اذا كانت المعاقبة من الفاعل فيه لزم طرد ذلك غائبا قيل لهم ويقبح فى الشاهد أيضا أن يمكن الانسان عبده من القبائح والفواحش بمرأى منه ومسمع ثم يعاقبه على ذلك مع القدرة على ردعه ورده من الاول عنها وأنتم معاشر القدرية تزعمون ان القدرة التى بها يخلق العبد الفواحش لنفسه مخلوقة لله تعالى على علم منه عز وجل أن العبد يخلق بها لنفسه ذلك فهو بمثابة اعطاء سيف باتر لفاجر يعلم انه يقطع به السبيل ويسبى به الحريم وذلك فى الشاهد قبيح جزما فسيقولون أجل انه لقبيح فى الشاهد ولكن هنالك حكمة استأثر الله تعالى بعلمها فرقت بين الشاهد والغائب فحسن من الغائب تمكين عبده من الفواحش مع القدرة على أن لا يقع منه شئ ولم يحسن ذلك فى الشاهد وفى هذا الموطن تتزلزل أقدامهم وتنكس أعلامهم اذ لاحت لهم قواطع اليقين وبوارق البراهين فيقال لهم ما المانع أن تكون تلك الافعال مخلوقة لله تعالى ويعاقب العبد عليها لمصلحة وحكمة استأثر الله بها كما فرغتم منه الآن سواء فلم لا يسلك أحدكم الطريق الاعدل وينظر

(قلت) القصد الى صفة القلوب بانها كالمختوم عليها وأما اسناد الختم الى الله عز وجل فلينبه على أن هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشئ الخلقي غير العرضي ألا ترى الى قولهم فلان مجبول على كذا ومفطور عليه يريدون أنه بليغ في الثبات عليه وكيف يتخيل ما خيل اليك وقد وردت الآية ناعية على الكفار شناعة

السؤال على ما تقدم مبني على قاعدة الاعتزال أي اذا كان الختم مستعارا لاحداث الهيئة المانعة أو تمثيلا لحالة مشتملة عليها لم يجز اسناده اليه تعالى اذ يلزم منه على التقديرين أن يكون سبحانه مانعا من قبول الحق بختم القلوب ومن التوصل اليه بختم الاسماع وكلاهما قبيح يمتنع صدوره عنه تعالى بدليل عقلي هو انه تعالى مستغن عن القبيح وعالم بقبحه وبغناء عنه فيمتنع الصدور بحكمته لا لخروجه عن قدرته وبدلائل سمعية نطق بها التنزيل فان نفي الظلم عنه ليس الا لقبحه فيعم القبائح كلها ومن المعلوم انه اذا لم يكن آمرا بالفحشاء لم يكن فاعلا لها أصلا وأما على قاعدة أهل الحق فلا قبيح بالنسبة اليه تعالى بل الافعال كلها بالنسبة اليه على سواء ولا يتصور في أفعاله ظلم لان الكل منه وبه واليه فله أن يتصرف في الاشياء كلها كما شاء وانما يوصف بالقبح والظلم ونظائرهما أفعال العباد باعتبار كسبهم لها وقيامها بهم لا باعتبار ايجاد الله اياها فيهم كما حقق في الكتب الكلامية (قوله القصد الى صفة القلوب) أجاب عن السؤال المذكور بأجوبة خمسة الاول ان الاسناد اليه تعالى كناية عن فرط تمكن هذه الصفة التي هي الهيئة الحادثة المانعة وثبات رسوخها في قلوبهم وأسماعهم فان كونها كذلك يستلزم كونها مخلوقة لله تعالى صادرة عنه فذكر اللازم ليتصور وينتقل منه الى الملزوم الذي هو المقصود فيصدق به ألا تراهم يقولون فلان مجبول على كذا ولا يعنون به تحقق خلقه عليه بل ثباته وتمكنه فيه ولما لم يمكن ارادة الحقيقة في اسناد ختم الله تعالى على مذهبه وجب ان يعده مجازا متفرعا عن الكناية فقد ذكر في قوله تعالى ولا ينظر اليهم ان أصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية ثم جاء فيمن لا يجوز عليه مجرد المعنى الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر فظاهر ما قرره هناك انه اذا أمكن المعنى الاصلي كان كناية واذا لم يمكن كان مجازا مبنيا على تلك الكناية وحينئذ يجوز اطلاق الكناية عليه نظرا الى انه في أصله كان كناية في معنى ثم انقلب فيه مجازا والتغاير اعتباري ومن ثم تراه جعل بسط اليد وغلها في سورة المائدة مجازين عن الجود والبخل وجعلهما في طه من الكنايات كالاستواء على العرش فلا منافاة بين قوليه ولا حاجة في دفعهما الى ما قيل من أنه قد يشترط في الكناية امكان المعنى الاصلي وقد لا يشترط وسيأتيك هذا الامر بتفصيل لذلك هذا وقد سبق الى بعض الاوهام من قوله بأنها كالمختوم عليها وقوله كأنها استوثق منها بالختم ان المشبه به في الاستعارة المذكورة هو الختم المبني للمفعول لا المبني للفاعل ولذلك قيل المشبه عدم نفوذ الحق في القلوب والاسماع لا احداث الهيئة المانعة فيها وفساده ظاهر لانه اذا استعير المصدر المبني للمفعول اشتق منه فعل مبني له كما يشتق من المصدر المبني للفاعل فعل بني له فكان ينبغي أن يقال ختم على قلوبهم وعلى سمعهم وأيضا كون الشئ مختوما عليه مستلزم لعدم النفوذ فيه استلزاما ظاهرا فيكون اطلاقه عليه من باب المجاز المرسل وجعله من قبيل الاستعارة تعسف نعم قد يشبه كون القلب مثلا قد أحدث فيه هيئة مانعة من ان ينفذ فيه الحق بكون الشئ مختوما عليه وتنقيح المقام ان المشابهة التامة انما هي بين النقش الحاصل في الختم والهيئة المانعة الحادثة في القلوب والاسماع من حيث ان كلا منهما مانع من النفوذ وحينئذ جاز أن يشبه احداث هذه الهيئة باحداث ذلك النقش ويبنى منه الفعل للفاعل وان يشبه كون القلب محدثا فيه هذه الهيئة بكون الشئ محدثا فيه ذلك النقش ويبنى منه الفعل للمفعول وأما عدم النفوذ فهو من تتمة وجه الشبه لا مشبه ولا مشبه به والمقصود بالصفة التي نبه بالاسناد الى الله تعالى على ثبات قدمها وتمكنها هو هذه الهيئة الحادثة في القلب لا احداثها اولا كونها محدثة فيه فتبصر واستكشف عما قررناه حال قوله وعلى أبصارهم غشاوة ولا تكن من الغافلين (قوله ما خيل اليك) وهو انه تعالى يمنع من قبول الحق والتوصل اليه يعني ان الآية مسوقة لاستقباح حالهم واستحقاقهم

عاقبة هذا الامر فيصير آخرا أولا وليفوض من الابتداء الى خالقه ويتلقى حجة الله تعالى عليه بالقبول والتسليم ويسلك مهتديا بنور العقل ومقتديا بدليل الشرع الصراط المستقيم فان نازعته النفس وحادثته الهواجس ورغب في مستند من حيث النظر يأنس به من مفاوز الفكر فليخطر بباله ما ذكر عند كل عاقل من التميز بين الحركة الاختيارية والقسرية فلا يجد عنده في هذه التفرقة ريبا فاذا استشعر ذلك فليتنبه فقد لطف به الى أن انحرف عن مضايق الجبر فاذا أن يلوح به شيطان الضلال الى مهامه الاعتزال فليمسك نفسه دونها بزمام دليل الوحدانية على ان لا فاعل ولا خالق الا الله تعالى فاذا وقف لم يقف الا وهو على الصراط المستقيم والطريقة المثلى مارا عليها في أسرع من البرق الخاطف والريح العاصف فليتأمل الناظر هذا الفصل ويتخذه وزره في قاعدة الافعال يقف على الحق ان شاء الله تعالى

صـفقتهم وسماجة حالهم ونيط بذلك الوعيـد بعذاب عظيم ويجوز أن تضرب الجملة كما هي وهي ختم الله على قلوبهم مثلا كقولهم سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا أطال الغيبة وليس للوادي ولا للعنقاء عمل في هلاكه ولا في طول غيبته وانما هو تمثيل مثلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي وفي طول غيبته بحال من طارت به العنقاء فكذلك مثلت حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها نحو قلوب الاغتام التي هي في خلوها عن الفطن كقلوب البهائم أو بحال قلوب البهائم أنفسها أو بحال قلوب مقدر ختم الله عليها حتى لا تعي شيأ ولا تفقه وليس له عز وجل فعل في تجافيها عن الحق ونبوها عن قبوله وهو متعال عن ذلك ويجوز أن يستعار الاسناد في نفسه من غير الله لله فيكون الختم مسندا الى اسم الله على سبيل المجاز وهو لغيره حقيقة تفسيره هذا أن للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان

العـذاب العظيم فلا مجال لذلك التخييل الجواب الثاني تعبير المدعى وهو أن لا يحمل الختم على الاسـتعارة ولا على التمثيل المذكور بل على تمثيـل آخر يكون وجها ثانيا في الآية وهو أنه يشبه حال قلوبهم فيما كانت عليـه من التجافي والنبو عن الحق بحال قلوب محقق ختم الله عليها كقلوب الاغتام والبهائم أو بحال قلوب مقـدر ختمه عليها ثم تستعار الجملة أعني ختم الله على القلوب كما هي أي مأخوذة بتمامها المشتمل على اسنادها من المشبه به للمشبه اما على سبيل التمثيل الحقيقي أو التخييلي فيكون المسند الى الله تعالى اسنادا حقيقيا ختم تلك القلوب المحققة أو المقدرة حتى لا تعي شيأ ولا تقع فيه أصلا سواء كان ختما حقيقيا أو مجازيا كما هو الظاهر لا ختم قلوب الكفار لان الاسناد اليه تعالى داخل في المشبه به فلا مدخل له تعالى في تجافي قلوبهم ونبوها كما لا مدخـل للتردد الذي خاطبته بقولك أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى في تقـدم الرجـل وتأخـيرها اذ كل منهما داخـل في المشـبه به على ما ترى وان فرض انه عبر عنهـما أو عن أحـدهما بلفظ مجازي كالختم في الآية الكريمة اذا حمل على المجاز الذي هو المختار كما مر وفي الصحاح العنقاء الداهية وأصلها طائر عظيم معروف الاسم مجهول الجسم ونقل الازهري عن المنذري عن المفضل انه قال ابن الكلبي انها طائرة عظيمة طويلة العنق كانت تنتاب جبل دمخ من أراضي أصحاب الرس وتنقض على الطير فتأكلها فجاعت يوما فانقضت على صبي فذهبت به فسميت بعنقاء مغرب بضم الميم لانها تغرب بكل ما أخذته وحذفت التاء من مغرب على طريقة قولهم لحية ناصل ثم انقضت على جارية قد ترعرعت فطارت بها فاشتكوا الى نبيهم حنظلة بن صفوان فدعا عليها فهلكت فضربتها العرب مثلا في أشعارها وهـذا أقرب مما قيل فيها وذكر المصـنف نحوا منه في سورة الفرقان وقال الليث انها اسم ملك والتأنيث عنده باعتبار اللفظ وعن أبي زيد انها أكمة فوق جبل شاهق وذكر بعضهم انها طائرة أغربت في البلاد فنأت فلم تر بعد ذلك وهـذا المعنى يلائم طول الغيبة وما تقدم يناسب الاهلاك الكلي وفي الحواشي يقال ثلة اغتام كثلة اغنام الاغتام جمع غتم جمع اغتم وهو الجاهل الذي لا يفهم شـيأ قيل ونظيره الاعزال جمع عزل جمع اعزل وفي الاسـاس رجل أغتم وقوم غتم واغتام من الغتمة وهي العجمة في المنطق وذكر المصـنف في سورة النبأ عن بعضهـم أن ألفافا جمع الف واختاره وادعى انه ليس واحـده له نظيرا وعلى هـذا فالوجه أن يجعـل أغتام عنـده جمع لا واحد له من لفظه دفعا للتنافي بين قوليه ونبه بقوله هي في خلوها عن الفطن كقلوب البهائم ليدل على انها ليست قلوب من يجري عليه تكليف وقوله وليس له عز وجـل فعل في تجافيها معطوف على قوله فكذلك مثلت الجواب الثالث أن يحمل الختم على طريق الاستعارة أو التمثيل السابق كما ادعاه أولا ويجعل اسناده الى الله تعالى مجازا من باب اسـناد الفعـل الى المسبب له فالخاتم في الحقيقة هو الشـيطان أو الكافر نفسه الا أنه سبحانه لما كان هو الذي أقدره ومكنه أسـند اليه الفعل كما أسـند الى الامير في قولهـم بنى الامير المدينة وفي قوله (ان يستعار الاسناد) اشارة الى ان الموصوف بالمجاز العقلي هو الاسناد لا الكلام المشتمل عليـه ولفظ اسم في قوله (الى اسم الله) مقحم للتأدب والمبالغة في كون اسـناد الختم اليه مجازا صرفا حتى كأنه مسند الى اسمه لا اليه (قوله وهو) أي الختم أو اسناده ثابت (لغيره) تعالى حال كونه (حقيقة)

والمكان والمسبب له فاسناده الى الفاعل حقيقة وقد يسند الى هذه الاشياء على طريق المجاز المسمى استعارة وذلك لمضاهاتها الفاعل فى ملابسة الفعل كما يضاهى الرجل الاسد فى جراءته فيستعار له اسمه فيقال فى المفعول به عيشة راضية وماء دافق وفى عكسه سيل مفعم وفى المصدر شعر شاعر وذيل ذائل وفى الزمان نهاره صائم وليله قائم وفى المكان طريق سائر ونهر جار وأهل مكة يقولون صلى المقام وفى المسبب بنى الامير المدينة وناقة ضبوث وحلوب وقال * اذا رد عافى القدر من يستعيرها * فالشيطان هو الخاتم فى الحقيقة أو الكافر الا أن الله سبحانه لما كان هو الذى أقدره ومكنه أسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب ووجه رابع وهو أنهم لما كانوا على القطع والبت ممن لا يؤمن ولا تغنى عنهم الآيات والنذر ولا تجدى عليهم الالطاف المحصلة ولا المقربة

وقد صرح باعتبار المجاز العقلى فى الاسناد وحده واقتصر فى ملابسات الفعل على ما يصلح لاسناده اليه فلم يذكر المفعول معه والحال والتمييز وأراد بالفعل الحدث وبالفاعل ما كان الفعل وصفا له قائما به سواء كان حقيقيا أو اعتباريا صادرا عنه أو عن غيره فالضارب مثلا فاعل دون المضروب للفعل المبنى للفاعل لان الضاربية صفة قائمة به والمضروب فاعل دون الضارب للفعل المبنى للمفعول لان المضروبية وصف قائم به واسناد ضرب الى الاول حقيقة والى الثانى مجاز واسناد ضرب بالعكس وتسمية المجاز العقلى بالاستعارة انما هى على سبيل التشبيه بالاستعارة الاصطلاحية كما أشار اليه بقوله (وذلك) أى اسناد الفعل الى هذه الاشياء (لمضاهاتها الخ) فالمستعار ههنا معنى وهناك لفظ ومن ثمة جعلهما متقابلين فى قوله تعالى ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم حيث قال له طريقان فى علم البيان أحدهما أن يكون من المجاز الذى يسمى استعارة والثانى أن يكون من المجاز الحكمى واقول بان السكاكى حمل كلام المصنف ههنا على الاستعارة المكنية فارتكب لذلك رد المجاز العقلى اليها مما لا يلتفت اليه وفى تقييده المضاهاة بقوله (فى ملابسة الفعل) اشعار بأن المشابهة يجب أن تكون من هذه الجهة وفيه كلام سيأتيك عن كثب (والمفعم) المملوء وهو الوادى فقد بنى للمفعول وأسند الى الفاعل الذى هو السيل على عكس ما تقدم يقال ذال أى هان واذاله اهانه (وذيل ذائل) أى هوان شديد وهذا أظهر فى التمثيل من شعر شاعر لان المتبادر من الشعر هو الكلام المنظوم لا المعنى المصدرى (قوله وناقة ضبوث) وهى التى يشك فى سمنها فتضبث أى تجس باليد فلما كان فيها ما يحمل الرائى على جسها جعلت كانها تضبث نفسها ومنه ناقة حلوب وماء شروب وطريق ركوب والمقصود من جعلها مجازا عقليا ابقاء فعول على ما هو المتعارف من كونه بمعنى الفاعل دون المفعول (قوله اذا رد عافى القدر من يستعيرها) أوله * فلا تسألينى واسئلى عن خليقتى * أى اسئلى عن طبيعتى وخلقى أيام الجدب وذلك ان العافى بقية المرقة فى القدر يردها اذا استعيرت اما بمعنى السائل كانما تسأل صاحبها أن يعطيها صاحب القدر واما لانه اخبر انهم من جهة القدر من عفا النبات اذا نما وكثر واما لانه شئ يستر عافى الاثر فقيل كانوا فى السنة الجدبة لا يستعيرونها تفاديا عن اعطاء العافى فهو سبب مانع للمستعير عن الاستعارة فنسب الرد اليه كما ينسب الفعل الى سببه وقيل كانوا اذا استعاروا قدرا ردوا معها شيئا مما طبخ فيها وعلى هذا يكون عافى القدر مفعولا أسكن فيه الياء حال النصب كما فى أعط القوس باريها وجاز تقديمه على الفاعل مع انتفاء الاعراب اللفظى لوجود القرينة المعنوية بل وجب ذلك لاشتمال الفاعل على ضمير راجع الى متعلق المفعول ولم يستحسنه المصنف فاختار التجوز اذ لا ظهور لقرينة مع جوازه واسكان المنصوب أيضا قليل مخالف للاصل الجواب الرابع ان الختم عبارة عن ترك القسر والالجاء الى الايمان فيجوز اسناده الى الله تعالى حقيقة وتحريره ان الختم على القلوب يستلزم ترك القسر والالجاء الى الايمان فمعنى ختم الله على قلوبهم انه لم يقسرهم عليه وليس هذا أعنى ترك القسر مقصودا فى نفسه بل لينتقل منه الى أن مقتضى حالهم الالجاء لولا ابتناء التكليف على الاختيار وينتقل من هذا المقتضى الى أن الآيات والنذر لا تغنى عنهم وان الالطاف لا تجدى عليهم وينتقل من عدم الاغناء والاجداء الى تناهيهم فى الاصرار على

ان أعطوها لم يبق بعد استحكام العلم بأنه لا طريق الى أن يؤمنوا طوعا واختيارا طريق الى ايمانهم الا القسر والالجاء واذا لم تبق طريق الا أن يقسرهم الله ويلجئهم ثم لم يقسرهم ولم يلجئهم لئلا ينتقض الغرض فى التكليف عبر عن ترك القسر والالجاء بالختم اشعارا بانهم الذين ترامى أمرهم فى التصميم على الكفر والاصرار عليه الى حد لا ينتاهون عنه الا بالقسر والالجاء وهى الغاية القصوى فى وصف لجاجهم فى الغى واستشرائهم فى الضلال والبغى ووجه خامس وهو أن يكون حكاية لما كان الكفرة يقولونه تهكما بهم من قولهم قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ونظيره فى الحكاية والتهكم قوله تعالى لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة (فان قلت) اللفظ يحتمل أن تكون الاسماع داخلة فى حكم الختم وفى حكم التغشية فعلى أيهما يعول (قلت) على دخولها فى حكم الختم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولوقفهم على سمعهم دون قلوبهم (فان قلت) أى فائدة فى تكرير الجار فى قوله وعلى سمعهم (قلت) لو لم يكرر لكان انتظاما للقلوب والاسماع فى تعدية واحدة وحين استجد للاسماع تعدية على حدة كان أدل على شدة الختم فى الموضعين ووحد السمع

الضلال فاطلق الختم على ترك القسر مجازا مرسلا ثم كنى به عن ذلك التناهى فيكون هذا وجها مستقلا فى الآية كالجواب الثانى هذا ما يقتضيه ظاهر قوله عبر عن ترك القسر والالجاء بالختم اشعارا بأنهم الخ ومنهم من قال حاصله ان الختم المستعار لما مر جعل مجازا عن ذلك الترك بعلاقة اللزوم فهو مجاز بمرتبتين ولا يجوز أن يستعار الختم من معناه الاصلى لترك القسر المشابه له فى المنع عن وصول الحق فى شأن هؤلاء خاصة لان الختم احداث مانع محسوس وترك القسر ترك رفع مانع معقول واستعارة الاحداث للعدم بعيد على ان معنى المنع فى ترك القسر غير ظاهر الا بعد سبق العلم بحالهم والآية ابية انها وقد مر تفسير الالطاف وهى اما مقربة أو محصلة فان حصلت الطاعة سميت توفيقا وان حصلت ترك المعصية سميت عصمة وقوله ان أعطوها شرط دل ما قبله على جزائه وقوله عبر جواب لما كانوا وهى أى التعبير بالختم عن ترك القسر لذلك الاشعار هى الغاية والتأنيث باعتبار الخبر والاستشراء المبالغة فى اللجاج يقال شرى الفرس فى لجامه والبعير فى زمامه أى مده وجذبه ﴿الجواب الخامس﴾ أن يكون ما نحن فيه حكاية لما كان الكفرة يقولونه لا بعبارتهم فان كون القلوب فى أكنة هو معنى الختم عليها كما ان ثبوت الوقر فى الآذان ختم عليها وثبوت الحجاب تغشية للابصار وكون هذه الحكاية على سبيل التهكم بهم مما يعرف الذوق السليم والاسناد الى الله تعالى حينئذ حقيقة لانهم يجوزون اسناد القبيح الى الله تعالى وأما الختم فيجوز أن يكون حقيقة وأن يكون مجازا فانه ذكر فى قوله تعالى وقالوا قلوبنا غلف انهم أرادوا انها أغطية جبلة وفطرة وفى قوله وقالوا قلوبنا فى أكنة الآية انها تمثيلات لنبو قلوبهم عن الحق فان جعل الختم حقيقة كان هذا وجها مستقلا وان جعل مجازا كما هو الاولى كان راجعا الى ما تقدم وقد غير أسلوب الكلام فى الوجه الرابع حيث لم يقل ويجوز بناء على طول مباحث الاسناد المجازى فصرح بكونه وجها برأسه واعترض على الوجه الثالث باقتضائه صحة اسناد جميع أنواع الكفر والمعاصى بل جميع أفعال الاجسام الى الله سبحانه لانه باقداره وتمكينه وعلى الرابع بانه لا قرينة عليه أصلا وعلى الخامس بأنه يأباه سوق الكلام لان القصد بختم الله الى تقرير ما تقدم من حال الكفار وتأكيده سواء جعل استئنافا أولا (قوله ونظيره فى الحكاية والتهكم قوله لم يكن) اذ قد حكى فيه على سبيل التهكم معنى ما كانوا يقولون به قبل البعثة بعبارة أخرى كما فصل هنالك (قوله اللفظ يحتمل) وذلك لان الواو الاولى اما لعطف الظرف على ظرف قبله والثانية لعطف الجملة الاسمية على الفعلية أو الامر بالعكس قيل لما كان ادراك القلب والسمع من جميع الجوانب جعل المانع فيهما الختم الذى يمنع من جميع الجهات ولما كان ادراك البصر من جهة المقابلة فقط خص المانع فيه بالغشاء المتوسط بين الرائى والمرئى (قوله كان أدل على شدة الختم فى الموضعين) وذلك لان ملاحظة الجار فى كل منهما تقتضى

(قال محمود رحمه الله اللفظ يحتمل أن تكون الاسماع داخلة فى حكم الختم وفى حكم الغشاوة الخ) قال أحمد رحمه الله وكان جدى رحمه الله يذكر هذا ويزيد عليه ان الاسماع والقلوب لما كانت محوية كان استعمال الختم لها أولى والابصار لما كانت بارزة وادراكها متعلق بظاهرها كان الغشاء لها أليق

كما وحد البطن فى قوله * كلوا فى بعض بطنكم تعفوا * يفعلون ذلك اذا أمن اللبس فاذا لم يؤمن كقولك فرسهم وثوبهم وأنت تريد الجمع رفضوه ولك أن تقول السمع مصدر فى أصله والمصادر لا تجمع فلمح الاصل يدل عليه جمع الاذن فى قوله وفى آذاننا وقر وأن تقدر مضافا محذوفا أى وعلى حواس سمعهم وقرأ ابن أبى عبلة وعلى أسماعهم (فان قلت) هلا منع أبا عمرو والكسائى من امالة أبصارهم ما فيه من حرف الاستعلاء وهو الصاد (قلت) لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير كأن فيها كسرتين وذلك أعون شئ على الامالة وأن يمال له ما لا يمال والبصر نور العين وهو ما يبصر به الرائى ويدرك المرئيات كما أن البصيرة نور القلب وهو ما به يستبصر ويتأمل وكأنهما جوهران لطيفان خلقهما الله فيهما آلتين للابصار والاستبصار وقرئ (غشاوة) بالكسر والنصب وغشاوة بالضم والرفع وغشاوة بالفتح والنصب وغشوة بالكسر والرفع وغشوة بالفتح والرفع والنصب وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع من العشا * والعذاب مثل النكال بناء ومعنى لانك تقول أعذب عن الشئ اذا أمسك عنه كما تقول نكل عنه ومنه العذب لانه يقمع العطش ويردعه بخلاف الملح فانه يزيده ويدل عليه تسميتهم اياه نقاخا لانه ينقخ العطش أى يكسره وفراتا لانه يرفته على القلب ثم اتسع فيه فسمى كل ألم فادح عذابا وان لم يكن نكالا أى عقابا يرتدع به الجانى عن المعاودة والفرق بين العظيم والكبير أن العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكان العظيم فوق الكبير كما أن الحقير دون الصغير ويستعملان فى الجثث والاحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته أو خطره ومعنى التنكير أن على أبصارهم نوعا من الاغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامى عن آيات الله ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله اللهم أجرنا من عذابك ولا تبلنا بسخطك يا واسع المغفرة * افتتح سبحانه بذكر الذين أخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم ووافق سرهم علنهم

غشاوة ولهم عذاب عظيم

أن تلاحظ مع كل واحد معنى الفعل المعدى فكأن الفعل مذكور مرتين (قوله يفعلون ذلك) اشارة الى ان جوازه مطرد اذا أمن اللبس وكذا الحال فى المصادر عند لمح الاصل وأما المرجح فالاختصار والتفنن بتوحيد السمع وجمع أخويه مع اشارة لطيفة الى ان مدركاته نوع واحد ومدركاتهما أنواع مختلفة وما قيل من ان دلالة وحدته على وحدة متعلقه لا تعلم من أى الدلالات هى مدفوع بانها من الدلالات الالتزامية التى يكتفى فيها بأى لزوم كان ولو بحسب الاعتقاد فى اعتبارات البلغاء (قوله يدل عليه) أى على ان توحيد السمع للمح الاصل جمع الاذن مع الامن من اللبس (قوله وعلى حواس سمعهم) فيكون السمع حينئذ بمعنى المصدر وفيما سبق من الوجهين كان بمعنى القوة السامعة (قوله نور العين) هى القوة التى بها الابصار كما ان نور القلب هى القوة التى بها التعقل والافتكار ولفظ كان فى قوله وكأنهما ليس للتشبيه بل للظن والتخمين الذى كثر استعماله فيه والمراد بالجوهر الجسم اللطيف النورانى لا ما هو قائم بذاته ذهابا الى جعل القوى من قبيل الصور دون الاعراض (قوله بالكسر والنصب) لا بد فى النصب مطلقا من تقدير فعل كجعل أو أحدث على طريقة قوله * علفتها تبنا وماء باردا * والعشاء مصدر الاعشى وهو من لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار ولعل المعنى حينئذ انهم يبصرون الاشياء ابصار غفلة لا ابصار عبرة (قوله ويدل عليه) أى على ان العذب فيه معنى الامساك والقمع (قوله على القلب) أى على جعل العين موضع الفاء والفاء موضع العين يقال رفت الشئ رفته أى رفته بيده كما يرفت المدر والعظم البالى فعلى هذا وزن فرات عفال (قوله ثم اتسع فيه) أى فى العذاب بالتعميم دون النكال يقال فدحنى الشئ أى أثقلنى فهو فادح والمراد بالنقيض ههنا ما يدفع به الشئ عرفا فاذا قيل هذا كبير أو عظيم دفع الاول بأنه صغير والثانى بأنه حقير ولما كان الحقير دون الصغير كان العظيم فوق الكبير ألا ترى جريان العادة بان الاحسن يقابل بالاشرف والخسيس بالشريف فلا يتوهم من أن نقيض الاخص أعم مما لا يلتفت اليه فى أمثال هذه المباحث والتنكير فى غشاوة عنده للنوعية وفسره بنوع غير متعارف وقال غطاء التعامى دون العمى تنبيها على ان ذلك من سوء اختيارهم

وأفواههم قولهم ثم ثنى بالذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا قلوبا وألسنة ثم ثلث بالذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم وأبطنوا خلاف ما أظهروا وهم الذين قال فيهم مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وسماهم المنافقين وكانوا أخبث الكفرة وأبغضهم اليه وأمقتهم عنده لانهم خلطوا بالكفر تمويها وتدليسا وبالشرك استهزاء وخداعا ولذلك أنزل فيهم ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار ووصف حال الذين كفروا فى آيتين وحال الذين نافقوا فى ثلاث عشرة آية نعى عليهم فيها خبثهم ومكرهم وفضحهم وسفههم واستجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الامثال الشنيعة وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة ❊ وأصل ناس أناس حذفت همزته تخفيفا كما قيل لوقة فى ألوقة وحذفها مع لام التعريف كاللازم لا يكاد يقال الاناس ويشهد لاصله انسان وأناس وأناسى وانس وسموا لظهورهم وأنهم يؤنسون أى يبصرون كما سمى الجن لاجتنانهم ولذلك سموا بشرا ووزن ناس فعال لان الزنة على الاصول ألا تراك تقول فى وزن قه افعل وليس معك الا العين وحدها وهو من أسماء الجمع كرخال

وشآمة اصرارهم على انكارهم وقيل هو للتعظيم أى غشاوة أى غشاوة وماذكره أنسب بقوله عذاب لان حمل تنكيره على التنويع أظهر لاستفادة التعظيم من صريح وصفه الدال عليه بجوهره وصيغته مع تنكيره أيضا (قوله ثم ثنى بالذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا) هذا انما يظهر اذا جعل التعريف فى الذين كفروا للعهد مرادا به ناس هم أعلام الكفر وأما اذا حمل على الجنس سواء جعل عاما خص الخبر أو مطلقا قيد به على ما مر ففيه اشكال لتناوله المصرين الماحضين والمنافقين معا وأجيب بأنه لما أفرد المنافقين وفصل أحوالهم بما لا مزيد عليه علم ان المقصود الاصلى بذكر ذلك الحكم المشترك بينهما الماحضون فقط وقد يجاب بأنه لا دلالة لقوله ثم ثنى بالذين محضوا على اختصاص الذكر بهم فلا بأس بتناوله لغيرهم ورد بأن المتبادر من سوق كلامه الاختصاص فاحتيج الى ذلك التأويل قطعا (قوله نعى عليهم فيها خبثهم) أى دعارتهم وعدم طيبهم بذكر ادعائهم حيازة الايمان من جانبى المبدا والمعاد ومكرهم أى دهاءهم بقوله يخادعون الله وفضحهم بقوله وما هم بمؤمنين وما يخادعون وفى قلوبهم مرض واستجهلهم بما يشعرون ولا يعلمون ولا يشعرون وتهكم بهم حيث قال اشتروا الضلالة بالهدى (قوله وقصة المنافقين عن آخرها) أى ليس هذا من عطف جملة على جملة لتطلب بينهما المناسبة المصححة للعطف المثانية على الاولى بل من عطف مجموع جمل متعددة مسوقة لغرض على مجموع جمل أخرى مسوقة لغرض آخر فيشترط فيه التناسب بين الغرضين دون آحاد الجمل الواقعة فى المجموعين وهذا أصل عظيم فى باب العطف لم يتنبه له كثيرون فاستشكل عليهم الامر فى مواضع شتى (قوله كما قيل لوقة فى ألوقة) الالوقة الزبدة بالرطب وقيل الزبدة وحدها يقال لوق الطعام اذا أصلح بالزبد وهذا يدل على ان اللوقة لغة أخرى كما نقل فى الصحاح عن أبى عبيد عن ابن الكلبى الا ان المصنف جعل لوق الطعام مأخوذا من لوقة تخفيف ألوقة (قوله كاللازم) سواء كان قياسيا أو غيره كما فى افتطة الله لكن الحذف ههنا فى المنكر شاهد الثانى (قوله وسموا لظهورهم) هذا هو المختار بدليل المقابل وقيل اشتقاقه من الانس ضد الوحشة لان الانسان مدنى بالطبع (قوله لان الزنة على الاصول) هذا فى المحذوف اذ المقصود بالزنة فيه التنبيه على الحرف الاصلى والزائد وكيفية التدرج الى حصول الصيغة بالتصرف وقد يقصد على قلة بيان الحال فيقال وزن قاض فاع وأما فى المقلوب فالزنة على الفروع فيقال انس مثلا وزنه عفل اذ يعرف به الاصلى من الزائد مع كيفية التغيير ولو روعى فيه الاصل لالتبس الحال (قوله وهو) أى أناس (من أسماء الجمع كرخال) هى بضم الراء اسم جمع وبكسرها جمع رخل على وزن نمر وهى الانثى من ولد الضأن وقد يعد ما هو بالضم جمعا نظرا الى المعنى أو الى ان الضمة بدل من الكسرة للدلالة على القوة كما أبدلت الالف من الفتحة فى سكارى وغيارى (قوله

ومن الناس

وأما نويس فمن المصغر الآتي على خلاف مكبره كأنيسيان ورويجل ولام التعريف فيه للجنس ويجوز أن تكون للعهد والاشارة الى الذين كفروا المار ذكرهم كأنه قيل ومن هؤلاء من يقول وهم عبد الله بن أبي وأصحابه ومن كان في حالهم من أهل التصميم على النفاق ونظيره موقعه موقع القوم في قولك نزلت ببني فلان فلم يقروني والقوم لئام * ومن في (من يقول) موصوفة كأنه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا كقوله من المؤمنين رجال ان جعلت اللام للجنس وان جعلتها للعهد فموصولة كقوله ومنهم الذين يؤذون النبي

وأما نويس) هذا دفع لما يتوهم من ان ناسا مأخوذ من النوس وهو الحركة بدليل تصغيره على نويس ثم ان نويسا ان جعل مصغر اناس فلا شبهة في كونه على خلاف مكبره وان جعل مصغر ناس فقد قيل معنى كونه على خلافه انه على خلاف أصل مكبره اذ لو كان على وزنه لقيل أنيس بتشديد الياء فلا ينافي ما في المفصل من ان ما حذف منه شيء ان بقي على ما يتأتى منه مثال المصغر لم يرد الى أصله فيقال في ميت وهار وناس مييت وهوير ونويس وظهر انه مع كونه على قياس مكبره مخالف لقياس أصله الذي هو اناس وقيل ليست المخالفة كائنة في عدم الرد لصحة بناء التصغير بل في قلب ألفه واوا لانها ثالثة تخفيفا وانما تقلب الالف الياء اذا كانت ثانية زائدة أو أصلية منقلبة من الواو والياء ورد بانها ثانية صورة وقلبها واوا أولى كيلا يجتمع ياآن فلا مخالفة وانيسيان تصغير انسان وقياسه أنيسين كسريحين ورويجل تصغير رجل وقياسه رجيل فكل واحد منهما مخالف للقياس ولمكبره واذا جاز مخالفتهما مع ما كان مخالفة المكبر وحدها في نويس أولى بالجواز هكذا قيل وليس بشيء اذ لا معنى لمخالفة المصغر مكبره الا كونه على خلاف قياسه فلا أولوية من هذه الجهة بل من حيث ان المخالفة فيهما مع المكبر نفسه وفي نويس مع أصله كما أحاط به علمك (قوله ولام التعريف فيه) أي في الناس (للجنس) ﴿فان قيل﴾ لا فائدة في الاخبار بان من يقول كذا وكذا من الناس ﴿أجيب﴾ بأن فائدته التنبيه على ان الصفات المذكورة تنافي الانسانية فينبغي أن يجهل كون المتصف بها من الناس ويتعجب منه ورد بان مثل هذا التركيب قد يأتي في مواضع لا يتأتى فيها مثل هذا الاعتبار ولا يقصد فيها الا الاخبار بأن من هذا الجنس طائفة متصفة بكذا كقوله تعالى من المؤمنين رجال فالاولى أن يجعل مضمون الجار والمجرور مبتدأ على معنى وبعض الناس أو بعض منهم من اتصف بما ذكر فيكون مناط الفائدة تلك الاوصاف ولا استبعاد في وقوع الظرف بتأويل معناه مبتدأ يرشدك الى ذلك قول الحماسي

منهم ليوث لا ترام وبعضهم حيث قابل لفظ منهم بما هو مبتدأ أعني لفظة بعضهم وقد يقع الظرف موضع المبتدأ مع تقدير الموصوف كقوله تعالى ومنا دون ذلك وما منا الا له مقام معلوم فالقوم قدروا الموصوف في الظرف الثاني وجعلوه مبتدأ والظرف الاول خبرا وعكسه أولى بحسب المعنى أي جمع منا دون ذلك وما أحد منا الا له مقام معلوم لكن وقوع الاستعمال على ان من الناس رجالا كذا وكذا دون رجال يشهد لهم (قوله والاشارة الى الذين كفروا) يعني على تقدير كونه محمولا على الجنس مرادا به المصرون مطلقا وفي ذلك مزيد تقبيح للقسم الاخير وتذكير لذم الاولين كأنه قيل ومن هؤلاء المصرين على الكفر الذين عرفت حالهم القوم الذين من شأنهم في التصميم على النفاق كيت وكيت ولما كان المعهود ههنا مذكورا بلفظ آخر أشار الى ذلك بقوله (ونظيره موقعه) أي موقع الناس (موقع القوم) وجعل من موصوفة مع الجنس موصولة مع العهد رعاية للمناسبة والاستعمال أما المناسبة فلان الجنس مبهم لا توقيت فيه فناسب أن يعبر عن بعضه بما هو نكرة والمعهود معين فناسب أن يعبر عن بعضه بمعرفة وأما الاستعمال فكما في الآيتين لما أريد بالمؤمنين الجنس عبر عن بعضهم بالنكرة وأريد بالضمير جماعة معينة من المنافقين عبر عن بعضهم بالمعرفة قيل والسر في ذلك انك اذا قلت من هذا الجنس طائفة شأنها كذا كان التقييد بالجنس مفيدا بخلاف ما اذا قلت من هذا الجنس الطائفة الفاعلة كذا لان من عرفهم عرف كونهم من الجنس أولا واذا قلت من هؤلاء الذي فعل كذا كان حسنا اذ فيه زيادة تعريف له ولا يحسن كل الحسن أن يقال

من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين

(فان قلت) كيف يجعلون بعض أولئك والمنافقون غير المختوم على قلوبهم (قلت) الكفر جمع الفريقين معا وصيرهم جنسا واحدا وكون المنافقين نوعا من نوعى هذا الجنس مغايرا للنوع الآخر بزيادة زادوها على الكفر الجامع بينهما من الخديعة والاستهزاء لا يخرجهم من أن يكونوا بعضا من الجنس فان الاجناس انما تنوعت لمغايرات وقعت بين بعضها وبعض وتلك المغايرات انما تأتى بالنوعية ولا تأبى الدخول تحت الجنسية (فان قلت) لم اختص بالذكر الايمان بالله والايمان باليوم الآخر (قلت) اختصاصهما بالذكر كشف عن افراطهم فى الخبث وتماديهم فى الدعارة لان القوم كانوا يهودا وايمان اليهود بالله ليس بايمان لقولهم عزير ابن الله وكذلك ايمانهم باليوم الآخر لانهم يعتقدونه على خلاف صفته فكان قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر خبثا مضاعفا

فاعل كذا لانه عرفهم كلهم الا اذا كان فى تنكيره غرض كـ تحقير عليه أو تجهيل وكلامنا الآن فى الاصل (قوله كيف يجعلون) هذا سؤال على جواز كون اللام فى الناس للعهد أى كيف يجعل أهل التصميم على النفاق (بعض أولئك) الكفرة المصرين الذين وصفوا بالختم على قلوبهم (والمنافقون) المذكورون (غير المختوم على قلوبهم) أى غير من أخبر عنهم فيما تقدم بالختم لانهم الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا كما دل عليه قوله ثم ثنى والجواب ان الكفر على سبيل التصميم والاصرار بالختم والتغشية (جمع الفريقين) الماحضين المصرين والمنافقين المصممين (معا وصيرهم جنسا واحدا) هو الكافر الذى لا يرعوى عن كفره أصلا لكن المنافقين امتازوا عن الماحضين (بزيادة زادوها على الكفر) الاصرارى وبذلك لا يخرجون عن ذلك الجنس الجامع بينهما والحاصل ان المراد بالذين كفروا على تقدير الجنس هم المصرون مطلقا فيندرج فيه المنافقون المصممون وما ذكره من انه ثنى بذكر الماحضين محمول كما مر على ان المنافقين لما افردوا بذكر ما هو كاف فى بيان أحوالهم كان المقصود بالذات فى ذلك الحكم المشترك بيان حال الماحضين لا على ان الماحضين هم المرادون به مطلقا وبما قررناه صح جعلهم بعض أولئك واستقام قوله ثم ثنى بلا اشكال ﴿ولا يقال﴾ فعلى هذا لا يكون المنافق الذى لا يصر على نفاقه داخلا فى أحكام هذه الآيات ﴿لانا نقول﴾ لا بأس به كما فى عدم دخول الماحض الذى لا يصر على كفره فيما تقدم وعدم دخول صاحب الكبيرة فى المتقين مع كونه من المؤمنين عند الجمهور فالمذكور من الاقسام الثلاثة للمكلفين رؤساؤها واعلامها ومنهم من قرر السؤال بان من المنافقين من يخلص الايمان فلا يصح جعل كلهم بعضا من الكفرة الذين ختم على قلوبهم وأجاب بان الكافر جنس يندرج فيه أنواع متمايزة بخصوصيات واذا كان اللام فى الناس للعهد كان اشارة الى ذلك الجنس مطلقا لا الى المصرين الذين دل الاخبار بالاستواء على انهم هم المرادون فقط ولا الى الخاص الذين كفروا ظاهرا وباطنا ثم قال واما الجواب بحمل المنافقين أيضا على المصممين بدليل ما فى الآيات من التشديدات والحكم بالصمم والبكم والعمى وتصريح المصنف فيما مر بانهم من أهل التصميم على النفاق وفيما سيأتى بانهم من أهل الطبع فهم بعض من الكفرة المختوم على قلوبهم واشتراؤهم الضلالة بالهدى يتوقف على تمكنهم منه بحسب الفطرة ولا ينافى الختم العارض بتقصيرهم ففيه انه لا يوافق تقرير الكتاب وكلاهما مردودان اما جوابه فلأن لام العهد بعد ذكر المعهود انما يكون اشارة الى ما يريد به فى نظم الكلام لا الى ما يعمه وغيره واما ادعواه عدم الموافقة فلما أشرنا اليه من ان الكفر المذكور فى تقرير المصنف أريد به الكفر الذى أصر عليه اعتمادا على ما علم سالف (قوله قلت اختصاصهما بالذكر كشف) هذه نكتة متعلقة بحكاية مقالتهم أى حكى كلامهم على ما قالوه وكشف بذلك عن افراطهم والدعارة الفسق والفساد من دعر العود دعرا أى كثر دخانه يقال فلان داعر فى كل فتنة ناعر (قوله كانوا يهودا) أى يهوديين يقال يهودى ويهود كزنجى وزنج واما يهود مفردا فهو علم جرى فى كلامهم مجرى القبيلة دون الحى قال الشاعر

فرت يهود وأسلمت جيرانها * صمى لما فعلت يهود صمام

(قال محمود رحمه الله ان قلت كيف ذلك ومخادعة الله والمؤمنين لا تصح الخ) قال أحمد رحمه الله هذا الفصل من كلام الزمخشري جمع فيه بين الغث والسمين ونحن ننبه على ما فيه ١٣٠ من الزبد ليتم للناظر أخذ ما فيه من السنة آمنا من التورط في وضر البدعة معتصمين بالله وهو خير معين فمما خالف فيه السنة قوله ان الله تعالى عالم بذاته يريد لا بعلم وهذا مما وسمت به المعتزلة في المقدمة من انهم يجحدون صفات الكمال الالهي يبغون بذلك زعموا التوحيد والتنزيه ومعتقد أهل السنة ان الله تعالى عالم بعلم قديم أزلي متعلق بكل معلوم واجب أو ممكن أو مستحيل ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين وحسبك هذه الآية مصدقة لمعتقدهم في ثبوت صفة العلم له تعالى وفي عموم تعلقه بالكليات والجزئيات الى ما وراءها من البراهين الكلامية على ذلك ولسنا بصدد ذكرها في هذا الكتاب * ومما خالف فيه السنة اعتقاده ان في الكائنات ما ليس مخلوقا لله تعالى لانه قبيح على زعمه كالمفهوم من الخداع في هذه الآية وما جره الى هاتين النزغتين من الاعتقاد أنه لا يتم استحالة كونه تعالى مخدوعا الا بأنه عالم بذاته حتى تعم عالميته كل كائن فلا ينخدع اذ نسبة الذات الى الكائنات نسبة واحدة ولا يتم استحالة كونه تعالى مخادعا الا باستحالة صدور بعض الكائنات عنه لانه قبيح على زعمهم ولقد وقف هذا التنزيه على ما لا توقف عليه ولا تبرط فيه فنحن معاشر

وكفرا موجها لان قولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم عقيدتهم فهو كفر لا ايمان فاذا قالوه على وجه النفاق خديعة للمسلمين واستهزاء بهم وأروهم أنهم مثلهم في الايمان الحقيقي كان خبثا الى خبث وكفرا الى كفر وأيضا فقد ادعوا في هذا المقال أنهم اختاروا الايمان من جانبيه واكتنفوه من قطريه وأحاطوا بأوله وآخره وفي تكرير الباء أنهم ادعوا كل واحد من الايمانين على صفة الصحة والاستحكام (فان قلت) كيف طابق قوله وما هم بمؤمنين قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر والاول في ذكر شأن الفعل لا الفاعل والثاني في ذكر شأن الفاعل لا الفعل (قلت) القصد الى انكار ما ادعوه ونفيه فسلك في ذلك طريق أدى الى الغرض المطلوب وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره وهو اخراج ذواتهم وأنفسهم من أن تكون طائفة من طوائف المؤمنين لما علم من حالهم المنافية لحال الداخلين في الايمان واذا شهد عليهم بأنهم في أنفسهم على هذه الصفة فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك نفي ما انتحلوا اثباته لانفسهم على سبيل البت والقطع ونحوه قوله تعالى يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها هو أبلغ من قولك وما يخرجون منها (فان قلت) فلم جاء الايمان مطلقا في الثاني وهو مقيد في الاول (قلت) يحتمل أن يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه وأن يراد بالاطلاق أنهم ليسوا من الايمان في شيء قط لا من الايمان بالله وباليوم الآخر ولا من الايمان بغيرهما (فان قلت) ما المراد باليوم الآخر (قلت) يجوز أن يراد به الوقت الذي لا حد له وهو الابد الدائم الذي لا ينقطع لتأخره عن الاوقات المنقضية وأن يراد الوقت المحدود من النشور الى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة الذي لا حد للوقت بعده * والخدع أن يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه من قولهم ضب خادع وخدع اذا أمر الحارش يده على باب جحره أوهمه اقباله عليه ثم خرج من باب آخر (فان قلت) كيف ذلك ومخادعة الله والمؤمنين لا تصح لان العالم الذي لا تخفى

(قوله وكفرا موجها) أي ذا وجهين كل كفر له وجه من قولهم كساء موجه له وجهان (وأيضا فقد ادعوا) أي واذا قالوا ذلك وخصوهما بالذكر فقد ادعوا بأنهم آمنوا بالمبدأ والمعاد على ما ينبغي ويندرج فيه الايمان كله وهذه نكتة متعلقة بقالانهم لا بحكايتها (قوله والاول في شأن الفعل) أي في بيان انه متحقق صادر عنهم (والثاني في ذكر شأن الفاعل) أي في بيان انه بحيث لم يصدر عنه ذلك الفعل وسواء قصد بذلك اختصاصه بنفي الفعل كما سيأتي في قوله تعالى وما أنت علينا بعزيز أو لم يقصد فانه لا يطابق رد دعواهم بل المطابق له ان يقال وما آمنوا والجواب ان العدول الى الاسمية لسلوك طريق الكناية في رد دعواهم الكاذبة فان انخراطهم في سلك المؤمنين وكونهم طائفة من طوائفهم من لوازم ثبوت الايمان الحقيقي لهم وانتفاء اللازم أعدل شاهد على انتفاء ملزومه ففيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في نفي الملزوم ابتداء وكيف لا وقد بولغ في نفي اللازم بالدلالة على دوامه المستلزم لانتفاء حدوث الملزوم مطلقا وأكد ذلك النفي بالباء أيضا فليس في هذه الاسمية تقديم لقصد الاختصاص أصلا ولا يجعل الكلام في شأن الفاعل انه كذا وليس كذا فيطابق المقصود بها ما ذكرناه من سلوك طريق هو أبلغ وأقوى في رد تلك الدعوى ونظيرها في سلوك هذه الطريقة قوله تعالى وما هم بخارجين منها (قوله فلم جاء) أي اذا أريد بهذه الاسمية انكار ما ادعوه في تلك الفعلية كان الاولى تطابقهما في تقييد الايمان أجاب بانه قصد الاختصار أو زيد في الجواب ما ذكره واللام في قوله (لتأخره) متعلقة بيراد اشارة الى سبيل تسمية الوقت الذي لا انقطاع له باليوم الآخر وقس عليها اللام الاخرى (قوله ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه) يعني ويصيبه به كما يدل عليه تفسيره لاصله الذي أخذ منه ويؤيده أيضا قوله مخدوعا ومصابا بالمكروه من وجه خفي يقال وهمت الشيء أهمه اذا ذهب اليه وهمك وأوهمته غيري (قوله كيف ذلك ومخادعة الله تعالى) يريد ان صيغة المخادعة

عليه خافية لا يخدع والحكيم الذي لا يفعل القبيح لا يخدع والمؤمنون وان جاز أن يخدعوا لم يجز أن يخدعوا ألا ترى الى قوله * واستمطروا من قريش كل منخدع * وقول ذي الرمة * ان الحليم وذا الاسلام يختلب * فقد جاء النعت بالانخداع ولم يأت بالخدع (قلت) فيه وجوه * أحدها أن يقال كانت صورة صنعهم مع الله حيث يتظاهرون بالايمان وهم كافرون صورة صنع الخادعين وصورة صنع الله معهم حيث أمر باجراء أحكام المسلمين عليهم وهم عنده في عداد شرار الكفرة وأهل الدرك الاسفل من النار صورة صنع الخادع وكذلك صورة صنع المؤمنين معهم حيث امتثلوا أمر الله فيهم فأجروا أحكامهم عليهم * والثاني أن يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم أن الله ممن يصح خداعه لان من كان ادعاؤه الايمان بالله نفاقا لم يكن عارفا بالله ولا بصفاته ولا أن لذاته تعلقا بكل معلوم ولا أنه غني عن فعل القبائح فلم يبعد من مثله تجويز أن يكون الله في زعمه مخدوعا ومصابا بالمكروه من وجه خفي وتجويز أن يدلس على عباده ويخدعهم * والثالث أن يذكر الله تعالى ويراد الرسول صلى الله عليه وسلم لانه خليفته في أرضه والناطق عنه بأوامره ونواهيه مع عباده كما يقال قال الملك كذا ورسم كذا وانما القائل والراسم وزيره أو بعض خاصته الذين قولهم قوله ورسمهم رسمه مصداقه قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم وقوله من يطع الرسول فقد أطاع الله * والرابع أن يكون من قولهم أعجبني زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين آمنوا بالله

يقتضي صدور الفعل من كل واحد من الجانبين متعلقا بالآخر وخدع المنافقين لله تعالى وهو ان يوقعوا في علمه خلاف ما يريدون به من المكروه ويصيبوه به مع الاخفاء في استحالته وخدع الله تعالى اياهم بان يوقع في أوهامهم خلاف ما يريد بهم من المكاره ليغتروا ثم يصيبهم به قبيح على مذهبه واذا زيد كما قيل في تفسير الخدع مع استشعار خوف أو استحياء من المجاهرة امتنع صدوره عنه تعالى مطلقا وأيضا من المعلوم ان حاله تعالى مع المنافقين لم يكن حقيقة هذا المعنى المذكور وان المؤمنين وان جاز ان يخدعوا اعتبارا او اعتهم من غير ان يرجع اليهم في ذلك نقصان لم يجز ان يقصدوا خداعهم فانه غير مستحسن بل مستهجن يذم به (قوله واستمطروا) أي استسقوا واطلبوا العطاء وتمام البيت

* ان الكريم اذا خادعته انخدعا *

وقد يروى بالفاء هكذا لا خير في الحب لا ترجى نوافله * فاستمطروا من قريش كل منخدع
تخال فيه اذا خاتلته بلها * عن ماله وهو وافي العقل والورع

وفي هذه الرواية دلالة واضحة على ان الخداع الذي يمدح به هو التخادع أعني اظهار الانخداع تكرما لا ما ينشأ من البله وسذاجة الصدر فانه منقصة ومن ثم قيل في حق الفاروق رضي الله عنه كان أعقل من ان يخدع وأورع من ان يخدع وفي الرواية الاولى دلالة على ذلك لكن مع دقة وخفاء وصدر قول ذي الرمة * تلك الفتاة التي علقتها عرضا * يقال علق بالمرأة أي أحبها وكذا علقتها على صيغة المبني للمفعول ومعنى عرضا من غير قصد وروية بل انخداع كما هو دأب الحليم والمسلم ويختلب أي يخدع والوجه في تعليل محبة المشيقة بالحلم والاسلام انهما يدلان على رقة القلب التي بها يتأثر البال من الجمال سريعا وقد أدمج في ذا اتصافه بهذين الوصفين (قوله يتظاهرون بالايمان) أي يظهرونه مع ابطان الكفر فهذا فعل صادر عنهم بالقياس الى الله تعالى والمؤمنين يشبه الخدع بحسب الصورة وكذا الحال في صنع الله والمؤمنين معهم والحاصل ان بينهم من الجانبين معاملة شبيهة بالمخادعة فقوله يخادعون استعارة تبعية وليس في هذا الجواب اعتبار هيئة مركبة من الجانبين وما يجري بينهما مشبهة بهيئة أخرى مركبة من الخادع والمخدوع والخدع ليحمل الكلام على الاستعارة التمثيلية على قياس ما مر تحقيقه في ختم الله على قلوبهم فلا تغفل والجواب الثاني ان المخادعة محمولة على حقيقتها لكنها ترجمة عن معتقدهم الباطل وظنهم الفاسد كأنه قيل يزعمون انهم يخدعون الله وانه يخدعهم وقد أشار بقوله ولا ان لذاته تعلقا بكل معلوم الى مذهبه أي هو عالم بالذات لا بعلم قائم بذاته (قوله ان يذكر الله تعالى ويراد الرسول) لم يرد ان لفظ الله تعالى أطلق على رسوله صلى الله عليه وآله

أهل السنة نعتقد ان الله تعالى عالم بعلم ومع ذلك نعتقد استحالة كونه مخدوعا لان علمه عندنا عام التعلق كما وصفنا ونعتقد انه لا يصدر كائن في الوجود الا عن قدرته لا غير ومع ذلك نمنع أن ينسب الخداع الى الله تعالى لما يوهم ظاهره من انه انما يكون عن عجز عن المكافحة واظهار المكتوم هذا هو الموهوم منه في الاطلاق ولكن حيث أطلقه تعالى مقابلا لما ذكره من خداع المنافقين كمقابلة المكر بمكرهم علمنا ان المراد منه انه فعل معهم فعلا سماه خداعا مقابلة ومشاكلة والا فهو قادر على هتك سترهم وانزال العذاب بهم رأي العين فهذا معتقد أهل السنة في هذه الآية وأمثالها لا كالزمخشري وشيعته الذين يزعمون أنهم يوحدون فيجحدون وينزهون فيشركون والله الموفق للحق وكذلك الخداع المنسوب اليهم على سبيل المجاز عن تعاطيهم أفعال المخادع على ظنهم وأصدق شاهد في أنه مجاز نفيه بعقب اثباته في قوله

وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص ولما كان المؤمنون من الله بمكان سلك بهم ذلك المسلك ومثله والله
ورسوله أحق أن يرضوه وكذلك ان الذين يؤذون الله ورسوله ونظيره فى كلامهم علمت زيدا فاضلا والغرض
فيه ذكر احاطة العلم بفضل زيد لا به نفسه لانه كان معلوما له قديما كأنه قيل علمت فضل زيد ولكن ذكر زيد
توطئة وتمهيد لذكر فضله (فان قلت) هل للاقتصار بخادعت على واحد وجه صحيح (قلت) وجهه أن يقال
عنى به فعلت الا أنه أخرج فى زنة فاعلت لان الزنة فى أصلها للمبالغة والمباراة والفعل متى غولب فيه فاعله جاء
أبلغ وأحكم منه اذا زاوله وحده من غير مغالب ولا مبار لزيادة قوة الداعى اليه ويعضده قراءة من قرأ
يخدعون الله والذين آمنوا وهو أبو حيوة و (يخادعون) بيان ليقول ويجوز أن يكون مستأنفا كأنه قيل
ولم يدعون الايمان كاذبين وما رفقهم فى ذلك فقيل يخادعون (فان قلت) عم كانوا يخادعون (قلت) كانوا
يخادعونهم عن أغراض لهم ومقاصد منها امتاركتهم واعفاؤهم عن المحاربة وعما كانوا يطرقون به من سواهم
من الكفار ومنها اصطناعهم بما يصطنعون به المؤمنين من اكرامهم والاحسان اليهم واعطائهم الحظوظ

فانه لا يطلق على غيره تعالى لا حقيقة ولا مجازا بل أراد ان هناك نسبة ايقاعية من قبيل المجاز العقلى كما فصله
فى المثال الذى أورده وملخص الجواب الرابع ان ذكر الله تعالى ليس لتعلق الخدع به بل لمجرد التوطئة
وفائدتها ههنا التنبيه على قوة اختصاص المؤمنين بالله تعالى وقربهم منه حتى كان الفعل المتعلق بهم دونه
يصح ان يتعلق به أيضا وكذا الحال فى أعجبنى زيد وكرمه فان ذكر زيد توطئة وتنبيه على ان الكرم قد شاع عنه
وتمكن بحيث يصح ان يسند اليه أيضا الاعجاب الذى هو للكرم لا لزيد ومثل هذا العطف يسمى جاريا مجرى
التفسير واما قولك أعجبنى زيد كرمه على الابدال فليس فى تلك المرتبة من افادة التلبيس بينهما الدلالته
على ان المقصود بالنسبة هو الثانى فقط وانما ذكر الاول سلوكا لطريقة الاجمال والتفصيل وفى صورة
العطف قد دل بحسب الظاهر على قصد النسبة اليهما معا فيكون أدل على قوة التمكن (قوله ومثله والله
ورسوله أحق ان يرضوه) فانه وحد فيه الضمير للدلالة على ان المقصود ارضاء الرسول وان ذكر الله تعالى
للاشعار بان الرسول من الله تعالى بمنزلة عظيمة واختصاص قوى حتى سرى الارضاء منه اليه وكذا الحال
فى الايذاء فانهم لا يؤذون الله حقيقة بل الرسول وحده واما قوله علمت زيدا فاضلا فهو نظير لما نحن فيه
من حيث ان المقصود الاصلى هو الثانى بناء على ان مناط الفائدة ومصب الغرض هو الخبر اذ منه ينتزع
الحكم بالنسبة وان لم يكن الاول ملغى بالكلية فلا يرد ان العلم متعلق بالنسبة القائمة بالطرفين فهما
مقصودان معا تبعا لها فلا يكون ذكر زيد توطئة وتمهيدا لذكر فضله وانما قال كأنه قيل علمت فضل زيد نظرا
الى ان مآل المعنى مضمون الخبر لا الى ان المعنى هو ذلك بعينه كيف وعلم البتة يعدى فى الاستعمال الى
مفعولين لا يجوز الاقتصار على أحدهما ولا يذهب عليك ان الجواب الثالث والرابع مبنيان على ان يخادع بمعنى
يخدع اذ لا خدع من الرسول صلى الله عليه وآله والمؤمنين كما تقدم ولا مجال أيضا مع اتحاد اللفظ ان يكون
الخدع من أحد الجانبين حقيقة ومن الآخر مجازا (قوله الا انه اخرج فى زنة فاعلت) وقال المصنف نظيره فلان
يخاشى الله أى يخشاه خشية عظيمة (والمباراة) المعارضة وان يفعل مثل فعل صاحبه ليغلبه وحينئذ يقوى
الداعى الى الفعل ويجىء ابلغ واحكم واذا قرئ يخدعون توجه السؤال بان خدعهم الله تعالى محال ويتأتى
فيه الاجوبة الاربعة بلا خفاء وجعل يخادعون بيانا ليقول أولى من جعله مستأنفا لانه ايضاح لما سبق
وتصريح بان قولهم كان مجرد خداع وأيضا ليست المخادعة أمرا مطلوبا بالذات فلا يكون الجواب به شافيا
بل يحتاج الى سؤال آخر كما ذكره (قوله وما رفقهم) أى نفعهم يقال ما ارفق ومرتع رفق أى سهل المطلب
وارتفقت به أى انتفعت به واسترفقته فارفقنى بكذا نفعنى به (قوله عم كانوا يخادعون) أى عن أى غرض
من الاغراض صدر خداعهم ولاى سبب كانوا يخدعون والجواب ان لهم فى ذلك اغراضا دفع المضرة عن
انفسهم وجذب المنفعة لها وايصال المضرة الى المؤمنين (قوله يطرقون) يقال طرقه طروقا أتاه ليلا

يخادعون الله والذين آمنوا

وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون

فنفى هذه التتمة نفى احتمال الحقيقة حتى يتعين جهة المجاز صدق نفيه فتأمل هذا الفصل فله على سائر الفصول الفضل

من المغانم ونحو ذلك من الفوائد ومنها اطلاعهم لاختلاطهم بهم على الاسرار التى كانوا حراصا على اذاعتها الى منابذيهم (فان قلت) فلو أظهر عليهم حتى لا يصلوا الى هذه الاغراض بخداعهم عنها (قلت) لم يظهر عليهم لما أحاط به علما من المصالح التى لو أظهر عليهم لانقلبت مفاسد واستبقاء ابليس وذريته ومتاركتهم وماهم عليه من اغواء المنافقين وتلقينهم النفاق أشد من ذلك ولكن السبب فيه ما علمه تعالى من المصلحة (فان قلت) ما المراد بقوله (وما يخادعون الا أنفسهم) (قلت) يجوز أن يراد وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين الا أنفسهم لان ضررها يلحقهم ومكرها يحيق بهم كما تقول فلان يضارة لا ناوما يضار الا نفسه أى دائرة الضرار راجعة اليه وغير متخطية اياه وأن يراد حقيقة المخادعة أى وهم فى ذلك يخدعون أنفسهم حيث يمنونها الاباطيل ويكذبونها فيما يحدثونها به وأنفسهم كذلك تمنيهم وتحدثهم بالامانى وأن يراد وما يخدعون فجىء به على لفظ يفاعلون للمبالغة وقرئ وما يخدعون ويخدعون من خدع ويخدعون بفتح الياء

وما يخادعون الا أنفسهم
وما يشعرون فى قلوبهم
مرض فزادهم الله مرضا

وطرقه الزمان بنوائبه أصابه بها والمنابذة اظهار العداوة كأن كلا من المتعاديين المتظاهرين ينبذ ما في نفسه من العداوة أو ينبذ عهده اليه (قوله فلو أظهر) شرط حذف جوابه قد أصاب محزه من المبالغة والضمير المستتر فى الفعل لله تعالى والبارز فى عليهم اما للمؤمنين أى لو أظهر الله نفاقهم على المؤمنين وهو أبلغ من ان يقال اظهرلهم لدلالته على ظهور مكشوف مستقل لا مدفع له واما للمنافقين أى لو اطلع المؤمنين على نفاقهم بتضمين الاظهار معنى الاطلاع (قوله بخداعهم عنها) أى بصدور خداعهم عن تلك الاغراض كقوله يخادعونهم عن اغراض لهم على تضمين الخداع معنى الصدور والمقصود الحقيق بهذا السؤال طلب فائدة الخداع من الجانب الآخر كما ان ما سبق كان طلبا لفائدته من جانب المنافقين الا انه فرعه على بيان ما رامو من الاغراض (قوله من المصالح التى لو أظهر عليهم لانقلبت مفاسد) من جملة تلك المصالح ان الستر عليهم يوهم المخالفين الكفار انهم من أعوان المسلمين فيه فيحملهم ذلك على ان يستشعروا الخوف ويجبنوا عن قتال المؤمنين لكثرة عددهم ومنها انهم اذا عاشروا من يصحبهم ويظهر انه منهم كان ذلك سببا لنفرة غيرهم عن الاسلام ومصاحبتهم ومنها ان ملاينتهم وحسن معاشرتهم ربما أدت الى استمالة قلوب جماعة أخرى تتقوى بهم كلمة الله العليا (قوله ما المراد بقوله وما يخادعون) أى هل أريد به المخادعة الاولى المتعلقة بالله والمؤمنين أو مخادعة أخرى فأجاب أولا بانه يجوز ان يراد به الاولى وأشار الى تطبيقه على الوجه الاول من الوجوه الاربعة المذكور هناك وتلخيصه ان المخادعة مستعارة للمعاملة الجارية فيما بينهم وبين الله تعالى والمؤمنين المشبهة بمعاملة المخادعين فقصرت هذه المعاملة ههنا على أنفسهم بعد تعليقها بما علقت به سابقا بناء على ان ضررها عائد اليهم لا يعدوهم ونظيره (فلان يضار فلانا وما يضار الا نفسه) ومثل هذا الاستعمال سائغ فى اللغات كلها جار فى باب المفاعلة وغيره افتكون العبارة الدالة على قصر تلك المعاملة مجازا أو كناية عن انحصار ضررها فيهم أو يجعل لفظ الخداع المستعار مجازا مرسلا عن ضرره فى المرتبة الثانية ويمكن ان يقال لما انحصرت نتيجة تلك المعاملة فيهم جاز ان يدعى ان نفس تلك المعاملة مقصورة عليهم ويكون حينئذ انحصار ضررها فيهم مفهوما تبعا لا قصدا فلا حاجة الى تجوز أو كناية ولعل فى قوله (أى دائرة الضرار راجعة اليه وغير متخطية اياه) نوع اشارة الى ما ذكرناه ولك ان تطبقه على الوجوه الثلاثة الباقية وثانيا بانه يجوز ان يراد به مخادعة أخرى اما جارية فيما بين اثنين أو مقتصرة على واحد فالاولى ان يراد به المخادعة الحقيقية الجارية فيما بينهم وبين أنفسهم فانهم فى ذلك أى فى خداعهم لله وللمؤمنين على تلك الوجوه الاربعة يخدعون أنفسهم فيمنونها الاباطيل والاكاذيب من انه سيتفرع على هذا الخداع أمور مهمة واغراض مطلوبة وهى تنخدع بذلك وتطمئن وكذلك أنفسهم تخدعهم حيث تمنيهم وتحدثهم بالامانى والاطماع الفارغة ومن البين ان حقيقة المخادعة تقتضى فاعلين مختارين يقصد كل منهما اصابة الآخر بمكروه فلا تتصور هذه الحقيقة بين المنافقين وأنفسهم سواء أريد بها ذواتهم أو دواعيهم ومن ثمة قيل يريد بذلك أن

بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على لفظ مالم يسم فاعله * والنفس ذات الشئ وحقيقته يقال عندى كذا انفساثم قيل للقلب نفس لان النفس به ألا ترى الى قولهم المرء بأصغريه وكذلك بمعنى الروح والدم نفس لان قوامها بالدم وللماء نفس لفرط حاجتها اليه قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شئ حى وحقيقة نفس الرجل بمعنى عين أصيبت نفسه كقولهم صدر الرجل وقولهم فلان يؤامر نفسيه اذا تردد فى الامر واتجه له رأيان وداعيان لا يدرى على أيهما يعرج كأنهم أرادوا داعى النفس وهاجسى النفس فسموهما نفسين اما لصدورهما عن النفس واما لان الداعيين لما كانا كالمشيرين عليه والآمرين له شبهوهما بذاتين فسموهما نفسين والمراد بالانفس ههنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم أن الخداع لاصق بهم لا يعدوهم الى غيرهم ولا يتخطاهم الى من سواهم ويجوز أن يراد قلوبهم ودواعيهم وآراؤهم * والشعور علم الشئ علم حس من الشعار ومشاعر الانسان حواسه والمعنى أن لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادى غفلتهم كالذى لا حس له * واستعمال المرض فى القلب يجوز أن يكون حقيقة ومجازا فالحقيقة أن يراد الالم كما تقول فى جوفه مرض والمجاز أن يستعار لبعض أعراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل الى المعاصى والعزم عليها واستشعار الهوى والجبن والضعف وغير ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض كما استعيرت الصحة والسلامة فى نقائض ذلك والمراد به هنا ما فى قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر أو من الغل والحسد والبغضاء

* قوله تعالى وما يشعرون الآية (قال محمود رحمه الله تعالى والشعور علم الشئ علم حس الخ) قال أحمد رحمه الله اتضاح هذا الكلام على تفسير الشعور كما قال بأنه علم الشئ من ناحية الحس الخ انه لما كانت مفسدة النفاق عائدة على المنافق مردا بينا جليا كالمحسوس نعى عليهم جهلهم بالمحسوس فنفى شعورهم به ولا كذلك معرفة الحق وتمييزه عن الباطل فانه أمر عقلى نظرى

الايهام يعتبر فى هذا المعنى ولا يكون لفظ الخداع مجازا عن ضرره كما مر والثانية أن يراد بالمخادعة الخدع فلا يحتاج حينئذ الى اعتبار الخدع من جانب الانفس والقول بأن الاولى مبنية على التجريد من الجانبين والثانية عليه من جانب واحد تكلف بارد (قوله على لفظ مالم يسم فاعله) فينصب أنفسهم حينئذ على نزع الخافض يقال خدعت زيدا نفسه أى عن نفسه على طريقه واختار موسى قومه أو على التمييز ان جوز كونه معرفة (قوله ثم قيل للقلب) بمعنى العضو الصنوبرى نفس لان النفس أى الذات به أى قوامها بذلك العضو الا ترى الى قولهم المرء بأصغريه أى بقلبه ولسانه و(كذلك) أى قيل النفس للقلب بمعنى الروح أو بماء النفس بهذا المعنى أيضا والمتبادر من كلامه ان لفظ النفس حقيقة فى الذات مجاز فيما عداه وذلك ظاهر فى الدم والماء والرأى الذى سيذكره ومعنى (عين الرجل) اصابته العين (وصدر الرجل) أصيب صدره (وقولهم) مبتدأ خبره (كأنهم أرادوا) والعائد محذوف أى أرادوا به (واذا تردد) ظرف لقولهم (والهاجس) ما يخطر فى النفس ويدور من هجس اذا خطر واطلاق النفس على الرأى والداعى من قبيل تسمية المسبب باسم السبب أو استعارة مبنية على المشابهة والثانى أنسب بهذا المقام وأظهر بحسب المعنى (قوله والمراد بالانفس ههنا ذواتهم) وحينئذ يتعين أن يراد بقصر خداعهم فى ذواتهم قصر ضرره عليهم كما ذكره فى الجواب الاول عن المراد بقوله وما يخادعون الا أنفسهم (قوله ويجوز أن يراد قلوبهم ودواعيهم وآراؤهم) ذكر القلوب تمهيد لذكر الدواعى والآراء لا انه وجه آخر واذا أريد بالانفس الدواعى تعين الجوابان الاخيران وكان اعتبار المشابهة أولى كما لا يخفى فبيان ان المراد بالانفس أحد هذين المعنيين تتمة للاجوبة الثلاثة (قوله كالذى لا حس له) ففى لا يشعرون اشعار بانحطاطهم عن مرتبة البهائم حيث لا يدركون أجلى المعلومات فيكون أبلغ وأليق بالمقام من لا يعلمون وأشار بقوله والمعنى ان لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس الى المعنى الاول من معانى خداعهم لانفسهم فتدبر (قوله واستعمال المرض) أى المرض فى اللغة قد يستعمل فى القلب على سبيل الحقيقة بأن يراد به الالم وكونه مرضا حقيقة مما لا شبهة فيه عند أهل اللغة وقد يستعمل على سبيل المجاز وأما فى الآية فالمراد به المعنى المجازى الذى هو آفة فى الادراك كسوء الاعتقاد والكفر أو الهيئة الباعثة على ارتكاب الرذائل كالغل والحسد والبغض أو المانعة عن اكتساب الفضائل كالضعف والجبن والخور فقوله أو يراد مرفوع عطفا على قوله والمراد ههنا الخ وأما جعله منصوبا عطفا على ان يستعار فلا وجه له أصلا لان هذا أيضا من قبيل الاستعارة وانما لم يقل أو من الضعف كما يقتضيه اسلوب

لان صدورهم كانت تغلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين غلا وحنقا ويبغضونهم البغضاء التى وصفها الله تعالى فى قوله قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر ويتحرقون عليهم حسدا ان تمسسكم حسنة تسؤهم وناهيك مما كان من ابن أبى وقول سعد بن عبادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعف عنه يا رسول الله واصفح فوالله لقد أعطاك الله الذى أعطاك ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة أن يعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذى أعطاكه شرق بذلك أو يراد ما يتداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور لان قلوبهم كانت قوية اما القوة فطمعهم فيما كانوا يحدثون به أن ريح الاسلام تهب حينا ثم تسكن ولواءه يخفق أياما ثم يقر فضعفت حين ملكها اليأس عند انزال الله على رسوله النصر واظهار دين الحق على الدين كله واما لجراءتهم وجسارتهم فى الحروب فضعفت جبنا وخورا حين قذف الله فى قلوبهم الرعب وشاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر ومعنى زيادة الله اياهم مرضا انه كلما أنزل على رسوله الوحى فسمعوه كفروا به فازدادوا كفرا الى كفرهم فكان الله هو الذى زادهم ما ازدادوه اسنادا للفعل الى المسبب له كما أسنده الى السورة فى قوله فزادتهم رجسا الى رجسهم لكونها سببا أو كلما ازداد رسوله نصرة وتبسطا فى البلاد ونقصا من أطراف الارض ازداد واحسدا وغلا وبغضا وازدادت قلوبهم ضعفا وقلة طمع فيما عقدوا به رجاءهم وجبنا وخورا

كلامه بل ذكر الارادة لطول الفصل وأوردها بصيغة الفعل حطا لها عن ارادة الاولين وصرح بالتداخل لان ذلك قد حدث فى قلوبهم بعد ظهور الاسلام وقوة المسلمين كما بينه وقوله (لان صدورهم) تعليل لثبوت الغل والحسد والبغضاء فى قلوبهم المفهوم من معنى الكلام (والغل) الغش (والحنق) الغيظ ونصبهما على التمييز أظهر (ويبغضونهم) معطوف على خبر ان بحسب المعنى كأنه قيل لانهم كانت صدورهم تغلى ويبغضونهم (ويتحرقون) من حرق الاسنان أى سحق بعضها ببعض حتى سمع لها صريف وهو كناية عن شدة الغيظ لا من تحرق بمعنى احترق وان اشتهر ان الحسد كالنار والحاسد فى الاحتراق لان استعماله بعلى يمنع هذا المعنى وحسدا مفعول لاجله لا تمييز (قوله مما كان من ابن أبى) وهو ان النبى صلى الله عليه وآله أردف أسامة على حماره يعود سعد بن عبادة قبل وقعة بدر فمر على مجلس فيه عبد الله بن أبى قبل اسلامه والاخلاط من المسلمين والمشركين واليهود فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر ابن أبى أنفه بردائه وقال لا تغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وآله ونزل ودعاهم الى الله تعالى وقرأ عليهم القرآن فقال عبد الله مقالة آذى بها رسول الله صلى الله عليه وآله فلما دخل على سعد بن عبادة قال يا سعد ألم تسمع الى ما قال أبو الحباب يريد ابن أبى فقال يا رسول الله اعف عنه ومقصود المصنف من الاشارة الى هذه القصة اثبات الحسد والبغضاء للمنافقين ببيان رسوخ السبب والمادة فيهم قبل اظهارهم الاسلام فلا يقدح فى ذلك اشتمالها على ان ابن أبى كان مجاهرا بالكفر وعلى تصريح الرواة بأنها كانت قبل اسلامه وحمل اشارته على قصة أخرى مستبعد جدا (قوله ولقد اصطلح) عطف على جواب القسم وقيل حال فترك اللام أولى والمراد بهذه البحيرة المدينة ويقال هذه بحيرتنا أى أرضنا وبلدتنا وأصل التركيب يدل على السعة (والعصابة) العمامة عصبه أى عممه ولما كان العمائم تيجان العرب جعل التعصيب كناية عن التسويد وقيل كانوا اذا أرادوا أن يملكوا رجلا تو جوه فان لم يجدوا تاجا عصبوه بعصابة مرصعة بجواهر (قوله شرق بذلك) أى لم يقدر على اساغته والصبر عليه لتعاظمه بل اعترض فى حلقه كالماء المعترض فى حلق الشارب وقوله (لان قلوبهم) علة لتداخل الضعف والجبن قلوبهم كما ان قوله اما القوة فطمعهم واما لجراءتهم علة كون قلوبهم قوية وقد شبه الدولة فى نفوذ أمرها وتمشيته بالريح وهبوبها فاستعيرت لها (فضعفت جبنا) أى ضعفت لاجله واعلم ان قوله تعالى فى قلوبهم مرض جملة مستأنفة لبيان موجب خداعهم وما هم فيه من النفاق (قوله ومعنى زيادة الله تعالى) دل كلامه على ان قوله تعالى فزادهم اخبار (قوله اسنادا) مصدر لمحذوف أى فاسنده الله

ويحتمل أن يراد بزيادة المرض الطبع وقرأ أبو عمرو في رواية الاصمعي مرض ومرضا بسكون الراء * يقال ألم فهو (أليم) كوجع فهو وجيع ووصف العذاب به نحو قوله * تحية بينهم ضرب وجيع * وهذا على طريقة قولهم جد جده والالم في الحقيقة للمؤلم كما أن الجد للجاد والمراد بكذبهم قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وفيه رمز الى قبح الكذب وسماجته وتخييل أن العذاب الاليم لاحق بهم من أجل كذبهم ونحوه قوله تعالى مما خطيئاتهم أغرقوا والقوم كفرة وانما خصت الخطيئات استعظاما لها وتنفيرا عن ارتكابها والكذب الاخبار عن الشئ على خلاف ما هو به وهو قبيح كله وأما ما يروى عن ابراهيم عليه السلام أنه كذب ثلاث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما كانت صورته صورة الكذب سمي به وعن أبي بكر رضي الله عنه ورُوي مرفوعا اياكم والكذب فانه مجانب للايمان وقرئ يكذبون من كذبه الذي هو نقيض صدقه

تعالى الى نفسه اسناد الفعل الى المسبب فهو اسناد مجازى سواء فسر المرض بالكفر أو الحسد والغل أو الضعف والخور كما صرح به عبارته وان جاز اسناد المعنى الاخير الى الله تعالى حقيقة على رأيه أيضا والزيادة تستعمل لازما ومتعديا والمشهور في الازدياد اللازم لكن قوله ما ازدادوه يدل على انه قد تعدى الى مفعول واحد وعلى هذا فلا تنسب أن يكون المنصوب في قوله فازدادوا كفرا وازدادوا حسدا وازدادت قلوبهم ضعفا مفعولا وان جعل تمييزا كان فاعلا في الحقيقة للازدياد اللازم (قوله ويحتمل أن يراد بزيادة المرض الطبع) أي الختم فلا يراد بها ازديادهم في تلك الامراض كما مر في الوجه الاول بل يراد أن الله تعالى طبع على قلوبهم وختم عليها فلا يدخل عليها ما يزيل عنها تلك الامراض فزيادة المرض تكون مجازا عن الطبع والاسناد الى الله كما في ختم الله وتنكير مرضا على الوجهين لكونه مغايرا للاول ضرورة ان المزيد يغاير المزيد عليه ولك أن تقول المراد بالمرض الثاني هو الطبع أي زادهم الله طبعا وأن يحمل كلامه على ارادة هذا المعنى بتقدير مضاف أي زيادة الطبع ولعل هذا أقرب (قوله وقرأ أبو عمرو) هذه القراءة ليست من المتواترة قال ابن جني لا يجوز أن يكون مرض بالسكون تخفيف مرض لان المفتوح لا يخفف الا شاذا بخلاف المضموم والمكسور بل يجب أن يكون لغة أخرى فيه (قوله تحية بينهم) وصدر البيت * وخيل قد دلفت لها بخيل * وأراد بالخيل ‍ولهم عذاب أليم

الفرسان يقال دلف الكتيبة تقدمها ودلف الشيخ اذا قارب الخطو وكلا المعنيين حسن ههنا والباء للتعدية (قوله وهذا على طريقة جد جده) أي على طريقة الاسناد المجازي ولم يرد انه من قبيل الاسناد الى المصدر الذي أسند اليه ما لفاعله كما في المثال بعينه بل هو قريب منه كما ترى والذي هو من قبيله ألم أليم ووجع وجيع وسينكشف لك ان الاسناد المجازي لا ينحصر فيما مر ذكره من مصدر الفعل ونظائره وانما اقتصر على ذكر المجاز العقلي رد لما يقال من ان الاليم بمعنى المؤلم كالسميع بمعنى المسمع فانه ليس بثبت وسيصرح بذلك في قوله تعالى بديع السموات (قوله والألم في الحقيقة للمؤلم) على صيغة المفعول (قوله والمراد بكذبهم) أشار بذلك الى ان لفظ ما مصدرية واما كلمة كان فللدلالة على الاستمرار في الازمنة وقولهم آمنا اخبار باحداثهم الايمان فيما مضى ولو جعل انشاء للايمان كان متضمنا للاخبار بصدوره عنهم وفيه أي وفي جعل عذابهم مسببا لكذبهم رمز أي اشارة خفية الى قبح الكذب حيث خص بالذكر من بين جهات استحقاقهم اياه مع كثرتها وفيه تخييل ان لحوق ذلك العذاب بهم انما كان لاجل كذبهم نظرا الى ظاهر العبارة المقتصرة على ذكره واختار لفظ التخييل بناء على ان السامع يعلم ان ذلك اللحوق بجهات كثيرة وان الاختصار على ما ذكره رمز للتنبيه على سماجته وتنفير عن ارتكابه (قوله والكذب الاخبار) أي الاعلام بالشئ كزيد مثلا على خلاف ما هو متلبس به من ثبوت القيام له أو انتفائه عنه أو الاعلام بالشئ الذي هو النسبة على خلاف الوجه الذي هي متلبسة به من كونها ثابتة أو منفية ومباحث قبحه عقلا أو شرعا مستقصاة في موضعها (قوله ثلاث كذبات) هي قوله اني سقيم وأراد به سأسقم وقد علم بأمارات من النجوم أو اني سقيم

بما كانوا يكذبون وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض

أو من كذب الذي هو مبالغة في كذب كما بولغ في صدق فقيل صدّق ونظيره بان الشيء وبيّن وقاص الثوب وقلّص أو بمعنى الكثرة كقولهم موّتت البهائم وبرّكت الابل أو من قولهم كذب الوحشي اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه لان المنافق متوقف متردد في أمره ولذلك قيل له مذبذب وقال عليه السلام مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة (واذا قيل لهم) معطوف على يكذبون ويجوز أن يعطف على يقول آمنا لانك لو قلت ومن الناس من اذا قيل لهم لا تفسدوا كان صحيحا والاول أوجه * والفساد خروج الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعا به ونقيضه الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة والفساد في الارض هيج الحروب والفتن لان في ذلك فساد ما في الارض وانتفاء الاستقامة عن أحوال الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية قال الله تعالى واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ومنه قيل لحرب كانت بين طيء حرب الفساد وكان فساد المنافقين في الارض أنهم كانوا يمالئون الكفار ويمالئونهم على المسلمين بافشاء أسرارهم اليهم واغرائهم عليهم وذلك مما يؤدي الى هيج الفتن بينهم فلما كان ذلك من صنيعهم مؤديا الى الفساد قيل لهم لا تفسدوا كما تقول للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار اذا أقدم على ما هذه عاقبته وانما لقصر الحكم على شيء كقولك انما ينطلق زيد أو لقصر الشيء على حكم كقولك انما زيد كاتب

الآن بسبب غيظي وحنقي من اتخاذكم آلهة وقوله بل فعله كبيرهم المراد به انه اذا لم يقدر على دفع المضرة عن نفسه وغيره فكيف يصلح الها أو ان تعظيمه كان هو الحامل له على كسرها وقوله لملك الشام ان سارة أختي ومراده الاخوة في الدين وقيل كذباته الثلاث قوله في الكواكب هذا ربي ثلاث مرات وقصد به الحكاية أو الفرض والتقدير ليرشدهم الى عدم صلاحية الالهية وسيأتيك تحقيق التعريض ان شاء الله تعالى فهذه الاخبارات صادقة لكنها في صورة الكذب فسميت كذبات (قوله هو مبالغة في كذب) أي هو يدل على قوة الكذب وعظمه كما ان بيّن يدل على كمال ظهور الشيء واتضاحه وقلّص يدل على شدة قلوص الثوب وانضمام بعضه الى بعض فكأنه قيل يكذبون كذبا عظيما أو بمعنى الكثرة عطف على مبالغة أي أو من كذب الذي هو بمعنى الكثرة في الفاعل وأما كذب الوحشي فهو مجاز مأخوذ من كذب الذي بمعنى التعدية كأنه يكذب رأيه وظنه فيقف لينظر ما وراءه ولما كثر استعماله في هذا المعنى وكان حال المنافق شبيهة به جاز أن يستعار لها وان كان ما تقدم أولى والمذبذب المتردد بين أمرين وعار ذهب في الارض والعائرة الناقة تخرج من الابل الى أخرى ليضربها الفحل بين الغنمين أي القطيعين (قوله والاول أوجه) وذلك لقربه وافادته تسبب الفساد للعذاب فيدل على قبحه ووجوب الاحتراز عنه كالكذب ولخلوه عن تخلل البيان أو الاستئناف وما يتعلق به بين أجزاء الصلة وقد يرجح الثاني بكون الآيات حينئذ على نمط تعديد قبائحهم وافادتها اتصافهم بكل من تلك الاوصاف استقلالا وقصدا ودلالتها على ان لحوق العذاب الاليم بسبب كذبهم الذي هو أدنى أحوالهم في كفرهم ونفاقهم فما ظنك بسائرها وأما عطفه على الجملة الاسمية أعني قوله ومن الناس من يقول فليس مما يعتد به وان توهم كونه أوفى بتأدية هذه المعاني وذلك لعدم دلالته على اندراج هذه الصفة وما بعدها في قصة المنافقين وبيان أحوالهم اذ لا يحسن حينئذ عود الضمائر التي فيها اليهم كما تشهد به سلامة الفطرة ان له أدنى دربة بأساليب الكلام (قوله والفساد في الارض هيج الحروب) يقال هاج الشيء هيجا وهياجا وهيجانا أي ثار وهاجه غيره يتعدى ولا يتعدى والمراد بقوله هيج الحروب هو اللازم لان المتعدي افساد لا فساد وقوله (لان في ذلك فساد ما في الارض) توجيه لاطلاق الفساد على هيج الحروب والفتن وقد سميت حرب الفساد بذلك لانهم مثلوا فيها أنواع المثل فجدعوا الانوف وصلموا الآذان الى غير ذلك مالأه أي مال اليه وأحبه ومالأه أي عاونه (قوله وكان فساد المنافقين) أي الفساد الناشيء من جهتهم لا فسادهم في أنفسهم والاولى أن يقول افسادهم لان مما يلتهم الى الكفار

قالوا انما نحن مصلحون ألا انهم هم المفسدون

ومعنى (انما نحن مصلحون) أن صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد و(ألا) مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لاعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها والاستفهام اذا دخل على النفي أفاد تحقيقا كقوله أليس ذلك بقادر ولكونها في هذا المنصب من التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم وأختها التي هي أما من مقدمات اليمين وطلائعها ✱ أما والذي لا يعلم الغيب غيره ✱ أما والذي أبكى وأضحك ✱ ورد الله ما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين أبلغ رد وأدله على سخط عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستئناف وما في كلتا الكلمتين الا وان من التأكيدين وتعريف الخبر وتوسيط الفصل

وبما لا أنهم باشباه الامر ار افساد ولما كان حقيقة الافساد جعل الشيء فاسدا ولم يكن صنعهم كذلك جعل الكلام من قبيل المجاز باعتبار المآل أي لا يفعلوا ما يؤدي الى الفساد وقد يقال ما كانوا فيه عين الفساد في أنفسهم ومعنى لا تفسدوا لا تأتوا بالفساد ولا تعملوا فلا حاجة الى المجاز وليس بشيء اذ ليس اتيان الشخص بفساد نفسه حقيقة الافساد وفائدة في الارض التنبيه على ان صنيعهم يؤدي الى افساد عام فيها أعني هيج الحروب والفتن المؤدي الى انتفاء الاستقامة من احوال الناس في دينهم ودنياهم كما صرح به في تفسير الفساد في الارض وانما لم يحمل افسادهم على تحريف الكتاب وتغيير الملة ودعوة الكفار في السر الى تكذيب المسلمين كما حمله غيره لانه لا ظهور حينئذ لتلك الفائدة (قوله خلصت لهم وتمحضت من غير شائبة) أراد انه من قبيل قصر الافراد فانهم لما نهوا عن الافساد توهموا انه قد حكم عليهم بانهم يخلطونه بالاصلاح فأجابوا بانهم مقصورون على محض الاصلاح لا يشوبه شيء من وجوه الافساد واختار وانما تنبيها على ان ذلك مكشوف لا سترة عليه فلا ينبغي أن يشك فيه (قوله والا مركبة) ذهب الى ان لفظ ألا مركبة وكذا أختها أما مركبة من همزة الاستفهام التي للانكار وحرف النفي لافادة التنبيه على تحقيق ما بعدها فان انكار النفي تحقيق للاثبات لكنهما بعد التركيب صارتا كلمتي تنبيه يدخلان على ما لا يجوز ان يدخل عليه حرف النفي كقولك الا واما ان زيدا عالم وذهب الاكثرون الى انهما لا تركيب فيهما (قوله بنحو ما يتلقى به القسم) كان واللام وحرف النفي وطليعة الجيش ما يتقدمه وآخر المصراع الاول ✱ ويحيي العظام البيض وهي رميم ✱ وجواب القسم هو قوله

لقد كنت أختار الجوى طاوي الحشا ✱ محاذرة من ان يقال لئيم

وجواب القسم في قوله

أما والذي أبكى وأضحك والذي ✱ أمات وأحيا والذي أمره الامر

قوله لقد تركتني أحسد الوحش ان أرى ✱ أليفين منها لا يروعهما الذعر

(قوله رد الله تعالى ما ادعوه) أي لما بالغوا في كونهم مصلحين بولغ في كونهم مفسدين من جهات متعددة الاستئناف فانه يفيد زيادة تمكن الحكم في ذهن السامع لوروده عليه بعد السؤال والطلب وما في كل واحدة من كلمتي الا وان من تأكيد الحكم وتحقيقه وقوله لا يشعرون للدلالة على ان كونهم مفسدين قد ظهر ظهور المحسوس لكن لا حس لهم ليدركوه وأما وجه المبالغة في تعريف الخبر وتوسيط الفصل فقد قيل الاول يفيد حصر المسند اليه على المسند والثاني يفيد تأكيد هذا الحصر وهذا وان كان مناسبا لرد دعواهم الكاذبة فانهم لما قصروا أنفسهم على الاصلاح قصر افراد ناسب في ردهم ان يقصروا على الافساد قصر قلب أي هم مقصورون على الافساد لا حظ لهم في الاصلاح لكن يرد عليه ان تعريف الخبر بلام الجنس يفيد حصره في المبتدا كما هو المذكور في المفتاح والمشهور في الاستعمال وان ضمير الفصل يفيد هذا الحصر أيضا أو يؤكده وقد أجيب بما يدل عليه كلامه في الفائق من ان تعريف المسند يفيد حصر المسند اليه فيه حيث قال معنى ان الله تعالى هو الدهر هو الجالب للحوادث لا غير الجالب كما أشرنا اليه فيما

وقوله (لايشعرون) أنوهم في النصيحة من وجهين أحدهما تقبيح ما كانوا عليه لبعده من الصواب وجره الى الفساد والفتنة والثاني تبصيرهم الطريق الاسد من اتباع ذوى الاحلام ودخولهم في عدادهم فكان من جوابهم أن سفهوهم لفرط سفههم وجهلوهم لتمادي جهلهم وفي ذلك تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة (فان قلت) كيف صح أن يسند قيل الى لا تفسدوا وآمنوا واسناد الفعل الى الفعل مما لا يصح (قلت) الذى لا يصح هو اسناد الفعل الى معنى الفعل وهذا اسناد له الى لفظه كأنه قيل واذا قيل لهم هذا القول وهذا الكلام فهو نحو قولك ألف ضرب من ثلاثة أحرف ومنه زعموا مطية الكذب وما في (كما) يجوز أن تكون كافة مثلها في ربما ومصدرية مثلها في بما رحبت واللام في الناس للعهد أي كما آمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه

ولكن لايشعرون
واذا قيل لهم آمنوا
كما آمن الناس قالوا

سبق فيكون الفصل حينئذ مؤكدا لهذا الحصر ولا يخفى عليك ضعفه وقيل المبالغة في تعريف المفسدين على قياس ما مر في المفلحين أي ان حصلت صفة المفسدين وتحققوا ماهم وتصوروا بصورتهم الحقيقية فالمنافقون هم هم لا يعدون تلك الحقيقة فيكون الفصل مؤكدا النسبة الاتحاد الذى هو أقوى من القصر في افادة المقصود (قوله أتوهم في النصيحة) أى المؤمنون نصحوا المنافقين أولا بترك الرذائل وثانيا باكتساب الفضائل فدل هذا الكلام على ان القائل الآمر بالايمان هم المؤمنون لا بعض المنافقين لبعض فيما بينهم كما ذكر في بعض كتب التفاسير وحينئذ يجب ان يحمل قولهم أنؤمن كما آمن السفهاء على انه كان مقولا فيما بينهم لا مقولا في وجوه المؤمنين كيلا يلزم كونهم مجاهرين بالكفر لا منافقين وان كان قوله فكان من جوابهم ان سفهوهم أي نسبوهم الى السفاهة وجهلوهم أي نسبوهم الى الجهل لما في السفه من الجهل يوهم انه كان في مواجهتهم (قوله ان يسند قيل الى لا تفسدوا وآمنوا) يريد انه مسند اليهما لا الى ضمير مصدره اذ لا طائل تحته ولا الى الظرف أعنى لهم لان القول متعد مفعوله المقول فاذا وجد في الكلام أسند الفعل اليه وأطلق الفعل على الجملة الفعلية التى فاعلها مضمر اعتبار الجزء الاول مع ان الجملة مطلقا تشارك الفعل في عدم صحة الاسناد اليه لانه من خواص الاسم اتفاقا والجواب ان الذى يمتنع هو اسناد الفعل الى معنى الفعل يعنى اذا كان معبرا عنه بمجرد لفظه على قياس اسناده الى معنى الاسم معبرا عنه بلفظه وحده في مثل قام زيد وهذا الذى نحن فيه اسناد الفعل الى لفظ الفعل بل الجملة كأنه قيل واذا قيل هذا القول وهذا الكلام وتحقيقه ما مر من ان الالفاظ سواء كانت مهملة أو مستعملة مفردة أو مركبة متساوية الاقدام في صحة الاسناد الى أنفسها سواء كانت مجردة عن ملاحظة معانيها كما في قولك ألف ضرب من ثلاثة أحرف أو مأخوذة معها كما قيل في لا تفسدوا وآمنوا اذ المسند اليه لفظهما باعتبار الدلالة على المعنى وليس هذه الصحة باعتبار ان الالفاظ اذا ذكرت وأريد بها أنفسها صارت اسما كما توهم لان المهمل لا يصير اسما بالاخبار عن لفظه وكذلك الجمل التى صارت مخبرا عنها باعتبار ألفاظها في أنفسها كما في قولك زيد قائم مركب من لفظين أو مع ملاحظة معناها كما عرفت ﴿فان قلت﴾ قد صرحوا بان المبتدا لا يكون الا اسما ﴿قلت﴾ ذلك لانهم اعتبروا وضع الالفاظ بازاء المعاني المستفادة منها في التراكيب فبينوا أحوال الالفاظ في تلك التراكيب لا أحوالها في أنفسها بل تعرف هذه بالمقايسة تبعا فلفظ ضرب لما وضع لمعناه صار فعلا فبين حاله بأنه اذا كان مستعملا في ذلك المعنى لم يصح الاخبار عنه وكذا لفظ من بخلاف لفظ زيد واذا لم تستعمل في معانيها جاز الاخبار عنها كلها (قوله زعموا مطية الكذب) قيل معناه ان الكلام المصدر بالزعم وما يشتق منه غير موثوق به لان الزعم هو القول بلا تثبت وتبين ﴿وقد يقال﴾ معناه ان الكذاب مسند كذبه الى غير معين وتقول زعموا كذا وكذا لئلا يظهر اختراعه الكذب ويروجه فلفظ زعموا مطية الكذب يتوصل بها اليه ولفظ ما في كما ان كانت كافة للكاف عن العمل مصححة لدخولها على الجملة كان التشبيه بين مضموني الجملتين أى حققوا ايمانكم كما تحقق ايمانهم وان كانت مصدرية فالمعنى آمنوا ايمانا

أو هم ناس معهودون كعبد الله بن سلام وأشياعه لانهم من جلدتهم ومن أبناء جنسهم أى كما آمن أصحابكم واخوانكم أو للجنس أى كما آمن الكاملون فى الانسانية أو جعل المؤمنون كانهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم فى فقد التمييز بين الحق والباطل * والاستفهام فى (أنؤمن) فى معنى الانكار واللام فى (السفهاء) مشار بها الى الناس كما تقول لصاحبك ان زيدا قد سعى بك فيقول أوقد فعل السفيه ويجوز أن تكون للجنس وينطوى تحته الجارى ذكرهم على زعمهم واعتقادهم لانهم عندهم أعرق الناس فى السفه (فان قلت) لم سفهوهم واستركوا عقولهم وهم العقلاء المراجيح (قلت) لانهم لجهلهم واخلالهم بالنظر وانصاف أنفسهم اعتقدوا أن ما هم فيه هو الحق وأن ما عداه باطل ومن ركب متن الباطل كان سفيها ولانهم كانوا فى رياسة وسطة فى قومهم ويسار وكان أكثر المؤمنين فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال وخباب فدعوهم سفهاء تحقير الشأنهم أو أرادوا عبد الله بن سلام وأشياعه ومفارقتهم دينهم وما غاظهم من اسلامهم وفت فى أعضادهم قالوا ذلك على سبيل التجلد توقيا من الشماتة بهم مع علمهم أنهم من السفه بمعزل والسفه سخافة العقل وخفة الحلم (فان قلت) لم فصلت هذه الآية بلا يعلمون والتى قبلها بلا يشعرون (قلت) لان أمر الديانة والوقوف على أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج الى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة وأما النفاق وما فيه من البغى المؤدى الى الفتنة والفساد فى الارض فأمر دنيوى مبنى على العادات معلوم عند الناس خصوصا عند العرب فى جاهليتهم

أنؤمن كما آمن السفهاء ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون

مشابها بايمانهم (قوله وهم ناس معهودون) وذلك لانهم مقابلوهم فى الايمان ومبغوضون عندهم فهم نصب أعينهم وأما عبد الله بن سلام وأشياعه فهم مع تلك المقابلة من أبناء جنسهم وكانوا أصحابهم وقد غاظهم ايمانهم فهم حاضرون فى أذهانهم (قوله كما آمن الناس) أى كما آمن الكاملون فى الانسانية وهم الجامعون لما يعد من خواص الانسان وفضائله فهم لذلك يستحقون ان يحصر فيهم الجنس كانهم الجنس كله فهذا الحصر بالنظر الى كمالهم واذا لوحظ ان غير المؤمنين كالبهائم فى فقد التمييز بين الحق والباطل بل أدنى مرتبة منها فلا يندرجون فى الناس بل كان منحصرا فى المؤمنين كان هذا حصرا بالنظر الى نقصان من عداهم وقصورهم عن رتبة الانسانية ومعنى الانكار فى أنؤمن ان ذلك لا يكون أصلا (قوله مشار بها الى الناس) أى اللام فى السفهاء للعهد والمعهود وهو الناس سواء أريد به المعهودون أو الجنس كما سبق ولما كان المعهود هنا مذكورا بلفظ آخر أورد له مثالا يقال سعى به الى الوالى وشى به اليه والتعبير عن زيد بالسفيه اما بجعل السعاية سفها واما لشهرته بذلك وفى الآية بجعل الايمان سفها أو بجعل المؤمنين مشهورين به عندهم (وينطوى تحته) أى تحت لفظ السفهاء المراد به الجنس الجارى أى الذى جرى ذكرهم بلفظ الناس مرادا به العهد أو الجنس باعتبار كمال المؤمنين ونقصان غيرهم وقوله على زعمهم متعلق بينطوى والضمير للمنافقين وذلك لان الذى جرى ذكرهم أعرق الناس فى السفه عند المنافقين فكانوا بالانطواء أولى واستركوا عقولهم أى عدوها ركيكة ضعيفة والمراجيح كانه جمع مرجاح يقال رجل راجح العقل وقوم مراجيح الحلم كان سفيها اما لكون ركوب متن الباطل سفها واما لانه لو لم يكن سفيها لم يركبه يقال وسطت القوم أسطهم سطة أى توسطتهم وفلان وسيط فى قومه اذا كان أوسطهم نسبا وأرفعهم محلا (قوله فدعوهم) أى دعوا المؤمنين مطلقا سفهاء تحقيرا لشأنهم ولا يشتبه عليك ان هذا وما قبله يجريان على تقديرى كون اللام فى السفهاء للجنس والعهد الذى أشير به الى الناس مرادا به الجنس على وجهيه أو المعهود الذى هو النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وأما قوله أو أرادوا بالسفهاء عبد الله بن سلام وأشياعه فمختص بالعهد أعنى بكون اللام فى السفهاء مشارا بها الى الناس المراد به هؤلاء فقط واغا عطف بأو لان معنى كلامه انهم أرادوا بالسفهاء جميع المؤمنين وسموهم بذلك اعتقادا لاحد الوجهين أو أرادوا به بعضهم وسموهم بذلك تجلدا وتوقيا مع علمهم انهم من السفه بمعزل (قوله فت فى أعضاده) أى كسر قوته وفرق عنه أعوانه والسخافة الرقة يقال

وماكان قائمًا بينهم من التغاور والتناحر والتحارب والتحازب فهو كالمحسوس المشاهد ولانه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه أحسن طباقا له ❁ مساق هذه الآية بخلاف ماسيقت له أول قصة المنافقين فليس بتكرير لان تلك في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وهذه في بيان ما كانوا يعملون عليه مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين وايهامهم أنهم معهم فاذا فارقوهم الى شطار دينهم صدقوهم مافي قلوبهم وروي أن عبد الله بن أبيّ وأصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فأخذ بيد أبي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رأيتموني فعلت فأثنوا عليه خيرا فنزلت ❁ ويقال لقيته ولاقيته اذا استقبلته قريبا منه وهو جاري ملاقي ومراوقي وقرأ أبو حنيفة واذا لاقوا ❁ وخلوت بفلان واليه اذا انفردت معه ويجوز أن يكون من خلا بمعنى مضى وخلاك ذم أي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية ومن خلوت به اذا سخرت منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه واذا أنهوا السخرية بالمؤمنين الى شياطينهم وحدثوهم بها كما تقول أحمد اليك فلانا وأذمه اليك ❁ وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وقد جعل سيبويه نون الشيطان في موضع من كتابه أصلية وفي آخر زائدة والدليل على اصالتها قولهم تشيطن واشتقاقه من شطن اذا بعد لبعده من الصلاح والخير ومن شاط اذا بطل اذا جعلت نونه زائدة ومن أسمائه الباطل (انا معكم)

وَاِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَاِذَا خَلَوْا اِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا اِنَّا مَعَكُمْ

ثوب سخيف أي غير صفيق والحلم بالكسر الاناة والسفه ضده وأصله الحركة والخفة والتفصيل من الفاصلة كالتقفية من القافية وفصلت الآية بكذا أي جعلت هذا فاصلتها (قوله وما كان قائما) هو عطف تفسيري على قوله جاهليتهم وليس مبتدأ خبره فهو كالمحسوس بل ما بعد هذه الفاء نتيجة لما تقدم تغاور القوم أي أغار بعضهم على بعض وتناحروا في القتال أي تشاقوا فيه حرصا عليه وقوله ولانه عطف على لان أمر الديانة فهو جهل أي يتضمنه كأنه هو (قوله مساق هذه الآية) يريد انه اذا نظر الى جزاء الشرطية الاولى أعني قالوا آمنا توهم ان هناك تكرارا واذا لوحظ انه مقيد بلقائهم المؤمنين وان الشرطية الثانية معطوفة على الاولى لا على ان كلا منهما شرطية مستقلة كالشرطيتين السابقتين بل على انهما بمنزلة كلام واحد ظهر ان هذه الآية سيقت لبيان معاملتهم مع المؤمنين في أوثق دينهم كما ان صدر القصة مسوقة لبيان نفاقهم فاضمحل ذلك التوهم والتكذيب تكلف الكذب وقوله (فاذا فارقوهم) عطف على ما يؤول به المصادر المؤكدة أي من ان يكذبوا لهم ويستهزؤا بهم ويلاقوهم بوجوه المصادقين وأوهموهم انهم معهم فاذا فارقوهم والشاطر هو الذي أعيا أهله خبثا وصدقوهم ما في قلوبهم من صدقه الحديث وفي الامثال صدقني سن بكره (قوله يقال لقيته ولاقيته اذا استقبلته) حق العبارة ونقول على الخطاب فان الفعل المسند الى ضمير المتكلم اذا فسر بأي وجب ان يتطابقا في الاسناد الى المتكلم لان الثاني تفسير الاول وجاز حينئذ في صدر الكلام نقول على لفظ الخطاب ويقال على البناء للمفعول واذا جيء بكلمة اذا في مقام التفسير لذلك الفعل كان صدر الكلام في موضع الجزاء فالواجب حينئذ ان يكون هو وما بعد اذا بصيغة الخطاب أي اذا استقبلته تقول لقيته ولا يستقيم اذا استقبلته يقال لقيته الا بتعسف هو تقدير كون القائل نفس المخاطب وملاقي بتشديد الياء ومراوقي بتخفيفها أي رواقي بيتي الى رواق بيته وهو ما بين يدي البيت (قوله ومعناه اذا أنهوا السخرية) أشار الى أن استعمال خلا بهذا المعنى مع الى بناء على تضمين معنى الانهاء كما في أحمده وأذمه اليك أي أنهي حمده وذمه وهذا بيان لحاصل المعنى واما تقدير الكلام فهو هكذا واذا خلوا أي مضوا ومنهين اليهم وأحمده وأذمه منهيا اليك وقد فصل ذلك هذا فيما سلف (والتمرد) العتو

انا معكم مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم (فان قلت) لم كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة بان (قلت) ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديرا باقوى الكلامين وأوكدهما لانهم فى ادعاء حدوث الايمان منهم ونشئه من قبلهم لا فى ادعاء أنهم أوحديون فى الايمان غير مشقوق فيه غبارهم وذلك امالان أنفسهم لا تساعدهم عليه اذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك وهكذا كل قول لم يصدر عن أريحية وصدق رغبة واعتقاد وامالانه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد والمبالغة وكيف يقولونه ويطمعون فى رواجه وهم بين ظهرانى المهاجرين والانصار الذين مثلهم فى التوراة والانجيل ألا ترى الى حكاية الله قول المؤمنين ربنا اننا آمنا وأما مخاطبة اخوانهم فهم فيما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر والبعد من أن يزلوا عنه على صدق رغبة ووفور نشاط وارتياح للتكلم به وما قالوه من ذلك فهو رائج عنهم متقبل منهم فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد (فان قلت) أنى تعلق قوله (انما نحن مستهزؤن) بقوله انا معكم (قلت) هو توكيد له لان قوله انا معكم معناه الثبات على اليهودية وقوله انما نحن مستهزؤن رد للاسلام ودفع له منهم لان المستهزئ بالشئ المستخف به منكر له وداقع لكونه معتدا به ودفع نقيض الشئ تأكيد لثباته

والاعتداد به وقوله من أسمائه الباطل نوع تقوية للاشتقاق الثانى (قوله لم كانت مخاطبتهم) يعنى انهم لما اذا خاطبوا المؤمنين المنكرين لايمانهم بجملة اسمية مؤكدة والقياس عكس ذلك (قوله ليس جديرا باقوى الكلامين وأوكدهما) قيل معناه ليس جديرا بالكلام القوى والوكيد فضلا عن الاقوى والاوكد والاقوى أو أراد بهما القوى الوكيد كما يشعر به قوله فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد ومحصول ما أجاب به انهم اختاروا فى الخطاب الاول الفعلية لانهم بصدد الاخبار بحدوث الايمان منهم وتركوا التأكيد لعدم الباعث عليه من بواطنهم ولعدم رواجه عنهم ولم يختاروا فيها الجملة الاسمية المؤكدة نحو انا مؤمنون والا استفيد من الكلام (ادعاء انهم أوحديون فى الايمان غير مشقوق فيه غبارهم) أى هم سابقون فى الايمان مستمرون عليه تحقيقا فلا ينبغى ان يشك فيه شاك مع انهم لا يدعون ذلك (امالان أنفسهم لا تساعدهم عليه وامالانه لا يروج عنهم) على لفظ التأكيد باداته والمبالغة بايراد الكلام جملة اسمية يقال اخذته اريحية اذا ارتاح للندى أى مال اليه وأحبه وأقام فلان بين أظهر قومه (وظهرانيهم) أى بينهم وفائدة اقحام الاظهر الدلالة على ان اقامته فيهم على سبيل الاستظهار بهم واما ظهرانيهم ففيه زيادة الالف والنون فى ظهر عند التثنية مبالغة كما زيدتا فى النسبة كنفسانى الرجل الغيور وربانى وحقانى وكان معنى التثنية ان ظهرا منهم قدامه وآخر وراءه فهو مكنوف من جانبيه هذا أصله ثم استعمل فى الاقامة بين القوم مطلقا وان لم يكن مكنوفا (قوله ألا ترى الى حكاية الله تعالى) يريد ان التأكيد فى قولهم ربنا اننا آمنا بكلمة ان وايراد الجملة الاسمية المفيدة للتقوى انما كان لصدق رغبتهم فيه وكونه رائجا متقبلا منهم (واما مخاطبة اخوانهم) هو مبتدا خبره جملة فهم على صدق رغبة والعائد محذوف أى فهم فيما أخبروا به فيها وهذا الظرف أعنى فيما أخبروا ان تعلق بالظرف الذى هو قوله على صدق فقد تقدم معمول الظرف عليه وان كان متعلقا بصدق رغبة وجب ان يقدر مثله سابقا أى فهم على صدق رغبة فيما اخبروا فيكون المذكور دالا على المقدر وما قالوه من ذلك أى من الثبات والقرار والبعد فكان أى ما قالوه أو ما اخبروا به اخوانهم أو مخاطبتهم اياهم على تأويل خطابهم (مظنة الشئ) موضعه ومألفه الذى يظن كونه فيه ومئنته موضعه الذى يتحقق وجوده فيه مفعلة مشتقة من لفظة ان بعدما جعلت اسما أو متنقة عن حروفها تنبيها على اشتمالها على معناها كانه قيل محققة لان تستعمل فيه ان وقد اتضح بما تقرر ان عدم التأكيد فى الكلام قد يكون لعدم اعتناء المتكلم بشده اعتقاده أو لعدم رواجه عند السامع وان تأكيده قد يكون لاعتنائه بشأنه أو لقبوله ورواجه عند مخاطبه (قوله هو تأكيد) لا شبهة

انما نحن مستهزؤن

* قوله تعالى واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا الآية (قال محمود رحمه الله ان قلت لم كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية الخ) قال أحمد رحمه الله وبنى هذا التقرير على ان الجملة الاسمية أثبت من الفعلية خصوصا مؤكدة بان مردفة بانما على انه قد حكى ايمان المؤمنين الخالص بالجملة الفعلية أيضا فى قوله ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول وعلى الجملة فلقد أحسن الزمخشرى رحمه الله فى تقريره ما شاء وأجمل ما أراد

أو بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر أو استئناف كأنهم اعترضوا عليهم حين قالوا لهم انا معكم فقالوا فما بالكم ان صح أنكم معنا توافقون أهل الاسلام فقالوا انما نحن مستهزؤن * والاستهزاء السخرية والاستخفاف وأصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على المكان عن بعض العرب مشيت فلغبت فظننت لأهزأن على مكانى وناقته تهزأ به أى تسرع وتخف (فان قلت) لا يجوز الاستهزاء على الله تعالى لانه متعال عن القبيح والسخرية من باب العيب والجهل ألا ترى الى قوله قالوا أتتخذنا هزؤا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين فما معنى استهزائه بهم (قلت) معناه انزال الهوان والحقارة بهم لان المستهزئ غرضه الذى يرميه هو طلب الخفة والزراية ممن يهزأ به وادخال الهوان والحقارة عليه والاشتقاق كما ذكرنا شاهد لذلك وقد كثر التهكم فى كلام الله تعالى بالكفرة والمراد به تحقير شأنهم وازدراء أمرهم والدلالة على أن مذاهبهم حقيقة بأن يسخر منها الساخرون ويضحك الضاحكون ويجوز أن يراد به ما مر فى يخادعون من أنه يجرى عليهم أحكام المسلمين فى الظاهر وهو مبطن بادخار ما يراد بهم وقيل سمى جزاء الاستهزاء باسمه كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه (فان قلت) كيف ابتدى قوله الله يستهزئ بهم ولم يعطف على الكلام قبله (قلت) هو استئناف فى غاية الجزالة والفخامة

فى ان معنى قولهم انا معكم هو الثبات على اليهودية وليس انما نحن مستهزؤن بظاهره تقريرا وتأكيدا لهذا المعنى فاعتبر منه لازم ما يؤكده وهو انه رد ونفى للاسلام فيكون مقررا للثبات عليهم لان رفع نقيض الشئ تأكيد لثباته وقد عكس صاحب المفتاح فاعتبر لازم الاول حيث قال معنى انا معكم أى قلوبنا معكم وانا نوهمهم أصحاب محمد الايمان فيكون الاستخفاف بهم وبدينهم تأكيدا لذلك اللازم وما ذكره المصنف أولى كما لا يخفى (قوله أو بدل) بيانه انهم قصدوا تصلبهم فى دينهم وكان فى الكلام الاول نوع قصور عن افادته اذ كانوا فى الظاهر يوافقون المؤمنين فى بعض الامور فاستأنفوا القصد الى ذلك بانهم يعظمون كفرهم بتحقير الاسلام وأهله فهم ارسخ قدما فيه من شياطينهم والحمل على الاستئناف أوجه لكثرة الفائدة وقوة المحرك للسؤال وهذه الوجوه الثلاثة بيان لترك العاطف بين الجملتين فى كلامهم واما تركه فى حكايته فللموافقة فيما هو بمنزلة كلام واحد (قوله واللغوب) التعب والاعياء ولغبت بالفتح (قوله معناه انزال الهوان والحقارة بهم) فيكون من قبيل المجاز المرسل لعلاقة السببية فى التصور والمسببية فى الوجود والفائدة المخصوصة بهذا المجاز التنبيه على ان مذهبهم حقيق بأن يسخر منه ويسخر بهم لاجله وفى قوله غرضه الذى يرميه أى يقصده لطافة الا ان غرض المستهزئ هو الخفة لا طلبها والباء فى (عمن يهزأ) تتعلق بمعنى الالصاق المفهوم من الكلام اذ المستعمل زرى عليه أى عيب عليه وأزرى به أى تهاون به وازدراه أى حقره قال أبو عمرو الزارى على الانسان من لا يعده شيأ وينكر عليه فعله (قوله وقد كثر التهكم) أى قد كثر فى كلام الله تعالى التهكم بالكفرة وكما أريد به تحقير شأنهم والدلالة على جدارة مذاهبهم بالسخرية والضحك لا حقيقة التهكم كذلك أطلق ههنا لفظ الاستهزاء وأريد به ذلك المعنى وذلك للدلالة لا حقيقة الاستهزاء (قوله ان يراد به ما مر فى يخادعون الله) فيكون حينئذ استعارة مبنية على المشابهة فى الصورة (وهو) أى الظاهر أو الاجراء (مبطن) من بطنت الثوب جعلت له بطانة (قوله وقيل سمى جزاء الاستهزاء باسمه) وذلك لما بين الفعل وجزائه من ملابسة قوية ونوع سببية مع وجود المشاكلة المحسنة ههنا (قوله هو استئناف فى غاية الجزالة) أى ليس ترك العطف فيه لدفع توهم كونه معطوفا على انا معكم فيندرج فى مقول المنافقين أو على قالوا فيتقيد بالظرف يعنى اذا خلوا بل هو لكونه استئنافا وانما كان فى غاية الجزالة والفخامة لدلالته على انهم بالغوا فى استهزائهم مبالغة تامة ظهر بها شناعة ما ارتكبوا وتعاظم على الاسماع على وجه يحرك السامع أن يقول هؤلاء الذين هذا شأنهم ما مصير أمرهم وعقبى حالهم وكيف معاملة الله تعالى والمؤمنين اياهم ثم ان هذا الاستئناف لم يصدر الا بذكر الله تعالى وحده لنكتتين الاولى

الله يستهزئ بهم

* قوله تعالى انما نحن مستهزؤن الآية (قال محمود رحمه الله ان قلت كيف ابتدى قوله الله يستهزئ بهم ولم يجعله معطوفا الخ) قال أحمد رحمه الله فان قال قائل أفلا يستفاد هذا المعنى من العطف قيل له لو عطف لاشعر بان الغرض كل الغرض اجتماع مضمون الجملتين واعراض عن هذا المعنى الذى ينفرد به الاستئناف

وفيه أن الله عز وجل هو الذى يستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذى ليس استهزاؤهم اليه باستهزاء ولا يؤبه له فى مقابلته لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل وفيه أن الله هو الذى يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين ولا يحوج المؤمنين أن يعارضوهم باستهزاء مثله (فان قلت) فهلا قيل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا لقوله انما نحن مستهزؤن (قلت) لان يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء وتجدده وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم أولا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين وما كانوا يخلون فى أكثر أوقاتهم من تهتك أستار وتكشف أسرار ونزول فى شأنهم واستشعار حذر من أن ينزل فيهم يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون (ويمدهم فى طغيانهم) من مد الجيش وأمده اذا زاده وألحق به ما يقويه ويكثره وكذلك مد الدواة وأمدها زادها ما يصلحها ومددت السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد ومده الشيطان فى الغى وأمده اذا واصله بالوساوس حتى يتلاحق غيه ويزداد انهماكا فيه (فان قلت) لم زعمت أنه من المدد دون المد فى العمر والاملاء والامهال (قلت) كفاك دليلا على أنه من المدد دون المد قراءة ابن كثير وابن محيصن ويمدهم وقراءة نافع واخوانهم يمدونهم على أن الذى بمعنى أمهله انما هو مد له مع اللام كأملى له (فان قلت) فكيف جاز أن يوليهم الله مددا فى الطغيان وهو فعل الشياطين ألا ترى الى قوله تعالى واخوانهم يمدونهم فى الغى (قلت) اما أن يحمل على أنهم لما منعهم الله ألطافه التى يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم عليه بقيت قلوبهم يتزايد الرين والظلمة فيها تزايد الانشراح والنور فى قلوب المؤمنين فسمى ذلك التزايد مددا وأسند الى الله سبحانه لانه مسبب عن فعله بهم بسبب كفرهم واما على منع القسر والالجاء واما على أن يسند فعل الشيطان الى الله لانه بتمكينه واقداره والتخلية بينه وبين اغواء عباده (فان قلت) فما حملهم على تفسير

التنبيه على ان الاستهزاء بالمنافقين هو الاستهزاء الابلغ الذى لا اعتداد معه باستهزائهم وذلك لصدوره عمن يضمحل علمهم وقدرتهم فى جنب علمه وقدرته والثانية الدلالة على انه تعالى يكفى مؤنة عباده المؤمنين وينتقم لهم ولا يحوجهم الى معارضة المنافقين تعظيما لشأنهم وفى هاتين الفائدتين زيادة تأييد لجزالة الاستئناف وفخامته والضمير فى قوله (وفيه) فى الموضعين راجع الى قوله تعالى الله يستهزئ بهم وانما أورد صيغة الحصر فى تقرير أبلغية الاستهزاء مع انه لا حاجة اليها تنبيها على ما هو مدلول الكلام فان بناء الفعل على المبتدا مطلقا يدل عنده على الاختصاص كما صرح به فى مواضع من هذا الكتاب (قوله ليس استهزاؤهم اليه) أى حال كونه منسوبا اليه (ولما ينزل بهم) متعلق بيستهزئ فى قوله هو الذى يستهزئ وقوله (من النكال ويحل بهم من الهوان والذل) اشارة الى معنى الاستهزاء الثالث والاول ودل بقوله (ولا يحوج المؤمنين) على ان الحصر بالقياس اليهم أى هو المستهزئ دون المؤمنين ﴿لا يقال﴾ الاستهزاء بمعنى السخرية لا يتصور منه تعالى وبالمعنى المراد أعنى انزال النكال والذل لا يتصور من المؤمنين فكيف يتصور الحصر الذى ذكرتموه ﴿لانا نقول﴾ معنى هذا الحصر انه تعالى يتولى الاستهزاء بالمعنى الذى يليق به ولا يتولاه المؤمنون بالمعنى الذى يليق بهم وعاد الى استهزاء المنافقين وفى بيانه أولا ما أريد بالاستهزاء وقوله آخرا (أن يعارضوهم باستهزاء مثله) أى فى كونه سخرية واستخفافا تصريح بما ذكرناه على انه اذا أريد بالاستهزاء جزاؤه أمكن صدوره عنهما فيكون المعنى هو الذى يتولى جزاء استهزائهم دون المؤمنين فلا اشكال حينئذ (قوله يفيد حدوث الاستهزاء) اما افادته الحدوث والتجدد فلكونه فعلا وأما كون ذلك وقتا بعد وقت فلان المضارع لما كان دالا على الزمان المستقبل الذى ينقلب حالا شيئا بعد شئ على الاستمرار ناسب أن يقصد به اذا وقع موقع خبره ان معنى مصدره المقارن لذلك الزمان يحدث على منواله مستمرا استمرارا تجدديا لا ثبوتيا كما فى الجملة الاسمية (استشعر) فلان خوفا اذا أضمره وفاعل أن ينزل مستتر أى ينزل فيهم شئ مما يفضحهم (قوله كفاك دليلا) يريد ان القراءة بضم الياء هنا وفى

ويمدهم فى طغيانهم يعمهون

(قال محمود رحمه الله فان قلت فهلا قيل الله مستهزئ بهم الخ) قال أحمد رحمه الله ولهذا الفرق بين الفعل والاسم ورد قوله تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق والطير محشورة لما كان التسبيح من الطوائف متكررا متجددا شيأ فشيأ وحشر الطير معه أمر دائم ذكر التسبيح بصيغة الفعل والحشر بصيغة الاسم وسيأتى ان شاء الله تعالى مزيد تقرير فيه ❊ قوله تعالى ويمدهم فى طغيانهم يعمهون (قال محمود رحمه الله ان قلت كيف جاز أن يوليهم الله مددا من الطغيان الخ) قال أحمد رحمه الله ما عنده أن يقره على ظاهره ويبقيه فى نصابه الا انه توحيد محض وحق صرف والقدرية من التوحيد على مراحل

المد فى الطغيان بالامهال وموضوع اللغة كما ذكرت لا يطاوع عليه (قلت) استجرهم الى ذلك خوف الاقدام على أن يسندوا الى الله ما أسند الى الشياطين ولكن المعنى الصحيح ما طابقه اللفظ وشهد لصحته والا كان منه بمنزلة الاروى من النعام ومن حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز أن يتعاهد فى مذاهبه بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدى سليما من القادح فاذا لم يتعاهد أوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل ويعضد ما قلناه قول الحسن فى تفسيره فى ضلالتهم يتمادون وأن هؤلاء من أهل الطبع * والطغيان الغلو فى الكفر ومجاوزة الحد فى العتو وقرأ زيد بن على رضى الله عنه فى طغيانهم بالكسر وهما لغتان كلقيان ولقيان وغنيان وغنيان (فان قلت) أى نكتة فى اضافته اليهم (قلت) فيه أن الطغيان والتمادى فى الضلالة مما اقترفته أنفسهم واجترحته أيديهم وأن الله برىء منه ردا لاعتقاد الكفرة القائلين لو شاء الله ما أشركنا ونفيا لوهم من عسى يتوهم عند اسناد المد الى ذاته لولم يضف الطغيان اليهم أن الطغيان فعله فلما أسند المد اليه على الطريق الذى ذكر أضاف الطغيان اليهم ليميط الشبهة ويقلعها

نظيره دليل واضح على ان المفتوح الياء من المدد اذ لم يستعمل أحد من المد على ان المأخوذ من المد بمعنى الامهال فى العمر انما يستعمل باللام وحمله على الحذف والايصال مخالف للاصل فلا يرتكب الا بدليل (قوله فكيف جاز) يعنى ان املاء المد فى الطغيان من الافعال القبيحة التى تسند الى الشياطين فلا يجوز اسناده الى الله تعالى وأجاب أولا بانهم لما أصروا على كفرهم خذلهم الله تعالى ومنعهم ألطافه فتزايد الرين أى الدنس فى قلوبهم فسمى ذلك التزايد أى ما يزداد من الرين مددا فى الطغيان وأسند ايلاؤه الى الله تعالى ففى المسند مجاز لغوى وفى الاسناد مجاز عقلى لانه اسناد الفعل الى المسبب له وفاعله فى الحقيقة هم الكفرة وثانيا بانه أريد المد فى الطغيان ترك القسر والالجاء الى الايمان على ما سبق تقريره وهو فعل الله تعالى فاسناده حقيقة وان كان المسند مجازا وثالثا بان المراد منه معناه الحقيق وهو فعل الشيطان لكن أسند اليه تعالى مجازا على مذهبه لانه بتمكينه واقداره وقد يتوهم ان ايقاع المد عليهم تجوز لازم على كل مذهب لان حقيقته أن يوقع على الطغيان ونحوه مما وقع الزيادة فيه ويدفع بأن المفهوم من مد طغيانهم ومدهم فى الطغيان واحد (قوله والا كان) أى وان لم يطابق اللفظ المعنى ولم يشهد بصحته كان المعنى أى نسبته (منه) أى من اللفظ (بمنزلة نسبة الاروى) وهو اسم جنس الاروية أعنى الانثى من الوعل ولا تسكن الا الجبل (من النعام) الذى لا يسكن الا السهل وهما مثل لغاية التباعد والتباين كالضب والنون (تعاهد) الشئ تحفظ به وتعهد افصح منه (قوله وما وقع) أى وبقاء ما وقع به التحدى وسليما حال من الموصول وقوله (من تعاهد النظم) متعلق بمعنى البعد المستفاد من قوله على مراحل (قوله ويعضد ما قلناه) من أن عدهم من المدد دون المد (قول الحسن) لان التمادى فى الضلالة يناسب تزايد الرين والظلمة لا امتداد العمر والامهال (وأن هؤلاء) بفتح الهمزة معطوف على قول الحسن أى ويعضده هذا أيضا لان الطبع على القلوب يناسب ذلك التزايد لا طول العمر وكسرة الهمزة على انه من تتمة قوله وهم واللقيان هو اللقاء والغنيان هو الغناء يقال غنيت المرأة بزوجها غنيانا أى استغنت به وقيل هو مصدر قولك غنى بالمكان اذا أقام (قوله فيها) أى فى اضافة الطغيان اليهم لم يرد بما ذكره ان هذه الاضافة تدل بالوضع على ان الطغيان بايجاد العبد لا بايجاد الله تعالى وارادته ليرد عليه ان الامور المخلوقة لله تعالى بمشيئته اتفاقا اذا قامت بالعباد كالحسن والقبح والبياض والسواد يضاف اليهم اضافة حقيقية لا مجازية ولا فى ملابسة فلا دلالة لاضافة الطغيان اليهم على ايجادهم اياه بل ارادته كما ينبئك عليه قوله أى نكتة فى اضافته اليهم ان فى هذه الاضافة اشارة لطيفة الى ان الطغيان والتمادى فى الضلالة من الافعال التى اكتسبوها باختيارهم استقلالا وان الله تعالى برىء منه فليس يتعلق به لا خلقا

(قال محمود رحمه الله فان قلت ما النكتة فى اضافة الطغيان اليهم الخ) قال أحمد رحمه الله كل فعل صدر من العبد اختيارا فله اعتباران ان نظرت الى وجوده وحدوثه وما هو عليه من وجوه التخصيص فانسب ذلك الى قدرة الله وحده وارادته لا شريك له وان نظرت الى تميزه عن القسر الضرورى فانسبه فى هذه الجهة الى العبد وهى النسبة المعبر عنها شرعا بالكسب فى أمثال قوله تعالى بما كسبت أيديكم وهى المحققة أيضا اذا عرضت على ذهنك الحركتين الضرورية الرعشية مثلا والاختيارية فانك تميز بينهما لا محالة بتلك النسبة فاذا تقرر تعدد الاعتبار فمدهم فى الطغيان مخلوق لله تعالى فاضافه اليه ومن حيث كونه واقعا منهم على وجه الاختيار المعبر عنه بالكسب أضافه اليهم فخرج على أصول السنة بحسن تمار قرعك فى الجنة لا كما تفرع القدرية فانهم يجبون ولكن على أنفسهم ألهمنا الله التحقيق وأيدنا بالتوفيق

ويدفع في صدر من يلحد في صفاته ومصداق ذلك أنه حين أسنده الى الشياطين أطلق الغى ولم يقيده بالاضافة في قوله وإخوانهم يمدونهم في الغى * والعمه مثل العمى الا أن العمى عام في البصر والرأى والعمه في الرأى خاصة وهو التحير والتردد لا يدرى أين يتوجه ومنه قوله بالجاهلين العمه أى الذين لا رأى لهم ولا دراية بالطرق وسلك أرضا عمهاء لا منار بها * ومعنى اشتراء الضلالة بالهدى اختيارها عليه واستبدالها به على سبيل الاستعارة لان الاشتراء فيه اعطاء بدل وأخذ آخر ومنه

أخذت بالجمة رأسا أزعرا * وبالثنايا الواضحات الدردرا

وبالطويل العمر عمرا حيدرا * كما اشترى المسلم اذ تنصرا

وعن وهب قال الله عز وجل فيما يعيب به بنى اسرائيل تفقهون لغير الدين وتعلمون لغير العمل وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة (فان قلت) كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى (قلت) جعلوا لتمكنهم منه واعراضه لهم كأنه في أيديهم فاذا تركوه الى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوها به ولان الدين القيم هو فطرة الله التى فطر الناس عليها فكل من ضل فهو مستبدل خلاف الفطرة والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء يقال ضل منزله وضل دريص نفقه فاستعير للذهاب عن الصواب في الدين * والربح الفضل على رأس المال ولذلك سمى الشف من قولك أشف بعض ولده على بعض اذا فضله ولهذا على هذا شف * والتجارة صناعة التاجر وهو الذى يبيع ويشترى للربح وناقة تاجرة كأنها من حسنها وسمنها تبيع نفسها وقرأ ابن أبى عبلة تجاراتهم

ولا ارادة تحققه أن يضاف اليهم لا اليه اشعارا بهذا الاختصاص لا بالاختصاص باعتبار المحلية والاتصاف فانه معلوم من تماديهم في الطغيان فلا حاجة فيه الى الاضافة فلولا حملها على قصد ذلك الاشعار لخلت عن الفائدة ومثل ذلك معتبر في الاشارات الخطابية عند أرباب البلاغة وقوله ردا مفعول له لمعنى الكلام أى أضيف الطغيان اليهم ليفيد كذا ردا ونفيا (قوله من يلحد في صفاته) أى يميل عن الحق ويزعم انه تعالى مريد للكفر والمعاصى وموجد لها ثم يعاقب عليها (والجواب) ان أمثال هذه الخطابيات لا تعارض البراهين الدالة على انه تعالى لا خالق سواه وانه لا يقع الا ما أراده الله تعالى وأول البيت

* ومهمه أطرافه في مهمه * أى رب مفازة لا تنتهى سعة بل أطرافها من جوانبها في مفازة أخرى أعمى الهدى أى خفى المنار بالقياس الى من لا دراية له بالمسالك جعل خفاء العلم عمى له بطريق الاستعارة وقيل أعمى صفة من عمى عليه الامر التبس أى ملتبس الهداية الى طرقها على من يجهل ويتحير فيها وقد يقال أعمى فعل ماض أى أخفى طرق الاهتداء (والعمه) جمع عامه (قوله ومعنى اشتراء الضلالة بالهدى) قيل ان قوله أولئك الذين اشتروا الضلالة الآية تعليل لاستحقاقهم الاستهزاء الابلغ والمد في الطغيان على سبيل الاستئناف أو جملة مقررة لقوله وعمههم في طغيانهم يعمهون (الجمة) مجتمع شعر الرأس (والازعر) القليل الشعر (والدردر) مغارز أسنان الصبى قبل والمراد ههنا أصول الاسنان التى تناثرت رؤسها (والعمر) عطف بيان (للطويل) الذى هو صفة له في المعنى (الحيدر) القصير والمراد بالمسلم الذى اشترى النصرانية بالاسلام جبلة بن الايهم من ملوك غسان فانه وفد بمكة على عمر رضى الله عنه وأسلم ثم انه ارتد ولحق بقيصر وتنصر وقصته مشهورة في العرب (قوله واعراضه) أى اعراض الهدى لهم من أعرضك الصيد اذا أمكنك من عرضه أى جانبه والجواب الاول انهم لما كانوا متمكنين منه تمكنا تاما بعد التكليف به وتيسير أسبابه استعير ثبوته لتمكنهم وأما الحمل على جعل الهدى مجازا عن تمكنه فمما يأباه ظاهر كلامه والجواب الثانى ان المراد بالهدى الفطرة التى جبلوا عليها وقد كانوا على هذا الهدى بلا شبهة ثم استبدلوا به الضلالة فلا مجاز في ثبوت الهدى لهم بل في لفظة الهدى ان لم تكن الفطرة مندرجة في حقيقته (والدرص) بالكسر ولد الفار واليربوع ونظائرهما (ونفقه) أى جحره وهو مثل يضرب لمن

أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى

* قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
(قال محمود رحمه الله الشراء يستدعى بذل العوض الخ) قال أحمد رحمه الله ومن هذا القبيل منع مالك رضى الله عنه أن يشترى احدى أوزتين مذبوحتين يختارها المشترى منهما لانه بعد يختار الكل واحدة منهما ثم بائعها لها بالاخرى فيدخله الربا وهو الذى يعبر عنه متأخر وأصحابه بان من ملك ان يملك هل يعد مالكا أولا وربما قالوا من خير بين شيئين عد منتقلا على أحد القولين

(فان قلت) كيف أسند الخسران الى التجارة وهو لاصحابها (قلت) هو من الاسناد المجازى وهو أن يسند الفعل الى شئ يتلبس بالذى هو فى الحقيقة له كما تلبست التجارة بالمشترين (فان قلت) هل يصح ربح عبدك وخسرت جاريتك على الاسناد المجازى (قلت) نعم اذا دلت الحال وكذلك الشرط فى صحة رأيت أسدا وأنت تريد المقدام ان لم تقم حال دالة لم يصح (فان قلت) هب أن شراء الضلالة بالهدى وقع مجازا فى معنى الاستبدال فما معنى ذكر الربح والتجارة كأن ثم مبايعة على الحقيقة (قلت) هذا من الصنعة البديعة التى تبلغ بالمجاز الذروة العليا وهو أن تساق كلمة مساق المجاز ثم تقفى باشكال لها وأخوات اذا تلاحقن لم تر كلاما أحسن منه ديباجة وأكثر ماء ورونقا وهو المجاز المرشح

(قال محمود رحمه الله فان قلت هب ان شراء الضلالة بالهدى الخ) قال أحمد رحمه الله وهذا النوع قريب من التتميم الذى يمثله أهل صناعة البديع بقول الخنساء
وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم فى رأسه نار
لما شبهته فى الاهتداء به بالعلم المرتفع اتبعت ذلك ما يناسبه ويحققه فلم تقنع بظهور الارتفاع حتى أضافت الى ذلك ظهورا آخر باشتعال النار فى رأسه

نسى الجنة عند الحاجة وقد مر ان الشف من الاضداد ويطلق على الزيادة والنقصان (قوله كيف أسند الخسران) قيل حقه أن يقول كيف أسند الربح وذلك لان النفى لامدخل له فى الاسناد العقلى فالفعل اذا أسند الى غير فاعله لملابسة بينهما كالنوم الى الليل كان مجازا عقليا سواء كان الاسناد مثبتا أو منفيا فقولك نام ليلى أو ما نام ليلى كلاهما مجازان لان النوم قد أسند فيهما الى غير ما هو له اما بطريق الاثبات واما بطريق النفى وليس بشئ لان نسبة الفعل قد تكون ثبوتية وقد تكون سلبية وكل واحدة منهما تعتبر فى نفسها ألا ترى انك اذا قلت ما ربحت التجارة بل التاجر لم يكن هناك مجاز أصلا فعلى هذا حقه أن يقول كيف أسند عدم الربح الى التجارة الا أنه عدل عنه تنبيها على ان عدم الربح ههنا جعل كناية عن الخسران وان كان أعم منه ثم أسند وأشار بذلك الى انه لو اقتصر ههنا على انتفاء الربح لكان منسوبا الى محله حقيقة فلا مجاز (نعم) اذا كنى به عن الخسران وأسند الى التجارة كان مجازا وفائدة الكناية التصريح بانتفاء مقصود التجارة وهو الربح مع حصول ضده الخسران بخلاف ما لو قيل خسرت تجارتهم وكذا الحال فيما اذا قلت ما صام نهاره بمعنى أفطر وما نام ليله بمعنى سهر فانه يكون من قبيل المجاز وان قصدت بهما نفى الصوم عن النهار والنوم عن الليل فقط كما فى قولك ما صام النهار وما نام الليل لم يكن منه قطعا والضابط ان الفعل اذا نفى عن غير فاعله وقصد مجرد نفيه عنه كان حقيقة واذا أول ذلك النفى بفعل آخر ثابت للفاعل دونه كان مجازا فتدبر والله الموفق (قوله وهو أن يسند الفعل) هذا التفسير للاسناد المجازى عما هو أعم مما سبق اذ قد اشترط المصنف هناك مضاهاة الفاعل المجازى للفاعل الحقيقى فى ملابسة الفعل واقتصر ههنا على تلبسه به مطلقا ولك أن تحمله على التقييد اعتمادا على ما سلف وتقول التجارة سبب يفضى الى كل واحد من الربح والخسران والاولى اجراؤه على ظاهره فان التلبس بالذى هو له فى الحقيقة مصحح للاسناد كما فى قولهم قال الملك كذا ورسم كذا وانما القائل والراسم بعض خاصته على ما مر (قوله نعم اذا دلت الحال) أى اذا قامت القرينة على انهما رأس المال جاز أن يسند اليهما اسنادا مجازيا ولا جواز بدونها فان الشرط فى المجاز لغويا كان أو عقليا قيام القرينة لا وجود السماع فى افراده وفيه رد على على بن عيسى الربعى حيث حكم بعدم صحتهما لوقوع الالتباس بالاسناد الحقيقى وفى قوله (هب) اشارة الى نوع استبعاد فى حمل الاشتراء على الاستبدال المذكور بواسطة ما قارنه من ذكر الربح والتجارة (قوله من الصنعة البديعة) أى الغريبة المستحسنة (وهى) أى تلك الصنعة (والديباجتان) الخدان (ورونق السيف) ماؤه وحسنه ومنه رونق الضحى (والترشيح) ان ترشح الام ولدها باللبن القليل تجعله فى فيه شيأ بعد شئ حتى يقوى على المص يقال فلان ترشح للوزارة أى تربى وتأهل لها وقيل أصله ترشيح الظبية ولدها وهو أن تعوده المشى ورشح الغزال اذا مشى وزاهو راشح وترشيح المجاز فى الاصطلاح ان تقرنه بصفة أو تفريع كلام يلائم معناه الحقيقى وهو فى الاستعارة كثير وقد يوجد فى المجاز المرسل كما يقال لفلان يد طولى أى قدرة كاملة ثم ان ترشيح الاستعارة انما يتصور بعد تمامها بقرينتها ولا شبهة ان التخييل فى المكنية قرينة لها فلا يكون ترشيحا مع كونه ملائما للمستعار منه بل ما زاد عليه من ملائماته يعد ترشيحا

وذلك نحو قول العرب في البليد كأن أذني قلبه خطلاء وان جعلوه كالحمار ثم رشحوا ذلك روما لتحقيق البلادة فادعوا لقلبه أذنين وادعوا لهما الخطل ليمثلوا البلادة تمثيلا يلحقها ببلادة الحمار مشاهدة معاينة ونحوه

ولما رأيت النسر عز ابن داية * وعشش في وكريه جاش له صدري

لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب أتبعه ذكر التعشيش والوكر ونحوه قول بعض فتاكهم في أمه

فما أم الردين وان أدلت * بعالمة بأخلاق الكرام
اذا الشيطان قصع في قفاها * تنفقناه بالحبل التوام

أي اذا دخل الشيطان في قفاها استخرجناه من نافقائها بالحبل المثنى المحكم يريد اذا حردت وأساءت الخلق اجتهدنا في ازالة غضبها واماطة ما يسوء من خلقها استعار التقصيع أولا ثم ضم اليه التنفق ثم الحبل التوام

(قوله وذلك نحو قول العرب) دل هذا الكلام بصريحه على أن المجاز المرشح انما هو في هذه العبارة ولا حاجة الى أن يقال رأيت حمارا كأن أذني قلبه خطلاء وان فيجعل الحمار استعارة واثبات الاذن والخطل ترشيحا يقال أذن خطلاء أي مسترخية طويلة وتحقيق ماصرح به انهم استعاروا الحمار للبليد لاصريحا بل كناية حيث أثبتوا له بعض ما هو من لوازم الحمار وهو المشهور به أعني الاذنين ثم قرن به ما يلائم أذن الحمار وهو الاسترخاء نحو ظاهر الكلام ان يقال كأن أذنيه خطلاء وان الا انهم أقحموا لفظ القلب لانه محل الذكاء والبلادة فمنه نشأ التشابه بينهما وأيضا لو قيل أذنيه لربما سبق الوهم الى الاذنين الثابتتين له حقيقة فظهر ان الاستعارة لفظ الحمار الذي سكت عنه وان التخييل الذي هو من تتمتها اثبات الاذنين والترشيح هو الخطل وليس لك أن تجعل قلبه مشبها بالحمار واثبات الاذنين والخطل تخييلا وترشيحا كما يتوهم اذ لا حسن فيه ولا ان تجعل القلب عبارة عن البليد لان اضافته اليه تبعده وقوله (روما) تعليل للترشيح وقوله (فادعوا لقلبه أذنين) من تتمة (جعلوه كالحمار) كما ان قوله (وادعوا لهما الخطل) من تتمة (ثم رشحوا) فالكلام على طريقة اللف والنشر وقوله (ليمثلوا البلادة) علة لادعاء الخطل ﴿فان قلت﴾ لفظة كأن آبية عن الحمل على الاستعارة ﴿قلت﴾ هي ههنا ليست للتشبيه كما في قولك كأن زيدا راكب على انها لم تدخل فيما هو استعارة تدل على جعل البليد حمارا بل فيما هو ترشيح أعني اثبات الخطل ونظيره من الاستعارة المصرحة ان يقال جاوزت بحرا كأنه متلاطم الامواج وتحقيقه ان اثبات الملائمات كما يكون بطريق الجزم فقد يكون بطريق الظن والتشبيه وقيل حرف التشبيه في مثل هذا المقام للتحقيق المؤكد وفيه بعد (قوله ولما رأيت النسر) استعار لفظ النسر للشيب ولفظ (ابن داية) وهو الغراب للشعر الاسود ورشح الاستعارتين بذكر (التعشيش) وهو أخذ العش وذكر (الوكر) وهو موضع الطائر الذي يأخذه للتفريخ واعلم ان الترشيح قد يكون باقيا على حقيقته تابعا للاستعارة لا يقصد به الا تقويتها كقولك رأيت أسدا دامي وفي البراثن فانك لا تريد به الا زيادة تصوير للشجاع وانه أسد كامل من غير أن تذهب بلفظ البراثن الى معنى آخر وقد يكون مستعارا من ملائم المستعار منه لملائم المستعار له كما في البيت فانه استعير لفظ الوكرين من معناه الحقيقي للرأس واللحية أو للفودين أعني جانبي الرأس ولفظ التعشيش للحلول والنزول فيهما مع كونهما مستعارين ترشيحان لتينك الاستعارتين لا باعتبار المعنى المقصود بهما بل باعتبار لفظيهما ومعناهما الاصلي يقال (عز) أي غلب (وجاش) اضطرب وقوله (لما شبه الشيب بالنسر) يدلك على فساد ما توهم من ان قوله جعلوه كالحمار تصريح بانه تشبيه كما يقتضيه لفظة كان فتأمل (قوله فتاكهم) الفتاك جمع فاتك وهو الجرئ بلا مبالاة والمقصود بنفي علمها (بأخلاق الكرام) انها تجاوزت حد الادلال والكريم لا يدل الا دلالا لطيفا (قصع) اليربوع أي دخل في قاصعائه (وقصع الشيطان في قفاه) ساء خلقه وغضب (ونفق) اليربوع أي خرج من نافقائه وتنفقته أي أخرجته منه استعار التقصيع أولا لطردها واساءة خلقها ثم ضم اليه التنفق مستعارا للاجتهاد في ازالة غضبها واماطة ما يسوء من خلقها ثم جعل التوام

وكذلك لما ذكر سبحانه الشراء أتبعه ما يشاكله ويواخيه وما يكمل ويتم بانضمامه اليه تمثيلا لخسارهم وتصويرا لحقيقته (فان قلت) فما معنى قوله فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين (قلت) معناه ان الذي يطلبه التجار في متصرفاتهم شيآن سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد أضاعوا الطلبتين معا لان رأس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة وحين لم يبق في أيديهم الا الضلالة لم يوصفوا باصابة الربح وان ظفروا بما ظفروا به من الاغراض الدنيوية لان الضال خاسر دامر ولانه لا يقال لمن لم يسلم له رأس ماله قد ربح وما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر ٭ لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميما للبيان ولضرب العرب الامثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في ابراز خبيات المعاني ورفع الاستار عن الحقائق حتى تريك المتخيل في صورة المحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد وفيه تبكيت للخصم الالد وقمع لسورة الجامح الابي ولامر ما أكثر الله في كتابه المبين وفي سائر كتبه أمثاله وفشت في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الانبياء والحكماء قال الله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون ومن سور الانجيل سورة الامثال والمثل في أصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلا ولا رأوه أهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول والقبول الا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ومن ثم حوفظ

فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين

مستعارا للسبب القوي يتوصل به الى تلك الازالة فهاتان الاستعارتان تابعتان للاولى ومرشحتان لها باعتبار لفظيهما او أصل المعنى كما سلف آنفا الا أن ههنا شيأ وهو انه لولا استعارة التقصيع أولا لم تصح استعارة التنفق وأما حبل التوام فظاهر انه من تتمة الثاني وتابع له (قوله تمثيلا لخسارهم) أي المقصود الاصلي من الترشيح في الآية تصوير ما فاتهم من فوائد الهدى بصورة خسارة التجارة كأنه هو بعينه مبالغة في تخسرهم بهذا الاستبدال ووقوعهم به في حقيقة الخسارة الذي يتحاشى عنه أولوا الابصار لا تصوير الاستبدال بصورة التجارة فانه وسيلة الى ذلك المقصود (قوله ما معنى قوله فما ربحت) يريد انه عطف بالواو عدم اهتدائهم على انتفاء ربح تجارتهم ورتبهما معا بالفاء على اشتراء الضلالة بالهدى فما وجه الجمع بينهما مع ذلك الترتيب على ان عدم الاهتداء قد فهم من استبدال الضلالة بالهدى فيكون تكرار الماضي والجواب ان رأس مالهم هو الهدى فلما استبدلوا به ما يضاده ولا يجامعه أصلا انتفى رأس المال بالكلية (وحين لم يبق في أيديهم الا) ذلك الضد أعني (الضلالة) وصفوا بانتفاء الربح والخسارة (لان الضال) في دينه (خاسر دامر) أي هالك وان أصاب فوائد دنيوية ولان من لم يسلم له رأس ماله لم يوصف بالربح بل بانتفائه فقد أضاعوا سلامة رأس المال بالاستبدال وترتب على ذلك اضاعة الربح وأما قوله (وما كانوا مهتدين) فليس معناه عدم اهتدائهم في الدين فيكون تكرارا لما سبق بل لما وصفوا بالخسارة في هذه التجارة أشير الى عدم اهتدائهم لطرق التجارة كما يهتدي اليه التجار البصراء بالامور التي تربح فيها او تخسر فهذا راجع الى الترشيح لكن عطفه على اشتراء الضلالة بالهدى أولى كما يرشدك اليه تأملك (قوله لما جاء) أي لما بين بقوله ومن الناس من يقول آمنا الى ههنا (حقيقة صفة المنافقين) أراد أن يكشف عنها كشفا تاما ويبرزها في معرض المحسوس المشاهد فعقبها بضرب المثل مبالغة في البيان (والامثال) جمع المثل والمراد به ههنا ما هو أعم من القول السائر الذي سيذكر كما في قوله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وقول المصنف ومن سور الانجيل سورة الامثال (والمثل) جمع المثال فانه يجمع على أمثلة ومثل يقال (بكته) بالحجة أي غلبه وقمعه أي قهره وأذله (والسورة) الحدة والوثبة (ثم قيل) أي ثم نقل من معناه اللغوي الى معنى آخر عرفي يتفرع عليه معنى ثالث مجازي كما سيذكره (والسائر) هو الفاشي ويعتبر فيه مع الفشو أن يكون تشبيها تمثيليا على سبيل الاستعارة وانما سمي مثلا لانه جعل مضربه وهو ما ضرب فيه ثانيا مثلا لمورده وهو ما ورد فيه أولا (قوله ومن ثمة حوفظ

عليه وحى من التغيير (فان قلت) مامعنى مثلهم كمثل الذى استوقد نارا وما مثل المنافقين ومثل الذى استوقد نارا حتى شبه أحد المثلين بصاحبه (قلت) قد استعير المثل استعارة الاسد للمقدام للحال أو الصفة أو القصة اذا كان لها شأن وفيها غرابة كأنه قيل حالهم العجيبة الشأن كحال الذى استوقد نارا وكذلك قوله مثل الجنة التى وعد المتقون أى وفيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ثم أخذ فى بيان عجائبها ولله المثل الاعلى أى الوصف الذى له شأن من العظمة والجلالة مثلهم فى التوراة أى صفتهم وشأنهم المتعجب منه ولما فى المثل من معنى الغرابة قالوا فلان مثلة فى الخير والشر فاشتقوا منه صفة للعجيب الشأن (فان قلت) كيف مثلت الجماعة بالواحد (قلت) وضع الذى موضع الذين كقوله وخضتم كالذى خاضوا والذى سوغ وضع الذى موضع الذين ولم يجز وضع القائم موضع القائمين ولا نحوه من الصفات أمران أحدهما أن الذى لكونه وصلة الى وصف كل معرفة بجملة وتكاثر وقوعه فى كلامهم ولكونه مستطالا بصلته حقيق بالتخفيف ولذلك نهكوه بالحذف فحذفوا ياءه ثم كسرته ثم اقتصروا به على اللام وحدها فى أسماء الفاعلين والمفعولين والثانى أن جمعه ليس بمنزلة جمع غيره بالواو والنون وانما ذلك علامة لزيادة الدلالة ألا ترى أن سائر الموصولات

عليه وحى من التغيير) فانه لو غير لما انتفى الدلالة على تلك الغرابة والاظهر كما فى المفتاح ان المحافظة على المثل انما هى بسبب كونه استعارة فوجب لذلك أن يكون هو بعينه لفظ المشبه به فان وقع تغيير لم يكن مثلا بل مأخوذا منه واشارة اليه كما فى قولك بالصيف ضيعت اللبن بالتذكير (قوله مامعنى مثلهم) يريد قد ذكرت للمثل معنى لغويا ومعنى عرفيا وشئ منهما لا يناسب المقام فما المعنى المراد بالمثلين حتى شبه أحدهما بالآخر فقوله (ومامثل المنافقين) عطف تفسيرى وقيل سأل أولا عن معنى المثل ومفهومه وثانيا عن الامر الذى يصدق عليه ذلك المفهوم فى جانبى المشبه والمشبه به وأجاب بما يفيد الاول صريحا والثانى ضمنا وماذكرناه ألصق بعبارة الكتاب وقوله (اذا كان لها شأن وفيها غرابة) أشار الى العلاقة المجوزة وهى الاشتراك فى الغرابة وعظم الشأن وكلمة (اذ) ظرف لقوله (استعير) وقد تجردت عن الشرطية لمعنى الوقت فيصح وقوعها معمولا للماضى محقق كما هو حق كلمة اذ وقيل لفظة كان لقوة دلالتها على الماضى لا تنقلب الى الاستقبال بدخول ان التى هى أعرق الكلمات فى الشرطية فضلا عن دخول اذا فلا حاجة الى التجريد كأنه قيل لما كانت كذا استعير لها لفظ المثل من المعنى المصطلح (قوله ثم أخذ فى بيان عجائبها) أى بقوله تجرى الخ وقوله فى الخير والشر متعلق بقالوا لا بمثلة (قوله كيف مثلت الجماعة بالواحد) قيل لا وجه لهذا السؤال بعد التصريح بأن المقصود تشبيه الحال بالحال وأجيب بأن الاصل يقتضى رعاية المطابقة بين الحالتين فى كونهما للواحد أو الجماعة فان المماثلة حينئذ أقوى والتشبيه أقرب الى القبول فذكر أولا ان تلك المطابقة التى هى أولى مرعية ههنا وثانيا ان ترك ذلك الاولى جائز وشائع فى الاستعمال لحصول المقصود بلا اختلال نعم اذا قصد تشبيه الذات بالذات وجب تلك الرعاية ولا يجوز اهمالها كيلا يلزم ههنا تشبيه ذوات الجماعة أعنى المنافقين بذات الواحد الذى هو المستوقد فانه مردود قطعا بخلاف قول الشاعر

الناس ألف منهم كواحد * وواحد كالالف ان أمر عنى

وأشار بكلمة على فى قوله على ان المنافقين الى ان الجواب الثانى اما علاوة واما معول عليه وذكر فى الجواب الاول المشتمل على كون المشبه به جماعة أيضا وجوها ثلاثة الاول ان الذى وضع موضع الذين بطريق الحذف والتخفيف والذى جوز ذلك مع انه لا يجوز وضع القائم مقام القائمين بهذا الطريق (ولا) وضع (نحو القائم من الصفات) المفردة موضع جموعها بحذف علاماتها أمران أولهما راجع الى ذى العلامة فان لفظ الذى يستحق التخفيف لما ذكره ولذلك خفف من وجوه كثيرة وكذا جمعه جرى فيه هذا النوع من التخفيف وثانيهما راجع الى العلامة وان الياء والنون فى الذين ليستا كالياء والنون فى جموع السلامة فى قوة الدلالة على الجمعية حتى يمتنع حذفهما (ألا ترى) انه لم يختلف فى حالات الاعراب (وان سائر الموصولات)

لفظ الجمع والوحد فهى واحد أو قصد جنس المستوقدين أو أريد الجمع أو الفوج الذى استوقد نارا على أن المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد انما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ونحوه قوله مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا وقوله ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت * و وقود النار سطوعها وارتفاع لهبها ومن أخواته قل فى الجبل اذا صعدوعلا * والنار جوهر لطيف مضىء حار محرق * والنور ضوءها وضوء كل نير وهو نقيض الظلمة واشتقاقهما من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا والنور مشتق منها

مثلهم كمثل الذى استوقد نارا

كن وما تصدق بها (لفظ الجمع والواحد) فهذه علامة زيادة الدلالة وشىء من هذين الامرين لا يوجد فى الصفات و يرد على هذا الوجه من الجواب ان الذى حينئذ جمع مخفف فيجب أن يجمع ضميره فى استوقد كما فى الذى خاضوا و يجاب بأنه وان كان جمعا حقيقة الا انه مفرد صورة فجاز افراد ضميره نظرا الى صورته ﴿فان قيل﴾ فعلى هذا ينبغى أن يجوز مررت بالرجال القائم بتوحيد الضمير الراجع الى اللام لكونه فى صورة المفرد بل مخفف الذين كالذى بعينه واذا جعل اللام موصولا برأسه كان ذلك أولى بالجواز ﴿قلنا﴾ القياس يقتضى ذلك الا انه فى صورة لام التعريف وقريب منه فى المعنى حتى ذهب المازنى الى انه حرف تعريف فلذلك أجرى مجراه فى وجوب مطابقة الصفة التى بعده للموصوف به بخلاف الذى فانه ليس كذلك فجاز توحيد ضميره نظرا الى لفظه والوجه الثانى من الجواب الاول (انه قصد بالذى استوقد جنس المستوقدين) فلا يختص بالواحد حتى يلزم المحذور والوجه الثالث منه أن يقدر موصوفه لفظا مفردا معناه الجماعة كلفظ الجمع أو الفوج أو نحوه فقوله أو قصد أو أريد معطوفان على وضع ولا يخفى عليك ان كون الشىء وصلة يناسبه التخفيف لان الوسيلة اذا كانت أخف كان الوصول بها الى الغرض أسرع وقوله تكاثر عطف على لكونه ولم يعد اللام لقوة تقاربهما فى المعنى كما ينبئ عنه قوله الى وصف كل معرفة بخلاف كونه مستطالا بصلته يقال نم كنه الحى بالكسر نقصت لحمه وأضنته والمتبادر من قوله أحدهما ان الذى لكونه وصلة الخ هو انه بكماله اسم موضوع معرفة يتوصل به الى وصف المعارف بالجمل كما ذهب اليه كثير من المحققين وظاهر ما ذكره فى المفصل بل صريحه يدل على ان اللام فى الذى حرف تعريف وان هذه اللام هى بعينها اللام التى تعد من الموصولات الا انها حينئذ اسم لا حرف لكونها بمنزلة الذى لكونها تحقيقا له قال فى الصحاح الذى اسم مبهم للمذكر معرفة وأصله لذى فأدخلت عليه الالف واللام ولا ينزعان عنه وجمهور النحاة على ان اللام التى تعد فى الموصولات ليست بمنقوصة من الذى بل هى اسم برأسه الا انه لما أشبهت حرف التعريف فى الصورة التزم أن يكون مدخولها اسما مسبوكا من الجملة الفعلية فهى اسم فى صورة الحرف وصلتها فعل فى صورة الاسم فلذلك كان اعرابها ظاهرا فى صلتها لا مقدرا فى محلها والموجود فى النسخ المعول عليها (وذواتهم) بالكسر وفى الصحاح انها كسلمات وليست التاء فيها أصلية ألا ترى انك اذا وقفت على الواحدة قلت ذاه بالهاء ويوجد فى بعض النسخ بالفتح والوجه فيه مع بعده ان التاء فيه ليست كالتاء فى بيت ألا ترى انهم جوزوا اطلاقه على الله تعالى فقالوا ذات الله وصفاته وذات قديمة مع تحاشيهم عن اطلاق نحو علامة عليه وأيضا نسبوا اليه مع التاء فقالوا الصفات الذاتية فكان التاء أصلية لا علامة الجمع على ان صاحب الكواشى نقل عن يونس الفتح فى نحو نبات نصبا (قوله والنار جوهر لطيف) عين أولا ما يطلق عليه لفظ النار فى متعارف اللغة ولا شبهة فى أن مجموع ما ذكر معتبر فيه فلا معنى للمناقشة بان كرة الاثير شفافة لا ضوء لها ولا بأن الاحراق قد يتخلف عنها واطلاق كل واحد من الضوء والنور على الآخر مشهور فيما بين الجمهور فلا ينافى الفرق المأخوذ من استعمال البلغاء ما ذكر والمأخوذ من اصطلاح الحكماء وهو ان الضوء ما يكون للشىء لذاته كالشمس والنور ما يكون من غيره كالقمر ثم حكم بان اشتقاقهما من نار ينور نورا و بان اشتقاق النور منها بناء على المناسبة اللغوية فان الحركة والاضطراب يوجد فيها أولا

* والاضاءة فرط الانارة ومصداق ذلك قوله هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهى فى الآية متعدية ويحتمل أن تكون غير متعدية مسندة الى ما حوله والتأنيث للحمل على المعنى لان ما حول المستوقد أماكن وأشياء ويعضده قراءة ابن أبى عبلة ضاءت وفيه وجه آخر وهو أن يستتر فى الفعل ضمير النار ويجعل اشراق ضوء النار حوله بمنزلة اشراق النار نفسها على أن ما مزيدة أو موصولة فى معنى الامكنة * وحوله نصب على الظرف وتأليفه للدوران والاطافة وقيل للعام حول لانه يدور (فان قلت) أين جواب لما (قلت) فيه وجهان أحدهما أن جوابه (ذهب الله بنورهم) والثانى أنه محذوف كما حذف فى قوله فلما ذهبوا به وانما جاز حذفه لاستطالة الكلام مع أمن الالباس للدال عليه وكان الحذف أولى من الاثبات

و بالذات وفى نورها ثانيا وبالعرض فما حكم به أولى من جعل النار مشتقة من النور المشتق من نار (وأضاء فى الآية اما متعد) فيكون قوله ما حوله مفعولا به أى جعلت النار ما حول المستوقد مضيئا واما لازم فيكون مسندا الى ما حوله أى صارت الاماكن والاشياء التى حوله مضيئة بالنار أو الى ضمير النار وحينئذ اما أن تكون كلمة ما مزيدة وحوله ظرفا لغوا لاضاءت أو موصولة وقعت عبارة عن الامكنة فتكون مع صلتها مفعولا فيه لاضاءت وكان ينبغى أن يصرح على الاخير بكلمة فى لان حذفها من لفظ مكان انما كان لكثرة استعماله ولا كثرة فى الموصول الذى عبر به عن الامكنة فيحمل على انه من قبيل عسل الطريق الثعلب (قوله ويجعل اشراق ضوء النار) كأن سائلا يقول اذا استتر فى الفعل ضمير النار وجب أن توجد النار حول المستوقد حتى يتصور اضاءتها واشراقها فيه فأجاب بأن النار وان لم توجد فيما حوله فقد وجد ضوءها فيه فقد جعل اشراق ضوء النار حوله بمنزلة اشراق النار نفسها فيه فأسند اليها اسناد الفعل الى المسبب كما فى بنى الامير فان النار سبب لاشراق ضوئها حول المستوقد ومآله ما اشتهر فى العرف من أن الضوء ينتشر من المضىء الى مقابلاته فيجعلها مستضيئة (وحوله نصب على الظرف) اما لغو على تقدير زيادة ما كما مر واما مستقر كما فى سائر التقادير (وتأليفه) أى تأليف حروف حول على هذا الترتيب (للدوران والاطافة) يقال طاف وأطاف بمعنى وقيل للعام حول لانه يدور ومنه حال الشئ واستحال أى تغير وحال الانسان وهى عوارضه التى تتحول عليه والحوالة وهو اسم من أحال عليه بدينه (قوله أين جواب لما) لا يخفى ان اذهاب النور يناسب الاستيقاد فالظاهر أن يجعل ذهب الله بنورهم جواب لما الا ان فيه مانعا لفظيا وهو توحيد الضمير فى استوقد وحوله وجمعه فى بنورهم ومعنويا وهو ان المستوقد لم يفعل ما يستحق به اذهاب النور بخلاف المنافق فجعله جوابا يحتاج الى تأويل كما سيأتى فلذلك سأل وجوز أن يكون الجواب محذوفا ثم لا بد للحذف من قرينة تجوزه ومن داع يرجحه على الاثبات الذى هو الاصل فأشار الى الاول بقوله (وانما جاز حذفه لاستطالة الكلام) أى لطوله يقال استطال أى طال واستطاله أى عده طويلا ومنه قوله ولكونه مستطالا بصلته وأورد عليه أولا انه لا استطالة ههنا بخلاف قوله فلما ذهبوا به وأجيب بان المراد لولا حذف ذلك الجواب المحذوف لطال الكلام وثانيا ان عد الاستطالة فى المرجح أولى من عدها فى المجوز ودفعه بانه حاول أن يذكر فى كل منهما أمرين ليس بشئ وقوله (للدال عليه) أى على المحذوف أو على الحذف تعليل (لامن الالباس) وذلك الدال هو ان كلمة لما تقتضى جوابا وفى ذهب الله مانع فان سياق الكلام فى التمثيل لذم المنافقين بانهم بعد انتفاعهم بضياء كلمة الاسلام واقعون فى ظلمة النفاق التى ترمى بهم الى ظلمة العقاب السرمد فلا بد من اعتبار الخمود ليصح التشبيه ويحصل الغرض والى الثانى بقوله وكان الحذف أولى اذ فيه فائدتان الايجاز والمبالغة فى سوء حال المستوقد بايهام ان الجواب مما تقصر العبارة عنه ولم يرد بما أشار الى تقديره ان الجواب مقتصر عليه بل نبه به على انه من جنسه وجمع الضمائر فى بقوا وما بعده نظرا الى ان ايقاد النار فى الاغلب انما يكون للجماعة واشارة الى ان حمل الذى استوقد على الجمع أولى لما نبهت عليه (قوله وكان الحذف) عطف على انما جاز لا على جاز يرشدك اليه سلامة الفطرة

فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم

لما فيه من الوجازة مع الاعراب عن الصفة التى حصل عليها المستوقد بما هو أبلغ من اللفظ فى أداء المعنى كأنه قيل فلما أضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين فى ظلام متحيرين متحسرين على فوت الضوء خائبين بعد الكدح فى احياء النار (فان قلت) فاذا قدر الجواب محذوفا فبم يتعلق ذهب الله بنورهم (قلت) يكون كلاما مستأنفا كأنهم لما شبهت حالهم بحال المستوقد الذى طفئت ناره اعترض سائل فقال ما بالهم قد أشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل له ذهب الله بنورهم أو يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان (فان قلت) قد رجع الضمير فى هذا الوجه الى المنافقين فما مرجعه فى الوجه الثانى (قلت) مرجعه الذى استوقد لانه فى معنى الجمع وأما جمع هذا الضمير وتوحيده فى حوله فللحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى (فان قلت) فما معنى اسناد الفعل الى الله تعالى فى قوله (ذهب الله بنورهم) (قلت) اذا طفئت النار بسبب سماوى ريح أو مطر فقد أطفأها الله تعالى وذهب بنور المستوقد ووجه آخر وهو أن يكون المستوقد فى هذا الوجه مستوقد نار لا يرضاها الله ثم اما أن تكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للاسلام وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها قليلة البقاء ألا ترى الى قوله كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله واما نارا حقيقية أوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها الى بعض المعاصى ويهتدوا بها فى طرق العيث فأطفأها الله وخيب أمانيهم (فان قلت) كيف صح فى النار المجازية أن توصف باضاءة ما حول المستوقد

(والاعراب) الافصاح والكشف أبلغ من اللفظ أى من التلفظ فانه أنسب بالحذف (والكدح) جهد النفس فى العمل مستفاد من سين استوقد هذا وقد قيل جعل ذهب الله جوابا أولى لعدم الاستطالة ولان كونه من تتمة التمثيل الاول يوجب مطابقته للتمثيل الثانى لاشتماله على مبالغات ومن دأب البليغ أن يبالغ فى المشبه به ليلزم منه المبالغة فى المشبه ضمنا والحمل على الاستئناف ضعيف لان السبب فى تشبيه حالهم قد علم مما سبق فلا معنى للسؤال عن وجه الشبه أو تعيين المشبه وجعله بدلا من جملة التمثيل يدل على ان المذكور لفظا أوفى بتأدية الغرض مما حذف لقصور العبارة وهو باطل ﴿ثم﴾ لو قيل ذهب الله ابتداء كلام لبيان حال المشبه لم يكن بعيدا ولعل ما ذكره المصنف من نكتة الحذف ليس ايثارا له بل ايناس به وازالة لاستبعاده فالوجه هو الاول وسيرد عليك من كلامه ما يشعر به ﴿وأجيب﴾ بان الحذف لما كان أبلغ كانت المبالغة فى المشبه أكثر والتطابق بين التمثيلين أوفر وأيضا اذهاب النور وتركهم فى ظلمات يدل على انه كان لهم نور فزال وصاروا متحيرين خابطين فتكون المبالغة فى الطرفين معا اما فى المشبه به فبالحذف واما فى المشبه فباللفظ وهذا أوفى بتأدية الغرض الذى هو بيان حال المنافقين (قوله كلاما مستأنفا) أى جوابا للسؤال عن وجه الشبه فان مشاركة حالة المنافق لحال المستوقد فى المعانى المذكورة ليست بظاهرة وقد عرفت ما فيه (قوله بحال المستوقد الذى طفئت ناره) فيه تنبيه على ان الشرطية أعنى فلما أضاءت مع جوابه المحذوف معطوفة على الصلة فيكون المستوقد موصوفا بمضمون ذلك الجواب وقوله (على سبيل البيان) اشارة الى ان الاول ليس فى حكم الساقط الذى صرف عنه القصد (قوله قد رجع الضمير فى هذا الوجه) أراد به الوجه الثانى وهو أن يجعل جواب لما محذوفا وذهب الله استئنافا أو بدلا بناء على قربه وسوق الكلام فيه وأراد بالوجه الثانى ما ذكره أولا فانه اذا ابتدأ بالوجه الاخير كان أول الوجهين ثانيه والمقصود بيان ازالة المانع اللفظى وخص توحيد الضمير فيما حوله بالذكر لانه أقرب الى ضمير الجمع وبارز مثله بخلاف ضمير استوقد كما ان المقصود بقوله (فما معنى اسناد الفعل) بيان ازالة المانع المعنوى أجاب أولا بان الاسناد حينئذ مجازى من قبيل الاسناد الى السبب وفائدة الاسناد اليه تعالى المبالغة فى اذهاب النور وثانيا بان المراد بمستوقد نار لا يرضاها الله فلا يكون اطفاؤها قبيحا ثم ان هذه النار اما أن تكون مجازية واما حقيقية ﴿فان قيل﴾ المنافق مستوقد نار الفتنة والعداوة مع ما ذكر من الاضاءة فلا معنى للتشبيه ﴿قلنا﴾ هذا المستوقد أعم منه (قوله وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها الخ) أشار به الى معنى ذهاب الله بنورهم اذا

(قلت) هو خارج على طريقة المجاز المرشح فأحسن تدبره (فإن قلت) هلا قيل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما أضاءت (قلت) ذكر النور أبلغ لأن الضوء فيه دلالة على الزيادة فلو قيل ذهب الله بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض إزالة النور عنهم رأسا وطمسه أصلا ألا ترى كيف ذكر عقيبه (وتركهم في ظلمات) والظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه وكيف جمعها وكيف نكرها وكيف أتبعها ما يدل على أنها ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله (لا يبصرون) (فإن قلت) فلم وصفت بالإضاءة (قلت) هذا على مذهب قولهم للباطل صولة ثم يضمحل ولريح الضلالة عصفة ثم تخفت ونار العرفج مثل لنزوة كل طماح والفرق بين أذهبه وذهب به أن معنى أذهبه أزاله وجعله ذاهبا ويقال ذهب به إذا استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان بماله أخذه فلما ذهبوا به إذا لذهب كل إله بما خلق ومنه ذهبت به الخيلاء والمعنى أخذ الله نورهم وأمسكه وما يمسك الله فلا مرسل له فهو أبلغ من الإذهاب وقرأ اليماني أذهب الله نورهم * وترك بمعنى طرح وخلى إذا علق بواحد كقولهم تركه ترك ظبي ظله فإذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير فيجري مجرى أفعال القلوب كقول عنترة * فتركته جزر السباع ينشنه * ومنه قوله وتركهم في ظلمات أصله هم في ظلمات ثم دخل ترك فنصب الجزأين والظلمة عدم النور وقيل عرض ينافي النور واشتقاقها من قولهم ما ظلمك أن تفعل كذا أي ما منعك وشغلك لأنها تسد البصر وتمنع الرؤية

وتركهم في ظلمات لا يبصرون

حملت النار على المجازية ولما استعير لفظ النار للفتنة رشحت بالإضاءة التي تلائم معناه الحقيقي (قوله لقوله فلما أضاءت) أي ليتناسب أول الكلام وآخره والسؤال مختص بما إذا كان ذهب الله جواب لما وإجراؤه على التقدير الآخر تكلف (قوله وكيف جمعها) كرر لفظ كيف إشعارا باستقلال كل واحد في تأدية المقصود (قوله فلم وصفت) تفريع على ما ذكره من أن الإضاءة تدل على الزيادة أي لماذا وصفت بالإضاءة التي هي أقوى من الإنارة مع أن المقصود الإزالة بالكلية التي تناسب القلة والضعف (وأجاب) بأنه دل في الكلام على قوة الظهور وسرعة الخمود تنبيها على مزيد الحيرة والخيبة وإشعارا بالبطلان إذ قد تقرر في الأذهان قوة أمر الباطل في بدء الحال واضمحلاله سريعا في المآل (قوله ومن ثمة قيل للباطل صولة) أي ظهور بقوة ثم يضمحل بسرعة (والعرفج) نبت يشتعل قويا ويخمد سريعا (النزوة) الطفرة (والطامح) من طمح الفرس أي ركب رأسه في عدوه رافعا بصره فهو طماح والمراد من تعدى طوره لما أوتي من رتبة لا يستحقها وفي الصحاح رجل طماح أي شره من طمحت المرأة تطلعت إلى الرجال (قوله فهو أبلغ من الإذهاب) لما فيه من الأخذ والإمساك فإن الباء وإن كانت للتعدية كالهمزة إلا أن فيها معنى المصاحبة واللصوق (قوله ترك ظبي ظله) أي كناسه الذي يستظل فيه من شدة الحر وهو مثل في الترك الكلي فإن الظبي إذا نفر من مكان لم يعد إليه أصلا وذلك في الصغير أقوى لنفرته طبعا وعدم تهديه إلى المنزل وقلة ألفه به وتمثل المزعج في خياله ولذلك صغره آخر البيت قوله * يقضمن حسن بنانه والمعصم * ويروى * ما بين قلة رأسه والمعصم * (جزر السباع) اللحم الذي تأكله لأنها تجزره بأنيابها جزر القصاب بالحديد فعل بمعنى مفعول (النوش) التناول السهل (والقضم) الأكل بمقدم الأسنان يقال قضمه بالكسر (والمعصم) موضع السوار من الساعد (ومنه) أي ومن القبيل الثاني أعني ما ضمن معنى صير وإنما فصله لأن البيت نص في المتعدي إلى مفعولين لأن جزر السباع معرفة لا يحتمل الحال بخلاف ما في الآية إذ يجوز أن يكون ترك فيها بمعنى خلى (وفي ظلمات ولا يبصرون) حالان مترادفان أو متداخلان (والظلمة عدم النور) ليس هذا تكرارا لما تقدم إذ قصد به ههنا تفسيرها وما ذكره أولا بطريق جملة حالية قصد به تحقيق أن ذهاب النور أبلغ من ذهاب الضوء وهي عند بعضهم عدم النور عما من شأنه النور وعند بعض المتكلمين هي عرض ينافي النور وهي على هذا وجودية وعلى الأولين عدمية وعلى التقادير يصح ما مر من أن النور نقيض لها أي مناف للظلمة (لأنها) أي الظلمة (تسد البصر وتمنع الرؤية) هذا

وقرأ الحسن ظلمات بسكون اللام وقرأ اليماني في ظلمة على التوحيد والمفعول الساقط من لا يبصرون من قبيل المتروك المطرح الذي لا يلتفت الى اخطاره بالبال لا من قبيل المقدر المنوي كأن الفعل غير متعد أصلا نحو يعمهون في قوله ويمدهم في طغيانهم يعمهون (فان قلت) فيم شبهت حالهم بحال المستوقد (قلت) في أنهم غب الاضاءة خبطوا في ظلمة وتورطوا في حيرة (فان قلت) وأين الاضاءة في حال المنافق وهل هو أبدا الا حائر خابط في ظلماء الكفر (قلت) المراد ما استضاؤا به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة على ألسنتهم ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة

ما دمتقده الجمهور وهو المناسب لحالهم فلا يتجه ان العدم لا يكون مانعا وتوحيد الظلمة في الآية ظاهر وأما جمعها فباعتبار انضمام ظلمة الليل الى ظلمتي الغمام وتطبيقه مثلا (قوله كأن الفعل غير متعد أصلا) أي نزل منزلة اللازم وقطع النظر عن المتروك وقصد الى نفس الفعل كأنه قيل ليس لهم أبصار وهو أبلغ من أن يقدر المفعول أي لا يبصرون شيأ لأن الاول يستلزم الثاني دون العكس وأشار بقوله نحو يعمهون الى انه صار بمنزلة ما لا يتعدى في أصله وانما قال في قوله ويمدهم في طغيانهم لانه يوافق قوله تركهم في ظلمات في المعنى بخلاف قوله ويمدهم في طغيانهم يعمهون (قوله فيم شبهت) هذا سؤال عن وجه الشبه كأنه قيل في أي معنى قصد اشتراك طرفي التشبيه أعني حال المنافقين وحال المستوقد وقيل سؤال عن تعيين المشبه أي في أي حال من الاحوال الكثيرة للمنافقين وقع التشبيه بحال المستوقد وعبارة الكتاب آبية عنه اذ يصير معناه حينئذ في أي حال شبهت حالهم بحال المستوقد (في انهم) أي المنافقين أو المستوقد والمنافقين معا وفي قوله (غب الاضاءة) أي بعدها وعلى اثرها اشارة الى أن وجه الشبه مركب في نفسه ملتئم من عدة معان على وجه يؤذن بتركب طرفيه أيضا وقوله (وتورطوا في حيرة) معطوف على خبطوا في ظلمة تفسير له وفيه تنبيه على ان المقصود من الاضاءة ما يقابل الوقوع في الحيرة فكأنه قال وجه الشبه هو انهم عقيب حصول تباشير المقصود وقوة الرجاء وقعوا في حيرة الحرمان والخيبة وهذا معنى يشترك فيه المشبه والمشبه به قطعا الا أنه راعى موافقة نظم الآية فعبر عن الجزء الاول بالاضاءة وعن الثاني بالخبط في الظلمة مع تفسيره بما يعلم منه وجه الشبه المشترك بين الطرفين كما نبهت عليه فسقط ما يقال ان الاضاءة وكذا الوقوع في الظلمة ان حملت على الحقيقة اختصت بالمستوقد وان حملت على المجاز اختصت بالمنافق ﴿فان قلت﴾ كما ان الاضاءة الحقيقية مفقودة في حال المنافق كذلك الخبط في الظلمة الحقيقية فلماذا خص السؤال بالاضاءة ﴿قلت﴾ اطلاق الظلمة على الكفر مجاز مشهور ألا ترى الى قوله (الا حائر خابط في ظلماء الكفر) وقد وجد في المنافق الظلمة ببعض معانيها بخلاف الاضاءة اذ لم يوجد فيه معناها الحقيقي ولم يظهر لها معنى مجازي فاحتيج الى السؤال وأجاب بان المراد من الاستضاءة هو الانتفاع اجرائهم الكلمة على ألسنتهم من حيث متاركتهم عن المحاربة واعطاؤهم الحظوظ من المغانم الى غير ذلك وأراد أن تقع الكلمة ههنا قائمة مقام الاضاءة في المستوقد وليس بشئ منهما بخصوصه معتبرا في التشبيه بل ما يلزمهما من ظهور أوائل المقصود وتخايل جمال المحبوب وكذا الحال في ظلمتي المستوقد والمنافق فان المعتبر فيه ما يلزمهما من الحيرة والحرمان كما عرفت وقوله (ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق) ناظرا الى معنى قوله غب الاضاءة خبطوا في ظلمة وفيه أيضا اشارة الى تركب وجه الشبه وانه منتزع من أمور متعددة في المشبه وأما انتزاعه من متعدد في المشبه به فمما لا شبهة فيه فقد أشار الى انه من التشبيهات المركبة كما هو المختار عنده في التمثيلين على ما سيأتي ولا يخلو كلامه من تلويح الى جواز التفريق في هذا التشبيه فان قوله المراد ما استضاؤا به قليلا من الانتفاع يفهم منه جواز تشبيه الاجزاء بالاجزاء ﴿وتلخيص﴾ ما قررناه انه اعتبر في المستوقد السعي في ايقاد النار والكدح في احيائها وحصول طرف من الاضاءة المطلوبة وزوالها باطفاء النار بغتة كما تدل عليه كلمة فلما واعتبر

ظلمة النفاق التي ترمي بهم الى ظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد ويجوز أن يشبه بذهاب الله بنور المستوقد اطلاع الله على أسرارهم وما افتضحوا به بين المؤمنين واتسموا به من سمة النفاق والاوجه أن يراد الطبع لقوله (صم بكم عمى) وفي الآية تفسير آخر وهو أنهم لما وصفوا بانهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة التي اشتروها وطبع بها على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركه اياهم في الظلمات وتنكير النار للتعظيم * كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن الاصاخة الى الحق مسامعهم وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم وأن ينظروا ويتبصروا بعيونهم جعلوا كانما أيفت مشاعرهم وانتقضت بناها التي بنيت عليها للاحساس والادراك كقوله صم بكم عمى

صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به * وان ذكرت بسوء عندهم أذنوا

في المنافق القصد الى ادعاء الايمان واجراء الكلمة على اللسان وحصول منافع الامن والامان وانتفاء ذلك دفعة بالموت ووقوعهم في ظلمات متراكمة فان لوحظ في كل واحد من الجانبين هيئة وحدانية ملتئمة من تلك المعاني المتعددة كان تشبيها مركبا ووجهه ما ذكر وان قصد تشبيه كل واحد من تلك المعاني المتعددة بما يناظره كان تشبيها مفرقا ولا يحتاج وجهه الى بيان وفي قوله (ظلمة النفاق الخ) تنبيه على توجيه الجمع في ظلمات نظرا الى حال المنافق وقد مر توجيهه نظرا الى حال المستوقد ﴿فان قيل﴾ ظلمة النفاق مجامعة للاضاءة بنوره وهذه الكلمة لا متعقبة ﴿قلنا﴾ نعم الا انها عرضت بعد الانتفاع فلذلك حكم بتعقبها منضمة الى ظلمتين أخريين (قوله ويجوز أن يشبه) هذا وجه ثان في بيان وجه الشبه ولا يخالف الاول تركيبا وتفريقا الا فيما هو بازاء ذهاب الله بنور المستوقد وهو أعني قوله ويجوز عطف على ما تقدم بحسب المعنى كانه قيل يشبه بذهاب الله بنورهم اماتته اياهم ظالمي أنفسهم ويجوز أن يشبه وفيه نوع تصريح بالتفريق (قوله والاوجه) هذا وجه ثالث ويجري في هذا التفريق والتركيب كالاولين الا ان المشبه بالاذهاب ههنا هو ان الله تعالى خذلهم في نفاقهم فطبع على قلوبهم فوقعوا في حيرة الغشاوة والبعد عن نور الايمان وانما جعله أوجه لان ما ذكره بعده من خواص أهل الطبع ومحصول الوجه الاول انهم انتفعوا بهذه الكلمة مدة حياتهم القليلة ثم قطعه الله تعالى بالموت فوقعوا في تلك الظلمات ومحصول الثاني انهم استضاؤا بها مدة ثم اطلع الله على أسرارهم فوقعوا في ظلمات انكشاف الاسرار والافتضاح والاتسام بسمة النفاق ومحصول الثالث انهم انتفعوا بها فخذلهم الله تعالى حتى صاروا مطبوعين واقعين في ظلمات متراكمة بعضها فوق بعض وهذه الاوجه كلها على تقدير كون التمثيل متعلقا بجميع ما علم من أحوال المنافقين في الآية السابقة وتفصيل لقوله في أنهم عقيب الاضاءة الخ ثم انه أشار الى وجه رابع على تقدير تعلقه بقوله اشتروا الضلالة بالهدى فقال وفي الآية تفسير آخر وبينه على التفريق بيانا واضحا وسيأتيك في التمثيل الثاني اعتبار التركيب فيه وقد جعل في هذا التفسير قوله ذهب الله جواب لما حيث عده من أحوال المستوقد وكذا في قوله ويجوز أن يشبه بذهاب الله بنور المستوقد وقوله (والاوجه أن يراد الطبع) اذ ما ل معناه أن يشبه الطبع بذلك الذهاب وكذا الحال في الوجه الاول لان السؤال عن وجه الشبه انما يتوجه على تقدير كون ذهب جوابا أو على تقدير كونه استئنافا أو بدلا يكون هو بيانا لوجه الشبه (قوله وتنكير النار للتعظيم) أي هذا التفسير تعظيم الهدى المشبه بها أو مطابقة للمناسب يأتي من قوله كما نكرت النار في التمثيل الاول (قوله كانت حواسهم) هذا شروع في تفسير قوله صم بكم عمى وهو من أحوال المنافقين سواء جعل ذهب الله جوابا لما أولا ومعنى (أيفت) أصيبت بآفة يقال أيف الشئ فهو مؤوف (والمشاعر) جمع مشعر اما بكسر الميم آلة أو بفتحها موضعا ولا فرق بين البناء والبناء ضما وكسرا كفرديهما على وزن غرفة وحرفة وقد يفرق بأن المضموم مستعمل في المكارم والمعالي والمكسور في الابنية (بنيت) أي تلك المشاعر (عليها) أي تلك البناء وقد عد آلة النطق من الحواس والمشاعر تغليبا (اذنوا) أصغوا اليه

أصم عما ساءه سميع

أصم عن الشئ الذى لا أريده * وأسمع خلق الله حين أريد

فأصممت عمرا وأعميته * عن الجود والفخر يوم الفخار

(فان قلت) كيف طريقته عند علماء البيان (قلت) طريقة قولهم هم ليوث للشجعان وبحور للاسخياء الا أن هذا فى الصفات وذاك فى الاسماء وقد جاءت الاستعارة فى الاسماء والصفات والافعال جميعا تقول رأيت ليوثا ولقيت صما عن الخير ودجا الاسلام وأضاء الحق (فان قلت) هل يسمى ما فى الآية استعارة (قلت) مختلف فيه والمحققون على تسميته تشبيها بليغا لا استعارة لان المستعار له مذكور وهم المنافقون والاستعارة انما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لان يراد به المنقول عنه والمنقول اليه لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام

واستمعوا و(أصم) أفعل صفة ضمن معنى الذهول والاعراض فعدى بعن (سميع) لما سره وأسمع افعل تفضيل و(أصممت عمرا وأعميته) أى وجدته أصم وأعمى (قوله كيف طريقته) يريد ان قولك جعلوا كأنما أيفت مشاعرهم يدل على ابتناء هذا الكلام على التشبيه الذى له أساليب فى علم البيان فبين لنا انه على أى أسلوب منها فذكر انه من أسلوب حمل المشبه به على المشبه مع حذف الاداة ووجه الشبه ولما لم يتبين بعد ان ما فى الآية تشبيه أو استعارة أورد جريان الاستعارة فى الاسماء والصفات والافعال فعلم منه ان التشبيه الذى هو مبنى الاستعارة جار فيها ألا ترى ان كلما تجرى فيه الاستعارة يجرى فيه التشبيه كليا ولا ينعكس كليا وانما لم يذكر الحروف وان جرى فيها الاستعارة تبعا كما فى الصفات والافعال لان هذه الطريقة وهى أن يكون المشبه به مذكورا بلفظ الحرف محمولا على المشبه لا يتصور فيها (قوله دجا الاسلام) أى قوى وكثف كجسم له ظل (قوله وأضاء الحق) أى ظهر ظهورا تاما كالشمس (قوله على تسميته تشبيها بليغا) حيث حمل المشبه به على المشبه كأنه هو بعينه (لان المستعار له مذكور وهم المنافقون) اذ تقدير الآية هم صم فالمستعار له المذكور بلفظه تقديرا مع لفظ المستعار منه فيكون لفظ المستعار منه مستعملا فى معناه الحقيقى كما ان لفظ المستعار له كذلك فلا استعارة هناك حقيقة بل (الاستعارة انما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له) فلا يكون لفظه فى نظم الكلام المشتمل على لفظ المستعار منه مذكورا ولا مقدرا بل يكون معناه مرادا بلفظ المستعار منه فقد استعير حينئذ لفظ المشبه به للمشبه وما قررناه شامل للاستعارة المصرحة نحو رأيت أسدا يرمى والمكنية فى نحو اظفار المنية على رأى المصنف لان المستعار ههنا عنده هو السبع الذى سكت عنه ودل عليه بذكر بعض روادفه فلا يكون لفظ المستعار له مذكورا أصلا فى الكلام المشتمل على ذكر المستعار بل مطويا كما اذا قلت اظفار السبع وأردت به المنية وسنكشف لك مباحث الاستعارة بالكناية وما يتعلق بها فى قوله تعالى ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه (قوله ويجعل الكلام خلوا) أى خاليا (عنه) أى عن ذكر المستعار له (صالحا لان يراد به) أى بالكلام بل بلفظ المشبه به المذكور فيه معناه الحقيقى الذى هو (المنقول عنه) ومعناه المجازى الذى هو (المنقول اليه لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام) أى لولا دلالة القرينة الحالية أو المقالية الدالة على تعيين المعنى المجازى بحسب الارادة واعترض عليه بانه اذا عدمت القرينة لم يصح اللفظ للمعنى المجازى وأجيب بانه صالح فى نفسه مع قطع النظر عن عدمها ورد بان صلاحية المعنيين ثابتة له فى نفسه أيضا مع وجودها اذا قطع النظر عنها فلا معنى لاشتراط عدمها فى هذه الصلاحية ثم الظاهر ان خلو الكلام المشتمل على لفظ ذكر المستعار منه عن ذكر المستعار له معه مصحح لصلاح المستعار لان يراد به المعنى المجازى اذ لو اشتمل على ذكره أيضا لتعين المعنى الحقيقى كما أرشدت اليه فلا يكون صالحا للمعنى المجازى وان عدم قرينة المجاز مصحح لصلاح أن يراد به معناه الاصلى اذ مع وجودها يتعين المعنى المجازى فلا يكون

كقول زهير لدى أسد شاكى السلاح مقذف * له لبد أظفاره لم تقلم

ومن ثم ترى المفلقين السحرة منهم كانهم يتناسون التشبيه و يضربون عن توهمه صفحا قال أبو تمام

ويصعد حتى يظن الجهول * بأن له حاجة فى السماء

ولبعضهم لا تحسبوا أن فى سرباله رجلا * ففيه غيث وليث مسبل مشبل

وليس لقائل أن يقول طوى ذكرهم عن الجملة بحذف المبتدا فأتساق بذلك الى تسميته استعارة لانه فى حكم المنطوق به نظيره قول من يخاطب الحجاج

أسد على وفى الحروب نعامة * فتخاء تنفر من صفير الصافر

صالحا للمعنى الحقيقى فالمراد المذكور شرط لصلاح ارادة المعنى المنقول اليه وعدم تلك القرينة شرط لصلوح ارادة المنقول عنه فيكون المجموع متعلقا بالصلاحية للمعنيين على التوزيع ولو قدم ذكر المنقول اليه لاتصل كل شرط بما هو معتبر فيه وكان أولى هذا وقد يقال كون الكلام مع عدم القرينة صالحا لارادة المعنى المجازى مبنى على ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به حتى كأنه من افراده فيصلح له لفظه كما يصلح لافراده الحقيقية واشتراط نفى القرينة انما هو لصلوح المعنى الحقيقى ويرد عليه أنه يلزم أن لا يكون للخلو عن ذكر المستعار له مدخل فى الصلاحية المذكورة الا أن يجعل عبارة عن ذلك الادعاء ولا خفاء فى بعده عن الافهام جدا (قوله كقول زهير) هذا مما يدل عليه فحوى الكلام هو شاكى السلاح أى حديده من الشوكة وهى شدة البأس وحدة السلاح وأصله شائك فقلبت العين الى موضع اللام وقد تحذف ويقال زيد شاك السلاح (والمقذف) هو المكتنز اللحم كأنه قذف باللحم أو الذى رمى به كثيرا فى الوقائع (واللبد) هى ما يلبد من الشعر على رقبة الاسد (وتقليم الاظفار) كناية عن الضعف يقال فلان مقلوم الاظفار أى ضعيف (ومن ثم) أى ومن أجل ان بناء الاستعارة على طى ذكر المستعار له (ترى المفلقين) أى الآتين بالعجائب من الفلق وهو الامر العجيب (يتناسون) فى الاستعارة (التشبيه) ويسوقون الكلام فيما ساقه اذا أريد بالمستعار معناه الحقيقى لا معناه المجازى المشبه بالحقيقى فانه اذا طوى ذكره بالكلية ظهر أمر التناسى بخلاف ما اذا كان مذكورا فى الجملة فانه مذكور للتشبيه على انهم قد يتناسون أيضا مع التصريح بذكر طرفيه كقوله

هى الشمس مسكنها فى السما * فعز الفؤاد عزاء جميلا

فلن تستطيع اليها الصعود * ولن تستطيع اليك النزولا

لما أخبر عنها بأنها الشمس جعلها كأنها عينها فلو ذكر أداة التشبيه أو وجهه لم يحسن منه التناسى كما لا يخفى (قوله ويصعد) استعار الصعود للعلو فى المرتبة وبنى عليه ما يبنى على العلو فى المكان من (ظن الجهول بان له حاجة فى السماء) قيل الصعود أيضا مبنى على ما تقدم من قوله

فما زال يقرع تلك العلى * مع النجم مرتديا بالعماء

فانه استعار للترقى فى المعالى فروع المنابر والجبال ثم بنى على ذلك حديث الصعود وما بعده (قوله ولبعضهم) أراد به نفسه استعار (الغيث) للجواد (والليث) للشجاع وبنى على الاول (المسبل) الهطال وعلى الثانى (المشبل) أى ذا الشبل وهو الولد وبنى عليهما النهى عن أن يظن فى سرباله أى درعه أو ثوبه رجلا ليتناسى التشبيه وادعاء أنه حقيقة الغيث والليث كما فى كل استعارة مرشحة ﴿فان قيل﴾ قد ذكر ههنا المشبه أعنى الضمير فى سرباله فلا يكون استعارة ﴿أجيب﴾ بان المراد من طى المشبه أن لا يكون مذكورا على وجه ينبئ عن التشبيه وهو أن يكون بين طرفيه حمل أو ما هو فى معناه وذلك لا ينافى ذكره على وجه آخر ألا ترى انهم اتفقوا على ان القمر فى قوله * قد زر ازراره على القمر * استعارة ولا شبهة فى ان الضمير فى قوله (ففيه) راجع الى السربال دون الشخص (أسد على) جاز تعلق الظرف به لملاحظة ما يلزمه من الجراءة لا لانه يستعمل

ومعنى (لا يرجعون) أنهم لا يعودون الى الهدى بعد أن باعوه أو عن الضلالة بعد أن اشتروها تسجيلا عليهم بالطبع أو أراد أنهم بمنزلة المتحيرين الذين بقوا جامدين فى مكانهم لا يبرحون ولا يدرون أيتقدمون أم يتأخرون وكيف يرجعون الى حيث ابتدؤا منه * ثم ثنى الله سبحانه فى شأنهم بتمثيل آخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف وايضاحا عقيب ايضاح وكما يجب على البليغ فى مظان الاجمال والايجاز أن يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه فى موارد التفصيل والاشباع أن يفصل ويشبع أنشد الجاحظ

فى معنى بحترى أو صائل والا كان مجازا مرسلا وفات معنى التشبيه بالكلية كما فى قوله زيد شجاع أو بحترى وكذلك الحال فى (نعامة) يلاحظ معها معنى الجبن والفرار وما قيل من ان أسد فى زيد أسد مستعمل فى المشبه أى البحترى فيكون استعارة مردود بأن هذا المجموع ليس مشبها بالاسد فان الشجاعة خارجة عن الطرفين اتفاقا والحق ان أسدا مستعمل هنالك فى معناه الحقيقى وقد حمل على زيد بناء على دعوى كونه من أفراده فلا يظهر حينئذ تقدير الاداة لفوات المبالغة فانك اذا قلت زيد كالاسد فقد جعلت مشابهته للاسد مقصودا بالاثبات واذا قلت زيد أسد كان مقصودك حمله عليه لا مشابهته اياه كما فى سائر أفراده ثم انه قد يلاحظ على سبيل التبع لمعناه الحقيقى ما يلزمه من الجراءة والصولة وغيرهما من المعانى الملازمة فيعمل فى الظرف باعتبار ذلك المعنى التابع وقد يرفع به الفاعل أيضا كما فى قولك رأيت رجلا أسدا أبوه اما القصد معنى المشابهة أو لاعتبار اللازم يعمل تابعا أو مستعملا فيه (والفتخاء) المسترخية الجناحين وهى صفة لازمة للنعامة والبيت لعمران بن حطان مفتى الخوارج وزاهدها وبعده

هلا كررت على غزالة فى الوغى * بل كان قلبك فى جناحى طائر

وقد مر ذكر غزالة امرأة شبيب الخارجى قال ابن دريد هذه المرأة دخلت الكوفة فى ثلاثين فارسا وفيها ثلاثون ألف مقاتل فصلت الفجر وقرأت البقرة وبقى ههنا بحث وهو انه لا نزاع فى ان تقدير الآية هم صم لكن مع ذلك ليس المستعار له مذكورا ههنا لانه أحوال مشاعر المنافقين وحواسهم لا ذواتهم كما دل عليه قوله كانت حواسهم سليمة الخ ففى هذه الصفات استعارة تبعية مصرح بها فلا ينبغى أن يختلف فيها لانه استعير مصادرها لتلك الاحوال ثم اشتقت هى منها فاما ان يجاب بانها صارت فى عداد الاسماء فينافيه قوله (الا أن هذه فى الصفات وذلك فى الاسماء) أو بأن قوله هم صم فى قوة قولنا حال أسماعهم الصمم مثلا وهو أيضا بمعزل مستغنى عنه فان قولك لقيت صما استعارة قطعا مع ان تقديره أشخاصا صما وهو فى قوة الحمل وغاية ما يتكلف له ان يقال تشبيه ذوات المنافقين بذوات الاشخاص الصم متفرع على تشبيه حالهم بالصمم فكان القصد الى اثبات هذه الفروع أقوى وأبلغ كأن المشابهة بين الحالين تعدت الى الذاتين فحمل الآية على التشبيه رعاية للمبالغة فى اثبات الآفة واليه الاشارة بقوله جعلت كأنها أيفت مشاعرهم والا فقضى ظاهر الصناعة الحمل على الاستعارة التبعية فى المصادر (قوله ومعنى لا يرجعون) هذا المعنى انما هو على التفسير الاخير وقد اكتفى بتقدير احدى الصلتين لان الاخرى منه معلومة (تسجيلا) مفعول له لقال مقدرا قبله وقوله (أو أراد) يعم التفاسير ويدل على ان لا يرجعون من قبيل التشبيه كقوله صم (قوله ثم ثنى) معطوف على قوله عقبها بضرب المثل والغب فى الورد والزيارة والحى أن يحصل ذلك يوما دون يوم واستعماله ههنا بمعنى عقيب أى ايضاحا عقيب ايضاح وعلى اثره (قوله وكما يجب) أصل الكلام ان يقال ويجب (على البليغ أن يفصل ويشبع فى مواردهما) كما يجب عليه (أن يجمل ويوجز) فى مظانهما الا انه قدم المشبه به أعنى كما يجب فصار مقارنا للعاطف ثم كرره بقوله (كذلك) لطول الكلام ووضع فى المشبه لفظ الواجب مكان يجب عليه مبالغة فصار هو عاملا فى المصدر أعنى كما يجب وزيد الفاء فى كذلك كان المشبه به المقدم نزل منزلة الشرط وقيل اذا وجب ذلك فقد وجب هذا أيضا والواو فى قوله (وكما) لعطف ما بعدها على ما بعد ثم والحكم بان هذا الواو للاستئناف وان الكاف فى (كما) مرفوع المحل على الابتداء وكلمة ما موصولة ولذلك دخلت الفاء فى الخبر ظاهر البطلان وقوله (أنشد الجاحظ) استشهاد معنوى بوصف

فهم لا يرجعون

Kitab al-Aghani XVI, 109

يرمون بالخطب الطوال وتارة * وحي الملاحظ خيفة الرقباء

ومما يأتي من التمثيل في التنزيل قوله وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات والا ترى الى ذي الرمة كيف صنع في قصيدته

أذاك أم نمش بالوشي أكرعه * أذاك أم خاضب بالسي مرتعه

(فان قلت) قد شبه المنافق في التمثيل الاول بالمستوقد نارا واظهاره الايمان بالاضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار فماذا شبه في التمثيل الثاني بالصيب وبالظلمات وبالرعد وبالبرق وبالصواعق (قلت) لقائل أن يقول شبه دين الاسلام بالصيب

قوما بالبلاغة وانهم يطنبون تارة ويوجزون أخرى كلا في موقعه يقال رمى بالشيء اذا ألقاه (وحي الملاحظ) نصب على المصدر أي وتارة يوحون أي يأتون بكلام سريع خفي كحال من يلاحظ حبيبه أي ينظر اليه بمؤخر عينيه خوفا من الرقباء وكلمة لا في قوله (ولا الظلمات ولا الظل) مذكرة للنفي مؤكدة له كما في قولك ما جاءني زيد ولا عمرو واما التي في قوله تعالى ولا النور ولا الحرور ولا الاموات فليست كذلك اذ لا يصح أن يقدر بعدها ذلك الفعل المنفي أعني يستوي لان فاعله مجموع هذين المتقابلين لا كل واحد منهما فهي زائدة محضة وقد يقال قصد نفي الاستواء من كل منهما مقيسا الى الآخر كانه قيل ولا يستوي الظلمات مع النور ولا النور مع الظلمات (قوله الا ترى) يروى بغير واو فيكون كالبيان لما تقدم وضعفه ظاهر والاولى العطف نظرا الى جانب المعنى أي ألا ترى الى ما يأتي في التنزيل والا ترى الى قول ذي الرمة لتعلم كيف صنع في قصيدته حيث قال (أذاك أم نمش) وقد يقال اذ ذاك في عبارة المصنف مفعول (صنع) أي كيف صنع هذين التمثيلين (والنمش) بفتح الميم نقط بيض وسود وثور نمش القوائم بكسرها أي فيها خطوط سود وقوله (بالوشي) اما ظرف مستقر وقع صفة النمش أعني لموصوفه المذكور (وأكرعه) فاعل له واما لغو وأكرعه فاعل نمش أي منتقش بالوشي أكرعه وبعده * مسفع الخد غاد ناشط شبب * ثم قال بعد أبيات

أذاك أم خاضب بالسي مرتعه * أبو ثلاثين أمسى وهو منقلب

(والمسفع) الاسود من السفعة وهو سواد في احتراق (والغادي) الذاهب (والناشط) هو الذي يخرج من أرض الى أخرى فرحا ونشاطا وفي الصحاح قال الاصمعي (الشبب) هو المسن من ثيران الوحش الذي انتهى اسنانه وقال أبو عبيدة هو الذي انتهى شبابا وفي المجمل هو الفتي من ثيران الوحش والمقصود واحد وهو ما تكامل سنه وبلغ غاية قوته (والخاضب) هو الظليم أي الذكر من النعام اذا أكل الربيع احمرت ساقاه أو اصفرتا والسي المستوي من الارض وهو ههنا علم أرض بعينها شبه أولا ناقته بحمار الوحش ثم قال أذاك الحمار الذي مضى ذكره في الابيات السابقة يشبه ناقتي أم ثور وحشي وذلك الثور الوحشي يشبهها أم نعام ذكره أفراخ ثلاثون دخل في المساء وهو منقلب اليها وهو أسرع ما يكون وانما أدخل همزة الاستفهام مع عديلتها بين هذه التشبيهات دلالة على تحيره في وصف هذه الناقة وسرعة سيرها كانه يسأل عن ذلك وقيل دلالة على التسوية فذلك الاول اشارة الى الحمار والثاني الى الثور النمش وهو مبتدأ خبره محذوف كما أشرنا اليه ولا يجوز أن يجعل خبره مبتدأ محذوف أي أناقتي ذاك لان معادل النمش الحمار لا الناقة كما ان معادل الظليم هو النمش دونها (قوله واظهاره الايمان بالاضاءة) اعترض عليه بأنه يخالف ما تقدم من ان المشبه بالاضاءة هو الانتفاع بالكلمة المجراة على ألسنتهم ولا يناسب ما تأخر من أن المشبه بانطفاء النار هو انقطاع الانتفاع بل يناسب ان يقال شبه انقطاع الاظهار بالانطفاء وأجيب عن الاول بأن المراد هنا الاضاءة المتعدية وثمة الاضاءة اللازمة وعنهما معا فانه أراد باظهار الايمان أثره أعني الانتفاع به فمعنى كلامه انه شبه المنافق أي نفاقه واظهاره الايمان بالمستوقد أي باستيقاده وشبه أثر الاول أي الانتفاع بأثر الثاني أي الاضاءة وشبه انقطاع الانتفاع بانقطاع الاضاءة ويؤيد هذا الجواب ان تشبيه ذلك

لان القلوب تحيا به حياة الارض بالمطر ومايتعلق به من شبه الكفار بالظلمات ومافيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق ومايصيب الكفرة من الافزاع والبلايا والفتن من جهة أهل الاسلام بالصواعق والمعنى أو كمثل ذوى صيب والمراد كمثل قوم أخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها مالقوا (فان قلت) هذا تشبيه أشياء بأشياء فأين ذكر المشبهات وهلا صرح به كما فى قوله وما يستوى الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء وفى قول امرئ القيس

المنافق بذات المستوقد ليس مقصودا فى الآية قطعا والحمل على مجرد التوطئة بعيد جدا وحينئذ نقول للمستوقد استيقاد واستضاءة وخمود نار وللمنافق اظهاره الايمان والانتفاع به وانقطاعه اما بالموت أو بالفضوح كما مر أو بالطبع اذا جعل الانتفاع على التأثر من الكلمة فيكون هذا التفريق والتشبيه شاملا للوجوه الثلاثة المذكورة قبل التفسير الآخر الذى بين تفريقه هناك (قوله لان القلوب تحيا به) وأيضا هو مع كونه سبب النجاة موجب لهلاك هؤلاء الذين لابسوه خداعا كما ان الصيب مع كونه رحمة سبب لهلاك طائفة مخصوصين (قوله ومايتعلق به) ذكر جماعة من الثقات ان الرواية بصيغة المبنى للفعول والضمير المجرور للموصول أى وشبه مايتمسك به من شبه الكفار لدفع الاسلام بالظلمات فانها سبب الحيرة مثلها وأيدها بعضهم بالدراية لان التصريح بتعلق الشبه بدين الاسلام يشعر بانه فى نفسه مما ينبغى أن تتطرق اليه الشبهات وهذا وان لم يقدح فى حقيته لكنه يدل على نقصان ظهورها وزعم بعض الناس انه يفوت حينئذ بيان تعلق الشبهات بالدين على مايعطيه الظرف فى قوله فيه ظلمات وان هذه الرواية تغيير وتحريف للرواية الاخرى الصحيحة قال فلا رواية ولا دراية ﴿والجواب﴾ ان الشبهة اذا تمسك بها لدفع الاسلام كان تعلقها به من هذه الجهة ظاهرا ولا حاجة الى التصريح به وان تلك الرواية قد صححها من هو أعلى كعبا منه (قوله ومافيه) أى فى دين الاسلام أعنى ان كل واحد من الوعد والوعيد شبه بكل من الرعد والبرق ولاشتمال كل واحد منهما على خوف وطمع فمن حيث تضمنهما الطمع شبه بهما الوعد ومن حيث تضمنهما الخوف شبه بهما الوعيد وليس الكلام من اللف كما ظن ولذلك قال فى السؤال وبالرعد والبرق بدون الباء (قوله والمعنى أو كمثل ذوى صيب) صرح بلفظ المثل تنبيها على ان ذكره لاينافى التفريق فى التشبيه لان كل واحد من الامور المذكورة فى جانب المشبه به حال من أحواله فيصدق عليه المثل وقس على ذلك الاحوال المطوية فى المشبه ومايقال من أن لفظ المثل فى جانب المشبه دال على المشبهات اجمالا ولا تكون مطوية كما ذكره مردود بان التشبيه المفرق ههنا هو بين خصوصيات أحوال المنافقين المعلومة فيما سبق وبين خصوصيات أحوال المستوقد أو أصحاب الصيب المفهومة من العبارات المذكورة فى جانب المشبه به فتقدير الكلام مثلهم فيما علم سابقا من أحوالهم المخصوصة كمثل المستوقد أعنى أحواله المخصوصة المذكورة معه أو كمثل ذوى الصيب فالاشياء المشبهة بها بخصوصياتها مذكورة دون الاحوال المشبهة فانها مطوية قطعا اعتمادا على ماسبق ﴿فان قيل﴾ أين للمنافقين دين تحيا به القلوب حتى تشبه بالصيب ﴿وأجيب﴾ بأنهم متلبسون بدين الاسلام الذى فيه حياة القلوب على وجه النفاق فكانوا بدون ذلك افزاعا وبلايا فحالهم بالنسبة اليه كحال القوم بالقياس الى الصيب واليه الاشارة بقوله (والمراد كمثل قوم أصابتهم السماء على هذه الصفة) وهى ان أصابهم مطر هطال فيه ظلمات شديدة ورعد قاصف وبرق خاطف وصواعق مهلكة (فلقوا) من الخوف والمشقة والدهشة مالقوا (قوله فان قلت هذا) أى تشبيه أحوال المنافقين باحوال المستوقد أو أحوال ذوى الصيب على التفريق (تشبيه أشياء باشياء فأين ذكر المشبهات) مع ان الامور المشبه بها مذكورة صريحا (وهلا صرح بذكرها) أيضا (وما يستوى الاعمى) فيه نشر على خلاف ترتيب اللف حيث شبه المؤمن الصالح بالبصير والمسيء بالاعمى (وفى قول امرئ القيس) نشر على ترتيبه (ورطبا ويابسا) حال من

أو كصيب

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالى

(قلت) كما جاء ذلك صريحا فقد جاء مطويا ذكره على سنن الاستعارة كقوله تعالى وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل والصحيح الذى عليه علماء البيان لا يخطئونه أن التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا يتكلف

القلوب أى رطبا بعضها ويابسا بعضها والعامل فيها (كأن) وكذا (لدى وكرها) حال منها شبه رطب القلوب بالعناب ويابسها بالحشف وهو أردأ التمر اليابس البالى يصف عقابا بكثرة الاصطياد فانها لا تأكل قلب الطير (قوله فقد جاء مطويا ذكره على سنن الاستعارة) يريد ان طريق الاستعارة ان يطوى ذكر المشبه قطعا ويجعل الكلام خلوا عنه فلا يكون مذكورا لفظا ولا مقدرا فى نظم الكلام وأما التشبيه فقد يطوى فيه ذكره أيضا كذلك والفرق بينهما حينئذ من وجهين الاول ان المتروك فى التشبيه منوى مراد وفى الاستعارة منسى بالكلية ومن ههنا ينكشف لك ما قررنا فى الاستعارة التمثيلية فى نحو ختم الله على قلوبهم من ان المعانى قد يقصد اليها بالفاظ منوية غير مقدرة فى نظم العبارة فتبصر الثانى وهو العمدة ان لفظ المشبه به فى التشبيه مستعمل فى معناه الحقيقى وفى الاستعارة مستعمل فى معنى المشبه حتى لو أقيم اسم المشبه مقامه صح المرام ولا يفوت الا المبالغة المستفادة من التشبيه والاستعارة ومن البين ان قوله (وما يستوى البحران) من قبيل التشبيه اذ لم يرد بالبحرين الا معناه الحقيقى يدل على ذلك قوله هذا عذب فرات سائغ شرابه الى قوله وترى الفلك فيه مواخر اذ المقصود تشبيه الاسلام والكفر بهذين البحرين الموصوفين أى لا يستوى الاسلام والكفر اللذان هما كالبحرين المذكورين ومن زعم انه من قبيل الاستعارة فقد خالف ما تقتضيه سلامة الفطرة وكذا الحال فى قوله (ضرب الله مثلا) اذ معناه ان الله تعالى جعل عبدا مشتركا بين متشاكسين مثلا لعابد الصنم وجعل عبدا خالصا لمالك واحد مثلا للموحد فكل واحد من رجلا ورجلا مستعمل فى معناه الحقيقى لا فى المشرك والموحد كما لا يخفى على ذى ادراك فذكر المشبه فى الآيتين مطوى ﴿فان قلت﴾ كيف يقدر فيهما ﴿قلت﴾ هو منوى فى الارادة فلا حاجة الى تقديره واذا قدر فربما انتظم مع المذكور بلا تغيير كما فى الآية الثانية وكالآية التى نحن فيها وربما لا ينتظم معه الا بتغيير نظامه لقوله تعالى وما يستوى البحران (قوله والصحيح الذى عليه علماء البيان) هو عطف على قوله لقائل ان يقول وليس تتمة للجواب بل مزيد تحقيق للمقام ويظهر منه ان التفريق الذى ذكره فى التمثيلين احتمال لفظى قد يذهب اليه أهل الظاهر من النحاة واما عند الطائفة الذين يحافظون على جزالة المعانى فلا مساغ له وذلك لانه يحصل فى النفس من تشبيه الهيآت المركبة ما لا يحصل من تشبيه مفرداتها فانك اذا تصورت حال من أخذتهم السماء فى ليلة تكاثف ظلماتها بتراكم السحب وانتساج قطراتها وتواتر فيها الرعود الهائلة والبروق المخيفة والصواعق المختلفة المهلكة وهم فى أثناء ذلك يزاولون غمرات الموت حصل فى نفسك هيئة عجيبة توصلك الى معرفة حال المنافقين على وجه يتقاصر عنه تشبيهك الدين بالصيب والشبهات بالظلمات الى آخر ما عرفته هناك ولعبد القاهر كلام مشهور فى ان اعتبار التركيب فى قول الشاعر وكأن أجرام النجوم لوامعا * درر نثرن على بساط أزرق
أحق وأولى وان صح التشبيه بين مفرداته وقال السكاكى كلما كان التركيب خياليا أو عقليا من أمور أكثر كان حاله فى البعد والغرابة أقوى وأيضا فى تشبيه المفردات وطى ذكر المشبهات تكلف ظاهر وأيضا فى لفظ المثل نوع انباء عن التركيب اذ المتبادر منه القصة التى هى فى غرابتها كالمثل السائر وهى فى الهيئة المركب دون كل واحد من مفرداتها وقد يقال أيضا نظم الكلام فى التمثيلين على ارتباط المعانى بعض ببعض ذات لغاء وكلمة لما يدلان على اعتبار التأليف وقوله فيه ظلمات صفة الصيب ويجاب عنه بأن المفرقات المشبهة بنظائرها قد يعتبر الارتباط فيما بينها (قوله يخطئونه) تأكيد الصلة و(لا يتكلف) خبر آخر لان

لواحد واحد شيء يقدر شبه به وهو القول الفصل والمذهب الجزل بيانه أن العرب تأخذ أشياء فرادى معزولا بعضها من بعض لم يأخذ هذا بحجزة ذلك فتشبهها بنظائرها كما فعل امرؤ القيس وجاء في القرآن وتشبه كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيأ واحدا بأخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة الآية الغرض تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التوراة وآياتها الباهرة بحال الحمار في جهله بما يحمل من أسفار الحكمة وتساوي الحالتين عنده من حمل أسفار الحكمة وحمل ما سواها من الاوقار لا يشعر من ذلك الا بما يمر بدفيه من الكد والتعب وكقوله واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء المراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر فأما أن يراد تشبيه الافراد بالافراد غير منوط بعضها ببعض ومصيرة شيأ واحدا فلا فكذلك لما وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الامر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقادها في ظلمة الليل وكذلك من أخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق (فان قلت) الذي كنت تقدره في المفرق من التشبيه من حذف المضاف وهو قولك أو كمثل ذوي صيب هل تقدر مثله في المركب منه (قلت) لولا طلب الراجع في قوله تعالى يجعلون أصابعهم في آذانهم ما يرجع اليه لكنت

والعائد محذوف أي فيهما أو تقرير الخبر الاول والضمير في (شبهه) راجع الى شيء وفي (به) الى (واحد) وقوله (لم يأخذ هذا بحجزة ذلك) اشارة الى انه لم يعتبر التأليف بين تلك الاشياء على وجه بحيث يصير الكل أمرا واحدا ملحوظا في نفسه بملاحظة واحدة بلا تفصيل بين أجزائه فلا ينافي اعتبار الارتباط تنبيها على وجه آخر كما مر (قوله وتشبه) عطف على (يأخذ) مع ما عطف عليه بالفاء أعني (فتشبهها) وأراد بالكيفية هيئة مركبة من أمور متعددة وفي قوله (حتى عادت شيأ واحدا) تصريح بأن كل واحد من تلك الاشياء ينبغي ان يلاحظ قصدا ويضم الى صاحبه بحيث يقع على مجموعها ملاحظة واحدة فيصير ذلك شيأ واحدا ولا يتصور القصد اليها كذلك الا بالفاظ مذكورة أو مقدرة أو منوية ألا ترى ان المفكر يناجي نفسه بالفاظ متخيلة واذا فرض ان لفظا واحدا وضع لمعنى مركب ولوحظ به ذلك المعنى قصدا وشبه بمعنى آخر مثله لم يكن ذلك من التشبيه المركب في شيء وان لوحظ أجزاؤه مفصلة في ضمن الالفاظ المتعددة وألف منها هيئة وحدانية وشبه بأخرى مثلها كان تشبيها مركبا قطعا فانكشف لك ان التشبيه المركب يجب أن يكون لفظه مركبا على أحد الانحاء المذكورة وقد بينا في شرح المفتاح ان التشبيه التمثيلي والاستعارة المبنية عليه يجب تركيبهما قطعا وان ما توهمه جماعة من المنتمين الى هذه الصناعة خيالات فاسدة و (لا يشعر) مؤكد ومقرر لتساوي الحالين عنده (وذلك) اشارة الى المذكور الذي (هو حمل الاسفار وحمل ما عداها) وقيل حال من فاعل (يحمل) ويرده ان تساوي الحالين معطوف على جهله فيقع الفصل بين أجزاء الصلة بأجنبي (بدفيه) أي بجنبيه (وقلة بقاء) مبتدا خبره (كقلة بقاء الخضر) والجملة خبر المبتدا الذي هو المراد (ومصيرة) اسم مفعول معطوف على (منوط) أي غير مجعولة شيأ واحدا وقوله (فلا) جواب (أما) أي فلا يثبت وقد يقال في الكلام اختصار بحذف اما في أحد التفصيلين أي اما ان يراد تشبيه المركب بالمركب فمحقق واما ان يراد تشبيه الافراد بالافراد فلا يتحقق ويدفع لزوم ذلك بجواز السكوت على قوله اما ان يراد فقائم (فكذلك) الفاء جواب لشرط مقدر وذلك اشارة الى التشبيه السابق وكذلك مصدر لشبهت أي اذا عرفت ما ذكرنا قبل ذلك التشبيه المتقدم (شبهت حيرتهم) والمراد الحيرة الخاصة الناشئة من وقوعهم في الضلالة التي استبدلوها بالهدى وقد اعتبر التركيب في التفسير الآخر كما أشرنا اليه (قوله وكذلك) أي ومثل من طفئت ناره من أخذته السماء في انه شبهت بما يكابده أيضا حيرة المنافقين وشدة الامر عليهم (قوله الذي كنت تقدره) أي تفرضه وتعتبره لان المقدر المقابل للملفوظ هو المضاف لا حذفه وقيل تساهل في العبارة وأراد المضاف المحذوف (وهو) أي ذلك المقدر أو المضاف المحذوف وقوله (هل تقدر مثله) ظاهر في تقدير

مستغنيا عن تقديره لانى أراعى الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام فلا على أولى حرف التشبيه مفرد يتأتى التشبيه به أم لم يله ألا ترى الى قوله انما مثل الحياة الدنيا الآية كيف ولى الماء الكاف وليس الغرض تشبيه الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحل لتقديره ومما هو بين فى هذا قول لبيد

وما الناس الا كالديار وأهلها ✱ بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

لم يشبه الناس بالديار وانما شبه وجودهم فى الدنيا وسرعة زوالهم وفنائهم بحلول أهل الديار فيها ووشك نهوضهم عنها وتركها خلاء خاوية (فان قلت) أى التمثيلين أبلغ (قلت) الثانى لانه أدل على فرط الحيرة وشدة الامر وفظاعته ولذلك أخر وهم يتدرجون فى نحو هذا من الاهون الى الاغلظ (فان قلت) لم عطف أحد التمثيلين على الآخر بحرف الشك (قلت) أو فى أصلها التساوى شيئين فصاعدا فى الشك ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوى فى غير الشك وذلك قولك جالس الحسن أو ابن سيرين تريد أنهما سيان فى استصواب أن يجالسا ومنه قوله تعالى ولا تطع منهم آثما أو كفورا أى الآثم والكفور متساويان فى وجوب عصيانهما فكذلك قوله أو كصيب معناه أن كيفية قصة المنافقين مشبهة لكيفيتى هاتين القصتين وأن القصتين سواء

كمثل ذوى صيب الا ان تمسكه بطلب الضمير مرجوعا اليه لا يقتضى الا تقدير ذوى وأما تقدير مثل فلان المقصود تشبيه صفة المنافقين بصفة ذوى صيب وتقديره أوفى فى تأدية هذا المعنى وأشد ملاءمة مع المعطوف عليه وهو كمثل الذى استوقد ومع المشبه وهو مثلهم وان صح أن يقال أو كذوى صيب على طريقة قوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا كماء ومنهم من جعل تقدير المثل أمرا مسلما يقتضيه العطف على السابق ثم بنى عليه تقدير ذوى لان اضافة القصة الى كل واحد من الاجزاء التى لها مدخل فيها صحيحة لكن اضافتها الى أصحابها حقيقة والى الباقى مجاز الا ترى الى ما ذكره المصنف فى قوله تعالى مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة من انه لا بد من حذف المضاف أى مثل نفقتهم أو كمثل باذر حبة ورد عليه بأن كلامه صريح فى انحصار ما يقتضى تقدير ذوى فى طلب الضمير ما يرجع اليه وهو مردود بأن ذلك الحصر انما هو بالقياس الى التشبيه كما يقتضى تعليله وكأنه قال لا يقتضيه التشبيه بل الضمير فلا ينافى أن يكون هناك مقتض آخر والمستتر فى قوله (ما يرجع) عائد الى الراجع والهمزة وأم فى (أولى أم لم يل) للتسوية أى ليس بضار على وجود الولى وعدمه أو المعنى ان ولى أو لم يل فلا على وقد سبق تحقيقه (فى هذا) أى فى ان ما يلى الكاف ليس مشبها به وانما كان بينا فى هذا المعنى لان تشبيه الناس بالديار مما لا يصح أصلا بخلاف تشبيه الحياة بالماء وأيضا ربما يقدر مضاف أى كمثل ماء بقرينة ذكره فى المشبه شبه لبيد حال الناس فى وجودهم فى الدنيا وسرعة زوالهم ورحيلهم عنها بحال أهل الديار فى الحلول وسرعة الارتحال فهى يوم حلولهم عامرة (و بالغد خالية) بائرة (وأهلها) مبتدأ خبره (بها) و (يوم حلوها) ظرف لهذا الخبر (وبلاقع) خبر مبتدأ محذوف أى وهى بلاقع (قوله غدوا) أى غداوا والجملتان معا حال من الديار والعامل فيهما معنى التشبيه أى يشبهون الديار حال كونها كذا وكذا (قوله أو فى أصلها) دل كلامه على ان أو موضوعة فى أصلها (للتساوى فى الشك) فلذلك اشتهرت بأنها كلمة الشك فتكون مخصوصة بالخبر (ثم استعيرت للتساوى فى غير الشك) فاستعملت فى غير الخبر بالمعنى المجازى فقط كالتساوى فى استصواب المجالسة ووجوب العصيان وغيرهما وفى الخبر لكلا المعنيين أعنى الحقيقى الذى هو الشك والمجازى كالتساوى فى الاستقلال بوجه التمثيل فى هذه الآية فيستفاد صحة التشبيه بكل واحدة من هاتين القضيتين وبهما معا ولو عطف بالواو لربما أوهم صحة التشبيه بمجموعهما لا بكل واحدة منهما وذكر فى المفصل ان كلمة أو لاحد الامرين مطلقا ولا شك ان هذا معنى يعم موارد ها من الانشا آت والاخبارات كلها وأما الشك والتشكيك والابهام والتخيير والاباحة فليس شئ منها داخلا فى مفهومها بل مستفاد من مواقعها فى الكلام وما اختاره فى الكشاف مبنى على تبادر الشك منها فى الخبر وانما قال (فى وجوب عصيانهما) بناء على ان النهى عن

فى استقلال كل واحـدة منهـما بوجه التمثيل فبأيتهما مثلتها فأنت مصيب وان مثلتهما بهما جميعا فكذلك والصيب المطر الذى يصوب أى ينزل و يقع و يقال للسحاب صيب أيضا قال الشماخ

* وأسحم دان صادق الرعد صيب * وتنكير صيب لانه أريد نوع من المطر شديد هائل كما نكرت النار فى التمثيل الاول * وقرئ كصائب والصيب أبلغ * والسماء هذه المظلة وعن الحسن أنها موج مكفوف (فان قلت) قوله (من السماء) ما الفائدة فى ذكره والصيب لا يكون الا من السماء (قلت) الفائدة فيه أنه جاء بالسماء معرفة فنفى أن يتصوب من سماء أى من أفق واحد من بين سائر الآفاق لان كل أفق من آفاقها سماء كما أن كل طبقة من الطباق سماء فى قوله وأوحى فى كل سماء أمرها والدليل عليه قوله

* ومن بعد أرض بيننا وسماء * والمعنى أنه غمام مطبق آخذ بآفاق السماء كما جاء بصيب وفيه مبالغات من جهة التركيب والبناء والتنكير أمد ذلك بأن جعله مطبقا وفيه أن السحاب من السماء ينحدر ومنها يأخذ ماءه لا كزعم من يزعم أنه يأخذه من البحر ويؤيده قوله تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد (فان قلت) بم ارتفع (ظلمات) (قلت) بالظرف على الاتفاق لاعتماده على موصوف * والرعد الصوت الذى

الاطاعة ما له الامر بالعصيان فيكون المفعول متعلقا بالنفى كأنه قيل اعص هذا أو ذاك فانهما يتساويان فى وجوب العصيان وذهب بعضهم الى ان كلمة أو ههنا على بابها أعنى انها لاحد الامرين وانما جاء التعميم فى عدم الاطاعة من النهى الذى فيه معنى النفى اذ المعنى قبل وجود النهى تطيع آثما أو كفورا أى واحدا

من السماء فيه ظلمات ورعد

منهما فاذا نهى صار المعنى لا تطع واحدا منهما فيهم وقيل هى بمعنى الواو ويرده ما ذكره فى سورة الانسان من انه لو قيل لا تطعهما جاز أن يطيع أحدهما واذا قيل لا تطع أحدهما علم ان الناهى عن طاعة أحدهما عن طاعتهما جميعا انهى كما يعلم من تحريم التأفيف تحريم الضرب وحاصله ان العطف بالواو يفيد النهى عن الجمع دون كل واحد وبأو يفيد النهى عن كل واحد منفردا صريحا ومعا بطريق الاولى (ويقال للسحاب صيب) أى على انه صفة أيضا وأول البيت * عفا آية نسج الجنوب مع الصبا * أى محا آثار المنازل هبوبهما شبه اختلافهما بنسج الحائك الثوب بجعل احداهما بمنزلة السدى والاخرى بمنزلة اللحمة (وأسحم) أى سحاب أسود (دان) قريب من الارض (صادق الرعد) أى غير خلب (صيب) هطال وهذه الاوصاف ظاهرة الثبوت فى السحاب دون المطر بل الدنو وصدق الرعد كأنهما نصان فيه وانما كان (الصيب أبلغ) لكونه من صيغ الصفة المشبهة (موج مكفوف) أى ممنوع من أن يسيل وقد روى انه صلى الله عليه وآله قال أتدرون ما فوقكم قالوا الله ورسوله أعلم قال فانها الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف (والدليل عليه) أى على ان كل أفق من آفاقها سماء (قوله ومن بعد أرض) أوله

* فأوه لذكراها اذا ما ذكرتها * أوه كلمة توجع تستعمل مع اللام ومن أى توجعت لذكر الحبيبة ومن بعد ما بينى وبينها من قطع أرض وقطع سماء يقابل تلك البقعة الارضية فنكرهما اذ لا يتصور بينهما بعد بجميع الارض والسماء ولما صح اطلاقها على كل ناحية وأفق منها جىء بها معرفة باللام لتفيد العموم ويدل على انه غمام مطبق آخذ بآفاق السماء ولو نكرت لجاز أن يكون الصيب من بعض الآفاق (قوله وكما جاء) يعنى لما كان (فى صيب مبالغات من جهة التركيب) اى مادته الاولى أعنى الحروف فان الصاد من المستعلية والياء مشددة والباء من الشديدة ومادته الثانية أعنى الصوت فانه نزول له وقع وتأثير (ومن جهة البناء) أى الصورة فان فيه لا من الصيغ الدالة على الثبوت و(من جهة التنكير) العارض لانه للتعظيم والتهويل كتنكير النار فى التمثيل الاول بولغ أيضا باعتبار ما يجاوزه فجىء بالسماء معرفة دلالة على ما ذكره من التطبيق (قوله وفيه) يريد انه أدمج فى ذكر السماء نكتة أخرى مبنية على القول بأن السحاب اما من السماء أو من البحر اذ لا قائل بان بعضه من هذا وبعضه من ذلك (قوله بالظرف على الاتفاق) أى يجوز ذلك بالاتفاق لانه يجب بخلاف ما اذا لم يعتمد الظرف فان سيبويه لا يجوز اعماله يقال انتفض

يسمع من السحاب كأن أجرام السحاب تضطرب وتنتفض اذا حدتها الريح فتصوت عند ذلك من الارتعاد * والبرق الذى يلمع من السحاب من برق الشئ بريقا اذا لمع (فان قلت) قد جعل الصيب مكانا للظلمات فلا يخلو من أن يراد به السحاب أو المطر فأيهما أريد فما ظلماته (قلت) أما ظلمات السحاب فاذا كان أسحم مطبقا فظلمتا سحمته وتطبيقه مضمومة اليهما ظلمة الليل وأما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة اظلال غمامه مع ظلمة الليل (فان قلت) كيف يكون المطر مكانا للبرق والرعد وانما مكانهما السحاب (قلت) اذا كانا فى أعلاه ومصبه وملتبسين فى الجملة به فهما فيه ألا تراك تقول فلان فى البلد وما هو منه الا فى حيز يشغله جرمه (فان قلت) هلا جمع الرعد والبرق أخذا بالابلغ كقول البحترى

يا عارضا متلفعا ببروده * يختال بين بروقه ورعوده

وكما قيل ظلمات (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يراد العينان ولكنهما لما كانا مصدرين فى الاصل يقال رعدت السماء رعدا وبرقت برقا روعى حكم أصلهما بأن ترك جمعهما وان أريد معنى الجمع والثانى أن يراد الحدثان كأنه قيل وارعاد وابراق وانما جاءت هذه الاشياء منكرات لان المراد أنواع منها كأنه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف * وجاز رجوع الضمير فى يجعلون الى أصحاب الصيب مع كونه

وبرق

من الرعدة وانتقض الفرس (حدتها) أى ساقتها وقوله (من الارتعاد) أى مشتق من الارتعاد فان المصنف قد يرد المجرد الى المزيد اذا كان المزيد أعرف بالمعنى الذى اعتبر فى الاشتقاق كالقدر من التقدير والوجه من المواجهة وقيل كلمة من هذه اتصالية أى هما من جنس واحد يجمعهما الاشتقاق من الرعدة وكذا التى فى قوله من برق الشئ بريقا (قوله فما ظلماته) هذه اضافة لادنى ملابسة لانها بمعنى فى قوله (فاذا كان أسحم) هذه الفاء جواب أما وكلمة اذا شرطية جزاؤها فظلمتا أى اذا كان السحاب أسود مطبقا فهى أى ظلماته ظلمتا سحمته وتطبيقه مضمومة اليهما ظلمة الليل وقوله مضمومة حال من ظلمتا نظرا الى المعنى كأنه قيل اذا كان كذا ثبتت فيه الظلمتان منضمة اليهما ظلمة ثالثة وانما لم يقل وظلمة الليل لانها ليست فى السحاب بل الامر بالعكس لكنها باعتبار انضمامها اليهما تجعل فى السحاب اما تغليبا واما على ان كلمة فى مستعارة للملابسة التى تعم الكل ولهذا أيضا قال فى المطر مع ظلمة الليل والذى استفيد منه ظلمته هو قوله تعالى كلما أضاء لهم مشوا فيه فظلمة تكاثفه لان تقارب القطرات تقتضى قلة الهوى المتخلل المنير وظلمة اظلال غمامه بكسر الهمزة (قوله كيف يكون) يعنى ان ظرفية السحاب للرعد والبرق ظاهرة دون ظرفية المطر لهما أجاب بانهما لما كانا فى محل يتصل به هو أعلاه ومصبه أعنى السحاب جعلا كأنهما فيه بناء على استعارة كلمة فى للملابسة تشبيها بملابسة الظرفية كما شبهت بها ملابسة الشخص للبلد فاستعمل فيها كلمتها وقيل أراد ان المطر كما ينزل من أسفل السحاب ينزل من أعلاه أيضا فهو شامل للفضاء الذى فيه الغيم فهما فى جزء من المطر متصل بالسحاب كما ان الشخص فى جزء من البلد فهذا أقرب الى المثال والاول الى عبارة الكتاب (قوله يا عارضا) بعده

لو شئت عدت بلاد نجد عودة * فحللت بين عقيقه وزروده

(العارض) السحاب يعرض فى الجو (تلفع) بكذا تلحف به استعار التلفع بالبرود لتكاثفه وتراكمه ورشحها (بالاختيال) أى التبختر الذى هو من عادة المتنعمين بلبسها وقيل شبه السحاب لتكاثفه بمن لبس برودا كثيرة وأثبت له البرود تخييلا والتلفع والاختيال ترشيحا وقوله (وكما قيل) عطف على أخذا بحسب المعنى أى للاخذ بالابلغ وللمناسبة أو على قوله كقول البحترى (قوله أن يراد العينان) أراد بالعين ما يقابل الحدث الذى هو المعنى المصدرى لا ما يقابل المعنى فان الرعد بمعنى الصوت من قبيل المعانى دون الذوات والبرق ان كان ضوءا قائما بالسحاب فهو أيضا معنى وان كان نارا كان ذاتا (و) لفظ (الحدثان) يروى بكسر النون على صيغة التثنية وهذا أنسب بقوله العينان وبالرفع على انه اسم المصدر (والارعاد والابراق) من ارعدت السماء وابرقت اذا صارت ذات رعد وبرق لا من ارعد القوم وابرقوا اذا أصابهم رعد وبرق (والقاصف)

محذوفا فأقام مقامه الصيب كما قال أو هم قائلون لان المحذوف باق معناه وان سقط لفظه ألا ترى الى حسان كيف عوّل على بقاء معناه فى قوله

يسقون من ورد البريص عليهم * بردى يصفق بالرحيق السلسل

حيث ذكر يصفق لان المعنى ماء بردى ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستأنفا لانه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول فكأن قائلا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل (يجعلون أصابعهم فى آذانهم) * ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فقيل يكاد البرق يخطف أبصارهم (فان قلت) رأس الاصبع هو الذى يجعل فى الاذن فهلا قيل أناملهم (قلت) هذا من الاتساعات فى اللغة التى لا يكاد الحاصر يحصرها كقوله فاغسلوا وجوهكم وأيديكم فاقطعوا أيديهما أراد البعض الذى هو الى المرفق والذى الى الرسغ وأيضا فى ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس فى ذكر الانامل (فان قلت) فالاصبع التى تسد بها الاذن اصبع خاصة فلم ذكر الاسم العام دون الخاص (قلت) لان السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها أولى بآداب القرآن ألا ترى انهم قد استبشعوها فكنوا عنها بالمسبحة والسباحة والمهللة والدعاءة (فان قلت) فهلا ذكر بعض هذه الكنايات (قلت) هى ألفاظ مستحدثة لم يتعارفها الناس فى ذلك العهد وانما أحدثوها بعد وقوله (من الصواعق) متعلق بيجعلون أى من أجل الصواعق يجعلون أصابعهم فى آذانهم كقولك سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار قالوا تنقدح من السحاب اذا اصطكت أجرامه وهى نار لطيفة حديدة لا تمر بشئ الا أتت عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود يحكى انها سقطت على نخلة فأحرقت نحو النصف ثم طفئت ويقال صعقته الصاعقة اذا أهلكته فصعق أى مات اما بشدة الصوت أو بالاحراق ومنه قوله تعالى وخر موسى صعقا * وقرأ الحسن من الصواقع وليس بقلب للصواعق لان كلا

شديد الصوت من القصف وهو الكسر وقيل القصف هو الصوت القوى (قوله يسقون) هو من قصيدة مطلعها * اسألت رسم أم لم تسأل * وفيها

لله در عصابة نادمتهم * يوما بجلق فى الزمان الاول

يصف معاشرته مع الملوك الغسانيين وبردى نهر بدمشق والبريص شعبة منه والتصفيق التحويل من اناء الى آخر للتصفية (والرحيق) الشراب الخالص الذى لا غش فيه (والسلسل) السهل الانحدار أى يسقون من ورد البريص نازلا عليهم وضيفا لهم ماء بردى مصفقا ملتبسا بالرحيق أى ممزوجا بالخمر الصافية السائغة فتذكير الضمير فى (يصفق) لرجوعه الى الماء المحذوف ولو روعى حال اللفظ القائم مقامه لانث لان ألف بردى للتأنيث كما أن جمعه فى أو هم قائلون لرجوعه الى أهل القرية وفى (يجعلون) لعوده الى ذوى الصيب ولو اعتبر حال المذكور الذى قام مقامه لافرد فى الاول ومؤنثا وفى الثانى مذكرا (قوله على ما يؤذن بالشدة) أى على الوجه الذى يؤذن بها وهو التنكير (قوله فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد) ﴿لا يقال﴾ الجواب لا يطابق هذا السؤال لانه مبين حالهم مع الصواعق دون الرعد ﴿لانا نقول﴾ لما كانت الصاعقة قصفة رعد أى شدة صوت تنقض معها شقة من نار كان الجواب مطابقا كأنه قيل يجعلون أصابعهم فى آذانهم من شدة صوت الرعد وانقضاض قطعة نار معها (قوله من الاتساعات فى اللغة) والقرينة فى أصابعهم عقلية وفى أيديكم لفظية اعنى المرافق وفى ايديهما شرعية والسباحة صيغة مبالغة من سبح بمعنى سبح ولا خفاء ان هذه الكنايات لا تناسب هذه القصة والعيمة شدة شهوة اللبن ولفظة من فى امثال ذلك ابتدائية على سبيل الغاية فيكون ما بعدها أمرا باعثا على الفعل الذى قبلها فيقال مثلا قعد من الجبن ولا يكون غرضا مطلوبا منه الا اذا صرح بما يدل على التعليل ظاهرا كقولك ضربته من أجل التأديب بخلاف اللام فانها وحدها تستعمل فى كل منهما (قوله الا أتت عليه) أى غلبت عليه وأهلكته (قوله فأحرقت نحو النصف) فان أراد نصفها طولا فذلك يدل على شدة الحدة وقوله (ثم طفئت) أى بسرعة عطف على أحرقت وثم للاستبعاد وان أراد عرضا كان دالا على تلك الشدة (وثم طفئت) عطف على (سقطت) ودال على سرعة الخمود (قوله وخر موسى صعقا)

يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق

* قوله تعالى يجعلون أصابعهم فى آذانهم الآية (قال محمود رحمه الله فان قلت المجعول من الاصابع فى الآذان رؤسها الخ) قال أحمد رحمه الله لان فيه اشعارا بانهم يبالغون فى ادخال أصابعهم فى آذانهم فوق العادة المعتادة فى ذلك فرارا من شدة الصوت (قال محمود رحمه الله فان قلت فالاصبع التى تسد بها الاذن الخ) قال أحمد رحمه الله لا ورود لهذين السؤالين * أما الاول فلانه غير لازم ان يسدوا فى تلك الحالة بالسبابة ولابد فانها حالة حيرة ودهش فأى أصبع اتفق أن يسدوا بها فعلوا غير معرجين على ترتيب معتاد فى ذلك فذكر مطلق الاصابع أدل على الدهش والحيرة أو فلعلهم يؤثرون فى هذه الحال سد آذانهم بالوسطى لانها أصم للاذن وأحجب للصوت فلم يلزم اقتصارهم على السبابة وأما السؤال الثانى فمفرع على الاول وقد ظهر بطلانه وأيضا ففيه مزيد كاكة اذ الغرض تشبيه حال المنافقين بحال أمثالهم

البناءين سواء فى التصرف واذا استويا كان كل واحد بناء على حياله ألا تراك تقول صقعه على رأسه وصقع الديك وخطيب مصقع مجهر بخطبته ونظيره جبذ فى جذب ليس بقلبه لاستوائهما فى التصرف وبناؤها اما أن يكون صفة لقصفة الرعد أوللرعد والتاء مبالغة كما فى الراوية أو مصدرا كالكاذبة والعافية * وقرأ ابن أبى ليلى حذار الموت وانتصب على أنه مفعول له كقوله * واغفر عوراء الكريم ادخاره * والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض لا يصح معه احساس معاقب للحياة * واحاطة الله بالكافرين مجاز والمعنى أنهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة وهذه الجملة اعتراض لا محل لها * والخطف الاخذ بسرعة وقرأ مجاهد يخطف بكسر الطاء والفتح أفصح وأعلى وعن ابن مسعود يختطف وعن الحسن يخطف

أى مغشيا عليه غشية كالموت واعتبر فيه معنى الهلاك على سبيل الاستعارة فلذلك فصله (قوله سواء فى التصرف) أى متساويان فى انه يتصرف فى كل منهما ويشتق منه ألفاظ كثيرة فلا ينافيه اختلاف عدد تلك الالفاظ (قوله يقال صقعه على رأسه) وصقع رأسه أى ضرب صوقعته وهو موضع البياض فى وسط الرأس وقوله (على رأسه) مبالغة فى الايضاح كسفك دمه وصقع الديك أى صرخ والمصقع بكسر الميم المجهر كسرها وهو الذى من عادته أن يجهر بكلامه و بناؤها يعنى ان الصاعقة فى أصلها اما صفة واما مصدر واما الآن فهو اسم لقصفة الرعد المذكورة وعلى التقادير يجمعها على صواعق جار على القياس (قوله على انه مفعول له) للفعل المعلل بقوله من الصواعق وكلاهما باعث ليس بغرض (قوله واغفر) أى استر (والعوراء) الكلمة القبيحة (وادخاره) مفعول له معرف بالاضافة كحذر الموت وتمامه * واعرض عن شتم اللئيم تكرما * (قوله والموت فساد بنية الحيوان) فعلى هذا يكون أمرا عدميا وقيل عرض مانع من الاحساس معاقب للحياة أى لا يجامعها بل يعاقبها فيكون أمرا وجوديا واستدل عليه بقوله تعالى خلق الموت والحياة وأجيب بان المقصود من الخلق هو التقدير (قوله واحاطة الله تعالى بالكافرين مجاز) فان شبه شمول قدرته تعالى اياهم باحاطة المحيط بما أحاط به فى امتناع الفوات كان هناك استعارة تبعية فى الصفة سارية لها من مصدرها وان شبه حاله تعالى معهم بحال المحيط مع المحاط أى شبه هيئة منتزعة من عدة أمور بأخرى مثلها كان هناك استعارة تمثيلية لا تصرف فى شئ من ألفاظ مفرداتها الا انه لم يصرح ههنا الا بلفظ ما هو العمدة فى الهيئة المشبه بها أعنى الاحاطة والبواقى من الالفاظ منوية فى الارادة على ما مر تحقيقه فى نظائره ومن زعم ان كون هذه الاستعارة تبعية لا ينافى كونها تمثيلية لما فى الطرفين من اعتبار التركيب ان أراد به ان معنى الاحاطة مركب فبطلانه ظاهر لانها كالضرب مدلولها مفرد وان أراد باعتبار هيئة من مدلولها مع غيره لم يكن مدلول الاحاطة حينئذ مشبها به فكيف يسرى عنه استعارة الى الوصف المشتق منها ومن ههنا ينكشف لك أن الاستعارة التمثيلية لا تكون تبعية أصلا كما نبهت عليه غير مرة فى أولئك على هدى من ربهم والضمير المجرور فى (المحاط) به عائد الى اللام والظرف مرفوع محلا على انه فاعل وفى المحيط به راجع الى المحاط والظرف منصوب المحل على المفعولية (قوله وهذه الجملة اعتراض) وقعت مع واو وتسمى اعتراضية فى آخر الكلام الذى هو الاستئناف الاول فان كل واحد من يجعلون و يكاد وكلما استئناف مستقل ونكتة هذه الجملة الاعتراضية التنبيه على ان الحذر من الموت لا يفيد وفائدة وضع الكافرين موضع الضمير الدلالة على ان أصحاب الصيب كفار ليظهر استحقاقهم شدة الامر عليهم على طريقة قوله تعالى اصابت حرث قوم ظلموا فان الاهلاك الناشئ عن السخط أشد ومنهم من جعل هذه المعترضة من أحوال المشبه على ان المراد بالكافرين المنافقون دل بها على انهم لا مدفع لهم من عذاب الله فى الدنيا والآخرة والغاء وسطت بين أحوال المشبه به مع ان القياس تقديمها أو تأخيرها تنبيها على شدة الاتصال بين المشبه والمشبه به ودلالة على فرط الاهتمام بشأن المشبه (قوله والفتح أفصح) فى الصحاح الخطف الاستلاب يقال خطف بالكسر وهى اللغة الجيدة وفيه لغة أخرى حكاها الاخفش بفتح العين فى الماضى وكسرها فى الغابر وأصل يختطف نقلت حركة التاء

حذر الموت والله محيط بالكافرين يكاد البرق يخطف أبصارهم

من ذوى الحيرة فكيف يليق أن يحكى عن أصابعهم بالمسبحات ولعل ألسنتهم ما سبحت الله قط ثم اذا كان الغرض من التمثيل تصوير المعانى فى الاذهان تصور المحسوسات فذلك خليق بذكر الصرائح واجتناب الكنايات والرموز

بفتح الياء والخاء وأصله يختطف وعنه يخطف بكسرهما على اتباع الياء الخاء وعن زيد بن على يخطف من خطف وعن أبى يتخطف من قوله ويتخطف الناس من حولهم (كلما أضاء لهم) استئناف ثالث كأنه جواب لمن يقول كيف يصنعون فى تارتى خفوق البرق وخفيته وهذا تمثيل لشدة الامر على المنافقين بشدته على أصحاب الصيب وماهم فيه من غاية التحير والجهل بما يأتون وما يذرون اذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف أن يخطف أبصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة فاذا خفى وفتر لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن الحركة ولو شاء الله لزاد فى قصيف الرعد فأصمهم أو فى ضوء البرق فأعماهم وأضاء اما متعد بمعنى كلما نور لهم ممشى ومسلكا أخذوه والمفعول محذوف واما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم (مشوا) فى مطرح نوره وملقى ضوئه ويعضده قراءة ابن أبى عبلة كلما ضاء لهم والمشى جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد فهو سعى فاذا ازداد فهو عدو (فان قلت) كيف قيل مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا (قلت) لانهم حراص على وجود ما هم به معقود من امكان المشى وتأتيه فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها وليس كذلك التوقف والتحبس * وأظلم يحتمل أن يكون غير متعد وهو الظاهر وأن يكون متعديا منقولا من ظلم الليل وتشهد له قراءة يزيد بن قطيب أظلم على ما لم يسم فاعله وجاء فى شعر حبيب بن أوس

كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم

الى الخاء ثم أدغمت فى الطاء وقد تحذف حركتها للادغام فتحرك الخاء بالكسر اما لالتقاء الساكنين واما لمناسبة الطاء فيقال يخطف وحينئذ قد يجعل حرف المضارعة تابعا للخاء ومنه القراءة المروية فقوله على اتباع الياء الخاء يعنى ومع اتباع الخاء الطاء أو تحريكها بالكسر لالتقاء الساكنين (قوله من قوله ويتخطف الناس من حولهم) أشار به الى انه متعد (قوله وهذا تمثيل) لم يرد ان قوله كلما أضاء تمثيل مستقل بل أراد انه من جملة أحوال ذوى الصيب وقد بولغ بذلك فى شدة الحال عليهم وبين فرط تحيرهم فى أمرهم دلالة على شدة الحال على المنافقين وتناهى حيرتهم بطريق التشبيه (وماهم فيه) عطف على (شدته) كأنه تفسير لها وقوله (اذا صادفوا) بيان لغاية التحير (قوله والخفقة) من خفق البرق خفقا أى لمع والفرصة الشرب والنوبة يقال وجد فلان فرصة أى نهزة وجاءت فرصتك من البئر أى نوبتك (والنهز) التناول اليك والنهوض للتناول والنهزة الشئ الذى هو معرض لك كالغنيمة والانتهاز كالافتراص يتعدى الى مفعول واحد فقوله فرصة حال من موصوف الخفقة وقيل مفعول ثان بتضمين الانتهاز معنى الاتخاذ وقيل تلك الخفقة مصدر بتأويل الزمان وفرصة مفعول أى انتهزوا فى وقت تلك الخفقة فرصة وانما قال خطوات يسيرة لان زمان الخفقة قصير جدا (قوله فأصمهم) جعلهم صما وأعماهم جعلهم عميا (قوله أخذوه) أى ذلك المسلك ومشوا فيه وقوله (فى مطرح نوره) يشير الى ان الضمير على هذا التقدير راجع الى البرق بتقدير المضاف وفاعل اشتد هو المشى وفاعل ازداد هو الاشتداد (قوله ما هم به معقود) لا ينافيه ما تقدم من قوله والجهل بما يأتون وما يذرون لانه كناية عن شدة الامر تأكيدا لغاية الحيرة فلا ينافى عقد الهم ولان معناه لا يعلمون كيف يأتون ما يأتون وكيف يذرون ما يذرون مع كونهم حراصا على المشى (قوله وهو الظاهر) لكثرة استعماله وان كان ههنا مجازا عن خفية البرق واستتاره ولان المتعدى لم يوجد فى استعمال من يستشهد بكلامه ولم يذكره الثقات من نقلة اللغة الا القليل قال الازهرى كل واحد من اضاء واظلم يكون لازما ومتعديا ونقل عن الليث أنه يقال أظلم فلان علينا البيت اذا أسمعك ما تكره من ظلم الليل بالكسر نقله الجوهرى والازهرى عن الفراء (قوله وتشهد له) رد هذه الشهادة بجواز كونه لازما ومسندا الى الظرف وأجيب بان عليهم مقابل لهم فى اضاء لهم فان جعلا مستقرين لم يصلح عليهم ان يقوم مقام الفاعل أصلا وان جعلا صلتين للفعلين على تضمينهما معنى النفع والضرر صلح لان يقوم مقام فاعل المضمن دون المضمن فيه على تقدير صلوحه لذلك فعطف اذا أظلم على كلما اضاء على معنى كونهما جوابا للسؤال عما يصنعون فى تارتى خفوق البرق وخفيته يقتضى ان يكون أظلم مسندا الى ضمير البرق كاضاء على

هما أظلما حالى ثمت أجليا * ظلاميهما عن وجه أمرد أشيب

وهو وان كان محدثا لا يستشهد بشعره فى اللغة فهو من علماء العربية فاجعل مايقوله بمنزلة مايرويه ألا ترى الى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته واتقانه ومعنى (قاموا) وقفوا وثبتوا فى مكانهم ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء جمد * ومفعول شاء محذوف لان الجواب يدل عليه والمعنى ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بها ولقد تكاثر هذا الحذف فى شاء وأراد لا يكادون يبرزون المفعول الا فى الشئ المستغرب كنحو قوله * فلو شئت أن أبكى دما لبكيته * وقوله تعالى لو أردنا

معنى كلما نفعهم البرق باضاءته اقترصوا واذا أضرهم باظلامه واخشى له دهشوا وقد يجاب أيضا بان بناء الفعل للمفعول من المتعدى بنفسه أكثر فالحمل عليه أولى (قوله هما أظلما) قبل هذا البيت

أحاولت ارشادى فعقلى مرشدى * أم استمت تأديبى فدهرى مؤدبى

وقوله هما راجع الى العقل والدهر وقيل الى ارشاد العاذلة وتأديبها والاستيام التطلب افتعال من السوم وأراد بحاليه مايتواتر عليه من المتقابلين كالخير والشر والغنى والفقر والصحة والمرض والعسر واليسر والمقصود التعميم وانما أسند الاظلام الى العقل لان العيش لا يطيب لعاقل والى الدهر لانه يعادى كل فاضل (قوله أجليا) أى كشفا ظلاميهما وقوله عن وجه أمرد أشيب من قبيل التجريد أى عن وجهى وأنا شاب فى السن وشيخ أشيب فى تجربة الامور وعرفانها أو أشيب فى غيرأوانه لمقاساة الشدائد والهمزة فى أحاولت للانكار أى ما كان ينبغى تجشمى فى الارشاد والتأديب والفاء تعليل لمحذوف أى لا تتعاطى شيأ منهما فان فى العقل والدهر كفاية منهما ولو روى بالواو الحالية لم يحتج الى تقدير فليتأمل (قوله وان كان محدثا) الشعراء على أربع طبقات الجاهليون كامرئ القيس وطرفة وزهير والمخضرمون الذين أدركوا الجاهلية والاسلام كحسان ولبيد والمتقدمون من أهل الاسلام كالفرزدق وجرير وذى الرمة وهؤلاء كلهم يستشهد بكلامهم فى اللغة والمحدثون من أهل الاسلام الذين نشأوا بعد الصدر الاول من المسلمين كأبى تمام والبحترى وأبى الطيب ولا استشهاد باشعارهم الا بالوجه الذى ذكره وهو ان يجعل مايقوله بمنزلة مايرويه واعترض عليه بان قبول الرواية مبنى على الضبط والوثوق واعتبار القول والاستشهاد به مبنى على معرفة الاوضاع اللغوية والاحاطة بقوانينها ومن البين ان اتقان الرواية لا يستلزم اتقان الدراية فلا يلزم من تصديق العلماء اياه فيما جمعه فى الحماسة من اشعار من يستشهد بها وهم ان يكون جميع ما فى شعره صحيحا وعامتهم أو مستنبطا من القوانين المأخوذة من استعمالاتهم وأجيب بانه صرح أولا بكونه من علماء العربية ثم أشار الى انه ثقة باقتناع العلماء فى الاستدلال بالابيات بثبوتها فى الحماسة فانه يدل على وثوقهم بروايته كأنه أراد دفع ان يقال كونه من علماء العربية ليس كافيا فى جعل مايقوله بمنزلة مايرويه بل لابد من اجتماع العلم مع العدالة نعم ان كان مقصوده بثبوته الاستدلال على علمه بالعربية واتقانه فيها وكونه ثقة فيما يستعمله كان الاعتراض واردا قطعا (قوله قاموا وقفوا) بدليل وقوعه فى مقابلة مشوا ومنه قامت السوق اذا ركدت أى كسدت وسكنت وقد مر استعماله بمعنى نفقت مأخوذا من القيام بمعنى الانتصاب فهو من الاضداد (قوله ولقد تكاثر هذا الحذف) أى حذف المفعول فى شاء وأراد ومتصرفاتهما اذا وقعت فى حيز الشرط لدلالة الجواب على ذلك المحذوف معنى مع وقوعه فى محله لفظا ولان فى ذلك نوعا من التفسير بعد الابهام (قوله الا فى الشئ المستغرب) فانه لا يكتفى فيه بدلالة الجواب عليه بل يصرح به اعتناء بتعيينه ودفعا لذهاب الوهم الى غيره بناء على استبعاد تعلق الفعل به واستغرابه ألا ترى انك اذا قلت لو شئت لبكيت دما جاز ان يتوهم ان قصدك الى تعليق المشبه ببكاء الدمع على مجرى العادة وانما ذكرته من بكاء الدم واقع بدله من غير قصد اليه كأنك قلت لو شئت ان أبكى دمعا بكيت دما الا انك اعتمدت فى حذف المفعول بذكر البكاء فى الجواب وفى تعيين متعلقه بالمعتاد فهذا وان كان مرجوحا لان تقييد البكاء فى الجواب بالدم يدل دلالة ظاهرة على

قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم

* قوله تعالى ان الله على كل شئ قدير (قال محمود رحمه الله وفى الاشياء مالا تعلق به للقادر كالمستحيل الخ) قال أحمد رحمه الله هذا الذى أورده خطأ على الاصل والفرع أما على الاصل فلان الشئ لا يتناول الا الموجود عند أهل السنة وأما على الفرع فلانا وان فرعنا على معتقد القدرية والشئ عندهم انما يتناول الموجود والمعدوم الذى يصح وجوده * فلا يتناول المستحيل اذا على هذا التفريع فايراده اياه نقضا غير مستقيم على المذهبين وأما المقدور بين قادرين فانم اورطة انما تشتاق اليها القدرية الذين يعتقدون أن ما تعلقت به قدرة العبد استحال أن يتعلق به قدرة الرب اذ قدرة العبد خالقة فيستغنى الفعل بها عن قدرة خالق آخر تعالى الله عما يشركون علوا كبيرا وأما أهل السنة فالقادر الخالق عندهم واحد وهو الله الواحد الاحد فتتعلق

ان الله على كل شئ قدير

قدرته تعالى بالفعل فيخلقه ويتعلق به قدرة العبد تعلق اقتران لا تأثير فلذلك لم يخلق مقدور بين قادرين على هذا التفسير وقد حشى الزمخشرى فى أدراج كلامه هذا سلب القدرة القديمة وجحدها وجعل الله تعالى قادرا بالذات لا بالقدرة دس ذلك تحت قوله وفى الاشياء مالا تعلق به لذات القادر ولم يقل لقدرة القادر فليتفطن لدفائنه وكم من ضلالة استدسها فى هذه المقالة والله الموفق

* فان قيل أيها الاشعرية اذا كان الشئ عندكم هو الموجود فما معنى القدرة عليه بعد وجوده وبقائه والله تعالى يقول وهو أصدق القائلين ان الله على كل شئ قدير * قلنا القدرة تتعلق بمقدورها فتوجده فيكون حينئذ شيأ فلما كان مآل ما تعلقت به القدرة الى الشئ حتما

أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ولو أراد الله أن يتخذ ولدا او أراد ولو شاء الله لذهب بسمعهم بقصيف الرعد وأبصارهم بوميض البرق * وقرأ ابن أبى عبلة لأذهب بأسماعهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بأيديكم * والشئ ما صح أن يعلم ويخبر عنه قال سيبويه فى ساقة الباب المترجم بباب مجارى أواخر الكلم من العربية وانما يخرج التأنيث من التذكير ألا ترى أن الشئ يقع على كل ما أخبر عنه من قبل أن يعلم أذكر هو أم أنثى والشئ مذكر وهو أعم العام كما أن الله أخص الخاص يجرى على الجسم والعرض والقديم تقول شئ لا كالاشياء أى معلوم لا كسائر المعلومات وعلى المعدوم والمحال (فان قلت) كيف قيل (على كل شئ قدير) وفى الاشياء مالا تعلق به للقادر كالمستحيل وفعل قادر آخر (قلت) مشروط فى حد القادر أن لا يكون الفعل مستحيلا فالمستحيل مستثنى فى نفسه عند ذكر القادر على الاشياء كلها فكأنه قيل على كل شئ مستقيم قدير ونظيره فلان أمير على الناس أى على من وراءه منهم ولم يدخل فيهم نفسه وان كان من جملة الناس وأما الفعل

انه المراد لكنه محتمل فاذا ابرز المفعول زال الاحتمال وصار الكلام نصا فيما قصد به فمن قال ان قولك لو شئت بكيت دما لا يحتمل سوى لو شئت ان أبكى دما لبكيته فقد كابر وتعدية البكاء الى الدم وضميره لتضمينه معنى الصب وقولك بكيت الرجل وعلى الرجل بمعنى واحد (قوله وأراد ولو شاء الله لذهب) معطوف على قوله ولم ينى ولو شاء الله ان يذهب وفى قوله (بقصيف الرعد) أى شدة صوته وقوله (بوميض البرق) أى لمعانه اشارة الى ان جملة لو شاء الله عطف على مجموع الجمل الاستئنافية أعنى (يجعلون) وما بعده نظرا الى محصول معناها فان الاول متعلق بالرعد وشدة صوته والآخرين بالبرق وقوة ضوئه وقيل غرضه من هذا النقد بيان ربطها المعنوى بتلك الجمل واما عطفها على قوله كلما أضاء لهم مشوا فيه وكلمة لو ههنا مستعملة لربط جوابها بشرطها مجردة عن الدلالة على انتفاء أحدهما لانتفاء الآخر فهى بمنزلة ان وقد يقال انها باقية على أصلها وقصد بها التنبيه على ان مشقتهم بسبب الرعد والبرق وصلت غايتها وقاربت ازالة الحواس بحيث لو تعلق بها المشيئة زالت بلا حاجة الى زيادة قصف الرعد وضوء البرق كما ذكره أولا (قوله فى ساقة الباب الخ) أى فى آخره وانما ترجم بباب مجارى أواخر الكلم من العربية لانه يذكر فيه أحوال التذكير والتأنيث وعلاماتهما تظهر فى أواخر الكلم من العربية والاستشهاد بقوله الا ترى ان الشئ يقع على كل ما أخبر عنه وانما جعل التأنيث خارجا من التذكير أى متفرعا عنه بناء على ان لفظ الشئ كالعمدة فى الالفاظ لتناوله كلما يفهم ويخبر عنه وهو مذكر او على ان وقوعه على كل ما أخبر عنه من قبل ان يعلم أذكر هو أم انثى دل على انهم اعتبروا جهة الذكورة فى كل معنى ورجحوها على الانوثة وقوله (وهو أعم العام) من كلام المصنف ومعطوف على قوله والشئ ما صح ان يعلم ويخبر عنه والمقصود ان لفظ الشئ وما يقوم مقامه أشد عموما من كل عام كما ان لفظ الله تعالى أشد خصوصا من كل خاص بحيث لا يحتمل الشركة بوجه ولا يجوز اطلاقه على غيره تعالى أصلا (قوله والمحال) يريد انه يتناول بحسب مفهومه لغة واما ما ذكر فى علم الكلام من ان المحال ليس بشئ اتفاقا وان النزاع فى المعدوم الممكن هل هو شئ أم لا فذلك فى الشيئية بمعنى التحقق منفكا عن صفة الوجود لا فى اطلاق لفظ الشئ على مفهومه فانه من المباحث اللغوية المستندة الى النقل والسماع لا من المسائل الكلامية المبنية على الانظار الدقيقة (قوله فالمستحيل مستثنى فى نفسه عند ذكر القادر) يريد انه عام مخصوص بقرينة العقل وكذلك الواجب لذاته مستثنى عند ذكره أيضا ومن ثم قيل أراد بالمستحيل فى السؤال والجواب ما يستحيل تعلق القدرة به فى نفسه فيتناول الممتنع والواجب معا وبالمستقيم ما يقابله فيخرجان عنه (ونظيره) أى فى التخصيص بقرينة العقل فان الشخص لا يكون أميرا على نفسه (قوله

بين قادرين فيختلف فيه (فان قلت) لم اشتقاق القدير (قلت) من التقدير لانه يوقع فعله على مقدار قوته واستطاعته وما يتميز به عن العاجز * لما عدد الله تعالى فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم وأحوالهم ومصارف أمورهم وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها او يشقيها او يحظيها عند الله ويرديها أقبل عليهم بالخطاب وهو من الالتفات المذكور عند قوله اياك نعبد واياك نستعين وهو فن من الكلام جزل فيه هز وتحريك من السامع كما أنك اذا قلت لصاحبك حاكيا عن ثالث لكما ان فلانا من قصته كيت وكيت فقصصت عليه ما فرط منه ثم عدلت بخطابك الى الثالث فقلت يا فلان من حقك أن تلزم الطريقة الحميدة فى مجارى أمورك وتستوى على جادة السداد فى مصادرك ومواردك نبهته بالتفاتك نحوه فضل تنبيه واستدعيت اصغاءه الى ارشادك زيادة استدعاء وأوجدته بالانتقال من الغيبة الى المواجهة هازا من طبعه ما لا يجده اذا استمررت على لفظ الغيبة وهكذا الافتنان فى الحديث والخروج فيه من صنف الى صنف يستفتح الآذان للاستماع ويستهش الانفس للقبول * وبلغنا باسناد صحيح عن ابراهيم عن علقمة أن كل شئ نزل فيه يا أيها الناس فهو مكى ويا أيها الذين آمنوا فهو مدنى فقوله (يا أيها الناس اعبدوا ربكم) خطاب لمشركى مكة ويا حرف وضع فى أصله لنداء البعيد صوت

فيختلف فيه) أى هل يمكن ان تتعلق قدرتان معا بمقدور أولا فان أمكن كان مقدور غيره تعالى مقدورا له أيضا وداخلا فى حكم الآية وان لم يكن كان فى حكم المستحيل خارجا عن شمول قدرته اياه والمسئلة مستقصاة فى مواضعها (قوله من التقدير) فيه انه يجعل المجرد مأخوذا من المزيد اذا كان أعرف بالمعنى المشترك ترجيحا لجانب المعنى على اللفظ وقيل أراد انهما يتلاقيان فى الاشتقاق من ق د ر لكنه عدل الى لفظ التقدير لاشعاره بالمعنى المقصود دون لفظ القدرة (قوله مما يسعدها) قيل لفظ من هذه بيان لما اختصت والضمير المنصوب عائد الى كل فرقة فورد عليه انما ذكره لفرقة المؤمنين هو المسعد والمحظى ولفرقتى الكفار والمنافقين هو المشقى والمردى فالواجب ان يعطف بأو ويقال أو يشقيها او يرديها واجيب بانه اذا عرف من الكلام المذكور مسعد فرقة صريحا علم ان ما يقابله مشق لها ضمنا وبالعكس فقد ذكر لكل فرقة مسعداتها ومشقياتها ورد بان الاختصاص لا معنى له حينئذ فان المقابل لما اختص بكل فرقة ليس مخصوصا بها فالصواب أن يجعل من تبعيضية أى من الامور التى يسعد الفرق ويشقيها على سبيل التوزيع فان بعض تلك الامور مسعد ومحظ لكل من اتصف بها وبعضها مشق ومرد كذلك وقد اختص كل فرقة بطائفة منها (قوله أقبل عليهم بالخطاب) ابتداء هذا الخطاب من قوله يا أيها الناس فان المنادى مخاطب بمنزلة ضمير المخاطب وان كان لفظه فى الاصل للغيبة وفى قوله عن ثالث أشار الى حضور ذلك الثالث عندكما ليكون سامعا الطريق الغيبة والخطاب معا فتظهر فائدة الالتفات على ما ذكره (قوله نبهته بالتفاتك) جواب اذا قلت وأوجدته من وجدت الضالة وأوجدتها غيرى أى جعلته واجدا أمرا (هازا) أى محركا (من طبعه) نحو الاصغاء والقبول للنصيحة (لا يجده) أى ذلك الهاز (اذا استمررت على لفظ الغيبة) وقلت مثلا من حق فلان ان يلزم الطريقة الحميدة فذكر اولا فائدة خصوصية الالتفات من الغيبة الى الخطاب فى هذا المقام وثانيا فائدة الالتفات مطلقا بقوله (وهكذا الافتنان * وبلغنا) عطف بحسب المعنى على قوله (لما عدد الله الخ) أى الظاهر أن الخطاب عام للفرق كلها وبلغنا ما يدل على اختصاصه بمشركى مكة واستشكل هذا بان سورة البقرة مدنية فكيف تكون هذه الآية منها مكية وأيضا لا يلزم من كونها مكية ان يكون الخطاب مختصا بمشركيها بل يجوز ان يعم غيرهم من المؤمنين وسائر الكفار فلا يصح تفريع الاختصاص بهم على كونها مكية ودفع بان كون السورة مدنية لا ينافى كون هذه الآية مكية مخصوصة بمشركيها حملا لقوله اعبدوا على ما هو المتبادر منه أعنى الامر باحداث أصل العبادة وبان معنى ما نقله ان كل حكم وخطاب نزل فيه يا أيها الناس فهو مكى أى متعلق بمشركى مكة سواء كان نزوله بها أو بالمدينة فيتم ما ذكره (قوله صوت)

يا أيها الناس اعبدوا ربكم

صح اطلاق الشئ عليه وهو من وادى من قتل قتيلا فله سلبه واذا سموا الشئ باسم ما يؤل اليه غالبا فما يؤل اليه حتما أجدر

يهتف به الرجل بمن يناديه وأما نداء القريب فله أى والهمزة ثم استعمل فى مناداة من سها وغفل وان قرب تنزيلا له منزلة من بعد فاذا نودى به القريب المفاطن فذلك للتأكيد المؤذن بأن الخطاب الذى يتلوه معنى به جدا (فان قلت) فما بال الداعى يقول فى جؤاره يارب ويا الله وهو أقرب اليه من حبل الوريد وأسمع به وأبصر (قلت) هو استقصار منه لنفسه واستبعاد لها من مظان الزلفى وما يقربه الى رضوان الله ومنازل المقربين هضما لنفسه واقرارا عليها بالتفريط فى جنب الله مع فرط التهالك على استجابة دعوته والاذن لندائه وابتهاله * وأى وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام كما أن ذو والذى وصلتان الى الوصف بأسماء الاجناس ووصف المعارف بالجمل وهو اسم مبهم مفتقر الى ما يوضحه ويزيل ابهامه فلابد أن يردفه اسم جنس أو ما يجرى مجراه يتصف به حتى يتضح المقصود بالنداء فالذى يعمل فيه حرف النداء هو أى والاسم التابع له صفته كقولك يا زيد الظريف الا أن أيا لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك من

أى لفظ أو كلمة وهو خبر آخر أو بدل من حرف وكان فى التعبير عنه بالصوت بعد التصريح بكونه حرفا اشارة الى انه فى أصله كان صوتا يصدر عنهم طبعا عند القصد الى النداء كلفظة اح عند التوجع ثم وضعوه له كما فى بعض اسماء الافعال والباء فى به للآلة وفى بمن يناديه صلة (يهتف) يقال هتف بالرجل هتافا أى صاح به (قوله فذلك للتأكيد المؤذن) يعنى ان تأكيد طلب الاقبال والمبالغة مع الاستغناء عنه نظرا الى حال المخاطب (القريب المفاطن) يؤذن بالاعتناء بشأن الخطاب كأنه أريد مزيد توجهه اليه وتلقيه له وان لا يبقى هناك توهم ذهوله عنه (قوله فما بال الداعى) أى ما ذكرته من المعانى لا يتصور ههنا فما الوجه فيه وقوله (وأسمع به) صيغة تعجب معطوفة على (أقرب) بتقدير القول على المشهور والجملة حال أى فما باله ينادى الله بيا والحال انه ليس ببعيد ولا ما يتوهم فيه ذهول وليس أيضا بعد النداء خطاب يعتنى به جدا او يوجد فى بعض النسخ أسمع وأبصر على صيغة أفعل التفضيل والجواب ان القريب كما ينزل منزلة البعيد لمعنى فيه كما عرفت فقد ينزل أيضا منزلته لمعنى راجع الى المتكلم وهو ان لا يرى نفسه أهلا لقربها من المنادى تحقيرا لها يقال استقصره عده مقصرا واستبعده عده بعيدا (وما يقربه) عطف على (مظان) وقوله (هضما) أى كسرا وما عطف عليه مفعول له (للاستقصار والاستبعاد) اما معا واما على نشر غير مرتب ﴿فان قيل﴾ كان الواجب عليه ان يعد هذا المعنى فى المعانى السالفة ﴿أجيب﴾ بانه لما لم يكثر كثرة تلك المعانى ولم تحسن أيضا الا فى ندائه الله تعالى أفرده عنها فى جواب سؤال تقديرا له وتوضيحا وقوله (مع فرط التهالك) حال من الضمير فى (منه) أى المتضرع الى الله تعالى يستعمل نداء البعيد اشارة الى بعده عن مرتبة المدعو والى شدة حرصه على استجابة دعائه (قوله والاذن) أى الاستماع لندائه كالاعتناء التام بشأن الخطاب الذى يتلوه فيما سبق ولا يخفى عليك ان الداعى الى الله لا يقصد بندائه طلب اقباله ولا مزيد التفاته اليه بل يقصد به توجه قلبه الى ربه وجؤاره لديه وتضرعه بين يديه لينال بذلك ما يقربه اليه ويسعده فى داريه (قوله وأى وصلة) لما استكرهوا اجتماع آلتى التعريف تعذر عليهم نداء المعرف باللام فتوصلوا اليه باسم مبهم يحتاج الى ما يزيل ابهامه فجعلوه منادى فى الصورة وأجروا عليه تابعا له هو المقصود بالنداء أى المعرف باللام الذى يزيل ابهامه ويمتاز به ذات المنادى والتزموا رفعه تنبيها على انه المقصود بذلك ثم ذلك الاسم المبهم هو أى مقطوع الاضافة واسم الاشارة اذ كل منهما مبهم يجب ازالة ابهامه وضعا الا ان أيا أدخل فى الابهام فان اسم الاشارة اذا وقع منادى قد يكتفى فى ازالة ابهامه بالاشارة الحسية فيستغنى عن الصفة فيقال يا هذا بخلاف أى اذ لابد له فى النداء من وصف تتعين به ذاته وهو (اسم الجنس) لانه يدل على الحقيقة المعينة أو ما يجرى مجراه وهو على أقسام الذى وتصرفاته واسم الاشارة موصوفا بذى اللام نحو يا أيهذا الرجل واسماء الاعلام مثناة ومجموعة فأى فى النداء لا تكون الا وصلة لذى اللام أو لاسم الاشارة مردوفا بذى اللام وقوله (حتى يتضح) من الوضوح أى يتضح (المقصود بالنداء) ويتعين ذاته والفائدة الاولى معاضدة كلمة التنبيه حرف النداء ومكانفته أى

الصفة وفى هذا التدرج من الابهام الى التوضيح ضرب من التأكيد والتشديد وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لفائدتين معاضدة حرف النداء ومكانفته بتأكيد معناه ووقوعها عوضا مما يستحقه أى من الاضافة (فان قلت) لم كثر فى كتاب الله النداء على هذه الطريقة ما لم يكثر فى غيره (قلت) لاستقلاله بأوجه من التأكيد وأسباب من المبالغة لان كل ما نادى الله له عباده من أوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده ووعيده واقتصاص أخبار الامم الدارجة عليهم وغير ذلك مما أنطق به كتابه أمور عظام وخطوب جسام ومعان عليهم أن يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم اليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال أن ينادوا بالآكد الابلغ (فان قلت) لا يخلو الامر بالعبادة من أن يكون متوجها الى المؤمنين والكافرين جميعا أو الى كفار مكة خاصة على ما روى عن علقمة والحسن فالمؤمنون عابدون ربهم فكيف أمروا بما هم ملتبسون به وهل هو الا كقول القائل فلو انى فعلت كنت كمن تسأله وهو قائم أن يقوما وأما الكفار فلا يعرفون الله ولا يقرون به فكيف يعبدونه (قلت) المراد بعبادة المؤمنين ازديادهم منها واقبالهم وثباتهم عليها وأما عبادة الكفار فشروط فيها ما لا بد لها منه وهو الاقرار كما يشترط على المأمور بالصلاة شرائطها من الوضوء والنية وغيرهما وما لا بد للفعل منه فهو مندرج تحت الامر به وان لم يذكر

معاونتها اياه لتقاربهما فى المعنى فان حرف النداء فيه ايقاظ المنادى واعلام بانه المدعو وحرف التنبيه يقوى ذلك الايقاظ والاعلام ثانية (ووقوع كلمة التنبيه عوضا) فان اياحقه ان لا يخلو عن المضاف اليه أو تنوين يقوم مقامه نحو أيا ما تدعوا وآية سلكوا ولا مجال للتنوين هنا بسبب البناء ولانه يقع عوضا عن مضاف اليه معين كقوله تعالى ورفعنا بعضهم فوق بعض والقصد ههنا الى الابهام فجعل كلمة التنبيه المناسب للنداء عوضا عن المضاف اليه (قوله ما لم يكثر فى غيره) منصوب على المصدر وما موصولة أو موصوفة وعبارة عن الكثرة فان جعل المستتر فى يكثر راجعا الى النداء كان العائد محذوفا أى كثرة لم تكثرها أو الكثرة التى لم يكثرها فى غيره وان جعل راجعا الى ما فى الاسناد الى ذلك المستتر يكون مجازا وقد يقال هو مجرور على الابدال من تلك الطريقة كانه قيل على الطريقة التى لم تكثر تلك الطريقة فى غير كتاب الله تعالى وفيه ان قوله على هذه متعلق بالنداء كما هو الظاهر من قوله ما لم يكثر وقوله ما لم يكثر متعلق بكثر قطعا فلا يصح حينئذ الابدال (قوله لاستقلاله بأوجه من التوكيد) تكرار الذكر والايضاح بعد الابهام واختيار لفظ البعيد وتأكيد معناه بحرف التنبيه وقوله (لان كل ما نادى الله تعالى له) تعليل للكثرة المعللة بالاستقلال أى كثر ذلك النداء تلك الكثرة المعللة بالاستقلال المذكور لاقتضاء المقام اياه وقوله (أمور عظام) خبر ان (قوله ان ينادوا بالآكد الابلغ) وذلك ليستيقظوا عن رقدة غفلتهم وينتبهوا لما نودوا لاجله وهذا المعنى راجع الى ما ذكره قوله ثم استعمل فى مناداة من سها وغفل (قوله لا يخلو) أراد انه لا يصح توجه الخطاب الى جميع الفرق كما ذكرته ولا الى كفار مكة كما رويته عن علقمة وذلك لان العبادة اعمال الجوارح لتبادرها منها عند الاطلاق فلا يؤمر بها المؤمنون لانهم عابدون فيلزم ان يكون طلبا لتحصيل الحاصل ولا الكافرون لانه يمتنع منهم العبادة لانتفاء شرطها وهو معرفة الله تعالى والاقرار به فيلزم التكليف بالمحال (قوله فلو انى فعلت الخ) هو لابى تمام وقبله نعمة الله فيك لا أسأل الله اليها نعمى سوى ان تدوما يعنى ان نعمة الله فيك شاملة لجميع أنواع النعم فلا أسأل الله الا دوامها احترازا عن طلب الحاصل وقد يتوهم انه لا بد فى قوله (كنت كمن تسأل) من تقدير مضاف أى كسائل من يسأل والا لكان تشبيها للسائل بالمسؤل والظاهر انه من قبيل التمثيل كقوله * وما الناس الا كالديار الخ فلا حاجة الى ذلك ﴿فان قيل﴾ الامر متعلق بالمستقبل وليس المؤمن ملتبسا بالعبادات المستقبلة أصلا فليس أمره بها طلبا للحاصل بل هو كقولك للمؤمن صل فلا اتجاه للسؤال ﴿قلنا﴾ المتبادر من اطلاق اعبدوا احداث أصل العبادة وهو حاصل فالسؤال متجه كما اذا أمرت من صلى باحداث أصل الصلاة وأما اذا أمرته

حيث لم ينفعل الا به وكان من لوازمه على أن مشركى مكة كانوا يعرفون الله ويعترفون به ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله (فان قلت) فقد جعلت قوله اعبدوا متناولا لشيئين معا الامر بالعبادة والامر بازديادها (قلت) الازدياد من العبادة عبادة وليس شيأ آخر (فان قلت) ربكم ما المراد به (قلت) كان المشركون معتقدين ربوبيتين ربوبية الله وربوبية آلهتهم فان خص بالخطاب فالمراد به اسم يشترك فيه رب السموات والارض والآلهة التى كانوا يسمونها أربابا وكان قوله (الذى خلقكم) صفة موضحة مميزة وان كان الخطاب للفرق جميعا فالمراد به ربكم على الحقيقة والذى خلقكم صفة جرت عليه على طريق المدح والتعظيم ولا يمتنع هذا الوجه فى خطاب الكفرة خاصة الا أن الاول أوضح

بصلاة معينة فلا ﴿والجواب﴾ ان المطلوب من المؤمنين ليس ايقاع أصل العبادة فى المستقبل بل ازديادهم فيها واستمرارهم عليها فى الاستقبال وليس ذلك حاصلا قطعا فلا اشكال وان المطلوب من الكفار أصل العبادة على معنى انهم أمروا ان يأتوا بها بعد تحصيل شرائطها فان الامر بالشئ أمر بما لا يتم الا به كانه قيل لهم حصلوا أولا شرطها ثم ائتوا بها ولا استحالة فى ذلك انما المستحيل ان يؤمروا بايقاع العبادة حال انتفاء شرائطها كما تقرر فى موضعه وما يقال من ان التصديق أصل العبادات كلها فلو وجب بوجوبها لانقلب الاصل تبعا فجوابه ان الاصالة بحسب الصحة لا تنافى التبعية فى الوجوب على انه قد أوجب أيضا استقلالا بدلائل أخر والجمع بينهما آكد فى ايجابه (قوله على ان مشركى مكة) أى يجوز تخصيص الخطاب بمشركيها لان شرط العبادة حاصل لهم واعترض عليه بان مجرد معرفة الله تعالى والاقرار به ليس كافيا فى صحة العبادة بل لا بد من التصديق بالنبوة والاعتراف بها وهو منتف عنهم وأجيب بانه أراد ان هذا القدر من الشرط حاصل لهم فليضموا اليه ما بقى ثم ليعبدوا وهذا بالحقيقة راجع الى الجواب الاول ومجرد فرق بين كفار مكة وغيرهم ومن هنا ذهب بعضهم الى ان العبادة شاملة لافعال القلب والجوارح وقرر السؤال فى المؤمنين بأن التصديق حاصل لهم فكيف يؤمرون به وفى الكفار بأن تصديقهم بالسمعيات كأحوال المعاد يتوقف على تصديقهم بالعقليات على قاعدة الاعتزال كالمعرفة والاقرار وليست هذه العقليات حاصلة لهم فكيف يؤمرون بتلك السمعيات ثم أجاب عن هذا أولا باندراجها تحت الامر بالسمعيات وثانيا بان العقليات حاصلة لكفار مكة ويرد عليه انه لا يلائمه قوله فى السؤال واما الكفار فلا يعرفون الله تعالى ولا يقرون به فكيف يعبدونه وقوله فى الجواب وأما عبادة الكفار الخ (قوله متناولا لشيئين معا) يريد ان صيغة اعبدوا موضوعة لطلب العبادة فاذا كانت موضوعة لطلب ازديادها أيضا كان استعمالها فيهما استعمالا للمشترك فى كلا معنييه والا كان جمعا بين الحقيقة والمجاز ولا يصح شئ منهما عند الجمهور وأجاب بأن ازدياد العبادة عبادة والمراد ان اعبدوا مستعمل فى طلب العبادة فى المستقبل لكن تلك العبادة من المؤمنين زيادة فى عبادتهم ومن الكافرين ابتداء عبادة وليس شئ من مفهومى الزيادة والابتداء داخلا فى مفهوم اعبدوا بل خارج يفهم من القرائن فلا جمع بين معنيين أصلا بل استعمل اللفظ المشترك فى القدر المشترك بينهما (قوله فالمراد به اسم يشترك فيه) أى فى مفهومه اشتراكا معنويا اذ كانوا يستعملون

الذى خلقكم

الرب فى الله تعالى وفى آلهتهم بمعنى المالك والسيد وقيل اشتراكا لفظيا وأياما كان فالصفة موضحة تميز ما قصد بالموصوف عما يشاركه فى الاسم على أحد الوجهين (قوله فالمراد به ربكم على الحقيقة) أى الله تعالى فانه الذى اعتقد جميع الفرق ربوبيته واعترفوا بها والصفة حينئذ مادحة لعدم الاشتباه فى الرب المضاف الى الكل وقوله على الحقيقة اشارة الى ان ربوبيته تعالى ثابتة فى الواقع بخلاف الاصنام فانها أرباب بحسب اعتقادهم لا الى ان لفظ الرب مجاز فيها (قوله ولا يمتنع هذا الوجه) وذلك لان المشركين كانوا يعتقدون انه تعالى رب الارباب وان آلهتهم شفعاء عنده فلا يبعد فى خطابهم أن يراد بالرب الذى أضيف اليهم ما جعلوه أصلا فى الربوبية (قوله الا ان الوجه الاول أوضح) أى بالنظر الى حالهم فان استعمال

وأصح والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء يقال خلق النعل اذا قدرها وسوّاها بالمقياس وقرأ أبو عمرو خلقكم بالادغام * وقرأ أبو السميفع وخلق من قبلكم وفي قراءة زيد بن علي "والذين من قبلكم" وهي قراءة مشكلة ووجهوا على اشكالها أن يقال أقحم الموصول الثاني بين الاول وصلته تأكيدا كما أقحم جرير في قوله *يا تيم تيم عدي "لا أبا لكم* تيما الثاني بين الاول وما أضيف اليه وكاقحامهم لام الاضافة بين المضاف والمضاف اليه في لا أبا لك

الرب في غير الله سبحانه كان شائعا فيما بينهم موجبا للاحتمال ولذلك عقبت السحرة قولهم آمنا برب العالمين رب موسى وهرون دفعا له (قوله وأصح) أي بالنظر الى أن الاصل في الصفة هو التوضيح والتخصيص فلا يعدل عنه ما أمكن (قوله قراءة مشكلة) لان الموصول الثاني مع صلته مفرد فلا يصلح أن يكون صلة للاول وقوله على اشكالها تنبيه على أن ما ذكره لا يحسم مادة الاشكال لان التأكيد ان حمل على المصطلح فان كان لفظيا وجب أن يكون باعادة اللفظ الاول كما في المثالين وان كان معنويا كان بألفاظ مخصوصة مع ان النحاة قد نصوا على امتناع تأكيد الموصول قبل تمامه بصلته وان حمل على غير المصطلح احتيج الى وجه اجتماع الموصولين وغاية ما يتمحل فيه انه تأكيد لفظي الا انه عدل عن اللفظ الاول الى ما هو بمعناه احترازا عن بشاعة التكرار كما هو مذهب الاخفش في ما ان زيد قائم ويحتمل في قوله فصيروا مثل كعصف مأكول وان كان المشهور في امثال ذلك الحكم بالزيادة دون التأكيد ومن ثم قيل الاولى أن يجعل كلمة من زائدة على مذهب الكسائي أو موصوفة بالظرف خبر المبتدا المحذوف أي الذين هم أشخاص واناس كائنون قبلكم وفيه تفخيم لشأنهم بالابهام وايذان بان خلقهم أدخل في القدرة أو موصولة بالظرف كذلك أي الذين هم الذين قبلكم وقد نقل عن المصنف ههنا سؤال وجواب بأن الموصول بدون الصلة لا يفيد شيأ فكيف يجوز تأكيده وجوابه بأن الموصول وحده يفيد أمرا مبهما كاسم الاشارة ولهذا رجع الضمير اليه في قولك الذي قام مع انه لا يرجع الى غير المفيد وأورد عليه ان التأكيد اللفظي يجري في الحروف ففي الاسماء الموصولة أولى وأجيب بأن وجه الاستبعاد ان الموصول لا يتم جزأ الا بصلة وعائد فهو وحده بمنزلة الزاي من زيد بخلاف الحروف وأنت خبير بأن جعل الموصولات في الافادة والاستقلال دون الحروف خروج عن الانصاف (قوله كما أقحم جرير) الاقحام أن يدخل شيء في آخر بشدة وعنف فههنا أقحم تيم الثاني بين المضاف وهو تيم الاول والمضاف اليه وهو عدي وانما جاز حذف التنوين من الثاني وان لم يكن مضافا لان التأكيد اللفظي في الاغلب حكمه حكم الاول وحركته حركته اعرابية كانت أو بنائية فكما حذف التنوين من الاول حذف من الثاني وجاز الفصل به في السعة بين الاول وما أضيف اليه وان لم يجز ذلك الا في الضرورة وبالظرف خاصة لانه لما كرر الاول بلفظه وحركته فكأنه هو بعينه فلا فصل الا ترى انك تقول ان ان زيدا قائم مع امتناع الفصل بين ان واسمها الا بالظرف وكذلك تقول لا لا رجل في الدار مع ان النكرة المفصولة عن لا يجب رفعها نحو لا فيها غول ولا تأثيم (قوله وكاقحامهم) ذهب الخليل وسيبويه وجمهور النحاة الى ان لا أبا لك مضاف حقيقة باعتبار المعنى وان هذه اللام الظاهرة تأكيد للمقدرة التي كانت الاضافة بمعناها فيكون الفصل بها بين المضاف والمضاف اليه كلا فصل على قياس يا تيم تيم عدي واعترض عليهم بأنه لو كان مضافا حقيقة لكان معرفة فوجب رفعه وتكريره وتقدير الخبر أيضا ودفع بأن العرب قصدوا نصب هذا المعرف بلا من غير تكرير تخفيفا ففصلوا بينهما لفظا حتى يصير المضاف كأنه ليس بمضاف فلا يستنكر نصبه وترك تكريره لوروده على صورة النكرة وأما الخبر فقدر عاما أي لا أبا لك موجود ﴿فان قيل﴾ قد اتفقوا على ان لا أبا لك بمعنى لا أب لك والثاني نكرة اتفاقا فكذا الاول ﴿أجيب﴾ بأنهم اتفقوا على ان نحوي الجملتين سواء الا على ان لا أبا لك وأب لك بمعنى واحد وقد تتفق الجملتان في المقصود مع ان المسند اليه في أحدهما معرفة وفي الاخرى نكرة كما في قولك لا كان أبوك موجودا ولا كان لك أب

والذين من قبلكم

* ولعل للترجي أو الاشفاق تقول لعل زيدا يكرمني ولعله يهينني وقال الله تعالى لعله يتذكر أو يخشى لعل الساعة قريب ألا ترى الى قوله والذين آمنوا مشفقون منها وقد جاءت على سبيل الاطماع في مواضع من القرآن ولكن لانه اطماع من كريم رحيم اذا أطمع فعل ما يطمع فيه لا محالة لجرى اطماعه مجرى وعده المحتوم وفاؤه به قال من قال ان لعل بمعنى كي ولعل لا تكون بمعنى كي ولكن الحقيقة ما ألقيت اليك وأيضا فمن ديدن الملوك وما عليه أوضاع أمرهم ورسومهم أن يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون أنفسهم على انجازها على أن يقولوا عسى ولعل ونحوهما من الكلمات أو يخيلوا اخالة أو يظفر منهم بالرمزة أو الابتسامة أو النظرة الحلوة فاذا عثر على شيء من ذلك منهم لم يبق للطالب ما عندهم شك في النجاح والفوز بالمطلوب فعلى مثله ورد كلام مالك الملوك ذي العز والكبرياء أو يجيء على طريق الاطماع دون التحقيق لئلا يتكل العباد كقوله يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيآتكم (فان قلت) فلعل التي في الآية

(قوله ولعل للترجي والاشفاق) أي هي موضوعة لانشاء توقع أمر اما مرغوب ويسمى ترجيا أو مرهوب ويسمى اشفاقا ثم كل واحد منهما يكون من المتكلم كما في المثالين الاولين وهو الاصل لان معاني الانشاء آت قائمة به ويكون من المخاطب وهو أيضا كثير لتنزيله منزلة المتكلم في التلبس التام بالكلام كالمثال الثالث والرابع ولما لم يكن الاشفاق من قرب الساعة ظاهرا استشهد له بالآية وقد يكون من غيرهما ممن له نوع تعلق بالكلام كأنها تجردت لطلق التوقع كما في قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك على أحد الوجهين وهو انك قد بلغت من التهالك على ايمانهم مبلغا يرجون أن تترك بعض ما يوحى اليك (قوله وقد جاءت) عطف على قوله ولعل للترجي والاشفاق أي انها قد استعملت في مواضع من القرآن للاطماع أي الايقاع في الطمع وذلك لقرب الطمع من الرجاء فكان الاطماع هو الترجية ولم يرد انها في تلك المواضع مستعملة في حقيقة الاطماع كما في قولك تعالى الي لعلي أكرمك بل أراد انها هناك للتحقيق الا انه ابرز في صورة الاطماع اما لاظهار انه لا فرق بين اطماعه في شيء وبين جزمه باعطائه فان غاية الجود وكمال الكرم يقتضي اظهار ذلك واما لسلوك طريقة الملوك والعظماء في اظهار الكبرياء وقلة الاعتداد بالاشياء واما للتنبيه على ان من حق العباد ان لا يتكلوا على حسن العبادة والاجتهاد بل يكونوا على حذر بين الخوف والرجاء وهذا محصول ما تلخص من كلامه ثم يقول ان قوله لانه اطماع تعليل لقوله قال من قال وذلك ان ابن الانباري وجماعة من الادباء ذهبوا الى ان لعل قد تجيء بمعنى كي حتى حملوها على التعليل في كل موضع امتنع فيه الترجي سواء كان من قبيل الاطماع نحو لعلكم تفلحون أولا نحو لعلكم تشكرون ولعلكم تتقون فأشار المصنف الى توجيه ما قالوه بأنهم لم يريدوا به انها بمعنى كي حقيقة لان أئمة اللغة لم يذكروا في بيان معناها الحقيقي سوى ما ألقاه اليك من الترجي والاشفاق ولو وردت بمعنى كي لجاز أن يقع بعدها في مثل قولك دخلت على المريض كي أعوده ولا يقول به أحد بل أرادوا ان ما بعدها اذا صدرت على سبيل الاطماع من الكريم متحقق عقيب ما قبلها كتحقق الغاية عقيب ما هي سبب له فكانها بمعنى كي ولا يخفى ان هذا التوجيه انما يجري في لعل الاطماعية دون غيرها وقيل مقصوده ان يرد عليهم بما قررناه ويشير الى منشا توهمهم وهو ان ما بعدها متحقق الوقوع كما مر وصالح لان يعلل به ما قبلها وفيه أيضا ان هذا التوهم عام ومنشؤه خاص وقوله وأيضا فمن ديدن عطف بحسب المعنى على قوله لانه اطماع فانه وان ذكر تعليلا لقول ذلك القائل الا انه يتضمن بيان نكتة للتعبير عن التحقيق بحرف الاطماع فكأنه قيل وقد جاءت على سبيل الاطماع في مواضع من القرآن لان اطماعه كوعده المحتوم وفاؤه ولجري على ديدن الملوك وقوله أو يجيء عطف على قد جاءت وبيان لنكتة أخرى هي علة ثالثة لذلك التعبير الا انه كرر الفعل لتعدد ذكره وعدل الى صيغة المضارع لعله هذه النكتة في الموارد بالقياس الى أختيها وقد يتوهم من عبارته ان لعل قد جاءت للاطماع

ما معناها وما موقعها (قلت) ليست مما ذكرناه في شيء لان قوله (خلقكم * لعلكم تتقون) لا يجوز أن يحمل على رجاء الله تقواهم لان الرجاء لا يجوز على عالم الغيب والشهادة وحمله على أن يخلقهم راجين التقوى ليس بسديد أيضا ولكن لعل واقعة في الآية موقع المجاز لا الحقيقة لان الله عز وجل خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات وأزاح العلة في اقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين ووضع في أيديهم زمام الاختيار وأراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجو منهم أن يتقوا ليترجح أمرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان كما ترجحت حال المرتجي بين أن يفعل وان لا يفعل ومصداقه قوله عز وجل ليبلوكم أيكم أحسن عملا وانما يبلو ويختبر من تخفى عليه العواقب ولكن شبه بالاختبار بناء أمرهم على الاختيار (فان قلت) كما خلق المخاطبين لعلهم يتقون فكذلك خلق الذين من قبلهم

مع التحقيق وقد تجيء للاطماع بدون التحقيق وفساده ظاهر (قوله ما معناها) أي من المعاني التي ذكرتها وما موقعها يعني احقيقة هي أم مجاز فاجاب بانها ليست مستعملة في شيء من تلك المعاني اذ لا يتصور ههنا الرجاء من المتكلم لاستلزام عدم العلم بعواقب الامور ولا من المخاطبين لانهم لا شعور لهم حال خلقهم بالتقوى حتى يرجوها ولا مجال للاشفاق قطعا ولا للاطماع أصلا لانه انما يكون فيما يتوقعه المخاطب من المتكلم ويرغب فيه وليس التقوى كذلك فانها من أفعالهم وشاقة عليهم (قوله ولكن لعل في هذه الآية واقعة موقع المجاز) الذي هو استعارة لا موضع الحقيقة وقد يتوهم من هذه العبارة انها حقيقة في جميع المعاني السابقة (قوله فهم في صورة المرجو منهم ان يتقوا) يفهم من هذا مشابهتهم للمرجو منهم ومشابهته تعالى للراجي وان هناك حالة شبيهة بالرجاء وهي ارادته تعالى منهم التقوى فاما ان تعتبر هذه الارادة وحدها ويستعار لها الكلمة الموضوعة للترجي بالجامع الذي سيفصله فيكون في لعل استعارة تبعية حرفية واما ان يلاحظ هيئة مركبة من الراجي والمرجو منه ورجائه فيكون هناك استعارة تمثيلية قد صرح من ألفاظها بما هو العمدة في حصول الهيئة فلا مجاز حينئذ في لعل كما أوضحناه فيما سبق من نظائرها وكلام الكشاف محمول على الاول كما دل عليه حكمه بان لعل في الآية مجاز الا انه راعى الادب فلم يصرح بنسبة التشبيه اليه تعالى ولا الى ارادته بل صرح بالمشابهة بين العباد والمرجو منهم ليفهم ضمنا مشابهة ارادته للترجي ثم هذا يشبه قوله في الم السجدة ولعل من الله ارادة ويؤيده قوله ههنا شبه بالاختبار بناء أمرهم على الاختيار وأيضا ليس تظهر المشابهة بين الارادة والترجي الا باعتبار حال متعلقهما أعني المكلف والمترجى منه فذكر التشبيه بين حالتيهما لتظهر تلك المشابهة في ان متعلق كل من الارادة والترجي يترجح أي يتردد بين أن يفعل وأن لا يفعل مع رجحان ما لجانب الفعل فانه تعالى لما وضع في أيديهم زمام الاختيار وأراد منهم الطاعة كما هو مذهب الاعتزال ونصب لهم أدلة عقلية ونقلية داعية اليها ووعد ولوعد والطف بما لا يحصى كثرة لم يبق للمكلف عذر وصار حاله في رجحان اختياره للطاعة مع تمكنه من المعصية كحال المترجى منه في رجحان اختياره لما يرتجى منه مع تمكنه من خلافه وصار ارادة الله للعباد تقواهم بمنزلة الترجي فيما ذكرناه وقد استقصينا في شرح المفتاح الكلام في الاستعارة التبعية في امثال هذا المقام يقال تعبده اتخذه عبدا يمتثل أوامره ونواهيه (قوله وركب فيهم العقول) الداعية الى الطاعات والشهوات الباعثة على المعاصي (قوله وازاح العلة) أي أزالها فلم يبق لهم عذر من الاعذار التي من شأنها ان يتمسك بها (والنجدان) طريقا الخير والشر والترجح التردد والتميل وهو وجه الشبه كما عرفت وانما قال ومصداقه لان نسبة الابتلاء اليه تعالى مصرح بها لابد من حمله على المجاز المبني على التشبيه ﴿ولا يقال﴾ يجوز حمل لعل على الترجي من العباد متعلقا باعبدوا أي اعبدوه راجين وصولكم الى التقوى التي هي أعلى مراتب العبادة أو بخلقكم على انه حال مقدرة أي خلقكم مقدرا رجاءكم للتقوى فالتقدير منه تعالى حال الخلق والرجاء من العباد بعد حين كما في قوله تعالى وبشرناه باسحق نبيا أي مقدرا نبوته ﴿لانا نقول﴾ بنى المصنف كلامه على تقدير تعلقه بالاقرب

لعلكم تتقون

* قوله تعالى لعلكم تتقون (قال محمود رحمه الله لعل واقعة في الآية موقع المجاز الخ) قال أحمد رحمه الله كلام سديد الا قوله وأراد منهم التقوى والخير فانه كلام أبرزه على قاعدة القدرية والصحيح والسنة ان الله تعالى أراد من كل أحد ما وقع منه من خير وغيره ولكن طلب الخير والتقوى منهم أجمعين والطلب والامر عند أهل السنة مباين للارادة ألهمنا الله صواب القول وسداده

لذلك فلم قصره عليهم دون من قبلهم (قلت) لم يقصره عليهم ولكن غلب المخاطبين على الغائبين فى اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا (فان قلت) فهلا قيل تعبدون لاجل اعبدوا أو اتقوا لمكان تتقون ليتجاوب طرفا النظم (قلت) ليست التقوى غير العبادة حتى يؤدى ذلك الى تنافر النظم وانما التقوى قصارى أمر العابد ومنتهى جهده فاذا قال اعبدوا ربكم الذى خلقكم للاستيلاء على اقصى غايات العبادة كان أبعث على العبادة وأشد الزاما لها وأثبت لها فى النفوس ونحوه أن تقول لعبدك احمل خريطة الكتب فما ملكتك يمينى الا لجر الاثقال ولو قلت لحمل خرائط الكتب لم يقع من نفسه ذلك الموقع * قدم سبحانه من موجبات عبادته وملزمات حق الشكر له خلقهم أحياء قادرين أولا لانه سابقة أصول النعم ومقدمتها والسبب فى التمكن من العبادة والشكر وغيرهما ثم خلق الارض التى هى مكانهم ومستقرهم الذى لا بد لهم منه وهى بمنزلة عرصة المسكن ومتقلبه ومفترشه ثم خلق السماء التى هى كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار

الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء

الذى هو خلقكم لان تعلقه باعبدوا يستلزم توسط الحال من فاعله بين وصف مفعوله فان الذى جعل لكم الارض فراشا صفة لربكم بحسب المعنى حقيقة وان جعل منصوبا أو مرفوعا على المدح والتعظيم وأيضا لاطائل فى تقييد العبادة برجاء التقوى لان رجاء الشئ ينافى حصوله حال الرجاء بل المناسب تقييدها بنفس التقوى أى اعبدوه متقين أو عطفها عليها أى اعبدوه واتقوه ولا مساغ للحمل على رجاء ثواب التقوى لاخراجه الكلام عن سننه كما لا يخفى واما تقدير الرجاء ففيه ان المقدر حال الخلق هو التقوى لا رجاؤها كما يدل عليه قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وأيضا كثير من الناس لا يرجون التقوى ولا يخطرونها بالبال فكيف يقيد الخلق بتقدير رجائها (قوله فلم قصره عليهم) حيث لم يقل لعلكم واياهم ليتجاوب طرفا النظم أى ليتناسبا كان كلا منهما يجيب الآخر والمراد تلاؤم أول الكلام وآخره اذ معناه حينئذ اشتغلوا بالامر الذى خلقتم لاجله مع الاشتمال على الصيغة البديعية وما فى النظم يوهم ان المعنى اشتغلوا بما خلقتم لغيره وهو تنافر ﴿وحاصل الجواب﴾ ان الملاءمة حاصلة بحسب المعنى مع مبالغة تامة فى الزام العبادة كما صورها فى المثال فان الاخذ بالاشق الاصعب يسهل الشاق الصعب ويعين على تحصيله ﴿فان قيل﴾ قوله للاستيلاء على أقصى غايات العبادة يدل على انه جعل لعل للتعليل بمعنى كى وكذلك قوله فيما بعد أى خلقكم لكى تتقوا يدل على ذلك فيكون اثباتا لما نفاه أولا ﴿قلنا﴾ قد بين انها استعارة للارادة فاما ان يجعل مفعولا لاجله أى خلقكم لارادة التقوى فيكون التعليل مستفادا من كيفية ربطها بالسابق أو يجعل حالا فيكون ما ذكره محصول المعنى فان خلقهم فى حال ارادة التقوى منهم فى معنى خلقهم لاجل التقوى وقس على ذلك ما يرد عليك فى الكشاف من تفسير لعل بالارادة أو بمعنى كى ولما لم يصح عند الاشاعرة استعارة لعل لارادة الله تعالى لاستلزامها وقوع المراد ولا للتعليل عند من ينفى تعليل أفعاله تعالى بالاغراض مطلقا وجب ان يجعل مجازا عن الطلب الذى يغاير الارادة ولا يستلزم حصول المطلوب أو عن ترتب الغاية على ما هى ثمرة له فان أفعاله تعالى يتفرع عليها حكم ومصالح متقنة هى ثمراتها وان لم تكن عللا غائية لها بحيث لولاها لم يقدم الفاعل عليها كما حقق فى موضعه ومن أهل السنة من وافق المعتزلة فى التعليل بالغرض الراجع منفعته الى العباد وادعى انه مذهب الفقهاء والتحقيق ما سبق (قوله من موجبات عبادته) فيه اشارة الى ان موجبها لا ينحصر فيما ذكر ويدل على ايجابها ترتيب الحكم عليها مع مناسبتها للتعليل العبادة بها خلقهم احياء قادرين وذلك لان من كان مخاطبا مخلوقا للاتقاء لا يكون الا حيا فاهما قادرا على ما خلق لاجله وأولا ظرف لقدم (قوله لانه سابقة اصول النعم) يريد السبق بحسب كونها نعما واصلة اليهم لا فى وجودها بانفسها فان وجود الارض مثلا وان كان متقدما على وجودهم الا ان كونها نعمة فى حقهم متأخر عن خلقهم على وجه يتمكنون به من الانتفاع بها والتاء فى سابقة للنظر الى انه نعمة وقيل كالتاء فى مقدمة وانما حصر السبب فيه بناء على انه العمدة فى التمكن من الافعال كان ما عداه من أسبابها وشرائطها لا يعتد بها مقيسة اليه وأشار بقوله وهى بمنزلة عرصة المسكن مع قوله هى كالقبة الى انهم الى وجود الارض أحوج فكان ذكرها أهم وأقدم

(قال محمود رحمه الله فان قلت فهلا قيل تعبدون الخ) قال أحمد رحمه الله كلام حسن الا قوله خلقكم للاستيلاء على أقصى غايات العبادة فانه مفرع على تلك النزغة المتقدمة آنفا والعبارة المحررة فى ذلك على قاعدة السنة أن يقال اعبدوا ربكم الذى خلقكم على حالة من حقكم معها أن تستولوا على أقصى غاية العبادة وهى التقوى لما ركب فيكم من العقول وبينه لكم من البواعث على تقواه فكان جديرا بكم أن لا تدعوا من جهدكم فى التقوى شيأ

فأخرج به من الثمرات

ثم ماسواه عزوجل من شبه عقد النكاح بين المقلة والمظلة بانزال الماء منها عليها والاخراج به من بطنها أشباه
النسل المنتج من الحيوان من ألوان الثمار رزقا لبنى آدم ليكون لهم ذلك معتبرا ومتسلقا الى النظر الموصل
الى التوحيد والاعتراف ونعمة يتعرفونها فيقابلونها بلازم الشكر ويتفكرون فى خلق أنفسهم وخلق
مافوقهم وتحتهم وأن شيأ من هذه المخلوقات كلها لايقدر على ايجاد شئ منها فيتيقنوا عند ذلك أن لابد لها
من خالق ليس كمثلها حتى لايجعلوا المخلوقات له أندادا وهم يعلمون أنها لاتقدر على نحو ماهو عليه قادر
والموصول مع صلته اما أن يكون فى محل النصب وصفا كالذى خلقكم أو على المدح والتعظيم واما أن يكون
رفعا على الابتداء وفيه مافى النصب من المدح * وقرأ يزيد الشامى بساطا وقرأ طلحة مهادا ومعنى جعلها
فراشا وبساطا ومهادا للناس أنهم يقعدون عليها وينامون ويتقلبون كما يتقلب أحدهم على فراشه وبساطه
ومهاده (فان قلت) هل فيه دليل على أن الارض مسطحة وليست بكرية (قلت) ليس فيه الا أن الناس
يفترشونها كما يفعلون بالمفارش وسواء كانت على شكل السطح أو شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر
ولا مدفوع لعظم حجمها واتساع جرمها وتباعد أطرافها واذا كان متسهلا فى الجبل وهو وتد من أوتاد
الارض فهو فى الارض ذات الطول والعرض أسهل * والبناء مصدر سمى به المبنى بيتا كان أو قبة أو خباء
أو طرافا وأبنية العرب أخبيتهم ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا (فان
قلت) مامعنى اخراج الثمرات بالماء وانما خرجت بقدرته ومشيئته (قلت) المعنى أنه جعل الماء سببا
فى خروجها ومادة لها كماء الفحل فى خلق الولد وهو قادر على أن ينشئ الاجناس كلها بلا أسباب ولا مواد
كما أنشأ نفوس الاسباب والمواد ولكن له فى انشاء الاشياء مدرجا لها من حال الى حال وناقلا من مرتبة
الى مرتبة حكما ودواعى يجدد فيها لملائكته والنظار بعيون الاستبصار من عباده عبرا وأفكارا صالحة
وزيادة طمأنينة وسكون الى عظيم قدرته وغرائب حكمته ليس ذلك فى انشائها بغتة من غير تدريج وترتيب
* ومن فى (من الثمرات) للتبعيض بشهادة قوله فأخرجنا به من كل الثمرات

وقوله (ثم ماسواه) معطوف على مفعول قدم بتقدير فعل آخر اى ثم ذكر ماسواه وهياه فهو من قبيل
* علفتها تبنا وماء باردا * (والمقلة) الارض (والمظلة) السماء وقوله (من الحيوان) متعلق بالمنتج ومن ألوان
الثمار بيان لاشباه النسل ورزقا لبنى آدم مفعول له للاخراج وقوله ليكون متعلق بمعنى قدم أى ذكر هذه
الموجبات على هذا الترتيب ليكون لهم ذلك المذكور يقال تسلق الجدار اذا تسوره وعلاه وقوله (الموصل
الى التوحيد) اشارة الى معنى اعبدوا وقوله ونعمة عطف على معتبرا ويتفكرون عطف على يتعرفونها من
تعرفت الشئ طلبته حتى عرفته وقوله فى خلق أنفسهم كانه واقع موقع الضمير أى ويتفكرون فيها ولقد فصل
بقوله يتعرفونها فيقابلونها بلازم الشكر أى بالشكر اللازم مارمز اليه بلفظ الاعتراف وبقوله ويتفكرون
ما أشار اليه بذكر التوحيد الا انه فى الاجمال قدم ماهو الاصل أعنى توحيده تعالى وفى التفصيل راجع الى نظم
التنزيل (قوله فيتيقنوا عند ذلك) عطف على قوله ليكون لهم (قوله وصفا) أى موضحا أو مادحا كالذى خلقكم
وقوله أو على المدح معطوف على وصفا أى فى محل النصب على الوصفية أو على المدح بتقدير اخص أو امدح
وأراد بقوله رفعا على الابتداء انه خبر مرفوع بالابتداء على سبيل المدح كما حققته فى الذين يؤمنون بالغيب
والطراف ما كان من الاديم والقبة ما كان مستديرا والخباء كالخيمة من الصوف والوبر دون الشعر وتكون
على عمودين أو ثلاثة فقط والبيت أعم من الكل وقد فسرت بتفاسير اخر وبنى على امرأته كناية عن الدخول
بها لاستلزامه نصب الخباء عليها فى عادتهم (قوله مامعنى اخراج الثمرات بالماء) يريد ان السبب فى الخروج
قدرته تعالى ومشيئته لا الماء فكيف دخل باء السببية عليه وأجاب بانه تعالى (جعل الماء سببا فى خروجها
ومادة لها) مع كونه قادرا على خلقها بلا سبب ومادة الا أن له تعالى فى انشاء الاشياء من موادها تدريجا
حكما ليست فى انشائها دفعة وبغتة وقوله مدرجا حال من فاعل الانشاء فانه مراد معنى وحكما اسم (لكن)
وضمير (فيها) للاشياء المخلوقة كذلك (وغير) مفعول يجدد (قوله ومن فى من الثمرات للتبعيض) لوجوه

وقوله فأخرجنا به ثمرات ولان المنكرين أعنى ماء ورزقا يكتنفانه وقد قصد بتنكيرهما معنى البعضية فكأنه قيل وأنزلنا من السماء بعض الماء فأخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا هو المطابق لصحة المعنى لانه لم ينزل من السماء الماء كله ولا أخرج بالمطر جميع الثمرات ولا جعل الرزق كله فى الثمرات ويجوز أن تكون للبيان كقولك أنفقت من الدراهم ألفا (فان قلت) فبم انتصب (رزقا) (قلت) ان كانت من للتبعيض كان انتصابه بانه مفعول له وان كانت مبينة كان مفعولا لاخرج (فان قلت) فالثمر المخرج بماء السماء كثير جم فلم قيل الثمرات دون الثمر والثمار (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يقصد بالثمرات جماعة الثمرة التى فى قولك فلان أدركت ثمرة بستانه تريد ثماره ونظيره قولهم كلمة الحويدرة لقصيدته وقولهم للقرية المدرة وانما هى مدر متلاحق والثانى أن الجموع يتعاور بعضها موقع بعض لالتقائها فى الجمعية كقوله كم تركوا من جنات وثلاثة قروء ويعضد الوجه الاول قراءة محمد بن السميفع من الثمرة على التوحيد و (لكم) صفة جارية على الرزق ان أريد به العين وان جعل اسما للمعنى فهو مفعول به كأنه قيل رزقا اياكم رزقالكم

لاول شهادة نظائرها الواردة فى هذا المعنى فان كلمة من فى الآية الاولى ليست بيانية اذ لا مبهم هناك ولا ابتدائية والالزم عدم ذكر المخرج ولا زائدة فى الاثبات فهى تبعيضية والتنكير فى الثانية يدل على البعضية لتبادرها منه سيما فى جموع القلة الثانى انما قبله ومابعده أعنى (ماء ورزقا) محمولان على البعض فليكن هو موافقا لهما الثالث ان المطابق لصحة المعنى وسداده فى الواقع هو البعض فان الله سبحانه لم ينزل من السماء كل الماء بل بعضه اذ رب ماهو بعد فى السماء ولم يخرج بالماء المنزل منها كل الثمرات بل بعضها فكم من ثمرة هى بعد غير مخرجة ولم يجعل المخرج كل الرزق بل بعضه وقد يتوهم ان قوله ولا أخرج بالمطر جميع الثمرات أراد به ان بعضها مخرج بماء الانهار والعيون دون المطر فيكون منافيا لما ذكره فى الزمر من ان جميع مياه الارض هو من السماء وفساده ظاهر بما قررناه (قوله كقولك أنفقت من الدراهم ألفا) هذا اذا أردت به ألفا هو الدراهم و يحتمل التبعيض أيضا (قوله فبم انتصب رزقا) بنى تفريعه على احتمال كلمة من للتبعيض والبيان (قوله كان انتصابه بأنه مفعول له) وذلك لان من الثمرات على تقدير التبعيض مفعول به لا على أن من اسم بمعنى بعض كما قيل بل على أن تقديره شيأ من الثمرات ومايقال ان معناه فأخرج بعض الثمرات فهو حاصل المعنى وحينئذ يكون (رزقا) بمعناه المصدرى مفعولا له (ولكم) ظرفا لغوا مفعولا به لرزقا أى أخرج بعض الثمرات لاجل أن يرزقكم وذكر فى سورة ابراهيم أنه يجوز أن يكون من الثمرات مفعول أخرج ورزقا حالا من المفعول أى مرزوقا أو نصبا على المصدر من أخرج لانه فى معنى رزق ففى التبعيض وجوه ثلاثة والاظهر ماذكره ههنا اذ لا حاجة به الى تأويل (قوله وان كانت مبينة كان) أى رزقا مفعولا لاخرج على ان المراد به العين ويكون لكم ظرفا مستقرا صفة له ومن الثمرات بيانا له مقدما عليه فصار حالا منه أى اخرج مرزوقا لكم هو الثمرات (قوله فالثمر المخرج بماء السماء كثير جم) هذا توجيه للسؤال على تقدير البيان و يعلم منه وروده على التبعيض أيضا بطريق الاولى فان المخرج بماء السماء اذا كان كثيرا جدا كان ماهو بعض منه كثيرا قطعا والجواب من وجهين الاول ان الثمرات ههنا جمع الثمرة التى يراد بها الكثرة كالثمار لا الوحدة فيكون أبلغ ولا أقل من المساواة الثانى انها جمع قلة وقعت موقع جمع الكثرة كجنات فى قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وقد يقع أيضا جمع الكثرة موضع القلة كما فى ثلاثة قروء يقال تعاوروا الشئ اذا تداولوه والمشهور ان الفرق بين الجمعين فى القلة والكثرة انما هو اذا كانا منكرين وأما اذا عرفا بلام الجنس فى مقام المبالغة فكل منهما للاستغراق بلا فرق (والحويدرة) تصغير الحادرة تعظيما وتم وبلاغة كلمته قصيدته المشهورة التى مستهلها

بكرت سمية غدوة فتمتع * وغدت غدو مفارق لم يربع

وانما سميت بالكلمة لشدة ارتباط بعضها ببعض كأجزاء الكلمة الواحدة وقوله فتمتع تمتع كم أى اجزع

(فان قلت) بم تعلق (فلا تجعلوا) (قلت) فيه ثلاثة أوجه أن يتعلق بالامر أى اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له (أندادا) لان أصل العبادة وأساسها التوحيد وأن لا يجعل لله ند ولا شريك أو بلعل على أن ينتصب تجعلوا انتصاب فأطلع فى قوله عز وجل لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات فأطلع الى اله موسى فى رواية حفص عن عاصم أى خلقكم لكى تتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه أو بالذى جعل لكم اذا رفعته على الابتداء أى هو الذى خصكم بهذه الآيات العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء والند المثل ولا يقال الا للمثل المخالف المناوى قال جرير أتيما تجعلون الى ندا * وما تيم لذى حسب نديد وناددت الرجل خالفته ونافرته من ند ندود اذا نفر ومعنى قولهم ليس لله ند ولا ضد نفى ما يسد مسده ونفى ما ينافيه (فان قلت) كانوا يسمون أصنامهم باسمه ويعظمونها بما يعظم به من القرب وما كانوا يزعمون أنها تخالف الله وتناويه

فلا تجعلوا لله أندادا

غاية الجزع اذ لا تمتع بعد ذلك ولم يربع أى لم يتوقف وأصله لم يأخذ موضعه اربعا (قوله بم تعلق فلا تجعلوا) أى باى معنى من المعانى السابقة يتعلق وعلى مضمون أيها يترتب ويتفرع (قوله ان يتعلق بالامر) أى يكون نهيا متفرعا على مضمون ذلك الامر كانه قيل اذا استحق ربكم الذى خلقكم العبادة منكم وكنتم مأمورين بها فلا تشركوا به أحد التكون عبادتكم مبنية على ما هو أصل العبادة وأساسها أعنى توحيده تعالى وأن لا تجعلوا له ندا أصلا وقيل هو نهى معطوف على الامر ورد بان الاولى حينئذ العطف بالواو كقوله تعالى اعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وقد يجعل نفيا منصوبا باضمار أن على جواب الامر كائتنى زرنى فأكرمك وليس بشئ لان الشرط فى ذلك كون الاول سببا للثانى والعبادة لا تكون سببا للتوحيد الذى هو مبناها وأصلها (قوله انتصاب فاطلع) أى على تشبيه لعل بليت ويرد عليه ان ذلك انما يجوز اذا كان فى الترجى شائبة من التمنى لبعد المرجو عن الوقوع وقد مر ان لعل ههنا استعارة للارادة التى ترجح فيها وجود المراد باعداد الاسباب وازاحة الاعذار فأين المشابهة ويجاب بان النصب ههنا للنظر الى انهم فى صورة المرجو منهم فالمعنى خلقكم فى صورة من يرجى منه الاتقاء أى الخوف من العقاب ليتسبب عن ذلك ألا تشركوا (قوله لكى تتقوا) بيان لحاصل المعنى واخذ بزبدة ما سبق من استعارة لعل لا حكم بانها بمعنى كى على ما مر وقوله (وتخافوا عقابه) عطف على تتقوا تفسيرا له وقوله (فلا تشبهوه بخلقه) اشارة الى معنى فلا تجعلوا لله أندادا وترتبه على ما تعلق به وفى هذا النصب تنبيه على تقصيرهم كأن المراد الراجح صار مستبعدا عنهم كالمتمنى ونظيره فى اعتبار الصورة ورعاية التنبيه قولك ان هملك همه ليتك تحدثنى فتفرج عنى بالنصب فانه ليس بمتمن حقيقة لكن أجرى عليه حكمه ونبه به على تقصيره فى التحديث (قوله أو بالذى جعل لكم اذا رفعته على الابتداء) أى جعلته مرفوعا مدحا على انه خبر لمبتدا محذوف كما سبق ذكره فيكون نهيا مترتبا على ما تتضمنه هذه الجملة أى هو الذى خصكم بدلائل التوحيد فلا تشركوا به وأما اذا نصبته على الاختصاص فلا يتأتى ترتيبه عليه اذ لا معنى لقولك أعنى الذى جعل لكم كذا وكذا فلا تشركوا وكذا الحال اذا جعل وصفا بل هو أظهر ومن حكم بانه لا يريد الرفع على المدح لانه يساوى النصب فى كونه من تتمة اعبدوا فيكون الترتيب والاستعقاب منه لا من تتمته بل أراد وجها آخر فقد خالف ظاهر كلامه والقول بان مراده ان الذى جعل مبتدأ خبره فلا تجعلوا بتقدير القول والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط مما يأباه صريح كلامه مع كونه فى نفسه ضعيفا جدا (المناوى) من ناوات الرجل مناواة ونواء اذا عاديته وأصله الهمزة وقد تترك (قوله أتيما تجعلون) الجعل ههنا بمعنى التصيير القولى والاعتقادى من قبيل وجعلوا الملائكة ومعنى (الى) منسوبا الى فهو حال من تيما وقيل من (ندا) وفيه أن ندا فى حكم خبر المبتدا فلا يكون ذا حال والنديد المثل أى لا يصلحون مثلا لذى حسب فكيف بمثلى المشهور بالاحساب (قوله وما كانوا يزعمون انها تخالف الله وتناويه) بل كانوا يجعلونها

(قلت) لما تقربوا اليها وعظموها وسموها آلهة أشبهت حالهم حال من يعتقد أنها آلهة مثله قادرة على مخالفته ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم وكما تهكم بهم بلفظ الند شنع عليهم واستفظع شأنهم بأن جعلوا أندادا كثيرة لمن لا يصح أن يكون له ند قط وفى ذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين قومه

أربا واحدا أم ألف رب * أدين اذا تقسمت الامور

وقرأ محمد بن السميفع فلا تجعلوا لله ندا (فان قلت) ما معنى (وأنتم تعلمون) (قلت) معناه وحالكم وصفتكم أنكم من صحة تمييزكم بين الصحيح والفاسد والمعرفة بدقائق الامور وغوامض الاحوال والاصابة فى التدابير والدهاء والفطنة بمنزل لا تدفعون عنه وهكذا كانت العرب خصوصا ساكنوا الحرم من قريش وكنانة لا يصطلى بنارهم فى استحكام المعرفة بالامور وحسن الاحاطة بها ومفعول تعلمون متروك كأنه قيل وأنتم من أهل العلم والمعرفة والتوابع فيه آكد أى أنتم العرافون المميزون ثم ان ما أنتم عليه فى أمر ديانتكم من جعل الاصنام لله أندادا هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل ويجوز أن يقدر وأنتم تعلمون أنه لا يماثل أو وأنتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت أو وأنتم تعلمون أنها لا تفعل مثل أفعاله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ * لما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية ويحققها ويبطل الاشراك ويهدمه وعلم الطريق الى اثبات ذلك وتصحيحه وعرفهم أن من أشرك فقد كابر عقله وغطى على ما أنعم عليه من معرفته وتمييزه عطف على ذلك ما هو الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

وأنتم تعلمون

شفعاء عنده فلا تصلح تسميتها أندادا له (قوله أشبهت حالهم) وذلك لان ما صدر عنهم من التقرب والتعظيم والتسمية المذكورة انما يليق بمن يعتقد فيها انها آلهة مثله قادرة على مخالفته ومضادته وفى ذكر مشابهة حالهم بحال المعتقدين اشارة الى أن هناك استعارة تمثيلية وليست تهكمية اصطلاحية اذ ليس فيها استعارة أحد الضدين للآخر بل أحد المتشابهين لصاحبه لكن المقصود منها التهكم بهم بتنزيلهم منزلة من أشبهت حالهم حاله وقوله (بأن جعلوا أندادا) متعلق بشنع أى شنع عليهم واستفظع شأنهم بذكرانهم جعلوا (وقط) مستعمل ههنا للمستقبل بل للزمان المستمر مجازا لانه لنفى الماضى وضعا (قوله وفى ذلك قال) أى فى المعنى المذكور الذى هو التشنيع واستفظاع الشأن ولم يرد (بالف رب) خصوص العدد بل الكثرة تنبيها على أنه اذا ترك التوحيد الثابت بالقاطع فلا فرق بين اثنين ونهاية العدد (قوله أدين) أطيع من دان له أى انقاد له وأطاعه ودين الملك والشعدين (قوله اذا تقسمت الامور) أى اذا جعل أمور الديانة أقساما وأخذ كل قسمه (قوله وحالكم وصفتكم) يشير الى أن هذه الجملة وقعت حالا من الفاعل (ولا يصطلى بنارهم) كناية عن رفعة شأنهم أى لا تنال نارهم ليصطلى بها كما أن لا يشق غباره كناية عن السبق وقيل معناه لا يطاق اصطلاؤها لغاية قوتها وشدتها وأصله فى الشجاع لا قرن له ثم عم فى كل أوحدى فى شأنه (قوله ومفعول تعلمون متروك) أى هذا الفعل منزل منزلة اللازم وقد قصد به اثبات حقيقته للفاعل فى مقام المبالغة ولهذا قال (وأنتم من أهل العلم والمعرفة) ثم قال (أى أنتم العرافون) (قوله ويجوز أن يقدر) أى يجوز أن يحمل على حذف المفعول لوجود القرينة المقالية أو الحالية فيكون حينئذ مقدرا لا متروكا ولما لم يكن تقديره على الوجه الثالث ظاهرا استشهد له بقوله (هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ) (قوله لما احتج) جوابه عطف أى أثبت الوحدانية وأبطل الشرك (وعلم الطريق الى ذلك) وهو النظر فيما يدل عليه من الانفس والآفاق أعنى خلقهم وخلق الارض والسماء وما بينهما (وعرفهم أن الاشراك مكابرة) ودفع لمقتضى العقل والمعرفة بقوله وأنتم تعلمون على الوجه الاول وعلى سائر الوجوه أيضا قال (كابر عقله) أى غالبه بالكبر وخالف مقتضاه عنادا (قوله وغطى) أى ألقى الغطاء عليه وأصله غطاه والعائد الى الموصول محذوف أى ما أنعم به عليه أو مستتر بحذف الجار واتصال الفعل وقد سلك المصنف فى تقدير بيان النبوة ما سلكه من التفصيل فى تقدير بيان الوحدانية فما هو الحجة

وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا

* قوله تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا الآية (قال محمود رحمه الله الضمير يحتمل عوده لما نزلناه الخ) قال أحمد رحمه الله ومعنى هذا الترجيح ان المتحدى عليهم فى التفسير الاوجه جملة المخاطبين أى انهم باجتماعهم ومظاهرة بعضهم بعضا عجزة عن الاتيان بطائفة منه وأما على التفسير المرجوح فهم مخاطبون بان يعينوا واحدا منهم يكون معارضا المتحدى بأنه يأتى بمثل ما أوتى به أو ببعضه ولا شك ان عجز الخلائق أجمعين أبلغ من عجز واحد منهم ويشهد لرجحان الاول قوله تعالى لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا

وما يدحض الشبهة فى كون القرآن معجزة وأراهم كيف يتعرفون أهو من عند الله كما يدعى أم هو من عند نفسه كما يدعون بارشادهم الى أن يحزروا أنفسهم ويذوقوا طباعهم وهم أبناء جنسه وأهل جلدته (فان قلت) لم قيل (مما نزلنا) على لفظ التنزيل دون الانزال (قلت) لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدى وذلك أنهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله مخالفا لما يكون من عند الناس لم ينزل هكذا نجوما سورة بعد سورة وآيات غب آيات على حسب النوازل وكفاء الحوادث وعلى سنن ما نرى عليه أهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا حينا فحينا وشيأ فشيأ حسب ما يعن لهم من الاحوال المتجددة والحاجات السانحة لا يلقى الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمى الناثر بمجموع خطبه أو رسائله ضربة فلو أنزله الله لانزله خلاف هذه العادة جملة واحدة قال الله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فقيل ان ارتبتم فى هذا الذى وقع انزاله هكذا على مهل وتدريج فهاتوا أنتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما فردا من نجومه سورة من أصغر السور أو آيات شتى مفتريات وهذه غاية التبكيت ومنتهى ازاحة العلل * وقرئ على عبادنا يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته * والسورة الطائفة من القرآن

فى اثبات نبوته عليه السلام هو القرآن (وما يدحض الشبهة فيه) عجزهم عن الاتيان بما يوازى أقصر سورة منه (وأراهم كيفية التعرف) اظهار الطريق النظر فى كون القرآن معجزا نازلا من عند الله وقوله (بارشادهم) متعلق بأراهم (قوله يحزروا) أى يقدروا من حزره قدره (قوله ويذوقوا) أى يجربوا من ذاقه جربه (قوله وأهل جلدته) أى كلهم من جلدة واحدة أى هم قوم واحد (وهو من مجازه) جمع محز من الحز بمعنى القطع فاللفظ أو المعنى اذا ورد فى موضعه اللائق به يشبه بالسيف المستعمل فى المفصل ويقال أصاب الحز أى هذا المقام من المواضع التى تناسب اعتبار التدريج فى النزول واستعمال لفظ التنزيل لمكان التحدى وذلك انهم كانوا يطعنون فى القرآن ويرتابون فيه من حيث انه كان مدرجا على قانون الخطابة والشعر ويقولون لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فقيل لهم ان ارتبتم فى هذا الذى أنزل تدريجا فهاتوا أنتم بنجم من نجومه وسورة من سوره فانه أيسر عليكم من أن تنزل الجملة دفعة واحدة ويتحدى بمجموعه فقد جعل ما اتخذوه ريبة قادحة وسيلة الى كونه حقا لا يحول حول حماه شك تقوية للتحدى وقلعا لما فى صدورهم من الشبهة وهذه غاية الالزام والتبكيت (قوله من عند الله) خبر كان و (مخالفا) خبر آخر و (هكذا) حال من فاعل لم ينزل على انه قيد للنفى لا للمنفى و (نجوما) بدل من الحال و (سورة بعد سورة) وما عطف عليه بيان النجوما و (على حسب) متعلق بمعنى نجوما أى متفرقا منجما (على حسب النوازل) أى على قدرها وعددها (والكفاء) مصدر بمعنى المكافأة أى وعلى مماثلة (الحوادث) وقد يستعمل بمعنى المكافئ وهو الذى يساوى الشئ حتى يكون مثلا له (وعلى سنن) عطف على حسب و (مفرقا) حال من الموصول أعنى ما يوجد والعامل فيها المصدر و (حينا فحينا) أى موزعا على الاحيان (قوله وشيأ فشيأ) أى متفرق الأجزا والثانى عطف على الاول وكلاهما بيان لمفرقا وقوله (حسب ما يعن) أى بقدر ما يبدو ويظهر لهم وعلى عدده وهو منصوب بنزع الخافض وسينه مفتوحة قال الجوهرى وربما يسكن فى ضرورة الشعر وروى ان نسخة المصنف كانت بسكونها قيل وهكذا حالها فى كل موضع لا يكون هناك حرف جر وقد يجعل من قبيل رجل حسبك أى محسبك وكافيك فيكون حالا وفيه ان هذا المعنى لا يناسب المقام (قوله لا يلقى الناظم) تأكيد وتقرير لقوله من وجود ما يوجد منهم الخ (فقيل) عطف على كانوا يقولون (والمهل) بالتحريك التؤدة (وهات) الشئ أعطنيه (وهلم) زيدا أحضره وقوله (أو آيات شتى مفتريات) اشارة الى ان التحدى بقدر سورة لا بخصوصها (قوله والسورة الطائفة) يريد بذلك تفسير سورة القرآن لان مطلق السورة قد يكون من الانجيل كما مر ومن سائر كتب الله كما سيأتى

المترجمة التى أقلها ثلاث آيات وواوها ان كانت أصلا فاما أن تسمى بسورة المدينة وهى حائطها لانها طائفة من القرآن محدودة محوزة على حيالها كالبلد المسور أو لانها محتوية على فنون من العلم وأجناس من الفوائد كاحتواء سورة المدينة على مافيها واما أن تسمى بالسورة التى هى الرتبة قال النابغة

ولرهط حراب وقد سورة ● فى المجد ليس غرابها بمطار

لاحد معنيين لان السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القارئ وهى أيضا فى أنفسها مترتبة طوال وأوساط وقصار أو لرفعة شأنها وجلالة محلها فى الدين وان جعلت واوها منقلبة عن همزة فلانها قطعة وطائفة من القرآن كالسؤرة التى هى البقية من الشئ والفضلة منه (فان قلت) مافائدة تفصيل القرآن وتقطيعه سورا (قلت) ليست الفائدة فى ذلك واحدة ولامر ما أنزل الله التوراة والانجيل والزبور وسائر ما أوحاه الى أنبيائه على هذا المنهاج مسورة مترجمة السور وبوب المصنفون فى كل فن كتبهم أبوابا موشحة الصدور بالتراجم ومن فوائده أن الجنس اذا انطوت تحته أنواع واشتمل على أصناف كان أحسن وأنبل وأفخم من أن يكون

والمراد (بالمترجمة) المسماة الملقبة باسم مخصوص كسورة الفاتحة وسورة الاخلاص وبه تخرج الآيات المتعددة من سورة واحدة أو سور متفرقة وتنتقض هذا التفسير بآية الكرسى وأجيب بانه مجرد اضافة لم يصل الى حد التسمية والتلقيب وأراد بقوله (اقلها ثلاث آيات) ان جنس تلك الطائفة المسماة بالسورة يتفاوت قلة وكثرة فى افرادها وغاية قلتها ثلاث آيات وبهذا ينكشف المقصود زيادة انكشاف فلا يرد ان هذا القيد يوجب أن لا يصدق التفسير على شئ من السور وبه يعلم أيضا ان تلك الآية على تقدير كونها مسماة بذلك الاسم خارجة عن السور (قوله أن تسمى بسورة المدينة وهى حائطها) الا انها تجمع على سور بسكون الواو وسورة القرآن تجمع على سور بفتحها (كالبلد المسور) أورد عليه أن هذه المشابهة تقتضى ان تسمى تلك الطائفة مسورة تشبيها لها بالبلد المسورة لا سورة تشبيها لها بحائطها كما ذكره وأجيب بأن السورة أطلقت على ذى السورة كما أطلق الحائط على المحوط ثم نقل عنه الى الطائفة المذكورة من القرآن فههنا نقل مترتب على مجاز وفى الوجه الثانى نقل فقط وقد يقال فى الاول أيضا نقل من المعنى الحقيقى الذى هو الحائط الا أنه لوحظ فيه أولا التشبيه فى المحاط فنزل الآيات والجمل التى هى من أجزاء السورة منزلة المحلات والبيوت فى البلد ولولا هذا التنزيل لم يصح هذا التشبيه وفى الثانى لوحظ التشبيه أولا فى المحيط وهو ظاهر ورد بانه مخالف لما فى تقرير الكتاب لان المعتبر فيه كون السورة محاطة أى محدودة محوزة لا كونها محيطة باجزائها بل ماذكرتم هو بعينه الوجه الثانى الا انه أبدل فيه فنون العلم وأجناس الفوائد بالآيات والجمل (وحراب) فى النسخ المعول عليها بالراء المهملة وفى بعضها بالزاى (وقد) بالدال المهملة وقد تظن بالمعجمة وهما رجلان من بنى أسد (ليس غرابها بمطار) أى هى مجد كامل ثابت يقال أرض لا يطير غرابها أى محصنة كثيرة الثمار وقيل كناية عن رفعة الشأن أى لا يصل اليه الغراب حتى يطار أى لا غراب هناك ولا اطارة أولا تصل الاشارة الى غرابها حتى يطار مع انه يطير بادنى ريبة ثم ان الرتبة ان جعلت حسية (فلان السور كمنازل يترقى فيها القارئ) ويقف عند بعضها أو لانها فى أنفسها منازل منفصل بعضها عن بعض متفاوتة فى الطول والقصر والتوسط وان جعلت معنوية (فلتفاوت رفعة شأنها وجلالة محلها فى الدين) كل واحدة منها رتبة من تلك الرتب (قوله وان جعلت واوها منقلبة عن الهمزة) فيه ضعف من حيث اللفظ اذ لم تستعمل مهموزة فى السبعة ولا فى الشاذة المنقولة فى كتاب مشهور وان أشعر به كلام الازهرى حيث قال وأكثر القراء على ترك الهمزة فى لفظ السورة ومن حيث المعنى أيضا لانها اسم تنبئ عن قلة وحقارة وأيضا استعماله فيما فضل بعد ذهاب الاكثر ولا ذهاب ههنا الا تقديرا باعتبار النظر اليها نفسها قيل فهذه ستة أوجه فتأمل (قوله واشتمل) أى الجنس على أصناف

بياناواحـدا ومنها أن القارئ اذا ختم سورة أو بابا من الكتاب ثم أخذ فى آخر كان أنشط له وأهز لعطفه
وأبعث على الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ومثله المسافر اذا علم أنه قطع ميلا أو طوى
فرسخا أو انتهى الى رأس بريد نفس ذلك منه ونشطه للسير ومن ثم جزأ القراء القرآن أسباعا وأجزاء وعشورا
وأخماسا ومنها أن الحافظ اذا حذق السورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها فاتحة
وخاتمة فيعظم عنده ماحفظه ويجل فى نفسه ويغتبط به ومنه حديث أنس رضى الله عنه كان الرجل اذا قرأ
البقرة وآل عمران جدّ فينا ومن ثمة كانت القراءة فى الصلاة بسورة تامة أفضل ومنها أن التفصيل سبب
تلاحق الاشكال والنظائر وملاءمة بعضها لبعض وبذلك تتلاحظ المعانى ويتجاوب النظم الى غير ذلك من

فأتوا بسورة من مثله

الفوائد والمنافع (من مثله) متعلق بسورة صفة لها أى بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا أو لعبدنا
ويجوز أن يتعلق بقوله فأتوا والضمير للعبد (فان قلت) وما مثله حتى يأتوا بسورة من ذلك المثل

مندرجة تحت أنواعه المنطوية فيه (قوله بياناواحدا) أى شيأ واحدا بلا فصل وتمييز وفى حديث عمر
رضى الله عنه لئن عشت الى قابل لالحقن آخر الناس بأولهم حتى يكونوا بياناواحدا وكأن هذه الكلمة
عبانية على وزن فعلان أو فعال والضميران فى (كان ومنه) راجعان الى حال القارئ أى كان حاله على هذا
وهو الختم ثم الاخذ أكثر تنشيطا له منه أى من حاله لو استمر وقيل هما للقارئ أى كان هو على تقدير الختم
ثم الاخذ أشد تنشيطا لنفسه منه على تقدير الاستمرار أو أشد نشاطا للاخذ فى الآخر لكن لا يلائمه ان عطف
عليه (أهز لعطفه وأبعث على الدرس) وقيل هما للختم وليس بشئ اذ لاختم على تقدير الاستمرار وقيل للقراءة
المستفادة من القارئ والتذكير بتأويل أن يقرأ أى كان قراءته أنشط له من قراءته لو استمر (والبريد)
معرب بريده دم وهو فى الاصل البغل الذى كان يحذف ذنبه ويرتب فى السكة وهى الموضع الذى يسكنه
الفيوج المرتبون ثم أطلق على المسافة التى بين السكتين وهى فرسخان (قوله نفس ذلك منه) أى فرج
عنه بعض الكربة (قوله حذق السورة) أتمها وقطعها من حذق السكين الشئ قطعه (قوله جد فينا)
عظم فى أعيننا وكون (التفصيل سبب تلاحق الاشكال) من حيث انه يورد فى كل منها الامور المتلائمة
فتتلاحظ حينئذ المعانى (قوله ويتجاوب) أطراف (النظم) وجوانبه (الى غير ذلك من الفوائد والمنافع)
منها مايتصور فى الكتاب من أمثال مايذكر فى القارئ والحافظ ومنها ان تلك السور مختلفة المقادير
فهى كأنواع من جواهر نفيسة متفاوتة الاحجام وفى ذلك نوع زينة يخلو عنه ماليس كذلك (قوله والضمير
لما نزلنا أو لعبدنا) فعلى الاول تكون من بيانية لان السورة المفروضة التى تعلق بها الامر التعجيزى
مثل المنزل فى حسن النظم وغرابة الشأن فالعجز عن الاتيان بالمثل الذى هو المأتى به وان جعلت تبعيضية
أوهمت ان للمنزل مثلا عجزوا عن الاتيان ببعضه كأنه قيل فأتوا ببعض ماهو مثل للمنزل فالمماثلة المصرح بها
ليست من تتمة المعجوز عنه حتى يفهم انها منشأ العجز وعلى الثانى تكون من ابتدائية فان السورة مبتدأة
ناشئة من مثل العبد (قوله ويجوز أن يتعلق بقوله فأتوا والضمير للعبد) أورد عليه انه لم لايجوز أن يكون
الضمير حينئذ لما نزلنا أيضا كما جاز ذلك على تقدير كون الظرف صفة للسورة وأجيب بوجهين الاول
ان فأتوا أمر قصد به تعجيزهم باعتبار المأتى به فلو تعلق به قوله من مثله وكان الضمير للمنزل تبادر منه ان له
مثلا محققا وان عجزهم انما هو عن الاتيان بشئ منه على قياس ما أوخذناه آنفا وهو فاسد بخلاف
ما اذا رجع الضمير الى العبد فان له مثلا فى البشرية والعربية والامية فلا محذور الثانى ان كلمة من على
هذا التقدير ليست بيانية اذ لامبهم هناك وأيضا هى مستقر أبدا فلا تتعلق بالامر لغوا ولا تبعيضية والا كان
الفعل واقعا عليه حقيقة كما فى قولك أخذت من الدراهم ولا معنى لاتيان البعض بل المقصود الاتيان
بالبعض ولا مجال لتقدير الباء مع وجود من كيف وقد صرح بالمأتى به أعنى بسورة فتعين أن تكون ابتدائية
وحينئذ يجب كون الضمير للعبد لان جعل المتكلم مبدأ للاتيان بالكلام منه معنى حسن مقبول

وادعوا شهداءكم

(قلت) معناه فأتوا بسورة مما هو على صفته فى البيان الغريب وعلو الطبقة فى حسن النظم أو فأتوا ممن هو على حاله من كونه بشرا عربيا أو أميا لم يقرأ الكتب ولم يأخذ من العلماء ولا قصد الى مثل ونظير هنالك ولكنه نحو قول القبعثرى للحجاج وقد قال له لاحملنك على الادهم مثل الامير حمل على الادهم والاشهب أراد من كان على صفة الامير من السلطان والقدرة وبسطة اليد ولم يقصد أحدا يجعله مثلا للحجاج ورد الضمير الى المنزل أوجه لقوله تعالى فأتوا بسورة مثله فأتوا بعشر سور مثله على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولان القرآن جدير بسلامة الترتيب والوقوع على أصح الاساليب والكلام مع رد الضمير الى المنزل أحسن ترتيبا وذلك أن الحديث فى المنزل لا فى المنزل عليه وهو مسوق اليه ومربوط به فحقه أن لا يفك عنه برد الضمير الى غيره ألا ترى أن المعنى وان ارتبتم فى أن القرآن منزل من عند الله فهاتوا أنتم نبذا مما يماثله ويجانسه وقضية الترتيب لو كان الضمير مردودا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال وان ارتبتم فى أن محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا من مثله ولانهم اذا خوطبوا جميعا وهم الجم الغفير بأن يأتوا بطائفة يسيرة من جنس ما أتى به واحد منهم كان أبلغ فى التحدى من أن يقال لهم ليأت واحد آخر بنحو ما أتى به هذا الواحد ولان هذا التفسير هو الملائم لقوله (وادعوا شهداءكم)

بخلاف جعل الكلام مبدأ للاتيان بما هو بعض منه ألا ترى انك اذا قلت ائت من زيد بشعر كان القصد الى معنى الابتداء أعنى ابتداء الاتيان بذلك الشعر من زيد مستحسنا فيه بخلاف ما اذا قلت ائت من الدراهم بدرهم فانه لا يحسن فيه قصد الابتداء ولا ترتضيه فطرة سليمة وان فرض صحة ما قيل فى النحو من ان جميع معانيها راجعة اليه ولا نعنى بالمبدا الفاعل ليتوجه ان المتكلم مبدأ الكلام نفسه لا للاتيان بالكلام منه بل ما يعد عرفا مبدأ من حيث يعتبر انه اتصل به أمر له امتداد حقيقة أو توهما (قوله معناه فأتوا بسورة مما هو على صفته) الظاهر ان من هذه بيانية لتكون المماثلة صفة للمأتى به أعنى السورة لا تبعيضية كما سلف تقريره (قوله ولا قصد الى مثل ونظير) أى لم يقصد هنالك الى مثل محقق معين كما يقال اتقى بفتوى من مثل أبى حنيفة ويراد أبو يوسف بل قصد بالمثل اما كون السورة المأتى بها فرضا مماثلة للمنزل فى غرابة البيان وعلو الشان واما كون من يأتى بها مثل محمد فى كونه بشرا عربيا أو أميا لم يقرأ ولم يأخذ من العلماء ومثله صلى الله عليه وآله فيما ذكر وان كان موجودا محققا الا انه لم يقصد به واحد بعينه بل قصد به من هو على صفته أيا ما كان وانما جعل ما نحن فيه مثل قول القبعثرى فى انه لم يقصد به الى معين موصوف بانه مثل له لا فى ان لفظ مثل هنالك مقحم أو كناية اذ لا مجال لشئ منهما فى الآية أراد الحجاج بالادهم القيد وحمله الخارجى على الفرس الذى فى لونه سواد ونبه على ذلك بعطف الاشهب عليه وهو الذى خالط لونه بياض فأبرز وعيده فى معرض الوعد وروى انه قال انه لحديد فقال لان يكون حديدا خير من ان يكون بليدا فحمل الحديد أيضا على خلاف ما أراده فسحره بحسن الكلام حتى اختار الانعام على الانتقام (قوله ورد الضمير الى المنزل أوجه) لما ذكره من الوجوه الاربعة الاول الموافقة مع النظائر لان المماثل فيها صفة للمأتى به فكذا ههنا اذا جعل الظرف صفة للسورة والضمير عائد الى المنزل ومن بيانية كما عرفت الثانى المحافظة على حسن الترتيب أعنى ربط آخر الكلام باوله فان ترتب الجزاء ههنا على شرطه انما يحسن كل الحسن اذا كان الضمير للمنزل فانه الذى سبق له الكلام أولا وفرض فيه الارتياب قصدا واما ذكر العبد فقد وقع تبعا وصح بذلك رجوع الضمير اليه فى الجملة ولو كان الكلام مسوقا له كما ذكره كان عود الضمير اليه أولى على عكس ما فى التنزيل وأيضا فى عود الضمير الى العبد ترك التصريح بان السورة المأتى بها ينبغى ان تماثل المنزل نظما وأسلوبا مع ان ذلك هو العمدة فى التحدى نعم يفهم هذا من مساق الكلام بمعونة المقام ولذا قال بنحو ما أتى به هذا الواحد الثالث المبالغة فى التحدى كما قررها الرابع الملاءمة لقوله وادعوا اما اذا أريد به دعاء الشهداء للاستعانة بهم فى المعارضة اما حقيقة كما فى الوجه

والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة * ومعنى دون أدنى مكان من الشئ ومنه الشئ الدون وهو الدنى الحقير ودوّن الكتب اذا جمعها لان جمع الاشياء ادناء بعضها من بعض وتقليل المسافة بينها يقال هذا دون ذاك اذا كان أحط منه قليلا ودونك هذا أصله خذه من دونك أى من أدنى مكان منك فاختصر واستعير للتفاوت فى الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو فى الشرف والعلم ومنه قول من قال لعدوه وقد رآه بالثناء عليه أنا دون هذا وفوق ما فى نفسك واتسع فيه فاستعمل فى كل تجاوز حد الى حد وتخطى حكم الى حكم قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أى لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال أمية * يا نفس مالك دون الله من واق * أى اذا تجاوزت وقاية الله ولم تناليها لم يقك غيره

الاخير من الوجوه الستة الآتية واما تمكنا كما فى الوجهين الاولين فلانه انما يلائم الامر بالاتيان بسورة من مثل القرآن لا الامر بالاتيان بسورة من واحد عربى اذ لا معنى للاستمداد بطائفة فيما هو فعل واحد كيف ولو استعين بالشهداء فى ذلك لم يكن المأتى به ما كان مطلوبا منهم وأما اذا أريد دعاؤهم ليشهدوا لهم بان ما يدعونه حق كما فى الوجوه الباقية فلأن اضافة الشهداء اليهم انما تقع موقعها اذا كان الاتيان بالمثل منهم لا من واحد والا كانوا شهداء له فحقهم ان يضافوا اليه وان كان للاضافة اليهم وجه صحة وأيضا رجوع الضمير الى العبد ربما أوهم ان دعاء الشهداء ليشهدوا بان ذلك الواحد مثل له لا بأن ما أتى به مثل للمنزل وهذا الايهام يخل بمتانة المعنى وفخامته ولما ترجح عود الضمير الى المنزل بهذه الوجوه ترجح بها أيضا كون الظرف صفة للسورة لانه اذا تعلق بفأتوا عاد الضمير الى العبد وحده كما حققته ثم الظاهر فى العبارة انه اذا قصد اتيان مثل العبد بسورة ان يقال فليأت واحد آخر مثله بسورة لكنه عدل الى أمرهم بان يأتوا من ذلك الواحد بسورة ترغيبا لهم فى طلب ذلك الواحد وحثهم اياه على ذلك وتهيئتهم له ما يحتاج اليه من أسبابه ووسائله وفيه من المبالغة ما ليس فى أمر واحد غير معين بذلك الاتيان (قوله جمع شهيد بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة) فى الصحاح الشهادة الخبر القاطع تقول منه شهد الرجل على كذا وشهد له بكذا أى أدى ما عنده من الشهادة فهو شاهد ويقال شهده شهودا أى حضره فهو شاهد والشهيد الشاهد (قوله ومعنى دون) هو فى أصله للتفاوت فى الامكنة يقال لمن هو انزل مكانا من الآخر هو دون ذلك فهو ظرف مكان مثل عند الا انه ينبئ عن دنو أكثر وانحطاط قليل فاشار الى الثانى بقوله (اذا كان أحط منه قليلا) يعنى فى المكان والى الاول بقوله (أدنى مكان من الشئ) ونبه به أيضا على ان دون يشتمل على معنى الدنو لتوافقهما فى الحروف الاصول وان تخالفا فى ترتيبها وليس أحدهما مقلوبا للآخر لاستوائهما فى التصرف وكذلك جميع ما أخذ منه يشتمل على معنى الدنو كدوّن الكتب وكالدون بمعنى الحقير فان الدنو شاع استعماله فى الحقارة وأما الدنى فليس مأخوذا من شئ منهما لانه مهموز الاصل من الدناءة وقوله (يقال هذا دون ذاك) بيان لاستعمال دون بمعنى أدنى مكان أعنى المعنى الحقيقى الاصلى وقيل هو اشارة الى انه يستعمل فى انحطاط محسوس لا يكون فى ظرف كقصر القامة مثلا فهذا أول توسع فيه ثم استعير منه للتفاوت فى المراتب المعنوية تشبيها بالمراتب المحسوسة وشاع استعماله فيها أكثر من استعماله فى الاصل ثم اتسع فى هذا المستعار (فاستعمل فى كل تجاوز حد الى حد) وان لم يكن هناك تفاوت وانحطاط فهو فى هذا المعنى مجاز فى المرتبة الثانية على ما وجهناه وفى المرتبة الثالثة على هذا القول وبالجملة هو بهذا المعنى قريب من ان يكون بمعنى غير كأنه أداة استثناء وقوله (واستعير) عطف على قوله ومعنى دون أدنى مكان من الشئ أو على يقال هذا دون ذاك لا على قوله فاختصر (قوله واتسع) عطف على واستعير قول من قال هو على رضى الله عنه قاله لمن مدحه فى وجهه نفاقا والمراآت من الرياء (والولاية) بالفتح مصدر الولى وبالكسر مصدر الوالى (قوله يا نفس) آخره * ولا للسع بنات الدهر من راق * أراد بنات الدهر حوادثه المتولدة منه وقوله (أى لا يتجاوزوا) واذا تجاوزت بيان لحاصل المعنى فان دون فى الموضعين ظرف مستقر وقع حالا (قوله

و (من دون الله) متعلق بادعوا او بشهداءكم فان علقته بشهداءكم فمعناه ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم أنهم يشهدون لكم يوم القيامة أنكم على الحق أو ادعوا الذين يشهدون لكم بين يدى الله من قول الاعشى * تريك القذى من دونها وهى دونه * أى تريك القذى قدامها وهى قدام القذى لرقتها وصفائها وفى أمرهم أن يستظهروا بالجماد الذى لا ينطق فى معارضة القرآن المعجز بفصاحته غاية التهكم بهم أو ادعوا شهداءكم من دون الله أى من دون أوليائه ومن غير المؤمنين ليشهدوا لكم أنكم أتيتم بمثله وهذا من المساهلة وارخاء العنان والاشعار بأن شهداءهم وهم مدارة القوم الذى هم وجوه المشاهد وفرسان المقاولة والمناقلة تأبى عليهم الطباع وتجمع بهم الانسانية والانفة أن يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة الفاسد البين عندهم فساده واستقامة المحال الجلى فى عقولهم احالته وتعليقه بالادعاء فى هذا الوجه جائز

ومن دون الله متعلق بادعوا) ذكر وجوها ستة فى ثلاثة منها يتعلق من دون الله بشهداءكم وفى ثلاثة أخرى يتعلق بادعوا اما الثلاثة الاولى ففى الاولين منها أريد بالشهداء الاصنام أى ادعوها للاستعانة بها والامر فيه للتهكم بهم حيث أمروا بأن يستظهروا بالجماد فى معارضة القرآن الذى أخرس بفصاحته كل منطيق وانما عبر عن الاصنام بالشهداء ترشيحا لمعنى التهكم بتذكير ما اعتقدوه من أنها من الله بمكان وانها تنفعهم بشهادتها لهم انهم على الحق كأنه قيل هؤلاء عمدتكم وملاذكم فادعوها لهذه العظيمة التى دهمتكم والفرق بينهما ان دون على الوجه الثانى مستعمل بمعنى قدام الشىء وبين يديه مستعارا من معناه الحقيق الذى يناسبه بمعنى أدنى مكان من الشىء وهو ظرف لغو معمول لشهداء اذ تكفيه رائحة الفعل فلا حاجة الى اعتماد ولا الى تقدير ليشهدوا أى ادعوا الذين يشهدون لكم بين يدى الله وكلمة من ههنا تبعيضية لما سيأتى فى الاعراف من انهم قالوا اجلس بين يديه وخلفه بمعنى فى لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل يقع فى بعض الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل وقد يقال كلمة من الداخلة على دون فى جميع مواضعها بمعنى فى كما فى سائر الظروف غير المتصرفة أى التى تكون منصوبة على الظرفية ولا تجر الا بمن خاصة وعلى الوجه الاول هو مستعمل بمعنى التجاوز على انه ظرف مستقر وقع حالا والعامل فيها كما صرحت به عبارته مادل عليه شهداءكم أى الذين اتخذتموهم آلهة متجاوزين الله فى اتخاذها كذلك وزعمتم انهم شهداؤكم يوم القيامة وكلمة من حينئذ للابتداء فان الاتخاذ ابتداء من التجاوز وما توهم من ان المعنى ادعوا أصنامكم الذين تزعمون انهم يشهدون يوم لقيامة لا الله فلا يخفى فساده وفى الوجه الثالث منها أريد بالشهداء مدارة القوم ورؤساء البلاغة أى ادعوهم ليشهدوا لكم ان ما أتيتم به مثل القرآن وانما قدر المضاف الى الله تعالى على هذا الوجه رعاية للمقابلة فان أولياء الله يقابلون أولياء الاصنام كما ان ذكر الله يقابل ذكر الاصنام والمقصود بهذا الامر ارخاء العنان والاستدراج الى غاية التبكيت أى تركنا الزامكم بشهداء لا ميل لهم الى أحد الجانبين كما هو العادة واكتفينا بشهدائكم المعروفين بالذب عنكم فى مهماتكم فانهم أيضا لا يشهدون لكم وفيه ان الامر فى الاعجاز قد بلغ من الظهور ما لا يمكن معه الاخفاء والظرف مستقر أى الذين يشهدون لكم متجاوزين فى ذلك أولياء الله ومن ابتدائية ويحصله شهداء مغايرين أوليائه (قوله وتعليقه بالدعاء فى هذا الوجه) أى اذا حمل الشهداء على المدارة وقدر ذلك المضاف جاز أن يكون من دون الله متعلقا بادعوا وهذا هو الوجه الاول من الثلاثة الاخيرة والمعنى ادعوا أولياءكم متجاوزين فى الدعاء أولياء الله فانهم لا يشهدون لكم وان شهدوا عليكم لرعاية الحق صدوركم ريبة فالظرف مستقر ومن للابتداء والامر للارخاء وانما لم يجوز تعلقه بالدعاء فى الوجهين الاولين لفساد المعنى فان الامر بدعاء الاصنام لا يكون التهكم ولو قيل ادعوا الاصنام ولا تدعوا الله تعالى ولا تستظهروا به فانه القادر عليه لانقلب الامر من التهكم الى الامتحان ليتبين العجز فان اخراج الله عن الدعاء لا مدخل له فى التهكم أصلا وكذا لا معنى لان يقال ادعوها بين يدى الله أى فى القيامة للاستظهار بها فى المعارضة التى هى فى الدنيا ولم يجوز أيضا كون الشهيد بمعنى الحاضر اذا كان الجار والمجرور متعلقا بالشهداء اما على الثانى

من دون الله ان كنتم صادقين

وان علقته بالدعاء فمعناه ادعوا من دون الله شهداءكم يعنى لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا الله يشهد أن ما ندعيه حق كما يقوله العاجز عن اقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء من الناس الذين شهادتهم بينة تصحح بها الدعاوى عند الحكام وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم وانخزالهم وان الحجة قد بهرتهم ولم تبق لهم متشبثا غير قولهم الله يشهد انا صادقون وقولهم هذا تسجيل منهم على أنفسهم بتناهى العجز وسقوط القدرة وعن بعض العرب أنه سئل عن نسبه فقال قرشى والحمد لله فقيل له قولك الحمد لله فى هذا المقام ريبة أوادعوا من دون الله شهداءكم يعنى أن الله شاهدكم لانه أقرب اليكم من حبل الوريد وهو بينكم وبين أعناق رواحلكم والجن والانس شاهدوكم فادعوا كل من يشهدكم واستظهروا به من الجن والانس الا الله تعالى لانه القادر وحده على أن يأتى بمثله دون كل شاهد من شهدائكم فهو فى معنى قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن الآية * لما أرشدهم الى الجهة التى منها يتعرفون أمر النبى صلى الله عليه وسلم وما جاء به حتى يعثروا على حقيقته وسره وامتياز حقه من باطله قال لهم فاذا لم تعارضوه ولم يتسهل لكم ما تبغون وبان لكم أنه معجوز عنه فقد صرح الحق عن محضه ووجب التصديق فآمنوا وخافوا العذاب المعد لمن كذب

فاذا لا معنى لقولك ادعوا من يحضركم بين يدى الله واما على الاول والثالث فلانه تعالى والمؤمنين حاضرون فلا يصح اخراجهم عن حكم الحضور (قوله وان علقته بالدعاء) هذا هو الوجه الثانى من الثلاثة الاخيرة (اى ادعوا شهداءكم) من الناس فحصحوا بهم دعواكم متجاوزين الله تعالى فى الدعاء اى لا تدعوه (ولا تستشهدوا به) أى لا تقتصروا على ان تقولوا (الله يشهد بانا صادقون) فيما ادعيناه (كما يقوله العاجز عن اقامة البينة) والامر حينئذ لبيان انقطاعهم بالكلية وانه لم يبق لهم متشبث سوى الاستشهاد به تعالى (قوله أوادعوا) هذا هو الوجه السادس والارجح الذى يشهد له قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن الآية أى ادعوا كل من يحضركم الا الله لانه القادر عليه والامر فيه لتعجيزهم وارشادهم الى ما يستيقنون به معجزته بلا ريبة ومن فى هذين الوجهين ابتدائية أيضا (قوله ترى لك القذى) آخره * اذا ذاقها من ذاقها يتمطق * يصف الزجاجة بغاية الصفاء وانها ترى لك القذى قدامها والحال انها قدام القذى والضمير فى ذاقها لها باعتبار ما فيها على قياس قولك شربت كاسا يقال ذاق فتمطق أى ضم شفتيه والصق لسانه بالحنك الاعلى مع صوت والمداره جمع مدره وهو لسان القوم والمتكلم عنهم وأصله مدرئ لانه لفصاحته يدرؤ الخصم والمشاهد مواضع الحضور جمع مشهد وناقلته الحديث اذا حدثته وحدثك وناقل الشاعر اذا ناقضه والانفة الاستنكاف انخزل الشئ انقطع وقوله وهو بينكم وبين أعناق رواحلكم مأخوذ من قوله عليه السلام من حديث طويل والذى تدعونه أقرب الى أحدكم من عنق راحلته وهو مثل فى القرب (قوله لما أرشدهم الى الجهة) أى الى الطريقة (التى منها يتعرفون) أى يتطلبون المعرفة حتى يصلوا اليها (قوله وما جاء به) عطف على النبى من قبيل أعجبنى زيد وكرمه أى يتعرفون أمر ما جاء به (قوله وامتياز حقه من باطله) أى امتياز كونه حقا من كونه باطلا وقيل المراد بباطله الباطل الذى ينسبه اليه الكفرة من كونه شاعرا أو ساحرا أو مجنونا فلا يرد ان أمره فيما جاء به حق كله فلا معنى لباطله والصحيح ان قوله (قال لهم الخ) بيان لمآل المعنى وتنبيه على ان فاتقوا النار كما سيصرح به كناية عن التصديق وترك العناد وقد يتوهم ان مراده ان الله سبحانه رتب على ذلك الارشاد كلمة لها شرطيتين احداهما محذوفة الجزاء والاخرى محذوفة الشرط فقوله (فاذا لم تعارضوه) الى قوله (معجوز عنه) اشارة الى معنى قوله فان لم تفعلوا وقوله فقد صرح الحق عن محضه أى انكشف عن خالصه جواب لهذا الشرط محذوف وقوله (فآمنوا وخافوا) اشارة الى معنى قوله فاتقوا وهو جزء الشرط مقدر أى واذا صرح عن محضه فآمنوا وقد أظهر معنى هذا المقدر حيث قال واذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد استوجبوا العقاب بالنار وليس بشئ لان فاتقوا جواب فان لم تفعلوا كما دل عليه قوله فيما بعد ما معنى اشتراطه فى اتقاء النار انتفاء اتيانهم بسورة من مثله وفى قوله فاذا لم تعارضوه وما عطف عليه

وفيه دليلان على اثبات النبوة صحة كون المتحدى به معجزا والاخبار بأنهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه الا الله (فان قلت) انتفاء اتيانهم بالسورة واجب فهلا جيء باذا الذي للوجوب دون ان الذي للشك (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يساق القول معهم على حسب حسبانهم وطمعهم وأن العجز عن المعارضة كان قبل التأمل كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم واقتدارهم على الكلام والثاني أن يتهكم بهم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاويه ان غلبتك لم أبق عليك وهو يعلم أنه غالبه ويتيقنه تهكما به (فان قلت) لم عبر عن الاتيان بالفعل وأي فائدة في تركه اليه (قلت) لانه فعل من الافعال تقول أتيت فلانا فيقال لك نعم ما فعلت والفائدة فيه أنه جار مجرى الكناية التي تعطيك اختصارا ووجازة تغنيك عن طول المكنى عنه ألا ترى أن الرجل يقول ضربت زيدا في موضع كذا على صفة كذا وشتمته ونكلت به وبعد كيفيات وأفعالا فتقول له بئسما فعلت ولو ذكرت

ايماء الى ان كلمة ان في الآية وقعت موقع اذا الماضي مع أنها للاستمرار دون مجرد الاستقبال (وفيه) أي وفي قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا (دليلان على اثبات النبوة صحة كون المتحدى به معجزا والاخبار) اعترض على الاول بان عجز طائفة مخصوصة لا تدل على اعجازه وأجيب بان تلك الطائفة مع تكاثر عددهم وتهالكهم على المغالبة كانوا في غاية البلاغة ونهاية الفصاحة فلما عجزوا عن ذلك علم عادة انه معجوز عنه أبد الدهر اذ لا يتصور زيادة على ما كانوا عليه من عدد المعارضة وأسبابها وعلى الثاني بان صدق الاخبار انما يعلم بعد انقراض الاعصار كلها وأجيب بانه خطاب مشافهة فيختص بالموجودين فاذا انقرضوا ولم يفعلوا تبين صدقه وكان معجزة وكذا قبل انقراضهم للقطع بان قدرتهم لا تزيد بعد ذلك الزمان الذي تحدوا فيه (قوله على حسب حسبانهم) حيث قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا وقوله (وان العجز) عطف على (حسبانهم) وانما جعل العجز شبيها بما يشك فيه لا مشكوكا فيه لان قوله فان لم تفعلوا ورد عقيب وان كنتم في ريب مثل أن يتأملوا في حالهم أيقدرون على مثله أم لا فلا يكون هناك شك حقيقة اذ لا يتصور حصوله الا بعد حضور طرفي النسبة والتأمل فيهما لكنهم لما كانوا متكلمين على فصاحتهم واقتدارهم على افانين الكلام كان عجزهم بالقياس الى ظاهر حالهم كالمشكوك فيه لديهم وفي ذلك رمز الى انهم لو تأملوا لم يشكوا فيه بل قطعوا به (قوله يقاويه) أي يغالبه في القوة يقال (ابق عليه) اذا رحمه وهي البقياء والبقوى وقوله تهكما به تعليل ليقول والضميران يقاويه وتوجيه التهكم انه أبرزه في معرض من يشك هو في الغلبة عليه مع ظهور بطلانه فقد وصفه بالقوة استهزاء به (قوله لم عبر) فيه سؤالان أي لماذا صح أن يعبر عن الاتيان بالفعل وأي فائدة في ترك لفظه الى لفظ الفعل والجواب ان وجه الصحة هو ان الاتيان فعل من الافعال وان الفائدة ايجاز القصر حيث وقع الفعل وحده موقع الاتيان مع ما يتعلق به كما صوره واما قوله جار مجرى الكناية فقد قيل أراد بالكناية الضمير فانه يسمى بها لخفائه في دلالته على ما أريد به ومعنى جريانه مجراها أنه اذا ذكر شيء أولا ثم أريد اعادته فحقه أن يعبر عنه بالضمير الذي مبناه على الاختصار ودفع التكرار لكن التعبير عن الشيء بالضمير مختص بالاسماء فلما قصد ههنا اعادة فعل مخصوص عبر عنه بالفعل الذي أفاد الاختصار ودفع التكرار فهو في الافعال بمنزلة الضمير في الاسماء وقيل أراد بها ما يقابل المجاز في علم البيان اذ قد أطلق ههنا اللازم أعني الفعل وأريد به الملزوم أعني الاتيان بالسورة وأورد عليه انه حينئذ كناية لا جار مجراها واعتذر بان الملازمة ليست متساوية لان الفعل أعم مطلقا وحصول الانتقال منه بمعونة المقام فلذلك حكم بجريانه مجراها وفيه انه لا يقدح في كونه كناية حقيقة كما اذا جعل الفعل مطلقا كناية عنه مقيدا بمفعول مخصوص وأيضا قوله يغنيك عن طول المكنى عنه يؤيد الوجه الاول اذ ليس مبنى هذه الكناية على الوجازة الا أن يقال المراد بها المعنيان معا ثم انه أوضح وجود الاختصار فيما اذا ذكر افعال متعددة مقيدة بكيفيات وقيود مخصوصة وعقبه بايضاحه فيما نحن فيه فان قيل جاز أن يحذف متعلق الاتيان اذ يجعل هو مطلقا كناية عنه مقيدا بما تعلق به فلا استطالة ودفع

ما أنبته عنه لطال عليك وكذلك لو لم يعدل عن لفظ الاتيان الى لفظ الفعل لاستطيل ان يقال فان لم تأتوا بسورة من مثله ولن تأتوا بسورة من مثله (فان قلت) (ولن تفعلوا) ما محلها (قلت) لا محل لها لانها جملة اعتراضية (فان قلت) ما حقيقة لن في باب النفي (قلت) لا ولن أختان في نفي المستقبل الا أن في لن توكيدا وتشديدا تقول لصاحبك لا أقيم غدا فان أنكر عليك قلت لن أقيم غدا كما تفعل في أنا مقيم واني مقيم وهي عند الخليل في احدى الروايتين عنه أصلها لا أن وعند الفراء لا أبدلت ألفها نونا وعند سيبويه واحدى الروايتين عن الخليل حرف مقتضب لتأكيد نفي المستقبل (فان قلت) من أين لك أنه اخبار بالغيب على ما هو به حتى يكون معجزة (قلت) لانهم لو عارضوه بشيء لم يمتنع أن يتواصفه الناس ويتناقلوه اذ خفاء مثله فيما عليه مبنى العادة محال لاسيما والطاعنون فيه أكثف عددا من الذابين عنه فحين لم ينقل علم أنه اخبار بالغيب على ما هو به فكان معجزة (فان قلت) ما معنى اشتراطه في اتقاء النار انتفاء اتيانهم بسورة من مثله (قلت) انهم اذا لم يأتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد ولم ينقادوا ولم يشايعوا استوجبوا العقاب بالنار فقيل لهم ان استبنتم العجز فاتركوا العناد فوضع (فاتقوا النار) موضعه لان اتقاء النار لصيقه وضميمه ترك العناد من حيث انه من نتائجه لان من اتقى النار ترك المعاندة ونظيره أن يقول الملك لحشمه ان أردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطي يريد فأطيعوني واتبعوا أمري وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط

الاول بان ايجاز القصر أبلغ والثاني بان الاحتراز عن التكرار أولى (قوله ما أنبته عنه) أي جعلته نائبا عنه مأخوذ من ناب مناب أي قام مقامه وفي الاساس أنبته منابي واستنبته والمشهور في كتب اللغة أناب اليه بمعنى أقبل عليه والجملة الاعتراضية لا محل لها من الاعراب لعدم وقوعها موقع ما تستحقه من المفردات والواو الداخلة عليها تسمى واو الاعتراضية ليست حالية ولا عاطفة وقد تدخل عليها الفاء اعتراضية أيضا (قوله فان أنكر) أي أنكر (عليك) اخبارك بعدم الاقامة وادعى انك كاذب فيه (فان) لدفع الانكار وفي قوله (كما تفعل في انا مقيم واني مقيم) دلالة على ان الثاني كلام مع المنكر لا السائل كما يتوهم وان جاز استعماله معه (قوله لا ان) فحذفت الهمزة لكثرة الاستعمال وسقطت الالف للساكنين وقد استعمل نادرا كما في قوله

يرجى المرء ما لا ان يلاقي * وتعرض دون أقربه خطوب

مقتضب أي مرتجل غير مأخوذ من شيء (قوله من اين لك) اي من أين علمت ان القرآن لم يعارض حتى تعلم ان قوله ولن تفعلوا (اخبار بالغيب على ما هو به فيكون معجزة) ولا يخفى ان ورود هذا السؤال على اعجاز القرآن أظهر والجواب (انه لو عورض بشيء لم يمتنع) أي لم ينتف (ان يتواصفه الناس) بل وجب ذلك لتوفر الدواعي (فحين لم ينقل علم) بعد انقراض عصر المخاطبين ثبوت الاعجاز وصحة الاخبار به وقد سبق منا تتمة الكلام في العلم بما قبل انقراضه أيضا فتذكر (قوله ما معنى اشتراطه) وجه ذلك بان اتقاء النار واجب مطلقا لا يتوقف على شرط ولا يتقيد بامر فما معنى تعليقه بانتفاء اتيانهم بسورة من مثله وقد يوجه بأن الشرط حقه أن يكون سببا للجزاء وملزوما له وتقرير الجواب ان اتقاء النار ههنا وقع كناية عن ترك العناد وانكار النبوة ولا خفاء في كونه مشروطا بعدم الاتيان بالسورة واستبانة العجز عنه وكونه مسببا ولازما له وقوله انهم اذا لم يأتوا الى ساقته ليس اشارة كما يتوهم الى ان هناك شرطيتين على ما مر تقريره كيف وسبب السبب سبب يربط به المسبب بلا حذف واضمار بل بيان لحاصل المعنى واظهار لوجه الارتباط والسببية يرشدك الى ذلك قوله فقيل لهم ان استبنتم العجز فاتركوا العناد (قوله من حيث انه) أي ترك العناد (من نتائجه) أي نتائج اتقاء النار ولوازمه وقد أورد عليه انه اذا كان ترك العناد لازما كان اطلاق الاتقاء عليه تعبيرا بالملزوم عن اللازم فيكون مجازا لا كناية لابتنائها على عكس ذلك كما صرح به في المفتاح وأجيب بان معيار الفرق بينهما عند المصنف منافاة ارادة المعنى الحقيقي وعدمها كما ستعرفه في مواضع من كتابه هذا وما اختاره السكاكي غير معمول عليه ألا ترى أنه قد اضطر الى ان المجاز قد يكون

فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي

قوله تعالى فاتقوا النار التي وقودها الناس الآية (قال محمود رحمه الله هذه الآية نزلت بالمدينة بعد نزول آية التحريم بمكة الخ) قال أحمد رحمه الله يعني بالآية قوله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة لكني لم أقف على خلاف بين المفسرين ان سورة التحريم مدنية وما اشتملت عليه من القصة المشهورة أصدق شاهد على ذلك فالظاهر ان الزمخشري وهم في نقله أنها مكية

وهو من باب الكناية التى هى شعبة من شعب البلاغة وفائدته الايجاز الذى هو من حلية القرآن وتهويل شأن العناد بانابة اتقاء النار منابه وابرازه فى صورته مشيعا ذلك بتهويل صفة النار وتفظيع أمرها * والوقود ما ترفع به النار وأما المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح قال سيبويه وسمعنا من العرب من يقول وقدت النار وقودا عاليا ثم قال والوقود أكثر والوقود الحطب وقرأ عيسى بن عمر الهمدانى بالضم تسمية بالمصدر كما يقال فلان فخر قومه وزين بلده ويجوز أن يكون مثل قولك حياة المصباح السليط أى ليست حياته الا به فكأن نفس السليط حياته (فان قلت) صلة الذى والتى يجب أن تكون قصة معلومة للمخاطب فكيف علم أولئك أن نار الآخرة توقد بالناس والحجارة (قلت) لا يمتنع أن يتقدم لهم بذلك سماع من أهل

اطلاق اللازم على الملزوم كما فى أمطرت السماء نباتا أى غيثا وقد يكون باطلاق الملزوم على اللازم نحو رعينا الغيث لكنه ادعى ان ذلك انما كثر فى اللازم المساوى فيرجع بالآخرة الى اطلاق الملزوم على اللازم وهذا مع كونه تكلفا مستغنى عنه جار فى الكناية اذ لا يتصور الانتقال من اللازم الاعم ما لم يصر مساويا ولو بقرينة حالية فيعود ملزوما وبالجملة لا بد أن يكون المعنى الاصلى فيهما بحيث ينتقل منه الذهن الى المعنى المراد فيكون الانتقال فى كل منهما بهذا الاعتبار من الملزوم الى لازمه فى الذهن ولو بحسب القرائن كما ذكره بعضهم الا انهم لما أرادوا باللازم ههنا ما هو تابع لغيره ورديف له ولذلك عبر عنه العلامة بالرديف والضميم وبالملزوم ما هو متبوع ومردوف وكان أكثر الانتقالات من الروادف على طريقة الكناية اختير فى المفتاح ذلك التعسف الذى لا طائل تحته (وهو) أى وضع فاتقوا موضع فاتركوا العناد (من باب الكناية التى هى شعبة من شعب البلاغة) أى فن من فنونها وأبلغ من التصريح كما بين فى موضعه فهذه فائدة عامة وفائدته الخاصة الايجاز فقيل من حيث ان تلك الوسائط التى صرح بها فى توجيه ارتباط الجزاء بالشرط مرادة بحسب المعنى وان لم تكن مقدرة فى العبارة كما عرفته ورد عليه انه لو قيل فاتركوا العناد كانت تلك الوسائط مرادة أيضا فالايجاز بسبب الكناية وقيل من حيث انه أريد بهذه الكناية مجموع المعنيين أعنى اتقاء النار وترك العناد معا فيشمل الايجاز حينئذ كل كناية أريد بها معناها جميعا (قوله وتهويل شأن العناد) هذه فائدة أخرى فانه اذا أنيب اتقاء النار مناب ترك العناد وأبرز ترك العناد فى صورة اتقاء النار فهى ذلك تهويل لشأنه وتخويف تام منه فاضمير فى منابه وابرازه لترك العناد وفى صورته لاتقاء النار وفى عبارة الكتاب اختصار (قوله مشيعا ذلك) أى لما هول شأن العناد عاد كرشيع ذلك التهويل بتهويل صفة النار بان وقودها الناس والحجارة تربية لما قصد من التخويف والزجر عن العناد (قوله ثم قال) أى سيبويه (والوقود) بالضم فى المصدر (أكثر) منه بالفتح واما الحطب فبالفتح وحده ونظيره الطهور والوضوء (وقراءة عيسى ابن عمر بالضم) تحتمل وجهين أن يكون المصدر مستعملا بمعنى المفعول مجازا لغويا فاريد بالوقود ما يتوقد به كما يراد بفخر قومه ما يفتخرون به (وزين بلده) ما تتزين به بلده وأن يكون على حقيقته والمجاز فى اسناده الناس وحمله عليه (كما فى قولك حياة المصباح السليط) أى الزيت الجيد فقد جعلت السليط الذى به قوام حياته بمنزلة محمولا عليها وانما قال (فكأن نفس السليط حياته) مع ان السليط وقع فى تلك العبارة خبرا عن الحياة بناء على انه الذى وقع التصرف فيه حيث لم يقل بالسليط فكان بيان حاله أهم واما قوله أى ليست حياته الا به فاشارة الى نكتة جعل قوام الشئ نفس ذلك الشئ لا الى الاختصاص المستفاد من التركيب على هذا التقدير ليتجه ان الوجه الآخر بل القراءة المشهورة أيضا تدل على الاختصاص كما يومى اليه بقوله (لا تتقد الا بالناس والحجارة) وذكر فى سورة التحريم وقرئ وقودها بالضم أى ذو وقودها وقال الشيخ عبد القاهر فى قولها فانما هى اقبال وادبار لا مجاز فى شئ من الطرفين وانما المجاز فى الاسناد حيث جعلت كانها تجسمت من الاقبال والادبار ولو حمل على ان المراد ذات اقبال وادبار لكان كلاما عاميا مرذولا ولقلة هذا النوع من الاسناد المجازى وخفائه تحير جماعة فى الفرق

الكتاب أو سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة (فان قلت) فلم جاءت النار الموصوفة بهذه الجملة منكرة في سورة التحريم وههنا معرفة (قلت) تلك الآية نزلت بمكة فعرفوا منها نارا موصوفة بهذه الصفة ثم نزلت هذه بالمدينة مشارا بها الى ما عرفوه أولا (فان قلت) ما معنى قوله تعالى (وقودها الناس والحجارة) (قلت) معناه أنها نار ممتازة عن غيرها من النيران بأنها لا تتقد الا بالناس والحجارة وبأن غيرها ان أريد احراق الناس بها أو احماء الحجارة أوقدت أولا بوقود ثم طرح فيها ما اريد احراقه أو احماؤه وتلك أعاذنا الله منها برحمته الواسعة توقد بنفس ما يحرق ويحمى بالنار وبانها لافراط حرها

بين الوجهين فقالوا الفرق بان الثاني يفيد الحصر دون الاول أو بان الوقود في الاول جعل نفس الناس والحجارة وفي الثاني مغاير لهما حاصلا بهما وكلاهما ظاهر البطلان (قوله أو سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله) اعترض عليه أولا بان السماع منه عليه السلام وكذا سماع الآية التي في سورة التحريم لا تفيدهم العلم اذ لا يعتقدون الحقية وأجيب بان ادراكهم الحاصل بالسماع كان في ذلك ولا حاجة الى ان يجزموا به وثانيا بان الصفة كالصلة يجب ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف ومن ثم اشتهر ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات فيعود السؤال بعينه في قوله نارا وقودها الناس والحجارة وأجيب بان الصلة والصفة يجب كونهما معلومين للمخاطب لا لكل سامع وما في التحريم خطاب للمؤمنين وهم قد علموا ذلك بسماعهم من النبي صلى الله عليه وآله وانما سمع الكفار ذلك الخطاب أدركوا منه نارا موصوفة بتلك الجملة فجعلت صلة فيما خوطبوا به (قوله فلم جاءت) يعني (النار) في الآيتين متحدة (ومتصفة بهذه الجملة) كما علم من كلامك فلم اختلف حالها فيهما تنكيرا وتعريفا أجاب بان تلك الآية التي في التحريم (نزلت بمكة) فعرف الكفار منها نارا منكرة (موصوفة بهذه الصفة ثم نزلت هذه الآية) التي في البقرة مشتملة على ذكرها معرفة لكونها معهودة (مشارا بها الى ما عرفوه أولا) ويرد عليه ان سورة التحريم مدنية اتفاقا وأيضا قد صحح الاسناد الدال على ان هذه الآية مكية وتلك مدنية على عكس ما ذكر ههنا وأيضا انتساب تلك الجملة الى المنكر اذا كان على ما قرر معلوما للمخاطبين أعني المؤمنين لسماعهم منه عليه السلام كان ذلك المنكر معهودا باعتبار هذا الانتساب فحقه أن يعرف ويجاب عن الاول بان تلك الآية وحدها من التحريم جاز أن تكون مكية وتصريحه بذلك يدل على عدم الاتفاق على كون جميع آيات تلك السورة نازلة بالمدينة وفيه بعد وعن الثاني بانه صحح اسناد ذلك القول الى عاقمة ولم يتخذه مذهبا وعن الثالث بالتعيين وارادة التهويل بالتنكير والاشارة الى الحاضر في الاذهان بالتعريف لكنه لا يطابق كلامه ولعله لا يشترط العلم في صفات النكرات حتى يلزم كونها معهودة وتحقيقه انك اذا قلت جاءني رجل عالم فقد قيدت أولا مفهوم الرجل بمفهوم العلم وقصدت ثانيا بهذا القيد الى فرد لا بعينه من الافراد التي يصدق هو عليها واذا قلت جاءني الرجل العالم فقد أردت بلفظ الرجل فردا معينا باعتبار ما من افراده وأردت العالم تمييزا له عن معين آخر وهذا معنى ما قيل من ان الوصف في النكرة للتخصيص وفي المعرفة للتمييز فليس المنكر الموصوف معهودا باعتبار انتساب صفته اليه بخلاف المعرف الموصوف فتأمل والله الموفق (قوله ما معنى وقودها الناس والحجارة) أي ما المقصود من وصف النار بهذه الجملة (قوله لا تتقد الا بالناس والحجارة) استفاد هذا الحصر من ان المضاف قد يقصد به الجنس وقد يقصد به العهد كالمعرف باللام كما سيأتي في الكتاب فاذا قصد به الجنس كما في وقودها الناس أفاد حصر الجنس في الجزء الآخر مقدما كان أو مؤخرا على طريقة قولك المنطلق زيد وزيد المنطلق فان المناسب قصر العام على الخاص ومن ذلك قولك الناس العلماء والعلماء الناس فان المقصود منهما حصر الناس في العلماء واذا لم يظهر جنسية أحد الطرفين هناك فان تعين أحد الحصرين باقتضاء المقام حمل عليه والا روعي التقديم فكان محصورا فيما تأخر عنه كما في قولك

وقودها الناس والحجارة

وشدة ذكائها اذا اتصلت بما لا تشتعل به نار اشتعلت وارتفع لهبها (فان قلت) أنار الجحيم كلها موقودة بالناس والحجارة أم هي نيران شتى منها نار بهذه الصفة (قلت) بل هي نيران شتى منها نار توقد بالناس والحجارة يدل على ذلك تنكيرها في قوله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا فأنذرتكم نارا تلظى ولعل لكفار الجن وشياطينهم نارا وقودها الشياطين كما أن لكفرة الانس نارا وقودها هم جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب (فان قلت) لم قرن الناس بالحجارة وجعلت الحجارة معهم وقودا (قلت) لانهم قرنوا بها أنفسهم في الدنيا حيث نحتوها أصناما وجعلوها لله أندادا وعبدوها من دونه قال الله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وهذه الآية مفسرة لما نحن فيه فقوله انكم وما تعبدون من دون الله في معنى الناس والحجارة وحصب جهنم في معنى وقودها ولما اعتقد الكفار في حجارتهم المعبودة من دون الله أنها الشفعاء والشهداء الذين يستشفعون بهم ويستدفعون المضار عن أنفسهم بمكانهم جعلها الله عذابهم فقرنهم بها محماة في نار جهنم ابلاغا في ايلامهم واغراقا في تحسيرهم ونحوه ما يفعله بالكانزين الذين جعلوا ذهبهم وفضتهم عدة وذخيرة فشحوا بها ومنعوها من الحقوق حيث يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وقيل هي حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وذهاب عما هو المعنى الصحيح الواقع المشهود له بمعاني التنزيل (أعدت) هيئت لهم أعدت للكافرين

وجعلت عدة لعذابهم وقرأ عبد الله أعتدت من العتاد بمعنى العدة ❊ من عادته عز وجل في كتابه أن يذكر الترغيب مع الترهيب ويشفع البشارة بالانذار ارادة التنشيط لاكتساب ما يزلف والتثبيط عن اقتراف ما يتلف فلما ذكر الكفار وأعمالهم وأوعدهم بالعقاب قفاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق والاعمال الصالحة من فعل الطاعات وترك المعاصي وحموها من الاحباط بالكفر والكبائر

العلماء الناشئون والخاشون العلماء (قوله وشدة ذكائها) أي توقدها واشتعالها والذي ذكره الجوهري والازهري هو المقصود يقال ذكت النار تذكو ذكاء أي اشتعلت وقد وقع في نسخ الاساس بالمد فان صح فقد بطل قول المطرزي صوابه ذكاها مقصورا (قوله يدل على ذلك) أي يدل على ان نار الجحيم نيران شتى (تنكير النار) في الآيتين لان من المعلوم ان المتوعد بها نار الجحيم وقد نكرت فيهما موصوفة بصفتين مختلفتين فدل هذا أعني تنكيرها مع اختلاف الصفة بظاهره على تنوعها وامتياز بعضها عن بعض وان احتمل أن يكون ذلك للتهويل أو امتيازها عن نيران الدنيا والاولى في الاستدلال على تنوعها أن يقال ان قوله تعالى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى دل على اختصاصها بالكافر المعاند فلابد أن يكون لسائر الكفرة والفساق نار أخرى (قوله بمكانهم) أي منزلتهم وقيل لفظ مكان مقحم (قوله واغراقا في تحسيرهم) هو في نسخ الرواية بالحاء المهملة من الحسرة وفي بعض النسخ بالمعجمة من الخسار يقال اغرق الرامي النزع اذا بالغ فيه وأغرق الكاس أي ملأها ومنه الاغراق في القول وهو المبالغة فيه (قوله تخصيص بغير دليل) اراد بالتخصيص تقييد المطلق اذ لا عموم في الحجارة ههنا بل أريد بها الجنس وقد دلت الآية الاخرى على ان الوقود الحجارة التي منها الاحتياج فلذلك حكم بان (هذا المعنى هو الصحيح الواقع المشهود له بمعاني التنزيل) وقد ذكر في سورة التحريم هذا القول مرويا عن ابن عباس ولم يعقبه برد كأنه اكتفى بما أورده ههنا وكم له من نظائر في هذا الكتاب وقوله (اعدت للكافرين) قيل هذه الجملة صلة بعد صلة بلا عاطف بينهما على قياس ما يقع في الاخبار والصفات وقيل عطف بترك العاطف كما سيأتي ذكره في الكشاف وقيل استئناف وهو وان لم يحسن ههنا موقعه لكن يؤيده ان عطف عليه وبشر على لفظ المبني للفعول (قوله فلما ذكر الكفار واعمالهم) هي اتخاذ الانداد والارتياب في المنزل وما يتبع ذلك من المفاسد والضمير البارز (في قفاه) لذكر الكفار وفي قوله (جمعوا بين التصديق والاعمال الصالحة) اشارة الى ان المراد بالايمان في نظم الآية مجرد التصديق لا ما سبق ذكره من المعنى الشرعي الذي به النجاة ليظهر حينئذ العطف المشعر بكون العمل غير داخل فيه وقد أدرج ترك المعاصي في الاعمال الصالحة وفيه تكلف والضمير

بالثواب (فان قلت) من المأمور بقوله تعالى (وبشر) (قلت) يجوز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يكون كل أحد كما قال عليه الصلاة والسلام بشر المشائين الى المساجد فى الظلم بالنور التام يوم القيامة لم يأمر بذلك واحدا بعينه وانما كل احد مأمور به وهذا الوجه أحسن وأجزل لانه يؤذن بأن الامر لعظمه وفخامة شأنه محقوق بأن يبشر به كل من قدر على البشارة به (فان قلت) علام عطف هذا الامر ولم يسبق أمر ولا نهى يصح عطفه عليه (قلت) ليس الذى اعتمد بالعطف هو الامر حتى يطلب له مشاكل من أمر أو نهى يعطف عليه انما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين فهى معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول زيد يعاقب بالقيد والارهاق وبشر عمرا بالعفو والاطلاق ولك أن تقول هو معطوف على قوله فاتقوا كما تقول يابنى تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بنى أسد باحسانى اليهم وفى قراءة زيد بن على رضى

وبشر الذين آمنوا

فى وجوه التصديق والاعمال والاحباط بالكبائر اشارة الى مذهبه وقوله (بالثواب) متعلق بالبشارة (قوله هذا الوجه أحسن) لكونه مجازا (وأجزل لكونه يؤذن) بما ذكره وقد يجعل هذا المذكور تعليلا للامرين معا (قوله محقوق الخ) يقال حققت بان تفعل كذا وأنت محقوق به أى جعلت حقيقا به وهو من باب فعلته ففعل بالضم على قياس قولك قبح وقبحه الله قال فى الاساس أنت حقيق بكذا من حقق بالضم وقدرا كما ان فقيرا من فقر وشديدا من شدد مقدرين وليس حقيق فعيلا بمعنى مفعول اذ يقال هذه امرأة حقيقة بالحضانة (قوله انما المعتمد بالعطف هو جملة) العطف قد يكون بين المفردات وما فى حكمها من الجمل التى لها محل من الاعراب وقد يكون بين الجمل التى لا محل لها وقد يكون كما مر بين قصتين بان يعطف مجموع جمل متعددة مسوقة لمقصود على مجموع جمل أخرى مسوقة لمقصود آخر فيعتبر حينئذ التناسب بين القصتين دون آحاد الجمل الواقعة فيهما ونظير ذلك فى المفردات ما قيل ان الواو المتوسطة فى قوله تعالى هو الاول والآخر والظاهر والباطن ليست كالمتقدمة والمتأخرة اذ هى لعطف مجموع الصفتين الآخرين المتقابلتين على مجموع الصفتين الاولين المتقابلتين ولو اعتبر عطف الظاهر وحده على احدى السابقتين لم يكن هناك تناسب ثم ان السكاكى لم يتعرض فى كتابه لعطف القصة على القصة أصلا فالجامدون على كلامه تحيروا فى هذا المقام وزعموا انها ذكر أولا فى الكشاف من قبيل عطف الجملة على الجملة الاخرى فلا بد من تضمين الخبر معنى الطلب أو بالعكس وما ذكر فيه ثانيا من عطف المفرد على المفرد وهو عطف الفعل وحده على الفعل وحده وعبارة العلامة صريحة فى ان المعطوف ههنا مجموع وصف ثواب المؤمنين كما فصل فى قوله وبشر الى خالدون وقد عطف على مجموع وصف عقاب الكافرين كما فصل فى قوله تعالى وان كنتم فى ريب الى أعدت للكافرين فلا حاجة حينئذ فى صحة العطف الى جملة انشائية سابقة ولو كان المعطوف الامر يعنى الجملة الامرية التى هى بشر لاحتيج الى أن يطلب ما يشاكله من امر أو نهى حتى يصح عطفه عليه وأما توهم العطف بين الفعلين وحدهما فلا مساغ له فيما نحن فيه أصلا وهذا وجه وجيه لا غبار عليه وانما الاشتباه فى المثال فان (قولك زيد يعاقب بالقيد والارهاق) مشتمل على جملتين كبرى وصغرى وقولك (وبشر عمرا بالعفو والاطلاق) جملة واحدة فليس ههنا قضيتان عطفت احداهما على الاخرى بل جملة واحدة عطفت فى الظاهر على ما ليس يصح عطفها عليه من احدى الاولتين والجواب انه أشار بما ذكره الى قضيتين متقابلتين كأنه قال زيد يعاقب بالقيد والارهاق فما أسوأ حاله وما أخسره وقد ابتلى بجنايته كبرى واحاطت به سيئاته الى غير ذلك مما يناسبه وبشر عمرا بالعفو والاطلاق فما أحسن حاله وما أسعده وأربحه الى أشياء أخر تليق بتلك الاشارة يقال أرهقه عسرا اذا أصابه به وغشاه وفى قوله (ولك أن تقول هو معطوف) اشارة الى ان فيه ضعفا وذلك من وجهين أحدهما ان فاتقوا جواب للشرط فان عطف بشر عليه كان التقدير فان لم تفعلوا فبشر الذين آمنوا ولا ارتباط بينهما واعتذر عنه تارة بان تبشير المصدقين كانذار المنكرين مترتب على عدم معارضة الكفرة اذ حينئذ يثبت كون القرآن معجزا ويتحقق صدق النبى صلى الله عليه وآله

الله عنه و بشر على لفظ المبنى للمفعول عطفا على أعدت والبشارة الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ومن ثم قال العلماء اذا قال لعبيده أيكم بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق أولهم لانه هو الذى أظهر سروره بخبره دون الباقين ولو قال مكان بشرني أخبرني عتقوا جميعا لانهم جميعا أخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من أوائل ضوئه وأما فبشرهم بعذاب أليم فمن العكس في الكلام الذى يقصد به الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزأ به وتألمه واغتمامه كما يقول الرجل لعدوه أبشر بقتل ذريتك ونهب مالك ومنه قوله فأعتبوا بالصيلم * والصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم قال الحطيئة

كيف الهجاء وما تنفك صالحة * من آل لأم بظهر الغيب تأتيني

والصالحات كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس (فان قلت) أى فرق بين لام الجنس داخلة على المفرد وبينها داخلة على المجموع (قلت) اذا دخلت على المفرد كان صالحا لان يراد به الجنس الى أن يحاط به وأن يراد به بعضه الى الواحد منه واذا دخلت على المجموع صلح أن يراد به جميع الجنس

وعملوا الصالحات

فيكون تصديقه سببا للبشارة ونيل الثواب كما أن انكاره سبب للانذار واصابة العقاب وأخرى بأن ما آل المعنى فاتقوا النار واتقوا وأما يغيظ كم من حسن حال أعدائكم فاقيم وبشر مقامه تنبيها على انه مقصود في نفسه أيضا لا لمجرد غيظهم فقط وهذا القدر من الربط المعنوى كاف في عطفه على ذلك الجزاء وان لم يكن في جملة جزاء ابتداء والثانى ان عطف الامر لمخاطب على الامر لمخاطب آخر انما يحسن اذا صرح بالنداء كما في المثال الذى أورده وأما بدون التصريح به فقد منعه النحاة ولهذين الاشكالين اختير في المفتاح انه عطف على قل مقدرا قبل يا أيها الناس أى قل كذا وكذا وبشر المؤمنين ورد عليه ان قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا لا يصلح أن يكون مقولا للنبي صلى الله عليه وآله الا أن يتعسف ويقال أجرى ذلك على طريقة كلام الآمر وقصد به أن يذكره عليه السلام بعبارة نفسه كأن يقول وان كنتم في ريب مما نزله الله على واختار صاحب الايضاح انه عطف على مقدر بعد أعدت أى فأنذر الذين كفروا بتلك النار وبشر الذين آمنوا وهو نظير ما ذكره المصنف في واهجرني مليا أى فاحذرني واهجرني وهذا أحسن ما قيل ههنا بعد ما عول عليه في الكتاب (قوله عطفا على أعدت) كأنه قال أعدت النار للكفار وأعدت الجنة للمؤمنين الاخيار وقوله (فرادى) اشارة الى انهم لو بشروه معا عتقوا كلهم (قوله لانهم جميعا أخبروه) وذلك لان الاخبار في المتعارف أن يذكر الجملة الخبرية و يراد بها معناها سواء أفادت العلم أولا وان كان في أصل اللغة بمعنى الاعلام (قوله فمن العكس في الكلام) أى من قبيل استعارة أحد الضدين للآخر تهكما واستهزاء وقوله (الزائد في غيظ المستهزأ به) مأخوذ من زاد المتعدى اذ يقال زاد في ماله بمعنى زاد شيأ فيه قال بشر بن أبي حازم الاسدى

غضبت تميم أن تقتل عامر * يوم النسار فأعتبوا بالصيلم

والنسار بكسر النون ماء لبنى عامر كان عنده وقعة لبنى أسد على عامر أى غضبت تميم من قتل بنى عامر في ذلك الموضع فأعتبوا أى أزيل عتبهم وعتبهم بالصيلم أى السيف القاطع من الصلم وهو القطع مع استئصال ومنه سميت الداهية صيلما (قوله في جريها مجرى الاسم) حيث تستعمل بلا قصد الى موصوف (وتأتيني) خبر تنفك وبظهر الغيب متعلق به أى تأتيني متلبسة بالغيب فاقحم الظهر مبالغة فيه حيث جعل له ظهر يستند اليه و يتقوى به لما خلع النعمان بن المنذر على أوس بن حارثة ابن لأم الطائى حسده طائفة من سادات العرب وضمنوا للحطيئة مائة بعير ليهجوه فقال كيف أهجوا نخصا منه كل ما في بيتي حتى شسع نعلي وأنشأ كيف الهجاء (قوله والصالحات كل ما استقام) أى صح ترتب الثواب عليه والمراد تفسير جميع الصالحات بمجموع المستقيم الصالح لما ذكر ومن ثمة عطف الكتاب والسنة على العقل بالواو ولان مجموعها دليل المجموع (اذا دخلت على المفرد) يعنى ان المفرد المحلى بلام الجنس مطلق (يصلح أن يراد به الجنس الى أن يحاط به) أى يراد كل واحد منه بحيث لا يخرج عنه شئ من آحاده (وأن يراد به بعضه الى الواحد) لان معناه الاصلى أعنى

وأن يراد به بعضه لا الى الواحد منه لان وزانه فى تناول الجمعية فى الجنس وزان المفرد فى تناول الجنسية والجمعية فى جمل الجنس لا فى وحدانه (فان قلت) فما المراد بهذا المجموع مع اللام (قلت) الجملة من الاعمال الصحيحة المستقيمة فى الدين على حسب حال المؤمن فى مواجب التكليف * والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه قال زهير تسقى جنة سحقا أى نخلا طوالا والتركيب دائر على معنى الستر وكأنها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة التى هى المرة من مصدر جنه اذا ستره كأنها سترة

الجنسية المطلقة باق مع ارادته وكذلك الجمع المعرف بها مطلق صالح لان يراد به جميع الجنس أى كل واحد من افراده (وأن يراد به بعضه) لكن (لا الى الواحد) اذ لا يبقى مع ارادته معناه الاصلى أعنى الجنسية مع الجمعية وفى كلامه دلالة ظاهرة على جواز ارادة البعض الى الاثنين لبقاء معنى الجمعية حينئذ على مذهبه فراده (بجمل الجنس) ما فيه تعدد وقد يقال أراد بجملة الثلاثة وما فوقها كما هو المشهور فيكون قوله لا الى الواحد رعاية للمقابلة مع ما ذكره فى المفرد ثم ان الاستغراق فى المفرد انما هو بتناول كل واحد من افراده فالحكم المنسوب اليه يكون منسوبا الى كل واحد منها وأما الجمع فعلى قياسه على المفرد ينبغى أن يكون استغراقه بتناوله كل جماعة لانها آحاد مدلوله ومن ههنا يقال الكتاب أكثر من الكتب والملك أكثر من الملائكة كما يجىء فاذا نسب اليه حكم كان منسوبا الى كل جمع جمع فان اقتضى ذلك ثبوته لكل فرد فرد حمل عليه كقولك جاءنى الرجال والافلا كقوله وهن العظام ويرد عليه اعتبار التكرار فى مفهومه بتداخل مراتب الجموع بعضها فى بعض وأن لا يصح استثناء فرد أو فردين منه فى الحكم الثانى والصواب كما دل عليه عبارة الكتاب ان استغراقه كاستغراق المفرد فى تناول كل واحد واحد وان شئت الاحاطة بتفاصيل الكلام فى هذا المقام فعليك بالمصباح فى شرح المفتاح (قوله فما المراد) يريد قد ذكرت ان الجمع المعرف باللام يصلح أن يراد به الجنس كله وأن يراد به بعضه لا الى الواحد فما المراد بالصالحات اذ لا يجوز أن يراد بها جنس الجمع مطلقا والا كفى الاقل وهو ثلاثة من الاعمال أو اثنان منها ولا أن يراد الجنس كله أو يمتنع ان يأتى بذلك كل أحد وان قصد التوزيع عاد المحذور وهو أن يكفى من كل احد ثلاثة أعمال أو اثنان بل أقل بناء على انقسام الآحاد على الآحاد والجواب ان ليس المراد الاقل ولا الكل على ما ذكر بل ما بينهما أعنى جميع ما يجب على كل مكلف بالنظر الى حاله فيختلف باختلاف أحوال المكلفين من الغناء والفقر والاقامة والسفر والصحة والمرض الى غير ذلك فيجب الزكاة والحج واتمام الصلاة أو تخيير الصوم على واحد دون آخر فمعنى قوله عملوا الصالحات ان كل واحد عمل جميع ما يجب عليه من الاعمال على حسب حاله وفى ذلك شائبة توزيع والقرينة على قصد هذا المعنى اختلاف أحوالهم فى التكاليف وقوله (الصحيحة المستقيمة) اشارة الى معنى الصالحة (والمواجب) جمع موجب بفتح الميم وكسر الجيم وهو موضع الوجوب والاضافة الى التكاليف للملابسة اذ أريد مواضع لزوم التكليف قال زهير

كأن عينى فى غربى مقتلة * (من النواضح (تسقى جنة سحقا)

بالغ فى تذراف الدموع من عينيه حيث اختار الغرب وهى الدلو العظيمة وثناها تنبيها على دوام الانسكاب لتعاقبهما فى المجىء والذهاب اذ لا يزال يصب واحدة ويرسل أخرى وذكر المقتلة وهى المذللة التى تخرج الدلو ملأى ووصفها بكونها من النواضح المتمرنة على هذا العمل وأورد الجنة الدالة على الكثرة والالتفاف والنخل المفتقر الى الماء الكثير خصوصا اذا كانت سحقا أى طوالا صاعدة فى الهواء وهو جمع سحوق وهو الطويل منها فقد أطلق ههنا الجنة على النخيل ولا ينافى ذلك قوله الجنة البستان الخ اذ لا يعلم منه انها نفس الاشجار أو الارض التى هى فيها أو مجموعها وكان الظاهر أن يقول كأن عينى غربا مقتلة لكنه أتى بكلمة فى كأنه يدعى ان ما ينصب من الغربين منصب من عينيه (قوله وكأنها) أى الجنة بمعنى البستان المذكور (سميت بالجنة التى هى المرة) والاستدلال بسكنى آدم وحواء الجنة ظاهر

أن لهم جنات تجرى من تحتها الانهار

واحدة لفرط التفافها وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان (فان قلت) الجنة مخلوقة أم لا (قلت) قد اختلف فى ذلك والذى يقول انها مخلوقة يستدل بسكنى آدم وحواء الجنة وبمجيئها فى القرآن على نهج الاسماء الغالبة اللاحقة بالاعلام كالنبى والرسول والكتاب ونحوها (فان قلت) ما معنى جمع الجنة وتنكيرها (قلت) الجنة اسم لدار الثواب كلها وهى مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب على حسب استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان (فان قلت) أما يشترط فى استحقاق الثواب بالايمان والعمل الصالح أن لا يحبطهما المكلف بالكفر والاقدام على الكبائر وأن لا يندم على ما أوجده من فعل الطاعة وترك المعصية فهلا شرط ذلك (قلت) لما جعل الثواب مستحقا بالايمان والعمل الصالح والبشارة مختصة بمن يتولاهما وركز فى العقول أن الاحسان انما يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء اذا لم يتعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه وأنه لا يبقى مع وجود مفسده احسانا وأعلم بقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وهو أكرم الناس عليه وأعزهم لئن أشركت ليحبطن عملك وقال تعالى للمؤمنين ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم كان اشتراط حفظهما من الاحباط والندم كالداخل تحت الذكر (فان قلت) كيف صورة جرى الانهار من تحتها (قلت) كما ترى الاشجار النابتة على شواطئ الانهار الجارية وعن مسروق أن أنهار الجنة تجرى فى غير أخدود وأنزه البساتين وأكرمها منظرا ما كانت أشجاره مظللة والانهار فى خلالها مطردة ولولا أن الماء الجارى من النعمة العظمى واللذة الكبرى وأن الجنان والرياض وان كانت آنق شئ وأحسنه لا تروق النواظر ولا تبهج الانفس ولا تجلب الاريحية

اذ المتبادر منها دار الثواب وأما بمجيئها فى القرآن على نهج الاسماء الغالبة) فلانه علم بالاستقراء أن مثل هذه الاسماء انما يكون لموجودات محققة لا لامور مفروضة مقدرة الا نادرا كالساعة وفى تشبيهها (بالنبى والرسول) اشارة الى انها بالغلبة لم تصر علما ألا ترى أنها تعرف تارة وتنكر أخرى وتجمع فى حالتيها وتجرى على أسماء الاشارة صفة لها نحو تلك الجنة ومعنى لحوقها بالاعلام انها عند الاطلاق تنصرف الى المعين وان كان مفهومها فى نفسه كليا وكذا الحال فى النبى والرسول اذ المتبادر منهما عند الاطلاق محمد صلى الله عليه وآله مع بقائهما على مفهومهما الاصلى وقد مر ان الكتاب مع اللام صار علما بالغلبة فى عرف الاصول لكتاب الله وفى عرف العربية لكتاب سيبويه (قوله الجنة اسم لدار الثواب كلها) أى اسم للقدر المشترك بين مجموع دار الثواب وأجزائها فينطلق عليها كلها (وفيها جنان على مراتب متفاوتة بحسب الاستحقاقات) فلكل طبقة من العاملين جنات متعددة واقعة فى مرتبة واحدة فجمعها لتعددها وتنكيرها للتنويع (قوله ولا نزاع) فى احباط الايمان والعمل الصالح بالكفر والموت عليه بل فى احباطهما بالاقدام على الكبائر بلا توبة وقد جعل الزمخشرى ترك المعصية داخلا فيما أوجده المكلف (قوله فهلا شرط) أى ما ذكرناه شرطا فى استحقاق الثواب فهلا ذكر ذلك الشرط فى نظم الآية والجواب انه تعالى جعل الثواب مستحقا بالايمان والعمل الصالح حيث دل عليه ترتبه عليهما الدال على العلية وجعل (البشارة مختصة بمن يتولاهما) حيث رتبها على المتصف بهما فتنتفى عن غيره وقد نصب لنا دليلا عقليا ونقليا على ان بقاء الاستحقاق بالاحسان يتوقف على عدم طرو ما يفسده ويخرجه عن كونه احسانا فلا حاجة الى اشتراط حفظهما من الاحباط والهدم لانه معلوم فيكون كالداخل تحت الذكر وقوله (كان اشتراط) جواب لما جعل (قوله كما ترى الاشجار النابتة) الظاهر أن يقال كما ترى الانهار الجارية تحت الاشجار النابتة على شواطئها لكنه نبه بعبارته هذه على أنه قصد تشبيه الهيئة المركبة بالهيئة المركبة فلم يلزمه ذلك وما ذكره من كون جرى الماء فى مكان أسفل من الشجر هو المعتاد فان أريد بالجنة الاشجار كما فى قوله جنة حفافها ذلك وان أريد بها الارض فلابد من تقدير مضاف أى من تحت أشجارها وكذا الحال فى خلاف المعتاد الذى نقله عن مسروق و(الاخدود) الشق المستطيل فى الارض وقوله (آنق شئ)

والنشاط حتى يجري فيها الماء والا كان الانس الاعظم فائتا والسرور الاوفر مفقودا وكانت كتماثيل لا أرواح فيها وصور لا حياة لها الا ماجاء الله تعالى بذكر الجنات مشفوعا بذكر الانهار الجارية من تحتها مسوقين على قران واحد كالشيئين لا بد لاحدهما من صاحبه ولما قدمه على سائر نعوتها * والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال لبردى نهر دمشق وللنيل نهر مصر واللغة العالية النهر بفتح الهاء ومدار التركيب على السعة واسناد الجري الى الانهار من الاسناد المجازي كقولهم بنو فلان يطؤهم الطريق وصيد عليه يومان (فان قلت) لم نكرت الجنات وعرفت الانهار (قلت) أما تنكير الجنات فقد ذكر وأما تعريف الانهار فأن يراد الجنس كما تقول لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب وألوان الفواكه تشير الى الاجناس التي في علم المخاطب أو يراد أنهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الاضافة كقوله واشتعل الرأس

أي أعجبه يقال راقه أعجبه وأبهجه وبهجه سره ورجل اريحي واسع الخلق نشط للمعروف وفيه أريحية أي خفة وحركة للندى (والتمثال) الصورة المنقوشة (قوله الا ماجاء الله تعالى) جواب لولا فيكون هذا النفي منتفيا ويؤول المعنى الى ان الماء الجاري لما كان من النعمة العظمى جاء الله بذكر الجنات وحينئذ تكون كلمة الا في قوله الا مشفوعا كما وقعت في نسخ معتبرة ونقلت أيضا عن خط المصنف مفسدة للمعنى اذ يلزم مجيء ذكرها مقرونا بكل حال سوى كونه مشفوعا بذكر الانهار فهي زائدة وقعت سهوا من الناسخ ومنشأه الغفول عن كون لما جاء واقعا في جواب لولا وليس يمكن تصحيحها بجعل كلمة ما زائدة كما توهم اذ يصير المعنى انتفاء هذا المجموع أعني أن يجيء ذكرها مقرونا بكل حال سوى تلك المشفوعية ولا فائدة فيه وقد يتكلف لتوجيهه بتضمين الذكر معنى النفي كما في نشدتك بالله الا فعلت وكما ذكره العلامة في قوله تعالى لفروجهم حافظون الا على أزواجهم في الوجه الاخير أي لما جاء الله تعالى بأن لا يذكر الجنات الا مشفوعا ولا خفاء في كونه تعسفا فالصواب اسقاط كلمة الا كما في بعض النسخ وما قيل من ان اللازم حينئذ انه تعالى جاء بذكرها مشفوعا فلا دلالة على لزوم المشفوعية ولم يتم المقصود الا باللزوم مما هو مدفوع بأن ما جعله حالا عن الذكرين أعني قوله (مسوقين على قران) أي نمط واحد الخ يدل على ذلك اللزوم ﴿ولا يقال﴾ اذا جعلت الاستثناء راجعا الى النفي والمجموع واقعا جواب لولا زال الاشكال ﴿لانا نقول﴾ فالواقع في الجواب على هذا التقدير معنى قولنا ما جاء بذكرها على حال من الاحوال الا على حال المشفوعية وانتفاء هذا المعنى قد يكون بذكرها على حال أخرى فقط دون كونه مشفوعا وروي ان في نسخة زين المشايخ البتة مشفوعا مكان الا مشفوعا وانما يحسن ويدل على اللزوم المطلوب اذا جعل كلمة البتة متعلقة بمشفوعا أو بالمجيء مثبتا بناء على تجويز استعمالها في الاثبات اذ لو تعلقت بالنفي رجع المعنى الى ان انتفاء مجيء ذكرها مشفوعا انتفاء قطعيا ممتنف فجاز أن يكون انتفاء ذلك الانتفاء بزوال قطعيته فلا تلزم الا المشفوعية في الجملة فلا يجدي تلك النسخة أصلا (قوله واللغة العالية) أي الفصحى المشهورة التي تتكلم بها الاعلون في الفصاحة (النهر) بفتح الهاء وهو اسم جنس وقد يراد به معنى الجمع كما في قوله في جنات ونهر (قوله ومدار التركيب على السعة) يقال أنهرت الطعنة وسعتها وأنهرت الدم أسلته بكثرة واستنهر الشيء اتسع والمنهرة فضاء بين أفنية القوم يلقون فيها كناستهم وكل كثير جرى فقد نهر واستنهر (قوله يطؤهم الطريق) من قبيل الاسناد الى المكان أي يطؤهم السابلة في الطريق وهو كناية عن جودهم ولزوم مقصد الاداني والاقاصي وجعل اليومين مصيدين اسناد مجازي الى الزمان والمعنى صيد الوحش على هذا الفرس في يومين (قوله وأما تعريف الانهار) جوز فيه أن يكون تعريفا جنسيا قصد به الاشارة الى جنس جمع النهر بلا قصد الى العموم والاستغراق وأورد له نظائر من المفردات وقوله (في علم المخاطب) اشارة الى ما سبق من معنى تعريف الجنس في الحمد وان يكون تعريفها بالام ما هو عوض عن تعريف الاضافة وهذا معنى كون اللام بدلا من الاضافة لكنه مذهب كوفي مرجوح وقد منعه

شيئا أو يشار باللام الى الانهار المذكورة فى قوله فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه الآية ﴿ وقوله (كلما رزقوا) لا يخلو من أن يكون صفة ثانية لجنات أو خبر مبتدأ محذوف أو جملة مستأنفة لانه لما قيل أن لهم جنات لم يخل خلد السامع أن يقع فيه أثمار تلك الجنات أشباه ثمار جنات الدنيا أم أجناس أخر لا تشابه هذه الاجناس فقيل ان ثمارها أشباه ثمار جنات الدنيا أى أجناسها أجناسها وان تفاوتت الى غاية لا يعلمها الا الله (فان قلت) ما موقع (من ثمرة) (قلت) هو كقولك كلما أكلت من بستانك من الرمان شيئا حمدتك فوقع من ثمرة موقع قولك من الرمان كأنه قيل كلما رزقوا من الجنات من أى ثمرة كانت من تفاحها أو رمانها أو عنبها أو غير ذلك رزقا قالوا ذلك فمن الاولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لان الرزق قد ابتدئ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة وتنزيله تنزيل أن تقول رزقنى فلان فيقال لك من أين فتقول من بستانه فيقال من أى ثمرة رزقك من بستانه فتقول من الرمان وتحريره أن رزقوا جعل مطلقا مبتدأ من ضمير الجنات ثم جعل مقيدا بالابتداء من ضمير الجنات مبتدأ من ثمرة وليس

المصنف حيث قال والمعنى فان الجحيم مأواه كما تقول للرجل غض الطرف تريد طرفك وليس الالف واللام بدلا من الاضافة ولكن لما علم أن الطاغى هو صاحب المأوى وانه لا يغض الرجل طرف غيره تركت الاضافة ودخول حرف التعريف فى المأوى والطرف للتعريف لانهما معروفان وقد ذكر نحوا من هذا فى قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا فوجب أن يؤول كلامه ههنا بانه أراد الاستغناء عن الاضافة لحصولها بالقرينة لا بادخال اللام ثم أدخل اللام لان المراد معين لكنه يجوز باطلاق التعويض ولا شبهة ان اللام على هذا الوجه للعهد الخارجى التقديرى وجوز أيضا أن يكون للعهد الخارجى التحقيقى اشارة الى ما ذكر فى قوله تعالى فيها أنهار من ماء غير آسن الآية وهذا مع توقفه على سبق ذكر المنكر على المعرف فيه بعد وقوله (كلما رزقوا لا يخلو) من أن يكون صفة ثانية وقد ترك العاطف بينهما لما أحاط به علمك فيما سبق (أو خبر مبتدأ محذوف) والتقدير هم أوهى واعترض بانه يعود الكلام الى ثلث الجملة المحذوفة المبتدأ فان جعلت صفة أو استئنافا كان تقدير الضمير مستدركا وان جعلت ابتداء كلام لا تكون صفة ولا استئنافا فلم يكن كذلك بلا حذف ورد بانه يقال بتقدير هى يظهر معنى الوصفية وبتقدير هم يقوى شأن الاستئناف وقوله (ان ثمارها أشباه ثمار جنات الدنيا) هو حاصل ما فهم من التكرير كما يقتضيه كلما فانها تدل على المشابهة التامة بينهما كما سيصرح به (قوله ما موقع من ثمرة) قد يتوهم أن حرفى الجر فى منها ومن ثمرة يتعلقان برزقوا وهما بمعنى واحد وذلك غير جائز عند النحاة اذ من قواعدهم انه لا يتعلق بفعل واحد حرفا جر متحدان فى المعنى الا على قصد الابدال والتبعية ولا مجال له فى الآية الكريمة فلذلك سأل المصنف عن موقع من ثمرة وأجاب بوجه بين بالغ فى تقرير الاول حيث أورد له مثالا وصرح بان من الاولى والثانية كلتيهما لابتداء الغاية الا ان الاولى متعلقة بالرزق مطلقا والثانية بالرزق مقيدا بكونه من الجنات فليس ذلك مما منعوه أصلا ولما كان هذا المعنى الذى ذكره دقيقا لطيفا خفيا كشف عنه غطاءه بقوله (وتنزيله) أى حط هذا الكلام من درجته التى هو فيها الى مرتبة غير الاولى ليظهر بذلك معنى الابتداءين وتغاير الفعلين المطلق والمقيد (تنزيل أن تقول الخ) فانه قد اعتبر ههنا الفعل أولا مطلقا ثم قيد بقيد يقتضيه سؤال مذكور ثم قيد ذلك الفعل المقيد به بقيد آخر يقتضيه سؤال آخر فهو تنزيل لقولك رزقنى فلان من بستانه من الرمان فاتضح بهذا الاعتبار ايضاحا تاما ان كل واحد من الفعل المطلق والمقيد بالقيد الاول يصح ابتداؤه من المقيد الذى تعلق به ولم يقصد بما أورده ان فى الآية سؤالا وجوابا بل أراد ابراز المعنى وتصحيح الابتداءين على وجه لا تتعلق به شبهة ولما طال البيان حرره وأحرز بدنه وهى ان الفعل المطلق أعنى رزقوا جعل مبتدأ من الجنات وبعد تقييده بالابتداء منها جعل مبتدأ من الثمرة وقد حكم بحمل الثمرة على النوع كما أشار اليه سابقا حيث قال من أى ثمرة كانت من تفاحها أو رمانها أو

كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا

﴿ قوله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا الآية (قال محمود رحمه الله معناه هذا مثل الذى رزقناه من قبل الخ) قال أحمد رحمه الله وهذا من التشبيه بغير الاداة وهو أبلغ مراتب التشبيه كقولهم أبو يوسف أبو حنيفة

المراد بالثمرة التفاحة الواحدة أو الرمانة الفذة على هذا التفسير وانما المراد النوع من أنواع الثمار ووجه آخر وهو أن يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك رأيت منك أسدا تريد أنت أسد وعلى هذا يصح أن يراد بالثمرة النوع من الثمار والجنات الواحدة (فان قلت) كيف قيل (هذا الذى رزقنا من قبل) وكيف تكون ذات الحاضر عندهم فى الجنة هى ذات الذى رزقوه فى الدنيا (قلت) معناه هذا مثل الذى رزقناه من قبل وشبهه بدليل قوله وأتوا به متشابها وهذا كقولك أبو يوسف أبو حنيفة تريد أنه لاستحكام الشبه كأن ذاته ذاته (فان قلت) الام يرجع الضمير فى قوله (وأتوا به) (قلت) الى المرزوق فى الدنيا والآخرة جميعا لان قوله هذا الذى رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه فى الدارين ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما أى بجنسى الغنى والفقير لدلالة قوله غنيا أو فقيرا على الجنسين ولو رجع الضمير الى المتكلم به لقيل أولى به على التوحيد (فان قلت) لاى غرض يتشابه ثمر الدنيا وثمر الجنة ومابال ثمر الجنة لم يكن أجناسا أخر (قلت) لان الانسان بالمألوف آنس والى المعهود أميل واذا رأى ما لم يألفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه ولانه اذا ظفر بشئ من جنس ما سلف له به عهد وتقدم له معه ألف ورأى فيه مزية ظاهرة وفضيلة بينة وتفاوتا بينه وبين ما عهد بليغا أفرط ابتهاجه واغتباطه وطال استعجابه واستغرابه وتبين كنه النعمة فيه وتحقق مقدار الغبطة به ولو كان جنسا لم يعهده وان كان فائقا حسب أن ذلك الجنس لا يكون الا كذلك فلا يتبين موقع النعمة حق التبين فحين أبصروا الرمانة من رمان الدنيا ومبلغها فى الحجم وأن الكبرى لا تفضل عن حد البطيخة الصغيرة ثم يبصرون رمانة الجنة تشبع السكن والنبقة من نبق الدنيا فى حجم الفلكة ثم يرون نبق الجنة كقلال هجر كما رأوا ظل الشجرة من شجر الدنيا وقدر امتداده ثم يرون الشجرة فى الجنة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك أبين للفضل وأظهر للمزية وأجلب للسرور وأزيد فى التعجب من أن يفاجئوا ذلك الرمان وذلك النبق من غير عهد سابق بجنسهما وترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهى الامر وتمادى الحال فى ظهور المزية وتمام الفضيلة وعلى أن ذلك التفاوت العظيم هو الذى يستملى تعجبهم ويستدعى تبجحهم فى كل أوان عن مسروق نخل الجنة نضيد من أصلها

قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون

يجوز حملها على هذا التفسير على الفرد كتفاحة واحدة مثلا لان ابتداء الرزق من البستان من فرد يقتضى أن يكون المرزوق قطعة منه لا جميعه ليصح الابتداء وهو ركيك جدا ثم ان كلا الظرفين على هذا الوجه لغو كما قرره بلا اشتباه وقوله رزقا أى مرزوقا ثانى مفعولى رزقوا وأما على الوجه الثانى وهو أن يكون من ثمرة بيانا للمرزوق الذى هو المفعول الثانى فالظرف الاول لغو والثانى مستقر وقع حالا من رزقا والثمرة يجوز حملها على النوع والجنات الواحدة ولم يلتفت الى جعل من الثانية ههنا تبعيضية والا كان من ثمرة فى موضع المفعول لرزقوا فيكون انتصاب رزقا على انه مصدر لا يفيد الا التأكيد وذلك لان جعل من ثمرة على هذا التقدير صفة أى مرزوقا كائنا بعض ثمرة قدمت فصارت حالا لا يخلو عن تكلف وأيضا الاصل فى من الابتداء والتبيين فلا يعدل عنهما الا لداع اليه كما فى قوله تعالى وأخرج به من الثمرات رزقا لكم فان تعريف الجمع وتنكير رزقا يناسب التبعيض وفى قوله (على منهاج قولك رأيت منك أسدا) دلالة صريحة على ان من التجريدية بيانية حينئذ تفوت المبالغة المطلوبة بالتجريد لان الاجمال والتفصيل يفيد المبالغة فى التفسير لا الصفة التى قصد بالتجريد بلوغها الغاية فى الكمال والصحيح انها ابتدائية أى رأيت أسدا كائنا منتزعا منك ومن قال جعل هذا البيان على ذلك المنهاج مبنى على ان من البيانية عنده راجعة الى ابتداء الغاية فلا بد من اعتبار التجريد بان ينتزع من المخاطب أسد ومن الثمرة رزق لم يأت بشئ يعتد به ألا ترى انه جعل البيانية قسيمة للابتدائية وانه لا قرينة على انتزاع الرزق من الثمرة بل هى فى نفسها رزق

انتهى ما وجد من حاشية الشريف رحمه الله تعالى على الكشاف ولله المشيئة والمنة والصلاة على محمد شمس فلك السنة وعلى آله نجوم الدجنة وسلم

الى فرعها وثمرها أمثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى وأنهارها تجرى فى غير أخدود والعنقود اثنا عشر ذراعا ويجوز أن يرجع الضمير فى وأتوا به الى الرزق كما أن هذا اشارة اليه ويكون المعنى أن ما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا فى نفسه كما يحكى عن الحسن يؤتى أحدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بالأخرى فيقول هذا الذى أتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعنه صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده ان الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هى بواصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فاذا أبصروها والهيئة هيئة الاولى قالوا ذلك والتفسير الأول هو هو (فان قلت) كيف موقع قوله وأتوا به متشابها من نظم الكلام (قلت) هو كقولك فلان أحسن بفلان ونعم ما فعل ورأى من الرأى كذا وكان صوابا ومنه قوله تعالى وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون وما أشبه ذلك من الجمل التى تساق فى الكلام معترضة للتقرير * والمراد بتطهير الازواج أن طهرن مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة وما لا يختص بهن من الأقذار والأدناس ويجوز لمجيئه مطلقا أن يدخل تحته الطهر من دنس الطباع وطبع الاخلاق الذى عليه نساء الدنيا مما يكتسبن بأنفسهن ومما يأخذنه من أعراق السوء والمناصب الرديئة والمناشئ المفسدة ومن سائر عيوبهن ومثالبهن وخبثهن وكيدهن (فان قلت) فهلا جاءت الصفة مجموعة كما فى الموصوف (قلت) هما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلن وهن فاعلات وفواعل والنساء فعلت وهى فاعلة ومنه بيت الحماسة

واذا العذارى بالدخان تقنعت * واستعجلت نصب القدور فملت

والمعنى وجماعة أزواج مطهرة وقرأ زيد بن على مطهرات وقرأ عبيد بن عمير مطهرة بمعنى متطهرة وفى كلام بعض العرب ما أحوجنى الى بيت الله فأطهر به اطهرة أى فأتطهر به تطهرة (فان قلت) هلا قيل طاهرة (قلت) فى مطهرة فخامة لصفتهن ليست فى طاهرة وهى الاشعار بأن مطهرا طهرهن وليس ذلك الا الله عز وجل المريد بعباده الصالحين أن يخولهم كل مزية فيما أعدلهم * والخلد الثبات الدائم والبقاء اللازم الذى لا ينقطع قال الله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون وقال امرؤ القيس

ألا انعم صباحا أيها الطلل البالى * وهل ينعمن من كان فى العصر الخالى

وهل ينعمن الا سعيد مخلد * قليل الهموم ما يبيت بأوجال

* سيقت هذه الآية لبيان أن ما استنكره الجهلة والسفهاء وأهل العناد والمراء من الكفار واستغربوه من أن تكون المحقرات من الاشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع للاستنكار والاستغراب من قبل أن التمثيل انما يصار اليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب وادناء المتوهم من المشاهد فان كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله وان كان حقيرا كان المتمثل به كذلك فليس العظم والحقارة فى المضروب به المثل اذا الأمر استدعته حال المتمثل له وتستجره الى نفسها فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضية ألا ترى الى الحق لما كان واضحا جليا أبلج كيف تمثل له بالضياء والنور والى الباطل لما كان بضد صفته كيف تمثل له بالظلمة ولما كانت حال الآلهة التى جعلها الكفار أندادا لله تعالى لا حال أحقر منها وأقل ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها فى الضعف والوهن وجعلت أقل من الذباب وأخس قدرا وضربت لها البعوضة فالذى دونه مثلا لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقل للمتمثل استحى من تمثيلها بالبعوضة لانه مصيب فى تمثيله محق فى قوله سائق للمثل على قضية مضربه محتذ على مثال ما يحتذيه ويستدعيه وليبين أن المؤمنين الذين عادتهم الانصاف والعمل على العدل والتسوية والنظر فى الأمور بناظر العقل اذا سمعوا بمثل هذا التمثيل علموا أنه الحق الذى لا تمر الشبهة بساحته والصواب الذى لا يرتع الخطأ حوله وأن الكفار الذين غلبهم الجهل على عقولهم وغصبهم على بصائرهم لا يتفطنون ولا يلقون أذهانهم أو عرفوا

انه الحق الا أن حب الرياسة وهوى الالف والعادة لا يخليهم أن ينصفوا فاذا سمعوه عاندوا وكابروا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالانكار وأن ذلك سبب زيادة هدى المؤمنين وانهماك الفاسقين في غيهم وضلالهم والعجب منهم كيف أنكروا ذلك وما زال الناس يضربون الامثال بالبهائم والطيور وأحناش الارض والحشرات والهوام وهذه أمثال العرب بين أيديهم مسيرة في حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا فيها بأحقر الاشياء فقالوا أجمع من ذرة وأجرأ من الذباب وأسمع من قراد وأصرد من جرادة وأضعف من فراشة وآكل من السوس وقالوا في البعوضة أضعف من بعوضة وأعز من مخ البعوض وكلفتني مخ البعوض ولقد ضربت الامثال في الانجيل بالاشياء المحقرة كالزوان والنخالة وحبة الخردل والحصاة والارضة والدود والزنابير والتمثيل بهذه الاشياء وبأحقر منها مما لا تغبى استقامته وصحته على من به أدنى مسكة ولكن ديدن المحجوج المبهوت الذي لا يبقى له متمسك بدليل ولا متشبث بامارة ولا اقناع أن يرمى لفرط الحيرة والعجز عن اعمال الحيلة بدفع الواضح وانكار المستقيم والتعويل على المكابرة والمغالطة اذا لم يجد سوى ذلك معولا وعن الحسن وقتادة لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فأنزل الله عز وجل هذه الآية * والحياء تغير وانكسار يعتري الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه من الحياة يقال حيي الرجل كما يقال نسي وحشي وشظي الفرس اذا اعتلت هذه الاعضاء جعل الحيي لما يعتريه من الانكسار والتغير منتكس القوة منتقص الحياة كما قالوا هلك فلان حياء من كذا ومات حياء ورأيت الهلاك في وجهه من شدة الحياء وذاب حياء وجمد في مكانه خجلا (فان قلت) كيف جاز وصف القديم سبحانه به ولا يجوز عليه التغير والخوف والذم وذلك في حديث سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع اليه العبد يديه أن يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا (قلت) هو جار على سبيل التمثيل مثل تركه تخييب العبد وانه لا يرد يديه صفرا من عطائه لكرمه بترك من يترك رد المحتاج اليه حياء منه وكذلك معنى قوله (ان الله لا يستحيي) أي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي أن يتمثل بها لحقارتها ويجوز أن تقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا ما يستحيي رب محمد أن يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة واطباق الجواب على السؤال وهو فن من كلامهم بديع وطراز عجيب منه قول أبي تمام

من مبلغ أفناء يعرب كلها * أني بنيت الجار قبل المنزل

وشهد رجل عند شريح فقال انك لسبط الشهادة فقال الرجل انها لم تجعد عني فقال لله بلادك وقبل شهادته فالذي سوغ بناء الجار وتجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجار وسبوطة الشهادة لامتنع تجعيدها ولله در أمر التنزيل واحاطته بفنون البلاغة وشعبها لا تكاد تستغرب منها فنا الا عثرت عليه فيه على أقوم مناهجه وأسد مدارجه وقد استعير الحياء فيما لا يصح فيه

اذا ما استحين الماء يعرض نفسه * كرعن بسبت في اناء من الورد

وقرأ ابن كثير في رواية شبل يستحي بياء واحدة وفيه لغتان التعدي بالجار والتعدي بنفسه يقولون استحييت منه واستحييته وهما محتملتان ههنا وضرب المثل اعتماده وصنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وفي الحديث اضطرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاتما من ذهب و(ما) هذه ابهامية وهي التي اذا اقترنت باسم نكرة أبهمته ابهاما وزادته شياعا وعموما كقولك أعطني كتابا ما تريد أي كتاب كان أو صلة للتأكيد كالتي في قوله فبما نقضهم ميثاقهم كأنه قيل لا يستحيي أن يضرب مثلا حقا أو البتة هذا اذا نصبت (بعوضة) فان رفعتها

* قوله تعالى ان الله لا يستحيي الآية (قال محمود رحمه الله ان قلت كيف جاز وصف الله تعالى بالاستحياء الخ) قال أحمد رحمه الله وللقائل أن يقول ما الذي دعاه الى تأويل الآية مع أن الحياء الذي يخشى نسبة ظاهره الى الله تعالى مسلوب في الآية كقولنا الله ليس بجسم ولا بجوهر في معرض التنزيه والتقديس ٢٠٤ وأما تأويل الحديث فمستقيم لان الحياء فيه ثبت لله تعالى وللزمخشري أن يجيب بأن السلب في مثل هذا انما يطرأ على ما يمكن نسبته الى المسلوب عنه اذ مفهوم نفي الاستحياء عنه في شئ خاص ثبوت الاستحياء في غيره فالحاجة داعية الى تأويله لما أفضى اليه مفهومه وانما يتوجه السؤال لو كان الاستحياء مسلوبا مطلقا كقولنا الله لا يحول ولا يزول فان ذلك لا يثبت ومحال بل يقال هو مقدس منزه مطلقا (قال محمود رحمه الله وما هذه ابهامية الخ) قال أحمد رحمه الله وفهم

ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة

وهم امام الحرمين في تقرير نصوصية العموم في قوله عليه الصلاة والسلام أيما امرأة نكحت بغير اذن وليها الحديث فانه قرر العموم والابهام في أي ثم قال فاذا انضاف اليها ما الشرطية كان ذلك أبلغ في اقتضاء العموم فاعتقد ان المؤكدة هي الشرطية وانما هي حرف مزيد لهذا الغرض وأما ما الشرطية فاسم لكن والله الموفق (قال محمود هذا اذا انصبت بعوضة فان رفعتها فهي اذا موصولة الى قوله ووجه آخر جيل وهو أن تكون الخ) قال أحمد حملها على الاستفهامية بالمعنى الذي قرره فيه نظر لان قوله تعالى فما فوقها في الحقارة فيكون معناه فما دونها واما أن يراد به فما هو أكبر منها حجما وعلى كلا التقديرين يتعذر الاستفهام لانه انما يستعمل في مثل ما دينار ودينار ان أي اذا جاءك بالكثير فالقليل واذا ذهبت في الآية هذا

المذهب لم تجد لصحته مجالا اذ يكون المراد ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا بالمحقرات فما البعوضة وما هو أحقر منها اوقد فرضنا أنها فى أحد
الوجهين نهاية فى المحقرات وفى الوجه الآخر ليست نهاية بل النهاية فى قوله فما فوقها أى دونها فاذا حمل ما بعد الاستفهام على النهاية فى
الوجهين جميعا لم ينتظم التنبيه المذكور بل ينعكس الغرض فيه اذ المقصود فى مثل قولنا فلان لا يبالى بعطاء الالوف فما الدينار الواحد
التنبيه على ان عطاء القليل منه محقق بعطائه الكثير بطريق الاولى ولا يتحقق فى الآية على هذا التقدير انه لا يستحيي من ضرب المثل
بالمحقرات التى لا تبلغ النهاية فكيف يستحيي من ضرب المثل بما يبلغ النهاية فى الحقارة كالبعوضة ٢٠٥ هذا عكس لنظم الاولوية
ولو كانت الآية مثلا
واردة على غير هذا
الكلم كقول القائل ان
الله لا يستحيي أن يضرب
مثلا بالبعوضة التى
هى نهاية فى الحقارة
فما الانعام التى هى
ابعد من البعوضة
أو أبعد منها عن الحقارة
بما لا يخفى لكان تقرير
الزمخشرى متوجها زما

فما فوقها فأما الذين
آمنوا فيعلمون أنه الحق
من ربهم

أراه والله أعلم الا واها فى
هذا الوجه وما طولت
النفس و وسعت العبارة
فى الاعتراض عليه الا
انه محل ضيق ومعنى
متقاص لا يخلص الى
الفهم الا بهذا المزيد من
البسط وناهيك بوضع
العكس على فهم
الزمخشرى بل مع تعود
فهمه واصابة ذهنه
خصوصا فى تنسيق
المعانى وتفصيلها والله
الموفق وما تبجعه
بالعثور على الوجه الذى
ظن ان رؤبة العجاج رعاه فى قراءته فكلام ركيك توهم ان القراءة موكولة الى رأى القارئ وتوجيهه واوضح به العربية وفصاحته فى
اللغة وليس الامر كذلك بل القراءة على اختلاف وجوهها او بعد حروفها سنة متبع وسماع يتقبله الفصيح وغيره على حد سواء
لا حيلة للفصيح فى تغيير شئ منه عما سمعه عليه وما يصنع بفصاحته فى القرآن الذى بذ كل فصاحة وعزل كل بلاغة فالصحيح والمعتقد
ان كل قارئ معزول لا عما سمعه فوعاه وتلقنه من الافواه فأداه الى أن ينتهى ذلك الى استماع من أفصح من نطق بالضاد سيدنا محمد
عليه أفضل الصلاة والسلام فتأمل هذا الفصل فان فاهمه قليل

فهى موصولة صلتها الجملة لان التقدير هو بعوضة فحذف صدر الجملة كما حذف فى تماما على الذى أحسن ووجه
آخر حسن جميل وهو أن تكون التى فيها معنى الاستفهام لما استنكفوا من تمثيل الله لاصنامهم بالمحقرات
قال ان الله لا يستحيي أن يضرب للانداد ما شاء من الاشياء المحقرة مثلا بله البعوضة فما فوقها كما يقال فلان
لا يبالى بما وهب ما دينار ودينارات والمعنى ان الله أن يمثل للانداد وحقارة شأنها بما لا شئ أصغر منه وأقل
كما لو تمثل بالجزء الذى لا يتجزأ أو بما لا يدركه لتناهيه فى صغره الا هو وحده بلطفه أو بالمعدوم كما تقول العرب
فلان أقل من لا شئ فى العدد ولقد ألم به قوله تعالى ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شئ وهذه القراءة تعزى
الى رؤبة بن العجاج وهو أمضغ العرب للشيح والقيصوم المشهود له بالفصاحة وكانوا يشبهون به الحسن
وما أظنه ذهب فى هذه القراءة الا الى هذا الوجه وهو المطابق لفصاحته وانتصب بعوضة بأنه عطف بيان
لمثلا أو مفعول ليضرب ومثلا حال عن النكرة مقدمة عليه أو انتصبا مفعولين فجرى ضرب مجرى جعل
واشتقاق البعوض من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال بعضه البعوض وأنشد

لنعم البيت بيت أبى دثار * اذا ما خاف بعض القوم بعضا

ومنه بعض الشئ لانه قطعة منه والبعوض فى أصله صفة على فعول كالقطوع فغلبت وكذلك الخموش (فما
فوقها) فيه معنيان أحدهما فما تجاوزها وزاد عليها فى المعنى الذى ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة نحو
قولك لمن يقول فلان أسفل الناس وأنذلهم هو فوق ذلك تريد هو أبلغ وأعرق فيما وصف به من السفالة
والنذالة والثانى فما زاد عليها فى الحجم كأنه قصد بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت
لانهما أكبر من البعوضة كما تقول لصاحبك وقد ذم من عرفته يشح بأدنى شئ فقال فلان يبخل بالدرهم
والدرهمين هو لا يبالى أن يبخل بنصف درهم فما فوقه تريد بما فوقه ما بخل فيه وهو الدرهم والدرهمان كأنك
قلت فضلا عن الدرهم والدرهمين ونحوه فى الاحتمالين ما سمعناه فى صحيح مسلم عن ابراهيم عن الاسود قال
دخل شباب من قريش على عائشة رضى الله عنها وهى بمنى وهم يضحكون فقالت ما يضحككم قالوا فلان خر
على طنب فسطاط فكادت عنقه أو عينه أن تذهب فقالت لا تضحكوا انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة يحتمل فما عدا الشوكة
وتجاوزها فى القلة وهى نحو نخبة النملة فى قوله عليه الصلاة والسلام ما أصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة
لخطاياه حتى نخبة النملة وهى عضتها أو يحتمل ما هو أشد من الشوكة وأوجع كالخرور على طنب الفسطاط (فان
قلت) كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهى النهاية فى الصغر (قلت) ليس كذلك فان جناح البعوضة
أقل منها وأصغر بدرجات وقد ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا وفى خلق الله حيوان أصغر منها
ومن جناحها ربما رأيت فى تضاعيف الكتب العتيقة دويبة لا يكاد يجليها للبصر الحاد الا تحركها فاذا
سكنت فالسكون يواريها ثم اذا لوحت لها بيدك حادت عنها وتجنبت مضرتها فسبحان من يدرك صورة تلك
وأعضاءها الظاهرة والباطنة وتفاصيل خلقتها او يبصر بصرها او يطلع على ضميرها ولعل فى خلقه ما هو

*قوله تعالى يضل به كثيرا الآية (قال محمود رحمه الله ان قلت كيف وصف المهديون بالكثرة الخ) قال أحمد رحمه الله جوابه صحيح وتنظيره بالبيت وهم لان الشاعر انما ذهب الى أن عدد الكرام وان كان قليلا فى نفسه فالواحد منهم لعموم نفعه وانبساط كرمه يقوم مقام ألف من جنسه مثلا وعدد اللئام ٢٠٦ وان كثروا فالاكثرون منهم يعدون بواحد من غيرهم لقلة أيديهم وانقباضها عن الجود وعدم تعدى نفع منهم الى غيرهم كقول ابن يزيد

الناس ألف منهم كواحد
وواحد كالف ان أمر عرا

وأما الآية فمضمونها ان عدد المهديين كثير فى نفسه ومضمون الآيات الاخر أن عددهم قليل بالنسبة الى كثرة عدد الضالين فعبر عنه تارة بالكثرة نظرا الى ذاته وتارة بالقلة نظرا الى غيره فليس معنى البيت من الآية فى شئ (قال محمود

وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون

رحمه الله ونسبة الاضلال الى الله تعالى من اسناد الفعل الى السبب الخ) قال أحمد رحمه الله جرى على سنة السيئة فى اعتقاد أن الاشراك بالله وان الاضلال من جملة المخلوقات الخارجة عن عدد مخلوقاته عز وجل بل من مخلوقات العبد لنفسه على زعم هذه الطائفة تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وانظر الى ضيق الخناق فعليه الحكايات لا طلاقات المشايخ الضلال لهم فرتب عليها حقائق العقائد وهذا من ارتكاب الهوى واقتحام الهلكة وما أشنع تصريحه بان التسبب الاضلال لا خالقه كما ان السلسلة سبب فى وضع القيود فى رجلى المحبوس واسناد الفعل لله عز وجل مجاز لا حقيقة كما أن اسناد الفعل الى البلد كذلك باله فى تمثيل صار به مثلة وتنظير صار به حائدا عن النظر الصحيح مردود على التفصيل والجملة نسأل الله تعالى العصمة من أمثال هذه الزلة وهو ولى التوفيق

أصغر منها وأصغر سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون وأنشدت لبعضهم

يا من يرى مد البعوض جناحها * فى ظلمة الليل البهيم الاليل
ويرى عروق نياطها فى نحرها * والمخ فى تلك العظام النحل
اغفر لعبد تاب من فرطاته * ما كان منه فى الزمان الاول

و(أما) حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء وفائدته فى الكلام أن يعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب فاذا قصدت توكيد ذلك وأنه لا محالة ذاهب وأنه بصدد الذهاب وأنه منه عزيمة قلت أما زيد فذاهب ولذلك قال سيبويه فى تفسيره مهما يكن من شئ فزيد ذاهب وهذا التفسير مدل لفائدتين بيان كونه توكيدا وأنه فى معنى الشرط ففى ايراد الجملتين مصدرتين به وان لم يقل فالذين آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون احماد عظيم لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم أنه الحق ونعى على الكافرين اغفالهم حظهم وعنادهم ورميهم بالكلمة الحمقاء و(الحق) الثابت الذى لا يسوغ انكاره يقال حق الامر اذا ثبت ووجب وحقت كلمة ربك وثوب محقق محكم النسج و(ماذا) فيه وجهان أن يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذى فيكون كلمتين وأن يكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما واحدا فيكون كلمة واحدة فهو على الوجه الاول مرفوع المحل على الابتداء وخبره ذا مع صلته وعلى الثانى منصوب المحل فى حكم ما وحده لو قلت ما أراد الله والاصوب فى جوابه أن يجئ على الاول مرفوعا وعلى الثانى منصوبا ليطابق الجواب السؤال وقد جوزوا عكس ذلك كما تقول فى جواب من قال ما رأيت خيرا أى المرئى خير وفى جواب ما الذى رأيت خيرا أى رأيت خيرا وقرئ قوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو بالرفع والنصب على التقديرين * والارادة نقيض الكراهة وهى مصدر أردت الشئ اذا طلبته نفسك ومال اليه قلبك وفى حدود المتكلمين الارادة معنى يوجب للحى حالا لاجلها يقع منه الفعل على وجه دون وجه وقد اختلفوا فى ارادة الله فبعضهم على أن للبارى مثل صفة المريد منا التى هى القصد وهو أمر زائد على كونه عالما غير ساه وبعضهم على أن معنى ارادته لافعاله هو أنه فعلها وهو غير ساه ولا مكره ومعنى ارادته لافعال غيره انه آمر بها والضمير فى أنه الحق للمثل أو لأن يضرب وفى قولهم ماذا أراد الله بهذا مثلا استرذال واستحقار كما قالت عائشة رضى الله عنها فى عبد الله بن عمرو بن العاصى يا عجبا لابن عمرو هذا (مثلا) نصب على التمييز كقولك لمن أجاب بجواب غث ماذا أردت بهذا جوابا ولمن حمل سلاحا رديا كيف تنتفع بهذا سلاحا أو على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية *وقوله (يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا) جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين بأما وأن فريق العالمين بأنه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة وأن العلم بكونه حقا من باب الهدى الذى ازداد به المؤمنون نورا الى نورهم وأن الجهل بحسن مورده من باب الضلالة التى زادت الجهلة خبطا فى ظلماتهم (فان قلت) لم وصف المهديون بالكثرة والقلة صفتهم وقليل من عبادى الشكور وقليل ما هم الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة وجدت الناس أخبر تقله (قلت) أهل الهدى كثير فى أنفسهم وحين يوصفون بالقلة انما يوصفون بها بالقياس الى أهل الضلال وأيضا فان القليل من المهديين كثير فى الحقيقة وان قلوا فى الصورة فسموا ذهابا الى الحقيقة كثيرا

ان الكرام كثير فى البلاد وان * قلوا كما غيرهم قل وان كثروا

واسناد الاضلال الى الله تعالى اسناد الفعل الى السبب لانه لما ضرب المثل فضل به قوم واهتدى به قوم تسبب

لضلالهم وهداهم وعن مالك بن دينار رحمه الله أنه دخل على محبوس قد أخذ بمال عليه وقيد فقال يا أبا يحيى أما ترى ما نحن فيه من القيود فرفع مالك رأسه فرأى سلة فقال لمن هذه السلة فقال لي فأمر بها تنزل فاذا دجاج وأخبصة فقال مالك هذه وضعت القيود على رجلك * وقرأ زيد بن علي يضل به كثير وكذلك وما يضل به الا الفاسقون * والفسق الخروج عن القصد قال رؤبة * فواسقا عن قصدها جوائرا * والفاسق في الشريعة الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين أي بين منزلة المؤمن والكافر وقالوا ان أول من حد له هذا الحد أبو حذيفة واصل بن عطاء رضي الله عنه وعن أشياعه وكونه بين بين أن حكمه حكم المؤمن في أنه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين وهو كالكافر في الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته وأن لا تقبل له شهادة ومذهب مالك بن أنس والزيدية أن الصلاة لا تجزئ خلفه ويقال للخلفاء المردة من الكفار الفسقة وقد جاء الاستعمال في كتاب الله بئس الاسم الفسوق بعد الايمان يريد اللمز والتنابز ان المنافقين هم الفاسقون * النقض الفسخ وفك التركيب (فان قلت) من أين ساغ استعمال النقض في ابطال العهد (قلت) من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين ومنه قول ابن التيهان في بيعة العقبة يا رسول الله ان بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها فنخشى ان الله عز وجل أعزك وأظهرك أن ترجع الى قومك وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا اليه بذكر شيء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه ونحوه قولك شجاع يفترس أقرانه وعالم يغترف منه الناس واذا تزوجت امرأة فاستوثرها لم تقل هذا الا وقد نبهت على الشجاع والعالم بأنهما أسد وبحر وعلى المرأة بأنها فراش * والعهد الموثق وعهد اليه في كذا اذا وصاه به ووثقه عليه واستعهد منه اذا اشترط عليه واستوثق منه والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله أحبار اليهود المتعنتون أو منافقوهم أو الكفار جميعا (فان قلت) فما المراد بعهد الله (قلت) ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد كأنه أمر وصاهم به ووثقه عليهم وهو معنى قوله تعالى وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى أو أخذ الميثاق عليهم بأنهم اذا بعث اليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره فيما تقدمه من الكتب المنزلة عليهم كقوله وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وقوله في الانجيل لعيسى صلوات الله عليه سأنزل عليك كتابا فيه نبأ بني اسرائيل وما أريته اياهم من الآيات وما أنعمت عليهم وما نقضوا من ميثاقهم الذي واثقوا به وما ضيعوا من عهدي اليهم وحسن صنعه للذين قاموا بميثاق الله تعالى وأوفوا بعهده ونصره اياهم وكيف أنزل بأسه ونقمته بالذين غدروا ونقضوا ميثاقهم ولم يوفوا بعهده لان اليهود فعلوا باسم عيسى ما فعلوا باسم محمد صلى الله عليه وسلم من التحريف والجحود وكفروا به كما كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو أخذ الله العهد عليهم أن لا يسفكوا دماءهم ولا يبغي بعضهم على بعض ولا يقطعوا أرحامهم وقيل عهد الله الى خلقه ثلاثة عهود العهد الاول الذي أخذه على جميع ذرية آدم الاقرار بربوبيته وهو قوله تعالى واذ أخذ ربك وعهد خص به النبيين ان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وهو قوله تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم وعهد خص به العلماء وهو قوله واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه والضمير في ميثاقه للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله والزامه أنفسهم ويجوز أن يكون بمعنى توثقته كما أن الميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة ويجوز أن يرجع الضمير الى الله تعالى أي من بعد توثقته عليهم أو من بعد ما وثق به عهده من آياته وكتبه وانذار رسله * ومعنى قطعهم (ما أمر الله به أن يوصل) قطعهم الارحام وموالاة المؤمنين وقيل قطعهم ما بين الانبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع على الحق في ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض (فان قلت) ما الامر (قلت) طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور لان الداعي الذي يدعو اليه من يتولاه شبه بآمر يأمره به فقيل له أمر تسمية للمفعول به بالمصدر كأنه مأمور به كما قيل له شأن والشأن الطلب والقصد يقال شأنت شأنه أي قصدت قصده (هم الخاسرون) لانهم استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح وعقابها بثوابها * معنى الهمزة التي في (كيف) مثله في قولك أتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر

ما أمر الله به أن يوصل
ويفسدون في الأرض
أولئك هم الخاسرون
كيف تكفرون بالله

وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون هو الذى خلق لكم ما فى الارض

ويدعو الى الايمان وهو لانكار والتعجب ونظيره قولك أتطير بغير جناح وكيف تطير بغير جناح (فان قلت) قولك أتطير بغير جناح انكار للطيران لانه مستحيل بغير جناح وأما الكفر فغير مستحيل مع ما ذكر من الاماتة والاحياء (قلت) قد أخرج فى صورة المستحيل لما قوى من الصارف عن الكفر والداعى الى الايمان (فان قلت) فقد تبين أمر الهمزة وأنها لانكار الفعل والايذان باستحالته فى نفسه أو لقوة الصارف عنه فما تقول فى كيف حيث كان انكارا للحال التى يقع عليها كفرهم (قلت) حال الشئ تابعة لذاته فاذا امتنع ثبوت الذات تبعه امتناع ثبوت الحال فكان انكار حال الكفر لانها تبيع ذات الكفر ورديفها انكارا لذات الكفر وثباتها على طريق الكناية وذلك أقوى لانكار الكفر وأبلغ وتحريره انه اذا أنكر أن يكون لكفرهم حال يوجد عليها وقد علم أن كل موجود لا ينفك عن حال وصفة عند وجوده ومحال أن يوجد بغير صفة من الصفات كان انكارا لوجوده على الطريق البرهانى * والواو فى قوله (وكنتم أمواتا) للحال (فان قلت) فكيف صح أن يكون حالا وهو ماض ولا يقال جئت وقام الامير ولكن وقد قام الا أن يضمر قد (قلت) لم تدخل الواو على كنتم أمواتا وحده ولكن على جملة قوله كنتم أمواتا الى ترجعون كأنه قيل كيف تكفرون بالله وقصتكم هذه وحالكم انكم كنتم أمواتا نطفا فى أصلاب آبائكم فجعلكم أحياء ثم يميتكم بعد هذه الحياة ثم يحييكم بعد الموت ثم يحاسبكم (فان قلت) بعض القصة ماض وبعضها مستقبل والماضى والمستقبل كلاهما لا يصح أن يقعا حالا حتى يكون فعلا حاضرا وقت وجود ما هو حال عنه فما الحاضر الذى وقع حالا (قلت) هو العلم بالقصة كأنه قيل كيف تكفرون وأنتم عالمون بهذه القصة بأولها وآخرها (فان قلت) فقد آل المعنى الى قولك على أى حال تكفرون فى حال علمكم بهذه القصة فما وجه صحته (قلت) قد ذكرنا أن معنى الاستفهام فى كيف الانكار وأن انكار الحال متضمن لانكار الذات على سبيل الكناية فكأنه قيل ما أعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه (فان قلت) ان اتصل علمهم بأنهم كانوا أمواتا فأحياهم ثم يميتهم فلم يتصل باحياء الثانى والرجوع (قلت) قد تمكنوا من العلم بهما بالدلائل الموصلة اليه فكان ذلك بمنزلة حصول العلم وكثير منهم علموا ثم عاندوا * والاموات جمع ميت كالاقوال فى جمع قيل (فان قلت) كيف قيل لهم أموات فى حال كونهم جمادا وانما يقال ميت فيما يصح فيه الحياة من البنى (قلت) بل يقال ذلك لعادم الحياة كقوله بلدة ميتا وآية لهم الارض الميتة أموات غير أحياء ويجوز أن يكون استعارة لاجتماعهما فى أن لا روح ولا احساس (فان قلت) ما المراد بالاحياء الثانى (قلت) يجوز أن يراد به الاحياء فى القبر وبالرجوع النشور وأن يراد به النشور وبالرجوع المصير الى الجزاء (فان قلت) لم كان العطف الاول بالفاء والاعقاب بثم (قلت) لان الاحياء الاول قد تعقب الموت بغير تراخ وأما الموت فقد تراخى عن الاحياء والاحياء الثانى كذلك متراخ عن الموت ان أريد به النشور تراخيا ظاهرا وان أريد به احياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع الى الجزاء أيضا متراخ عن النشور (فان قلت) من أين أنكر اجتماع الكفر مع القصة التى ذكرها الله الا انها مشتملة على آيات بينات تصرفهم عن الكفر أم على نعم جسام حقها أن تشكر ولا تكفر (قلت) يحتمل الامرين جميعا لان ما عدده آيات وهى مع كونها آيات من أعظم النعم (لكم) لاجلكم ولانتفاعكم به فى دنياكم ودينكم أما الانتفاع الدنيوى فظاهر وأما الانتفاع الدينى فالنظر فيه وما فيه من عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم وما فيه من التذكير بالآخرة وبثوابها وعقابها لاشتماله على أسباب الانس واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة البهية وعلى أسباب الوحشة والمشقة من أنواع المكاره كالنيران والصواعق والسباع والاحناش والسموم والغموم والمخاوف وقد استدل بقوله خلق لكم على أن الاشياء التى يصح أن ينتفع بها ولم تجر مجرى المحظورات فى العقل خلقت فى الاصل مباحة مطلقة لكل أحد أن يتناولها ويستنفع بها (فان قلت) هل لقول من زعم أن المعنى خلق لكم الارض وما فيها وجه صحة (قلت) ان أراد بالارض الجهات السفلية دون الغبراء كما تذكر السماء

ويراد

* قوله تعالى هو الذى خلق لكم الآية (قال محمود رحمه الله تعالى وقد استدل بقوله خلق لكم على ان الاشياء التى يصح ان ينتفع بها الخ) قال أحمد رحمه الله هذا استدلال فرقة من القدرية ذهبت الى ان حكم الله تعالى الاباحة فى ذوات المنافع التى لا يدل العقل على تحريمها قبل ورود الرسل تلقيا من العقل وزعموا انها اشتملت على منافع وحاجة الخلق داعية اليها وخلقها مع حظرها على العباد خلاف مقتضى الحكمة فوجب عندهم بمقتضى العقل أن يعتقدوا اباحتها فى حكم الله عز وجل وهذا زائل ناشئ عن قاعدة التحسين والتقبيح الباطلة وأما استدلال الزمخشرى لهذه الفرقة بالآية فغير مستقيم فان دعواهم ان العقل كاف فى اباحة هذه الاشياء فان دلت الآية على الاباحة فنحن نقول بموجبها ويكون اذا الاباحة شرعية سمعية وان لم تدل على الاباحة لم يبق فى الاستدلال بها مطمع

وترادالجهات العلوية جاز ذلك فان الغبراء وما فيها واقعة فى الجهات السفلية * و (جميعا) نصب على الحال من الموصول الثانى * والاستواء الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود وغيره اذا قام واعتدل ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير أن يلوى على شئ ومنه استعير قوله ثم استوى الى السماء أى قصد اليها بارادته ومشيئته بعد خلق ما فى الارض من غير أن يريد فيما بين ذلك خلق شئ آخر * والمراد بالسماء جهات العلو كأنه قيل ثم استوى الى فوق * والضمير فى (فسواهن) ضمير مبهم * و (سبع سموات) تفسيره كقولهم ربه رجلا وقيل الضمير راجع الى السماء والسماء فى معنى الجنس وقيل فى معنى سماءة والوجه العربى هو الاول ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور أو اتمام خلقهن (وهو بكل شئ عليم) فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما فى الارض على حسب حاجات أهلها ومنافعهم ومصالحهم (فان قلت) ما فسرت به مع الاستواء الى السماء يناقضه ثم لاعطائه معنى التراخى والمهلة (قلت) ثم ههنا لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السموات على خلق الارض لا للتراخى فى الوقت كقوله ثم كان من الذين آمنوا على انه لو كان لمعنى التراخى فى الوقت لم يلزم ما اعترضت به لان المعنى أنه حين قصد الى السماء لم يحدث فيما بين ذلك أى فى تضاعيف القصد اليها خلقا آخر (فان قلت) أما يناقض هذا قوله والارض بعد ذلك دحاها (قلت) لا لان جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء وأما دحوها فمتأخر وعن الحسن خلق الله الارض فى موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم أصعد الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر فى موضعها وبسط منها الارض فذلك قوله كانتا رتقا وهو الالتزاق (واذ) نصب باضمار اذكر ويجوز أن ينتصب بقالوا * والملائكة جمع ملأك على الاصل كالشمائل فى جمع شمأل والحاق التاء لتأنيث الجمع * و (جاعل) من جعل الذى له مفعولان دخل على المبتدا والخبر وهما قوله فى الارض خليفة فكانا مفعوليه ومعناه مصير (فى الارض خليفة) والخليفة من يخلف غيره والمعنى خليفة منكم لانهم كانوا سكان الارض فخلفهم فيها آدم وذريته (فان قلت) فهلا قيل خلائف أو خلفاء (قلت) أريد بالخليفة آدم واستغنى بذكره عن ذكر بنيه كما يستغنى بذكر أبى القبيلة فى قولك مضر وهاشم أو أريد من يخلفكم أو خلفا يخلفكم فوحد لذلك وقرئ خليقة بالقاف ويجوز أن يريد خليفة منى لان آدم كان خليفة الله فى أرضه وكذلك كل نبى انا جعلناك خليفة فى الارض (فان قلت) لاى غرض أخبرهم بذلك (قلت) ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا بما أجيبوا به فيعرفوا حكمته فى استخلافهم قبل كونهم صيانة لهم عن اعتراض الشبهة فى وقت استخلافهم وقيل ليعلم عباده المشاورة فى أمورهم قبل أن يقدموا عليها وعرضها على ثقاتهم ونصحائهم وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة (أتجعل فيها) تعجب من أن يستخلف مكان أهل الطاعة أهل المعصية وهو الحكيم الذى لا يفعل الا الخير ولا يريد الا الخير (فان قلت) من أين عرفوا ذلك حتى تعجبوا منه وانما هو غيب (قلت) عرفوه باخبار من الله أو من جهة اللوح أو ثبت فى علمهم أن الملائكة وحدهم هم الخلق المعصومون وكل خلق سواهم ليسوا على صفتهم أو قاسوا أحد الثقلين على الآخر حيث أسكنوا الارض فأفسدوا فيها قبل سكنى الملائكة * وقرئ (يسفك) بضم الفاء ويسفك ويسفك من أسفك وسفك * والواو فى (ونحن) للحال كما تقول أتحسن الى فلان وأنا أحق منه بالاحسان * والتسبيح تبعيد الله من السوء وكذلك تقديسه من سبح فى الارض والماء وقدس فى الارض اذا ذهب فيها وأبعد * و (بحمدك) فى موضع الحال أى نسبح حامدين لك وملتبسين بحمدك لانه لولا انعامك علينا بالتوفيق واللطف لم نتمكن من عبادتك (أعلم ما لا تعلمون) أى أعلم من المصالح فى ذلك ما هو خفى عليكم (فان قلت) هلا بين لهم تلك المصالح (قلت) كفى العباد أن يعلموا أن أفعال الله كلها حسنة وحكمة وان خفى عليهم وجه الحسن والحكمة على أنه قد بين لهم بعض ذلك فيما أتبعه من قوله (وعلم آدم الاسماء كلها) واشتقاقهم آدم من الادمة ومن أديم الارض نحو اشتقاقهم يعقوب من العقب وادريس من الدرس وابليس من الابلاس وما آدم الا اسم أعجمى وأقرب

جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شئ عليم واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم ما لا تعلمون وعلم آدم الاسماء كلها

* قوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها الآية

(قال محمود رحمه الله أي أسماء المسميات الخ) قال أحمد رحمه الله وهو يفر من اعتقاد ان الاسم هو المسمى لان ذلك معتقد أهل السنة فيعمل الحيلة في ابعاده عن مقتضى الآية قوله أنبئهم بأسمائهم ويتغافل عن قوله ثم عرضهم على الملائكة فان الضمير فيه عائد الى المسميات اتفاقا ولم يجر الا ذكر الاسماء فدل على انها المسميات ويعرض أيضا عن حكمة التعليم وان تعلقه بنفس الالفاظ لا كبير غرض فيه بل الغرض المهم تعليمه لذوات المسميات واطلاعه على حقائقها وما أودع الله تعالى فيها من خواص وأسرار وعلى تسميتها أيضا فان طريق التعليم تمييز كل حقيقة باسمها فقد ثبت بهاتين النكتتين (٢١٠) ان المراد بالاسماء المسميات وأما استدلاله بقوله أنبؤني بأسماء هؤلاء فغايته اضافة الاسماء الى الذوات فلهم أن يقولوا لو كانت الاسماء هي الذوات لزمت اضافة الشيء الى نفسه وهذا مالا مطمع فيه فان هذه الاضافة مثلها في قولك نفس زيد وحقيقته فالمراد اذ أنبؤني بحقائق هؤلاء ولا نكير في هذه الاضافة فان الاسماء لمعنى المسميات والحقائق أعم من هؤلاء المشار اليهم والمضاف وزال الابهام فصحت الاضافة لما بين الاعم والاخص من التغاير وهذا هو الصحيح للاضافة في مثل نفس زيد وذاته اهـ فهذه نبذة من مسئلة الاسم والمسمى تختص بهذه الآية وفيها ان شاء الله كفاية على انها وان عدها المتكلمون من فن الكلام فالغالب عليها انها مسئلة لفظية لا يرجع اختلاف الاشعرية والمعتزلة فيها الى كثير من حيث الحقيقة * قوله تعالى فأزلهما الشيطان عنها (قال محمود رحمه الله وقيل فأزلهما عن الجنة بمعنى أذهبهما عنها وأبعدهما كما تقول زل الخ) قال أحمد رحمه الله ويشهد له قوله تعالى كما أخرج أبويكم من الجنة

ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبؤني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما

أمره أن يكون على فاعل كآزر وعازر وعابر وشالخ وفالغ وأشباه ذلك * الاسماء كلها أي أسماء المسميات فحذف المضاف اليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الاسماء لان الاسم لا بد له من مسمى وعوض منه اللام كقوله واشتعل الرأس (فان قلت) هلا زعمت أنه حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وأن الاصل وعلم آدم مسميات الاسماء (قلت) لان التعليم وجب تعليقه بالاسماء لا بالمسميات لقوله أنبؤني بأسماء هؤلاء أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم فكما علق الانباء بالاسماء لا بالمسميات ولم يقل أنبؤني بهؤلاء وأنبئهم بهم وجب تعليق التعليم بها (فان قلت) فما معنى تعليمه أسماء المسميات (قلت) أراه الاجناس التي خلقها وعلمه أن هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا وعلمه أحوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية (ثم عرضهم) أي عرض المسميات وانما ذكر لان في المسميات العقلاء فغلبهم وانما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الانباء على سبيل التبكيت (ان كنتم صادقين) يعني في زعمكم أني أستخلف في الارض مفسدين سفاكين للدماء ارادة للرد عليهم وأن فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التي هي أصول الفوائد كلها ما يستأهلون لاجله أن يستخلفوا فأراهم بذلك وبين لهم بعض ما أجمل من ذكر المصالح في استخلافهم في قوله اني أعلم ما لا تعلمون * وقوله (ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض) استحضار لقوله لهم اني أعلم ما لا تعلمون الا انه جاء به على وجه أبسط من ذلك وأشرح وقرئ وعلم آدم على البناء للمفعول وقرأ عبد الله عرضهن وقرأ أبي عرضها والمعنى عرض مسمياتهن أو مسمياتها لان العرض لا يصح في الاسماء * وقرئ أنبيهم بقلب الهمزة ياء وأنبهم بحذفها والهاء مكسورة فيهما * السجود لله تعالى على سبيل العبادة ولغيره على وجه التكرمة كما سجدت الملائكة لآدم وأبو يوسف واخوته له ويجوز أن تختلف الاحوال والاوقات فيه وقرأ أبو جعفر للملائكة اسجدوا بضم التاء للاتباع ولا يجوز استهلاك الحركة الاعرابية بحركة الاتباع الا في لغة ضعيفة كقولهم الحمد لله (الا ابليس) استثناء متصل لانه كان جنيا واحدا بين أظهر الالوف من الملائكة مغمورا بهم فغلبوا عليه في قوله فسجدوا ثم استثنى منهم استثناء واحد منهم ويجوز أن يجعل منقطعا (أبى) امتنع مما أمر به (واستكبر) عنه (وكان من الكافرين) من جنس كفرة الجن وشياطينهم فلذلك أبى واستكبر كقوله كان من الجن ففسق عن أمر ربه * السكنى من السكون لانها نوع من اللبث والاستقرار * و (أنت) تأكيد للمستكن في اسكن ليصح العطف عليه و (رغدا) وصف للمصدر أي أكلا رغدا واسعا رافها و (حيث) للمكان المبهم أي أي مكان من الجنة (شئتما) أطلق لهما الاكل من الجنة على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلة حين لم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض المواضع الجامعة للمأكولات من الجنة حتى لا يبقى لهما عذر في التناول من شجرة واحدة من بين أشجارها الفائتة للحصر * وكانت الشجرة فيما قيل الحنطة أو الكرمة أو التينة * وقرئ ولا تقربا بكسر التاء وهذي والشجرة بكسر الشين والشيرة بكسر الشين والياء وعن أبي عمرو أنه كرهها وقال يقرأ بها برابرة مكة وسودانها (من الظالمين) من الذين ظلموا أنفسهم بمعصية الله * فتكونا جزم عطف على تقربا أو نصب جواب للنهي * الضمير في (عنها) للشجرة أي فحملهما الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه فأصدر الشيطان زلتهما عنها وعن هذه مثلها في قوله تعالى وما فعلته عن أمري وقوله * ينهون عن أكل وعن شرب * وقيل فأزلهما عن الجنة بمعنى أذهبهما عنها وأبعدهما كما تقول زل عن مرتبته

* قوله تعالى فاما يأتينكم منى هدى الآية (قال محمود رحمه الله ان قلت لم جئ بكلمة الشك واتيان الهدى كائن الخ) قال أحمد رحمه الله هاتان زلتان زلهما فلزمها فى قرن الاول ايراد السؤال بناء على ان الهدى على الله تعالى واجب والثانية بناء الجواب على أن الوجوب الشرعى يثبت بالعقل قبل ورود الشرع والحق ان الله تعالى لا يجب عليه شئ تعالى عن الايجاب رب الارباب وانما يدخل تحت ربقة التكاليف المربوب لا الرب وأما وجوب النظر فى أدلة التوحيد فانما يثبت بالسمع لا بالعقل وان كان حصول المعرفة بالله وتوحيده غير موقوف على ورود السمع بل محض العقل كاف فيه باتفاق (قال محمود رحمه الله فان قلت الخطيئة التى أهبط بها (٢١١) آدم من الجنة الخ) قال أحمد رحمه الله تعالى مقتضاه تأويل الآى المشعر ظاهرها بوقوع الصغائر من الانبياء تنزيههم عنها على أن تجويز الصغائر عليهم قد قال به طوائف من أهل السنة

مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون

وزل عنى ذاك اذ ذهب عنك وزل من الشهر كذا * وقرئ فأزالهما (مما كانا فيه) من النعيم والكرامة أو من الجنة ان كان الضمير للشجرة فى عنها وقرأ عبد الله فوسوس لهما الشيطان عنها وهذا دليل على أن الضمير للشجرة لان المعنى صدرت وسوسته عنها (فان قلت) كيف توصل الى ازلالهما ووسوسته لهما بعدما قيل له اخرج منها فانك رجيم (قلت) يجوز أن يمنع دخولها على جهة التقريب والتكرمة كدخول الملائكة ولا يمنع أن يدخل على جهة الوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل كان يدنو من السماء فيكلمهما وقيل قام عند الباب فنادى وروى أنه أراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل فى فم الحية حتى دخلت به وهم لا يشعرون * قيل (اهبطوا) خطاب لآدم وحواء وابليس وقيل والحية والصحيح أنه لآدم وحواء والمراد هما وذريتهما لانهما لما كانا أصل الانس ومتشعبهم جعلا كأنهما الانس كلهم والدليل عليه قوله قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ويدل على ذلك قوله فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وما هو الا حكم يعم الناس كلهم * ومعنى (بعضكم لبعض عدو) ما عليه الناس من التعادى والتباغى وتضليل بعضهم لبعض والهبوط النزول الى الارض (مستقر) موضع استقرار أو استقرار (ومتاع) وتمتع بالعيش (الى حين) يريد الى يوم القيامة وقيل الى الموت * معنى تلقى الكلمات استقبالها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرئ بنصب آدم ورفع الكلمات على انها استقبلته بان بلغته واتصلت به (فان قلت) ما هن (قلت) قوله تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان أحب الكلام الى الله ما قاله أبونا آدم حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا أنت ظلمت نفسى فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا أنت وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال يارب ألم تخلقنى بيدك قال بلى قال يارب ألم تنفخ فى الروح من روحك قال بلى قال يارب ألم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال ألم تسكنى جنتك قال بلى قال يارب ان تبت وأصلحت أراجعى أنت الى الجنة قال نعم * واكتفى بذكر توبة آدم دون توبة حواء لانها كانت تبعا له كما طوى ذكر النساء فى أكثر القرآن والسنة لذلك وقد ذكرها فى قوله قالا ربنا ظلمنا أنفسنا (فتاب عليه) فرجع عليه بالرحمة والقبول (فان قلت) لم كرر (قلنا اهبطوا) (قلت) للتأكيد ولما نيط به من زيادة قوله (فاما يأتينكم منى هدى) (فان قلت) ما جواب الشرط الاول (قلت) الشرط الثانى مع جوابه كقولك ان جئتنى فان قدرت أحسنت اليك والمعنى فاما يأتينكم منى هدى برسول أبعثه اليكم وكتاب أنزله عليكم بدليل قوله (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) فى مقابلة قوله فمن تبع هداى (فان قلت) فلم جئ بكلمة الشك واتيان الهدى كائن لا محالة لوجوبه (قلت) للايذان بأن الايمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال الكتب وأنه ان لم يبعث رسولا ولم ينزل كتابا كان الايمان به وتوحيده واجبا لما ركب فيهم من العقول ونصب لهم من الادلة ومكنهم من النظر والاستدلال (فان قلت) الخطيئة التى أهبط بها آدم ان كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الانبياء وان كانت صغيرة فلم جرى عليه ما جرى بسببها من نزع اللباس والاخراج من الجنة والاهباط من السماء كما فعل بابليس ونسبته الى الغى

وفى ظنى وقوعها ألطاف وزيادة فى الالتجاء الى الله تعالى والتواضع له والاشفاق على الخطائين والدعاء لهم بالتوبة والمغفرة كما نقل عن داود انه كان بعد الزلة يدعو للخطائين كثيرا وعلى الجملة فالقدرى يجوز الصغائر على الانبياء ويقول ان اجتناب الكبائر يوجب تكفير الصغائر فى حق آحاد الناس فلاجرم التزم الزمخشرى ورود السؤال لان آدم عليه السلام معصوم من الكبائر باتفاق فيلزم على قاعدة القدرية أن تكون صغيرة واجبة التكفير والمحو غير مؤاخذ عليها ولا مستوجب بسببها عقوبة ولا شيأ مما وقع وهذا الاجواب للزمخشرى عنه الا الانصاف والرجوع عن المعتقدات الباطلة والمذاهب الماحلة ولقد شنع السؤال بقوله ان الذى جرى على آدم عليه السلام كالذى جرى على ابليس عليه اللعنة ومعاذ الله ان يكون الحالان سواء والا فبينان كما تعلم ان آدم عليه السلام خالد فى النعيم المقيم وان ابليس خالد فى العذاب الاليم

والعصيان ونسيان العهد وعدم العزيمة والحاجة الى التوبة (قلت) ما كانت الا صغيرة مغمورة بأعمال قلبية من الاخلاص والافكار الصالحة التي هي أجل الاعمال وأعظم الطاعات وانما اجرى عليه ما اجرى تعظيما للخطيئة وتفظيعا لشأنها وتهويلا ليكون ذلك لطفا له ولذريته في اجتناب الخطايا واتقاء المآثم والتنبيه على أنه أخرج من الجنة بخطيئة واحدة فكيف يدخلها ذو خطايا جمة * وقرئ فمن تبع هدى على لغة هذيل فلا خوف بالفتح (اسرائيل) هو يعقوب عليه السلام لقب له ومعناه في لسانهم صفوة الله وقيل عبد الله وهو بزنة ابراهيم واسمعيل غير منصرف مثلهما لوجود العلمية والعجمة وقرئ اسرائل واسرائل وذكرهم النعمة أن لا يخلوا بشكرها ويعتدوا بها ويستعظموها ويطيعوا مانحها وأراد بها ما أنعم به على آبائهم مما عدد عليهم من الانجاء من فرعون وعذابه ومن الغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل والتوبة عليهم وغير ذلك وما أنعم به عليهم من ادراك زمن محمد صلى الله عليه وآله وسلم المبشر به في التوراة والانجيل * والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد جميعا يقال أوفيت بعهدي أي بما عاهدت عليه كقوله ومن أوفى بعهده من الله وأوفيت بعهدك أي بما عاهدتك عليه * ومعنى (وأوفوا بعهدي) وأوفوا بما عاهدتموني عليه من الايمان بي والطاعة لي كقوله ومن أوفى بما عاهد عليه الله ومنهم من عاهد الله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه (أوف بعهدكم) بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم (واياي فارهبون) فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك زيدا رهبته وهو أوكد في افادة الاختصاص من اياك نعبد وقرئ أوف بالتشديد أي أبالغ في الوفاء بعهدكم كقوله من جاء بالحسنة فله خير منها ويجوز أن يريد بقوله وأوفوا بعهدي ما عاهدوا عليه ووعدوه من الايمان بنبي الرحمة والكتاب المعجز ويدل عليه قوله (وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به) أول من كفر به أو أول فريق أو فوج كافر به أو ولا يكن كل واحد منكم أول كافر به كقولك كسانا حلة أي كل واحد منا وهذا تعريض بأنه كان يجب أن يكونوا أول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته ولأنهم كانوا المبشرين بزمان من أوحى اليه والمستفتحين على الذين كفروا به وكانوا يعدون اتباعه أول الناس كلهم فلما بعث كان أمرهم على العكس كقوله لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة الى قوله وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ويجوز أن يراد ولا تكونوا مثل أول كافر به يعني من أشرك به من أهل مكة أي ولا تكونوا وأنتم تعرفونه مذكورا في التوراة موصوفا مثل من لم يعرفه وهو مشرك لا كتاب له وقيل الضمير في به لما معكم لأنهم اذا كفروا بما يصدقه فقد كفروا به * والاشتراء استعارة للاستبدال كقوله تعالى اشتروا الضلالة بالهدى وقوله

* كما اشترى المسلم اذ تنصرا * وقوله * فاني شريت الحلم بعدك بالجهل * يعني ولا تستبدلوا بآياتي ثمنا والا فالثمن هو المشترى به * والثمن القليل الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو أصبحوا أتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاستبدلوها وهي بدل قليل ومتاع يسير بآيات الله وبالحق الذي كل كثير اليه قليل وكل كبير اليه حقير فما بال القليل الحقير وقيل كانت عامتهم يعطون أحبارهم من زروعهم وثمارهم ويهدون اليهم الهدايا ويرشونهم الرشا على تحريفهم الكلم وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرائع وكان ملوكهم يدرون عليهم الاموال ليكتموا أو يحرفوا * الباء التي في (بالباطل) ان كانت صلة مثلها في قولك لبست الشيء بالشيء خلطته به كان المعنى ولا تكتبوا في التوراة ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميز بين حقها وباطلكم وان كانت باء الاستعانة كالتي في قولك كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم الذي تكتبونه (وتكتموا) جزم داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا أو منصوب باضمار أن والواو بمعنى الجمع أي ولا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن (فان قلت) لبسهم وكتمانهم ليسا بفعلين متميزين حتى ينهوا عن الجمع بينهما لأنهم اذا لبسوا الحق بالباطل فقد كتموا الحق (قلت) بل هما متميزان لأن لبس الحق بالباطل ما ذكرنا من كتبهم في التوراة ما ليس منها وكتمانهم الحق أن يقولوا لا نجد في التوراة صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو حكم كذا

يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم واياي فارهبون وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا واياي فاتقون ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق

---

* قوله تعالى ولا تلبسوا الحق بالباطل الآية (قال محمود رحمه الله ان قلت لبسهم وكتمانهم ليسا بفعلين متميزين الخ) قال أحمد رحمه الله السؤال غير موجه لانه ادعى فيه عدم التمييز بين الفعلين وغاية ما قدره تلازمهما والمتلازمان متغايران متميزان الا ان يعني بعدم التمييز عدم الانفكاك فلا نسلم له تعذر جمعهما في النهي اذ النهي عن أحدهما على هذا التقدير مستلزم للنهي عن الآخر وان لم يصرح به

أو يمحوا ذلك أو يكتبوه على خلاف ما هو عليه وفي مصحف عبد الله وتكتمون بمعنى كاتمين (وأنتم تعلمون) في حال علمكم أنكم لابسون كاتمون وهو أقبح لهم لأن الجهل بالقبيح ربما عذر راكبه (وأقيموا الصلاة) يعني صلاة المسلمين وزكاتهم (واركعوا مع الراكعين) منهم لأن اليهود لا ركوع في صلاتهم وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم في دين الله ويجوز أن يراد بالركوع الصلاة كما يعبر عنها بالسجود وأن يكون أمرا بأن تصلي مع المصلين يعني في الجماعة كأنه قيل وأقيموا الصلاة وصلوها مع المصلين لا منفردين (أتأمرون) الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم * والبر سعة الخير والمعروف ومنه البر لسعته ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت وكان الأحبار يأمرون من نصحوه في السر من أقاربهم وغيرهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون وإذا أتوا بصدقات ليفرقوها خانوا فيها وعن محمد بن واسع بلغني أن ناسا من أهل الجنة اطلعوا على ناس من أهل النار فقالوا لهم قد كنتم تأمروننا بأشياء عملناها فدخلنا الجنة قالوا كنا نأمركم بها ونخالف إلى غيرها (وتنسون أنفسكم) وتتركونها من البر كالمنسيات (وأنتم تتلون الكتاب) تبكيت مثل قوله وأنتم تعلمون يعني تتلون التوراة وفيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم أو فيها الوعيد على الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل (أفلا تعقلون) توبيخ عظيم بمعنى أفلا تفطنون لقبح ما أقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه وكأنكم في ذلك مسلوبو العقول لأن العقول تأباه وتدفعه ونحوه أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون (واستعينوا) على حوائجكم إلى الله (بالصبر والصلاة) أي بالجمع بينهما وأن تصلوا صابرين على تكاليف الصلاة محتملين لمشاقها وما يجب فيها من إخلاص القلب وحفظ النيات ودفع الوساوس ومراعاة الآداب والاحتراس من المكاره مع الخشية والخشوع واستحضار العلم بأنه انتصاب بين يدي جبار السموات ليسأل فك الرقاب عن سخطه وعذابه ومنه قوله تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها أو واستعينوا على البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء إلى الصلاة عند وقوعها وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة وعن ابن عباس أنه نعي إليه أخوه قثم وهو في سفر فاسترجع وتنحى عن الطريق فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس ثم قام يمشي إلى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلاة وقيل الصبر الصوم لأنه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر ويجوز أن يراد بالصلاة الدعاء وأن يستعان على البلايا بالصبر والالتجاء إلى الدعاء والابتهال إلى الله تعالى في دفعه (وإنها) الضمير للصلاة أو للاستعانة ويجوز أن يكون لجميع الأمور التي أمر بها بنو إسرائيل ونهوا عنها من قوله اذكروا نعمتي إلى واستعينوا (لكبيرة) لشاقة ثقيلة من قولك كبر على هذا الأمر كبر على المشركين ما تدعوهم إليه (فإن قلت) ما لها لم تثقل على الخاشعين والخشوع في نفسه مما يثقل (قلت) لأنهم يتوقعون ما ادخر للصابرين على متاعبها فتهون عليهم ألا ترى إلى قوله تعالى (الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم) أي يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده ويطمعون فيه وفي مصحف عبد الله يعلمون ومعناه يعلمون أن لا بد من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك ولذلك فسر يظنون بيتيقنون وأما من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة خالصة فثقلت عليه كالمنافقين والمرائين بأعمالهم ومثاله من وعد على بعض الأعمال والصنائع أجرة زائدة على مقدار عمله فتراه يزاوله برغبة ونشاط وانشراح صدر ومضاحكة لحاضريه كأنه يستلذ مزاولته بخلاف حال عامل يتسخره بعض الظلمة ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعلت قرة عيني في الصلاة وكان يقول يا بلال روحنا * والخشوع الإخبات والتطامن ومنه الخشعة للرملة المتطامنة وأما الخضوع فاللين والانقياد ومنه خضعت بقولها إذا لينته (وأني فضلتكم) نصب عطف على نعمتي أي اذكروا نعمتي وتفضيلي (على العالمين) على الجم الغفير من الناس كقوله تعالى باركنا فيها للعالمين يقال رأيت عالما من الناس يراد الكثرة (يوما) يريد يوم القيامة (لا تجزي) لا تقضي عنها شيئا من الحقوق ومنه الحديث في جذعة ابن نيار تجزي عنك ولا تجزي عن أحد بعدك و(شيئا) مفعول به ويجوز أن يكون في موضع مصدر أي قليلا من الجزاء كقوله تعالى ولا يظلمون شيئا ومن قرأ

وأنتم تعلمون وأقيموا الصلوة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون واستعينوا بالصبر والصلوة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيأ

* قوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس الآية

(قال محمود رحمه الله هل فيه دليل على ان الشفاعة لا تقبل للعصاة الخ) قال أحمد رحمه الله أما من جحد الشفاعة فهو جدير أن لا ينالها وأما من آمن بها وصدقها وهم أهل السنة والجماعة فأولئك يرجون رحمة الله ومعتقدهم انها تنال العصاة من المؤمنين وانما ادخرت لهم وليس في الآية دليل لمنكريها لان قوله يوما أخرجه منكرا ولا شك ان في القيامة مواطن ويومها معدود بخمسين ألف سنة فبعض أوقاتها ليس زمانا للشفاعة (٢١٤) وبعضها هو الوقت الموعود وفيه المقام المحمود لسيد البشر عليه أفضل الصلاة والسلام وقد وردت آي كثيرة ترشد الى تعدد أيامها واختلاف أوقاتها منها قوله تعالى فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون مع قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فيتعين حمل الآيتين على يومين مختلفين ووقتين متغايرين

ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون

لا تجزئ من أجزأ عنه اذا أغنى عنه أي لا يكون في قراءته الا بمعنى شيأ من الاجزاء وقرأ أبو السرار الغنوى لا تجزى نسمة عن نسمة شيأ وهذه الجملة منصوبة المحل صفة ليوما (فان قلت) فأين العائد منها الى الموصوف (قلت) هو محذوف تقديره لا تجزى فيه ونحوه ما أنشده أبو علي * تروحي اجدر أن تقيلي * أي مكانا اجدر بان تقيلي فيه ومنهم من ينزل فيقول اتسع فيه فأجرى مجرى المفعول به فحذف الجار ثم حذف الضمير كما حذف من قوله أم مال أصابوا ومعنى التنكير أن نفسا من الانفس لا تجزى عن نفس منها شيأ من الاشياء وهو الاقناط الكلي القطاع للمطامع وكذلك قوله (ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل) أي فدية لانها معادلة للفدى ومنه الحديث لا يقبل منه صرف ولا عدل أي توبة ولا فدية وقرأ قتادة ولا يقبل منها شفاعة على بناء الفعل للفاعل وهو الله عز وجل ونصب الشفاعة وقيل كانت اليهود تزعم أن آباءهم الانبياء يشفعون لهم فأويسوا (فان قلت) هل فيه دليل على أن الشفاعة لا تقبل للعصاة (قلت) نعم لانه نفى أن تقضي نفس عن نفس حقا أخلت به من فعل أو ترك ثم نفى أن يقبل منها شفاعة شفيع فعلم أنها لا تقبل للعصاة (فان قلت) الضمير في ولا يقبل منها الى أي النفسين يرجع (قلت) الى الثانية العاصية غير المجزى عنها وهي التي لا يؤخذ منها عدل ومعنى لا يقبل منها شفاعة ان جاءت بشفاعة شفيع لم يقبل منها ويجوز أن يرجع الى النفس الاولى على أنها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزى عنها شيأ ولو أعطت عدلا عنها لم يؤخذ منها (ولا هم ينصرون) يعني ما دلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى العباد والاناسي كما تقول ثلاثة أنفس * أصل (آل) أهل ولذلك يصغر بأهيل فأبدلت هاؤه ألفا وخص استعماله بأولي الخطر والشأن كالملوك وأشباههم فلا يقال آل الاسكاف والحجام و (فرعون) علم لمن ملك العمالقة كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان اذا عتا وتجبر وفي ملح بعضهم

قد جاءه الموسى الكلوم فزاد في * أقصى تفرعنه وفرط عرامه

* وقرئ أنجيناكم ونجيتكم (يسومونكم) من سامه خسفا اذا أولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم

اذا ما الملك سام الناس خسفا * أبينا أن يقر الخسف فينا

وأصله من سام السلعة اذا طلبها كأنه بمعنى يبغونكم (سوء العذاب) ويريدونكم عليه والسوء مصدر السيئ يقال أعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيئ أشده وأفظعه كأنه قبحه بالاضافة الى سائره * و (يذبحون) بيان لقوله يسومونكم ولذلك ترك العاطف كقوله تعالى يضاهون قول الذين كفروا وقرأ الزهري يذبحون بالتخفيف كقولك قطعت الثياب وقطعتها وقرأ عبد الله يقتلون وانما فعلوا بهم ذلك لان الكهنة أنذروا فرعون بأنه يولد مولود يكون على يده هلاكه كما أنذر نمروذ فلم يغن عنهما اجتهادهما في التحفظ وكان ما شاء الله * والبلاء المحنة ان أشير بذلكم الى صنيع فرعون والنعمة ان أشير به الى الانجاء (فرقنا) فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم وقرئ فرقنا بمعنى فصلنا يقال فرق بين الشيئين وفرق بين الاشياء لان المسالك كانت اثنى عشر على عدد الاسباط (فان قلت) ما معنى (بكم) (قلت) فيه أوجه أن يراد أنهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم فكأنما فرق بهم كما يفرق بين الشيئين بما يوسط بينهما وأن يراد فرقناه بسببكم وبسبب انجائكم وأن يكون في موضع الحال بمعنى فرقناه

أحدهما محل التناول والآخر ليس محلا له وكذلك الشفاعة وأدلة ثبوتها لا تحصى كثرة رزقنا الله الشفاعة وحشرنا في زمرة السنة والجماعة * قوله تعالى وإذ فرقنا بكم البحر (قال محمود رحمه الله يحتمل انهم كانوا يسلكون الخ) قال أحمد رحمه الله فتكون الباء على هذا الوجه استعانة مثلها كتبت بالقلم (قال محمود رحمه الله ويحتمل أن يكون المراد فرقناه بسببكم قال أحمد رحمه الله وهي على هذا الوجه سببية كما تقول أكرمتك باحسانك الي (قال محمود رحمه الله ويحتمل أن يكون في موضع الحال الخ) قال أحمد رحمه الله وهي على هذا الوجه للمصاحبة مثلها في أسندت ظهري بالحائط والوجه الاول ضعيف من حيث ان مقتضاه أن تفريق البحر وقع ببني اسرائيل والمنقول بل المنصوص عليه في العزيز ان البحر انما انفرق بعصا موسى يشهد لذلك قوله تعالى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم فآلة التفريق العصا لا بنو اسرائيل

* قوله تعالى لعلكم تشكرون (قال محمود ومعناه ارادة أن تشكروا) قال أحمد رحمه الله أخطأ فى تفسير لعل بالارادة لان مراد الله تعالى كائن لا محالة فلو أراد منهم الشكر لشكروا ولا بد وانما أجراه الزمخشرى على قاعدته الفاسدة فى اعتقاد أن مراد الرب كمراد العبد منه ما يقع ومنه ما يتعذر تعالى الله عن ذلك ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن والتفسير الصحيح فى لعل هو الذى حرره سيبويه رحمه الله فى قوله لعله يتذكر أو يخشى قال سيبويه الرجاء منصرف الى المخاطب كأنه قال كونا على رجائكما فى تذكره وخشيته وكذلك هذه الآية معناها لتكونوا على رجاء الشكر لله عز وجل ونعمه فينصرف الرجاء اليهم ويتنزه الله تعالى * قوله تعالى وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة الآية (قال محمود رحمه الله فيه دليل على ان موسى عليه السلام رادهم القول وعرفهم ان رؤية من لا يجوز عليه الخ) قال أحمد رحمه الله لقد انتهز الزمخشرى ما اعتقده فرصة من هذه الآية

وأنتم تنظرون وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم

ملتبسا بكم كقوله * تدوس بنا الجماجم والتريبا * أى تدوسها ونحن راكبوها وروى أن بنى اسرائيل قالوا لموسى أين أصحابنا لا نراهم قال سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم أعنى على أخلاقهم السيئة فأوحى اليه أن قل بعصاك هكذا فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا وتسامعوا كلامهم (وأنتم تنظرون) الى ذلك وتشاهدونه لا تشكون فيه * لما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعد الله موسى أن ينزل عليه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذى الحجة * وقيل (أربعين ليلة) لان الشهور غررها بالليالى وقرئ واعدنا لان الله تعالى وعده الوحى ووعد هو المجىء للميقات الى الطور (من بعده) من بعد مضيه الى الطور (وأنتم ظالمون) باشراككم (ثم عفونا عنكم) حين تبتم (من بعد ذلك) من بعد ارتكابكم الامر العظيم وهو اتخاذكم العجل (لعلكم تشكرون) ارادة أن تشكروا النعمة فى العفو عنكم (الكتاب والفرقان) يعنى الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل يعنى التوراة كقولك رأيت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة ونحوه قوله تعالى ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا يعنى الكتاب الجامع بين كونه فرقانا وضياء وذكرا أو التوراة والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا واليد وغيرهما من الآيات أو الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفراق البحر وقيل النصر الذى فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد به يوم بدر * حمل قوله (فاقتلوا أنفسكم) على الظاهر وهو البخع وقيل معناه قتل بعضهم بعضا وقيل أمر من لم يعبد العجل أن يقتلوا العبدة وروى أن الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه فلم يمكنهم المضى لأمر الله فأرسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها وأمروا أن يحتبوا بأفنية بيوتهم ويأخذ الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم وقيل لهم اصبروا فلعن الله من مد طرفه أو حل حبوته أو اتقى بيد أو رجل فيقتلون الى المساء حتى دعا موسى وهرون وقالا يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشفت السحابة ونزلت التوبة فسقطت الشفار من أيديهم وكانت القتلى سبعين ألفا (فان قلت) ما الفرق بين الفاآت (قلت) الاولى للتسبيب لا غير لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا أنفسكم من قبل أن الله تعالى جعل توبتهم قتل أنفسهم ويجوز أن يكون القتل تمام توبتهم فيكون المعنى فتوبوا فأتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم والثالثة متعلقة بمحذوف ولا يخلو اما أن ينتظم فى قول موسى لهم فتتعلق بشرط محذوف كأنه قال فان فعلتم فقد تاب عليكم واما أن يكون خطابا من الله تعالى لهم على طريقة الالتفات فيكون التقدير ففعلتم ما أمركم به موسى فتاب عليكم بارئكم * (فان قلت) من أين اختص هذا الموضع بذكر البارئ (قلت) البارئ هو الذى خلق الخلق بريئا من التفاوت ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت ومتميزا بعضه من بعض بالأشكال المختلفة والصور المتباينة فكان فيه تقريع بما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذى برأهم بلطف حكمته على الأشكال المختلفة أبرياء من التفاوت والتنافر الى عبادة البقر التى هى مثل فى الغباوة والبلادة فى أمثال العرب أبلد من ثور حتى عرضوا أنفسهم لسخط الله ونزول أمره بأن يفك ما ركبه من خلقهم وينثر ما نظم من صورهم وأشكالهم حين لم يشكروا النعمة فى ذلك وغمطوها بعبادة من لا يقدر على شىء منها * قيل القائلون السبعون الذين صعقوا وقيل قاله عشرة آلاف منهم (جهرة) عيانا وهى مصدر من قولك جهر بالقراءة وبالدعاء كأن الذى يرى بالعين جاهر بالرؤية والذى يرى بالقلب مخافت بها وانتصابها على المصدر لانها نوع من الرؤية فنصبت بفعلها كما تنصب القرفصاء بفعل الجلوس أو على الحال بمعنى ذوى جهرة وقرئ جهرة بفتح الهاء وهى اما مصدر كالغلبة واما جمع جاهر وفى هذا الكلام دليل على أن موسى عليه الصلاة والسلام رادهم القول وعرفهم أن رؤية ما لا يجوز عليه أن يكون فى جهة محال وأن من استجاز على الله

التى لا مطمع له عند التحقيق فى التشبث بها فبنى الامر على ان العقوبة بسبب طلب ما لا يجوز على الله تعالى من الرؤية على ظنه وانى له ذلك وثم سبب ظاهر فى العقوبة سوى ما ادعاه هو كل السبب وذلك ان موسى عليه السلام لما علم جواز رؤيته تعالى طلبها فى آية الاعراف فى دار الدنيا فأخبره الله تعالى أنه لا يراه فى الدنيا وصار ذلك عنده وعند بنى اسرائيل أصلا مقررا كما هو عندنا الآن معاشر أهل السنة ان الله تعالى لا يرى فى دار الدنيا لانه أخبر انه لا يرى والخبر واجب الصدق وكما أخبر أنه لا يرى فى دار الدنيا فقد وعد الوعد الصادق عز وجل برؤيته فى الدار الآخرة

الصاعقة وأنتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر

الرؤية فقد جعله من جملة الاجسام أو الاعراض فرادوه بعد بيان الحجة ووضوح البرهان ولجوا فكانوا فى الكفر كعبدة العجل فسلط الله عليهم الصعقة كما سلط على أولئك القتل تسوية بين الكفرين ودلالة على عظمهما بعظم المحنة و (الصاعقة) ما صعقهم أى أماتهم قيل نار وقعت من السماء فأحرقتهم وقيل صيحة جاءت من السماء وقيل أرسل الله جنودا سمعوا بحسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وموسى عليه السلام لم تكن صعقته موتا ولكن غشية بدليل قوله فلما أفاق والظاهر أنه أصابهم ما ينظرون اليه لقوله (وأنتم تنظرون) وقرأ على رضى الله عنه فأخذتكم الصعقة (لعلكم تشكرون) نعمة البعث بعد الموت أو نعمة الله بعدما كفرتموها اذا رأيتم بأس الله فى رميكم بالصاعقة واذاقتكم الموت (وظللنا) وجعلنا الغمام يظلكم وذلك فى التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون فى ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وينزل عليهم (المن) وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع ويبعث الله الجنوب فتحشر عليهم (السلوى) وهى السمانى فيذبح الرجل منها ما يكفيه (كلوا) على ارادة القول (وما ظلمونا) يعنى فظلموا بأن كفروا هذه النعم وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه (القرية) بيت المقدس وقيل أريحاء من قرى الشأم أمروا بدخولها بعد التيه (الباب) باب القرية وقيل هو باب القبة التى كانوا يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس فى حياة موسى عليه الصلاة والسلام * أمروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب شكرا لله وتواضعا وقيل السجود أن ينحنوا ويتطامنوا داخلين ليكون دخولهم بخشوع واخبات وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فلم يخفضوها ودخلوا متزحفين على أوراكهم (حطة) فعلة من الحط كالجلسة والركبة وهى خبر مبتدا محذوف أى مسئلتنا حطة أو أمرك حطة والاصل النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وانما رفعت لتعطى معنى الثبات كقوله * صبر جميل فكلانا مبتلى * والاصل صبرا على اصبر صبرا وقرأ ابن أبى عبلة بالنصب على الاصل وقيل معناه أمرنا حطة أى أن نحط فى هذه القرية ونستقر فيها (فان قلت) هل يجوز أن تنصب حطة فى قراءة من نصبها بقولوا على معنى قولوا هذه الكلمة (قلت) لا يبعد والاجود أن تنصب باضمار فعلها وينتصب محل ذلك المضمر بقولوا * وقرئ (يغفر لكم) على البناء للمفعول بالياء والتاء (وسنزيد المحسنين) أى من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا فى زيادة ثوابه ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة (فبدل الذين ظلموا) أى وضعوا مكان حطة (قولا) غيرها يعنى أنهم أمروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه معنى ما أمروا به ولم يمتثلوا أمر الله وليس الغرض أنهم أمروا بلفظ بعينه وهو لفظ الحطة فجاؤا بلفظ آخر لانهم لو جاؤا بلفظ آخر مستقل بمعنى ما أمروا به لم يؤاخذوا به كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب اليك أو اللهم اعف عنا وما أشبه ذلك وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا أى حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون من أغراض الدنيا * وفى تكرير (الذين ظلموا) زيادة فى تقبيح أمرهم وايذان بأن انزال الرجز عليهم لظلمهم وقد جاء فى سورة الاعراف فأرسلنا عليهم على الاضمار * والرجز العذاب وقرئ بضم الراء وروى أنه مات منهم فى ساعة بالطاعون أربعة وعشرون ألفا وقيل سبعون ألفا * عطشوا فى التيه فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له (اضرب بعصاك الحجر) واللام اما للعهد والاشارة الى حجر معلوم فقد روى أنه حجر طورى

وتخصيص ذلك بالمؤمنين وبعد استقرار هذا المعتقد طلب بنو اسرائيل الرؤية فى الدنيا تعنتا أو شكا فى الخبر فأنزل الله تعالى بهم تلك العقوبة وكيف تخيل الزمخشري وشيعته ان موسى عليه السلام طلب من الله ما لا يجوز عليه وهل هو لو كان الامر على ما تخيله الا كبنى حمله اسرائيل ومعاذ الله لقد برأه من ذلك وكان عند الله وجيها وأما الادلة العقلية على جواز رؤيته تعالى عقلا والسمعية على وقوعها فى الدار الآخرة فأكثر من أن تحصى وهى مستقصاة فى فن الكلام وانما غرضنا فى هذا الباب مباحثة الزمخشري والرد عليه من حيث يتمسك على ظنه وأخذه قوما منه والله الموفق * قوله تعالى فبدل الذين ظلموا الآية (قال محمود رحمه الله وفى تكرير الذين ظلموا زيادة فى تقبيح

حمله معه وكان حجرا مربعا له أربعة أوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاث أعين لكل سبط عين تسيل في جدول الى السبط الذي أمر أن يسقيهم وكانوا ستمائة ألف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا وقيل أهبطه آدم من الجنة فتوارثوه حتى وقع الى شعيب فدفعه اليه مع العصا وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل اذ رموه بالادرة ففر به فقال له جبريل يقول لك الله تعالى ارفع هذا الحجر فان لي فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته واما للجنس أي اضرب الشيء الذي يقال له الحجر وعن الحسن لم يأمره أن يضرب حجرا بعينه قال وهذا أظهر في الحجة وأبين في القدرة وروي أنهم قالوا كيف بنا لو أفضينا الى أرض ليست فيها حجارة فحمل حجرا في مخلاته فحيثما نزلوا ألقاه وقيل كان يضربه بعصاه فينفجر ويضربه بها فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فأوحى اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان من رخام وكان ذراعا في ذراع وقيل مثل رأس الانسان وقيل كان من آس الجنة طوله عشرة أذرع على طول موسى وله شعبتان تتقدان في الظلمة وكان يحمل على حمار (فانفجرت) الفاء متعلقة بمحذوف أي فضرب فانفجرت أو فان ضربت فقد انفجرت كما ذكرنا في قوله فتاب عليكم وهي على هذا فاء فصيحة لا تقع الا في كلام بليغ * وقرئ عشرة بكسر الشين وبفتحها وهما لغتان (كل أناس) كل سبط (مشربهم) عينهم التي يشربون منها (كلوا) على ارادة القول (من رزق الله) مما رزقكم من الطعام وهو المن والسلوى ومن ماء العيون وقيل الماء ينبت منه الزروع والثمار فهو رزق يؤكل منه ويشرب * والعثي أشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم لأنهم كانوا متمادين فيه * كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم فأجموا ما كانوا فيه من النعمة وطلبت أنفسهم الشقاء (على طعام واحد) أرادوا ما رزقوا في التيه من المن والسلوى (فان قلت) هما طعامان فما لهم قالوا على طعام واحد (قلت) أرادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل ألوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها قيل لا يأكل فلان الا طعاما واحدا يراد بالوحدة نفي التبدل والاختلاف ويجوز أن يريدوا أنهما ضرب واحد لأنهما معا من طعام أهل التلذذ والترف ونحن قوم فلاحة أهل زراعات فما نريد الا ما ألفناه وضرينا به من الاشياء المتفاوتة كالحبوب والبقول ونحو ذلك ومعنى (يخرج لنا) يظهر لنا ويوجد * والبقل ما أنبتته الارض من الخضر والمراد به أطايب البقول التي يأكلها الناس كالنعناع والكرفس والكراث وأشباهها * وقرئ وقثائها بالضم * والفوم الحنطة ومنه فوموا لنا أي اخبزوا وقيل الثوم ويدل عليه قراءة ابن مسعود وثومها وهو للعدس والبصل أوفق (الذي هو أدنى) الذي هو أقرب منزلة وأدون مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار فيقال هو داني المحل وقريب المنزلة كما يعبر بالبعد عن عكس ذلك فيقال هو بعيد المحل وبعيد الهمة يريدون الرفعة والعلو وقرأ زهير الفرقبي أدنأ بالهمزة من الدناءة (اهبطوا مصرا) وقرئ اهبطوا بالضم أي انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج وبلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين وهي اثنا عشر فرسخا في ثمانية فراسخ ويحتمل أن يريد العلم وانما صرفه مع اجتماع السببين فيه وهما التعريف والتأنيث لسكون وسطه كقوله ونوحا ولوطا وفيهما العجمة والتعريف وان أريد به البلد فما فيه الا سبب واحد وأن يريد مصرا من الامصار وفي مصحف عبد الله وقرأ به الاعمش اهبطوا مصر بغير تنوين كقوله ادخلوا مصر وقيل هو مصرائيم فعرب (وضربت عليهم الذلة) جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه أو ألصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه فاليهود صاغرون أذلاء أهل مسكنة ومدقعة اما على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة أن تضاعف عليهم الجزية (وباؤا بغضب من الله) من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بأن يقتل به لمساواته له ومكافأته أي صاروا أحقاء بغضبه (ذلك) اشارة الى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة والخلاقة بالغضب أي ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الانبياء وقد قتلت اليهود لعنوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم (فان قلت) قتل الانبياء لا يكون الا بغير الحق فما فائدة ذكره (قلت) معناه أنهم قتلوهم بغير الحق عندهم لأنهم لم يقتلوا ولا أفسدوا في الارض فيقتلوا وانما نصحوهم ودعوهم الى ما ينفعهم

فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين واذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق

(الخ) قال أحمد رحمه الله وفيه تهويل لظلمهم من حيث وضع الظاهر موضع المضمر وهو مفيد لذلك اذ هو من قبيل الاشهار لهذا المعنى مع امكان الاختصار بالاضمار

فقتلوهم فلو سئلوا وأنصفوا من أنفسهم لم يذكروا وجها يستحقون به القتل عندهم وقرأ علي رضي الله عنه
ويقتلون بالتشديد (ذلك) تكرار للاشارة (بما عصوا) بسبب ارتكابهم أنواع المعاصي واعتدائهم حدود الله
في كل شئ مع كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء وقيل هو اعتداؤهم في السبت ويجوز أن يشار بذلك الى
الكفر وقتل الانبياء على معنى أن ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم لانهم انهمكوا فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم
فجسروا على جحود الآيات وقتل الانبياء أو ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا (ان الذين آمنوا) بألسنتهم من
غير مواطأة القلوب وهم المنافقون (والذين هادوا) والذين تهودوا يقال هاد يهود وتهود اذا دخل في
اليهودية ويهود اما عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل واما معرب يهوذا وكانهم سموا باسم أكبر أولاد يعقوب عليه السلام
(والنصارى) وهو جمع نصران يقال رجل نصران وامرأة نصرانة قال نصرانة
لم تحنف والياء في نصراني للمبالغة كالتي في أحمري سموا لانهم نصروا المسيح (والصابئين) وهو من صبأ اذا
خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة (من آمن) من هؤلاء الكفرة
ايمانا خالصا ودخل في ملة الاسلام دخولا أصيلا (وعمل صالحا فلهم أجرهم) الذي يستوجبونه بايمانهم
وعملهم (فان قلت) ما محل من آمن (قلت) الرفع ان جعلته مبتدأ خبره فلهم أجرهم والنصب ان جعلته بدلا
من اسم ان والمعطوف عليه فخبر ان في الوجه الاول الجملة كما هي وفي الثاني فلهم أجرهم والفاء لتضمن من
معنى الشرط (واذ أخذنا ميثاقكم) بالعمل على ما في التوراة (ورفعنا فوقكم الطور) حتى قبلتم وأعطيتم الميثاق
وذلك أن موسى عليه السلام جاءهم بالالواح فرأوا ما فيها من الآصار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم
وأبوا قبولها فأمر جبريل فقلع الطور من أصله ورفعه وظلله فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا ألقي عليكم
حتى قبلوا (خذوا) على ارادة القول (ما آتيناكم) من الكتاب (بقوة) بجد وعزيمة (واذكروا ما فيه) واحفظوا
ما في الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه (لعلكم تتقون) رجاء منكم أن تكونوا متقين أو قلنا خذوا
واذكروا ارادة أن تتقوا (ثم توليتم) ثم أعرضتم عن الميثاق والوفاء به (فلولا فضل الله عليكم) بتوفيقكم للتوبة
لخسرتم وقرئ خذوا ما آتيتكم وتذكروا واذكروا (السبت) مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت
وان ناسا منهم اعتدوا فيه أي جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد وذلك أن الله
ابتلاهم فما كان يبقى حوت في البحر الا أخرج خرطومه يوم السبت فاذا مضى تفرقت كما قال تأتيهم حيتانهم
يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول
فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم (قردة خاسئين)
خبران أي كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد (فجعلناها) يعني المسخة (نكالا) عبرة
تنكل من اعتبر بها أي تمنعه ومنه النكل القيد (لما بين يديها) لما قبلها (وما خلفها) وما بعدها من
الامم والقرون لان مسختهم ذكرت في كتب الاولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين أو أريد
بما بين يديها ما بحضرتها من القرى والامم وقيل نكالا عقوبة منكلة لما بين يديها لاجل ما تقدمها من
ذنوبهم وما تأخر منها (وموعظة للمتقين) للذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم أو لكل متق سمعها
* كان في بني اسرائيل شيخ موسر فقتل ابنه بنو أخيه ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم جاؤا يطالبون بديته
فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيا فيخبرهم بقاتله (قالوا أتتخذنا هزوا) أتجعلنا مكان
هزو أو أهل هزو أو مهزوا بنا أو الهزو نفسه لفرط الاستهزاء (من الجاهلين) لان الهزو في مثل هذا من
باب الجهل والسفه وقرئ هزؤا بضمتين وهزأ بسكون الزاي نحو كفؤا وكفأ وقرأ حفص هزوا بالضمتين
والواو وكذلك كفوا * والعياذ واللياذ من واد واحد * في قراءة عبد الله سل لنا ربك ما هي سؤال عن حالها
وصفتها وذلك أنهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيا فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة
الشأن الخارجة عما عليه البقر * والفارض المسنة وقد فرضت فروضا فهي فارض قال خفاف بن ندبة

لعمري لقد أعطيت ضيفك فارضا * تساق اليه ما تقوم على رجل

وكانها سميت فارضا لانها فرضت سنها أي قطعتها وبلغت آخرها * والبكر الفتية * والعوان النصف قال

ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان

* نواعم بين أبكار وعون * وقد عونت (فان قلت) (بين) يقتضى شيئين فصاعدا فمن أين جاز دخوله على (ذلك)
(قلت) لانه فى معنى شيئين حيث وقع مشارا به الى ماذكر من الفارض والبكر (فان قلت) كيف جاز أن يشار
به الى مؤنثين وانما هو للاشارة الى واحد مذكر (قلت) جاز ذلك على تأويل ماذكر وما تقدم للاختصار
فى الكلام كما جعلوا افعل نائبا عن افعال جمة تذكر قبله تقول للرجل نعم ما فعلت وقد ذكرلك أفعالا كثيرة
وقصة طويلة كما تقول له ما أحسن ذلك وقد يجرى الضمير مجرى اسم الاشارة فى هذا قال أبو عبيدة قلت لرؤبة
فى قوله

فيها خطوط من سواد وبلق * كأنه فى الجلد توليع البهق

ان أردت الخطوط فقل كأنها وان أردت السواد والبلق فقل كأنهما فقال أردت كأن ذاك ويلك والذى حسن
منه أن أسماء الاشارة تثنيتها وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة وكذلك الموصولات ولذلك جاء الذى بمعنى
الجمع (ما تؤمرون) أى ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله أمرتك الخير أو أمركم بمعنى مأموركم تسمية
للمفعول بالمصدر كضرب الامير * الفقوع أشد ما يكون من الصفرة وأنصعه يقال فى التوكيد أصفر فاقع
ووارس كما يقال أسود حالك وحانك وأبيض يقق ولهق وأحمر قانى وذريحى وأخضر ناضر ومدهام وأورق
خطبانى وأرمك درانى (فان قلت) فاقع ههنا واقع خبرا عن اللون فلم يقع توكيد الصفراء (قلت) لم يقع خبرا
عن اللون وانما وقع توكيد الصفراء الا أنه ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل واللون من سببها وملتبس بها فلم
يكن فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها (فان قلت) فهلا قيل صفراء فاقعة وأى فائدة فى ذكر
اللون (قلت) الفائدة فيه التوكيد لان اللون اسم للهيئة وهى الصفرة فكأنه قيل شديدة الصفرة صفرتها
فهو من قولك جد جده وجنونك مجنون وعن وهب اذا نظرت اليها خيل اليك أن شعاع الشمس يخرج
من جلدها * والسرور لذة فى القلب عند حصول نفع أو توقعه وعن على رضى الله عنه من لبس نعلا
صفراء قل همه لقوله تعالى تسر الناظرين وعن الحسن البصرى صفراء فاقع لونها سوداء شديدة السواد
ولعله مستعار من صفة الابل لان سوادها تعلوه صفرة وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر قال الاعشى

تلك خيلى منه وتلك ركابى * هن صفر أولادها كالزبيب

(ما هى) مرة ثانية تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا بيانا لوصفها وعن النبى
صلى الله عليه وسلم لو اعترضوا أدنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء شؤم
وعن بعض الخلفاء أنه كتب الى عامله بأن يذهب الى قوم فيقطع أشجارهم ويهدم دورهم فكتب اليه
بأيهما أبدأ فقال ان قلت لك بقطع الشجر سألتنى بأى نوع منها أبدأ وعن عمر بن عبد العزيز اذا أمرتك
أن تعطى فلانا شاة سألتنى أضأن أم ماعز فان بينت لك قلت أذكر أم أنثى فان أخبرتك قلت أسوداء أم
بيضاء فاذا أمرتك بشئ فلا تراجعنى وفى الحديث أعظم الناس جرما من سأل عن شئ لم يحرم فحرم لاجل
مسئلته (ان البقر تشابه علينا) أى ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا أيها نذبح
وقرئ تشابه بمعنى تتشابه بطرح التاء وادغامها فى الشين وتشابهت ومتشابهة ومتشابه وقرأ محمد ذو الشامة
ان الباقر يشابه بالياء والتشديد * جاء فى الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد أى لو لم يقولوا ان شاء
الله * والمعنى انا لمهتدون الى البقرة المراد ذبحها أو الى ما خفى علينا من أمر القاتل (لا ذلول) صفة لبقرة
بمعنى بقرة غير ذلول يعنى لم تذلل للكراب واثارة الارض ولا هى من النواضح التى يسنى عليها لسقى الحروث
ولا الاولى للنفى والثانية مزيدة لتوكيد الاولى لان المعنى لا ذلول تثير وتسقى على أن الفعلين صفتان لذلول
كأنه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرأ أبو عبد الرحمن السلمى لا ذلول بمعنى لا ذلول هناك أى حيث هى وهو
نفى لذلها ولان توصف به فيقال هى ذلول ونحوه قولك مررت بقوم لا بخيل ولا جبان أى فيهم أو حيث هم
* وقرئ تسقى بضم التاء من أسقى (مسلمة) سلمها الله من العيوب أو معفاة من العمل سلمها أهلها منه كقوله

أو معبر الظهر ينبى عن وليته * ما حج ربه فى الدنيا ولا اعتمرا

أو مخلصة اللون من سلم له كذا اذا خلص له لم يشب صفرتها شئ من الالوان (لا شية فيها) لا لمعة فى نقبتها من

بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن

قوله تعالى عوان بين ذلك (قال محمود رحمه الله فان قلت بين يقتضى شيئين الخ) قال أحمد رحمه الله وقد مر تقرير هذا عند قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فجدد به عهدا

لون آخر سوى الصفرة فهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهي في الأصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط
بلونه لونا آخر ومنه ثور موشي القوائم (جئت بالحق) أي بحقيقة وصف البقرة وما بقي اشكال في أمرها
(فذبحوها) أي فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الأوصاف كلها فذبحوها وقوله (وما كادوا يفعلون) استثقال
لاستقصائهم واستبطاء لهم وأنهم لتطويلهم المفرط وكثرة استكشافهم ما كادوا يذبحونها وما كادت تنتهي
سؤالاتهم وما كاد ينقطع خيط اسهابهم فيها وتعمقهم وقيل وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها وقيل لخوف
الفضيحة في ظهور القاتل وروي أنه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فأتى بها الغيضة وقال اللهم اني
استودعكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت وكانت من أحسن البقر وأسمنه فساوموها اليتيم وأمه
حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة أربعين سنة
(فإن قلت) كانت البقرة التي تناولها الأمر بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بلون وصفات
فذبحوا المخصوصة فما فعل الأمر الأول (قلت) رجع منسوخا لانتقال الحكم الى البقرة المخصوصة والنسخ
قبل الفعل جائز على أن الخطاب كان لابهامه متناولا لهذه البقرة الموصوفة كما تناول غيرها ولو وقع الذبح عليها
بحكم الخطاب قبل التخصيص لكان امتثالا له فكذلك اذا وقع عليها بعد التخصيص (وإذ قتلتم نفسا) خوطبت
الجماعة لوجود القتل فيهم (فادارأتم) فاختلفتم واختصمتم في شأنها لأن المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا أي
يدفعه ويزحمه أو تدافعتم بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض فدفع المطروح عليه الطارح أو لأن الطرح في
نفسه دفع أو دفع بعضكم بعضا عن البراءة واتهمه (والله مخرج ما كنتم تكتمون) مظهر لا محالة ما كتمتم من
أمر القتل لا يتركه مكتوما (فإن قلت) كيف أعمل مخرج وهو في معنى المضي (قلت) وقد حكى ما كان
مستقبلا في وقت التدارؤ كما حكى الحاضر في قوله باسط ذراعيه وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف
والمعطوف عليه وهما ادارأتم وفقلنا والضمير في (اضربوه) اما أن يرجع الى النفس والتذكير على تأويل
الشخص والانسان واما الى القتيل لما دل عليه من قوله ما كنتم تكتمون (ببعضها) ببعض البقرة واختلف في
البعض الذي ضرب به فقيل لسانها وقيل فخذها اليمنى وقيل عجبها وقيل العظم الذي يلي الغضروف وهو أصل
الأذن وقيل البضعة بين الكتفين والمعنى فضربوه فحيي فحذف ذلك لدلالة قوله كذلك يحيي
الله الموتى روي أنهم لما ضربوه قام باذن الله وأوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط
ميتا فأخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك (كذلك يحيي الله الموتى) اما أن يكون خطابا للذين حضروا حياة
القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة (ويريكم آياته) ودلائله على أنه قادر على كل شيء (لعلكم
تعقلون) تعملون على قضية عقولكم وأن من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء الأنفس كلها لعدم
الاختصاص حتى لا تنكروا البعث واما أن يكون خطابا للمنكرين في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
(فإن قلت) هلا أحياه ابتداء ولم شرط في احيائه ذبح البقرة وضربه ببعضها (قلت) في الأسباب والشروط حكم
وفوائد وانما شرط ذلك لما في ذبح البقرة من التقرب وأداء التكاليف واكتساب الثواب والاشعار بحسن
تقديم القربة على الطلب وما في التشديد عليهم لتشديدهم من اللطف لهم ولآخرين في ترك التشديد والمسارعة
الى امتثال أوامر الله تعالى وارتسامها على الفور من غير تفتيش وتكثير سؤال ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة
والدلالة على بركة البر بالوالدين والشفقة على الأولاد وتجهيل الهازئ بما لا يعلم كنهه ولا يطلع على حقيقته
من كلام الحكماء وبيان أن من حق المتقرب الى ربه أن يتنوق في اختيار ما يتقرب به وأن يختاره فتي السن
غير قحم ولا ضرع حسن اللون بريا من العيوب يونق من ينظر اليه وأن يغالي بثمنه كما روي عن عمر رضي الله
عنه أنه ضحى بنجيبة بثلاثمائة دينار وأن الزيادة في الخطاب نسخ له وأن النسخ قبل الفعل جائز وان لم يجز قبل
وقت الفعل وامكانه لأدائه الى البداء وليعلم بما أمر من مس الميت بالميت وحصول الحياة عقيبه أن المؤثر
هو المسبب لا الأسباب لأن الموتين الحاصلين في الجسمين لا يعقل أن تتولد منهما حياة (فإن قلت) فما
للقصة لم تقص على ترتيبها وكان حقها أن يقدم ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة على الأمر بذبحها وأن

جئت بالحق فذبحوها
وما كادوا يفعلون
وإذ قتلتم نفسا فادارأتم
فيها والله مخرج ما كنتم
تكتمون فقلنا اضربوه
ببعضها كذلك يحيي
الله الموتى ويريكم آياته
لعلكم تعقلون

يقال

ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون أولا يعلمون أن الله

يقل واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها قلنا اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها (قلت) كل ما قص من قصص بنى اسرائيل انما قص تعديدا لما وجد منهم من الجنايات وتقريعا لهم عليها ولما جدد فيهم من الآيات العظام وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وان كانتا متصلتين متحدتين فالاولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال وما يتبع ذلك والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الآية العظيمة وانما قدمت قصة الامر بذبح البقرة على ذكر القتيل لانه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض فى تثنية التقريع ولقد روعيت نكتة بعدما استؤنفت الثانية استئناف قصة برأسها أن وصلت بالاولى دلالة على اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها الصريح فى قوله اضربوه ببعضها حتى تبين أنهما قصتان فيما يرجع الى التقريع وتثنيته باخراج الثانية مخرج الاستئناف مع تأخيرها وأنها قصة واحدة بالضمير الراجع الى البقرة * معنى (ثم قست) استبعاد القسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها ونحوه ثم أنتم تمترون وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوّها عن الاعتبار وأن المواعظ لا تؤثر فيها و (ذلك) اشارة الى احياء القتيل أو الى جميع ما تقدم من الآيات المعدودة (فهى كالحجارة) فهى فى قسوتها مثل الحجارة (أو أشد قسوة) منها وأشد معطوف على الكاف اما على معنى أو مثل أشد قسوة فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وتعضده قراءة الاعمش بنصب الدال عطفا على الحجارة واما على أو هى فى أنفسها أشد قسوة والمعنى أن من عرف حالها شبهها بالحجارة أو بجوهر أقسى منها وهو الحديد مثلا أو من عرفها شبهها بالحجارة أو قال هى أقسى من الحجارة (فان قلت) لم قيل أشد قسوة وفعل القسوة مما يخرج منه أفعل التفضيل وفعل التعجب (قلت) لكونه أبين وأدل على فرط القسوة ووجه آخر وهو أن لا يقصد معنى الاقسى ولكن قصد وصف القسوة بالشدة كأنه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم أشد قسوة وقرئ قساوة وترك ضمير المفضل عليه لعدم الالتباس كقولك زيد كريم وعمرو أكرم وقوله (وان من الحجارة) بيان لفضل قلوبهم على الحجارة فى شدة القسوة وتقرير لقوله أو أشد قسوة وقرئ وان بالتخفيف وهى ان المخففة من الثقيلة التى تلزمها اللام الفارقة ومنها قوله تعالى وان كل لما جميع * والتفجر التفتح بالسعة والكثرة وقرأ مالك بن دينار ينفجر بالنون (يشقق) يتشقق وبه قرأ الاعمش والمعنى ان من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير الغزير ومنها ما ينشق انشقاقا بالطول أو بالعرض فينبع منه الماء أيضا (يهبط) يتردى من أعلى الجبل وقرئ بضم الباء * والخشية مجاز عن انقيادها لامر الله تعالى وأنها لا تمتنع على ما يريد فيها وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل ما أمرت به * وقرئ يعملون بالياء والتاء وهو وعيد (أفتطمعون) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (أن يؤمنوا لكم) أن يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله فآمن له لوط يعنى اليهود (وقد كان فريق منهم) طائفة فيمن سلف منهم (يسمعون كلام الله) وهو ما يتلونه من التوراة (ثم يحرفونه) كما حرفوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وقيل كان قوم من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور وما أمر به ونهى ثم قالوا سمعنا الله يقول فى آخره ان استطعتم أن تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا بأس وقرئ كلم الله (من بعد ما عقلوه) من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم ولم تبق لهم شبهة فى صحته (وهم يعلمون) أنهم كاذبون مفترون والمعنى ان كفر هؤلاء وحرفوا فلهم سابقة فى ذلك (واذا لقوا) يعنى اليهود (قالوا) قال منافقوهم (آمنا) بأنكم على الحق وأن محمدا هو الرسول المبشر به (واذا خلا بعضهم) الذين لم ينافقوا (الى بعض) الذين نافقوا (قالوا) عاتبين عليهم (أتحدثونهم بما فتح الله عليكم) بما بين لكم فى التوراة من صفة محمد أو قال المنافقون لاعقابهم يرونهم التصلب فى دينهم أتحدثونهم انكارا عليهم أن يفتحوا عليهم شيأ فى كتابهم فينافقون المؤمنين وينافقون اليهود (ليحاجوكم به عند ربكم) ليحتجوا عليكم بما أنزل ربكم فى كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو فى كتابكم هكذا محاجة عند الله ألا تراك

(قال محمود رحمه الله فان قلت لم قيل أشد قسوة الخ) قال أحمد رحمه ولأن سياق هذه الاقاصيص قصد فيه الاسهاب لزيادة التقريع حتى جعلت القصة الواحدة قصتين كما مر الآن ولا شك أن قوله أو أشد قسوة أدخل فى الاسهاب من قول القائل أو أقسى * قوله تعالى واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا الآية (قال محمود رحمه الله أى قال منافقوهم الخ) قال أحمد رحمه الله وصح عود الضمير فى اللفظ الى جهة واحدة مع اختلاف المرجوع اليه لانهما صنفان مندرجان فى الاول ونظيره قوله تعالى اذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن فالضمير الاول للازواج والثانى للاولياء وهو راجع الى جهة واحدة وهى جهة المخاطبين لاشتمالهم على الصنفين جميعا والله أعلم

قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم (قال محمود ان قلت ما فائدة قوله بأيديهم الخ) قال أحمد رحمه الله ورع ما قال الزمخشرى في مثل هذا ان فائدته تصوير الحالة فى النفس كما وقعت حتى يكاد السامع لذلك ان يكون مشاهدا للهيئة * قوله تعالى واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل الآية (قال محمود رحمه الله تعالى لا تعبدون اخبار فى معنى النهى الخ) قال أحمد رحمه الله وجه الدليل منه ان الاول لو لم يكن فى معنى النهى لما حسن عطف الامر عليه لما بين الامر والخبر المحض من التنافر ولا كذلك الامر والنهى

يعلم ما يسرون وما يعلنون ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أمانى وان هم الا يظنون فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكوة ثم توليتم الا قليلا منكم وأنتم معرضون واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم

تقول هو فى كتاب الله هكذا وهو عند الله هكذا بمعنى واحد (يعلم) جميع (ما يسرون وما يعلنون) ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان (ومنهم أميون) لا يحسنون الكتب فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها (لا يعلمون الكتاب) التوراة (الا أمانى) الا ما هم عليه من أمانيهم وأن الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يؤاخذهم بخطاياهم وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم وما تمنيهم أحبارهم من أن النار لا تمسهم الا أياما معدودة وقيل الا أكاذيب مختلقة سمعوها من علمائهم فتقبلوها على التقليد قال اعرابى لابن دأب فى شئ حدث به أهذا شئ رويته أم تمنيته أم اختلقته وقيل الا ما يقرؤن من قوله * تمنى كتاب الله أول ليلة * والاشتقاق من منى اذا قدر لان المتمنى يقدر فى نفسه ويحزر ما يتمناه وكذلك المختلق والقارئ يقدر أن كلمة كذا بعد كذا والا أمانى من الاستثناء المنقطع وقرئ أمانى بالتخفيف * ذكر العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم والاستيقان ثم العوام الذين قلدوهم ونبه على أنهم فى الضلال سواء لان العالم عليه أن يعمل بعلمه وعلى العامى أن لا يرضى بالتقليد والظن وهو متمكن من العلم (يكتبون الكتاب) المحرف (بأيديهم) تأكيد وهو من مجاز التأكيد كما تقول لمن ينكر معرفة ما كتبه يا هذا كتبته بيمينك هذه (مما يكسبون) من الرشا (الا أياما معدودة) أربعين يوما عدد أيام عبادة العجل وعن مجاهد كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب مكان كل ألف سنة يوما (فلن يخلف الله) متعلق بمحذوف تقديره ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده و (أم) اما أن تكون معادلة بمعنى أى الامرين كائن على سبيل التقرير لان العلم واقع بكون أحدهما ويجوز أن تكون منقطعة (بلى) اثبات لما بعد حرف النفى وهو قوله لن تمسنا النار أى بلى تمسكم أبدا بدليل قوله هم فيها خالدون (من كسب سيئة) من السيآت يعنى كبيرة من الكبائر (وأحاطت به خطيئته) تلك واستولت عليه كما يحيط العدو ولم يتفص عنها بالتوبة وقرئ خطاياه وخطيئاته وقيل فى الاحاطة كان ذنبه أغلب من طاعته وسأل رجل الحسن عن الخطيئة فقال سبحان الله ألا أراك ذا لحية وما تدرى ما الخطيئة انظر فى المصحف فكل آية نهى فيها الله عنها وأخبرك أنه من عمل بها أدخله النار فهى الخطيئة المحيطة (لا تعبدون) اخبار فى معنى النهى كما تقول تذهب الى فلان تقول له كذا تريد الامر وهو أبلغ من صريح الامر والنهى لانه كأنه سورع الى الامتثال والانتهاء فهو يخبر عنه وتنصره قراءة عبد الله وأبى لا تعبدوا ولا بد من ارادة القول ويدل عليه أيضا قوله وقولوا وقوله (وبالوالدين احسانا) اما أن يقدر وتحسنون بالوالدين احسانا أو وأحسنوا وقيل هو جواب قوله أخذنا ميثاق بنى اسرائيل اجراء له مجرى القسم كأنه قيل واذ أقسمنا عليهم لا تعبدون وقيل معناه أن لا تعبدوا فلما حذفت أن رفع كقوله

* ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى * ويدل عليه قراءة عبد الله أن لا تعبدوا ويحتمل أن لا تعبدوا أن تكون أن مفسرة وأن تكون أن مع الفعل بدلا عن الميثاق كأنه قيل أخذنا ميثاق بنى اسرائيل توحيدهم وقرئ بالتاء حكاية لما خوطبوا به وبالياء لانهم غيب (حسنا) قولا هو حسن فى نفسه لافراط حسنه وقرئ حسنا وحسنى على المصدر كبشرى (ثم توليتم) على طريقة الالتفات أى توليتم عن الميثاق ورفضتموه (الا قليلا منكم) قيل هم الذين أسلموا منهم (وأنتم معرضون) وأنتم قوم عادتكم الاعراض عن المواثيق والتولية (لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم) لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به

أصلا

لا لتقائهما فى معنى الطلب (قال محمود رحمه الله وقيل هو جواب قوله واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل الخ) قال أحمد رحمه الله لو قدر القسم مضافا الى المذكورين لكان أوجه فيقول واذ أقسمتم لا تعبدون الا الله الخ * قوله تعالى وقولوا للناس الآية (قال محمود أى قولا هو حسن فى نفسه الخ) قال أحمد وفيه من التأكيد والتحضيض على احسان مقاولة الناس انه وضع المصدر فيه موضع الاسم وهذا انما يستعمل للمبالغة فى تأكيد الوصف كرجل عدل وصوم وفطر وقرئ حسنا فهو على هذا من الصفات المشبهة * قوله تعالى ثم أنتم هؤلا

قال محمود رحمه الله أدخل ثم استبعادا الخ) قال أحمد رحمه الله وهذا نظير ما تقدم آنفا في قوله تعالى ثم قست قلوبكم الآية (قال محمود رحمه الله والمعنى ثم أنتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون يعني انكم قوم آخرون غير أولئك الخ) قال أحمد رحمه الله هو بيان لتغير الصفة الموجب لتنزيلهم منزلة المغايرين لهم بالذات * قوله تعالى ففريقا كذبتم الآية (قال محمود رحمه الله ان قلت هلا قيل

ثم أقررتم وأنتم تشهدون ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون أولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم

أصلا أو دينا وقيل اذا قتل غيره فكأنما قتل نفسه لانه يقتص منه (ثم أقررتم) بالميثاق واعترفتم على أنفسكم بلزومه (وأنتم تشهدون) عليها كقولك فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها وقيل وأنتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على اقرار أسلافكم بهذا الميثاق (ثم أنتم هؤلاء) استبعاد لما أسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان بعد أخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم والمعنى ثم أنتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون يعني أنكم قوم آخرون غير أولئك المقرين تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول رجعت بغير الوجه الذي خرجت به * وقوله (تقتلون) بيان لقوله (ثم أنتم هؤلاء) وقيل هؤلاء موصول بمعنى الذي * وقرئ تظاهرون بحذف التاء وادغامها وتتظاهرون باثباتها وتظهرون بمعنى تتظهرون أي تتعاونون عليهم * وقرئ تفدوهم وتفادوهم وأسرى وأسارى (وهو) ضمير الشأن ويجوز أن يكون مبهما تفسيره (اخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب) أي بالفداء (وتكفرون ببعض) أي بالقتال والاجلاء وذلك أن قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير كانوا حلفاء الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه واذا غلبوا خربوا ديارهم وأخرجوهم واذا أسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون أمرنا أن نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي أن نذل حلفاءنا * والخزي قتل بني قريظة وأسرهم واجلاء بني النضير وقيل الجزية وانما رد من فعل منهم ذلك الى أشد العذاب لان عصيانه أشد * وقرئ يردون ويعملون بالياء والتاء (فلا يخفف عنهم) عذاب الدنيا بنقصان الجزية ولا ينصرهم أحد بالدفع عنهم وكذلك عذاب الآخرة (الكتاب) التوراة آتاه اياها جملة واحدة * ويقال قفاه اذا اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب وقفاه به أتبعه اياه يعني وأرسلنا على أثره الكثير من الرسل كقوله تعالى ثم أرسلنا رسلنا تترى وهم يوشع وأشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وأرميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم * وقيل (عيسى) بالسريانية أيشوع * و (مريم) بمعنى الخادم وقيل المريم بالعربية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة * قلت لزير لم تصله مريمه * ووزن مريم عند النحويين مفعل لان فعيلا بفتح الفاء لم يثبت في الابنية كما ثبت نحو عثير وعليب (البينات) المعجزات الواضحات والحجج كاحياء الموتى وابراء الأكمه والابرص والاخبار بالمغيبات * وقرئ وآيدناه ومنه آجده بالجيم اذا قواه يقال الحمد لله الذي آجدني بعد ضعف وأوجدني بعد فقر (بروح القدس) بالروح المقدسة كما تقول حاتم الجود ورجل صدق ووصفها بالقدس كما قال وروح منه فوصفه بالاختصاص والتقريب للكرامة وقيل لانه لم تضمه الاصلاب ولا أرحام الطوامث وقيل بجبريل وقيل بالانجيل كما قال في القرآن وروحا من أمرنا وقيل باسم الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره والمعنى ولقد آتينا يا بني اسرائيل أنبياءكم ما آتيناهم (أفكلما جاءكم رسول) منهم بالحق (استكبرتم) عن الايمان به فوسط بين الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجيب من شأنهم ويجوز أن يريد ولقد آتيناهم ما آتيناهم ففعلتم ما فعلتم ثم وبخهم على ذلك ودخول الفاء لعطفه على المقدر (فان قلت) هلا قيل وفريقا قتلتم (قلت) هو على وجهين أن تراد الحال الماضية لان الامر فظيع فأريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب وأن يراد وفريقا تقتلونهم بعد لانكم تحومون حول قتل محمد صلى الله عليه وسلم لولا أني أعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقال صلى الله عليه وسلم عند موته ما زالت أكلة خيبر تعادني فهذا أوان قطعت أبهري (غلف) جمع أغلف أي هي خلقة وجبلة مغشاة بأغطية لا يتوصل اليها ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن كقولهم

وفريقا قتلتم الخ) قال أحمد رحمه الله والتعبير بالمضارع يفيد ذلك دون الماضي كقوله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فعبر بالماضي ثم قال فتصبح الارض مخضرة فعدل عنه الى المضارع ارادة لتصوير اخضرارها في النفس وعليه قول ابن معديكرب يصور شجاعته وجرأته فاني قد لقيت الغول أسعى * بسهب كالصحيفة صحصحان * فآخذه فأضربه فيهوي * صريعا لليدين وللجران

فقليلا ما يؤمنون ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين بئس ما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة (واسمعوا)

قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه ثم رد الله أن تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق بأن الله لعنهم وخذلهم بسبب كفرهم فهم الذين غلفوا قلوبهم بما أحدثوا من الكفر الزائغ عن الفطرة وتسببوا بذلك لمنع الالطاف التي تكون للمتوقع ايمانهم وللمؤمنين (فقليلا ما يؤمنون) فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب ويجوز أن تكون القلة بمعنى العدم وقيل غلف تخفيف غلف جمع غلاف أي قلوبنا أوعية للعلم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره وروى عن أبي عمرو قلوبنا غلف بضمتين (كتاب من عند الله) هو القرآن (مصدق لما معهم) من كتابهم لا يخالفه وقرئ مصدقا على الحال (فان قلت) كيف جاز نصبها عن النكرة (قلت) اذا وصف النكرة تخصص فصح انتصاب الحال عنه وقد وصف كتاب بقوله من عند الله وجواب لما محذوف وهو نحو كذبوا به واستهانوا بمجيئه وما أشبه ذلك (يستفتحون على الذين كفروا) يستنصرون على المشركين اذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التوراة ويقولون لأعدائهم من المشركين قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم أن نبيا يبعث منهم قد قرب أوانه والسين للمبالغة أي يسألون أنفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجب واستسخر أو يسأل بعضهم بعضا أن يفتح عليهم (فلما جاءهم ما عرفوا) من الحق (كفروا به) بغيا وحسدا وحرصا على الرياسة (على الكافرين) أي عليهم وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أن اللعنة لحقتهم لكفرهم واللام للعهد ويجوز أن تكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا أوليا (ما) نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس بمعنى بئس شيأ (اشتروا به أنفسهم) والمخصوص بالذم (أن يكفروا) واشتروا بمعنى باعوا (بغيا) حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة اشتروا (أن ينزل) لان ينزل أو على أن ينزل أي حسدوه على ان ينزل الله (من فضله) الذي هو الوحي (على من يشاء) وتقتضي حكمته ارساله (فباؤا بغضب على غضب) فصاروا أحقاء بغضب مترادف لانهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد بعد عيسى وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من أنواع كفرهم (بما أنزل الله) مطلق فيما أنزل الله من كل كتاب (قالوا نؤمن بما أنزل علينا) مقيد بالتوراة (ويكفرون بما وراءه) أي قالوا ذلك والحال أنهم يكفرون بما وراء التوراة (وهو الحق مصدقا لما معهم) منها غير مخالف له وفيه رد لمقالتهم لانهم اذا كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها * ثم اعترض عليهم بقتلهم الانبياء مع ادعائهم الايمان بالتوراة والتوراة لا تسوغ قتل الانبياء (وأنتم ظالمون) يجوز أن يكون حالا أي عبدتم العجل وأنتم واضعون العبادة غير موضعها وأن يكون اعتراضا بمعنى وأنتم قوم عادتكم الظلم * وكرر رفع الطور لما نيط به من زيادة ليست مع الاول مع ما فيه من التوكيد

قوله تعالى وقالوا قلوبنا غلف الآية (قال محمود رحمه الله ثم رد الله أن تكون قلوبهم مخلوقة الخ) قال أحمد رحمه الله وهذا من نوائب الزمخشري على تنزيل الآيات على عقائدهم الباطلة وأنى له ذلك في الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الا تراه كيف أخذ من رد الله على هذه الطائفة أن تكون قلوبهم مخلوقة على الكفر أن الكفر والامتناع من قبول الحق هم خلقوه لانفسهم تمهيد القاعدته الفاسدة في خلق الاعمال وسبيل الرد عليه ان الله تعالى انما كذبهم ورد عليهم في ادعائهم عدم الاستطاعة للايمان وسلب التمكن وعللوا ذلك بان قلوبهم غلف وصدق الله ورسوله في أنه انما خلقهم على الفطرة والتمكن من الايمان والتأتي والتيسر له وانما هم اختاروا الكفر على الايمان فوقع اختيارهم الكفر مقارنا لخلق الله تعالى اياه في قلوبهم بعد ما أنشأهم على الفطرة فقيام حجة الله تعالى عليهم (٢٢٤) بانه خلقهم متمكنين من الايمان غير مقسورين على الكفر وذلك لا ينافي توجيه أهل السنة في اعتقاد أن الله تعالى خالق ذلك في قلوبهم على وفق اختيارهم هذا هو الحق الابلج والصراط الابهج والله الموفق وقول الزمخشري ان كفرهم انما خلقوه لانفسهم بسبب منع الطاف الله تعالى التي تسبب المؤمنون في حصولها لهم وكانت سببا في خلقهم الايمان في قلوبهم كل هذا تستر من الاشراك واعتقاد آلهة غير الله تخلق لانفسها ما شاءت من ايمان وكفر تعالى الله عما يشركون علوا كبيرا * قوله تعالى ويكفرون بما وراءه وهو الحق الآية (قال محمود رحمه الله لانهم اذا كفروا بما يوافق التوراة الخ) قال أحمد رحمه الله وهذه النكتة بعينها هي الموجب لكفر القدرية على أحد قولي مالك والشافعي والقاضي رضي الله عنهم فان العقائد الصحيحة السنية متلازمة متوافقة يصدق بعضها بعضا فجحد أحدها كفر به ثم كفر بالجميع نسأل الله تعالى العصمة

(واسمعوا) ما أمرتم به في التوراة (قالوا سمعنا) قولك (وعصينا) أمرك (فان قلت) كيف طابق قوله جوابهم (قلت) طابقه من حيث انه قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة (وأشربوا في قلوبهم العجل) أى تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ وقوله في قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما يأكلون في بطونهم نارا (بكفرهم) بسبب كفرهم (قل بئس ما يأمركم به ايمانكم) بالتوراة لانه ليس في التوراة عبادة العجاجيل واضافة الامر الى ايمانهم تهكم كما قال قوم شعيب أصلاتك تأمرك وكذلك اضافة الايمان اليهم ❊ وقوله (ان كنتم مؤمنين) تشكيك في ايمانهم وقدح في صحة دعواهم له (خالصة) نصب على الحال من الدار الآخرة والمراد الجنة أى سالمة لكم خاصة بكم ليس لاحد سواكم فيها حق يعنى ان صح قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا و (الناس) للجنس وقيل للعهد وهم المسلمون (فتمنوا الموت) لان من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاق اليها وتمنى سرعة الوصول الى النعيم والتخلص من الدار ذات الشوائب كما روى عن المبشرين بالجنة ما روى كان على رضى الله عنه يطوف بين الصفين في غلالة فقال له ابنه الحسن ما هذا بزى المحاربين فقال يا بنى لا يبالى أبوك على الموت سقط أم عليه سقط الموت وعن حذيفة رضى الله عنه أنه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم يعنى على التمنى وقال عمار بصفين الآن ألاقى الاحبة محمدا وحزبه وكان كل واحد من العشرة يحب الموت ويحن اليه وعن النبى صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقى على وجه الارض يهودى (بما قدمت أيديهم) بما أسلفوا من موجبات النار من الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به وتحريف كتاب الله وسائر أنواع الكفر والعصيان ❊ وقوله (ولن يتمنوه أبدا) من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما أخبر به كقوله ولن تفعلوا (فان قلت) ما أدراك أنهم لم يتمنوا (قلت) لانهم لو تمنوا لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث ولكان ناقلوه من أهل الكتاب وغيرهم من أولى المطاعن في الاسلام أكثر من الذر وليس منهم أحد نقل ذلك (فان قلت) التمنى من أعمال القلوب وهو سر لا يطلع عليه أحد فمن أين علمت أنهم لم يتمنوا (قلت) ليس التمنى من أعمال القلوب انما هو قول الانسان بلسانه ليت لى كذا فاذا قاله قالوا تمنى وليت كلمة التمنى ومحال أن يقع التحدى بما في الضمائر والقلوب ولو كان التمنى بالقلوب وتمنوا لقالوا قد تمنينا الموت في قلوبنا ولم ينقل أنهم قالوا ذلك (فان قلت) لم يقولوه لانهم علموا أنهم لا يصدقون (قلت) كم حكى عنهم من أشياء قاولوا بها المسلمين من الافتراء على الله وتحريف كتابه وغير ذلك مما علموا أنهم غير مصدقين فيه ولا محمل له الا الكذب البحت ولم يبالوا فكيف يمتنعون من أن يقولوا ان التمنى من أفعال القلوب وقد فعلناه مع احتمال أن يكونوا صادقين في قولهم واخبارهم عن ضمائرهم وكان الرجل يخبر عن نفسه بالايمان فيصدق مع احتمال أن يكون كاذبا لانه أمر خاف لا سبيل الى الاطلاع عليه (والله عليم بالظالمين) تهديد لهم (ولتجدنهم) هو من وجد بمعنى علم المتعدى الى مفعولين في قولهم وجدت زيدا ذا الحفاظ ومفعولاه هم (أحرص) (فان قلت) لم قال (على حيوة) بالتنكير (قلت) لانه أراد حياة مخصوصة وهى الحياة المتطاولة ولذلك كانت القراءة بها أوقع من قراءة أبىّ على الحياة (ومن الذين أشركوا) محمول على المعنى لان معنى أحرص الناس أحرص من الناس (فان قلت) ألم يدخل الذين أشركوا تحت الناس (قلت) بلى ولكنهم أفردوه بالذكر لان حرصهم شديد ويجوز أن يراد وأحرص من الذين أشركوا فحذف لدلالة أحرص الناس عليه وفيه توبيخ عظيم لان الذين أشركوا لا يؤمنون بعاقبة ولا يعرفون الا الحياة الدنيا فحرصهم عليها لا يستبعد لانها جنتهم فاذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا بأعظم التوبيخ (فان قلت) لم زاد حرصهم على حرص المشركين (قلت) لانهم علموا لعلمهم بحالهم أنهم صائرون الى النار لا محالة والمشركون لا يعلمون ذلك وقيل أراد بالذين أشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم عش ألف نيروز وألف مهرجان وعن ابن عباس رضى الله عنه هو قول الاعاجم زى هزار سال وقيل ومن الذين أشركوا كلام مبتدأ أى ومنهم ناس (يود أحدهم) على حذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم والذين

واسمعوا قالوا سمعنا
وعصينا وأشربوا في
قلوبهم العجل بكفرهم
قل بئس ما يأمركم به
ايمانكم ان كنتم
مؤمنين قل ان كانت
لكم الدار الآخرة عند
الله خالصة من دون
الناس فتمنوا الموت
ان كنتم صادقين ولن
يتمنوه أبدا بما قدمت
أيديهم والله عليم
بالظالمين ولتجدنهم
أحرص الناس على
حيوة ومن الذين
أشركوا يود أحدهم
لو يعمر ألف سنة

* قوله تعالى قل من كان عدوًّا لجبريل الآية (قال محمود رحمه الله ان قلت كان حق الكلام أن يقال على قلبي الخ) قال أحمد رحمه الله الحكاية مرة تكون مع التزام اللفظ ومرة تكون بالمعنى غير متبعة للفظ فلعل الامر في هذه الآية توجه على النبي عليه السلام أن يحكي معنى قول الله تعالى له من كان عدوًّا لجبريل فانه نزله على قلبك بلفظ المتكلم ونظير هذا قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز (٢٢٦) العليم الذى جعل لكم الارض مهدا الى قوله والذى نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا فانظر ما وقع بعد القول المنسوب اليهم مما يفهم انه قول الله عز وجل لا على سبيل الحكاية عنهم اذ هم لا يقولون فأنشرنا وانما يقولون فأنشر على لفظ الغيبة ولكن جاء الكلام حكاية على المعنى لان معنى قولهم فأنشر الله هو معنى قول الله عن ذاته فأنشرنا ولا يستتب لك ان يجعل هذا من باب الخروج من الغيبة الى التكلم الذى يسمى التفاتا فان في هذا مزيدا ومنه قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى الذى جعل لكم الارض الى قوله فاخرجنا به أزواجا من نبات شتى فأول الكلام يفهم قول موسى وآخره يفهم قول الله تعالى والطريق الجامع في ذلك ما قررته والله أعلم (قال محمود رحمه الله فان قلت كيف استقام قوله فانه نزله جزاء للشرط الخ) قال أحمد رحمه الله ويكون دخول الفاء في الجزاء على هذا الوجه مستحقا لسببين أحدهما أنه جملة اسمية والآخر انه ماض صحيح

وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون قل من كان عدوًّا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين من كان عدوًّا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله

أشركوا على هذا مشار به الى اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله * والضمير في (وما هو) لاحدهم و(أن يعمر) فاعل بمزحزحه أي وما أحدهم بمن يزحزحه من النار تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وأن يعمر بدل منه ويجوز أن يكون هو مبهما وأن يعمر موضحه والزحزحة التبعيد والانحاء (فان قلت) يود أحدهم ما موقعه (قلت) هو بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف (فان قلت) كيف اتصل لو يعمر بيود أحدهم (قلت) هو حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وكان القياس لو أعمر الا أنه جرى على لفظ الغيبة لقوله يود أحدهم كقولك حلف بالله ليفعلن * روى أن عبد الله بن صوريا من أحبار فدك حاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عمن يهبط عليه بالوحي فقال جبريل فقال ذاك عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وقد عادانا مرارا وأشدها انه أنزل على نبينا أن بيت المقدس سيخربه بختنصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم أمره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه وان لم يكن اياه فعلى أي حق تقتلونه وقيل أمره الله تعالى أن يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وروى أنه كان لعمر رضي الله عنه أرض بأعلى المدينة وكان ممره على مدارس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد أحببناك وانا لنطمع فيك فقال والله ما أجيئكم لحبكم ولا أسألكم لانى شاك في ديني وانما أدخل عليكم لازداد بصيرة في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأرى آثاره في كتابكم ثم سألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على أسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وان ميكائيل يجيء بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما من الله تعالى قالوا أقرب منزلة جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر لئن كانا كما تقولون فما هما بعدوين ولأنتم أكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد وافقك ربك يا عمر فقال عمر لقد رأيتني في دين الله بعد ذلك أصلب من الحجر وقرئ جبرئيل بوزن قفشليل وجبرئل بحذف الياء وجبريل بحذف الهمزة وجبريل بوزن قنديل وجبرال بلام شديدة وجبرائيل بوزن جبراعيل وجبرائل بوزن جبراعل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل معناه عبد الله * الضمير في (نزله) للقرآن ونحو هذا الاضمار أعني اضمار ما لم يسبق ذكره فيه فخامة لشأن صاحبه حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته (على قلبك) أي حفظه اياك وفهمكه (باذن الله) بتيسيره وتسهيله (فان قلت) كان حق الكلام أن يقال على قلبي (قلت) جاءت على حكاية كلام الله تعالى كما تكلم به كأنه قيل قل ما تكلمت به من قولي من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك (فان قلت) كيف استقام قوله فانه نزله جزاء للشرط (قلت) فيه وجهان أحدهما ان عادى جبريل أحد من أهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو أنصفوا لاحبوه وشكروا له صنيعه في انزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم والثاني ان عاداه أحد فالسبب في عداوته أنه نزل عليك القرآن مصدقا لكتابهم وموافقا له وهم كارهون للقرآن ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته له كقولك ان عاداك فلان فقد آذيته وأسأت اليه * أفرد الملكان بالذكر لفضلهما كأنهما من جنس آخر وهو مما ذكر أن التغاير

في الوصف بتنزل منزلة التغاير في الذات وقرئ ميكال بوزن قنطار وميكائيل كميكاعيل وميكائل كميكاعل
وميكئل كميكعل وميكئيل كميكعيل قال ابن جني العرب اذا نطقت بالاعجمي خلطت فيه (عدو للكافرين)
أراد عدو لهم فجاء بالظاهر ليدل على أن الله انما عاداهم لكفرهم وأن عداوة الملائكة كفر واذا كانت
عداوة الانبياء كفرا فما بال الملائكة وهم أشرف والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه أشد العقاب
(الا الفاسقون) الا المتمردون من الكفرة وعن الحسن اذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على أعظم
ذلك النوع من كفر وغيره وعن ابن عباس رضي الله عنه قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا
بشئ نعرفه وما أنزل عليك من آية فنتبعك لها فنزلت واللام في الفاسقون للجنس والاحسن أن تكون اشارة
الى أهل الكتاب (أو كلما) الواو للعطف على محذوف معناه أكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا وقرأ أبو
السمال بسكون الواو على أن الفاسقون بمعنى الذين فسقوا فكأنه قيل وما يكفر بها الا الذين فسقوا أو نقضوا
عهد الله مرارا كثيرة وقرئ عوهدوا وعهدوا واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود وكم أخذ الله الميثاق
منهم ومن آبائهم فنقضوا وكم عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفوا الذين عاهدت منهم ثم ينقضون
عهدهم في كل مرة * والنبذ الرمي بالذمام ورفضه * وقرأ عبد الله نقضه (فريق منهم) وقال فريق منهم
لأن منهم من لم ينقض (بل أكثرهم لا يؤمنون) بالتوراة وليسوا من الدين في شئ فلا يعدون نقض
المواثيق ذنبا ولا يبالون به (كتاب الله) يعني التوراة لأنهم بكفرهم برسول الله المصدق لما معهم كافرون
بها نابذون لها وقيل كتاب الله القرآن نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول (كأنهم لا يعلمون) أنه كتاب
الله لا يداخلهم فيه شك يعني أن علمهم بذلك رصين ولكنهم كابروا وعاندوا ونبذوه وراء ظهورهم مثل لتركهم
واعراضهم عنه مثل بما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات اليه وعن الشعبي هو بين أيديهم
يقرؤنه ولكنهم نبذوا العمل به وعن سفيان أدرجوه في الديباج والحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم
يحرموا حرامه (واتبعوا) أي نبذوا كتاب الله واتبعوا (ما تتلوا الشياطين) يعني واتبعوا كتب السحر
والشعوذة التي كانت تقرؤها (على ملك سليمان) أي على عهد ملكه وفي زمانه وذلك أن الشياطين كانوا
يسترقون السمع ثم يضمون الى ما سمعوا أكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وقد دونوها في كتب يقرؤنها
ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمن سليمان عليه السلام حتى قالوا ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا
علم سليمان وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وبه تسخر الانس والجن والريح التي تجري بأمره (وما كفر سليمان)
تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به سليمان من اعتقاد السحر والعمل به وسماه كفرا (ولكن الشياطين)
هم الذين (كفروا) باستعمال السحر وتدوينه (يعلمون الناس السحر) يقصدون به اغواءهم واضلالهم (وما
أنزل على الملكين) عطف على السحر أي ويعلمونهم ما أنزل على الملكين وقيل هو عطف على ما تتلوا أي واتبعوا
ما أنزل (هاروت وماروت) عطف بيان للملكين علمان لهما والذي أنزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله
للناس من تعلمه منهم وعمل به كان كافرا ومن تجنبه أو تعلمه لا ليعمل به ولكن ليتوقاه ولئلا يغتر به كان مؤمنا
عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه كما ابتلى قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني
وقرأ الحسن على الملكين بكسر اللام على أن المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل * وما يعلم الملكان أحدا
حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له (انما نحن فتنة) أي ابتلاء واختبار من الله (فلا تكفر) فلا تتعلم معتقدا أنه حق
فتكفر (فيتعلمون) الضمير لما دل عليه من أحد * أي فيتعلم الناس من الملكين (ما يفرقون به بين المرء وزوجه)
أي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين من حيلة وتمويه كالنفث في العقد ونحو ذلك مما
يحدث الله عنده الفرك والنشوز والخلاف ابتلاء منه لا أن السحر له أثر في نفسه بدليل قوله تعالى (وما هم
بضارين به من أحد الا باذن الله) لأنه ربما أحدث الله عنده فعلا من أفعاله وربما لم يحدث (ويتعلمون
ما يضرهم ولا ينفعهم) لأنهم يقصدون به الشر وفيه أن اجتنابه أصلح كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن أن تجر الى
الغواية * ولقد علم هؤلاء اليهود أن من اشتراه أي استبدل ما تتلو الشياطين من كتاب الله (ما له في الآخرة

عدو للكافرين ولقد
أنزلنا اليك آيات بينات
وما يكفر بها الا
الفاسقون أو كلما
عاهدوا عهدا نبذه
فريق منهم بل أكثرهم
لا يؤمنون ولما جاءهم
رسول من عند الله
مصدق لما معهم نبذ
فريق من الذين أوتوا
الكتاب كتاب الله وراء
ظهورهم كأنهم لا يعلمون
واتبعوا ما تتلوا
الشياطين على ملك
سليمان وما كفر سليمان
ولكن الشياطين
كفروا يعلمون الناس
السحر وما أنزل على
الملكين ببابل هاروت
وماروت وما يعلمان
من أحد حتى يقولا انما
نحن فتنة فلا تكفر
فيتعلمون منهما ما
يفرقون به بين المرء
وزوجه وما هم
بضارين به من أحد
الا باذن الله ويتعلمون
ما يضرهم ولا ينفعهم
ولقد علموا لمن اشتراه
ما له في الآخرة

من خلاق) من نصيب (ولبئس ما شروا به أنفسهم) أى باعوها * وقرأ الحسن الشياطون وعن بعض العرب
بستان فلان حوله بساتون وقد ذكر وجهه فيما بعد وقرأ الزهرى هاروت وماروت بالرفع على هما هاروت
وماروت وهما اسمان أعجميان بدليل منع الصرف ولو كانا من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم
لانصرفا وقرأ طلحة وما هم بضارى به من أحد وقرئ بين المرء بضم الميم وكسرها مع الهمز والمر بالتشديد على تقدير
التخفيف والوقف كقولهم فرج واجراء الوصل مجرى الوقف وقرأ الاعمش وما هم بضارى بطرح النون
والاضافة الى أحد والفصل بينهما بالظرف (فان قلت) كيف يضاف الى أحد وهو مجرور بمن (قلت) جعل
الجار جزأ من المجرور (فان قلت) كيف أثبت لهم العلم أولا فى قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمى ثم
نفاه عنهم فى قوله لو كانوا يعلمون (قلت) معناه لو كانوا يعملون بعلمهم جعلهم حين لم يعملوا به كأنهم منسلخون
عنه (ولو أنهم آمنوا) برسول الله والقرآن (واتقوا) الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب
الشياطين (لمثوبة من عند الله خير) وقرئ لمثوبة كمشورة ومشورة (لو كانوا يعلمون) أن ثواب الله خير مما هم
فيه وقد علموا لكنه جهلهم لترك العمل بالعلم (فان قلت) كيف أوثرت الجملة الاسمية على الفعلية فى جواب
لو (قلت) لما فى ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها كما عدل عن النصب الى الرفع فى سلام عليكم
لذلك (فان قلت) فهلا قيل لمثوبة الله خير (قلت) لان المعنى لشئ من الثواب خير لهم ويجوز أن يكون قوله
ولو أنهم آمنوا تمنيا لايمانهم على سبيل المجاز عن ارادة الله ايمانهم واختيارهم له كأنه قيل وليتهم آمنوا ثم
ابتدئ لمثوبة من عند الله خير * كان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ألقى عليهم شيأ من العلم
راعنا يا رسول الله أى راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهمه ونحفظه وكانت لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية
أو سريانية وهى راعينا فلما سمعوا بقول المؤمنين راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول صلى الله عليه وسلم وهم
يعنون به تلك المسبة فنهى المؤمنون عنها وأمروا بما هو فى معناه وهو (انظرنا) من نظره اذا انتظره وقرأ أبى
أنظرنا من النظرة أى أمهلنا حتى نحفظ وقرأ عبد الله بن مسعود راعونا على أنهم كانوا يخاطبونه بلفظ الجمع
للتوقير وقرأ الحسن راعنا بالتنوين من الرعن وهو الهوج أى لا تقولوا قولا راعنا منسوبا الى الرعن بمعنى
رعنيا كدارع ولابن لانه لما أشبه قولهم راعينا وكان سببا فى السب اتصف بالرعن (واسمعوا) وأحسنوا
سماع ما يكلمكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلقى عليكم من المسائل بآذان واعية وأذهان حاضرة حتى
لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة أو واسمعوا سماع قبول وطاعة ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود
حيث قالوا سمعنا وعصينا أو واسمعوا ما أمرتم به بجد حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه تأكيدا عليهم ترك تلك
الكلمة وروى أن سعد بن معاذ سمعها منهم فقال يا أعداء الله عليكم لعنة الله والذى نفسى بيده لئن سمعتها من
رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأضربن عنقه فقالوا أولستم تقولونها فنزلت (وللكافرين)
ولليهود الذين تهاونوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وسبوه (عذاب أليم) * من الاولى للبيان لان الذين كفروا
جنس تحته نوعان أهل الكتاب والمشركون كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين
والثانية مزيدة لاستغراق الخير والثالثة لابتداء الغاية * والخير الوحى وكذلك الرحمة كقوله تعالى أهم
يقسمون رحمة ربك والمعنى انهم يرون أنفسهم أحق بأن يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون أن ينزل عليكم
شئ من الوحى (والله يختص) بالنبوة (من يشاء) ولا يشاء الا ما تقتضيه الحكمة (والله ذو الفضل العظيم)
اشعار بأن ايتاء النبوة من الفضل العظيم كقوله تعالى ان فضله كان عليك كبيرا * روى أنهم طعنوا فى النسخ
فقالوا ألا ترون الى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع
عنه غدا فنزلت * وقرئ ما ننسخ من آية وما ننسخ بضم النون من أنسخ وننسأها وقرئ ننسها وننسها
بالتشديد وتنسها وتنسها على خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عبد الله ما ننسك من آية
أو ننسخها وقرأ حذيفة ما ننسخ من آية أو ننسكها ونسخ الآية ازالتها بابدال أخرى مكانها وانساخها الامر
بنسخها وهو أن يأمر جبريل عليه السلام بأن يجعلها منسوخة بالاعلام بنسخها ونسؤها تأخيرها

من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ما ننسخ من آية أو ننسها

قوله تعالى ولو أنهم آمنوا واتقوا الآية (قال محمود رحمه الله ويجوز أن يكون قوله تعالى آمنوا تمنيا الخ) قال أحمد رحمه الله التمنى مجاز عن ارادة الله تعالى لايمانهم وتقواهم من طراز تفسيره المحبة بالارادة والرد عليه على سبيله ثم

* قوله تعالى حسدا من عند أنفسهم (قال محمود رحمه الله ان قلت بم تعلق قوله من عند أنفسهم الخ) قال أحمد رحمه الله يبعد الوجه الثاني دخول عندو بقرب الاول قوله تعالى تلك أمانيهم (قال محمود رحمه الله فان قلت لم قيل تلك أمانيهم وقولهم لن يدخل الجنة أمنية واحدة الخ) قال أحمد رحمه الله يبعد هذا الجواب قوله تعالى عقيب ذلك قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون فان البرهان المطلوب منهم ههنا انما هو على صحة دعواهم ان الجنة لا يدخلها غيرهم ويحقق هذا قوله بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه فانما يعني الجنة ونعيمها رد (٢٢٩) عليهم في نفي غيرهم عن دخولها فى هذا دليل بين على ان الامانى المشار اليها ليس الا ما طولبوا باقامة البرهان على صحته وهو أمنية واحدة والله أعلم والجواب القريب انهم لشدة تمنيهم لهذه الامنية ومعاودتهم لها وتأكدها فى نفوسهم جمعت ليفيد جمعها انها متأكدة فى قلوبهم بالغة منهم كل مبلغ والجمع يفيد ذلك وان كان مؤداه واحدا ونظيره قولهم معا جياع فجمعوا الصفة ومؤداها واحد لان موصوفها واحد تأكيد الثبوتها وتمكنها وهذا المعنى أحد ما روى فى قوله تعالى ان هؤلاء لشرذمة قليلون فانه جمع قليلا وقد كان الاصل افراده فيقال لشرذمة قليلة كقوله تعالى كم من فئة قليلة لولا ما قصد اليه من تأكيد معنى القلة بجمعها ووجه افادة الجمع فى مثل هذا التأكيد ان الجمع يفيد بوضعه الزيادة فى الآحاد فنقل الى تأكيد الواحد وابانة زيادته على نظرائه نقلا مجازيا بديعا فتدبر هذا الفصل فانه من نفائس صناعة البيان والله الموفق

نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير أم تريدون أن تسئلوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ان الله على كل شيء قدير وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم

واذهابها لا الى بدل وانساؤها أن يذهب بحفظها عن القلوب والمعنى ان كل آية يذهب بها على ما توجبه المصلحة من ازالة لفظها وحكمها معا أو من ازالة أحدهما الى بدل أو غير بدل (نأت) بآية خير منها للعباد أي بآية العمل بها أكثر للثواب (أو مثلها) فى ذلك (على كل شيء قدير) فهو يقدر على الخير وما هو خير منه وعلى مثله فى الخير (له ملك السموات والارض) فهو يملك أموركم ويدبرها ويجريها على حسب ما يصلحكم وهو أعلم بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ * لما بين لهم أنه مالك أمورهم ومدبرها على حسب مصالحهم من نسخ الآيات وغيره وقررهم على ذلك بقوله ألم تعلم أراد أن يوصيهم بالثقة به فيما هو أصلح لهم مما يتعبدهم به وينزل عليهم وأن لا يقترحوا على رسولهم ما اقترحه آباء اليهود على موسى عليه السلام من الاشياء التى كانت عاقبتها وبالا عليهم كقولهم اجعل لنا الها أرنا الله جهرة وغير ذلك (ومن يتبدل الكفر بالايمان) ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها (فقد ضل سواء السبيل) * روى أن فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد ألم تروا ما أصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وأفضل ونحن أهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فانى قد عاهدت أن لا أكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود أما هذا فقد صبأ وقال حذيفة وأما أنا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبراه فقال أصبتما الخير وأفلحتما فنزلت (فان قلت) بم تعلق قوله (من عند أنفسهم) (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يتعلق بود على معنى انهم تمنوا أن ترتدوا عن دينكم وتمنيهم ذلك من عند أنفسهم ومن قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم انكم على الحق فكيف يكون تمنيهم من قبل الحق واما أن يتعلق بحسدا أي حسدا متبالغا منبعثا من أصل أنفسهم (فاعفوا واصفحوا) فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة (حتى يأتي الله بأمره) الذى هو قتل بنى قريظة واجلاء بنى النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم (ان الله على كل شيء قدير) فهو يقدر على الانتقام منهم (من خير) من حسنة صلاة أو صدقة أو غيرهما (تجدوه عند الله) تجدوا ثوابه عند الله (ان الله بما تعملون بصير) عالم لا يضيع عنده عمل عامل * الضمير فى (وقالوا) لاهل الكتاب من اليهود والنصارى والمعنى وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بأن السامع يرد الى كل فريق قوله وأمنا من الالباس لما علم من التعادى بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه ونحوه وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا * والهود جمع هائد كعائذ وعوذ وبازل وبزل (فان قلت) كيف قيل كان هودا على توحيد الاسم وجمع الخبر (قلت) حمل الاسم على لفظ من والخبر على معناه كقراءة الحسن الا من هو صالوا الجحيم وقوله فان له نار جهنم خالدين فيها وقرأ أبي بن كعب الا من كان يهوديا أو نصرانيا (فان قلت) لم قيل (تلك أمانيهم) وقولهم لن يدخل الجنة أمنية واحدة (قلت) أشير بها الى الامانى المذكورة وهو أمنيتهم

أن لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وأمنيتهم أن يردوهم كفارا وأمنيتهم أن لا يدخل الجنة غيرهم أى تلك
الأمانى الباطلة أمانيهم وقوله قل هاتوا برهانكم متصل بقولهم ان يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى
وتلك أمانيهم اعتراض أو أريد أمثال تلك الامنية أمانيهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
يريد أن أمانيهم جميعا فى البطلان مثل أمنيتهم هذه والامنية أفعولة من التمنى مثل الاضحوكة والاعجوبة
(هاتوا برهانكم) هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة (ان كنتم صادقين) فى دعواكم وهذا أهدم شئ
لمذهب المقلدين وان كل قول لا دليل عليه فهو باطل غير ثابت وهات صوت بمنزلة هاء بمعنى أحضر (بلى) اثبات
لما نفوه من دخول غيرهم الجنة (من أسلم وجهه لله) من أخلص نفسه له لا يشرك به غيره (وهو محسن) فى
عمله (فله أجره) الذى يستوجبه (فان قلت) من أسلم وجهه كيف موقعه (قلت) يجوز أن يكون بلى ردا
لقولهم ثم يقع من أسلم كلاما مبتدأ ويكون من متضمنا لمعنى الشرط وجوابه فله أجره وأن يكون من أسلم فاعلا
لفعل محذوف أى بلى يدخلها من أسلم ويكون قوله فله أجره كلاما معطوفا على يدخلها من أسلم (على شئ)
أى على شئ يصح ويعتد به وهذه مبالغة عظيمة لان المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشئ فاذا نفى اطلاق اسم
الشئ عليه فقد بولغ فى ترك الاعتداد به الى ما ليس بعده وهذا كقولهم أقل من لا شئ (وهم يتلون الكتاب)
الواو للحال والكتاب للجنس أى قالوا ذلك وحالهم أنهم من أهل العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التوراة
أو الانجيل أو غيرهما من كتب الله وآمن به أن لا يكفر بالباقى لان كل واحد من الكتابين مصدق للثانى شاهد
بصحته وكذلك كتب الله جميعا متواردة على تصديق بعضها بعضا (كذلك) أى مثل ذلك الذى سمعت به على
ذلك المنهاج (قال) الجهلة (الذين) لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم
قالوا لاهل كل دين ليسوا على شئ وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا أنفسهم مع علمهم فى سلك من لا يعلم
وروى أن وفد نجران لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاهم أحبار اليهود فتناظروا حتى
ارتفعت أصواتهم فقالت اليهود ما أنتم على شئ من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لهم نحوه
وكفروا بموسى والتوراة (فالله يحكم) بين اليهود والنصارى (يوم القيامة) بما يقسم لكل فريق منهم من
العقاب الذى استحقه وعن الحسن حكم الله بينهم أن يكذبهم ويدخلهم النار (أن يذكر) ثانى مفعولى منع
لانك تقول منعته كذا ومثله وما منعنا أن نرسل وما منع الناس أن يؤمنوا ويجوز أن يحذف الجر مع أن ولك
أن تنصبه مفعولا له بمعنى منعها كراهة أن يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله وأن مانعها من ذكر الله
مفرط فى الظلم والسبب فيه أن النصارى كانوا يطرحون فى بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس أن يصلوا
فيه وأن الروم غزوا أهله فخربوه وأحرقوا التوراة وقتلوا وسبوا وقيل أراد به منع المشركين رسول الله صلى
الله عليه وسلم أن يدخل المسجد الحرام عام الحديبية (فان قلت) فكيف قيل مساجد الله وانما وقع
المنع والتخريب على مسجد واحد وهو بيت المقدس أو المسجد الحرام (قلت) لا بأس أن يجئ الحكم
عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن آذى صالحا واحدا ومن أظلم ممن آذى الصالحين وكما قال الله عز وجل
ويل لكل همزة لمزة والمنزول فيه الاخنس بن شريق (وسعى فى خرابها) بانقطاع الذكر أو بتخريب
البنيان وينبغى أن يراد بمن منع العموم كما أريد بمساجد الله ولا يراد الذين منعوا بأعيانهم من أولئك النصارى
أو المشركين (أولئك) المانعون (ما كان لهم أن يدخلوها) أى ما كان ينبغى لهم أن يدخلوا مساجد
الله (الا خائفين) على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلا أن يستولوا عليها
ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب الا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم وقيل ما كان
لهم فى حكم الله يعنى أن الله قد حكم وكتب فى اللوح أنه ينصر المؤمنين ويقويهم حتى لا يدخلوها الا خائفين
روى أنه لا يدخل بيت المقدس أحد من النصارى الا متنكرا مسارقة وقال قتادة لا يوجد نصرانى فى
بيت المقدس الا أنهك ضربا وأبلغ اليه فى العقوبة وقيل نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا لا يحجن
بعد هذا العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان وقرأ عبد الله الا خيفا وهو مثل صيم وقد اختلف الفقهاء
فى دخول الكافر المسجد فجوزه أبو حنيفة رحمه الله ولم يجوزه مالك وفرق الشافعى بين المسجد

الحرام

قل هاتوا برهانكم ان
كنتم صادقين بلى من
أسلم وجهه لله وهو
محسن فله أجره عند
ربه ولا خوف عليهم
ولا هم يحزنون وقالت
اليهود ليست النصارى
على شئ وقالت النصارى
ليست اليهود على شئ
وهم يتلون الكتاب
كذلك قال الذين
لا يعلمون مثل قولهم
فالله يحكم بينهم يوم
القيامة فيما كانوا فيه
يختلفون ومن أظلم ممن
منع مساجد الله أن
يذكر فيها اسمه وسعى
فى خرابها أولئك ما كان
لهم أن يدخلوها الا
خائفين لهم فى الدنيا

* قوله تعالى وقالت
اليهود ليست النصارى
على شئ الآية (قال
محمود رحمه الله هذه
مبالغة عظيمة لان المحال
والمعدوم يقع عليهما
اسم الشئ الخ) قال أحمد
رحمه الله وتفسيره
الشئ مخالف لفريق
أهل السنة والبدعة
فانه عند أهل السنة
قاصر على الموجود
وعند المعتزلة يطلق على
الموجود وعلى المعدوم
الذى يصح وجوده
فليس متناولا للمحال
بحال عندهما وقد تقدم
له مثله

الحرام وغيره وقيل معناه النهى عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله وما كان لكم أن تؤذوا
رسول الله (خزى) قتل وسبى أو ذلة بضرب الجزية وقيل فتح مدائنهم قسطنطينية ورومية وعمورية (ولله
المشرق والمغرب) أى بلاد المشرق والمغرب والارض كلها لله هو مالكها ومتوليها (فأينما تولوا) ففى أى مكان
فعلتم التولية يعنى تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم
فولوا وجوهكم شطره (فثم وجه الله) أى جهته التى أمر بها ورضيها والمعنى انكم اذا منعتم أن تصلوا فى المسجد
الحرام أو فى بيت المقدس فقد جعلت لكم الارض مسجدا فصلوا فى أى بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية
فيها فان التولية ممكنة فى كل مكان لا يختص امكانها فى مسجد دون مسجد ولا فى مكان دون مكان (ان الله
واسع) الرحمة يريد التوسعة على عباده والتيسير عليهم (عليم) بمصالحهم وعن ابن عمر نزلت فى صلاة المسافر
على الراحلة أينما توجهت وعن عطاء عميت القبلة على قوم فصلوا الى أنحاء مختلفة فلما أصبحوا تبينوا خطأهم
فعذروا وقيل معناه فأينما تولوا للدعاء والذكر ولم يرد الصلاة وقرأ الحسن فأينما تولوا بفتح التاء من التولى
يريد فأينما توجهوا القبلة (وقالوا) وقرئ بغير واو يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله والملائكة بنات
الله (سبحانه) تنزيه له عن ذلك وتبعيد (بل له ما فى السموات والارض) هو خالقه ومالكه ومن جملته الملائكة
وعزير والمسيح (كل له قانتون) منقادون لا يمتنع شئ منهم على تكوينه وتقديره ومشيئته ومن كان بهذه
الصفة لم يجانس ومن حق الولد أن يكون من جنس الوالد والتنوين فى كل عوض من المضاف اليه أى كل
ما فى السموات والارض ويجوز أن يراد كل من جعلوه لله ولدا له قانتون مطيعون عابدون مقرون بالربوبية
منكرون لما أضافوا اليهم (فان قلت) كيف جاء بما التى لغير أولى العلم مع قوله قانتون (قلت) هو كقوله
سبحان ما سخركن لنا وكأنه جاء بما دون من تحقيرا لهم وتصغيرا لشأنهم كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا *
يقال بدع الشئ فهو بديع كقولك بزع الرجل فهو بزيع و(بديع السموات) من اضافة الصفة المشبهة الى
فاعلها أى بديع سمواته وأرضه وقيل البديع بمعنى المبدع كما أن السميع فى قول عمرو
* أمن ريحانة الداعى السميع * بمعنى المسمع وفيه نظر (كن فيكون) من كان التامة أى احدث فيحدث وهذا
مجاز من الكلام وتمثيل ولا قول ثم كما لا قول فى قوله * اذ قالت الانساع للبطن الحق * وانما المعنى أن ما قضاه
من الامور وأراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف كما أن المأمور المطيع
الذى يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه الاباء أكد بهذا استبعاد الولادة لان من كان بهذه
الصفة من القدرة كانت حاله مباينة لاحوال الاجسام فى توالدها وقرئ بديع السموات مجرورا على أنه بدل
من الضمير فى له وقرأ المنصور بالنصب على المدح (وقال الذين لا يعلمون) وقال الجهلة من المشركين وقيل من
أهل الكتاب ونفى عنهم العلم لانهم لم يعملوا به (لولا يكلمنا الله) هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة وكلم موسى
استكبارا منهم وعتوا (أو تأتينا آية) جحودا لان يكون ما أتاهم من آيات الله آيات واستهانة بها (تشابهت
قلوبهم) أى قلوب هؤلاء ومن قبلهم فى العمى كقوله أتواصوا به (قد بينا الآيات لقوم) ينصفون فيوقنون
أنها آيات يجب الاعتراف بها والاذعان لها والاكتفاء بها عن غيرها (انا أرسلناك) لان تبشر وتنذر لا لتجبر على
الايمان وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتسرية عنه لانه كان يغتم ويضيق صدره لاصرارهم
وتصميمهم على الكفر ولا نسألك (عن أصحاب الجحيم) ما لهم لم يؤمنوا بعد أن بلغت وبلغت جهدك فى دعوتهم
كقوله فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقرئ ولا تسأل على النهى روى أنه قال ليت شعرى ما فعل أبواى
فنهى عن السؤال عن أحوال الكفرة والاهتمام بأعداء الله وقيل معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب
كما تقول كيف فلان سائلا عن الواقع فى بلية فيقال لك لا تسأل عنه ووجه التعظيم أن المستخبر يجزع أن
يجرى على لسانه ما هو فيه لفظاعته فلا تسأله ولا تكلفه ما يضجره أو أنت يا مستخبر لا تقدر على استماع خبره
لايحاشه السامع واضجاره فلا تسأل وتعضد القراءة الاولى قراءة عبد الله ولن تسئل وقراءة أبى وما تسئل
* كأنهم قالوا لن نرضى عنك وان أبلغت فى طلب رضانا حتى تتبع ملتنا اقناطا منهم لرسول الله صلى الله عليه

خزى ولهم فى الآخرة
عذاب عظيم ولله
المشرق والمغرب فأينما
تولوا فثم وجه الله ان الله
واسع عليم وقالوا اتخذ
الله ولدا سبحانه بل له
ما فى السموات والارض
كل له قانتون بديع
السموات والارض
واذا قضى أمرا فانما
يقول له كن فيكون
وقال الذين لا يعلمون
لولا يكلمنا الله أو تأتينا
آية كذلك قال الذين
من قبلهم مثل قولهم
تشابهت قلوبهم قد بينا
الآيات لقوم يوقنون
انا أرسلناك بالحق بشيرا
ونذيرا ولا تسئل عن
أصحاب الجحيم ولن ترضى
عنك اليهود ولا النصارى
حتى تتبع ملتهم

وسلم عن دخولهم فى الاسلام فحكى الله عز وجل كلامهم ولذلك قال (قل ان هدى الله هو الهدى) على طريقة
اجابتهم عن قولهم يعنى ان هدى الله الذى هو الاسلام هو الهدى بالحق والذى يصح أن يسمى هدى وهو
الهدى كله ليس وراءه هدى وماتدعون الى اتباعه ماهو بهدى انما هو هوى ألا ترى الى قوله (ولئن اتبعت
أهواءهم) أى أقوالهم التى هى أهواء وبدع (بعد الذى جاءك من العلم) أى من الدين المعلوم صحته بالبراهين
الصحيحة (الذين آتيناهم الكتاب) هم مؤمنو أهل الكتاب (يتلونه حق تلاوته) لايحرفونه ولايغيرون
مافيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (أولئك يؤمنون) بكتابهم دون المحرفين (ومن يكفر به) من
المحرفين (فأولئك هم الخاسرون) حيث اشتروا الضلالة بالهدى (ابتلى ابراهيم ربه بكلمات) اختبره بأوامر
ونواه واختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار أحد الامرين مايريد الله ومايشتهيه العبد كأنه يمتحنه
مايكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك وقرأ أبوحنيفة رضى الله عنه وهى قراءة ابن عباس رضى الله عنه
ابراهيم ربه برفع ابراهيم ونصب ربه والمعنى أنه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه اليهن أم لا (فان
قلت) الفاعل فى القراءة المشهورة يلى الفعل فى التقدير فتعليق الضمير به اضمار قبل الذكر (قلت) الاضمار
قبل الذكر أن يقال ابتلى ربه ابراهيم فأما ابتلى ابراهيم ربه أو ابتلى ربه ابراهيم فليس واحد منهما باضمار قبل
الذكر أما الاول فقد ذكر فيه صاحب الضمير قبل الضمير ذكرا ظاهرا وأما الثانى فابراهيم فيه مقدم فى المعنى
وليس كذلك ابتلى ربه ابراهيم فان الضمير فيه قد تقدم لفظا ومعنى فلا سبيل الى صحته * والمستكن فى
(فأتمهن) فى احدى القراءتين لابراهيم بمعنى فقام بهن حق القيام وأداهن أحسن التأدية من غير تفريط
وتوان ونحوه وابراهيم الذى وفى وفى الاخرى لله تعالى بمعنى فأعطاه ماطلبه لم ينقص منه شيأ ويعضده ماروى
عن مقاتل أنه فسر الكلمات بماسأل ابراهيم ربه فى قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا واجعلنا مسلمين لك وابعث
فيهم رسولا منهم ربنا تقبل منا (فان قلت) ما العامل فى اذ (قلت) اما مضمر نحو واذكر اذ ابتلى أو واذ ابتلاه
كان كيت وكيت واما (قال انى جاعلك) (فان قلت) فما موقع قال (قلت) هو على الاول استئناف كأنه قيل
فماذا قال له ربه حين أتم الكلمات فقيل قال انى جاعلك للناس اماما وعلى الثانى جملة معطوفة على ماقبلها
ويجوز أن يكون بيانا لقوله ابتلى وتفسيرا له فيراد بالكلمات ماذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع
قواعده والاسلام قبل ذلك فى قوله اذ قال له ربه أسلم وقيل فى الكلمات هى خمس فى الرأس الفرق وقص
الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس فى البدن الختان والاستحداد والاستنجاء وتقليم الاظافر
ونتف الابط وقيل ابتلاه من شرائع الاسلام بثلاثين سهما عشر فى براءة التائبون العابدون وعشر فى
الاحزاب ان المسلمين والمسلمات وعشر فى المؤمنون وسأل سائل الى قوله والذين هم على صلاتهم يحافظون
وقيل هى مناسك الحج كالطواف والسعى والرمى والاحرام والتعريف وغيرهن وقيل ابتلاه بالكوكب
والقمر والشمس والختان وذبح ابنه والنار والهجرة * والامام اسم من يؤتم به على زنة الآلة كالازار لما
يؤتزر به أى يأتمون بك فى دينهم (ومن ذريتى) عطف على الكاف كأنه قال وجاعل بعض ذريتى كما يقال لك
سأكرمك فتقول وزيدا (لاينال عهدى الظالمين) وقرئ الظالمون أى من كان ظالما من ذريتك لايناله
استخلافى وعهدى اليه بالامامة وانما ينال من كان عادلا بريئا من الظلم وقالوا فى هذا دليل على أن الفاسق
لايصلح للامامة وكيف يصلح لها من لايجوز حكمه وشهادته ولاتجب طاعته ولايقبل خبره
ولايقدم للصلاة وكان أبوحنيفة رحمه الله يفتى سرا بوجوب نصرة زيد بن على رضوان الله عليهما
وحمل المال اليه والخروج معه على اللص المتغلب المتسمى بالامام والخليفة كالدوانيق وأشباهه
وقالت له امرأة أشرت على ابنى بالخروج مع ابراهيم ومحمد ابنى عبد الله بن الحسن حتى قتل فقال ليتنى
مكان ابنك وكان يقول فى المنصور وأشياعه لو أرادوا بناء مسجد وأرادونى على عد آجره لما فعلت وعن ابن
عيينة لايكون الظالم اماما قط وكيف يجوز نصب الظالم للامامة والامام انما هو لكف الظلمة فاذا نصب
من كان ظالما فى نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى الذئب ظلم * و (البيت) اسم غالب للكعبة كالنجم
للثريا (مثابة للناس) مباءة ومرجعا للحجاج والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون اليه أى يثوب اليه أعيان

قل ان هدى الله هو
الهدى ولئن اتبعت
أهواءهم بعد الذى
جاءك من العلم مالك
من الله من ولى ولا نصير
الذين آتيناهم الكتاب
يتلونه حق تلاوته
أولئك يؤمنون به ومن
يكفر به فأولئك هم
الخاسرون يابنى
اسرائيل اذكروا نعمتى
التى أنعمت عليكم وأنى
فضلتكم على العالمين
واتقوا يوما لاتجزى
نفس عن نفس شيأ
ولا يقبل منها عدل ولا
تنفعها شفاعة ولاهم
ينصرون واذ ابتلى
ابراهيم ربه بكلمات
فأتمهن قال انى جاعلك
للناس اماما قال ومن
ذريتى قال لاينال
عهدى الظالمين واذ
جعلنا البيت مثابة للناس

الدين

الذين يزورونه أو أمثالهم (وأمنا) وموضع أمن كقوله حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم ولان الجاني
يأوي اليه فلا يتعرض له حتى يخرج وقرئ مثابات لانه مثابة لكل من الناس لا يختص به واحد منهم سواء
العاكف فيه والباد (واتخذوا) على ارادة القول أي وقلنا اتخذوا منه موضع صلاة تصلون فيه وهو على وجه
الاختيار والاستحباب دون الوجوب وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابراهيم
فقال عمر أفلا نتخذه مصلى يريد أفلا نؤثره لفضله بالصلاة فيه تبركا به وتيمنا بموطئ قدم ابراهيم فقال لم أومر
بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استلم الحجر ورمل ثلاثة
أشواط ومشى أربعة حتى اذا فرغ عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم
مصلى وقيل مصلى مدعى ومقام ابراهيم الحجر الذي فيه أثر قدميه والموضع الذي كان فيه الحجر حين وضع عليه
قدميه وهو الموضع الذي يسمى مقام ابراهيم وعن عمر رضي الله عنه أنه سأل المطلب بن أبي وداعة هل تدري
أين كان موضعه الاول قال نعم فأراه موضعه اليوم وعن عطاء مقام ابراهيم عرفة والمزدلفة والجمار لانه قام
في هذه المواضع ودعا فيها وعن النخعي الحرم كله مقام ابراهيم وقرئ واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا
أي واتخذ الناس من مكان ابراهيم الذي وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها (عهدنا)
أمرناهما (أن طهرا بيتي) بأن طهرا أو أي طهرا والمعنى طهراه من الاوثان والانجاس وطواف الجنب
والحائض والخبائث كلها أو أخلصاه لهؤلاء لا يغشيه غيرهم (والعاكفين) المجاورين الذين عكفوا عنده أي
أقاموا لا يبرحون أو المعتكفين ويجوز أن يريد بالعاكفين الواقفين يعني القائمين في الصلاة كما قال للطائفين
والقائمين والركع السجود والمعنى للطائفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود هيآت المصلي أي اجعل
هذا البلد أو هذا المكان (بلدا آمنا) ذا أمن كقوله عيشة راضية أو آمنا من فيه كقولك ليل نائم و (من آمن
منهم) بدل من أهله يعني وارزق المؤمنين من أهله خاصة (ومن كفر) عطف على من آمن كما عطف ومن
ذريتي على الكاف في جاعلك (فان قلت) لم خص ابراهيم صلوات الله عليه المؤمنين حتى رد عليه (قلت) قاس
الرزق على الامامة فعرف الفرق بينهما لان الاستخلاف استرعاء يختص بمن ينصح لمرعيه وأبعد الناس عن
النصيحة الظالم بخلاف الرزق فانه قد يكون استدراجا للمرزوق والزاما للحجة له والمعنى وارزق من كفر فأمتعه
ويجوز أن يكون ومن كفر مبتدأ متضمنا معنى الشرط وقوله فأمتعه جوابا للشرط أي ومن كفر فأنا أمتعه
وقرئ فأمتعه فأضطره فألزه الى عذاب النار لز المضطر الذي لا يملك الامتناع مما اضطر اليه وقرأ أبي
فنمتعه قليلا ثم نضطره وقرأ يحيى بن وثاب فاضطره بكسر الهمزة وقرأ ابن عباس فأمتعه قليلا ثم اضطره
على لفظ الامر والمراد الدعاء من ابراهيم دعا ربه بذلك (فان قلت) فكيف تقدير الكلام على هذه القراءة
(قلت) في قال ضمير ابراهيم أي قال ابراهيم بعد مسئلته اختصاص المؤمنين بالرزق ومن كفر فأمتعه قليلا ثم
أضطره وقرأ ابن محيصن فأطره بادغام الضاد في الطاء كما قالوا اطجع وهي لغة مرذولة لان الضاد من
الحروف الخمسة التي يدغم فيها ما يجاورها ولا تدغم هي فيما يجاورها وهي حروف ضم شفر (يرفع) حكاية
حال ماضية و (القواعد) جمع قاعدة وهي الاساس والاصل لما فوقه وهي صفة غالبة ومعناها الثابتة ومنه
قعدك الله أي أسأل الله أن يقعدك أي يثبتك ورفع الاساس البناء عليها لانها اذا بني عليها نقلت عن هيئة
الانخفاض الى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر ويجوز أن يكون المراد بها سافات البناء لان كل ساف
قاعدة للذي يبنى عليه ويوضع فوقه ومعنى رفع القواعد رفعها بالبناء لانه اذا وضع سافا فوق ساف فقد رفع
السافات ويجوز أن يكون المعنى واذ يرفع ابراهيم ما قعد من البيت أي استوطأ يعني جعل هيئته القاعدة
المستوطئة مرتفعة عالية بالبناء وروي أنه كان مؤسسا قبل ابراهيم فبنى على الاساس وروي أن الله تعالى
أنزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لآدم عليه السلام اهبطت لك
ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه آدم من أرض الهند اليه ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم
لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام وحج آدم أربعين حجة من أرض الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك

وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره الى عذاب النار وبئس المصير واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل

الى أن رفعه الله أيام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور ثم ان الله تعالى أمر ابراهيم ببنائه وعرفه جبريل مكانه وقيل بعث الله سحابة أظلته ونودى أن ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل بناه من خمسة أجبل طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودى وأسسه من حراء وجاءه جبريل بالحجر الاسود من السماء وقيل تمخض أبو قبيس فانشق عنه وقد خبئ فيه فى أيام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من الجنة فلما لمسته الحيض فى الجاهلية اسود وقيل كان ابراهيم يبنى واسمعيل يناوله الحجارة (ربنا) أى يقولان ربنا وهذا الفعل فى محل النصب على الحال وقد أظهره عبد الله فى قراءته ومعناه يرفعانها قائلين ربنا (انك أنت السميع) لدعائنا (العليم) بضمائرنا ونياتنا (فان قلت) هلا قيل قواعد البيت وأى فرق بين العبارتين (قلت) فى ابهام القواعد وتبيينها بعد الابهام ما ليس فى اضافتها لما فى الايضاح بعد الابهام من تفخيم لشان المبين (مسلمين لك) مخلصين لك أوجهنا من قوله أسلم وجهه لله أو مستسلمين يقال أسلم له وسلم واستسلم اذا خضع وأذعن والمعنى زدنا اخلاصا أو اذعانا لك وقرئ مسلمين على الجمع كأنهما أرادا أنفسهما وهاجر أو أجريا التثنية على حكم الجمع لانها منه (ومن ذريتنا) واجعل من ذريتنا (أمة مسلمة لك) ومن للتبعيض أو للتبيين كقوله وعد الله الذين آمنوا منكم (فان قلت) لم خصا ذريتهما بالدعاء (قلت) لانهم أحق بالشفقة والنصيحة قوا أنفسكم وأهليكم نارا ولان أولاد الانبياء اذا صلحوا صلح بهم غيرهم وشايعوهم على الخير ألا ترى أن المتقدمين من العلماء والكبراء اذا كانوا على السداد كيف يتسببون لسداد من وراءهم وقيل أراد بالامة أمة محمد صلى الله عليه وسلم (وأرنا) منقول من رأى بمعنى أبصر أو عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين أى وبصرنا متعبداتنا فى الحج أو عرفناها وقيل مذابحنا وقرئ وأرنا بسكون الراء قياسا على فخذ فى فخذ وقد استرذلت لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها فاسقاطها اجحاف وقرأ أبو عمرو باشمام الكسرة وقرأ عبد الله وأرهم مناسكهم (وتب علينا) ما فرط منا من الصغائر أو استتابا لذريتهما (وابعث فيهم) فى الامة المسلمة (رسولا منهم) من أنفسهم روى أنه قيل له قد استجيب لك وهو فى آخر الزمان فبعث الله فيهم محمدا صلى الله عليه وسلم قال عليه الصلاة والسلام أنا دعوة أبى ابراهيم وبشرى أخى عيسى ورؤيا أمى (يتلو عليهم آياتك) يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل وحدانيتك وصدق أنبيائك (ويعلمهم الكتاب) القرآن (والحكمة) الشريعة وبيان الاحكام (ويزكيهم) ويطهرهم من الشرك وسائر الارجاس كقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث (ومن يرغب) انكار واستبعاد لان يكون فى العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذى هو ملة ابراهيم * و (من سفه) فى محل الرفع على البدل من الضمير فى يرغب وصح البدل لان من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك أحد الا زيد سفه نفسه امتهنها واستخف بها وأصل السفه الخفة ومنه زمام سفيه وقيل انتصاب النفس على التمييز نحو غبن رأيه وألم رأسه ويجوز أن يكون فى شذوذ تعريف المميز نحو قوله ولا بفزارة الشعر الرقابا * أجب الظهر ليس له سنام وقيل معناه سفه فى نفسه فحذف الجار كقولهم زيد ظنى مقيم أى فى ظنى والوجه هو الاول وكفى شاهدا له بما جاء فى الحديث الكبر أن تسفه الحق وتغمص الناس وذلك أنه اذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ فى اذالة نفسه وتعجيزها حيث خالف بها كل نفس عاقلة (ولقد اصطفيناه) بيان لخطأ رأى من رغب عن ملته لان من جمع الكرامة عند الله فى الدارين بأن كان صفوته وخيرته فى الدنيا وكان مشهودا له بالاستقامة على الخير فى الآخرة لم يكن أحد أولى بالرغبة فى طريقته منه (اذ قال) ظرف لاصطفيناه أى اخترناه فى ذلك الوقت أو انتصب باضمار اذكر استشهادا على ما ذكر من حاله كأنه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم أنه المصطفى الصالح الذى لا يرغب عن ملة مثله * ومعنى قال (له أسلم) أخطر بباله النظر فى الدلائل المؤدية الى المعرفة والاسلام (قال أسلمت) أى فنظر وعرف وقيل أسلم أى أذعن وأطع وروى أن عبد الله بن سلام دعا ابنى أخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما أن الله تعالى قال فى التوراة انى باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه أحمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فأسلم سلمة وأبى مهاجر أن يسلم فنزلت * قرئ وأوصى وهى فى مصاحف أهل الحجاز والشام * والضمير فى (بها) لقوله أسلمت لرب العالمين على تأويل الكلمة والجملة ونحوه رجوع

ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه

الضمير

* قوله تعالى أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت (قال محمود رحمه الله الخطاب فيه للمؤمنين بمعنى ما شاهدتم الخ) قال أحمد رحمه الله وانما المختار على هذا التفسير أن تكون متصلة لانه لو جعلها منقطعة كالاول لكان (٢٣٥) مضمون الكلام نفى شهود المخاطبين وهم اليهود على هذا التفسير الثانى لوفاة يعقوب والوصية بالاسلام وحينئذ يكون ذلك كاقامة حجتهم على جحد الاسلام وانكار أن يكون الانبياء مسلمين والغرض ضد ذلك وانما كان الكلام يقتضى النفى حينئذ لان الاستفهام من الله تعالى لا يصح على ظاهره فتعين صرفه الى الانكار لان السياق يقتضيه ولهذا كان نفيا لشهود المسلمين وفاة يعقوب ووصيته على التفسير الاول لاسيما والمعتاد خطاب اليهود المعاصرين للنبى عليه الصلاة والسلام بما يخاطب به أوائلهم وتنزيلا لهم ورضاهم منزلة حضورهم وتعاطيهم كقوله تعالى واذ قتلتم نفسا واذ قلتم يا موسى الى اشباه ذلك فاذا كانت أم متصلة والخطاب لليهود فقد جرى الامر فى خطابهم على المعتاد واذا كانت منقطعة انعكس الامر

ويعقوب يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم

الضمير فى قوله وجعلها كلمة باقية الى قوله انى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى وقوله كلمة باقية دليل على ان التأنيث على تأويل الكلمة (ويعقوب) عطف على ابراهيم داخل فى حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه أيضا وقرئ ويعقوب بالنصب عطفا على بنيه ومعناه ووصى بها ابراهيم بنيه ونافلته يعقوب (يابنى) على اضمار القول عند البصريين وعند الكوفيين يتعلق بوصى لانه فى معنى القول ونحوه قول القائل

رجلان من ضبة أخبرانا * انا رأينا رجلا عريانا

بكسر الهمزة فهو بتقدير القول عندنا وعندهم يتعلق بفعل الاخبار وفى قراءة أبىّ وابن مسعود أن يابنىّ (اصطفى لكم الدين) أعطاكم الدين الذى هو صفوة الاديان وهو دين الاسلام ووفقكم للاخذ به (فلا تموتن) معناه فلا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام فالنهى فى الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الاسلام اذا ماتوا كقولك لا تصل الا وأنت خاشع فلا تنهاه عن الصلاة ولكن عن ترك الخشوع فى حال صلاته (فان قلت) فأى نكتة فى ادخال حرف النهى على الصلاة وليس بمنهى عنها (قلت) النكتة فيه اظهار أن الصلاة التى لا خشوع فيها كلا صلاة فكأنه قال أنهاك عنها اذا لم تصلها على هذه الحالة الا ترى الى قوله عليه الصلاة والسلام لا صلاة لجار المسجد الا فى المسجد فانه كالتصريح بقولك لجار المسجد لا تصل الا فى المسجد وكذلك المعنى فى الآية اظهار أن موتهم لا على حال الثبات على الاسلام موت لا خير فيه وأنه ليس بموت السعداء وأن من حق هذا الموت أن لا يحل فيهم وتقول فى الامر أيضا مت وأنت شهيد وليس مرادك الامر بالموت ولكن بالكون على صفة الشهداء اذا مات وانما أمرته بالموت اعتدادا منك بميتته واظهارا لفضلها على غيرها وأنها حقيقة بأن يحث عليها (أم كنتم شهداء) هى أم المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر أى ما كنتم حاضرين يعقوب عليه السلام اذ حضره الموت أى حين احتضر والخطاب للمؤمنين بمعنى ما شاهدتم ذلك وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحى وقيل الخطاب لليهود لانهم كانوا يقولون ما مات نبى الا على اليهودية الا انهم لو شهدوه وسمعوا ما قاله لبنيه وما قالوه لظهر لهم حرصه على ملة الاسلام ولما ادّعوا عليه اليهودية فالآية منافية لقولهم فكيف يقال لهم أم كنتم شهداء ولكن الوجه أن تكون أم متصلة على أن يقدر قبلها محذوف كأنه قيل أتدعون على الانبياء اليهودية أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت يعنى ان أوائلكم من بنى اسرائيل كانوا مشاهدين له اذ أراد بنيه على التوحيد وملة الاسلام وقد علمتم ذلك فمالكم تدعون على الانبياء ما هم منه براء وقرئ حضر بكسر الضاد وهى لغة (ما تعبدون) أى شئ تعبدون وما عام فى كل شئ فاذا علم فرق بما ومن وكفاك دليلا قول العلماء من لما يعقل ولو قيل من تعبدون لم يعم الا أولى العلم وحدهم ويجوز أن يقال ما تعبدون سؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد أفقيه أم طبيب أم غير ذلك من الصفات * و (ابراهيم واسمعيل واسحق) عطف بيان لآبائك وجعل اسمعيل وهو عمه من جملة آبائه لان العم أب والخالة أم لانخراطهما فى سلك واحد وهو الاخوة لا تفاوت بينهما ومنه قوله عليه السلام عم الرجل صنو أبيه أى لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوى النخلة وقال عليه الصلاة والسلام فى العباس هذا بقية آبائى وقال ردوا على أبى فانى أخشى أن تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود وقرأ أبىّ واله ابراهيم بطرح آبائك وقرئ أبيك وفيه وجهان أن يكون واحدا وابراهيم وحده عطف بيان له وأن يكون جمعا بالواو والنون قال وفديننا بالابينا (الها واحدا) بدل من اله آبائك كقوله تعالى بالناصية ناصية كاذبة أو على الاختصاص أى نريد باله آبائك الها واحدا (ونحن له مسلمون) حال من فاعل نعبد أو من مفعوله لرجوع الهاء اليه فى له ويجوز أن تكون جملة معطوفة على نعبد وان تكون جملة اعتراضية مؤكدة أى ومن حالنا أنا له مسلمون مخلصون التوحيد أو مذعنون (تلك)

ولا تسئلون عما كانوا يعملون وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون قل أتحاجوننا فى الله

اشارة الى الامة المذكورة التى هى ابراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون * والمعنى ان أحدا لا ينفعه كسب غيره متقدما كان أو متأخرا فكما أن أولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا فكذلك أنتم لا ينفعكم الا ما اكتسبتم وذلك انهم افتخروا بأوائلهم ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بنى هاشم لا يأتينى الناس بأعمالهم وتأتونى بأنسابكم (ولا تسألون عما كانوا يعملون) ولا تؤاخذون بسيآتهم كما لا تنفعكم حسناتهم (بل ملة ابراهيم) بل نكون ملة ابراهيم أى أهل ملته كقول عدى بن حاتم انى من دين يريد من أهل دين وقيل بل نتبع ملة ابراهيم وقرئ ملة ابراهيم بالرفع أى ملته ملتنا أو أمرنا ملته أو نحن ملته بمعنى أهل ملته و(حنيفا) حال من المضاف اليه كقولك رأيت وجه هند قائمة والحنيف المائل عن كل دين باطل الى دين الحق والحنف الميل فى القدمين وتحنف اذا مال وأنشد ولكنا خلقنا اذ خلقنا * حنيفا ديننا عن كل دين

(وما كان من المشركين) تعريض بأهل الكتاب وغيرهم لان كلا منهم يدعى اتباع ابراهيم وهو على الشرك (قولوا) خطاب للمؤمنين ويجوز أن يكون خطابا للكافرين أى قولوا لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل وكذلك قوله بل ملة ابراهيم يجوز أن يكون على بل اتبعوا أنتم ملة ابراهيم أو كونوا أهل ملته والسبط الحافد وكان الحسن والحسين سبطى رسول الله صلى الله عليه وسلم (والاسباط) حفدة يعقوب ذرارى أبنائه الاثنى عشر (لانفرق بين أحد منهم) لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى وأحد فى معنى الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه (بمثل ما آمنتم به) من باب التبكيت لان دين الحق واحد لا مثل له وهو دين الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فلا يوجد اذا دين آخر يماثل دين الاسلام فى كونه حقا حتى ان آمنوا بذلك الدين المماثل له كانوا مهتدين فقيل فان آمنوا بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير أى فان حصلوا دينا آخر مثل دينكم مساويا له فى الصحة والسداد فقد اهتدوا وفيه أن دينهم الذى هم عليه وكل دين سواه مغاير له غير مماثل لانه حق وهدى وما سواه باطل وضلال ونحو هذا قولك للرجل الذى تشير عليه هذا هو الرأى الصواب فان كان عندك رأى أصوب منه فاعمل به وقد علمت أن لا أصوب من رأيك ولكنك تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على ان ما رأيت لا رأى وراءه ويجوز أن لا تكون الباء صلة وتكون باء الاستعانة كقولك كتبت بالقلم وعملت بالقدوم أى فان دخلوا فى الايمان بشهادة مثل شهادتكم التى آمنتم بها وقرأ ابن عباس وابن مسعود بما آمنتم به وقرأ أبى بالذى آمنتم به (وان تولوا) عما تقولون لهم ولم ينصفوا فما هم الا (فى شقاق) أى فى مناواة ومعاندة لا غير وليسوا من طلب الحق فى شئ أو وان تولوا عن الشهادة والدخول فى الايمان بها (فسيكفيكهم الله) ضمان من الله لاظهار رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم وقد أنجز وعده بقتل قريظة وسبيهم واجلاء بنى النضير ومعنى السين أن ذلك كائن لا محالة وان تأخر الى حين (وهو السميع العليم) وعيد لهم أى يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه أو وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى يسمع ما تدعو به ويعلم نيتك وما تريده من اظهار دين الحق وهو مستجيب لك وموصلك الى مرادك (صبغة الله) مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله كما انتصب وعد الله عما تقدمه وهى فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهى الحالة التى يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفوس والاصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم فى ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم واذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال الآن صار نصرانيا حقا فأمر المسلمون بأن يقولوا لهم قولوا آمنا بالله وصبغنا الله بالايمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا أو يقول المسلمون صبغنا الله بالايمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم وانما جىء بلفظ الصبغة على طريقة المشاكلة كما تقول لمن يغرس الاشجار اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرم (ومن أحسن من الله صبغة) يعنى انه يصبغ عباده بالايمان ويطهرهم به من أوضار الكفر فلا صبغة أحسن من صبغته * وقوله (ونحن له عابدون) عطف على آمنا بالله وهذا العطف يرد قول من زعم ان صبغة الله بدل من ملة ابراهيم أو نصب على الاغراء بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه من فك النظم واخراج الكلام عن التئامه واتساقه وانتصابها على انها

* قوله تعالى لانفرق بين أحد منهم (قال محمود رحمه الله وأحد فى معنى الجماعة الخ) قال أحمد رحمه الله وفيه دليل على ان النكرة الواقعة فى سياق النفى تفيد العموم لفظا حتى تتنزل المفرد فيها منزلة الجمع فى تناوله الآحاد مطابقة لا كما ظنه بعض الاصوليين من أن مدلولها بطريق المطابقة فى النفى كمدلولها فى الاثبات وذلك لدلالة على الماهية وانما لزم فيها العموم من حيث ان سلب الماهية يستوجب سلب الافراد لما بين الاعم والاخص من التلازم فى جانب النفى

اذسلب الاعم أخص من سلب الاخص فيستلزمه فلو كان لفظا اما لا اشعار له بالتعدد والعموم وضعا لما جاز دخول بين عليها * قوله تعالى
سيقول السفهاء (قال محمود رحمه الله تعالى أى فائدة فى الاخبار بقولهم قبل وقوعه الخ) (٢٢٧) قال أحمد رحمه الله تعالى ولهذه
النكتة أجرى من حزو النظار فى ادراج مناظراتهم العمل بمقتضى الذى هو كذا السالم عن معارضة كذا فسيقول دره

وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون أم تقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون سيقول السفهاء من الناس ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس

مصدر مؤكد هو الذى ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام * قرأ زيد بن ثابت أتحاجونا بادغام النون والمعنى أتجادلوننا فى شأن الله واصطفائه النبى من العرب دونكم وتقولون لو أنزل الله على أحد لانزل علينا وترونكم أحق بالنبوة منا (وهو ربنا وربكم) نشترك جميعا فى أننا عباده وهو ربنا وهو يصيب برحمته وكرامته من يشاء من عباده هم فوضى فى ذلك لا يختص به عجمى دون عربى اذا كان أهلا للكرامة (ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم) يعنى أن العمل هو أساس الامر وبه العبرة وكما أن لكم أعمالا يعتبرها الله فى اعطاء الكرامة ومنعها فنحن كذلك * ثم قال (ونحن له مخلصون) فجاء بما هو سبب الكرامة أى ونحن له موحدون نخلصه بالايمان فلا تستبعدوا أن يؤهل أهل اخلاصه لكرامته بالنبوة وكانوا يقولون نحن أحق بأن تكون النبوة فينا لانا أهل كتاب والعرب عبدة أوثان (أم تقولون) يحتمل فيمن قرأ بالتاء أن تكون أم معادلة للهمزة فى أتحاجوننا بمعنى أى الامرين تأتون المحاجة فى حكمة الله أم ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء والمراد بالاستفهام عنهما انكارهما معا وأن تكون منقطعة بمعنى بل أتقولون والهمزة للانكار أيضا وفيمن قرأ بالياء لا تكون الا منقطعة (قل أأنتم أعلم أم الله) يعنى ان الله شهد لهم بملة الاسلام فى قوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما (ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله) أى كتم شهادة الله التى عنده أنه شهد بها وهى شهادته لابراهيم بالحنيفية ويحتمل معنيين أحدهما أن أهل الكتاب لا أحد أظلم منهم لانهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها والثانى أنا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن أحد أظلم منا فلا نكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة فى كتبهم وسائر شهاداته ومن فى قوله شهادة عنده من الله مثلها فى قولك هذه شهادة منى لفلان اذا شهدت له ومثله براءة من الله ورسوله (سيقول السفهاء) الخفاف الاحلام وهم اليهود لكراهتهم التوجه الى الكعبة وانهم لا يرون النسخ وقيل المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء وقيل المشركون قالوا رغب عن قبلة آبائه ثم رجع اليها والله ليرجعن الى دينهم (فان قلت) أى فائدة فى الاخبار بقولهم قبل وقوعه (قلت) فائدته أن مفاجأة المكروه أشد والعلم به قبل وقوعه أبعد من الاضطراب اذا وقع لما يتقدمه من توطين النفس وأن الجواب العتيد قبل الحاجة اليه أقطع للخصم وأرد لشغبه وقبل الرمى يراش السهم (ماولاهم) ما صرفهم (عن قبلتهم) وهى بيت المقدس (لله المشرق والمغرب) أى بلاد المشرق والمغرب والارض كلها (يهدى من يشاء) من أهلها (الى صراط مستقيم) وهو ما توجبه الحكمة والمصلحة من توجيههم تارة الى بيت المقدس وأخرى الى الكعبة (وكذلك جعلناكم) ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم (أمة وسطا) خيارا وهى صفة بالاسم الذى هو وسط الشئ ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ونحوه قوله عليه السلام وأنطوا الثبجة يريد الوسيطة بين السمينة والعجفاء وصفا بالثبج وهو وسط الظهر الا أنه ألحق تاء التأنيث مراعاة لحق الوصف وقيل للخيار وسط لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعوار والاوساط محمية محوطة ومنه قول الطائى

كانت هى الوسط المحمى فاكتنفت * بها الحوادث حتى أصبحت طرفا

وقد اكتريت بمكة جمل أعرابى للحج فقال أعطنى من سطاتهنه أراد من خيار الدنانير أو عدولا لان الوسط عدل بين الاطراف ليس الى بعضها أقرب من بعض (لتكونوا شهداء على الناس) روى أن الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالب الله الانبياء بالبينة على أنهم قد بلغوا وهو أعلم فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول الامم من أين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله فى كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسئل عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا (فان قلت) فهلا قيل لكم شهيدا وشهادته لهم لا عليهم (قلت) لما كان الشهيد كالرقيب والمهيمن على المشهود له جئ بكلمة الاستعلاء ومنه قوله تعالى

للمعارض قبل ذكر الخصم له وهى نكتة بديعة أحسن ما يستدل على صحتها بهذه الآية فتفطن لها فانها من
الملح * قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا (قال محمود رحمه الله وقيل للخيار وسط الخ) قال أحمد رحمه الله وهذا مما اقتضى المجاز فيه
التعميم * قوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا (قال محمود رحمه الله فان قلت فهلا قيل لكم شهيدا وشهادته لهم لا عليهم الخ) قال أحمد

رحمه الله ٣ وجه الاستدلال بالآية انه وصف الله تعالى فى أولها بالرقيب وفى آخرها بالشهيد على وجه التخصيص أولا ثم التعميم ثانيا
وانما ينتظم التعميم والتخصيص مع اتحاد مؤدى الرقيب والشهيد اذ الآية فى مثل قول القائل ان شكره كنت محسنا الى وأنت بكل
أحد محسن وكأنه لما قال كنت أنت الرقيب عليهم وكان ذلك تخصصه الرقيبه تعالى على بنى اسرائيل أراد ان يدفع عنهم وأهله حتى ينفى
وهم الخصوصية فقال فى التقدير (٢٣٨) وأنت على كل شئ كذلك فوضع شهيدا موضع كذلك المشاربه الى رقيبه فلا يتم الاستدلال بها
الا على هذا الوجه وفيه
غموض على كثير من
الافهام والله الموفق
(قال محمود رحمه الله
فان قلت لم أخرت صلة
الشهادة أولا وقدمت
آخرا الخ) قال أحمد
رحمه الله لان المنة
عليهم فى الطرفين ففى
الاول بثبوت كونهم
شهداء وفى الثانى بثبوت
كونهم مشهودا لهم
بالتزكية خصوصا من
هذا الرسول المعظم
ولو قدم شهيدا لانتقل
الغرض الى الامتنان
على النبى عليه الصلاة
والسلام بأنه شهيد
وسياق الخطاب لهم
والامتنان عليهم بأباه
وانما أخذ الزمخشرى الاختصاص من التقديم لان فيه اشعارا بالاهمية والعناية وكثيرا ما يجرى أى ذلك فى (تقلب
أثناء كلامه وفيه نظر * قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك فى السماء (قال محمود رحمه الله معناه كثرة الرؤية الخ) قال أحمد رحمه الله وهذا
من المواضع التى تبالغ العرب فيها التعبير عن المعنى بضد عبارته ومنه ربما يود الذين كفروا والمراد كثرة مودتهم للاسلام فى القيامة وعند
معاينة جزائه وثوابه وكذلك وقد تعلمون أنى رسول الله اليكم ومراده اظهار عنادهم بان علمهم برسالته يقينى مؤكد ومع ذلك يكفرون به

ويكون الرسول عليكم
شهيدا وما جعلنا القبلة
التى كنت عليها الا لنعلم
من يتبع الرسول ممن
ينقلب على عقبيه
وان كانت لكبيرة الا
على الذين هدى الله
وما كان الله ليضيع
ايمانكم ان الله بالناس
لرؤف رحيم قد نرى

والله على كل شئ شهيد كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد وقيل لتكونوا شهداء على الناس فى
الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة العدول الاخيار (ويكون الرسول عليكم شهيدا) يزكيكم ويعلم بعدالتكم (فان
قلت) لم أخرت صلة الشهادة أولا وقدمت آخرا (قلت) لان الغرض فى الاول اثبات شهادتهم على الامم وفى
الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم (التى كنت عليها) ليست بصفة للقبلة انما هى ثانى مفعولى
جعل يريد وما جعلنا القبلة الجهة التى كنت عليها وهى الكعبة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى
بمكة الى الكعبة ثم أمر بالصلاة الى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تألفا لليهود ثم حول الى الكعبة فيقول
وما جعلنا القبلة التى تحب أن تستقبلها الجهة التى كنت عليها أولا بمكة يعنى وما رددناك اليها الا امتحانا
للناس وابتلاء (لنعلم) الثابت على الاسلام الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص (على عقبيه) لقلقه فيرتد
كقوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الآية ويجوز أن يكون بيانا للحكمة فى جعل بيت المقدس
قبلته يعنى أن أصل أمرك أن تستقبل الكعبة وان استقبالك بيت المقدس كان أمرا عارضا لغرض وانما
جعلنا القبلة الجهة التى كنت عليها قبل وقتك هذا وهى بيت المقدس لنمتحن الناس وننظر من يتبع الرسول
منهم ومن لا يتبعه وينفر عنه وعن ابن عباس رضى الله عنه كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا أنه كان يجعل
الكعبة بينه وبينه (فان قلت) كيف قال لنعلم ولم يزل عالما بذلك (قلت) معناه لنعلمه علما يتعلق به الجزاء
وهو أن يعلمه موجودا حاصلا ونحوه ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقيل ليعلم رسول الله
والمؤمنون وانما أسند علمهم الى ذاته لانهم خواصه وأهل الزلفى عنده وقيل معناه لنميز التابع من الناكص كما
قال ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز لان العلم به يقع التمييز به (وان كانت لكبيرة) هى ان
المخففة التى تلزمها اللام الفارقة والضمير فى كانت لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التى كنت عليها من الردة
أو التحويلة أو الجعلة ويجوز أن يكون للقبلة لكبيرة لثقيلة شاقة (الا على الذين هدى الله) الا على الثابتين
الصادقين فى اتباع الرسول الذين لطف الله بهم وكانوا أهلا للطفه (وما كان الله ليضيع ايمانكم) أى ثباتكم
على الايمان وأنكم لم تزالوا ولم ترتابوا بل شكر صنيعكم وأعد لكم الثواب العظيم ويجوز أن يراد وما كان الله ليترك
تحويلكم لعلمه أن تركه مفسدة واضاعة لايمانكم وقيل من كان صلى الى بيت المقدس قبل التحويل فصلاته
غير ضائعة عن ابن عباس رضى الله عنه لما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قالوا كيف بمن مات
قبل التحويل من اخواننا فنزلت (لرؤف رحيم) لا يضيع أجورهم ولا يترك ما يصلحهم ويحكى عن الحجاج
أنه قال للحسن ما رأيك فى أبى تراب فقرأ قوله الا على الذين هدى الله ثم قال وعلى منهم وهو ابن عم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وختنه على ابنته وأقرب الناس اليه وأحبهم وقرئ الا ليعلم على البناء للمفعول ومعنى العلم
المعرفة ويجوز أن يكون من متضمنة لمعنى الاستفهام معلقا عنها لعلم كقولك علمت أزيد فى الدار أم عمرو
وقرأ ابن أبى اسحق على عقبيه بسكون القاف وقرأ اليزيدى لكبيرة بالرفع ووجهها أن تكون كان مزيدة
كما فى قوله * وجيران لنا كانوا كرام * والاصل وان هى لكبيرة كقولك ان زيدا لمنطلق ثم وان كانت لكبيرة
وقرئ ليضيع بالتشديد (قد نرى) ربما نرى ومعناه كثرة الرؤية كقوله * قد أترك القرن مصفرا أنامله *

٣ (قول المحشى وجه الاستدلال بالآية انه وصف الخ) فيه انتقال نظر لا يخفى فليحرر اهـ مصححه

قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام (قال محمود رحمه الله الشطر النحو والسمت الخ) قال أحمد رحمه الله وقد نقل أصحابنا المالكية خلافا عن المذهب في الواجب فقيل الجهة وقيل العين هذا مع البعد وأما حيث نشاهد الكعبة في المسجد الحرام فمن خرج عن السمت ثم لم يصح صلاته قولا واحدا ثم انهم على كل واحد من القولين اشكال أما على قول العين فيلزم ان لا تصح صلاة الصف المستقيم المستطيل زيادة على مسامتة الكعبة شرفها الله تعالى لانا نعلم بالضرورة وان لم نشاهد أن بعضهم يصلى الى عينها اذ لا يبقى سمتها بذلك على هذا التقدير لكن الجواز في مثل هذا مع البعد متفق عليه وأما على قول الجهة فيلزم تجويز صلاة الكائن ٢٢٩ في الشمال مثلا الى الجهات الثلاث لانها كلها جهات الكعبة والسمت غير مراعى على هذا المذهب وانما جاء هذا الخبط من عدم التمييز بين مراعاة الجهة والسمت وقد ميزهما أبو حامد بمثال هندسي في كتاب الاحياء فلا نطول بذكره والتحقيق عند الفتوى ان المعتبر مع البعد الجهة لا السمت * قوله تعالى وما أنت بتابع قبلتهم (قال محمود رحمه الله ان قلت لم جاء على التوحيد وهما قبلتان الخ) قال أحمد رحمه الله ومثل هذا ما أجيب به عن قوله تعالى لن نصبر على طعام واحد مع انه متعدد وهو المن والسلوى فقيل انهم أرادوا انهما من طعام الترفه وآثروا طعام الفلاحة والاجلاف فلما تحد الطعامان المذكوران في الرفاهية جعلوهما طعاما واحدا وهذا المعنى في انكار الطعام أبلغ لانهم لم يكتفوا في انكاره بقولهم لن نصبر على طعام حتى أكدوه بقولهم واحد والزمخشري عنه جواب آخر سلف بمكانه

تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم

(تقلب وجهك) تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوقع من ربه أن يحوله الى الكعبة لانها قبلة أبيه ابراهيم وأدعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود فكان يراعى نزول جبريل عليه السلام والوحي بالتحويل (فلنولينك) فلنعطينك ولنمكننك من استقباله من قولك وليته كذا اذا جعلته واليا له أو فلنجعلنك تلى سمتها دون سمت بيت المقدس (ترضاها) تحبها وتميل اليها لاغراضك الصحيحة التي أضمرتها ووافقت مشيئة الله وحكمته (شطر المسجد الحرام) نحوه قال * وأطعن بالقوم شطر الملوك * وقرأ أبي تلقاء المسجد الحرام وعن البراء بن عازب قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمى المسجد مسجد القبلتين وشطر المسجد نصب على الظرف أى اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد أى في جهته وسمته لان استقبال عين القبلة فيه حرج عظيم على البعيد وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على أن الواجب مراعاة الجهة دون العين (ليعلمون أنه الحق) أن التحويل الى الكعبة هو الحق لانه كان في بشارة أنبيائهم برسول الله أنه يصلى الى القبلتين (يعملون) قرئ بالياء والتاء (ما تبعوا) جواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط * بكل آية بكل برهان قاطع أن التوجه الى الكعبة هو الحق ما تبعوا (قبلتك) لان تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بايراد الحجة انما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم بما في كتبهم من نعتك أنك على الحق (وما أنت بتابع قبلتهم) حسم لاطماعهم اذ كانوا ماجوا في ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن يكون صاحبنا الذى ننتظره وطمعوا في رجوعه الى قبلتهم وقرئ بتابع قبلتهم على الاضافة (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) يعنى أنهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شأن القبلة لا يرجى اتفاقهم كما لا ترجى موافقتهم لك وذلك أن اليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس أخبر عز وجل عن تصلب كل حزب فيما هو فيه وثباته عليه فالمحق منهم لا يزل عن مذهبه لتمسكه بالبرهان والمبطل لا يقلع عن باطله لشدة شكيمته في عناده * وقوله (ولئن اتبعت أهواءهم) بعد الافصاح عن حقيقة حاله المعلومة عنده في قوله وما أنت بتابع قبلتهم كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير بمعنى ولئن اتبعتهم مثلا بعد وضوح البرهان والاحاطة بحقيقة الامر (انك اذا لمن الظالمين) المرتكبين الظلم الفاحش وفي ذلك لطف للسامعين وزيادة تحذير واستفظاع لحال من يترك الدليل بعد انارته ويتبع الهوى وتهييج والهاب للثبات على الحق (فان قلت) كيف قال وما أنت بتابع قبلتهم ولهم قبلتان لليهود قبلة وللنصارى قبلة (قلت) كلتا القبلتين باطلة مخالفة لقبلة الحق فكانتا بحكم الاتحاد في البطلان قبلة واحدة (يعرفونه) يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم معرفة جلية يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين المشخص (كما يعرفون أبناءهم) لا يشتبه عليهم أبناؤهم وأبناء غيرهم وعن عمر رضى الله عنه أنه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال أنا أعلم به منى بابنى قال ولم قال لانى لست أشك فى محمد أنه نبى فأما ولدى فلعل والدته خانت فقبل عمر رأسه وجاز الاضمار وان لم يسبق له ذكر لان الكلام يدل عليه ولا يلتبس على السامع ومثل هذا الاضمار فيه تفخيم واشعار بانه لشهرته وكونه علما معلوما بغير اعلام وقيل الضمير للعلم أو القرآن أو تحويل القبلة وقوله كما يعرفون أبناءهم يشهد للاول وينصره الحديث عن عبد الله بن سلام (فان قلت) لم اختص الابناء (قلت) لان الذكور أشهر وأعرف وهم لصحبة الآباء ألزم وبقلوبهم ألصق وقال (فريق منهم) استثناء لمن آمن منهم أو لجهالهم الذين قال فيهم ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب (الحق من ربك) يحتمل أن يكون الحق خبر مبتدأ محذوف أى هو الحق أو مبتدأ خبره من ربك وفيه وجهان أن تكون اللام للعهد والاشارة الى الحق الذى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الى الحق الذى فى قوله ليكتمون الحق أى هذا الذى يكتمونه هو الحق من ربك وأن تكون للجنس على معنى الحق من الله لا من غيره يعنى ان الحق ما ثبت أنه من الله كالذى أنت عليه وما لم يثبت أنه من الله كالذى عليه أهل الكتاب فهو الباطل (فان قلت) اذا جعلت الحق خبر مبتدا فما محل من ربك (قلت) يجوز أن يكون خبرا بعد خبر وأن يكون حالا وقرأ على رضى الله عنه الحق من ربك على الابدال من الاول أى يكتمون الحق الحق من ربك (فلا تكونن من الممترين) الشاكين فى كتمانهم الحق مع علمهم أو فى أنه من ربك (ولكل) من أهل الاديان المختلفة (وجهة) قبلة وفى قراءة أبى ولكل قبلة (هو موليها) وجهه فحذف أحد المفعولين وقيل هو لله تعالى أى الله موليها اياه وقرئ ولكل وجهة على الاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها فزيدت اللام لتقدم المفعول كقولك لزيد ضربت ولزيد أبوه ضاربه وقرأ ابن عامر هو مولاها أى هو مولى تلك الجهة قد وليها والمعنى لكل أمة قبلة تتوجه اليها منكم ومن غيركم (فاستبقوا) أنتم (الخيرات) واستبقوا اليها غيركم من أمر القبلة وغيره ومعنى آخر وهو أن يراد ولكل منكم يا أمة محمد وجهة أى جهة يصلى اليها جنوبية أو شمالية أو شرقية أو غربية فاستبقوا الخيرات (أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا) للجزاء من موافق ومخالف لا تعجزونه ويجوز أن يكون المعنى فاستبقوا الفاضلات من الجهات وهى الجهات المسامتة للكعبة وان اختلفت أينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعا يجمعكم ويجعل صلواتكم كأنها الى جهة واحدة وكأنكم تصلون حاضرى المسجد الحرام (ومن حيث خرجت) أى ومن أى بلد خرجت للسفر (فول وجهك شطر المسجد الحرام) اذا صليت (وانه) وان هذا المأمور به وقرئ (يعملون) بالتاء والياء وهذا التكرير لتأكيد أمر القبلة وتشديده لان النسخ من مظان الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان والحاجة الى الفصل بينه وبين البداء فكرر عليهم ليثبتوا ويعزموا ويجدوا ولانه نيط بكل واحد ما لم ينط بالآخر فاختلفت فوائدها (الا الذين ظلموا) استثناء من الناس ومعناه لئلا يكون حجة لاحد من اليهود الا للمعاندين منهم القائلين ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء (فان قلت) أى حجة كانت تكون للمنصفين منهم لو لم يحول حتى احترز من تلك الحجة ولم يبال بحجة المعاندين (قلت) كانوا يقولون ماله لا يحول الى قبلة أبيه ابراهيم كما هو مذكور فى نعته فى التوراة (فان قلت) كيف أطلق اسم الحجة على قول المعاندين (قلت) لانهم يسوقونه سياق الحجة ويجوز أن يكون المعنى لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض فى ترككم التوجه الى الكعبة التى هى قبلة ابراهيم واسمعيل أبى العرب الا الذين ظلموا منهم وهم أهل مكة حين يقولون بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك أن يرجع الى دينهم وقرأ زيد بن على رضى الله عنهما ألا الذين ظلموا منهم على أن ألا للتنبيه ووقف على حجة ثم استأنف منبها (فلا تخشوهم) فلا تخافوا مطاعنهم فى قبلتكم فانهم لا يضرونكم (واخشونى) فلا تخالفوا أمرى وما رأيته مصلحة لكم ومتعلق اللام محذوف معناه ولاتمامى النعمة عليكم وارادتى اهتداءكم أمرتكم بذلك أو يعطف على علة مقدرة كأنه قيل واخشونى لاوفقكم ولاتم نعمتى عليكم وقيل هو معطوف على لئلا يكون وفى الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن على رضى الله عنه تمام النعمة الموت على الاسلام (كما أرسلنا) اما أن يتعلق بما قبله أى ولاتم نعمتى عليكم فى الآخرة بالثواب كما أتممتها عليكم فى الدنيا بارسال الرسول أو بما بعده أى كما ذكرتكم

وان فريقا منهم
ليكتمون الحق وهم
يعلمون الحق من ربك
فلا تكونن من الممترين
ولكل وجهة هو موليها
فاستبقوا الخيرات أينما
تكونوا يأت بكم الله جميعا
ان الله على كل شئ قدير
ومن حيث خرجت فول
وجهك شطر المسجد
الحرام وانه للحق من ربك
وما الله بغافل عما تعملون
ومن حيث خرجت فول
وجهك شطر المسجد
الحرام وحيث ما كنتم
فولوا وجوهكم شطره
لئلا يكون للناس عليكم
حجة الا الذين ظلموا منهم
فلا تخشوهم واخشونى
ولاتم نعمتى عليكم ولعلكم
تهتدون كما أرسلنا فيكم
رسولا منكم يتلوا عليكم
آياتنا ويزكيكم ويعلمكم
الكتاب والحكمة
ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون

قوله تعالى يعرفونه كما يعرفون أبناءهم (قال محمود رحمه الله ان قلت لم خص الابناء ولم يقل أولادهم الخ) قال أحمد رحمه الله بنى كلامه هذا على ان الاناث لا يدخلون فى لفظ الابناء كما يدخلون فى لفظ الاولاد وليس الامر كذلك بل اللفظان سواء من شمول الاناث ولذلك يدخلن فى لفظ الواقف اذا وقف على بنيه وبنى بنيه كما يدخلن فى لفظ الاولاد هذا مذهب الامام مالك رضى الله عنه

*قوله تعالى ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع (قال محمود رحمه الله وعن الشافعى رضى الله عنه الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الاموال الزكوات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد) ٢٤١ قال أحمد وفى تفسيره هذا نظر لان هذا الابتلاء موعود به فى المستقبل مذكور قبل وقوعه توطئا عليه عند الوقوع والله

بارسال الرسول (فاذكرونى) بالطاعة (أذكركم) بالثواب (واشكروا لى) ما أنعمت به عليكم (ولا تكفرون) ولا تجحدوا نعمائى (أموات بل أحياء) هم أموات بل هم أحياء (ولكن لا تشعرون) كيف حالهم فى حياتهم وعن الحسن أن الشهداء أحياء عند الله تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدوة وعشيا فيصل اليهم الوجع وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها وقالوا يجوز أن يجمع الله من أجزاء الشهيد جملة فيحييها ويوصل اليها النعيم وان كانت فى حجم الذرة وقيل نزلت فى شهداء بدر وكانوا أربعة عشر (ولنبلونكم) ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر لاحوالكم هل تصبرون وتثبتون على ما أنتم عليه من الطاعة وتسلمون لامر الله وحكمه أم لا (بشئ) بقليل من كل واحد من هذه البلايا وطرف منه (وبشر الصابرين) المسترجعين عند البلاء لان الاسترجاع تسليم واذعان وعن النبى صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته وأحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وروى أنه طفئ سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل أمصيبة هى قال نعم كل شئ يؤذى المؤمن فهو له مصيبة وانما قلل فى قوله بشئ ليؤذن أن كل بلاء أصاب الانسان وان جل ففوقه ما يقل اليه وليخفف عليهم ويريهم أن رحمته معهم فى كل حال لا تزايلهم وانما وعدهم ذلك قبل كونه ليوطنوا عليه نفوسهم * ونقص عطف على شئ أو على الخوف بمعنى وشئ من نقص الاموال والخطاب فى وبشر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل من يتأتى منه البشارة وعن الشافعى رحمه الله الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة أقبضتم ولد عبدى فيقولون نعم فيقول أقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدى فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله تعالى ابنوا لعبدى بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمد * والصلاة الحنو والتعطف فوضعت موضع الرأفة وجمع بينها وبين الرحمة كقوله تعالى رأفة ورحمة رؤف رحيم والمعنى عليهم رأفة بعد رأفة ورحمة أى رحمة (وأولئك هم المهتدون) لطريق الصواب حيث استرجعوا وسلموا لامر الله * والصفا والمروة علمان للجبلين كالصمان والمقطم * والشعائر جمع شعيرة وهى العلامة أى من أعلام مناسكه ومتعبداته * والحج القصد * والاعتمار الزيارة فغلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما فى المعانى كالنجم والبيت فى الاعيان * وأصل (يطوف) يتطوف فأدغم وقرئ أن يطاف من طاف (فان قلت) كيف قيل انهما من شعائر الله ثم قيل لا جناح عليه أن يطوف بهما (قلت) كان على الصفا اساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان يروى أنهما كانا رجلا وامرأة زنيا فى الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله فكان أهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية وأن لا يكون عليهم جناح فى ذلك فرفع عنهم الجناح واختلف فى السعى فمن قائل هو تطوع بدليل رفع الجناح وما فيه من التخيير بين الفعل والترك كقوله فلا جناح عليهما أن يتراجعا وغير ذلك ولقوله (ومن تطوع خيرا) كقوله فمن تطوع خيرا فهو خير له ويروى ذلك عن أنس وابن عباس وابن الزبير وتنصره قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما وعن أبى حنيفة رحمه الله أنه واجب وليس بركن وعلى تاركه دم وعند الاولين لا شئ عليه وعند مالك والشافعى هو ركن لقوله عليه السلام اسعوا فان الله كتب عليكم السعى وقرئ ومن يطوع بمعنى ومن يتطوع فأدغم وفى قراءة عبد الله ومن يتطوع بخير (ان الذين

فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم ان الذين

ما من آية ذكرها الا وقد تقدمت لهم قبل نزول الآية اذ الخوف من الله تعالى لم يزل منصوصا فى قلوب المؤمنين ويبعد ان يعبر عن الصدقة بالنقص وقد عبر عنها الشرع بالزكاة التى

هى النمو ضد النقص وورد ما نقص مال من صدقة ويمكن أن يقال هى نقص حسا وانما سميت زكاة باعتبار ما يؤول اليه حال القيام بها من النمو فالعوض المرجو من كرم الله خلف فلما ذكرها الله تعالى فى سياق الابتلاء الموعود به عبر عنها بالزكاة تسهيلا لاخراجها على المكلف لانه اذا استشعر العوض من الله تعالى ونموّ ماله بذلك هان عليه بذلها وسمحت نفسه اذلك

* قوله تعالى ومن الناس من يتخذ ٢٤٢ من دون الله أندادا الآية (قال محمود رحمه الله يحبونهم كحب الله يعظمونهم كما يعظم الله الخ)

يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب

يكتمون) من أحبار اليهود (ما أنزلنا) فى التوراة (من البينات) من الآيات الشاهدة على أمر محمد صلى الله عليه وسلم (والهدى) والهداية بوصفه الى اتباعه والايمان به (من بعد ما بيناه) ولخصناه (للناس فى الكتاب) فى التوراة لم ندع فيه موضع اشكال ولا اشتباه على أحد منهم فعمدوا الى ذلك المبين الملخص فكتموه ولبسوا على الناس (أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) الذين يتأتى منهم اللعن عليهم وهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين (وأصلحوا) ما أفسدوا من أحوالهم وتداركوا ما فرط منهم (وبينوا) ما بينه الله فى كتابهم فكتموه أو بينوا للناس ما أحدثوه من توبتهم ليمحوا سمة الكفر عنهم ويعرفوا بضد ما كانوا يعرفون به ويقتدى بهم غيرهم من المفسدين (ان الذين كفروا) يعنى الذين ماتوا من هؤلاء الكاتمين ولم يتوبوا ذكر لعنتهم أحياء ثم لعنتهم أمواتا* وقرأ الحسن والملائكة والناس أجمعون بالرفع عطفا على محل اسم الله لانه فاعل فى التقدير كقولك عجبت من ضرب زيد وعمرو تريد من أن ضرب زيد وعمرو كأنه قيل أولئك عليهم أن لعنهم الله والملائكة (فان قلت) ما معنى قوله والناس أجمعين وفى الناس المسلم والكافر (قلت) أراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المؤمنون وقيل يوم القيامة يلعن بعضهم بعضا (خالدين فيها) فى اللعنة وقيل فى النار الا أنها أضمرت تفخيما لشأنها وتهويلا (ولا هم ينظرون) من الانظار أى لا يمهلون ولا يؤجلون أو لا ينتظرون ليعتذروا أو لا ينظر اليهم نظر رحمة (اله واحد) فرد فى الالهية لا شريك له فيها ولا يصح أن يسمى غيره الها و(لا اله الا هو) تقرير للوحدانية بنفى غيره واثباته (الرحمن الرحيم) المولى لجميع النعم أصولها وفروعها ولا شئ سواه بهذه الصفة فان كل ما سواه اما نعمة واما منعم عليه* وقيل كان للمشركين حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فلما سمعوا بهذه الآية تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فأت بآية نعرف بها صدقك فنزلت (ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار) واعتقابهما لان كل واحد منهما يعقب الآخر كقوله جعل الليل والنهار خلفة (بما ينفع الناس) بالذى ينفعهم مما يحمل فيها أو بنفع الناس (فان قلت) قوله (وبث فيها) عطف على أنزل أم أحيا (قلت) الظاهر أنه عطف على أنزل داخل تحت حكم الصلة لان قوله فأحيا به الارض عطف على أنزل فاتصل به وصارا جميعا كالشئ الواحد فكأنه قيل وما أنزل فى الارض من ماء وبث فيها من كل دابة ويجوز عطفه على أحيا على معنى فأحيا بالمطر الارض وبث فيها من كل دابة لانهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا (وتصريف الرياح) فى مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفى أحوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقما ولواقح وقيل تارة بالرحمة وتارة بالعذاب (والسحاب المسخر) مسخر للرياح تقلبه فى الجو بمشيئة الله يمطر حيث شاء (لآيات لقوم يعقلون) ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون لانها دلائل على عظيم القدرة وباهر الحكمة وعن النبى صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها أى لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها وقرئ والفلك بضمتين وتصريف الريح على الافراد (أندادا) أمثالا من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يتبعونهم ويطيعونهم وينزلون على أوامرهم ونواهيهم واستدل بقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا *ومعنى (يحبونهم) يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب (كحب الله) كتعظيم الله والخضوع له أى كما يحب الله تعالى على أنه مصدر من المبنى للمفعول وانما استغنى عن ذكر من يحبه لانه غير ملبس وقيل كحبهم الله أى يسوون بينه وبينهم فى محبتهم لانهم كانوا يقرون بالله ويتقربون اليه فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين (أشد حبا لله) لانهم لا يعدلون عنه الى غيره بخلاف المشركين فانهم يعدلون عن أندادهم الى الله عند الشدائد فيفزعون اليه ويخضعون له ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه فيقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره أو يأكلونه كما أكلت باهلة الههم من حيس عام المجاعة (الذين ظلموا) اشارة الى متخذى الانداد أى ولو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم أن القدرة كلها لله على كل شئ من العقاب والثواب دون أندادهم ويعلمون شدة عقابه للظالمين اذا عاينوا العذاب يوم القيامة لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم فحذف الجواب كما فى قوله

قال أحمد فالمصدر على هذا مضاف الى المفعول كالاول ولكن هذا الفاعل مسمى وفعله مبنى للفاعل عند فكه من السبك   ولو

* قوله تعالى كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم الآية (قال محمود رحمه الله هم هنا بمنزلتها في قوله هم يفرشون الخ) قال أحمد رحمه الله أشد ما أخوف في هذه الكلمات معتقداً أورب صدره كلمات فهو ينفس عن نفسه خناق الكتمان بما ينفثه منه في بعض الاحيان وكشف ذلك أن يقال لما استشعر دلالة الآية لاهل السنة على أنه لا يخلد في النار الا الكافر وأما العاصي وان أصر على الكبائر فتوحيده يخرجه منها ولا بد وفاء بالوعد ووجه الدلالة منها على ذلك انه صدر الجملة بضمير مبتدأ ومثل هذا النظم يقتضي الاختصاص والحصر لغة وسيقر الزمخشري مواضع يستدل فيها على الحصر بذلك فقد قال في قوله تعالى أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون ان معناه لا ينشر الا هم وان المنكر عليهم ما يلزمهم من حصر الالوهية فيهم وكذلك يقول في أمثال قوله وهم بالآخرة هم يوقنون ان معناه الحصر انه لا يوقن بالآخرة الا هم فاذا انبنى الامر على ذلك لزم حصر نفي الخروج من النار في هؤلاء الكفار دون غيرهم من الموحدين لكن الزمخشري يأبى ذلك فيحمل الحال من معارضة هذه الفائدة بفائدة تنزله على القاعدة فيحمل الضمير المذكور يفيد تأكيد نسبة الخلود اليهم لا اختصاصه بهم وهم عنده بهذه المثابة لان العصاة وان خلدوا على زعمه الا ان الكفار أحق بالخلود وأدخل في استحقاقه منهم فسبحان من امتحنه بهذه المحنة على حذقه وفطنته والله ولي التوفيق

اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار يا أيها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين انما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيأ ولا يهتدون ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء

ولو ترى اذ وقفوا وقولهم لو رأيت فلانا والسياط تأخذه وقرئ ولو ترى بالتاء على خطاب الرسول أوكل مخاطب أي ولو ترى ذلك لرأيت أمرا عظيما * وقرئ اذ يرون على البناء للمفعول واذ في المستقبل كقوله ونادى أصحاب الجنة (اذ تبرأ) بدل من اذ يرون العذاب أي تبرأ المتبوعون وهم الرؤساء من الاتباع * وقرأ مجاهد الاول على البناء للفاعل والثاني على البناء للمفعول أي تبرأ الاتباع من الرؤساء (ورأوا العذاب) الواو للحال أي تبرؤا في حال رؤيتهم العذاب (وتقطعت) عطف على تبرأ و(الاسباب) الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الانساب والمحاب والاتباع والاستتباع كقوله لقد تقطع بينكم (لو) في معنى التمني ولذلك أجيب بالفاء الذي يجاب به التمني كأنه قيل ليت لنا كرة فنتبرأ منهم (كذلك) مثل ذلك الاراء الفظيع (يريهم الله أعمالهم حسرات) أي ندامات وحسرات ثالث مفاعيل أرى ومعناه أن أعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا حسرات مكان أعمالهم (وما هم بخارجين) هم بمنزلته في قوله * هم يفرشون اللبد كل طمرة * في دلالته على قوة أمرهم فيما أسند اليهم لا على الاختصاص (حلالا) مفعول كلوا أو حال مما في الارض (طيبا) طاهرا من كل شبهة (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) فتدخلوا في حرام أو شبهة أو تحريم حلال أو تحليل حرام ومن للتبعيض لان كل ما في الارض ليس بمأكول * وقرئ خطوات بضمتين وخطوات بضمة وسكون وخطؤات بضمتين وهمزة جعلت الضمة على الطاء كأنها على الواو وخطوات بفتحتين وخطوات بفتحة وسكون والخطوة المرة من الخطو والخطوة ما بين قدمي الخاطي وهما كالغرفة والغرفة والقبضة والقبضة يقال اتبع خطواته ووطئ على عقبه اذا اقتدى به واستن بسنته (مبين) ظاهر العداوة لا خفاء به (انما يأمركم) بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته أي لا يأمركم بخير قط انما يأمركم (بالسوء) بالقبيح (والفحشاء) وما يتجاوز الحد في القبح من العظائم وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب الحد فيه (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) وهو قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله تعالى مما لا يجوز عليه (فان قلت) كيف كان الشيطان آمرا مع قوله ليس لك عليهم سلطان (قلت) شبه تزيينه وبعثه على الشر بأمر الآمر كما تقول أمرتني نفسي بكذا وتحته رمز الى أنكم منه بمنزلة المأمورين لطاعتكم له وقبولكم وساوسه ولذلك قال ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله وقال الله تعالى ان النفس لامارة بالسوء لما كان الانسان بطبعها فيه طاعها اشتهت (لهم) الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات للنداء على ضلالهم لانه لا ضال أضل من المقلد كأنه يقول للعقلاء انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون قيل هم المشركون وقيل هم طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا (بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا) فانهم كانوا خيرا منا وأعلم وألفينا بمعنى وجدنا بدليل قوله بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا (أولو كان آباؤهم) الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجب معناه أيتبعونهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيأ من الدين ولا يهتدون للصواب * لا بد من مضاف محذوف تقديره ومثل داعي الذين كفروا (كمثل الذي ينعق) أو ومثل الذين كفروا كبهائم الذي ينعق والمعنى ومثل داعيهم الى الايمان في أنهم لا يسمعون من الدعاء الا جرس النغمة ودوي الصوت من غير القاء أذهان ولا استبصار كمثل الناعق

قوله تعالى ليس البر أن تولوا وجوهكم الآية (قال محمود رحمه الله انما خاطب فيه اليهود والنصارى الخ) قال أحمد رحمه الله هذا منقول عن المبرد مصمي بسهام الرد فان فيه ابهاما بأن اختلاف وجوه القراءة موكول الى الاجتهاد وانه مهما اقتضاه قياس اللغة جازت القراءة به لمن بعد أهلا للاجتهاد في العربية واللغة وهذا خطأ محض فالقرآن سنة متبعة لا مجال فيها للدراية على أن ما قاله وقدر

صم بكم عمي فهم لا يعقلون يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب

بالبهائم التي لا تسمع الا دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجرها ولا تفقه شيئا آخر ولا تعي كما يفهم العقلاء ويعون ويجوز أن يراد بما لا يسمع الاصم الاصلخ الذي لا يسمع من كلام الرافع صوته بكلامه الا النداء والتصويت لا غير من غير فهم للحروف وقيل معناه ومثلهم في اتباعهم آباءهم وتقليدهم لهم كمثل البهائم التي لا تسمع الا الظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته فكذلك هؤلاء يتبعونهم على ظاهر حالهم ولا يفقهون أهم على حق أم باطل وقيل معناه ومثلهم في دعائهم الاصنام كمثل الناعق بما لا يسمع الا أن قوله الا دعاء ونداء لا يساعد عليه لان الاصنام لا تسمع شيئا * والنعيق التصويت يقال نعق المؤذن ونعق الراعي بالضأن قال الأخطل

فانعق بضأنك يا جرير فانما * منتك نفسك في الخلاء ضلالا

وأما نغق الغراب فبالغين المعجمة (صم) هم صم وهو رفع على الذم (من طيبات ما رزقناكم) من مستلذاته لان كل ما رزقه الله لا يكون الا حلالا (واشكروا لله) الذي رزقكموها (ان كنتم اياه تعبدون) ان صح أنكم تخصونه بالعبادة وتقرون أنه مولى النعم وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اني والجن والانس في نبأ عظيم أخلق ويعبد غيري وأرزق ويشكر غيري * قرئ حرم على البناء للفاعل وحرم على البناء للمفعول وحرم بوزن كرم (أهل به لغير الله) أي رفع به الصوت للصنم وذلك قول أهل الجاهلية باسم اللات والعزى (غير باغ) على مضطر آخر بالاستئثار عليه (ولا عاد) سد الجوعة (فان قلت) في الميتات ما يحل وهو السمك والجراد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحلت لنا ميتتان ودمان (قلت) قصد ما يتفاهمه الناس ويتعارفونه في العادة ألا ترى أن القائل اذا قال أكل فلان ميتة لم يسبق الوهم الى السمك والجراد كما لو قال أكل دما لم يسبق الى الكبد والطحال ولاعتبار العادة والتعارف قالوا من حلف لا يأكل لحما فأكل سمكا لم يحنث وان أكل لحما في الحقيقة قال الله تعالى لتأكلوا منه لحما طريا وشبهوه بمن حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وان سماه الله تعالى دابة في قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا (فان قلت) فما له ذكر لحم الخنزير دون شحمه (قلت) لان الشحم داخل في ذكر اللحم لكونه تابعا له وصفة فيه بدليل قولهم لحم سمين يريدون أنه شحيم (في بطونهم) ملء بطونهم يقال أكل فلان في بطنه وأكل في بعض بطنه (الا النار) لانه اذا أكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكأنه أكل النار ومنه قولهم أكل فلان الدم اذا أكل الدية التي هي بدل منه قال * أكلت دما ان لم أرعك بضرة * وقال * يأكلن كل ليلة اكافا * أراد الا كاف فسماه اكافا لتلبسه بكونه ثمنا له (ولا يكلمهم الله) تعريض بحرمانهم حال أهل الجنة في تكرمة الله اياهم بكلامه وتزكيتهم بالثناء عليهم وقيل نفي الكلام عبارة عن غضبه عليهم كمن غضب على صاحبه فصرمه وقطع كلامه وقيل لا يكلمهم بما يحبون ولكن بنحو قوله اخسؤا فيها ولا تكلمون (فما أصبرهم على النار) تعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان ما أصبرك على القيد والسجن تريد أنه لا يتعرض لذلك الا من هو شديد الصبر على العذاب وقيل فما أصبرهم فأي شيء صبرهم يقال أصبره على كذا وصبره بمعنى وهذا أصل معنى فعل التعجب والذي روي عن الكسائي أنه قال قال لي قاضي اليمن بمكة اختصم الي رجلان من العرب فحلف أحدهما على حق صاحبه فقال له ما أصبرك على الله فمعناه ما أصبرك على عذاب الله (ذلك بأن الله نزل) أي ذلك العذاب بسبب أن الله نزل ما نزل من الكتب بالحق (وان الذين اختلفوا) في كتب الله فقالوا في بعضها حق وفي بعضها باطل وهم أهل الكتاب (لفي شقاق) لفي خلاف (بعيد) عن الحق والكتاب للجنس أو كفرهم ذلك بسبب أن الله نزل القرآن بالحق كما يعلمون وان الذين اختلفوا فيه من المشركين فقال بعضهم سحر وبعضهم شعر وبعضهم أساطير لفي شقاق بعيد يعني أن أولئك لو لم يختلفوا ولم يشاقوا لما جسر هؤلاء أن يكفروا (البر) اسم للخير ولكل فعل مرضي (أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) الخطاب لاهل الكتاب لان اليهود تصلي قبل المغرب الى بيت المقدس

أنه الأوجه ليس ببالغ ذروة فصاحة الآية الا على القراآت المستفيضة لان الكلام مصدر بذكر البر الذي هو المصدر فلو احدا فلو عدل الى ذكر البر الذي هو الوصف لانفك المطابقة ويعني النظام ولذلك كان تأويل الآية بحذف المضاف من الثاني على تأويل لا بر من آمن أوجه وأحسن وأبقى على السياق ومن ظن أنه يشق غبارا أو يتعلق بأذيال فصاحة المعجز الفصحاء فقد سولت له نفسه محالا ومنته ضلالا

* قوله تعالى كتب عليكم القصاص في القتلى الآية (قال محمود رحمه الله: ذهب مالك والشافعي رضي الله عنهما أن الحر لا يقتل بالعبد والذكر لا يقتل بالانثى الخ) قال أحمد رحمه الله وهذا من الزمخشري وهم على الامامين فانهما يقتصان من الذكر للانثى بلا خلاف عنهما. وأما الحر والعبد عندهما هو الذي وهم الزمخشري عنهما * قوله تعالى فمن عفي له من أخيه شيء ٢٤٥ (قال محمود رحمه الله معنى الآية فمن عفي له من جهة أخيه الخ) قال أحمد رحمه الله ويقوي هذا التأويل القول بأن موجب العمد أحد الامرين من القصاص أو الدية والخيار الى الولي وهو أحد القولين في مذهب مالك رضي الله عنه ومشهورهما اذ لو جعلنا موجب العمد القود على القول الآخر لكان في ذلك تضييق على الولي والآية مشعرة بالتخفيف والسعة وتحتمل الآية وجها آخر وهو عود الضميرين جميعا الى الولي وقالوا على هذا الوجه يكون العفو اعطاء البدل كأنه قال فمن أعطى شيأ من أخيه أي بدلا من أخيه ويكون من مثلها في قوله تعالى ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون ونظيره في استعمال العفو في العطاء عندي قوله تعالى الا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح اذ جعل الذي

ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلوة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفي له من أخيه شيء

المقدس والنصارى قبل المشرق وذلك أنهم أكثروا الخوض في أمر القبلة حين حول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة وزعم كل واحد من الفريقين أن البر التوجه الى قبلته فرد عليهم وقيل ليس البر فيما أنتم عليه فانه منسوخ خارج من البر ولكن البر ما نبينه وقيل كثر خوض المسلمين وأهل الكتاب في أمر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي يجب أن تذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البر أمر القبلة ولكن البر الذي يجب الاهتمام به وصرف الهمة بر من آمن وقام بهذه الاعمال وقرئ وليس البر بالنصب على أنه خبر مقدم وقرأ عبد الله بأن تولوا على ادخال الباء على الخبر للتأكيد كقولك ليس المنطلق بزيد (ولكن البر من آمن بالله) على تأويل حذف المضاف أي بر من آمن أو بتأول البر بمعنى ذي البر أو كما قالت * فانما هي اقبال وادبار * وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت ولكن البر بفتح الباء وقرئ ولكن البار وقرأ ابن عامر ونافع ولكن البر بالتخفيف (والكتاب) جنس كتب الله أو القرآن (على حبه) مع حب المال والشح به كما قال ابن مسعود أن تؤتيه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل على حب الله وقيل على حب الايتاء يريد أن يعطيه وهو طيب النفس باعطائه * وقدم ذوي القربى لانهم أحق قال عليه الصلاة والسلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان لانها صدقة وصلة وقال عليه الصلاة والسلام أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح وأطلق (ذوي القربى واليتامى) والمراد الفقراء منهم لعدم الالتباس * والمسكين الدائم السكون الى الناس لانه لا شيء له كالمسكير للدائم السكر (وابن السبيل) المسافر المنقطع وجعل ابنا للسبيل لملازمته له كما يقال للص القاطع ابن الطريق وقيل هو الضيف لان السبيل يرعف به (والسائلين) المستطعمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للسائل حق وان جاء على ظهر فرسه (وفي الرقاب) وفي معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في ابتياع الرقاب واعتاقها وقيل في فك الاسارى (فان قلت) قد ذكر ايتاء المال في هذه الوجوه ثم قفاه بايتاء الزكاة فهل دل ذلك على أن في المال حقا سوى الزكاة (قلت) يحتمل ذلك وعن الشعبي أن في المال حقا سوى الزكاة وتلا هذه الآية ويحتمل أن يكون ذلك بيان مصارف الزكاة أو يكون حثا على نوافل الصدقات والمبار وفي الحديث نسخت الزكاة كل صدقة يعني وجوبها وروي ليس في المال حق سوى الزكاة (والموفون) عطف على من آمن * وأخرج (الصابرين) منصوبا على الاختصاص والمدح اظهارا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الاعمال وقرئ والصابرون وقرئ والموفين والصابرين و (البأساء) الفقر والشدة (والضراء) المرض والزمانة (صدقوا) كانوا صادقين جادين في الدين * عن عمر بن عبد العزيز والحسن البصري وعطاء وعكرمة وهو مذهب مالك والشافعي رحمة الله عليهم أن الحر لا يقتل بالعبد والذكر لا يقتل بالانثى أخذا بهذه الآية ويقولون هي مفسرة لما أبهم في قوله النفس بالنفس ولان تلك واردة لحكاية ما كتب في التوراة على أهلها وهذه خوطب بها المسلمون وكتب عليهم ما فيها وعن سعيد بن المسيب والشعبي والنخعي وقتادة والثوري وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه أنها منسوخة بقوله النفس بالنفس والقصاص ثابت بين العبد والحر والذكر والانثى ويستدلون بقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون تتكافأ دماؤهم وبأن التفاضل غير معتبر في الانفس بدليل أن جماعة لو قتلوا واحدا قتلوا به وروي أنه كان بين حيين من أحياء العرب دماء في الجاهلية وكان لاحدهما طول على الآخر فأقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد منا والذكر بالانثى والاثنين بالواحد فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاء الله بالاسلام فنزلت وأمرهم أن يتباوؤا (فمن عفي له من أخيه شيء) معناه فمن عفي له من جهة أخيه شيء من العفو على أنه كقولك سير بزيد بعض

بيده العقدة على الزوج وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه ويقول أصحابه عفوه على أحد وجهين اما من استرجاع النصف الواجب ان كان قد سلم جميع المهر وأما على دفع النصف الآخر الذي سقط عنه ان كان لم يسلمه فيكون العفو على هذا مستعملا في الاعطاء ويقوى هذا الوجه في أنه لا قصاص قوله ٢٤٦ فاتباع بالمعروف لان المخاطب بالاتباع بالمعروف انما هو الولي فاذا جعلنا الضميرين له اتساق الكلام

سيقه واحدة الى جهة واحدة وصار المعنى فمن أعطى من الاولياء بدلا من أخيه فليتبع بالمعروف في طلب ما أعطى ولما خالفه الولي عن التقاضي خاطب القاتل بحسن

فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ولكم في القصاص حيوة يا أولي الالباب لعلكم تتقون كتب عليكم

الاداء فلينتظم الكلام موجها الى وجهة واحد وأما على الوجه الذي قرره الزمخشري فالضميران جميعا راجعان الى القاتل وتقدير الكلام فمن عفى له من القاتلين عن جنايته شيء من العفو فليتبع الولي هذا القاتل المعفو عنه بالمعروف فيكون المخاطب أول الآية القاتل وآخرها الولي بخلاف الوجه الذي قررته والله أعلم وكلا الوجهين حسن جيد * قوله تعالى ولكم في القصاص حياة (قال محمود رحمه الله كلام فصيح لما فيه من الغرابة الخ) قال أحمد رحمه الله قوله جعل أحد الضدين محلا للآخر كلام اماوهم فيه أو تسامح لان شرط تضاد الحياة والموت اجتماعهما في محل واحد تقديرا ولا تضاد بين حياة غير المقتص منه وموت المقتص والبلاغة التي أوضحها في الآية بينة بدون هذا الاطلاق

السير وطائفة من السير ولا يصح أن يكون شيء في معنى المفعول به لان عفا لا يتعدى الى مفعول به الا بواسطة * وأخوه هو ولي المقتول وقيل له أخوه لانه لابسه من قبل أنه ولي الدم ومطالبه به كما تقول للرجل قل لصاحبك كذا لمن بينه وبينه أدنى ملابسة أو ذكره بلفظ الاخوة ليعطف أحدهما على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية والاسلام (فان قلت) ان عفا يتعدى بعن لا باللام فما وجه قوله فمن عفى له (قلت) يتعدى بعن الى الجاني والى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا تعدى الى الذنب والجاني معا قيل عفوت لفلان عما جنى كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه وعلى هذا ما في الآية كأنه قيل فمن عفى له عن جنايته فاستغنى عن ذكر الجناية (فان قلت) هلا فسرت عفى بترك حتى يكون شيء في معنى المفعول به (قلت) لان عفا الشيء بمعنى تركه ليس بثبت ولكن أعفاه ومنه قوله عليه السلام وأعفوا اللحى (فان قلت) فقد ثبت قولهم عفا أثره اذا محاه وأزاله فهلا جعلت معناه فمن محي له من أخيه شيء (قلت) عبارة قلقة في مكانها والعفو في باب الجنايات عبارة متداولة مشهورة في الكتاب والسنة واستعمال الناس فلا يعدل عنها الى أخرى قلقة نابية عن مكانها وترى كثيرا ممن يتعاطى هذا العلم يجترئ اذا أعضل عليه تخريج وجه للمشكل من كلام الله على اختراع لغة وادعاء على العرب ما لا تعرفه وهذه جرأة يستعاذ بالله منها (فان قلت) لم قيل شيء من العفو (قلت) للاشعار بأنه اذا عفى له طرف من العفو وبعض منه بأن يعفى عن بعض الدم أو عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ولم تجب الا الدية (فاتباع بالمعروف) فليكن اتباع أو فالامر اتباع وهذه توصية للمعفو عنه والعافي جميعا يعني فليتبع الولي القاتل بالمعروف بأن لا يعنف به ولا يطالبه الا مطالبة جميلة وليؤد اليه القاتل بدل الدم أداء باحسان بأن لا يمطله ولا يبخسه (ذلك) الحكم المذكور من العفو والدية (تخفيف من ربكم ورحمة) لان أهل التوراة كتب عليهم القصاص البتة وحرم العفو وأخذ الدية وعلى أهل الانجيل العفو وحرم القصاص والدية وخيرت هذه الامة بين الثلاث القصاص والدية والعفو توسعة عليهم وتيسيرا (فمن اعتدى بعد ذلك) التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل أو القتل بعد أخذ الدية فقد كان الولي في الجاهلية يؤمن القاتل بقبوله الدية ثم يظفر به فيقتله (فله عذاب أليم) نوع من العذاب شديد الالم في الآخرة وعن قتادة العذاب الاليم أن يقتل لا محالة ولا يقبل منه دية لقوله عليه السلام لا أعافي أحدا قتل بعد أخذه الدية (ولكم في القصاص حيوة) كلام فصيح لما فيه من الغرابة وهو أن القصاص قتل وتفويت للحياة وقد جعل مكانا وظرفا للحياة ومن اصابة محز البلاغة بتعريف القصاص وتنكير الحياة لان المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حياة عظيمة وذلك أنهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل مهلهل بأخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن وائل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع بينهم التناحر فلما جاء الاسلام بشرع القصاص كانت فيه حياة أي حياة أو نوع من الحياة وهي الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل لانه اذا هم بالقتل فعلم أنه يقتص منه فارتدع سلم صاحبه من القتل وسلم هو من القود فكان القصاص سبب حياة نفسين وقرأ أبو الجوزاء ولكم في القصص حياة أي فيما قص عليكم من حكم القتل والقصاص وقيل القصص القرآن أي ولكم في القرآن حياة للقلوب كقوله تعالى روحا من أمرنا ويحيى من حي عن بينة (لعلكم تتقون) أي أريتكم ما في القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون تعملون عمل أهل التقوى في المحافظة على القصاص والحكم به وهو خطاب له فضل اختصاص بالائمة

اذا

(اذا حضر أحدكم الموت) اذا دنا منه وظهرت أماراته (خيرا) مالا كثيرا عن عائشة رضي الله عنها أن رجلا أراد الوصية وله عيال وأربع مائة دينار فقالت ما أرى فيه فضلا وأراد آخر أن يوصي فسألته كم مالك فقال ثلاثة آلاف قالت كم عيالك قال أربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك وعن علي رضي الله عنه أن مولى له أراد أن يوصي وله سبعمائة فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال وليس لك مال والوصية فاعل كتب وذكر فعلها للفاصل ولانها بمعنى أن يوصي ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله بعدما سمعه والوصية للوارث كانت في بدء الاسلام فنسخت بآية المواريث وبقوله عليه السلام ان الله أعطى كل ذي حق حقه ألا لا وصية لوارث وبتلقي الامة اياه بالقبول حتى لحق بالمتواتر وان كان من الآحاد لانهم لا يتلقون بالقبول الا الثبت الذي صحت روايته وقيل لم تنسخ والوارث يجمع له بين الوصية والميراث بحكم الآيتين وقيل ما هي بمخالفة لآية المواريث ومعناها كتب عليكم ما أوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين من قوله تعالى يوصيكم الله في أولادكم أو كتب على المحتضر أن يوصي للوالدين والاقربين بتوفير ما أوصى به الله لهم عليهم وأن لا ينقص من أنصبائهم (بالمعروف) بالعدل وهو أن لا يوصي للغني ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث (حقا) مصدر مؤكد أي حق ذلك حقا (فمن بدله) فمن غير الايصاء عن وجهه ان كان موافقا للشرع من الاوصياء والشهود (بعدما سمعه) وتحققه (فانما اثمه على الذين يبدلونه) فما اثم الايصاء المغير أو التبديل الا على مبدليه دون غيرهم من الموصي والموصى له لانهما بريان من الحيف (ان الله سميع عليم) وعيد للمبدل (فمن خاف) فمن توقع وعلم وهذا في كلامهم شائع يقولون أخاف أن ترسل السماء يريدون التوقع والظن الغالب الجاري مجرى العلم (جنفا) ميلا عن الحق بالخطأ في الوصية (أو اثما) أو تعمدا للحيف (فأصلح بينهم) بين الموصى لهم وهم الوالدان والاقربون باجرائهم على طريق الشرع (فلا اثم عليه) حينئذ لان تبديله تبديل باطل الى حق ذكر من يبدل بالباطل ثم من يبدل بالحق ليعلم أن كل تبديل لا يؤثم (كما كتب على الذين من قبلكم) على الانبياء والامم من لدن آدم الى عهدكم قال علي رضي الله عنه أولهم آدم يعني ان الصوم عبادة قديمة أصلية ما أخلى الله أمة من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم (لعلكم تتقون) بالمحافظة عليها وتعظيمها لاصالتها وقدمها أو لعلكم تتقون المعاصي لان الصائم أظلف لنفسه وأردع لها من مواقعة السوء قال عليه السلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء أو لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين لان الصوم شعارهم وقيل معناه أنه كصومهم في عدد الايام وهو شهر رمضان كتب على أهل الانجيل فأصابهم موتان فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده فجعلوه خمسين يوما وقيل كان وقوعه في البرد الشديد والحر الشديد فشق عليهم في أسفارهم ومعايشهم فجعلوه بين الشتاء والربيع وزادوا عشرين يوما كفارة لتحويله عن وقته * وقيل الايام المعدودات عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر كتب على رسول الله صلى الله عليه وسلم صيامها حين هاجر ثم نسخت بشهر رمضان وقيل كتب عليكم كما كتب عليهم أن يتقوا المفطر بعد أن يصلوا العشاء وبعد أن يناموا ثم نسخ ذلك بقوله أحل لكم ليلة الصيام الآية * ومعنى (معدودات) موقتات بعدد معلوم أو قلائل كقوله دراهم معدودة وأصله ان المال القليل يقدر بالعدد ويتحكر فيه والكثير يهال هيلا ويحثى حثيا وانتصاب أياما بالصيام كقولك نويت الخروج يوم الجمعة (أو على سفر) أو راكب سفر (فعدة) فعليه عدة وقرئ بالنصب بمعنى فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل مكتوب عليهما أن يفطرا ويصوما عدة (من أيام أخر) واختلف في المرض المبيح للافطار فمن قائل كل مرض لان الله تعالى لم يخص مرضا دون مرض كما لم يخص سفرا دون سفر فكما أن لكل مسافر أن يفطر فكذلك كل مريض وعن ابن سيرين أنه دخل عليه في رمضان وهو يأكل فاعتل بوجع اصبعه وسئل مالك عن الرجل يصيبه المرض الشديد أو الصداع المضر وليس به مرض يضجعه فقال انه في سعة من الافطار وقائل هو المرض الذي يعسر معه الصوم ويزيد فيه لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر وعن الشافعي لا يفطر حتى يجهده الجهد غير المحتمل واختلف أيضا في القضاء فعامة العلماء على التخيير وعن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ان الله لم يرخص لكم في فطره وهو يريد

اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم فمن خاف من موص جنفا أو اثما فأصلح بينهم فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر

أن يشق عليكم في قضائه ان شئت فواتر وان شئت ففرق وعن علي وابن عمر والشعبي وغيرهم أنه يقضي كما فات متتابعا وفي قراءة أبي فعدة من أيام أخر متتابعات (فان قلت) فكيف قيل فعدة على التنكير ولم يقل فعدتها أي فعدة الايام المعدودات (قلت) لما قيل فعدة والعدة بمعنى المعدود فأمر بأن يصوم أياما معدودة مكانها علم أنه لا يؤثر عدد على عددها فأغنى ذلك عن التعريف بالاضافة (وعلى الذين يطيقونه) وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر بهم ان أفطروا (فدية طعام مسكين) نصف صاع من بر أو صاع من غيره عند أهل العراق وعند أهل الحجاز مد وكان ذلك في بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية وقرأ ابن عباس يطوقونه تفعيل من الطوق اما بمعنى الطاقة أو القلادة أي يكلفونه أو يقلدونه ويقال لهم صوموا وعنه يتطوقونه بمعنى يتكلفونه أو يتقلدونه ويطوقونه بادغام التاء في الطاء ويطيقونه ويطيقونه بمعنى يتطوقونه وأصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه على أنهما من فيعل وتفيعل من الطوق فأدغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم تدير المكان وما بها ديار وفيه وجهان أحدهما نحو معنى يطيقونه والثاني يكلفونه أو يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء الافطار والفدية وهو على هذا الوجه ثابت غير منسوخ ويجوز أن يكون هذا معنى يطيقونه أي يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم (فمن تطوع خيرا) فزاد على مقدار الفدية (فهو خير له) فالتطوع أخير له أو الخير وقرئ فمن يطوع بمعنى يتطوع (وأن تصوموا) أيها المطيقون أو المطوقون وحملتم على أنفسكم وجهدتم طاقتكم (خير لكم) من الفدية وتطوع الخير ويجوز أن ينتظم في الخطاب المريض والمسافر أيضا وفي قراءة أبي والصيام خير لكم * الرمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء فأضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون كما قيل ابن داية للغراب باضافة الابن الى داية البعير لكثرة وقوعه عليها اذا دبرت (فان قلت) لم سمي (شهر رمضان) (قلت) الصوم فيه عبادة قديمة فكأنهم سموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع ومقاساة شدته كما سموه ناتقا لانه كان ينتقهم أي يزعجهم اضجارا بشدته عليهم وقيل لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر (فان قلت) فاذا كانت التسمية واقعة مع المضاف والمضاف اليه جميعا فما وجه ما جاء في الاحاديث من نحو قوله عليه الصلاة والسلام من صام رمضان ايمانا واحتسابا من أدرك رمضان فلم يغفر له (قلت) هو من باب الحذف لامن الالباس كما قال بما أعيا النطاسي حذيما أراد ابن حذيم وارتفاعه على أنه مبتدأ خبره (الذي أنزل فيه القرآن) أو على أنه بدل من الصيام في قوله كتب عليكم الصيام أو على أنه خبر مبتدأ محذوف وقرئ بالنصب على صوموا شهر رمضان أو على الابدال من أياما معدودات أو على أنه مفعول وأن تصوموا ومعنى أنزل فيه القرآن ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك في ليلة القدر وقيل أنزل جملة الى سماء الدنيا ثم نزل الى الارض نجوما وقيل أنزل في شأنه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام كما تقول أنزل في عمر كذا وفي علي كذا وعن النبي عليه السلام نزلت صحف ابراهيم أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين والانجيل لثلاث عشرة والقرآن لاربع وعشرين مضين (هدى للناس وبينات) نصب على الحال أي أنزل وهو هداية للناس الى الحق وهو آيات واضحات مكشوفات مما يهدي الى الحق ويفرق بين الحق والباطل (فان قلت) ما معنى قوله وبينات من الهدى بعد قوله هدى للناس (قلت) ذكر أولا أنه هدى ثم ذكر أنه بينات من جملة ما هدى به الله وفرق به بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) فمن كان شاهدا أي حاضرا مقيما غير مسافر في الشهر فليصم فيه ولا يفطر والشهر منصوب على الظرف وكذلك الهاء في فليصمه ولا يكون مفعولا به كقولك شهدت الجمعة لان المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر (يريد الله) أن ييسر عليكم ولا يعسر وقد نفى عنكم الحرج في الدين وأمركم بالحنيفية السمحة التي لا اصر فيها ومن جملة ذلك ما رخص لكم فيه من اباحة الفطر في السفر والمرض ومن الناس من فرض الفطر على المريض والمسافر حتى زعم أن من صام منهما فعليه الاعادة * وقرئ اليسر

وعلى الذين يطيقونه
فدية طعام مسكين فمن
تطوع خيرا فهو خير له
وأن تصوموا خير لكم
ان كنتم تعلمون شهر
رمضان الذي أنزل فيه
القرآن هدى للناس
وبينات من الهدى
والفرقان فمن شهد
منكم الشهر فليصمه
ومن كان مريضا
أو على سفر فعدة من
أيام أخر يريد الله بكم
اليسر ولا يريد بكم العسر

والعسر بضمتين * الفعل المعلل محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره (ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون) شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من أمر الشاهد بصوم الشهر وأمر المرخص له بمراعاة عدة ما أفطر فيه ومن الترخيص في اباحة الفطر فقوله لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وهذا نوع من اللف لطيف المسلك لا يكاد يهتدى الى تبينه الا النقاب المحدث من علماء البيان وانما عدى فعل التكبير بحرف الاستعلاء لكونه مضمنا معنى الحمد كأنه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ومعنى ولعلكم تشكرون وارادة أن تشكروا * وقرئ ولتكملوا بالتشديد (فان قلت) هل يصح أن يكون ولتكملوا معطوفا على علة مقدرة كأنه قيل لتعلموا ما تعملون ولتكملوا العدة أو على اليسر كأنه قيل يريد الله بكم اليسر ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا (قلت) لا يبعد ذلك والاول أوجه (فان قلت) ما المراد بالتكبير (قلت) تعظيم الله والثناء عليه وقيل هو تكبير يوم الفطر وقيل هو التكبير عند الاهلال (فاني قريب) تمثيل لحاله في سهولة اجابته لمن دعاه وسرعة انجاحه حاجة من سأله بحال من قرب مكانه فاذا دعي أسرعت تلبيته ونحوه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد وقوله عليه الصلاة والسلام هو بينكم وبين أعناق رواحلكم وروى أن أعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت (فليستجيبوا لي) اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما أني أجيبهم اذا دعوني لحوائجهم * وقرئ يرشدون ويرشدون بفتح الشين وكسرها كان الرجل اذا أمسى حل له الاكل والشرب والجماع الى أن يصلي العشاء الآخرة أو يرقد فاذا صلاها أو رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى القابلة ثم ان عمر رضي الله عنه واقع أهله بعد صلاة العشاء الآخرة فلما اغتسل أخذ يبكي ويلوم نفسه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله اني أعتذر الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة وأخبره بما فعل فقال عليه الصلاة والسلام ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء فنزلت * وقرئ أحل لكم ليلة الصيام الرفث أي أحل الله وقرأ عبد الله الرفوث وهو الافصاح بما يجب أن يكنى عنه كلفظ النيك وقد أرفث الرجل وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه أنشد وهو محرم

وهن يمشين بنا هميسا * ان تصدق الطير ننك لميسا

فقيل له أرفثت فقال انما الرفث ما كان عند النساء وقال الله تعالى فلا رفث ولا فسوق فكني به عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من شيء من ذلك (فان قلت) لم كنى عنه ههنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح بخلاف قوله وقد أفضى بعضكم الى بعض فلما تغشاها باشروهن أو لامستم النساء دخلتم بهن فأتوا حرثكم من قبل أن تمسوهن فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن (قلت) استهجانا لما وجد منهم قبل الاباحة كما سماه اختيانا لانفسهم (فان قلت) لم عدى الرفث بالى (قلت) لتضمينه معنى الافضاء * لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه قال الجعدي

اذا ما الضجيع ثنى عطفها * تثنت فكانت عليه لباسا

(فان قلت) ما موقع قوله (هن لباس لكم) (قلت) هو استئناف كالبيان لسبب الاحلال وهو أنه اذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذلك رخص لكم في مباشرتهن (تختانون أنفسكم) تظلمونها وتنقصونها حظها من الخير والاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة (فتاب عليكم) حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور (وابتغوا ما كتب الله لكم) واطلبوا ما قسم الله لكم وأثبت في اللوح من الولد بالمباشرة أي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل وقيل هو نهي عن العزل لانه في الحرائر وقيل وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وحلله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم وعن قتادة وابتغوا ما كتب الله لكم من الاباحة بعد

قوله تعالى ولتكملوا العدة الآية (قال محمود رحمه الله الفعل المعلل محذوف تقديره شرع ذلك الخ) ٢٤٩ قال أحمد رحمه الله ولقبه الخاص به في صناعة البديع رد أعجاز الكلام الى صدوره ولقد أحسن الزمخشري في التنقيب عنه فهو منظوم في سلك حسناته * قوله تعالى أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم (قال محمود رحمه الله كان الرجل اذا أمسى حل له الاكل الخ) قال أحمد رحمه الله ويشهد لصحة هذا الجواب انه لما استقرت الاباحة فيه قال فالآن باشروهن فكنى عنه الكناية المألوفة في الكتاب العزيز ويشكل بقوله فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج فان هذه العبارة استعملت ولم ينقل في الحج ما نقل في الصوم من سبب نزول الآية وهو مواقعة المكروه ويمكن أن يجاب عنه لما وقع في آية الحج منهيا عنه أريد الشعبة عندهم كيلا يقعوا فيه فعبر عنه بما هجنه لكون ذلك منفرا لهم عن التورط

ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم

* قوله تعالى كلوا واشربوا الآية (قال محمود رحمه الله قالوا فيه دليل على جواز النية بالنهار الخ) قال أحمد وجه استدلالهم من الآية على
الحكم الأول متعذر لأن قران النية بأول الصوم وجودا غير معتبر باتفاق وتقدمها من الليل وتستصحب معتبر باتفاق فإذن لا تنافي
بين الأكل والشرب إلى الفجر وبين نية ٢٥٠ الصوم المستقبل من الليل ووجودها من الليل متقدمة على الصوم مستفاد من دليل
دل عليه وإنما يتم لهم الاستدلال بالآية على اعتبار النية في النهار لو كان الأكل والشرب ليلا إلى الفجر ينافي صحة استصحاب النية وكان اقتضاء الآية لجواز الأكل والشرب إلى الفجر يمنع من اعتبار النية من الليل إلى الفجر لوجود المنافي لها ولا بد منها فيتعين أن توقع بعد الفجر على هذا التقدير وذلك التقدير كما علمت متفق على بطلانه وأما

الحظر وقرأ ابن عباس واتبعوا وقرأ الأعمش وأتوا وقيل معناه واطلبوا ليلة القدر وما كتب الله لكم من الثواب إن أصبتموها وقمتموها وهو قريب من بدع التفاسير (الخيط الأبيض) هو أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق كالخيط الممدود (والخيط الأسود) ما يمتد معه من غبش الليل شبها بخيطين أبيض وأسود

قال أبو دواد

فلما أضاءت لنا سدفة * ولاح من الصبح خيط أنارا

وقوله (من الفجر) بيان للخيط الأبيض واكتفى به عن بيان الخيط الأسود لأن بيان أحدهما بيان للثاني ويجوز أن تكون من للتبعيض لأنه بعض الفجر وأوله (فإن قلت) أهذا من باب الاستعارة أم من باب التشبيه (قلت) قوله من الفجر أخرجه من باب الاستعارة كما أن قولك رأيت أسدا مجاز فإذا زدت من فلان رجع تشبيها (فإن قلت) فلم زيد من الفجر حتى كان تشبيها وهلا اقتصر به على الاستعارة التي هي أبلغ من التشبيه وأدخل في الفصاحة (قلت) لأن من شرط المستعار أن يدل عليه الحال أو الكلام ولو لم يذكر من الفجر لم يعلم أن الخيطين مستعاران فزيد من الفجر فكان تشبيها بليغا وخرج من أن يكون استعارة (فإن قلت) فكيف التبس على عدي بن حاتم مع هذا البيان حتى قال عمدت إلى عقالين أبيض وأسود فجعلتهما تحت وسادتي فكنت أقوم من الليل فأنظر إليهما فلا يتبين لي الأبيض من الأسود فلما أصبحت غدوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فضحك وقال إن كان وسادك لعريضا وروي إنك لعريض القفا إنما ذاك بياض النهار وسواد الليل (قلت) غفل عن البيان ولذلك عرّض رسول الله صلى الله عليه وسلم قفاه لأنه مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته وأنشدتني بعض البدويات لبدوي

عريض القفا ميزانه في شماله * قد انحص من حسب القراريط شاربه

(فإن قلت) فما تقول فيما روي عن سهل بن سعد الساعدي أنها نزلت ولم ينزل من الفجر فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبينا له فنزل بعد ذلك من الفجر فعلموا أنه إنما يعني بذلك الليل والنهار وكيف جاز تأخير البيان وهو يشبه العبث حيث لا يفهم منه المراد إذ ليس باستعارة لفقد الدلالة ولا بتشبيه قبل ذكر الفجر فلا يفهم منه إذن إلا الحقيقة وهي غير مرادة (قلت) أما من لا يجوز تأخير البيان وهم أكثر الفقهاء والمتكلمين وهو مذهب أبي علي وأبي هاشم فلم يصح عندهم هذا الحديث وأما من يجوزه فيقول ليس بعبث لأن المخاطب يستفيد منه وجوب الخطاب ويعزم على فعله إذا استوضح المراد منه (ثم أتموا الصيام إلى الليل) قالوا فيه دليل على جواز النية بالنهار في صوم رمضان وعلى جواز تأخير الغسل إلى الفجر وعلى نفي صوم الوصال (عاكفون في المساجد) معتكفون فيها والاعتكاف أن يحبس نفسه في المسجد يتعبد فيه * والمراد بالمباشرة الجماع لما تقدم من قوله أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم فالآن باشروهن وقيل معناه ولا تلامسوهن بشهوة والجماع يفسد الاعتكاف وكذلك إذا لمس أو قبل فأنزل وعن قتادة كان الرجل إذا اعتكف خرج فباشر امرأته ثم رجع إلى المسجد فنهاهم الله عن ذلك وقالوا فيه دليل على أن الاعتكاف لا يكون إلا في مسجد وأنه لا يختص به مسجد دون مسجد وقيل لا يجوز إلا في مسجد نبي وهو أحد المساجد الثلاثة وقيل في مسجد جامع والعامة على أنه في مسجد جماعة وقرأ مجاهد في المسجد (تلك) الأحكام التي ذكرت (حدود الله فلا تقربوها) فلا تغشوها (فإن قلت) كيف قيل فلا تقربوها مع قوله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله (قلت) من كان في طاعة الله والعمل بشرائعه فهو متصرف في حيز الحق فنهي أن يتعداه لأن من تعداه وقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهي

الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون ولا تأكلوا أموالكم بينكم

الاستدلال بها على الحكمين الآخرين فصحيح مستند والله أعلم ولتفطن الزمخشري لبطلان الاستدلال بالآية على الأحكام المذكورة سلك سبيل النقل عنهم فقال قالوا
لا يقولها إلا في مثل هذا الذى ولم يسعه التنبيه على بطلان الاستدلال لأنه على وفق مذهبه ان

* قوله تعالى تلك حدود الله فلا تقربوها الآية (قال محمود رحمه الله تعالى إن قلت كيف قال فلا تقربوها الخ) قال أحمد رحمه الله تعالى
وفي هذه الآية دليل بين لمذهب مالك رضي الله تعالى عنه في سد الذرائع والاحتياط للمحرمات لا يدافع عنه

أن يقرب الحد الذى هو الحاجز بين حيزى الحق والباطل لئلا يدانى الباطل وأن يكون فى الواسطة متباعدا عن الطرف فضلا عن أن يتخطاه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه فالرتع حول الحمى وقربان حيزه واحد ويجوز أن يريد بحدود الله محارمه ومناهيه خصوصا لقوله ولا تباشروهن وهى حدود لا تقرب * ولا يأكل بعضكم مال بعض (بالباطل) بالوجه الذى لم يبحه الله ولم يشرعه * ولا (تدلوا بها) ولا تلقوا أمرها والحكومة فيها إلى الحكام (لتأكلوا) بالتحاكم (فريقا) طائفة (من أموال الناس بالإثم) بشهادة الزور أو باليمين الكاذبة أو بالصلح مع العلم بأن المقضى له ظالم وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال للخصمين إنما أنا بشر وأنتم تختصمون إلى ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع منه فمن قضيت له بشىء من حق أخيه فلا يأخذن منه شيئا فإنما أقضى له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقى لصاحبى فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه وقيل وتدلوا بها وتلقوا بعضها إلى حكام السوء على وجه الرشوة وتدلوا مجزوم داخل فى حكم النهى أو منصوب بإضمار أن كقوله وتكتموا الحق (وأنتم تعلمون) أنكم على الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها أقبح وصاحبه أحق بالتوبيخ * وروى أن معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الأنصارى قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوى ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة واحدة فنزلت (مواقيت) معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد نسائهم وأيام حيضهن ومدد حملهن وغير ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته * كان ناس من الأنصار إذا أحرموا لم يدخل أحد منهم حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب فإذا كان من أهل المدر نقب نقبا فى ظهر بيته منه يدخل ويخرج أو يتخذ سلما يصعد فيه وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخباء فقيل لهم (ليس البر) بتحرجكم من دخول الباب (ولكن البر) بر (من اتقى) ما حرم الله (فإن قلت) ما وجه اتصاله بما قبله (قلت) كأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الأهلة وعن الحكمة فى نقصانها وتمامها معلوم أن كل ما يفعله الله عز وجل لا يكون إلا حكمة بالغة ومصلحة لعباده فدعوا السؤال عنه وانظروا فى واحدة تفعلونها أنتم مما ليس من البر فى شىء وأنتم تحسبونها برا ويجوز أن يجرى ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر أنها مواقيت للحج لأنه كان من أفعالهم فى الحج ويحتمل أن يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم فى سؤالهم وأن مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخله من ظهره والمعنى ليس البر وما ينبغى أن تكونوا عليه بأن تعكسوا فى مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله ثم قال (وأتوا البيوت من أبوابها) أى وباشروا الأمور من وجوهها التى يجب أن تباشر عليها ولا تعكسوا والمراد وجوب توطين النفوس وربط القلوب على أن جميع أفعال الله حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك فى ذلك حتى لا يسأل عنه لما فى السؤال من الاتهام بمقارفة الشك لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون * المقاتلة فى سبيل الله هو الجهاد لإعلاء كلمة الله وإعزاز الدين (الذين يقاتلونكم) الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين وعلى هذا يكون منسوخا بقوله وقاتلوا المشركين كافة وعن الربيع بن أنس رضى الله عنه هى أول آية نزلت فى القتال بالمدينة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتل ويكف عمن كف أو الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من أهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء أو الكفرة كلهم لأنهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم فهم فى حكم المقاتلة قاتلوا أو لم يقاتلوا وقيل لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على أن يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة أيام فرجع لعمرة القضاء خاف المسلمون أن لا يفى لهم قريش ويصدوهم ويقاتلوهم فى الحرم وفى الشهر الحرام وكرهوا ذلك نزلت وأطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم منهم فى الحرم والشهر الحرام ورفع عنهم الجناح فى ذلك (ولا تعتدوا) بابتداء القتال أو بقتل من نهيتم عن قتاله من النساء والشيوخ والصبيان والذين بينكم وبينهم عهد أو بالمثلة أو بالمفاجأة من غير دعوة (حيث ثقفتموهم) حيث وجدتموهم فى حل أو حرم والثقف وجود على وجه الأخذ والغلبة ومنه

بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون يسئلونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم

---

* قوله تعالى يسألونك عن الأهلة الآية (قال محمود رحمه الله فإن قلت ما وجه إيصال هذا الكلام الخ) قال أحمد رحمه الله ومثل هذا من الاستطراد فى كتاب الله تعالى قوله وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا إلى آخر الآية فإنه تعالى بين عدم الاستواء بينهما إلى قوله أجاج وبذلك تم القصد فى تمثيل عدم استواء الكافر والمسلم ثم قوله ومن كل تأكلون لا يتعلق به عدم الاستواء بل المفاد به استواؤهما فيما ذكر فهو من إجراء الله الكلام بطريق الاستطراد المذكور وإنما مثلت هذا النوع الذى نبه عليه الزمخشرى لأنه مفرد عن الاستطراد الذى بوب عليه أهل صناعة البديع والمطابق لما بوبوا عليه سواء قوله تعالى لا تتولوا

من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا فان الله غفور رحيم وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وأحسنوا ان الله يحب المحسنين وأتموا الحج والعمرة لله

رجل ثقف سريع الاخذ لاقرانه قال

فاما تثقفونى فاقتلونى * فمن أثقف فليس الى خلود

(من حيث أخرجوكم) أى من مكة وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح (والفتنة أشد من القتل) أى المحنة والبلاء الذى ينزل بالانسان يتعذب به أشد عليه من القتل وقيل لبعض الحكماء ما أشد من الموت قال الذى يتمنى فيه الموت جعل الاخراج من الوطن من الفتن والمحن التى يتمنى عندها الموت ومنه قول القائل لقتل بحد السيف أهون موقعا * على النفس من قتل بحد فراق

وقيل الفتنة عذاب الآخرة ذوقوا فتنتكم وقيل الشرك أعظم من القتل فى الحرم وذلك أنهم كانوا يستعظمون القتل فى الحرم ويعيبون به المسلمين فقيل والشرك الذى هم عليه أشد وأعظم مما يستعظمونه ويجوز أن يراد فتنتهم اياكم بصدكم عن المسجد الحرام أشد من قتلكم اياهم فى الحرم أو من قتلهم اياكم ان قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم * وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم جعل وقوع القتل فى بعضهم كوقوعه فيهم يقال قتلتنا بنو فلان وقال فان تقتلونا نقتلكم (فان انتهوا) عن الشرك والقتال كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف (حتى لا تكون فتنة) أى شرك (ويكون الدين لله) خالصا ليس للشيطان فيه نصيب (فان انتهوا) عن الشرك (فلا عدوان الا على الظالمين) فلا تعدوا على المنتهين لان مقاتلة المنتهين عدوان وظلم فوضع قوله الا على الظالمين موضع على المنتهين أو فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين سمى جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة كقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه أو أريد أنكم ان تعرضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيسلط عليكم من يعدو عليكم * قاتلهم المشركون عام الحديبية فى الشهر الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك فى ذى القعدة (الشهر الحرام بالشهر الحرام) أى هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه يعنى تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم (والحرمات قصاص) أى وكل حرمة يجرى فيها القصاص من هتك حرمة أى حرمة كانت اقتص منه بأن تهتك له حرمة فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا وأكد ذلك بقوله (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله) فى حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا الى ما لا يحل لكم * الباء فى (بأيديكم) مزيدة مثلها فى أعطى بيده للمنقاد والمعنى ولا تقبضوا التهلكة أيديكم أى لا تجعلوها آخذة بأيديكم مالكة لكم وقيل بأيديكم بأنفسكم وقيل تقديره ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم كما يقال أهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها والمعنى النهى عن ترك الانفاق فى سبيل الله لانه سبب الهلاك أو عن الاسراف فى النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله أو عن الاستقتال والاخطار بالنفس أو عن ترك الغزو الذى هو تقوية للعدو وروى أن رجلا من المهاجرين حمل على صف العدو فصاح به الناس ألقى بيده الى التهلكة فقال أبو أيوب الانصارى نحن أعلم بهذه الآية وانما أنزلت فينا صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصرناه وشهدنا معه المشاهد وآثرناه على أهالينا وأموالنا وأولادنا فلما فشا الاسلام وكثر أهله ووضعت الحرب أوزارها رجعنا الى أهالينا وأولادنا وأموالنا نصلحها ونقيم فيها فكانت التهلكة الاقامة فى الاهل والمال وترك الجهاد وحكى أبو على فى الحلبيات عن أبى عبيدة التهلكة والهلاك والهلك واحد قال فدل هذا من قول أبى عبيدة على أن التهلكة مصدر ومثله ما حكاه سيبويه من قولهم التضرة والتسرة ونحوها فى الاعيان التنضبة والتتفلة ويجوز أن يقال أصلها التهلكة كالتجربة والتبصرة ونحوهما على أنها مصدر من هلك فأبدلت من الكسرة ضمة كما جاء الجوار فى الجوار (وأتموا الحج والعمرة لله) ائتوا بهما تامين كاملين بمناسكهما وشرائطهما لوجه الله من غير توان ولا نقصان يقع منكم فيهما قال

تمام الحج أن تقف المطايا * على خرقاء واضعة اللثام

جعل الوقوف عليها كبعض مناسك الحج الذى لا يتم الا به وقيل اتمامهما أن تحرم بهما من دويرة أهلك روى ذلك عن على وابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم وقيل أن تفرد لكل واحد منهما سفرا كما قال محمد حجة كوفية وعمرة كوفية أفضل وقيل أن تكون النفقة حلالا وقيل أن تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما

قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور فانه ذم اليهود واستطرد بذلك ذم المشركين المنكرين للبعث على نوع من التشبيه لطيف المنزع وفى البديع التمثيل بقوله

اذا ما اتقى الله الفتى وأطاعه

فليس به بأس وان كان من جرم

وسيأتى فيه مزيد تقرير ان شاء الله

بشئ من التجارة والاغراض الدنيوية (فان قلت) هل فيه دليل على وجوب العمرة (قلت) ما هو الا أمر
باتمامهما ولا دليل فى ذلك على كونهما واجبين أو تطوعين فقد يؤمر باتمام الواجب والتطوع جميعا الا أن
تقول الامر باتمامهما أمر بأدائهما بدليل قراءة من قرأ وأقيموا الحج والعمرة والامر للوجوب فى أصله الا
أن يدل دليل على خلاف الوجوب كما دل فى قوله فاصطادوا وفانتشروا ونحو ذلك فيقال لك فقد دل الدليل
على نفى الوجوب وهو ما روى أنه قيل يارسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن أن تعتمر خير لك وعنه
الحج جهاد والعمرة تطوع (فان قلت) فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال ان العمرة لقرينة الحج
وعن عمر رضى الله عنه أن رجلا قال له انى وجدت الحج والعمرة مكتوبين على أهللت بهما جميعا فقال هديت
لسنة نبيك وقد نظمت مع الحج فى الامر بالاتمام فكانت واجبة مثل الحج (قلت) كونها قرينة للحج أن
القارن يقرن بينهما وأنهما يقترنان فى الذكر فيقال حج فلان واعتمر والحجاج والعمار ولانها الحج الاصغر ولا
دليل فى ذلك على كونها قرينة له فى الوجوب وأما حديث عمر رضى الله عنه فقد فسر الرجل كونهما
مكتوبين عليه بقوله أهللت بهما واذا أهل بالعمرة وجبت عليه كما اذا كبر بالتطوع من الصلاة والدليل
الذى ذكرناه أخرج العمرة من صفة الوجوب فبقى الحج وحده فهما فيه بمنزلة قولك صم شهر رمضان وستة
من شوال فى أنك تأمره بفرض وتطوع وقرأ على وابن مسعود والشعبى رضى الله عنهم والعمرة لله بالرفع
كأنهم قصدوا بذلك اخراجها عن حكم الحج وهو الوجوب (فان أحصرتم) يقال أحصر فلان اذا منعه أمر من

فان أحصرتم فما استيسر
من الهدى ولا تحلقوا
رؤسكم حتى يبلغ الهدى
محله فمن كان منكم
مريضا أو به أذى من
رأسه ففدية من صيام
أو صدقة أو نسك فاذا
أمنتم فمن تمتع بالعمرة
الى الحج

خوف أو مرض أو عجز قال الله تعالى الذين أحصروا فى سبيل الله وقال ابن ميادة

وما هجر ليلى ان تكون تباعدت * عليك ولا أن أحصرتك شغول

وحصر اذا حبسه عدو عن المضى أو سجن ومنه قيل للمحبس الحصير وللملك الحصير لانه محجوب هذا هو
الاكثر فى كلامهم وهما بمعنى المنع فى كل شئ مثل صده وأصده وكذلك قال الفراء وأبو عمرو الشيبانى وعليه
قول أبى حنيفة رحمهم الله تعالى كل منع عنده من عدو كان أو مرض أو غيرهما معتبر فى اثبات حكم الاحصار
وعند مالك والشافعى منع العدو وحده وعن النبى صلى الله عليه وسلم من كسر أو عرج فقد حل وعليه الحج من
قابل (فما استيسر من الهدى) فما تيسر منه يقال يسر الامر واستيسر كما يقال صعب واستصعب والهدى
جمع هدية كما يقال فى جدية السرج جدى وقرئ من الهدى بالتشديد جمع هدية كمطية ومطى يعنى فان
منعتم من المضى الى البيت وأنتم محرمون بحج أو عمرة فعليكم اذا أردتم التحلل ما استيسر من الهدى من بعير
أو بقرة أو شاة (فان قلت) أين ومتى ينحر هدى المحصر (قلت) ان كان حاجا فبالحرم متى شاء عند أبى حنيفة
يبعث به ويجعل للمبعوث على يده يوم أمار وعندهما فى أيام النحر وان كان معتمرا فبالحرم فى كل وقت عندهم
جميعا وما استيسر رفع بالابتداء أى فعليه ما استيسر أو نصب على فاهدوا ما استيسر (ولا تحلقوا رؤسكم)
الخطاب للمحصرين أى لا تحلوا حتى تعلموا أن الهدى الذى بعثتموه الى الحرم بلغ (محله) أى مكانه الذى يجب
نحره فيه ومحل الدين وقت وجوب قضائه وهو ظاهر على مذهب أبى حنيفة رحمه الله (فان قلت) ان النبى
صلى الله عليه وسلم نحر هديه حيث أحصر (قلت) كان محصره طرف الحديبية الذى الى أسفل مكة وهو من
الحرم وعن الزهرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر هديه فى الحرم وقال الواقدى الحديبية هى طرف
الحرم على تسعة أميال من مكة (فمن كان منكم مريضا) فمن كان به مرض يحوجه الى الحلق (أو به أذى من
رأسه) وهو القمل أو الجراحة فعليه اذا احتلق فدية (من صيام) ثلاثة أيام (أو صدقة) على ستة مساكين
لكل مسكين نصف صاع من بر (أو نسك) وهو شاة وعن كعب بن عجرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له
لعلك أذاك هوامك قال نعم يارسول الله قال احلق رأسك وصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين أو انسك شاة
وكان كعب يقول فى نزلت هذه الآية وروى أنه مر به وقد قرح رأسه فقال كفى بهذا أذى وأمره أن يحلق
ويطعم أو يصوم والنسك مصدر وقيل جمع نسيكة وقرأ الحسن أو نسك بالتخفيف (فاذا أمنتم) الاحصار
يعنى فاذا لم تحصروا وكنتم فى حال أمن وسعة (فمن تمتع) أى استمتع (بالعمرة الى الحج) واستمتاعه بالعمرة الى

*قوله تعالى الحج أشهر معلومات (قال محمود رحمه الله هي شوال وذو القعدة الخ) قال أحمد الذي نقله عن مالك أحد قوليه وليس بالمشهور عنه وأما استدلاله لهذا القول بكراهية عمر الاعتمار الى أن يهل المحرم فلا ينهض دليلا لمالك لانه يقول لا تنعقد العمرة في أيام منى خاصة لمن حج مالم يتم الرمي ويحل بالافاضة فتنعقد وجميع السنة ماعداها ذكر ميقات للعمرة ولا تظهر فائدة هذا القول عند مالك الا في اسقاط الدم عن مؤخر طواف الافاضة الى آخر ذي الحجة لا غير وهي الفائدة التي نقلها الزمخشري عن عروة ولعمري ان هذا القول

وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها الى الله تعالى قبل الانتفاع بتقربه بالحج وقيل اذا حل من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرما عليه الى أن يحرم بالحج (فما استيسر من الهدى) هو هدى المتعة وهو نسك عند أبي حنيفة ويأكل منه وعند الشافعي يجري مجرى الجنايات ولا يأكل منه ويذبحه يوم النحر عندنا وعنده يجوز ذبحه اذا أحرم بحجته (فمن لم يجد) الهدى (ف) عليه (صيام ثلاثة أيام في الحج) أي في وقته وهو أشهره ما بين الاحرامين احرام العمرة واحرام الحج وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله والافضل أن يصوم يوم التروية وعرفة ويوما قبلهما وان مضى هذا الوقت لم يجزئه الا الدم وعند الشافعي لا تصام الا بعد الاحرام بالحج تمسكا بظاهر قوله (في الحج وسبعة اذا رجعتم) يعني اذا نفرتم وفرغتم من أفعال الحج عند أبي حنيفة وعند الشافعي هو الرجوع الى أهاليهم وقرأ ابن أبي عبلة وسبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة أيام كأنه قيل فصيام ثلاثة أيام كقوله أو اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما (فان قلت) فما فائدة الفذلكة (قلت) الواو قد تجيء للاباحة في نحو قولك جالس الحسن وابن سيرين ألا ترى أنه لو جالسهما جميعا أو واحدا منهما كان ممتثلا ففذلكت نفيا لتوهم الاباحة وأيضا ففائدة الفذلكة في كل حساب أن يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط به ٣ ومن جهتين فيتأكد العلم وفي أمثال العرب علمان خير من علم وكذلك (كاملة) تأكيد آخر وفيه زيادة توصية بصيامها وأن لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها كما تقول للرجل اذا كان لك اهتمام بأمر تأمره به وكان منك بمنزلة الله الله لا تقصر وقيل كاملة في وقوعها بدلا من الهدى وفي قراءة أبي فصيام ثلاثة أيام متتابعات (ذلك) اشارة الى التمتع عند أبي حنيفة وأصحابه لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عندهم ومن تمتع منهم أو قرن كان عليه دم وهو دم جناية لا يأكل منه وأما القارن والمتمتع من أهل الآفاق فدمهما دم نسك يأكلان منه وعند الشافعي اشارة الى الحكم الذي هو وجوب الهدى أو الصيام ولم يوجب عليهم شيأ وحاضروا المسجد الحرام وأهل المواقيت فمن دونهم الى مكة عند أبي حنيفة وعند الشافعي أهل الحرم ومن كان من الحرم على مسافة لا تقصر فيها الصلاة (واتقوا الله) في المحافظة على حدوده وما أمركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره (واعلموا أن الله شديد العقاب) لمن خالف ليكون علمكم بشدة عقابه لطفا لكم في التقوى *أي وقت الحج (أشهر) كقولك البرد شهران *والاشهر المعلومات شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة عند أبي حنيفة وعند الشافعي تسع ذي الحجة وليلة يوم النحر وعند مالك ذو الحجة كله (فان قلت) ما فائدة توقيت الحج بهذه الاشهر (قلت) فائدته أن شيأ من أفعال الحج لا يصح الا فيها والاحرام بالحج لا ينعقد أيضا عند الشافعي في غيرها وعند أبي حنيفة ينعقد الا أنه مكروه (فان قلت) فكيف كان الشهران وبعض الثالث أشهرا (قلت) اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما فلا سؤال فيه اذن وانما كان يكون موضع السؤال لو قيل ثلاثة أشهر معلومات وقيل نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رأيتك سنة كذا أو على عهد فلان ولعل العهد عشرون سنة أو أكثر وانما رآه في ساعة منها (فان قلت) ما وجه مذهب مالك وهو مروي عن عروة بن الزبير (قلت) قالوا وجهه أن العمرة غير مستحبة فيها عند عمر وابن عمر فكأنها مخلصة للحج لا مجال فيها للعمرة وعن عمر رضي الله عنه أنه كان يخفق الناس بالدرة وينهاهم عن الاعتمار فيهن وعن عمر رضي الله عنه أنه قال لرجل ان أطعتني انتظرت حتى اذا أهللت المحرم خرجت الى ذات عرق فأهللت منها بعمرة وقالوا العمل من مذهب عروة جواز تأخير طواف الزيارة الى آخر الشهر (معلومات) معروفات عند الناس لا يشكلن عليهم وفيه أن الشرع لم يأت على خلاف ما عرفوه وانما جاء مقررا له (فمن فرض فيهن الحج) فمن ألزمه نفسه بالتلبية أو بتقليد الهدى وسوقه عند أبي حنيفة وعند الشافعي بالنية (فلا رفث) فلا جماع لانه يفسده أو فلا فحش من الكلام (ولا فسوق) ولا خروج عن حدود الشريعة وقيل هو السباب والتنابز بالالقاب

فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا ان الله شديد العقاب الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق

حسن دليلا فلا يحتاج الى مزيد ولكن ظاهر الآية ومقتضاها ان جملة الاشهر هي زمان الحج ألا ترى ان من قال وعشر من ذي الحجة يحتاج في تنزيل الآية على مذهبه الى تقرير ان بعض الشهر يتنزل منزلة جميعه ويستشهد على ذلك بقوله *ثلاثون شهرا في ثلاثة أحوال* وانما احوجه الى الاستشهاد خروج مقالته عن ظاهر الآية فاتمسك بها بل ولا ظاهرها في كمال الاشهر الثلاثة وافق مع اقتضائها برمضطر الى مزيد عليه (٣) لعل الصواب حذف الواو اذ لا موقع لها كما لا يخفى اهـ

* قوله تعالى فلا رفث ولا فسوق الآية (قال محمود رحمه الله انما أمر باجتناب ذلك في الحج واجتنابه واجب الخ) قال أحمد رحمه الله وفيه نكتة تتعلق بعلم البيان وهي ان تخصيص الحج بالنهي عن الرفث فيه والفسوق والجدال يشعر بانها في غير الحج وان كانت منهيا عنها وقبيحة الا ان ذلك القبح الثابت لها في غير الحج كلا قبح بالنسبة الى وقوعها في الحج فاشتمل هذا التخصيص على هذا النوع من المبالغة البليغة والله أعلم على ان الرفث ان كان التحدث في أمر الجماع خاصة فالنهي عنه خاص بالحج وهو جائز في غيره على الوجه الشرعي وقد نبه مالك رضي الله عنه على أنه لا بأس للحاج بالسعي في أمور النساء الا ان ذلك قد يوقع في الوهم انه يؤدي ٢٥٥ الى ترك المحظور وهذا يدل على شديد مالك في حظر الرفث للحاج وما يتعلق به والله أعلم وسمعت الشافعية يلهجون بالاعتراض على اسحق في قوله من التنبيه وتحرم الغيبة على الصائم فيقولون وعلى المفطر فلا فائدة في تخصيص الصائم ويعدون ذلك وهما منه وهم بمعزل عن هذه

ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الالباب ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا أفضتم من عرفات

(ولا جدال) ولا مراء مع الرفقاء والخدم والمكارين وانما أمر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب في كل حال لانه مع الحج اسمج كلبس الحرير في الصلاة والتطريب في قراءة القرآن والمراد بالنفي وجوب انتفائها وأنها حقيقة بان لا تكون * وقرئ المنفيات الثلاث بالنصب وبالرفع وقرأ أبو عمرو وابن كثير الاولين بالرفع والآخر بالنصب لانهما حملا الاولين على معنى النهي كانه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق والثالث على معنى الاخبار بانتفاء الجدال كانه قيل ولا شك ولا خلاف في الحج وذلك أن قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرونه سنة وهو النسيء فرد الى وقت واحد ورد الوقوف الى عرفة فأخبر الله تعالى أنه قد ارتفع الخلاف في الحج واستدل على أن المنهي عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال بقوله صلى الله عليه وسلم من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته أمه وأنه لم يذكر الجدال (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) حث على الخير عقيب النهي عن الشر وأن يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة أو جعل فعل الخير عبارة عن ضبط أنفسهم حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه وينصره قوله تعالى (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) اي اجعلوا زادكم الى الآخرة اتقاء القبائح فان خير الزاد اتقاؤها وقيل كان أهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون ونحن نحج بيت الله أفلا يطعمنا فيكونون كلا على الناس فنزلت فيهم ومعناه وتزودوا واتقوا الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى (واتقون) وخافوا عقابي (يا أولي الالباب) يعني أن قضية اللب تقوى الله ومن لم يتقه من الالباء فكأنه لا لب له (فضلا من ربكم) عطاء منه وتفضلا وهو النفع والربح بالتجارة وكان ناس من العرب يتأثمون أن يتجروا أيام الحج واذا دخل العشر كفوا عن البيع والشراء فلم تقم لهم سوق ويسمون من يخرج بالتجارة الداج ويقولون هؤلاء الداج وليسوا بالحاج وقيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها في أيام الموسم وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا فرفع عنهم الجناح في ذلك وأبيح لهم وانما يباح ما لم يشغل عن العبادة وعن ابن عمر رضي الله عنه ان رجلا قال له انا قوم نكرى في هذا الوجه وان قوما يزعمون أن لا حج لنا فقال سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سألت فلم يرد عليه حتى نزل ليس عليكم جناح فدعا به فقال أنتم حجاج وعن عمر رضي الله عنه أنه قيل له هل كنتم تكرهون التجارة في الحج فقال وهل كانت معايشنا الا من التجارة في الحج وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما فضلا من ربكم في مواسم الحج * أن تبتغوا في أن تبتغوا (أفضتم) دفعتم بكثرة وهو من افاضة الماء وهو صبه بكثرة وأصله أفضتم أنفسكم فترك ذكر المفعول كما ترك في دفعوا من موضع كذا وصبوا وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه صب [3] في دقران وهو يحرش بعيره بمحجنه ويقال أفاضوا في الحديث وهضبوا فيه * و (عرفات) علم للموقف سمي بجمع كاذرعات (فان قلت) هلا منعت الصرف وفيها السببان التعريف والتأنيث (قلت) لا يخلو التأنيث اما أن يكون بالتاء التي في لفظها واما بتاء مقدرة كما في سعاد فالتي في لفظها

الآية وأمثالها فقد أوسعته عذرا في عبارته تلك اذ الكتاب العزيز به تضمن الفصاحة وصحة العبارات * قوله تعالى فاذا أفضتم من عرفات (قال محمود رحمه الله فان قلت هلا منعت عرفات الصرف الخ) قال أحمد رحمه الله يلزمه اذا سمي امرأة بمسلمات ان لا يصرفه فيقول هذا مسلمات بغير تنوين وهو قول ردي بل الافصح الصحيح في مسلمات اذا سمي به أن ينون وانما بنى الزمخشري كلامه هذا على أن تنوين عرفات التمكين لا للمقابلة ولذلك أسقط تنوين المقابلة من أنواع التنوين التي عدها في مفصله على انه راجع الى تنوين التمكين

[3] (قوله في دقران) كذا في نسخة بالدال المهملة والقاف وفي نسخة ذفران وكتب عليها بالهامش بالذال المعجمة والفاء المكسورة على فعلان من نهاية ابن الاثير اه وفي القاموس في فصل الدال المهملة مع القاف ودقران كسلمان واد قرب وادي الصفراء وقال في فصل الذال المعجمة مع الفاء وذفران بكسر الفاء واد قرب وادي الصفراء وتصحيف لدقران اه مصححه

ليست للتأنيث وانما هي مع الألف التي قبلها علامة جمع المؤنث ولا يصح تقدير التاء فيها لان هذه التاء لاختصاصها بجمع المؤنث مانعة من تقديرها كما لا يقدر تاء التأنيث في بنت لان التاء التي هي بدل من الواو لاختصاصها بالمؤنث كتاء التأنيث فأبت تقديرها وقالوا سميت بذلك لانها وصفت لابراهيم عليه السلام فلما أبصرها عرفها وقيل ان جبريل حين كان يدور به في المشاعر أراه اياها فقال قد عرفت وقيل التقى فيها آدم وحواء فتعارفا وقيل لان الناس يتعارفون فيها والله أعلم بحقيقة ذلك وهي من الاسماء المرتجلة لان العرفة لا تعرف في أسماء الاجناس الا أن تكون جمع عارف وقيل فيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة لان الافاضة لا تكون الا بعده وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحج عرفة فمن أدرك عرفة فقد أدرك الحج (فاذكروا الله) بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعوات وقيل بصلاة المغرب والعشاء و (المشعر الحرام) قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وعليه الميقدة وقيل المشعر الحرام ما بين جبلي المزدلفة من مأزمي عرفة الى وادي محسر وليس المأزمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام والصحيح أنه الجبل لما روى جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى أتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى أسفر وقوله تعالى عند المشعر الحرام معناه مما يلي المشعر الحرام قريبا منه وذلك للفضل كالقرب من جبل الرحمة والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر أو جعلت أعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به عند المشعر والمشعر المعلم لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه نظر الى الناس ليلة جمع فقال لقد أدركت الناس هذه الليلة لا ينامون وقيل سميت المزدلفة وجمعا لان آدم صلوات الله عليه اجتمع فيها مع حواء وازدلف اليها أي دنا منها وعن قتادة لانه يجمع فيها بين الصلاتين ويجوز أن يقال وصفت بفعل أهلها لانهم يزدلفون الى الله أي يتقربون بالوقوف فيها (كما هداكم) ما مصدرية أو كافة والمعنى واذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة أو اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه لا تعدلوا عنه (وان كنتم من قبله) من قبل الهدى (لمن الضالين) الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة (ثم أفيضوا) ثم لتكن افاضتكم (من حيث أفاض الناس) ولا تكن من المزدلفة وذلك لما كان عليه الحمس من الترفع على الناس والتعالي عليهم وتعظمهم عن أن يساووهم في الموقف وقولهم نحن أهل الله وقطان حرمه فلا نخرج منه فيقفون بجمع وسائر الناس بعرفات (فان قلت) فكيف موقع ثم (قلت) نحو موقعها في قولك أحسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم تأتي بثم لتفاوت ما بين الاحسان الى الكريم والاحسان الى غيره وبعد ما بينهما فكذلك حين أمرهم بالذكر عند الافاضة من عرفات قال ثم أفيضوا لتفاوت ما بين الافاضتين وأن احداهما صواب والثانية خطأ وقيل ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس وهم الحمس أي من المزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفات وقرئ من حيث أفاض الناس بكسر السين أي الناسي وهو آدم من قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي يعني أن الافاضة من عرفات شرع قديم فلا تخالفوا عنه (واستغفروا الله) من مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم (فاذا قضيتم مناسككم) أي فاذا فرغتم من عبادتكم الحجية ونفرتم (فاذكروا الله كذكركم آباءكم) فأكثروا ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر آبائكم ومفاخرهم وأيامهم وكانوا اذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل فيعددون فضائل آبائهم ويذكرون محاسن أيامهم (أو أشد ذكرا) في موضع جر عطف على ما أضيف اليه الذكر

فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا

---

* قوله تعالى ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس (قال محمود رحمه الله وذلك لما كان عليه الحمس من الترفع في الجاهلية الخ) قال أحمد رحمه الله وقد اشتملت الآية على نكتتين احداهما عطف الافاضتين احداهما على الاخرى ومرجعهما واحد وهو الافاضة المأمور بها فربما يتوهم متوهم انه من باب عطف الشئ على نفسه فيزال هذا الوهم بأن بينهما من التغاير ما بين العام والخاص والمخبر عنه أولا الافاضة من حيث هي غير مقيدة والمأمور به ثانيا الافاضة مخصوصة بمساواة الناس والثانية بعد وضوح استقامة العطف كونه وقع بحرف المهلة وذلك يستدعي التراخي مضافا الى التغاير وليس بين الافاضة المطلقة والمقيدة تراخ فالجواب غير ذلك ان التراخي كما يكون باعتبار الزمان قد يكون باعتبار علو المرتبة وبعدها في العلو بالنسبة الى غيرها وهو الذي أجاب به بعد مزيد تبسط وايضاح

* قوله تعالى فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا (قال محمود رحمه الله أشد معطوف على ما أضيف اليه الذكر الخ) قال أحمد رحمه الله فعلى الاول يكون أشد واقعا على المذكور المفعول ومثاله على الاول ان يضرب اثنان زيدا مثلا فيقول أيهما أشد ضربا لزيد بوقعه على الضارب ومثال الثاني ان يضرب زيد اثنين مثلا فتقول أيهما أشد ضربا فتوقعه على المضروب وعلى الوجه الاول يكون التفضيل على الفاعل وهو القياس وعلى الثاني يكون التفضيل على المفعول وهو خلاف القياس وقد ذكر الزمخشري في مفصله انه شاذ بقولهم أشغل من ذات النحيين وأنا أسر منك هذا في أمثلة عددها فليت شعري كيف حمل الآية عليه وقد وجد غير ذلك سبيلا وفي الوجهين جميعا يفر من عطف أشد على الذكر الاول لئلا يكون واقعا على

في

الذكر وقد انتصب الذكر تمييزا عنه فيكون الذكر ذاكرا وهو محال لكن أبا الفتح صحح هذا الوجه وألحقه بباب قولهم شعر شاعر وجن
جنونه ونحوه مما بالغت العرب فيه حتى جعلت للصفة صفة مثلها تمكينا لثبوتها ووضح ذلك ان انتصاب الذكر تمييزا يوجب ان لا يقع
أشد عليه ويعين خروجه منه اما ان يقع على الجثة لذاكرة بتأويل جعله ذاكرا على ماصار اليه أبو الفتح أن لو قلت زيدا أكرم أبا لكان
زيد من الابناء ولو قلت زيدا أكرم أب لكان من الآباء ويحتمل عطفه على الذكر على وجها آخر سوى ماذهب اليه أبو الفتح وهو ان
يكون من باب ماذكره سيبويه قال ويقولون هو أشجع الناس رجلا وهما خير الناس اثنين فالمجرور هنا بمنزلة التنوين
وانتصب الرجل والاثنين كما انتصب الوجه في قولك هو أحسن منه وجها ولا يكون الا نكرة ٢٥٧ كما لا تكون الحال الا نكرة والرجل
هو الاسم المبتدأ فانما
أراد بذلك ان هذا ليس
بمنزلة هو أشجع الناس
غلاما فان هذا يجوز ان
يكون غلاما هو الاسم
المبتدأ كما في المثال الاول

فمن الناس من يقول ربنا
آتنا في الدنيا وماله في
الآخرة من خلاق ومنهم
من يقول ربنا آتنا في
الدنيا حسنة وفي الآخرة
حسنة وقنا عذاب النار
أولئك لهم نصيب مما
كسبوا والله سريع
الحساب واذكروا الله في
أيام معدودات فمن تعجل
في يومين فلا اثم عليه
ومن تأخر فلا اثم عليه

في قوله كذكركم كما تقول كذكر قريش آباءهم أو قوم أشد منهم ذكرا أو في موضع نصب عطف على آباءكم
بمعنى أو أشد ذكرا من آبائكم على أن ذكرا من فعل المذكور (فمن الناس من يقول) معناه أكثروا ذكر الله
ودعاءه فان الناس من بين مقل لا يطلب بذكر الله الا اعراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من
المكثرين (آتنا في الدنيا) اجعل ايتاءنا أي اعطاءنا في الدنيا خاصة (وماله في الآخرة من خلاق) أي من
طلب خلاق وهو النصيب أو ماله في الآخرة من نصيب لان همه مقصور على الدنيا * والحسنتان
ماهو طلبة الصالحين في الدنيا من الصحة والكفاف والتوفيق في الخير وطلبتهم في الآخرة من الثواب
وعن علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحور وعذاب النار امرأة السوء
(أولئك) الداعون بالحسنتين (لهم نصيب مما كسبوا) أي نصيب من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة
وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة أو من أجل ما كسبوا كقوله مما خطيئاتهم أغرقوا أولهم نصيب
مما دعوا به نعطيهم منه ما يستوجبونه بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الآخرة وسمى الدعاء كسبا
لانه من الاعمال والاعمال موصوفة بالكسب بما كسبت أيديكم ويجوز أن يكون أولئك للفريقين جميعا
وأن لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا (والله سريع الحساب) يوشك أن يقيم القيامة ويحاسب العباد
فبادروا اكثار الذكر وطلب الآخرة أو وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة
أعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر منه روى أنه يحاسب الخلق في قدر حلب شاة وروى في مقدار
فواق ناقة وروى في مقدار لمحة * الايام المعدودات أيام التشريق وذكر الله فيها التكبير في أدبار الصلوات
وعند الجمار وعن عمر رضي الله عنه أنه كان يكبر في فسطاطه بمنى فيكبر من حوله حتى يكبر الناس في الطريق
وفي الطواف (فمن تعجل) فمن عجل في النفر أو استعجل النفر وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل يقال
تعجل في الامر واستعجل ومتعديين يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة أوفق لقوله ومن تأخر كما هي
كذلك في قوله قد يدرك المتأني بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل
لاجل المتأني (في يومين) بعد يوم النحر يوم القر وهو اليوم الذي يسميه أهل مكة يوم الرؤس واليوم بعده ينفر
اذا فرغ من رمي الجمار كما يفعل الناس اليوم وهو مذهب الشافعي ويروى عن قتادة وعند أبي حنيفة وأصحابه
ينفر قبل طلوع الفجر (ومن تأخر) حتى رمى في اليوم الثالث والرمي في اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزوال
عند أبي حنيفة وعند الشافعي لا يجوز (فان قلت) كيف قال (فلا اثم عليه) عند التعجل والتأخر جميعا (قلت)
دلالة على أن التعجل والتأخر مخير فيهما كأنه قيل فتعجلوا أو تأخروا (فان قلت) أليس التأخر بأفضل (قلت)
بلى ويجوز أن يقع التخيير بين الفاضل والافضل كما خير المسافر بين الصوم والافطار وان كان الصوم أفضل

ويجوز ان يكون غيره
فالآية على هذا الوجه
الذي أوضحته منزلة على
المثال الاول فيكون
ذكرا المنصوب واقعا
على أشد كما كان الرجل
المنصوب واقعا على أشجع
فكأنه قال أو أشد الاذكار

ذكرا وهذه وجوه أربعة كلها مطروقة الا هذا الوجه الذي زدته فان خاطري أبو عذرته كخشية الله أو أشد
خشية ولم أقف على كلام الزمخشري فيها بعد * قوله تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه الآية (قال محمود دل نفي الاثم في الطرفين جميعا
ليدل على التخيير بين الامرين الفاضل والافضل كما خير المسافر بين الصوم والفطر وان كان الصوم أفضل) قال أحمد رحمه الله قوله ان
التخيير يقع بين الفاضل والافضل غير مستقيم فان التخيير يوجب التساوي في غرض المخير وينافي طلب أحد الطرفين والامر به وكيف
يستقيم اجتماع ما يوجب الطلب والترجيح وما يوجب التساوي والتخيير وقد وقع لامام الحرمين قريب من هذا فانه ميز الوجوب من
الندب بان الندب يشتمل على اقتران الامر بخيرة الترك ولا كذلك الوجوب ولم يرضه محققو الفن وانما أخل الزمخشري في تفسيره الآية
فلزمه ذلك السؤال الوارد عليه وبيان عدم التطابق بين تفسيره والآية ان مضمونها نفي الاثم عن الطرفين جميعا وهذا القدر مشترك

وقيل ان أهل الجاهلية كانوا فريقين منهم من جعل المتعجل آثما ومنهم من جعل المتأخر آثما فورد القرآن بنفي المأثم عنهما جميعا (لمن اتقى) أى ذلك التخيير ونفى الاثم عن المتعجل والمتأخر لاجل الحاج المتقى لئلا يتخالج فى قلبه شئ منهما فيحسب أن أحدهما يرهق صاحبه آثاما فى الاقدام عليه لان ذا التقوى حذر متحرز من كل ما يريبه ولانه هو الحاج على الحقيقة عند الله ثم قال (واتقوا الله) ليعبأ بكم ويجوز أن يراد ذلك الذى مر ذكره من أحكام الحج وغيره لمن اتقى لانه هو المنتفع به دون من سواه كقوله ذلك خير للذين يريدون وجه الله (من يعجبك قوله) أى يروقك ويعظم فى قلبك ومنه الشئ العجيب الذى يعظم فى النفس وهو الاخنس بن شريق كان رجلا حلو المنطق اذا لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألان له القول وادعى أنه يحبه وأنه مسلم وقال يعلم الله انى صادق وقيل هو عام فى المنافقين كانت تحلولى ألسنتهم وقلوبهم أمر من الصبر (فان قلت) بم يتعلق قوله (فى الحياة الدنيا) (قلت) بالقول أى يعجبك ما يقوله فى معنى الدنيا لان ادعاءه المحبة بالباطل يطلب به حظا من حظوظ الدنيا ولا يريد به الآخرة كما تراد بالايمان الحقيقى والمحبة الصادقة للرسول فكلامه اذن فى الدنيا لا فى الآخرة ويجوز أن يتعلق بيعجبك أى قوله حلو فصيح فى الدنيا فهو يعجبك ولا يعجبك فى الآخرة لما يرهقه فى الموقف من الحبسة واللكنة أو لانه لا يؤذن له فى الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه (ويشهد الله على ما فى قلبه) أى يحلف ويقول الله شاهد على ما فى قلبى من محبتك ومن الاسلام وقرئ ويشهد الله وفى مصحف أبى ويستشهد الله (وهو ألد الخصام) وهو شديد الجدال والعداوة للمسلمين وقيل كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا وأهلك مواشيهم وأحرق زروعهم والخصام المخاصمة واضافة الالد بمعنى فى كقولهم ثبت الغدر أو جعل الخصام ألد على المبالغة وقيل الخصام جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى وهو أشد الخصوم خصومة (واذا تولى) عنك وذهب بعد الالانة القول واحلاء المنطق (سعى فى الارض ليفسد فيها) كما فعل بثقيف وقيل واذا تولى واذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد فى الارض باهلاك الحرث والنسل وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل على أن الفعل للحرث والنسل والرفع للعطف على سعى وقرأ الحسن بفتح اللام وهى لغة نحو أبى يأبى وروى عنه ويهلك على البناء للمفعول (أخذته العزة بالاثم) من قولك أخذته بكذا اذا حملته عليه وألزمته اياه أى حملته العزة التى فيه وحمية الجاهلية على الاثم الذى ينهى عنه وألزمته ارتكابه وأن لا يخلى عنه ضرارا ولجاجا أو على رد قول الواعظ (يشرى نفسه) يبيعها أى يبذلها فى الجهاد وقيل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل وقيل نزلت فى صهيب بن سنان أراده المشركون على ترك الاسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فقال لهم أنا شيخ كبير ان كنت معكم لم أنفعكم وان كنت عليكم لم أضركم فخلونى وما أنا عليه وخذوا مالى فقبلوا منه ماله وأتى المدينة (والله رؤف بالعباد) حيث كلفهم الجهاد فعرضهم لثواب الشهداء (السلم) بكسر السين وفتحها وقرأ الاعمش بفتح السين واللام وهو الاستسلام والطاعة أى استسلموا لله وأطيعوه (كافة) لا يخرج أحد منكم يده عن طاعته وقيل هو الاسلام والخطاب لاهل الكتاب لانهم آمنوا بنبيهم وكتابهم أو للمنافقين لانهم آمنوا بألسنتهم ويجوز أن يكون كافة حالا من السلم لانها تؤنث كما تؤنث الحرب قال

السلم تأخذ منها ما رضيت به * والحرب يكفيك من أنفاسها جرع

على أن المؤمنين أمروا بأن يدخلوا فى الطاعات كلها وأن لا يدخلوا فى طاعة دون طاعة أو فى شعب الاسلام وشرائعه كلها وأن لا يخلوا بشئ منها وعن عبد الله بن سلام أنه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقيم على السبت وأن يقرأ من التوراة فى صلاته من الليل وكافة من الكف كأنهم كفوا أن يخرج منهم أحد باجتماعهم (فان زللتم) عن الدخول فى السلم (من بعد ما جاءتكم البينات) أى الحجج والشواهد على أن ما دعيتم الى الدخول فيه هو الحق (فاعلموا أن الله عزيز) غالب لا يعجزه الانتقام منكم (حكيم) لا ينتقم الا بحق وروى أن قارئا قرأ غفور رحيم فسمعه اعرابى فأنكره ولم يقرأ القرآن وقال ان كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لانه اغراء عليه وقرأ أبو السمال زللتم بكسر اللام وهما لغتان نحو ظللت

وظللت

لمن اتقى واتقوا الله واعلموا أنكم اليه تحشرون ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤف بالعباد يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم هل ينظرون الا أن يأتيهم الله

بين الندب والكراهة والاباحة لكن بتمييز الندب بترجيح الفعل على الترك وتمييز الكراهة والاباحة بالتخيير بينهما فلا تنافى اذا بين الندب الى التأخير وأنه أفضل وبين نفى الاثم عن تاركه الى التعجيل وحينئذ لا يرد السؤال الذى لزمه فاجاب عنه

*قوله تعالى زين للذين كفروا الحياة الدنيا (قال محمود رحمه الله المزين هو الشيطان الخ) قال أحمد رحمه الله وردت اضافة التزيين الى الله تعالى واضافته الى غيره فى مواضع من الكتاب العزيز وهذه الآية تحتمل الوجهين لكن الاضافة الى قدرة الله تعالى حقيقة والاضافة الى غيره مجاز على قواعد السنة والزمخشري يعمل على عكس هذا فان أضاف الله فعلا من أفعاله الى قدرته جعله مجازا وان أضافه الى بعض مخلوقاته جعله حقيقة وسبب هذا التعكيس اتباع الهوى فى القواعد الفاسدة *قوله تعالى ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا الآية (قال محمود رحمه الله لانهم فى عليين من السماء وهم فى سجين الخ) قال أحمد رحمه الله وهذا من وضع الظاهر موضع المضمر بصفة أخرى ومثله فى كتاب الله كثير قال الله تعالى ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ان الظالمين فى عذاب مقيم وكان الاصل ألا انهم الآية فوضع الظاهر موضع المضمر بصفة أخرى وضمنه ذكر صفة الظلم بتلو صفة الخسران وفى كلام الزمخشري لماح

فى ظلل من الغمام والملائكة وقضى الامر والى الله ترجع الامور سل بنى اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب

وظلات * اتيان الله اتيان أمره وبأسه كقوله أو يأتى أمر ربك فجاءهم بأسنا ويجوز أن يكون المأتى به محذوفا بمعنى أن يأتيهم الله ببأسه أو بنقمته للدلالة عليه بقوله فان الله عزيز (فى ظلل) جمع ظلة وهى ما أظلك وقرئ ظلال وهى جمع ظلة كقلة وقلال أو جمع ظل * وقرئ والملائكة بالرفع كقوله هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة وبالجر عطف على ظلل أو على الغمام (فان قلت) لم يأتيهم العذاب فى الغمام (قلت) لان الغمام مظنة الرحمة فاذا نزل منه العذاب كان الامر أفظع وأهول لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان أغم كما ان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان أسر فكيف اذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث ومن ثمة اشتد على المتفكرين فى كتاب الله قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون (وقضى الامر) وأتم أمر اهلاكهم وتدميرهم وفرغ منه وقرأ معاذ بن جبل رضى الله عنه وقضاء الامر على المصدر المرفوع عطفا على الملائكة * وقرئ ترجع وترجع على البناء للفاعل والمفعول بالتأنيث والتذكير فيهما (سل) أمر للرسول عليه الصلاة والسلام أو لكل أحد وهذا السؤال سؤال تقريع كما تسئل الكفرة يوم القيامة (كم آتيناهم من آية بينة) على أيدى أنبيائهم وهى معجزاتهم أو من آية فى الكتب شاهدة على صحة دين الاسلام * و (نعمة الله) آياته وهى أجل نعمة من الله لانها أسباب الهدى والنجاة من الضلالة وتبديلهم اياها ان الله أظهرها لتكون أسباب هداهم فجعلوها أسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم أو حرفوا آيات الكتب الدالة على دين محمد صلى الله عليه وسلم (فان قلت) كم استفهامية أم خبرية (قلت) تحتمل الامرين ومعنى الاستفهام فيها للتقرير (فان قلت) ما معنى (من بعد ما جاءته) (قلت) معناه من بعد ما تمكن من معرفتها أو عرفها كقوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه لانه اذا لم يتمكن من معرفتها أو لم يعرفها فكأنها غائبة عنه * وقرئ ومن يبدل بالتخفيف * المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها فى أعينهم بوساوسه وحببها اليهم فلا يريدون غيرها ويجوز أن يكون الله قد زينها لهم بأن خذلهم حتى استحسنوها وأحبوها أو جعل امهال المزين له تزيينا ويدل عليه قراءة من قرأ زين للذين كفروا الحياة الدنيا على البناء للفاعل (ويسخرون من الذين آمنوا) كانت الكفرة يسخرون من المؤمنين الذين لا حظ لهم من الدنيا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم أى لا يريدون غيرها وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها أو ممن يطلب غيرها (والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة) لانهم فى عليين من السماء وهم فى سجين من الارض أو حالهم عالية لحالهم لانهم فى كرامة وهم فى هوان أو هم عالون عليهم متطاولون يضحكون منهم كما يتطاول هؤلاء عليهم فى الدنيا ويرون الفضل لهم عليهم فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون (والله يرزق من يشاء بغير حساب) بغير تقدير يعنى أنه يوسع على من توجب الحكمة التوسعة عليه كما وسع على قارون وغيره فهذه التوسعة عليكم من جهة الله لما فيها من الحكمة وهى استدراجكم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان أولياؤه المؤمنون أحق بها منكم (فان قلت) لم قال من الذين آمنوا ثم قال والذين اتقوا (قلت) ليريك أنه لا يسعد عنده الا المؤمن

الى قاعدته فى وجوب وعيد العصاة الا تراه كر بك بقوله انه لا يسعد عنده الا المؤمن التقى اشارة الى أن غير المتقى وهو المصر على الكبائر شقى حتما كهؤلاء الذين يسخرون من الذين آمنوا ومنهم من يتحمل فيقول لانه جعل المؤمن عين المتقى ومقتضى قاعدته الفاسدة أن الايمان يستلزم التقوى حتى لا يفرض مؤمن الا متقيا اذ الايمان فيما فسره هو فى تفسيره هذا وفيما فسره أهل بدعته فى كتبهم هو تصديق الاعتقاد الصحيح والنطق به والعمل الصالح والمخل عندهم بالعمل اما بالاصرار على كبيرة أو بترك مهم من الواجبات فاسق ليس بمؤمن ولا كافر فمقتضى هذا التقرير على ما ترى ان كل مؤمن متق وقد علمت من كلامه على هذه الآية ما يأبى ذلك وينقضه

كان الناس أمة واحدة
فبعث الله النبيين
مبشرين ومنذرين
وأنزل معهم الكتاب
بالحق ليحكم بين الناس
فيما اختلفوا فيه وما
اختلف فيه الا الذين
أوتوه من بعد ما جاءتهم
البينات بغيا بينهم
فهدى الله الذين آمنوا
لما اختلفوا فيه من
الحق باذنه والله يهدى
من يشاء الى صراط
مستقيم أم حسبتم أن
تدخلوا الجنة ولما
يأتكم مثل الذين خلوا
من قبلكم مستهم
البأساء والضراء وزلزلوا
حتى يقول الرسول
والذين آمنوا معه متى
نصر الله الا ان نصر
الله قريب يسئلونك
ماذا ينفقون قل
ما أنفقتم من خير
فللوالدين والاقربين
واليتامى والمساكين
وابن السبيل وما تفعلوا
من خير فان الله به عليم
كتب عليكم القتال وهو
كره لكم وعسى أن
تكرهوا شيأ وهو
خير لكم وعسى أن
تحبوا شيأ وهو شر لكم
والله يعلم وأنتم لا تعلمون
يسئلونك عن الشهر
الحرام قتال فيه قل

الحق وليكون بعثا للمؤمنين على التقوى اذا سمعوا ذلك (كان الناس أمة واحدة) متفقين على دين الاسلام (فبعث الله النبيين) يريد فاختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه عليه وفى قراءة عبد الله كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله والدليل عليه قوله عز وعلا وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا وقيل كان الناس أمة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والاول الوجه (فان قلت) متى كان الناس أمة واحدة متفقين على الحق (قلت) عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان بين آدم وبين نوح عشرة قرون على شريعة من الحق فاختلفوا وقيل هم نوح ومن كان معه فى السفينة (وأنزل معهم الكتاب) يريد الجنس أو مع كل واحد منهم كتابه (ليحكم) الله أو الكتاب أو النبى المنزل عليه (فيما اختلفوا فيه) فى الحق ودين الاسلام الذى اختلفوا فيه بعد الاتفاق (وما اختلف فيه) فى الحق (الا الذين أوتوه) الا الذين أوتوا الكتاب المنزل لازالة الاختلاف أى ازدادوا فى الاختلاف لما أنزل عليهم الكتاب وجعلوا نزول الكتاب سببا فى شدة الاختلاف واستحكامه (بغيا بينهم) حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة انصاف منهم و (من الحق) بيان لما اختلفوا فيه أى فهدى الله الذين آمنوا للحق الذى اختلف فيه من اختلف (أم) منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وانكار الحسبان واستبعاده ولما ذكر ما كانت عليه الامم من الاختلاف على النبيين بعد مجىء البينات تشجيعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين وأهل الكتاب وانكارهم لآياته وعداوتهم له قال لهم على طريقة الالتفات التى هى أبلغ أم حسبتم (ولما) فيها معنى التوقع وهى فى النفى نظيرة قد فى الاثبات والمعنى ان اتيان ذلك متوقع منتظر (مثل الذين خلوا) حالهم التى هى مثل فى الشدة و (مستهم) بيان للمثل وهو استئناف كأن قائلا قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم البأساء (وزلزلوا) وأزعجوا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة بما أصابهم من الاهوال والافزاع (حتى يقول الرسول) الى الغاية التى قال الرسول ومن معه فيها (متى نصر الله) أى بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب الصبر وتمنيه واستطالة زمان الشدة وفى هذه الغاية دليل على تناهى الامر فى الشدة وتماديه فى العظم لان الرسل لا يقادر قدر ثباتهم واصطبارهم وضبطهم لانفسهم فاذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية فى الشدة التى لا مطمع وراءها (ألا ان نصر الله قريب) على ارادة القول يعنى فقيل لهم ذلك اجابة لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وقرئ حتى يقول بالنصب على اضمار أن ومعنى الاستقبال لان أن علم له وبالرفع على أنه فى معنى الحال كقولك شربت الابل حتى يجىء البعير يجر بطنه الا أنها حال ماضية محكية (فان قلت) كيف طابق الجواب السؤال فى قوله (قل ما أنفقتم) وهم قد سألوا عن بيان ما ينفقون وأجيبوا ببيان المصرف (قلت) قد تضمن قوله ما أنفقتم (من خير) بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبنى الكلام على ما هو أهم وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا أن تقع موقعها قال الشاعر ان الصنيعة لا تكون صنيعة * حتى يصاب بها طريق المصنع وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ هم وله مال عظيم فقال ماذا ننفق من أموالنا وأين نضعها فنزلت وعن السدى هى منسوخة بفرض الزكاة وعن الحسن هى فى التطوع (وهو كره لكم) من الكراهة بدليل قوله (وعسى أن تكرهوا شيأ) ثم اما أن يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر موضع الوصف مبالغة كقولها * فانما هى اقبال وادبار * كأنه فى نفسه كراهة لفرط كراهتهم له واما أن يكون فعلا بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز أى وهو مكروه لكم وقرأ السلمى بالفتح على أن يكون بمعنى المضموم كالضعف والضعف ويجوز أن يكون بمعنى الاكراه على طريق المجاز كأنهم أكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم ومنه قوله تعالى حملته أمه كرها ووضعته كرها * وعلى قوله تعالى (وعسى أن تكرهوا شيأ) جميع ما كلفوه فان النفوس تكرهه وتنفر عنه وتحب خلافه (والله يعلم) ما يصلحكم وما هو خير لكم (وأنتم لا تعلمون) ذلك * بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش على سرية فى جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرمى وثلاثة معه فقتلوه وأسروا اثنين واستاقوا العير

* قوله تعالى يسألونك عن الخمر الآية (قال محمود رحمه الله نزلت في الخمر أربع آيات نزلت بمكة الخ) قال أحمد ويظهر لي سر واقع مما ذكره في هذا الغرض وذلك ان السؤال الاول من الاسئلة المقرونة بالواو عين السؤال الاول من الاسئلة المجردة عن الواو ولكن وقع جوابه أولا بالمصرف لانه الاهم وان كان المسؤل عنه انما هو المنفق لا وجه مصرفه ثم لما لم يكن في الجواب الاول تصريح بالمسؤل عنه أعيد السؤال ليجابوا عن المسؤل عنه صريحا فقيل العفو أي الفاضل من النفقة الواجبة على العيال أونحو ذلك حسبما ورد في تفسيره فتعين اذا اقران هذا السؤال بالواو وليرتبط بالاول ويحتمل انهم لما أجيبوا أولا ببيان جهة المصرف ولم يصرح لهم بالجواب على عين المنفق ماهو أعاد السؤال لكي يتلقوا جوابه صريحا فتعين دخول الواو وأما السؤال الثاني من الاسئلة المقرونة بالواو فقد وقع عن أحوالهم مع اليتامى وهل يجوز لهم مخالطتهم في النفقة والكسوة والسكنى وقد كانوا يتحرجون من ذلك في الجاهلية فلما كان مناسبا للسؤال عن الانفاق باعتبار المنفق وباعتبار جهة المصرف عطف عليه ليكمل لهم بيان المشروعية في النفقة (٢٦١) وآدابها الدينية بيانا شافيا لانه قد اجتمع في علمهم ما ينفقون وفيم ينفقون

قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم يسئلونك عن الخمر والميسر قل

وفيها من تجارة الطائف وكان ذلك أول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم العير وعظم ذلك على أصحاب السرية وقالوا مانبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسارى وعن ابن عباس رضي الله عنه لما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة والمعنى يسألك الكفار أو المسلمون عن القتال في الشهر الحرام و(قتال فيه) بدل الاشتمال من الشهر وفي قراءة عبد الله عن قتال فيه على تكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم وقرأ عكرمة قتل فيه قل قتل فيه كبير أي اثم كبير وعن عطاء أنه سئل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله مايحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام الا أن يقاتلوا فيه ومانسخت وأكثر الاقاويل على أنها منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (وصد عن سبيل الله) مبتدأ و أكبر خبره يعني وكبائر قريش من صدهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وكفرهم بالله واخراج أهل المسجد الحرام وهم رسول الله والمؤمنون (أكبر عند الله) مما فعلته السرية من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطا والبناء على الظن (والفتنة) الاخراج أو الشرك * والمسجد الحرام عطف على سبيل الله ولا يجوز أن يعطف على الهاء في به (ولا يزالون يقاتلونكم) اخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وأنهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى معناها التعليل كقولك فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة أي يقاتلونكم كي يردوكم و(ان استطاعوا) استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا تبق علي وهو واثق بانه لا يظفر به (ومن يرتدد منكم) ومن يرجع عن دينه الى دينهم ويطاوعهم على رده اليه (فيمت) على الردة (فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) لما يفوتهم باحداث الردة مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات الاسلام وباستدامتها والموت عليها من ثواب الآخرة وبها احتج الشافعي على أن الردة لاتحبط الاعمال حتى يموت عليها وعند أبي حنيفة أنها تحبطها وان رجع مسلما (ان الذين آمنوا والذين هاجروا) روى أن عبد الله بن جحش وأصحابه حين قتلوا الحضرمي ظن قوم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم أجر فنزلت (أولئك يرجون رحمة الله) وعن قتادة هؤلاء خيار هذه الامة ثم جعلهم الله أهل رجاء كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف هرب نزلت في الخمر اربع آيات نزلت بمكة ومن

وعلى أي حالة ينفقون من مخالطة اليتيم والانفراد عنه وأما السؤال الثالث منها وهو الواقع عن النساء الحيض فقد ورد انهم في الجاهلية كانوا يعتزلون الحيض في المؤاكلة والمساكنة يقصدون في ذلك التالهم وقد سألوا السؤال المذكور كما كانوا يعتزلون اليتامى في المساكنة والمؤاكلة تحرجا جاهليا وكان بين هذين السؤالين تناسب كما ترى فحسن أن يعطف الآخر على ماقبله تنبيها على مابينهما من المشاكلة والله أعلم واذا اعتبرت الاسئلة المجردة عن الواو لم تجد بينها مداناة ولا مناسبة البتة اذ الاول منها عن النفقة والثاني عن القتال في الشهر الحرام والثالث عن الخمر والميسر فبين هذه الاسئلة من التباين والتقاطع مالا يخفى فذكرت كذلك مرسلة متعاطفة غير مربوطة بعضها ببعض فتنبه لهذا السر فانه بديع لاتجده يراعى الا في الكتاب العزيز لاستيلائه على اسرار البلاغة ونكت الفصاحة ولا تستفاد منه الا بالتنقيب في صناعة البيان وعلم اللسان وقد اشتمل جواب الزمخشري المقدم على وهم أنبه عليه وذلك أنه قال الاسئلة الثلاثة الاخيرة وقعت في وقت واحد وكانت في حكم السؤال الواحد فربط بعضها ببعض بالواو وهذا يقتضي كما ترى أن يقترن السؤال الثاني والثالث بالواو خاصة دون الاول اذ الواو انما يربط مابعدها بما قبلها فاقترانها بالاول لا يربطه بالثاني وانما يربطه بما قبله وعلى هذا تكون الاسئلة التي وقعت في وقت واحد أربعة

ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ثم أن عمر ومعاذا ونفرا
من الصحابة قالوا يارسول الله أفتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت (فيهما اثم كبير ومنافع للناس)
فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فأم بعضهم فقرأ قل يا أيها
الكافرون أعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك قوما
فيهم سعد بن أبي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى أنشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه أنصاري
بلحي بعير فشجه موضحة فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت
انما الخمر والميسر الى قوله فهل أنتم منتهون فقال عمر رضي الله عنه انتهينا يارب. وعن علي رضي الله عنه لو وقعت
قطرة في بئر فبنيت مكانها منارة لم أؤذن عليها ولو وقعت في بحر ثم جف ونبت فيه الكلأ لم أرعه وعن ابن عمر
رضي الله عنهما لو أدخلت اصبعي فيه لم تتبعني وهذا هو الايمان حقا وهم الذين اتقوا الله حق تقاته والخمر
ما غلا واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب وهو حرام وكذلك نقيع الزبيب أو التمر الذي لم يطبخ فان طبخ حتى
ذهب ثلثاه ثم غلا واشتد ذهب خبثه ونصيب الشيطان وحل شربه ما دون السكر اذا لم يقصد بشربه اللهو
والطرب عند أبي حنيفة وعن بعض أصحابه لان أقول مرارا هو حلال أحب الي من أن أقول مرة هو حرام
ولأن أخر من السماء فأتقطع قطعا أحب الي من أن أتناول منه قطرة وعند أكثر الفقهاء هو حرام كالخمر
وكذلك كل ما أسكر من كل شراب وسميت خمرا لتغطيتها العقل والتمييز كما سميت سكرا لانها تسكرهما أي
تحجزهما وكأنها سميت بالمصدر من خمره خمرا اذا ستره للمبالغة * والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد
والمرجع من فعلهما يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه من اليسر لانه أخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كد
ولا تعب أو من اليسار لانه سلب يساره وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان الرجل في الجاهلية يخاطر على
أهله وماله قال * أقول لهم بالشعب اذ ييسرونني * أي يفعلون بي ما يفعل الياسرون بالميسور (فان قلت)
كيف صفة الميسر (قلت) كانت لهم عشرة أقداح وهي الأزلام والأقلام والفذ والتوأم والرقيب والحلس
والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها
ويجزئونها عشرة أجزاء وقيل ثمانية وعشرين الا الثلاثة وهي المنيح والسفيح والوغد ولبعضهم

لي في الدنيا سهام * ليس فيهن ربيح * وأساميهن وغد * وسفيح ومنيح

للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلاثة وللحلس أربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها
في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا منها
فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء أخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب له
لم يأخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك
ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم وفي حكم الميسر أنواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبي
صلى الله عليه وسلم اياكم وهاتين اللعبتين المشؤومتين فانهما من ميسر العجم وعن علي رضي الله عنه أن النرد
والشطرنج من الميسر وعن ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر والمعنى يسألونك عما في تعاطيهما
بدليل قوله تعالى قل فيهما اثم كبير (واثمهما) وعقاب الاثم في تعاطيهما (أكبر من نفعهما) وهو الالتذاذ بشرب
الخمر والقمار والطرب فيهما والتوصل بهما الى مصادقات الفتيان ومعاشرتهم والنيل من مطاعمهم
ومشاربهم وأعطياتهم وسلب الاموال بالقمار والافتخار على الابرام وقرئ اثم كثير بالثاء وفي قراءة أبي
واثمهما أقرب ومعنى الكثرة أن أصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الآثام من وجوه كثيرة (العفو) نقيض
الجهد وهو أن ينفق ما لا يبلغ انفاقه منه الجهد واستفراغ الوسع قال * خذي العفو مني تستديمي مودتي *
ويقال للأرض السهلة العفو وقرئ بالرفع والنصب وعن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا أتاه ببيضة من
ذهب أصابها في بعض المغازي فقال خذها مني صدقة فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه من
الجانب الايمن فقال مثله فأعرض عنه ثم أتاه من الجانب الايسر فأعرض عنه فقال هاتها مغضبا فأخذها

فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون

أسئلة لا ثلاثة خاصة وقد قال أن الاسئلة المرتبطة الواقعة في وقت واحد هي الثلاثة الاخيرة فهو واهم بلا شك وكل مأخوذ من قوله ومتروك الا المعصوم

تخذفه بها خذفا لو أصابه لشجه أو عقره ثم قال يجيء أحدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى (في الدنيا والآخرة) اما أن يتعلق بتتفكرون فيكون المعنى لعلكم تتفكرون فيما يتعلق بالدارين فتأخذون بما هو أصلح لكم كما بينت لكم أن العفو أصلح من الجهد في النفقة أو تتفكرون في الدارين فتؤثرون أبقاهما وأكثرهما منافع ويجوز أن يكون اشارة الى قوله واثمهما أكبر من نفعهما لتتفكروا في عقاب الاثم في الآخرة والنفع في الدنيا حتى لا تختاروا النفع العاجل على النجاة من العقاب العظيم واما أن يتعلق بيبين على معنى يبين لكم الآيات في امر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون ولما نزلت ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى وتحاموهم وتركوا مخالطتهم والقيام بأموالهم والاهتمام بمصالحهم فشق ذلك عليهم وكاد يوقعهم في الحرج فقيل (اصلاح لهم خير) أي مداخلتهم على وجه الاصلاح لهم ولاموالهم خير من مجانبتهم (وان تخالطوهم) وتعاشروهم ولم تجانبوهم (ف) هم (اخوانكم) في الدين ومن حق الاخ أن يخالط أخاه وقد حملت المخالطة على المصاهرة (والله يعلم المفسد من المصلح) أي لا يخفى على الله من داخلهم بافساد واصلاح فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير الاصلاح (ولو شاء الله لاعنتكم) لحملكم على العنت وهو المشقة وأحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم وقرأ طاوس قل اصلاح اليهم ومعناه ايصال الصلاح وقرئ لعنتكم بطرح الهمزة والقاء حركتها على اللام وكذلك فلا اثم عليه (ان الله عزيز) غالب يقدر على ان يعنت عباده ويحرجهم ولكنه (حكيم) لا يكلف الا ما تتسع فيه طاقتهم (ولا تنكحوا) وقرئ بضم التاء أي لا تتزوجوهن أو لا تزوجوهن و (المشركات) الحربيات والآية ثابتة وقيل المشركات الحربيات والكتابيات جميعا لان أهل الكتاب من أهل الشرك لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله تعالى سبحانه عما يشركون وهي منسوخة بقوله تعالى والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وسورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ منها شيء قط وهو قول ابن عباس والاوزاعي وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن أبي مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان يهوى امرأة في الجاهلية اسمها عناق فأتته وقالت ألا تخلو فقال ويحك ان الاسلام قد حال بيننا فقالت فهل لك أن تتزوج بي قال نعم ولكن أرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمره فاستأمره فنزلت (ولأمة مؤمنة خير) ولامرأة مؤمنة حرة كانت أو مملوكة وكذلك ولعبد مؤمن لان الناس كلهم عبيد الله واماؤه (ولو أعجبتكم) ولو كان الحال أن المشركة تعجبكم وتحبونها فان المؤمنة خير منها مع ذلك (أولئك) اشارة الى المشركات والمشركين أي يدعون الى الكفر فحقهم أن لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون بينهم وبين المؤمنين الا المناصبة والقتال (والله يدعو الى الجنة) يعني وأولياء الله وهم المؤمنون يدعون الى الجنة (والمغفرة) وما يوصل اليهما فهم الذين موالاتهم تجب ومصاهرتهم وأن يؤثروا على غيرهم (باذنه) بتيسير الله وتوفيقه للعمل الذي تستحق به الجنة والمغفرة وقرأ الحسن والمغفرة باذنه بالرفع أي والمغفرة حاصلة بتيسيره المحيض مصدر يقال حاضت محيضا كقولك جاء مجيئا وبات مبيتا (قل هو أذى) أي الحيض شيء يستقذر ويؤذي من يقربه نفرة منه وكراهة له (فاعتزلوا النساء) فاجتنبوهن يعني فاجتنبوا مجامعتهن روي أن أهل الجاهلية كانوا اذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فرش ولم يساكنوها في بيت كفعل اليهود والمجوس فلما نزلت أخذ المسلمون بظاهر اعتزالهن فأخرجوهن من بيوتهم فقال ناس من الاعراب يارسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان آثرناهن بالثياب هلك سائر أهل البيت وان استأثرنا بها هلكت الحيض فقال عليه الصلاة والسلام انما أمرتم أن تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يعتزلونهن في كل شيء فأمر الله بالاقتصاد بين الامرين وبين الفقهاء خلاف في الاعتزال فأبو حنيفة وأبو يوسف يوجبان اعتزال ما اشتمل عليه الازار ومحمد بن الحسن لا يوجب الا اعتزال الفرج وروى محمد حديث عائشة رضي الله عنها أن عبد الله بن عمر سألها هل يباشر الرجل امرأته وهي حائض فقالت تشد ازارها على سفلتها ثم ليباشرها

في الدنيا والآخرة ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لاعنتكم ان الله عزيز حكيم ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون الى النار والله يدعوا الى الجنة والمغفرة باذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون ويسئلونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فأتوهن

ان شاء وما روى زيد بن أسلم أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم ما يحل لى من امرأتى وهى حائض قال لتشد عليها ازارها ثم شأنك بأعلاها ثم قال وهذا قول أبى حنيفة وقد جاء ما هو أرخص من هذا عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت يجتنب شعار الدم وله ما سوى ذلك * وقرئ يطهرن بالتشديد أى يتطهرن بدليل قوله فاذا تطهرن وقرأ عبد الله حتى يتطهرن ويطهرن بالتخفيف والتطهر الاغتسال والطهر انقطاع دم الحيض وكلتا القراءتين مما يجب العمل به فذهب أبو حنيفة الى أن له أن يقربها فى أكثر الحيض بعد انقطاع الدم وان لم تغتسل وفى أقل الحيض لا يقربها حتى تغتسل أو يمضى عليها وقت صلاة وذهب الشافعى الى أنه لا يقربها حتى تطهر وتطهر فتجمع بين الامرين وهو قول واضح ويعضده قوله فاذا تطهرن (من حيث أمركم الله) من المأتى الذى أمركم الله به وحلله لكم وهو القبل (ان الله يحب التوابين) مما عسى يندر منهم من ارتكاب ما نهوا عنه من ذلك (ويحب المتطهرين) المتنزهين عن الفواحش أو ان الله يحب التوابين الذين يطهرون أنفسهم بطهرة التوبة من كل ذنب ويحب المتطهرين من جميع الاقذار كمجامعة الحائض والطاهر قبل الغسل واتيان ما ليس بمباح وغير ذلك (حرث لكم) مواضع حرث لكم وهذا مجاز شبههن بالمحارث تشبيها لما يلقى فى أرحامهن من النطف التى منها النسل بالبذور وقوله (فأتوا حرثكم أنى شئتم) تمثيل أى فأتوهن كما تأتون أراضيكم التى تريدون أن تحرثوها من أى جهة شئتم لا تحظر عليكم جهة دون جهة والمعنى جامعوهن من أى شق أردتم بعد أن يكون المأتى واحدا وهو موضع الحرث وقوله هو أذى فاعتزلوا النساء من حيث أمركم الله فأتوا حرثكم أنى شئتم من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة وهذه وأشباهها فى كلام الله آداب حسنة على المؤمنين أن يتعلموها ويتأدبوا بها ويتكلفوا مثلها فى محاوراتهم ومكاتباتهم وروى أن اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته وهى مجبية من دبرها فى قبلها كان ولدها أحول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كذبت اليهود ونزلت (وقدموا لانفسكم) ما يجب تقديمه من الاعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتكم عنه وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطء (واتقوا الله) فلا تجترئوا على المناهى (واعلموا أنكم ملاقوه) فتزودوا ما لا تفتضحون به (وبشر المؤمنين) المستوجبين المدح والتعظيم بترك القبائح وفعل الحسنات (فان قلت) ما موقع قوله نساؤكم حرث لكم مما قبله (قلت) موقعه موقع البيان والتوضيح لقوله فأتوهن من حيث أمركم الله يعنى أن المأتى الذى أمركم الله به هو مكان الحرث ترجمة له وتفسيرا وازالة للشبهة ودلالة على أن الغرض الاصيل فى الاتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فلا تأتوهن الا من المأتى الذى يتعلق به هذا الغرض (فان قلت) ما بال يسألونك جاء بغير واو ثلاث مرات ثم مع الواو ثلاثا (قلت) كان سؤالهم عن تلك الحوادث الاول وقع فى أحوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لان كل واحد من السؤالات سؤال مبتدأ وسألوا عن الحوادث الاخر فى وقت واحد فجئ بحرف الجمع لذلك كأنه قيل يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن الانفاق والسؤال عن كذا وكذا * العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة وهى اسم ما تعرضه دون الشئ من عرض العود على الاناء فيعترض دونه ويصير حاجزا ومانعا منه تقول فلان عرضة دون الخير والعرضة أيضا المعرض للامر قال * فلا تجعلونى عرضة للوائم * ومعنى الآية على الاولى أن الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم أو اصلاح ذات بين أو احسان الى أحد أو عبادة ثم يقول أخاف الله أن أحنث فى يمينى فيترك البر ارادة البر فى يمينه فقيل لهم (ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم) أى حاجزا لما حلفتم عليه وسمى المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين كما قال النبى صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذى هو خير وكفر عن يمينك أى على شئ مما يحلف عليه وقوله (أن تبروا وتتقوا وتصلحوا) عطف بيان لايمانكم أى للامور المحلوف عليها التى هى البر والتقوى والاصلاح بين الناس (فان قلت) بم تعلقت اللام فى لايمانكم (قلت) بالفعل أى ولا تجعلوا الله لايمانكم برزخا وحجازا ويجوز أن يتعلق بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض بمعنى لا تجعلوه شيأ يعترض البر من اعترضنى كذا ويجوز أن يكون اللام للتعليل ويتعلق به أن تبروا بالفعل أو بالعرضة أى ولا تجعلوا الله لاجل أيمانكم به عرضة لان تبروا ومعناها على الاخرى ولا تجعلوا الله

من حيث أمركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لانفسكم واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم

معرضا

* قوله تعالى للذين يؤلون من نسائهم الآية (قال محمود رحمه الله وحكم ذلك انه اذا فاء اليها في المدة الخ) قال أحمد رحمه الله وهذا التفسير منزل على مذهب أبي حنيفة لانه لا يرى الفيئة بعد انقضاء الاربعة الاشهر مقيدة اذا وقع الطلاق بنفس مضيها فلا تكون الفيئة معتبرة عنده الا في أربعة الاشهر خاصة (قال محمود رحمه الله فان قلت كيف موقع الفاء اذا كانت الفيئة قبل انقضاء مدة التربص الخ) قال أحمد رحمه الله هذا جواب عن سؤال موجه على أبي حنيفة رضي الله عنه لانه اذا رأى الفيئة في الاشهر الاربعة خاصة لا فيما بعدها والله تعالى عطف الفيئة على تربص أربعة أشهر بالفاء ومقتضاها كما علمت وقوع ما عطفه بعد ما عطفه عليه فيلزم وقوع الفيئة المعتبرة بعد انقضاء الاشهر الاربعة وأبو حنيفة يأباه فلذلك أجاب عنه الزمخشري بجوابه المتقدم والسؤال (٢٦٥) عندي يندفع بطريق آخر

معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم من أنزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين بأشنع المذام وجعل الحلاف مقدمتها وأن تبروا علة للنهي أي ارادة أن تبروا وتتقوا وتصلحوا لان الحلاف مجترئ على الله غير معظم له فلا يكون برا متقيا ولا يثق به الناس فلا يدخلونه في وساطاتهم واصلاح ذات بينهم * اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولذلك قيل لما لا يعتد به في الدية من أولاد الابل لغو واللغو من اليمين الساقط الذي لا يعتد به في الايمان وهو الذي لا عقد معه والدليل عليه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما كسبت قلوبكم واختلف الفقهاء فيه فعند أبي حنيفة وأصحابه هو أن يحلف على الشئ يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه وعند الشافعي هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف ولو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد الحرام لانكر ذلك ولعله قال لا والله ألف مرة وفيه معنيان أحدهما لا يؤاخذكم أي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه أحدكم بالظن ولكن يعاقبكم بما كسبت قلوبكم أي اقترفته من اثم القصد الى الكذب في اليمين وهو أن يحلف على ما يعلم أنه خلاف ما يقوله وهي اليمين الغموس والثاني لا يؤاخذكم أي لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذي لا قصد معه ولكن يلزمكم الكفارة بما كسبت قلوبكم أي بما نوت قلوبكم وقصدت من الايمان ولم يكن كسب اللسان وحده (والله غفور حليم) حيث لم يؤاخذكم باللغو في أيمانكم * قرأ عبد الله آلوا من نسائهم وقرأ ابن عباس يقسمون من نسائهم (فان قلت) كيف عدي بمن وهو معدى بعلى (قلت) قد ضمن في هذا القسم المخصوص معنى البعد فكأنه قيل يبعدون من نسائهم مؤلين أو مقسمين ويجوز أن يراد لهم (من نسائهم تربص أربعة أشهر) كقوله لي منك كذا والايلاء من المرأة أن يقول والله لا أقربك أربعة أشهر فصاعدا على التقييد بالاشهر أو لا أقربك على الاطلاق ولا يكون فيما دون أربعة أشهر الا ما يحكى عن ابراهيم النخعي وحكم ذلك أنه اذا فاء اليها في المدة بالوطء ان أمكنه أو بالقول ان عجز صح الفيء وحنث القادر ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وان مضت الاربعة بانت بتطليقة عند أبي حنيفة وعند الشافعي لا يصح الايلاء الا في أكثر من أربعة أشهر ثم يوقف المولي فاما أن يفيء واما أن يطلق وان أبى طلق عليه الحاكم ومعنى قوله (فان فاؤا) فان فاؤا في الاشهر بدليل قراءة عبد الله فان فاؤا فيهن (فان الله غفور رحيم) يغفر للمولين ما عسى يقدمون عليه من طلب ضرار النساء بالايلاء وهو الغالب وان كان يجوز أن يكون على رضا منهن اشفاقا منهن على الولد من الغيل أو لبعض الاسباب لاجل الفيئة التي هي مثل التوبة (وان عزموا الطلاق) فتربصوا الى مضي المدة (فان الله سميع عليم) وعيد على اصرارهم وتركهم الفيئة وعلى قول الشافعي رحمه الله معناه فان فاؤا وان عزموا بعد مضي المدة (فان قلت) كيف موقع الفاء اذا كانت الفيئة قبل انتهاء مدة التربص (قلت) موقع صحيح لان قوله فان فاؤا وان عزموا تفصيل لقوله للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل يعقب المفصل كما تقول أنا نزيلكم هذا الشهر فان أحمدتكم أقمت عندكم الى آخره والا لم أقم الا ريثما أتحول (فان قلت) ما تقول في قوله فان الله

وهو ان المعطوف عليه التربص وهو حاصل من أول المدة فوقوع الفيئة في المدة بعد التربص فلا يحتاج الى الجواب بالمثال المذكور وانما أوقع الزمخشري في التزام السؤال تسليمه لتقدم الفيئة في الاربعة الاشهر على تربصها بناء منه على أنه لا يصدق قول القائل قد تربصت بفلان أربعة أشهر الا اذا انقضت المدة وليس

والله غفور حليم للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فان فاؤا فان الله غفور رحيم وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم

الامر كذلك فانه يصدق من الحاكم أن يقول عند ضرب أجل المولي قد تربصت لك أربعة أشهر كما قال الله تعالى لينظر أيفي أم لا ويصدق رب الدين في أن يقول لمدينه حالة

القرض قد أجلتك بهذا الدين سنة وان كان المقتضى منها حينئذ دقيقة واحدة فلذلك التربص المعطوف عليه في الآية واقع عند ضرب الاجل المذكور والفيئة الواقعة في الاجل انما يقع بعده فالفاء على بابها المعروف (قال محمود رحمه الله فان قلت ما القول في قوله فان الله سميع عليم الخ) قال أحمد رحمه الله في هذا الجواب اسلاف جواب عن سؤال آخر يتوجه على أبي حنيفة رضي الله عنه فيقال له اذا كان مضي الاربعة الاشهر يوجب عندك وقوع الطلاق بنفسه غير موقوف على ايقاع من أحد فما الذي يسمع اذا وهو أمكن من السؤال الذي قدره الزمخشري فان لقائل أن يقول عبر بالعزم عن الايقاع لانه يستلزمه غالبا وفي اثناء كلامه نكتة

سميع عليم وعزمهم الطلاق مما يعلم ولا يسمع (قلت) الغالب أن العازم للطلاق وترك الفيئة والضرار لا يخلو من مقاولة ودمدمة ولا بد له من أن يحدث نفسه ويناجيها بذلك وذلك حديث لا يسمعه الا الله كما يسمع وسوسة الشيطان (والمطلقات) أراد المدخول بهن من ذوات الاقراء (فان قلت) كيف جازت ارادتهن خاصة واللفظ يقتضي العموم (قلت) بل اللفظ مطلق في تناول الجنس صالح لكله وبعضه فجاء في أحد ما يصلح له كالاسم المشترك (فان قلت) فما معنى الاخبار عنهن بالتربص (قلت) هو خبر في معنى الامر وأصل الكلام وليتربص المطلقات واخراج الامر في صورة الخبر تأكيد للامر واشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكأنهن امتثلن الامر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا ونحوه قولهم في الدعاء رحمك الله أخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة كأنما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها وبناؤه على المبتدا مما زاده أيضا فضل تأكيد ولو قيل ويتربص المطلقات لم يكن بتلك الوكادة (فان قلت) هلا قيل يتربصن ثلاثة قروء كما قيل تربص أربعة أشهر وما معنى ذكر الانفس (قلت) في ذكر الانفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث لان فيه ما يستنكفن منه فيحملهن على أن يتربصن وذلك أن أنفس النساء طوامح الى الرجال فأمرن أن يقمعن أنفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص * والقروء جمع قرء أو قرء وهو الحيض بدليل قوله عليه الصلاة والسلام دعي الصلاة أيام أقرائك وقوله طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان ولم يقل طوران وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر فأقام الاشهر مقام الحيض دون الاطهار ولان الغرض الاصيل في العدة استبراء الرحم والحيض هو الذي تستبرأ به الارحام دون الطهر ولذلك كان الاستبراء من الامة بالحيضة ويقال أقرأت المرأة اذا حاضت وامرأة مقرئ وقال أبو عمرو بن العلاء دفع فلان جاريته الى فلانة تقرئها أي تمسكها عندها حتى تحيض للاستبراء (فان قلت) فما تقول في قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن والطلاق الشرعي انما هو في الطهر (قلت) معناه مستقبلات لعدتهن كما تقول لقيته لثلاث بقين من الشهر تريد مستقبلا الثلاث وعدتهن الحيض الثلاث (فان قلت) فما تقول في قول الاعشى * لما ضاع فيها من قروء نسائكا * (قلت) أراد لما ضاع فيها من عدة نسائك لشهرة القروء عندهم في الاعتداد بهن أي من مدة طويلة كالمدة التي تعتد فيها النساء استطال مدة غيبته عن أهله كل عام لاقتحامه في الحروب والغارات وأنه تمر على نسائه مدة كمدة العدة ضائعة لا يضاجعن فيها أو أراد من أوقات نسائك فان القرء والقارئ جاآ في معنى الوقت ولم يرد لا حيضا ولا طهرا (فان قلت) فعلام انتصب ثلاثة قروء (قلت) على أنه مفعول به كقولك المحتكر يتربص الغلاء أي يتربصن مضي ثلاثة قروء أو على أنه ظرف أي يتربصن مدة ثلاثة قروء (فان قلت) لم جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الاقراء (قلت) يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الآخر لاشتراكهما في الجمعية ألا ترى الى قوله بأنفسهن وما هي الا نفوس كثيرة ولعل القروء كانت أكثر استعمالا في جمع قرء من الاقراء فأوثر عليه تنزيلا لقليل الاستعمال منزلة المهمل فيكون مثل قولهم ثلاثة شسوع وقرأ الزهري ثلاثة قرو بغير همزة (ما خلق الله في أرحامهن) من الولد أو من دم الحيض وذلك اذا أرادت المرأة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها أن تضع ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها أو كتمت حيضها وقالت وهي حائض قد طهرت استعجالا للطلاق ويجوز أن يراد اللاتي يبغين اسقاط ما في بطونهن من الاجنة فلا يعترفن به ويجحدنه لذلك فجعل كتمان ما في أرحامهن كناية عن اسقاطه (ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر) تعظيم لفعلهن وأن من آمن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم * والبعولة جمع بعل والتاء لاحقة لتأنيث الجمع كما في الحزونة والسهولة ويجوز أن يراد بالبعولة المصدر من قولك بعل حسن البعولة يعني وأهل بعولتهن (أحق بردهن)

والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن أحق بردهن

تحتاج الى التنبيه عنده قوله والعزم مما يعلم ولا يسمع والذي نبه عليه ان قاعدة أهل السنة ان كل موجود يجوز أن يسمع حتى الجواهر والالوان والمعاني بجملتها وكذلك يعتقدان موسى عليه السلام سمع الكلام القديم وليس بحرف ولا صوت فلا يتوقف السمع عندهم على أن يكون المسموع صوتا ولا نطقا غير أن المعتاد انقسام الموجودات الى مسموع ومرئي وملموس ومشموم ومذوق وهو المعلوم بالحس والى معلوم بغير ذلك وعلى هذا المعتاد جرت عادة خطاب الله تعالى لعبده وان كان الزمخشري نابتا فيما قاله على الامر العرفي معتقدا ما ذكرناه من حيث المعروف وما وراء كذلك فالامر سهل وان كان أخرج كلامه المذكور على قاعدة الاعتزال وهو الظاهر من حاله في اعتقاد أن ما عدا الاصوات لا يجوز أن يسمع عقلا فالحذر الحذر من هذه القاعدة الفاسدة والله المستعان ثم لا بد لنا في مسئلة الايلاء من البصر لما يعتقده من مذهب مالك رضي الله عنه ومذهب مالك رضي الله عنه هو الذي اقتفاه الشافعي رضي الله عنه في المسئلة فنقول مضي أربعة الاشهر بمجرده لا يوجب وقوع الطلاق على الزوج لان الاصل بقاء العصمة وقد جعل الله له الفيئة بعد تربص الاجل المذكور وضمن وان بينا أولا ان الآية يرجحن

برجعتهن وفى قراءة أبى بردتهن (فى ذلك) فى مدة التربص (فان قلت) كيف جعلوا أحق بالرجعة كأن للنساء حقا فيها (قلت) المعنى أن الرجل ان أراد الرجعة وأبتها المرأة وجب ايثار قوله على قولها وكان هو أحق منها لا أن لها حقا فى الرجعة (ان أرادوا) بالرجعة (اصلاحا) لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن ولم يريدوا مضارتهن (ولهن مثل الذى عليهن) ويجب لهن من الحق على الرجال مثل الذى يجب لهم عليهن (بالمعروف) بالوجه الذى لا ينكر فى الشرع وعادات الناس فلا يكلفنهم ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم ولا يعنف أحد الزوجين صاحبه والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب فى كونه حسنة لا فى جنس الفعل فلا يجب عليه اذا غسلت ثيابه أو خبزت له أن يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال (درجة) زيادة فى الحق وفضيلة قيل المرأة تنال من اللذة ما ينال الرجل وله الفضيلة بقيامه عليها وانفاقه فى مصالحها (الطلاق) بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم أى التطليق الشرعى تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله ثم ارجع البصر كرتين أى كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين ونحو ذلك من التثانى التى يراد بها التكرير قولهم لبيك وسعديك وحنانيك وهذاذيك ودواليك * وقوله تعالى (فامساك بمعروف أو تسريح باحسان) تخيير لهم بعد أن علمهم كيف يطلقون بين أن يمسكوا النساء بحسن العشرة والقيام بمواجبهن وبين أن يسرحوهن السراح الجميل الذى علمهم وقيل معناه الطلاق الرجعى مرتان لانه لا رجعة بعد الثلاث فامساك بمعروف أى برجعة أو تسريح باحسان أى بان لا يراجعها حتى تبين بالعدة أو بان لا يراجعها مراجعة يريد بها تطويل العدة عليها وضرارها وقيل بان يطلقها الثالثة فى الطهر الثالث وروى أن سائلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أين الثالثة فقال عليه الصلاة والسلام أو تسريح باحسان وعند أبى حنيفة وأصحابه الجمع بين التطليقتين والثلاث بدعة والسنة أن لا يوقع عليها الا واحدة فى طهر لم يجامعها فيه لما روى فى حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له انما السنة أن تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها لكل قرء تطليقة وعند الشافعى لا بأس بارسال الثلاث لحديث العجلانى الذى لاعن امرأته فطلقها ثلاثا بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليه * وروى أن جميلة بنت عبد الله بن أبى كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله لا أنا ولا ثابت لا يجمع رأسى ورأسه شئ والله ما أعيب عليه فى دين ولا خلق ولكنى أكره الكفر فى الاسلام ما أطيقه بغضا انى رفعت جانب الخباء فرأيته أقبل فى عدة فاذا هو أشدهم سوادا وأقصرهم قامة وأقبحهم وجها فنزلت وكان قد أصدقها حديقة فاختلعت منه بها وهو أول خلع كان فى الاسلام (فان قلت) لمن الخطاب فى قوله (ولا يحل لكم أن تأخذوا) ان قلت للازواج لم يطابقه قوله فان خفتم ألا يقيما حدود الله وان قلت للائمة والحكام فهؤلاء ليسوا بآخذين منهن ولا بمؤتيهن (قلت) يجوز الامران جميعا أن يكون أول الخطاب للازواج وآخره للائمة والحكام ونحو ذلك غير عزيز فى القرآن وغيره وأن يكون الخطاب كله للائمة والحكام لانهم الذين يأمرون بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكأنهم الآخذون والمؤتون (مما آتيتموهن) مما أعطيتموهن من الصدقات (الا أن يخافا ألا يقيما حدود الله) الا أن يخاف الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية لما يحدث من نشوز المرأة وسوء خلقها (فلا جناح عليهما) فلا جناح على الرجل فيما أخذ ولا عليها فيما أعطت (فيما افتدت به) فيما افتدت به نفسها واختلعت به من بذل ما أوتيت من المهر والخلع بالزيادة على المهر مكروه وهو جائز فى الحكم وروى أن امرأة نشزت على زوجها فرفعت الى عمر رضى الله عنه فأباتها فى بيت الزبل ثلاث ليال ثم دعاها فقال كيف وجدت مبيتك قالت ما بت منذ كنت عنده أقر لعينى منهن فقال لزوجها اخلعها ولو بقرطها قال قتادة يعنى بمالها كله هذا اذا كان النشوز منها فان كان منه كره له أن يأخذ منها شيأ * وقرئ الا أن يخافا على البناء للمفعول وابدال أن لا يقيما من ألف الضمير وهو من بدل الاشتمال كقولك خيف زيد تركه اقامة حدود الله ونحوه وأسروا النجوى الذين ظلموا ويعضده قراءة عبد الله الا أن تخافوا وفى قراءة أبى الا أن يظنا ويجوز أن يكون الخوف بمعنى

فى ذلك ان أرادوا اصلاحا ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيأ الا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون فان

لا تأبى وقوع الفيئة فى الاجل وهى أيضا تأبى وقوعها بعد الاجل فينتظم من أصليه أعنى بقاء العصمة والسلامة من معارضة الآية وقوع الفيئة المعتبرة بعد الاجل وبقاء العصمة بعد الاجل استصحابا للاصل غير معارض بالآية وهو المطلوب

الظن يقولون أخاف أن يكون كذا وأفرق أن يكون يريدون أظن (فان طلقها) الطلاق المذكور الموصوف
بالتكرار فى قوله تعالى الطلاق مرتان واستوفى نصابه أو فان طلقها مرة ثالثة بعد المرتين (فلا تحل له من
بعد) من بعد ذلك التطليق (حتى تنكح زوجا غيره) حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى المرأة كما يسند الى
الرجل كما التزوج ويقال فلانة ناكح فى بنى فلان وقد تعلق من اقتصر على العقد فى التحليل بظاهره وهو
سعيد بن المسيب والذى عليه الجمهور أنه لابد من الاصابة لما روى عروة عن عائشة رضى الله عنها أن امرأة
رفاعة جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت ان رفاعة طلقنى فبت طلاقى وان عبد الرحمن بن الزبير
تزوجنى وانما معه مثل هدبة الثوب وانه طلقنى قبل أن يمسنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتريدين
ان ترجعى الى رفاعة لا حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك وروى أنها لبثت ما شاء الله ثم رجعت فقالت انه
كان قد مسنى فقال لها كذبت فى قولك الأول فلن أصدقك فى الآخر فلبثت حتى قبض رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأتت أبا بكر رضى الله عنه فقالت أأرجع الى زوجى الاول فقال قد عهدت رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين قال لك ما قال فلا ترجعى اليه فلما قبض أبو بكر رضى الله عنه قالت مثله لعمر رضى الله عنه فقال
ان أتيتنى بعد مرتك هذه لارجمنك فمنعها (فان قلت) فما تقول فى النكاح المعقود بشرط التحليل (قلت)
ذهب سفيان والاوزاعى وأبو عبيد ومالك وغيرهم الى أنه غير جائز وهو جائز عند أبى حنيفة مع الكراهة وعنه
أنهما ان أضمرا التحليل ولم يصرحا به فلا كراهة وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه لعن المحلل والمحلل له وعن
عمر رضى الله عنه لا أوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما وعن عثمان رضى الله عنه لا الا نكاح رغبة غير مدالسة
(فان طلقها) الزوج الثانى (أن يتراجعا) أن يرجع كل واحد منهما الى صاحبه بالزواج (ان ظنا) ان كان فى
ظنهما أنهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل ان علما أنهما يقيمان لان اليقين مغيب عنهما لا يعلمه الا الله
عز وجل ومن فسر الظن ههنا بالعلم فقد وهم من طريق اللفظ والمعنى لانك لا تقول علمت أن يقوم زيد
ولكن علمت أنه يقوم ولان الانسان لا يعلم ما فى الغد وانما يظن ظنا (فبلغن أجلهن) أى آخر عدتهن وشارفن
منتهاها والاجل يقع على المدة كلها وعلى آخرها يقال لعمر الانسان أجل وللموت الذى ينتهى به أجل وكذلك
الغاية والامد يقول النحويون من لابتداء الغاية والى لانتهاء الغاية وقال

كل حى مستكمل مدة العمـ * ـر ومود اذا انتهى أمده

ويتسع فى البلوغ أيضا فيقال بلغ البلد اذا شارفه وداناه ويقال قد وصلت ولم يصل وانما شارف ولانه قد علم
أن الامساك بعد تقضى الاجل لا وجه له لانها بعد تقضيه غير زوجة له وفى غير عدة منه فلا سبيل له عليها
(فأمسكوهن بمعروف) فاما أن يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة (أو سرحوهن بمعروف) واما أن
يخليها حتى تنقضى عدتها وتبين من غير ضرار (ولا تمسكوهن ضرارا) كان الرجل يطلق المرأة ويتركها حتى
يقرب انقضاء عدتها ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن ليطول العدة عليها فهو الامساك ضرارا (لتعتدوا)
لتظلموهن وقيل لتلجئوهن الى الافتداء (فقد ظلم نفسه) بتعريضها لعقاب الله (ولا تتخذوا آيات الله هزوا)
أى جدوا فى الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والا فقد اتخذتموها هزوا ولعبا ويقال لمن لم يجد
فى الامر انما أنت لاعب وهازئ ويقال كن يهوديا والا فلا تلعب بالتوراة وقيل كان الرجل يطلق ويعتق
ويتزوج ويقول كنت لاعبا وعن النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح
والرجعة (واذكروا نعمت الله عليكم) بالاسلام وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم (وما أنزل عليكم من الكتاب
والحكمة) من القرآن والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها (يعظكم به) بما أنزل عليكم (فبلغن
أجلهن فلا تعضلوهن) اما أن يخاطب به الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء المدة ظلما وقسرا ولحمية
الجاهلية لا يتركونهن يتزوجن من شئن من الازواج والمعنى أن ينكحن أزواجهن الذين يرغبن فيهم
ويصلحون لهن واما أن يخاطب به الاولياء فى عضلهن أن يرجعن الى أزواجهن روى أنها نزلت فى معقل بن
يسار حين عضل أخته أن ترجع الى الزوج الاول وقيل فى جابر بن عبد الله حين عضل بنت عم له والوجه أن
يكون خطابا للناس أى لا يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا فى حكم العاضلين

والعضل

طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا ان ظنا أن يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوا واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شئ عليم واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن

والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج وأنشد لابن هرمة

وان قصائدى لك فاصطنعنى * عقائل قد عضلن عن النكاح

وبلوغ الاجل على الحقيقة وعن الشافعى رحمه الله دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين (اذا تراضوا) اذا تراضى الخطاب والنساء (بالمعروف) بما يحسن فى الدين والمروءة من الشرائط وقيل بمهر المثل ومن مذهب أبى حنيفة رحمه الله أنها اذا زوجت نفسها بأقل من مهر مثلها فللاولياء أن يعترضوا (فان قلت) لمن الخطاب فى قوله (ذلك يوعظ به) (قلت) يجوز أن يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل أحد ونحوه ذلك خير لكم وأطهر (أزكى لكم وأطهر) من أدناس الآثام وقيل أزكى وأطهر أفضل وأطيب (والله يعلم) ما فى ذلك من الزكاء والطهر (وأنتم لا تعلمون) أو والله يعلم ما تستصلحون به من الاحكام والشرائع وأنتم تجهلونه (يرضعن) مثل يتربصن فى انه خبر فى معنى الامر المؤكد (كاملين) توكيد كقوله تلك عشرة كاملة لانه مما يتسامح فيه فتقول أقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما * وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما أن يكمل الرضاعة وقرئ الرضاعة بكسر الراء والرضعة وأن تتم الرضاعة وأن يتم الرضاعة برفع الفعل تشبيها لان بما لتآخيهما فى التأويل (فان قلت) كيف اتصل قوله لمن أراد بما قبله (قلت) هو بيان لمن توجه اليه الحكم كقوله تعالى هيت لك لك بيان لمهيت به أى هذا الحكم لمن أراد اتمام الرضاع وعن قتادة حولين كاملين ثم أنزل الله اليسر والتخفيف فقال (ان أراد أن يتم الرضاعة) أراد أنه يجوز النقصان وعن الحسن ليس ذلك بوقت لا ينقص منه بعد أن لا يكون فى الفطام ضرر وقيل اللام متعلقة بيرضعن كما تقول أرضعت فلانة لفلان ولده أى يرضعن حولين لمن أراد أن يتم الرضاعة من الآباء لان الاب يجب عليه ارضاع الولد دون الام وعليه أن يتخذ له ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه وهى مندوبة الى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز استئجار الام عند أبى حنيفة رحمه الله ما دامت زوجة أو معتدة من نكاح وعند الشافعى يجوز فاذا انقضت عدتها جاز بالاتفاق (فان قلت) فما بال الوالدات مأمورات بأن يرضعن أولادهن (قلت) اما أن يكون أمرا على وجه الندب واما على وجه الوجوب اذا لم يقبل الصبى الا ثدى أمه أو لم توجد له ظئر أو كان الاب عاجزا عن الاستئجار وقيل أراد الوالدات المطلقات وايجاب النفقة والكسوة لاجل الرضاع (وعلى المولود له) وعلى الذى يولد له وهو الوالد وله فى محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم فى المغضوب عليهم (فان قلت) لم قيل المولود له دون الوالد (قلت) ليعلم أن الوالدات انما ولدن لهم لان الاولاد للآباء ولذلك ينسبون اليهم لا الى الامهات وأنشد للمأمون بن الرشيد

فانما أمهات الناس أوعية * مستودعات وللآباء أبناء

فكان عليهم أن يرزقوهن ويكسوهن اذا أرضعن ولدهم كالاظآر ألا ترى أنه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله تعالى واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيأ (بالمعروف) تفسيره ما يعقبه وهو أن لا يكلف واحد منهما ما ليس فى وسعه ولا يتضارا وقرئ لا تكلف بفتح التاء ولا نكلف بالنون وقرئ لا تضار بالرفع على الاخبار وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول وأن يكون الاصل تضارر بكسر الراء وتضارر بفتحها وقرأ لا تضار بالفتح أكثر القراء وقرأ الحسن بالكسر على النهى وهو يحتمل البناءين أيضا ويبين ذلك أنه قرئ لا تضارر ولا تضارر بالجزم وفتح الراء الاولى وكسرها وقرأ أبو جعفر لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وعن الاعرج لا تضار بالسكون والتخفيف وهو من ضاره يضيره ونوى الوقف كما نواه أبو جعفر أو اختلس الضمة فظنه الراوى سكونا وعن كاتب عمر بن الخطاب لا تضرر والمعنى لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو أن تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وأن تشغل قلبه بالتفريط فى شأن الولد وأن تقول بعد ما ألفها الصبى اطلب له ظئرا وما أشبه ذلك ولا يضار مولود له امرأته بسبب ولده بأن يمنعها شيأ مما وجب عليه من رزقها وكسوتها ولا يأخذه منها وهى تريد ارضاعه ولا يكرهها على الارضاع وكذلك اذا كان مبنيا للمفعول فهو نهى عن أن يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن أن يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد ويجوز أن يكون تضار بمعنى تضر وأن تكون الباء

اذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده

وعلى الوارث مثل ذلك فان أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وان أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا فاذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن فى أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء

من صلته أى لا تضر والدة بولدها فلا تسيء غذاءه وتعهده ولا تفرط فيما ينبغى له ولا تدفعه الى الاب بعد ما ألفها ولا يضر الوالد به بان ينتزعه من يدها أو يقصر فى حقها فتقصر هى فى حق الولد (فان قلت) كيف قيل بولدها وبولده (قلت) لما نهيت المرأة عن المضارة أضيف اليها الولد استعطافا لها عليه وأنه ليس بأجنبى منها فمن حقها أن تشفق عليه وكذلك الوالد (وعلى الوارث) عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه فكان المعنى وعلى وارث المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة أى ان مات المولود له لزم من يرثه أن يقوم مقامه فى أن يرزقها ويكسوها بالشريطة التى ذكرت من المعروف وتجنب الضرار وقيل هو وارث الصبى الذى لو مات الصبى ورثه واختلفوا فعند ابن أبى ليلى كل من ورثه وعند أبى حنيفة من كان ذا رحم محرم منه وعند الشافعى لا نفقة فيما عدا الولاد وقيل من ورثه من عصبته مثل الجد والاخ وابن الاخ والعم وابن العم وقيل المراد وارث الاب وهو الصبى نفسه وأنه ان مات أبوه وورثه وجبت عليه أجرة رضاعه فى ماله ان كان له مال فان لم يكن له مال أجبرت الام على ارضاعه وقيل على الوارث على الباقى من الابوين من قوله واجعله الوارث منا (فان أرادا فصالا) صادرا (عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما) فى ذلك زادا على الحولين أو نقصا وهذه توسعة بعد التحديد وقيل هو فى غاية الحولين لا يتجاوز وانما اعتبر تراضيهما فى الفصال وتشاورهما أما الاب فلا كلام فيه وأما الام فلانها أحق بالتربية وهى أعلم بحال الصبى وقرئ فان أراد استرضع منقول من أرضع يقال أرضعت المرأة الصبى واسترضعتها الصبى فتعديه الى مفعولين كما تقول أنجح الحاجة واستنجحته الحاجة والمعنى أن تسترضعوا المراضع أولادكم فحذف أحد المفعولين للاستغناء عنه كما تقول استنجحت الحاجة ولا تذكر من استنجحته وكذلك حكم كل مفعولين لم يكن أحدهما عبارة عن الاول (اذا سلمتم) الى المراضع (ما آتيتم) ما أردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة وقرئ ما أتيتم من أتى اليه احسانا اذا فعله ومنه قوله تعالى انه كان وعده مأتيا أى مفعولا وروى شيبان عن عاصم ما أوتيتم أى ما آتاكم الله وأقدركم عليه من الاجرة ونحوه وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وليس التسليم بشرط للجواز والصحة وانما هو ندب الى الاولى ويجوز أن يكون بعثا على أن يكون الشئ الذى تعطاه المرضع من أهنى ما يكون لتكون طيبة النفس راضية فيعود ذلك اصلاحا لشأن الصبى واحتياطا فى أمره فأمرنا بايتائه ناجزا يدا بيد كأنه قيل اذا أديتم اليهن يدا بيد ما أعطيتموهن (بالمعروف) متعلق بسلمتم أمروا أن يكونوا عند تسليم الاجرة مستبشرى الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما أمكن حتى يؤمن من تفريطهن بقطع معاذيرهن (والذين يتوفون منكم) على تقدير حذف المضاف أى وأزواج الذين يتوفون منكم يتربصن وقيل معناه يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء أى يستوفون آجالهم وهى قراءة على رضى الله عنه والذى يحكى أن أبا الاسود الدؤلى كان يمشى خلف جنازة فقال له رجل من المتوفى بكسر الفاء فقال الله تعالى وكان أحد الاسباب الباعثة لعلى رضى الله عنه على أن أمره بأن يضع كتابا فى النحو تناقضه هذه القراءة (يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا) يعتددن هذه المدة وهى أربعة أشهر وعشرة أيام وقيل عشرا ذهابا الى الليالى والايام داخلة معها ولا تراهم قط يستعملون التذكير فيه ذاهبين الى الايام تقول صمت عشرا ولو ذكرت خرجت من كلامهم ومن البين فيه قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما (فاذا بلغن أجلهن) فاذا انقضت عدتهن (فلا جناح عليكم) أيها الائمة وجماعة المسلمين (فيما فعلن فى أنفسهن) من التعرض للخطاب (بالمعروف) بالوجه الذى لا ينكره الشرع والمعنى أنهن لو فعلن ما هو منكر كان على الائمة أن يكفوهن وان فرطوا كان عليهم الجناح (فيما عرضتم به) هو أن يقول لها انك لجميلة أو صالحة أو نافقة ومن غرضى أن أتزوج وعسى الله أن ييسر لى امرأة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم أنه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول انى أريد أن أنكحك أو أتزوجك أو أخطبك وروى ابن المبارك عن عبد الرحمن بن سليمان عن خالته قالت دخل على

* قوله تعالى والذين يتوفون منكم الآية (قال محمود رحمه الله قرأها على رضى الله عنه بفتح الياء الخ) قال أحمد رحمه الله ولعل السائل لابى الاسود كان ممن يفهم عنه انه لا فرق عنده بين الكسر والفتح وهو الظاهر وعلى ذلك أجابه أبو الاسود فلا تناقض حينئذ (قال محمود رضى الله عنه تقول صمت عشرا الخ) قال أحمد رحمه الله ومنه من صام رمضان وأتبعه بست من شوال فكأنما صام الدهر فغلب الليالى او كان الصوم غير متصور فيها حتى قالوا ان شرطه النية وزمانها الليل فلهذا اجعل لها حظا فى الصوم وغلبها

أبو

قوله تعالى علم الله أنكم ستذكرونهن الآية (قال محمود رحمه الله ان قلت أين المستدرك بقوله ولكن الخ) قال أحمد رحمه الله وقويت دلالة هذا المذكور على ما حذف لان المعتاد في مثل هذه الصيغة ورود الاباحة عقيبها ونظير هذا (٢٧١) النظم قوله تعالى علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن الآية وهذا الحذف سر والله أعلم وهو أنه اجتنب لان الاباحة لم تنصب على الذكر مطلقا بل اختصت بوجه واحد من وجوهه وذلك الوجه المباح غير المتميز عما لم يبح فذكرت مستثناة بقوله الا أن تقولوا قولا معروفا تنبيها على ان المحل ضيق والامر فيه عسر والاصل فيه الحظر ولا كذلك الوطء في زمن ليل الصوم فانه أبيح مطلقا غير مقيد فلذلك صدر الكلام بالاباحة والتوسعة وجاء النهي عن مباشرة المعتكفة في المسجد تلو الاباحة وتبعا في الذكر لانها حالة فاذة والمنع فيها لم يكن لاجل الصوم ولكن الامر يتعلق به من حيث المصاحب وهو الاعتكاف فتفطن لهذا السر فانه من غرائب النكت

أو أكننتم في أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا الا أن تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه واعلموا أن الله غفور حليم لا جناح عليكم ان طلقتم النساء مالم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره

أبو جعفر محمد بن علي وأنا في عدتي فقال قد علمت قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدي علي وقدمي في الاسلام فقلت غفر الله لك أتخطبني في عدتي وأنت يؤخذ عنك فقال أو قد فعلت انما أخبرتك بقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعي قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سلمة وكانت عند ابن عمها أبي سلمة فتوفي عنها فلم يزل يذكر لها منزلته من الله وهو متحامل على يده حتى أثر الحصير في يده من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة (فان قلت) أي فرق بين الكناية والتعريض (قلت) الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له كقولك طويل النجاد والحمائل لطول القامة وكثير الرماد للمضياف والتعريض أن تذكر شيأ تدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جئتك لاسلم عليك ولانظر الى وجهك الكريم ولذلك قالوا * وحسبك بالتسليم مني تقاضيا * وكأنه امالة الكلام الى عرض يدل على الغرض ويسمى التلويح لانه يلوح منه ما يريده (أو أكننتم في أنفسكم) أو سترتم وأضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بألسنتكم لا معرضين ولا مصرحين (علم الله أنكم ستذكرونهن) لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن ولا تصبرون عنه وفيه طرف من التوبيخ كقوله علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم (فان قلت) أين المستدرك بقوله (ولكن لا تواعدوهن) (قلت) هو محذوف لدلالة ستذكرونهن عليه تقديره علم الله أنكم ستذكرونهن فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا والسر وقع كناية عن النكاح الذي هو الوطء لانه مما يسر قال الاعشى

ولا تقربن جارة ان سرها * عليك حرام فانكحن أو تأبدا

ثم عبر به عن النكاح الذي هو العقد لانه سبب فيه كما فعل بالنكاح (الا أن تقولوا قولا معروفا) وهو أن تعرضوا ولا تصرحوا (فان قلت) بم يتعلق حرف الاستثناء (قلت) بلا تواعدوهن أي لا تواعدوهن مواعدة قط الا مواعدة معروفة غير منكرة أو لا تواعدوهن الا بأن تقولوا أي لا تواعدوهن الا بالتعريض ولا يجوز أن يكون استثناء منقطعا من سرا لادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وقيل معناه لا تواعدوهن جماعا وهو أن يقول لها ان نكحتك كان كيت وكيت يريد ما يجري بينهما تحت اللحاف الا أن تقولوا قولا معروفا يعني من غير رفث ولا افحاش في الكلام وقيل لا تواعدوهن سرا أي في السر على أن المواعدة في السر عبارة عن المواعدة بما يستهجن لان مسارتهن في الغالب بما يستحيا من المجاهرة به وعن ابن عباس رضي الله عنهما الا أن تقولوا قولا معروفا هو أن يتواثقا أن لا تتزوج غيره (ولا تعزموا عقدة النكاح) من عزم الامر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة في النهي عن عقد النكاح في العدة لان العزم على الفعل يتقدمه فاذا نهي عنه كان عن الفعل أنهى ومعناه ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح وحقيقة العزم القطع بدليل قوله عليه السلام لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي لم يبيت الصيام (حتى يبلغ الكتاب أجله) يعني ما كتب وفرض من العدة (يعلم ما في أنفسكم) من العزم على ما لا يجوز (فاحذروه) ولا تعزموا عليه (غفور حليم) لا يعاجلكم بالعقوبة (لا جناح عليكم) لا تبعة عليكم من ايجاب مهر (ان طلقتم النساء مالم تمسوهن) مالم تجامعوهن (أو تفرضوا لهن فريضة) الا أن تفرضوا لهن فريضة أو حتى تفرضوا وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك أن المطلقة غير المدخول بها ان سمى لها مهر فلها نصف المسمى وان لم يسم لها فليس لها نصف مهر المثل ولكن المتعة والدليل على أن الجناح تبعة المهر قوله وان طلقتموهن الى قوله فنصف ما فرضتم فقوله فنصف ما فرضتم اثبات للجناح المنفي ثمة والمتعة درع وملحفة وخمار على حسب الحال عند أبي حنيفة الا أن يكون مهر مثلها أقل من ذلك فلها الاقل من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص من خمسة دراهم لان أقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها و(الموسع) الذي له سعة و(المقتر) الضيق الحال و(قدره) مقداره الذي يطيقه لان ما يطيقه هو الذي يختص به وقرئ بفتح الدال والقدر والقدر لغتان وعن

* قوله تعالى الا أن يعفون الآية (قال محمود رحمه الله والذي بيده عقدة النكاح الولي الخ) قال أحمد رحمه الله هذا النقل وهم فيه الزمخشري عن الشافعي رضي الله عنه فان مذهبه موافق لمذهب أبي حنيفة رضي الله عنه في ان المراد به الزوج وانما ذهب الى أن المراد الولي الامام مالك رضي الله عنه وصدق الزمخشري انه قول ظاهر الصحة عليه رونق الحق وطلاوة الصواب لوجوه * الاول ان الذي بيده عقدة النكاح ثابتة مستقرة هو الولي وأما الزوج فله ذلك حالة العقد المتقدم خاصة ثم هو بعد الطلاق والكلام حينئذ ليس من عقدة النكاح في شئ البتة فان قيل أطلق عليه ذلك بعد الطلاق بتأويل كان مقدرة فلا يخفى على المصنف ما في ذلك من البعد والخروج عن حد اطلاق الكلام وأصله * الثاني ان الخطاب الاول للمزوجات اتفاقا بقوله الا أن يعفون وفيهن من لا عفو لها البتة كالامة والبكر فلولا استتمام التقسيم بصرف الثاني الى الولي على ابنته البكر أو أمته والا لزم الخروج عن ظاهر عموم الاول وحيث حمل الكلام على الولي صار الكلام بمعنى الا أن يعفون ان كن أهلا للعفو أو يعفو لهن ان لم يكن أهلا ولهذا كان الولي الذي يعفو ويعتبر عفوه عند مالك هو الاب في ابنته البكر والسيد في أمته خاصة * الثالث ان الكتاب العزيز جدير بتناسب الاقسام وانتظام اطراف الكلام والامر فيه على هذا المحمل بهذه المثابة فان الآية (٢٧٢) حينئذ مشتملة على خطاب الزوجات ثم الاولياء ثم الازواج بقوله ولا تنسوا الفضل بينكم فتكون على هذا الوجه ملية بالفوائد جامعة للمقاصد * الرابع ان المضاف الى صاحب عقدة النكاح العفو كما هو مضاف الى الزوجات والعفو الاسقاط لغة وهو المراد في الاول اتفاقا اذ المضاف الى الزوجات هو الاسقاط بلا ريب ولو كان المراد بصاحب العقدة الزوج لتعين حمل العفو على تكميل المهر واعطائه ما لا يستحق عليه وهذا غير مطابقه من الاسماء التفضل ومن ثم قال في خطاب الازواج ولا تنسوا الفضل بينكم لان المبذول من جهته غير مستحق عليه فهو فضل لا عفو * ولا يقال لعل الزوج تعجل المهر كاملا قبل الطلاق وطلق فيجب استرجاع النصف فيسقطه ويعفو عنه وحينئذ يبقى العفو من جانب الزوج على ظاهره وحقيقته * لانا نقول حسبنا في رد هذا الوجه ما فيه من الكلفة وتقدير ما الاصل خلافه * الخامس أن صدر الآية خطاب للازواج في قوله وان طلقتموهن الى قوله فرضتم فلو جاء قوله أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح مرادا به الزوج لكان عدولا والتفاتا من الخطاب الى الغيبة وليس هذا من مواضعه ولاجل هذا جاء قوله ولا تنسوا الفضل بينكم على صيغة الخطاب لان المراد به الازواج لخطابهم أولا * السادس ان قوله الا أن يعفون وما عطف عليه استثناء من قوله فنصف ما فرضتم وأصل الكلام فنصف ما فرضتم واجب عليكم الا أن يعفو عنه الزوجات فليس بواجب عليكم اذا فاذا حمل الكلام على الولي استقام أو هم لو كملوا المهر لهن فالنصف واجب عليهم لا يتغير ولا يخالف الحالة المستثناة مما وقع منه الاستثناء فلا يجري الاستثناء على حقيقته في المخالفة بين الاول والثاني الا أن يقال مقتضى قوله فنصف ما فرضتم واجب عليكم ان النصف الآخر غير مؤدى اليهن لانه ساقط عن الزوج فاذا اعطاهن كل المهر فقد صار النصف الآخر مؤدى

متاعا بالمعروف حقا على المحسنين وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون بصير حافظوا على الصلوات

النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل من الانصار تزوج امرأة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها قبل أن يمسها أمتعتها قال لم يكن عندي شئ قال متعها بقلنسوتك وعند أصحابنا لا تجب المتعة الا لهذه وحدها وتستحب لسائر المطلقات ولا تجب (متاعا) تأكيد لمتعوهن بمعنى تمتيعا (بالمعروف) بالوجه الذي يحسن في الشرع والمروءة (حقا) صفة لمتاعا أي متاعا واجبا عليهم أو حق ذلك حقا (على المحسنين) على الذين يحسنون الى المطلقات بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين كما قال صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه (الا أن يعفون) يريد المطلقات (فان قلت) أي فرق بين قولك الرجال يعفون والنساء يعفون (قلت) الواو في الاول ضميرهم والنون علم الرفع والواو في الثاني لام الفعل والنون ضميرهن والفعل مبني لا أثر في لفظه للعامل وهو في محل النصب * ويعفو عطف على محله و(الذي بيده عقدة النكاح) الولي يعني الا أن تعفو المطلقات عن أزواجهن فلا يطالبنهم بنصف المهر وتقول المرأة ما رآني ولا خدمته ولا استمتع بي فكيف آخذ منه شيأ أو يعفو الولي الذي يلي عقد نكاحهن وهو مذهب الشافعي وقيل هو الزوج وعفوه أن يسوق اليها المهر كاملا وهو مذهب أبي حنيفة والاول ظاهر الصحة وتسمية الزيادة على الحق عفوا فيها نظر الا أن يقال كان الغالب عندهم أن يسوق اليها المهر عند التزوج فاذا طلقها استحق أن يطالبها بنصف ما ساق اليها فاذا ترك المطالبة فقد عفا عنها أو سماه عفوا على طريق المشاكلة وعن جبير بن مطعم انه تزوج امرأة وطلقها قبل أن يدخل بها فأكمل لها الصداق وقال أنا أحق بالعفو وعنه أنه دخل على سعد بن أبي وقاص فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث اليها بالصداق كاملا فقيل له لم تزوجتها فقال عرضها علي فكرهت رده قيل فلم بعثت بالصداق قال فأين الفضل * و(الفضل) التفضل أي ولا تنسوا أن يتفضل بعضكم على بعض وتمروا ولا تستقصوا وقرأ الحسن أو يعفو الذي بسكون الواو واسكان الواو والياء في موضع النصب تشبيه لهما بالالف لانهما اختاها

أختاها وقرأ أبو نهيك وأن يعفو بالياء وقرئ ولا تنسوا الفضل بكسر الواو (والصلاة الوسطى) أي الوسطى بين الصلوات أو الفضلى من قولهم للأفضل الأوسط وإنما أفردت وعطفت على الصلاة لانفرادها بالفضل وهي صلاة العصر وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم الأحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام إنها الصلاة التي شغل عنها سليمان بن داود حتى توارت بالحجاب وعن حفصة أنها قالت لمن كتب لها المصحف إذا بلغت هذه الآية فلا تكتبها حتى أمليها عليك كما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها فأملت عليه والصلاة الوسطى صلاة العصر وروي عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم والصلاة الوسطى وصلاة العصر بالواو فعلى هذه القراءة يكون التخصيص لصلاتين إحداهما الصلاة الوسطى إما الظهر وإما الفجر وإما المغرب على اختلاف الروايات فيها والثانية العصر وقيل فضلها لما في وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم وعن ابن عمر رضي الله عنهما هي صلاة الظهر لأنها في وسط النهار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصليها بالهاجرة ولم تكن صلاة أشد على أصحابه منها وعن مجاهد هي الفجر لأنها بين صلاتي النهار وصلاتي الليل وعن قبيصة بن ذؤيب هي المغرب لأنها وتر النهار ولا تنقص في السفر من الثلاث وقرأ عبد الله وعلى الصلاة الوسطى وقرأت عائشة رضي الله عنها والصلاة الوسطى بالنصب على المدح والاختصاص وقرأ نافع الوصطى بالصاد (وقوموا لله) في الصلاة (قانتين) ذاكرين لله في قيامكم والقنوت أن تذكر الله قائما وعن عكرمة كانوا يتكلمون في الصلاة فنهوا وعن مجاهد هو الركود وكف الأيدي والبصر وروي أنهم كانوا إذا قام أحدهم إلى الصلاة هاب الرحمن أن يمد بصره أو يلتفت أو يقلب الحصا أو يحدث نفسه بشيء من أمور الدنيا (فإن خفتم) فإن كان بكم خوف من عدو أو غيره (فرجالا) فصلوا راجلين وهو جمع راجل كقائم وقيام أو رجل يقال رجل رجل أي راجل وقرئ فرجالا بضم الراء ورجالا بالتشديد ورجلا وعند أبي حنيفة رحمه الله لا يصلون في حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف وعند الشافعي رحمه الله يصلون في كل حال والراكب يومي ويسقط عنه التوجه إلى القبلة (فإذا أمنتم) فإذا زال خوفكم (فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون) من صلاة الأمن أو فإذا أمنتم فاشكروا الله على الأمن واذكروه بالعبادة كما أحسن إليكم بما علمكم من الشرائع وكيف تصلون في حال الخوف وفي حال الأمن * تقديره فيمن قرأ وصية بالرفع ووصية الذين يتوفون أو وحكم الذين يتوفون وصية لأزواجهم أو والذين يتوفون أهل وصية لأزواجهم وفيمن قرأ بالنصب والذين يتوفون يوصون وصية كقولك إنما أنت سير البريد بإضمار تسير أو وألزم الذين يتوفون وصية وتدل عليه قراءة عبد الله كتب عليكم الوصية لأزواجكم متاعا إلى الحول مكان قوله (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول) وقرأ أبي متاع لأزواجهم متاعا وروي عنه فمتاع لأزواجهم ومتاعا نصب بالوصية إلا إذا أضمرت يوصون فإنه نصب بالفعل وعلى قراءة أبي متاعا نصب بمتاع لأنه في معنى التمتيع كقولك الحمد لله حمد الشاكرين وأعجبني ضرب لك زيدا ضربا شديدا و(غير إخراج) مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول أو بدل من متاعا أو حال من الأزواج أي غير مخرجات والمعنى أن حق الذين يتوفون عن أزواجهم أن يوصوا قبل أن يحتضروا بأن تمتع أزواجهم بعدهم حولا كاملا أي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك في أول الإسلام ثم نسخت المدة بقوله أربعة أشهر وعشرا وقيل نسخ ما زاد منه على هذا المقدار ونسخت النفقة بالإرث الذي هو الربع والثمن واختلف في السكنى فعند أبي حنيفة وأصحابه لا سكنى لهن (فيما فعلن في أنفسهن) من التزين والتعرض للخطاب (من معروف) مما ليس بمنكر شرعا (فإن قلت) كيف نسخت الآية المتقدمة المتأخرة (قلت) قد تكون الآية متقدمة في التلاوة وهي متأخرة في التنزيل كقوله تعالى سيقول السفهاء مع قوله قد نرى تقلب وجهك في السماء (وللمطلقات متاع) عمم المطلقات بإيجاب المتعة لهن بعد ما أوجبها للواحدة منهن وهي المطلقة غير المدخول بها وقال (حقا على المتقين) كما قال ثمة حقا على المحسنين وعن سعيد بن جبير وأبي العالية والزهري أنها واجبة لكل مطلقة وقيل قد تناولت التمتيع الواجب

والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين فإن خفتم فرجالا أو ركبانا فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف والله عزيز حكيم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون

اليمين ففي هذا التأويل من الكلفة ما يسقط مؤنة رده

والمستضعف جميعا وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة (ألم تر) تقرير لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب وأخبار
الأولين وتعجيب من شأنهم ويجوز أن يخاطب به من لم ير ولم يسمع لأن هذا الكلام جرى مجرى المثل
في معنى التعجيب * روى أن أهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فأماتهم
الله ثم أحياهم ليعتبروا ويعلموا أنه لا مفر من حكم الله وقضائه وقيل مر عليهم حزقيل بعد زمان طويل وقد
عريت عظامهم وتفرقت أوصالهم فلوى شدقه وأصابعه تعجبا مما رأى فأوحي إليه نادهم أن قوموا بإذن
الله فنادى فنظر إليهم قياما يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت وقيل هم قوم من بني إسرائيل
دعاهم ملكهم إلى الجهاد فهربوا حذرا من الموت فأماتهم الله ثمانية أيام ثم أحياهم (وهم ألوف) فيه دليل
على الألوف الكثيرة واختلف في ذلك فقيل عشرة وقيل ثلاثون وقيل سبعون ومن بدع التفاسير ألوف
متآلفون جمع آلف كقاعد وقعود (فإن قلت) ما معنى قوله (فقال لهم الله موتوا) (قلت) معناه فأماتهم
وإنما جيء به على هذه العبارة للدلالة على أنهم ماتوا ميتة رجل واحد بأمر الله ومشيئته وتلك ميتة خارجة
عن العادة كأنهم أمروا بشيء فامتثلوه امتثالا من غير إباء ولا توقف كقوله تعالى إنما أمره إذا أراد شيئا أن
يقول له كن فيكون وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وأن الموت إذا لم يكن منه بد
ولم ينفع منه مفر فأولى أن يكون في سبيل الله (لذو فضل على الناس) حيث يبصرهم ما يعتبرون به
ويستبصرون كما بصر أولئك وكما بصركم باقتصاص خبرهم أو لذو فضل على الناس حيث أحيا أولئك
ليعتبروا فيفوزوا ولو شاء لتركهم موتى إلى يوم البعث والدليل على أنه ساق هذه القصة بعثا على الجهاد
ما أتبعه من الأمر بالقتال في سبيل الله (واعلموا أن الله سميع) يسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون (عليم)
بما يضمرونه وهو من وراء الجزاء * إقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه والقرض الحسن
إما المجاهدة في نفسها وإما النفقة في سبيل الله (أضعافا كثيرة) قيل الواحد بسبعمائة وعن السدي كثيرة
لا يعلم كنهها إلا الله (والله يقبض ويبسط) يوسع على عباده ويقتر فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدلكم
الضيقة بالسعة (وإليه ترجعون) فيجازيكم على ما قدمتم (لنبي لهم) هو يوشع أو شمعون أو اشمويل
(ابعث لنا ملكا) أنهض للقتال معنا أميرا نصدر في تدبير الحرب عن رأيه وننتهي إلى أمره طلبوا من نبيهم
نحو ما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من التأمير على الجيوش التي كان يجهزها ومن أمرهم
بطاعته وامتثال أوامره وروى أنه أمر الناس إذا سافروا أن يجعلوا أحدهم أميرا عليهم (نقاتل) قرئ
بالنون والجزم على الجواب وبالنون والرفع على أنه حال أي ابعثه لنا مقدرين القتال أو استئناف كأنه قال لهم
ما تصنعون بالملك فقالوا نقاتل وقرئ يقاتل بالياء والجزم على الجواب وبالرفع على أنه صفة لملكا * وخبر
عسيتم (ألا تقاتلوا) والشرط فاصل بينهما والمعنى هل قاربتم أن لا تقاتلوا يعني هل الأمر كما أتوقعه أنكم
لا تقاتلون أراد أن يقول عسيتم أن لا تقاتلوا بمعنى أتوقع جبنكم عن القتال فأدخل هل مستفهما عما هو
متوقع عنده ومظنون وأراد بالاستفهام التقرير وتثبيت أن المتوقع كائن وأنه صائب في توقعه كقوله تعالى
هل أتى على الإنسان معناه التقرير وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة (وما لنا ألا نقاتل) وأي داع
لنا إلى ترك القتال وأي غرض لنا فيه (وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) وذلك أن قوم جالوت كانوا يسكنون
ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وأربعين (إلا قليلا منهم) قيل
كان القليل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر على عدد أهل بدر (والله عليم بالظالمين) وعيد لهم على ظلمهم في القعود
عن القتال وترك الجهاد (طالوت) اسم أعجمي كجالوت وداود وإنما امتنع من الصرف لتعريفه وعجمته
وزعموا أنه من الطول لما وصف به من البسطة في الجسم ووزنه إن كان من الطول فعلوت منه أصله طولوت
إلا أن امتناع صرفه يدفع أن يكون منه إلا أن يقال هو اسم عبراني وافق عربيا كما وافق حنطا حنطة
وبشمالاها رحمانا رحيما بسم الله الرحمن الرحيم فهو من الطول كما لو كان عربيا وكان أحد سببيه العجمة
لكونه عبرانيا (أنى) كيف ومن أين وهو إنكار لتملكه عليهم واستبعاد له (فإن قلت) ما الفرق بين الواوين

ألم تر إلى الذين خرجوا
من ديارهم وهم ألوف
حذر الموت فقال لهم
الله موتوا ثم أحياهم
إن الله لذو فضل على
الناس ولكن أكثر
الناس لا يشكرون
وقاتلوا في سبيل الله
واعلموا أن الله سميع
عليم من ذا الذي يقرض
الله قرضا حسنا
فيضاعفه له أضعافا
كثيرة والله يقبض
ويبسط وإليه ترجعون
ألم تر إلى الملإ من بني
إسرائيل من بعد موسى
إذ قالوا لنبي لهم ابعث
لنا ملكا نقاتل في سبيل
الله قال هل عسيتم إن
كتب عليكم القتال ألا
تقاتلوا قالوا وما لنا ألا
نقاتل في سبيل الله
وقد أخرجنا من ديارنا
وأبنائنا فلما كتب عليهم
القتال تولوا إلا قليلا
منهم والله عليم بالظالمين
وقال لهم نبيهم إن الله
قد بعث لكم طالوت
ملكا قالوا أنى يكون له
الملك علينا ونحن أحق
بالملك منه ولم يؤت
سعة من المال

فى ونحن أحق ولم يؤت (قلت) الاولى للحال والثانية لعطف الجملة على الجملة الواقعة حالا قد انتظمتهما معا فى حكم واو الحال والمعنى كيف يتملك علينا والحال أنه لا يستحق التملك لوجود من هو أحق بالملك وأنه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به وانما قالوا ذلك لان النبوة كانت فى سبط لاوى بن يعقوب والملك فى سبط يهوذا ولم يكن طالوت من أحد السبطين ولانه كان رجلا سقاء أو دباغا فقيرا وروى أن نبيهم دعا الله تعالى حين طلبوا منه ملكا فأتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت (قال ان الله اصطفاه عليكم) يريد أن الله هو الذى اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكم الله * ثم ذكر مصلحتين أنفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم المبسوط والجسامة والظاهر أن المراد بالعلم المعرفة بما طلبوه لاجله من أمر الحرب ويجوز أن يكون عالما بالديانات وبغيرها وقيل قد أوحى اليه ونبئ وذلك أن الملك لابد أن يكون من أهل العلم فان الجاهل مزدرى غير منتفع به وأن يكون جسيما يملأ العين جهارة لانه أعظم فى النفوس وأهيب فى القلوب * والبسطة السعة والامتداد وروى أن الرجل القائم كان يمد يده فينال رأسه (يؤتى ملكه من يشاء) أى الملك له غير منازع فيه فهو يؤتيه من يشاء من يستصلحه للملك (والله واسع) الفضل والعطاء يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر (عليم) بمن يصطفيه للملك (التابوت) صندوق التوراة وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بنى اسرائيل ولا يفرون * والسكينة السكون والطمأنينة وقيل هى صورة كانت فيه من زبرجد أو ياقوت لها رأس كرأس الهر وذنب كذنبه وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن على رضى الله عنه كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة (وبقية) هى رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وشئ من التوراة وكان رفعه الله تعالى بعد موسى عليه السلام فنزلت به الملائكة تحمله وهم ينظرون اليه فكان ذلك آية لاصطفاء الله طالوت وقيل كان مع موسى ومع أنبياء بنى اسرائيل بعده يستفتحون به فلما غيرت بنو اسرائيل غلبهم عليه الكفار فكان فى أرض جالوت فلما أراد الله أن يملك طالوت أصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مدائن فقالوا هذا بسبب التابوت بين أظهرنا فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت وقيل كان من خشب الشمشار مموها بالذهب نحوا من ثلاثة أذرع فى ذراعين وقرأ أبى وزيد بن ثابت التابوه بالهاء وهى لغة الانصار (فان قلت) ما وزن التابوت (قلت) لا يخلو من أن يكون فعلوتا أو فاعولا فلا يكون فاعولا لقلته نحو سلس وقلق ولانه تركيب غير معروف فلا يجوز ترك المعروف اليه فهو اذا فعلوت من التوب وهو الرجوع لانه ظرف توضع فيه الاشياء وتودعه فلا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وصاحبه يرجع اليه فيما يحتاج اليه من مودعاته وأما من قرأ بالهاء فهو فاعول عنده الا فيمن جعل هاءه بدلا من التاء لاجتماعهما فى الهمس وأنهما من حروف الزيادة ولذلك أبدلت من تاء التأنيث وقرأ أبو السمال سكينة بفتح السين والتشديد فهو غريب وقرئ يحمله بالياء (فان قلت) من آل موسى وآل هرون (قلت) الانبياء من بنى يعقوب لان عمران هو ابن قاهث بن لاوى بن يعقوب فكان أولاد يعقوب آلهما ويجوز أن يراد مما تركه موسى وهرون والآل مقحم لتفخيم شأنهما * فصل عن موضع كذا اذا انفصل عنه وجاوزه وأصله فصل نفسه ثم كثر محذوف المفعول حتى صار فى حكم غير المتعدى كانفصل وقيل فصل عن البلد فصولا ويجوز أن يكون فصله فصلا وفصل فصولا كوقف وصد ونحوهما والمعنى انفصل عن بلده (بالجنود) روى أنه قال لقومه لا يخرج معى رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا رجل متزوج بامرأة لم يبن عليها ولا ابتغى الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه مما اختاره ثمانون ألفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسألوا أن يجرى الله لهم نهرا ف(قال ان الله مبتليكم) بما اقترحتموه من النهر (فمن شرب منه) فمن ابتدأ شربه من النهر بأن كرع فيه (فليس منى) فليس بمتصل بى ومتحد معى من قولهم فلان منى كأنه بعضه لاختلاطهما واتحادهما ويجوز أن يراد فليس من جملتى وأشياعى (ومن لم يطعمه) ومن لم يذقه من طعم الشئ اذا ذاقه ومنه طعم الشئ لمذاقه * قال وان شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا * الا ترى كيف عطف

قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم وقال لهم نبيهم ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى

---

* قوله تعالى قالوا أنى يكون له الملك علينا الآية (قال محمود رحمه الله ان قلت ما الفرق بين الواوين الخ) قال أحمد رحمه الله وحاصل هذا ان الواو الاولى أفادت جملتها الحالية بنفسها وأفادت الجملة الثانية الحالية أيضا لكن بواسطة الواو العاطفة وهذا النظر من السهل الممتنع (قال محمود رحمه الله وزن التابوت فعلوت الخ) قال أحمد رحمه الله يريد لان الفاء تاء واللام كذلك والعرب تستثقل ما فاؤه ولامه حرف واحد لانه توأم التكرار

قوله تعالى فمن شرب منه فليس مني الآية (قال محمود مستثنى من قوله فمن شرب منه فليس مني الخ) تقويه لمن ذهب الى ان الاستثناء المتعقب للجمل لا يتعين عوده الى الاخيرة لاحتمال عوده الى ماقبلها اورده على من منع ذلك محتجا بامتناع الفصل بين المستثنى والمستثنى منه بأجنبي من الاستثناء ولذلك حقق (٢٧٦) عوده الى الاخيرة وتوقف في انعطافه على ما تقدمها فيجوز عنده أن يعود على الجميع مع الاخيرة وأما عوده على ماقبل الاخيرة دونها

عليه البرد وهو النوم ويقال ماذقت غماضا ونحوه من الابتلاء ما ابتلى الله به أهل أيلة من ترك الصيد مع اتيان الحيتان شرعا بل هو أشد منه وأصعب وانما عرف ذلك طالوت باخبار من النبي وان كان نبيا كما يروى عن بعضهم فبالوحي * وقرئ بنهر بالسكون (فان قلت) مم استثنى قوله (الا من اغترف) (قلت) من قوله فمن شرب منه فليس مني والجملة الثانية في حكم المتأخرة الا أنها قدمت للعناية كما قدم والصابئون في قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والدليل عليه قوله (فشربوا منه) أي فكرعوا فيه (الا قليلا منهم) * وقرئ غرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف وقرأ أبي والاعمش الا قليل بالرفع وهذا من ميلهم مع المعنى والاعراض عن اللفظ جانبا وهو باب جليل من علم العربية فلما كان معنى فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه حمل عليه كأنه قيل فلم يطيعوه الا قليل منهم ونحوه قول الفرزدق لم يدع * من المال الا مسحت أو مجلف * كأنه قال لم يبق من المال الا مسحت أو مجلف وقيل لم يبق مع طالوت الا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا (والذين آمنوا) يعني القليل (قال الذين يظنون) يعني الخلص منهم الذين نصبوا بين أعينهم لقاء الله وأيقنوه أو الذين تيقنوا أنهم يستشهدون عما قريب ويلقون الله والمؤمنون مختلفون في قوة اليقين ونصوع البصيرة * وقيل الضمير في قالوا لا طاقة لنا للكثير الذين انخزلوا والذين يظنون هم القليل الذين ثبتوا معه كأنهم تقاولوا بذلك والنهر بينهما يظهر أولئك عذرهم في الانخزال ويرد عليهم هؤلاء ما يعتذرون به وروي أن الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه واداوته والذين شربوا منه اسودت شفاههم وغلبهم العطش * وجالوت جبار من العمالقة من أولاد عمليق بن عاد وكانت بيضته فيها ثلثمائة رطل (وثبت أقدامنا) وهب لنا ما نثبت به في مداحض الحرب من قوة القلوب والقاء الرعب في قلب العدو ونحو ذلك من الاسباب * كان ايشى أبو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم فأوحى الى اشمويل أن داود بن ايشى هو الذي يقتل جالوت فطلبه من أبيه فجاء وقد مر في طريقه بثلاثة أحجار دعاه كل واحد منها أن يحمله وقالت له انك تقتل بنا جالوت فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت فقتله وزوجه طالوت بنته وروي أنه حسده وأراد قتله ثم تاب (وآتاه الله الملك) في مشارق الارض المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنو اسرائيل على ملك قط قبل داود (والحكمة) والنبوة (وعلمه مما يشاء) من صنعة الدروع وكلام الطير والدواب وغير ذلك (ولولا دفع الله الناس) ولولا أن الله يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الارض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الارض وقيل ولولا أن الله ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الارض بعيث الكفار فيها وقتل المسلمين أو لو لم يدفعهم بهم لعم الكفر ونزلت السخطة فاستؤصل أهل الارض (تلك آيات الله) يعني القصص التي اقتصها من حديث الالوف واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت واظهاره بالآية التي هي نزول التابوت من السماء وغلبة الجبابرة على يد صبي (بالحق) باليقين الذي لا يشك فيه أهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك (وانك لمن المرسلين) حيث تخبر بها من غير أن تعرف بقراءة كتاب ولا سماع اخبار (تلك الرسل) اشارة الى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في السورة أو التي ثبت علمها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم (فضلنا بعضهم على بعض) لما أوجب ذلك من تفاضلهم في الحسنات (منهم من كلم الله) منهم من فضله الله بأن كلمه من غير سفير وهو موسى عليه السلام وقرئ كلم الله بالنصب وقرأ اليماني كالم الله من المكالمة ويدل عليه قولهم كليم الله بمعنى مكالمه (ورفع بعضهم درجات) أي ومنهم من رفعه على سائر الانبياء فكان بعد تفاوتهم في الفضل أفضل منهم

الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس

فتعذر عنده هذا القائل ...صف في العود الى
...رة لهذه الشبهة وقد بين القاضي أبو بكر صلاحية عوده الى ماقبل الاخيرة دونها ردا على هذا القائل واستشهد بقوله بدرجات
...ردوه الى الرسول والى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا
...اده ان المعنى يأبى انعطاف هذا الاستثناء الى الجملة الاخيرة ويعين عوده الى ماقبلها وسيأتي بيان ذلك عند الكلام على الآية

* قوله تعالى تلك الرسل فضلنا الآية (قال محمود رحمه الله والظاهر أنه أراد محمدا عليه الصلاة والسلام الخ) قال أحمد وإنما أوردت هذا الفصل من كلامه استحسانا له لفظا ومعنى وتبركا بإعطاء المصطفى عليه الصلاة والسلام من الفضل بعض حقه وأصاب الزمخشري في قوله حيث أوتي النبي عليه الصلاة والسلام من الفضل المنبوع على سائر ما أوتيه الأنبياء على الجميع الصلاة والسلام وليس كما يقال عن بعض أهل العصر من تفضيل النبي عليه الصلاة والسلام على كل واحد واحد من آحاد الأنبياء وينبغي الوقوف عن نسبته له فإنه من العلماء الأعلام وعمدة دين الإسلام والوجه التورك بالغلط على النقلة عنه * قوله تعالى ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم الآية (قال محمود رحمه الله كرر ولو شاء الله للتأكيد) قال أحمد رحمه الله ووراء التأكيد سر أخص منه وهو أن العرب متى بنت أول كلامها على مقصد ثم اعترض بمقصد آخر وأرادت الرجوع إلى الأول قصدت ذكره إما بتلك العبارة أو بقريب منها وذلك عندهم مهيع من الفصاحة مسلوك وطريق معتمد وكان جدي لأمي أبو العباس أحمد بن فارس الفقيه الوزير (٢٧٧) يعد في كتاب الله تعالى مواضع في هذا المعنى منها قوله تعالى من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا ومنها قوله تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم إلى قوله لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم وهذه الآية من هذا النمط لما صدر الكلام بأن اقتتالهم كان على وفق المشيئة ثم طال الكلام وأريد بيان أن مشيئة الله تعالى كما نفذت في هذا الأمر الخاص وهو اقتتال هؤلاء فهي نافذة في كل فعل واقع وهو المعنى المعبر عنه في قوله ولكن الله يفعل ما يريد طرأ ذكر تعلق المشيئة بالاقتتال لتلوه عموم تعلق المشيئة لتناسب الكلام ويعرف كل بشكله فهذا سر ينشرح لبيانه الصدر ويرتاح السر والله الموفق وأي قدم يثبت للاعتزال قبالة هذه الآية الدائرة القاطعة الكافلة بالرد على منتحله وناصره ولذلك جوزها الزمخشري لاغتصاصها على تأويله واعتصامها بالنصوصية من حيله وتخيله * قوله تعالى من قبل أن يأتي يوم لا بيع الآية (قال محمود رحمه الله ومعناه إن أردتم أن يحط عنكم ما في ذمتكم الخ) قال أحمد رحمه الله أما القدرية فقد وطنوا أنفسهم على حرمان الشفاعة وهم جدير أن يحرموها وأدلة أهل السنة على إثباتها للعصاة من المؤمنين أوسع من أن تحصى وما أنكرها القدرية إلا لإيجابهم مجازاة الله تعالى المطيع على الطاعة والعاصي على المعصية إيجابا عقليا على زعمهم فهذه الحالة في إنكار الشفاعة نتيجة تلك الضلالة وقد تقدم جواب عن التمسك بإطلاق مثل هذه الآية في نفي الشفاعة ونعيده فنقول أيام القيامة متعددة والشفاعة في بعضها ثابتة فكل ما ورد مفهما لنفيها حمل على الأيام الخالية منها جمعا بين الأدلة كما ورد قوله تعالى فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وورد وأقبل

ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة

بدرجات كثيرة والظاهر أنه أراد محمدا صلى الله عليه وسلم لأنه هو المفضل عليهم حيث أوتي ما لم يؤته أحد من الآيات المتكاثرة المرتقية إلى ألف آية أو أكثر ولو لم يؤت إلا القرآن وحده لكفى به فضلا منيفا على سائر ما أوتي الأنبياء لأنه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات وفي هذا الإبهام من تفخيم فضله وإعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على أنه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس ويقال للرجل من فعل هذا فيقول أحدكم أو بعضكم تريد به الذي تعورف واشتهر بنحوه من الأفعال فيكون أفخم من التصريح به وأنوه بصاحبه وسئل الحطيئة عن أشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث أراد نفسه ولو قال ولو شئت لذكرت نفسي لم يفخم أمره ويجوز أن يريد إبراهيم ومحمدا وغيرهما من أولي العزم من الرسل وعن ابن عباس رضي الله عنه كنا في المسجد نتذاكر فضل الأنبياء فذكرنا نوحا بطول عبادته وإبراهيم بخلته وموسى بتكليم الله إياه وعيسى برفعه إلى السماء وقلنا رسول الله أفضل منهم بعث إلى الناس كافة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهو خاتم الأنبياء فدخل عليه السلام فقال فيم أنتم فذكرنا له فقال لا ينبغي لأحد أن يكون خيرا من يحيى بن زكريا فذكر أنه لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها (فإن قلت) فلم خص موسى وعيسى من بين الأنبياء بالذكر (قلت) لما أوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد بين الله وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية من الآيات فلما كان هذان النبيان قد أوتيا ما أوتيا من عظام الآيات خصا بالذكر في باب التفضيل وهذا دليل بين أن من زيد تفضيلا بالآيات منهم فقد فضل على غيره ولما كان نبينا صلى الله عليه وسلم هو الذي أوتي منها ما لم يؤت أحد في كثرتها وعظمها كان هو المشهود له بإحراز قصبات الفضل غير مدافع اللهم ارزقنا شفاعته يوم الدين (ولو شاء الله) مشيئة إلجاء وقسر (ما اقتتل الذين) من بعد الرسل لاختلافهم في الدين وتشعب مذاهبهم وتكفير بعضهم بعضا (ولكن اختلفوا فمنهم من آمن) لالتزامه دين الأنبياء (ومنهم من كفر) لإعراضه عنه (ولو شاء الله ما اقتتلوا) كرره للتأكيد (ولكن الله يفعل ما يريد) من الخذلان والعصمة (أنفقوا مما رزقناكم) أراد الإنفاق الواجب لاتصال الوعيد به (من قبل أن يأتي يوم) لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الإنفاق لأنه (لا بيع فيه) حتى تبتاعوا ما تنفقونه (ولا خلة) حتى يسامحكم أخلاؤكم به وإن أردتم أن يحط عنكم ما في ذمتكم من الواجب لم تجدوا شفيعا يشفع لكم في حط الواجبات لأن الشفاعة ثمة في زيادة

بعضهم على بعض يتساءلون وورد فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان وورد وقفوهم انهم مسؤلون ولا تخلص فى أمثال هذه الآى
باتفاق الحمل على تعدد أوقات القيامة واختلاف أحوالها وأيامها وكذلك أمر الشفاعة سواء رزقنا الله الشفاعة وحشرنا فى زمرة
السنة والجماعة (قال محمود رحمه الله وفى قوله تعالى وسع كرسيه السموات والارض أربعة أوجه الخ) قال أحمد رحمه الله قوله فى الوجه
الاول أن ذلك تخييل للعظمة سوء أدب فى الاطلاق وبعد فى الاضمار فان التخييل انما يستعمل فى الاباطيل وما ليست له حقيقة صدق
فان يكن معنى ما قاله صحيحا فقد أخطأ فى التعبير عنه بعبارة موهمة لا مدخل لها فى الادب الشرعى وسيأتى له أمثالها مما يوجب الادب
أن يجتنب عاد كلامه قال فان قلت كيف ترتبت الجمل فى آية الكرسى وما بالها تعطف بالواو قلت لانها كلها فى حكم البيان والبيان متحد
بالمبين فدخول الواو بينهما كما تقول العرب دخول بين العصا ولحائها فالاولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه
والثانية لكونه مالكا لما يدبره والثالثة لكبرياء شأنه والرابعة لاحاطته بأحوال الخلق والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها وقد
وردت آثار فى فضلها منها قوله عليه السلام ما قرئت هذه الآية فى دار الا اجتنبتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة
أربعين ليلة يا على علمها ولدك وأهلك وجيرانك فما نزلت آية أعظم منها وعن على رضى الله عنه سمعت نبيكم على أعواد المنبر يقول من قرأ آية
الكرسى فى دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق أو عابد ومن قرأها اذا أخذ مضجعه أمنه الله
على نفسه وجاره وجار جاره (٢٧٨) والابيات حوله وتذاكر الصحابة أفضل ما فى القرآن فقال على أين أنتم من آية الكرسى ثم قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا على سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر

والكافرون هم الظالمون الله لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الارض من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض

الفضل لا غير (والكافرون هم الظالمون) أراد والتاركون الزكاة هم الظالمون فقال والكافرون للتغليظ كما
قال فى آخر آية الحج ومن كفر مكان ومن لم يحج ولانه جعل ترك الزكاة من صفات الكفار فى قوله وويل
للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وقرئ لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالرفع (الحى) الباقى الذى لا سبيل عليه
للفناء وهو على اصطلاح المتكلمين الذى يصح أن يعلم ويقدر و(القيوم) الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه
وقرئ القيام والقيم * والسنة ما يتقدم النوم من الفتور الذى يسمى النعاس قال ابن الرقاع العاملى

وسنان أقصده النعاس فرنقت * فى عينه سنة وليس بنائم

أى لا يأخذه نعاس ولا نوم وهو تأكيد للقيوم لان من جاز عليه ذلك استحال أن يكون قيوما ومنه حديث
موسى انه سأل الملائكة وكان ذلك من قومه كطلب الرؤية أينام ربنا فأوحى الله اليهم أن يوقظوه ثلاثا
ولا يتركوه ينام ثم قال خذ بيدك قارورتين مملوأتين فأخذهما وألقى الله عليه النعاس فضرب احداهما على
الاخرى فانكسرتا ثم أوحى اليه قل لهؤلاء انى أمسك السموات والارض بقدرتى فلو أخذنى نوم أو نعاس لزالتا
(من ذا الذى يشفع عنده) بيان لملكوته وكبريائه وأن أحدا لا يتمالك أن يتكلم يوم القيامة الا اذا أذن له فى
الكلام كقوله تعالى لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) ما كان قبلهم وما
يكون بعدهم والضمير لما فى السموات والارض لان فيهم العقلاء أو لما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء
(من علمه) من معلوماته (الا بما شاء) الا بما علم * الكرسى ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وفى
قوله (وسع كرسيه) أربعة أوجه أحدها أن كرسيه لم يضق عن السموات والارض لبسطته وسعته وما هو

وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال طور سيناء وسيد الأيام
يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسى ولعله فضلت لما فضلت له سورة الاخلاص من الا
اشتمالها على توحيد الله وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى * قال أحمد وكان جدى رحمة الله عليه يقول اشتملت آية الكرسى على ما لم يشتمل
عليه آية من أسماء الله عز وجل وذلك انها مشتملة على سبعة عشر موضعا فيها اسم الله تعالى ظاهرا فى بعضها ومستكنا فى بعض ويظهر
لكثير من العادين منها ستة عشر الا على بصير حاد البصيرة لدقة استخراجه الاول الله الثانى هو الثالث الحى الرابع القيوم الخامس ضمير
لا تأخذه السادس ضمير له السابع ضمير عنده الثامن ضمير الا باذنه التاسع ضمير يعلم العاشر ضمير علمه الحادى عشر ضمير شاء الثانى عشر
ضمير كرسيه الثالث عشر ضمير ولا يؤده الرابع عشر وهو الخامس عشر العلى السادس عشر العظيم فهذه عدة الاسماء البينة وأما الخفى
فالضمير الذى اشتمل عليه المصدر فى قوله حفظهما فانه مصدر مضاف الى المفعول وهو الضمير البارز ولا بد له من فاعل وهو الله ويظهر
عند فك المصدر فيقول ولا يؤده أن يحفظهما هو وكان الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبى الفضل المرسى قد رام الزيادة على هذا العدد لما
أخبرته به عن الجد رحمه الله فقال يمكن ان يعد ما فى الآية من الاسماء المشتقة كل واحد منها باثنين لان كل واحد يتحمل ضميرا ضرورة
كونه مشتقا وذلك الضمير انما يعود الى الله تعالى وهى باعتبار ظهورها اسم وقد اشتملت على آخر مضمر فيكون جملة العدد على هذا النظر
أحدا وعشرين اسما وكنت قد أجريت معه فى تعدد الزيادة المذكورة وجها لطيفا وهو أن الاسم المشتق له يتحمل الضمير بعد
صيرورته بالتسمية علما على الاصح وهذه الصفات كلها أسماء الله تعالى ثم ولو فرضناها متحملة للضمائر بعد التسمية على سبيل

الا تصوير لعظمته وتخييل فقط ولا كرسى ثمة ولا قعود ولا قاعد كقوله وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه من غير تصور قبضة وطى ويمين وانما هو تخييل لعظمة شأنه وتمثيل حسى ألا ترى الى قوله وما قدروا الله حق قدره والثانى وسع علمه وسمى العلم كرسيا تسمية بمكانه الذى هو كرسى العالم والثالث وسع ملكه تسمية بمكانه الذى هو كرسى الملك والرابع ما روى انه خلق كرسيا هو بين يدى العرش دونه السموات والارض وهو الى العرش كأصغر شئ وعن الحسن الكرسى هو العرش (ولا يؤده) ولا يثقله ولا يشق عليه (حفظهما) حفظ السموات والارض (وهو العلى) الشأن (العظيم) الملك والقدرة (فان قلت) كيف ترتبت الجمل فى آية الكرسى من غير حرف عطف (قلت) ما منها جملة الا وهى واردة على سبيل البيان لما ترتبت عليه والبيان متحد بالمبين فلو توسط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب بين العصا ولحائها فالاولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه والثانية لكونه مالكا لما يدبره والثالثة لكبرياء شأنه والرابعة لاحاطته بأحوال الخلق وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة وغير المرتضى والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها أو لجلاله وعظم قدره (فان قلت) لم فضلت هذه الآية حتى ورد فى فضلها ما ورد منه قوله صلى الله عليه وسلم ما قرئت هذه الآية فى دار الا اهتجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة يا على علمها ولدك وأهلك وجيرانك فما نزلت آية أعظم منها وعن على رضى الله عنه سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم على أعواد المنبر وهو يقول من قرأ آية الكرسى فى دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق أو عابد ومن قرأها اذا أخذ مضجعه أمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وتذاكر الصحابة رضوان الله عليهم أفضل ما فى القرآن فقال لهم على رضى الله عنه أين أنتم عن آية الكرسى ثم قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا على سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسى (قلت) لما فضلت له سورة الاخلاص من اشتمالها على توحيد الله تعالى وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى ولا مذكور أعظم من رب العزة فما كان ذكرا له كان أفضل من سائر الاذكار وبهذا يعلم أن أشرف العلوم وأعلاها منزلة عند الله علم أهل العدل والتوحيد ولا يغرنك عنه كثرة أعدائه

(فان العرانين تلقاها محسدة ۞ ولا ترى للئام الناس حسادا)

(لا اكراه فى الدين) أى لم يجر الله أمر الايمان على الاجبار والقسر ولكن على التمكين والاختيار ونحوه قوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين أى لو شاء لقسرهم على الايمان ولكنه لم يفعل وبنى الامر على الاختيار (قد تبين الرشد من الغى) قد تميز الايمان من الكفر بالدلائل الواضحة (فمن يكفر بالطاغوت) فمن اختار الكفر بالشيطان أو الاصنام والايمان بالله (فقد استمسك بالعروة الوثقى) من الحبل الوثيق المحكم المأمون انفصامها أى انقطاعها وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كأنه ينظر اليه بعينه فيحكم اعتقاده والتيقن به وقيل هو اخبار فى معنى النهى أى لا تكرهوا فى الدين ثم قال بعضهم هو منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل هو فى أهل الكتاب خاصة لانهم حصنوا أنفسهم بأداء الجزية وروى أنه كان لانصارى من بنى سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل أن يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فلزمهما أبوهما وقال والله لا أدعكما حتى تسلما فأبيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الانصارى يا رسول الله أيدخل بعضى النار وأنا أنظر فنزلت فخلاهما (الله ولى الذين آمنوا) أى أرادوا أن يؤمنوا يلطف بهم حتى يخرجهم بلطفه وتأييده من الكفر الى الايمان (والذين كفروا) أى صمموا على الكفر أمرهم على عكس ذلك أو الله ولى المؤمنين يخرجهم من الشبه فى الدين ان وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم له من حلها حتى يخرجوا منها الى نور اليقين (والذين كفروا أولياؤهم) الشياطين (يخرجونهم) من نور البينات التى تظهر

ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون

التنزيل فالمشتق انما يقع على موصوفه باعتبار ضميره ألا ترى أنك اذا قلت زيد كريم وجدت كريما انما يقع على زيد لان فيه ضميره حتى لو جردت النظر اليه لم تجده مختصا بزيد بل لك أن توقعه على كل موصوف بالكرم من الناس ولا تجده مختصا بزيد الا باعتبار اشتماله على ضميره فليس المشتق اذا مستقلا بوقوعه على موصوفه الا بضميمة الضمير اليه فلا يمكن أن يجعل له حكم الانفراد عن الضمير مع الحكم برجوعه الى ما بين البتة فرضى الشيخ المذكور عن هذا البحث وصوبه والله الموفق للصواب

قوله تعالى ألم تر الى الذى حاج ابراهيم الآية (قال محمود ان آتاه متعلق بحاج على وجهين الخ) قال أحمد عفا الله عنه والوجهان قريبان من
حيث المعنى الا أن بينهما فى الصناعة فرقا وهو انما استعمل المصدر فى الاول مفعولا من أجله وفى الثانى ظرفا وقد وقعت المصادر ظروفا
فى مثل خفوق النجم ومقدم الحاج وأمثال ذلك وانما وقعت محاجته بهذا الظرف لاشتماله على ايتاء الملك الحامل له على البطر أو على وضع
كفر النعمة فيه مكان شكرها وهذان المعنيان هما المذكوران فى الوجه الاول بعينهما فلهذا انبهت على ان الفرق بين الوجهين صناعى
لا معنوى والله الموفق لمعانى كلامه (قال محمود فان قلت كيف جاز أن يؤتى الله الملك الكافر قلت ذلك على وجهين أحدهما آتاه ما غلب
به وتسلط من المال والخدم والاتباع فأما التغليب والتسليط فلا الثانى ان يكون ملكه امتحانا لعباده) قال أحمد السؤال مبنى وروده على
قاعدة فاسدة وهى اعتقاد وجوب مراعاة ما يتوهمه القدرية صلاحا أو أصلح على الله تعالى فى أفعاله وكل ذلك من أصول القدرية التى
اجتثها البرهان القاطع فمالها من قرار وأما ايراد السؤال على صيغة لم آتاه الله الملك وهو كافر أو لم فعل كذا أو كذا فجواب رده على
الاطلاق فى قوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون لو سمع الصم البكم والله ولى التوفيق (عاد كلامه) قال ومعنى قوله أنا أحيى وأميت
أعفو عن القتل وأقتل وكان الاعتراض عتيدا ولكن ابراهيم عليه السلام لما سمع جواب الاحمق لم يحاجه فيه ولكنه انتقل الى ما لا يقدر
فيه على مثل ذلك ليبهته أول شئ وهذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة الى حجة * قال أحمد وقد التزم غير واحد من العلماء ان
هذا الذى صدر من الخليل عليه الصلاة والسلام ليس بانتقال من الحجة ولكن من المثال وأما الحجة فهى استدلاله على ألوهية الله تعالى
بتعلق قدرته بما لا يجوز تعلق قدرة الحادث به ثم هذا له أمثلة منها الاحياء والاماتة ومنها الاتيان بالشمس من المشرق والعدول بعد قيام
الحجة وتمهيد القاعدة من مثال الى مثال ٢٨٠ ليس ببدع عند أهل الجدل والله أعلم * قوله تعالى أو كالذى مر الآية (قال محمود معناه

ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه ان آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها

لهم الى ظلمات الشك والشبهة (ألم تر) تعجيب من محاجة نمروذ فى الله وكفره به (ان آتاه الله الملك) متعلق
بحاج على وجهين أحدهما حاج لان آتاه الله الملك على معنى ان ايتاء الملك أبطره وأورثه الكبر والعتو فحاج
لذلك أو على انه وضع المحاجة فى ربه موضع ما وجب عليه من الشكر على أن آتاه الله الملك فكان المحاجة
كانت لذلك كما تقول عادانى فلان لانى أحسنت اليه تريد أنه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لاجل
الاحسان ونحوه قوله تعالى وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون والثانى حاج وقت ان آتاه الله الملك (فان
قلت) كيف جاز ان يؤتى الله الملك الكافر (قلت) فيه قولان آتاه ما غلب به وتسلط من المال والخدم
والاتباع وأما التغليب والتسليط فلا وقيل ملكه امتحانا لعباده و (اذ قال) نصب بحاج أو بدل من ان آتاه
اذا جعل بمعنى الوقت (أنا أحيى وأميت) يريد أعفو عن القتل وأقتل وكان الاعتراض عتيدا ولكن ابراهيم
لما سمع جوابه الاحمق لم يحاجه فيه ولكن انتقل الى ما لا يقدر فيه على نحو ذلك الجواب ليبهته أول شئ وهذا
دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة الى حجة * وقرئ فبهت الذى كفر أى فغلب ابراهيم الكافر وقرأ أبو
حيوة فبهت بوزن قرب وقيل كانت هذه المحاجة حين كسر الاصنام وسجنه نمروذ ثم أخرجه من السجن ليحرقه
فقال له من ربك الذى تدعو اليه فقال ربى الذى يحيى ويميت (أو كالذى) معناه أو أرأيت مثل الذى

أو أرأيت مثل الذى مر الخ) قال أحمد ومثل هذا النظم يحذف منه فعل الرؤية كثيرا كقوله من
قال لها كلانا أسيرى * كاليوم مطلوبا ولا طالبا يريد لم أر كاليوم فحذف الفعل وحرف النفى والظاهر حمل الآية على الوجه الاول
لوجود نظيره والله أعلم (عاد كلامه) قال والمار كان كافرا بالبعث وهو الظاهر لانتظامه مع نمروذ فى سلك واحد وقيل كان مؤمنا وهو عزير
أو الخضر وأراد أن يعاين الاحياء كما طلبه ابراهيم وقوله يوما بناء على الظن روى أنه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس
فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية منها فقال أو بعض يوم انتهى كلامه (قال أحمد) أما استدلال الزمخشرى على ان
المار كان كافرا بانتظامه مع نمروذ فى سلك واحد فعارض بانه نظمت قصته مع قصة ابراهيم عليه السلام فى نسق واحد فليس الاستدلال
على كفره باقتران قصته مع قصة نمروذ أولى من الاستدلال على ايمانه بانتظامها أيضا مع قصة ابراهيم الا أن يقول ان قصة هذا المار
معطوفة على قصة نمروذ عطف تشريك فى الفعل منطوقا به فى الاولى ومحذوفا من الثانية مدلولا عليه بذكره أولا ولا كذلك عطف قصة
ابراهيم فانها مصدرة بالواو التى لا تدخل فى كثير من أحوالها التشريك ولكن لتحسين النظم حتى تتوسط بين الجمل التى يعلم تعاطفها
لذلك الغرض ولا كذلك عطفها فى قصة نمروذ فانه بأو التى لا تستعمل الا مشركة اذ عطف التحسين اللفظى خاص بالواو فيقول اذا انتهى
الترجيح الى هذا التدقيق فهو معارض بما بين قصة المار وقصة ابراهيم من التناسب المعنوى لان طلبتهما واحدة اذ المار سأل
معاينة الاحياء وكذلك طلبة ابراهيم عليه الصلاة والسلام ثم التناسب المعنوى أرجح من التعلق بامور لفظية ترد الى انحاء مختلفة
ويؤيد القول بأن المار كان مؤمنا تحريه فى قوله تعالى يوما أو بعض يوم فان ظاهره الاحتراز من التحريف فى القول حتى لا يعبر عن

جل اليوم باليوم حذرا من ايهام طلبته لجملة اليوم ومثل هذا التحري لا يصدر عن معطل والله أعلم * ولا يقال انما صدر منه هذا التحري بعد ان حيي وآمن * لانا نقول انما آمن على القول بكفره بعد ظهور الآيات يدل عليه قوله تعالى فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير وأما التحري المذكور فكان أول القصة قبل الايمان وما قدرت هذا السؤال الا لنكتة يذكرها الزمخشري الآن تشعر بارادة على الترجيح المذكور * ثم هذه القراءة التي نقلها الزمخشري في خلال كلامه من انه انما قال أو بعض يوم لما رأى بقية من الشمس لم يكن رآها أول كلامه فاستدرك الامر فيها نظر دقيق لم أقف عليه لاحد ممن أورد الحكاية في تفسيره وذلك ان الامر اذا كان على ما تضمنته وكلام المار المذكور بني أولا على الجزم بأنه لبث يوما ثم جزم آخرا أن لبثه انما كان بعض يوم ٢٨١ لرؤية بقية من الشمس وكان مقتضى التعبير عن حاله أن يقول بل بعض يوم مضربا عن جزمه الاول الى جزمه الثاني لان أو انما تدخل في الخبر اذا انبنى أوله على الجزم

قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال اعلم أن الله على كل شيء قدير واذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى

مر فحذف لدلالة ألم تر عليه لان كلتيهما كلمة تعجب ويجوز أن يحمل على المعنى دون اللفظ كأنه قيل أرأيت كالذي حاج ابراهيم أو كالذي مر على قرية والمار كان كافرا بالبعث وهو الظاهر لانتظامه مع نمروذ في سلك ولكلمة الاستبعاد التي هي أنى يحيي وقيل هو عزير أو الخضر أراد ان يعاين احياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه ابراهيم عليه السلام وقوله (أنى يحيي) اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الاحياء واستعظام لقدرة المحيي * والقرية بيت المقدس حين خربه بختنصر وقيل هي التي خرج منها الالوف (وهي خاوية على عروشها) تفسيره فيما بعد (يوما أو بعض يوم) بناء على الظن روي أنه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال أو بعض يوم وروي أن طعامه كان تينا وعنبا وشرابه عصيرا أو لبنا فوجد التين والعنب كما جنيا والشراب على حاله (لم يتسنه) لم يتغير والهاء أصلية أو هاء سكت واشتقاقه من السنة على الوجهين لان لامها هاء أو واو وذلك أن الشيء يتغير بمرور الزمان وقيل أصله يتسنن من الحمأ المسنون فقلبت نونه حرف علة كتقضي البازي ويجوز أن يكون معنى لم يتسنه لم تمر عليه السنون التي مرت عليه يعني هو بحاله كما كان كأنه لم يلبث مائة سنة وفي قراءة عبد الله فانظر الى طعامك وهذا شرابك لم يتسن وقرأ أبي لم يسنه بادغام التاء في السين (وانظر الى حمارك) كيف تفرقت عظامه ونخرت وكان له حمار قد ربطه ويجوز أن يراد وانظر اليه سالما في مكانه كما ربطته وذلك من أعظم الآيات أن يعيشه مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير (ولنجعلك آية للناس) فعلنا ذلك يريد احياءه بعد الموت وحفظ ما معه وقيل أتى قومه راكب حماره وقال أنا عزير فكذبوه فقال هاتوا التوراة فأخذ يهذها هذا عن ظهر قلبه وهم ينظرون في الكتاب فما خرم حرفا فقالوا هو ابن الله ولم يقرأ التوراة ظاهرا أحد قبل عزير فذلك كونه آية وقيل رجع الى منزله فرأى أولاده شيوخا وهو شاب فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة (وانظر الى العظام) هي عظام الحمار أو عظام الموتى الذين تعجب من احيائهم (كيف ننشرها) كيف نحييها وقرأ الحسن ننشرها من نشر الله الموتى بمعنى أنشرهم فنشروا وقرئ بالزاي بمعنى نحركها ونرفع بعضها الى بعض للتركيب وفاعل (تبين) مضمر تقديره فلما تبين له أن الله على كل شيء قدير (قال أعلم أن الله على كل شيء قدير) فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما في قولهم ضربني وضربت زيدا ويجوز فلما تبين له ما أشكل عليه يعني أمر احياء الموتى وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما فلما تبين له على البناء للمفعول وقرئ قال اعلم على لفظ الامر وقرأ عبد الله قيل اعلم (فان قلت) فان كان المار كافرا فكيف يسوغ أن يكلمه الله (قلت) كان الكلام بعد البعث ولم يكن اذ ذاك كافرا (أرني) بصرني (فان قلت)

ثم عرض في آخره شك ولا جزم بالنقيض فالحكاية المذكورة توجب أن يكون الموضع لبل لا لأو واذ موضع بل جزم بنقيض الاول فاذا استقر ذلك فالظاهر من حال المار انه كان أولا جازما ثم شك لا غير اتباعا لمقتضى الآية وعدولا عن الحكاية التي لا تثبت الا باسناد قاطع فيضطر الى تأويل فتأمل هذا النظر فانه من لطيف النكت والله الموفق (عاد كلامه) قال فان قلت اذا كان المار كافرا الخ * قال أحمد هذا سؤال عجيب والجواب عنه أعجب منه ومن سلم لهذا السائل ان الله تعالى لا يسوغ أن يكلم الكافر وهل هذا الا خطب بلا أصل أليس ان ابليس رأس الكفر ومعدنه ومع هذا قال الله تعالى اخرج منها فانك رجيم الى آخر الآية ويقول تعالى للكفار وهم بين أطباقها يعذبون اخسؤا فيها ولا تكلمون ولان هذا الامر متيقن وقوعه فضلا عن جوازه أول العلماء قوله تعالى ولا يكلمهم الله بمعنى ولا يكلمهم بما يسرهم وينفعهم هذا وجه تعجبي من السؤال وأما الجواب فقد اسلفت انقاده بان ايمان هذا المار على القول بأنه كان كافرا انما حصل في آخر القصة بعد أن تبينت له الآيات وأما كلام الله تعالى له ففي أول القصة * قلت الزمخشري كفانا مؤنة هذا الفصل سؤالا وجوابا والله المستعان

* قوله تعالى واذ قال ابراهيم رب أرنى الى قوله ولكن ليطمئن قلبى (قال محمود ان قلت كيف قال له أولم تؤمن وقد علم الخ) قال أحمد الاولى فى هذه الآية أن يذكر فيها المختار فى تفسيرها من المباحث المضمنة بالفكر المحرر والنكت المفصحة بالرأى المحمر فما وافق من كلام المصنف ما يذكره فالحمد لله وما خالفه فالحق فيما ذكرناه والله الموفق فنقول أما سؤال الخليل عليه السلام بقوله له كيف تحيي الموتى فليس عن شك والعياذ بالله فى قدرة الله على الاحياء ولكنه سؤال عن كيفية الاحياء ولا يشترط فى الايمان الاحاطة بصورتها فانما هى طلب علم ما لا يتوقف الايمان على علمه ويدل على ذلك ورود السؤال بصيغة كيف وموضوعها السؤال عن الحال ونظير هذا السؤال ان يقول القائل كيف يحكم زيد فى الناس فهو لا يشك انه يحكم فيهم ولكنه سأل عن كيفية حكمه لا ثبوته ولو كان الوهم قد يتلاعب ببعض الخواطر فيطرق الى ابراهيم شكا من هذه الآية وقد قطع النبى عليه الصلاة والسلام دابر هذا الوهم بقوله نحن أحق بالشك من ابراهيم أى ونحن لم نشك فلأن لا يشك ابراهيم أحرى وأولى (فان قلت) اذا كان السؤال مصروفا الى الكيفية التى لا يضر عدم تصورها ومشاهدتها بالايمان ولا تخل به فما موقع قوله تعالى أولم تؤمن (قلت) قد وقعت لبعض الحذاق فيه على لطيفة وهى ان هذه الصيغة تستعمل ظاهرا فى السؤال عن الكيفية كما مر وقد تستعمل فى الاستعجاز مثاله ان يدعى مدع انه يحمل ثقلا من الاثقال وأنت جازم بعجزه عن حمله فتقول له أرنى كيف تحمل هذا فلما كانت هذه الصيغة قد يعرض لها هذا الاستعمال الذى أحاط علم الله تعالى بان ابراهيم مبرأ منه أراد بقوله أولم تؤمن أن ينطق ابراهيم بقوله بلى آمنت ليدفع عنه ذلك الاحتمال اللفظى فى العبارة الاولى ليكون ايمانه مخلصا نص عليه بعبارة يفهمها كل من يسمعها فهما لا يلحقه فيه شك (فان قلت) قد تبين لى وجه الربط بين الكلام على التقدير المبين فما موقع قول ابراهيم ولكن ليطمئن قلبى وذلك يشعر ظاهرا بأنه كان عند السؤال فاقدا للطمأنينة (قلت) معناه ولكن ليزول عن قلبى الفكر فى كيفية الحياة لانى اذا شاهدتها سكن قلبى عن الجولان فى كيفياتها المتخيلة وتعينت عندى بالتصوير المشاهد وجاءت الآية مطابقة لسؤاله لانه شاهد صورة حياة الموتى تقديره الذى يحيى ويميت فهذا أحسن ما يجرى لى فى تفسير هذه الآية وربك الفتاح العليم * وأما قول الزمخشرى ان علم الاستدلال يتطرق اليه التشكيك بخلاف العلم الضرورى فكلام لم يصدر عن رأى منور ولا فكر محرر وذلك ان العلم الموقوف على سبب لا يتصور فيه تشكيك ما دام سببه مذكورا فى نفس العالم وانما الذى يقبل التشكيك قبولا مطلقا هو الاعتقاد وان كان صحيحا وسببه باق فى الذكر وبهذا ينحط الاعتقاد الصحيح عن ذروة العلم ولكن للقدماء من القدرية خبط طويل فى تمييز العلم عن الاعتقاد حتى غالى أبو هاشم فقال العلم بالشئ والجهل به مثلان وهذا على الحقيقة جهل حتى لحقيقة الجهل والزمخشرى فى قواعد العقائد يقفو آثار هذا القائل أية سلك فلعله من ثم طرق الى العلم النظرى الشك حسب تطرقه الى الاعتقاد الذى يكون مرة جهلا ومرة مطابقا والله الموفق * قوله تعالى فصرهن اليك (قال محمود ان قلت ما معنى أمره بضمها

قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم

كيف قال له (أولم تؤمن) وقد علم أنه أثبت الناس ايمانا (قلت) ليجيب بما أجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين و(بلى) ايجاب لما بعد النفى معناه بلى آمنت (ولكن ليطمئن قلبى) ليزيد سكونا وطمأنينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال وتظاهر الادلة أسكن للقلوب وأزيد للبصيرة واليقين ولان علم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف العلم الضرورى فأراد بطمأنينة القلب العلم الذى لا مجال فيه للتشكيك (فان قلت) بم تعلقت اللام فى ليطمئن (قلت) بمحذوف تقديره ولكن سألت ذلك ارادة طمأنينة القلب (فخذ أربعة من الطير) قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة (فصرهن اليك) بضم الصاد وكسرها بمعنى فأملهن واضممهن اليك قال * ولكن أطراف الرماح تصورها * وقال

وفرع يصير الجيد وحف كأنه * على الليت قنوان الكروم الدوالح

وقرأ ابن عباس رضى الله عنه فصرهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه نحو ضره يضره ويضره وعنه فصرّهن من التصرية وهى الجمع أيضا (ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ) يريد ثم جزئهن وفرق أجزاءهن على الجبال والمعنى على كل جبل من الجبال التى بحضرتك وفى أرضك قيل كانت أربعة أجبل وعن السدى سبعة (ثم ادعهن) وقل لهن تعالين باذن الله (يأتينك سعيا) ساعيات مسرعات فى طيرانهن أو فى مشيهن على أرجلهن (فان قلت) ما معنى أمره بضمها الى نفسه بعد أن يأخذها (قلت) ليتأملها ويعرف أشكالها وهيئاتها وحلاها لئلا تلتبس عليه بعد الاحياء ولا يتوهم أنها غير تلك ولذلك قال يأتينك سعيا وروى أنه أمر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق أجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها وأن يمسك رؤسها ثم أمر أن يجعل أجزاءها على الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت جثثا ثم أقبلن فانضممن الى رؤسهن كل جثة الى رأسها

مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا

راسها وقرئ جزأ بضمتين وجزا بالتشديد ووجهه أنه خفف بطرح همزته ثم شدد كما يشدد في الوقف اجراء للوصل مجرى الوقف (مثل الذين ينفقون) لا بد من حذف مضاف أي مثل نفقتهم كمثل حبة أو مثلهم كمثل باذر حبة * والمنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت سببا أسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى الماء ومعنى انباتها سبع سنابل أن تخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب لكل واحدة سنبلة وهذا التمثيل تصوير للاضعاف كأنها ماثلة بين عيني الناظر (فان قلت) كيف صح هذا التمثيل والممثل به غير موجود (قلت) بل هو موجود في الدخن والذرة وغيرهما وربما فرخت ساق البرة في الاراضي القوية المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ ولو لم يوجد لكان صحيحا على سبيل الفرض والتقدير (فان قلت) هلا قيل سبع سنبلات على حقه من التمييز بجمع القلة كما قال وسبع سنبلات خضر (قلت) هذا لما قدمت عند قوله ثلاثة قروء من وقوع أمثلة الجمع متعاورة مواقعها (والله يضاعف لمن يشاء) أي يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت أحوال المنفقين أو يضاعف سبع المائة ويزيد عليها أضعافها لمن يستوجب ذلك * المن أن يعتد على من أحسن اليه باحسانه ويريه أنه اصطنعه وأوجب عليه حقا له وكانوا يقولون اذا صنعتم صنيعة فانسوها ولبعضهم

وان امرأ أسدى الى صنيعة * وذكرنيها مرة للئيم

وفي نوابغ الكلم صفوان من منح سائله ومن ومن منع نائله وضن وفيها طعم الآلاء أحلى من المن وهي أمر من الآلاء مع المن * والاذى أن يتطاول عليه بسبب ما أزل اليه ومعنى ثم اظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وأن تركهما خير من نفس الانفاق كما جعل الاستقامة على الايمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا (فان قلت) أي فرق بين قوله لهم أجرهم وقوله فيما بعد فلهم أجرهم (قلت) الموصول لم يضمن ههنا معنى الشرط وضمنه ثمة والفرق بينهما من جهة المعنى أن الفاء فيها دلالة على أن الانفاق به استحق الاجر وطرحها عار عن تلك الدلالة (قول معروف) رد جميل (ومغفرة) وعفو عن السائل اذا وجد منه ما يثقل على المسؤل أو ونيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل أو وعفو من جهة السائل لانه اذا رده ردا جميلا عذره (خير من صدقة يتبعها أذى) وصح الاخبار عن المبتدا النكرة لاختصاصه بالصفة (والله غني) لا حاجة به الى منفق يمن ويؤذي (حليم) عن معاجلته بالعقوبة وهذا سخط منه ووعيد له * ثم بالغ في ذلك بما أتبعه (كالذي ينفق ماله) أي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كابطال المنافق الذي ينفق ماله (رئاء الناس) لا يريد بانفاقه رضا الله ولا ثواب الآخرة (فمثله كمثل صفوان) مثله ونفقته التي لا ينتفع بها البتة بصفوان بحجر أملس عليه تراب وقرأ سعيد بن المسيب صفوان بوزن كروان (فأصابه وابل) مطر عظيم القطر (فتركه صلدا) أجرد نقيا من

الخ) قال أحمد يريد ولم يقل طيرانا لانه اذا كانت ساعية كان أثبت لنظره عليها من أن تكون طائرة والله أعلم * قوله تعالى الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى (قال محمود في نوابغ الكلم صفوان الخ) قال أحمد ثم في أصل وضعها تشعر بتراخي المعطوف بها عن المعطوف عليه في الزمان وبعد ما بينهما والزمخشري يحملها على التفاوت في المراتب والتباعد بينهما حيث لا يمكنه حملها على التراخي في الزمان لسياق يأبى ذلك كهذه الآية وحاصله انها استعيرت من تباعد الازمنة لتباعد المرتبة وعندي فيها وجه آخر محتمل في هذه الآية ونحوها وهو الدلالة على دوام الفعل المعطوف بها وارخاء الطول في استصحابه فهي على هذا لم تخرج عن الاشعار ببعد الزمن ولكن معناها الاصلي تراخي زمن وقوع الفعل وحدوثه ومعناها المستعارة اليه دوام وجود الفعل وتراخي زمن بقائه وعليه حمل قوله تعالى ثم استقاموا أي داموا على الاستقامة دواما متراخيا ممتد الامد وتلك الاستقامة ٢٨٣ هي المعتبرة لا ما هو منقطع الى ضده من الحيد الى الهوى والشهوات وكذلك قوله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا أذى أي يدومون على تناسي الاحسان وعلى ترك الاعتداد به والامتنان ليسوا بتاركيه في أزمنة الى الاذاية وتقليد المنن بسببه ثم يتوبون والله أعلم وقريب من هذا أو مثله ان السين يصحب الفعل لتنفيس زمان وقوعه وتراخيه ثم ورد * قوله تعالى حكاية عن الخليل عليه السلام انى ذاهب الى ربى سيهدين وقد حكى الله تعالى في مثل هذه الآية الذى خلقنى فهو يهدين فليس الى حمل السين على تراخي زمان وقوع الهداية له من سبيل فيتعين المصير الى حملها على الدلالة على تنفس دوام الهداية الحاصلة له وتراخي بقائها وتمادي أمدها ولعل الزمخشري أشار الى هذا المعنى في آية ابراهيم عليه السلام فتأمل هذا الوجه فهو أوجه مما حمل الزمخشري عليه آية البقرة وهذه الآية أبقى على الحقيقة وأقرب الى الوضع على أحسن طريقه والله الموفق

٣ قوله بسبب ما أزال اليه كذا في نسخ وفي أخرى أسدى اليه اهـ مصححه

التراب الذي كان عليه ومنه صلد جبين الاصلع اذا برق (لا يقدرون على شيء مما كسبوا) كقوله فجعلناه هباء
منثورا ويجوز أن تكون الكاف في محل النصب على الحال أي لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق (فان
قلت) كيف قال لا يقدرون بعد قوله كالذي ينفق (قلت) أراد بالذي ينفق الجنس أو الفريق الذي ينفق
ولان من والذي يتعاقبان فكأنه قيل كمن ينفق (وتثبيتا من أنفسهم) وليثبتوا منها ببذل المال الذي هو
شقيق الروح وبذله أشق شيء على النفس على سائر العبادات الشاقة وعلى الايمان لان النفس اذا ريضت
بالتحامل عليها وتكليفها ما يصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها وقل طمعها في اتباعه لشهواتها وبالعكس
فكان انفاق المال تثبيتا لها على الايمان واليقين ويجوز أن يراد وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من أصل
أنفسهم لانه اذا أنفق المسلم ماله في سبيل الله علم أن تصديقه وايمانه بالثواب من أصل نفسه ومن اخلاص
قلبه ومن على التفسير الاول للتبعيض مثلها في قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه وعلى الثاني لابتداء
الغاية كقوله تعالى حسدا من عند أنفسهم ويحتمل أن يكون المعنى وتثبيتا من أنفسهم عند المؤمنين أنها
صادقة الايمان مخلصة فيه وتعضده قراءة مجاهد وتبيينا من أنفسهم (فان قلت) فما معنى التبعيض (قلت)
معناه أن من بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه معا فهو الذي ثبتها كلها
وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم والمعنى ومثل نفقة هؤلاء في زكائها عند الله (كمثل جنة) وهي
البستان (بربوة) بمكان مرتفع وخصها لان الشجر فيها أزكى وأحسن ثمرا (أصابها وابل) مطر عظيم القطر
(فآتت أكلها) ثمرتها (ضعفين) مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل (فان لم يصبها وابل فطل) فطل صغير القطر
يكفيها لكرم منبتها أو مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل وكما أن كل
واحد من المطرين يضعف أكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت أو قليلة بعد أن يطلب بها وجه الله ويبذل
فيها الوسع زاكية عند الله زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده وقرئ كمثل حبة وبربوة بالحركات الثلاث
وأكلها بضمتين بهمزة في (أيود) للانكار وقرئ له جنات وذرية ضعاف والاعصار الريح التي تستدير في
الارض ثم تسطع نحو السماء كالعمود وهذا مثل لمن يعمل الاعمال الحسنة لا يبتغي بها وجه الله فاذا كان يوم
القيامة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة من أبهى الجنان وأجمعها للثمار فبلغ الكبر
وله أولاد ضعاف والجنة معاشهم ومنتعشهم فهلكت بالصاعقة وعن عمر رضي الله عنه أنه سأل عنها الصحابة
فقالوا الله أعلم فغضب وقال قولوا نعلم أو لا نعلم فقال ابن عباس رضي الله عنه في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين
قال قل يا ابن أخي ولا تحقر نفسك قال ضربت مثلا لعمل قال لاي عمل قال لرجل غني يعمل الحسنات ثم بعث
الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله كلها وعن الحسن رضي الله عنه هذا مثل قل والله من
يعقله من الناس شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه أفقر ما كان الى جنته وان أحدكم والله أفقر ما يكون الى
عمله اذا انقطعت عنه الدنيا (فان قلت) كيف قال جنة من نخيل وأعناب ثم قال له فيها من كل الثمرات (قلت)
النخيل والاعناب لما كانا أكرم الشجر وأكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وان كانت محتوية
على سائر الاشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم أردفهما ذكر كل الثمرات ويجوز أن يريد بالثمرات المنافع التي كانت
تحصل له فيها كقوله وكان له ثمر بعد قوله جنتين من أعناب وحففناهما بنخل (فان قلت) علام عطف قوله
وأصابه الكبر (قلت) الواو للحال لا للعطف ومعناه أن تكون له جنة وقد أصابه الكبر وقيل يقال وددت
أن يكون كذا وودت لو كان كذا فحمل العطف على المعنى كأنه قيل أيود أحدكم لو كانت له جنة وأصابه الكبر
(من طيبات ما كسبتم) من جياد مكسوباتكم (ومما أخرجنا لكم) من الحب والثمر والمعادن وغيرها
(فان قلت) فهلا قيل وما أخرجنا لكم عطفا على ما كسبتم حتى يشتمل الطيب على المكسوب والمخرج من
الارض (قلت) معناه ومن طيبات ما أخرجنا لكم الا أنه حذف لذكر الطيبات (ولا تيمموا الخبيث)
ولا تقصدوا المال الرديء (منه تنفقون) تخصونه بالانفاق وهو في محل الحال وقرأ عبد الله ولا تأمموا
وقرأ ابن عباس ولا تيمموا بضم التاء ويممه وتيممه وتأممه سواء في معنى قصده (ولستم بآخذيه)

وجالكم

لا يقدرون على شيء مما
كسبوا والله لا يهدي
القوم الكافرين
ومثل الذين ينفقون
أموالهم ابتغاء مرضاة
الله وتثبيتا من أنفسهم
كمثل جنة بربوة أصابها
وابل فآتت أكلها
ضعفين فان لم يصبها
وابل فطل والله بما
تعملون بصير أيود
أحدكم أن تكون له
جنة من نخيل وأعناب
تجري من تحتها الانهار
له فيها من كل الثمرات
وأصابه الكبر وله ذرية
ضعفاء فأصابها اعصار
فيه نار فاحترقت كذلك
يبين الله لكم الآيات
لعلكم تتفكرون يا أيها
الذين آمنوا أنفقوا
من طيبات ما كسبتم
ومما أخرجنا لكم من
الارض ولا تيمموا
الخبيث منه تنفقون
ولستم بآخذيه

* قوله تعالى أيود أحدكم
أن تكون له جنة الى
آخر الآية (قال محمود
ان قلت لم ذكر النخيل
والاعناب أولا الخ) قال
أحمد وهذا من باب
تثنية ذكر ما يقع
الاهتمام به مرتين
عموما وخصوصا ومثله
فيهما فاكهة ونخل
ورمان الا أنه في تلك
الآية بدأ بالتعميم وفي هذه
الآية بدأ بالتخصيص
والمقصود هو ما نبهنا
عليه والله أعلم

*قوله تعالى ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء (قال محمود لا يجب عليك أن تجعلهم مهديين الخ) قال أحمد المعتقد الصحيح ان الله هو الذي يخلق الهدى لمن يشاء هداه وذلك هو اللطف لا كما يزعم الزمخشري ان الهدى ليس خلق الله وانما العبد يخلقه لنفسه وان أطلق الله تعالى اضافة الهدى اليه كما في هذه الآية فهو مؤول على زعم الزمخشري بلطف الله الحامل للعبد على أن يخلق هداه ان هذا الاختلاق وهذه النزغة من توابع معتقدهم السيء في خلق الافعال وليس علينا هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وهو المسؤل أن لا يزيغ قلوبنا بعد اذ هدانا

وحالكم أنكم لا تأخذونه في حقوقكم (الا أن تغمضوا فيه) الا بأن تتسامحوا في أخذه وتترخصوا فيه من قولك أغمض فلان عن بعض حقه اذا غض بصره ويقال للبائع أغمض أي لا تستقصِ كأنك لا تبصر وقال الطرماح

لم يفتنا بالوتر قوم وللضيـ *** ـم رجال يرضون بالاغماض

وقرأ الزهري تُغْمِضوا وأغمض وغمّض بمعنى وعنه تغمضوا بضم الميم وكسرها من غمض يغمض ويغمض وقرأ قتادة تُغمَضوا على البناء للمفعول بمعنى الا أن تدخلوا فيه وتجذبوا اليه وقيل الا أن توجدوا مغمضين وعن الحسن رضي الله عنه لو وجدتموه في السوق يباع ما أخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه * أي يعدكم في الانفاق (الفقر) ويقول لكم ان عاقبة انفاقكم أن تفتقروا وقرئ الفُقْر بالضم والفَقَر بفتحتين والوعد يستعمل في الخير والشر قال الله تعالى النار وعدها الله الذين كفروا (ويأمركم بالفحشاء) ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الآمر للمأمور والفاحش عند العرب البخيل (والله يعدكم) في الانفاق (مغفرة) لذنوبكم وكفارة لها (وفضلا) وأن يخلف عليكم أفضل مما أنفقتم أو وثوابا عليه في الآخرة (يؤتي الحكمة) يوفق للعلم والعمل به والحكيم عند الله هو العالم العامل * وقرئ ومن يؤت الحكمة بمعنى ومن يؤته الله الحكمة وهكذا قرأ الاعمش و(خيرا كثيرا) تنكير تعظيم كأنه قال فقد أوتي خيرا كثيرا (وما يذكر الا أولوا الالباب) يريد الحكماء العلماء العمال والمراد به الحث على العمل بما تضمنت الآي في معنى الانفاق (وما أنفقتم من نفقة) في سبيل الله أو في سبيل الشيطان (أو نذرتم من نذر) في طاعة الله أو في معصيته (فان الله يعلمه) لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه (وما للظالمين) الذين يمنعون الصدقات أو ينفقون أموالهم في المعاصي أو لا يفون بالنذور أو ينذرون في المعاصي (من أنصار) ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه * ما في نعما نكرة غير موصولة ولا موصوفة ومعنى (فنعما هي) فنعم شيئا ابداؤها وقرئ بكسر النون وفتحها (وان تخفوها وتؤتوها الفقراء) وتصيبوا بها مصارفها مع الاخفاء (فهو خير لكم) فالاخفاء خير لكم والمراد الصدقات المتطوع بها فان الافضل في الفرائض أن يجاهر بها وعن ابن عباس رضي الله عنهما صدقات السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا وانما كانت المجاهرة بالفرائض أفضل لنفي التهمة حتى اذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان اخفاؤه أفضل والمتطوع ان أراد أن يقتدى به كان اظهاره أفضل (ونكفر) قرئ بالنون مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفاء أو على أنه خبر مبتدأ محذوف أي ونحن نكفر أو على أنه جملة من فعل وفاعل مبتدأة ومجزوما عطفا على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط وقرئ ويكفر بالياء مرفوعا والفعل لله أو للاخفاء وتكفر بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات وقرأ الحسن رضي الله عنه بالياء والنصب باضمار أن ومعناه ان تخفوها يكن خيرا لكم وأن يكفر عنكم (ليس عليك هداهم) لا يجب عليك أن تجعلهم مهديين الى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذى والانفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك الا أن تبلغهم النواهي فحسب (ولكن الله يهدي من يشاء) يلطف بمن يعلم أن اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهي عنه (وما تنفقوا من خير) من مال (فلانفسكم) فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم (وما تنفقون) وليست نفقتكم الا ابتغاء وجه الله ولطلب ما عنده فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله (وما تنفقوا من خير يوف اليكم) ثوابه أضعافا مضاعفة فلا عذر لكم في أن ترغبوا عن انفاقه وأن يكون على أحسن الوجوه وأجملها وقيل حجت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما فأتتها أمها تسألها وهي مشركة فأبت أن تعطيها فنزلت وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه كانوا يتقون أن يرضخوا لقراباتهم من المشركين وروي أن ناسا من المسلمين كانت لهم أصهار في اليهود ورضاع وقد كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما أسلموا كرهوا أن ينفقوهم وعن بعض العلماء لو كان

الا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولوا الالباب وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه وما للظالمين من أنصار ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم لا تظلمون للفقراء

*قوله تعالى الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس (قال محمود يعنى اذا بعثوا من قبورهم الخ)
قال أحمد قوله وتخبط الشيطان من زعمات العرب أى كذباتهم وزخارفهم التى لا حقيقة لها كما يقال فى الغول والعنقاء ونحو ذلك وهذا
القول على الحقيقة من تخبط الشيطان بالقدرية فى زعماتهم المردودة بقواطع الشرع فقد ورد ما من مولود يولد الا يمسه الشيطان
فيستهل صارخا وفى بعض الطرق الا طعن الشيطان فى خاصرته ومن ذلك يستهل صارخا الا مريم وابنها لقول أمها انى أعيذها بك وذريتها
من الشيطان الرجيم وقوله ٢٨٦ عليه السلام التقطوا صبيانكم أول العشاء فانه وقت انتشار الشياطين وفى حديث مكحول انه مر
برجل نائم بعد العصر
فركضه برجله وقال
لقد دفع عنك الشياطين
أو لقد عوفيت انها ساعة
مخرجهم وفيها ينتشرون
وفيها يكون الخبطة قال
ثم كان فى لسان مكحول
لكنة وانما أراد الخبطة
من الشيطان أى اصابة
مس أو جنون وقد ورد
فى حديث المفقود الذى
اختطفته الشياطين
وردته فى زمنه عليه
الصلاة والسلام انه حدث عن شأنه معهم قال فجاءنى طائر كأنه جمل قبعثرى فاحتملنى على خافية في
من خوافيه الى غير ذلك مما يطول الكتاب بذكره واعتقاد السلف وأهل السنة ان هذه أمور على حقائقها واقعة كما أخبر الشرع
عنها وانما القدرية خصماء العلانية فلا جرم انهم ينكرون كثيرا مما يزعمونه مخالفا لقواعدهم من ذلك السحر وخبطة الشيطان
ومعظم أحوال الجن وان اعترفوا بشئ من ذلك فعلى غير الوجه الذى يعترف به أهل السنة وينبئ عنه ظاهر الشرع فى خبط طويل
لهم فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون

ثم خلق الله لكان لك ثواب نفقتك واختلف فى الواجب فجوز أبو حنيفة رضى الله عنه صرف صدقة الفطر
الى أهل الذمة وأباه غيره * الجار متعلق بمحذوف والمعنى اعمدوا للفقراء أو اجعلوا ما تنفقون للفقراء كقوله
تعالى فى تسع آيات ويجوز أن يكون خبر مبتدإ محذوف أى صدقاتكم للفقراء و(الذين أحصروا فى سبيل الله)
هم الذين أحصرهم الجهاد (لا يستطيعون) لاشتغالهم به (ضربا فى الارض) للكسب وقيل هم أصحاب
الصفة وهم نحو من أربعمائة رجل من مهاجرى قريش لم يكن لهم مساكن فى المدينة ولا عشائر فكانوا
فى صفة المسجد وهى سقيفته يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون فى كل سرية
بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن كان عنده فضل أتاهم به اذا أمسى وعن ابن عباس رضى الله عنهما وقف
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على أصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال ابشروا
يا أصحاب الصفة فمن بقى من أمتى على النعت الذى أنتم عليه راضيا بما فيه فانه من رفقائى فى الجنة (يحسبهم
الجاهل) بحالهم (أغنياء من التعفف) مستغنين من أجل تعففهم عن المسئلة (تعرفهم بسيماهم) من صفرة
الوجوه ورثاثة الحال * والالحاف الالحاح وهو اللزوم وأن لا يفارق الا بشئ يعطاه من قولهم لحفنى من فضل
لحافه أى أعطانى من فضل ما عنده وعن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحب الحيى الحليم المتعفف
ويبغض البذى السآل الملحف ومعناه أنهم ان سألوا سألوا بتلطف ولم يلحوا وقيل هو نفى للسؤال والالحاف
جميعا كقوله * على لاحب لا يهتدى بمناره * يريد نفى المنار والاهتداء به (بالليل والنهار سرا وعلانية) يعمون
الاوقات والاحوال بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه
ولم يتعللوا بوقت ولا حال وقيل نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين تصدق بأربعين ألف دينار عشرة
بالليل وعشرة بالنهار وعشرة فى السر وعشرة فى العلانية وعن ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى على رضى
الله عنه لم يملك الا أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقيل نزلت
فى علف الخيل وارتباطها فى سبيل الله وعن أبى هريرة رضى الله عنه كان اذا مر بفرس سمين قرأ هذه الآية
(الربوا) كتب بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلاة والزكاة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع
(لا يقومون) اذا بعثوا من قبورهم (الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان) أى المصروع وتخبط الشيطان من
زعمات العرب يزعمون أن الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب على غير استواء كخبط العشواء
فورد على ما كانوا يعتقدون * والمس الجنون ورجل ممسوس وهذا أيضا من زعماتهم وأن الجنى يمسه فيختلط
عقله وكذلك جن الرجل معناه ضربته الجن ورأيتهم لهم فى الجن قصص وأخبار وعجائب وانكار ذلك
عندهم كانكار المشاهدات (فان قلت) بم يتعلق قوله (من المس) (قلت) بلا يقومون أى لا يقومون من المس
الذى بهم الا كما يقوم المصروع ويجوز أن يتعلق بيقوم أى كما يقوم المصروع من جنونه والمعنى أنهم يقومون
يوم القيامة مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند أهل الموقف وقيل الذين يخرجون من
الاجداث يوفضون الا أكلة الربا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم أكلوا الربا فأرباه الله

الذين أحصروا فى سبيل
الله لا يستطيعون ضربا
فى الارض يحسبهم
الجاهل أغنياء من
التعفف تعرفهم بسيماهم
لا يسئلون الناس الحافا
وما تنفقوا من خير فان
الله به عليم الذين ينفقون
أموالهم بالليل والنهار
سرا وعلانية فلهم أجرهم
عند ربهم ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون
الذين يأكلون الربوا
لا يقومون الا كما يقوم
الذى يتخبطه الشيطان
من المس

* قوله تعالى ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا (قال محمود ان قلت لم لم يقولوا انما الربا مثل البيع الخ) قال أحمد وعندي وجه في الجواب عن السؤال الذي أورده غير ما ذكره وهو انه متى كان المطلوب التسوية بين المحلين في ثبوت الحكم فللقائل أن يسوي بينهما طردا فيقول مثلا الربا مثل البيع وغرضه من ذلك أن يقول والبيع حلال فالربا حلال وله أن يسوي بينهما في العكس فيقول البيع مثل الربا فلو كان الربا حراما كان البيع حراما ضرورة المماثلة ونتيجته التي دلت قوة الكلام عليها أن يقول ولما كان البيع حلالا اتفاقا غير حرام وجب أن يكون الربا مثله والاول على طريقة قياس الطرد والثاني على طريقة قياس العكس ومآلهما الى مقصد واحد فلا حاجة على هذا التقرير الى خروج عن الظاهر لعذر المبالغة أو غيره وليس الغرض من هذا كله الا بيان هذا الذي تخيلوه على انموذج النظم الصحيح وان كان قياسا فاسد الوضع لاستعماله على مناقضة المعلوم من حكم الله أيضا في تحريم الربا وتحليل البيع وقطع القياس بينهما ولكن اذا استعملت الطريقتين المذكورتين استعمالا صحيحا قلت في الاولى النبيذ مثل الخمر في علة التحريم وهو الاسكار والخمر حرام فالنبيذ حرام وقلت في الثانية انما الخمر مثل النبيذ فلو كان النبيذ (٢٨٧) حلالا لكان الخمر حلالا وليست ٣

ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربوا وأحل الله البيع وحرم الربوا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يمحق الله الربوا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكوة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله

في بطونهم حتى أثقلهم فلا يقدرون على الايفاض (ذلك) العقاب بسبب قولهم (انما البيع مثل الربوا) (فان قلت) هلا قيل انما الربا مثل البيع لان الكلام في الربا لا في البيع فوجب أن يقال انهم شبهوا الربا بالبيع فاستحلوه وكانت شبهتهم أنهم قالوا لو اشترى الرجل ما لا يساوي الا درهما بدرهمين جاز فكذلك اذا باع درهما بدرهمين (قلت) جيء به على طريق المبالغة وهو أنه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربا أنهم جعلوه أصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا به البيع وقوله (وأحل الله البيع وحرم الربوا) انكار لتسويتهم بينهما ودلالة على أن القياس يهدمه النص لانه جعل الدليل على بطلان قياسهم احلال الله وتحريمه (فمن جاءه موعظة) فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربا (فانتهى) فتبع النهي وامتنع (فله ما سلف) فلا يؤاخذ بما مضى منه لانه أخذ قبل نزول التحريم (وأمره الى الله) يحكم في شأنه يوم القيامة وليس من أمره اليكم شيء فلا تطالبوه به (ومن عاد) الى الربا (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وهذا دليل بين على تخليد الفساق وذكر فعل الموعظة لان تأنيثها غير حقيقي ولانها في معنى الوعظ وقرأ أبي والحسن فمن جاءته (يمحق الله الربوا) يذهب ببركته ويهلك المال الذي يدخل فيه وعن ابن مسعود رضي الله عنه الربا وان كثر الى قل (ويربي الصدقات) ما يتصدق به بأن يضاعف عليه الثواب ويزيد المال الذي أخرجت منه الصدقة ويبارك فيه وفي الحديث ما نقصت زكاة من مال قط (كل كفار أثيم) تغليظ في أمر الربا وايذان بأنه من فعل الكفار لا من فعل المسلمين * أخذوا ما شرطوا على الناس من الربا وبقيت لهم بقايا فأمروا أن يتركوها ولا يطالبوا بها روي أنها نزلت في ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربا وقرأ الحسن رضي الله عنه ما بقي بقلب الياء ألفا على لغة طيء وعنه ما بقي بياء ساكنة ومنه قول جرير

هو الخليفة فارضوا ما رضي لكمو * ماضي العزيمة ما في حكمه جنف

(ان كنتم مؤمنين) ان صح ايمانكم يعني أن دليل صحة الايمان وثباته امتثال ما أمرتم به من ذلك (فأذنوا بحرب) فاعلموا بها من أذن بالشيء اذا علم به وقرئ فآذنوا فأعلموا بها غيركم وهو من الاذن وهو الاستماع لانه من طرق العلم وقرأ الحسن فأيقنوا وهو دليل لقراءة العامة (فان قلت) هلا قيل بحرب الله ورسوله (قلت)

حلالا اتفاقا فالنبيذ كذلك ضرورة المماثلة المذكورة فهذا التوجيه أولى أن تحمل الآية عليه والله أعلم * قوله تعالى ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (قال محمود رحمه الله في هذه الآية دليل على تخليد الفساق الخ) قال أحمد هو يبني على أن المتوعد عليه بالخلود العود الى فعل الربا خاصة ولا يساعده على ذلك الظاهر الذي استدل به فان الذي وقع العود اليه مسكوت عنه في الآية الا تراه قال ومن عاد فلم يذكر المعود اليه فيحمل على ما تقدم كأنه قال ومن عاد الى ما سلف ذكره فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون والذي سلف ذكره فعل الربا واعتقاد جوازه والاحتجاج عليه بقياسه على البيع ولا شك عندنا أهل السنة والجماعة ان من تعاطى معاملة الربا مستحلا لها مكابرا في تحريمها مسندا الحلالها الى معارضة آيات الله البينات بما يتوهمه من الخيالات فقد كفر ثم ازداد كفرا واذذاك يكون الموعود بالخلود في الآية من يقال انه كافر مكذب غير مؤمن وهذا لا اختلاف فيه فلا دليل للزمخشري اذا على اعتزاله في هذه الآية والله الموفق وانما هو موكل بتحميل الآيات من المعتقدات الباطلة ما لا تحتمله وأنى له ذلك في الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد

٣ (قول المحشي وليست حلالا الخ) لعل الصواب أن يقول وليس النبيذ حلالا الا اتفاقا فالخمر كذلك كما هو مقتضى المقابلة اهـ مصححه

كان هذا أبلغ لان المعنى فأذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله وروى أنها لما نزلت قالت ثقيف لا يدى لنا بحرب الله ورسوله (وان تبتم) من الارتباء (فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون) المديونين بطلب الزيادة عليها (ولا تظلمون) بالنقصان منها (فان قلت) هذا حكمهم ان تابوا فما حكمهم لو لم يتوبوا (قلت) قالوا يكون مالهم فيأ للمسلمين وروى المفضل عن عاصم لا تظلمون ولا تظلمون (وان كان ذو عسرة) وان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة أى ذو اعسار وقرأ عثمان رضى الله عنه ذا عسرة على وان كان الغريم ذا عسرة وقرئ ومن كان ذا عسرة (فنظرة) أى فالحكم أو فالامر نظرة وهى الانظار وقرئ فنظرة بسكون الظاء وقرأ عطاء فناظره بمعنى فصاحب الحق ناظره أى منتظره أو صاحب نظرته على طريقة النسب كقولهم مكان عاشب وباقل أى ذو عشب وذو بقل وعنه فناظره على الامر بمعنى فسامحه بالنظرة وياسره بها (الى ميسرة) الى يسار وقرئ بضم السين كمقبرة ومقبرة ومشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كقوله * وأخلفوك عد الامر الذى وعدوا * وقوله تعالى وأقام الصلاة (وأن تصدقوا خير لكم) ندب الى أن يتصدقوا برؤس أموالهم على من أعسر من غرمائهم أو ببعضها كقوله تعالى وأن تعفوا أقرب للتقوى وقيل أريد بالتصدق الانظار لقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة (ان كنتم تعلمون) أنه خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به وان علمه كأنه لا يعلمه وقرئ تصدقوا بتخفيف الصاد على حذف التاء (ترجعون) قرئ على البناء للفاعل والمفعول وقرئ يرجعون بالياء على طريقة الالتفات وقرأ عبد الله تردون وقرأ أبى تصيرون وعن ابن عباس أنها آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام وقال ضعها فى رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها أحدا وعشرين يوما وقيل أحدا وثمانين وقيل سبعة أيام وقيل ثلاث ساعات (اذا تداينتم) اذا داين بعضكم بعضا يقال داينت الرجل اذا عاملته (بدين) معطيا أو آخذا كما تقول بايعته اذا بعته أو باعك قال رؤبة

داينت أروى والديون تقضى * فمطلت بعضا وأدت بعضا

والمعنى اذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه (فان قلت) هلا قيل اذا تداينتم الى أجل مسمى وأى حاجة الى ذكر الدين كما قال داينت أروى ولم يقل بدين (قلت) ذكر ليرجع الضمير اليه فى قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب أن يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولانه أبين لتنويع الدين الى مؤجل وحال (فان قلت) ما فائدة قوله (مسمى) (قلت) ليعلم أن من حق الاجل أن يكون معلوما كالتوقيت بالسنة والاشهر والايام ولو قال الى الحصاد أو الدياس أو رجوع الحاج لم يجز لعدم التسمية وانما أمر بكتبة الدين لان ذلك أوثق وآمن من النسيان وأبعد من الجحود والامر للندب وعن ابن عباس أن المراد به السلم وقال لما حرم الله الربا أباح السلف وعنه أشهد أن الله أباح السلم المضمون الى أجل معلوم فى كتابه وأنزل فيه أطول آية (بالعدل) متعلق بكاتب صفة له أى كاتب مأمون على ما يكتب يكتب بالسوية والاحتياط لا يزيد على ما يجب أن يكتب ولا ينقص وفيه أن يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يجىء مكتوبه معدلا بالشرع وهو أمر للمتداينين بتخير الكاتب وأن لا يستكتبوا الا فقيها دينا (ولا يأب كاتب) ولا يمتنع أحد من الكتاب وهو معنى تنكير كاتب (أن يكتب كما علمه الله) مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير وقيل هو كقوله تعالى وأحسن كما أحسن الله اليك أى ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها وعن الشعبى هى فرض كفاية وكما علمه الله يجوز أن يتعلق بأن يكتب وبقوله فليكتب (فان قلت) أى فرق بين الوجهين (قلت) ان علقته بأن يكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة المقيدة ثم قيل له فليكتب يعنى فليكتب تلك الكتابة لا يعدل عنها للتوكيد وان علقته بقوله فليكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة على سبيل الاطلاق ثم أمر بها مقيدة (وليملل الذى عليه الحق) ولا يكن المملى الا من وجب عليه الحق لانه هو المشهود على ثباته فى ذمته واقراره به والاملاء والاملال لغتان قد نطق بهما القرآن فهى تملى عليه (ولا يبخس منه) من الحق (شيأ) والبخس النقص وقرئ شيا بطرح الهمزة وشيا بالتشديد (سفيها) محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف (أو ضعيفا) صبيا أو شيخا

وان تبتم فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيأ فان كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا

* قوله تعالى اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه (قال محمود ان قلت هلا قيل اذا تداينتم الخ) قال أحمد الاجل المسمى هو المعلوم انتهاؤه ولعل الانتهاء طرق منها التحديد بنفس الزمان كالسنة والشهر ومنها التحديد بميعاد وقوعه فى زمن مخصوص مضبوط بالعرف كالحصاد ومقدم الحاج وكيف ما علم الاجل صح ضربه فمن ثم أجاز مالك البيع الى الحصاد لانه معلوم عندهم ثم المشتهر زمان وقوع هذه المعيات لا نفس وقوعها

مختلا (أو لا يستطيع أن يمل هو) أو غير مستطيع للاملاء بنفسه لعى به أو خرس (فليملل وليه) الذى يلى أمره من وصى ان كان سفيها أو صبيا أو وكيل ان كان غير مستطيع أو ترجمان يمل عنه وهو يصدقه وقوله تعالى أن يمل هو فيه أنه غير مستطيع بنفسه ولكن بغيره وهو الذى يترجم عنه (واستشهدوا شهيدين) واطلبوا أن يشهد لكم شهيدان على الدين (من رجالكم) من رجال المؤمنين والحرية والبلوغ شرط مع الاسلام عند عامة العلماء وعن على رضى الله عنه لا تجوز شهادة العبد فى شئ وعند شريح وابن سيرين وعثمان البتى أنها جائزة ويجوز عند أبى حنيفة شهادة الكفار بعضهم على بعض على اختلاف الملل (فان لم يكونا) فان لم يكن الشهيدان (رجلين فرجل وامرأتان) فليشهد رجل وامرأتان وشهادة النساء مع الرجال مقبولة عند أبى حنيفة فيما عدا الحدود والقصاص (ممن ترضون) ممن تعرفون عدالتهم (أن تضل احداهما) أن لا تهتدى احداهما للشهادة بأن تنساها من ضل الطريق اذا لم يهتد له وانتصابه على أنه مفعول له أى ارادة أن تضل (فان قلت) كيف يكون ضلالها مرادا لله تعالى (قلت) لما كان الضلال سببا للاذكار والاذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الآخر لالتباسهما واتصالهما كانت ارادة الضلال المسبب عنه الاذكار ارادة للاذكار فكأنه قيل ارادة أن تذكر احداهما الاخرى ان ضلت ونظيره قولهم أعددت الخشبة أن يميل الحائط فأدعمه وأعددت السلاح أن يجئ عدو فأدفعه * وقرئ (فتذكر) بالتخفيف والتشديد وهما لغتان وفتذاكر وقرأ حمزة ان تضل احداهما على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد كقوله ومن عاد فينتقم الله منه وقرئ أن تضل احداهما على البناء للمفعول والتأنيث ومن بدع التفاسير فتذكر فتجعل احداهما الاخرى ذكرا يعنى أنهما اذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر (اذا ما دعوا) ليقيموا الشهادة وقيل ليستشهدوا وقيل لهم شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الكائن وعن قتادة كان الرجل يطوف فى الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم أحد فنزلت * كنى بالسأم عن الكسل لان الكسل صفة المنافق ومنه الحديث لا يقول المؤمن كسلت ويجوز أن يراد من كثرت مداينانه فاحتاج أن يكتب لكل دين صغير أو كبير كتابا فربما مل كثرة الكتب * والضمير فى (تكتبوه) للدين أو الحق (صغيرا أو كبيرا) على أى حال كان الحق من صغر أو كبر ويجوز أن يكون الضمير للكتاب وأن يكتبوه مختصرا أو مشبعا ولا يخلوا بكتابته (الى أجله) الى وقته الذى اتفق الغريمان على تسميته (ذلكم) اشارة الى أن تكتبوه لانه فى معنى المصدر أى ذلكم الكتب (أقسط) أعدل من القسط (وأقوم للشهادة) وأعون على اقامة الشهادة (وأدنى ألا ترتابوا) وأقرب من انتفاء الريب (فان قلت) مم بنى أفعلا التفضيل أعنى أقسط وأقوم (قلت) يجوز على مذهب سيبويه أن يكونا مبنيين من أقسط وأقام وأن يكون أقسط من قاسط على طريقة النسب بمعنى ذى قسط وأقوم من قويم وقرئ ولا يسأموا أن يكتبوه بالياء فيهما (فان قلت) ما معنى (تجارة حاضرة) وسواء كانت المبايعة بدين أو بعين فالتجارة حاضرة وما معنى ادارتها بينهم (قلت) أريد بالتجارة ما يتجر فيه من الابدال ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد والمعنى الا أن تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد فلا بأس أن لا تكتبوه لانه لا يتوهم فيه ما يتوهم فى التداين وقرئ تجارة حاضرة بالرفع على كان التامة وقيل هى الناقصة على أن الاسم تجارة حاضرة والخبر تديرونها وبالنصب على الا أن تكون التجارة تجارة حاضرة كبيت الكتاب

بنى أسد هل تعلمون بلاءنا * اذا كان يوما ذا كواكب أشنعا

أى اذا كان اليوم يوما (وأشهدوا اذا تبايعتم) أمر بالاشهاد على التبايع مطلقا ناجزا أو كالئا لانه أحوط وأبعد مما عسى يقع من الاختلاف ويجوز أن يراد وأشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع يعنى التجارة الحاضرة على أن الاشهاد كاف فيه دون الكتابة وعن الحسن ان شاء أشهد وان شاء لم يشهد وعن الضحاك هى عزيمة من الله ولو على باقة بقل (ولا يضار) يحتمل البناء للفاعل والمفعول والدليل عليه قراءة عمر رضى الله عنه ولا يضارر بالاظهار والكسر وقراءة ابن عباس رضى الله عنه ولا يضارر بالاظهار والفتح والمعنى نهى الكاتب والشهيد عن ترك الاجابة الى ما يطلب منهما وعن التحريف والزيادة والنقصان أو النهى عن الضرار بهما

أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد

حتى لو حل زمن قدوم الحاج فثمه مانع من القدوم مثلا لم يكن به عبرة وحكمنا بحلول أجل الدين والله أعلم

* قوله تعالى وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة (قال محمود ان قلت لم شرط السفر في الارتهان ولا يختص به سفر الخ) قال
أحمد فالتخصيص بالسفر على هذا جرى على وفق الغالب فلا مفهوم له وفي هذه الآية دليل بين لمذهب مالك رضي الله عنه في اقامة
الرهن عند التنازع في قدر الدين مقام شاهد للمرتهن الى تمام قيمته حتى لو تنازعا فقال الراهن رهنتكه بمائة وقال المرتهن بل الرهن بمائتين
لكان الرهن شاهدا بقيمته خلافا للشافعي رضي الله عنه فانه يرى القول قول الراهن مطلقا لانه غارم ووجه الدليل لمالك رضي الله عنه
من الآية ان الله تعالى جعل الرهن في التوثق عوضا من الاشهاد والكتابة وخصه بالسفر لاعوازهما حينئذ ولو كان القول قول الراهن
ثم عالم يكن قائما مقام الاشهاد ولا مفيدا فائدته بوجه اذ لو لم يكن الرهن لكان القول قول المديان في قدر الدين فلم يزد وجود الرهن
فائدة على عدمه باعتبار نيابته عن الاشهاد ولا يقال ان فائدته الامتياز به على الغرماء لان تلك فائدة الاشهاد حتى يكون نائبا عنه عند
تعذره ولا فائدة اذ ذاك الا بجعل القول قول المرتهن في قدر الدين عند التخالف وهو مذهب مالك المقدم ذكره ومن ثم لم يجعله شاهدا
الا في قيمته لا فيما زاد عليها معتضدا بالعادة في ان رب الدين لا يقبل في دينه الا الموفي بقيمته فدعواه ان الدين أكثر من القيمة مردودة
بالعادة والمديان أيضا لا يسمح بتسليم ما قيمته أكثر فيما هو اقل فدعواه ان الدين أقل من القيمة مردودة بالعادة ولا يبقى الا النظر في
أمر واحد وهو ان المعتبر عند مالك في القيمة يوم الحكم حتى لو تصادقا على أن القيمة كانت يوم الرهن أكثر أو أقل لم يلتفت الى ذلك زادت
أو نقصت وانما يعتبر يوم القضاء وللقائل أن يقول اذا جعلتم الرهن مقام الشاهد عند عدمه لان العادة تقتضي ان الناس انما يرهنون في
الديون المساوي قيمته لها فينبغي أن تعتبروا القيمة يوم الرهن غير معرجين على زيادتها ونقصانها يوم القضاء وعند ذلك يتجاذب أطراف
الكلام في ان ذلك يقتضي لا قامته مقام الشاهد هو المعنى المتقدم أو غيره وليس غرضنا الا ان الآية ترشد الى اقامته مقام الشهادة في الجملة
وأما تفاصيل المسئلة فذلك من حظ الفقه (قال محمود وأما القبض فلابد من اعتباره الخ) قال أحمد ليس بين مالك والشافعي

خلاف في صحة الارتهان بالايجاب والقبول

وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فان أمن بعضكم بعضا

دون القبض ولكنه عند مالك رضي الله عنه

بأن يعجلا عن مهم ويلزا أو لا يعطى الكاتب حقه من الجعل أو يحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد وقرأ الحسن
ولا يضار بالكسر (وان تفعلوا) وان تضاروا (فانه) فان الضرار (فسوق بكم) وقيل ان تفعلوا شيأ مما نهيتم
عنه (على سفر) مسافرين * وقرأ ابن عباس وأبي رضي الله عنهما كتابا وقال ابن عباس أرأيت ان وجدت
الكاتب ولم تجد الصحيفة والدواة وقرأ أبو العالية كتبا وقرأ الحسن كتابا جمع كاتب (فرهن) فالذي يستوثق
به رهن وقرئ فرهن بضم الهاء وسكونها وهو جمع رهن كسقف وسقف وفرهان (فان قلت) لم شرط السفر
في الارتهان ولا يختص به سفر دون حضر وقد رهن رسول الله صلى الله عليه وسلم درعه في غير سفر (قلت) ليس
الغرض تجويز الارتهان في السفر خاصة ولكن السفر لما كان مظنة لاعواز الكتب والاشهاد أمر على سبيل
الارشاد الى حفظ المال من كان على سفر بأن يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والاشهاد وعن
مجاهد والضحاك أنهما لم يجوزاه الا في حال السفر أخذا بظاهر الآية * وأما القبض فلابد من اعتباره وعند
مالك يصح الارتهان بالايجاب والقبول بدون القبض (فان أمن بعضكم بعضا) فان أمن بعض الدائنين بعض

المديونين

يصح بذلك ويلزم الراهن بالعقد تسليمه للمرتهن وعند الشافعي لا يلزم بالعقد ولكن للقبض عند مالك
اعتبار في الابتداء والدوام ولا يشترط الشافعي كثيرا من أحكامه عند مالك وذلك أنهما لو تقاررا على القبض ثم قام الغرماء انتفع بالرهن
عند الشافعي وامتاز به ولم ينتفع به عند مالك وكان أسوة الغرماء فيه حتى ينضاف الى الشهادة عليهما بالقبض معاينة البينة لذلك لانه
يتهمهما بالتواطؤ على اسقاط حق الغرماء ولا يعتبر اقرارهما الا بانضمام المعاينة فالقبض من هذا الوجه أدخل في الاعتبار على رأى
مالك منه على رأى الشافعي هذا في الابتداء وأما في الدوام فمالك رضي الله عنه يشترط بقاءه في يد المرتهن حتى لو عاد الى يد الراهن بأن
أودعه المرتهن اياه أو أجره منه أو أعاره اياه اعارة مطلقة فقد خرج من الرهن ولو قام الغرماء وهو بيد الراهن بوجه من الوجوه المذكورة
كان أسوة الغرماء فيه والشافعي رضي الله عنه لا يشترط دوام القبض على هذا الوجه بل للراهن عند الشافعي ان ينتفع بالرهن ولو كره
المرتهن اذا لم يكن الانتفاع مضرا بالرهن كسكنى الدار واستخدام العبد وله ان يستوفي منافعه بنفسه على الصحيح عنده المنصوص عليه في
الام ولا يؤثر ذلك في الرهن بطلانا ولا خللا فقد علمت ان القبض أدخل في الاعتبار على مذهب مالك ابتداء ودواما والآية تعضده فان
الرهن في اللغة هو الدوام أنشد أبو علي

فالخبز واللحم لهم راهن * وقهوة راووقها ساكب

ولعل القائل باشتراط دوام الرهن في يد المرتهن تمسك بما في لفظ الرهن من اقتضاء الدوام وله في ذلك متمسك وما طولت في حكاية
مذهب مالك في القبض الا لان المفهوم من كلام الزمخشري اطراح القبض عند مالك لانه فهم من قول أصحابه ان القبض لا يشترط في
صحة الرهن ولا في لزومه انه غير معتبر عنده بالكلية والله أعلم

المديونين لحسن ظنه به وقرأ أبى فان أومن أى آمنه الناس ووصفوا المديون بالامانة والوفاء والاستغناء عن الارتهان من مثله (فليؤد الذى اؤتمن أمانته) حث المديون على أن يكون عند ظن الدائن به وأمنه منه وائتمانه وأن يؤدى اليه الحق الذى ائتمنه عليه فلم يرتهن منه وسمى الدين أمانة وهو مضمون لائتمانه عليه بترك الارتهان منه والقراءة أن تنطق بهمزة ساكنة بعد الذال أو ياء فتقول الذى اؤتمن أو الذى ايتمن وعن عاصم أنه قرأ الذى اتمن بادغام الياء فى التاء قياسا على اتسر فى الافتعال من اليسر وليس بصحيح لان الياء منقلبة عن الهمزة فهى فى حكم الهمزة واتزر عامى وكذلك ريا فى رؤيا (آثم) خبر ان و (قلبه) رفع بآثم على الفاعلية كانه قيل فانه يأثم قلبه ويجوز أن يرتفع قلبه بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبر ان (فان قلت) هلا اقتصر على قوله فانه آثم وما فائدة ذكر القلب والجملة هى الآثمة لا القلب وحده (قلت) كتمان الشهادة هو أن يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان اثما مقترفا بالقلب أسند اليه لان اسناد الفعل الى الجارحة التى يعمل بها أبلغ ألا تراك تقول اذا أردت التوكيد هذا مما أبصرته عينى ومما سمعته أذنى ومما عرفه قلبى ولان القلب هو رئيس الاعضاء والمضغة التى ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله فكأنه قيل فقد تمكن الاثم فى أصل نفسه وملك أشرف مكان فيه ولئلا يظن أن كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط وليعلم أن القلب أصل متعلقه ومعدن اقترافه واللسان ترجمان عنه ولان أفعال القلوب أعظم من أفعال سائر الجوارح وهى لها كالاصول التى تتشعب منها ألا ترى أن أصل الحسنات والسيآت الايمان والكفر وهما من أفعال القلوب فاذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بأنه من معاظم الذنوب وعن ابن عباس رضى الله عنهما أكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وقرئ قلبه بالنصب كقوله سفه نفسه وقرأ ابن أبى عبلة أثم قلبه أى جعله آثما (وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه) يعنى من السوء (يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء) لمن استوجب المغفرة بالتوبة مما أظهر منه أو أضمره (ويعذب من يشاء) ممن استوجب العقوبة بالاصرار ولا يدخل فيما يخفيه الانسان الوساوس وحديث النفس لان ذلك مما ليس فى وسعه الخلو منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه تلاها فقال لئن آخذنا الله بهذا لنهلكن ثم بكى حتى سمع نشيجه فذكر لابن عباس فقال يغفر الله لابى عبد الرحمن قد وجد المسلمون منها مثل ما وجد فنزل لا يكلف الله وقرئ فيغفر ويعذب مجزومين عطفا على جواب الشرط ومرفوعين على فهو يغفر ويعذب (فان قلت) كيف يقرأ الجازم (قلت) يظهر الراء ويدغم الباء ومدغم الراء فى اللام لاحن مخطئ خطأ فاحشا وراويه عن أبى عمرو مخطئ مرتين لانه يلحن وينسب الى أعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم والسبب فى نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة والسبب فى قلة الضبط قلة الدراية ولا يضبط نحو هذا الا أهل النحو وقرأ الاعمش يغفر بغير فاء مجزوما على البدل من يحاسبكم كقوله

متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

ومعنى هذا البدل التفصيل لجملة الحساب لان التفصيل أوضح من المفصل فهو جار مجرى بدل البعض من الكل أو بدل الاشتمال كقولك ضربت زيدا رأسه وأحب زيدا عقله وهذا البدل واقع فى الافعال وقوعه فى الاسماء لحاجة القبيلين الى البيان (والمؤمنون) ان عطف على الرسول كان الضمير الذى التنوين نائب عنه فى كل راجعا الى الرسول والمؤمنين أى كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله من المذكورين ووقف عليه وان كان مبتدأ كان الضمير للمؤمنين ووحد ضمير كل فى آمن على معنى كل واحد منهم آمن وكان يجوز أن يجمع كقوله وكل أتوه داخرين * وقرأ ابن عباس وكتابه يريد القرآن أو الجنس وعنه الكتاب أكثر من الكتب (فان قلت) كيف يكون الواحد أكثر من الجمع (قلت) لانه اذا أريد بالواحد الجنس والجنسية قائمة فى وحدان الجنس كلها لم يخرج منه شئ فأما الجمع فلا يدخل تحته الا ما فيه الجنسية من الجموع (لا نفرق) يقولون لا نفرق وعن أبى عمرو يفرق بالياء على أن الفعل لكل وقرأ عبد الله لا يفرقون و (أحد) فى معنى الجمع كقوله تعالى فما منكم من أحد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين (سمعنا) أجبنا (غفرانك) منصوب باضمار فعله يقال

فليؤد الذى اؤتمن أمانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم لله ما فى السموات وما فى الارض وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شئ قدير آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير لا يكلف الله نفسا الا وسعها

---

* قوله تعالى كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله (قال محمود نقل عن ابن عباس انه قرأ وكتابه الخ) قال أحمد وقد قال مالك ان التمر أحرى باستغراق الجنس من التمور فان التمر استرسل على الجنس لا بصيغة لفظية والتمور يرده الى تخيل الوحدان ثم الاستغراق بعده بصيغة الجمع وفى صيغة الجمع مضطرب وهذا الكلام من الامام لو ظفر له بقول ابن عباس هذا الأشهر الفرضية فى الاستشهاد به على صحة مقالته هذه فلا نعيده

قوله تعالى ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا (قال محمود فان قلت النسيان والخطأ متجاوز عنهما الخ) قال أحمد ولا يرد هذا السؤال على قواعد أهل السنة لانا نقول انما ارتفعت المؤاخذة بهذين بالسمع كقوله عليه الصلاة والسلام رفع عن أمتي الخطأ والنسيان واذا كان كذلك فلعل رفع المؤاخذة بهما كان اجابة لهذه الدعوة فقد نقل أن الله تعالى قال عند كل دعوة منها قد فعلت وانما التزم الزمخشري ورود السؤال على قواعد القدرية الذاهبين الى استحالة المؤاخذة بالخطا والنسيان عقلا لانه من تكليف ما لا يطيق وهو مستحيل عندهم تفريعا على قاعدة التحسين والتقبيح وكلاهما قواعد باطلة ومذاهب ماحلة فالله تعالى يجعل لنا من اجابة هذه الدعوات أوفر نصيب ويلهمنا المعتقد الحق والقول الصيب انه سميع مجيب وهو حسبنا ونعم الوكيل

لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين

غفرانك لا كفرانك أي نستغفرك ولا نكفرك وقرئ وكتبه ورسله بالسكون * الوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه أي لا يكلفها الا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى الطاقة والمجهود وهذا اخبار عن عدله ورحمته كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر لانه كان في امكان الانسان وطاقته أن يصلي أكثر من الخمس ويصوم أكثر من الشهر ويحج أكثر من حجة وقرأ ابن أبي عبلة وسعها بالفتح (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر لا يؤاخذ بذنبها غيرها ولا يثاب غيرها بطاعتها (فان قلت) لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب (قلت) في الاكتساب اعتمال فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهي منجذبة اليه وأمارة به كانت في تحصيله أعمل وأجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال * أي لا تؤاخذنا بالنسيان أو الخطا ان فرط منا (فان قلت) النسيان والخطأ متجاوز عنهما فما معنى الدعاء بترك المؤاخذة بهما (قلت) ذكر النسيان والخطا والمراد بهما ما هما مسببان عنه من التفريط والاغفال ألا ترى الى قوله وما أنسانيه الا الشيطان والشيطان لا يقدر على فعل النسيان وانما يوسوس فتكون وسوسته سببا للتفريط الذي منه النسيان ولانهم كانوا متقين الله حق تقاته فما كانت تفرط منهم فرطة الا على وجه النسيان والخطا فكان وصفهم بالدعاء بذلك ايذانا ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون به كأنه قيل ان كان النسيان والخطأ مما يؤاخذ به فما فيهم سبب مؤاخذة الا الخطأ والنسيان ويجوز أن يدعو الانسان بما علم أنه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله لاستدامته والاعتداد بالنعمة فيه * والاصر العبء الذي يأصر حامله أي يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله استعير للتكاليف الشاقة من نحو قتل الانفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك وقرئ آصارا على الجمع وفي قراءة أبي ولا تحمل علينا بالتشديد * (فان قلت) أي فرق بين هذه التشديدة والتي في ولا تحملنا (قلت) هذه للمبالغة في حمل عليه وتلك لنقل حمله من مفعول واحد الى مفعولين (ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) من العقوبات النازلة بمن قبلنا طلبوا الاعفاء عن التكليفات الشاقة التي كلفها من قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها وقيل المراد به الشاق الذي لا يكاد يستطاع من التكاليف وهذا تكرير لقوله ولا تحمل علينا اصرا (مولانا) سيدنا ونحن عبيدك أو ناصرنا أو متولي أمورنا (فانصرنا) فمن حق المولى أن ينصر عبيده أو فان ذلك عادتك أو فان ذلك من أمورنا التي عليك توليها وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلت وعنه عليه السلام من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وعنه عليه السلام أوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبي قبلي وعنه عليه السلام أنزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق بألفي سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة أجزأتاه عن قيام الليل (فان قلت) هل يجوز أن يقال قرأت سورة البقرة أو قرأت البقرة (قلت) لا بأس بذلك وقد جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم من آخر سورة البقرة وخواتيم سورة البقرة وخواتيم البقرة وعن علي رضي الله عنه خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما أنه رمى الجمرة ثم قال من ههنا والذي لا اله غيره رمى الذي أنزلت عليه سورة البقرة ولا فرق بين هذا وبين قولك سورة الزخرف وسورة الممتحنة وسورة المجادلة واذا قيل قرأت البقرة لم يشكل أن المراد سورة البقرة كقوله واسأل القرية وعن بعضهم أنه كره ذلك وقال يقال قرأت السورة التي تذكر فيها البقرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

﴿سورة آل عمران مدنية وهي مائتا آية﴾

﴿القول في سورة آل عمران﴾

بسم

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ الم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان (قال محمود فان قلت لما قيل في القرآن نزل على صيغة فعل الخ) قال أحمد يريد لان فعل صيغة مبالغة وتكثير فلما كان نزول القرآن منجما كان أكثر تنزيلا من غيره لتفرقه في مرار عديدة فعبر عنه بصيغة مطابقة لكثرة تنزيلا لانه وعبر عن الكتابين بصيغة خلية عن المبالغة والتكثير والله أعلم (عاد كلامه) قال والفرقان يحتمل أن يراد به جميع الكتب السماوية لانها تفرق بين الحق والباطل أو الكتب التي ذكرها أو أراد الكتاب الرابع وهو الزبور كما أفرده وأخر ذكره في قوله وآتينا داود زبورا أو كرر ذكر القرآن بما هو نعت له ومدح من كونه فارقا بين الحق والباطل بعد ما ذكره باسم الجنس تعظيما لشأنه واظهارا لفضله والله أعلم * قال أحمد وقد جعل الزمخشري سر التعبير عن نزول القرآن بصيغة فعل تفرقه في التنزيل كما تقدم آنفا ثم حمل الفرقان على أحد تأويلاته على القرآن والتعبير عنه بأفعل كغيره فان يكن هذا والله أعلم فالوجه انه لما عبر أولا عن نزوله الخاص به أتى بعبارة مطابقة لقصد الخصوصية فلما جرى ذكره ثانيا لينعت بصفة زائدة على اسم الجنس عبر عن نزوله من حيث الاطلاق اكتفاء بتميزه أولا واجمالا لذلك في غير مقصوده ومن العبارة السائرة عن هذا المعنى الكلام يجمل في غير مقصوده ويفصل في مقصوده * قوله تعالى ان الله عزيز ذو انتقام (قال محمود معناه له انتقام شديد الخ) قال أحمد وانما يلقى هذا التفخيم من التنكير وهو من علاماته مثله في قوله فقل ربكم ذو رحمة واسعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

*ميم حقها أن يوقف عليها كما وقف على ألف ولام وأن يبدأ ما بعدها كما تقول واحد اثنان وهي قراءة عاصم وأما فتحها فهي حركة الهمزة ألقيت عليها حين أسقطت للتخفيف (فان قلت) كيف جاز القاء حركتها عليها وهي همزة وصل لا تثبت في درج الكلام فلا تثبت حركتها لان اثبات حركتها كاثباتها (قلت) هذا ليس بدرج لان ميم في حكم الوقف والسكون والهمزة في حكم الثابت وانما حذفت تخفيفا وألقيت حركتها على الساكن قبلها ليدل عليها ونظيره قولهم واحد اثنان بالقاء حركة الهمزة على الدال (فان قلت) هلا زعمت أنها حركة لالتقاء الساكنين (قلت) لان التقاء الساكنين لا يبالى به في باب الوقف وذلك قولك هذا ابراهيم وداود واسحق ولو كان التقاء الساكنين في حال الوقف يوجب التحريك لحرك الميمان في ألف لام ميم لالتقاء الساكنين ولما انتظر ساكن آخر (فان قلت) انما لم يحركوا لالتقاء الساكنين في ميم لانهم أرادوا الوقف وأمكنهم النطق بساكنين فاذا جاء ساكن ثالث لم يمكن الا التحريك فحركوا (قلت) الدليل على أن الحركة ليست لملاقاة الساكن أنه كان يمكنهم أن يقولوا واحد اثنان بسكون الدال مع طرح الهمزة فيجمعوا بين ساكنين كما قالوا أصيم ومديق فلما حركوا الدال علم أن حركتها هي حركة الهمزة الساقطة لا غير وليست لالتقاء الساكنين (فان قلت) فما وجه قراءة عمرو بن عبيد بالكسر (قلت) هذه القراءة على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وما هي بمقبولة * و(التوراة والانجيل) اسمان أعجميان وتكلف اشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل انما يصح بعد كونهما عربيين وقرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة وهو دليل على العجمة لان أفعيل بفتح الهمزة عديم في أوزان العرب (فان قلت) لم قيل نزل الكتاب وأنزل التوراة والانجيل (قلت) لان القرآن نزل منجما ونزل الكتابان جملة * وقرأ الاعمش نزل عليك الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب (هدى للناس) أي لقوم موسى وعيسى ومن قال نحن متعبدون بشرائع من قبلنا فسره على العموم * (فان قلت) ما المراد بالفرقان (قلت) جنس الكتب السماوية لان كلها فرقان يفرق بين الحق والباطل أو الكتب التي ذكرها كأنه قال بعد ذكر الكتب الثلاثة وأنزل ما يفرق به بين الحق والباطل من كتبه أو من هذه الكتب أو أراد الكتاب الرابع وهو الزبور كما قال وآتينا داود زبورا وهو ظاهر أو كرر ذكر القرآن بما هو نعت له ومدح من كونه فارقا بين الحق والباطل بعد ما ذكره باسم الجنس تعظيما لشأنه واظهارا لفضله (بآيات الله) من كتبه المنزلة وغيرها (ذو انتقام) له انتقام شديد لا يقدر على مثله منتقم (لا يخفى عليه شيء) في العالم فعبر عنه بالسماء والارض فهو مطلع على كفر من كفر وايمان من آمن وهو مجازيهم عليه (كيف يشاء) من الصور المختلفة المتفاوتة * وقرأ طاوس تصوركم أي صوركم لنفسه ولتعبده كقولك أثلت مالا اذا جعلته أثلة أي أصلا وتأثلته اذ

قوله تعالى منه آيات محكمات الآية (قال محمود المحكمات التى أحكمت عبارتها الخ) قال أحمد هذا كما قدمته عند من تكلفه لتنزيل الآى
على وفق ما يعتقده وأعوذ بالله من جعل القرآن تبعا للرأى وذلك ان معتقده احالة رؤية الله تعالى بناء على زعم القدرية من ان الرؤية
تستلزم الجسمية والجهة فاذا ورد عليهم النص القاطع الدال على وقوع الرؤية كقوله الى ربها ناظرة مالوا الى جعله من المتشابه حتى يردوه
بزعمهم الى الآية التى يدعون أن ظاهرها يوافق رأيهم والآية قوله تعالى لا تدركه الابصار وغرضنا الآن بيان وجوب الجمع بين
الآيتين على الوجه الحق فنقول يحمل قوله لا تدركه الابصار فى دار الدنيا ويحمل الرؤية على الدار الآخرة جمعا بين الادلة أو نقول الابصار
وان كانت ظاهرة العموم الا ان المراد بها الخصوص أى لا تدركه أبصار الكفار كقوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ونقول لا تعارض
بين الآيتين فتقر كل واحدة منهما فى نصابها وبيان ذلك ان الابصار عام بالالف واللام الجنسيتين ولا يتم غرض القدرية على زعمهم
الا بالموافقة على عمومها وحينئذ يكون فى العموم مرادفة لدخول كل لان كلهما أعنى المعرف والجنسى وكلا يفيد الشمول والاحاطة
واذا ثبت ذلك فالسلب داخل على الكلية والقواعد مستقرة على ان سلب الكلية جزئى لغة وتعقلا ألا ترى ان القائل اذا قال لا تنفق
كل الدراهم كان المفهوم من ذلك الاذن فى انفاق البعض ومن حيث المعقول ان الكلية تسلب بسلب بعض الافراد ولو واحدا وحينئذ
يكون مقتضى الآية سلب الرؤية عن بعض الابصار وثبوتها لبعض الابصار وهذا عين مذهب أهل السنة لانهم يثبتونها
للموحدين ويسلبونها
عن الكفار كما أتبعته
قوله تعالى كلا انهم عن
ربهم يومئذ لمحجوبون
فقد ثبت ان هذه الآية
اما محمولة على اثبات

محكمات هن أم الكتاب
وأخر متشابهات فأما
الذين فى قلوبهم زيغ
فيتبعون ما تشابه منه
ابتغاء الفتنة وابتغاء
تأويله وما يعلم تأويله
الا الله والراسخون فى العلم

أثلثه انفصلت وعن سعيد بن جبير هذا احتجاج على من زعم أن عيسى كان ربا كأنه نبه بكونه مصورا فى الرحم
على أنه عبد كغيره وكان يخفى عليه مالا يخفى على الله (محكمات) أحكمت عبارتها بأن حفظت من الاحتمال
والاشتباه * متشابهات مشتبهات محتملات (هن أم الكتاب) أى أصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد
اليها ومثال ذلك لا تدركه الابصار الى ربها ناظرة لا يأمر بالفحشاء أمرنا مترفيها (فان قلت) فهلا كان القرآن
كله محكما (قلت) لو كان كله محكما لتعلق الناس به لسهولة مأخذه ولأعرضوا عما يحتاجون فيه الى الفحص
والتأمل من النظر والاستدلال ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذى لا يتوصل الى معرفة الله وتوحيده الا به
ولما فى المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ولما فى تقادح العلماء واتعابهم القرائح
فى استخراج معانيه ورده الى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله ولان المؤمن
المعتقد أن لا مناقضة فى كلام الله ولا اختلاف اذا رأى فيه ما يتناقض فى ظاهره وأهمه طلب ما يوفق بينه
ويجريه على سنن واحد ففكر وراجع نفسه وغيره ففتح الله عليه وتبين مطابقة المتشابه المحكم ازداد طمأنينة الى
معتقده وقوة فى ايقانه (الذين فى قلوبهم زيغ) هم أهل البدع (فيتبعون ما تشابه منه) فيتعلقون بالمتشابه
الذى يحتمل ما يذهب اليه المبتدع مما لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول أهل الحق (ابتغاء الفتنة)
طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم (وابتغاء تأويله) وطلب أن يأولوه التأويل الذى يشتهونه (وما
يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم) أى لا يهتدى الى تأويله الحق الذى يجب أن يحمل عليه الا الله وعباده
الذين رسخوا فى العلم أى ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع ومنهم من يقف على قوله الا الله ويبتدئ
والراسخون فى العلم يقولون ويفسرون المتشابه بما استأثر الله بعلمه وبمعرفة الحكمة فيه من آياته كعدد الزبانية

الرؤية واما باقية على
ظاهرها دليلا على ثبوتها
على وفق السنة * ولا يقال
قد ثبت الفرق بين دخول
كل على المعرف تعريف الجنس وبين عدم دخولها ألا ترى انهم يقولون ان قولنا الانسان كاتب مهمل ونحوه
فى قوة الجزئية وان قولنا كل انسان حيوان كلى لا جزئى لانا نقول انما جارينا القدرية على ما يلزمهم الموافقة فيه وهم قد وافقوا على
تناول الابصار لكل واحد واحد من افراد الجنس ولولا ذلك لما تم لهم مرام ولكفونا مؤنة البحث فى ذلك وهذا القدر من الكلية
المتفق عليها بين الفريقين لا يثبت لما سماه أهل ذلك الفن مهملا بل هذا هو الكلى عندهم والله الموفق واما الآيتان الاخيرتان اللتان
احداهما قوله تعالى ان الله لا يأمر بالفحشاء والاخرى التى هى قوله تعالى أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فلا ينازع الزمخشرى فى تمثيل المحكم
والمتشابه بهما * قوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم (قال محمود ومعناه لا يهتدى الى تأويله الخ) قال أحمد قوله لا يهتدى
اليه الا الله عبارة قلقة ولم يرد اطلاق الاهتداء على علم الله تعالى مع ان فى هذه اللفظة ايهاما اذ الاهتداء لا يكون فى الاطلاق الا عن جهل
وضلال جل الله وعز حتى ان الكافر اذا أسلم أطلق أهل العرف عليه فلان المهتدى ذلك مقتضى اللغة فيه فانه مطاوع هدى يقال هديته
فاهتدى والاجماع منعقد على ان ما لم يرد اطلاقه وكان موهما لا يجوز اطلاقه على الله عز وجل واذا أنكر على القاضى اطلاقه المعرفة
على علم الله تعالى حيث حد مطلق العلم بأنه معرفة المعلوم على ما هو عليه فلأن ينكر على الزمخشرى اطلاق الاهتداء على علم الله تعالى
أجدر وما أراها صدرت منه الا وهلا حيث أضاف العلم الى الله تعالى فى الفصل المذكور والله أعلم

قوله تعالى ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا (قال محمود معناه ربنا لا تبلنا ببلايا الخ) قال أحمد أما أهل السنة فيدعون الله بهذه الدعوة غير محرفة لانهم يوحدون حق التوحيد فيعتقدون ان كل حادث من هدى وزيغ مخلوق لله تعالى واما القدرية فعندهم أن الزيغ لا يخلقه الله تعالى وانما يخلقه العبد لنفسه فلا يدعون الله تعالى بهذه الدعوة الا محرفة الى غير المراد بها كما قررنا

يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الالباب ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد ان الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ وأولئك هم وقود النار كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم

ونحوه والاول هو الوجه * ويقولون كلام مستأنف موضح لحال الراسخين بمعنى هؤلاء العالمون بالتأويل (يقولون آمنا به) أي بالمتشابه (كل من عند ربنا) أي كل واحد منه ومن المحكم من عنده أو بالكتاب كل من متشابهه ومحكمه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه ولا يختلف كتابه (وما يذكر الا أولوا الالباب) مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن التأمل ويجوز أن يكون يقولون حالا من الراسخين * وقرأ عبد الله ان تأويله الا عند الله * وقرأ أبي ويقول الراسخون (لا تزغ قلوبنا) لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا (بعد اذ هديتنا) وأرشدتنا لدينك أو لا تمنعنا ألطافك بعد اذ لطفت بنا (من لدنك رحمة) من عندك نعمة بالتوفيق والمعونة وقرئ لا تزغ قلوبنا بالتاء والياء ورفع القلوب (جامع الناس ليوم) أي تجمعهم لحساب يوم أو لجزاء يوم كقوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع * وقرئ جامع الناس على الاصل (ان الله لا يخلف الميعاد) معناه ان الالهية تنافي خلف الميعاد كقولك ان الجواد لا يخيب سائله * والميعاد الموعد * قرأ علي رضي الله عنه لن تغني بسكون الياء وهذا من الجد في استثقال الحركة على حروف اللين * من في قوله (من الله) مثله في قوله وان الظن لا يغني من الحق شيأ والمعنى لن تغني عنهم من رحمة الله أو من طاعة الله (شيأ) أي بدل رحمته وطاعته وبدل الحق ومنه ولا ينفع ذا الجد منك الجد أي لا ينفعه جده وحظه من الدنيا بذلك أي بدل طاعتك وعبادتك وما عندك وفي معناه قوله تعالى وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى * وقرئ وقود بالضم بمعنى أهل وقودها * والمراد بالذين كفروا من كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس هم قريظة والنضير * الدأب مصدر دأب في العمل اذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه الانسان من شأنه وحاله والكاف مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء الكفرة كدأب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم ويجوز أن ينتصب محل الكاف بلن تغني أو بالوقود أي لن تغني عنهم مثل مالم تغن عن أولئك أو توقد بهم النار كما توقد بهم تقول انك لتظلم الناس كدأب أبيك تريد كظلم أبيك ومثل ما كان يظلمهم وان فلانا لمحارف كدأب أبيه تريد كما حورف أبوه (كذبوا بآياتنا) تفسير لدأبهم مافعلوا وفعل بهم على أنه جواب سؤال مقدر عن حالهم (قل للذين كفروا) هم مشركو مكة (ستغلبون) يعني يوم بدر وقيل هم اليهود لما غلب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر قالوا هذا والله النبي الامي الذي بشرنا به موسى وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى ننظر الى وقعة أخرى فلما كان يوم أحد شكوا وقيل جمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وقعة بدر في سوق بني قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا مثل ما نزل بقريش وأسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم أني نبي مرسل فقالوا لا يغرنك أنك لقيت قوما أغمارا لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت أنا نحن الناس فنزلت وقرئ سيغلبون ويحشرون بالياء كقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم على قل لهم قولي لك سيغلبون (فان قلت) أي فرق بين القراءتين من حيث المعنى (قلت) معنى القراءة بالتاء الامر بأن يخبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر الى جهنم فهو اخبار بمعنى سيغلبون ويحشرون وهو الكائن من نفس المتوعد به والذي يدل عليه اللفظ ومعنى القراءة بالياء الامر بأن يحكي لهم ما أخبره به من وعيدهم بلفظه كأنه قال أد اليهم هذا القول الذي هو قولي لك سيغلبون ويحشرون (قد كان لكم آية) الخطاب لمشركي قريش (في فئتين التقتا) يوم بدر (يرونهم مثليهم) يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين قريبا من ألفين أو مثلي عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين أراهم الله اياهم مع قلتهم أضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم وكان ذلك مددا لهم من الله كما أمدهم بالملائكة والدليل عليه قراءة نافع ترونهم بالتاء أي ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي فئتكم الكافرة أو مثلي أنفسهم (فان قلت) فهذا مناقض لقوله في سورة الانفال ويقللكم في أعينهم (قلت) قللوا أولا في أعينهم حتى اجترؤا عليهم فلما لاقوهم كثروا في أعينهم حتى غلبوا

المصنف به وان كنا ندعو الله تعالى مضافا الى هذه الدعوة بأن لا يبتلينا ولا يمنعنا ألطافه آمين لان الكل فعله وخلقه ولا موجود الا هو وأفعاله التي نحن وأفعالنا منها * قوله تعالى يرونهم مثليهم رأي العين (قال محمود معناه يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين الخ) قال أحمد وكذلك آيات الشفاعة المقدمة على رأي أهل السنة

(عاد كلامه) قال وقيل يرى المسلمون المشركين مثلي المسلمين الخ * قال أحمد انما قال ذلك لان الخطاب على قراءة نافع يكون للمسلمين أي ترونهم يا مسلمون ويكون ضمير المثلين أيضا للمسلمين وقد جاء على لفظ الغيبة فيلزم الخروج في جملة واحدة من الحضور الى الغيبة والالتفات وان كان سائغا فصيحا الا أنه انما يأتي في الاغلب في جملتين وقد جاء ههنا الكلام جملة واحدة لان مثليهم مفعول ثان للرؤية ولو قال القائل ظننتك يقوم على لفظ الغيبة بعد الخطاب لم يكن بذلك فهذا هو الوجه الذي باعد الزمخشري به بين قراءة نافع وبين هذا التأويل الا انه يلزم مثله على أحد وجهيه المتقدمين آنفا لانه قال معناه على قراءة نافع ترون يا مشركون المسلمين مثلي عددهم أو مثلي فئتكم الكافرة فعلى هذا الوجه الثاني يلزم الخروج من الخطاب الى الغيبة في الجملة بعينها كما ألزمه هو على ذلك الوجه والله أعلم * قوله تعالى زين للناس حب الشهوات الآية (قال محمود المزين هو الله تعالى الخ) قال أحمد التزيين للشهوات يطلق ويراد به خلق حبها في القلوب وهو بهذا المعنى مضاف الى الله تعالى حقيقة ٢٩٦ لانه لا خالق الا هو وخالق كل شيء من جوهر ومن عرض قائم بالجوهر من حب أو غيره محمود في الشرع أولا ويطلق التزيين ويراد به الحض على تعاطي الشهوات والأمر بها فهو بهذا الاعتبار لا يضاف الى الله تعالى منه الا الحض على بعض الشهوات المنصوص عليها شرعا كالنكاح المقترن بقصد التناسل واتباع السنة فيه وما يجري مجراه وأما الشهوات المحظورة فتزيينها بهذا المعنى الثاني مضاف الى الشيطان تنزيلا لوسوسته وتحسينه منزلة الأمر بها والحض على تعاطيها وكلام الحسن رضي الله عنه محمول على التزيين بالمعنى الثاني لا بالمعنى الاول فانه يحاشا ان ينسب خلق الله الى غير الله وانما الزمخشري كثيرا ما يورد أمثال هذه العبارة الملتبسة تنزيلا لها على قواعد القدرية الفاسدة فتفطن لها وبرئ قائلها من السلف الصالح عما يزعم الزمخشري النقل عنه والله الموفق (عاد كلامه) قال جعل الاعيان التي ذكرها شهوات الخ * قال أحمد يريد الحاقها بباب رجل صوم وفطر مما يوضع فيه المعنى موضع الاسم مبالغة وقد

قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم

فكان التقليل والتكثير في حالين مختلفين ونظيره من المحمول على اختلاف الاحوال قوله تعالى فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان وقوله تعالى وقفوهم انهم مسؤلون وتقليلهم تارة وتكثيرهم أخرى في أعينهم أبلغ في القدرة واظهار الآية وقيل يرى المسلمون المشركين مثلي المسلمين على ما قرر عليه أمرهم من مقاومة الواحد الاثنين في قوله تعالى فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين بعد ما كلفوا أن يقاوم الواحد العشرة في قوله تعالى ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ولذلك وصف ضعفهم بالقلة لانه قليل بالاضافة الى عشرة الاضعاف وكان الكافرون ثلاثة أمثالهم وقراءة نافع لا تساعد عليه وقرأ ابن مصرف يرونهم على البناء للمفعول بالياء والتاء أي يريهم الله ذلك بقدرته وقرئ فئة تقاتل وأخرى كافرة بالجر على البدل من فئتين وبالنصب على الاختصاص أو على الحال من الضمير في التقتا (رأي العين) يعني رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة كسائر المعاينات (والله يؤيد بنصره) كما أيد أهل بدر بتكثيرهم في عين العدو (زين للناس) المزين هو الله سبحانه وتعالى للابتلاء كقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ويدل عليه قراءة مجاهد زين للناس على تسمية الفاعل وعن الحسن الشيطان والله زينها لهم لانا لا نعلم أحدا أذم لها من خالقها (حب الشهوات) جعل الاعيان التي ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصا على الاستمتاع بها والوجه أن يقصد تخسيسها فيسميها شهوات لان الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية وقال زين للناس حب الشهوات ثم جاء بالتفسير ليقرر أولا في النفوس أن المزين لهم حبه ما هو الا شهوات لا غير ثم يفسره بهذه الاجناس فيكون أقوى لتخسيسها وأدل على ذم من يستعظمها ويتهالك عليها ويرجح طلبها على طلب ما عند الله * والقنطار المال الكثير قيل ملء مسك ثور وعن سعيد بن جبير مائة ألف دينار ولقد جاء الاسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا و (المقنطرة) مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم ألف مؤلفة وبدرة مبدرة و (المسومة) المعلمة من السومة وهي العلامة أو المطهمة أو المرعية من أسام الدابة وسومها و (الانعام) الازواج الثمانية (ذلك) المذكور (متاع الحيوة) * (للذين اتقوا عند ربهم جنات) كلام مستأنف فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم كما تقول هل أدلك على رجل عالم عندي رجل من صفته كيت وكيت ويجوز أن يتعلق اللام بخير واختص المتقين لانهم هم المنتفعون به * وترتفع (جنات) على هو جنات وتنصره قراءة من قرأ جنات بالجر على البدل من خير (والله بصير بالعباد) يثيب ويعاقب على الاستحقاق أو بصير بالذين اتقوا وبأحوالهم فلذلك أعد لهم الجنات (الذين يقولون) نصب على المدح أو رفع ويجوز الجر صفة للمتقين أو للعباد * والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها

وقدم الكلام فى ذلك * وخص الاسحار لانهم كانوا يقدمون قيام الليل فيحسن طلب الحاجة بعده اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وعن الحسن كانوا يصلون فى أول الليل حتى اذا كان السحر أخذوا فى الدعاء والاستغفار هذا نهارهم وهذا ليلهم * شبهت دلالته على وحدانيته بأفعاله الخاصة التى لا يقدر عليها غيره وبما أوحى من آياته الناطقة بالتوحيد كسورة الاخلاص وآية الكرسى وغيرهما بشهادة الشاهد فى البيان والكشف وكذلك اقرار الملائكة وأولى العلم بذلك واحتجاجهم عليه (قائما بالقسط) مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق والآجال ويثيب ويعاقب وما يأمر به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم وانتصابه على أنه حال مؤكدة منه كقوله وهو الحق مصدقا (فان قلت) لم جاز افراده بنصب الحال دون المعطوفين عليه ولو قلت جاءنى زيد وعمرو راكبا لم يجز (قلت) انما جاز هذا لعدم الالباس كما جاز فى قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة ان انتصب نافلة حالا عن يعقوب ولو قلت جاءنى زيد وهند راكبا جاز لتميزه بالذكورة أو على المدح (فان قلت) أليس من حق المنتصب على المدح أن يكون معرفة كقولك الحمد لله الحميد انا معشر الانبياء لا نورث انا بنى نهشل لا ندعى لاب (قلت) قد جاء نكرة كما جاء معرفة وأنشد سيبويه فيما جاء منه نكرة قول الهذلى

ويأوى الى نسوة عطل * وشعثا مراضيع مثل السعالى

(فان قلت) هل يجوز أن يكون صفة للمنفى كأنه قيل لا اله قائما بالقسط الا هو (قلت) لا يبعد فقد رأيناهم يتسعون فى الفصل بين الصفة والموصوف (فان قلت) قد جعلته حالا من فاعل شهد فهل يصح أن ينتصب حالا عن هو فى لا اله الا هو (قلت) نعم لانها حال مؤكدة والحال المؤكدة لا تستدعى أن يكون فى الجملة التى هى زيادة فى فائدتها عامل فيها كقولك أنا عبد الله شجاعا وكذلك لو قلت لا رجل الا عبد الله شجاعا وهو أوجه من انتصابه عن فاعل شهد وكذلك انتصابه على المدح (فان قلت) هل دخل قيامه بالقسط فى حكم شهادة الله والملائكة وأولى العلم كما دخلت الوحدانية (قلت) نعم اذا جعلته حالا من هو أو نصبا على المدح منه أو صفة للمنفى كأنه قيل شهد الله والملائكة وأولو العلم أنه لا اله الا هو وأنه قائم بالقسط * وقرأ عبد الله القائم بالقسط على أنه بدل من هو أو خبر مبتدإ محذوف وقرأ أبو حنيفة قيما بالقسط (العزيز الحكيم) صفتان مقررتان لما وصف به ذاته من الوحدانية والعدل يعنى أنه العزيز الذى لا يغالبه اله آخر الحكيم الذى لا يعدل عن العدل فى أفعاله (فان قلت) ما المراد بأولى العلم الذين عظمهم هذا التعظيم حيث جمعهم معه ومع الملائكة فى الشهادة على وحدانيته وعدله (قلت) هم الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة وهم علماء العدل والتوحيد * وقرئ أنه بالفتح وان الدين بالكسر على أن الفعل واقع على أنه بمعنى شهد الله على أنه أو بأنه وقوله (ان الدين عند الله الاسلام) جملة مستأنفة مؤكدة للجملة الاولى (فان قلت) ما فائدة هذا التوكيد (قلت) فائدته أن قوله لا اله الا هو توحيد وقوله قائما بالقسط تعديل فاذا أردفه قوله ان الدين عند الله الاسلام فقد آذن أن الاسلام هو العدل والتوحيد وهو الدين عند الله وما عداه فليس عنده فى شئ من الدين (٣) وفيه أن من ذهب الى تشبيه أو ما يؤدى اليه كاجازة الرؤية أو ذهب الى الجبر الذى هو محض الجور لم يكن على دين الله الذى هو الاسلام وهذا بين جلى كما ترى وقرئا مفتوحين على أن الثانى بدل من الاول كأنه قيل شهد الله أن الدين عند الله الاسلام والبدل هو المبدل منه فى المعنى فكان بيانا صريحا لان دين الله هو التوحيد والعدل وقرئ الاول بالكسر والثانى بالفتح على أن الفعل واقع على أن وما بينهما اعتراض مؤكد وهذا أيضا شاهد على أن دين الاسلام هو العدل والتوحيد فترى القراآت كلها متعاضدة على ذلك وقرأ عبد الله أن لا اله الا هو وقرأ أبى ان الدين عند الله للاسلام وهى مقوية لقراءة من فتح الاولى وكسر الثانية وقرئ شهداء لله بالنصب على أنه حال من المذكورين قبله وبالرفع على هم شهداء لله (فان قلت) فعلام عطف على هذه القراءة والملائكة وأولو العلم (قلت) على الضمير فى شهداء وجاز لوقوع الفاصل بينهما (فان قلت) لم كرر قوله لا اله الا هو (قلت) ذكره أولا للدلالة على

قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف

قوله وفيه ان من ذهب الى تشبيه الخ كتب عليه العلامة المحشى ما يشفى الغليل ولكن لعدم امكان وضع ما كتبه بهذه الصحيفة نقلت الى ما بعدها وجعل لها علامة تعلم بها اهـ

* قوله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو الى قوله ان الدين عند الله الاسلام (قال محمود ان قلت ما فائدة تكرار لا اله الا هو الخ) قال أحمد وهذا التكرار لما قدمته في نظيره مما صدر الكلام به اذا طال عهده وذلك ان الكلام مصدر بالتوحيد ثم أعقب التوحيد تعداد الشاهدين به ثم قوله قائما بالقسط وهو التنزيه فطال الكلام بذلك فجدد التوحيد تلو التنزيه ليلي قوله ان الدين عند الله الاسلام ولولا هذا التجديد لكان التوحيد المتقدم كالمقطع في الفهم عما أريد ايصاله به والله أعلم (٣) قال وفيه أن من ذهب الى تشبيه الخ) قال أحمد هذا تعريض بخروج أهل السنة من ربقة الاسلام بل تصريح وما ينتقم منهم الا ان صدقوا وعد الله عباده المكرمين على لسان نبيهم الكريم صلى الله عليه وسلم بانهم (٢٩٨) يرون ربهم كالقمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته ولانهم وحدوا الله حق توحيده فشهدوا أن لا اله الا هو ولا خالق لهم ولا لافعالهم الا هو واقتصروا على أن نسبوا لانفسهم قدرة تقارن فعلهم لا تخلق لها ولا تأثير غير التمييز بين أفعالهم الاختيارية والاضطرارية وتلك المعبر عنها شرعا بالكسب في مثل قوله تعالى بما كسبت أيديكم هذا ايمان القوم وتوحيدهم لا كقوم يغبرون في وجه الرسالة النصوص فيجحدون الرؤية التي يظهر أن جحدهم لها سبب في حرمانهم اياها ويجعلون أنفسهم الخسيسة شريكة لله في مخلوقاته فيزعمون انهم يخلقون لانفسهم ماشاؤا من الافعال على خلاف مشيئة ربهم محادة ومعاندة لله في ملكه ثم بعد ذلك يتسترون بتسمية أنفسهم أهل العدل والتوحيد والله أعلم بمن اتقى ولحبر خير من اثمرك ان كان أهل السنة مجبرة فانا أول المجبرين ولو نظرت أيها الزمخشري بعين الانصاف الى جهالة القدرية وضلالها لانبعثت الى حدائق السنة وظلالها ولخرجت عن مزالق البدع ومزالها ولكن كره الله انبعاثهم ولعلمت أي الفريقين أحق بالامن وأولى بالدخول في أولى العلم المقرونين في التوحيد بالملائكة

الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب فان حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم أولئك الذين حبطت أعمالهم

اختصاصه بالوحدانية وأنه لا اله الا تلك الذات المتميزة ثم ذكره ثانيا بعد ما قرن باثبات الوحدانية اثبات العدل للدلالة على اختصاصه بالامرين كأنه قال لا اله الا هذا الموصوف بالصفتين ولذلك قرن به قوله العزيز الحكيم لتضمنهما معنى الوحدانية والعدل (الذين أوتوا الكتاب) أهل الكتاب من اليهود والنصارى واختلافهم أنهم تركوا الاسلام وهو التوحيد والعدل (من بعد ما جاءهم العلم) أنه الحق الذي لا محيد عنه فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالوا كنا أحق بأن تكون النبوة فينا من قريش لانهم أميون ونحن أهل كتاب وهذا تجوير لله (بغيا بينهم) أي ما كان ذلك الاختلاف وتظاهر هؤلاء بمذهب وهؤلاء بمذهب الا حسدا بينهم وطلبا منهم للرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناسا يطؤن أعقابهم لا شبهة في الاسلام وقيل هو اختلافهم في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث آمن به بعض وكفر به بعض وقيل هو اختلافهم في الايمان بالانبياء فمنهم من آمن بموسى ومنهم من آمن بعيسى وقيل هم اليهود واختلافهم أن موسى عليه السلام حين احتضر استودع التوراة سبعين حبرا من بني اسرائيل وجعلهم أمناء عليها واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن اختلف أبناء السبعين بعد ما جاءهم علم التوراة بغيا بينهم وتحاسدا على حظوظ الدنيا والرياسة وقيل هم النصارى واختلافهم في أمر عيسى بعد ما جاءهم العلم أنه عبد الله ورسوله (فان حاجوك) فان جادلوك في الدين (فقل أسلمت وجهي لله) أي أخلصت نفسي وجملتي لله وحده لم أجعل فيها لغيره شركا بأن أعبده وأدعوه الها معه يعني أن ديني دين التوحيد وهو الدين القديم الذي ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندي وما جئت بشيء بديع حتى تجادلوني فيه ونحوه قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا فهو دفع للمحاجة بأن ما هو عليه ومن معه من المؤمنين هو حق اليقين الذي لا لبس فيه فما معنى المحاجة فيه (ومن اتبعن) عطف على التاء في أسلمت وحسن للفاصل ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه (وقل للذين أوتوا الكتاب) من اليهود والنصارى (والاميين) والذين لا كتاب لهم من مشركي العرب (أأسلمتم) يعني أنه قد أتاكم من البينات ما يوجب الاسلام ويقتضي حصوله لا محالة فهل أسلمتم أم أنتم بعد على كفركم وهذا كقولك لمن لخصت له المسئلة ولم تبق من طرق البيان والكشف طريقا الا سلكته هل فهمتها لا أم لك ومنه قوله عز وعلا فهل أنتم منتهون بعد ما ذكر الصوارف عن الخمر والميسر وفي هذا الاستفهام استقصار وتعيير بالمعاندة وقلة الانصاف لان المنصف اذا تجلت له الحجة لم يتوقف اذعانه للحق وللمعاند بعد تجلي الحجة ما يضرب أسدادا بينه وبين الاذعان وكذلك في هل فهمتها توبيخ بالبلادة وكلة القريحة وفي فهل أنتم منتهون بالتقاعد عن الانتهاء والحرص الشديد على تعاطي المنهي عنه (فان أسلموا فقد اهتدوا) فقد نفعوا أنفسهم حيث خرجوا من الضلال الى الهدى ومن الظلمة الى النور (وان تولوا) لم يضروك فانك رسول منبه ما عليك الا أن تبلغ

المشرفين بعطفهم على اسم الله عز وجل اللهم الهمنا على اقتفاء السنة شكرك ولا تؤمنا مكرك انه لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون فليس ينجي من الخوف الا الخوف والله ولي التوفيق * قوله تعالى ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون (قال محمود ذلك التولي والاعراض بسبب طمعهم في الخروج من النار بعد أيام قلائل كما طمعت الحشوية والمجبرة وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون) قال أحمد رحمه الله هذا أيضا تعريض بأهل السنة في اعتقادهم تفويض العفو عن كبائر المؤمن الموحد الى مشيئة الله تعالى وان مات مصرا عليها ايمانا بقوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وتصديقا بالشفاعة لاهل الكبائر وينقم عليهم ذلك حتى يجعلهم أصلا يقيس عليهم اليهود القائلين لن تمسنا النار الا أياما معدودات فانظر اليه كيف أشحن قلبه بغضا لاهل السنة وشقاقا وكيف ملأ الارض من هذه النزغات نفاقا فالحمد لله الذي أهل عبيده الفقير الى التورك عليه لان آخذ من أهل البدعة بثار السنة فأحمي أفئدتهم من قواطع البراهين بمقومات الاسنة

في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء

الرسالة وتنبيه على طريق الهدى * قرأ الحسن يقتلون النبيين وقرأ حمزة ويقاتلون الذين يأمرون وقرأ عبد الله وقاتلوا وقرأ أبي يقتلون النبيين والذين يأمرون وهم أهل الكتاب قتل أولوهم الانبياء وقتلوا اتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا حول قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لولا عصمة الله وعن أبي عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله أي الناس أشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا أو رجلا أمر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأها ثم قال يا أبا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فأمروا قاتليهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار (في الدنيا والآخرة) لان لهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة (فان قلت) لم دخلت الفاء في خبر ان (قلت) لتضمن اسمها معنى الجزاء كأنه قيل الذين يكفرون فبشرهم بمعنى من يكفر فبشرهم وان لا تغير معنى الابتداء فكان دخولها كلا دخول ولو كان مكانها ليت أو لعل لامتنع ادخال الفاء لتغير معنى الابتداء (أوتوا نصيبا من الكتاب) يريد أحبار اليهود وأنهم حصلوا نصيبا وافرا من التوراة ومن اما للتبعيض واما للبيان أو حصلوا من جنس الكتب المنزلة أو من اللوح التوراة وهي نصيب عظيم (يدعون الى كتاب الله) وهو التوراة (ليحكم بينهم) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مدارسهم فدعاهم فقال له نعيم بن عمرو والحرث بن زيد على أي دين أنت قال على ملة ابراهيم قالا ان ابراهيم كان يهوديا قال لهما ان بيننا وبينكم التوراة فهلموا اليها فأبيا وقيل نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه وعن الحسن وقتادة كتاب الله القرآن لانهم قد علموا أنه كتاب الله لم يشكوا فيه (ثم يتولى فريق منهم) استبعاد لتوليهم بعد علمهم بأن الرجوع الى كتاب الله واجب (وهم معرضون) وهم قوم لا يزال الاعراض ديدنهم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول والوجه أن يراد ما وقع من الاختلاف والتعادي بين من أسلم من أحبارهم وبين من لم يسلم وأنهم دعوا الى كتاب الله الذي لا اختلاف بينهم في صحته وهو التوراة ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الذين لم يسلموا وذلك أن قوله ليحكم بينهم يقتضي أن يكون اختلافا واقعا فيما بينهم لا فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم (ذلك) التولي والاعراض بسبب تسهيلهم على أنفسهم أمر العقاب وطمعهم في الخروج من النار بعد أيام قلائل كما طمعت المجبرة والحشوية (وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون) من أن آباءهم الانبياء يشفعون لهم كما غرت أولئك شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كبائرهم (فكيف اذا جمعناهم) فكيف يصنعون فكيف تكون حالهم وهو استعظام لما أعد لهم وتهويل لهم وأنهم يقعون فيما لا حيلة لهم في دفعه والتخلص منه وأن ما حدثوا به أنفسهم وسهلوه عليها تعلل بباطل وتطمع بما لا يكون وروى أن أول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يأمر بهم الى النار (وهم لا يظلمون) يرجع الى كل نفس على المعنى لانه في معنى كل الناس كما تقول ثلاثة أنفس تريد ثلاثة أناسي * الميم في (اللهم) عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء في القسم وبدخول حرف النداء عليه وفيه لام التعريف وبقطع همزته في يا الله وبغير ذلك (مالك الملك) أي تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون (تؤتي الملك من تشاء) تعطي من تشاء النصيب الذي قسمت له واقتضته حكمتك من الملك (وتنزع الملك ممن تشاء) النصيب الذي أعطيته منه فالملك الاول عام شامل والملكان الآخران خاصان بعضان من الكل روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة وعد أمته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم هم أعز وأمنع من ذلك

بيدك الخير انك على كل شئ قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شئ الا أن تتقوا منهم تقاة

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة أربعين ذراعا وأخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فأخذ المعول من سلمان فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها لكأن مصباحا فى جوف بيت مظلم وكبر وكبر المسلمون وقال أضاءت لى منها قصور الحيرة كأنها أنياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال أضاءت لى منها القصور الحمر من أرض الروم ثم ضرب الثالثة فقال أضاءت لى قصور صنعاء وأخبرنى جبريل عليه السلام أن أمتى ظاهرة على كلها فأبشروا فقال المنافقون ألا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا فنزلت (فان قلت) كيف قال (بيدك الخير) فذكر الخير دون الشر (قلت) لان الكلام انما وقع فى الخير الذى يسوقه الى المؤمنين وهو الذى أنكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه أولياءك على رغم من أعدائك ولان كل أفعال الله تعالى من نافع وضار صادر عن الحكمة والمصلحة فهو خير كله كايتاء الملك ونزعه * ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار فى المعاقبة بينهما وحال الحى والميت فى اخراج أحدهما من الآخر وعطف عليه رزقه بغير حساب دلالة على أن من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة للافهام ثم قدر أن يرزق بغير حساب من يشاء من عباده فهو قادر على أن ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم وفى بعض الكتب أنا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدى فان العباد أطاعونى جعلتهم لهم رحمة وان العباد عصونى جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الى أعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه السلام كما تكونوا يولى عليكم * نهوا أن يوالوا الكافرين لقرابة بينهم أو صداقة قبل الاسلام أو غير ذلك من الاسباب التى يتصادق بها ويتعاشر وقد كرر ذلك فى القرآن ومن يتولهم منكم فانه منهم لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء لا تجد قوما يؤمنون بالله الآية والمحبة فى الله والبغض فى الله باب عظيم وأصل من أصول الايمان (من دون المؤمنين) يعنى أن لكم فى موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم (ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شئ) ومن يوال الكفرة فليس من ولاية الله فى شئ يقع عليه اسم الولاية يعنى أنه منسلخ من ولاية الله رأسا وهذا أمر معقول فان موالاة الولى وموالاة عدوه متنافيان قال

تود عدوى ثم تزعم أننى * صديقك ليس النوك عنك بعازب

(الا أن تتقوا منهم تقاة) الا أن تخافوا من جهتهم أمرا يجب اتقاؤه وقرئ تقية قيل للمتقى تقاة وتقية كقولهم ضرب الامير لمضروبه رخص لهم فى موالاتهم اذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالفة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا كقول عيسى صلوات الله عليه كن وسطا وامش جانبا (ويحذركم الله نفسه) فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة أعدائه وهذا وعيد شديد ويجوز أن يضمن تتقوا معنى تحذروا وتخافوا فيعدى بمن وينتصب تقاة أو تقية على المصدر كقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته (ان تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه) من ولاية الكفار أو غيرها مما لا يرضى الله (يعلمه) ولم يخف عليه وهو الذى (يعلم ما فى السموات وما فى الارض) لا يخفى عليه منه شئ قط فلا يخفى عليه سركم وعلنكم (والله على كل شئ قدير) فهو قادر على عقوبتكم وهذا بيان لقوله ويحذركم الله نفسه لان نفسه وهى ذاته المتميزة من سائر الذوات متصفة بعلم ذاتى لا تختص بمعلوم دون معلوم فهى متعلقة بالمعلومات كلها وبقدرة ذاتية لا تختص بمقدور دون مقدور فهى قادرة على المقدورات كلها فكان حقها أن تحذر وتتقى فلا يجسر أحد على قبيح ولا يقصر عن واجب فان ذلك مطلع عليه لا محالة فلاحق به العقاب ولو علم بعض عبيد السلطان أنه أراد الاطلاع على أحواله فوكل همه بما يورد ويصدر ونصب عليه عيونا وبث من يتجسس عن بواطن أموره لاخذ حذره وتيقظ فى أمره واتقى كل ما يتوقع فيه الاسترابة به فما بال من علم أن العالم الذات الذى يعلم السر وأخفى مهيمن عليه وهو آمن اللهم انا نعوذ بك من اغترارنا بسترك (يوم تجد) منصوب بتود * والضمير فى بينه لليوم أى يوم القيامة حين

ويحذركم الله نفسه والى الله المصير قل ان تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما فى السموات وما فى الارض والله على كل شئ قدير يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم اذ قالت امرأت عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى

تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين تتمنى لو أن بينها وبين ذلك اليوم وهوله أمدا بعيدا ويجوز أن ينتصب يوم تجد بمضمر نحو اذكر ويقع على ما عملت وحده ويرتفع وما عملت على الابتداء وتود خبره أى والذى عملته من سوء تود هى لو تباعد ما بينها وبينه ولا يصح أن تكون ما شرطية لارتفاع تود (فان قلت) فهل يصح أن تكون شرطية على قراءة عبد الله ودت (قلت) لا كلام فى صحته ولكن الحمل على الابتداء والخبر أوقع فى المعنى لأنه حكاية الكائن فى ذلك اليوم وأثبت لموافقة قراءة العامة ويجوز أن يعطف وما عملت على ما عملت ويكون تود حالا أى يوم تجد عملها محضرا وادة تباعد ما بينها وبين اليوم أو عمل السوء محضرا كقوله تعالى ووجدوا ما عملوا حاضرا يعنى مكتوبا فى صحفهم يقرؤنه ونحوه فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه * والأمد المسافة كقوله تعالى ياليت بينى وبينك بعد المشرقين * وكرر قوله (ويحذركم الله نفسه) ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه (والله رؤف بالعباد) يعنى أن تحذيره نفسه وتعريفه حالها من العلم والقدرة من الرأفة العظيمة بالعباد لأنهم اذا عرفوه حق المعرفة وحذروه دعاهم ذلك الى طلب رضاه واجتناب سخطه وعن الحسن من رأفته بهم أن حذرهم نفسه ويجوز أن يريد أنه مع كونه محذورا لعلمه وقدرته مرجو لسعة رحمته كقوله تعالى ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم * محبة العباد لله مجاز عن ارادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها ومحبة الله عباده أن يرضى عنهم ويحمد فعلهم والمعنى ان كنتم مريدين لعبادة الله على الحقيقة (فاتبعونى) حتى يصح ما تدعونه من ارادة عبادته يرض عنكم ويغفر لكم وعن الحسن زعم أقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم يحبون الله فأراد أن يجعل لقولهم تصديقا من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه واذا رأيت من يذكر محبة الله ويصفق بيديه مع ذكرها ويطرب وينعر ويصعق فلا تشك فى أنه لا يعرف ما الله ولا يدرى ما محبة الله وما تصفيقه وطربه ونعرته وصعقته الا لأنه تصور فى نفسه الخبيثة صورة مستملحة معشقة فسماها الله بجهله ودعارته ثم صفق وطرب ونعر وصعق على تصورها وربما رأيت المنى قد ملأ ازار ذلك المحب عند صعقته وحمقى العامة على حواليه قد ملؤا أردانهم بالدموع لما رققهم من حاله * وقرئ تحبون ويحببكم ويحبكم من حبه يحبه قال

أحب أبا ثروان من حب تمره * واعلم أن الرفق بالجار أرفق
ووالله لولا تمره ما حببته * ولا كان أدنى من عبيد ومشرق

(فان تولوا) يحتمل أن يكون ماضيا وأن يكون مضارعا بمعنى فان تتولوا ويدخل فى جملة ما يقول الرسول لهم (آل ابراهيم) اسمعيل واسحق وأولادهما و(آل عمران) موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة و(ذرية) بدل من آل ابراهيم وآل عمران (بعضها من بعض) يعنى أن الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهرون من عمران وعمران من يصهر ويصهر من قاهث وقاهث من لاوى ولاوى من يعقوب ويعقوب من اسحق وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان بن سليمان بن داود بن ايشى بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق وقد دخل فى آل ابراهيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل بعضها من بعض فى الدين كقوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض (والله سميع عليم) يعلم من يصلح للاصطفاء أو يعلم أن بعضهم من بعض فى الدين أو سميع عليم لقول امرأة عمران ونيتها و(اذ) منصوب به وقيل لاضمار اذكر * وامرأة عمران هى امرأة عمران بن ماثان أم مريم البتول جدة عيسى عليه السلام وهى حنة بنت فاقوذ وقوله (اذ قالت امرأت عمران) على أثر قوله وآل عمران مما يرجح أن عمران بن ماثان جد عيسى والقول الآخر يرجحه ان موسى يقرن بابراهيم كثيرا فى الذكر (فان قلت) كانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم أكبر من موسى وهرون ولعمران بن ماثان مريم البتول فما أدراك أن عمران هذا هو أبو مريم البتول دون عمران أبى مريم التى هى أخت موسى وهرون (قلت) كفى بكفالة زكريا دليلا على أنه عمران أبو البتول لأن زكريا بن آذن وعمران بن ماثان كانا فى عصر واحد وقد تزوج زكريا بنته ايشاع أخت مريم فكان يحيى وعيسى ابنى خالة

* قوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين (قال محمود آل عمران موسى وهرون الخ) قال أحمد ومما يرجح هذا القول الثانى ان السورة تسمى آل عمران ولم تشرح قصة عيسى ومريم فى سورة أبسط من شرحها فى هذه السورة وأما موسى وهرون فلم يذكر من قصتهما فى هذه السورة فدل ذلك على أن عمران المذكور ههنا هو أبو مريم والله أعلم

* قوله تعالى اذ قالت امرأة عمران الى قوله فلما وضعتها (قال محمود الضمير عائد الى ما في بطني الخ) قال أحمد الضمير في قوله وضعتها يتناول
اذ ما ناسب اليها الوضع والانوثة فالحال واقعة عليها من حيث الجهة العامة وتلك الجهة كونها شيأ وضع لا لخصوص نسبة الانوثة اليها
وقدمر هذا البحث بعينه عند قوله تعالى فان لم يكونا رجلين (عاد كلامه) قال وانما أرادت بقولها وضعتها أنثى التحسر والتأسف الخ
قال أحمد هذا التأويل على انه من كلام الله تعالى لا حكاية عنها وقد ذكر أهل التفسير تأويلا آخر وهو أن يكون هذا القول قولها
حكاه الله تعالى عنها أعني قوله وليس الذكر كالانثى ويرشد اليه عطف كلامها عليه وهو قوله واني سميتها مريم الخ ويوردون على هذا
الوجه ان قياس كونه من قولها (٣٠٢) ان يكون وليست الانثى كالذكر فان مقصودها تنقيص الانثى بالنسبة الى الذكر والعادة في
مثله ان ينفي عن الناقص شبهه بالكامل لا العكس وقد وجد الامر في ذلك مختلفا فلم يثبت الى عين ما قالوه ألا ترى الى قوله تعالى لستن كأحد من النساء فنفى عن الكامل شبه الناقص مع أن الكمال

محررا فتقبل مني انك أنت السميع العليم فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى واني سميتها مريم واني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم

* روى أنها كانت عاقرا لم تلد الى أن عجزت فبينا هي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخا له فتحركت نفسها للولد وتمنته فقالت اللهم ان لك على نذرا شكرا ان رزقتني ولدا أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم وهلك عمران وهي حامل (محررا) معتقا لخدمة بيت المقدس لا يد لي عليه ولا أستخدمه ولا أشغله بشيء وكان هذا النوع من النذر مشروعا عندهم وروى أنهم كانوا ينذرون هذا النذر فاذا بلغ الغلام خير بين أن يفعل وبين أن لا يفعل وعن الشعبي محررا مخلصا للعبادة وما كان التحرير الا للغلمان وانما بنت الامر على التقدير أو طلبت أن ترزق ذكرا (فلما وضعتها) الضمير لما في بطني وانما أنث على المعنى لان ما في بطنها كان أنثى في علم الله أو على تأويل الحبلة أو النفس أو النسمة (فان قلت) كيف جاز انتصاب (أنثى) حالا من الضمير في وضعتها وهو كقولك وضعت الانثى أنثى (قلت) الاصل وضعته أنثى وانما أنث لتأنيث الحال لان الحال وذا الحال لشيء واحد كما أنث الاسم في ما كانت أمك لتأنيث الخبر ونظيره قوله تعالى فان كانتا اثنتين وأما على تأويل الحبلة أو النسمة فهو ظاهر كأنه قيل اني وضعت الحبلة أو النسمة أنثى (فان قلت) فلم قالت اني وضعتها أنثى وما أرادت الى هذا القول (قلت) قالته تحسرا على ما رأت من خيبة رجائها وعكس تقديرها فتحزنت الى ربها لانها كانت ترجو وتقدر أن تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة * ولتكلمها بذلك على وجه التحسر والتحزن قال الله تعالى (والله أعلم بما وضعت) تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بقدر ما وهب لها منه ومعناه والله أعلم بالشيء الذي وضعت وما علق به من عظائم الامور وأن يجعله وولده آية للعالمين وهي جاهلة بذلك لا تعلم منه شيأ فلذلك تحسرت وفي قراءة ابن عباس والله أعلم بما وضعت على خطاب الله تعالى لها أي انك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما علم الله من عظم شأنه وعلو قدره وقرئ وضعت بمعنى ولعل لله تعالى فيه سرا وحكمة ولعل هذه الانثى خير من الذكر تسلية لنفسها (فان قلت) فما معنى قوله (وليس الذكر كالانثى) (قلت) هو بيان لما في قوله والله أعلم بما وضعت من التعظيم للموضوع والرفع منه ومعناه وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لها واللام فيهما للعهد (فان قلت) علام عطف قوله (واني سميتها مريم) (قلت) هو عطف على اني وضعتها أنثى وما بينهما جملتان معترضتان كقوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم (فان قلت) فلم ذكرت تسميتها مريم لربها (قلت) لان مريم في لغتهم بمعنى العابدة فأرادت بذلك التقرب والطلب اليه أن يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها وأن يصدق فيها ظنها بها ألا ترى كيف أتبعته طلب الاعاذة لها ولولدها من الشيطان واغوائه وما روى من الحديث ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها فالله أعلم بصحته فان صح فمعناه أن كل مولود يطمع الشيطان في اغوائه الا مريم وابنها فانهما كانا معصومين وكذلك كل من كان في صفتهما كقوله تعالى لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين واستهلاله صارخا من مسه تخييل وتصوير لطمعه فيه كأنه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن أغويه ونحوه من التخييل قول ابن الرومي

لازواج النبي عليه الصلاة والسلام ثابت بالنسبة الى عموم النساء وعلى ذلك جاءت عبارة امرأة عمران والله أعلم ومنه أيضا أفمن يخلق كمن لا يخلق (عاد كلامه) قال وفائدة قولها واني سميتها مريم ان مريم في لغتهم العابدة الخ
(قال أحمد) أما الحديث فمذكور في الصحاح متفق على صحته فلا محيص له اذا عن تعطيل كلامه عليه السلام بتحميله ما لا
يحتمله جنوحا الى اعتزال منتزع في فلسفة منتزعة في الحاد ظلمات بعضها فوق بعض وقد قدمت عند قوله تعالى لا يقومون الا كما يقوم
الذي يتخبطه الشيطان من المس ما فيه كفاية وما أرى الشيطان الا طعن في خواصر القدرية حتى بقرها وذكر في قلوبهم حتى حمل
الزمخشري وأمثاله أن يقول في كتاب الله تعالى وكلام رسوله عليه السلام بما يتخيل كما قال في هذا الحديث ثم تنظره بتخييل ابن الرومي
في شعره جراءة وسوء أدب ولو كان معنى ما قاله صحيحا لكانت هذه العبارة واجبا أن تجتنب ولو كان الصراخ غير واقع من المولود لامكن
على بعد أن يكون تمثيلا ولا ما هو واقع مشاهد فلا وجه لحمله على التخييل الا اعتقاد الضلال وارتكاب الهوى الوبيل

لما تؤذن الدنيا به من صروفها * يكون بكاء الطفل ساعة يولد

وأما حقيقة المس والنخس كما يتوهم أهل الحشو فكلا ولو سلط ابليس على الناس ينخسهم لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا به من نخسه (فتقبلها ربها) فرضى بها فى النذر مكان الذكر (بقبول حسن) فيه وجهان أحدهما أن يكون القبول اسم ما تقبل به الشئ كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد وهو اختصاصه لها باقامتها مقام الذكر فى النذر ولم يقبل قبلها أنثى فى ذلك أو بأن تسلمها من أمها عقيب الولادة قبل أن تنشأ وتصلح للسدانة * وروى أن حنة حين ولدت مريم لفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار أبناء هرون وهم فى بيت المقدس كالحجبة فى الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤس بنى اسرائيل وأحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا أنا أحق بها عندى خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فألقوا فيه أقلامهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت أقلامهم فتكفلها والثانى أن يكون مصدرا على تقدير حذف المضاف بمعنى فتقبلها بذى قبول حسن أى بأمر ذى قبول حسن وهو الاختصاص ويجوز أن يكون معنى فتقبلها فاستقبلها كقولك تعجله بمعنى استعجله وتقصاه بمعنى استقصاه وهو كثير فى كلامهم من استقبل الامر اذا أخذه بأوله وعنفوانه قال القطامى وخير الامر ما استقبلت منه * وليس بأن تتبعه اتباعا

ومنه المثل خذ الامر بقوابله أى فأخذها فى أول أمرها حين ولدت بقبول حسن (وأنبتها نباتا حسنا) مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحها فى جميع أحوالها * وقرئ وكفلها زكريا وزن وعملها (وكفلها زكرياء) بتشديد الفاء ونصب زكرياء الفعل لله تعالى بمعنى وضمها اليه وجعله كافلا لها وضامنا لمصالحها ويؤيدها قراءة أبى وأكفلها من قوله تعالى فقال أكفلنيها وقرأ مجاهد فتقبلها ربها وأنبتها وكفلها على لفظ الامر فى الافعال الثلاثة ونصب ربها تدعو بذلك أى فاقبلها يا ربها وربها واجعل زكريا كافلا لها * قيل بنى لها زكريا محرابا فى المسجد أى غرفة يصعد اليها بسلم وقيل المحراب أشرف المجالس ومقدمها كأنها وضعت فى أشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وروى أنه كان لا يدخل عليها الا هو وحده وكان اذا خرج غلق عليها سبعة أبواب (وجد عندها رزقا) كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط فكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء (أنى لك هذا) من أين لك هذا الرزق الذى لا يشبه أرزاق الدنيا وهو آت فى غير حينه والابواب مغلقة عليك لا سبيل للداخل به اليك (قالت هو من عند الله) فلا تستبعد قيل تكلمت وهى صغيرة كما تكلم عيسى وهو فى المهد وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه جاع فى زمن قحط فأهدت له فاطمة رضى الله عنها رغيفين وبضعة لحم آثرته بها فرجع بها اليها وقال هلمى يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فبهتت وعلمت أنها نزلت من عند الله فقال لها صلى الله عليه وسلم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال عليه الصلاة والسلام الحمد لله الذى جعلك شبيهة بسيدة نساء بنى اسرائيل ثم جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب والحسن والحسين وجميع أهل بيته فأكلوا عليه حتى شبعوا وبقى الطعام كما هو فأوسعت فاطمة على جيرانها (ان الله يرزق) من جملة كلام مريم عليها السلام أو من كلام رب العزة عز من قائل (بغير حساب) بغير تقدير لكثرته أو تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل بحسب الاستحقاق (هنالك) فى ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم فى المحراب أو فى ذلك الوقت فقد يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما رأى حال مريم فى كرامتها على الله ومنزلتها رغب فى أن يكون له من ايشاع ولد مثل ولد أختها حنة فى النجابة والكرامة على الله وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت أختها كذلك وقيل لما رأى الفاكهة فى غير وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر (ذرية) ولدا والذرية تقع على الواحد والجمع (سميع الدعاء) مجيبه * قرئ فناداه الملائكة وقيل ناداه جبريل عليه السلام وانما قيل الملائكة على قولهم فلان يركب الخيل (أن الله يبشرك) بالفتح على بأن الله وبالكسر على ارادة القول أو لان النداء نوع من القول وقرئ يبشرك ويبشرك من بشره وأبشره ويبشرك بفتح الياء من

فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله يبشرك بيحيى

قوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه (قال محمود فقد يستعار هنا وثم وحيث للزمان الخ) قال أحمد لا يليق بالنبى أن يقف علمه بجواز ولادة العاقر على مشاهدة مثله فان العقل يقضى بجواز ذلك فى قدرة الله تعالى وان لم يقع نظيره وأحسن من هذه العبارة وأسلم أن يقال لما شاهد وقوع هذا الخارق كرامة لمريم استدعاه الى خارق يناسبه كرامة له والله أعلم

بشره * ويحيى ان كان أعجميا وهو الظاهر فمنع صرفه للتعريف والعجمة كموسى وعيسى وان كان عربيا
فللتعريف ووزن الفعل كيعمر (مصدقا بكلمة من الله) مصدقا بعيسى مؤمنا به قيل هو أول من آمن به
وسمى عيسى كلمة لانه لم يوجد الا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير سبب آخر وقيل مصدقا بكلمة من
الله مؤمنا بكتاب منه وسمى الكتاب كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته * والسيد الذي يسود قومه أي
يفوقهم في الشرف وكان يحيى فائقا لقومه وفائقا للناس كلهم في أنه لم يركب سيئة قط ويالها من سيادة
* والحصور الذي لا يقرب النساء حصرا لنفسه أي منعا لها من الشهوات وقيل هو الذي لا يدخل مع القوم
في الميسر قال الاخطل وشارب مربح بالكاس نادمني * لا بالحصور ولا فيها بسآر
فاستعير لمن لا يدخل في اللعب واللهو وقد روى أنه مر وهو طفل بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب
خلقت (من الصالحين) ناشئا من الصالحين لانه كان من أصلاب الانبياء أو كائنا من جملة الصالحين كقوله
وانه في الآخرة لمن الصالحين (أنى يكون لي غلام) استبعاد من حيث العادة كما قالت مريم (وقد بلغني
الكبر) كقولهم أدركته السن العالية والمعنى أثر في الكبر فأضعفني وكانت له تسع وتسعون سنة ولامرأته
ثمان وتسعون (كذلك) أي يفعل الله ما يشاء من الافعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد بين الشيخ
الفاني والعجوز العاقر أو كذلك الله مبتدأ وخبر أي على نحو هذه الصفة الله و يفعل ما يشاء بيان له أي يفعل
ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادات (آية) علامة أعرف بها الحبل لاتلقى النعمة اذا جاءت بالشكر (قال
آيتك) أن لا تقدر على تكليم الناس (ثلاثة أيام) وانما خص تكليم الناس ليعلمه أنه يحبس لسانه عن
القدرة على تكليمهم خاصة مع ابقاء قدرته على التكلم بذكر الله ولذلك قال (واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي
والابكار) يعني في أيام عجزك عن تكليم الناس وهي من الآيات الباهرة (فان قلت) لم حبس لسانه عن
كلام الناس (قلت) ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره توفرا منه على قضاء حق تلك النعمة الجسيمة
وشكرها الذي طلب الآية من أجله كأنه لما طلب الآية من أجل الشكر قيل له آيتك أن تحبس
لسانك الا عن الشكر وأحسن الجواب وأوقعه ما كان مشتقا من السؤال ومنتزعا منه (الا رمزا) الا اشارة
بيد أو رأس أو غيرهما وأصله التحرك يقال ارتمز اذا تحرك ومنه قيل للبحر الراموز وقرأ يحيى بن وثاب الا
رمزا بضمتين جمع رموز كرسول ورسل وقرئ رمزا بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم وهو حال منه ومن
الناس دفعة كقوله متى ما تلقني فردين ترجف * روانف أليتيك وتستطارا
بمعنى الا مترامزين كما يكلم الناس الاخرس بالاشارة ويكلمهم * والعشي من حين تزول الشمس الى أن تغيب
(والابكار) من طلوع الفجر الى وقت الضحى وقرئ والابكار بفتح الهمزة جمع بكر كسحر وأسحار يقال أتيته
بكرا بفتحتين (فان قلت) الرمز ليس من جنس الكلام فكيف استثنى منه (قلت) لما أدى مؤدى الكلام وفهم
منه ما يفهم منه سمى كلاما ويجوز أن يكون استثناء منقطعا (يا مريم) روى أنهم كلموها شفاها معجزة لزكريا
أو ارهاصا لنبوة عيسى (اصطفاك) أولا حين تقبلك من أمك ورباك واختصك بالكرامة السنية (وطهرك)
مما يستقذر من الافعال ومما قرفتك به اليهود (واصطفاك) آخرا (على نساء العالمين) بأن وهب لك عيسى من غير
أب ولم يكن ذلك لاحد من النساء أمرت بالصلاة بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيآت الصلاة
وأركانها ثم قيل لها (واركعي مع الراكعين) بمعنى ولتكن صلاتك مع المصلين أي في الجماعة أو انظمي نفسك
في جملة المصلين وكوني معهم في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم ويحتمل أن يكون في زمانها من كان يقوم
ويسجد في صلاته ولا يركع وفيه من يركع فأمرت بأن تركع مع الراكعين ولا تكون مع من لا يركع (ذلك) اشارة
الى ما سبق من نبإ زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام يعني أن ذلك من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي
(فان قلت) لم نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم بغير شبهة وترك نفي استماع الانباء من حفاظها وهو موهوم
(قلت) كان معلوما عندهم علما يقينا أنه ليس من أهل السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحي فلم يبق الا
المشاهدة وهي في غاية الاستبعاد والاستحالة فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي مع علمهم بأنه لا سماع له

مصدقا بكلمة من الله
وسيدا وحصورا ونبيا
من الصالحين قال رب
أنى يكون لي غلام وقد
بلغني الكبر وامرأتي
عاقر قال كذلك الله
يفعل ما يشاء قال رب
اجعل لي آية قال آيتك
ألا تكلم الناس ثلاثة
أيام الا رمزا واذكر
ربك كثيرا وسبح بالعشي
والابكار واذ قالت
الملائكة يا مريم ان الله
اصطفاك وطهرك
واصطفاك على نساء
العالمين يا مريم اقنتي
لربك واسجدي واركعي
مع الراكعين ذلك من
أنباء الغيب نوحيه اليك
وما كنت لديهم اذ
يلقون

ولا

● قوله تعالى ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم (قال محمود ان قلت لم قيل عيسى بن مريم والخطاب لمريم الخ) قال أحمد ويحقق هذا الجواب قولها أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر فانه لم يتقدم فى وعد الله لها بالولد ما دل على انه من غير أب الا انه لما نسبه اليها دل على انها فهمت من ذلك كونه من غير أب والله أعلم (عاد كلامه) قال فان قلت لم قيل

ولا قراءة ونحوه وما كنت بجانب الغربى وما كنت بجانب الطور وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم (أقلامهم) أزلامهم وهى قداحهم التى طرحوها فى النهر مقترعين وقيل هى الاقلام التى كانوا يكتبون بها التوراة اختاروها للقرعة تبركا بها (ايهم يكفل) فى شأنها تنافسا فى التكفل بها (فان قلت) أيهم يكفل بم يتعلق (قلت) بمحذوف دل عليه يلقون أقلامهم كانه قيل يلقونها ينظرون أيهم يكفل أو ليعلموا أو يقولون (المسيح) لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق وأصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك كقوله وجعلنى مباركا أينما كنت وكذلك (عيسى) معرب من ايشوع ومشتقهما من المسح والعيش كالراقم فى الماء (فان قلت) اذ قالت بم يتعلق (قلت) هو بدل من واذ قالت الملائكة ويجوز أن يبدل من اذ يختصمون على أن الاختصام والبشارة وقعا فى زمان واسع كما تقول لقيته سنة كذا (فان قلت) لم قيل عيسى ابن مريم والخطاب لمريم (قلت) لان الابناء ينسبون الى الآباء لا الى الامهات فأعلمت بنسبته اليها انه يولد من غير أب فلا ينسب الا الى أمه وبذلك فضلت واصطفيت على نساء العالمين (فان قلت) لم ذكر ضمير الكلمة (قلت) لان المسمى بها مذكر (فان قلت) لم قيل اسمه المسيح عيسى ابن مريم وهذه ثلاثة أشياء الاسم منها عيسى وأما المسيح والابن فلقب وصفة (قلت) الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز من غيره فكانه قيل الذى يعرف به ويتميز ممن سواه مجموع هذه الثلاثة (وجيها) حال من كلمة وكذلك قوله ومن المقربين ويكلم ومن الصالحين أى يبشرك به موصوفا بهذه الصفات وصح انتصاب الحال من النكرة لكونها موصوفة * والوجاهة فى الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفى الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة فى الجنة * وكونه (من المقربين) رفعه الى السماء وصحبته للملائكة * والمهد ما يمهد للصبى من مضجعه سمى بالمصدر و (فى المهد) فى محل النصب على الحال (وكهلا) عطف عليه بمعنى ويكلم الناس طفلا وكهلا ومعناه يكلم الناس فى هاتين الحالتين كلام الانبياء من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التى يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الانبياء * ومن بدع التفاسير أن قولها (رب) نداء لجبريل عليه السلام بمعنى ياسيدى (ونعلمه) عطف على يبشرك أو على وجيها أو على يخلق أو هو كلام مبتدأ وقرأ عاصم ونافع ويعلمه بالياء (فان قلت) علام تحمل ورسولا ومصدقا من المنصوبات المتقدمة وقوله أنى قد جئتكم ولما بين يدى يأبى حمله عليها (قلت) هو من المضايق وفيه وجهان أحدهما أن يضمر له وأرسلت على ارادة القول تقديره ونعلمه الكتاب والحكمة ويقول أرسلت رسولا بأنى قد جئتكم ومصدقا لما بين يدى والثانى أن الرسول والمصدق فيهما معنى النطق فكانه قيل وناطقا بأنى قد جئتكم وناطقا بأنى أصدق ما بين يدى وقرأ اليزيدى ورسول عطفا على كلمة (أنى قد جئتكم) أصله أرسلت بأنى قد جئتكم فحذف الجار وانتصب بالفعل و (أنى أخلق) نصب بدل من أنى قد جئتكم أو جر بدل من آية أو رفع على هى أنى أخلق لكم وقرئ انى بالكسر على الاستئناف أى أقدر لكم شيأ مثل صورة الطير (فأنفخ فيه) الضمير للكاف أى فى ذلك الشئ المماثل لهيئة الطير (فيكون طيرا) فيصير طيرا كسائر الطيور حيا طيارا وقرأ عبد الله فأنفخها قال * كالهبرقى تنحى ينفخ الفحما * وقيل لم يخلق غير الخفاش (الاكمه) الذى ولد أعمى وقيل هو الممسوح العين ويقال لم يكن فى هذه الامة أكمه غير قتادة بن دعامة السدوسى صاحب التفسير وروى أنه ربما اجتمع عليه خمسون ألفا من المرضى من أطاق منهم أتاه ومن لم يطق أتاه عيسى وما كانت مداواته الا بالدعاء وحده * وكرر (باذن الله) دفعا لوهم من توهم فيه اللاهوتية * وروى أنه أحيا سام بن

أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بنى اسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وأبرئ الاكمه والابرص وأحيى الموتى باذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدى من التوراة

(قال أحمد) وفى هذا التقرير خلاص من اشكال يوردونه فيقولون المسيح فى الآية ان أريد به التسمية وهو الظاهر

فما موقع قوله عيسى بن مريم والتسمية لا توصف بالنبوة وان أريد بالمسيح المسمى بهذه التسمية لم يلتئم مع قوله اسمه ويجاب عن الاشكال بأن المسيح خبر عن قوله اسمه والمراد التسمية وأما عيسى بن مريم فخبر مبتدا محذوف تقديره هو عيسى بن مريم ويكون الضمير عائدا الى المسمى بالتسمية المذكورة منقطعا عن قوله المسيح والذى قرره الزمخشرى لا يرد عليه هذا الاشكال وهو حسن جدا والله أعلم

نوح وهم ينظرون فقالوا هذا سحر فأرنا آية فقال يافلان أكلت كذا ويافلان خبئ لك كذا * وقرئ تذخرون بالذال والتخفيف (ولأحل) رد على قوله بآية من ربكم أى جئتكم بآية من ربكم ولأحل لكم ويجوز أن يكون مصدقا مردودا عليه أيضا أى جئتكم بآية وجئتكم مصدقا * وما حرم الله عليهم فى شريعة موسى الشحوم والثروب ولحوم الابل والسمك وكل ذى ظفر فأحل لهم عيسى بعض ذلك قيل أحل لهم من السمك والطير ما لا صيصية له واختلفوا فى احلاله لهم السبت وقرئ حرم عليكم على تسمية الفاعل وهو ما بين يدى من التوراة أو الله عز وجل أو موسى عليه السلام لان ذكر التوراة دل عليه ولانه كان معلوما عندهم وقرئ حرم بوزن كرم (وجئتكم بآية من ربكم) شاهدة على صحة رسالتى وهى قوله (ان الله ربى وربكم) لان جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه * وقرئ بالفتح على البدل من آية وقوله فاتقوا الله وأطيعون اعتراض (فان قلت) كيف جعل هذا القول آية من ربه (قلت) لان الله تعالى جعله له علامة يعرف بها انه رسول كسائر الرسل حيث هداه للنظر فى أدلة العقل والاستدلال ويجوز أن يكون تكريرا لقوله جئتكم بآية من ربكم أى جئتكم بآية بعد أخرى مما ذكرت لكم من خلق الطير والابراء والاحياء والانباء بالخفيات وبغيره من ولادتى بغير أب ومن كلامى فى المهد ومن سائر ذلك وقرأ عبد الله وجئتكم بآيات من ربكم فاتقوا الله لما جئتكم به من الآيات وأطيعونى فيما أدعوكم اليه ثم ابتدأ فقال ان الله ربى وربكم ومعنى قراءة من فتح ولان الله ربى وربكم فاعبدوه كقوله لايلاف قريش فليعبدوا ويجوز أن يكون المعنى وجئتكم بآية على أن الله ربى وربكم وما بينهما اعتراض (فلما أحس) فلما علم منهم (الكفر) علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس و(الى الله) من صلة أنصارى مضمنا معنى الاضافة كأنه قيل من الذين يضيفون أنفسهم الى الله ينصروننى كما ينصرنى أو يتعلق بمحذوف حالا من الياء أى من أنصارى ذاهبا الى الله ملتجئا اليه (نحن أنصار الله) أى أنصار دينه ورسوله * وحوارى الرجل صفوته وخالصته ومنه قيل للحضريات الحواريات لخلوص ألوانهن ونظافتهن قال

فقل للحواريات يبكين غيرنا * ولا تبكنا الا الكلاب النوابح

وفى وزنه الحوالى وهو الكثير الحيلة * وانما طلبوا شهادته باسلامهم تأكيدا لايمانهم لان الرسل يشهدون يوم القيامة لقومهم وعليهم (مع الشاهدين) مع الانبياء الذين يشهدون لاممهم أو مع الذين يشهدون بالوحدانية وقيل مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم لانهم شهداء على الناس (ومكروا) الواو لكفار بنى اسرائيل الذين أحس منهم الكفر ومكرهم أنهم وكلوا به من يقتله غيلة (ومكر الله) أن رفع عيسى الى السماء وألقى شبهه على من أراد اغتياله حتى قتل (والله خير الماكرين) أقواهم مكرا وأنفذهم كيدا وأقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب (اذ قال الله) ظرف لخير الماكرين أو لمكر الله (انى متوفيك) أى مستوفى أجلك ومعناه انى عاصمك من أن يقتلك الكفار ومؤخرك الى أجل كتبته لك ومميتك حتف أنفك لا قتلا بأيديهم (ورافعك الى) الى سمائى ومقر ملائكتى (ومطهرك من الذين كفروا) من سوء جوارهم وخبث صحبتهم وقيل متوفيك قابضك من الارض من توفيت مالى على فلان اذا استوفيته وقيل مميتك فى وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن وقيل متوفى نفسك بالنوم من قوله والتى لم تمت فى منامها ورافعك وأنت نائم حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ وأنت فى السماء آمن مقرب (فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) يعلونهم بالحجة وفى أكثر الاحوال بها وبالسيف ومتبعوه هم المسلمون لانهم متبعوه فى أصل الاسلام وان اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى (فأحكم بينكم) تفسير الحكم قوله (فأعذبهم * فنوفيهم أجورهم) وقرئ فيوفيهم بالياء (ذلك) اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره (نتلوه) و(من الآيات) خبر بعد خبر أو خبر مبتدإ محذوف ويجوز أن يكون ذلك بمعنى الذى ونتلوه صلته ومن الآيات الخبر ويجوز أن ينتصب ذلك بمضمر يفسره نتلوه (والذكر الحكيم) القرآن وصف بصفة من هو من سببه أو كأنه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه (ان مثل عيسى) ان شأن عيسى وحاله الغريبة كشأن آدم وقوله (خلقه من تراب)

ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين اذ قال الله ياعيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم الى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب

جملة مفسرة لماله شبه عيسى بآدم أي خلق آدم من تراب ولم يكن ثمة أب ولا أم فكذلك حال عيسى (فإن قلت) كيف شبه به وقد وجد هو بغير أب ووجد آدم بغير أب وأم (قلت) هو مثيله في أحد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لأن المماثلة مشاركة في بعض الأوصاف ولأنه شبه به في أنه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما في ذلك نظيران ولأن الوجود من غير أب وأم أغرب وأخرق للعادة من الوجود من غير أب فشبه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادة شبهته إذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه وعن بعض العلماء أنه أسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لأنه لا أب له قال فآدم أولى لأنه لا أبوين له قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل أولى لأن عيسى أحيا أربعة نفر وأحيا حزقيل ثمانية آلاف فقالوا كان يبرئ الأكمه والأبرص قال فجرجيس أولى لأنه طبخ وأحرق ثم قام سالما * خلقه من تراب قدره جسدا من طين (ثم قال له كن) أي أنشأه بشرا كقوله ثم أنشأناه خلقا آخر (فيكون) حكاية حال ماضية (الحق من ربك) خبر مبتدأ محذوف أي هو الحق كقول أهل خيبر محمد والخميس * ونهيه عن الامتراء وجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون ممتريا من باب التهييج لزيادة الثبات والطمأنينة وأن يكون لطفا لغيره (فمن حاجك) من النصارى (فيه) في عيسى (من بعد ما جاءك من العلم) أي من البينات الموجبة للعلم (تعالوا) هلموا والمراد المجيء بالرأي والعزم كما تقول تعال نفكر في هذه المسئلة (ندع أبناءنا وأبناءكم) أي يدع كل مني ومنكم أبناءه ونساءه ونفسه إلى المباهلة (ثم نبتهل) ثم نتباهل بأن نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم والبهلة بالفتح والضم اللعنة وبهله الله لعنه وأبعده من رحمته من قولك أبهله إذا أهمله وناقة باهل لا صرار عليها وأصل الابتهال هذا ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه وإن لم يكن التعانا * وروي أنهم لما دعاهم إلى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فإن أبيتم إلا إلف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول إذا أنا دعوت فأمنوا فقال أسقف نجران يا معشر النصارى إني لأرى وجوها لو شاء الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة فقالوا يا أبا القاسم رأينا أن لا نباهلك وأن نقرك على دينك ونثبت على ديننا قال فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فأبوا قال فإني أناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على أن نؤدي إليك كل عام ألفي حلة ألف في صفر وألف في رجب وثلاثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك وقال والذي نفسي بيده إن الهلاك قد تدلى على أهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن فأدخله ثم جاء الحسين فأدخله ثم فاطمة ثم علي ثم قال إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت (فإن قلت) ما كان دعاؤه إلى المباهلة إلا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه وذلك أمر يختص به وبمن يكاذبه فما معنى ضم الأبناء والنساء (قلت) ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض أعزته وأفلاذ كبده وأحب الناس إليه لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته وأعزته هلاك الاستئصال إن تمت المباهلة وخص الأبناء والنساء لأنهم أعز الأهل وألصقهم بالقلوب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل ومن ثمة كانوا يسوقون مع أنفسهم الظعائن في الحروب لتمنعهم من الهرب ويسمون الذادة عنها بأرواحهم حماة الحقائق وقدمهم في الذكر على الأنفس لينبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وليؤذن بأنهم مقدمون على الأنفس مفدون بها وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب

ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين

الكساء عليهم السلام وفيه برهان واضح على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يرو أحد من موافق
ولا مخالف أنهم أجابوا الى ذلك (ان هذا) الذى قص عليك من نبا عيسى (لهو القصص الحق) قرئ بتحريك
الهاء على الاصل وبالسكون لان اللام تنزل من هو منزلة بعضه فخفف كما خفف عضد وهو اما فصل بين اسم
ان وخبرها واما مبتدأ والقصص الحق خبره والجملة خبران (فان قلت) لم جاز دخول اللام على الفصل (قلت)
اذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل أجوز لانه أقرب الى المبتدا منه وأصلها أن تدخل على المبتدا
ومن في قوله (وما من اله الا الله) بمنزلة البناء على الفتح فى لا اله الا الله فى افادة معنى الاستغراق والمراد الرد على
النصارى فى تثليثهم (فان الله عليم بالمفسدين) وعيد لهم بالعذاب المذكور فى قوله زدناهم عذابا فوق العذاب
بما كانوا يفسدون (يا أهل الكتاب) قيل هم أهل الكتابين وقيل وفد نجران وقيل يهود المدينة (سواء بيننا
وبينكم) مستوية بيننا وبينكم لا يختلف فيها القرآن والتوراة والانجيل وتفسير الكلمة قوله (ألا نعبد
الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) يعنى تعالوا اليها حتى لا نقول عزير ابن الله
ولا المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بعضنا بشر مثلنا ولا نطيع أحبارنا فيما أحدثوا من التحريم والتحليل
من غير رجوع الى ما شرع الله كقوله تعالى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم
وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا وعن عدى بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال أليس كانوا يحلون لكم
ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك وعن الفضيل لا أبالى أطعت مخلوقا فى معصية الخالق
أو صليت لغير القبلة * وقرئ كلمة بسكون اللام * وقرأ الحسن سواء بالنصب بمعنى استوت استواء (فان
تولوا) عن التوحيد (فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) أى لزمتكم الحجة فوجب عليكم أن تعترفوا وتسلموا بأنا
مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب فى جدال أو صراع أو غيرهما اعترف بأنى أنا الغالب وسلم لى الغلبة
ويجوز أن يكون من باب التعريض ومعناه اشهدوا واعترفوا بأنكم كافرون حيث توليتم عن الحق بعد
ظهوره * زعم كل فريق من اليهود والنصارى أن ابراهيم كان منهم وجادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين فيه فقيل لهم ان اليهودية انما حدثت بعد نزول التوراة والنصرانية بعد نزول الانجيل وبين ابراهيم
وموسى ألف سنة وبينه وبين عيسى ألفان فكيف يكون ابراهيم على دين لم يحدث الا بعد عهده بأزمنة
متطاولة (أفلا تعقلون) حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال (ها أنتم هؤلاء) ها للتنبيه وأنتم مبتدأ وهؤلاء
خبره و (حاججتم) جملة مستأنفة مبينة للجملة الاولى يعنى أنتم هؤلاء الاشخاص الحمقى وبيان حماقتكم وقلة
عقولكم أنكم جادلتم (فيما لكم به علم) مما نطق به التوراة والانجيل (فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) ولا ذكر له
فى كتابكم من دين ابراهيم وعن الاخفش ها أنتم هو أأنتم على الاستفهام فقلبت الهمزة هاء ومعنى
الاستفهام التعجب من حماقتهم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته (والله يعلم) علم ما حاججتم فيه (وأنتم)
جاهلون به * ثم أعلمهم بأنه برئ من دينكم وما كان الا (حنيفا مسلما وما كان من المشركين) كما لم يكن منكم
أو أراد بالمشركين اليهود والنصارى لاشراكهم به عزيرا والمسيح (ان أولى الناس بابراهيم) ان أخصهم به
وأقربهم منه من الولى وهو القرب (للذين اتبعوه) فى زمانه وبعده (وهذا النبي) خصوصا (والذين آمنوا)
من أمته وقرئ وهذا النبي بالنصب عطفا على الهاء فى اتبعوه أى اتبعوه واتبعوا هذا النبي وبالجر عطفا على
ابراهيم (ودت طائفة) هم اليهود دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية (وما يضلون الا أنفسهم) وما يعود
وبال الاضلال الا عليهم لان العذاب يضاعف لهم بضلالهم واضلالهم أو وما يقدرون على اضلال المسلمين
وانما يضلون أمثالهم من أشياعهم (بآيات الله) بالتوراة والانجيل وكفرهم بها أنهم لا يؤمنون بما نطقت
به من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرها وشهادتهم اعترافهم بأنها آيات الله أو تكفرون بالقرآن
ودلائل نبوة الرسول (وأنتم تشهدون) نعته فى الكتابين أو تكفرون بآيات الله جميعا وأنتم تعلمون أنها حق
* قرئ تلبسون بالتشديد وقرأ يحيى بن وثاب تلبسون بفتح الباء أى تلبسون الحق مع الباطل كقوله كلابس
ثوبى زور وقوله * اذا هو بالمجد ارتدى وتأزرا * (وجه النهار) أوله قال

ان هذا لهو القصص
الحق وما من اله الا الله
وان الله لهو العزيز
الحكيم فان تولوا فان الله
عليم بالمفسدين قل يا أهل
الكتاب تعالوا الى كلمة
سواء بيننا وبينكم
ألا نعبد الا الله ولا نشرك
به شيأ ولا يتخذ بعضنا
بعضا أربابا من دون الله
فان تولوا فقولوا اشهدوا
بأنا مسلمون يا أهل
الكتاب لم تحاجون
فى ابراهيم وما أنزلت
التوراة والانجيل
الا من بعده أفلا تعقلون
ها أنتم هؤلاء حاججتم
فيما لكم به علم فلم تحاجون
فيما ليس لكم به علم والله
يعلم وأنتم لا تعلمون ما كان
ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا
ولكن كان حنيفا مسلما
وما كان من المشركين
ان أولى الناس بابراهيم
للذين اتبعوه وهذا النبي
والذين آمنوا والله ولى
المؤمنين ودت طائفة
من أهل الكتاب
لو يضلونكم وما يضلون
الا أنفسهم وما يشعرون
يا أهل الكتاب
لم تكفرون بآيات الله
وأنتم تشهدون يا أهل
الكتاب لم تلبسون الحق
بالباطل وتكتمون الحق
وأنتم تعلمون وقالت
طائفة من أهل الكتاب
آمنوا بالذى أنزل على
الذين آمنوا وجه النهار

من كان مسرورا بمقتل مالك * فليأت نسوتنا بوجه نهار

والمعنى أظهروا الايمان بما أنزل على المسلمين فى أول النهار (واكفروا) به فى آخره لعلهم يشكون فى دينهم ويقولون مارجعوا وهم أهل كتاب وعلم الا لامر قد تبين لهم فيرجعون برجوعكم وقيل تواطأ اثنا عشر من أحبار يهود خيبر وقال بعضهم لبعض ادخلوا فى دين محمد أول النهار من غير اعتقاد واكفروا به آخر النهار وقولوا انا نظرنا فى كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه وبطلان دينه فاذا فعلتم ذلك شك أصحابه فى دينهم وقيل هذا فى شأن القبلة لما صرفت الى الكعبة قال كعب بن الاشرف لاصحابه آمنوا بما أنزل عليهم من الصلاة الى الكعبة وصلوا اليها فى أول النهار ثم اكفروا به فى آخره وصلوا الى الصخرة لعلهم يقولون هم أعلم منا وقد رجعوا فيرجعون (ولا تؤمنوا) متعلق بقوله أن يؤتى أحد وما بينهما اعتراض أى ولا تظهروا ايمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم أرادوا أسروا تصديقكم بأن المسلمين قد أوتوا من كتب الله مثل ما أوتيتم ولا تفشوه الا الى أشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام (أو يحاجوكم عند ربكم) عطف على أن يؤتى والضمير فى يحاجوكم لاحد لانه فى معنى الجمع بمعنى ولا تؤمنوا لغير أتباعكم أن المسلمين يحاجونكم يوم القيامة بالحق ويغالبونكم عند الله تعالى بالحجة (فان قلت) فما معنى الاعتراض (قلت) معناه أن الهدى هدى الله من شاء أن يلطف به حتى يسلم أو يزيد ثباته على الاسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم وزيكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله تعالى (قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء) يريد الهداية والتوفيق أو يتم الكلام عند قوله الا لمن تبع دينكم على معنى ولا تؤمنوا هذا الايمان الظاهر وهو ايمانهم وجه النهار الا لمن تبع دينكم الا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن أسلموا منكم لان رجوعهم كان أرجى عندهم من رجوع من سواهم ولان اسلامهم كان أغيظ لهم وقوله أن يؤتى معناه لان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه لا لشئ آخر يعنى أن ما بكم من الحسد والبغى أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من فضل العلم والكتاب دعاكم الى أن قلتم ما قلتم والدليل عليه قراءة ابن كثير أأن يؤتى أحد بزيادة همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ بمعنى ألأن يؤتى أحد (فان قلت) فما معنى قوله أو يحاجوكم على هذا (قلت) معناه دبرتم ما دبرتم لان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ولما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربكم ويجوز أن يكون هدى الله بدلا من الهدى وأن يؤتى أحد خبر ان على معنى قل ان هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم حتى يحاجوكم عند ربكم فيقرعوا باطلكم بحقهم ويدحضوا حجتكم * وقرئ ان يؤتى أحد على ان النافية وهو متصل بكلام أهل الكتاب أى ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى أحد مثل ما أوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم بمعنى ما يؤتون مثله فلا يحاجونكم ويجوز أن ينتصب أن يؤتى بفعل مضمر يدل عليه قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم كأنه قيل قل ان الهدى هدى الله فلا تنكروا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم لان قولهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم انكار لان يؤتى أحد مثل ما أوتوا * عن ابن عباس (من ان تأمنه بقنطار) هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش ألفا ومائتى أوقية ذهبا فأداه اليه و(من ان تأمنه بدينار) فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه وقيل المأمونون على الكثير النصارى لغلبة الامانة عليهم والخائنون فى القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم (الا ما دمت عليه قائما) الا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على رأسه متوكلا عليه بالمطالبة والتعنيف أو بالرفع الى الحاكم واقامة البينة عليه * وقرئ يؤده بكسر الهاء والوصل وبكسرها بغير وصل وبسكونها وقرأ يحيى بن وثاب تئمنه بكسر التاء ودمت بكسر الدال من دام يدام (ذلك) اشارة الى ترك الاداء الذى دل عليه لم يؤده أى تركهم أداء الحقوق بسبب قولهم (ليس علينا فى الاميين سبيل) أى لا يتطرق علينا عتاب وذم فى شأن الاميين يعنون الذين ليسوا من أهل الكتاب وما فعلنا بهم من حبس أموالهم والاضرار

(قال محمود أو يحاجوكم معطوف على ان يؤتى الخ) قال أحمد فى هذا الوجه من الاعراب اشكال وهو وقوع أحد فى الواجب لان الاستفهام هنا انكار واستفهام الانكار فى مثله اثبات اذ حاصله انه انكر عليهم ووبخهم على ما وقع منهم وهو اخفاء الايمان بأن النبوة لا تختص ببنى اسرائيل لاجل العلتين المذكورتين فهو اثبات محقق ويمكن أن يقال روعيت صيغة الاستفهام وان لم يكن المراد حقيقة فحسن لذلك دخول أحد فى سياقه والله أعلم (قال محمود والضمير فى يحاجوكم لاحد لانه فى معنى الجمع الخ) قال أحمد أى حيث كان نكرة فى سياق النفى كما وصفه بالجمع فى قوله فما منكم من أحد عنه حاجزين

واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم * ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل

بهم لانهم ليسوا على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم ويقولون لم يجعل لهم فى كتابنا حرمة وقيل بايع
اليهود رجالا من قريش فلما أسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا أنهم
وجدوا ذلك فى كتابهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال عند نزولها كذب أعداء الله ما من شئ فى الجاهلية
الا وهو تحت قدمى الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر وعن ابن عباس أنه سأل رجل فقال انا نصيب فى
الغزو من أموال أهل الذمة الدجاجة والشاة قال فتقولون ماذا قال نقول ليس علينا فى ذلك بأس قال هذا
كما قال أهل الكتاب ليس علينا فى الاميين سبيل انهم اذا أدوا الجزية لم يحل لكم أكل أموالهم الا بطيبة
أنفسهم (ويقولون على الله الكذب) بادعائهم أن ذلك فى كتابهم (وهم يعلمون) أنهم كاذبون (بلى) اثبات
لما نفوه من السبيل عليهم فى الاميين أى بلى عليهم سبيل فيهم وقوله (من أوفى بعهده) جملة مستأنفة مقررة
للجملة التى سدت بلى مسدها والضمير فى بعهده راجع الى من أوفى على أن كل من أوفى بما عاهد عليه واتقى
الله فى ترك الخيانة والغدر فان الله يحبه (فان قلت) فهذا عام يخيل أنه لو وفى أهل الكتاب بعهودهم وتركوا
الخيانة لكسبوا محبة الله (قلت) أجل لانهم اذا وفوا بالعهود وفوا أول شئ بالعهد الاعظم وهو ما أخذ عليهم
فى كتابهم من الايمان برسول مصدق لما معهم ولو اتقوا الله فى ترك الخيانة لاتقوه فى ترك الكذب على
الله وتحريف كلمه ويجوز أن يرجع الضمير الى الله تعالى على أن كل من وفى بعهد الله واتقاه فان الله يحبه
ويدخل فى ذلك الايمان وغيره من الصالحات وما وجب اتقاؤه من الكفر وأعمال السوء (فان قلت)
فأين الضمير الراجع من الجزاء الى من (قلت) عموم المتقين قام مقام رجوع الضمير وعن ابن عباس نزلت
فى عبد الله بن سلام وبحيرا الراهب ونظرائهما من مسلمة أهل الكتاب (يشترون) يستبدلون (بعهد الله)
بما عاهدوه عليه من الايمان بالرسول المصدق لما معهم (وأيمانهم) وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن
به ولننصرنه (ثمنا قليلا) متاع الدنيا من الترؤس والارتشاء ونحو ذلك وقيل نزلت فى أبى رافع ولبابة بن أبى
الحقيق وحيى بن أخطب حرفوا التوراة وبدلوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذوا الرشوة على
ذلك وقيل جاءت جماعة من اليهود الى كعب بن الاشرف فى سنة أصابتهم ممتارين فقال لهم هل تعلمون أن
هذا الرجل رسول الله قالوا نعم قال لقد هممت أن أميركم وأكسوكم فحرمكم الله خيرا كثيرا فقالوا لعله شبه
علينا فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا فكتبوا صفة غير صفته ثم رجعوا اليه وقالوا قد غلطنا وليس هو بالنعت
الذى نعت لنا ففرح ومارهم وعن الاشعث بن قيس نزلت فى كانت بينى وبين رجل خصومة فى بئر
فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شاهداك أو يمينه فقلت اذن يحلف ولا يبالى فقال من
حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقى الله وهو عليه غضبان وقيل نزلت فى رجل أقام سلعة فى
السوق فحلف لقد أعطى بها ما لم يعطه والوجه أن نزولها فى أهل الكتاب وقوله بعهد الله يقوى رجوع
الضمير فى بعهده الى الله (ولا ينظر اليهم) مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول فلان لا ينظر الى
فلان تريد نفى اعتداده به واحسانه اليه (ولا يزكيهم) ولا يثنى عليهم (فان قلت) أى فرق بين استعماله فيمن
يجوز عليه النظر وفيمن لا يجوز عليه (قلت) أصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية لان من اعتد بالانسان
التفت اليه وأعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثم نظر ثم جاء فيمن
لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر (لفريقا) هم كعب
ابن الاشرف ومالك بن الصيف وحيى بن أخطب وغيرهم (يلوون ألسنتهم بالكتاب) يفتلونها بقراءته عن
الصحيح الى المحرف وقرأ أهل المدينة يلوون بالتشديد كقوله لووا رؤسهم وعن مجاهد وابن كثير يلون
ووجهه أنهما قلبا الواو المضمومة همزة ثم خففوها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها (فان قلت) الام
يرجع الضمير فى (لتحسبوه) قلت الى ما دل عليه يلوون ألسنتهم بالكتاب وهو المحرف ويجوز أن يراد
يعطفون ألسنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب وقرئ ليحسبوه بالياء بمعنى يفعلون ذلك
ليحسبه المسلمون من الكتاب (ويقولون هو من عند الله) تأكيد لقوله هو من الكتاب وزيادة تشنيع
عليهم وتسجيل بالكذب ودلالة على أنهم لا يعرضون ولا يورون وانما يصرحون بأنه فى التوراة هكذا

ويقولون على الله
الكذب وهم يعلمون
بلى من أوفى بعهده
واتقى فان الله يحب
المتقين ان الذين يشترون
بعهد الله وأيمانهم ثمنا
قليلا أولئك لا خلاق
لهم فى الآخرة ولا يكلمهم
الله ولا ينظر اليهم يوم
القيامة ولا يزكيهم ولهم
عذاب أليم وان منهم
لفريقا يلوون ألسنتهم
بالكتاب لتحسبوه من
الكتاب وما هو من
الكتاب ويقولون هو
من عند الله وما هو
من عند الله ويقولون
على الله الكذب وهم
يعلمون

وقد أنزله الله تعالى على موسى كذلك لفرط جراءتهم على الله وقساوة قلوبهم ويأسهم من الآخرة وعن ابن عباس هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الأشرف غيروا التوراة وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم (ما كان لبشر) تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى وقيل ان أبا رافع القرظي والسيد من نصارى نجران قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتريد أن نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله أن نعبد غير الله أو أن نأمر بعبادة غير الله فما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك قال لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله (والحكم) والحكمة وهي السنة (ولكن كونوا ربانيين) ولكن يقول كونوا والرباني منسوب الى الرب بزيادة الألف والنون كما يقال رقباني ولحياني وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته وعن محمد بن الحنفية أنه قال حين مات ابن عباس اليوم مات رباني هذه الأمة وعن الحسن ربانيين علماء فقهاء وقيل علماء معلمين وكانوا يقولون الشارع رباني العالم العامل المعلم (بما كنتم) بسبب كونكم عالمين وبسبب كونكم دارسين للعلم أوجب أن تكون الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة وكفى به دليلا على خيبة سعي من جهد نفسه وكدر روحه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل فكان مثله مثل من غرس شجرة حسناء تونقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها ＊ وقرئ تعلمون من التعليم وتعلمون من التعلم (تدرسون) تقرؤن وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون على أن أدرس بمعنى درس كأكرم وكرم وأنزل ونزل وتدرسون من التدرس ويجوز أن يكون معناه ومعنى تدرسون بالتخفيف تدرسونه على الناس كقوله لتقرأه على الناس فيكون معناهما معنى تدرسون من التدريس وفيه أن من علم ودرس العلم ولم يعمل به فليس من الله في شيء وأن السبب بينه وبين ربه منقطع حيث لم يثبت النسبة اليه الا للمتمسكين بطاعته ＊ قرئ ولا يأمركم بالنصب عطفا على ثم يقول وفيه وجهان أحدهما ان تجعل لا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر أن يستنبئه الله وينصبه للدعاء الى اختصاص الله بالعبادة وترك الانداد ثم يأمر الناس بأن يكونوا عبادا له ويأمركم (أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا) كما تقول ما كان لزيد أن أكرمه ثم يهينني ولا يستخف بي والثاني أن تجعل لا غير مزيدة والمعنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى قريشا عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح فلما قالوا له أنتخذك ربا قيل لهم ما كان لبشر أن يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة والانبياء والقراءة بالرفع على ابتداء الكلام أظهر وتنصرها قراءة عبد الله ولن يأمركم والضمير في ولا يأمركم وأيأمركم لبشر وقيل لله والهمزة في أيأمركم للانكار (بعد اذ أنتم مسلمون) دليل على أن المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوه أن يسجدوا له (ميثاق النبيين) فيه غير وجه أحدها أن يكون على ظاهره من أخذ الميثاق على النبيين بذلك والثاني أن يضيف الميثاق الى النبيين اضافته الى الموثق لا الى الموثق عليه كما تقول ميثاق الله وعهد الله كأنه قيل واذ أخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على أممهم والثالث أن يراد ميثاق أولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف والرابع أن يراد أهل الكتاب وأن يرد على زعمهم تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن أولى بالنبوة من محمد لانا أهل الكتاب ومنا كان النبيون وتدل عليه قراءة أبي وابن مسعود واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ＊ واللام في (لما آتيتكم) لام التوطئة لأن أخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وفي لتؤمنن لام جواب القسم وما يحتمل أن تكون المتضمنة لمعنى الشرط ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا وأن تكون موصولة بمعنى للذي آتيتكموه لتؤمنن به وقرئ لما آتيناكم وقرأ حمزة لما آتيتكم بكسر اللام ومعناه لأجل ايتائي اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به على أن ما مصدرية والفعلان معها أعني آتيتكم وجاءكم في معنى المصدرين واللام داخلة للتعليل على معنى أخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لأجل أني آتيتكم الحكمة وأن الرسول الذي آمركم بالايمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف ويجوز أن تكون ما موصولة (فان قلت) كيف يجوز ذلك والعطف على آتيتكم

ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم

＊ قوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله لتؤمنن به (قال محمود اللام في لما آتيتكم لام التوطئة لان أخذ الميثاق في معنى القسم الخ) قال أحمد يريد على ان قوله رسول فاعل جاء لانه لا يخلو من الضمير والا فهذا القول صحيح على أن يكون الفاعل مضمرا ورسول خبر الموصول ولم يرد الزمخشري الاول وهو ظاهر الآية (عاد كلامه قال مجيبا عن السؤال قلت بلى الخ) قال أحمد يريد ان الكلام وان خلا من العائد الا انه في معنى كلام يتحقق فيه العائد فيجوز دخوله في الصلة والله أعلم

وهو قوله ثم جاءكم لا يجوز أن يدخل تحت حكم الصفة لانك لا تقول للذى جاءكم رسول مصدق لما معكم (قلت) بلى لان مامعكم فى معنى ما آتيتكم فكأنه قيل للذى آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرأ سعيد بن جبير لما بالتشديد بمعنى حين آتيتكم بعض الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له وجب عليكم الايمان به ونصرته وقيل أصله لمن ما فاستثقلوا اجتماع ثلاث ميمات وهى الميمان والنون المنقلبة ميما بادغامها فى الميم فحذفوا احداها فصارت لما ومعناه لمن أجل ما آتيتكم لتؤمنن به وهذا نحو من قراءة حمزة فى المعنى (اصرى) عهدى وقرئ أصرى بالضم وسمى اصرا لانه مما يؤصر أى يشد ويعقد ومنه الاصار الذى يعقد به ويجوز أن يكون المضموم لغة فى اصر كعبر وعبر وأن يكون جمع اصار (فاشهدوا) فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار (وأنا على ذلكم) من اقراركم وتشاهدكم (من الشاهدين) وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع اذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل الخطاب للملائكة (فمن تولى بعد ذلك) الميثاق والتوكيد (فأولئك هم الفاسقون) أى المتمردون من الكفار * دخلت همزة الانكار على الفاء العاطفة جملة على جملة والمعنى فأولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة بينهما ويجوز أن يعطف على محذوف تقديره (أ) يتولون (فغير دين الله يبغون) وقدم المفعول الذى هو غير دين الله على فعله لانه أهم من حيث ان الانكار الذى هو معنى الهمزة متوجه الى المعبود بالباطل وروى أن أهل الكتاب اختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفوا فيه من دين ابراهيم عليه السلام وكل واحد من الفريقين ادعى انه أولى به فقال صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين برىء من دين ابراهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فنزلت وقرئ يبغون بالياء وترجعون بالتاء وهى قراءة أبى عمرو لان الباغين هم المتولون والراجعون جميع الناس وقرئا بالياء معا وبالتاء معا (طوعا) بالنظر فى الادلة والانصاف من نفسه (وكرها) بالسيف أو بمعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل على بنى اسرائيل وادراك الغرق فرعون والاشفاء على الموت فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وانتصب طوعا وكرها على الحال بمعنى طائعين ومكرهين * أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يخبر عن نفسه وعمن معه بالايمان فلذلك وحد الضمير فى (قل) وجمع فى (آمنا) ويجوز أن يؤمر بأن يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك اجلالا من الله لقدر نبيه (فان قلت) لم عدى أنزل فى هذه الآية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها بحرف الانتهاء (قلت) لوجود المعنيين جميعا لان الوحى ينزل من فوق وينتهى الى الرسل فجاء تارة بأحد المعنيين وأخرى بالآخر ومن قال انما قيل علينا لقوله قل والينا لقوله قولوا تفرقة بين الرسول والمؤمنين لان الرسول يأتيه الوحى على طريق الاستعلاء ويأتيهم على وجه الانتهاء فقد تعسف ألا ترى الى قوله بما أنزل اليك وأنزلنا اليك الكتاب والى قوله آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا (ونحن له مسلمون) موحدون مخلصون أنفسنا له لا نجعل له شريكا فى عبادتها ثم قال (ومن يبتغ غير الاسلام) يعنى التوحيد واسلام الوجه لله تعالى (دينا فلن يقبل منه * من الخاسرين) من الذين وقعوا فى الخسران مطلقا من غير تقييد للشياع وقرئ ومن يبتغ غير الاسلام بالادغام (كيف يهدى الله قوما) كيف يلطف بهم وليسوا من أهل اللطف لما علم الله من تصميمهم على كفرهم ودل على تصميمهم بأنهم كفروا بعد ايمانهم وبعد ما شهدوا بأن الرسول حق وبعد ما جاءتهم الشواهد من القرآن وسائر المعجزات التى تثبت بمثلها النبوة وهم اليهود كفروا بالنبى صلى الله عليه وسلم بعد ان كانوا مؤمنين به وذلك حين عاينوا ما يوجب قوة ايمانهم من البينات وقيل نزلت فى رهط كانوا أسلموا ثم رجعوا عن الاسلام ولحقوا بمكة منهم طعمة بن أبيرق ووحوح بن الاسلت والحرث بن سويد بن الصامت (فان قلت) علام عطف قوله (وشهدوا) (قلت) فيه وجهان أن يعطف على ما فى ايمانهم من معنى الفعل لان معناه بعد أن آمنوا كقوله تعالى فأصدق وأكن وقول الشاعر

* ليسوا مصلحين عشيرة * ولا ناعب * ويجوز أن تكون الواو للحال باضمار قد بمعنى كفروا وقد شهدوا أن الرسول حق (والله لا يهدى) لا يلطف بالقوم الظالمين المعاندين الذين علم أن اللطف لا ينفعهم (الا الذين تابوا من بعد ذلك) الكفر العظيم والارتداد (وأصلحوا) ما أفسدوا أو ودخلوا فى الصلاح قيل نزلت فى الحرث

اصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدى القوم الظالمين أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم ان الذين كفروا بعد ايمانهم

ابن

«قوله تعالى ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به (قال محمود ان قلت كيف موقع قوله ولو افتدى به الخ) قال أحمد لم يبين تطبيق لفظ الآية على هذا التقدير الذي ذهب اليه وجه ونحن نبين السبب الباعث له على اخراج الكلام عن ظاهره ثم نقرر وجها يطابق الآية وذلك ان هذه الواو المصاحبة للشرط تستدعي شرطا آخر يعطف عليه الشرط المقترنة بها ضرورة والعادة في مثل ذلك أن يكون المنطوق به منبها على المسكوت عنه بطريق الاولى مثاله قولك أكرم زيدا ولو أساء فهذه الواو عطفت المذكور على محذوف تقديره أكرم زيدا لو أحسن ولو أساء الا أنك نبهت بايجاب اكرامه وان أساء على ان اكرامه ان أحسن بطريق الاولى ومنه كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم معناه والله أعلم لو كان الحق على غيركم ولو كان عليكم ولكنه ذكر ماهو أعسر عليهم فأوجبه تنبيها على ماهو أسهل وأولى بالوجوب فاذا تبين مقتضى الواو في مثل هذه المواضع وجدت آية آل عمران هذه مخالفة لهذا النمط ظاهرا لان قوله ولو افتدى به يقتضي شرطا آخر محذوفا يكون هذا المذكور منبها عليه بطريق الاولى وهذه الحال المذكورة وهي حالة افتدائهم بملء الارض ذهبا هي حالة أجدر الحالات بقبول الفدية ٣١٣ وليس وراءها حالة أخرى يكون أولى بالقبول منها فلذلك قدر الكلام يعني لن يقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا حتى تبين حالة أخرى يكون الافتداء الخاص بملء

ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين

ابن سويد حين ندم على ردته وأرسل الى قومه أن سلوا هل لي من توبة فأرسل اليه أخوه الجلاس بالآية فأقبل الى المدينة فتاب وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته (ثم ازدادوا كفرا) هم اليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد والقرآن أو كفروا برسول الله بعدما كانوا به مؤمنين قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا باصرارهم على ذلك وطعنهم فيه في كل وقت وعداوتهم له ونقضهم ميثاقه وفتنتهم للمؤمنين وصدهم عن الايمان به وسخريتهم بكل آية تنزل وقيل نزلت في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة ازديادهم الكفر أن قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون وان أردنا الرجعة نافقنا باظهار التوبة (فان قلت) قد علم أن المرتد كيفما ازداد كفرا فانه مقبول التوبة اذا تاب فما معنى (لن تقبل توبتهم) (قلت) جعلت عبارة عن الموت على الكفر لان الذي لا تقبل توبته من الكفار هو الذي يموت على الكفر كأنه قيل ان اليهود أو المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا مائتون على الكفر داخلون في جملة من لا تقبل توبتهم (فان قلت) فلم قيل في احدى الآيتين لن تقبل بغير فاء وفي الاخرى فلن يقبل (قلت) قد أوذن بالفاء أن الكلام بني على الشرط والجزاء وأن سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر وبترك الفاء أن الكلام مبتدأ وخبر ولا دليل فيه على التسبيب كما تقول الذي جاءني له درهم لم تجعل المجيء سببا في استحقاق الدرهم بخلاف قولك فله درهم (فان قلت) فحين كان معنى لن تقبل توبتهم بمعنى الموت على الكفر فهلا جعل الموت على الكفر مسببا عن ارتدادهم وازديادهم الكفر لما في ذلك من قساوة القلوب وركوب الرين وجره الى الموت على الكفر (قلت) لانه كم من مرتد مزداد للكفر يرجع الى الاسلام ولا يموت على الكفر (فان قلت) فأي فائدة في هذه الكناية أعني أن كنى عن الموت على الكفر بامتناع قبول التوبة (قلت) الفائدة فيها جليلة وهي التغليظ في شأن أولئك الفريق من الكفار وابراز حالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة التي هي أغلظ الاحوال وأشدها ألا ترى أن الموت على الكفر انما يخاف من أجل اليأس من الرحمة (ذهبا) نصب على التمييز وقرأ الاعمش ذهب بالرفع ردا على ملء كما يقال عندي عشرون نفسا رجال (فان قلت) كيف موقع قوله (ولو افتدى به) (قلت) هو كلام محمول على المعنى كأنه قيل فلن تقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الارض

الارض ذهبا هو أولى بالقبول منها فاذا انتفى حيث كان أولى ماست فلأن ينتفي فيما عدا هذه الحالة أولى فهذا كله بيان الباعث له على

التقدير المذكور وأما تنزيل الآية عليه فعسر جدا فالاولى ذكر وجه يمكن تطبيق الآية عليه على أسهل وجه وأقرب مأخذ ان شاء الله فنقول قبول الفدية التي هي ملء الارض ذهبا يكون على أحوال منها أن يؤخذ منه على وجه القهر فدية عن نفسه كما تؤخذ الدية قهرا من مال القاتل على قول ومنها أن يقول المفتدي في التقدير أفدي نفسي بكذا ولو قدم لا يفعل ومنها أن يقول هذا القول ويحضر المقدار الذي يفدي به نفسه ويجعله حاضرا عتيدا أو قد يسلمه مثلا الى من يأمن منه قبول فديته واذا تعددت الاحوال فالمراد في الآية أبلغ الاحوال وأجدرها بالقبول وهو ان يفتدي بملء الارض ذهبا افتداء محققا بان يقدر على هذا الامر العظيم ويسلمه وينجزه اختيارا ومع ذلك لا يقبل منه فمجرد قوله أبذل المال وأقدر عليه أو ما يجري هذا المجرى بطريق الاولى فيكون دخول الواو والحالة هذه على بابها تنبيها على ان ثم أحوالا أخر لا ينفع فيها القبول بطريق الاولى بالنسبة الى الحالة المذكورة وقد ورد هذا المعنى مكشوفا في قوله تعالى ان الذين كفروا لو أن لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم والله أعلم وهذا كله تسجيل بانه لا محيص ولا مخلص لهم من الوعيد ولأن المعلوم انهم أعجز عن الفلس في ذلك اليوم ونظير هذا التقدير من الامثلة أن يقول القائل لا أبيعك هذا الثوب بألف دينار ولو سلمتها الى في يدي هذه فتأمل هذا النظر فانه من السهل الممتنع والله ولي التوفيق

ذهبا ويجوز أن يراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو أن للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف
كثيرا في كلامهم كقولك ضربت ضرب زيد تريد مثل ضربه وأبو يوسف أبو حنيفة تريد مثله ولا هيثم
الليلة للمطي وقضية ولا أبا حسن لها تريد ولا مثل هيثم ولا مثل أبي حسن كما أنه يراد في نحو قولهم مثلك لا يفعل
كذا تريد أنت وذلك أن المثلين يسد أحدهما مسد الآخر فكانا في حكم شيء واحد وأن يراد فلن يقبل من
أحدهم ملء الارض ذهبا كان قد تصدق به ولو افتدى به أيضا لم يقبل منه وقرئ فلن يقبل من أحدهم ملء
الارض ذهبا على البناء للفاعل وهو الله عز وعلا ونصب ملء وملء الارض بتخفيف الهمزتين (لن تنالوا البر)
لن تبلغوا حقيقة البر ولن تكونوا أبرارا وقيل لن تنالوا بر الله وهو ثوابه (حتى تنفقوا مما تحبون) حتى تكون
نفقتكم من أموالكم التي تحبونها وتؤثرونها كقوله أنفقوا من طيبات ما كسبتم وكان السلف رحمهم الله اذا
أحبوا شيئا جعلوه لله وروي أنها لما نزلت جاء أبو طلحة فقال يا رسول الله ان أحب أموالي الي بيرحاء فضعها
يا رسول الله حيث أراك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذاك مال رابح أو مال رائح واني أرى أن
تجعلها في الاقربين فقال أبو طلحة أفعل يا رسول الله فقسمها في أقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها
فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد فكأن زيدا وجد في نفسه
وقال انما أردت أن أتصدق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ان الله تعالى قد قبلها منك وكتب عمر
رضي الله عنه الى أبي موسى الاشعري أن يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى فلما جاءت
أعجبته فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فأعتقها ونزل بأبي ذر ضيف فقال للراعي
ائتني بخير ابلي فجاء بناقة مهزولة فقال خنتني قال وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ان
يوم حاجتي اليه ليوم أوضع في حفرتي وقرأ عبد الله حتى تنفقوا بعض ما تحبون وهذا دليل على أن من في مما
تحبون للتبعيض ونحوه أخذت من المال * ومن في (من شيء) لتبيين ما تنفقوا أي من أي شيء كان طيبا
تحبونه أو خبيثا تكرهونه (فان الله) عليم بكل شيء تنفقونه فمجازيكم بحسبه (كل الطعام) كل المطعومات أو
كل أنواع الطعام * والحل مصدر يقال حل الشيء حلا كقولك ذلت الدابة ذلا وعز الرجل عزا وفي حديث
عائشة رضي الله عنها كنت أطيبه لحله وحرمه ولذلك استوى في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع
قال الله تعالى لا هن حل لهم والذي حرم اسرائيل وهو يعقوب عليه السلام على نفسه لحوم الابل وألبانها
وقيل العروق كان به عرق النسا فنذر ان شفي أن يحرم على نفسه أحب الطعام اليه وكان ذلك أحبه اليه
فحرمه وقيل أشارت عليه الاطباء باجتنابه ففعل ذلك باذن من الله فهو كتحريم الله ابتداء والمعنى أن المطاعم
كلها لم تزل حلا لبني اسرائيل من قبل انزال التوراة وتحريم ما حرم عليهم منها لظلمهم وبغيهم لم يحرم منها
شيء قبل ذلك غير المطعوم الواحد الذي حرمه أبوهم اسرائيل على نفسه فتبعوه على تحريمه وهو رد على اليهود
وتكذيب لهم حيث أرادوا براءة ساحتهم مما نعى عليهم في قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات
أحلت لهم الى قوله تعالى عذابا أليما وفي قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا
عليهم شحومهما الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم وجحود ما غاظهم واشمأزوا وامتعضوا مما نطق به
القرآن من تحريم الطيبات عليهم لبغيهم وظلمهم فقالوا لسنا بأول من حرمت عليه وما هو الا تحريم قديم
كانت محرمة على نوح وعلى ابراهيم ومن بعده من بني اسرائيل وهلم جرا الى أن انتهى التحريم الينا فحرمت
علينا كما حرمت على من قبلنا وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم بالبغي والظلم والصد عن سبيل الله وأكل الربا
وأخذ أموال الناس بالباطل وما عدد من مساويهم التي كلما ارتكبوا منها كبيرة حرم عليهم نوع من
الطيبات عقوبة لهم (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها) أمر بأن يحاجهم بكتابهم ويبكتهم مما هو ناطق به من أن
تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما يدعونه فروي أنهم لم يجسروا على
اخراج التوراة وبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك الحجة البينة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وعلى جواز
النسخ الذي ينكرونه (فمن افترى على الله الكذب) بزعمه أن ذلك كان محرما على بني اسرائيل قبل انزال

لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك

(عاد كلامه) قال ويجوز أن يكون معنى الكلام ولو افتدى بمثله الخ * قال أحمد وعلى هذا النمط يجري الكلام على التأويل المتقدم لأنه نبه بعدم قبول مثل ملء الارض ذهبا على عدم قبول ملئه مرة واحدة بطريق الاولى

التوراة من بعد ما لزمهم من الحجة القاطعة (فأولئك هم الظالمون) المكابرون الذين لا ينصفون من أنفسهم ولا يلتفتون الى البينات (قل صدق الله) تعريض بكذبهم كقوله ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون أى ثبت أن الله صادق فيما أنزل وأنتم الكاذبون (فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا) وهى ملة الاسلام التى عليها محمد ومن آمن معه حتى تتخلصوا من اليهودية التى ورطتكم فى فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم الى تحريف كتاب الله لتسوية أغراضكم وألزمتكم تحريم الطيبات التى أحلها الله لابراهيم ولمن تبعه (وضع للناس) صفة البيت والواضع هو الله عز وجل تدل عليه قراءة من قرأ وضع للناس بتسمية الفاعل وهو الله ومعنى وضع الله بيتا للناس أنه جعله متعبدا لهم فكأنه قال ان أول متعبد للناس الكعبة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن أول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما قال أربعون سنة وعن على رضى الله عنه أن رجلا قال له أهو أول بيت قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه أول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة وأول من بناه ابراهيم ثم بناه قوم من العرب من جرهم ثم هدم فبنته العمالقة ثم هدم فبناه قريش وعن ابن عباس هو أول بيت حج بعد الطوفان وقيل هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والارض خلقه قبل الارض بألفى عام وكان زبدة بيضاء على الماء فدحيت الارض تحته وقيل هو أول بيت بناه آدم فى الارض وقيل لما أهبط آدم قالت له الملائكة طف حول هذا البيت فلقد طفنا قبلك بألفى عام وكان فى موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح فرفع فى الطوفان الى السماء الرابعة تطوف به ملائكة السموات (للذى ببكة) البيت الذى ببكة وهى علم البلد الحرام ومكة وبكة لغتان فيه نحو قولهم النبيط والنميط فى اسم موضع بالدهناء ونحوه من الاعتقاب أمر راتب وراتم وحمى مغمطة ومغبطة وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد وقيل اشتقاقها من بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيها وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضا الرجال والنساء يصلى بعضهم بين يدى بعض لا يصلح ذلك الا بمكة كأنها سميت ببكة وهى الزحمة قال

اذا الشريب أخذته الاكه * فخله حتى يبك بكه

وقيل تبك أعناق الجبابرة أى تدقها لم يقصدها جبار الا قصمه الله تعالى (مباركا) كثير الخير لما يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وانتصابه على الحال من المستكن فى الظرف لان التقدير للذى ببكة هو والعامل فيه المقدر فى الظرف من فعل الاستقرار (وهدى للعالمين) لانه قبلتهم ومتعبدهم (مقام ابراهيم) عطف بيان لقوله آيات بينات (فان قلت) كيف صح بيان الجماعة بالواحد (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يجعل وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالته على قدرة الله ونبوة ابراهيم من تأثير قدمه فى حجر صلد كقوله تعالى ان ابراهيم كان أمة والثانى اشتماله على آيات لان أثر القدم فى الصخرة الصماء آية وغوصه فيها الى الكعبين آية والانة بعض الصخر دون بعض آية وابقاؤه دون سائر آيات الانبياء عليهم السلام آية لابراهيم خاصة وحفظه مع كثرة أعدائه من المشركين وأهل الكتاب والملاحدة ألوف سنة آية ويجوز أن يراد فيه آيات بينات مقام ابراهيم وأمن من دخله لان الاثنين نوع من الجمع كالثلاثة والاربعة ويجوز أن تذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات كأنه قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم وأمن من دخله وكثير سواهما ونحوه فى طى الذكر قول جرير

كانت حنيفة أثلاثا فثلثهم * من العبيد وثلث من مواليها

ومنه قوله عليه السلام حبب الى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عينى فى الصلاة وقرأ ابن عباس وأبى ومجاهد وأبو جعفر المدنى فى رواية قتيبة آية بينة على التوحيد وفيها دليل على أن مقام ابراهيم واقع وحده عطف بيان (فان قلت) كيف أجزت أن يكون مقام ابراهيم والامن عطف بيان للآيات وقوله ومن

فأولئك هم الظالمون قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت

---

* قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا (قال محمود ان قلت كيف صح بيان الجماعة بالواحد الخ) قال أحمد ونظير هذا التأويل ما تقدم لى عند قوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قال محمود فيما تقدم والذى صدر منهم أمنية واحدة فاوجه جمعها وبينت فيها هذا بعينه وهو ان الشئ الواحد متى أريد تمكينه وامتيازه عن غيره من صفة جمع أفاد الجمع فيه ذلك وقد لاح لى الآن فى جمع الامانى ثم وجه آخر وذلك ان كل واحد منهم صدرت منه هذه الامنية فجمعوا بهذا الاعتبار تنبيها على تعددها بتعددهم والعجب أن الجمع فى مثل هذا هو الاصل وان الافراد انما يقع فيه على نوع ما من الاختصار ومنه كلوا فى بعض بطنكم تعصوا (عاد كلامه) قال الوجه الثانى اشتماله على آيات لان أثر القدم فى الصخرة الصماء آية وغوصه فيها الى الكعبين آية والانة بعض الصخر دون بعض آية وابقاؤه دون سائر آيات الانبياء آية وحفظه مع كثرة عدوه من المشركين وأهل الكتاب والملاحدة ألوف سنة آية ويجوز أن يريد مقام ابراهيم وأمن من دخله وكثيرا سواهما والله أعلم

من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون قل يا أهل الكتاب لم تصدون

دخله كان آمنا جملة مستأنفة اما ابتدائية واما شرطية (قلت) أجزت ذلك من حيث المعنى لان قوله ومن دخله كان آمنا دل على أمن داخله فكأنه قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم وأمن داخله ألا ترى انك لو قلت فيه آية بينة من دخله كان آمنا صح لانه في معنى قولك فيه آية بينة أمن من دخله (فان قلت) كيف كان سبب هذا الاثر (قلت) فيه قولان أحدهما أنه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف ابراهيم عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه وقيل انه جاء زائرا من الشأم الى مكة فقالت له امرأة اسمعيل انزل حتى يغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الآخر فبقي أثر قدميه عليه * ومعنى ومن دخله كان آمنا معنى قوله أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة ابراهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ الى الحرم لم يطلب وعن عمر رضي الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه وعند أبي حنيفة من لزمه القتل في الحل بقصاص أو ردة أو زنا فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له الا أنه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل آمنا من النار وعن النبي صلى الله عليه وسلم من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وعنه عليه الصلاة والسلام الحجون والبقيع يؤخذ بأطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام (من استطاع) بدل من الناس وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وكذا عن ابن عباس وابن عمر وعليه أكثر العلماء وعن ابن الزبير هو على قدر القوة ومذهب مالك أن الرجل اذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على السفر وقد يقدر عليه من لا زاد له ولا راحلة وعن الضحاك اذا قدر أن يؤجر نفسه فهو مستطيع وقيل له في ذلك فقال ان كان لبعضهم ميراث بمكة أكان يتركه بل كان ينطلق اليه ولو حبوا فكذلك يجب عليه الحج * والضمير في (اليه) للبيت أو للحج وكل مأتى الى الشئ فهو سبيل اليه وفي هذا الكلام أنواع من التوكيد والتشديد منها قوله تعالى ولله على الناس حج البيت يعني أنه حق واجب لله في رقاب الناس لا ينفكون عن أدائه والخروج من عهدته ومنها أنه ذكر الناس ثم أبدل عنه من استطاع اليه سبيلا وفيه ضربان من التأكيد أحدهما أن الابدال تثنية للمراد وتكرير له والثاني أن الايضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال ايراد له في صورتين مختلفتين ومنها قوله (ومن كفر) مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا أو نصرانيا ونحوه من التغليظ من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر ومنها ذكر الاستغناء عنه وذلك مما يدل على المقت والسخط والخذلان ومنها قوله (عن العالمين) وان لم يقل عنه وما فيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان لانه اذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة ولانه يدل على الاستغناء الكامل فكان أدل على عظم السخط الذي وقع عبارة عنه وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود فانهم قالوا الحج الى مكة غير واجب وروي أنه لما نزل قوله ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر وعن النبي صلى الله عليه وسلم حجوا قبل أن لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة وروي حجوا قبل أن لا تحجوا حجوا قبل أن يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود حجوا هذا البيت قبل أن تنبت في البادية شجرة لا تأكل منها دابة الا نفقت وعن عمر رضي الله عنه لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نوظروا وقرئ حج البيت بالكسر (والله شهيد) الواو للحال

* قوله تعالى ولله على الناس حج البيت الآية (قال محمود وفي هذا الكلام أنواع من التوكيد منها قوله ولله على الناس أي في رقابهم لا ينفكون عنه الخ (قال أحمد قوله ان المراد بمن كفر من ترك الحج وعبر عنه بالكفر تغليظا عليه فيه نظر فان قاعدة أهل السنة توجب أن تارك الحج لا يكفر بمجرد تركه قولا واحدا فيتعين حمل الآية على تارك الحج جاحد الوجوبه وحينئذ يكون الكفر راجعا الى الاعتقاد لا الى مجرد الترك واما الزمخشري فيستحل ذلك لان تارك الحج بمجرد الترك يخرج من ربقة الايمان ومن اسمه ومن حكمه لانه عنده غير مؤمن ومخلد تخليد الكفار وعلى قاعدة السنة يتعين المصير الى ما ذكرناه هذا ان كان المراد بمن كفر من ترك الحج ويحتمل ان يكون استئنافا وعيدا للكافر فيبقى على ظاهره والله أعلم

والمعنى

والمعنى لم تكفرون بآيات الله التى دلتكم على صدق محمد صلى الله عليه وسلم والحال أن الله شهيد على أعمالكم فمجازيكم عليها وهذه الحال توجب أن لا تجسروا على الكفر بآياته * قرأ الحسن تصدون من أصده (عن سبيل الله) عن دين حق علم أنه سبيل الله التى أمر بسلوكها وهو الاسلام وكانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من أراد الدخول فيه بجهدهم وقيل أتت اليهود الاوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم فى الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا لمثله (تبغونها عوجا) تطلبون لها اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة (فان قلت) كيف تبغونها عوجا وهو محال (قلت) فيه معنيان أحدهما أنكم تلبسون على الناس حتى توهموهم أن فيها عوجا بقولكم ان شريعة موسى لا تنسخ وبتغييركم صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك والثانى أنكم تتعبون أنفسكم فى اخفاء الحق وابتغاء ما لا يتأتى لكم من وجود العوج فيما هو أقوم من كل مستقيم (وأنتم شهداء) أنها سبيل الله التى لا يصد عنها الا ضال مضل أو وأنتم شهداء بين أهل دينكم عدول يثقون بأقوالكم ويستشهدونكم فى عظائم أمورهم وهم الاحبار (وما الله بغافل) وعيد ومحل تبغونها نصب على الحال * قيل مر شاس بن قيس اليهودى وكان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من الانصار من الاوس والخزرج فى مجلس لهم يتحدثون فغاظه ذلك حيث تألفوا واجتمعوا بعد الذى كان بينهم فى الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فأمر شابا من اليهود أن يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه من الاشعار وكان يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين والانصار فقال أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد اذ أكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان يوم أقبح أولا وأحسن آخرا من ذلك اليوم (وكيف تكفرون) معنى الاستفهام فيه الانكار والتعجب والمعنى من أين يتطرق اليكم الكفر والحال ان آيات الله وهى القرآن المعجز (تتلى عليكم) على لسان الرسول غضة طرية وبين أظهركم رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهكم (ومن يعتصم بالله) ومن يتمسك بدينه ويجوز أن يكون حثا لهم على الالتجاء اليه فى دفع شرور الكفار ومكايدهم (فقد هدى) فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول اذا جئت فلانا فقد أفلحت كأن الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع فى قد ظاهر لان المعتصم بالله متوقع للهدى كما أن قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده (حق تقاته) واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالمواجب واجتناب المحارم ونحوه فاتقوا الله ما استطعتم يريد بالغ فى التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيأ وعن عبد الله هو أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وروى مرفوعا وقيل هو أن لا تأخذه فى الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه أو ابنه أو أبيه وقيل لا يتقى الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد (ولا تموتن) معناه ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا أدرككم الموت كما تقول لمن تستعين به على لقاء العدو لا تأتنى الا وأنت على حصان فلا تنهاه عن الاتيان ولكنك تنهاه عن خلاف الحال التى شرطت عليه فى وقت الاتيان * قولهم اعتصمت بحبله يجوز أن يكون تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بحمايته بامتساك المتدلى من مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه وان يكون الحبل استعارة لعهده والاعتصام لوثوقه بالعهد أو ترشيحا لاستعارة الحبل بما يناسبه والمعنى واجتمعوا على استعانتكم بالله ووثوقكم به ولا تفرقوا عنه أو واجتمعوا على التمسك بعهده الى عباده وهو الايمان والطاعة أو بكتابه لقول النبى صلى الله عليه وسلم القرآن حبل الله المتين لا تنقضى عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدى الى صراط مستقيم (ولا تفرقوا) ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلف اليهود والنصارى أو كما كنتم متفرقين فى الجاهلية متدابرين يعادى بعضكم بعضا ويحاربه أو ولا تحدثوا ما يكون

عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته

* قوله تعالى يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا الآية (قال محمود أى تطلبون لها اعوجاجا الخ) قال أحمد وفى تقديره الجار مع ضمير المفعول حيث قال تطلبون لها عوجا تنقيص من المعنى وأتم من اعرابه معنى أن تجعل الهاء هى المفعول به وعوجا حال وقع فيها المصدر الذى هو عوجا موقع الاسم وفى هذا الاعراب من المبالغة أنهم يطلبون أن تكون الطريقة المستقيمة نفس العوج على طريقة المبالغة فى مثل رجل صوم ويكون

ذلك أبلغ في ذمهم وتوبيخهم والله أعلم * قوله تعالى وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها (قال محمود الضمير للشفا وهو مذكر وانما
أنثه للاضافة الخ) قال أحمد ويجوز عود الضمير الى الحفرة فلا يحتاج الى تأويله المذكور كما تقول أكرمت غلام هند وأحسنت اليها والمعنى
على عوده الى الحفرة أتم لانها التي يمتن بالانقاذ منها حقيقة وأما الامتنان بالانقاذ من الشفا فلاستلزامه الكون على الشفا غالبا من
الهوى الى الحفرة فيكون الانقاذ من الشفا انقاذا من الحفرة التي يتوقع الهوى فيها فاضافة المنة الى الانقاذ من الحفرة تكون أبلغ
وأوقع مع ان اكتساب التأنيث من المضاف اليه قد عده أبو علي في التعاليق من ضرورة الشعر خلاف رأيه في الايضاح نقله ابن يسعون
وما حمل الزمخشري على اعادة الضمير الى الشفا الا انه هو الذي كانوا عليه ولم يكونوا في الحفرة حتى يمتن عليهم بالانقاذ منها وقد بينا في أدراج
هذا الكلام ما يسوغ الامتنان عليهم بالانقاذ من الحفرة لانهم كانوا صائرين اليها غالبا لولا الانقاذ الرباني ألا ترى الى قوله عليه السلام
المرتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه ٣١٨ والى قوله تعالى أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم وانظر كيف جعل
تعالى كون البنيان على الشفا سببا مؤديا الى انهياره في نار جهنم مع تأكيد ذلك بقوله هار والله أعلم * قوله تعالى ولتكن منكم أمة الآية (قال محمود من للتبعيض الخ)

عنه التفرق ويزول معه الاجتماع والالفة التي أنتم عليها مما يأباه جامعكم والمؤلف بينكم وهو اتباع الحق
والتمسك بالاسلام كانوا في الجاهلية بينهم الاحن والعداوات والحروب المتواصلة فألف الله بين قلوبهم
بالاسلام وقذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا وصاروا (اخوانا) متراحمين متناصحين مجتمعين على أمر واحد
قد نظم بينهم وأزال الاختلاف وهو الاخوة في الله وقيل هم الاوس والخزرج كانا أخوين لاب وأم فوقعت
بينهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة الى أن أطفأ الله ذلك بالاسلام وألف بينهم برسول الله
صلى الله عليه وسلم (وكنتم على شفا حفرة من النار) وكنتم مشفين على أن تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه من
الكفر (فأنقذكم منها) بالاسلام والضمير للحفرة أو للنار أو للشفا وانما أنث لاضافته الى الحفرة وهو منها
كما قال * كما شرقت صدر القناة من الدم * وشفا الحفرة وشفتها حرفها بالتذكير والتأنيث ولامها واو والا أنها
في المذكر مقلوبة وفي المؤنث محذوفة ونحو الشفا والشفة الجانب والجانبة (فان قلت) كيف جعلوا
على حرف حفرة من النار (قلت) لو ماتوا على ما كانوا عليه وقعوا في النار فمثلت حياتهم التي يتوقع بعدها
الوقوع في النار بالقعود على حرفها مشفين على الوقوع فيها (كذلك) مثل ذلك البيان البليغ (يبين الله لكم
آياته لعلكم تهتدون) ارادة أن تزدادوا هدى (ولتكن منكم أمة) من للتبعيض لان الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر من فروض الكفايات ولانه لا يصلح له الا من علم المعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الامر
في اقامته وكيف يباشر فان الجاهل ربما نهى عن معروف وأمر بمنكر وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله
في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة وينكر على
من لا يزيده انكاره الا تماديا أو على من الانكار عليه عبث كالانكار على أصحاب المآصر والجلادين
وأضرابهم وقيل من للتبيين بمعنى وكونوا أمة تأمرون كقوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون
(وأولئك هم المفلحون) هم الاخصاء بالفلاح دون غيرهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل وهو على المنبر
من خير الناس قال آمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأتقاهم لله وأوصلهم وعنه عليه السلام من أمر
بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن علي رضي الله عنه
أفضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وعن حذيفة
يأتي على الناس زمان تكون فيهم جيفة الحمار أحب اليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن
المنكر وعن سفيان الثوري اذا كان الرجل محببا في جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن والامر

بالمعروف

اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ولا تكونوا

قال أحمد وفي هذا التبعيض وتنكير أمة تنبيه على قلة العاملين بذلك وانه لا يخاطب به الخواص ومن هذا الاسلوب قوله تعالى اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد فاوجه الخطاب على نفس منكرة
تنبيها على قلة الناظر في معاده وكذلك قوله وتعيها أذن واعية حتى ورد في التفسير ان المراد أذن واحدة مخصوصة
وهي اذن علي بن أبي طالب رضي الله عنه (عاد كلامه) قال وقوله يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر صدر الكلام
بالدعاء الخ قال أحمد عطف الخاص على العام يؤذن بمزيد اعتناء بالخاص لا محالة اذا اقتصر على بعض متناولات العام كقوله من كان
عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل وكقوله فيهما فاكهة ونخل ورمان وكقوله حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وشبه
ذلك لان الاقتصار على تخصيص ما يفرد بالذكر يفيده تمييزا عن غيره من بقية المتناولات وأما هذه الآية فقد ذكر بعد العام فيها جميع
ما يتناوله اذ الخير المدعو اليه اما فعل مأمور أو ترك منهي لا يعدو واحدا من هذين حتى يكون تخصيصهما يميزها عن بقية المتناولات فالاولى
في ذلك ان يقال فائدة هذا التخصيص ذكر الدعاء الى الخير عاما ثم مفصلا وفي تثنية الذكر على وجهين ما لا يخفى من العناية والله أعلم الا
ان يثبت عرف يخص الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ببعض أنواع الخير فاذ ذاك يتم مراد الزمخشري وما أرى هذا العرف ثابتا والله أعلم

كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور

بالمعروف تابع للمأمور به ان كان واجبا فواجب وان كان ندبا فندب وأما النهي عن المنكر فواجب كله لان جميع المنكر تركه واجب لاتصافه بالقبح (فان قلت) ما طريق الوجوب (قلت) قد اختلف فيه الشيخان فعند أبي علي السمع والعقل وعند أبي هاشم السمع وحده (فان قلت) ما شرائط النهي (قلت) أن يعلم الناهي أن ما ينكره قبيح لانه اذا لم يعلم لم يأمن أن ينكر الحسن وأن لا يكون ما ينهى عنه واقعا لان الواقع لا يحسن النهي عنه وانما يحسن الذم عليه والنهي عن أمثاله وأن لا يغلب على ظنه أن المنهي يزيد في منكراته وأن لا يغلب على ظنه أن نهيه لا يؤثر لانه عبث (فان قلت) فما شروط الوجوب (قلت) أن يغلب على ظنه وقوع المعصية نحو أن يرى الشارب قد تهيأ لشرب الخمر باعداد آلاته وأن لا يغلب على ظنه أنه ان أنكر لحقته مضرة عظيمة (فان قلت) كيف يباشر الانكار (قلت) يبتدئ بالسهل فان لم ينفع ترقى الى الصعب لان الغرض كف المنكر قال الله تعالى فأصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا (فان قلت) فمن يباشره (قلت) كل مسلم تمكن منه واختص بشرائطه وقد أجمعوا أن من رأى غيره تاركا للصلاة وجب عليه الانكار لانه معلوم قبحه لكل أحد وأما الانكار الذي بالقتال فالامام وخلفاؤه أولى لانهم أعلم بالسياسة ومعهم عدتها (فان قلت) فمن يؤمر وينهى (قلت) كل مكلف وغير المكلف اذا هم بضرر غيره منع كالصبيان والمجانين وينهى الصبيان عن المحرمات حتى لا يتعودوها كما يؤخذون بالصلاة ليمرنوا عليها (فان قلت) هل يجب على مرتكب المنكر أن ينهى عما يرتكبه (قلت) نعم يجب عليه لان ترك ارتكابه وانكاره واجبان عليه فبتركه أحد الواجبين لا يسقط عنه الواجب الآخر وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن الحسن انه سمع مطرف بن عبد الله يقول لا أقول ما لا أفعل فقال وأينا يفعل ما يقول ود الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يأمر أحد بمعروف ولا ينهى عن منكر (فان قلت) كيف قيل يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف (قلت) الدعاء الى الخير عام في التكاليف من الافعال والتروك والامر بالمعروف والنهي عن المنكر خاص فجيء بالعام ثم عطف عليه الخاص ايذانا بفضله كقوله والصلاة الوسطى (كالذين تفرقوا واختلفوا) وهم اليهود والنصارى (من بعد ما جاءهم البينات) الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهي كلمة الحق وقيل هم مبتدعو هذه الامة وهم المشبهة والمجبرة والحشوية وأشباههم (يوم تبيض وجوه) نصب بالظرف وهو لهم أو باضمار اذكر وقرئ تبيض وتسود بكسر حرف المضارعة وتبياض وتسواد والبياض من النور والسواد من الظلمة فمن كان من أهل نور الحق وسم ببياض اللون واسفاره واشراقه وابيضت صحيفته وأشرقت وسعى النور بين يديه وبيمينه ومن كان من أهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكسوفه وكمده واسودت صحيفته وأظلمت وأحاطت به الظلمة من كل جانب نعوذ بالله وبسعة رحمته من ظلمات الباطل وأهله (أكفرتم) فيقال لهم أكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر أنهم أهل الكتاب وكفرهم بعد الايمان تكذيبهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اعترافهم به قبل مجيئه وعن عطاء تبيض وجوه المهاجرين والانصار وتسود وجوه بني قريظة والنضير وقيل هم المرتدون وقيل أهل البدع والاهواء وعن أبي أمامة هم الخوارج ولما رآهم على درج دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب النار هؤلاء شر قتلى تحت أديم السماء وخير قتلى تحت أديم السماء الذين قتلهم هؤلاء فقال له أبو غالب أشيء تقوله برأيك أم شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بل سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة قال فما شأنك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من أهل الاسلام فكفروا ثم قرأ هذه الآية ثم أخذ بيده فقال ان بأرضك منهم كثيرا فأعاذك الله منهم وقيل هم جميع الكفار لاعراضهم عما أوجبه الاقرار حين أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى (ففي رحمة الله) ففي نعمته وهي الثواب المخلد (فان قلت) كيف موقع قوله (هم فيها خالدون) بعد قوله ففي رحمة الله (قلت) موقع الاستئناف كأنه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون (تلك آيات الله) الواردة في الوعد والوعيد (نتلوها عليك) ملتبسة (بالحق) والعدل من جزاء المحسن والمسيء بما يستوجبانه (وما الله يريد ظلما) فيأخذ أحدا بغير جرم أو يزيد في عقاب مجرم أو ينقص من ثواب محسن ونكر ظلما وقال (للعالمين) على معنى ما يريد شيئا من الظلم لاحد من خلقه فسبحان من يحلم عمن يصفه بارادة القبائح والرضا بها

*كان عبارة عن وجود الشئ فى زمان ماض على سبيل الابهام وليس فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ ومنه قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما ومنه قوله تعالى (كنتم خير أمة) كأنه قيل وجدتم خير أمة وقيل كنتم فى علم الله خير أمة وقيل كنتم فى الامم قبلكم مذكورين بأنكم خير أمة موصوفين به (أخرجت) اظهرت وقوله (تأمرون) كلام مستأنف بين به كونهم خير أمة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بما يصلحهم (وتؤمنون بالله) جعل الايمان بكل ما يجب الايمان به ايمانا بالله لان من آمن ببعض ما يجب الايمان به من رسول أو كتاب أو بعث أو حساب أو عقاب أو ثواب أو غير ذلك لم يعتد بايمانه فكأنه غير مؤمن بالله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا والدليل عليه قوله تعالى (ولو آمن أهل الكتاب) مع ايمانهم بالله (لكان خيرا لهم) لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه لانهم انما آثروا دينهم على دين الاسلام حبا للرياسة واستتباع العوام ولو آمنوا لكان لهم من الرياسة والاتباع وحظوظ الدنيا ما هو خير مما آثروا دين الباطل لاجله مع الفوز بما وعدوه على الايمان من ايتاء الاجر مرتين (منهم المؤمنون) كعبد الله بن سلام وأصحابه (وأكثرهم الفاسقون) المتمردون فى الكفر (لن يضروكم الا أذى) الا ضررا مقتصرا على أذى بقول من طعن فى الدين أو تهديد أو نحو ذلك (وان يقاتلوكم يولوكم الادبار) منهزمين ولا يضروكم بقتل أو أسر (ثم لا ينصرون) ثم لا يكون لهم نصر من أحد ولا يمنعون منكم وفيه تثبيت لمن أسلم منهم لانهم كانوا يؤذونهم بالتلهى بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم بأنهم لا يقدرون أن يتجاوزوا الاذى بالقول الى ضرر يبالى به مع انه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وأن عاقبة أمرهم الخذلان والذل (فان قلت) هلا جزم المعطوف فى قوله ثم لا ينصرون (قلت) عدل به عن حكم الجزاء الى حكم الاخبار ابتداء كأنه قيل ثم أخبركم أنهم لا ينصرون (فان قلت) فأى فرق بين رفعه وجزمه فى المعنى (قلت) لو جزم لكان نفى النصر مقيدا بقتالهم كتولية الادبار وحين رفع كان نفى النصر وعدا مطلقا كأنه قال ثم شأنهم وقصتهم التى أخبركم عنها وأبشركم بها بعد التولية أنهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعدها بجناح ولا يستقيم لهم أمر وكان كما أخبر من حال بنى قريظة والنضير وبنى قينقاع ويهود خيبر (فان قلت) فما الذى عطف عليه هذا الخبر (قلت) جملة الشرط والجزاء كأنه قيل أخبركم أنهم ان يقاتلوكم ينهزموا ثم أخبركم أنهم لا ينصرون (فان قلت) فما معنى التراخى فى ثم (قلت) التراخى فى المرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الاخبار بتوليتهم الادبار (فان قلت) ما موقع الجملتين أعنى منهم المؤمنون ولن يضروكم (قلت) هما كلامان واردان على طريق الاستطراد عند اجراء ذكر أهل الكتاب كما يقول القائل وعلى ذكر فلان فان من شأنه كيت وكيت ولذلك جاآ من غير عاطف (بحبل من الله) فى محل النصب على الحال بتقدير الا معتصمين أو متمسكين أو ملتبسين بحبل من الله وهو استثناء من أعم عام الاحوال والمعنى ضربت عليهم الذلة فى عامة الاحوال الا فى حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس يعنى ذمة الله وذمة المسلمين أى لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهى التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه من الجزية (وباؤا بغضب من الله) استوجبوه (وضربت عليهم المسكنة) كما يضرب البيت على أهله فهم ساكنون فى المسكنة غير ظاعنين عنها وهم اليهود عليهم لعنة الله وغضبه (ذلك) اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبواء بغضب الله أى ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء ثم قال (ذلك بما عصوا) أى ذلك كائن بسبب عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده ليعلم أن الكفر وحده ليس بسبب فى استحقاق سخط الله وأن سخط الله يستحق بركوب المعاصى كما يستحق بالكفر ونحوه مما خطيئاتهم أغرقوا وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل * الضمير فى (ليسوا) لاهل الكتاب أى ليس أهل الكتاب مستوين * وقوله (من أهل الكتاب أمة قائمة) كلام مستأنف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله تأمرون بالمعروف بيانا لقوله كنتم خير أمة * أمة قائمة مستقيمة عادلة من قولك أقمت العود فقام بمعنى استقاموا وهم الذين أسلموا منهم * وعبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن فى ساعات الليل مع السجود لانه

كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون لن يضروكم الا أذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة

*قوله تعالى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون (قال محمود ان قلت هلا جزم المعطوف فى قوله ثم لا ينصرون الخ) قال أحمد وهذا من الترقى فى الوعد مما هو أدنى الى ما هو أعلى لانهم وعدوا بتولية عدوهم الادبار عند المقابلة ثم ترقى الوعد الى ما هو أتم فى النجاح من ان هؤلاء لا ينصرون مطلقا ويزيد هذا الترقى بدخول ثم دون الواو فانها استعارة هنا للتراخى فى الرتبة لا فى الوجود كأنه قال ثم ههنا ما هو أعلى فى الامتنان وأسمح فى رتب

الاحسان وهوان هؤلاء قوم لا يتبصرون ألبتة والله أعلم * قوله تعالى مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون (قال أبو القاسم محمود الصر الريح الباردة الخ) قال أحمد كلها أوجه وجيهة وهذا الاخير أحسنها وأوجهها لكن لم يبين الزمخشرى وجه الظرفية فى الامثلة المذكورة ونحن نبينها فنقول اذا قلت مثلا ان ضيعنى زيد فنى عمرو وبعد الله كاف فقولك كاف أثبت به منكرا مجردا من القيود المشخصة المخصصة ثم جعلت المعين الذى هو عمرو محلا له فتضمنت ذلك المطلق المجرد بهذا المعين فهى ظرفية صحيحة اذ كل مقيد ظرف لمطلقه اذ المطلق بعض المقيد فتنبه لهذه النكتة فانها لطيفة والله الموفق (قال محمود فان قلت الغرض تشبيه ما أنفقوا فى قلة جدواه الخ) قال أحمد أما ايراد السؤال فلا ترتضى صيغته لمنافيها من حيث بالادب الاجزم السائل المقدر بأن كلام الله تعالى غير مطابق لمراده والاذنى بالسؤال (٣٢١) الوارد عن كتاب الله تعالى أن يذكر بصيغة الاسترشاد الصريحة لا بصيغة الاعتراض المحضة

والعبارة الصحيحة ان يقال فأوجه مطابقة

الكلام للغرض ولا ينبغى التساهل فى ذلك فان أحدنا لو أورد سؤالا على كلام امام معتبر عرأى منه ومسمع تحيل فى أنواع التلطف فى ايراده وبعد عن أمثال هذه العبارة ولعل الاعتراض على ذلك الامام يكون واردا لا يمكن عنه جواب فكيف يليق التسامح فى ايراد الاسئلة على كتاب الله تعالى بصيغ الاعتراضات وانما يسئل عن كلام الله تعالى عرأى منه ومسمع على علم بأنه كلام

أبين لما يفعلون وأدل على حسن صورة أمرهم وقيل هى صلاة العشاء لان أهل الكتاب لا يصلونها وعن ابن مسعود رضى الله عنه أخر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العشاء ثم خرج الى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال أما انه ليس من أهل الاديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرأ هذه الآية * وقوله (يتلون) و (يؤمنون) فى محل الرفع صفتان لامة أى أمة قائمة تالون مؤمنون وصفهم بخصائص ما كانت فى اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين ومن الايمان بالله لان ايمانهم به كلا ايمان لاشراكهم به عزيرا وكفرهم ببعض الكتب والرسل دون بعض ومن الايمان باليوم الآخر لانهم يصفونه بخلاف صفته ومن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لانهم كانوا مداهنين ومن المسارعة فى الخيرات لانهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها * والمسارعة فى الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب فى الامر سارع فى توليه والقيام به وآثر الفور على التراخى (وأولئك) الموصوفون بما وصفوا به (من) جملة (الصالحين) الذين صلحت أحوالهم عند الله ورضيهم واستحقوا ثناءه عليهم ويجوز أن يريد بالصالحين المسلمين (فلن تكفروه) لما جاء وصف الله عز وعلا بالشكر فى قوله والله شكور حليم فى معنى توفية الثواب نفى عنه نقيض ذلك (فان قلت) لم عدى الى مفعولين وشكر وكفر لا يتعديان الا الى واحد تقول شكر النعمة وكفرها (قلت) ضمن معنى الحرمان فكأنه قيل فلن تحرموه بمعنى فلن تحرموا جزاءه * وقرئ يفعلوا ويكفروه بالياء والتاء (والله عليم بالمتقين) بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على أنه لا يفوز عنده الا أهل التقوى * الصر الريح الباردة نحو الصرصر قال

لا تعدلن أتاويين تضربهم * نكباء صر بأصحاب المحلات

كما قالت ليلى الاخيلية ولم تغلب الخصم الالدّ ولا السيمان سد يقا يوم نكباء صرصر

(فان قلت) فما معنى قوله (كمثل ريح فيها صر) (قلت) فيه أوجه أحدها أن الصر فى صفة الريح بمعنى الباردة فوصف بها القرة بمعنى فيها قرة صر كما تقول برد بارد على المبالغة والثانى أن يكون الصر مصدرا فى الاصل بمعنى البرد فجىء به على أصله والثالث أن يكون من قوله تعالى لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ومن قولك ان ضيعنى فلان فى الله كاف وكافل قال * وفى الرحمن للضعفاء كاف * شبه ما كانوا ينفقون من أموالهم فى المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله بالزرع الذى حسه البرد فذهب حطاما وقيل هو ما كانوا يتقربون به الى الله مع كفرهم وقيل ما أنفقوا فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فضاع عنهم لانهم لم يبلغوا بانفاقه ما أنفقوه لاجله وشبه بحرث (قوم ظلموا أنفسهم) فأهلك عقوبة لهم على معاصيهم لان الاهلاك عن سخط أشد وأبلغ (٣) (فان قلت) الغرض تشبيه ما أنفقوا فى قلة جدواه

يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته

(٣) (فان قلت) لم قال ظلموا أنفسهم ولم يقتصر بقوله أصابت الحرث أو أصابت حرث قوم (قلت) لان الغرض تشبيه ما ينفقون بشئ يذهب على الكلية حتى لا يبقى منه شئ وحرث الكافرين الظالمين هو الذى يذهب على الكلية لا منفعة لهم فيه لا فى الدنيا ولا فى الآخرة فاما حرث المسلم المؤمن فلا يذهب على الكلية لانه وان كان يذهب صورة الا أنه لا يذهب معنى لما فيه من حصول أغراضهم فى الآخرة والثواب بالصبر على الذهاب اه من هامش قال فيه حاشية كتبته باملاء المصنف

لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فما أجدره أن يتوفر في الاسترشاد وأن يتأدب في الايراد ثم نعود الى
جواب الزمخشري الثاني وهو قوله ان المراد مثل اهلاك ما ينفقون فنقول لم يكشف الغطاء بهذا الجواب عن المطابقة المسؤل عنها
والسؤال باق وذلك ان الريح المشبه بها ليست الاهلاك وانما هي المهلكة ولا مطابقة بين المصدر والاسم الا بتأويل
آخر وحينئذ يبعد هذا
الوجه وأقرب منه أن
يقول أصل الكلام
والله أعلم مثل ما ينفقون
في هذه الحياة الدنيا

وما ظلمهم الله ولكن
أنفسهم يظلمون يا أيها
الذين آمنوا لا تتخذوا
بطانة من دونكم لا
يألونكم خبالا ودوا ما عنتم
قد بدت البغضاء من
أفواههم وما تخفي
صدورهم أكبر قد بينا
لكم الآيات ان كنتم
تعقلون ها أنتم أولاء
تحبونهم ولا يحبونكم
وتؤمنون بالكتاب كله
واذا لقوكم قالوا آمنا
واذا خلوا عضوا عليكم
الانامل من الغيظ قل
موتوا بغيظكم ان الله
عليم بذات الصدور ان
تمسسكم حسنة تسؤهم
وان تصبكم سيئة
يفرحوا بها

كمثل حرث قوم ظلموا
أنفسهم فأصابته ريح
فيها صر فأهلكته
ولكن خولف هذا
النظم في المثل المذكور
لفائدة جليلة وهو تقديم
ماهو أهم لأن الريح

وضياعه بالحرث الذي ضربته الصر والكلام غير مطابق للغرض حيث جعل ما ينفقون ممثلا بالريح (قلت) هو من التشبيه المركب الذي مر في تفسير قوله تعالى كمثل الذي استوقد نارا ويجوز أن يراد مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح أو مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ تنفقون بالتاء (وما ظلمهم الله) الضمير للمنفقين على معنى وما ظلمهم الله بأن لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث لم يأتوا بها مستحقة للقبول أو لأصحاب الحرث الذين ظلموا أنفسهم أي وما ظلمهم الله باهلاك حرثهم ولكن ظلموا أنفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن بالتشديد بمعنى ولكن أنفسهم يظلمونها هم ولا يجوز أن يراد ولكنه أنفسهم يظلمون على اسقاط ضمير الشأن لانه انما يجوز في الشعر * بطانة الرجل ووليجته خصيصه وصفيه الذي يفضي اليه بشقوره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما يقال فلان شعاري وعن النبي صلى الله عليه وسلم الانصار شعار والناس دثار (من دونكم) من دون أبناء جنسكم وهم المسلمون ويجوز تعلقه بلا تتخذوا وببطانة على الوصف أي بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم (لا يألونكم خبالا) يقال ألا في الامر يألو اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين في قولهم لا آلوك نصحا ولا آلوك جهدا على التضمين والمعنى لا أمنعك نصحا ولا أنقصكه والخبال الفساد (ودوا ما عنتم) ودوا عنتكم على أن ما مصدرية والعنت شدة الضرر والمشقة وأصله انهياض العظم بعد جبره أي تمنوا أن يضروكم في دينكم ودنياكم أشد الضرر وأبلغه (قد بدت البغضاء من أفواههم) لانهم لا يتمالكون مع ضبطهم أنفسهم وتحاملهم عليها أن ينفلت من ألسنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين وعن قتادة قد بدت البغضاء لاوليائهم من المنافقين والكفار لاطلاع بعضهم بعضا على ذلك وفي قراءة عبد الله قد بدا البغضاء (قد بينا لكم الآيات) الدالة على وجوب الاخلاص في الدين وموالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه (ان كنتم تعقلون) ما بين لكم فعملتم به (فان قلت) كيف موقع هذه الجمل (قلت) يجوز أن يكون لا يألونكم صفة للبطانة وكذلك قد بدت البغضاء كأنه قيل بطانة غير آليكم خبالا بادية بغضاؤهم وأما قد بينا فكلام مبتدأ وأحسن منه وأبلغ أن تكون مستأنفات كلها على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة (ها) للتنبيه و(أنتم) مبتدأ و(أولاء) خبره أي أنتم أولاء الخاطئون في موالاة منافقي أهل الكتاب وقوله (تحبونهم ولا يحبونكم) بيان لخطئهم في موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لاهل البغضاء وقيل أولاء موصول تحبونهم صلته * والواو في (وتؤمنون) للحال وانتصابها من لا يحبونكم أي لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم وفيه توبيخ شديد بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم ونحوه فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون * ويوصف المغتاظ والنادم بعض الانامل والبنان والابهام قال الحرث بن ظالم المري

فأقتل أقواما لئاما أذلة * يعضون من غيظ رؤس الاباهم

(قل موتوا بغيظكم) دعاء عليهم بأن يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما يغيظهم من قوة الاسلام وعز أهله وما لهم في ذلك من الذل والخزي والتبار (ان الله عليم بذات الصدور) فهو يعلم ما في صدور المنافقين من الحنق والبغضاء وما يكون منهم في حال خلو بعضهم ببعض وهو كلام داخل في جملة المقول أو خارج منها (فان قلت) فكيف معناه على الوجهين (قلت) اذا كان داخلا في جملة المقول فمعناه أخبرهم بما يسرونه من عضهم الانامل غيظا اذا خلوا وقل لهم ان الله عليم بما هو أخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات الصدور فلا تظنوا أن شيأ من أسراركم يخفى عليه واذا كان خارجا فمعناه قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من

التي هي مثل العذاب ذكرها في سياق الوعيد والتهديد أهم من ذكر الحرث فقدمت عناية بذكرها واعتمادا على اطلاعي
ان لافهام الصحيحة تستخرج المطابقة برد الكلام الى أصله على أيسر وجه ومثل هذا في تحويل النظم لمثل هذه الفائدة قوله تعالى
فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احداهما الآية ومثله أيضا أعددت هذه الخشبة أن يميل الحائط فأدعمه والاصل

اطلاعى اياك على ما يسرون فانى أعلم ما هو أخفى من ذلك وهو ما أضمروه فى صدورهم ولم يظهروه بألسنتهم ويجوز أن لا يكون ثم قول وأن يكون قوله قل موتوا بغيظكم أمرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله أن يهلكوا غيظا باعزاز الاسلام واذلالهم به كأنه قيل حدث نفسك بذلك * الحسنة الرخاء والخصب والنصرة والغنيمة ونحوها من المنافع * والسيئة ما كان ضد ذلك وهذا بيان لفرط معاداتهم حيث يحسدونهم على ما نالهم من الخير ويشمتون بهم فيما أصابهم من الشدة (فان قلت) كيف وصفت الحسنة بالمس والسيئة بالاصابة (قلت) المس مستعار لمعنى الاصابة فكان المعنى واحدا ألا ترى الى قوله ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا (وان تصبروا) على عداوتهم (وتتقوا) ما نهيتم عنه من موالاتهم أو وان تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله فى اجتنابكم محارمه كنتم فى كنف الله فلا يضركم كيدهم وقرئ لا يضركم من ضاره يضيره ويضركم على أن ضمة الراء لاتباع ضمة الضاد كقولك مد يا هذا وروى المفضل عن عاصم لا يضركم بفتح الراء وهذا تعليم من الله وارشاد الى أن يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقد قال الحكماء اذا أردت أن تكبت من يحسدك فازدد فضلا فى نفسك (ان الله بما تعملون) من الصبر والتقوى وغيرهما (محيط) ففاعل بكم ما أنتم أهله وقرئ بالياء بمعنى انه عالم بما يعملون فى عداوتكم فمعاقبهم عليه * (و) اذكر (اذ غدوت من أهلك) بالمدينة وهو غدوه الى أحد من حجرة عائشة رضى الله عنها روى أن المشركين نزلوا بأحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ودعا عبد الله بن أبى ابن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله وأكثر الانصار يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا أصاب منا ولا دخلها علينا الا أصبنا منه فكيف وأنت فينا فدعهم فان أقاموا أقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب لا يرون أنا قد جبنا عنهم فقال صلى الله عليه وسلم انى قد رأيت فى منامى بقرا مذبحة حولى فأولتها خيرا ورأيت فى ذباب سيفى ثلما فأولته هزيمة ورأيت كأنى أدخلت يدى فى درع حصينة فأولتها المدينة فان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد اخرج بنا الى أعدائنا فلم يزالوا به حتى دخل فلبس لأمته فلما رأوه قد لبس لأمته ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحى يأتيه وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال لا ينبغى لنبى أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة وأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال فمشى على رجليه فجعل يصف أصحابه للقتال كأنما يقوم بهم القدح ان رأى صدرا خارجا قال تأخر وكان نزوله فى عدوة الوادى وجعل ظهره وعسكره الى أحد وأمر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا (تبوئ المؤمنين) تنزلهم وقرأ عبد الله للمؤمنين بمعنى تسوى لهم وتهيئ (مقاعد للقتال) مواطن ومواقف وقد اتسع فى قعد وقام حتى أجريا مجرى صار واستعمل المقعد والمقام فى معنى المكان ومنه قوله تعالى فى مقعد صدق وقوله قبل أن تقوم من مقامك من مجلسك وموضع حكمك (والله سميع) لأقوالكم (عليم) بنياتكم وضمائركم (اذ همت) بدل من اذ غدوت أو عمل فيه معنى سميع عليم * والطائفتان حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ألف وقيل فى تسعمائة وخمسين والمشركون فى ثلاثة آلاف ووعدهم الفتح ان صبروا فانخزل عبد الله بن أبى بثلث الناس وقال يا قوم علام نقتل أنفسنا وأولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصارى فقال أنشدكم الله فى نبيكم وأنفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضى الله عنه أضمروا أن يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا والظاهر أنها ما كانت الا همة وحديث نفس وكما لا تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع ثم يردها صاحبها الى الثبات والصبر ويوطنها على احتمال المكروه

وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيأ ان الله بما يعملون محيط واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا

أن تذكر احداهما الاخرى ان ضلت وأن أدعم به الحائط اذا مال وأمثال ذلك كثيرة والله الموفق * قوله تعالى ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها (قال محمود ان قلت كيف وصفت الحسنة بالمس والسيئة بالاصابة الخ) قال أحمد يمكن أن يقال المس أقل تمكنا من الاصابة وكأنه أقل درجاتها فكأن الكلام والله أعلم ان تصبكم الحسنة أدنى اصابة تسؤهم ويحسدوكم عليها وان تمكنت الاصابة منكم وانتهى الامر فيها الى الحد الذى يرثى الشامت عنده منها فهم لا يرثون لكم ولا ينفكون عن حسدهم ولا فى هذه الحال بل يفرحون ويسرون والله أعلم

كما قال عمرو بن الاطنابة أقول لها اذا جشأت وجاشت * مكانك تحمدي أو تستريحي

حتى قال معاوية عليكم بحفظ الشعر فقد كدت أضع رجلي في الركاب يوم صفين فما ثبت مني الا قول عمرو بن الاطنابة ولو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية والله تعالى يقول (والله وليهما) ويجوز أن يراد والله ناصرهما ومتولي أمرهما فما لهما تفشلان ولا تتوكلان على الله (فان قلت) فما معنى ما روي من قول بعضهم عند نزول الآية والله ما يسرنا أنا لم نهم بالذي هممنا وقد أخبرنا الله بأنه ولينا (قلت) معنى ذلك فرط الاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثناء الله وانزاله فيهم آية ناطقة بصحة الولاية وأن تلك الهمة غير المأخوذ بها لانها لم تكن عن عزيمة وتصميم كانت سببا لنزولها * والفشل الجبن والخور وقرأ عبد الله والله وليهم كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا * أمرهم بأن لا يتوكلوا الا عليه ولا يفوضوا أمورهم الا اليه * ثم ذكرهم ما يوجب عليهم التوكل مما يسر لهم من الفتح يوم بدر وهم في حال قلة وذلة * والاذلة جمع قلة والذلان جمع الكثرة وجاء بجمع القلة ليدل على انهم على ذلتهم كانوا قليلا وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركوب وذلك أنهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم الا فرس واحد وقلتهم أنهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان عدوهم في حال كثرة زهاء ألف مقاتل ومعهم مائة فرس والشكة والشوكة * وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به (فاتقوا الله) في الثبات مع رسوله (لعلكم تشكرون) بتقواكم ما أنعم به عليكم من نصرته أو لعلكم ينعم الله عليكم نعمة أخرى تشكرونها فوضع الشكر موضع الانعام لانه سبب له (اذ تقول) ظرف لنصركم على أن يقول لهم ذلك يوم بدر أو بدل ثان من اذ غدوت على أن يقوله لهم يوم أحد (فان قلت) كيف يصح أن يقوله لهم يوم أحد ولم تنزل فيه الملائكة (قلت) قاله لهم مع اشتراط الصبر والتقوى عليهم فلم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا حيث خالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك لم تنزل الملائكة ولو تموا على ما شرط عليهم لنزلت وانما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله ومعنى (ألن يكفيكم) انكار أن لا يكفيهم الامداد بثلاثة آلاف من الملائكة وانما جيء بلن الذي هو لتأكيد النفي للاشعار بأنهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالآيسين من النصر و(بلى) ايجاب لما بعد لن بمعنى بلى يكفيكم الامداد بهم فأوجب الكفاية ثم قال (ان تصبروا وتتقوا) يمددكم بأكثر من ذلك العدد مسومين للقتال (ويأتوكم) يعني المشركين (من فورهم هذا) من قولك قفل من غزوته وخرج من فوره الى غزوة أخرى وجاء فلان ورجع من فوره ومنه قول أبي حنيفة رحمه الله الامر على الفور لا على التراخي وهو مصدر من فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت به الحالة التي لا ريث فيها ولا تعريج على شيء من صاحبها فقيل خرج من فوره كما تقول من ساعته لم يلبث والمعنى أنهم ان يأتوكم من ساعتهم هذه (يمددكم ربكم) بالملائكة في حال اتيانهم لا يتأخر نزولهم عن اتيانهم يريد أن الله يعجل نصرتكم وييسر فتحكم ان صبرتم واتقيتم * وقرئ منزلين بالتشديد ومنزلين بكسر الزاي بمعنى منزلين النصر ومسومين بفتح الواو وكسرها بمعنى معلمين ومعلمين أنفسهم أو خيلهم قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على أكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف الابيض في نواصي الدواب وأذنابها وعن مجاهد مجزوزة أذناب خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت (وما جعله الله) الهاء لان يمدكم أي وما جعل الله امدادكم بالملائكة الا بشارة لكم بأنكم تنصرون (ولتطمئن قلوبكم به) كما كانت السكينة لبني اسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة لقلوبهم (وما النصر الا من عند الله) لا من عند المقاتلة اذا تكاثروا ولا من عند الملائكة والسكينة ولكن ذلك مما يقوي به الله رجاء النصرة والطمع في الرحمة ويربط به على قلوب المجاهدين (العزيز) الذي لا يغالب في حكمه (الحكيم) الذي يعطي النصر ويمنعه لما يرى من المصلحة (ليقطع طرفا من الذين كفروا) ليهلك طائفة منهم بالقتل والاسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من رؤساء قريش وصناديدهم (أو يكبتهم)

والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم

أو يخزيهم و يغيظهم بالهزيمة (فينقلبوا خائبين) غير ظافرين بمبتغاهم ونحوه ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ويقال كبته بمعنى كبده اذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل في قول أبي الطيب
* لا كبت حاسدا وأرى عدوا * هو من الكبد والرئة واللام متعلقة بقوله ولقد نصركم الله أو بقوله وما النصر الا من عند الله (أو يتوب) عطف على ما قبله * وليس لك من الامر شيء اعتراض والمعنى أن الله مالك أمرهم فاما يهلكهم أو يهزمهم أو يتوب عليهم ان أسلموا أو يعذبهم ان أصروا على الكفر وليس لك من أمرهم شيء انما أنت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وقيل ان يتوب منصوب باضمار أن وأن يتوب في حكم اسم معطوف بأو على الامر أو على شيء أي ليس لك من أمرهم شيء أو من التوبة عليهم أو من تعذيبهم أو ليس لك من أمرهم شيء أو التوبة عليهم أو تعذيبهم وقيل أو بمعنى الا أن كقولك لالزمنك أو تعطيني حقي على معنى ليس لك من أمرهم شيء الا أن يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم أو يعذبهم فتتشفى منهم وقيل شجه عتبة بن أبي وقاص يوم أحد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى أبي حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت وقيل أراد أن يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه أن فيهم من يؤمن * وعن الحسن (يغفر لمن يشاء) بالتوبة ولا يشاء أن يغفر الا للتائبين (ويعذب من يشاء) ولا يشاء أن يعذب الا المستوجبين للعذاب وعن عطاء يغفر لمن يتوب اليه ويعذب من لقيه ظالما واتباعه قوله أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون تفسير بين لمن يشاء وأنهم المتوب عليهم أو الظالمون ولكن أهل الاهواء والبدع يتصامون ويتعامون عن آيات الله فيخبطون خبط عشواء ويطيبون أنفسهم بما يفترون على ابن عباس من قولهم يهب الذنب الكبير لمن يشاء و يعذب من يشاء على الذنب الصغير * (لا تأكلوا الربوا أضعافا مضاعفة) نهي عن الربا مع توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله زاد في الاجل فاستغرق بالشيء الطفيف مال المديون (واتقوا النار التي أعدت للكافرين) كان أبو حنيفة رحمه الله يقول هي أخوف آية في القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه * وقد أمد ذلك بما أتبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله ومن تأمل هذه الآية وأمثالها لم يحدث نفسه بالاطماع الفارغة والتمني على الله تعالى * وفي ذكره تعالى لعل وعسى في نحو هذه المواضع وان قال الناس ما قالوا ما لا يخفى على العارف الفطن من دقة مسلك التقوى وصعوبة اصابة رضا الله وعزة التوصل الى رحمته وثوابه * في مصاحف أهل المدينة والشأم سارعوا بغير واو وقرأ الباقون بالواو وتنصره قراءة أبي وعبد الله وسابقوا ومعنى المسارعة الى المغفرة والجنة الاقبال على ما يستحقان به (عرضها السموات والارض) أي عرضها عرض السموات والارض كقوله عرضها كعرض السماء والارض والمراد وصفها بالسعة والبسطة فشبهت بأوسع ما علمه الناس من خلقه وأبسطه وخص العرض لانه في العادة أدنى من الطول للمبالغة كقوله بطائنها من استبرق وعن ابن عباس رضي الله عنه كسبع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض (في السراء والضراء) في حال الرخاء واليسر وحال الضيقة والعسر لا يخلون بأن ينفقوا في كلتا الحالتين ما قدروا عليه من كثير أو قليل كما حكي عن بعض السلف أنه ربما تصدق ببصلة وعن عائشة رضي الله عنها أنها تصدقت بحبة عنب أو في جميع الاحوال لانها لا تخلو من حال مسرة ومضرة لا تمنعهم حال فرح وسرور ولا حال محنة وبلاء من المعروف وسواء عليهم كان الواحد منهم في عرس أو في حبس فانه لا يدع الاحسان وافتتح بذكر الانفاق لانه أشق شيء على النفس وأدله على الاخلاص ولانه كان في ذلك الوقت أعظم الاعمال للحاجة اليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين * كظم القربة اذا ملأها وشد فاها وكظم البعير اذا لم يجتر ومنه كظم الغيظ وهو أن يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له أثرا وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه

فينقلبوا خائبين ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون ولله ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء والله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا النار التي أعدت للكافرين وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ

---

* قوله تعالى يغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء (قال محمود معناه يغفر لمن يشاء بالتوبة الخ) قال أحمد هذه الآية واردة في الكفار ومعتقد أهل السنة ان المغفرة في حقهم مشروطة بالتوبة من الكفر والرجوع الى الايمان وليسوا محل خلاف بين الطائفتين وعندهم ان المؤمن التائب من كفره هو المعني في قوله يغفر لمن يشاء كما قاله الزمخشري وأما تساقه من ذلك على تعميم هذا الحكم وتعديته الى الموحدين فمن التعامي والتصام حقيقة والا فهو أحذق من ذلك وأما نسبته الى أهل السنة التعامي والتصام والهوى والبدعة والافتراء فالله حسيبه في ذلك والسلام

ملأ الله قلبه أمنا وايمانا وعن عائشة رضى الله عنها أن خادما لها غاظها فقالت لله در التقوى ما تركت لذى
غيظ شفاء (والعافين عن الناس) اذا جنى عليهم أحد لم يؤاخذوه وروى ينادى مناد يوم القيامة أين الذين
كانت أجورهم على الله فلا يقوم الا من عفا وعن ابن عيينة أنه رواه للرشيد وقد غضب على رجل فخلاه وعن
النبى صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء فى أمتى قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا فى الامم التى مضت (والله
يحب المحسنين) يجوز أن تكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورون وأن
تكون للعهد فتكون اشارة الى هؤلاء (والذين) عطف على المتقين أى أعدت للمتقين والتائبين وقوله أولئك
اشارة الى الفريقين ويجوز أن يكون والذين مبتدأ خبره أولئك (فاحشة) فعلة متزايدة القبح (أو ظلموا
أنفسهم) أو أذنبوا أى ذنب كان مما يؤاخذون به وقيل الفاحشة الزنا وظلم النفس ما دونه من القبلة
واللمسة ونحوهما وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة (ذكروا الله) تذكروا عقابه أو وعيده
أو نهيه أو حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء منه (فاستغفروا لذنوبهم) فتابوا عنها لقبحها نادمين
عازمين (ومن يغفر الذنوب الا الله) وصف لذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة وأن التائب من الذنب عنده كمن
لا ذنب له وأنه لا مفزع للمذنبين الا فضله وكرمه وأن عدله يوجب المغفرة للتائب لان العبد اذا جاء فى
الاعتذار والتنصل بأقصى ما يقدر عليه وجب العفو والتجاوز وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة
وبعث عليها وردع عن اليأس والقنوط وان الذنوب وان جلت فان عفوه أجل وكرمه أعظم والمعنى أنه وحده
معه مصححات المغفرة وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه (ولم يصروا) ولم يقيموا على قبيح
فعلهم غير مستغفرين وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما أصر من استغفر وان عاد فى اليوم سبعين مرة وروى
لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار (وهم يعلمون) حال من فعل الاصرار وحرف النفى منصب
عليهما معا والمعنى وليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهى عنها وبالوعيد عليها لانه قد يعذر
من لا يعلم قبح القبيح وفى هذه الآيات بيان قاطع ان الذين آمنوا على ثلاث طبقات متقون وتائبون ومصرون
وأن الجنة للمتقين والتائبين منهم دون المصرين ومن خالف فى ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه * قال (أجر
العاملين) بعد قوله جزاؤهم لانهما فى معنى واحد وانما خالف بين اللفظين لزيادة التنبيه على أن ذلك جزاء
واجب على عمل وأجر مستحق عليه لا كما يقول المبطلون وروى أن الله عز وجل أوحى الى موسى ما أقل حياء
من يطمع فى جنتى بغير عمل كيف أجود برحمتى على من يبخل بطاعتى وعن شهر بن حوشب طلب الجنة بلا
عمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمق وجهالة
وعن الحسن رضى الله عنه يقول الله تعالى يوم القيامة جوزوا الصراط بعفوى وادخلوا الجنة برحمتى
واقتسموها بأعمالكم وعن رابعة البصرية رضى الله عنها أنها كانت تنشد

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها * ان السفينة لا تجرى على اليبس

والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم أجر العاملين ذلك يعنى المغفرة والجنات (قد خلت من قبلكم سنن)
يريد ما سنه الله فى الامم المكذبين من وقائعه كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله فى الذين خلوا من قبل ثم لا يجدون
وليا ولا نصيرا سنة الله التى قد خلت من قبل (هذا بيان للناس) ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب
يعنى حثهم على النظر فى سوء عواقب المكذبين قبلهم والاعتبار بما يعاينون من آثار هلاكهم (وهدى
وموعظة للمتقين) يعنى أنه مع كونه بيانا وتنبيها للمكذبين فهو زيادة تثبيت وموعظة للذين اتقوا من المؤمنين
ويجوز أن يكون قوله قد خلت جملة معترضة للبعث على الايمان وما يستحق به ما ذكر من أجر العاملين ويكون
قوله هذا بيان اشارة الى ما لخص وبين من أمر المتقين والتائبين والمصرين (ولا تهنوا ولا تحزنوا) تسلية من
الله سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين عما أصابهم يوم أحد وتقوية من قلوبهم يعنى ولا تضعفوا عن
الجهاد لما أصابكم أى لا يورثنكم ذلك وهنا وجبنا ولا تبالوا به ولا تحزنوا على من قتل منكم وجرح (وأنتم الاعلون)
وحالكم أنكم أعلى منهم وأغلب لانكم أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم يوم أحد أو وأنتم الاعلون

والعافين عن الناس
والله يحب المحسنين
والذين اذا فعلوا فاحشة
أو ظلموا أنفسهم ذكروا
الله فاستغفروا لذنوبهم
ومن يغفر الذنوب الا
الله ولم يصروا على ما فعلوا
وهم يعلمون أولئك
جزاؤهم مغفرة من ربهم
وجنات تجرى من تحتها
الانهار خالدين فيها ونعم
أجر العاملين قد خلت
من قبلكم سنن فسيروا فى
الارض فانظروا كيف
كان عاقبة المكذبين
هذا بيان للناس وهدى
وموعظة للمتقين ولا
تهنوا ولا تحزنوا وأنتم
الاعلون

* قوله تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم الآية (قال محمود ولما تجاهدوا الان العلم متعلق بالمعلوم الخ) قال أحمد التعبير عن نفي المعلوم بنفي العلم خاص بعلم الله تعالى لانه يلزم من عدم تعلق علمه بوجود شيء ما عدم ذلك الشيء ضرورة انه لا يعزب عن علمه شيء لعموم تعلقه فاستقام التعبير عن نفي الشيء بنفي تعلق العلم القديم بوجوده المختص بالازلية ولا كذلك علم آحاد المخلوقين فانه لا يعبر عن نفي شيء بنفي تعلق علم الخلق به لجواز وجود ذلك الشيء غير معلوم الخلق والزمخشري يظهر من كلامه صحة هذا التعبير مطلقا ويعتقد الملازمة المذكورة عامة فلذلك قال في قول فرعون ما علمت لكم من اله غيري انه عبر عن نفي المعلوم بنفي العلم لانه من لوازمه وسيأتي بيان ان الزمخشري وهم في هذا الموضع والافهو بريء الذمي عن الوقوع في مثله اعتقادا والله أعلم وانما عبر فرعون بذلك تلبيسا على عقله وتقيما الدعوى ألوهيته الكاذبة بأنه لا يعزب عن علمه شيء فلو كان اله سواه على دعواه لتعلق علمه به وهذا يعد من حماقات فرعون ودعاويه الفارغة والله الموفق

ان كنتم مؤمنين ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم

شأنا الان فقال الكم الله ولاء علاء كلمته وقتالهم الشيطان ولا علاء لا كلمة الكفر ولان قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار أو هي بشارة لهم بالعلو والغلبة أي وأنتم الاعلون في العاقبة وان جندنا لهم الغالبون (ان كنتم مؤمنين) متعلق بالنهي بمعنى ولا تهنوا ان صح ايمانكم على أن صحة الايمان توجب قوة القلب والثقة بصنع الله وقلة المبالاة بأعدائه أو بالاعلون أي ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة * قرئ قرح بفتح القاف وضمها وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم ألمها وقرأ أبو السمال قرح بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى ان نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فأنتم أولى أن لا تضعفوا ونحوه فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وقيل كان ذلك يوم أحد فقد نالوا منهم قبل أن يخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم (فان قلت) كيف قيل (قرح مثله) وما كان قرحهم يوم أحد مثل قرح المشركين (قلت) بلى كان مثله ولقد قتل يومئذ خلق من الكفار ألا ترى الى قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون (وتلك الايام) تلك مبتدأ والايام صفته و (نداولها) خبره ويجوز أن يكون تلك الايام مبتدأ وخبرا كما تقول هي الايام تبلى كل جديد والمراد بالايام أوقات الظفر والغلبة نداولها نصرفها بين الناس نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء كقوله وهو من أبيات الكتاب

فيوما علينا ويوما لنا * ويوما نساء ويوما نسر

ومن أمثال العرب الحرب سجال وعن أبي سفيان أنه صعد الجبل يوم أحد فمكث ساعة ثم قال أين ابن أبي كبشة أين ابن أبي قحافة أين ابن الخطاب فقال عمر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أبو بكر وها أنا عمر فقال أبو سفيان يوم بيوم والايام دول والحرب سجال فقال عمر رضي الله عنه لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال انكم تزعمون ذلك فقد خبنا اذن وخسرنا والمداولة مثل المعاورة وقال

يرد المياه فلا يزال مداولا * في الناس بين تمثل وسماع

يقال داولت بينهم الشيء فتداولوه (وليعلم الله الذين آمنوا) فيه وجهان أحدهما أن يكون العلل محذوفا معناه وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك وهو من باب التمثيل بمعنى فعلنا ذلك فعل من يريد أن يعلم من الثابت على الايمان منكم من غير الثابت والا فالله عز وجل لم يزل عالما بالاشياء قبل كونها وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو أن يعلمهم موجودا منهم الثبات والثاني أن تكون العلة محذوفة وهذا عطف عليه معناه وفعلنا ذلك ليكون كيت وكيت وليعلم الله وانما حذف للايذان بان المصلحة فيما فعل ليست بواحدة ليسليهم عما جرى عليهم وليبصرهم أن العبد يسوءه ما يجري عليه من المصائب ولا يشعر أن لله في ذلك من المصالح ما هو غافل عنه (ويتخذ منكم شهداء) وليكرم ناسا منكم بالشهادة يريد المستشهدين يوم أحد أو وليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الامم يوم القيامة بما يبتلي به صبركم من الشدائد من قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس (والله لا يحب الظالمين) اعتراض بين بعض التعليل وبعض ومعناه والله لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الايمان المجاهدين في سبيل الله الممحصين من الذنوب والتمحيص التطهير والتصفية (ويمحق الكافرين) ويهلكهم يعني ان كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص وغير ذلك مما هو أصلح لهم وان كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم (أم) منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار (ولما يعلم الله) بمعنى ولما تجاهدوا لان العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه لانه منتف بانتفائه يقول الرجل ما علم الله في فلان خيرا يريد ما فيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم الا أن فيها ضربا من التوقع فدل على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل وتقول وعدني أن يفعل

كذا ولما تريدولم يفعل وأنا أتوقع فعله وقرئ ولما يعلم الله بفتح الميم وقيل أراد النون الخفيفة ولما يعلمن فحذفها (ويعلم الصابرين) نصب باضمار أن والواو بمعنى الجمع كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن وقرأ الحسن بالجزم على العطف وروى عبد الوارث عن أبي عمرو ويعلم بالرفع على أن الواو للحال كأنه قيل ولما تجاهدوا وأنتم صابرون (ولقد كنتم تمنون الموت) خوطب به الذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون أن يحضروا مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لينالوا من كرامة الشهادة ما نال شهداء بدر وهم الذين ألحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى المشركين وكان رأيه في الاقامة بالمدينة يعني وكنتم تمنون الموت قبل أن تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته (فقد رأيتموه وأنتم تنظرون) أي رأيتموه معاينين مشاهدين له حين قتل بين أيديكم من قتل من اخوانكم وأقاربكم وشارفتم أن تقتلوا وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه وقلة ثباتهم عنده (فان قلت) كيف يجوز تمني الشهادة وفي تمنيها تمني غلبة الكافر المسلم (قلت) قصد متمني الشهادة الى نيل كرامة الشهداء لا غير ولا يذهب وهمه الى ذلك المتضمن كما أن من يشرب دواء الطبيب النصراني قاصد الى حصول المأمول من الشفاء ولا يخطر بباله أن فيه جر منفعة واحسان الى عدو الله وتنفيق لصناعته ولقد قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه حين نهض الى موتة وقيل له ردكم الله

لكنني أسأل الرحمن مغفرة * وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا

أو طعنة بيدي حران مجهزة * بحربة تنفذ الاحشاء والكبدا

حتى يقولوا اذا مروا على جدثي * أرشدك الله من غاز وقد رشدا

* لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه أقبل يريد قتله فذب عنه صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم أحد حتى قتله ابن قمئة وهو يرى أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ ألا ان محمدا قد قتل وقيل كان الصارخ الشيطان ففشا في الناس خبر قتله فانكفؤا فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الي عباد الله حتى انحازت اليه طائفة من أصحابه فلامهم على هربهم فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا أتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فنزلت وروى أنه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن أبي يأخذ لنا أمانا من أبي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال أنس ابن النضر عم أنس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني أعتذر اليك مما يقول هؤلاء وأبرأ اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين أنه مر بأنصاري يتشحط في دمه فقال يا فلان أشعرت أن محمدا قد قتل فقال ان كان قتل فقد بلغ فقاتلوا على دينكم والمعنى (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل) فسيخلو كما خلوا وكما أن أتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فعليكم أن تتمسكوا بدينه بعد خلوه لأن الغرض من بعثة الرسل تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده بين أظهر قومه (أفان مات) الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة قبلها على معنى التسبيب والهمزة لانكار أن يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على أعقابهم بعد هلاكه بموت أو قتل مع علمهم أن خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب أن يجعل سببا للتمسك بدين محمد صلى الله عليه وسلم لا للانقلاب عنه (فان قلت) لم ذكر القتل وقد علم أنه لا يقتل (قلت) لكونه مجوزا عند المخاطبين (فان قلت) أما علموه من ناحية قوله والله يعصمك من الناس (قلت) هذا مما يختص بالعلماء منهم وذوي البصيرة ألا ترى أنهم سمعوا بخبر قتله فهربوا على أنه يحتمل تخية الناس واذلالهم * والانقلاب على الأعقاب الادبار عما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم به من أمر ... ادونيره وقيل الارتداد وما ارتد أحد من المسلمين ذلك اليوم الا ما كان من قول المنافقين ويجوز أن يكون على وجه ... غلظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم

ويعلم الصابرين ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه

* قوله تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا (قال محمود إن قلت أكان هناك حجة حتى ينزلها الله فيصح لهم الاشراك الخ) قال أحمد إنما يرد هذا السؤال لو أفهم ظاهر اللفظ أن ثم حجة (٣٢٩) وليس في ظاهره ما يفهم ذلك ولو كانت

فلن يضر الله شيأ وسيجزي الله الشاكرين وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين

وسلم وإسلامه (فلن يضر الله شيئا) فما ضر إلا نفسه لأن الله تعالى لا يجوز عليه المضار والمنافع (وسيجزي الله الشاكرين) الذين لم ينقلبوا كأنس بن النضر وأضرابه وسماهم شاكرين لأنهم شكروا نعمة الإسلام فيما فعلوا * المعنى أن موت الأنفس محال أن يكون إلا بمشيئة الله فأخرجه مخرج فعل لا ينبغي لأحد أن يقدم عليه إلا أن يأذن الله له فيه تمثيلا ولأن ملك الموت هو الموكل بذلك فليس له أن يقبض نفسا إلا بإذن من الله وهو على معنيين أحدهما تحريضهم على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو بإعلامهم أن الحذر لا ينفع وأن أحدا لا يموت قبل بلوغ أجله وإن خوّض المهالك واقتحم المعارك والثاني ذكر ما صنع الله برسوله عند غلبة العدو والتفافهم عليه وإسلام قومه له نهزة للمختلس من الحفظ والكلاءة وتأخير الأجل (كتابا) مصدر مؤكد لأن المعنى كتب الموت كتابا (مؤجلا) موقتا له أجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر (ومن يرد ثواب الدنيا) تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم أحد (نؤته منها) أي من ثوابها (وسنجزي) الجزاء المبهم الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وقرئ يؤته وسيجزي بالياء فيهما وقرئ قاتل وقتل وقتّل بالتشديد والفاعل ربيون أو ضمير النبي و(معه ربيون) حال عنه بمعنى قتل كائنا معه ربيون والقراءة بالتشديد تنصر الوجه الأول وعن سعيد بن جبير رحمه الله ما سمعنا بنبي قتل في القتال والربيون الربانيون وقرئ بالحركات الثلاث فالفتح على القياس والضم والكسر من تغييرات النسب * وقرئ فما وهنوا بكسر الهاء والمعنى (فما وهنوا) عند قتل النبي (وما ضعفوا) عن الجهاد بعده (وما استكانوا) للعدو وهذا تعريض بما أصابهم من الوهن والانكسار عند الإرجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين أرادوا أن يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن أبي في طلب الأمان من أبي سفيان (وما كان قولهم إلا) هذا القول وهو إضافة الذنوب والإسراف إلى أنفسهم مع كونهم ربانيين هضما لها واستقصارا والدعاء بالاستغفار منها مقدما على طلب تثبيت الأقدام في مواطن الحرب والنصرة على العدو ليكون طلبهم إلى ربهم عن زكاة وطهارة وخضوع أقرب إلى الاستجابة (فآتاهم الله ثواب الدنيا) من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر * وخص ثواب الآخرة بالحسن دلالة على فضله وتقدمه وأنه هو المعتد به عنده تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة (إن تطيعوا الذين كفروا) قال علي رضي الله عنه نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا في دينهم وعن الحسن رضي الله عنه إن تستنصحوا اليهود والنصارى وتقبلوا منهم لأنهم كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما أصابه وأصحابه ما أصابهم وإنما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما له ويوما عليه وعن السدي إن تستكينوا لأبي سفيان وأصحابه وتستأمنوهم (يردوكم) إلى دينهم وقيل هو عام في جميع الكفار وأن على المؤمنين أن يجانبوهم ولا يطيعوهم في شيء ولا ينزلوا على حكمهم ولا على مشورتهم حتى لا يستجروهم إلى موافقتهم (بل الله مولاكم) أي ناصركم لا تحتاجون معه إلى نصرة أحد وولايته وقرئ بالنصب على بل أطيعوا الله مولاكم (سنلقي) قرئ بالنون والياء والرعب بسكون العين وضمها قيل قذف الله في قلوب المشركين الخوف يوم أحد فانهزموا إلى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا إلى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك ألقى الله الرعب في قلوبهم فأمسكوا (بما أشركوا) بسبب إشراكهم أي كان السبب في إلقاء الله الرعب في قلوبهم إشراكهم به (ما لم ينزل به سلطانا) آلهة لم ينزل الله بإشراكها حجة (فإن قلت) كان هناك حجة حتى ينزلها الله فيصح لهم الإشراك (قلت) لم يعن أن هناك حجة إلا أنها لم تنزل عليهم لأن الشرك

الآية كقول القائل

بما أشركوا بالله ما لم ينزل سلطانه بإضافة السلطان إلى ما أشركوا به لكان للسائل مقال ولكان كقول القائل
* على لاحب لا يهتدى بمناره * فإنه بإضافة المنار إليه يوهم أن فيه منارا فيحتاج الناظر إلى حمله على معنى لا منار فيه فيهتدى به ولو أطلق الشاعر فقال على لاحب لا يهتدى فيه بمنار مثلا لاستغنى عن تأويل الكلام وكذلك الآية غنية عن التأويل والله أعلم

ولقد صدقكم الله وعده
اذ تحسونهم باذنه حتى
اذا فشلتم وتنازعتم في
الامر وعصيتم من بعد
ما أراكم ما تحبون منكم
من يريد الدنيا ومنكم
من يريد الآخرة ثم
صرفكم عنهم ليبتليكم
ولقد عفا عنكم والله
ذو فضل على المؤمنين
اذ تصعدون ولا تلوون
على أحد والرسول
يدعوكم في أخراكم
فأثابكم غما بغم لكيلا
تحزنوا على ما فاتكم ولا
ما أصابكم والله خبير
بما تعملون ثم أنزل عليكم
من بعد الغم أمنة نعاسا
يغشى طائفة منكم

لا يستقيم أن يقوم عليه حجة وانما المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله * ولا ترى الضب بها ينجحر * (ولقد صدقكم الله وعده) وعدهم الله النصر بشرط الصبر والتقوى في قوله تعالى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ويجوز أن يكون الوعد قوله تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب فلما فشلوا وتنازعوا ألم بهم وقيل لما رجعوا الى المدينة قال ناس من المؤمنين من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل أحدا خلف ظهره واستقبل المدينة وأقام الرماة عند الجبل وأمرهم أن يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين أو عليهم فلما أقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم * (اذ تحسونهم) أي تقتلونهم قتلا ذريعا * حتى اذا فشلتم والفشل الجبن وضعف الرأي وتنازعتم فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا ههنا وقال بعضهم لا نخالف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ثبت مكانه عبد الله بن جبير أمير الرماة في نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله ومنكم من يريد الآخرة ونفر أعقابهم ينهبون وهم الذين أرادوا الدنيا فكر المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير رضي الله عنه وأقبلوا على المسلمين وحالت الريح دبورا وكانت صبا حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله (ثم صرفكم عنهم ليبتليكم) ليمتحن صبركم على المصائب وثباتكم على الايمان عندها (ولقد عفا عنكم) لما علم من ندمكم على ما فرط منكم من عصيان أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم (والله ذو فضل على المؤمنين) يتفضل عليهم بالعفو أو هو متفضل عليهم في جميع الاحوال سواء أديل لهم أو أديل عليهم لان الابتلاء رحمة كما أن النصرة رحمة (فان قلت) أين متعلق حتى اذا (قلت) محذوف تقديره حتى اذا فشلتم منعكم نصره ويجوز أن يكون المعنى صدقكم الله وعده الى وقت فشلكم (اذ تصعدون) نصب بصرفكم أو بقوله ليبتليكم أو باضمار اذكر والاصعاد الذهاب في الارض والابعاد فيه يقال صعد في الجبل وأصعد في الارض يقال أصعدنا من مكة الى المدينة وقرأ الحسن رضي الله عنه تصعدون يعني في الجبل وتعضد الاولى قراءة أبي اذ تصعدون في الوادي وقرأ أبو حيوة تصعدون بفتح التاء وتشديد العين من تصعد في السلم * وقرأ الحسن رضي الله عنه تلون بواو واحدة وقد ذكرنا وجهها وقرئ يصعدون ويلوون بالياء (والرسول يدعوكم) كان يقول الى عباد الله أنا رسول الله من يكر فله الجنة (في أخراكم) في ساقتكم وجماعتكم الاخرى وهي المتأخرة يقال جئت في آخر الناس وأخراهم كما تقول في أولهم وأولاهم بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الاولى (فأثابكم) عطف على صرفكم أي فجازاكم الله (غما) حين صرفكم عنهم وابتلاكم (ب) سبب (غم) أذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له أو غما مضاعفا غما بعد غم وغما متصلا بغم من الاغتمام بما أرجف به من قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر (لكيلا تحزنوا) لتتمرنوا على تجرع الغموم وتضروا باحتمال الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب من المضار ويجوز أن يكون الضمير في فأثابكم للرسول أي فآساكم في الاغتمام وكما غمكم ما نزل به من كسر الرباعية والشجة وغيرهما غمه ما نزل بكم فأثابكم غما اغتمه لاجلكم بسبب غم اغتممتموه لاجله ولم يثربكم على عصيانكم ومخالفتكم لامره وانما فعل ذلك ليسليكم وينفس عنكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله ولا على ما أصابكم من غلبة العدو * وأنزل الله الامن على المؤمنين وأزال عنهم الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم وعن أبي طلحة رضي الله عنه غشينا النعاس ونحن في مصافنا فكان السيف يسقط من يد أحدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه وما أحد الا ويميل تحت جحفته وعن ابن الزبير رضي الله عنه لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد علينا الخوف فأرسل الله علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا والامنة الامن وقرئ أمنة بسكون الميم كأنها المرة من الامن و(نعاسا) بدل من أمنة ويجوز أن يكون هو المفعول وأمنة حالا منه مقدمة عليه كقولك رأيت راكبا رجلا أو مفعولا له بمعنى نعستم أمنة ويجوز أن يكون حالا من المخاطبين بمعنى ذوي أمنة أو على أنه جمع آمن كبار وبررة (يغشى) قرئ بالياء والتاء ردا على النعاس أو على الامنة (طائفة منكم)

هم أهل الصدق واليقين (وطائفة) هم المنافقون (قد أهمتهم أنفسهم) ما بهم الا همّ أنفسهم لا همّ الدين ولا همّ الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين أو قد أوقعتهم أنفسهم وما حل بهم في الهموم والأشجان فهم في التشاكي والتباث (غير الحق) في حكم المصدر ومعناه يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب أن يظن به و(ظن الجاهلية) بدل منه ويجوز أن يكون المعنى يظنون بالله ظن الجاهلية وغير الحق تأكيد ليظنون كقولك هذا القول غير ما تقول وهذا القول لا قولك وظن الجاهلية كقولك حاتم الجود ورجل صدق يريد الظن المختص بالملة الجاهلية ويجوز أن يراد ظن أهل الجاهلية أي لا يظن مثل ذلك الظن الا أهل الشرك الجاهلون بالله (يقولون) لرسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه (هل لنا من الامر من شيء) معناه هل لنا معاشر المسلمين من امر الله نصيب قط يعنون النصر والاظهار على العدو (قل ان الامر كله لله) ولاوليائه المؤمنين وهو النصر والغلبة كتب الله لأغلبن أنا ورسلي وان جندنا لهم الغالبون (يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك) معناه يقولون لك فيما يظهرون هل لنا من الامر من شيء سؤال المؤمنين المسترشدين وهم فيما يبطنون على النفاق (يقولون) في أنفسهم أو بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم ان الامر كله لله (لو كان لنا من الامر شيء) أي لو كان الامر كما قال محمد ان الامر كله لله ولاوليائه وانهم الغالبون لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة (قل لو كنتم في بيوتكم) يعني من علم الله منه أنه يقتل ويصرع في هذه المصارع وكتب ذلك في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم (لبرز) من بينكم (الذين) علم الله أنهم يقتلون (الى مضاجعهم) وهي مصارعهم ليكون ما علم الله أنه يكون والمعنى أن الله كتب في اللوح قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك أنهم الغالبون لعلمه أن العاقبة في الغلبة لهم وأن دين الاسلام يظهر على الدين كله وأن ما ينكبون به في بعض الاوقات تمحيص لهم وترغيب في الشهادة وحرصهم على الشهادة مما يحرضهم على الجهاد فتحصل الغلبة وقيل معناه هل لنا من التدبير من شيء يعنون لم نملك شيأ من التدبير حيث خرجنا من المدينة الى أحد وكان علينا أن نقيم ولا نبرح كما كان رأى عبد الله ابن أبي وغيره ولو ملكنا من التدبير شيأ لما قتلنا في هذه المعركة قل ان التدبير كله لله يريد أن الله عز وجل قد دبر الامر كما جرى ولو أقمتم بالمدينة ولم تخرجوا من بيوتكم لما نجا من القتل من قتل منكم وقرئ كتب عليهم القتال وكتب عليهم القتل على البناء للفاعل ولبرّز بالتشديد وضم الباء (وليبتلي الله) وليمتحن ما في صدور المؤمنين من الاخلاص ويمحص ما في قلوبهم من وساوس الشيطان فعل ذلك أو فعل ذلك لمصالح جمة وللابتلاء والتمحيص (فان قلت) كيف مواقع الجمل التي بعد قوله وطائفة (قلت) قد أهمتهم صفة لطائفة ويظنون صفة أخرى أو حال بمعنى قد أهمتهم أنفسهم ظانين أو استئناف على وجه البيان للجملة قبلها ويقولون بدل من يظنون (فان قلت) كيف صح أن يقع ما هو مسئلة عن الامر بدلا من الاخبار بالظن (قلت) كانت مسئلتهم صادرة عن الظن فلذلك جاز ابداله منه ويخفون حال من يقولون وقل ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال ويقولون بدل من يخفون والاجود أن يكون استئنافا (استزلهم) طلب منهم الزلل ودعاهم اليه ببعض ما كسبوا من ذنوبهم ومعناه ان الذين انهزموا يوم أحد كان السبب في توليهم أنهم كانوا أطاعوا الشيطان فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعتهم التأييد وتقوية القلوب حتى تولوا وقيل استزلال الشيطان اياهم هو التولي وانما دعاهم اليه بذنوب قد تقدمت لهم لان الذنب يجر الى الذنب كما أن الطاعة تجر الى الطاعة وتكون لطفا فيها وقال الحسن رضي الله عنه استزلهم بقبول ما زين لهم من الهزيمة وقيل ببعض ما كسبوا هو تركهم المركز الذي أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثبات فيه فجرهم ذلك الى الهزيمة وقيل ذكرهم تلك الخطايا فكرهوا لقاء الله معها فأخروا الجهاد حتى يصلحوا أمرهم ويجاهدوا على حال مرضية (فان قلت) لم قيل ببعض ما كسبوا (قلت) هو كقوله تعالى ويعفو عن كثير (ولقد عفا الله عنهم) لتوبتهم واعتذارهم (ان الله غفور) للذنوب (حليم) لا يعاجل

وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شيء قل ان الامر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ها هنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا

قال أحمد ولاحظ هذا النظر في قوله تعالى عن الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء الآية فان هذا السؤال استفهام والاستفهام لا يتصف بما يتصف به الخبر من الصدق ونقيضه ومع ذلك ورد قوله تعالى في خطابهم أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين يعني في قولكم أتجعل فيها من يفسد فيها فأجرى استفهامهم مجرى الخبر لاستلزامه الاخبار بأن هذا النوع الانساني ليس بمعصوم عن الفساد وسفك الدماء الا من عصمه الله تعالى منهم والله أعلم

بالعقوبة (وقالوا لاخوانهم) أي لاجل اخوانهم كقوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ومعنى الاخوة اتفاق الجنس أو النسب (اذا ضربوا في الارض) اذا سافروا فيها وأبعدوا للتجارة اوغيرها (أو كانوا غزى) جمع غاز كعاف وعفى كقوله عفى الحياض أجون وقرئ بتخفيف الزاى على حذف التاء من غزاة (فان قلت) كيف قيل اذا ضربوا مع قالوا (قلت) هو على حكاية الحال الماضية كقولك حين يضربون في الارض (فان قلت) ما متعلق ليجعل (قلت) قالوا أي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون (حسرة في قلوبهم) على أن اللام مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا أو لا تكونوا بمعنى لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعله الله حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم (فان قلت) ما معنى اسناد الفعل الى الله تعالى (قلت) معناه أن الله عز وجل عند اعتقادهم ذلك المعتقد الفاسد يضع الغم والحسرة في قلوبهم وضيق صدورهم عقوبة فاعتقاده فعلهم وما يكون عنده من الغم والحسرة وضيق الصدور فعل الله عز وجل كقوله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء ويجوز أن يكون ذلك اشارة الى ما دل عليه النهي أي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم لان مخالفتكم فيما يقولون ويعتقدون ومضادتهم مما يغمهم ويغيظهم (والله يحيي ويميت) رد لقولهم أي الامر بيده قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد كما يشاء وعن خالد بن الوليد رضي الله عنه أنه قال عند موته ما في موضع شبر الا وفيه ضربة أو طعنة وها أنا ذا أموت كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء (والله بما تعملون بصير) فلا تكونوا مثلهم وقرئ بالياء يعني الذين كفروا (لمغفرة) جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط وكذلك لالى الله تحشرون كذب الكافرين أولا في زعمهم أن من سافر من اخوانهم أو غزا لو كان بالمدينة لما مات ونهى المسلمين عن ذلك لانه سبب التقاعد عن الجهاد ثم قال لهم ولئن تم عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت والقتل في سبيل الله فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في سبيل الله (خير مما تجمعون) من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وعن ابن عباس رضي الله عنهما خير من طلاع الارض ذهبة حمراء وقرئ بالياء أي يجمع الكفار (لالى الله تحشرون) لالى الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم الثواب تحشرون ولوقوع اسم الله تعالى هذا الموقع مع تقديمه وادخال اللام على الحرف المتصل به شأن ليس بالخفي * قرئ متم بضم الميم وكسرها من مات يموت ومات يمات * ما مزيدة للتوكيد والدلالة على أن لينه لهم ما كان الا برحمة من الله ونحوه فيما نقضهم ميثاقهم ومعناه ومعنى الرحمة ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم حتى أثابهم غما بغم وآساهم بالمباثة بعد ما خالفوه وعصوا أمره وانهزموا وتركوه (ولو كنت فظا) جافيا (غليظ القلب) قاسيه (لانفضوا من حولك) لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك أحد منهم (فاعف عنهم) فيما يختص بك (واستغفر لهم) فيما يختص بحق الله اتماما للشفقة عليهم (وشاورهم في الامر) يعني في أمر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي لتستظهر برأيهم ولما فيه من تطييب نفوسهم والرفع من اقدارهم وعن الحسن رضي الله عنه قد علم الله أنه ما به اليهم حاجة ولكنه أراد أن يستن به من بعده وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما تشاور قوم قط الا هدوا لارشد أمرهم وعن أبي هريرة رضي الله عنه ما رأيت أحدا أكثر مشاورة من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل كان سادات العرب اذا لم يشاوروا في الامر شق عليهم فأمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه لئلا يثقل عليهم استبداده بالرأي دونهم وقرئ وشاورهم في بعض الامر (فاذا عزمت) فاذا قطعت الرأي على شيء بعد الشورى (فتوكل على الله) في امضاء أمرك على الارشد الاصلح فان ما هو أصلح لك لا يعلمه الا الله لا أنت ولا من تشاور وقرئ فاذا عزمت بضم التاء بمعنى فاذا عزمت لك على شيء وأرشدتك اليه فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك أحدا (ان ينصركم الله) كما نصركم يوم بدر فلا أحد يغلبكم (وان يخذلكم) كما خذلكم يوم أحد (فمن ذا الذي ينصركم) فهذا تنبيه على أن الامر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه ونحوه ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده (من بعده) من بعد خذلانه أو هو من قولك ليس لك من يحسن اليك من بعد فلان تريد اذا جاوزته وقرأ عبيد الله بن عمير وان يخذلكم من أخذله اذا جعله مخذولا وفيه

وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ولئن متم أو قتلتم لالى الله تحشرون فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده

* قوله تعالى وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة (قال محمود فيه توجيهان (٢٢٣) أحدهما أن يكون ذلك تنزيها لرسول الله عليه الصلاة والسلام الخ) قال أحمد رحمه الله حمل الآية على الوجه الثاني يشهد له ورود هذه الصيغة كثيرا في النهي في أمثال قوله تعالى ما كان لنبي أن تكون له أسرى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين

ترغيب في الطاعة وفيما يستحقون به النصر من الله تعالى والتأييد وتحذير من المعصية ومما يستوجبون به العقوبة بالخذلان (وعلى الله) وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل والتفويض اليه لعلمهم أنه لا ناصر سواه ولان ايمانهم يوجب ذلك ويقتضيه * يقال غل شيأ من المغنم غلولا وأغل اغلالا اذا أخذه في خفية يقال أغل الجازر اذا سرق من اللحم شيأ مع الجلد والغل الحقد الكامن في الصدر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من بعثناه على عمل فغل شيأ جاء يوم القيامة يحمله على عنقه وقوله صلى الله عليه وسلم هدايا الولاة غلول ومنه ليس على المستعير غير المغل ضمان وعنه لا اغلال ولا اسلال ويقال أغله اذا وجده غالا كقولك أبخلته وأفحمته ومعنى (وما كان لنبي أن يغل) وما صح له ذلك يعني ان النبوة تنافي الغلول وكذلك من قرأ على البناء للمفعول فهو راجع الى معنى الاول لان معناه وما صح له ان يوجد غالا ولا يوجد غالا الا اذا كان غالا وفيه وجهان احدهما أن يبرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وينزه وينبه على عصمته بان النبوة والغلول متنافيان لئلا يظن به ظان شيأ منه وأن لا يستريب به أحد كما روي أن قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها وروي أنها نزلت في غنائم أحد حين ترك الرماة المركز وطلبوا الغنيمة وقالوا نخشى أن يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ شيأ فهو له وأن لا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ألم أعهد اليكم أن لا تتركوا المركز حتى يأتيكم أمري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال صلى الله عليه وسلم بل ظننتم أنا نغل ولا نقسم لكم والثاني أن يكون مبالغة في النهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما روي أنه بعث طلائع فغنمت غنائم فقسمها ولم يقسم للطلائع فنزلت يعني وما كان لنبي أن يعطي قوما ويمنع آخرين بل عليه أن يقسم بالسوية وسمى حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا لصورة الامر ولو قرئ أن يغل من أغل بمعنى غل لجاز (يأت بما غل يوم القيامة) يأت بالشيء الذي غله بعينه يحمله كما جاء في الحديث جاء يوم القيامة يحمله على عنقه وروي ألا لا أعرفن أحدكم يأتي ببعير له رغاء وببقرة لها خوار وبشاة لها ثغاء فينادي يا محمد يا محمد فأقول لا أملك لك من الله شيأ فقد بلغتك وعن بعض جفاة الاعراب انه سرق نافجة مسك فتليت عليه الآية فقال اذا أحملها طيبة الريح خفيفة المحمل ويجوز أن يراد يأت بما احتمل من وباله وتبعته واثمه (فان قلت) هلا قيل ثم يوفى ما كسب ليتصل به (قلت) جيء بعام دخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى وهو أبلغ وأثبت لانه اذا علم الغال أن كل كاسب خيرا أو شرا مجزى فموفى جزاءه علم أنه غير متخلص من تبعة مع عظم ما اكتسب (وهم لا يظلمون) أي يعدل بينهم في الجزاء كل جزاؤه على قدر كسبه (هم درجات) أي هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات كقوله

أنصب للمنية تعتريهم * رجالي أم هم درج السيول

وقيل ذوو درجات والمعنى تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين أو التفاوت بين الثواب والعقاب (والله بصير بما يعملون) عالم بأعمالهم ودرجاتها فيجازيهم على حسبها (لقد من الله على المؤمنين) على من آمن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه وخص المؤمنين منهم لانهم هم المنتفعون ببعثه (من أنفسهم) من جنسهم عربيا مثلهم وقيل من ولد اسمعيل كما أنهم من ولده (فان قلت) فما وجه المنة عليهم في أن كان من أنفسهم (قلت) اذا كان منهم كان اللسان واحدا فسهل أخذ ما يجب عليهم أخذه عنه وكانوا واقفين على أحواله في الصدق والامانة فكان ذلك أقرب لهم الى تصديقه والوثوق به وفي كونه من أنفسهم شرف لهم كقوله وانه لذكر لك ولقومك وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراءة فاطمة رضي الله عنها من أنفسهم أي من أشرفهم لان عدنان ذروة ولد اسمعيل ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان وخندف ذروة مضر ومدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وذروة قريش محمد صلى الله عليه وسلم وفيما خطب به أبو طالب في تزويج خديجة رضي الله عنها وقد حضر معه بنو هاشم ورؤساء مضر الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع

وعلى الله فليتوكل المؤمنون وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم

وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله الى غير ذلك على أن الزمخشري جاف في العبارة اذ يقول عبر عن الحرمان بالغلول تغليظا وتقبيحا وما كان له أن يعبر عن هذا المعنى بهذه العبارة فان عادة لطف الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم في التأديب أن يكون ممزوجا بغاية التخفيف والتعطف الا ترى الى قوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم قال بعض العلماء بدأه بالعفو قبل العتب ولو لم يبدأه بالعفو لانفطر قلبه صلى الله عليه وسلم

اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا
وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن أخي هذا محمد بن عبد الله من لا يوزن به فتى من قريش الارجح به وهو
والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل * وقرئ لمن من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم وفيه وجهان أن يراد لمن
من الله على المؤمنين منه أو بعثه اذ بعث فيهم فحذف لقيام الدلالة أو يكون اذ في محل الرفع كاذا في قولك
أخطب ما يكون الامير اذا كان قائما بمعنى لمن من الله على المؤمنين وقت بعثه (يتلوا عليهم آياته) بعدما كانوا
أهل جاهلية لم يطرق أسماعهم شئ من الوحي (ويزكيهم) ويطهرهم من دنس القلوب بالكفر ونجاسة سائر
الجوارح بملابسة المحرمات وسائر الخبائث وقيل ويأخذ منهم الزكاة (ويعلمهم الكتاب والحكمة) القرآن
والسنة بعدما كانوا أجهل الناس وأبعدهم من دراسة العلوم (وان كانوا من قبل) من قبل بعثة الرسول (لفي
ضلال) ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وتقديره وان الشأن والحديث كانوا
من قبل في ضلال (مبين) ظاهر لا شبهة فيه (أصابتكم مصيبة) يريد ما أصابهم يوم أحد من قتل سبعين منهم
(قد أصبتم مثليها) يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين * والناصب لما قلتم وأصابتكم في محل الجر باضافة لما اليه
وتقديره أقلتم حين أصابتكم و(أنى هذا) نصب لانه مقول والهمزة للتقرير والتقريع (فان قلت) علام
عطفت الواو هذه الجملة (قلت) على ما مضى من قصة أحد من قوله ولقد صدقكم الله وعده ويجوز أن تكون
معطوفة على محذوف كأنه قيل أفعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا أنى هذا من أين هذا كقوله تعالى أنى لك
هذا القوله (من عند أنفسكم) وقوله من عند الله والمعنى أنتم السبب فيما أصابكم لاختياركم الخروج من المدينة
أو لتخليتكم المركز وعن علي رضي الله عنه لاخذكم الفداء من أسارى بدر قبل أن يؤذن لكم (ان الله على كل شئ
قدير) فهو قادر على النصر وعلى منعه وعلى أن يصيب بكم تارة ويصيب منكم أخرى (وما أصابكم) يوم أحد يوم
التقى جمعكم وجمع المشركين (ف) هو كائن (باذن الله) أي بتخليته استعار الاذن لتخليته الكفار وأنه لم يمنعهم
منهم ليبتليهم لان الاذن مخل بين المأذون له ومراده (وليعلم) وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون وليظهر
ايمان هؤلاء ونفاق هؤلاء (وقيل لهم) من جملة الصلة عطف على نافقوا وانما لم يقل فقالوا لانه جواب لسؤال
اقتضاه دعاء المؤمنين لهم الى القتال كأنه قيل فماذا قالوا لهم فقيل قالوا لو نعلم ويجوز أن تقتصر الصلة على نافقوا
ويكون وقيل لهم كلاما مبتدأ قسم الامر عليهم بين أن يقاتلوا للآخرة كما يقاتل المؤمنون وبين أن يقاتلوا ان
لم يكن بهم غم الآخرة دفعا عن أنفسهم وأهليهم وأموالهم فأبوا القتال وجحدوا القدرة عليه رأسا لنفاقهم
ودغلهم وذلك ما روي أن عبد الله بن أبي انخزل مع حلفائه فقيل له فقال ذلك وقيل (أو ادفعوا) العدو
بتكثيركم سواد المجاهدين وان لم تقاتلوا لان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه وعن سهل بن سعد
الساعدي وقد كف بصره لو أمكنني لبعت داري ولحقت بثغر من ثغور المسلمين فكنت بينهم وبين عدوهم
قيل وكيف وقد ذهب بصرك قال لقوله أو ادفعوا أراد كثروا سوادهم ووجه آخر وهو أن يكون معنى قولهم
(لو نعلم قتالا) لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالا (لاتبعناكم) يعنون أن ما أنتم فيه لخطأ رأيكم وزللكم عن الصواب
ليس بشئ ولا يقال لمثله قتال انما هو القاء بالانفس الى التهلكة لان رأي عبد الله كان في الاقامة بالمدينة وما
كان يستصوب الخروج (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان) يعني أنهم قبل ذلك اليوم كانوا يتظاهرون
بالايمان وما ظهرت منهم أمارة تؤذن بكفرهم فلما انخزلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن
الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لاهل الكفر أقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم
سواد المسلمين بالانخزال تقوية للمشركين (يقولون بأفواههم) لا يتجاوز ايمانهم أفواههم ومخارج الحروف
منهم ولا تعي قلوبهم منه شيأ وذكر الافواه مع القلوب تصوير لنفاقهم وأن ايمانهم موجود في أفواههم معدوم
في قلوبهم خلاف صفة المؤمنين في مواطأة قلوبهم لافواههم (والله أعلم بما يكتمون) من النفاق وبما يجري
بعضهم مع بعض من ذم المؤمنين وتجهيلهم وتخطئة رأيهم والشماتة بهم وغير ذلك لانكم تعلمون بعض ذلك علما
مجملا بأمارات وأنا أعلم كله علم احاطة بتفاصيله وكيفياته (الذين قالوا) في اعرابه أوجه أن يكون نصبا على الذم

يتلوا عليهم آياته
ويزكيهم ويعلمهم
الكتاب والحكمة وان
كانوا من قبل لفي ضلال
مبين أولما أصابتكم
مصيبة قد أصبتم مثليها
قلتم أنى هذا قل هو
من عند أنفسكم ان
الله على كل شئ قدير
وما أصابكم يوم التقى
الجمعان فباذن الله وليعلم
المؤمنين وليعلم الذين
نافقوا وقيل لهم تعالوا
قاتلوا في سبيل الله
أو ادفعوا قالوا لو نعلم
قتالا لاتبعناكم هم
للكفر يومئذ أقرب
منهم للايمان يقولون
بأفواههم ما ليس في
قلوبهم والله أعلم بما
يكتمون الذين قالوا

* قوله تعالى قل فادرؤا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين (قال محمود ان قلت فقد كانوا صادقين في أنهم دفعوا الخ) قال أحمد السؤال المذكور انما يرد على معتزلي من مثله فانهم يعتقدون ان الموت قد يكون بحلول الاجل وقد يكون قبله وان المقتول لولا القتل لاستوفى أجله المكتوب له الزائد على ذلك فلاجرم ان الانسان على زعمهم يدفع عن نفسه العارض (٣٣٥) قبل حلول الاجل بتوقي الاسباب الموجبة لذلك فعلى ذلك ورد السؤال المذكور وأما أهل السنة فمعتقدهم ان كل ميت بأجله يموت ويقولون ان الخارجين الى القتال في المعركة لم يكن بد من موتهم في ذلك الوقت وان ذلك الحين هو وقت حينهم في علم الله عز وجل ايمانا بقوله تعالى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وتدلا لا كالمنافقين والموافقين لهم من المعتزلة في قولهم لو أطاعونا ما ماتوا ولعمري انهم في هذا المعتقد مقلدون لغيرهم وذلك في قوله أنا أحيي وأميت فان الاحمق ظن أنه يقتل ان شاء فيكون ذلك اماتة ويعفو عن القتل فيكون ذلك احياء وغاب عنه ان الذي عفا عن قتله انما حيي لاستيفاء الاجل الذي كتبه الله له وان الذي قتله انما مات لانه استوفى تلك الساعة أجله والله الموفق

لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرؤا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح

أو على الرد على الذين نافقوا أو رفعا على هم الذين قالوا أو على الابدال من واو يكتمون ويجوز أن يكون مجرورا بدلا من الضمير في بأفواههم أو قلوبهم كقوله * على جوده لضن بالماء حاتم * (لاخوانهم) لاجل اخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم أحد أو اخوانهم في النسب وفي سكنى الدار (وقعدوا) أي قالوا وقد قعدوا عن القتال لو أطاعنا اخواننا فيما أمرناهم به من القعود ووافقونا فيه لما قتلوا كما لم نقتل (قل فادرؤا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين) معناه قل ان كنتم صادقين في أنكم وجدتم الى دفع القتل سبيلا وهو القعود عن القتال فجدوا الى دفع الموت سبيلا يعني أن ذلك الدفع غير مغن عنكم لانكم ان دفعتم القتل الذي هو أحد أسباب الموت لم تقدروا على دفع سائر أسبابه المبثوثة ولا بد لكم من أن يتعلق بكم بعضها وروي انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا (فان قلت) فقد كانوا صادقين في أنهم دفعوا القتل عن أنفسهم بالقعود فما معنى قوله ان كنتم صادقين (قلت) معناه ان النجاة من القتل يجوز أن يكون سببها القعود عن القتال وأن يكون غيره لان أسباب النجاة كثيرة وقد يكون قتال الرجل سبب نجاته ولو لم يقاتل لقتل فما يدريكم أن سبب نجاتكم القعود وأنكم صادقون في مقالتكم وما أنكرتم أن يكون السبب غيره ووجه آخر ان كنتم صادقين في قولكم لو أطاعونا وقعدوا ما قتلوا يعني أنهم لو أطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين وقوله فادرؤا عن أنفسكم الموت استهزاء بهم أي ان كنتم رجالا دفاعين لاسباب الموت فادرؤا جميع أسبابه حتى لا تموتوا (ولا تحسبن) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد وقرئ بالياء على ولا يحسبن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ولا يحسبن حاسب ويجوز أن يكون (الذين قتلوا) فاعلا ويكون التقدير ولا يحسبنهم الذين قتلوا أمواتا أي ولا يحسبن الذين قتلوا أنفسهم أمواتا (فان قلت) كيف جاز حذف المفعول الاول (قلت) هو في الاصل مبتدأ فحذف كما حذف المبتدأ في قوله (أحياء) والمعنى هم أحياء لدلالة الكلام عليهما وقرئ ولا تحسبن بفتح السين وقتلوا بالتشديد وأحياء بالنصب على معنى بل احسبهم أحياء (عند ربهم) مقربون عنده ذوو زلفى كقوله فالذين عند ربك (يرزقون) مثل ما يرزق سائر الاحياء يأكلون ويشربون وهو تأكيد لكونهم أحياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله (فرحين بما آتاهم الله من فضله) وهو التوفيق في الشهادة وما ساق اليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم أحياء مقربين معجلا لهم رزق الجنة ونعيمها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لما أصيب اخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر تدور في أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش (ويستبشرون با) خوانهم المجاهدين (الذين لم يلحقوا بهم) أي لم يقتلوا فيلحقوا بهم (من خلفهم) يريد الذين من خلفهم قد بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم وقيل لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم (ألا خوف عليهم) بدل من الذين والمعنى ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو أنهم يبعثون آمنين يوم القيامة بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم على ازدياد الطاعة والجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء واصابة فضلهم واحماد لحال من يرى نفسه في خير فيتمنى مثله لاخوانه في الله وبشرى للمؤمنين بالفوز في المآب وكرر (يستبشرون) ليعلق به ما هو بيان لقوله ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون من ذكر النعمة والفضل وأن ذلك أجر لهم على ايمانهم يجب في عدل الله وحكمته أن يحصل لهم ولا يضيع * وقرئ وأن الله بالفتح عطفا على النعمة والفضل وبالكسر على الابتداء وعلى ان الجملة اعتراض وهي قراءة الكسائي وتعضدها قراءة عبد الله والله لا يضيع (الذين

استجابوا) مبتدأ خبره للذين أحسنوا أو صفة للمؤمنين أو نصب على المدح روى أن أبا سفيان وأصحابه لما
انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يرهبهم
ويريهم من نفسه وأصحابه قوة فندب أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان وقال لا يخرجن معنا أحد الا من
حضر يومنا بالامس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة
على ثمانية أميال وكان بأصحابه القرح فتحاملوا على أنفسهم حتى لا يفوتهم الاجر وألقى الله الرعب في قلوب
المشركين فذهبوا فنزلت * ومن في (للذين أحسنوا منهم) للتبيين مثلها في قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا
وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان الذين استجابوا لله والرسول قد أحسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم وعن عروة
ابن الزبير قالت لي عائشة رضي الله عنها ان أبويك لمن الذين استجابوا لله والرسول تعني أبا بكر والزبير (الذين
قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم) روى أن أبا سفيان نادى عند انصرافه من أحد يا محمد موعدنا موسم
بدر لقابل ان شئت فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان شاء الله فلما كان القابل خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى
نزل مر الظهران فألقى الله الرعب في قلبه فبدا له أن يرجع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال
يا نعيم اني واعدت محمدا أن نلتقي بموسم بدر وان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه
اللبن وقد بدا لي ولكن ان خرج محمد ولم أخرج زاده ذلك جراءة فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندي عشر من
الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا بالرأي أتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم أحد
الا شريد أفتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم فوالله لا يفلت منكم أحد وقيل مر بأبي سفيان
ركب من عبد القيس يريد المدينة للميرة فجعل لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوهم فكره المسلمون الخروج
فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي أحد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون
حسبنا الله ونعم الوكيل وقيل هي الكلمة التي قالها ابراهيم عليه السلام حين ألقي في النار حتى وافوا بدرا
وأقاموا بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها وأصابوا خيرا ثم انصرفوا الى المدينة سالمين غانمين ورجع
أبو سفيان الى مكة فسمى أهل مكة جيشه جيش السويق قالوا انما خرجتم لتشربوا السويق فالناس الاولون
المثبطون والآخرون أبو سفيان وأصحابه (فان قلت) كيف قيل الناس ان كان نعيم هو المثبط وحده
(قلت) قيل ذلك لانه من جنس الناس كما يقال فلان يركب الخيل ويلبس البرود وماله الا فرس واحد وبرد
فرد أو لانه حين قال ذلك لم يخل من ناس من أهل المدينة يضامونه ويصلون جناح كلامه ويثبطون مثل
تثبيطه (فان قلت) الام يرجع المستكن في (فزادهم) (قلت) الى المقول الذي هو ان الناس قد جمعوا لكم
فاخشوهم كأنه قيل قالوا لهم هذا الكلام فزادهم ايمانا أو الى مصدر قالوا كقولك من صدق كان خيرا له
أو الى الناس اذا أريد به نعيم وحده (فان قلت) كيف زادهم نعيم أو مقوله ايمانا (قلت) لما لم يسمعوا قوله
وأخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد وأظهروا حمية الاسلام كان ذلك أثبت ليقينهم وأقوى لاعتقادهم
كما يزداد الايقان بتناصر الحجج ولان خروجهم على أثر تثبيطه الى وجهة العدو طاعة عظيمة والطاعات من
جملة الايمان لان الايمان اعتقاد واقرار وعمل وعن ابن عمر قلنا يا رسول الله ان الايمان يزيد وينقص قال نعم
يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وعن عمر رضي الله عنه أنه كان يأخذ بيد
الرجل فيقول قم بنا نزدد ايمانا وعنه لو وزن ايمان أبي بكر بايمان هذه الامة لرجح به (حسبنا الله) محسبنا أي
كافينا يقال أحسبه الشيء اذا كفاه والدليل على أنه بمعنى المحسب أنك تقول هذا رجل حسبك فتصف به
النكرة لان اضافته لكونه في معنى اسم الفاعل غير حقيقية (ونعم الوكيل) ونعم الموكول اليه هو (فانقلبوا)
فرجعوا من بدر (بنعمة من الله) وهي السلامة وحذر العدو منهم (وفضل) وهو الربح في التجارة كقوله ليس
عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم (لم يمسسهم سوء) لم يلقوا ما يسوءهم من كيد عدو (واتبعوا رضوان الله)
بجراءتهم وخروجهم (والله ذو فضل عظيم) قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا وفي ذلك تحسير لمن تخلف عنهم
واظهار لخطأ رأيهم حيث حرموا أنفسهم ما فاز به هؤلاء وروى أنهم قالوا هل يكون هذا غزوا فأعطاهم الله

للذين أحسنوا منهم
واتقوا أجر عظيم الذين
قال لهم الناس ان
الناس قد جمعوا لكم
فاخشوهم فزادهم
ايمانا وقالوا حسبنا الله
ونعم الوكيل فانقلبوا
بنعمة من الله وفضل لم
يمسسهم سوء واتبعوا
رضوان الله والله ذو
فضل عظيم انما ذلكم

ثواب

ثواب الغزو ورضى عنهم (الشيطان) خبر ذلكم بمعنى انما ذلكم المثبط هو الشيطان ويخوف أولياءه جملة مستأنفة بيان لشيطنته أو الشيطان صفة لاسم الاشارة ويخوف الخبر والمراد بالشيطان نعيم أو أبو سفيان ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف بمعنى انما ذلكم قول الشيطان أى قول ابليس لعنه الله (يخوف أولياءه) يخوفكم أولياءه الذين هم أبو سفيان وأصحابه وتدل عليه قراءة ابن عباس وابن مسعود يخوفكم أولياءه وقوله فلا تخافوهم وقيل يخوف أولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (فان قلت) فالام يرجع الضمير فى (فلا تخافوهم) على هذا التفسير (قلت) الى الناس فى قوله ان الناس قد جمعوا لكم فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا (وخافون) فجاهدوا مع رسولى وسارعوا الى ما يأمركم به (ان كنتم مؤمنين) يعنى أن الايمان يقتضى أن تؤثروا خوف الله على خوف الناس ولا يخشون أحدا الا الله (يسارعون فى الكفر) يقعون فيه سريعا ويرغبون فيه أشد رغبة وهم الذين نافقوا من المتخلفين وقيل هم قوم ارتدوا عن الاسلام (فان قلت) فما معنى قوله ولا يحزنك ومن حق الرسول أن يحزن لنفاق من نافق وارتداد من ارتد (قلت) معناه لا يحزنوك لخوف أن يضروك ويعينوا عليك ألا ترى الى قوله (انهم لن يضروا الله شيأ) يعنى أنهم لا يضرون بمسارعتهم فى الكفر غير أنفسهم وما وبال ذلك عائدا على غيرهم * ثم بين كيف يعود وباله عليهم بقوله (يريد الله أن لا يجعل لهم حظا فى الآخرة) أى نصيبا من الثواب (ولهم) بدل الثواب (عذاب عظيم) وذلك أبلغ ما ضرّ به الانسان نفسه (فان قلت) هلا قيل لا يجعل الله لهم حظا فى الآخرة وأى فائدة فى ذكر الارادة (قلت) فائدته الاشعار بأن الداعى الى حرمانهم وتعذيبهم قد خلص خلوصا لم يبق معه صارف قط حين سارعوا فى الكفر تنبيها على تماديهم فى الطغيان وبلوغهم الغاية فيه حتى ان أرحم الراحمين يريد أن لا يرحمهم (ان الذين اشتروا الكفر بالايمان) اما أن يكون تكريرا لذكرهم للتأكيد والتسجيل عليهم بما أضاف اليهم واما أن يكون عاما للكفار والاوّل خاصا فيمن نافق من المتخلفين أو ارتد عن الاسلام أو على العكس و(شيأ) نصب على المصدر لان المعنى شيأ من الضرر وبعض الضرر (الذين كفروا) فيمن قرأ بالتاء نصب و(انما نملى لهم خير لانفسهم) بدل منه أى ولا تحسبن أن ما نملى للكافرين خير لهم وأن مع ما فى حيزه ينوب عن المفعولين كقوله أم تحسب أن أكثرهم يسمعون وما مصدرية بمعنى ولا تحسبن أن املاءنا خير وكان حقها فى قياس علم الخط أن تكتب مفصولة ولكنها وقعت فى الامام متصلة فلا يخالف وتتبع سنة الامام فى خط المصاحف (فان قلت) كيف صح مجىء البدل ولم يذكر الا أحد المفعولين ولا يجوز الاقتصار بفعل الحسبان على مفعول واحد (قلت) صح ذلك من حيث ان التعويل على البدل والمبدل منه فى حكم المنحى ألا تراك تقول جعلت متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع سكوتك على متاعك ويجوز أن يقدر مضاف محذوف على ولا تحسبن الذين كفروا أصحاب أن الاملاء خير لانفسهم أو ولا تحسبن حال الذين كفروا أن الاملاء خير لانفسهم وهو فيمن قرأ بالياء رفع والفعل متعلق بأن وما فى حيزه والاملاء لهم تخليتهم وشأنهم مستعار من أملى لفرسه اذا أرخى له الطول ليرعى كيف شاء وقيل هو امهالهم واطالة عمرهم والمعنى ولا تحسبن أن الاملاء خير لهم من منعهم أو قطع آجالهم (انما نملى لهم) ما هذه حقها أن تكتب متصلة لانها كافة دون الاولى وهذه جملة مستأنفة تعليل للجملة قبلها كأنه قيل ما بالهم لا يحسبون الاملاء خيرا لهم فقيل انما نملى لهم ليزدادوا اثما (فان قلت) كيف جاز أن يكون ازدياد الاثم غرضا لله تعالى فى املائه لهم (قلت) هو علة للاملاء وما كل علة بغرض ألا تراك تقول قعدت عن الغزو للعجز والفاقة وخرجت من البلد لمخافة الشر وليس شىء منها بغرض لك وانما هى علل وأسباب فكذلك ازدياد الاثم جعل علة للامهال وسببا فيه (فان قلت) كيف يكون ازدياد الاثم علة للاملاء كما كان العجز علة للقعود عن الحرب (قلت) لما كان فى علم الله المحيط بكل شىء أنهم مزدادون اثما فكان الاملاء وقع من أجله وبسببه على طريق المجاز * وقرأ يحيى بن وثاب بكسر الاولى وفتح الثانية ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا أن املاءنا لازدياد الاثم كما يفعلون وانما هو ليتوبوا ويدخلوا فى الايمان وقوله انما نملى لهم خير لانفسهم اعتراض بين الفعل ومعموله ومعناه أن املاءنا

الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر انهم لن يضروا الله شيأ يريد الله ألا يجعل لهم حظا فى الآخرة ولهم عذاب عظيم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيأ ولهم عذاب أليم ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما

---

* قوله تعالى ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما (قال محمود ان قلت كيف جاز أن يكون ازدياد الاثم غرضا لله تعالى فى املائه لهم الخ) قال أحمد بن الزمخشرى هذا الجواز على شفا جرف هار فانهار لان معتقده ان الاثم الواقع منهم ليس مرادا لله تعالى بل هو واقع على خلاف الارادة الربانية فلما وردت الآية مشعرة بأن ازدياد الاثم مراد لله تعالى اشعارا لا يقبل التأويل أخذ يعمل الحيلة فى وجه من التعطيل التزاما لاعتقاده الفاسد وضربا فى حديد بارد فجعل ازدياد الاثم سببا وليس بغرض

خيرلأنفسهم ان عملوا فيه وعرفوا انعام الله عليهم بتفسيح المدة وترك المعاجلة بالعقوبة (فان قلت) فما معنى
قوله (ولهم عذاب مهين) على هذه القراءة (قلت) معناه ولا تحسبوا أن املاءنا لزيادة الاثم وللتعذيب والواو
للحال كأنه قيل ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين * اللام لتأكيد النفي (على ما أنتم عليه) من اختلاط
المؤمنين الخلص والمنافقين (حتى يميز الخبيث من الطيب) حتى يعزل المنافق عن المخلص وقرئ يميز من ميز
وفي رواية عن ابن كثير يميز من أماز بمعنى ميز (فان قلت) لمن الخطاب في أنتم (قلت) للمصدقين جميعا من أهل
الاخلاص والنفاق كأنه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي أنتم عليها من اختلاط بعضكم
ببعض وأنه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعا حتى يميزهم منكم بالوحي الى نبيه
واخباره بأحوالكم ثم قال (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) أي وما كان الله ليؤتي أحدا منكم علم الغيوب فلا
تتوهموا عند اخبار الرسول عليه الصلاة والسلام بنفاق الرجل واخلاص الآخر أنه يطلع على ما في القلوب
اطلاع الله فيخبر عن كفرها وايمانها (ولكن الله) يرسل الرسول فيوحي اليه ويخبره بأن في الغيب كذا وأن
فلانا في قلبه النفاق وفلانا في قلبه الاخلاص فيعلم ذلك من جهة اخبار الله لا من جهة اطلاعه على المغيبات
ويجوز أن يراد لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بأن يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر
عليها الا الخلص الذين امتحن الله قلوبهم كبذل الارواح في الجهاد وانفاق الاموال في سبيل الله فيجعل ذلك
عيارا على عقائدكم وشاهدا بضمائركم حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض من طريق الاستدلال لا من جهة
الوقوف على ذات الصدور والاطلاع عليها فان ذلك مما استأثر الله به وما كان الله ليطلع أحدا منكم على الغيب
ومضمرات القلوب حتى يعرف صحيحها من فاسدها مطلعا عليها ولكن الله (يجتبي من رسله من يشاء) فيخبره
ببعض المغيبات (فآمنوا بالله ورسله) بأن تقدروه حق قدره وتعلموه وحده مطلعا على الغيوب وأن
تنزلوهم منازلهم بأن تعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يخبرون الا بما أخبرهم الله به من
الغيوب وليسوا من علم الغيب في شيء وعن السدي قال الكافرون ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا
ومن يكفر فنزلت (ولا تحسبن) من قرأ بالتاء قدر مضافا محذوفا أي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم
وكذلك من قرأ بالياء وجعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله أو ضمير أحد ومن جعل فاعله الذين يبخلون كان
المفعول الاول عنده محذوفا تقديره ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم (هو خيرا لهم) والذي سوغ حذفه دلالة
يبخلون عليه وهو فصل وقرأ الاعمش بغير هو (سيطوقون) تفسير لقوله هو شر لهم أي سيلزمون وبال
ما بخلوا به الزام الطوق وفي أمثالهم تقلدها طوق الحمامة اذا جاء بهنة يسب بها ويذم وقيل يجعل ما بخل به من
الزكاة حية يطوقها في عنقه يوم القيامة تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر رأسه وتقول أنا مالك وعن النبي صلى
الله عليه وسلم في مانع الزكاة يطوق بشجاع أقرع وروى بشجاع أسود وعن النخعي سيطوقون بطوق من نار
(ولله ميراث السموات والارض) أي وله ما فيهما مما يتوارثه أهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه
بملكه ولا ينفقونه في سبيله ونحوه قوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه * وقرئ بما تعملون بالتاء والياء
فالتاء على طريقة الالتفات وهي أبلغ في الوعيد والياء على الظاهر * قال ذلك اليهود حين سمعوا قول الله
تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فلا يخلو اما ان يقولوه عن اعتقاد لذلك أو عن استهزاء بالقرآن
وأيهما كان فالكلمة عظيمة لا تصدر الا عن متمردين في كفرهم ومعنى سماع الله له أنه لم يخف عليه وأنه أعد
له كفاءه من العقاب (سنكتب ما قالوا) في صحائف الحفظة أو سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه كما يثبت
المكتوب (فان قلت) كيف قال لقد سمع الله ثم قال سنكتب وهلا قيل ولقد كتبنا (قلت) ذكر وجود السماع
أولا مؤكدا بالقسم ثم قال سنكتب على جهة الوعيد بمعنى لن يفوتنا أبدا اثباته وتدوينه كما لن يفوتنا قتلهم
الانبياء وجعل قتلهم الانبياء قرينة له ايذانا بأنهما في العظم أخوان وبأن هذا ليس بأول ما ركبوه من
العظائم وأنهم أصلاء في الكفر ولهم فيه سوابق وأن من قتل الانبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل
هذا القول وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب مع أبي بكر رضي الله عنه الى يهود بني قينقاع
يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلاة وايتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص اليهودي

ولهم عذاب مهين
ما كان الله ليذر المؤمنين
على ما أنتم عليه حتى
يميز الخبيث من الطيب
وما كان الله ليطلعكم
على الغيب ولكن الله
يجتبي من رسله من
يشاء فآمنوا بالله
ورسله وان تؤمنوا
وتتقوا فلكم أجر عظيم
ولا يحسبن الذين يبخلون
بما آتاهم الله من فضله
هو خيرا لهم بل هو شر
لهم سيطوقون ما بخلوا
به يوم القيامة ولله
ميراث السموات
والارض والله بما
تعملون خبير لقد سمع
الله قول الذين قالوا ان
الله فقير ونحن أغنياء
سنكتب ما قالوا وقتلهم
الانبياء بغير حق

ان الله فقير حين سألنا القرض فلطمه أبو بكر فى وجهه وقال لولا الذى بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت ونحوه قولهم يد الله مغلولة (ونقول لهم (ذوقوا) وننتقم منهم بأن نقول لهم يوم القيامة ذوقوا (عذاب الحريق) كما أذقتم المسلمين الغصص يقال للمنتقم منه أحس وذق وقال أبو سفيان لحمزة رضى الله عنه ذق عقق * وقرأ حمزة سيكتب بالياء على البناء للمفعول ويقول بالياء * وقرأ الحسن والاعرج سيكتب بالياء وتسمية الفاعل * وقرأ ابن مسعود ويقال ذوقوا (ذلك) اشارة الى ما تقدم من عقابهم * وذكر الايدى لان أكثر الاعمال تزاول بهن فجعل كل عمل كالواقع بالايدى على سبيل التغليب (فان قلت) فلم عطف قوله (وأن الله ليس بظلام للعبيد) على ما قدمت أيديكم وكيف جعل كونه غير ظلام للعبيد شريكا لاجترائهم السيئات فى استحقاق التعذيب (قلت) معنى كونه غير ظلام للعبيد أنه عادل عليهم ومن العدل أن يعاقب المسىء منهم ويثيب المحسن (عهد الينا) أمرنا فى التوراة وأوصانا بأن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه الآية الخاصة وهو أن يرينا قربانا تنزل نار من السماء فتأكله كما كان أنبياء بنى اسرائيل تلك آيتهم كان يقرب بالقربان فيقوم النبى فيدعو فتنزل نار من السماء فتأكله وهذه دعوى باطلة وافتراء على الله لان أكل النار القربان لم يوجب الايمان للرسول الآتى به الا لكونه آية ومعجزة فهو اذن وسائر الآيات سواء فلا يجوز أن يعينه الله من بين الآيات * وقد ألزمهم الله أن أنبياءهم جاؤهم بالبينات الكثيرة التى أوجبت عليهم التصديق وجاؤهم أيضا بهذه الآية التى اقترحوها فلم قتلوهم ان كانوا صادقين أن الايمان يلزمهم باتيانها * وقرئ بقربان بضمتين ونظيره السلطان (فان قلت) ما معنى قوله (وبالذى قلتم) (قلت) معناه وبمعنى الذى قلتموه من قولكم قربان تأكله النار ومؤداه كقوله ثم يعودون لما قالوا أى لمعنى ما قالوا * فى مصاحف أهل الشام وبالزبر وهى الصحف (والكتاب المنير) التوراة والانجيل والزبور وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه وتكذيب اليهود * وقرأ اليزيدى ذائقة الموت على الاصل وقرأ الاعمش ذائقة الموت بطرح التنوين مع النصب كقوله

* ولا ذاكر الله الا قليلا * (فان قلت) كيف اتصل به قوله (وانما توفون أجوركم) (قلت) اتصاله به على أن كلكم تموتون ولا بد لكم من الموت ولا توفون أجوركم على طاعاتكم ومعاصيكم عقيب موتكم وانما توفونها يوم قيامكم من القبور (فان قلت) فهذا يوهم نفى ما روى أن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار (قلت) كلمة التوفية تزيل هذا الوهم لان المعنى أن توفية الاجور وتكميلها يكون ذلك اليوم وما يكون قبل ذلك فبعض الاجور * الزحزحة التنحية والابعاد تكرير الزح وهو الجذب بعجلة (فقد فاز) فقد حصل له الفوز المطلق المتناول لكل ما يفاز به ولا غاية للفوز وراء النجاة من سخط الله والعذاب السرمد ونيل رضوان الله والنعيم المخلد اللهم وفقنا لما ندرك به عندك الفوز فى المآب وعن النبى صلى الله عليه وسلم من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو مؤمن بالله واليوم الآخر ويأتى الى الناس ما يحب أن يؤتى اليه وهذا شامل للمحافظة على حقوق الله وحقوق العباد * شبه الدنيا بالمتاع الذى يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته والشيطان هو المدلس الغرور وعن سعيد ابن جبير انما هذا لمن آثرها على الآخرة فأما من طلب الآخرة بها فانها متاع بلاغ * خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا أنفسهم على احتمال ما سيلقون من الاذى والشدائد والصبر عليها حتى اذا لقوها لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه والبلاء فى الانفس القتل والاسر والجراح وما يرد عليها من أنواع المخاوف والمصائب * وفى الاموال الانفاق فى سبيل الخير وما يقع فيها من الآفات * وما يسمعون من أهل الكتاب المطاعن فى الدين الحنيف وصد من أراد الايمان وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن الاشرف من هجائه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريض المشركين ومن فنحاص ومن بنى قريظة والنضير (فان ذلك) فان الصبر والتقوى (من عزم الامور) من معزومات الامور أى مما يجب العزم عليه من الامور أو مما عزم الله أن يكون يعنى أن ذلك عزمة من عزمات

ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد الذين قالوا ان الله عهد الينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور

---

* قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت الآية (قال محمود لان المعنى ان توفية الاجور وتكميلها يكون الخ) قال أحمد هذا كما ترى صريح فى اعتقاده حصول بعضها قبل يوم القيامة وهو المراد بما يكون فى القبر من نعيم وعذاب ولقد أحسن الزمخشرى فى مخالفة أصحابه فى هذه العقيدة فانهم يجحدون عذاب القبر وها هو قد اعترف به والله الموفق

الله لابد لكم أن تصبروا وتتقوا (واذ أخذ الله) واذكر وقت أخذ الله ميثاق أهل الكتاب (لتبيننه)
الضمير للكتاب أكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل اذا عزم عليه وقيل له
آلله لتفعلن (فنبذوه وراء ظهورهم) فنبذوا الميثاق وتأكيده عليهم يعني لم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء
الظهر مثل في الطرح وترك الاعتداد ونقيضه جعله نصب عينيه وألقاه بين عينيه وكفى به دليلا على أنه
مأخوذ على العلماء أن يبينوا الحق للناس وما علموه وأن لا يكتموا منه شيأ لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة
وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارهم أو لجر منفعة وحطام دنيا أو لتقية مما لا دليل عليه ولا أمارة أو لبخل
بالعلم وغيرة أن ينسب اليه غيرهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن أهله ألجم بلجام من نار وعن
طاوس أنه قال لوهب اني أرى الله سوف يعذبك بهذه الكتب وقال والله لو كنت نبيا فكتمت العلم كما تكتمه
لرأيت أن الله سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يحل لاحد من العلماء أن يسكت على علمه ولا يحل لجاهل أن
يسكت على جهله حتى يسأل وعن علي رضي الله عنه ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل
العلم أن يعلموا * وقرئ ليبيننه ولا يكتمونه بالياء لانهم غيب وبالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله وقضينا الى بني
اسرائيل في الكتاب لتفسدن (لا تحسبن) خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد المفعولين (الذين
يفرحون) والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تأكيد تقديره لا تحسبنهم فلا تحسبنهم فائزين * وقرئ لا تحسبن
فلا تحسبنهم بضم الباء على خطاب المؤمنين ولا يحسبن فلا يحسبنهم بالياء وفتح الباء فيهما على أن الفعل
للرسول وقرأ أبو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على أن الفعل للذين يفرحون والمفعول الاول
محذوف على لا يحسبنهم الذين يفرحون بمفازة بمعنى لا يحسبن أنفسهم الذين يفرحون فائزين وفلا يحسبنهم
تأكيد ومعنى (بما أتوا) بما فعلوا وأتى وجاء يستعملان بمعنى فعل قال الله تعالى انه كان وعده مأتيا لقد جئت شيأ
فريا ويدل عليه قراءة أبي يفرحون بما فعلوا وقرئ آتوا بمعنى أعطوا وعن علي رضي الله عنه بما أوتوا ومعنى
(بمفازة من العذاب) بنجاة منه روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شيء مما في التوراة
فكتموا الحق وأخبروه بخلافه وأروه أنهم قد صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا فأطلع الله رسوله على
ذلك وسلاه بما أنزل من وعيدهم أي لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون
أن تحمدهم بما لم يفعلوا من اخبارك بالصدق عما سألتهم عنه ناجين من العذاب ومعنى يفرحون بما أوتوا بما
أوتوه من علم التوراة وقيل يفرحون بما فعلوا من كتمان نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحبون أن يحمدوا
بما لم يفعلوا من اتباع دين ابراهيم حيث ادعوا أن ابراهيم كان على اليهودية وأنهم على دينه وقيل هم قوم
تخلفوا عن الغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قفل اعتذروا اليه بأنهم رأوا المصلحة في التخلف
واستحمدوا اليه بترك الخروج وقيل هم المنافقون يفرحون بما أتوا من اظهار الايمان للمسلمين ومنافقتهم
وتوصلهم بذلك الى أغراضهم ويستحمدون اليهم بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة لابطانهم الكفر ويجوز
أن يكون شاملا لكل من يأتي بحسنة فيفرح بها فرح اعجاب ويحب أن يحمده الناس ويثنوا عليه بالديانة
والزهد بما ليس فيه (ولله ملك السموات والارض) فهو يملك أمرهم وهو على كل شيء قدير فهو يقدر على
عقابهم (لآيات) لادلة واضحة على الصانع وعظيم قدرته وباهر حكمته (لاولي الالباب) للذين يفتحون
بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار ولا ينظرون اليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب الفطر وفي
النصائح الصغار املأ عينيك من زينة هذه الكواكب وأجلها في جملة هذه العجائب متفكرا في قدرة
مقدرها متدبرا حكمة مدبرها قبل أن يسافر بك القدر ويحال بينك وبين النظر وعن ابن عمر رضي الله عنهما
قلت لعائشة رضي الله عنها أخبريني بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وأطالت ثم قالت
كل أمره عجب أتاني في ليلتي فدخل في لحافي حتى ألصق جلده بجلدي ثم قال يا عائشة هل لك أن تأذني لي
الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لاحب قربك وأحب هواك قد أذنت لك فقام الى قربة من ماء في
البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن فجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس

واذ أخذ الله ميثاق
الذين أوتوا الكتاب
لتبيننه للناس ولا
تكتمونه فنبذوه وراء
ظهورهم واشتروا به
ثمنا قليلا فبئس ما
يشترون لا تحسبن
الذين يفرحون بما أتوا
ويحبون أن يحمدوا بما
لم يفعلوا فلا تحسبنهم
بمفازة من العذاب ولهم
عذاب أليم ولله ملك
السموات والارض
والله على كل شيء قدير
ان في خلق السموات
والارض واختلاف
الليل والنهار لآيات
لاولي الالباب

الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان

فحمد الله وأثنى عليه وجعل يبكى ثم رفع يديه فجعل يبكى حتى رأيت دموعه قد بلت الارض فأتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكى فقال له يارسول الله أتبكى وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر فقال يابلال أفلا أكون عبدا شكورا ثم قال ومالى لا أبكى وقد أنزل الله على فى هذه الليلة ان فى خلق السموات والارض ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وروى ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأملها وعن على رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان فى خلق السموات والارض وحكى أن الرجل من بنى اسرائيل كان اذا عبد الله ثلاثين سنة أظلته سحابة فعبدها فتى من فتيانهم فلم تظله فقالت له أمه لعل فرطة فرطت منك فى مدتك فقال ما أذكر قالت لعلك نظرت مرة الى السماء ولم تعتبر قال لعل قالت فما أتيت الا من ذلك (الذين يذكرون الله) ذكرا دائما على أى حال كانوا من قيام وقعود واضطجاع لا يخلون بالذكر فى أغلب أحوالهم وعن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة أنهم خرجوا يوم العيد الى المصلى فجعلوا يذكرون الله فقال بعضهم أما قال الله تعالى يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون الله على أقدامهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون فى هذه الاحوال على حسب استطاعتهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمران بن الحصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومئ ايماء وهذه حجة الشافعى رحمه الله فى اضطجاع المريض على جنبه كما فى اللحد وعند أبى حنيفة رحمه الله أنه يستلقى حتى اذا وجد خفة قعد ومحل (على جنوبهم) نصب على الحال عطفا على ماقبله كأنه قيل قياما وقعودا ومضطجعين (ويتفكرون فى خلق السموات والارض) ومايدل عليه اختراع هذه الاجرام العظام وابداع صنعتها ومادبر فيها مما تكل الافهام عن ادراك بعض عجائبه على عظم شأن الصانع وكبرياء سلطانه وعن سفيان الثورى أنه صلى خلف المقام ركعتين ثم رفع رأسه الى السماء فلما رأى الكواكب غشى عليه وكان يبول الدم من طول حزنه وفكرته وعن النبى صلى الله عليه وسلم بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى النجوم والى السماء فقال أشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لى فنظر الله اليه فغفر له وقال النبى صلى الله عليه وسلم لاعبادة كالتفكر وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النبات وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم لاتفضلونى على يونس بن متى فانه كان يرفع له فى كل يوم مثل عمل أهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر فى أمر الله الذى هو عمل القلب لان أحدا لايقدر أن يعمل بجوارحه فى اليوم مثل عمل أهل الارض (ماخلقت هذا باطلا) على ارادة القول أى يقولون ذلك وهو فى محل الحال بمعنى يتفكرون قائلين والمعنى ماخلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لداعى حكمة عظيمة وهو أن تجعلها مساكن للمكلفين وأدلة لهم على معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك ولذلك وصل به قوله (فقنا عذاب النار) لانه جزاء من عصى ولم يطع (فان قلت) هذا اشارة الى ماذا (قلت) الى الخلق على أن المراد به المخلوق كأنه قيل ويتفكرون فى مخلوق السموات والارض أى فيما خلق منها ويجوز أن يكون اشارة الى السموات والارض لانها فى معنى المخلوق كأنه قيل ماخلقت هذا المخلوق العجيب باطلا وفى هذا ضرب من التعظيم كقوله ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويجوز أن يكون باطلا حالا من هذا * وسبحانك اعتراض للتنزيه من العبث وأن يخلق شيأ بغير حكمة (فقد أخزيته) فقد أبلغت فى اخزائه وهو نظير قوله فقد فاز ونحوه فى كلامهم من أدرك مرعى الصمان فقد أدرك ومن سبق فلانا فقد سبق (وما للظالمين) اللام اشارة الى من يدخل النار واعلام بأن من يدخل النار فلا ناصر له بشفاعة ولا غيرها * تقول سمعت رجلا يقول كذا وسمعت زيدا يتكلم فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع لانك وصفته بما يسمع أو جعلته حالا عنه فأغناك عن ذكره ولولا الوصف أو الحال لم يكن منه بد وأن يقال سمعت كلام فلان أو قوله (فان قلت) فأى فائدة فى الجمع بين المنادى وينادى (قلت) ذكر النداء مطلقا ثم مقيدا بالايمان تفخيما لشأن المنادى لانه لا منادى أعظم من مناد ينادى للايمان ونحوه قولك مررت بهاد يهدى للاسلام وذلك أن المنادى اذا أطلق ذهب الوهم الى مناد للحرب أو لاطفاء النائرة

أو لاغاثة المكروب أو لكفاية بعض النوازل أو لبعض المنافع وكذلك الهادى قد يطلق على من يهدى
للطريق ويهدى لسداد الرأى وغير ذلك فاذا قلت ينادى للايمان ويهدى للاسلام فقد رفعت من شأن المنادى
والهادى وفخمته ويقال دعاه لكذا والى كذا وندبه له واليه وناداه له واليه ونحوه هداه للطريق واليه وذلك
أن معنى انتهاء الغاية ومعنى الاختصاص واقعان جميعا والمنادى هو الرسول أدعو الى الله ادع الى سبيل ربك
وعن محمد بن كعب القرآن (أن آمنوا) أى آمنوا أو بأن آمنوا (ذنوبنا) كبائرنا (سيآتنا) صغائرنا (مع
الابرار) مخصوصين بصحبتهم معدودين فى جملتهم والابرار جمع برّ أو بارّ كرب وأرباب وصاحب وأصحاب (على
رسلك) على هذه صلة للوعد كما فى قولك وعد الله الجنة على الطاعة والمعنى ماوعدتنا على تصديق رسلك ألا
تراه كيف اتبع ذكر المنادى للايمان وهو الرسول وقوله آمنا وهو التصديق ويجوز أن يكون متعلقا بمحذوف
أى ماوعدتنا منزلا على رسلك أو محمولا على رسلك لان الرسل محملون ذلك فانما عليهم ماحملوا وقيل على ألسنة
رسلك والموعود هو الثواب وقيل النصرة على الاعداء (فان قلت) كيف دعوا الله بانجاز ماوعد والله لايخلف
الميعاد (قلت) معناه طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم أسباب انجاز الميعاد أو هو باب من اللجأ الى الله والخضوع
له كما كان الانبياء عليهم الصلاة والسلام يستغفرون مع علمهم أنهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم
والتضرع اليه واللجأ الذى هو سيما العبودية * يقال استجاب له واستجابه * فلم يستجبه عند ذاك مجيب * (انى
لاأضيع) قرئ بالفتح على حذف الباء وبالكسر على ارادة القول وقرئ لاأضيّع بالتشديد (من ذكر أو أنثى)
بيان لعامل (بعضكم من بعض) أى يجمع ذكوركم وإناثكم أصل واحد فكل واحد منكم من الآخر أى من
أصله أو كأنه منه لفرط اتصالكم واتحادكم وقيل المراد وصلة الاسلام وهذه جملة معترضة بينت بها شركة
النساء مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين وروى أن أم سلمة قالت يارسول الله انى أسمع الله تعالى يذكر
الرجال فى الهجرة ولايذكر النساء فنزلت (فالذين هاجروا) تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له
والتفخيم كأنه قال فالذين عملوا هذه الاعمال السنية الفائقة وهى المهاجرة عن أوطانهم فارين الى الله
بدينهم من دار الفتنة واضطروا الى الخروج من ديارهم التى ولدوا فيها ونشؤا بما ساءهم المشركون من
الخسف (وأوذوا فى سبيلى) من أجله وبسببه يريد سبيل الدين (وقاتلوا وقتلوا) وغزوا المشركين واستشهدوا
وقرئ وقتّلوا بالتشديد وقتلوا وقاتلوا على التقديم بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقتلوا على بناء الاول للفاعل
والثانى للمفعول وقتلوا وقاتلوا على بنائهما للفاعل (ثوابا) فى موضع المصدر المؤكد بمعنى اثابة أو تثويبا (من عند
الله) لان قوله لاكفرن عنهم ولادخلنهم فى معنى لاثيبنهم وعنده مثل أى يختص به وبقدرته وفضله لايثيبه
غيره ولايقدر عليه كما يقول الرجل عندى ماتريد يريد اختصاصه به وبملكه وان لم يكن بحضرته وهذا تعليم من
الله كيف يدعى وكيف يبتهل اليه ويتضرع * وتكرير ربنا من باب الابتهال واعلام بما يوجب حسن الاجابة
وحسن الاثابة من احتمال المشاق فى دين الله والصبر على صعوبة تكاليفه وقطع لاطماع الكسالى المتمنين
عليه وتسجيل على من لايرى الثواب موصولا اليه بالعمل بالجهل والغباوة وروى عن جعفر الصادق رضى
الله عنه من حزبه أمر فقال خمس مرات ربنا أنجاه الله مما يخاف وأعطاه ماأراد وقرأ هذه الآية وعن الحسن
حكى الله عنهم أنهم قالوا خمس مرات ربنا ثم أخبر أنه استجاب لهم الا أنه أتبع ذلك رافع الدعاء ومايستجاب به
فلابد من تقديمه بين يدى الدعاء (لايغرنك) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد أى لاتنظر
الى ماهم عليه من سعة الرزق والمضطرب ودرك العاجل واصابة حظوظ الدنيا ولاتغترر بظاهر ماترى من
تبسطهم فى الارض وتصرفهم فى البلاد يتكسبون ويتجرون ويتدهقنون عن ابن عباس هم أهل مكة وقيل
هم اليهود وروى أن ناسا من المؤمنين كانوا يرون ماكانوا فيه من الخصب والرخاء ولين العيش فيقولون ان
أعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد (فان قلت) كيف جاز أن يغتر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بذلك حتى ينهى عن الاغترار به (قلت) فيه وجهان أحدهما أن مدرة القوم ومتقدمهم يخاطب
بشئ فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعا فكأنه قيل لايغرنكم والثانى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان

ان آمنوا بربكم فآمنا
ربنا فاغفر لنا ذنوبنا
وكفر عنا سيآتنا وتوفنا
مع الابرار ربنا وآتنا
ماوعدتنا على رسلك
ولاتخزنا يوم القيامة
انك لاتخلف الميعاد
فاستجاب لهم ربهم أنى
لاأضيع عمل عامل
منكم من ذكر أو أنثى
بعضكم من بعض فالذين
هاجروا وأخرجوا من
ديارهم وأوذوا فى سبيلى
وقاتلوا وقتلوا لاكفرن
عنهم سيآتهم
ولادخلنهم جنات
تجرى من تحتها الانهار
ثوابا من عند الله والله
عنده حسن الثواب
لايغرنك تقلب الذين
كفروا فى البلاد

﴿القول في سورة النساء﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها (قال محمود معناه فرعكم من أصل واحد وهو نفس آدم أبيكم وعلام عطف الخ) قال أحمد (٣٤٣) وانما قدر المحذوف فى الوجه الاول حيث جعل الخطاب عاما فى الجنس لانه لولا التقدير لكان قوله وبث منهما تكرارا لقوله خلقكم اذ مؤداهما واحد وليس على سبيل بيان الاول لانه معطوف

غير مغرور بحالهم فأكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه كقوله ولا تكن من الكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تطع المكذبين وهذا فى النهى نظير قوله فى الامر اهدنا الصراط المستقيم يا أيها الذين آمنوا آمنوا وقد جعل النهى فى الظاهر للتقلب وهو فى المعنى للمخاطب وهذا من تنزيل السبب منزلة المسبب لان التقلب لو غره لاغتر به فمنع السبب ليمتنع المسبب * وقرئ لا يغرنك بالنون الخفيفة (متاع قليل) خبر مبتدا محذوف أى ذلك متاع قليل وهو التقلب فى البلاد أراد قلته فى جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة أو فى جنب ما أعد الله للمؤمنين من الثواب أو أراد أنه قليل فى نفسه لانقضائه وكل زائل قليل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا فى الآخرة الا مثل ما يجعل أحدكم اصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع (وبئس المهاد) وساء ما مهدوا لانفسهم * النزل والنزل ما يقام للنازل قال أبو الشعر الضبي

وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا * جعلنا القنا والمرهفات له نزلا

وانتصابه اما على الحال من جنات لتخصصها بالوصف والعامل اللام ويجوز أن يكون بمعنى مصدر مؤكد كأنه قيل رزقا أو عطاء (من عند الله وما عند الله) من الكثير الدائم (خير للابرار) مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل وقرأ مسلمة بن محارب والاعمش نزلا بالسكون وقرأ يزيد بن القعقاع لكن الذين اتقوا بالتشديد (وان من أهل الكتاب) عن مجاهد نزلت فى عبد الله بن سلام وغيره من مسلمة أهل الكتاب وقيل فى أربعين من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فأسلموا وقيل فى أصحمة النجاشى ملك الحبشة ومعنى أصحمة عطية بالعربية وذلك أنه لما مات نعاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام أخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم فخرج الى البقيع ونظر الى أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشى وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلى على علج نصرانى لم يره قط وليس على دينه فنزلت ودخلت لام الابتداء على اسم ان لفصل الظرف بينهما كقوله وان منكم لمن ليبطئن (وما أنزل اليكم) من القرآن (وما أنزل اليهم) من الكتابين (خاشعين لله) حال من فاعل يؤمن لان من يؤمن فى معنى الجمع (لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا) كما يفعل من لم يسلم من أحبارهم وكبارهم (أولئك لهم أجرهم عند ربهم) أى ما يختص بهم من الاجر وهو ما وعدوه فى قوله أولئك يؤتون أجرهم مرتين ويؤتكم كفلين من رحمته (ان الله سريع الحساب) لنفوذ علمه فى كل شئ فهو عالم بما يستوجبه كل عامل من الاجر ويجوز أن يراد انما توعدون لآت قريب بعد ذكر الموعد (اصبروا) على الدين وتكاليفه (وصابروا) أعداء الله فى الجهاد أى غالبوهم فى الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا أقل صبرا منهم وثباتا * والمصابرة باب من الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه تخصيصا لشدته وصعوبته (ورابطوا) وأقيموا فى الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو وقال الله عز وجل ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبى صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة فى سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته الا لحاجة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة آل عمران أعطى بكل آية منها أمانا على جسر جهنم وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ السورة التى يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس

﴿سورة النساء مدنية وهى مائة وخمس وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يا أيها الناس) يا بنى آدم (خلقكم من نفس واحدة) فرعكم من أصل واحد وهو نفس آدم أبيكم (فان

متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون

(سورة النساء مدنية وهى مائة وخمس وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة

عليه حينئذ وأما وهو معطوف على المقدر فذلك المقدر واقع صفة مبينة والمعطوف عليه داخل فى حكم البيان فاستقام وأما الوجه الثانى فالتكرار فيه ليس بلازم اذ المخاطب بقوله خلقكم الذين بعث اليهم النبى عليه الصلاة والسلام وقوله وبث منهما واقع على من عدا المبعوث اليهم من الامم فلا حاجة للتقدير المذكور فى الوجه الثانى والله أعلم

وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا

قلت) علام عطف قوله (وخلق منها زوجها) (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يعطف على محذوف كأنه قيل من نفس واحدة أنشأها أو ابتدأها وخلق منها زوجها وانما حذف لدلالة المعنى عليه والمعنى شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها وهي أنه أنشأها من تراب وخلق زوجها حواء من ضلع من أضلاعها (وبث منهما) نوع جنس الانس وهما الذكور والاناث فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل بكيفية خلقهم منها والثاني أن يعطف على خلقكم ويكون الخطاب في يا أيها الناس للذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى خلقكم من نفس آدم لانهم من جملة الجنس المفرع منه وخلق منها أمكم حواء وبث منهما (رجالا كثيرا ونساء) غيركم من الامم الفائتة للحصر (فان قلت) الذي يقتضيه سداد نظم الكلام وجزالته أن يجاء عقيب الامر بالتقوى بما يوجبها أو يدعو اليها أو يبعث عليها فكيف كان خلقه اياهم من نفس واحدة على التفصيل الذي ذكره موجبا للتقوى وداعيا اليها (قلت) لان ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه كان قادرا على كل شئ ومن المقدورات عقاب العصاة فالنظر فيه يؤدي الى أن يتقي القادر عليه ويخشى عقابه ولانه يدل على النعمة السابغة عليهم فحقهم أن يتقوه في كفرانها والتفريط فيما يلزمهم من القيام بشكرها أو أراد بالتقوى تقوى خاصة وهي أن يتقوه فيما يتصل بحفظ الحقوق بينهم فلا يقطعوا ما يجب عليهم وصله فقيل اتقوا ربكم الذي وصل بينكم حيث جعلكم صنوانا مفرعة من أرومة واحدة فيما يجب على بعضكم لبعض فحافظوا عليه ولا تغفلوا عنه وهذا المعنى مطابق لمعاني السورة * وقرئ وخالق منها زوجها وباث منهما بلفظ اسم الفاعل وهو خبر مبتدا محذوف تقديره وهو خالق (تساءلون به) تتساءلون به فأدغمت التاء في السين وقرئ تساءلون بطرح التاء الثانية أي يسأل بعضكم بعضا بالله وبالرحم فيقول بالله وبالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف وأنشدك الله والرحم أو تسألون غيركم بالله والرحم فقيل تفاعلون موضع تفعلون للجمع كقولك رأيت الهلال وتراءيناه وتنصره قراءة من قرأ تسألون به مهموزا وغير مهموز * وقرئ والارحام بالحركات الثلاث فالنصب على وجهين اما على واتقوا الله والارحام أو أن يعطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وينصره قراءة ابن مسعود تسألون به وبالارحام والجر على عطف الظاهر على المضمر وليس بسديد لان الضمير المتصل متصل كاسمه والجار والمجرور كشئ واحد فكانا في قولك مررت به وزيد وهذا غلامه وزيد شديدي الاتصال فلما اشتد الاتصال لتكرره أشبه العطف على بعض الكلمة فلم يجز ووجب تكرير العامل كقولك مررت به وبزيد وهذا غلامه وغلام زيد ألا ترى الى صحة قولك رأيتك وزيدا ومررت بزيد وعمرو لما لم يقو الاتصال لانه لم يتكرر وقد تمحل لصحة هذه القراءة بأنها على تقدير تكرير الجار ونظيرها فما بك والايام من عجب والرفع على أنه مبتدأ خبره محذوف كأنه قيل والارحام كذلك على معنى والارحام مما يتقى أو والارحام مما يتساءل به والمعنى أنهم كانوا يقرون بأن لهم خالقا وكانوا يتساءلون بذكر الله والرحم فقيل لهم اتقوا الله الذي خلقكم واتقوا الذي تتناشدون به واتقوا الارحام فلا تقطعوها أو واتقوا الله الذي تتعاطفون باذكاره وباذكار الرحم وقد آذن عز وجل اذ قرن الارحام باسمه أن صلتها منه بمكان كما قال أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وعن الحسن اذا سألك بالله فأعطه واذا سألك بالرحم فأعطه والرحم حجنة عند العرش ومعناه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه الرحم معلقة بالعرش فاذا أتاها الواصل بشت به وكلمته واذا أتاها القاطع احتجبت منه وسئل ابن عيينة عن قوله عليه الصلاة والسلام تخيروا لنطفكم فقال يقول لاولادكم وذلك أن يضع ولده في الحلال ألم تسمع قوله تعالى واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام وأول صلته أن يختار له الموضع الحلال فلا يقطع رحمه ولا نسبه فانما للعاهر الحجر ثم يختار الصحة ويجتنب الدعوة ولا يضعه موضع سوء يتبع شهوته وهواه بغير هدى من الله اليتامى الذين مات آباؤهم فانفردوا عنهم واليتم الانفراد ومنه الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة وقيل اليتم في الاناسي من قبل الآباء وفي البهائم من قبل الامهات (فان قلت) كيف جمع اليتيم وهو فعيل كمريض على يتامى (قلت) فيه وجهان أن يجمع على يتمى كأسرى لان اليتم من وادي الآفات والاوجاع ثم يجمع فعلى على فعالى كأسارى ويجوز أن يجمع على فعائل لجري اليتيم مجرى

* قوله تعالى وآتوا اليتامى أموالهم (قال محمود اما أن يراد باليتامى الصغار الخ) قال أحمد والوجه الاول قوى يقويه بعد آيات وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم دل على ان الآية الاولى فى الحض على حفظها لهم ليؤتوها عند بلوغهم ورشدهم والثانية فى الحض على الايتاء الحقيقى عند حصول البلوغ والرشد ويقويه أيضا قوله عقيب الاولى ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم فهذا كله تأديب للوصى مادام المال بيده واليتيم فى حجره وأما على الوجه الآخر فيكون مؤدى الآيتين واحدا وهو الامر بالايتاء حقيقة ويخلص عن التكرار بان الاولى كالجملة والثانية كالمبينة لشرط الايتاء من البلوغ وايناس الرشد والله أعلم * قوله تعالى ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم (قال محمود معناه ولا تضموها الى اموالكم الخ) قال أحمد وأهل البيان يقولون المنهى متى كان درجات فطريق البلاغة النهى عن أدناها تنبيها على الاعلى كقوله تعالى فلا تقل لهما أف واذا اعتبرت هذا القانون بهذه الآية وجدته بادئ الرأى مخالفا لها اذ أعلى درجات أكل مال اليتيم فى النهى أن يأكله وهو غنى عنه (٢٤٥) وأدناها أن يأكله وهو فقير اليه فكان مقتضى القانون المذكور أن ينهى عن أكل مال اليتيم من هو فقير اليه حتى يلزم نهى الغنى عنه من طريق الاولى وحينئذ فلابد من تمهيد أمر يوضح فائدة تخصيص الصورة العليا بالنهى فى هذه الآية فنقول أبلغ الكلام ما تعددت وجوه افادته ولا شك ان النهى عن الادنى وان أفاد النهى عن الاعلى الا ان للنهى عن الاعلى أيضا فائدة أخرى جليلة لا تؤخذ من النهى عن الادنى وذلك ان المنهى كلما كان أقبح كانت النفس عنه أنفر والداعية اليه أبعد ولا شك ان المستقر فى النفوس ان أكل مال اليتيم مع الغنى عنه أقبح صور الاكل فخصص بالنهى تشنيعا على من يقع فيه حتى اذا استحكم نفوره من أكل ماله على هذه الصورة الشنعاء دعاه ذلك الى الاحجام عن أكل ماله مطلقا ففيه تدريب للمخاطب على النفور من المحارم ولا تكاد هذه الفائدة تحصل لو خصص النهى بأكله مع الفقر اذ ليست الطباع فى هذه الصورة معينة على الاجتناب كاعانتها عليه فى الصورة الاولى ويحقق مراعاة هذا المعنى تخصيصه الاكل مع ان تناول مال اليتيم على أى وجه كان منهى عنه كان ذلك بادخار أو بالتباس أو ببذله فى لذة النكاح مثلا أو غير ذلك الا ان حكمة تخصيص النهى بالاكل أن العرب كانت تتذمم بالاكثار من الاكل وتعد البطنة من البهيمية وتعيب على من اتخذها ديدنه ولا كذلك سائر الملاذ فانهم ربما يتفاخرون بالاكثار من النكاح ويعدونه من زينة الدنيا فلما كان الاكل عندهم أقبح الملاذ خص النهى به حتى اذا نفرت النفس منه بمقتضى طبعها المألوف جرها ذلك الى النفور من صرف مال اليتيم فى سائر الملاذ أو غيرها

وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا

الاسماء نحو صاحب وفارس فيقال يتائم ثم يتامى على القلب وحق هذا الاسم أن يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء الا أنه قد غلب أن يسموا به قبل أن يبلغوا مبلغ الرجال فاذا استغنوا بأنفسهم عن كافل وقائم عليهم وانتصبوا كفاة يكفلون غيرهم ويقومون عليهم زال عنهم هذا الاسم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم يتيم أبى طالب اما على القياس واما حكاية للحال التى كان عليها صغيرا ناشئا فى حجر عمه توضيعا له وأما قوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم فما هو الا تعليم شريعة لا لغة يعنى أنه اذا احتلم لم تجر عليه أحكام الصغار (فان قلت) فما معنى قوله (وآتوا اليتامى أموالهم) (قلت) اما أن يراد باليتامى الصغار وبايتائهم الاموال أن لا يطمع فيها الاولياء والاوصياء وولاة السوء وقضاته ويكفوا عنها أيديهم الخاطفة حتى تأتى اليتامى اذا بلغوا سالمة غير محذوفة واما أن يراد الكبار تسمية لهم يتامى على القياس أو لقرب عهدهم اذا بلغوا بالصغر كما تسمى الناقة عشراء بعد وضعها على أن فيه اشارة الى أن لا يؤخر دفع أموالهم اليهم عن حد البلوغ ولا يمطلوا ان أونس منهم الرشد وأن يؤتوها قبل أن يزول عنهم اسم اليتامى والصغار وقيل هى فى رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ طلب المال فمنعه عمه فترافعا الى النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت فلما سمعها العم قال أطعنا الله وأطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع ماله اليه فقال النبى عليه السلام ومن يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعنى جنته فلما قبض الفتى ماله أنفقه فى سبيل الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم ثبت الاجر وبقى الوزر قالوا يا رسول الله قد عرفنا أنه ثبت الاجر كيف بقى الوزر وهو ينفق فى سبيل الله فقال ثبت أجر الغلام وبقى الوزر على والده (ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب) ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما أبيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث فى الارض فتأكلوه مكانه أو لا تستبدلوا الامر الخبيث وهو اختزال أموال اليتامى بالامر الطيب وهو حفظها والتورع منها والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز منه التعجل بمعنى الاستعجال والتأخر بمعنى الاستئخار قال ذو الرمة

فيا كرم السكن الذين تحملوا * عن الدار والمستخلف المتبدل

أراد ويالؤم ما استخلفته الدار واستبدلته وقيل هو أن يعطى رديأ ويأخذ جيدا وعن السدى أن يجعل شاة مهزولة مكان سمينة وهذا ليس بتبدل وانما هو تبديل الا أن يكارم صديقا له فيأخذ منه عجفاء مكان سمينة من مال الصبى (ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم) ولا تنفقوها معها وحقيقتها ولا تضموها اليها فى الانفاق

حتى لا تفرقوا بين أموالكم وأموالهم قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين الحلال (فان قلت) قد حرم عليهم أكل مال اليتامى وحده ومع أموالهم فلم ورد النهى عن أكله معها (قلت) لانهم اذا كانوا مستغنين عن أموال اليتامى بما رزقهم الله من مال حلال وهم على ذلك يطمعون فيها كان القبح أبلغ والذم أحق ولانهم كانوا يفعلون كذلك فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون أزجر لهم * والحوب الذنب العظيم ومنه قوله عليه السلام ان طلاق أم أيوب لحوب فكأنه قيل انه كان ذنبا عظيما كبيرا * وقرأ الحسن حوبا بفتح الحاء وهو مصدر حاب حوبا وقرئ حابا ونظيره الحوب والحاب القول والقال والطرد والطرد * ولما نزلت الآية فى اليتامى وما فى أكل أموالهم من الحوب الكبير خاف الاولياء أن يلحقهم الحوب بترك الاقساط فى حقوق اليتامى وأخذوا يتحرجون من ولايتهم وكان الرجل منهم ربما كان تحته العشر من الازواج والثمان والست فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل فى حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا أيضا ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لان من تحرج من ذنب أو تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب لانه انما وجب أن يتحرج من الذنب ويتاب عنه لقبحه والقبح قائم فى كل ذنب وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا وهم يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم الجور فى حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات وقيل كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال أو يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن وفقد من يغضب لهن أن يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم ان خفتم أن لا تقسطوا فى يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم ويقال للاناث اليتامى كما يقال للذكور وهو جمع يتيمة على القلب كما قيل أيامى والاصل أيائم ويتائم وقرأ النخعى تقسطوا بفتح التاء على أن لا مزيدة مثلها فى لئلا يعلم يريد وان خفتم أن تجوروا (ما طاب) ما حل (لكم من النساء) لان منهن ما حرم كاللاتى فى آية التحريم وقيل ما ذهابا الى الصفة ولان الاناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء ومنه قوله تعالى أو ما ملكت أيمانكم (مثنى وثلاث ورباع) معدولة عن أعداد مكررة وانما منعت الصرف لما فيها من العدلين عدلها عن صيغها وعدلها عن تكررها وهى نكرات يعرفن بلام التعريف تقول فلان ينكح المثنى والثلاث والرباع ومحلهن النصب على الحال مما طاب تقديره فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا

إكلا أو غيره ومثل هذه الآية فى تخصيص النهى بما هو أعلى قوله تعالى لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة فخص هذه الصورة لان الطبع على الانتهاء عنها أعون ويقابل هذا النظر فى النهى نظر آخر فى الامر وهو انه تارة يخص صورة الامر الادنى تنبيها على الاعلى وتارة يخص صورة الاعلى لمثل الفائدة المذكورة من التدريب الاترى الى قوله تعالى بعد آيات من هذه السورة واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم الآية كيف خص صورة حضورهم وان كانت العليا بالنسبة الى غيبتهم وذلك ان الله تعالى علم شح الانفس على الاموال فلو أمر باسعاف الاقارب واليتامى من المال الموروث ولم يذكر حالة حضورهم القسمة لم تكن الانفس بالمنبعثة الى هذا المعروف كانبعاثها مع حضورهم بخلاف ما اذا حضروا فان النفس يرق طبعها وتنفر من أن تأخذ المال الجزل وذو الرحم حاضر محروم ولا يسعف ولا يساعد فاذا أمرت فى هذه الحالة بالاسعاف هان عليها امتثال الامر وانقادت فيها على امتثال الطبع ثم تدربت بذلك على اسعاف ذى الرحم مطلقا حضر أو غاب فمراعاة هذا وأمثاله من الفوائد لا يكاد يلفى الا فى الكتاب العزيز ولا يعثر عليه الا الحاذق الفطن المؤيد بالتوفيق نسأل الله أن يسلك بنا فى هذا النمط فخذ هذا القانون عمدة وهو ان النهى ان خص الادنى فلفائدة التنبيه على الاعلى وان خص الاعلى ففائدة التدريب على الانكفاف عن القبح مطلقا من الانكفاف عن الاقبح ومثل هذا النظر فى جانب الامر

ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع

والله الموفق * قوله تعالى وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع الآية (قال محمود لما نزلت آية اليتامى خاف الاولياء الخ) قال أحمد قد ثبت ان قاعدة القدرية وعقيدتهم ان الكبيرة الواحدة توجب خلود العبد فى العذاب وان كان موحدا ما لم يتب عنها فان ثم يقولون لا تفيد التوبة عن بعض الذنوب والاصرار على وربما بعضها لانه بواحدة من الكبائر ساوى الكافر فى الخلود فى العذاب ولا يفيد توحيده ولا شئ من أعماله هذا هو معتقدهم الفاسد الذى يروم الزمخشرى تفسير الآية عليه فاحذره أما أهل السنة فيقولون اذا تاب العبد من بعض الذنوب كان الخطاب بوجوب التوبة من باقيها متوجها عليه وكأنه قام ببعض الواجبات وترك القيام ببعضها فافادته التوبة محو المتوب عنه باذن الله ووعده وهو فى العهدة فيما لم يتب عنه فان كان تفسير الآية على انهم خوطبوا بالتحرج فى حقوق النساء والتوبة من الجور عليهن كما تابوا عن الحيف على اليتامى فالامر فى ذلك منزل على ما بيناه من قواعد السنة والله ولى التوفيق * عاد كلامه (قال محمود وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا وهم يتحرجون من ولاية اليتامى الخ) قال أحمد وهذا التأويل الذى أخره جدير بالتقديم وهو الاظهر وتكون الآية معه لبيان حكم اليتامى وتحذيرا من التورط فى الجور عليهن وأمرا بالاحتياط وفى غيرهن متسع الى الاربع وأصدق شاهد على أنه هو المراد قوله تعالى وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن

فان خفتم الا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى الا تعولوا وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شئ

وأربعا أربعا (فان قلت) الذى أطلق للناكح فى الجمع أن يجمع بين ثنتين أو ثلاث أو أربع فما معنى التكرير فى مثنى وثلاث ورباع (قلت) الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما أراد من العدد الذى أطلق له كما تقول للجماعة اقتسموا هذا المال وهو ألف درهم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة ولو أفردت لم يكن له معنى (فان قلت) فلم جاء العطف بالواو دون أو (قلت) كما جاء بالواو فى المثال الذى حذوته لك ولو ذهبت تقول اقتسموا هذا المال درهمين درهمين أو ثلاثة ثلاثة أو أربعة أربعة أعلمت أنه لا يسوغ لهم أن يقتسموه الا على أحد أنواع هذه القسمة وليس لهم أن يجمعوا بينها فيجعلوا بعض القسم على تثنية وبعضه على تثليث وبعضه على تربيع وذهب معنى تجويز الجمع بين أنواع القسمة الذى دلت عليه الواو وتحريره أن الواو دلت على اطلاق أن يأخذ الناكحون من أرادوا نكاحها من النساء على طريق الجمع ان شاؤا مختلفين فى تلك الاعداد وان شاؤا متفقين فيها محظورا عليهم ما وراء ذلك وقرأ ابراهيم وثلث وربع على القصر من ثلاث ورباع (فان خفتم ألا تعدلوا) بين هذه الاعداد كما خفتم ترك العدل فيما فوقها (فواحدة) فالزموا أو فاختاروا واحدة وذروا الجمع رأسا فان الامر كله يدور مع العدل فأينما وجدتم العدل فعليكم به وقرئ فواحدة بالرفع على فالمقنع واحدة أو فكفت واحدة أو فحسبكم واحدة (أو ما ملكت أيمانكم) سوى فى السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين الاماء من غير حصر ولا توقيت عدد ولعمرى انهن أقل تبعة وأقصر شغبا وأخف مؤنة من المهائر لا عليك أكثرت منهن أم أقللت عدلت بينهن فى القسم أم لم تعدل عزلت عنهن أم لم تعزل وقرأ ابن أبى عبلة من ملكت (ذلك) اشارة الى اختيار الواحدة والتسرى (أدنى الا تعولوا) أقرب من أن لا تميلوا من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وميزان فلان عائل وعال الحاكم فى حكمه اذا جار وروى أن أعرابيا حكم عليه حاكم فقال له أتعول على وقد روت عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا تعولوا أن لا تجوروا والذى يحكى عن الشافعى رحمه الله أنه فسر أن لا تعولوا أن لا تكثر عيالكم فوجهه أن يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم كقولهم مانهم يمونهم اذا أنفق عليهم لان من كثر عياله لزمه أن يعولهم وفى ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال والرزق الطيب وكلام مثله من أعلام العلم وأئمة الشرع ورؤس المجتهدين حقيق بالحمل على الصحة والسداد وأن لا يظن به تحريف تعيلوا الى تعولوا فقد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا تظنن بكلمة خرجت من فى أخيك سوأ وأنت تجد لها فى الخير محملا وكفى بكتابنا المترجم بكتاب شافى العى من كلام الشافعى شاهدا بأنه كان أعلى كعبا وأطول باعا فى علم كلام العرب من أن يخفى عليه مثل هذا ولكن للعلماء طرقا وأساليب فسلك فى تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات (فان قلت) كيف يقل عيال من تسرى وفى السرارى نحو ما فى المهائر (قلت) ليس كذلك لان الغرض بالتزوج التوالد والتناسل بخلاف التسرى ولذلك جاز العزل عن السرارى بغير اذنهن فكان التسرى مظنة لقلة الولد بالاضافة الى التزوج كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع وقرأ طاوس أن لا تعيلوا من أعال الرجل اذا كثر عياله وهذه القراءة تعضد تفسير الشافعى رحمه الله من حيث المعنى الذى قصده (صدقاتهن) مهورهن وفى حديث شريح قضى ابن عباس لها بالصدقة وقرئ صدقاتهن بفتح الصاد وسكون الدال على تخفيف صدقاتهن وصدقاتهن بضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة بوزن غرفة وقرئ صدقتهن بضم الصاد والدال على التوحيد وهو تثقيل صدقة كقولك فى ظلمة ظلمة (نحلة) من نحله كذا اذا أعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا ومنه حديث أبى بكر رضى الله عنه انى كنت نحلتك جداد عشرين وسقا بالعالية وانتصابها على المصدر لان النحلة والايتاء بمعنى الاعطاء فكأنه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة أى اعطوهن مهورهن عن طيبة أنفسكم أو على الحال من المخاطبين أى آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبى النفوس بالاعطاء أو من الصدقات أى منحولة معطاة عن طيبة الانفس وقيل نحلة من الله عطية من عنده وتفضلا منه عليهن وقيل النحلة الملة ونحلة الاسلام خير النحل وفلان ينتحل كذا أى يدين به والمعنى آتوهن مهورهن ديانة على أنها مفعول لها ويجوز أن يكون حالا من الصدقات أى دينا من الله شرعه

لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا (قال محمود نحلة منصوب على المصدر لانها فى معنى الايتاء الخ) قال أحمد هذا الفصل بجملته حسن جدا غير ان فى حمله تذكير الضمير فى منه على الصداق ثم تنظيره ذلك بقوله فأصدق نظرا وذلك ان المراعى ثم الاصل وهو عدم دخول الفاء والجزم وتقدير ما هو الاصل واعطاؤه حكم الوجود ليس ببدع ولا كذلك افراد الصداق المقدر فانه ليس بأصل الكلام بل الاصل الجمع وأما الافراد فقد يأتى فى مثله على سبيل الاختصار استغناء عن الجمع بالاضافة ولا يرد أنهم قد راعوا ما ليس بأصل فى قوله

بدا لى انى لست مدرك ما مضى
ولا سابق شيأ اذا كان جائيا

لان دخول الباء وان لم يكن أصلا الا انها قد توطنت بهذا الموضع وكثر دخولها فيه فصارت كان الاصل دخولها فى الخبر والله أعلم والامر فى ذلك قريب

وفرضه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا يأخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيأ لك النافجة
لمن تولد له بنت يعنون تأخذ مهرها فتنفج به مالك أى تعظمه * الضمير فى منه جار مجرى اسم الاشارة كأنه
قيل عن شىء من ذلك كما قال الله تعالى قل أؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات ومن الحجج المسموعة من
أفواه العرب ماروى عن رؤبة أنه قيل له فى قوله * كأنه فى الجلد توليع البهق * فقال أردت كأن ذاك
أو يرجع الى ما هو فى معنى الصدقات وهو الصداق لانك لو قلت وآتوا النساء صداقهن لم تخل بالمعنى فهو
نحو قوله فأصدق وأكن من الصالحين كأنه قيل اصدق * و (نفسا) تمييز وتوحيدها لان الغرض بيان
الجنس والواحد يدل عليه والمعنى فان وهبن لكم شيأ من الصداق وتجافت عنه نفوسهن طيبات غير
مخبثات بما يضطرهن الى الهبة من شكاسة أخلاقكم وسوء معاشرتكم (فكلوه) فأنفقوه قالوا فان وهبت
له ثم طلبت منه بعد الهبة علم أنها لم تطب عنه نفسا وعن الشعبى ان رجلا أتى مع امرأته شريحا فى عطية
أعطتها اياه وهى تطلب أن ترجع فقال شريح رد عليها فقال الرجل أليس قد قال الله تعالى فان طبن لكم قال
لو طابت نفسها عنه لما رجعت فيه وعنه أقيلها فيما وهبت ولا أقيله لانهن يخدعن * وحكى أن رجلا من آل
أبى معيط أعطته امرأته ألف دينار صداقا كان لها عليه فلبث شهرا ثم طلقها فخاصمته الى عبد الملك بن مروان
فقال الرجل أعطتنى طيبة بها نفسها فقال عبد الملك فأين الآية التى بعدها فلا تأخذوا منه شيأ اردد عليها
وعن عمر رضى الله عنه أنه كتب الى قضاته ان النساء يعطين رغبة ورهبة فأيما امرأة أعطت ثم أرادت أن
ترجع فذلك لها وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقال اذا جادت لزوجها
بالعطية طائعة غير مكرهة لا يقضى به عليكم سلطان ولا يؤاخذكم الله به فى الآخرة وروى أن ناسا
كانوا يتأثمون أن يرجع أحد منهم فى شىء مما ساق الى امرأته فقال الله تعالى ان طابت نفس واحدة من
غير اكراه ولا خديعة فكلوه سائغا هنيأ وفى الآية دليل على ضيق المسلك فى ذلك ووجوب الاحتياط
حيث بنى الشرط على طيب النفس فقيل فان طبن ولم يقل فان وهبن أو سمحن اعلاما بأن المراعى هو
تجافى نفسها عن الموهوب طيبة وقيل فان طبن لكم عن شىء منه ولم يقل فان طبن لكم عنه بعثا لهن على
تقليل الموهوب وعن الليث بن سعد لا يجوز تبرعها الا باليسير وعن الاوزاعى لا يجوز تبرعها مالم تلد
أو تقم فى بيت زوجها سنة ويجوز أن يكون تذكير الضمير لينصرف الى الصداق الواحد فيكون متناولا
بعضه ولو أنث لتناول ظاهره هبة الصداق كله لان بعض الصدقات واحدة منها فصاعدا * الهنىء والمرىء
صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنىء ما يلذه الآكل والمرىء ما يحمد
عاقبته وقيل هو ما ينساغ فى مجراه وقيل لمدخل الطعام من الحلقوم الى فم المعدة المرىء لمروء الطعام فيه
وهو انسياغه وهما وصف للمصدر أى أكلا هنيأ مريأ أو حال من الضمير أى كلوه وهو هنىء مرىء وقد
يوقف على فكلوه ويبتدأ هنيأ مريأ على الدعاء وعلى انهما صفتان أقيمتا مقام المصدرين كأنه قيل هنأ مرأ
وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة فى الاباحة وازالة التبعة (السفهاء) المبذرون أموالهم الذين ينفقونها
فيما لا ينبغى ولا يدى لهم باصلاحها وتثميرها والتصرف فيها والخطاب للاولياء * وأضاف الاموال اليهم
لانها من جنس ما يقيم به الناس معايشهم كما قال ولا تقتلوا أنفسكم فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات
والدليل على انه خطاب للاولياء فى أموال اليتامى قوله وارزقوهم فيها واكسوهم (جعل الله لكم قياما)
أى تقومون بها وتنتعشون ولو ضيعتموها لضعتم فكأنها فى أنفسها قيامكم وانتعاشكم وقرئ قيما بمعنى
قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا وقرأ عبد الله بن عمر قواما بالواو وقوام الشىء ما يقام به كقولك هو ملاك الامر
لما يملك به وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولان أترك مالا يحاسبنى الله عليه خير من أن احتاج
الى الناس وعن سفيان وكانت له بضاعة يقلبها لولاها لتمندل بى بنو العباس وعن غيره وقيل له انها
تدنيك من الدنيا لئن أدنتنى من الدنيا لقد صانتنى عنها وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا فانكم فى زمان
اذا احتاج أحدكم كان أول ما يأكل دينه وربما رأوا رجلا فى جنازة فقالوا له اذهب الى دكانك
(وارزقوهم فيها) واجعلوها مكانا لرزقهم بأن تتجروا فيها وتتربحوا حتى تكون نفقتهم من الارباح لا من

منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم

* قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا (قال محمود المراد أموال السفهاء وأضافها الى الاولياء الخ) قال أحمد ويؤيد هذا المعنى انه لما أمر باسعاف ذوى القربى على سبيل المواساة قال وارزقوهم منه لان المدفوع اليهم من صلب المال والله أعلم

* قوله تعالى وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم (قال محمود معناه اختبروا أحوالهم الخ) قال أحمد الابتلاء على هذا الوجه مذهب مالك رضي الله عنه غير انه لا يكون عنده الا بعد البلوغ ولا يدفع اليه من ماله شئ قبله وكذلك أحد قولي الشافعي رضي الله عنه وقوله الآخر كمذهب أبي حنيفة غير ان عنه خلافا في صورته قبل البلوغ على وجهين أحدهما أن يسلم اليه المال ويباشر العقود بنفسه كالبالغ والآخران يكون وظيفته أن يساوم ويقرر الثمن اذا بلغ الامر الى العقد باشره الولي دونه وسلم الصبي الثمن فأما الرشد فالمعتبر عند مالك رضي الله عنه فيه هو ان يحرز ماله وينميه وان كان فاسقا في حاله وعند الشافعي المعتبر صلاح الدين والمال جميعا وغرضنا الآن ان نبين وجه تنزيل مذهب مالك في هذه الآية والله المستعان فاما منعه من الابتلاء قبل البلوغ وان كان ظاهر الآية ان الابتلاء قبله من حيث جعل البلوغ وايناس الرشد غاية للابتلاء والغاية متأخرة عن المغيا ضرورة فيتعين وقوع الابتلاء قبل ولهذه النكتة أثبته أبو حنيفة قبل البلوغ والله أعلم فعلى جعل المجموع من البلوغ وايناس الرشد هو الغاية حينئذ يلزم وقوع الابتلاء قبلهما أعني المجموع وان وقع بعد أحدهما وهو البلوغ لان المجموع من اثنين فما عدا لا يتحقق ٣٤٩ الا بوجود كل واحد من مفرديه ويحقق هذا التنزيل انك لو قلت وابتلوا اليتامى بعد البلوغ حتى اذا اجتمع الامران وتضاما البلوغ والرشد فادفعوا اليهم أموالهم لاستقام الكلام وان كان البلوغ قبل الابتلاء وان كان الابتلاء معقبا بالامرين واقعا قبل مجموعهما ونظير هذا النظر توجيه مذهب أبي حنيفة في قوله ان فيئة المولى انما تعتبر في أجل الايلاء لا بعده وتنزيله على قوله تعالى للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فان فاؤا فان الله غفور رحيم بجدبه بهذا يتضح لك تناسب النظرين والله أعلم واما اقتصاره رضي الله عنه بالرشد على المال فان كان المولى عليه فاسق الحال فوجه استخراجه من الآية انه علق ايناس الرشد فيها بالابتلاء بدفع مال اليهم بنظر تصرفهم فيه فلو كان المراد صلاح الدين فقط لم يقف الاختبار في ذلك على دفع المال اليهم اذ الظاهر من المصلح لدينه انه لا يتفاوت حاله في حالتي عدمه ويسره ولو كان المراد اصلاح الدين والمال معا كما يقوله الشافعي رضي الله عنه لم يكن اصلاح الدين موقوفا على الاختبار بالمال كما مر آنفا وأيضا فالرشد في الدين والمال جميعا هو الغاية في الرشد وليس الجمع بينهما بقيد وتنكير الرشد في الآية يأبى ذلك اذ الظاهر فان آنستم منهم رشدا ما فبادروا بتسليم المال اليهم غير منتظرين بلوغ الغاية فيه والله أعلم (قال محمود فان قلت فما وجه نظم الكلام الواقع بعد حتى الى قوله فادفعوا اليهم أموالهم الخ) قال أحمد هو يروم بهذا التقدير تنزيل مذهب أبي حنيفة في سبق الابتلاء على البلوغ على مقتضى الآية وقد أسلفنا وجه تنزيل مذهب مالك عليها بأظهر وجه وأقربه والحاصل أن مقتضى النظر الى المجموع من حيث هو ومقتضى مذهب أبي حنيفة النظر الى المفردين والظاهر اعتبار المجموع فان العطف بالفاء يقتضيه والله أعلم

قولا معروفا وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم ولا تأكلوها

صاحب المال فلا يأكلها الانفاق وقيل هو أمر لكل احد أن لا يخرج ماله الى أحد من السفهاء قريب أو أجنبي رجل أو امرأة يعلم أنه يضعه فيما لا ينبغي ويفسده (قولا معروفا) قال ابن جريج عدة جميلة ان صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم أموالكم وعن عطاء اذا ربحت أعطيتك وان غنمت في غزاتي جعلت لك حظا وقيل ان لم يكن ممن وجبت عليك نفقته فقل عافانا الله واياك بارك الله فيك وكل ما سكنت اليه النفس وأحبته لحسنه عقلا أو شرعا من قول أو عمل فهو معروف وما أنكرته ونفرت منه لقبحه فهو منكر (وابتلوا اليتامى) واختبروا عقولهم وذوقوا أحوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ حتى اذا تبينتم منهم رشدا أي هداية دفعتم اليهم أموالهم من غير تأخير عن حد البلوغ * وبلوغ النكاح أن يحتلم لانه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود به وهو التوالد والتناسل * والايناس الاستيضاح فاستعير للتبين * واختلف في الابتلاء والرشد فالابتلاء عند أبي حنيفة وأصحابه أن يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى يستبين حاله فيما يجيء منه والرشد التهدي الى وجوه التصرف وعن ابن عباس الصلاح في العقل والحفظ للمال وعند مالك والشافعي الابتلاء أن يتتبع أحواله وتصرفه في الاخذ والاعطاء ويتبصر مخايله وميله الى الدين والرشد الصلاح في الدين لان الفسق مفسدة للمال (فان قلت) فان لم يؤنس منه رشد الى حد البلوغ (قلت) عند أبي حنيفة رحمه الله ينتظر الى خمس وعشرين سنة لان مدة بلوغ الذكر عنده بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير أحوال الانسان لقوله عليه السلام مروهم بالصلاة لسبع دفع اليه ماله أونس منه رشد أو لم يؤنس وعند أصحابه لا يدفع اليه أبدا الا بايناس الرشد (فان قلت) ما معنى تنكير الرشد (قلت) معناه نوعا من الرشد وهو الرشد في التصرف والتجارة أو طرفا من الرشد ومخيلة من مخايله حتى لا ينتظر به تمام الرشد (فان قلت) كيف نظم هذا الكلام (قلت) ما بعد حتى الى فادفعوا اليهم أموالهم جعل غاية للابتلاء وهي حتى التي تقع بعدها الجمل كالتي في قوله

فما زالت القتلى تمج دماءها * بدجلة حتى ماء دجلة أشكل

والجملة الواقعة بعدها جملة شرطية لان اذا متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح وقوله فان

آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم جملة من شرط وجزاء واقعة جوابا للشرط الأول الذي هو إذا بلغوا
النكاح فكأنه قيل وابتلوا اليتامى إلى وقت بلوغهم فاستحقاقهم دفع أموالهم إليهم بشرط إيناس الرشد منهم
وقرأ ابن مسعود فإن أحستم بمعنى أحسستم قال أحسن به فهن إليه شوس وقرئ رشدا بفتحتين ورشدا
بضمتين (إسرافا وبدارا) مسرفين ومبادرين كبرهم أو لإسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون في إنفاقها
وتقولون ننفق كما نشتهي قبل أن يكبر اليتامى فينتزعوها من أيدينا ثم قسم الأمر بين أن يكون الوصي غنيا
وبين أن يكون فقيرا فالغني يستعف من أكلها ولا يطمع ويقتنع بما رزقه الله من الغنى إشفاقا على اليتيم
وإبقاء على ماله والفقير يأكل قوتا مقدرا محتاطا في تقديره على وجه الأجرة أو استقراضا على ما في ذلك من
الاختلاف ولفظ الأكل بالمعروف والاستعفاف مما يدل على أن للوصي حقا لقيامه عليها وعن النبي صلى الله
عليه وسلم أن رجلا قال له إن في حجري يتيما أفآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله
فقال أفأضربه قال مما كنت ضاربا منه ولدك وعن ابن عباس أن ولي اليتيم قال له أفأشرب من لبن إبله قال
إن كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتهنأ جرباها وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في
الحلب وعنه يضرب بيده مع أيديهم فليأكل بالمعروف ولا يلبس عمامة فما فوقها وعن إبراهيم لا يلبس
الكتان والحلل ولكن ما سد الجوعة ووارى العورة وعن محمد بن كعب يتقرم تقرم البهيمة وينزل نفسه منزلة
الأجير فيما لا بد منه وعن الشعبي يأكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضي
وعن مجاهد يستسلف فإذا أيسر أدى وعن سعيد بن جبير إن شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس
ما يستره من الثياب وأخذ القوت ولا يجاوزه فإن أيسر قضاه وإن أعسر فهو في حل وعن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه إني أنزلت نفسي من مال الله منزلة والي اليتيم إن استغنيت استعففت وإن افتقرت أكلت
بالمعروف وإذا أيسرت قضيت واستعف أبلغ من عف كأنه طالب زيادة العفة (فأشهدوا عليهم) بأنهم
تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم وذلك أبعد من التخاصم والتجاحد وأدخل في الأمانة وبراءة الساحة
ألا ترى أنه إذا لم يشهد فادعى عليه صدق مع اليمين عند أبي حنيفة وأصحابه وعند مالك والشافعي لا يصدق
إلا بالبينة فكان في الإشهاد الاحتراز من توجه الحلف المفضي إلى التهمة أو من وجوب الضمان إذا لم يقم
البينة (وكفى بالله حسيبا) أي كافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض أو محاسبا فعليكم بالتصادق وإياكم
والتكاذب (الأقربون) هم المتوارثون من ذوي القرابات دون غيرهم (مما قل منه أو كثر) بدل مما ترك
بتكرير العامل و(نصيبا مفروضا) نصب على الاختصاص بمعنى أعني نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا
لا بد لهم من أن يحوزوه ولا يستأثر به ويجوز أن ينتصب انتصاب المصدر المؤكد كقوله فريضة من الله
كأنه قيل قسمة مفروضة روي أن أوس بن الصامت الأنصاري ترك امرأته أم كجة وثلاث بنات فزوى
ابنا عمه سويد وعرفطة أو قتادة وعرفجة ميراثه عنهن وكان أهل الجاهلية لا يورثون النساء والأطفال
ويقولون لا يرث إلا من طاعن بالرماح وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة فجاءت أم كجة إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم في مسجد الفضيخ فشكت إليه فقال ارجعي حتى أنظر ما يحدث الله فنزلت فبعث إليهما لا تفرقا
من مال أوس شيئا فإن الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فأعطى أم كجة الثمن
والبنات الثلثين والباقي ابني العم (وإذا حضر القسمة) أي قسمة التركة (أولوا القربى) ممن لا يرث (فارزقوهم
منه) الضمير لما ترك الوالدان والأقربون وهو أمر على الندب قال الحسن كان المؤمنون يفعلون ذلك
إذا اجتمعت الورثة حضرهم هؤلاء فرضخوا لهم بالشيء من رثة المتاع فحضهم الله على ذلك تأديبا من غير
أن يكون فريضة قالوا ولو كان فريضة لضرب له حد ومقدار كما لغيره من الحقوق وروي أن عبد الله بن عبد
الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه قسم ميراث أبيه وعائشة رضي الله عنها حية فلم يدع في الدار أحدا إلا أعطاه
وتلا هذه الآية وقيل هو على الوجوب وقيل هو منسوخ بآية المواريث كالوصية وعن سعيد بن جبير أن ناسا
يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس * والقول المعروف أن يلطفوا لهم القول

ويقولوا

إسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا إن الذين يأكلون أموال اليتامى

---

* قوله تعالى ومن كان غنيا فليستعفف (قال محمود واستعف أبلغ من عف وكأنه يطلب زيادة في العفة من نفسه) قال أحمد في هذا إشارة إلى أنه من استفعل بمعنى الطلب وليس كذلك فإن استفعل الطلبية متعدية وهذه قاصرة والظاهر أنه مما جاء فيه فعل واستفعل بمعنى والله أعلم

(قوله أوس بن الصامت) كذا بالأصل والرواية الصحيحة أوس بن ثابت اهـ

* قوله تعالى وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا (قال محمود المراد الاوصياء أمروا بأن يخشوا الله الخ) قال أحمد ولقد الجأه الى تقدير تركوا بقوله شارفوا أن يتركوا لان جوابه قوله خافوا عليهم والخوف عليهم انما يكون قبل تركهم اياهم وذلك في دار الدنيا فقد دل على ان المراد بالترك الاشراف عليه ضرورة والالزم وقوع الجواب قبل الشرط وهو باطل ونظيره فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف أى شارفن بلوغ الاجل ولهذا المجاز في التعبير عن المشارفة على الترك بالترك سر بديع وهو التخويف بالحالة التي لا يبقى معها مطمع في الحياة ولا في الذب عن الذرية الضعاف وهي الحالة التي وان كانت من الدنيا الا انها لقربها من الآخرة ولصوقها بالمفارقة صارت من حيزها ومعبرا عنها بما يعبر به عن الحالة الكائنة بعد المفارقة من الترك والله أعلم * قوله تعالى ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا (قال محمود معناه ظالمين أو على وجه الظلم الخ) قال أحمد

ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين

ومثله قد بدت البغضاء من أفواههم أى شدقوا بها وقالوها بملء أفواههم أو يكون المراد بذكر البطون تصوير الاكل للسامع حتى يتأكد عنده بشاعة هذا الجرم بمزيد تصوير ولاجل تأكيد التشنيع على الظالم لليتيم في ماله خص الاكل لانه أبشع الاحوال التي يتناول مال اليتيم فيها والله أعلم * قوله تعالى يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين (قال محمود ان قلت هلا قيل للانثيين مثل حظ الذكر الخ) قال أحمد لان الافضلية حينئذ مدلول عليها بواسطة الاستلزام لا منطوق بها وأما على نظم الآية فالافضلية منطوق بها غير محتاجة الى ذلك

ويقولوا خذوا بارك الله عليكم ويعتذروا اليهم ويستقلوا ما أعطوهم ولا يستكثروه ولا يمنوا عليهم وعن الحسن والنخعي أدركنا الناس وهم يقسمون على القرابات والمساكين واليتامى من العين يعنيان الورق والذهب فاذا قسم الورق والذهب وصارت القسمة الى الارضين والرقيق وما أشبه ذلك قالوا لهم قولا معروفا كانوا يقولون لهم بورك فيكم * لو مع ما في حيزه صلة للذين والمراد بهم الاوصياء أمروا بأن يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى ويشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وشفقتهم عليهم وان يقدروا ذلك في أنفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة ويجوز أن يكون المعنى وليخشوا على اليتامى من الضياع وقيل هم الذين يجلسون الى المريض فيقولون ان ذريتك لا يغنون عنك من الله شيأ فقدم مالك فيستغرقه بالوصايا فأمروا بأن يخشوا ربهم أو يخشوا على أولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على أولاد أنفسهم لو كانوا ويجوز أن يتصل بما قبله وأن يكون أمرا بالشفقة للورثة على الذين يحضرون القسمة من ضعفاء أقاربهم واليتامى والمساكين وان يتصوروا أنهم لو كانوا أولادهم بقوا خلفهم ضائعين محتاجين هل كانوا يخافون عليهم الحرمان والخيبة (فان قلت) ما معنى وقوع لو تركوا وجوابه صلة للذين (قلت) معناه وليخش الذين صفتهم وحالهم انهم لو شارفوا أن يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وكاسبهم كما قال القائل

لقد زاد الحياة الى حبا * بناتى انهن من الضعاف

أحاذر أن يرين البؤس بعدى * وأن يشربن رنقا بعد صاف

* وقرئ ضعفاء وضعافى نحو سكارى وسكارى * والقول السديد من الاوصياء أن لا يؤذوا اليتامى ويكلموهم كما يكلمون أولادهم بالادب الحسن والترحيب ويدعوهم بيا بنى ويا ولدى ومن الجالسين الى المريض أن يقولوا له اذا أراد الوصية لا تسرف في وصيتك فتجحف بأولادك مثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد انك أن تترك ولدك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس وكان الصحابة رضي الله عنهم يستحبون أن لا تبلغ الوصية الثلث وان الخمس أفضل من الربع والربع من الثلث ومن المتقاسمين ميراثهم ان يلطفوا القول ويجملوه للحاضرين (ظلما) ظالمين أو على وجه الظلم من أولياء السوء وقضاته (في بطونهم) ملء بطونهم يقال أكل فلان في بطنه وفي بعض بطنه قال * كلوا في بعض بطنكم تعفوا * ومعنى يأكلون نارا ما يجر الى النار فكأنه نار في الحقيقة وروى أنه يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وأنفه وأذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا * وقرئ وسيصلون بضم الياء وتخفيف اللام وتشديدها (سعيرا) نارا من النيران مبهمة الوصف (يوصيكم الله) يعهد اليكم ويأمركم (في أولادكم) في شأن ميراثهم بما هو العدل والمصلحة وهذا اجمال تفصيله (للذكر مثل حظ الانثيين) (فان قلت) هلا قيل للانثيين مثل حظ الذكر أو للانثى نصف حظ الذكر (قلت) ليبدأ ببيان حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك ولان قوله للذكر مثل حظ الانثيين قصد الى بيان فضل الذكر وقولك للانثيين مثل حظ الذكر قصد الى بيان نقص الانثى وما كان قصدا الى بيان فضله كان أدل على فضله من القصد الى بيان نقص غيره

* عاد كلامه (قال ولأنهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث الخ) قال أحمد وعلى مقتضى هذا لا يكون حكم الابن اذا انفرد مذكورا في الآية لانه حيث ذكره فانما عني حالة الاجتماع مع الاناث خاصة على تفسير الزمخشري هذا ويمكن خلافه وهو ان المذكور أولا ميراث الذكر على الاطلاق مجتمعا مع الاناث ومنفردا أما وجه تلقي حكمه حالة الاجتماع فقد قرره الزمخشري وأما وجه تلقيه حالة الانفراد فمن حيث ان الله تعالى جعل له مثل حظ الانثيين فان كانت معه فذاك وان كانت منفردة عنه فقد جعل لها في حال انفرادها النصف فاقتضى ذلك ان للذكر عند انفراده مثلي نصيبها عند انفرادها وذلك الكامل والله أعلم * عاد كلامه (قال محمود فان قلت لم قيل فان كن نساء ولم يقل وان كانت امرأة الخ) قال أحمد يريد أن حكم البنتين حال اجتماعهما مع الابن مذكور في قوله للذكر مثل حظ الانثيين وان حكم البنات منفردات مذكور في قوله فان كن نساء وان حكم البنت منفردة مذكور في قوله وان كانت واحدة فلها النصف وبقي عليه أن ذكر الابن في حال الانفراد مستفاد من قوله للذكر مثل حظ الانثيين اذا ضممته الى قوله وان كانت واحدة فلها النصف على التقرير الذي قدمته * عاد كلامه (قال في الجواب أما حكمهما فمختلف فيه فابن عباس أبى تنزيلهما منزلة الجماعة الخ) قال أحمد وتحز النظر ان ابن عباس أجرى التقييد بالصفة وهي قوله فوق اثنتين على ظاهره من مفهوم المخالفة غير أنه ما كان يقتضي اللفظ ان يقتصر لهما على النصف لاجل تعارض المفهومين اذ مفهوم فلهن ثلثا من
ما ترك أن تكون الانثى أقل من الثنتين ومفهوم فان كانت واحدة فلها النصف أن تكون الانثيين أزيد من النصف فيكون نصيبهما مترددا فيما بين النصف والثلثين بقدر مجمل وأما غيره فاظهر للتقييد فائدة سوى المخالفة وتلك الفائدة رفع الفرق المتوهم بين الانثيين وما فوقهما ومتى ظهرت للتخصيص فائدة جلية سوى المخالفة وجب المصير اليها وسقط التعلق بالمفهوم وكأنه على القول المشهور لما علم ان الانثيين يستوجبان الثلثين بالطرق المذكورة وكان الوهم قد يسبق الى أن الزائد على الانثيين يستوجبن أكثر من فرض الانثيين لان ذلك مقتضى القياس رفع هذا الوهم بايجاب الثلثين لما فوق الانثيين كوجوبه لهما والله أعلم

فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف

عنه ولأنهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث وهو السبب لورود الآية فقيل كفى الذكور أن ضوعف لهم نصيب الاناث فلا يتمادى في حظهن حتى يحرمن مع ادلائهن من القرابة بمثل ما يدلون به (فان قلت) فان حظ الانثيين الثلثان فكأنه قيل للذكر الثلثان (قلت) أريد حال الاجتماع لا الانفراد أي اذا اجتمع الذكر والانثيان كان له سهمان كما أن لهما سهمين وأما في حال الانفراد فالابن يأخذ المال كله والبنتان يأخذان الثلثين والدليل على أن الغرض حكم الاجتماع انه أتبعه حكم الانفراد وهو قوله فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك والمعنى للذكر منهم أي من أولادكم فحذف الراجع اليه لانه مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم (فان كن نساء) فان كانت البنات أو المولودات نساء خلصا ليس معهن رجل يعني بنات ليس معهن ابن (فوق اثنتين) يجوز أن يكون خبرا ثانيا لكان وأن يكون صفة لنساء أي نساء زائدات على اثنتين (وان كانت واحدة) وان كانت البنت أو المولودة منفردة فذة ليس معها أخرى (فلها النصف) وقرئ واحدة بالرفع على كان التامة والقراءة بالنصب أوفق لقوله فان كن نساء وقرأ زيد بن ثابت النصف بالضم * والضمير في ترك للميت لان الآية لما كانت في الميراث علم أن التارك هو الميت (فان قلت) قوله للذكر مثل حظ الانثيين كلام مسوق لبيان حظ الذكر من الاولاد لا لبيان حظ الانثيين فكيف صح أن يردف قوله فان كن نساء وهو لبيان حظ الاناث (قلت) وان كان مسوقا لبيان حظ الذكر الا أنه لما فقه منه وتبين حظ الانثيين مع أخيهما كان كأنه مسوق للامرين جميعا فلذلك صح أن يقال فان كن نساء (فان قلت) هل يصح أن يكون الضميران في كن وكانت مبهمين ويكون نساء وواحدة تفسيرا لهما على أن كان تامة (قلت) لا أبعد ذلك (فان قلت) لم قيل فان كن نساء ولم يقل وان كانت امرأة (قلت) لان الغرض ثمة خلوصهن اناثا لا ذكر فيهن ليميز بين ما ذكر من اجتماعهن مع الذكور في قوله للذكر مثل حظ الانثيين وبين انفرادهن وأريد ههنا أن يميز بين كون البنت مع غيرها وبين كونها وحدها لا قرينة لها (فان قلت) قد ذكر حكم البنتين في حال اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبنت في حال الانفراد ولم يذكر حكم البنتين في حال الانفراد فما حكمهما وما باله لم يذكر (قلت) أما حكمهما فمختلف فيه فابن عباس أبى تنزيلهما منزلة الجماعة لقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين فأعطاهما حكم الواحدة وهو ظاهر مكشوف وأما سائر الصحابة فقد أعطوهما حكم الجماعة والذي يعلل به قولهم ان قوله للذكر مثل حظ الانثيين قد دل على أن حكم الانثيين حكم الذكر وذلك أن الذكر كما يحوز الثلثين مع الواحدة فالانثيان كذلك يحوزان الثلثين فلما ذكر ما دل على حكم الانثيين قيل فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك على معنى فان كن جماعة بالغات ما بلغن من العدد فلهن ما للانثيين وهو الثلثان لا يتجاوزنه لكثرتهن ليعلم أن حكم الجماعة حكم الثنتين بغير تفاوت وقيل ان الثنتين أمس رحما بالميت

قوله تعالى ولابويه لكل واحد منهما السدس (قال محمود لكل واحد منهما بدل من لابويه بتكرير العامل الخ) قال أحمد وفي اعرابه بدلا نظر وذلك انه يكون على هذا التقدير من بدل الشيء من الشيء وهما لعين واحدة ويكون أصل الكلام والسدس لابويه لكل واحد منهما ومقتضى الاقتصار على المبدل منه التشريك بينهما في السدس كما قال فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك فاقتضى اشتراكهن فيه ومقتضى البدل لو قدر اهدار الاول افراد كل واحد منهما بالسدس وعدم التشريك وهذا يناقض حقيقة هذا النوع من البدل لانه يلزم في هذا النوع ان يكون مؤدى المبدل والبدل واحدا وانما فائدته التأكيد بمجموع الاسمين لا غير بلا زيادة معنى فاذا تحقق ما بينهما من التباين تعذرت البدلية المذكورة وليس من بدل التقسيم أيضا على هذا الاعراب والا لزم زيادة معنى في البدل فالوجه والله أعلم ان يقدر مبتدأ محذوف كأنه قيل ولابويه الثلث ثم لما ذكر نصيبهما مجملا فصله بقوله لكل واحد منهما (٣٥٣) السدس وساغ حذف المبتدا لدلالة التفصيل عليه ضرورة ذ يلزم من استحقاق كل واحد منهما للسدس استحقاقهما معا الثلث والله أعلم ولا يستقيم على هذا الوجه أيضا جعله من بدل التقسيم الا ترى انك لو قلت الدار كلها الثلاثة لزيد ولعمرو ولخالد كان هذا بدلا وتقسيما صحيحا لانك لو حذفت المبدل منه فقلت الدار لزيد ولعمرو ولخالد لم ترد في البدل زيادة استقام فلو قلت الدار للثلاثة لزيد ثلثها ولعمرو ثلثها ولخالد ثلثها لم يستقم بدل تقسيم اذ لو حذفت المبدل منه لصار الكلام الدار لزيد ثلثها ولعمرو ثلثها ولخالد ثلثها فهذا كلام مستأنف لانك زدت فيه معنى تمييز ما لكل واحد منهم وذلك لا يعطيه المبدل ولا سبيل في بدل الشيء من الشيء الى زيادة معنى * عاد كلامه (قال محمود فان قلت قد بين حكم الابوين في الارث الخ) قال أحمد ومذهب ابن عباس أن الاخوة يأخذون السدس الذي حجبوا الام عنه مع وجود الاب فعلى هذا يكون فائدة قوله وورثه أبواه الاحتراز عما لو ورثه الاخوة مع الابوين فان الام لها حينئذ السدس وكانه قيل وورثه أبواه ولم يكن ثم اخوة فلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس ولا يمكن حمله على مذهب ابن عباس مقيدا بعدم الزوجين لان ثلث الام عنده لا يتغير بوجود واحد منهما والله الموفق * عاد كلامه (قال محمود ويستوى في حجب الام الاثنان فصاعدا الا عند ابن عباس الخ) قال أحمد ولقد أحسن في هذا التقرير ما لم يحسن كثير من حذاق الاصوليين بريد مناق في تغاير وصفي الجمع والتثنية اذ الجمع يتناول الاثنين ويتناول أزيد منهما ولك هذا وأما التثنية فقاصرة على الاثنين فبينهما على هذا العموم والخصوص فكل تثنية جمع وليس كل جمع تثنية .

ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس

من الاختين فأوجبوا لهما ما أوجب الله للاختين ولم يروا أن يقصروا بهما عن حظ من هو أبعد رحما منهما وقيل ان البنت لما وجب لها مع أخيها الثلث كانت أحرى أن يجب لها الثلث اذا كانت مع أخت مثلها ويكون لاختها معها مثل ما كان يجب لها أيضا مع أخيها لو انفردت معه فوجب لهما الثلثان (ولابويه) الضمير للميت و (لكل واحد منهما) بدل من لابويه بتكرير العامل وفائدة هذا البدل أنه لو قيل ولابويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه ولو قيل ولابويه السدسان لاوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى خلافها (فان قلت) فهلا قيل ولكل واحد من أبويه السدس وأى فائدة في ذكر الابوين أولا ثم في الابدال منهما (قلت) لان في الابدال والتفصيل بعد الاجمال تأكيدا وتشديدا كالذى تراه في الجمع بين المفسر والتفسير والسدس مبتدأ وخبره لابويه والبدل متوسط بينهما للبيان وقرأ الحسن ونعيم بن ميسرة السدس بالتخفيف وكذلك الثلث والربع والثمن * والولد يقع على الذكر والانثى ويختلف حكم الاب في ذلك فان كان ذكرا قصر بالاب على السدس وان كانت أنثى عصب مع اعطاء السدس (فان قلت) قد بين حكم الابوين في الارث مع الولد ثم حكمهما مع عدمه فهلا قيل فان لم يكن له ولد فلامه الثلث وأى فائدة في قوله وورثه أبواه (قلت) معناه فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فحسب فلامه الثلث مما ترك كما قال لكل واحد منهما السدس مما ترك لانه اذا ورثه أبواه مع أحد الزوجين كان للام ثلث ما بقى بعد اخراج نصيب الزوج لا ثلث ما ترك الا عند ابن عباس والمعنى أن الابوين اذا خلصا تقاسما الميراث للذكر مثل حظ الانثيين (فان قلت) ما العلة في أن كان لها ثلث ما بقى دون ثلث المال (قلت) فيه وجهان أحدهما أن الزوج انما استحق ما يسهم له بحق العقد لا بالقرابة فأشبه الوصية في قسمة ما وراءه والثانى أن الاب أقوى في الارث من الام بدليل أنه يضعف عليها اذا خلصا ويكون صاحب فرض وعصبة وجامعا بين الامرين فلو ضرب لها الثلث كملا لادى الى حط نصيبه عن نصيبها ألا ترى ان امرأة لو تركت زوجا وأبوين فصار للزوج النصف وللام الثلث والباقى للاب حازت الام سهمين والاب سهما واحدا فينقلب الحكم الى أن يكون للانثى مثل حظ الذكرين (فان كان له اخوة فلامه السدس) الاخوة يحجبون الام عن الثلث وان كانوا لا يرثون مع الاب فيكون لها السدس وللاب خمسة الاسداس ويستوى في الحجب الاثنان فصاعدا الا عند ابن عباس وعنه أنهم يأخذون السدس الذى حجبوا عنه الام (فان قلت) فكيف صح أن يتناول الاخوة الاخوين والجمع خلاف التثنية (قلت) الاخوة تفيد معنى الجمعية المطلقة بغير كمية والتثنية كالتثليث والتربيع في افادة الكمية وهذا موضع

* قوله تعالى من بعد وصية يوصى بها أو دين (قال محمود ان قلت لم قدمت الوصية على الدين الخ) قال أحمد الوصية على ضربين لغير معين فلا يطالب بها الا الامام ان عثر عليها ولمعين فله المطالبة ولكن يتباينان فى القوة بين مطالبة رب الدين بدينه والموصى له بوصيته لان رب الدين يطالب بحق مستقر فى الذمة (٢٥٤) سبق له به الفضل على مديانه والموصى له انما يطالب صدقة تفضل بها عليه الميت لا عن استحقاق سابق فاكتفى بما لرب الدين من القوة عن تقديمه فى الذكر وعضد ضعف الموصى له بتقديمه فى الذكر عونا له على حصول رفق الوصية ويمكن فى دفعه طريق آخر فأقول لم يخالف ترتيب الآية الواقع شرعا فلا يرد السؤال وذلك أن أول ما يبدأ به اخراج الدين ثم الوصية ثم اقتسام ذوى الميراث فانظر كيف جاء اخراج الميراث آخرا تلو الوارث اخراج الوصية تلو الدين فوافق قولنا قسمة المواريث بعد الوصية والدين صورة الواقع شرعا ولو سقط ذكر بعد وكان الكلام أخرجوا الميراث والوصية والدين لما أمكن ورود السؤال المذكور والله أعلم

من بعد وصية يوصى بها أو دين آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين

الدلالة على الجمع المطلق فدل بالاخوة عليه * وقرئ فلامه بكسر الهمزة اتباعا للجرة ألا تراها لا تكسر فى قوله وجعلنا ابن مريم وأمه آية (من بعد وصية) متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها لا بما يليه وحده كأنه قيل قسمة هذه الانصبة من بعد وصية يوصى بها * وقرئ يوصى بها بالتخفيف والتشديد ويوصى بها على البناء للمفعول مخففا (فان قلت) ما معنى أو (قلت) معناها الاباحة وأنه ان كان أحدهما أو كلاهما قدم على قسمة الميراث كقولك جالس الحسن أو ابن سيرين (فان قلت) لم قدمت الوصية على الدين والدين مقدم عليها فى الشريعة (قلت) لما كانت الوصية مشبهة للميراث فى كونها مأخوذة من غير عوض كان اخراجها مما يشق على الورثة ويتعاظمهم ولا تطيب أنفسهم بها فكان أداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فان نفوسهم مطمئنة الى أدائه فلذلك قدمت على الدين بعثا على وجوبها والمسارعة الى اخراجها مع الدين ولذلك جيء بكلمة أو للتسوية بينهما فى الوجوب ثم أكد ذلك ورغب فيه بقوله (آباؤكم وأبناؤكم) أى لا تدرون من أنفع لكم من آبائكم وأبنائكم الذين يموتون أمن أوصى منهم أم من لم يوص يعنى أن من أوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الآخرة بامضاء وصيته فهو أقرب لكم نفعا وأحضر جدوى ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الآخرة أقرب وأحضر من عرض الدنيا ذهابا الى حقيقة الامر لان عرض الدنيا وان كان عاجلا قريبا فى الصورة الا أنه فان فهو فى الحقيقة الابعد الاقصى وثواب الآخرة وان كان آجلا الا أنه باق فهو فى الحقيقة الاقرب الادنى وقيل ان الابن ان كان أرفع درجة من أبيه فى الجنة سأل أن يرفع أبوه اليه فيرفع وكذلك الاب ان كان أرفع درجة من ابنه سأل أن يرفع اليه ابنه فأنتم لا تدرون فى الدنيا أيهم أقرب لكم نفعا وقيل قد فرض الله الفرائض على ما هو عنده حكمة ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا أيهم لكم أنفع فوضعتم أنتم الاموال على غير حكمة وقيل الاب يجب عليه النفقة على الابن اذا احتاج وكذلك الابن اذا كان محتاجا فهما فى النفع بالنفقة لا يدرى أيهما أقرب نفعا وليس شئ من هذه الاقاويل بملائم للمعنى ولا مجاوب له لان هذه الجملة اعتراضية ومن حق الاعتراضى أن يؤكد ما اعترض بينه ويناسبه والقول ما تقدم (فريضة) نصبت نصب المصدر المؤكد أى فرض ذلك فرضا (ان الله كان عليما) بمصالح خلقه (حكيما) فى كل ما فرض وقسم من المواريث وغيرها (فان كان لهن ولد) منكم أو من غيركم * جعلت المرأة على النصف من الرجل بحق الزواج كما جعلت كذلك بحق النسب والواحدة والجماعة سواء فى الربع والثمن (وان كان رجل) يعنى الميت و(يورث) من ورث أى يورث منه وهو صفة لرجل و(كلالة) خبر كان أى وان كان رجل موروث منه كلالة أو يجعل يورث خبر كان وكلالة حالا من الضمير فى يورث * وقرئ يورث ويورث بالتخفيف والتشديد على البناء للفاعل وكلالة حال أو مفعول به (فان قلت) ما الكلالة (قلت) ينطلق على ثلاثة على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين وعلى القرابة من غير جهة الولد والوالد ومنه قولهم ما ورث المجد عن كلالة كما تقول ما صمت عن عى وما كف عن جبن والكلالة فى الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء قال الاعشى * فآليت لا أرثى لها من كلالة * فاستعيرت للقرابة من غير جهة الولد والوالد لانها بالاضافة الى قرابتهما كالة ضعيفة واذا جعل صفة للموروث أو الوارث فبمعنى ذى كلالة كما تقول فلان من قرابتى تريد من ذوى قرابتى ويجوز أن تكون صفة كالهجاجة والفقاقة للاحمق (فان قلت) فان جعلتها اسما للقرابة فى الآية فعلام تنصبها (قلت) على أنها مفعول له أى يورث لاجل الكلالة أو يورث غيره لاجلها (فان قلت) فان جعلت يورث على البناء للمفعول من أورث فما وجهه (قلت) الرجل حينئذ هو

الوارث لا الموروث (فان قلت) فالضمير في قوله فلكل واحد منهما الى من يرجع حينئذ (قلت) الى الرجل والى أخيه أو أخته وعلى الاول اليهما (فان قلت) اذا رجع الضمير اليهما أفاد استواءهما في حيازة السدس من غير مفاضلة الذكر الانثى فهل تبقى هذه الفائدة قائمة في هذا الوجه (قلت) نعم لانك اذا قلت السدس له أو لواحد من الاخ أو الاخت على التخيير فقد سويت بين الذكر والانثى وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه سئل عن الكلالة فقال أقول فيه برأيي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمني ومن الشيطان والله منه بريء الكلالة ما خلا الولد والوالد وعن عطاء والضحاك أن الكلالة هو الموروث وعن سعيد بن جبير هو الوارث وقد أجمعوا على أن المراد أولاد الام وتدل عليه قراءة أبي وله أخ أو أخت من الام وقراءة سعد بن أبي وقاص وله أخ أو أخت من أم وقيل انما استدل على أن الكلالة ههنا الاخوة للام خاصة بما ذكر في آخر السورة من أن للاختين الثلثين وأن للاخوة كل المال فعلم ههنا لما جعل للواحد السدس وللاثنين الثلث ولم يزادوا على الثلث شيأ أنه يعني بهم الاخوة للام والا فالكلالة عامة لمن عدا الولد والوالد من سائر الاخوة الاخياف والاعيان وأولاد العلات وغيرهم (غير مضار) حال أي يوصي بها وهو غير مضار لورثته وذلك أن يوصي بزيادة على الثلث أو يوصي بالثلث فما دونه ونيته مضارة ورثته ومغاضبتهم لا وجه الله تعالى وعن قتادة كره الله الضرار في الحياة وعند الممات ونهى عنه وعن الحسن المضارة في الدين أن يوصي بدين ليس عليه ومعناه الاقرار (وصية من الله) مصدر مؤكد أي يوصيكم بذلك وصية كقوله فريضة من الله ويجوز أن تكون منصوبة بغير مضار أي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بزيادته على الثلث أو وصية من الله بالاولاد وأن لا يدعهم عالة باسرافه في الوصية وينصر هذا الوجه قراءة الحسن غير مضار وصية من الله بالاضافة (والله عليم) بمن جار أو عدل في وصيته (حليم) عن الجائر لا يعاجله وهذا وعيد (فان قلت) في يوصي ضمير الرجل اذا جعلته الموروث فكيف تعمل اذا جعلته الوارث (قلت) كما عملت في قوله تعالى فلهن ثلثا ما ترك لانعلم أن التارك والموصي هو الميت (فان قلت) فأين ذو الحال فيمن قرأ يوصى بها على ما لم يسم فاعله (قلت) يضمر يوصي فينتصب عن فاعله لانه لما قيل يوصى بها علم أن ثم موصيا كما قال يسبح له فيها بالغدو والآصال على ما لم يسم فاعله فعلم أن ثم مسبحا فأضمر يسبح فكما كان رجال فاعل ما يدل عليه يسبح كان غير مضار حالا عما يدل عليه يوصى بها (تلك) اشارة الى الاحكام التي ذكرت في باب اليتامى والوصايا والمواريث وسماها حدودا لان الشرائع كالحدود المضروبة الموقتة للمكلفين لا يجوز لهم أن يتجاوزوها ويتخطوها الى ما ليس لهم بحق (يدخله) قرئ بالياء والنون وكذلك يدخله نارا وقيل يدخله وخالدين حملا على لفظ من ومعناه * وانتصب خالدين وخالدا على الحال (فان قلت) هل يجوز أن يكونا صفتين لجنات ونارا (قلت) لا لانهما جريا على غير من هما له فلا بد من الضمير وهو قولك خالدين هم فيها وخالدا هو فيها (يأتين الفاحشة) يرهقنها يقال أتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها بمعنى وفي قراءة ابن مسعود يأتين بالفاحشة والفاحشة الزنا لزيادتها في القبح على كثير من القبائح (فأمسكوهن في البيوت) قيل معناه فخلدوهن محبوسات في بيوتكم وكان ذلك عقوبتهن في أول الاسلام ثم نسخ بقوله تعالى الزانية والزاني الآية ويجوز أن تكون غير منسوخة بأن يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصى بامساكهن في البيوت بعد أن يحددن صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال (أو يجعل الله لهن سبيلا) هو النكاح الذي يستغنين به عن السفاح وقيل السبيل هو الحد لانه لم يكن مشروعا ذلك الوقت (فان قلت) ما معنى يتوفاهن الموت والتوفي والموت بمعنى واحد كأنه قيل حتى يميتهن الموت (قلت) يجوز أن يراد حتى يتوفاهن ملائكة الموت كقوله الذين تتوفاهم الملائكة ان الذين توفاهم الملائكة قل يتوفاكم ملك الموت أو حتى يأخذهن الموت ويستوفي أرواحهن (واللذان يأتيانها منكم) يريد الزاني والزانية (فآذوهما) فوبخوهما وذموهما وقولوا لهما أما استحييتما أما خفتما الله (فان تابا وأصلحا) وغيرا الحال (فأعرضوا عنهما) واقطعوا التوبيخ والمذمة فان التوبة تمنع استحقاق الذم والعقاب ويحتمل أن يكون خطابا للشهود العاثرين على سرهما ويراد بالايذاء

غير مضار وصية من الله والله عليم حليم تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما

انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما وليست التوبة للذين يعملون السيآت حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما يا أيها الذين آمنوا

ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع الى الامام والحد فان تابا قبل الرفع الى الامام فأعرضوا عنهما ولا تتعرضوا لهما وقيل نزلت الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين * وقرئ والذان بتشديد النون واللذأن بالهمزة وتشديد النون (التوبة) من تاب الله عليه اذا قبل توبته وغفر له يعني انما القبول والغفران واجب على الله تعالى لهؤلاء (بجهالة) في موضع الحال أي يعملون السوء جاهلين سفهاء لان ارتكاب القبيح مما يدعو اليه السفه والشهوة لا مما تدعو اليه الحكمة والعقل وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته (من قريب) من زمان قريب والزمان القريب ما قبل حضرة الموت ألا ترى الى قوله حتى اذا حضر أحدهم الموت فبين أن وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراء ذلك في حكم القريب وعن ابن عباس قبل أن ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن النخعي ما لم يؤخذ بكظمه وروى أبو أيوب عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن عطاء ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن أن ابليس قال حين أهبط الى الارض وعزتك ما أفارق ابن آدم ما دام روحه في جسده فقال تعالى وعزتي لا أغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر (فان قلت) ما معنى من في قوله من قريب (قلت) معناه التبعيض أي يتوبون بعض زمان قريب كأنه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زمانا قريبا ففي أي جزء تاب من أجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب والا فهو تائب من بعيد (فان قلت) ما فائدة قوله (فأولئك يتوب الله عليهم) بعد قوله انما التوبة على الله لهم (قلت) قوله انما التوبة على الله اعلام بوجوبها عليه كما يجب على العبد بعض الطاعات وقوله فأولئك يتوب الله عليهم عدة بأنه يفي بما وجب عليه واعلام بأن الغفران كائن لا محالة كما يعد العبد الوفاء بالواجب (ولا الذين يموتون) عطف على الذين يعملون السيآت سوى بين الذين سوفوا توبتهم الى حضرة الموت وبين الذين ماتوا على الكفر في أنه لا توبة لهم لان حضرة الموت أول أحوال الآخرة فكما أن المائت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوف الى حضرة الموت لمجاوزة كل واحد منهما أوان التكليف والاختيار (أولئك أعتدنا لهم) في الوعيد نظير قوله فأولئك يتوب الله عليهم في الوعد ليتبين أن الامرين كائنان لا محالة (فان قلت) من المراد بالذين يعملون السيآت أهم الفساق من أهل القبلة أم الكفار (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يراد الكفار لظاهر قوله وهم كفار وأن يراد الفساق لان الكلام انما وقع في الزانيين والاعراض عنهما ان تابا وأصلحا ويكون قوله وهم كفار واردا على سبيل التغليظ كقوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين وقوله فليمت ان شاء يهوديا أو نصرانيا من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر لان من كان مصدقا ومات وهو لا يحدث نفسه بالتوبة حاله قريبة من حال الكافر لانه لا يجترئ على ذلك الا قلب مصمت * كانوا يبلون النساء بضروب من البلايا ويظلمونهن بأنواع من الظلم فزجروا عن ذلك

* قوله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم الآية (قال محمود يعني انما القبول والغفران واجب على الله الخ) قال أحمد وقد تقدم في مواضع أن اطلاق مثل هذا من قول القائل يجب على الله كذا مما نعوذ بالله منه تعالى عن الالزام والايجاب رب الارباب وقاعدة أهل السنة ان الله تعالى مهما تفضل فهو لا عن استحقاق سابق لانهم يقولون ان الافعال التي يتوهم القدرية ان العبد يستحق بها على الله شيئا كلها خلق الله فهو الذي خلق لعبده الطاعة وأثابه عليها وخلق له التوبة وقبلها منه فهو المحسن أولا وآخرا وباطنا وظاهرا الا كالقدرية الذين يزعمون ان العبد خلق لنفسه التوبة بقدرته وحوله ليستوجب على ربه المغفرة بمقتضى حكمته التي توجب عليه على زعمهم المجازاة على الاعمال ايجابا عقليا فلذلك يطلقون بلسان الجرأة هذا الاطلاق وما أبشع ما أكد الزمخشري هذا المعتقد الفاسد بقوله يجب على الله قبول التوبة كما يجب على العبد بعض الطاعات فنظر المعبود بالعبد وقاس الخالق على الخلق وانه لاطلاق يتقيد عنه لسان العاقل ويقشعر جلده استبشاعا لسماعه ويتعثر القلم عند تسطيره على ان من لطف الله تعالى أن لم يجعل حاكي الكفر كافرا ولا حاكي البدعة لضرورة ردها والتحذير منها مبتدعا وما بالغ الزمخشري في هذا الاطلاق الا اغتناما لفرصة التمسك على صحته بصيغة على المشعرة بالوجوب فجعلها ذريعة لاستباحة هذا الاطلاق ولم يجعل الله له فيها مستروحا فانا نقول معاشر أهل السنة قد وعدنا الله قبول التوبة المستجمعة لشرائط الصحة ووقوع هذا الموعود واجب ضرورة صدق الخبر فهما ورد من صيغ الوجوب فتنزل على وجوب صدق الوعد ومعنى قولنا صدق الخبر واجب كمعنى قولنا وجود الله واجب لان أحدا لا يستوجب على الله شيأ ألهمنا الله الادب في حق جلاله وعصمنا من زيغ القول وضلاله

* قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها الى قوله ويجعل الله فيه خيرا كثيرا (قال محمود كان الرجل اذا مات له قريب ألقى ثوبه على امرأته وقال أنا أحق بها من كل أحد الخ) قال أحمد وخص تعالى ذكر من آتى القنطار من المال بالنهي تنبيها بالاعلى على الادنى لانه اذا كان هذا على كثرة ما بذل لامرأته من الاموال منهيا عن استعادة شيء يسير (٣٥٧) حقير منها على هذا الوجه كان من لم يبذل الا الحقير منهيا عن استعادته بطريق الاولى ومعنى قوله وآتيتم والله أعلم وكنتم آتيتم اذ ارادة الاستبدال في ظاهر الامر واقعة بعد ابتداء المال واستقرار الزوجية * قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا (قال محمود فيه كانوا ينكحون روابهم وناس منهم يمقتونه الخ) قال أحمد وعندي في هذا الاستثناء سر آخر وهو أن هذا المنهي عنه لفظاعته وبشاعته عند أكثر الخلق حتى كان ممقوتا قبل ورود الشرع جدير ان يمتثل النهي فيه فيجتنب فكأنه قد امتثل النهي عنه حتى صار مخبرا عن عدم وقوعه وكأنه قيل ما يقع نكاح الابناء المنكوحات للآباء ولا يؤخذ منه شيء الا ما قد سلف وأما في المستقبل بعد النهي فلا يقع منه شيء

لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا واثما مبينا وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا

كان الرجل اذا مات له قريب من أب أو أخ أو حميم عن امرأة ألقى ثوبه عليها وقال أنا أحق بها من كل أحد فقيل (لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها) أي أن تأخذوهن على سبيل الارث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك أو مكرهات وقيل كان يمسكها حتى تموت فقيل لا يحل لكم أن تمسكوهن حتى ترثوا منهن وهن غير راضيات بامساككم وكان الرجل اذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت المرأة بولدها اذا اختنقت رحمها به فخرج بعضه وبقي بعضه (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) وهي النشوز وشكاسة الخلق وايذاء الزوج وأهله بالبذاء والسلاطة أي الا أن يكون سوء العشرة من جهتهن فقد عذرتم في طلب الخلع ويدل عليه قراءة أبي الا أن يفحشن عليكم وعن الحسن الفاحشة الزنا فان فعلت حل لزوجها أن يسألها الخلع وقيل كانوا اذا أصابت امرأة فاحشة أخذ منها ما ساق اليها وأخرجها وعن أبي قلابة ومحمد بن سيرين لا يحل الخلع حتى يوجد رجل على بطنها وعن قتادة لا يحل له أن يحبسها ضرارا حتى تفتدي منه يعني وان زنت وقيل نسخ ذلك بالحدود وكانوا يسيئون معاشرة النساء فقيل لهم (وعاشروهن بالمعروف) وهو النصفة في المبيت والنفقة والاجمال في القول (فان كرهتموهن) فلا تفارقوهن لكراهة الانفس وحدها فربما كرهت النفس ما هو أصلح في الدين وأحمد وأدنى الى الخير وأحبت ما هو بضد ذلك ولكن للنظر في أسباب الصلاح * وكان الرجل اذا طمحت عينه الى استطراف امرأة بهت التي تحته ورماها بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما أعطاها ليصرفه الى تزوج غيرها فقيل (وان أردتم استبدال زوج) الآية والقنطار المال العظيم من قنطرت الشيء اذا رفعته ومنه القنطرة لانها بناء مشيد قال

كقنطرة الرومي أقسم ربها * لتكتنفن حتى تشاد بقرمد

وعن عمر رضي الله عنه أنه قام خطيبا فقال أيها الناس لا تغالوا بصداق النساء فلو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصدق امرأة من نسائه أكثر من اثنتي عشرة أوقية فقامت اليه امرأة فقالت له يا أمير المؤمنين لم تمنعنا حقا جعله الله لنا والله يقول وآتيتم احداهن قنطارا فقال عمر كل أحد أعلم من عمر ثم قال لاصحابه تسمعونني أقول مثل هذا القول فلا تنكرونه علي حتى ترد علي امرأة ليست من أعلم النساء * والبهتان أن تستقبل الرجل بأمر قبيح تقذفه به وهو بريء منه لانه يبهت عند ذلك أي يتحير وانتصب (بهتانا) على الحال أي باهتين وآثمين أو على انه مفعول له وان لم يكن غرضا كقولك قعد عن القتال جبنا والميثاق الغليظ حق الصحبة والمضاجعة كأنه قيل وأخذن به منكم ميثاقا غليظا أي بافضاء بعضكم الى بعض ووصفه بالغلظ لقوته وعظمه فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما يجري بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج وقيل هو قول الولي عند العقد أنكحتك على ما في كتاب الله من امساك بمعروف أو تسريح باحسان وعن النبي صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان في أيديكم أخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله * وكانوا ينكحون روابهم وناس منهم يمقتونه من ذوي مروآتهم ويسمونه نكاح المقت وكان المولود عليه يقال له المقتي ومن ثم قيل (ومقتا) كأنه قيل هو فاحشة في دين الله بالغة في القبح قبيح ممقوت في المروءة ولا مزيد على ما يجمع القبحين وقرئ لا تحل لكم بالتاء على أن ترثوا بمعنى الوراثة وكرها بالفتح والضم من الكراهة والاكراه * وقرئ بفاحشة مبينة من أبان بمعنى تبين أو بين كما قرئ مبينة بكسر الياء وفتحها ويجعل الله بالرفع على انه في موضع الحال وآتيتم احداهن بوصل همزة احداهن كما قرئ فلا اثم عليه (فان قلت) تعضلوهن ما وجه اعرابه (قلت) النصب عطفا على أن ترثوا

البتة ومثل هذا النظر جار فى مثل قوله واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله فأجراه مرفوعا على انه خبر وان كان المراد نهيهم عن عبادة غير الله ولكن لما كان هذا النهى جديرا بالاجتناب وكأنه اجتنب عبر عن النهى فيه بصيغة الخبر ورفع الفعل وقد مضى هذا التقرير بعينه ثم لم يجر مثله (٣٥٨) فى هذه الآية والله أعلم * قوله تعالى حرمت عليكم أمهاتكم الآية (قال محمود معناه تحريم

ولا لتأكيد النفى أى لا يحل لكم أن ترثوا النساء ولا ان تعضلوهن (فان قلت) أى فرق بين تعدية ذهب بالباء وبينها بالهمزة (قلت) اذا عدى بالباء فمعناه الاخذ والاستصحاب كقوله تعالى فلما ذهبوا به وأما الاذهاب فكالازالة (فان قلت) الا أن يأتين ما هذا الاستثناء (قلت) هو استثناء من أعم عام الظرف أو المفعول له كأنه قيل ولا تعضلوهن فى جميع الاوقات الا وقت ان يأتين بفاحشة او ولا تعضلوهن لعلة من العلل الا ان يأتين بفاحشة (فان قلت) من أى وجه صح قوله فعسى أن تكرهوا جزاء الشرط (قلت) من حيث ان المعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه (فان قلت) كيف استثنى ما قد سلف مما نكح آباؤكم (قلت) كما استثنى غير أن سيوفهم من قوله ولا عيب فيهم يعنى ان أمكنكم أن تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فلا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض المبالغة فى تحريمه وسد الطريق الى اباحته كما يعلق بالمحال فى التأبيد فى نحو قولهم حتى يبيض القار وحتى يلج الجمل فى سم الخياط * معنى (حرمت عليكم أمهاتكم) تحريم نكاحهن لقوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء ولان تحريم نكاحهن هو الذى يفهم من تحريمهن كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها ومن تحريم لحم الخنزير تحريم أكله وقرئ وبنات الاخت بتخفيف الهمزة وقد نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة أما للرضيع والمراضعة أختا وكذلك زوج المرضعة أبوه وأبواه جداه وأخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته وأخواته لابيه وأم المرضعة جدته وأختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم اخوته وأخواته لابيه وأمه ومن ولد لها من غيره فهم اخوته وأخواته لامه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وقالوا تحريم الرضاع كتحريم النسب الا فى مسئلتين احداهما أنه لا يجوز للرجل أن يتزوج أخت ابنه من النسب ويجوز أن يتزوج أخت ابنه من الرضاع لان المانع فى النسب وطؤه أمها وهذا المعنى غير موجود فى الرضاع والثانية لا يجوز أن يتزوج أم أخيه من النسب ويجوز فى الرضاع لان المانع فى النسب وطء الاب اياها وهذا المعنى غير موجود فى الرضاع (من نسائكم) متعلق بربائبكم ومعناه أن الربيبة من المرأة المدخول بها محرمة على الرجل حلال له اذا لم يدخل بها (فان قلت) هل يصح أن يتعلق بقوله وأمهات نسائكم (قلت) لا يخلو اما أن يتعلق بهن وبالربائب فتكون حرمتهن وحرمة الربائب غير مبهمتين جميعا واما أن يتعلق بهن دون الربائب فتكون حرمتهن غير مبهمة وحرمة الربائب مبهمة فلا يجوز الاول لان معنى من مع أحد المتعلقين خلاف معناه مع الآخر الا ترى انك اذا قلت وأمهات نسائكم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فقد جعلت من لبيان النساء وتمييز المدخول بهن من غير المدخول بهن واذا قلت وربائبكم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فانك جاعل من لابتداء الغاية كما تقول بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة وليس بصحيح أن يعنى بالكلمة الواحدة فى خطاب واحد معنيان مختلفان ولا يجوز الثانى لان ما يليه هو الذى يستوجب التعليق به ما لم يعترض أمر لا يرد الا أن تقول أعلقه بالنساء والربائب واجعل من للاتصال كقوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض فانى لست منك ولست منى ما أنا من دد ولا الدد منى وأمهات النساء متصلات بالنساء لانهن أمهاتهن كما ان الربائب متصلات بأمهاتهن لانهن بناتهن هذا وقد اتفقوا على ان تحريم أمهات النساء مبهم دون تحريم الربائب على ما عليه ظاهر كلام الله تعالى وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى رجل تزوج امرأة ثم طلقها قبل أن يدخل بها أنه قال لا بأس أن يتزوج ابنتها ولا يحل له أن يتزوج

نكاحهن الخ) قال أحمد وهذا تفريع على القول بعموم المشترك فى معانيه فاستقام تعليق الجار المذكور بهما والله أعلم * عاد كلامه (قال ولا يجوز الثانى لان ما يليه هو الذى يستوجب التعليق به ما لم يعترض أمر لا يرد الا أن تقول أعلقه بالنساء والربائب أجعل من للاتصال

حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فان لم تكونوا

كقوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض فانى لست منك ولست منى ما أنا من دد ولا الدد منى وأمهات النساء متصلات بالنساء لانهن الخ) قال أحمد يعنى ان لهذا الاعراب وجها فى الصحة تكون من على هذا مستعملة فى معنى واحد من معانيها وهو الاتصال فيستقيم تعلقها أمها بهما وقد نقل ذلك عن ابن عباس مذهبا ونقل أيضا قراءة على وابن عباس وزيد وابن عمر وابن الزبير وأمهات نسائكم اللاتى دخلتم بهن وكان ابن عباس يقول والله ما نزل الا هكذا انتهى نقل الزمخشرى والقول المشهور عن الجمهور ابهام تحريم المرأة وتقييد تحريم الربيبة بدخول الام كما هو ظاهر الآية ولهذا الفرق سر وحكمة وذلك لان المتزوج بابنة المرأة لا يخلو بعد العقد وقبل الدخول من محاورة بينه وبين أمها ومخاطبات ومسارات فكانت الحاجة داعية الى تنجيز التحريم ليقطع شوقه من الام فيعاملها معاملة ذوات المحارم ولا كذلك

العاقد على الام فانه بعيد عن مخاطبة ابنتها قبل الدخول بالام فلم تدع الحاجة الى تعجيل نشر الحرمة وأما اذا وقع الدخول بالام فقد وجدت
مظنة خلطة الربيبة فحينئذ تدعو الحاجة الى نشر الحرمة بينهما والله أعلم * عاد كلامه (قال فان قلت ما فائدة قوله في حجوركم الخ) قال
أحمد وهذا نحو ما قدمته من تخصيص أعلى صور المنهى عنه بالنهى فان النهى عن نكاح (٣٥٩) الربيبة المدخول بأمها عام في جميع
الصور سواء كانت في حجر الزوج أو بائنة عنه في البلاد القاصية ولكن نكاحه لها وهى في حجره أقبح الصور والطبع عنها أنفر فخصت بالنهى لتساعد الجبلة على الانقياد لاحكام الله ثم يكون ذلك تدريبا وتدريجا الى استقباح المحرم في جميع صوره والله أعلم

أمها وعن عمر وعمران بن الحصين رضي الله عنهما أن الام تحرم بنفس العقد وعن مسروق هي مرسلة
فارسلوا ما أرسل الله وعن ابن عباس أبهموا ما أبهم الله الا ما روى عن على وابن عباس وزيد وابن عمر وابن
الزبير أنهم قرؤا وأمهات نسائكم اللاتى دخلتم بهن وكان ابن عباس يقول والله ما نزل الا هكذا وعن جابر
روايتان وعن سعيد بن المسيب عن زيد اذا ماتت عنده فأخذ ميراثها كره أن يخلف على أمها واذا طلقها قبل
أن يدخل بها فان شاء فعل أقام الموت مقام الدخول في ذلك كما قام مقامه في باب المهر وسمى ولد المرأة من غير
زوجها ربيبا وربيبة لانه يربهما كما يرب ولده في غالب الامر ثم اتسع فيه فسميا بذلك وان لم يربهما (فان قلت)
ما فائدة قوله في حجوركم (قلت) فائدته التعليل للتحريم وأنهن لاحتضانكم لهن أو لكونهن بصدد احتضانكم
وفي حكم التقلب في حجوركم اذا دخلتم بأمهاتهن وتمكن بدخولكم حكم الزواج وثبتت الخلطة والالفة
وجعل الله بينكم المودة والرحمة وكانت الحال خليقة بأن تجروا أولادهن مجرى أولادكم كأنكم في العقد على
بناتهن عاقدون على بناتكم وعن على رضي الله عنه أنه شرط ذلك في التحريم وبه أخذ داود (فان قلت) ما معنى
(دخلتم بهن) (قلت) هى كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب يعنى أدخلتموهن الستر
والباء للتعدية واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول عند أبي حنيفة وعن عمر رضي الله عنه أنه خلا بجارية
فجردها فاستوهبها ابن له فقال انها لا تحل لك وعن مسروق أنه أمر أن تباع جاريته بعد موته وقال أما انى
لم أصب منها الا ما يحرمها على ولدى من اللمس والنظر وعن الحسن في الرجل يملك الامة فيغمزها الشهوة
أو يقبلها أو يكشفها انها لا تحل لولده بحال وعن عطاء وحماد بن أبي سليمان اذا نظر الى فرج امرأة فلا ينكح
أمها ولا ابنتها وعن الاوزاعى اذا دخل بالام فعراها ولمسها بيده وأغلق الباب وأرخى الستر فلا يحل له نكاح
ابنتها وعن ابن عباس وطاوس وعمرو بن دينار أن التحريم لا يقع الا بالجماع وحده (الذين من أصلابكم) دون
من تبنيتم وقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش الاسدية بنت عمته أميمة بنت عبد
المطلب حين فارقها زيد بن حارثة وقال عز وجل لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم
(وأن تجمعوا) في موضع الرفع عطف على المحرمات أى وحرم عليكم الجمع بين الاختين والمراد حرمة النكاح لان
التحريم في الآية تحريم النكاح وأما الجمع بينهما في ملك اليمين فعن عثمان وعلى رضي الله عنهما أنهما قالا
أحلتهما آية وحرمتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله أو ما ملكت أيمانكم فرجح على التحريم وعثمان
التحليل (الا ما قد سلف) ولكن ما مضى مغفور بدليل قوله (ان الله كان غفورا رحيما * والمحصنات) القراءة
بفتح الصاد وعن طلحة بن مصرف أنه قرأ بكسر الصاد وهن ذوات الازواج لانهن أحصن فروجهن
بالتزويج فهن محصنات ومحصنات (الا ما ملكت أيمانكم) يريد ما ملكت أيمانهم من اللاتى سبين ولهن أزواج
في دار الكفر فهن حلال لغزاة المسلمين وان كن محصنات وفي معناه قول الفرزدق

وذات حليل أنكحتها رماحنا * حلال لمن يبنى بها لم تطلق

(كتاب الله عليكم) مصدر مؤكد أى كتب الله ذلك عليكم كتابا وفرضه فرضا وهو تحريم ما حرم (فان قلت)
علام عطف قوله (وأحل لكم) (قلت) على الفعل المضمر الذى نصب كتاب الله أى كتب الله عليكم تحريم
ذلك وأحل لكم ما وراء ذلكم ويدل عليه قراءة اليمانى كتب الله عليكم وأحل لكم وروى عن اليمانى كتب
الله عليكم على الجمع والرفع أى هذه فرائض الله عليكم ومن قرأ وأحل لكم على البناء للمفعول فقد عطفه
على حرمت (أن تبتغوا) مفعول له بمعنى بين لكم ما يحل مما يحرم ارادة أن يكون ابتغاؤكم بأموالكم

دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم

* قوله تعالى وأن تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف الخ (قال أحمد) موقع هذا الاستثناء كموقع نظيره المقدم ذكره عند قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء على الوجه الذى بينت وهو
أن هذا النهى لكونه جديرا بأن يمثل اجرى مجرى الاخبار عن أمثاله حتى كأنه قيل لا يقع شيء من هذه المحرمات الا السالف منها لا غير
أو على الوجه الذى بينه الزمخشرى فيما تقدم وهو أن يكون المراد الا ما قد سلف فانه غير محرم فتعاطوه ان كان ممكنا من باب التعليق على
المحال بتا للتحريم الا أن الزمخشرى لم يسلك هذا المسلك ههنا لان قوله ان الله كان غفورا رحيما يرشد الى أن المراد الا ما قد سلف فانه
مغفور لاستثنائه في الآية الاولى لانه عقبه ثم بقوله انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا فقدر في كل آية ما يناسب سياقها والله أعلم

* قوله تعالى ومن لم يستطع منكم (٣٦٠) طولا أن ينكح المحصنات الآية (قال محمود معناه ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة الخ) قال أحمد وعلى هذا يكون الطول عند أبي حنيفة وجود الحرة تحته وهو أحد القولين لمالك رضي الله عنه لكن يبعد هذا المعنى لان الطول عند مالك في أحد قوليه القدرة بالمال على نكاح الحرة خاصة حتى لو كانت الحرة تحته فاراد نكاح الامة عجزا عن حرة أخرى جاز له ذلك وفي القول الآخر الطول أحد الامرين اما القدرة بالمال على نكاح الحرة واما وجود الحرة تحته حتى لا يجوز له نكاح أمة على حرة ان كان عاجزا عن حرة أخرى ومقتضى مانقله المصنف عن أبي حنيفة انه لا يجوز لمن تحته حرة نكاح أمة وان يجوز لمن ليست تحته حرة أن ينكح الامة ولو كان غنيا وهو قول لا يساعده ظاهر الآية لان الاستطاعة تثبت وان لم يفعل الاستنكاف المستطيع بمقتضاها فالمستطيع لنكاح الحرة ذو الطول وان لم يكن تحته الحرة وتفسير الاستطاعة على مذهب أبي حنيفة بعيد جدا

محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان الله كان عليما حكيما ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم بايمانكم

التي جعل الله لكم قياما في حال كونكم (محصنين غير مسافحين) لئلا تضيعوا أموالكم وتفقروا أنفسكم فيما لا يحل لكم فتخسروا دنياكم ودينكم ولا مفسدة أعظم مما يجمع بين الخسرانين والاحصان العفة وتحصين النفس من الوقوع في الحرام والاموال المهور وما يخرج في المناكح (فان قلت) أين مفعول تبتغوا (قلت) يجوز أن يكون مقدرا وهو النساء والاجود أن لا يقدر وكأنه قيل أن تخرجوا أموالكم ويجوز أن يكون أن تبتغوا بدلا من ما وراء ذلكم والمسافح الزاني من السفح وهو صب المني وكان الفاجر يقول للفاجرة سافحيني وماذيني من المذي (فما استمتعتم به منهن) فما استمتعتم به من المنكوحات من جماع أو خلوة صحيحة أو عقد عليهن (فآتوهن أجورهن) عليه فاسقط الراجع الى ما لانه لا يلبس كقوله ان ذلك من عزم الامور باسقاط منه ويجوز أن تكون ما في معنى النساء ومن للتبعيض أو البيان ويرجع الضمير اليه على اللفظ في به وعلى المعنى في فآتوهن وأجورهن مهورهن لان المهر ثواب على البضع (فريضة) حال من الاجور بمعنى مفروضة أو وضعت موضع ايتاء لان الايتاء مفروض أو مصدر مؤكد أي فرض ذلك فريضة (فيما تراضيتم به من بعد الفريضة) فيما تحط عنه من المهر أو تهب له من كله أو يزيد لها على مقداره وقيل فيما تراضيا به من مقام أو فراق وقيل نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة أيام حين فتح الله مكة على رسوله عليه الصلاة والسلام ثم نسخت كان الرجل ينكح المرأة وقتا معلوما ليلة أو ليلتين أو أسبوعا بثوب أو غير ذلك ويقضي منها وطره ثم يسرحها سميت متعة لاستمتاعه بها أو لتمتيعه لها بما يعطيها وعن عمر لا أوتى برجل تزوج امرأة الى أجل الا رجمتهما بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أباحها ثم أصبح يقول يا أيها الناس اني كنت أمرتكم بالاستمتاع من هذه النساء ألا ان الله حرم ذلك الى يوم القيامة وقيل أبيح مرتين وحرم مرتين وعن ابن عباس هي محكمة يعني لم تنسخ وكان يقرأ فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى ويروى أنه رجع عن ذلك عند موته وقال اللهم اني أتوب اليك من قولي بالمتعة وقولي في الصرف * الطول الفضل يقال لفلان على فلان طول أي زيادة وفضل وقد طاله طولا فهو طائل قال

لقد زادني حبا لنفسي أنني * بغيض الى كل امرئ غير طائل

ومنه قولهم ما خلا منه بطائل أي بشيء يعتد به مما له فضل وخطر ومنه الطول في الجسم لانه زيادة فيه كما أن القصر قصور فيه ونقصان والمعنى ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح أمة قال ابن عباس من ملك ثلثمائة درهم فقد وجب عليه الحج وحرم عليه نكاح الاماء وهو الظاهر وعليه مذهب الشافعي رحمه الله وأما أبو حنيفة رحمه الله فيقول الغني والفقير سواء في جواز نكاح الامة ويفسر الآية بان من لم يملك فراش الحرة على أن النكاح هو الوطء فله أن ينكح أمة وفي رواية عن ابن عباس أنه قال مما وسع الله على هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية وان كان موسرا وكذلك قوله (من فتياتكم المؤمنات) الظاهر أن لا يجوز نكاح الامة الكتابية وهو مذهب أهل الحجاز وعند أهل العراق يجوز نكاحها ونكاح الامة المؤمنة أفضل فحملوه على الفضل لا على الوجوب واستشهدوا على أن الايمان ليس بشرط بوصف الحرائر به مع علمنا أنه ليس بشرط فيهن على الاتفاق ولكنه أفضل (فان قلت) لم كان نكاح الامة منحطا عن نكاح الحرة (قلت) لما فيه من اتباع الولد الام في الرق ولثبوت حق المولى فيها وفي استخدامها ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله نقصان راجع الى الناكح ومهانة والعزة من صفات المؤمنين وقوله (من فتياتكم) أي من فتيات المسلمين لا من فتيات غيركم وهم المخالفون في الدين (فان قلت) فما معنى قوله (والله أعلم بايمانكم) (قلت) معناه أن الله أعلم بتفاضل ما بينكم وبين أرقائكم في الايمان ورجحانه ونقصانه فيهم وفيكم وربما كان ايمان الامة أرجح من ايمان الحرة والمرأة أفضل في الايمان من الرجل وحق المؤمنين أن لا يعتبروا الا فضل الايمان لا فضل الاحساب والانساب وهذا تأنيس بنكاح الاماء وترك

الاستنكاف منه (بعضكم من بعض) أى أنتم وأرقاؤكم متواصلون متناسبون لاشتراككم فى الايمان لا يفضل حر عبدا الا برجحان فيه (باذن أهلهن) اشتراط لاذن الموالى فى نكاحهن ويحتج به لقول أبى حنيفة ان لهن أن يباشرن العقد بأنفسهن لانه اعتبر اذن الموالى لا عقدهم (وآتوهن أجورهن بالمعروف) وأدوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار واحواج الى الاقتضاء واللز (فان قلت) الموالى هم ملاك مهورهن لا هن والواجب أداؤها اليهم لا اليهن فلم قيل وآتوهن (قلت) لانهن وما فى أيديهن مال الموالى فكان أداؤها اليهن أداء الى الموالى أو على أن أصله فآتوا مواليهن فحذف المضاف (محصنات) عفائف * والاخدان الاخلاء فى السر كأنه قيل غير مجاهرات بالسفاح ولا مسرات له (فاذا أحصن) بالتزويج وقرئ أحصن (نصف ما على المحصنات) أى الحرائر (من العذاب) من الحد كقوله وليشهد عذابهما ويدرأ عنها العذاب ولا رجم عليهن لان الرجم لا يتنصف (ذلك) اشارة الى نكاح الاماء (لمن خشى العنت منكم) لمن خاف الاثم الذى يؤدى اليه غلبة الشهوة وأصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر ولا ضرر أعظم من مواقعة المآثم وقيل أريد به الحد لانه اذا هويها خشى أن يواقعها فيحد فيتزوجها (وأن تصبروا) فى محل الرفع على الابتداء أى وصبركم عن نكاح الاماء متعففين (خير لكم) وعن النبى صلى الله عليه وسلم الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت (يريد الله ليبين لكم) أصله يريد الله أن يبين لكم فزيدت اللام مؤكدة لارادة التبيين كما زيدت فى لا أبا لك لتأكيد اضافة الاب والمعنى يريد الله أن يبين لكم ما هو خفى عنكم من مصالحكم وأفاضل أعمالكم وأن يهديكم مناهج من كان قبلكم من الانبياء والصالحين والطرق التى سلكوها فى دينهم لتقتدوا بهم (ويتوب عليكم) ويرشدكم الى طاعات ان قمتم بها كانت كفارات لسيآتكم فيتوب عليكم ويكفر لكم (والله يريد أن يتوب عليكم) أن تفعلوا ما تستوجبون به أن يتوب عليكم (ويريد) الفجرة (الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما) وهو الميل عن القصد والحق ولا ميل أعظم منه بمساعدتهم وموافقتهم على اتباع الشهوات وقيل هم اليهود وقيل المجوس كانوا يحلون نكاح الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله قالوا فانكم تحلون بنت الخالة والعمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت يقول تعالى يريدون أن تكونوا زناة مثلهم (يريد الله أن يخفف عنكم) باحلال نكاح الامة وغيره من الرخص (وخلق الانسان ضعيفا) لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات وعن سعيد بن المسيب ما أيس الشيطان من بنى آدم قط الا أتاهم من قبل النساء فقد أتى على ثمانون سنة وذهبت احدى عينى وأنا أعشو بالاخرى وان أخوف ما أخاف على فتنة النساء * وقرئ أن يميلوا بالياء والضمير للذين يتبعون الشهوات وقرأ ابن عباس وخلق الانسان على البناء للفاعل ونصب الانسان وعنه رضى الله عنه ثمان آيات فى سورة النساء هى خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد أن يتوب عليكم يريد الله أن يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر أن يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم (بالباطل) بما لم تبحه الشريعة من نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار وعقود الربا (الا أن تكون تجارة) الا أن تقع تجارة وقرئ تجارة على الا أن تكون التجارة تجارة (عن تراض منكم) والاستثناء منقطع معناه ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض منكم أو ولكن كون تجارة عن تراض غير منهى عنه وقوله عن تراض صفة لتجارة أى تجارة صادرة عن تراض وخص التجارة بالذكر لان أسباب الرزق أكثرها متعلق بها والتراضى رضا المتبايعين بما تعاقدا عليه فى حال البيع وقت الايجاب والقبول وهو مذهب أبى حنيفة رحمه الله وعند الشافعى رحمه الله تفرقهما عن مجلس العقد متراضيين (ولا تقتلوا أنفسكم) من كان من جنسكم من المؤمنين وعن الحسن لا تقتلوا اخوانكم أو لا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة وعن عمرو بن العاصى أنه تأوله فى التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ على رضى الله عنه ولا تقتلوا بالتشديد (ان الله كان بكم رحيما) ما نهاكم عما يضركم

بعضكم من بعض فانكحوهن باذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان فاذا أحصن فان أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشى العنت منكم وأن تصبروا خير لكم والله غفور رحيم يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما ومن يفعل

---

* قوله تعالى فانكحوهن باذن أهلهن (قال محمود هذا اشتراط لاذن الموالى فى نكاحهن الخ (قال أحمد وليس فى الآية اشتراط اذن المولى ان يتولى عقد نكاح أمته ومتولى العقد ومباشرته مسكوت عنه فى الآية فيحمل على اذنه لوكيله فى العقد على أمته ولا يلزم أن تكون الامة هى المباشرة ولا دليل فى الآية على ذلك والله أعلم

الا رحمة عليكم وقيل معناه انه امر بنى اسرائيل بقتلهم أنفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم وكان بكم يا أمة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة (ذلك) اشارة الى القتل أى ومن يقدم على قتل الانفس (عدوانا وظلما) لا خطأ ولا اقتصاصا وقرئ عدوانا بالكسر * ونصليه بتخفيف اللام وتشديدها ونصليه بفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله تعالى أو لذلك لكونه سببا للصلى (نارا) أى نارا مخصوصة شديدة العذاب (وكان ذلك على الله يسيرا) لان الحكمة تدعو اليه ولا صارف عنه من ظلم أو نحوه (كبائر ما تنهون عنه) وقرئ كبير ما تنهون عنه أى ما كبر من المعاصى التى نهاكم الله عنها والرسول (نكفر عنكم سيئاتكم) نمط ما تستحقونه من العقاب فى كل وقت على صغائركم ونجعلها كأن لم تكن لزيادة الثواب المستحق على اجتنابكم الكبائر وصبركم عنها على عقاب السيئات والكبيرة والصغيرة انما وصفتا بالكبر والصغر باضافتهما اما الى طاعة أو معصية أو ثواب فاعلهما والتكفير اماطة المستحق من العقاب بثواب أزيد أو بتوبة والاحباط نقيضه وهو اماطة الثواب المستحق بعقاب أزيد أو بندم على الطاعة وعن على رضى الله عنه الكبائر سبع الشرك والقتل والقذف والزنا وأكل مال اليتيم والفرار من الزحف والتعرب بعد الهجرة وزاد ابن عمر السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس أن رجلا قال له الكبائر سبع فقال هى الى سبعمائة أقرب لانه لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وروى الى سبعين * وقرئ يكفر بالياء * ومدخلا بضم الميم وفتحها بمعنى المكان والمصدر فيهما (ولا تتمنوا) نهوا عن التحاسد وعن تمنى ما فضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال لان ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم بأحوال العباد وبما يصلح المقسوم له من بسط فى الرزق أو قبض ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض فعلى كل أحد أن يرضى بما قسم له علما أن ما قسم له هو مصلحته ولو كان خلافه لكان مفسدة له ولا يحسد أخاه على حظه (للرجال نصيب مما اكتسبوا) جعل ما قسم لكل من الرجال والنساء على حسب ما عرف الله من حاله الموجبة للبسط أو القبض كسبا له (واسئلوا الله من فضله) ولا تتمنوا أنصباء غيركم من الفضل ولكن سلوا الله من خزائنه التى لا تنفد وقيل كان الرجال قالوا ان الله فضلنا على النساء فى الدنيا فلنا سهمان ولهن سهم واحد فنرجو أن يكون لنا أجران فى الآخرة على الاعمال ولهن أجر واحد فقالت أم سلمة ونسوة معها ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم فنزلت (مما ترك) تبيين لكل أى ولكل شئ مما ترك (الوالدان والاقربون) من المال جعلنا موالى ورثة يلونه ويحرزونه أو ولكل قوم جعلناهم موالى نصيب مما ترك الوالدان والاقربون على أن جعلنا موالى صفة لكل والضمير الراجع الى كل محذوف والكلام مبتدأ وخبر كما تقول لكل من خلقه الله انسانا من رزق الله أى حظ من رزق الله أو ولكل أحد جعلنا موالى مما ترك أى ورثة مما ترك على أن من صلة موالى لانهم فى معنى الورّاث وفى ترك ضمير كل ثم فسر الموالى بقوله الوالدان والاقربون كأنه قيل من هم فقيل الوالدان والاقربون (والذين عاقدت أيمانكم) مبتدأ ضمن معنى الشرط فوقع خبره مع الفاء وهو قوله (فآتوهم نصيبهم) ويجوز أن يكون منصوبا على قولك زيدا فاضربه ويجوز أن يعطف على الوالدان ويكون المضمر فى فآتوهم للموالى والمراد بالذين عاقدت أيمانكم موالى الموالاة كان الرجل يعاقد الرجل فيقول دمى دمك وهدمى هدمك وثارى ثارك وحربى حربك وسلمى سلمك وترثنى وأرثك وتطلب بى وأطلب بك وتعقل عنى وأعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف فنسخ وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه خطب يوم الفتح فقال ما كان من حلف فى الجاهلية فتمسكوا به فانه لم يزده الاسلام الا شدة ولا تحدثوا حلفا فى الاسلام وعند أبى حنيفة لو أسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على أن يتعاقلا ويتوارثا صح عنده وورث بحق الموالاة خلافا للشافعى وقيل المعاقدة التبنى ومعنى عاقدت أيمانكم عاقدتهم أيديكم وماسحتموهم وقرئ عقدت بالتشديد والتخفيف بمعنى عقدت عهودهم أيمانكم (قوامون على النساء) يقومون عليهن آمرين ناهين كما يقوم الولاة على الرعايا وسموا قواما لذلك والضمير فى (بعضهم) للرجال والنساء جميعا يعنى انما كانوا

ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسئلوا الله من فضله ان الله كان بكل شئ عليما ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والاقربون والذين عقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شئ شهيدا الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض

مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء وفيه دليل على أن الولاية انما تستحق بالفضل لا بالتغلب والاستطالة والقهر وقد ذكروا في فضل الرجال العقل والحزم والعزم والقوة والكتابة في الغالب والفروسية والرمي وان منهم الانبياء والعلماء وفيهم الامامة الكبرى والصغرى والجهاد والاذان والخطبة والاعتكاف وتكبيرات التشريق عند أبي حنيفة والشهادة في الحدود والقصاص وزيادة السهم والتعصيب في الميراث والحمالة والقسامة والولاية في النكاح والطلاق والرجعة وعدد الازواج واليهم الانتساب وهم أصحاب اللحى والعمائم (وبما أنفقوا) وبسبب ما أخرجوا في نكاحهن من أموالهم في المهور والنفقات وروي أن سعد بن الربيع وكان نقيبا من نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير فلطمها فانطلق بها أبوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أفرشته كريمتي فلطمها فقال لتقتص منه فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم أردنا أمرا وأراد الله أمرا والذي أراد الله خير ورفع القصاص واختلف في ذلك فقيل لا قصاص بين الرجل وامرأته فيما دون النفس ولو شجها ولكن يجب العقل وقيل لا قصاص الا في الجرح والقتل وأما اللطمة ونحوها فلا (قانتات) مطيعات قائمات بما عليهن للازواج (حافظات للغيب) الغيب خلاف الشهادة أي حافظات لمواجب الغيب اذا كان الازواج غير شاهدين لهن حفظن ما يجب عليهن حفظه في حال الغيبة من الفروج والبيوت والاموال وعن النبي صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان أمرتها أطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الآية وقيل للغيب لاسرارهم (بما حفظ الله) بما حفظهن الله حين أوصى بهن الازواج في كتابه وأمر رسوله عليه الصلاة والسلام فقال استوصوا بالنساء خيرا أو بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب أو بما حفظهن حين وعدهن الثواب العظيم على حفظ الغيب وأوعدهن بالعذاب الشديد على الخيانة وما مصدرية وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة أي حافظات للغيب بالامر الذي يحفظ حق الله وأمانة الله وهو التعفف والتحصن والشفقة على الرجال والنصيحة لهم * وقرأ ابن مسعود فالصوالح قوانت حوافظ للغيب بما حفظ الله فأصلحوا اليهن * نشوزها ونشوصها أن تعصي زوجها ولا تطمئن اليه وأصله الانزعاج (في المضاجع) في المراقد أي لا تداخلوهن تحت اللحف أو هي كناية عن الجماع وقيل هو أن يوليها ظهره في المضجع وقيل في المضاجع في بيوتهن التي يبتن فيها أي لا تبايتوهن * وقرئ في المضجع وفي المضطجع وذلك لتعرف أحوالهن وتحقق أمرهن في النشوز أمر بوعظهن أولا ثم هجرانهن في المضاجع ثم بالضرب ان لم ينجع فيهن الوعظ والهجران وقيل معناه أكرهوهن على الجماع واربطوهن من هجر البعير اذا شده بالهجار وهذا من تفسير الثقلاء وقالوا يجب أن يكون ضربا غير مبرح لا يجرحها ولا يكسر لها عظما ويجتنب الوجه وعن النبي صلى الله عليه وسلم علق سوطك حيث يراه أهلك وعن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه كنت رابعة أربع نسوة عند الزبير بن العوام فاذا غضب على أحدنا ضربها بعود المشجب حتى يكسره عليها ويروى عن الزبير أبيات منها * ولولا بنوها حولها لخبطتها * (فلا تبغوا عليهن سبيلا) فأزيلوا عنهن التعرض بالاذى والتوبيخ والتجني وتوبوا عليهن واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن بعد رجوعهن الى الطاعة والانقياد وترك النشوز (ان الله كان عليا كبيرا) فاحذروه واعلموا أن قدرته عليكم أعظم من قدرتكم على من تحت أيديكم ويروى ان أبا مسعود الانصاري رفع سوطه ليضرب غلاما له فبصر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاح به أبا مسعود لله أقدر عليك منك عليه فرمى بالسوط وأعتق الغلام أو ان الله كان عليا كبيرا وانكم تعصونه على علو شأنه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم فأنتم أحق بالعفو عمن يجني عليكم اذا رجع (شقاق بينهما) أصله شقاقا بينهما فأضيف الشقاق الى الظرف على طريق الاتساع كقوله بل مكر الليل والنهار وأصله بل مكر في الليل والنهار أو على ان جعل البين مشاقا والليل والنهار ماكرين على قولهم نهارك صائم والضمير للزوجين ولم يجر ذكرهما لجري ذكر ما يدل عليهما وهو الرجال والنساء (حكما من أهله) رجلا مقنعا رضيا يصلح لحكومة العدل والاصلاح بينهما وانما كان بعث الحكمين من أهلهما لان الاقارب

وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها

* قوله تعالى واللاتي تخافون نشوزهن الآية (قال أمر الله تعالى بوعظهن أولا الخ) قال أحمد هذا الترتيب بين هذه الافعال المعطوفة غير متلق من صيغة لفظية اذ العطف بالواو وهي مسلوبة الدلالة على الترتيب متمحضة الاشعار بالجمعية فقط وانما يتلقى الترتيب المذكور من قرائن خارجة عن اللفظ مفهومة من مقصود الكلام وسياقه * عاد كلامه (قال وقيل معناه أكرهوهن الخ) قال أحمد ولعل هذا المفسر تأيد بقوله فان أطعنكم فانه يدل على تقدم اكراه على أمر ما وقرينة المضاجع ترشد الى أنه الجماع واطلاق الزمخشري لما أطلقه في حق هذا المفسر من الافراط

ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وماملكت أيمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا

أعرف ببواطن الاحوال وأطلب للصلاح وانما تسكن اليهم نفوس الزوجين ويبرز اليهم ما فى ضمائرهما من الحب والبغض وارادة الصحبة والفرقة وموجبات ذلك ومقتضياته وما يزويانه عن الاجانب ولا يحبان أن يطلعوا عليه (فان قلت) فهل يليان الجمع بينهما او التفريق ان رأيا ذلك (قلت) قد اختلف فيه فقيل ليس اليهما ذلك الا باذن الزوجين وقيل ذلك اليهما او ما جعلا لاحكمين الا واليهما بناء الامر على ما يقتضيه اجتهادهما وعن عبيدة السلمانى شهدت عليا رضى الله عنه وقد جاءته امرأة وزوجها ومع كل واحد منهما فئام من الناس فأخرج هؤلاء حكما وهؤلاء حكما فقال على رضى الله عنه للحكمين أتدريان ما عليكما ان عليكما ان رأيتما أن تفرقا فرقتما وان رأيتما أن تجمعا جمعتما فقال الزوج أما الفرقة فلا فقال على كذبت والله لا تبرح حتى ترضى بكتاب الله لك وعليك فقالت المرأة رضيت بكتاب الله لى وعلى وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان وعن الشعبى ما قضى الحكمان جاز * والالف فى (ان يريدا اصلاحا) للحكمين وفى (يوفق الله بينهما) للزوجين أى ان قصدا اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله بورك فى وساطتهما وأوقع الله بطيب نفسيهما وحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق والالفة وألقى فى نفوسهما المودة والرحمة وقيل الضميران للحكمين أى ان قصدا اصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما فيتفقان على الكلمة الواحدة ويتساندان فى طلب الوفاق حتى يحصل الغرض ويتم المراد وقيل الضميران للزوجين أى ان يريدا اصلاح ما بينهما وطلبا الخير وأن يزول عنهما الشقاق يطرح الله بينهما الالفة وأبدلهما بالشقاق وفاقا وبالبغضاء مودة (ان الله كان عليما خبيرا) يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المفترقين لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم (وبالوالدين احسانا) وأحسنوا بهما احسانا (وبذى القربى) وبكل من بينكم وبينه قربى من أخ أو عم أو غيرهما (والجار ذى القربى) الذى قرب جواره (والجار الجنب) الذى جواره بعيد وقيل الجار القريب النسيب والجار الجنب الاجنبى وأنشد لبلعاء بن قيس

لا يجتوينا مجاور أبدا * ذو رحم أو مجاور جنب

* وقرئ والجار ذا القربى نصبا على الاختصاص كما قرئ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى تنبيها على عظم حقه لادلائه بحقى الجوار والقربى (والصاحب بالجنب) هو الذى صحبك بأن حصل بجنبك اما رفيقا فى سفر واما جارا ملاصقا واما شريكا فى تعلم علم أو حرفة واما قاعدا الى جنبك فى مجلس أو مسجد أو غير ذلك من أدنى صحبة التأمت بينك وبينه فعليك أن ترعى ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة الى الاحسان وقيل الصاحب بالجنب المرأة (وابن السبيل) المسافر المنقطع به وقيل الضيف * والمختال التياه الجهول الذى يتكبر عن اكرام أقاربه وأصحابه ومماليكه فلا يتحفى بهم ولا يلتفت اليهم * وقرئ والجار الجنب بفتح الجيم وسكون النون (الذين يبخلون) بدل من قوله من كان مختالا فخورا أو نصب على الذم ويجوز أن يكون رفعا عليه وأن يكون مبتدأ خبره محذوف كأنه قيل الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون أحقاء بكل ملامة * وقرئ بالبخل بضم الباء وفتحها وبفتحتين وبضمتين أى يبخلون بذات أيديهم وبما فى أيدى غيرهم فيأمرونهم بأن يبخلوا به مقتا للسخاء ممن وجد وفى أمثال العرب أبخل من الضنين بنائل غيره قال

وان امرأ ضنت يداه على امرئ * بنيل يد من غيره لبخيل

ولقد رأينا ممن بلى بداء البخل من اذا طرق سمعه أن أحدا جاد على أحد شخص به وحل حبوته واضطرب ودارت عيناه فى رأسه كأنما نهب رحله وكسرت خزانته ضجرا من ذلك وحسرة على وجوده وقيل هم اليهود كانوا يأتون رجالا من الانصار يتنصحون لهم ويقولون لا تنفقوا أموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون * وقد عابهم الله بكتمان نعمة الله وما آتاهم من فضل الغنى والتفاقر الى الناس وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا أنعم الله على عبد نعمة أحب أن ترى نعمته على عبده وبنى عامل للرشيد قصرا حذاء قصره فنم به عنده فقال الرجل يا أمير المؤمنين ان الكريم يسره أن يرى أثر نعمته فأحببت أن أسرك بالنظر الى آثار نعمتك فأعجبه كلامه وقيل نزلت فى شأن اليهود الذين كتموا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم (رئاء الناس)

للفخار وليقال ما أسخاهم وما أجودهم لا ابتغاء وجه الله وقيل نزلت في مشركي مكة المنفقين أموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (فساء قرينا) حيث حملهم على البخل والرياء وكل شر ويجوز أن يكون وعيدا لهم بأن الشيطان يقرن بهم في النار (وماذا عليهم) وأي تبعة ووبال عليهم في الايمان والانفاق في سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ والا فكل منفعة ومصلحة في ذلك وهذا كما يقال للمنتقم ما ضرك لو عفوت وللعاق ما كان يرزؤك لو كنت بارا وقد علم أنه لا مضرة ولا مرزأة في العفو والبر ولكنه ذم وتوبيخ وتجهيل بمكان المنفعة (وكان الله بهم عليما) وعيد * الذرة النملة الصغيرة وفي قراءة عبد الله مثقال نملة وعن ابن عباس انه أدخل يده في التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة وقيل كل جزء من أجزاء الهباء في الكوة ذرة وفيه دليل على انه لو نقص من الاجر أدنى شئ وأصغره أو زاده في العقاب لكان ظلما وانه لا يفعله لاستحالته في الحكمة لا لاستحالته في القدرة (وان تك حسنة) وان يكن مثقال ذرة حسنة وانما أنث ضمير المثقال لكونه مضافا الى مؤنث وقرئ بالرفع على كان التامة (يضاعفها) يضاعف ثوابها لاستحقاقها عنده الثواب في كل وقت من الاوقات المستقبلة غير المتناهية وعن أبي عثمان النهدي أنه قال لابي هريرة بلغني عنك انك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يعطي عبده المؤمن بالحسنة ألف ألف حسنة قال أبو هريرة لا بل سمعته يقول ان الله تعالى يعطيه ألفي ألف حسنة ثم تلا هذه الآية والمراد الكثرة لا التحديد (ويؤت من لدنه أجرا عظيما) ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل عطاء عظيما وسماه أجرا لانه تابع للاجر لا يثبت الا بثباته * وقرئ يضعفها بالتشديد والتخفيف من أضعف وضعف وقرأ ابن هرمز نضاعفها بالنون (فكيف) يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم (اذا جئنا من كل أمة بشهيد) يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم كقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم (وجئنا بك على هؤلاء) المكذبين (شهيدا) وعن ابن مسعود انه قرأ سورة النساء على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ قوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال حسبنا (لو تسوى بهم الارض) لو يدفنون فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموتى وقيل يودون أنهم لم يبعثوا وانهم كانوا والارض سواء وقيل تصير البهائم ترابا فيودون حالها (ولا يكتمون الله حديثا) ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال أي يودون ان يدفنوا تحت الارض وانهم لا يكتمون الله حديثا ولا يكذبون في قولهم والله ربنا ما كنا مشركين لانهم اذا قالوا ذلك وجحدوا شركهم ختم الله على أفواههم عند ذلك وتكلمت أيديهم وأرجلهم بتكذيبهم والشهادة عليهم بالشرك فلشدة الامر عليهم يتمنون أن تسوى بهم الارض * وقرئ تسوى بحذف التاء من تتسوى يقال سويته فتسوى نحو لويته فتلوى وتسوى بادغام التاء في السين كقوله يسمعون وماضيه اسوى كازكى * روي أن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا فدعا نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كانت الخمر مباحة فأكلوا وشربوا فلما ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب قدموا أحدهم ليصلي بهم فقرأ أعبد ما تعبدون وأنتم عابدون ما أعبد فنزلت فكانوا لا يشربون في أوقات الصلوات فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون ثم نزل تحريمها ومعنى (لا تقربوا الصلاة) لا تغشوها ولا تقوموا اليها واجتنبوها كقوله ولا تقربوا الزنا ولا تقربوا الفواحش وقيل معناه ولا تقربوا مواضعها وهي المساجد لقوله عليه الصلاة والسلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وقيل هو سكر النعاس وغلبة النوم كقوله ورانوا بسكر سناتهم كل الرنو وقرئ سكارى بفتح السين وسكرى على أن يكون جمعا نحو هلكى وجوعى لان السكر علة تلحق العقل أو مفردا بمعنى وأنتم جماعة سكرى كقولك امرأة سكرى وسكرى بضم السين كحبلى على أن تكون صفة للجماعة وحكى جناح بن حبيش كسلى وكسلى بالفتح والضم (ولا جنبا) عطف على قوله وأنتم سكارى لان محل الجملة مع الواو النصب على الحال كأنه قيل لا تقربوا الصلاة سكارى ولا جنبا والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الاجناب (الا عابري سبيل) استثناء من عامة أحوال المخاطبين وانتصابه على الحال (فان قلت) كيف جمع بين هذه الحال والحال التي قبلها (قلت) كأنه قيل لا تقربوا الصلاة في حال الجنابة الا ومعكم حال

فساء قرينا وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم

---

* قوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تكن حسنة يضاعفها (قال محمود وانما أنث الضمير وهو للمثقال الخ) قال أحمد وقد تقدم له مثل ذلك في قوله وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها وقدمنا ان عوده الى الحفرة جائز بل أولى وكذلك عوده ههنا الى الذرة ولا يمنع ذلك كون المضاف اليه غير مخبر عنه لان عود الضمير لا يستلزم

الاخبار عنه فى الكلام الاول ويجوز كانت دابتك وكل ذلك أسهل من اكتساب المضاف التأنيث من المضاف اليه فقد نص أبو على فى التعاليق على انه شاذ * قوله تعالى ٣٦٦ فتيمموا صعيدا طيبا (قال محمود الصعيد وجه الارض ترابا كان أو غيره الخ) قال أحمد هذا اذا كان الضمير عائدا الى الصعيد وثم وجه آخر وهو عود الضمير على الحدث المدلول عليه بقوله وان كنتم مرضى الى آخرها فان المفهوم منه وان كنتم على حدث فى حال من هذه الاحوال سفر أو مرض أو مجىء من الغائط أو ملامسة النساء فلم تجدوا ماء تتطهرون به من الحدث فتيمموا منه يقال تيممت

ان الله كان عفوّا غفورا ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا من الذين هادوا

أخرى تعذرون فيها وهى حال السفر وعبور السبيل عبارة عنه ويجوز أن لا يكون حالا ولكن صفة لقوله جنبا أى ولا تقربوا الصلاة جنبا غير عابرى سبيل أى جنبا مقيمين غير معذورين (فان قلت) كيف تصح صلاتهم على الجنابة لعذر السفر (قلت) أريد بالجنب الذين لم يغتسلوا كأنه قيل لا تقربوا الصلاة غير مغتسلين حتى تغتسلوا الا أن تكونوا مسافرين وقال من فسر الصلاة بالمسجد معناه لا تقربوا المسجد جنبا الا مجتازين فيه اذا كان الطريق فيه الى الماء أو كان الماء فيه أو احتلمتم فيه وقيل ان رجالا من الانصار كانت أبوابهم فى المسجد فتصيبهم الجنابة ولا يجدون ممرا الا فى المسجد فرخص لهم وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأذن لاحد أن يجلس فى المسجد أو يمر فيه وهو جنب الا لعلى رضى الله عنه لان بيته كان فى المسجد (فان قلت) أدخل فى حكم الشرط أربعة وهم المرضى والمسافرون والمحدثون وأهل الجنابة فبمن تعلق الجزاء الذى هو الامر بالتيمم عند عدم الماء منهم (قلت) الظاهر انه تعلق بهم جميعا وان المرضى اذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول اليه فلهم أن يتيمموا وكذلك السفر اذا عدموه لبعده والمحدثون وأهل الجنابة كذلك اذا لم يجدوه لبعض الاسباب * وقال الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا كان أو غيره وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب أبى حنيفة رحمة الله عليه (فان قلت) فما يصنع بقوله تعالى فى سورة المائدة فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه أى بعضه وهذا لا يتأتى فى الصخر الذى لا تراب عليه (قلت) قالوا ان من لابتداء الغاية (فان قلت) قولهم انها لابتداء الغاية قول متعسف ولا يفهم أحد من العرب من قول القائل مسحت برأسه من الدهن ومن الماء ومن التراب الا معنى التبعيض (قلت) هو كما تقول والاذعان للحق أحق من المراء (ان الله كان عفوّا غفورا) كناية عن الترخيص والتيسير لان من كانت عادته أن يعفو عن الخطائين ويغفر لهم آثر أن يكون ميسرا غير معسر (فان قلت) كيف نظم فى سلك واحد بين المرضى والمسافرين وبين المحدثين والمجنبين والمرض والسفر سببان من أسباب الرخصة والحدث سبب لوجوب الوضوء والجنابة سبب لوجوب الغسل (قلت) أراد سبحانه أن يرخص للذين وجب عليهم التطهر وهم عادمون الماء فى التيمم بالتراب فخص أولا من بينهم مرضاهم وسفرهم لانهم المتقدمون فى استحقاق بيان الرخصة لهم بكثرة المرض والسفر وغلبتهما على سائر الاسباب الموجبة للرخصة ثم عم كل من وجب عليه التطهر وأعوزه الماء لخوف عدوّ أو سبع أو عدم آلة استقاء أو ارهاق فى مكان لا ماء فيه أو غير ذلك مما لا يكثر كثرة المرض والسفر * وقرئ من غيط قيل هو تخفيف غيط كهين فى هين والغيط بمعنى الغائط (ألم تر) من رؤية القلب وعدى بالى على معنى ألم ينته علمك اليهم أو بمعنى ألم تنظر اليهم (أوتوا نصيبا من الكتاب) حظا من علم التوراة وهم أحبار اليهود (يشترون الضلالة) يستبدلونها بالهدى وهو البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوّة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه هو النبى العربى المبشر به فى التوراة والانجيل (ويريدون أن تضلوا) أنتم أيها المؤمنون سبيل الحق كما ضلوا وتنخرطوا فى سلكهم لا تكفيهم ضلالتهم بل يحبون أن يضل معهم غيرهم وقرئ أن يضلوا بالياء بفتح الضاد وكسرها (والله أعلم) منكم (بأعدائكم) وقد أخبركم بعداوة هؤلاء وأطلعكم على أحوالهم وما يريدون بكم فاحذروهم ولا تستنصحوهم فى أموركم ولا تستشيروهم (وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا) فثقوا بولايته ونصرته دونهم أو لا تبالوا بهم فان الله ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم (من الذين هادوا) بيان للذين أوتوا نصيبا من الكتاب لانهم يهود ونصارى وقوله والله أعلم وكفى بالله وكفى بالله جمل توسطت بين البيان والمبين على سبيل الاعتراض أو بيان لاعدائكم وما بينهما اعتراض أو صلة لنصيرا أى ينصركم من الذين هادوا كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ على أن يحرفون صفة مبتدأ محذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون كقوله

من الجنابة وموقع من على هذا مستعمل متداول وهى على هذا الاعراب اما للتعليل أو لابتداء الغاية وكلاهما فيها متمكن والله أعلم (قال محمود فان قلت كيف نظم فى سلك واحد بين المرضى والمسافرين وبين المحدثين والمجنبين الخ) قال أحمد وهذا من ذكر المعتنى به خاصا ومندرجا فى العموم تنبيها بذكره على وجهين مختلفين لان المرض والسفر مندرجان فى عموم المحدثين والمجنبين والله أعلم

وما

قوله تعالى يقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم الآية (قال محمود غير مسمع حال من المخاطب الخ) قال أحمد مراده بذلك أنه لما فسر غير مسمع بالدعاء وهو انشاء وطلب وقد وقعه حالا والحال خبر أراد أن يبين أوجه صحة التعبير عن الخبر بالانشاء بواسطة ان هؤلاء كانوا يظنون دعاءهم مستجابا مخبرا بوقوع المدعو فيه ونظيره ورود الامر بصيغة الخبر تنبيها على تحقق وقوعه (قال محمود ومعناه غير مسمع جوابا الخ) قال أحمد والظاهر ان الكلم المحرف انما أريد به في هذه السورة مثل غير مسمع وراعنا ولم يقصد ههنا تبديل الاحكام وتوسطها بين الكلمتين بين قوله يحرفون وبين قوله ليا بألسنتهم والمراد أيضا تحريف مشاهدين على أن المحرف هما وأمثالهما وأما في سورة المائدة فالظاهر والله أعلم ان المراد فيها بالكلم الاحكام وتحريفها تبديلها كتبديلهم الرجم بالجلد ألا تراه عقبه بقوله يقولون ان أوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا والاختلاف المراد بالكلم في السورتين قيل في سورة المائدة يحرفون الكلم من بعد مواضعه أي تنقلونه عن الموضع الذي وضعه الله فيه فصار وطنه ومستقره الى غير الموضع فبقي كالغريب المتأسف عليه الذي يقال فيه هذا غريب من بعد مواضعه ومقاره ولا يوجد هذا المعنى في مثل راعنا وغير مسمع وان وجد على بعد فليس الوضع اللغوي مما يعبأ بانتقاله عن موضعه كالوضع الشرعي ولولا اشتمال هذا النقل على الهزؤ والسخرية لما عظم أمره

يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها .

وما الدهر الا تارتان فنهما ● أموت وأخرى ابتغي العيش أكدح

أي فنهما تارة أموت فيها (يحرفون الكلم عن مواضعه) يميلونه عنها ويزيلونه لانهم اذا بدلوه ووضعوا مكانه كلما غيره فقد أمالوه عن مواضعه التي وضعه الله فيها وأزالوه عنها وذلك نحو تحريفهم أسمر ربعة عن موضعه في التوراة بوضعهم آدم طوال مكانه ونحو تحريفهم الرجم بوضعهم الحد بدله (فان قلت) كيف قيل ههنا عن مواضعه وفي المائدة من بعد مواضعه (قلت) أما عن مواضعه فعلى ما فسرناه من ازالته عن مواضعه التي أوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من ابدال غيره مكانه وأما من بعد مواضعه فالمعنى انه كانت له مواضع هو قمن بأن يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه ومقاره والمعنيان متقاربان وقرئ يحرفون الكلام والكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة ● قولهم (غير مسمع) حال من المخاطب أي اسمع وأنت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم أي اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لانه لو أجيبت دعوتهم عليه لم يسمع فكان أصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على أن قولهم لا سمعت دعوة مستجابة أو اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكأنك لم تسمع شيأ أو اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك عنه ناب ويجوز على هذا أن يكون غير مسمع مفعول اسمع أي اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك لا تعيه نبوا عنه ويحتمل المدح أي اسمع غير مسمع مكروها من قولك أسمع فلان فلانا اذا سبه وكذلك قولهم (راعنا) يحتمل راعنا نكلمك أي ارقبنا وانتظرنا ويحتمل شبه كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعينا فكانوا سخرية بالدين وهزؤا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والاهانة ويظهرون به التوقير والاكرام (ليا بألسنتهم) فتلا بها وتحريفا أي يفتلون بألسنتهم الحق الى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا أسمعت مكروها أو يفتلون بألسنتهم ما يضمرونه من الشتم الى ما يظهرونه من التوقير نفاقا (فان قلت) كيف جاؤا بالقول المحتمل ذي الوجهين بعد ما صرحوا وقالوا سمعنا وعصينا (قلت) جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء ويجوز أن يقولوه فيما بينهم ويجوز أن لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا جعلوا كأنهم نطقوا به ● وقرأ أبي وأنظرنا من الانظار وهو الامهال (فان قلت) الام يرجع الضمير في قوله (لكان خيرا لهم) (قلت) الى أنهم قالوا لان المعنى ولو ثبت قولهم سمعنا وأطعنا لكان قولهم ذلك خيرا لهم (وأقوم) وأعدل وأسد (ولكن لعنهم الله بكفرهم) أي خذلهم بسبب كفرهم وأبعدهم عن ألطافه (فلا يؤمنون الا) ايمانا (قليلا) أي ضعيفا ركيكا لا يعبأ به وهو ايمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره أو أراد بالقلة العدم كقوله ● قليل التشكي للمهم يصيبه ● أي عديم التشكي أو الا قليلا منهم قد آمنوا (أن نطمس وجوها) أي نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وأنف وفم (فنردها على أدبارها) فنجعلها على هيئة أدبارها وهي الاقفاء مطموسة مثلها والفاء للتسبيب وان جعلتها للتعقيب على انهم توعدوا بعقابين أحدهما عقيب الآخر ردها على أدبارها بعد طمسها فالمعنى أن نطمس وجوها فننكسها الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام ووجه آخر وهو أن يراد بالطمس القلب والتغيير كما طمس أموال القبط فقلبها حجارة وبالوجوه رؤسهم ووجهاؤهم أي من قبل أن تغير أحوال وجهائهم فنسلبهم اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وأدبارهم أو نردهم الى حيث جاؤا منه وهي أذرعات الشام يريد اجلاء بني النضير (فان قلت) لمن الراجع في قوله أو نلعنهم (قلت) للوجوه ان أريد الوجهاء أو لاصحاب الوجوه لان المعنى من قبل أن نطمس وجوه قوم أو يرجع الى الذين

فلذلك جاء هنا يحرفون الكلم عن مواضعه غير مقرون بما اقترن به الاول من صورة التأسف والله أعلم * قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء (قال محمود ان قلت قد ثبت ان الله عز وجل يغفر الشرك لمن تاب منه الخ) قال أحمد رحمه الله عقيدة أهل السنة ان الشرك غير مغفور البتة وما دونه من الكبائر مغفور لمن يشاء الله أن يغفره له هذا مع عدم التوبة وأما مع التوبة فكلاهما مغفور والآية انما وردت فيمن لم يتب ولم يذكر فيها توبة كما ترى فلذلك أطلق الله تعالى نفي مغفرة الشرك وأثبت مغفرة ما دونه مقرونة بالمشيئة كما ترى فهذا وجه انطباق الآية على عقيدة أهل السنة وأما القدرية فانهم يظنون التسوية بين الشرك وبين ما دونه من الكبائر في ان كل واحد من النوعين لا يغفر بدون التوبة ولا يشاء الله أن يغفرها الا للتائبين فاذا عرض الزمخشري هذا المعتقد على هذه الآية ردته ونبت عنه اذ المغفرة منفية فيها عن الشرك وثابتة لما دونه مقرونة بالمشيئة فاما أن يكون المراد فيهما من لم يتب فلا وجه للتفصيل بينهما بتعلق المغفرة في أحدهما بالمشيئة وتعليقها بالآخر مطلقا اذ هما سيان في استحالة المغفرة واما ان يكون المراد فيهما التائب فقد قال في الشرك انه لا يغفر والتائب من الشرك مغفور له وعند ذلك أخذ الزمخشري يقطع أحدهما عن الآخر فيجعل المراد مع الشرك عدم التوبة ومع الكبائر التوبة حتى تنزل الآية على وفق معتقده فيحملها أمرين لا تحتمل واحدا منهما * أحدهما اضافة التوبة الى المشيئة وهي غير مذكورة ولا دليل عليها فيما ذكر وايضا لو كانت مرادة لكانت هي السبب الموجب للمغفرة على زعمهم عقلا ولا يمكن تعلق المشيئة بخلافها على ظنهم في العقل فكيف يليق السكوت عن ذكر ما هو العمدة والموجب وذكر ما لا مدخل له على هذا المعتقد الردىء * الثاني انه بعد تقريره التوبة احتكم فقدرها على أحد القسمين دون الآخر وما هذا الا من جعل القرآن تبعا للرأي نعوذ بالله من ذلك وأما القدرية فهم بهذا المعتقد يقع عليهم المثل السائر السيد يعطي والعبد يمنع لان الله تعالى يصرح كرمه بالمغفرة للمصر على الكبائر ان شاء وهم يدفعون في وجه هذا التصريح ويحيلون المغفرة بناء على قاعدة الاصلح والصلاح التي هي بالفساد أجدر وأحق

أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثما مبينا ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون

أوتوا الكتاب على طريقة الالتفات (أو نلعنهم) أو نخزيهم بالمسخ كما مسخنا أصحاب السبت (فان قلت) فأين وقوع الوعيد (قلت) هو مشروط بالايمان وقد آمن منهم ناس وقيل هو منتظر ولا بد من طمس ومسخ لليهود قبل يوم القيامة ولان الله عز وجل أوعدهم بأحد الامرين بطمس وجوه منهم أو بلعنهم فان كان الطمس تبديل أحوال رؤسائهم أو اجلاءهم الى الشام فقد كان أحد الامرين وان كان غيره فقد حصل اللعن فانهم ملعونون بكل لسان والظاهر اللعن المتعارف دون المسخ الا ترى الى قوله تعالى قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير (وكان أمر الله مفعولا) فلا بد ان يقع أحد الامرين ان لم يؤمنوا (فان قلت) قد ثبت ان الله عز وجل يغفر الشرك لمن تاب منه وأنه لا يغفر ما دون الشرك من الكبائر الا بالتوبة فما وجه قوله تعالى (ان لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) (قلت) الوجه ان يكون الفعل المنفي والمثبت جميعا موجهين الى قوله تعالى لمن يشاء كأنه قيل ان الله لا يغفر لمن يشاء الشرك ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك على أن المراد بالاول من لم يتب وبالثاني من تاب ونظيره قولك ان الامير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء تريد لا يبذل الدينار لمن لا يستأهله ويبذل القنطار لمن يستأهله (فقد افترى اثما) أي ارتكبه وهو مفتر مفتعل ما لا يصح كونه (الذين يزكون أنفسهم) اليهود والنصارى قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى وقيل جاء رجال من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأطفالهم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار فنزلت ويدخل فيها كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة والتقوى والزلفى عند الله (فان قلت) أما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اني لأمين في السماء أمين في الارض (قلت) انما قال ذلك حين قال له المنافقون اعدل في القسمة اكذابا لهم اذ وصفوه بخلاف ما وصفه به ربه وشتان من شهد الله له بالتزكية ومن شهد لنفسه أو شهد له من لا يعلم (بل الله يزكي من يشاء) اعلام بان تزكية الله هي التي يعتد بها لا تزكية غيره لانه هو العالم بمن هو أهل للتزكية ومعنى يزكي من يشاء يزكي المرتضين من عباده الذين عرف منهم الزكاء فوصفهم به (ولا يظلمون فتيلا) أي الذين يزكون أنفسهم يعاقبون على تزكيتهم أنفسهم حق جزائهم أو من يشاء يثابون على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم ونحوه فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى (كيف يفترون على الله الكذب) في زعمهم أنهم عند الله أزكياء (وكفى) بزعمهم هذا (اثما مبينا) من بين سائر آثامهم * الجبت الاصنام وكل ما عبد من دون الله والطاغوت الشيطان وذلك ان حيي بن أخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أنتم أهل كتاب وأنتم أقرب الى محمد

منكم

منكم الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم (بالجبت والطاغوت)
لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس فيما فعلوا وقال أبو سفيان أنحن أهدى سبيلا أم محمد فقال كعب ماذا
يقول محمد قالوا يأمر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت ونسقي الحاج
ونقري الضيف ونفك العاني وذكروا أفعالهم فقال أنتم أهدى سبيلا * وصف اليهود بالبخل والحسد وهما
شر خصلتين يمنعون ما أوتوا من النعمة ويتمنون أن تكون لهم نعمة غيرهم فقال (أم لهم نصيب من الملك)
على ان أم منقطعة ومعنى الهمزة لانكار أن يكون لهم نصيب من الملك ثم قال (فاذا لا يؤتون) أى لو كان لهم
نصيب من الملك فاذا لا يؤتون أحدا مقدار نقير لفرط بخلهم * والنقير النقرة فى ظهر النواة وهو مثل فى القلة
كالفتيل والقطمير والمراد بالملك اما ملك أهل الدنيا واما ملك الله كقوله تعالى قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة
ربى اذا لامسكتم خشية الانفاق وهذا أوصف لهم بالشح وأحسن لطباقه نظيره من القرآن ويجوز
أن يكون معنى الهمزة فى أم لانكار أنهم قد أوتوا نصيبا من الملك وكانوا أصحاب أموال وبساتين وقصور
مشيدة كما تكون أحوال الملوك وانهم لا يؤتون أحدا مما يملكون شيأ * وقرأ ابن مسعود فاذا لا يؤتوا على
اعمال اذا عملها الذى هو النصب وهى ملغاة فى قراءة العامة كأنه قيل فلا يؤتون الناس نقيرا اذا (أم يحسدون
الناس) بل أيحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على انكار الحسد واستقباحه وكانوا يحسدونهم
على ما آتاهم الله من النصرة والغلبة وازدياد العز والتقدم كل يوم (فقد آتينا) الزام لهم بما عرفوه من ايتاء
الله الكتاب والحكمة (آل ابراهيم) الذين هم أسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وأنه ليس ببدع أن يؤتيه
الله مثل ما آتى أسلافه وعن ابن عباس الملك فى آل ابراهيم ملك يوسف وداود وسليمان وقيل استكثروا
نساءه فقيل لهم كيف استكثرتم له التسع وقد كان لداود مائة ولسليمان ثلثمائة مهيرة وسبعمائة سرية
(فمنهم) فمن اليهود (من آمن به) أى بما ذكر من حديث آل ابراهيم (ومنهم من صد عنه) وأنكره مع
علمه بصحته أو من اليهود من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من أنكر نبوته أو من آل ابراهيم
من آمن بابراهيم ومنهم من كفر كقوله فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون (بدلناهم جلودا غيرها) أبدلناهم
اياها (فان قلت) كيف تعذب مكان الجلود العاصية جلود لم تعص (قلت) العذاب للجملة الحساسة
وهى التى عصت لا الجلد وعن فضيل يجعل النضيج غير نضيج وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم تبدل جلودهم
كل يوم سبع مرات وعن الحسن سبعين مرة يبدلون جلودا بيضاء كالقراطيس (ليذوقوا العذاب)
ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز أعزك الله أى أدامك على عزك وزادك فيه (عزيزا) لا يمتنع عليه
شئ مما يريده بالمجرمين (حكيما) لا يعذب الا بعدل من يستحقه (ظليلا) صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيد
معناه كما يقال ليل أليل ويوم أيوم وما أشبه ذلك وهو ما كان فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس
وسجسجا لا حر فيه ولا برد وليس ذلك الا ظل الجنة رزقنا الله بتوفيقه لما يزلف اليه التفيؤ تحت ذلك الظل *
وفى قراءة عبد الله سيدخلهم بالياء (أن تؤدوا الأمانات) الخطاب عام لكل أحد فى كل أمانة وقيل نزلت فى
عثمان بن طلحة بن عبد الدار وكان سادن الكعبة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة يوم
الفتح أغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وأبى أن يدفع المفتاح اليه وقال لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه
فلوى على بن أبى طالب رضى الله عنه يده وأخذه منه وفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين
فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فأمر عليا أن يرده الى عثمان
ويعتذر اليه فقال عثمان لعلى أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد أنزل الله فى شأنك قرآنا وقرأ عليه
الآية فقال عثمان أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فهبط جبريل وأخبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن السدانة فى أولاد عثمان أبدا وقيل هو خطاب للولاة بأداء الامانات * والحكم بالعدل وقرئ
الامانة على التوحيد (نعما يعظكم به) ما اما أن تكون منصوبة موصوفة بيعظكم به واما أن تكون مرفوعة
موصولة به كأنه قيل نعم شيأ يعظكم به أو نعم الشئ الذى يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف أى نعما يعظكم

بالجبت والطاغوت
ويقولون للذين كفروا
هؤلاء أهدى من الذين
آمنوا سبيلا أولئك
الذين لعنهم الله ومن
يلعن الله فلن تجد له
نصيرا أم لهم نصيب
من الملك فاذا لا يؤتون
الناس نقيرا أم يحسدون
الناس على ما آتاهم الله
من فضله فقد آتينا آل
ابراهيم الكتاب
والحكمة وآتيناهم
ملكا عظيما فمنهم من
آمن به ومنهم من صد
عنه وكفى بجهنم سعيرا
ان الذين كفروا بآياتنا
سوف نصليهم نارا كلما
نضجت جلودهم
بدلناهم جلودا غيرها
ليذوقوا العذاب ان
الله كان عزيزا حكيما
والذين آمنوا وعملوا
الصالحات سندخلهم
جنات تجرى من تحتها
الانهار خالدين فيها أبدا
لهم فيها أزواج مطهرة
وندخلهم ظلا ظليلا
ان الله يأمركم أن
تؤدوا الامانات الى
أهلها واذا حكمتم بين
الناس أن تحكموا
بالعدل ان الله نعما
يعظكم به ان الله كان
سميعا بصيرا يا أيها الذين
آمنوا أطيعوا الله
وأطيعوا الرسول وأولى
الامر منكم

به ذلك وهو المأمور به من أداء الامانات والعدل فى الحكم وقرئ نعما بفتح النون * لما أمر الولاة بأداء
الامانات الى أهلها وأن يحكموا بالعدل أمر الناس بأن يطيعوهم وينزلوا على قضاياهم والمراد بأولى الامر
منكم أمراء الحق لان أمراء الجور الله ورسوله بريئان منهم فلا يعطفون على الله ورسوله فى وجوب الطاعة
لهم وانما يجمع بين الله ورسوله والامراء الموافقين لهما فى ايثار العدل واختيار الحق والامر بهما والنهى
عن أضدادهما كالخلفاء الراشدين ومن تبعهم باحسان وكان الخلفاء يقولون أطيعونى ما عدلت فيكم فان
خالفت فلا طاعة لى عليكم وعن أبى حازم أن مسلمة بن عبد الملك قال له ألستم أمرتم بطاعتنا فى قوله وأولى الامر
منكم قال أليس قد نزعت عنكم اذا خالفتم الحق بقوله فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول وقيل هم
أمراء السرايا وعن النبى صلى الله عليه وسلم من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن يطع
أميرى فقد أطاعنى ومن يعص أميرى فقد عصانى وقيل هم العلماء الدينون الذين يعلمون الناس الدين
ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر (فان تنازعتم فى شئ) فان اختلفتم أنتم وأولو الامر منكم فى شئ
من أمور الدين * فردوه الى الله ورسوله أى ارجعوا فيه الى الكتاب والسنة وكيف تلزم طاعة أمراء الجور
وقد جنح الله الامر بطاعة أولى الامر بما لا يبقى معه شك وهو أن أمرهم أولا بأداء الامانات وبالعدل
فى الحكم وأمرهم آخرا بالرجوع الى الكتاب والسنة فيما أشكل وأمراء الجور لا يؤدون أمانة ولا
يحكمون بعدل ولا يردون شيأ الى كتاب ولا الى سنة انما يتبعون شهواتهم حيث ذهبت بهم فهم
منسلخون عن صفات الذين هم أولو الامر عند الله ورسوله وأحق أسمائهم اللصوص المتغلبة (ذلك) اشارة
الى الرد أى الرد الى الكتاب والسنة (خير) لكم وأصلح (وأحسن تأويلا) وأحسن عاقبة وقيل أحسن تأويلا
من تأويلكم أنتم * روى أن بشرا المنافق خاصم يهوديا فدعاه اليهودى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاه
المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودى فلم يرض
المنافق وقال تعال نتحاكم الى عمر بن الخطاب فقال اليهودى لعمر قضى لنا رسول الله فلم يرض بقضائه فقال
للمنافق أكذلك قال نعم فقال عمر مكانكما حتى أخرج اليكما فدخل عمر فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق
المنافق حتى برد ثم قال هكذا أقضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل ان عمر فرق بين
الحق والباطل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت الفاروق * والطاغوت كعب بن الاشرف سماه
الله طاغوتا لافراطه فى الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو على التشبيه بالشيطان والتسمية
باسمه أو جعل اختيار التحاكم الى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان بدليل
قوله (وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم) * وقرئ بما أنزل وما أنزل على البناء للفاعل
* وقرأ عباس بن الفضل أن يكفروا بهن ذهابا بالطاغوت الى الجمع كقوله أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم *
وقرأ الحسن تعالوا بضم اللام على أنه حذف اللام من تعاليت تخفيفا كما قالوا ما باليت به بالة وأصلها
بالية كعافية وكما قال الكسائى فى آية ان أصلها آيية فاعلة فحذفت اللام فلما حذفت وقعت واو الجمع
بعد اللام من تعال فضمت فصارت تعالوا نحو تقدموا ومنه قول أهل مكة تعالى بكسر اللام للمرأة وفى شعر
الحمدانى * تعالى أقاسمك الهموم تعالى * والوجه فتح اللام (فكيف) يكون حالهم وكيف يصنعون يعنى
أنهم يعجزون عند ذلك فلا يصدرون أمرا ولا يوردونه (اذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم) من
التحاكم الى غيرك واتهامهم لك فى الحكم (ثم جاؤك) حين يصابون فيعتذرون اليك (ويحلفون)
ما أردنا بتحاكمنا الى غيرك (الا احسانا) لا اساءة (وتوفيقا) بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك
ففرج عنا بدعائك وهذا وعيد لهم على فعلهم وأنهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغنى
عنهم الاعتذار عند حلول بأس الله وقيل جاء أولياء المنافق يطلبون بدمه وقد أهدره الله فقالوا ما أردنا
بالتحاكم الى عمر الا أن يحسن الى صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا أنه
يحكم له بما حكم به (فأعرض عنهم) لا تعاقبهم لمصلحة فى استبقائهم ولا تزد على كفهم بالموعظة والنصيحة

فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف اذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤك يحلفون بالله ان أردنا الا احسانا وتوفيقا أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم

* قوله تعالى فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا (قال محمود ان قلت بم تعلق قوله في أنفسهم الخ) قال أحمد ولكل من هذه التأويلات شاهد على الصحة أما الأول فلأن حاصله أمره بتهديدهم على وجه مبلغ صميم قلوبهم وسياق التهديد في قوله فكيف اذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤك فيشهد له فانه أخبر بما سيقع لهم على سبيل التهديد وأما الثاني فلائمه من السياق قوله أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم يعني ما انطوت عليه من الخبث والمكر والحيل ثم أمره بوعظهم والاعراض عن جرائمهم حتى لا تكون مؤاخذتهم بها مانعة من نصحهم ووعظهم ثم جاء قوله وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا كالشرح للوعظ ولذكر أهم ما يعظهم فيه وتلك نفوسهم التي علم الله ما انطوت عليه من المذام وعلى هذا يكون المراد الوعظ وما يتعلق به وأما الثالث فيشهد له سيرته عليه الصلاة والسلام في كتم عناد المنافقين والتجافي عن افضاحهم والستر عليهم حتى عد حذيفة رضي الله عنه صاحب سره عليه الصلاة والسلام لتخصيصه اياه بالاطلاع على أعيانهم وتسميتهم له بأسمائهم وأخباره في هذا المعنى كثيرة * قوله تعالى ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول الآية (قال محمود وانما لم يقل واستغفرت لهم لانه عدل به الخ) قال أحمد وفي هذا النوع من الالتفات خصوصية وهي اشتماله على ذكر صفة مناسبة لما أضيف اليه وذلك زائد على الالتفات بذكر الاعلام الجامدة (٣٧١) والله الموفق * قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم (قال معناه فوربك ولا مزيدة لتأكيد الخ) قال أحمد يشير الى أن لا انما زيدت مع القسم وان

عما هم عليه (وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا) بالغ في وعظهم بالتخويف والانذار (فان قلت) بم تعلق قوله في أنفسهم (قلت) بقوله بليغا أي قل لهم قولا بليغا في أنفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستئصال ان نجم منهم النفاق وأطلع قرنه وأخبرهم أن ما في نفوسهم من الدغل والنفاق معلوم عند الله وانه لا فرق بينكم وبين المشركين وما هذه المكافة الا لاظهاركم الايمان واسراركم الكفر واضماره فان فعلتم ما تكشفون به غطاءكم لم يبق الا السيف أو يتعلق بقوله قل لهم أي قل لهم في معنى أنفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا وان الله يعلم ما في قلوبكم لا يخفى عليه فلا يغني عنكم ابطانه فأصلحوا أنفسكم وطهروا قلوبكم وداووها من مرض النفاق والا أنزل الله بكم ما أنزل بالمجاهرين بالشرك من انتقامه وشرا من ذلك وأغلظ أو قل لهم في أنفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحة لانها في السر أنجع وفي الامحاض أدخل قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم (وما أرسلنا من رسول) وما أرسلنا رسولا قط (الا ليطاع باذن الله) بسبب اذن الله في طاعته وبأنه أمر المبعوث اليهم بأن يطيعوه ويتبعوه لانه مؤد عن الله فطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله ومن يطع الرسول فقد أطاع الله ويجوز أن يراد بتيسير الله وتوفيقه في طاعته (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم) بالتحاكم الى الطاغوت (جاؤك) تائبين من النفاق متنصلين عما ارتكبوا (فاستغفروا الله) من ذلك بالاخلاص وبالغوا في الاعتذار اليك من ايذائك برد قضائك حتى انتصبت شفيعا لهم الى الله ومستغفرا (لوجدوا الله توابا) لعلموه توابا أي لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه الى طريقة الالتفات تفخيما لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على أن شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان (فلا وربك) معناه فوربك كقوله تعالى فوربك لنسألنهم ولا مزيدة لتأكيد معنى القسم كما زيدت في لئلا يعلم لتأكيد وجوب العلم (لا يؤمنون) جواب القسم

وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك

لم يكن المقسم به دل ذلك على انها انما تدخل فيه لتأكيد القسم فاذا دخلت حيث يكون المقسم عليه نفيا تعين جعلها لتأكيد القسم طردا للباب والظاهر عنده والله أعلم أنها هنا لتوطئة النفي المقسم عليه والزمخشري لم يذكر مانعا من ذلك وحاصل ما ذكره مجيئها لغير هذا المعنى في الاثبات وذلك لا يأبى مجيئها في النفي على الوجه الآخر من التوطئة على ان في دخولها على القسم المثبت نظرا وذلك انها لم ترد في الكتاب العزيز الا مع القسم حيث يكون الفعل مثل لا أقسم بهذا البلد لا أقسم بيوم القيامة فلا أقسم بالخنس فلا أقسم بمواقع النجوم فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون ولم تدخل أيضا الا على القسم بغير الله تعالى ولذلك سر يأبى كونها في آية النساء لتأكيد القسم ويعين كونها للتوطئة وذلك ان المراد بها في جميع الآيات التي عددناها تأكيد تعظيم المقسم به اذ لا يقسم بالشيء الا اعظاما له فكأنه بدخولها يقول ان اعظامي لهذه الأشياء بالقسم بها كلا اعظام يعني انها تستوجب من التعظيم فوق ذلك وهذا التأكيد انما يؤتى به رفعا لتوهم كون هذه الأشياء غير مستحقة للتعظيم وللاقسام بها فيزاح هذا الوهم بالتأكيد في ابراز فعل القسم مؤكدا بالنفي المذكور وقد قرر الزمخشري هذا المعنى في دخول لا عند قوله لا أقسم بيوم القيامة على وجه مجمل هذا بسطه وايضاحه فاذا بين ذلك فهذا الوهم الذي يراد ازاحته في القسم بغير الله مندفع في الاقسام بالله فلا يحتاج الى دخول لا مؤكدة للقسم فيتعين حملها على الموطئة ولا تكاد تجدها في غير الكتاب العزيز داخلة على قسم مثبت وأما دخولها في القسم وجوابه نفي فكثير مثل فلا وأبيك ابنة العامري * لا يدعي القوم أني أفر * وكقوله ألا نادت أمامة باحتمال * لتحزنني فلا بك ما أبالي

(فان قلت) هلا زعمت أنها زيدت لتظاهر لا فى لا يؤمنون (قلت) يأبى ذلك استواء النفى والاثبات فيه وذلك قوله فلا أقسم بما تبصرون ومالا تبصرون انه لقول رسول كريم (فيما شجر بينهم) فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل أغصانه (حرجا ضيقا) أى لا تضيق صدورهم من حكمك وقيل شكا لان الشاك فى ضيق من أمره حتى يلوح له اليقين (ويسلموا) وينقادوا ويذعنوا لما تأتى به من قضائك لا يعارضوه بشئ من قولك سلم لامر الله وأسلم له وحقيقته سلم نفسه له وأسلمها اذا جعلها سالمة له خالصة و (تسليما) تأكيد للفعل بمنزلة تكريره كأنه قيل وينقادوا الحكمه انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت فى شأن المنافق واليهودى وقيل فى شأن الزبير وحاطب بن أبى بلتعة وذلك أنهما اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم أرسل الماء الى جارك فغضب حاطب وقال لان كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر واستوف حقك ثم أرسله الى جارك كان قد أشار على الزبير برأى فيه السعة له ولخصمه فلما أحفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعب للزبير حقه فى صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال لمن كان القضاء فقال الانصارى قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن يهودى كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون أنه رسول الله ثم يتهمونه فى قضاء يقضى بينهم وايم الله لقد أذنبنا ذنبا مرة فى حياة موسى فدعانا الى التوبة منه وقال اقتلوا أنفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين ألفا فى طاعة ربنا حتى رضى عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس أما والله ان الله ليعلم منى الصدق لو أمرنى محمد أن أقتل نفسى لقتلتها وروى أنه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان من أمتى رجالا الايمان أثبت فى قلوبهم من الجبال الرواسى وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال والله لو أمرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذى لم يفعل بنا ذلك فنزلت الآية فى شأن حاطب ونزلت فى شأن هؤلاء (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم) أى لو أوجبنا عليهم مثل ما أوجبنا على بنى اسرائيل من قتلهم أنفسهم أو خروجهم من ديارهم حين استتيبوا من عبادة العجل (ما فعلوه الا) ناس (قليل منهم) وهذا توبيخ عظيم والرفع على البدل من الواو فى فعلوه * وقرئ الا قليلا بالنصب على أصل الاستثناء أو على الا فعلا قليلا (ما يوعظون به) من اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم به لانه الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى (لكان خيرا لهم) فى عاجلهم وآجلهم (وأشد تثبيتا) لايمانهم وأبعد من الاضطراب فيه (واذا) جواب لسؤال مقدر كأنه قيل وماذا يكون لهم أيضا بعد التثبيت فقيل واذا لو ثبتوا (لآتيناهم) لان اذا جواب وجزاء (من لدنا أجرا عظيما) كقوله ويؤت من لدنه أجرا عظيما فى أن المراد العطاء المتفضل به من عنده وتسميته أجرا لانه تابع للاجر لا يثبت الا بثباته (ولهديناهم) ولطفنا بهم ووفقناهم لازدياد الخيرات * الصديقون أفاضل صحابة الانبياء الذين تقدموا فى تصديقهم كأبى بكر الصديق رضى الله عنه وصدقوا فى أقوالهم وأفعالهم وهذا ترغيب للمؤمنين فى الطاعة حيث وعدوا مرافقة أقرب عباد الله الى الله وأرفعهم درجات عنده (وحسن أولئك رفيقا) فيه معنى التعجب كأنه قيل وما أحسن أولئك رفيقا ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون السين يقول المتعجب حسن الوجه وجهك وحسن الوجه وجهك بالفتح والضم مع التسكين والرفيق كالصديق والخليط فى استواء الواحد والجمع فيه ويجوز أن يكون مفردا بين به الجنس فى باب التمييز وروى أن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فأتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن فى وجهه فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال يا رسول الله ما بى من وجع غير أنى اذا لم أرك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك فذكرت الآخرة فخفت أن لا أراك هناك لانى عرفت أنك ترفع مع النبيين وان أدخلت الجنة كنت فى منزل دون منزلك وان لم أدخل فذاك حين لا أراك أبدا فنزلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لا يؤمن عبد حتى أكون أحب اليه من نفسه وأبويه وأهله وولده والناس أجمعين وحكى ذلك عن جماعة من الصحابة (ذلك) مبتدأ و (الفضل) صفته و (من الله) الخبر ويجوز أن يكون ذلك مبتدأ والفضل من الله خبره والمعنى أن ما أعطى المطيعون من

الاجر

فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا واذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله

وقوله

رأى برقا فأوضع فوق بكر
فلا بك ما أسال ولا أغاما

وقوله

نشأ الف فلا والله تهبط تلعة
من الارض الا أنت للذل عارف

وهو أكثر من أن يحصى فتأمل هذا الفصل فانه حقيق بالتأمل

* قوله تعالى فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم الى قوله ذلك الفضل من الله (قال محمود والمعنى ان ما اعطى المطيعون من الاجر الخ) قال أحمد عقيدة أهل السنة ان المطيع لا يستحق على الله بطاعته شيأ وانه مهما أثيب به من دخول الجنة والنجاة من النار فذلك فضل من الله لا عن استحقاق ثابت فهم يقرؤن هذه الآية في رجائهم وأما القدرية فيزعمون ان المطيع يستوجب على الله ثواب الطاعة وان المقابل لطاعته من الثواب أجر مستحق كالاجرة على العمل في الشاهد ليس بفضل وانما الفضل ما زاده العبد على حقه من أنواع الثواب وصنوف الكرامة فلما وردت هذه الآية ناطقة بان جملة ما يناله عباد الله فضل من الله اضطر الزمخشري الى ردها الى معتقده فجعل الفضل المشار اليه هو الزيادة التابعة للثواب يعني المستحق ثم اتسع في التأويل فذكر وجها آخر وهو ان يكون المشار اليه جزاء هؤلاء المطيعين في طاعتهم وتميزهم بأعمالهم وجعل معنى كونها فضلا من الله انه وفقهم لا كتسابها ومكنهم من ذلك لا غير يعني وأما احداثها فبقدرهم وهذا من الطراز الاول والحق أن الكل أيضا فضل من الله بكل اعتبار لان معتقدنا معاشر أهل (٢٧٣) السنة ان الطاعات والاعمال التي يتميز بها هؤلاء الخواص خلق الله تعالى وفعله وان قدرهم لا تأثير لها في أعمالهم بل الله عز وجل يخلق على أيديهم الطاعات ويثيبهم عليها فالطاعة اذا من فضله وثوابها من فضله فلله الفضل على كل حال والمنة في الفاتحة والمآل وكفى بقول سيد البشر في ذلك حجة وقدوة فقد قال عليه أفضل الصلاة والسلام لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله ولكن بفضل الله ورحمته قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله بفضل منه ورحمة قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا اللهم اختم لنا باقتفاء السنة وأدخلنا بفضلك المحض الجنة * قوله تعالى وان منكم لمن ليبطئن فان أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله على اذ لم أكن معهم شهيدا ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما (قال محمود فيه المراد بالمصيبة القتل والهزيمة الخ) قال أحمد وفي هذه القراءة نكتة غريبة وهي الاعادة الى اللفظ من بعد الاعادة الى معناها وهو مستغرب أنكر بعضهم وجوده في الكتاب العزيز لما يلزم من الاجمال بعد البيان وهو خلاف قانون البلاغة اذ الاعادة الى لفظها ليس بفصح عن معناها بل تنازله لمعنى مجمل مبهم فوقوعه بعد البيان عسر ومنهم من أثبته وعد موضعين وهذه الآية على هذه القراءة ثالث وسيأتي بيان شاف ان شاء الله تعالى

وكفى بالله عليما يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا وان منكم لمن ليبطئن فان أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله على اذ لم أكن معهم شهيدا ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله

الاجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الله لانه تفضل به عليهم تبعا لثوابهم (وكفى بالله عليما) بجزاء من أطاعه أو أراد أن فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله لانهم اكتسبوه بتمكينه وتوفيقه وكفى بالله عليما بعباده فهو يوفقهم على حسب أحوالهم (خذوا حذركم) الحذر والحذر بمعنى كالاثر والاثر يقال أخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كأنه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من أنفسكم (فانفروا) اذا نفرتم الى العدو اما (ثبات) جماعات متفرقة سرية بعد سرية واما (جميعا) أي مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بأنفسكم الى التهلكة * وقرئ فانفروا بضم الفاء اللام في (لمن) للابتداء بمنزلتها في قوله ان الله لغفور وفي (ليبطئن) جواب قسم محذوف تقديره وان منكم لمن أقسم بالله ليبطئن والقسم وجوابه صلة من والضمير الراجع منها اليه ما استكن في ليبطئن والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمبطئون منهم المنافقون لانهم كانوا يغزون معهم نفاقا ومعنى ليبطئن ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وبطأ بمعنى أبطأ كعتم بمعنى أعتم اذا أبطأ وقرئ ليبطئن بالتخفيف يقال بطأ على فلان وأبطأ على وبطؤ نحو ثقل ويقال ما بطأ بك فيعدى بالباء ويجوز أن يكون منقولا من بطؤ نحو ثقل من ثقل فيراد ليبطئن غيره وليثبطنه عن الغزو وكان هذا ديدن المنافق عبد الله بن أبي وهو الذي ثبط الناس يوم أحد (فان أصابتكم مصيبة) من قتل أو هزيمة (فضل من الله) من فتح أو غنيمة (ليقولن) وقرأ الحسن ليقولن بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من لان قوله لمن ليبطئن في معنى الجماعة وقوله (كأن لم تكن بينكم وبينه مودة) اعتراض بين الفعل الذي هو ليقولن وبين مفعوله وهو (يا ليتني) والمعنى كأن لم تتقدم له معكم موادة لان المنافقين كانوا يوادون المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر وان كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن والظاهر أنه تهكم لانهم كانوا أعدى عدو للمؤمنين وأشدهم حسدا لهم فكيف يوصفون بالمودة الا على وجه العكس تهكما بحالهم * وقرئ فأفوز بالرفع عطفا على كنت معهم لينتظم الكون معهم والفوز معنى التمني فيكونا متمنيين جميعا ويجوز أن يكون خبر مبتدا محذوف بمعنى فأنا أفوز في ذلك الوقت (يشرون) بمعنى يشترون ويبيعون قال ابن مفرغ

وشريت بردا ليتني * من بعد برد كنت هامه

فالذين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة هم المبطئون وعظوا بأن يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا الايمان

* قوله تعالى وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها (قال محمود يجوز أن يكون المستضعفين مجرورا الى قوله ومنصوبا الخ) قال أحمد وفيه على هذا مبالغة في الحث على خلاصهم من جهتين احداهما التخصيص بعد التعميم فانه يقتضي اضمار الناصب الذي هو اختص ولولا النصب لكان التخصيص معلوما من افراده بالذكر ولكن اكد هذا المعلوم بطريق اللزوم بأن أخرجه الى النطق * قوله تعالى الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها (قال محمود ان قلت لم ذكر الظالم وموصوفه مؤنث الخ) قال أحمد ووقفت على نكتة في هذه الآية حسنة وهي ان كل قرية ذكرت في الكتاب العزيز فالظلم اليها ينسب بطريق المجاز كقوله وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة الى قوله فكفرت بأنعم الله وقوله وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها وأما هذه القرية في سورة النساء فينسب الظلم الى أهلها على الحقيقة لان المراد بها مكة فوقرت عن نسبة الظلم اليها تشريفا لها شرفها الله تعالى * قوله تعالى يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية (قال محمود قوله تعالى كخشية من اضافة المصدر الخ) قال أحمد وقد مر نظير هذه الآية في الاعراب وهو قوله تعالى فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا وقد قرأ الزمخشري ثم ما أذعن له ههنا وهو الجر عطفا على الذكر وبينا ثم جوازه بالتأويل الذي ذكره الزمخشري ههنا وهو الحاقه بباب جد جده وأصل هذا الاعراب لابي الفتح وقد بينت جواز الجر عطفا على الذكر من غير احتياج الى التأويل المذكور وأجرى مثله ههنا وهو وجه

والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال

بالله ورسوله ويجاهدوا في سبيل الله حق الجهاد والذين يبيعون هم المؤمنون الذين يستحبون الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها والمعنى ان صد الذين مرضت قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون * ووعد المقاتل في سبيل الله ظافرا أو مظفورا به ايتاء الاجر العظيم على اجتهاده في اعزاز دين الله (والمستضعفين) فيه وجهان أن يكون مجرورا عطفا على سبيل الله أي في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين ومنصوبا على الاختصاص يعني واختص من سبيل الله خلاص المستضعفين لان سبيل الله عام في كل خير وخلاص المستضعفين من المسلمين من أيدي الكفار من أعظم الخير وأخصه والمستضعفون هم الذين أسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين أظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الاذى الشديد وكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج الى المدينة وبقي بعضهم الى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولي وناصر وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولاهم أحسن التولي ونصرهم أقوى النصر ولما خرج استعمل على أهل مكة عتاب بن أسيد فرأوا منه الولاية والنصرة كما أرادوا قال ابن عباس كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا أعز بها من الظلمة (فان قلت) لم ذكر الولدان (قلت) تسجيلا بافراط ظلمهم حيث بلغ أذاهم الولدان غير المكلفين ارغاما لآبائهم وأمهاتهم ومبغضة لهم لمكانهم ولان المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس وكما وردت السنة باخراجهم في الاستسقاء وعن ابن عباس كنت أنا وأمي من المستضعفين من النساء والولدان ويجوز أن يراد بالرجال والنساء الاحرار والحرائر وبالولدان العبيد والاماء لان العبد والامة يقال لهما الوليد والوليدة وقيل للولدان والولائد الولدان لتغليب الذكور على الاناث كما يقال الآباء والاخوة (فان قلت) لم ذكر الظالم وموصوفه مؤنث (قلت) هو وصف للقرية الا أنه مسند الى أهلها فأعطى اعراب القرية لانه صفتها وذكر لاسناده الى الاهل كما تقول من هذه القرية التي ظلم أهلها ولو أنث فقيل الظالمة أهلها لجاز لا لتأنيث الموصوف ولكن لان الاهل يذكر ويؤنث (فان قلت) هل يجوز من هذه القرية الظالمين أهلها (قلت) نعم كما تقول التي ظلموا أهلها على لغة من يقول أكلوني البراغيث ومنه وأسروا النجوى الذين ظلموا * رغب الله المؤمنين ترغيبا وشجعهم تشجيعا باخبارهم أنهم انما يقاتلون في سبيل الله فهو وليهم وناصرهم وأعداؤهم يقاتلون في سبيل الشيطان فلا ولي لهم الا الشيطان وكيد الشيطان للمؤمنين الى جنب كيد الله للكافرين أضعف شيء وأوهنه (كفوا أيديكم) أي كفوها عن القتال وذلك أن المسلمين كانوا مكفوفين عن مقاتلة الكفار ما داموا بمكة وكانوا يتمنون أن يؤذن لهم فيه (فلما كتب عليهم القتال) بالمدينة كع فريق منهم لا شكا في الدين ولا رغبة عنه ولكن نفورا عن الاخطار بالارواح وخوفا من الموت (كخشية الله) من اضافة المصدر الى المفعول (فان قلت) ما محل كخشية الله من الاعراب (قلت) محله النصب على الحال من الضمير في يخشون أي يخشون الناس مثل أهل خشية الله أي مشبهين لاهل خشية الله (أو أشد خشية) يعني أو أشد خشية من أهل خشية الله وأشد معطوف على الحال (فان قلت) لم عدلت عن الظاهر وهو كونه صفة للمصدر ولم تقدر يخشون خشية مثل خشية الله بمعنى مثل ما يخشى الله (قلت) أبى ذلك قوله أو أشد خشية

تحسن استنبطته من كتاب سيبويه فان أصبت فمن الله وان أخطأت فمني والله الموفق الذي ذكر سيبويه جواز قول القائل زيد أشجع
الناس رجلا ثم قال سيبويه فرجل واقع على المبتدا ولك أن تجره فتقول زيد أشجع رجل وهو الاصل انتهى المقصود من كلام سيبويه واذا
بنيت عليه جاز أن تقول خشي فلان أشد خشية فتنصب الخشية وأنت تريد المصدر كأنك قلت خشي فلان خشية أشد خشية فتوقع
خشية الثانية على الاولى وان نصبتها فهو كما قلت زيد أشجع رجلا فأوقعت رجلا على زيد وان كنت نصبته فهو على ان الاصل أن تقول
أشد خشية فتجرها كما كان الاصل أن تقول زيد أشجع رجل فتجره ومامنع الزمخشري من النصب مع وقوعه على المصدر الا ان مقتضى
النصب في مثله خروج المنصوب عن الاول بخلاف المجرور ألا تراك تقول زيد أكرم أبا فيكون زيد من الابناء وأنت تفضل أباه وتقول
زيد أكرم اب فيكون من الآباء وأنت تفضله فلو ذهبت توقع أشد على الخشية الاولى وقد نصبت تمييزها لزم خروج الثاني عن الاول وهو
محال اذ لا تكون الخشية خشية فتحتاج الى التأويل المذكور وهو جعل الخشية الاولى خاشية (٣٧٥) حتى تخرجها عن المصدر المميز
لها وقد بينا في كلام سيبويه جواز النصب مع وقوع الثاني على الاول كالو جرت فلذلك يجوز في الآية من غير
تأويل والله أعلم وقد مضت وجوه من الاعراب في آية البقرة يتعذر بعضها ههنا المنافرة
المعنى والله الموفق ومثل هذه الانواع من الاعراب منزل من العربية منزلة اللب الخالص فلا يوصل اليها لا بعد تجاوز جملة القشور ورب
الفتاح العليم * قوله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة (قال محمود قرئ يدرككم بالرفع وقيل هو على حذف الفاء
الخ) قال أحمد أما لوجه الذي ألحقه بتوجيه سيبويه في الشعرين المذكورين ففيه نظر أما قوله ولا ناعب فمختار ان دخول الباء في خبر
ليس أمر مطرد غالب والخبر وطن معروف لها فاذا قدرت فيه حيث تسقط روعي هذا التقدير في المعطوف لما ذكرناه من الغلبة التي
تقتضي الحاق دخولها بالاصل الواجب الذي يعتبر نطق به أو سكت عنه وأما تقدير أينما تكونوا في معنى كلام آخر يرتفع معه قوله يدرككم
فذلك تقدير لم يعهد له نظير ولم يغلب هذا التقدير فيلتحق بغلبة دخول الباء في الخبر فلا يلزم من مراعاة ما يقتضيه غالب الاستعمال
ومعهوده مراعاة ما لم يسبق به عهد وأما البيت الآخر لزهير المنقول عن سيبويه حمله أو حمل مثله على التقديم والتأخير كقوله
يا أقرع بن حابس يا أقرع * انك ان يصرع أخوك تصرع فليس من قبيل ولا ناعب والله الموفق وفي الوجه الاخير الذي أبداه الزمخشري
حجة واضحة على ان القتل في المعارك والملاحم لا يعترض على الاجل المقدر بنقص وان كل مقتول فبأجله مات لا كما زعمه القدرية والله الموفق

لولا أخرتنا الى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا

خشية لانه وما عطف عليه في حكم واحد ولو قلت يخشون الناس أشد خشية لم يكن الا حالا عن ضمير الفريق
ولم ينتصب انتصاب المصدر لانك لا تقول خشي فلان أشد خشية فتنصب خشية وأنت تريد المصدر انما تقول
أشد خشية فتجرها واذا نصبتها لم يكن أشد خشية الا عبارة عن الفاعل حالا منه اللهم الا أن تجعل الخشية
خاشية وذات خشية على قولهم جد جده فتزعم أن معناه يخشون الناس خشية مثل خشية الله أو خشية أشد
خشية من خشية الله ويجوز على هذا أن يكون محل أشد مجرورا عطفا على خشية الله تريد كخشية الله أو
كخشية أشد خشية منها (لولا أخرتنا الى أجل قريب) استزادة في مدة الكف واستمهال الى وقت آخر كقوله
لولا أخرتني الى أجل قريب فأصدق (ولا تظلمون فتيلا) ولا تنقصون أدنى شيء من أجوركم على مشاق القتال
فلا ترغبوا عنه وقرئ ولا يظلمون بالياء * قرئ يدرككم بالرفع وقيل هو على حذف الفاء كأنه قيل فيدرككم
الموت وشبه بقول القائل * من يفعل الحسنات الله يشكرها * ويجوز أن يقال حمل على ما يقع موقع أينما
تكونوا وهو أينما كنتم كما حمل ولا ناعب على ما يقع موقع ليسوا مصلحين وهو ليسوا بمصلحين فرفع كما رفع زهير
* يقول لا غائب مالي ولا حرم * وهو قول نحوي سيبويه ويجوز أن يتصل بقوله ولا تظلمون فتيلا أي ولا
تنقصون شيئا مما كتب من آجالكم * أينما تكونوا في ملاحم حروب أو غيرها ثم ابتدأ قوله يدرككم الموت ولو كنتم
في بروج مشيدة والوقف على هذا الوجه على أينما تكونوا * والبروج الحصون * مشيدة مرفعة وقرئ مشيدة
من شاد القصر اذا رفعه أو طلاه بالشيد وهو الجص وقرأ نعيم بن ميسرة مشيدة بكسر الياء وصفا لها بفعل
فاعلها مجازا كما قالوا قصيدة شاعرة وانما الشاعر قارضها * السيئة تقع على البلية والمعصية * والحسنة على
النعمة والطاعة قال الله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون وقال ان الحسنات يذهبن
السيئات والمعنى وان تصبهم نعمة من خصب ورخاء نسبوها الى الله وان تصبهم بلية من قحط وشدة أضافوها
اليك وقالوا هي من عندك وما كانت الا بشؤمك كما حكى الله عن قوم موسى وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى
ومن معه وعن قوم صالح قالوا اطيرنا بك وبمن معك وروي عن اليهود لعنت أنها تشاءمت برسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالوا منذ دخل المدينة نقصت ثمارها وغلت أسعارها فرد الله عليهم (قل كل من عند الله)
يبسط الارزاق ويقبضها على حسب المصالح (لا يكادون يفقهون حديثا) فيعلموا أن الله هو الباسط القابض

1) Diw. d. Zuhair XVII, 14

وكل ذلك صادر عن حكمة وصواب ثم قال (ما أصابك) يا انسان خطابا عاما (من حسنة) أى من نعمة واحسان (فمن الله) تفضلا منه واحسانا وامتنانا وامتحانا (وما أصابك من سيئة) أى من بلية ومصيبة فمن عندك لانك السبب فيها بما اكتسبت يداك وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وعن عائشة رضى الله عنها مامن مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله أكثر (وأرسلناك للناس رسولا) أى رسولا للناس جميعا لست برسول العرب وحدهم أنت رسول العرب والعجم كقوله وما أرسلناك الا كافة للناس قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا (وكفى بالله شهيدا) على ذلك فما ينبغى لاحد أن يخرج عن طاعتك واتباعك (من يطع الرسول فقد أطاع الله) لانه لا يأمر الا بما أمر الله به ولا ينهى الا عما نهى الله عنه فكانت طاعته فى امتثال ما أمر به والانتهاء عما نهى عنه طاعة لله وروى أنه قال من أحبنى فقد أحب الله ومن أطاعنى فقد أطاع الله فقال المنافقون ألا تسمعون الى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى أن يعبد غير الله ما يريد هذا الرجل الا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت (ومن تولى) عن الطاعة فأعرض عنه (فما أرسلناك) الا نذيرا لا حفيظا ومهيمنا عليهم تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم كقوله وما أنت عليهم بوكيل (ويقولون) اذا أمرتهم بشئ (طاعة) بالرفع أى أمرنا وشأننا طاعة ويجوز النصب بمعنى أطعناك طاعة وهذا من قول المرتسم سمعا وطاعة وسمع وطاعة ونحوه قول سيبويه وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم يقال له كيف أصبحت فيقول حمد الله وثناء عليه كأنه قال أمرى وشأنى حمد الله ولو نصب حمد الله وثناء عليه كان على الفعل والرفع يدل على ثبات الطاعة واستقرارها (بيت طائفة) زورت طائفة وسوت (غير الذى تقول) خلاف ما قلت وما أمرت به أو خلاف ما قالت وما ضمنت من الطاعة لانهم أبطنوا الرد لا القبول والعصيان لا الطاعة وانما ينافقون بما يقولون ويظهرون والتبييت اما من البيتوتة لانه قضاء الامر وتدبيره بالليل يقال هذا أمر بيت بليل واما من أبيات الشعر لان الشاعر يدبرها ويسويها (والله يكتب ما يبيتون) يثبته فى صحائف أعمالهم ويجازيهم عليه على سبيل الوعيد أو يكتبه فى جملة ما يوحى اليك فيطلعك على أسرارهم فلا يحسبوا أن ابطانهم يغنى عنهم (فأعرض عنهم) ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم (وتوكل على الله) فى شأنهم فان الله يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم اذا قوى أمر الاسلام وعز أنصاره * وقرئ بيت طائفة بالادغام وتذكير الفعل لان تأنيث الطائفة غير حقيقى ولانها فى معنى الفريق والفوج * تدبر الامر تأمله والنظر فى ادباره وما يؤول اليه فى عاقبته ومنتهاه ثم استعمل فى كل تأمل فمعنى تدبر القرآن تأمل معانيه وتبصر ما فيه (لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) لكان الكثير منه مختلفا متناقضا قد تفاوت نظمه وبلاغته ومعانيه فكان بعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته وبعضه اخبارا بغيب قد وافق المخبر عنه وبعضه اخبارا مخالفا للمخبر عنه وبعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعانى وبعضه دالا على فاسد غير ملتئم فلما تجاوب كله بلاغة معجزة فائتة لقوى البلغاء وتناصر صحة معان وصدق اخبار علم أنه ليس الا من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره عالم بما لا يعلمه أحد سواه (فان قلت) أليس نحو قوله فاذا هى ثعبان مبين كأنها جان فوربك لنسألنهم أجمعين فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان من الاختلاف (قلت) ليس باختلاف عند المتدبرين * هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم تكن فيهم خبرة بالاحوال ولا استبطان للامور كانوا اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمن وسلامة أو خوف وخلل (أذاعوا به) وكانت اذاعتهم مفسدة ولو ردوا ذلك الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى أولى الامر منهم وهم كبراء الصحابة البصراء بالامور أو الذين كانوا يؤمرون منهم (لعلمه) لعلم تدبير ما أخبروا به (الذين يستنبطونه) الذين يستخرجون تدبيره بفطنهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها

ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذى تقول والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف

قوله تعالى واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم (٣٧٦) الشيطان الا قليلا (قال محمود هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم تكن فيهم خبرة بالاحوال الخ) قال أحمد وفى اجتماع الهمزة والباء على التعدية نظر لانهما متعاقبتان وهو الذى اقتضى عند الزمخشرى قوله فى الوجه الثانى فعلوا الاذاعة ليخرجها عن الباء المعاقبة للهمزة

ثم فى هذه الآية تأديب لمن يحدث بكل ما يسمع وكفى به كذبا وخصوصا عن مثل السرايا والمناصبين الاعداء والمقيمين فى نحو العدو وما أعظم المفسدة فى لهج العامة بكل ما يسمعون من أخبارهم خيرا أو غيره ولقد جربنا ذلك فى زماننا هذا منذ طرق العدو المخذول البلاد طهرها الله من دنسه وصانها عن رجسه وعجل للمسلمين الفتح

وأنزل عليهم السكينة والنصر * عاد كلامه (قال ومعنى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ولولا ارسال الرسل وانزال الكتب الخ) قال أحمد وفي
تفسير الزمخشري هذا نظر وذلك انه جعل الاستثناء من الجملة التي وليها بناء على ظاهر الاعراب واغفل المعنى وذلك أنه يلزم على ذلك
جواز أن ينتقل الانسان من الكفر الى الايمان ومن اتباع الشيطان الى عصيانه وخزيه وليس لله عليه في ذلك فضل ومعاذ الله أن
يعتقد ذلك وبيان لزومه ان لولا حرف امتناع لوجود وقد أبانت امتناع اتباع المؤمنين للشيطان فاذا جعلت الاستثناء من الجملة الاخيرة
فقد سلبت تأثير فضل الله في امتناع الاتباع عن البعض المستثنى ضرورة وجعلت هؤلاء المستثنين مستبدين بالايمان وعصيان
الشيطان الداعي الى الكفر بأنفسهم لا بفضل الله ألا تراك اذا قلت لمن تذكره بحقك عليه لولا مساعدتي لك لسلبت أموالك
الا قليلا كيف لم تجعل لمساعدتك أثرا في بقاء القليل للمخاطب وانما منت عليه بتأثير مساعدتك (٣٧٧) في بقاء أكثر ماله لا في كله ومن
المحال أن يعتقد موحد
مسلم انه عصم في شيء
من الأشياء من اتباع
الشيطان الا بفضل الله
تعالى عليه وأما قواعد
أهل السنة فواضح أن
كل ما يعتقد به العبد
عاصيا الشيطان من
ايمان وعمل خير مخلوق

أذاعوا به ولو ردوه الى
الرسول والى أولى
الامر منهم لعلمه الذين
يستنبطونه منهم ولولا
فضل الله عليكم ورحمته
لاتبعتم الشيطان الا قليلا
فقاتل في سبيل الله
لا تكلف الا نفسك
وحرض المؤمنين عسى
الله أن يكف بأس الذين
كفروا والله أشد بأسا
وأشد تنكيلا من يشفع
شفاعة حسنة يكن له
نصيب منها ومن يشفع
شفاعة سيئة يكن له
كفل منها وكان الله على
كل شيء

ومكايدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولى الامر على أمن ووثوق بالظهور على بعض
الاعداء أو على خوف واستشعار فيذيعون فينتشر فيبلغ الاعداء فتعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول
والى أولى الامر وفوضوه اليهم وكانوا كأن لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما يأتون
ويذرون فيه وقيل كانوا يسمعون من أفواه المنافقين شيأ من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة
فيذيعونه فيعود ذلك وبالا على المؤمنين ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم
ونعلم هل هو مما يذاع أولا يذاع لعلمه الذين يستنبطونه منهم لعلم صحته وهل هو مما يذاع أولا يذاع هؤلاء
المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول وأولى الامر أي يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم
يقال أذاع السر وأذاع به قال   أذاع به في الناس حتى كأنه * بعلياء نار أوقدت بثقوب
ويجوز أن يكون المعنى فعلوا به الاذاعة وهو أبلغ من أذاعوه * وقرئ لعلمه باسكان اللام كقوله
فان أهجه يضجر كما ضجر بازل * من الادم دبرت صفحتاه وغاربه
والنبط الماء يخرج من البئر أول ما تحفر وانباطه واستنباطه اخراجه واستخراجه فاستعير لما يستخرجه
الرجل بفضل ذهنه من المعاني والتدابير فيما يعضل ويهم (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) وهو ارسال الرسول
وانزال الكتاب والتوفيق (لاتبعتم الشيطان) لبقيتم على الكفر (الا قليلا) منكم أو الا اتباعا قليلا * لما ذكر
في الآي قبلها تثبطهم عن القتال واظهارهم الطاعة واضمارهم خلافها قال (فقاتل في سبيل الله)
ان أفردوك وتركوك وحدك (لا تكلف الا نفسك) غير نفسك وحدها أن تقدمها الى الجهاد فان الله هو
ناصرك لا الجنود فان شاء نصرك وحدك كما ينصرك وحولك الالوف وقيل دعا الناس في بدر الصغرى الى
الخروج وكان أبو سفيان واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اللقاء فيها فكره بعض الناس أن يخرجوا فنزلت
فخرج وما معه الا سبعون لم يلو على أحد ولو لم يتبعه أحد لخرج وحده وقرئ لا تكلف بالجزم على النهي
ولا نكلف بالنون وكسر اللام أي لا نكلف نحن الا نفسك وحدها (وحرض المؤمنين) وما عليك في شأنهم
الا التحريض فحسب لا التعنيف بهم (عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا) وهم قريش وقد كف بأسهم
فقد بدا لابي سفيان وقال هذا عام مجدب وما كان معهم زاد الا السويق ولا يلقون الا في عام مخصب فرجع
بهم (والله أشد بأسا) من قريش (وأشد تنكيلا) تعذيبا * الشفاعة الحسنة هي التي روعي بها حق مسلم ودفع
بها عنه شر أو جلب اليه خير وابتغي بها وجه الله ولم تؤخذ عليها رشوة وكانت في أمر جائز لا في حد من حدود
الله ولا في حق من الحقوق والسيئة ما كان بخلاف ذلك وعن مسروق أنه شفع شفاعة فأهدى اليه المشفوع
جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما في قلبك لما تكلمت في حاجتك ولا أتكلم فيما بقي منها وقيل الشفاعة

لله تعالى وواقع بقدرته ومنة على العبد به وأما المعتزلة فهم وان ظنوا أن العبد يخلق لنفسه ايمانه وطاعته
الا انهم لا يخالفون في أن فضل الله منصب عليه في ذلك لانه خالق له القدرة التي بها خلق العبد ذلك على زعمهم ووفقه لارادة الخير فقد
وضح لك تعذر الاستثناء من الجملة الاخيرة على تفسير الزمخشري وما أراه الا واهما مترسلا على المألوف في الاعراب وهو اعادة
الاستثناء الى ما يليه من الجمل مهملا للنظر في المعنى ومن ثم اتخذ القاضي أبو بكر رضي الله عنه الاستثناء في هذه الآية الى ما قبل
الجملة الاخيرة فطنة منه ويقظة ولانه امام مؤيد في نظره مسدد في فكره ثم اتخذ القاضي رضي الله عنه هذه الآية وزره في الرد على
من زعم الجزم بعود الاستثناء المتعقب للجمل الى الاخيرة ظنا منه ان ذلك واجب لا يسوغ سواه ثم يقف في عوده الى ما تقدم خاصة

الحسنة هي الدعوة للمسلم لانها في معنى الشفاعة الى الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك فذلك النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك (مقيتا) شهيدا حفيظا وقيل مقتدرا وأقات على الشيء قال الزبير بن عبد المطلب

وذي ضغن نفيت السوء عنه * وكنت على اساءته مقيتا

وقال السموأل

ألي الفضل أم علي اذا حو * سبت اني على الحساب مقيت

واشتقاقه من القوت لانه يمسك النفس ويحفظها (واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها) الاحسن منها أن تقول وعليكم السلام ورحمة الله اذا قال السلام عليكم وأن تزيد وبركاته اذا قال ورحمة الله وروى أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فأين ما قال الله وتلا الآية فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله (أو ردوها) أو أجيبوها بمثلها ورد السلام ورجع جوابه بمثله لان المجيب يرد قول المسلم ويكرره وجواب التسليمة واجب والتخيير انما وقع بين الزيادة وتركها وعن أبي يوسف رحمه الله من قال لآخر أقرئ فلانا السلام يجب عليه أن يفعل وعن النخعي السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس الرد واجب وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد السلام في الخطبة وقراءة القرآن جهرا ورواية الحديث وعند مذاكرة العلم والاذان والاقامة وعن أبي يوسف لا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري من غير عذر في حمام أو غيره وذكر الطحاوي أن المستحب رد السلام على طهارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تيمم لرد السلام قالوا ويسلم الرجل اذا دخل على امرأته ولا يسلم على أجنبية ويسلم الماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والاقل على الاكثر واذا التقيا ابتدرا وعن أبي حنيفة لا تجهر بالرد يعني الجهر الكثير وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم أي وعليكم ما قلتم لانهم كانوا يقولون السام عليكم وروى لا تبتدئ اليهود بالسلام وان بدأك فقل وعليك وعن الحسن يجوز أن تقول للكافر وعليك السلام ولا تقل ورحمة الله فانها استغفار وعن الشعبي أنه قال لنصراني سلم عليه وعليك السلام ورحمة الله فقيل له في ذلك فقال أليس في رحمة الله يعيش وقد رخص بعض العلماء في أن يبدأ أهل الذمة بالسلام اذا دعت الى ذلك حادثة تحوج اليهم وروى ذلك عن النخعي وعن أبي حنيفة لا تبدأ بسلام في كتاب ولا غيره وعن أبي يوسف لا تسلم عليهم ولا تصافحهم واذا دخلت فقل السلام على من اتبع الهدى ولا بأس بالدعاء له بما يصلحه في دنياه (ان الله كان على كل شيء حسيبا) أي يحاسبكم على كل شيء من التحية وغيرها (الله لا اله الا هو) اما خبر المبتدا واما اعتراض والخبر (ليجمعنكم) ومعناه الله والله ليجمعنكم (الى يوم القيامة) أي ليحشرنكم اليه والقيامة والقيام كالطلابة والطلاب وهي قيامهم من القبور أو قيامهم للحساب قال الله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين (ومن أصدق من الله حديثا) لانه عز وعلا صادق لا يجوز عليه الكذب وذلك أن الكذب مستقل بصارف عن الاقدام عليه وهو قبحه ووجه قبحه الذي هو كونه كذبا واخبارا عن الشيء بخلاف ما هو عليه فمن كذب لم يكذب الا لانه محتاج الى أن يكذب ليجر منفعة أو يدفع مضرة أو هو غني عنه الا أنه يجهل غناه أو هو جاهل بقبحه أو هو سفيه لا يفرق بين الصدق والكذب في اخباره ولا يبالي بأيهما نطق وربما كان الكذب أحلى على حنكه من الصدق وعن بعض السفهاء أنه عوتب على الكذب فقال لو غرغرت لهواتك به ما فارقته وقيل لكذاب هل صدقت قط فقال لولا أني صادق في قولي لا لقلتها فكان الحكيم الغني الذي لا يجوز عليه الحاجات العالم بكل معلوم منزها عنه كما هو منزه عن سائر القبائح (فئتين) نصب على الحال كقولك ما لك قائما روى أن قوما من المنافقين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى

مقيتا واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ان الله كان على كل شيء حسيبا الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثا فما لكم في المنافقين فئتين

وقد بينت عند قوله تعالى فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده ان الاستثناء في هذه الآية أيضا يتعين عوده الى الاولى ويتعذر رده الى الاخيرة لان المعنى يأباه وهي موازرة للقاضي في الرد على من حتم عود الاستثناء الى الاخيرة والله الموفق

لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون وقيل كانوا قوما هاجروا من مكة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على دينك وما أخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ثم رجعوا وقيل هم العرنيون الذين أغاروا على السرح وقتلوا يسارا وقيل هم قوم أظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة ومعناه مالكم اختلفتم في شأن قوم نافقوا نفاقا ظاهرا وتفرقتم فيه فرقتين ومالكم لم تبتوا القول بكفرهم (والله أركسهم) أى ردهم في حكم المشركين كما كانوا (بما كسبوا) من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين واحتيالهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أركسهم في الكفر بأن خذلهم حتى أركسوا فيه لما علم من مرض قلوبهم (أتريدون أن تهدوا) أن تجعلوا من جملة المهتدين (من أضل الله) من جعله من جملة الضلال وحكم عليه بذلك أو خذله حتى ضل * وقرئ ركسهم وركسوا فيها (فتكونون) عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز والمعنى ودوا كفركم وكونكم معهم شرعا واحدا فيما هم عليه من الضلال واتباع دين الآباء * فلا تتولوهم وان آمنوا حتى يظاهروا ايمانهم بهجرة صحيحة هي لله ورسوله لا لغرض من أغراض الدنيا مستقيمة ليس بعدها بداء ولا تعرب (فان تولوا) عن الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة فحكمهم حكم سائر المشركين يقتلون حيث وجدوا في الحل والحرم وجانبوهم مجانبة كلية وان بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم (الا الذين يصلون) استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم ومعنى يصلون الى قوم ينتهون اليهم ويتصلون بهم وعن أبي عبيدة هو من الانتساب وصلت الى فلان واتصلت به اذا انتميت اليه وقيل ان الانتساب لا أثر له في منع القتال فقد قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم من معه من هو من أنسابهم * والقوم هم الأسلميون كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وذلك أنه وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الأسلمي على أن لا يعينه ولا يعين عليه على أن من وصل الى هلال ولجأ اليه فله من الجوار مثل الذى لهلال وقيل القوم بنو بكر بن زيد مناة كانوا في الصلح (أو جاؤكم) لا يخلو من أن يكون معطوفا على صفة قوم كأنه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين أو قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم أو على صلة الذين كأنه قيل الا الذين يتصلون بالمعاهدين أو الذين لا يقاتلونكم والوجه العطف على الصلة لقوله (فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) بعد قوله فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم فقرر أن كفهم عن القتال أحد سببي استحقاقهم لنفي التعرض عنهم وترك الايقاع بهم (فان قلت) كل واحد من الاتصالين له تأثير في صحة الاستثناء واستحقاق ازالة التعرض الاتصال بالمعاهدين والاتصال بالكافين لان الاتصال بهؤلاء أو هؤلاء دخول في حكمهم فهلا جوزت أن يكون العطف على صفة قوم ويكون قوله فان اعتزلوكم تقريرا لحكم اتصالهم بالكافين واختلاطهم بهم وجريهم على سننهم (قلت) هو جائز ولكن الأول أظهر وأجرى على أسلوب الكلام وفي قراءة أبي بينكم وبينهم ميثاق جاؤكم حصرت صدورهم بغير أو ووجهه أن يكون جاؤكم بيانا ليصلون أو بدلا أو استئنافا أو صفة بعد صفة لقوم * حصرت صدورهم في موضع الحال باضمار قد والدليل عليه قراءة من قرأ حصرة صدورهم وحصرات صدورهم وحاصرات صدورهم وجعله المبرد صفة لموصوف محذوف على أو جاؤكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاؤكم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض (أن يقاتلوكم) عن أن يقاتلوكم أو كراهة أن يقاتلوكم (فان قلت) كيف يجوز أن يسلط الله الكفرة على المؤمنين (قلت) ما كانت مكافتهم الا لقذف الله الرعب في قلوبهم ولو شاء لمصلحة يراها من ابتلاء ونحوه لم يقذفه فكانوا متسلطين مقاتلين غير مكافين فذلك معنى التسليط * وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد (فان اعتزلوكم) فان لم يتعرضوا لكم (وألقوا اليكم السلم) أى الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون اللام مع فتح السين (فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) فما أذن لكم في أخذهم وقتلهم (ستجدون آخرين) هم قوم من بني أسد وغطفان كانوا اذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين

والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاؤكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم

---

* قوله تعالى أتريدون أن تهدوا من أضل الله (قال معناه من جعله الخ) قال أحمد وبهذين الوجهين يفر من الحق والحقيقة أما الحق فلأن الله هو الذى خلق الضلال ان ضل اذ لا خالق الا الله وأما الحقيقة فلانها أعني الآية اقتضت نسبة الاضلال الى فعل الله تعالى فالتحيل في تحريفه الفاعلية الى التسبيب عدول عن

فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم (كلما ردوا الى الفتنة) كلما دعاهم قومهم الى قتال المسلمين
(أركسوا فيها) قلبوا فيها أقبح قلب وأشنعه وكانوا شرا فيها من كل عدو (حيث ثقفتموهم) حيث تمكنتم منهم
(سلطانا مبينا) حجة واضحة لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم فى الكفر والغدر واضرارهم بأهل الاسلام
أو تسلطا ظاهرا حيث أذنا لكم فى قتلهم (وما كان لمؤمن) وما صح له ولا استقام ولا لاق بحاله كقوله وما كان
لنبى أن يغل وما يكون لنا أن نعود فيها (أن يقتل مؤمنا) ابتداء غير قصاص (الا خطأ) الا على وجه الخطأ
(فان قلت) بم انتصب خطأ (قلت) بأنه مفعول له أى ما ينبغى له أن يقتله لعلة من العلل الا للخطأ وحده
ويجوز أن يكون حالا بمعنى لا يقتله فى حال من الاحوال الا فى حال الخطا وأن يكون صفة للمصدر الا قتلا خطأ
والمعنى ان من شأن المؤمن أن ينتفى عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البتة الا اذا وجد منه خطأ من غير قصد
بأن يرمى كافرا فيصيب مسلما أو يرمى شخصا على أنه كافر فاذا هو مسلم * وقرئ خطاء بالمد وخطا بوزن عمى
بتخفيف الهمزة وروى أن عياش بن أبى ربيعة وكان أخا أبى جهل لامه أسلم وهاجر خوفا من قومه الى
المدينة وذلك قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقسمت أمه لا تأكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى
يرجع فخرج أبو جهل ومعه الحرث بن زيد بن أبى أنيسة فأتياه وهو فى أطم ففتل منه أبو جهل فى الذروة
والغارب وقال أليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر أمك وأنت على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما
فسحا عن المدينة كتفاه وجلده كل واحد مائة جلدة فقال للحرث هذا أخى فمن أنت يا حارث لله على ان
وجدتك خاليا أن أقتلك وقدما به على أمه فحلفت لا يحل كتافه أو يرتد ففعل ثم هاجر بعد ذلك وأسلم وأسلم
الحرث وهاجر فلقيه عياش بظهر قباء ولم يشعر باسلامه فأنحى عليه فقتله ثم أخبر باسلامه فأتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال قتلته ولم أشعر باسلامه فنزلت (فتحرير رقبة) فعليه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق
والحر والعتيق الكريم لان الكرم فى الاحرار كما أن اللؤم فى العبيد ومنه عتاق الخيل وعتاق الطير لكرامها
وحر الوجه أكرم موضع منه وقولهم للئيم عبد وفلان عبد الفعل أى لئيم الفعل والرقبة عبارة عن النسمة كما
عبر عنها بالرأس فى قولهم فلان يملك كذا رأسا من الرقيق والمراد برقبة مؤمنة كل رقبة كانت على حكم الاسلام
عند عامة العلماء وعن الحسن لا تجزئ الا رقبة قد صلت وصامت ولا تجزئ الصغيرة وقاس عليها الشافعى
كفارة الظهار فاشترط الايمان وقيل لما أخرج نفسا مؤمنة عن جملة الاحياء لزمه أن يدخل نفسا مثلها فى
جملة الاحرار لان اطلاقها من قيد الرق كاحيائها من قبل أن الرقيق ممنوع من تصرف الاحرار (مسلمة الى
أهله) مؤداة الى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين سائر التركة فى كل شئ يقضى منها
الدين وتنفذ الوصية وان لم يبق وارث فهى لبيت المال لان المسلمين يقومون مقام الورثة كما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنا وارث من لا وارث له وعن عمر رضى الله عنه أنه قضى بدية المقتول فجاءت امرأته تطلب
ميراثها من عقله فقال لا أعلم لك شيأ انما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه فقام الضحاك بن سفيان الكلابى فقال
كتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنى أن أورث امرأة أشيم الضبابى من عقل زوجها أشيم فورثها
عمر وعن ابن مسعود يرث كل وارث من الدية غير القاتل وعن شريك لا يقضى من الدية دين ولا تنفذ وصية
وعن ربيعة الغرة لام الجنين وحدها وذلك خلاف قول الجماعة (فان قلت) على من تجب الرقبة والدية (قلت)
على القاتل الا أن الرقبة فى ماله والدية تتحملها عنه العاقلة فان لم تكن له عاقلة فهى فى بيت المال فان لم يكن
ففى ماله (الا أن يصدقوا) الا أن يتصدقوا عليه بالدية ومعناه العفو كقوله الا أن يعفون ونحوه وأن تصدقوا
خير لكم وعن النبى صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وقرأ أبى الا أن يتصدقوا (فان قلت) بم تعلق أن
يصدقوا وما محله (قلت) تعلق بعليه أو بمسلمة كأنه قيل وتجب عليه الدية أو يسلمها الا حين يتصدقون عليه
ومحلها النصب على الظرف بتقدير حذف الزمان كقولهم اجلس ما دام زيد جالسا ويجوز أن يكون حالا من
أهله بمعنى الا متصدقين (من قوم عدو لكم) من قوم كفار أهل حرب وذلك نحو رجل أسلم من قومه الكفار
وهو بين أظهرهم لم يفارقهم فعلى قاتله الكفارة اذا قتله خطأ وليس على عاقلته لاهله شئ لانهم كفار

كلما ردوا الى الفتنة
اركسوا فيها فان لم
يعتزلوكم ويلقوا اليكم
السلم ويكفوا أيديهم
فخذوهم واقتلوهم
حيث ثقفتموهم
وأولئكم جعلنا لكم
عليهم سلطانا مبينا
وما كان لمؤمن أن يقتل
مؤمنا الا خطأ ومن
قتل مؤمنا خطأ فتحرير
رقبة مؤمنة ودية
مسلمة الى أهله الا أن
يصدقوا فان كان من قوم
عدو لكم وهو مؤمن
فتحرير رقبة مؤمنة

الحقيقة الى المجاز وقد
علمت الباعث له على
هذا المعتقد فلا نعيده

وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم

محاربون وقيل كان الرجل يسلم ثم يأتى قومه وهم مشركون فيغزوهم جيش المسلمين فيقتل فيهم خطأ لانهم يظنونه كافرا مثلهم (وان كان من قوم) كفرة لهم ذمة كالمشركين الذين عاهدوا المسلمين وأهل الذمة من الكتابيين فحكمه حكم مسلم من مسلمين (فمن لم يجد) رقبة بمعنى لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها (ف) عليه (صيام شهرين متتابعين توبة من الله) قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله عليه اذا قبل توبته يعنى شرع ذلك توبة منه أو نقلكم من الرقبة الى الصوم توبة منه ✽ هذه الآية فيها من التهديد والايعاد والابراق والارعاد أمر عظيم وخطب غليظ ومن ثم روى عن ابن عباس ما روى من أن توبة قاتل المؤمن عمدا غير مقبولة وعن سفيان كان أهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له وذلك محمول منهم على الاقتداء بسنة الله فى التغليظ والتشديد والا فكل ذنب ممحو بالتوبة وناهيك بمحو الشرك دليلا وفى الحديث لزوال الدنيا أهون على الله من قتل امرئ مسلم وفيه لو أن رجلا قتل بالمشرق وآخر رضى بالمغرب لاشرك فى دمه وفيه ان هذا الانسان بنيان الله ملعون من هدم بنيانه وفيه من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله والعجب من قوم يقرؤن هذه الآية ويرون ما فيها ويسمعون هذه الاحاديث العظيمة وقول ابن عباس بمنع التوبة ثم لا تدعهم أشعبيتهم وطماعيتهم الفارغة واتباعهم هواهم وما يخيل اليهم مناهم أن يطمعوا فى العفو عن قاتل المؤمن بغير توبة أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ثم ذكر الله سبحانه وتعالى التوبة فى قتل الخطأ لما عسى يقع من نوع تفريط فيما يجب من الاحتياط والتحفظ فيه حسم للاطماع وأى حسم ولكن لا حياة لمن تنادى (فان قلت) هل فيها دليل على خلود من لم يتب من أهل الكبائر (قلت) ما أبين الدليل وهو تناول قوله ومن يقتل أى قاتل كان من مسلم أو كافر تائب أو غير تائب الا أن التائب أخرجه الدليل فمن ادعى اخراج المسلم غير التائب فليأت بدليل مثله (فتبينوا) وقرئ فتثبتوا وهما من التفعل بمعنى الاستفعال أى اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تتهوكوا فيه من غير روية ✽ وقرئ السلم والسلام وهما الاستسلام وقيل الاسلام وقيل التسليم الذى هو تحية أهل الاسلام (لست مؤمنا) ✽ وقرئ مؤمنا بفتح الميم من آمنه أى لا نؤمنك وأصله ان مرداس بن نهيك رجلا من أهل فدك أسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان عليها غالب بن فضالة الليثى فهربوا وبقى مرداس لثقته باسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله أسامة بن زيد واستاق غنمه فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه ثم قرأ الآية على أسامة فقال يا رسول الله استغفر لى قال فكيف بلا اله الا الله قال أسامة فما زال يعيدها حتى وددت ان لم أكن أسلمت الا يومئذ ثم استغفر لى وقال أعتق رقبة (تبتغون عرض الحيوة الدنيا) تطلبون الغنيمة التى هى حطام سريع النفاد فهو الذى يدعوكم الى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الاسلام ويتعوذ به من التعرض له لتأخذوا ماله (كذلك كنتم من قبل) أول ما دخلتم فى الاسلام سمعت من أفواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماؤكم وأموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطأة قلوبكم لالسنتكم (فمن الله عليكم) بالاستقامة والاشتهار بالايمان والتقدم وأن صرتم أعلاما فعليكم أن تفعلوا بالداخلين فى الاسلام كما فعل بكم وأن تعتبروا ظاهر الاسلام فى المكافة ولا تقولوا ان تهليل هذا لاتقاء القتل لا لصدق النية فتجعلوه سلما الى استباحة دمه وماله وقد حرمهما الله وقوله (فتبينوا) تكرير للامر بالتبين ليؤكد عليهم (ان الله كان بما تعملون خبيرا) فلا تتهافتوا فى القتل وكونوا محترزين محتاطين فى ذلك (غير أولى الضرر) قرئ بالحركات الثلاث فالرفع صفة للقاعدون والنصب استثناء منهم أو حال عنهم والجر صفة للمؤمنين والضرر المرض أو العاهة من عمى أو عرج أو زمانة أو نحوها وعن زيد بن ثابت كنت الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذى حتى خشيت أن ترضها ثم سرى عنه فقال اكتب فكتبت فى كتف لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن أم مكتوم وكان أعمى يا رسول الله وكيف

✽ قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما (قال فى هذه الآية من التهديد والوعيد والابراق الخ) قال أحمد وكفى بقوله تعالى فى هذه السورة ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء دليلا أبلج على ان القاتل الموحد وان لم يتب فى المشيئة وأمره الى الله ان شاء آخذه وان شاء غفر له وقد مر الكلام على الآية وما بالعهد من قدم وأما انسبة أهل السنة

عن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم قال اقرأ يا زيد فقرأت لا يستوي القاعدون
من المؤمنين فقال غير أولي الضرر قال زيد أنزلها الله وحدها فألحقتها والذي نفسي بيده لكأني أنظر إلى
ملحقها عند صدع في الكتف وعن ابن عباس لا يستوي القاعدون عن بدر والخارجون إليها من مقاتل إلى
تبوك (فإن قلت) معلوم أن القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان فما فائدة نفي الاستواء (قلت) معناه
الإذكار بما بينهما من التفاوت العظيم والبون البعيد ليأنف القاعد ويترفع بنفسه عن انحطاط منزلته فيهتز
للجهاد ويرغب فيه وفي ارتفاع طبقته ونحوه هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون أريد به التحريك من
حمية الجاهل وأنفته ليهاب به إلى التعلم ولينهض بنفسه عن صفة الجهل إلى شرف العلم (فضل الله المجاهدين)
جملة موضحة لما نفي من استواء القاعدين والمجاهدين كأنه قيل ما لهم لا يستوون فأجيب بذلك والمعنى على
القاعدين غير أولي الضرر لكون الجملة بيانا للجملة الأولى المتضمنة لهذا الوصف (وكلا) وكل فريق من
القاعدين والمجاهدين (وعد الله الحسنى) أي المثوبة الحسنى وهي الجنة وإن كان المجاهدون مفضلين على
القاعدين درجة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لقد خلفتم بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا
معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت أفئدتهم تهوي إلى الجهاد وبهم ما منعهم من المسير من
ضرر أو غيره (فإن قلت) قد ذكر الله تعالى مفضلين درجة ومفضلين درجات فمن هم (قلت) أما المفضلون
درجة واحدة فهم الذين فضلوا على القاعدين الأضراء وأما المفضلون درجات فالذين فضلوا على القاعدين
الذين أذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم لأن الغزو فرض كفاية (فإن قلت) لم نصب درجة وأجرا ودرجات
(قلت) نصب قوله درجة لوقوعها موقع المرة من التفضيل كأنه قيل فضلهم تفضيلة واحدة ونظيره قولك
ضربه سوطا بمعنى ضربه ضربة وأما أجرا فقد انتصب بفضل لأنه في معنى أجرهم أجرا ودرجات ومغفرة ورحمة
بدل من أجرا ويجوز أن ينتصب درجات نصب درجة كما تقول ضربه أسواطا بمعنى ضربات كأنه قيل وفضله
تفضيلات ونصب أجرا عظيما على أنه حال عن النكرة التي هي درجات مقدمة عليها وانتصب مغفرة ورحمة
بإضمار فعلهما بمعنى وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة (توفاهم) يجوز أن يكون ماضيا كقراءة من قرأ توفتهم
ومضارعا بمعنى تتوفاهم كقراءة من قرأ توفاهم على مضارع وفيت بمعنى أن الله يوفي الملائكة أنفسهم
فيتوفونها أي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها (ظالمي أنفسهم) في حال ظلمهم أنفسهم (قالوا) قال الملائكة
للمتوفين (فيم كنتم) في أي شيء كنتم من أمر دينكم وهم ناس من أهل مكة أسلموا ولم يهاجروا حين كانت
الهجرة فريضة (فإن قلت) كيف صح وقوع قوله (كنا مستضعفين في الأرض) جوابا عن قولهم فيم كنتم وكان
حق الجواب أن يقولوا كنا في كذا أو لم نكن في شيء (قلت) معنى فيم كنتم التوبيخ بأنهم لم يكونوا في شيء من
الدين حيث قدروا على المهاجرة ولم يهاجروا فقالوا كنا مستضعفين اعتذارا مما وبخوا به واعتلالا
بالاستضعاف وأنهم لم يتمكنوا من الهجرة حتى يكونوا في شيء فبكتتهم الملائكة بقولهم (ألم تكن أرض الله
واسعة فتهاجروا فيها) أرادوا أنكم كنتم قادرين على الخروج من مكة إلى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من
إظهار دينكم ومن الهجرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعل المهاجرون إلى أرض الحبشة وهذا دليل
على أن الرجل إذا كان في بلد لا يتمكن فيه من إقامة أمر دينه كما يجب لبعض الأسباب والعوائق عن إقامة
الدين لا تنحصر أو علم أنه في غير بلده أقوم بحق الله وأدوم على العبادة حقت عليه المهاجرة وعن النبي صلى الله
عليه وسلم من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا من الأرض استوجبت له الجنة وكان رفيق أبيه
إبراهيم ونبيه محمد عليهما الصلاة والسلام اللهم إن كنت تعلم أن هجرتي إليك لم تكن إلا للفرار بديني فاجعلها
سببا في خاتمة الخير ودرك المرجو من فضلك والمبتغى من رحمتك وصل جواري لك بعكوفي عند بيتك بجوارك
في دار كرامتك يا واسع المغفرة * ثم استثنى من أهل الوعيد المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة في الخروج
لفقرهم وعجزهم ولا معرفة لهم بالمسالك وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بهذه الآية إلى
مسلمي مكة فقال جندب بن ضمرة أو ضمرة بن جندب لبنيه احملوني فإني لست من المستضعفين وإني

فضل الله المجاهدين
بأموالهم وأنفسهم
على القاعدين درجة
وكلا وعد الله الحسنى
وفضل الله المجاهدين
على القاعدين أجرا
عظيما درجات منه
ومغفرة ورحمة وكان
الله غفورا رحيما إن
الذين توفاهم الملائكة
ظالمي أنفسهم قالوا فيم
كنتم قالوا كنا مستضعفين
في الأرض قالوا ألم تكن
أرض الله واسعة فتهاجروا
فيها فأولئك مأواهم
جهنم وساءت مصيرا
إلا المستضعفين من
الرجال والنساء والولدان

إلى الأشعرية وذلك
لا يضرهم لأنهم إنما
تطفلوا على لطف
أكرم الأكرمين وأرحم
الراحمين ولم يقنطوا من
رحمة الله إنه لا يقنط
من رحمة الله إلا القوم
الظالمون * قوله تعالى
إن الذين توفاهم الملائكة
ظالمي أنفسهم إلى قوله
إلا المستضعفين من
الرجال والنساء والولدان
لا يستطيعون حيلة
ولا يهتدون سبيلا
فأولئك عسى الله أن
يعفو عنهم وكان الله عفوا
غفورا (قال الاستثناء
من المتوعدين في قوله
أولئك مأواهم جهنم
وساءت مصيرا الخ)
قال أحمد قوله إن
المراهقين من الولدان يكلفون إلحاقا بالبالغين مردود بقوله عليه الصلاة والسلام رفع القلم عن ثلاث عن الصبي حتى يحتلم لا اهتدي

لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة

لا هتدى الطريق والله لا أبيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها الى المدينة وكان شيخا كبيرا فمات بالتنعيم (فان قلت) كيف أدخل الولدان في جملة المستثنين من أهل الوعيد كأنهم كانوا يستحقون الوعيد مع الرجال والنساء لو استطاعوا حيلة واهتدوا سبيلا (قلت) الرجال والنساء قد يكونون مستطيعين مهتدين وقد لا يكونون كذلك وأما الولدان فلا يكونون الا عاجزين عن ذلك فلا يتوجه عليهم وعيد لان سبب خروج الرجال والنساء من جملة أهل الوعيد انما هو كونهم عاجزين فاذا كان العجز متمكنا في الولدان لا ينفكون عنه كانوا خارجين من جملتهم ضرورة هذا اذا أريد بالولدان الاطفال ويجوز أن يراد المراهقون منهم الذين عقلوا ما يعقل الرجال والنساء فيلحقوا بهم في التكليف وان أريد بهم العبيد والاماء البالغون فلا سؤال (فان قلت) الجملة التي هي (لا يستطيعون) ما موقعها (قلت) هي صفة للمستضعفين أو للرجال والنساء والولدان وانما جاز ذلك والجمل نكرات لان الموصوف وان كان فيه حرف التعريف فليس لشئ بعينه كقوله * ولقد أمر على اللئيم يسبني * (فان قلت) لم قيل (عسى الله أن يعفو عنهم) بكلمة الاطماع (قلت) للدلالة على أن ترك الهجرة أمر مضيق لا توسعة فيه حتى ان المضطر البين الاضطرار من حقه أن يقول عسى الله أن يعفو عني فكيف بغيره (مراغما) مهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه قومه أي يفارقهم على رغم أنوفهم والرغم الذل والهوان وأصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب يقال راغمت الرجل اذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك قال النابغة الجعدي

كطود يلاذ بأركانه * عزيز المراغم والمذهب

وقرئ مرغما * قرئ ثم يدركه الموت بالرفع على أنه خبر مبتدإ محذوف وقيل رفع الكاف منقول من الهاء كأنه أراد أن يقف عليها ثم نقل حركة الهاء الى الكاف كقوله * من عنزي سبني لم أضربه * وقرئ يدركه بالنصب على اضمار أن كقوله * وألحق بالحجاز فأستريحا * (فقد وقع أجره على الله) فقد وجب ثوابه عليه وحقيقة الوجوب الوقوع والسقوط فاذا وجبت جنوبها وجبت الشمس سقط قرصها والمعنى فقد علم الله كيف يثيبه وذلك واجب عليه وروي في قصة جندب بن ضمرة انه لما أدركه الموت أخذ يصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايعك عليه رسولك فمات حميدا فبلغ خبره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو توفي بالمدينة لكان أتم أجرا وقال المشركون وهم يضحكون ما أدرك هذا ما طلب فنزلت وقالوا كل هجرة لغرض ديني من طلب علم أو حج أو جهاد أو فرار الى بلد يزداد فيه طاعة أو قناعة وزهدا في الدنيا أو ابتغاء رزق طيب فهي هجرة الى الله ورسوله وان أدركه الموت في طريقه فأجره واقع على الله * الضرب في الارض هو السفر وأدنى مدة السفر الذي يجوز فيه القصر عند أبي حنيفة مسيرة ثلاثة أيام ولياليهن سير الابل ومشي الاقدام على القصد ولا اعتبار بابطاء الضارب واسراعه فلو سار مسيرة ثلاثة أيام ولياليهن في يوم قصر ولو سار مسيرة يوم في ثلاثة أيام لم يقصر وعند الشافعي أدنى مدة السفر أربعة برد مسيرة يومين وقوله (فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) ظاهره التخيير بين القصر والاتمام وان الاتمام أفضل والى التخيير ذهب الشافعي وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه أتم في السفر وعن عائشة رضي الله عنها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت مكة قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي قصرت وأتممت وصمت وافطرت فقال أحسنت يا عائشة وما عاب علي وكان عثمان رضي الله عنه يتم ويقصر وعند أبي حنيفة رحمه الله القصر في السفر عزيمة غير رخصة لا يجوز غيره وعن عمر رضي الله عنه صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم وعن عائشة رضي الله عنها أول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين فأقرت في السفر وزيدت في الحضر (فان قلت) فما تصنع بقوله فليس عليكم جناح أن تقصروا (قلت) كأنهم ألفوا الاتمام فكانوا مظنة لان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا في القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب أنفسهم بالقصر ويطمئنوا اليه وقرئ تقصروا من أقصر وجاء في الحديث اقصار الخطبة بمعنى تقصيرها وقرأ الزهري تقصروا بالتشديد * والقصر ثابت بنص الكتاب في حال

فجعل البلوغ نفسه مناط التكليف وهذا مذهب الجماهير ولم يبلغنا خلافه وقال الزمخشري أراد الحديثي العهد بالصبي وانما سوغ تسميته لهم الاسم السالف لقرب عهدهم به كما قال وآتوا اليتامى أموالهم فسماهم يتامى وان بلغوا اذ لا تدفع أموالهم حتى يبلغوا لانهم حديثو عهد باليتم والغرض تعجيل دفع الاموال لهم اذا رشدوا وان قرب عهدهم باليتم حتى انهم لذلك يعبر عنهم باليتامى ولا يماطلوا ولو قال الزمخشري في الولدان كذلك لكان قولا سديدا والله أعلم * قوله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله (قال قرئ يدركه برفع الكاف على انه خبر مبتدا محذوف الخ) قال أحمد توجيه الرفع

على اضمار المبتدا فيه عطف الاسمية على الفعلية والاولى خلافه ماوجد عنه سبيل وأما الوجه الثانى من اجراء الوصل مجرى الوقف ففيه شذوذ بين على ان الافصح فى الوقف خلاف نقل الحركة وقد زاد شذوذا باجراء الوصل مجرى الوقف فكيف وعندى وجه حسن خالص من الشذوذ ذهر تفع الذروة فى الفصاحة وهو العطف على مايقع موقع من عما يكون الفعل الاول معه مرفوعا كانه قال والذى يخرج من بيته مهاجرا ثم يدركه الموت وهو الذى ذكره الزمخشرى عند قوله أينما تكونوا يدرككم الموت فيمن قرأ بالرفع وقال ثم هو وجه نحوى سيبوى واجراؤه ههنا أقرب وأصوب منه ثمة والله أعلم * قوله واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم (قال فيه قيل المأمور بأخذ الاسلحة المصلون الخ) قال أحمد والظاهر ان المخاطب بأخذ الاسلحة المصلون اذ من لم يصل انما أعد للحرس فالظاهر الاستغناء عن (٣٨٤) أمرهم بذلك وتنبيههم عليه وهم انما أمروا الصلاة لذلك أما المصلون فهم فى مظنة طرح الاسلحة لانهم لم يعتادوا حملها فى

ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا فاذا قضيتم

الخوف خاصة وهو قوله (ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) واما فى حال الامن فبالسنة وفى قراءة عبد الله من الصلاة أن يفتنكم ليس فيها ان خفتم على انه مفعول له بمعنى كراهة أن يفتنكم والمراد بالفتنة القتال والتعرض بما يكره (واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلوة) يتعلق بظاهره من لا يرى صلاة الخوف بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث شرط كونه فيهم وقال من رآها بعده ان الائمة نواب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل عصر قوام بما كان يقوم به فكان الخطاب له متناولا لكل امام يكون حاضرا الجماعة فى حال الخوف عليه أن يؤمهم كما أم رسول الله صلى الله عليه وسلم الجماعات التى كان يحضرها والضمير فى فيهم للخائفين (فلتقم طائفة منهم معك) فاجعلهم طائفتين فلتقم احداهما معك فصل بهم (وليأخذوا أسلحتهم) الضمير اما للمصلين واما لغيرهم فان كان للمصلين فقالوا يأخذون من السلاح مالا يشغلهم عن الصلاة كالسيف والخنجر ونحوهما وان كان لغيرهم فلا كلام فيه (فاذا سجدوا فليكونوا) يعنى غير المصلين (من ورائكم) يحرسونكم وصفة صلاة الخوف عند أبى حنيفة أن يصلى الامام باحدى الطائفتين ركعة ان كانت الصلاة ركعتين والاخرى بازاء العدو ثم تقف هذه الطائفة بازاء العدو وتأتى الاخرى فيصلى بها ركعة ويتم صلاته ثم تقف بازاء العدو وتأتى الاولى فتؤدى الركعة بغير قراءة وتتم صلاتها ثم تحرس وتأتى الاخرى فتؤدى الركعة بقراءة وتتم صلاتها والسجود على ظاهره عند أبى حنيفة وعند مالك بمعنى الصلاة لان الامام يصلى عنده بطائفة ركعة ويقف قائما حتى تتم صلاتها وتسلم وتذهب ثم يصلى بالثانية ركعة ويقف قاعدا حتى تتم صلاتها ويسلم بهم وبعضده (ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك) * وقرئ وامتعاتكم (فان قلت) كيف جمع بين الاسلحة وبين الحذر فى الاخذ (قلت) جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازى فلذلك جمع بينه وبين الاسلحة فى الاخذ وجعلا مأخوذين ونحوه قوله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان جعل الايمان مستقرا لهم ومتبوأ لتمكنهم فيه فلذلك جمع بينه وبين الدار فى التبوء (فيميلون عليكم) فيشدون عليكم شدة واحدة ورخص لهم فى وضع الاسلحة ان ثقل عليهم حملها بسبب ما يبلهم من مطر أو يضعفهم من مرض وأمرهم مع ذلك بأخذ الحذر لئلا يغفلوا فيهجم عليهم العدو (فان قلت) كيف طابق الامر بالحذر قوله (ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا) (قلت) الامر بالحذر من العدو يوهم توقع غلبته واعتزازه فنفى عنهم ذلك الايهام باخبارهم أن الله يهين عدوهم ويخذله وينصرهم عليه لتقوى قلوبهم وليعلموا أن الامر بالحذر ليس لذلك وانما هو تعبد من الله كما قال ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة (فاذا قضيتم

الصلاة فنبهوا على انهم لا ينبغى لهم طرح الاسلحة وان كانوا فى الصلاة لضرورة الخوف وخشية الغرة وأيضا فسياق الآية يدل على ذلك لانه قال فلتقم طائفة منهم معك وعقب ذلك بقوله وليأخذوا أسلحتهم فالظاهر رجوع الضمير اليهم وحيث يعاد الى غير المصلين يحتاج الى تكلف فى صحة العود اليهم بدلالة قوة الكلام عليهم وان لم يذكروا * عاد كلامه (قال والمراد بقوله فليكونوا من ورائكم غير المصلين) قال أحمد والظاهر ان معنى السجود ههنا الصلاة وقد يعبر عنها بالسجود كثيرا والمراد فاذا صلت الطائفة أى أتمت صلاتها فليكونوا من ورائكم وفيه دليل لمشهور مذهب مالك من ان الطائفة الاولى تتم صلاتها والامام منتظر للطائفة الاخرى وقوله ولتأت طائفة أخرى يعنى اذا أتمت الاولى صلاتها ووقفت من ورائكم فلتأت الطائفة الاخرى التى لم تصل بعد شيأ فليصلوا معك وفيه دليل بين أيضا لاحد القولين فى مذهب مالك من ان الامام ينتظر الثانية حتى تتم صلاتها ويسلم بهم لان ظاهر المعية المطلقة يوجب ذلك اذ لو كانوا يقضون بعد سلامه لم يكونوا مصلين معه على الاطلاق والله أعلم فهذه الآية منطبقة على أكثر مشهور مذهبه فى تفاصيل صلاة الخوف والله الموفق للصواب * عاد كلامه (قال فان قلت كيف جمع بين الاسلحة الخ) قال أحمد حسن هذا المجاز وبلغ به ذروة الفصاحة عطف الحقيقة عليه

الصلاة فاذكروا الله
قياما وقعودا وعلى
جنوبكم فاذا
اطمأننتم فأقيموا
الصلاة ان الصلاة
كانت على المؤمنين كتابا
موقوتا ولا تهنوا في
ابتغاء القوم ان تكونوا
تألمون فانهم يألمون كما
تألمون وترجون من
الله ما لا يرجون وكان
الله عليما حكيما انا أنزلنا
اليك الكتاب بالحق
لتحكم بين الناس بما
أراك الله ولا تكن
للخائنين خصيما واستغفر
الله ان الله كان غفورا
رحيما ولا تجادل عن
الذين يختانون أنفسهم
ان الله لا يحب من كان
خوانا أثيما يستخفون
من الناس ولا يستخفون
من الله وهو معهم

(الصلاة) فاذا صليتم في حال الخوف والقتال (فاذكروا الله) فصلوها (قياما) مسايفين ومقارعين (وقعودا) جاثين على الركب مرامين (وعلى جنوبكم) مثخنين بالجراح (فاذا اطمأننتم) حين تضع الحرب أوزارها وأمنتم (فأقيموا الصلاة) فاقضوا ما صليتم في تلك الأحوال التي هي أحوال القلق والانزعاج (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) محدودا بأوقات لا يجوز اخراجها عن أوقاتها على أي حال كنتم خوف أو أمن وهذا ظاهر على مذهب الشافعي رحمه الله في ايجابه الصلاة على المحارب في حال المسايفة والمشي والاضطراب في المعركة اذا حضر وقتها فاذا اطمأن فعليه القضاء وأما عند أبي حنيفة رحمه الله فهو معذور في تركها الى أن يطمئن وقيل معناه فاذا قضيتم صلاة الخوف فأديموا ذكر الله مهللين مكبرين مسبحين داعين بالنصرة والتأييد في كافة أحوالكم من قيام وقعود واضطجاع فان ما أنتم فيه من خوف وحرب جدير بذكر الله ودعائه واللجأ اليه فاذا اطمأننتم فاذا أقمتم فأقيموا الصلاة فأتموها (ولا تهنوا) ولا تضعفوا ولا تتوانوا (في ابتغاء القوم) في طلب الكفار بالقتال والتعرض به لهم ثم ألزمهم الحجة بقوله (ان تكونوا تألمون) أي ليس ما تكابدون من الألم بالجرح والقتل مختصا بكم انما هو أمر مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم ثم انهم يصبرون عليه ويتشجعون فما لكم لا تصبرون مثل صبرهم مع أنكم أولى منهم بالصبر لأنكم (ترجون من الله ما لا يرجون) من اظهار دينكم على سائر الأديان ومن الثواب العظيم في الآخرة * وقرأ الأعرج ان تكونوا تألمون بفتح الهمزة بمعنى ولا تهنوا لأن تكونوا تألمون * وقوله فانهم يألمون كما تألمون تعليل وقرئ فانهم ييلمون كما تيلمون وروي أن هذا في بدر الصغرى كان بهم جراح فتواكلوا (وكان الله عليما حكيما) لا يكلفكم شيئا ولا يأمركم ولا ينهاكم الا لما هو عالم به مما يصلحكم * روي أن طعمة بن أبيرق أحد بني ظفر سرق درعا من جار له اسمه قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين رجل من اليهود فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فأخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه أن يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل وأن يعاقب اليهودي وقيل هم أن يقطع يده فنزلت وروي أن طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله (بما أراك الله) بما عرفك وأوحى به اليك وعن عمر رضي الله عنه لا يقولن أحدكم قضيت بما أراني الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه صلى الله عليه وسلم ولكن ليجتهد رأيه لأن الرأي من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مصيبا لأن الله كان يريه اياه وهو منا الظن والتكلف (ولا تكن للخائنين خصيما) ولا تكن لأجل الخائنين مخاصما للبرآء يعني لا تخاصم اليهود لأجل بني ظفر (واستغفر الله) مما هممت به من عقاب اليهودي (يختانون أنفسهم) يخونونها بالمعصية كقوله علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم جعلت معصية العصاة خيانة منهم لأنفسهم كما جعلت ظلما لها لأن الضرر راجع اليهم (فان قلت) لم قيل للخائنين ويختانون أنفسهم وكان السارق طعمة وحده (قلت) لوجهين أحدهما أن بني ظفر شهدوا له بالبراءة ونصروه فكانوا شركاء له في الاثم والثاني أنه جمع ليتناول طعمة وكل من خان خيانته فلا تخاصم لخائن قط ولا تجادل عنه (فان قلت) لم قيل (خوانا أثيما) على المبالغة (قلت) كان الله عالما من طعمة بالافراط في الخيانة وركوب المآثم ومن كانت تلك خاتمة أمره لم يشك في حاله وقيل اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم أن لها أخوات وعن عمر رضي الله عنه أنه أمر بقطع يد سارق فجاءت أمه تبكي وتقول هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده في أول مرة (يستخفون) يستترون (من الناس) حياء منهم وخوفا من ضررهم (ولا يستخفون من الله) ولا يستحيون منه (وهو معهم) وهو عالم بهم مطلع عليهم لا يخفى عليه خاف من سرهم وكفى بهذه الآية ناعية على الناس ما هم فيه من قلة الحياء والخشية من ربهم مع علمهم ان كانوا مؤمنين أنهم في حضرته لا سترة ولا غفلة ولا غيبة وليس الا

الكشف الصريح والافتضاح (يبيتون) يدبرون ويزورون وأصله أن يكون بالليل (ما لا يرضى من القول) وهو تدبير طعمة أن يرمي بالدرع في دار زيد ليسرق دونه ويحلف ببراءته (فإن قلت) كيف سمى التدبير قولا وإنما هو معنى في النفس (قلت) لما حدث بذلك نفسه سمى قولا على المجاز ويجوز أن يراد بالقول الحلف الكاذب الذي حلف به بعد أن بيته وتوريكه الذنب على اليهودي (ها أنتم هؤلاء) ها للتنبيه في أنتم وأولاء وهما مبتدأ وخبر و (جادلتم) جملة مبينة لوقوع أولاء خبرا كما تقول لبعض الأسخياء أنت حاتم تجود بمالك وتؤثر على نفسك ويجوز أن يكون أولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم صلته والمعنى هبوا أنكم خاصمتم عن طعمة وقومه في الدنيا فمن يخاصم عنهم في الآخرة إذا أخذهم الله بعذابه * وقرأ عبد الله عنه أي عن طعمة (وكيلا) حافظا ومحاميا من بأس الله وانتقامه (ومن يعمل سوأ) قبيحا متعديا يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودي (أو يظلم نفسه) بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل ومن يعمل سوأ من ذنب دون الشرك أو يظلم نفسه بالشرك وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة لتلزمه الحجة مع العلم بما يكون منه أو لقومه لما فرط منهم من نصرته والذب عنه (فإنما يكسبه على نفسه) أي لا يتعداه ضرره إلى غيره فليبق على نفسه من كسب السوء (خطيئة) صغيرة (أو إثما) أو كبيرة (ثم يرم به بريئا) كما رمى طعمة زيدا (فقد احتمل بهتانا وإثما) لأنه بكسب الإثم آثم وبرمي البريء باهت فهو جامع بين الأمرين * وقرأ معاذ بن جبل رضي الله عنه ومن يكسب بكسر الكاف والسين المشددة وأصله يكتسب (ولولا فضل الله عليك ورحمته) أي عصمته وألطافه وما أوحى إليك من الاطلاع على سرهم (لهمت طائفة منهم) من بني ظفر (أن يضلوك) عن القضاء بالحق وتوخي طريق العدل مع علمهم بأن الجاني هو صاحبهم فقد روي أن ناسا منهم كانوا يعلمون كنه القصة (وما يضلون إلا أنفسهم) لأن وباله عليهم (وما يضرونك من شيء) لأنك إنما عملت بظاهر الحال وما كان يخطر ببالك أن الحقيقة على خلاف ذلك (وعلمك ما لم تكن تعلم) من خفيات الأمور وضمائر القلوب أو من أمور الدين والشرائع ويجوز أن يراد بالطائفة بنو ظفر ويرجع الضمير في منهم إلى الناس وقيل الآية في المنافقين (لا خير في كثير من نجواهم) من تناجي الناس (إلا من أمر بصدقة) إلا نجوى من أمر على أنه مجرور بدل من كثير كما تقول لا خير في قيامهم إلا قيام زيد ويجوز أن يكون منصوبا على الانقطاع بمعنى ولكن من أمر بصدقة ففي نجواه الخير * وقيل المعروف القرض وقيل إغاثة الملهوف وقيل هو عام في كل جميل ويجوز أن يراد بالصدقة الواجب وبالمعروف ما يتصدق به على سبيل التطوع وعن النبي صلى الله عليه وسلم كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا ما كان من أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر الله وسمع سفيان رجلا يقول ما أشد هذا الحديث فقال ألم تسمع الله يقول لا خير في كثير من نجواهم فهو هذا بعينه أو ما سمعته يقول والعصر إن الإنسان لفي خسر فهو هذا بعينه * وشرط في استيجاب الأجر العظيم أن ينوي فاعل الخير عبادة الله والتقرب به إليه وأن يبتغي به وجهه خالصا لأن الأعمال بالنيات (فإن قلت) كيف قال إلا من أمر ثم قال (ومن يفعل ذلك) (قلت) قد ذكر الآمر بالخير ليدل به على فاعله لأنه إذا دخل الآمر به في زمرة الخيرين كان الفاعل فيهم أدخل ثم قال ومن يفعل ذلك فذكر الفاعل وقرن به الوعد بالأجر العظيم ويجوز أن يراد ومن يأمر بذلك فعبر عن الأمر بالفعل كما يعبر به عن سائر الأفعال * وقرئ يؤتيه بالياء (ويتبع غير سبيل المؤمنين) وهو السبيل الذي هم عليه من الدين الحنيفي القيم وهو دليل على أن الإجماع حجة لا تجوز مخالفتها كما لا تجوز مخالفة الكتاب والسنة لأن الله عز وعلا جمع بين اتباع سبيل غير المؤمنين وبين مشاقة الرسول في الشرط وجعل جزاءه الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبا كموالاة الرسول عليه الصلاة والسلام (نوله ما تولى) نجعله واليا لما تولى من الضلال بأن نخذله ونخلي بينه وبين ما اختاره (ونصله جهنم) وقرئ ونصله بفتح النون من صلاه وقيل هي في طعمة وارتداده وخروجه إلى مكة (إن الله لا يغفر أن يشرك به) تكرير للتأكيد وقيل كرر لقصة طعمة وروي أنه مات مشركا وقيل جاء شيخ من العرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني شيخ منهمك في الذنوب إلا أني لم أشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم أتخذ من دونه وليا ولم أوقع المعاصي

إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا إن يدعون من دونه

قوله تعالى وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولأضلنهم ولأمنينهم الآية (قال محمود المراد الامانى الباطلة الخ) قال أحمد هو تعريض بأهل السنة الذين يعتقدون ان الموحد اذا لم يكن غير التائب أمره يرجأ الى الله تعالى والعفو عنه موكول الى مشيئته ايمانا وتصديقا بقوله فى الآية المعتبرة فى هذا ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء والعجب أن هذه الآية تكررت فى هذه السورة مرتين على اذن الزمخشرى وهو مع ذلك يتصام عنها (٣٨٧) ويجعل العقيدة المتلقاة منها من

الا اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوأ يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ومن أحسن دينا ممن

جرأة على الله ولا مكابرة له وما توجهت طرفة عين الى الله هربا وأوى الى الله تائبا مستغفرا فما ترى حالى عند الله فنزلت وهذا الحديث ينصر قول من فسر من يشاء بالتائب من ذنبه (الا اناثا) هى اللات والعزى ومناة وعن الحسن لم يكن حى من أحياء العرب الا ولهم صنم يعبدونه يسمونه أنثى بنى فلان وقيل كانوا يقولون فى أصنامهم هن بنات الله وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله * وقرئ أنثا جمع أنيث أو اناث وونثا وأنثا بالتخفيف والتثقيل جمع وثن كقولك أسد وأسد وأسد وقلب الواو ألفا نحو أجوه فى وجوه وقرأت عائشة رضى الله عنها أوثانا (وان يدعون) وان يعبدون بعبادة الاصنام (الا شيطانا) لانه هو الذى أغراهم على عبادتها فأطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة و (لعنه الله وقال لأتخذن) صفتان بمعنى شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع (نصيبا مفروضا) مقطوعا واجبا فرضته لنفسى من قولهم فرض له فى العطاء وفرض الجند رزقه قال الحسن من كل ألف تسعمائة وتسعين الى النار (ولأمنينهم) الامانى الباطلة من طول الاعمار وبلوغ الآمال ورحمة الله للمجرمين بغير توبة والخروج من النار بعد دخولها بالشفاعة ونحو ذلك * وتبتيكهم الآذان فعلهم بالبحائر كانوا يشقون أذن الناقة اذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على أنفسهم الانتفاع بها وتغييرهم خلق الله فقء عين الحامى واعفاؤه عن الركوب وقيل الخصاء وهو فى قول عامة العلماء مباح فى البهائم وأما فى بنى آدم فمحظور وعند أبى حنيفة يكره شراء الخصيان وامساكهم واستخدامهم لان الرغبة فيهم تدعو الى خصائهم وقيل فطرة الله التى هى دين الاسلام وقيل للحسن ان عكرمة يقول هو الخصاء فقال كذب عكرمة هو دين الله وعن ابن مسعود هو الوشم وعنه لعن الله الواشرات والمتنمصات والمستوشمات المغيرات خلق الله وقيل التخنث (وعد الله حقا) مصدران الاول مؤكد لنفسه والثانى مؤكد لغيره (ومن أصدق من الله قيلا) توكيد ثالث بليغ (فان قلت) ما فائدة هذه التوكيدات (قلت) معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة وأمانيه الباطلة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه ترغيبا للعباد فى ايثار ما يستحقون به تنجز وعد الله على ما يتجرعون فى عاقبته غصص اخلاف مواعيد الشيطان فى (ليس) ضمير وعد الله أى ليس ينال ما وعد الله من الثواب (بأمانيكم ولا) (أمانى أهل الكتاب) والخطاب للمسلمين لانه لا يتمنى وعد الله الا من آمن به وكذلك ذكر أهل الكتاب معهم لمشاركتهم لهم فى الايمان بوعد الله وعن مسروق والسدى هى فى المسلمين وعن الحسن ليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل ان قوما ألهتهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو أحسنوا الظن بالله لأحسنوا العمل له وقيل ان المسلمين وأهل الكتاب افتخروا فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم وقال المسلمون نحن أولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضى على الكتب التى كانت قبله فنزلت ويحتمل أن يكون الخطاب للمشركين لقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم وأحسن حالا لأوتين مالا وولدا ان لى عنده للحسنى وكان أهل الكتاب يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه لن تمسنا النار الا أياما معدودة ويعضده تقدم ذكر أهل الشرك قبله وعن مجاهد ان الخطاب للمشركين * قوله (من يعمل سوأ يجز به) وقوله (ومن يعمل من الصالحات) بعد ذكر تمنى أهل الكتاب نحو من قوله بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته وقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات عقيب قوله وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة واذا أبطل الله الامانى وأثبت أن الامر كله معقود بالعمل وأن من أصلح عمله فهو الفائز ومن أساء

جملة الامانى الشيطانية نعوذ بالله من ارسال الرسن فى اتباع الهوى وكذلك أيضا عرض بأهل السنة فى اعتقادهم صدق الوعد الصادق بالشفاعة المحمدية وعد ذلك أيضا أمنية شيطانية وما أرى من جحد الشفاعة ينالها فلا حول ولا قوة الا بالله قد مكر بهذا الفاضل فلا يأمن بعده عاقل انه لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون

عمله فهو الهالك تبين الامر ووضح ووجب قطع الامانى وحسم المطامع والاقبال على العمل الصالح ولكنه نصح لا تعيه الآذان ولا تلقى اليه الاذهان (فان قلت) ما الفرق بين من الاولى والثانية (قلت) الاولى للتبعيض أراد ومن يعمل بعض الصالحات لان كلا لا يتمكن من عمل كل الصالحات لاختلاف الاحوال وانما يعمل منها ما هو تكليفه وفى وسعه وكم من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكاة وتسقط عنه الصلاة فى بعض الاحوال والثانية لتبيين الابهام فى من يعمل (فان قلت) كيف خص الصالحون بأنهم لا يظلمون وغيرهم مثلهم فى ذلك (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يكون الراجع فى ولا يظلمون لعمال السوء وعمال الصالحات جميعا والثانى أن يكون ذكره عند أحد الفريقين دالا على ذكره عند الآخر لان كلا الفريقين مجزيون بأعمالهم لا تفاوت بينهم ولان ظلم المسىء أن يزاد فى عقابه وأرحم الراحمين معلوم أنه لا يزيد فى عقاب المجرم فكان ذكره مستغنى عنه وأما المحسن فله ثواب وتوابع للثواب من فضل الله هى فى حكم الثواب فجاز أن ينقص من الفضل لانه ليس بواجب فكان نفى الظلم دلالة على أنه لا يقع نقصان فى الفضل (أسلم وجهه لله) أخلص نفسه لله وجعلها سالمة له لا تعرف لها ربا ولا معبودا سواه (وهو محسن) وهو عامل للحسنات تارك للسيآت (حنيفا) حال من المتبع أو من ابراهيم كقوله بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين وهو الذى تحنف أى مال عن الاديان كلها الى دين الاسلام (واتخذ الله ابراهيم خليلا) مجاز عن اصطفائه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله والخليل المخال وهو الذى يخالك أى يوافقك فى خلالك أو يسايرك فى طريقك من الخل وهو الطريق فى الرمل أو يسد خللك كما تسد خلله أو يداخلك خلال منازلك وحجبك (فان قلت) ما موقع هذه الجملة (قلت) هى جملة اعتراضية لا محل لها من الاعراب كنحو ما يجىء فى الشعر من قولهم والحوادث جمة فائدتها تأكيد وجوب اتباع ملته لان من بلغ من الزلفى عند الله أن اتخذه خليلا كان جديرا بأن تتبع ملته وطريقته ولو جعلتها معطوفة على الجملة قبلها لم يكن لها معنى وقيل ان ابراهيم عليه السلام بعث الى خليل له بمصر فى أزمة أصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريدها للاضياف فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤا منها الغرائر حياء من الناس فلما أخبروا ابراهيم عليه السلام ساءه الخبر فحملته عيناه وعمدت امرأته الى غرارة منها فأخرجت أحسن حوارى واختبزت واستنبه ابراهيم عليه السلام فاشتم رائحة الخبز فقال من أين لكم فقالت امرأته من خليلك المصرى فقال بل من عند خليلى الله عز وجل فسماه الله خليلا (ولله ما فى السموات وما فى الارض) متصل بذكر العمال الصالحين والطالحين ومعناه أن له ملك أهل السموات والارض فطاعته واجبة عليهم (وكان الله بكل شىء محيطا) فكان عالما بأعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها فعليهم أن يختاروا لانفسهم ما هو أصلح لها (ما يتلى) فى محل الرفع أى الله يفتيكم والمتلو (فى الكتاب) فى معنى اليتامى يعنى قوله وان خفتم أن لا تقسطوا فى اليتامى وهو من قولك أعجبنى زيد وكرمه ويجوز أن يكون ما يتلى عليكم مبتدأ وفى الكتاب خبره على أنها جملة معترضة والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ تعظيما للمتلو عليهم وأن العدل والنصفة فى حقوق اليتامى من عظائم الامور المرفوعة الدرجات عند الله التى تجب مراعاتها والمحافظة عليها والمخل بها ظالم متهاون بما عظمه الله ونحوه فى تعظيم القرآن وانه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم ويجوز أن يكون مجرورا على القسم كأنه قيل قل الله يفتيكم فيهن وأقسم بما يتلى عليكم فى الكتاب والقسم أيضا لمعنى التعظيم وليس بسديد أن يعطف على المجرور فى فيهن لاختلاله من حيث اللفظ والمعنى (فان قلت) بم تعلق قوله (فى يتامى النساء)

* قوله تعالى ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا (قال) ان قلت كيف خص الصالحون بأنهم لا يظلمون وغيرهم مثلهم فى ذلك قلت فيه وجهان أحدهما أن يكون الراجع فى ولا يظلمون لعمال السوء وعمال الصالحات جميعا والثانى أن يكون (٣٨٨) ذكره عند أحد الفريقين دالا على ذكره عند الآخر لان كلا الفريقين مجزيون بأعمالهم لا تفاوت بينهم ولان ظلم المسىء أن يزاد فى عقابه وأرحم الراحمين معلوم انه لا يزيد فى عقاب المجرم فكان ذكره مستغنى عنه وأما المحسن فله ثواب وتوابع للثواب من فضل الله هى فى حكم الثواب فجاز أن ينقص من الفضل لانه ليس بواجب وكان

أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا ولله ما فى السموات وما فى الارض وكان الله بكل شىء محيطا ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اللاتى

نفى الظلم دلالة على انه لا يقع نقصان فى الفضل انتهى كلامه (قلت) مدار هذا التطويل بالسؤال والجواب على بث المعتقد الفاسد فى أن الله تعالى يجب عليه أن يثيب على الطاعات وان الثواب منقسم الى واجب ليس بفضل والى زيادة على الواجب وهى الفضل خاصة وهذا المعتقد هو الذى يصدق عليه ان الشيطان مناه للقدرية (قلت) حتى زعموا ان لهم على الله واجبا تعالى الله عن ذلك ان الله لغنى عن عمل يوجب عليه حقا جل الله وعز لقد نفخ الشيطان بهذه الامنية فى آذان القدرية اللهم لا حجة لنا الا فضلك فأجزل نصيبنا منه يا كريم

(قلت) في الوجه الاول هو صلة يتلى أي يتلى عليكم في معناهن ويجوز أن يكون في يتامى النساء بدلا من فيهن
وأما في الوجهين الآخرين فبدل لا غير (فان قلت) الاضافة في يتامى النساء ماهي (قلت) اضافة بمعنى من
كقولك عندي سحق عمامة *وقرئ في ييامى النساء بياءين على قلب همزة أيامى ياء (لا تؤتونهن ما كتب لهن)
وقرئ ما كتب الله لهن أي ما فرض لهن من الميراث وكان الرجل منهم يضم اليتيمة الى نفسه ومالها فان كانت
جميلة تزوجها وأكل المال وان كانت دميمة عضلها عن التزوج حتى تموت فيرثها (وترغبون أن تنكحوهن)
يحتمل في أن تنكحوهن لجمالهن وعن أن تنكحوهن لدمامتهن وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان
اذا جاءه ولي اليتيمة نظر فان كانت جميلة غنية قال زوجها غيرك والتمس لها من هو خير منك وان كانت دميمة
ولا مال لها قال تزوجها فأنت أحق بها (والمستضعفين) مجرور معطوف على يتامى النساء وكانوا في الجاهلية
انما يورثون الرجال القوام بالامور دون الاطفال والنساء ويجوز أن يكون خطابا للاوصياء كقوله ولا تتبدلوا
الخبيث بالطيب (وأن تقوموا) مجرور كالمستضعفين بمعنى يفتيكم في يتامى النساء وفي المستضعفين وفي أن
تقوموا ويجوز أن يكون منصوبا بمعنى ويأمركم أن تقوموا وهو خطاب للائمة في أن ينظروا لهم ويستوفوا
لهم حقوقهم ولا يخلوا أحدا يهتضمهم (خافت من بعلها) توقعت منه ذلك لما لاح لها من مخايله وأماراته
*والنشوز أن يتجافى عنها بأن يمنعها نفسه ونفقته والمودة والرحمة التي بين الرجل والمرأة وأن يؤذيها بسب
أو ضرب *والاعراض أن يعرض عنها بأن يقل محادثتها ومؤانستها وذلك لبعض الاسباب من طعن في سن
أو دمامة أو شيء في خلق أو خلق أو ملال أو طموح عين الى أخرى أو غير ذلك *فلا بأس بهما في أن يصلحا
بينهما وقرئ يصالحا ويصلحا بمعنى يتصالحا ويصطلحا ونحو أصلح اصبر في اصطبر (صلحا) في معنى مصدر كل
واحد من الافعال الثلاثة ومعنى الصلح أن يتصالحا على أن تطيب له نفسا عن القسمة أو عن بعضها كما فعلت
سودة بنت زمعة حين كرهت أن يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفت مكان عائشة من قلبه
فوهبت لها يومها وكما روى أن امرأة أراد زوجها أن يطلقها لرغبته عنها وكان لها منه ولد فقالت لا تطلقني
ودعني أقوم على ولدي وتقسم لي في كل شهرين فقال ان كان هذا يصلح فهو أحب الي فأقرها أو تهب له بعض
المهر أو كله أو النفقة فان لم تفعل فليس له الا أن يمسكها باحسان أو يسرحها (والصلح خير) من الفرقة أو
من النشوز والاعراض وسوء العشرة أو هو خير من الخصومة في كل شيء أو الصلح خير من الخيور كما أن
الخصومة شر من الشرور وهذه الجملة اعتراض وكذلك قوله (وأحضرت الانفس الشح) ومعنى احضار
الانفس الشح أن الشح جعل حاضرا لها لا يغيب عنها أبدا ولا تنفك عنه يعني أنها مطبوعة عليه والغرض أن
المرأة لا تكاد تسمح بقسمتها أو بغير قسمتها والرجل لا تكاد نفسه تسمح أن يقسم لها وأن يمسكها اذا رغب عنها
وأحب غيرها (وان تحسنوا) بالاقامة على نسائكم وان كرهتموهن وأحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك
مراعاة لحق الصحبة (وتتقوا) النشوز والاعراض وما يؤدي الى الاذى والخصومة (فان الله كان بما
تعملون) من الاحسان والتقوى (خبيرا) وهو يثيبكم عليه وكان عمران بن حطان الخارجي من أدم بني آدم
وامرأته من أجملهم فأجالت في وجهه نظرها يوما ثم تابعت الحمد لله فقال مالك قالت حمدت الله على أني وإياك
من أهل الجنة قال كيف قالت لانك رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت وقد وعد الله الجنة عباده
الشاكرين والصابرين (ولن تستطيعوا) ومحال أن تستطيعوا العدل (بين النساء) والتسوية حتى لا يقع ميل
البتة ولا زيادة ولا نقصان فيما يجب لهن فرفع لذلك عنكم تمام العدل وغايته وما كلفتم منه الا ما تستطيعون
بشرط أن تبذلوا فيه وسعكم وطاقتكم لان تكليف ما لا يستطاع داخل في حد الظلم وما ربك بظلام للعبيد
وقيل معناه أن تعدلوا في المحبة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي
فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك يعني المحبة لان عائشة رضي الله عنها كانت أحب اليه وقيل ان
العدل بينهن أمر صعب بالغ من الصعوبة حدا يوهم أنه غير مستطاع لانه يجب أن يسوي بينهن في القسمة
والنفقة والتعهد والنظر والاقبال والممالحة والمفاكهة والمؤانسة وغيرها مما لا يكاد الحصر يأتي من ورائه

لا تؤتونهن ما كتب
لهن وترغبون أن
تنكحوهن والمستضعفين
من الولدان وأن
تقوموا لليتامى بالقسط
وما تفعلوا من خير فان
الله كان به عليما وان
امرأة خافت من بعلها
نشوزا أو اعراضا فلا
جناح عليهما أن يصلحا
بينهما صلحا والصلح
خير وأحضرت الانفس
الشح وان تحسنوا
وتتقوا فان الله كان بما
تعملون خبيرا ولن
تستطيعوا أن تعدلوا
بين النساء ولو حرصتم

فهو كالخارج من حد الاستطاعة هذا اذا كن محبوبات كلهن فكيف اذا مال القلب مع بعضهن (فلا تميلوا كل الميل) فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمتها من غير رضى منها يعنى أن اجتناب كل الميل مما هو فى حد اليسر والسعة فلا تفرطوا فيه ان وقع منكم التفريط فى العدل كله وفيه ضرب من التوبيخ (فتذروها كالمعلقة) وهى التى ليست بذات بعل ولا مطلقة قال

هل هى الا حظة أو تطليق * أو صلف أو بين ذاك تعليق

وفى قراءة أبى فتذروها كالمسجونة وفى الحديث من كانت له امرأتان يميل مع احداهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعث الى أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال فقالت عائشة رضى الله عنها ألى كل أزواج رسول الله بعث عمر بمثل هذا قالوا لا بعث الى القرشيات بمثل هذا والى غيرهن بغيره فقالت ارفع رأسك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعدل بيننا فى القسمة بماله ونفسه فرجع الرسول فأخبره فأتم لهن جميعا وكان لمعاذ امرأتان فاذا كان عند احداهما لم يتوضأ فى بيت الاخرى فماتتا فى الطاعون فدفنهما فى قبر واحد (وان تصلحوا) ما مضى من ميلكم وتتداركوه بالتوبة (وتتقوا) فيما يستقبل غفر الله لكم * وقرئ وان يتفارقا بمعنى وان يفارق كل واحد منهما صاحبه (يغن الله كلا) يرزقه زوجا خيرا من زوجه وعيشا أهنأ من عيشه والسعة الغنى والمقدرة والواسع الغنى المقتدر (من قبلكم) متعلق بوصينا أو بأوتوا (واياكم) عطف على الذين أوتوا الكتاب اسم للجنس يتناول الكتب السماوية (أن اتقوا) بأن اتقوا أو تكون أن المفسرة لان التوصية فى معنى القول وقوله (وان تكفروا فان لله) عطف على اتقوا لان المعنى أمرناهم وأمرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله والمعنى ان لله الخلق كله وهو خالقهم ومالكهم والمنعم عليهم بأصناف النعم كلها فحقه أن يكون مطاعا فى خلقه غير معصى يتقون عقابه ويرجون ثوابه ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من الامم السالفة ووصيناكم أن اتقوا الله يعنى أنها وصية قديمة ما زال يوصى الله بها عباده لستم بها مخصوصين لانهم بالتقوى يسعدون عنده وبها ينالون النجاة فى العاقبة وقلنا لهم ولكم وان تكفروا فان لله فى سمواته وأرضه من الملائكة والثقلين من يوحده ويعبده ويتقيه (وكان الله) مع ذلك (غنيا) عن خلقه وعن عبادتهم جميعا مستحقا لان يحمد لكثرة نعمه وان لم يحمده أحد منهم وتكرير قوله لله ما فى السموات وما فى الارض تقرير لما هو موجب تقواه ليتقوه فيطيعوه ولا يعصوه لان الخشية والتقوى أصل الخير كله (ان يشأ يذهبكم) يفنكم ويعدمكم كما أوجدكم وأنشأكم (ويأت بآخرين) ويوجد انسا آخرين مكانكم أو خلقا آخرين غير الانس (وكان الله على ذلك) من الاعدام والايجاد (قديرا) بليغ القدرة لا يمتنع عليه شئ أراده وهذا غضب عليهم وتخويف وبيان لاقتداره وقيل هو خطاب لمن كان يعادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب أى ان يشأ يفنكم ويأت بأناس آخرين يوالونه ويروى أنها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد أبناء فارس (من كان يريد ثواب الدنيا) كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة (فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) فما له يطلب أحدهما دون الآخر والذى يطلبه أخسهما لان من جاهد لله خالصا لم تخطئه الغنيمة وله من ثواب الآخرة ما الغنيمة الى جنبه كلا شئ والمعنى فعند الله ثواب الدنيا والآخرة له ان أراده حتى يتعلق الجزاء بالشرط (قوامين بالقسط) مجتهدين فى اقامة العدل حتى لا تجوروا (شهداء لله) تقيمون شهاداتكم لوجه الله كما أمرتم باقامتها (ولو على أنفسكم) ولو كانت الشهادة على أنفسكم أو آبائكم أو أقاربكم (فان قلت) الشهادة على الوالدين والاقربين أن تقول أشهد أن لفلان على والدى كذا أو على أقاربى فما معنى الشهادة على نفسه (قلت) هى الاقرار على نفسه لانه فى معنى الشهادة عليها بالزام الحق لها ويجوز أن يكون المعنى وان كانت الشهادة وبالا على أنفسكم أو على آبائكم وأقاربكم وذلك أن يشهد على من يتوقع ضرره من سلطان ظالم أو غيره (ان يكن) ان يكن المشهود عليه (غنيا) فلا تمنع الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه (أو فقيرا) فلا تمنعها ترحما عليه (فالله أولى بهما) بالغنى والفقير أى بالنظر لهما وارادة مصلحتهما ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها لانه أنظر لعباده من كل ناظر (فان قلت) لم ثنى الضمير فى أولى بهما وكان حقه أن يوحد لان قوله ان

فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما ولله ما فى السموات وما فى الارض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وان تكفروا فان لله ما فى السموات وما فى الارض وكان الله غنيا حميدا ولله ما فى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا ان يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى

* قوله تعالى ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا (قال محمود نفى الغفران والهداية الخ) قال أحمد وليس في هذه الآية ما يخالف ظاهر القاعدة المستقرة على ان التوبة مقبولة على الاطلاق لان آخر ما ذكر من حال هؤلاء ازدياد الكفر ولو كان المذكور في آخر أحوالهم التوبة والايمان لاحتيج (٣٩١) الى الجمع بين الآية والقاعدة اذا وانما يقع هذا الفصل الذي أورده الزمخشري موقعه في آية آل عمران وهو قوله تعالى ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون وقد ظهر الآن في الجمع بين هذه الآية والقاعدة وجه آخر سوى ما تقدم في آل عمران وهو أن يكون المراد ان يصدر منهم توبة فلن يكون قبول من باب * على لاحب لا يهتدى بمناره * وعلى هذا يكون خبراً لا حكماً والمخبر عنهم من سبق في علم الله انه لا يتوب من المرتدين والله أعلم وفي قول الزمخشري ان الناكث للتوبة العائد اليها يغلب من حاله أنه يموت بشر حال نظر فقد ورد في الحديث المؤمن مفتن تواب قال الهروي معناه يقارف الذنب لفتنته ثم يعقبه بالتوبة

أن تعدلوا وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة

يكن غنيا أو فقيرا في معنى ان يكن أحد هذين (قلت) قد رجع الضمير الى ما دل عليه قوله ان يكن غنيا أو فقيرا لا الى المذكور فلذلك ثنى ولم يفرد وهو جنس الغني وجنس الفقير كأنه قيل فالله أولى بجنسي الغني والفقير أي بالأغنياء والفقراء وفي قراءة أبيّ فالله أولى بهم وهي شاهدة على ذلك وقرأ عبد الله ان يكن غني أو فقير على كان التامة (أن تعدلوا) يحتمل العدل والعدول كأنه قيل فلا تتبعوا الهوى كراهة أن تعدلوا بين الناس أو ارادة أن تعدلوا عن الحق (وان تلووا أو تعرضوا) وان تلووا ألسنتكم عن شهادة الحق أو حكومة العدل أو تعرضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها * وقرئ وان تلوا أو تعرضوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة أو أعرضتم عن اقامتها (فان الله كان بما تعملون خبيرا) وبمجازاتكم عليه (يا أيها الذين آمنوا) خطاب للمسلمين ومعنى (آمنوا) اثبتوا على الايمان وداوموا عليه وازدادوه (والكتاب الذي أنزل من قبل) المراد به جنس ما أنزل على الانبياء قبله من الكتب والدليل عليه قوله وكتبه وقرئ وكتابه على ارادة الجنس وقرئ نزل وأنزل على البناء للفاعل وقيل الخطاب لاهل الكتاب لانهم آمنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض وروى أنه لعبد الله بن سلام وأسد وأسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس وسلام ابن أخت عبد الله بن سلام وسلمة ابن أخيه ويامين بن يامين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال عليه السلام بل آمنوا بالله ورسوله محمد وكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت فآمنوا كلهم وقيل هو للمنافقين كأنه قيل يا أيها الذين آمنوا نفاقا آمنوا اخلاصا (فان قلت) كيف قيل لاهل الكتاب والكتاب الذي أنزل من قبل وكانوا مؤمنين بالتوراة والانجيل (قلت) كانوا مؤمنين بهما فحسب وما كانوا مؤمنين بكل ما أنزل من الكتب فأمروا أن يؤمنوا بالجنس كله ولان ايمانهم ببعض الكتب لا يصح ايمانا به لان طريق الايمان به هو المعجزة ولا اختصاص لها ببعض الكتب دون بعض فلو كان ايمانهم بما آمنوا به لاجل المعجزة لآمنوا به كله فحين آمنوا ببعضه علم أنهم لم يعتبروا المعجزة فلم يكن ايمانهم ايمانا وهذا الذي أراد عز وجل في قوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا (فان قلت) لم قيل نزل على رسوله وأنزل من قبل (قلت) لان القرآن نزل مفرقا منجما في عشرين سنة بخلاف الكتب قبله * ومعنى قوله (ومن يكفر بالله) الآية ومن يكفر بشيء من ذلك (فقد ضل) لان الكفر ببعضه كفر بكله ألا ترى كيف قدم الامر بالايمان به جميعا (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا) نفي للغفران والهداية وهي اللطف على سبيل المبالغة التي تعطيها اللام والمراد بنفيهما نفي ما يقتضيهما وهو الايمان الخالص الثابت والمعنى ان الذين تكرر منهم الارتداد وعهد منهم ازدياد الكفر والاصرار عليه يستبعد منهم أن يحدثوا ما يستحقون به المغفرة ويستوجبون اللطف من ايمان صحيح ثابت يرضاه الله لان قلوب أولئك الذين هذا ديدنهم قلوب قد ضربت بالكفر ومرنت على الردة وكان الايمان أهون شيء عندهم وأدونه حيث يبدو لهم فيه كرة بعد أخرى وليس المعنى أنهم لو أخلصوا الايمان بعد تكرار الردة ونصحت توبتهم لم يقبل منهم ولم يغفر لهم لان ذلك مقبول حيث هو بذل للطاقة واستفراغ للوسع ولكنه استبعاد له واستغراب وأنه أمر لا يكاد يكون وهكذا ترى الفاسق الذي يتوب ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع لا يكاد يرجى منه الثبات والغالب أنه يموت على شر حال وأسمج صورة وقيل هم اليهود آمنوا بالتوراة وبموسى ثم كفروا بالانجيل وبعيسى ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم (بشر المنافقين) وضع بشر مكان أخبرهم تهكما بهم و(الذين) نصب على الذم أو رفع بمعنى أريد الذين أو هم الذين وكانوا يمايلون الكفرة ويوالونهم

* قوله تعالى الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين (قال سمى ظفر المسلمين فتحا تعظيما لشأن المسلمين الخ) قال أحمد وهذا من محاسن نكت اسرار القرآن فان الذى كان يتفق للمسلمين فيه استئصال لشأفة الكفار واستيلاء على أرضهم وديارهم وأموالهم وأرض لم يطؤها وأما ما كان يتفق للكفار فمثل الغلبة والقدرة التى لا يبلغ شأنها أن تسمى (٢٩٢) فتحا فالتفريق بينهما مطابق أيضا للواقع والله أعلم * قوله تعالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا (قال) لانهم انما يصلون رياء ما دام من يرقبهم فاذا خلوا

فان العزة لله جميعا وقد نزل عليكم فى الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره انكم اذا مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا

ويقول بعضهم لبعض لا يتم أمر محمد فتولوا اليهود (فان العزة لله جميعا) يريد لاوليائه الذين كتب لهم العز والغلبة على اليهود وغيرهم وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين (أن اذا سمعتم) هى أن المخففة من الثقيلة والمعنى أنه اذا سمعتم أى نزل عليكم أن الشأن كذا والشأن ما أفادته الجملة بشرطها وجزائها وأن مع ما فى حيزها فى موضع الرفع بنزل أو فى موضع النصب بنزل فيمن قرأ به والمنزل عليهم فى الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره وذلك أن المشركين كانوا يخوضون فى ذكر القرآن فى مجالسهم فيستهزؤن به فنهى المسلمون عن القعود معهم ما داموا خائضين فيه وكان أحبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين فنهوا أن يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة وكان الذين يقاعدون الخائضين فى القرآن من الاحبار هم المنافقون * فقيل لهم انكم اذا مثل الاحبار فى الكفر (ان الله جامع المنافقين والكافرين) يعنى القاعدين والمقعود معهم (فان قلت) الضمير فى قوله فلا تقعدوا معهم الى من يرجع (قلت) الى من دل عليه يكفر بها ويستهزأ بها كأنه قيل فلا تقعدوا مع الكافرين بها والمستهزئين بها (فان قلت) لم يكونون مثلهم بالمجالسة اليهم فى وقت الخوض (قلت) لانهم اذا لم ينكروا عليهم كانوا راضين والراضى بالكفر كافر (فان قلت) فهلا كان المسلمون بمكة حين كانوا يجالسون الخائضين من المشركين منافقين (قلت) لانهم كانوا لا ينكرون لعجزهم وهؤلاء لم ينكروا مع قدرتهم فكان ترك الانكار لرضاهم (الذين يتربصون) اما بدل من الذين يتخذون واما صفة للمنافقين أو نصب على الذم منهم يتربصون بكم أى ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظفر أو اخفاق (ألم نكن معكم) مظاهرين فأسهموا لنا فى الغنيمة (ألم نستحوذ عليكم) ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم وأسركم فأبقينا عليكم (ونمنعكم من المؤمنين) بأن ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم ومرضوا فى قتالكم وتوانينا فى مظاهرتهم عليكم فهاتوا نصيبا لنا مما أصبتم * وقرئ ونمنعكم بالنصب باضمار أن قال الحطيئة

ألم أك جاركم ويكون بينى * وبينكم المودة والاخاء

(فان قلت) لم سمى ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا (قلت) تعظيما لشأن المسلمين وتخسيسا لحظ الكافرين لان ظفر المسلمين أمر عظيم تفتح لهم أبواب السماء حتى ينزل على أوليائه وأما ظفر الكافرين فما هو الا حظ دنى ولمظة من الدنيا يصيبونها (يخادعون الله) يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطان الكفر (وهو خادعهم) وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب فى الخداع حيث تركهم معصومى الدماء والاموال فى الدنيا وأعد لهم الدرك الاسفل من النار فى الآخرة ولم يخلهم فى العاجل من فضيحة واحلال بأس ونقمة ورعب دائم والخادع اسم فاعل من خادعته فخدعته اذا غلبته وكنت أخدع منه وقيل يعطون على الصراط نورا كما يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفأ نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم (كسالى) قرئ بضم الكاف وفتحها جمع كسلان كسكارى فى سكران أى يقومون متثاقلين متقاعسين كما ترى من يفعل شيأ على كره لا عن طيبة نفس ورغبة (يراؤن الناس) يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة (ولا يذكرون الله الا قليلا) ولا يصلون الا قليلا لانهم لا يصلون قط غائبين عن عيون الناس الا ما يجاهرون به

بانفسهم لم يصلوا أولا يذكرون الله بالتهليل والتسبيح الا ذكرا قليلا فى الندرة وهكذا ترى كثيرا من المتظاهرين بالاسلام لو صحبته الايام والليالى لم تسمع منه تهليلة ولا تحميدة ولكن وما حديث الدنيا يستغرق به أوقاته لا يفتر عنه ولا يجوز أن يراد بالقلة العدم انتهى كلامه (قلت) وانما منع من أن يراد بها العدم لانه خبر فيجب صدقه وقد كانوا يذكرون الله فى بعض الاحيان فلا يمكن ان يسلب ذكر الله مطلقا واذا بنينا على ان المراد بالذكر الصلاة وهو الظاهر فالمراد أيضا الصلاة المعتبرة التى يذكر بها الانسان حق الله عليه فينتهى عن الفحشاء والمنكر والصلاة فى هذا الوجه مسلوبة عن المنافقين مطلقا فيجوز اذا حمل القلة على العدم بهذا التفسير والله أعلم

وما يجاهرون به قليل أيضا لانهم ما وجدوا مندوحة من تكلف ما ليس في قلوبهم لم يتكلفوه أو ولا يذكرون
الله بالتسبيح والتهليل الا ذكرا قليلا في الندرة وهكذا ترى كثيرا من المتظاهرين بالاسلام لو صحبته الايام
والليالي لم تسمع منه تهليلة ولا تسبيحة ولا تحميدة ولكن حديث الدنيا يستغرق به أوقاته لا يفتر عنه ويجوز
أن يراد بالقلة العدم (فان قلت) ما معنى المراآة وهي مفاعلة من الرؤية (قلت) فيها وجهان أحدهما أن المرائي
يريهم عمله وهم يرونه استحسانه والثاني أن يكون من المفاعلة بمعنى التفعيل فيقال راءى الناس يعني رأاهم
كقولك نعمه وناعمه وفنقه وفانقه وعيش مفانق روى أبو زيد رأت المرأة المرأة الرجل اذا أمسكتها لترى
وجهه ويدل عليه قراءة ابن أبي اسحق يرأونهم بهمزة مشددة مثل يرعونهم أي يبصرونهم أعمالهم ويراؤنهم
كذلك (مذبذبين) اما حال نحو قوله ولا يذكرون عن واو يراؤن أي يراؤنهم غير ذاكرين مذبذبين أو منصوب
على الذم ومعنى مذبذبين ذبذبهم الشيطان والهوى بين الايمان والكفر فهم مترددون بينهما متحيرون وحقيقة
المذبذب الذي يذب عن كلا الجانبين أي يذاد ويدفع فلا يقر في جانب واحد كما قيل فلان يرمى به الرحوان الا أن
الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب كأن المعنى كلما مال الى جانب ذب عنه وقرأ ابن عباس مذبذبين بكسر الذال
بمعنى يذبذبون قلوبهم أو دينهم أو رأيهم أو بمعنى يتذبذبون كما جاء صلصل وتصلصل بمعنى وفي مصحف عبد الله
متذبذبين وعن أبي جعفر مدبدبين بالدال غير المعجمة وكأن المعنى أخذ بهم تارة في دبة وتارة في دبة فليسوا
ماضين على دبة واحدة والدبة الطريقة ومنها دبة قريش و (ذلك) اشارة الى الكفر والايمان (لا الى
هؤلاء) لا منسوبين الى هؤلاء فيكونون مؤمنين (ولا الى هؤلاء) ولا منسوبين الى هؤلاء فيسمون
مشركين (لا تتخذوا الكافرين أولياء) لا تتشبهوا بالمنافقين في اتخاذهم اليهود وغيرهم من أعداء الاسلام
أولياء (سلطانا) حجة بينة يعني أن موالاة الكافرين بينة على النفاق وعن صعصعة بن صوحان أنه قال لابن
أخ له خالص المؤمن وخالق الكافر والفاجر فان الفاجر يرضى منك بالخلق الحسن وانه يحق عليك أن تخالص
المؤمن (الدرك الاسفل) الطبق الذي في قعر جهنم والنار سبع دركات سميت بذلك لانها متداركة متتابعة
بعضها فوق بعض وقرئ بسكون الراء والوجه التحريك لقولهم أدراك جهنم (فان قلت) لم كان المنافق أشد
عذابا من الكافر (قلت) لانه مثله في الكفر وضم الى كفره الاستهزاء بالاسلام وأهله ومداجاتهم (وأصلحوا)
ما أفسدوا من أسرارهم وأحوالهم في حال النفاق (واعتصموا بالله) ووثقوا به كما يثق المؤمنون الخلص
(وأخلصوا دينهم لله) لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه (فأولئك مع المؤمنين) فهم أصحاب المؤمنين ورفقاؤهم
في الدارين (وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما) فيشاركونهم فيه ويساهمونهم (فان قلت) من المنافق
(قلت) هو في الشريعة من أظهر الايمان وأبطن الكفر وأما تسمية من ارتكب ما يفسق به بالمنافق فللتغليظ
كقوله من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر ومنه قوله عليه الصلاة والسلام ثلاث من كن فيه فهو منافق وان
صام وصلى وزعم أنه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان وقيل لحذيفة رضي الله عنه من
المنافق فقال الذي يصف الاسلام ولا يعمل به وقيل لابن عمر ندخل على السلطان ونتكلم بكلام فاذا خرجنا
تكلمنا بخلافه فقال كنا نعده من النفاق وعن الحسن أتى على النفاق زمان وهو مقروع فيه فأصبح وقد عمم
وقلد وأعطي سيفا يعني الحجاج (ما يفعل الله بعذابكم) أيتشفى به من الغيظ أم يدرك به الثأر أم يستجلب به نفعا
أم يستدفع به ضررا كما يفعل الملوك بعذابهم وهو الغني الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك وانما هو أمر أوجبته
الحكمة أن يعاقب المسيء فان قمتم بشكر نعمته وآمنتم به فقد أبعدتم عن أنفسكم استحقاق العذاب (وكان الله
شاكرا) مثيبا موفيا أجوركم (عليما) بحق شكركم وايمانكم (فان قلت) لم قدم الشكر على الايمان (قلت)
لان العاقل ينظر الى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا مبهما فاذا انتهى به
النظر الى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكرا مفصلا فكان الشكر متقدما على الايمان وكأنه أصل التكليف
ومداره (الا من ظلم) الا جهر من ظلم استثنى من الجهر الذي لا يحبه الله جهر المظلوم وهو أن يدعو على الظالم
ويذكره بما فيه من السوء وقيل هو أن يبدأ بالشتيمة فيرد على الشاتم ولمن انتصر بعد ظلمه وقيل ضاف رجل

مذبذبين بين ذلك
لا الى هؤلاء ولا الى
هؤلاء ومن يضلل
الله فلن تجد له سبيلا
يا أيها الذين آمنوا
لا تتخذوا الكافرين
أولياء من دون المؤمنين
أتريدون أن تجعلوا لله
عليكم سلطانا مبينا ان
المنافقين في الدرك
الاسفل من النار ولن
تجد لهم نصيرا الا الذين
تابوا وأصلحوا واعتصموا
بالله وأخلصوا دينهم لله
فأولئك مع المؤمنين
وسوف يؤت الله
المؤمنين أجرا عظيما
ما يفعل الله بعذابكم ان
شكرتم وآمنتم وكان
الله شاكرا عليما لا يحب
الله الجهر بالسوء من
القول الا من ظلم وكان
الله سميعا عليما ان تبدوا
خيرا أو تخفوه أو تعفوا
عن سوء

* قوله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم (قال فيه تقديره لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا جهر من ظلم وهو أن يدعو على الظالم ويذكره بما فيه الخ)

قال أحمد ووجه التغاير ان الظالم لا يندرج فى المستثنى منه كما أن الله تعالى مقدس أن يكون فى السموات وفى الارض فاستحال دخوله فى المستثنى منه وكذا لا يندرج المستثنى فى المستثنى منه فى قولك ما جاء فى زيد الا عمرو وكلام الزمخشرى فى هذا الفصل لا يتحقق لى منه ما يسوغ مجازيته فيه لاغلاق عبارته والله أعلم بمراده * قوله تعالى يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم الآية (قال فيه فقد سألوا موسى جواب لشرط مقدر الخ) قال أحمد وهذا من المواضع التى استرسل عليه فيها الاغفال ولوح به اتباع هواه الى مهواة الضلال لانه بنى على ان الظلم المضاف اليهم لم يكن الا لمجرد كونهم طلبوا الرؤية وهى محال عقلا دنيا وآخرة على زعمه القدرية لما يلزم عندهم لو قيل بجوازها من اعتقاد التشبيه فلذلك سمى أهل السنة المعتقدين لجوازها ووقوعها فى الآخرة وفاء بالوعد الصادق مشبهة وغفل عن كون اليهود اقترحوا على موسى عليه السلام خمسة وصية

قوما فلا يطعموه فأصبح شاكيا فوثب على الشكاية فنزلت وقرئ لا من ظلم على البناء للفاعل للانقطاع أى ولكن الظالم راكب ما لا يحبه الله فيجهر بالسوء ويجوز أن يكون من ظلم مرفوعا كأنه قيل لا يحب الله الجهر بالسوء الا الظالم على لغة من يقول ما جاءنى زيد الا عمرو بمعنى ما جاءنى الا عمرو ومنه لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله * ثم حث على العفو وأن لا يجهر أحد لاحد بسوء وان كان على وجه الانتصار بعد ما أطلق الجهر به وجعله محبوبا حثا على الاحب اليه والافضل عنده والادخل فى الكرم والتخشع والعبودية وذكر ابداء الخير واخفاءه تشبيبا للعفو ثم عطفه عليهما اعتدادا به وتنبيها على منزلته وأن له مكانا فى باب الخير وسيطا والدليل على أن العفو هو الغرض المقصود بذكر ابداء الخير واخفائه قوله (فان الله كان عفوا قديرا) أى يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم أن تقتدوا بسنة الله * جعل الذين آمنوا بالله وكفروا برسله أو آمنوا بالله وببعض رسله وكفروا ببعض كافرين بالله ورسله جميعا لما ذكر من العلة * ومعنى اتخاذهم بين ذلك سبيلا أن يتخذوا دينا وسطا بين الايمان والكفر كقوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا أى طريقا وسطا فى القراءة وهو ما بين الجهر والمخافتة وقد أخطؤا فانه لا واسطة بين الكفر والايمان ولذلك قال (أولئك هم الكافرون حقا) أى هم الكاملون فى الكفر وحقا تأكيد لمضمون الجملة كقولك هو عبد الله حقا أى حق ذلك حقا وهو كونهم كاملين فى الكفر أو هو صفة لمصدر الكافرين أى هم الذين كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لا شك فيه (فان قلت) كيف جاز دخول بين على أحد وهو يقتضى شيئين فصاعدا (قلت) ان أحدا عام فى الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما تقول ما رأيت أحدا فتقصد العموم ألا تراك تقول الا بنى فلان والا بنات فلان فالمعنى ولم يفرقوا بين اثنين منهم أو بين جماعة ومنه قوله تعالى لستن كأحد من النساء (سوف يؤتيهم أجورهم) معناه أن ايتاءها كائن لا محالة وان تأخر فالغرض به توكيد الوعد وتثبيته لا كونه متأخرا * روى أن كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازوراء وغيرهما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى فنزلت وقيل كتابا الى فلان وكتابا الى فلان بأنك رسول الله وقيل كتابا نعاينه حين ينزل وانما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت قال الحسن لو سألوه لكى يتبينوا الحق لاعطاهم وفيما آتاهم كفاية (فقد سألوا موسى) جواب لشرط مقدر معناه ان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى (أكبر من ذلك) وانما أسند السؤال اليهم وان وجد من آبائهم فى أيام موسى وهم النقباء السبعون لانهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم ومضاهين لهم فى التعنت

فان الله كان عفوا قديرا ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله

جهرة

علقوا ايمانهم بها ولم يعتبروا المعجز من حيث هو كما يجب اعتباره فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فهذا الاقتراح والتعنت يكفيهم ظلما ألا ترى ان الذين قالوا لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا من السماء أو حتى تفجر الارض أو يكون لك بيت من زخرف كيف هم من أظلم الظلمة وان كانوا انما طلبوا أمورا جائزة ولكنهم اقترحوا الآيات على الله وحتمهم أن يسندوا ايمانهم الى أى معجز اختاره الله دل ذلك دلالة بينة على ان ظلمهم مسبب عن اقتراحهم لا عن كون المقترح ممتنعا عقلا والعجب بتنظيره هذا السؤال لو كان السؤال جائزا كسؤال ابراهيم من احياء الموتى على زعم الزمخشرى غفلة منه عما انطوى عليه سؤال ابراهيم عليه السلام من صريح الايمان حيث قال له تعالى أولم تؤمن قال بلى وعما انطوى عليه سؤال هؤلاء اللاعبين من محض الكفر والاصرار عليه فى قولهم لن نؤمن لك فصدروا كلامهم بالجحود النفى وأما دعاء الزمخشرى على أهل السنة بالتب والصواعق فالله أعلم أى الفريقين أحق بها ولكفيه هذه الغفلة التى تنادى عليه باتباع الهوى الذى يعمى ويصم نسأل الله العصمة من الضلالة والغواية

* قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا (قال) ان قلت بم تعلقت الباء في قوله فبما نقضهم ميثاقهم قلت اما أن تتعلق بمحذوف كانه قيل فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا واما أن تتعلق بقوله حرمنا عليهم على ان قوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم انتهى كلامه (قلت) ولذكر البدل المذكور سر وهو ان الكلام لما طال بعد قوله فبما نقضهم حتى بعد عن متعلقه الذي هو حرمنا قوى ذكره بقوله فبظلم من الذين هادوا حتى يلي متعلقه وجاء النظم به على وجه من الاقتصار في اجمال ما سبق تفصيله لان جميع ما تقدم من النقض والقتل وقولهم قلوبنا غلف وكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما ودعواهم قتل المسيح بن مريم قد انطوى عليه الاجمال المذكور آخرا انطواء باسما التفصيل على أن جميع أفاعيلهم الصادرة منهم ظلم وقد تقدم لهذا التقرير نظائر والله الموفق * عاد كلامه (قال) ان قلت هلا زعمت ان المحذوف الذي تعلقت به الباء ما دل عليه قوله بل طبع الله عليها فيكون التقدير فبما نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم قلت لم يصح هذا التقدير لان قوله بل طبع الله عليها بكفرهم رد وانكار لقولهم قلوبنا غلف فكان متعلقا به وذلك انهم أرادوا بقولهم قلوبنا غلف ان الله خلقها غلفا أي في أكنة لا يتوصل اليها شيء من الذكر والموعظة كما حكى الله عن المشركين وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وكمذهب المجبرة أخزاهم الله فقيل لهم بل خذلها الله ومنعها الالطاف بسبب كفرهم فصارت كالمطبوع عليها انتهى كلامه (قال أحمد) هؤلاء قوم زعموا ان لهم على الله حجة بكونه خلق قلوبهم غير قابلة للحق ولا متمكنة من قبوله فكذبهم الله في قولهم لانه خلق قلوبهم على الفطرة أي ان

جهرة فأخذتهم الصاعقة
بظلمهم ثم اتخذوا العجل
من بعد ما جاءتهم البينات
فعفونا عن ذلك وآتينا
موسى سلطانا مبينا
ورفعنا فوقهم الطور
بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا
الباب سجدا وقلنا لهم
لا تعدوا في السبت
وأخذنا منهم ميثاقا غليظا
فبما نقضهم ميثاقهم
وكفرهم بآيات الله
وقتلهم الانبياء بغير حق
وقولهم قلوبنا غلف بل
طبع الله عليها بكفرهم
فلا يؤمنون الا قليلا

(جهرة) عيانا بمعنى أرناه نره جهرة (بظلمهم) بسبب سؤالهم الرؤية ولو طلبوا أمرا جائزا لما سموا ظالمين ولما أخذتهم الصاعقة كما سأل ابراهيم عليه السلام ان يريه احياء الموتى فلم يسمه ظالما ولا رماه بالصاعقة فتبا للمشبهة ورميا بالصواعق (وآتينا موسى سلطانا مبينا) تسلطا واستيلاء ظاهرا عليهم حين أمرهم بأن يقتلوا أنفسهم حتى يتاب عليهم فأطاعوه واحتبوا بأفنيتهم والسيوف تتساقط عليهم فيا لك من سلطان مبين (بميثاقهم) بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه (وقلنا لهم) والطور مطل عليهم (ادخلوا الباب سجدا ولا تعدوا في السبت وقد أخذ منهم الميثاق على ذلك وقولهم سمعنا وأطعنا ومعاهدتهم على أن يتموا عليه ثم نقضوه بعد * وقرئ لا تعتدوا ولا تعدوا بادغام التاء في الدال (فبما نقضهم) فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد (فان قلت) بم تعلقت الباء وما معنى التوكيد (قلت) اما أن يتعلق بمحذوف كانه قيل فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا واما أن يتعلق بقوله حرمنا عليهم على أن قوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم ميثاقهم واما التوكيد فمعناه تحقيق أن العقاب أو تحريم الطيبات لم يكن الا بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل الانبياء وغير ذلك (فان قلت) هلا زعمت أن المحذوف الذي تعلقت به الباء ما دل عليه قوله بل طبع الله عليها فيكون التقدير فبما نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم بل طبع الله عليها بكفرهم (قلت) لم يصح هذا التقدير لان قوله بل طبع الله عليها بكفرهم رد وانكار لقولهم قلوبنا غلف فكان متعلقا به وذلك انهم أرادوا بقولهم قلوبنا غلف ان الله خلق قلوبنا غلفا أي في أكنة لا يتوصل اليها شيء من الذكر والموعظة كما حكى الله عن المشركين وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وكمذهب المجبرة أخزاهم الله فقيل لهم بل خذلها الله

الايمان وقبول الحق من جنس مقدورهم كما هو من جنس مقدور المؤمنين وذلك هو المعبر بالتمكن وبخلقهم متيسرين للايمان متأتيا منهم قبول الحق قامت عليهم حجة الله اذ يجد الانسان بالضرورة الفرق بين قبول الحق والدخول في الايمان وبين طيرانه في الهواء ومشيه على الماء ويعلم ضرورة ان الايمان ممكن منه كما يعلم ان الطيران غير ممكن منه عادة فقد قامت الحجة وبلغت الا لله الحجة البالغة فمن هذا الوجه اتجه الرد عليهم لا كما زعمه الزمخشري من ان لهم قدرة على الايمان يخلقونه بها لانفسهم ويقرونه في قلوبهم وتلك القدرة موجودة سواء وجد الفعل أولا كالسيف المعد في يد القاتل للقتل سواء وجد أولا وان هذه القدرة التي هي كالآلة للخلق على زعمه يصرفها العبد حيث شاء في ايمان وكفر وافق ذكر مشيئة الله أولا وان هؤلاء صرفوا قدرتهم الى خلق الكفر لانفسهم على خلاف مشيئة الله تعالى فلذلك يعرض الزمخشري بأهل السنة القائلين بان الله تعالى لو شاء من عبدة الاوثان أن لا يعبدوها لما عبدوها وتسميتهم لذلك مجبرة ويجعل قوله تعالى وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ردا على الاشعرية كما هو رد على الوثنية ويغفل عن النكتة التي نبهنا عليها وهي ان الرد على الوثنية بذلك لم يكن الا لانهم ظنوا ان هذا المقدار يقيم لهم الحجة على الله ولذلك قال تعالى عقيب ذلك قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين فأوضح الله تعالى ان الرد عليهم لم يكن لقولهم ان الله لو شاء لهداكم أجمعين وانما كان لزعمهم ان ذلك حجة على الله بقوله فلله الحجة البالغة فهذا التقرير هو الايمان المحض والتوحيد الصرف وما عداه من الاشراك الصراح نخزى نعوذ بالله منه

قوله تعالى وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن (قال محمود فان قلت قد وصفوا بالشك والشك ان لا يترجح الخ) قال أحمد وليس في هذا الجواب

شفاء الغليل والظاهر والله أعلم انهم كانوا أغلب أحوالهم الشك في أمره والتردد فجاءت العبارة الأولى على ما يغلب من حالهم ثم كانوا لا يخلون من ظن في بعض الاحوال وعنده يقفون لا يرقون الى العلم فيه البتة وكيف يعلم الذي على خلاف ما هو به فجاءت العبارة الثانية على حالهم النادرة في الظن نافية عنهم ما يترقى من الظن البتة والله أعلم * قوله تعالى وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن

وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته

ومنعها الالطاف بسبب كفرهم فصارت كالمطبوع عليها لا أن تخلق غلفا غير قابلة للذكر ولا متمكنة منه (فان قلت) علام عطف قوله (وبكفرهم) (قلت) الوجه أن يعطف على فبما نقضهم ويجعل قوله بل طبع الله عليها بكفرهم كلاما تبع قوله وقولهم قلوبنا غلف على وجه الاستطراد ويجوز عطفه على ما يليه من قوله بكفرهم (فان قلت) فما معنى المجيء بالكفر معطوفا على ما فيه ذكره سواء عطف على ما قبل حرف الاضراب أو على ما بعده وهو قوله وكفرهم بآيات الله وقوله بكفرهم (قلت) قد تكرر منهم الكفر لانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد صلوات الله عليهم فعطف بعض كفرهم على بعض أو عطف مجموع المعطوف على مجموع المعطوف عليه كأنه قيل فبجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بآيات الله وقتل الانبياء وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم بين كفرهم وبهتهم مريم وافتخارهم بقتل عيسى عاقبناهم أو بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم وكذا وكذا * والبهتان العظيم هو التزنية (فان قلت) كانوا كافرين بعيسى عليه السلام أعداء له عامدين لقتله يسمونه الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فكيف قالوا (انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله) (قلت) قالوه على وجه الاستهزاء كقول فرعون ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون ويجوز أن يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح في الحكاية عنهم رفعا لعيسى عما كانوا يذكرونه به وتعظيما لما أرادوا بمثله كقوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهدا * روى أن رهطا من اليهود سبوه وسبوا أمه فدعا عليهم اللهم أنت ربي وبكلمتك خلقتني اللهم العن من سبني وسب والدتي فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير فأجمعت اليهود على قتله فأخبره الله بأنه يرفعه الى السماء ويطهره من صحبة اليهود فقال لاصحابه أيكم يرضى أن يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم أنا فألقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافق عيسى فلما أرادوا قتله قال أنا أدلكم عليه فدخل بيت عيسى فرفع عيسى وألقى شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون أنه عيسى ثم اختلفوا فقال بعضهم انه اله لا يصح قتله وقال بعضهم انه قد قتل وصلب وقال بعضهم ان كان هذا عيسى فأين صاحبنا وان كان هذا صاحبنا فأين عيسى وقال بعضهم رفع الى السماء وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا (فان قلت) (شبه) مسند الى ماذا ان جعلته مسندا الى المسيح فالمسيح مشبه به وليس بمشبه وان أسندته الى المقتول فالمقتول لم يجر له ذكر (قلت) هو مسند الى الجار والمجرور وهو (لهم) كقولك خيل اليه كأنه قيل ولكن وقع لهم التشبيه ويجوز أن يسند الى ضمير المقتول لان قوله انا قتلنا يدل عليه كأنه قيل ولكن شبه لهم من قتلوه (الا اتباع الظن) استثناء منقطع لان اتباع الظن ليس من جنس العلم يعني ولكنهم يتبعون الظن (فان قلت) قد وصفوا بالشك والشك أن لا يترجح أحد الجائزين ثم وصفوا بالظن والظن أن يترجح أحدهما فكيف يكونون شاكين ظانين (قلت) أريد أنهم شاكون ما لهم من علم قط ولكن ان لاحت لهم أمارة فظنوا فذاك (وما قتلوه يقينا) وما قتلوه قتلا يقينا أو ما قتلوه متيقنين كما ادعوا ذلك في قولهم انا قتلنا المسيح أو يجعل يقينا تأكيدا لقوله وما قتلوه كقولك ما قتلوه حقا أي حق انتفاء قتله حقا وقيل هو من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا تبالغ فيه علمك وفيه تهكم لانه اذا نفى عنهم العلم نفيا كليا بحرف الاستغراق ثم قيل وما علموه علم يقين واحاطة لم يكن الا تهكما بهم (ليؤمنن به) جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره وان من أهل الكتاب أحد الا ليؤمنن به ونحوه وما منا الا له مقام معلوم وان منكم الا واردها والمعنى وما من اليهود والنصارى أحد الا ليؤمنن قبل موته بعيسى وبأنه عبد الله ورسوله يعني اذا عاين قبل أن تزهق روحه حين لا ينفعه ايمانه لانقطاع وقت التكليف وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج آية ما قرأتها الا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه الآية وقال اني أوتى بالاسير من اليهود والنصارى .

به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا (قال محمود يعني اذا عاين قبل أن تزهق روحه الخ) قال أحمد كقول فرعون لما عاين الهلاك آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل * عاد كلامه (قال وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج آية ما قرأتها الخ) قال أحمد ويبعد هذا التأويل قوله ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا فان ظاهره التهديد ولكن ما أريد بقوله في حق هذه الامة ويكون الرسول عليكم شهيدا والله أعلم

والنصارى فاضرب عنقه فلا أسمع منه ذلك فقلت ان اليهودى اذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله أتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت أنه عبد نبى وتقول للنصرانى أتاك عيسى نبيا فزعمت أنه الله أو ابن الله فيؤمن أنه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر الى وقال ممن قلت حدثنى محمد بن على ابن الحنفية فأخذ ينكت الارض بقضيبه ثم قال لقد أخذتها من عين صافية أو من معدنها قال الكلبى فقلت له ما أردت الى أن تقول حدثنى محمد بن على ابن الحنفية قال أردت أن أغيظه يعنى بزيادة اسم على لانه مشهور بابن الحنفية وعن ابن عباس أنه فسره كذلك فقال له عكرمة فان أتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه قال وان خر من فوق بيت أو احترق أو أكله سبع قال يتكلم بها فى الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن به وتدل عليه قراءة أبى الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون على معنى وان منهم أحد الا سيؤمنون به قبل موتهم لان أحدا يصلح للجمع (فان قلت) ما فائدة الاخبار بايمانهم بعيسى قبل موتهم (قلت) فائدته الوعيد وليكون علما بأنهم لا بد لهم من الايمان به عن قريب عند المعاينة وان ذلك لا ينفعهم بعثا لهم وتنبيها على معاجلة الايمان به فى أوان الانتفاع به وليكون الزاما للحجة لهم وكذلك قوله (ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) يشهد على اليهود بأنهم كذبوه وعلى النصارى بأنهم دعوه ابن الله وقيل الضميران لعيسى بمعنى وان منهم أحد الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهم أهل الكتاب الذين يكونون فى زمان نزوله روى أنه ينزل من السماء فى آخر الزمان فلا يبقى أحد من أهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهى ملة الاسلام ويهلك الله فى زمانه المسيح الدجال وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث فى الارض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه ويجوز أن يراد أنه لا يبقى أحد من جميع أهل الكتاب الا ليؤمنن به على ان الله يحييهم فى قبورهم فى ذلك الزمن ويعلمهم نزوله وما أنزل له ويؤمنون به حين لا ينفعهم ايمانهم وقيل الضمير فى به يرجع الى الله تعالى وقيل الى محمد صلى الله عليه وسلم (فبظلم من الذين هادوا) فبأى ظلم منهم والمعنى ما حرمنا عليهم الطيبات الا لظلم عظيم ارتكبوه وهو ما عددناه لهم من الكفر والكبائر العظيمة والطيبات التى حرمت عليهم ما ذكره فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر وحرمت عليهم الالبان وكلما أذنبوا ذنبا صغيرا أو كبيرا حرم عليهم بعض الطيبات من المطاعم وغيرها (وبصدهم عن سبيل الله كثيرا) ناسا كثيرا أو صدا كثيرا (بالباطل) بالرشوة التى كانوا يأخذونها من سفلتهم فى تحريف الكتاب (لكن الراسخون) يريد من آمن منهم كعبد الله بن سلام وأضرابه والراسخون فى العلم الثابتون فيه المتقنون المستبصرون (والمؤمنون) يعنى المؤمنين منهم أو المؤمنون من المهاجرين والانصار وارتفع الراسخون على الابتداء و(يؤمنون) خبره و(المقيمين) نصب على المدح لبيان فضل الصلاة وهو باب واسع قد كسره سيبويه على أمثلة وشواهد ولا يلتفت الى ما زعموا من وقوعه لحنا فى خط المصحف وربما التفت اليه من لم ينظر فى الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم فى النصب على الاختصاص من الافتنان وغبى عليه أن السابقين الاولين الذين مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كانوا أبعد همة فى الغيرة على الاسلام وذب المطاعن عنه من أن يتركوا فى كتاب الله ثلمة ليسدها من بعدهم وخرقا يرفوه من يلحق بهم وقيل هو عطف على بما أنزل اليك أى يؤمنون بالكتاب وبالمقيمين الصلاة وهم الانبياء وفى مصحف عبد الله والمقيمون بالواو وهى قراءة مالك بن دينار والجحدرى وعيسى الثقفى (انا أوحينا اليك) جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بأن شأنه فى الوحى اليه كشأن سائر الانبياء الذين سلفوا وقرئ زبورا بضم الزاى جمع زبر وهو الكتاب (ورسلا) نصب بمضمر فى معنى أوحينا اليك وهو وأرسلنا ونبأنا وما أشبه ذلك أو بما فسره قصصناهم وفى قراءة أبى ورسل قد قصصناهم عليك من قبل ورسل لم نقصصهم وعن ابراهيم ويحيى بن وثاب

ويوم القيامة يكون عليهم
شهيدا فبظلم من الذين
هادوا حرمنا عليهم
طيبات أحلت لهم
وبصدهم عن سبيل الله
كثيرا وأخذهم الربوا
وقد نهوا عنه وأكلهم
أموال الناس بالباطل
وأعتدنا للكافرين منهم
عذابا أليما لكن الراسخون
فى العلم منهم والمؤمنون
يؤمنون بما أنزل اليك
وما أنزل من قبلك
والمقيمين الصلاة والمؤتون
الزكوة والمؤمنون بالله
واليوم الآخر أولئك
سنؤتيهم أجرا عظيما انا
أوحينا اليك كما أوحينا
الى نوح والنبيين من بعده
وأوحينا الى ابراهيم
واسمعيل واسحق
ويعقوب والاسباط
وعيسى وأيوب ويونس
وهرون وسليمان وآتينا
داود زبورا ورسلا قد
قصصناهم عليك من
قبل ورسلا لم نقصصهم
عليك وكلم الله موسى
تكليما

* قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل (قال محمود من بدع التفاسير ان كلم من الكلم الخ) قال أحمد وانما ينقل هذا التفسير عن بعض المعتزلة لانكارهم الكلام القديم الذى هو صفة الذات اذ لا يثبتون الا الحروف والاصوات قائمة بالاجسام لا بذات الله تعالى فيرد عليهم بجحدهم كلام النفس ابطال خصوصية موسى عليه السلام فى التكليم اذ لا يثبتونه الا بمعنى سماعه حروفا واصواتا قائمة ببعض الاجرام وذلك مشترك بين موسى و بين كل سامع لهذه الحروف حتى المشرك الذى قال الله فيه حتى يسمع كلام الله فيضطر المعتزلى الى ابطال الخصوصية الموسوية بحمل التكليم على التجريح وصدق الزمخشرى وانصف انه لمن بدع التفاسير التى ينبو عنها الفهم ولا يبينها الا الوهم والله الموفق * عاد كلامه (قال محمود فان قلت كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل الخ) قال أحمد قاعدة المعتزلة فى التحسين والتقبيح العقليين تجرهم وتجرؤهم الى اثبات أحكام الله تعالى بمجرد العقل وان لم يبعث رسولا فيوجبون بعقولهم ويحرمون و يبيحون على وفق زعمهم ومما يوجبونه قبل ورود الشرع النظر فى أدلة المعرفة ولا يتوقفون على ورود الشرع الموجب ٣٩٨ فمن ثم يلزمون بعد تخبط وتطويل أن من ترك النظر فى الادلة قبل ورود الشرع فقد ترك واجبا استحق به التعذيب وقد قامت الحجة عليه فى الوجوب وان لم يكن شرع واذا تليت عليهم هذه الآية وهى قوله

رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا ان الذين

انهما قرآ وكلم الله بالنصب ومن بدع التفاسير أنه من الكلم وأن معناه وجرح الله موسى بأظفار المحن ومخالب الفتن (رسلا مبشرين ومنذرين) الاوجه أن ينتصب على المدح ويجوز انتصابه على التكرير (فان قلت) كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل وهم محجوجون بما نصبه الله من الادلة التى النظر فيها موصل الى المعرفة والرسل فى أنفسهم لم يتوصلوا الى المعرفة الا بالنظر فى تلك الادلة ولا عرف أنهم رسل الله الا بالنظر فيها (قلت) الرسل منبهون عن الغفلة وباعثون على النظر كما ترى علماء أهل العدل والتوحيد مع تبليغ ما حملوه من تفصيل أمور الدين و بيان أحوال التكليف وتعليم الشرائع فكان ارسالهم ازاحة للعلة وتتميما لالزام الحجة لئلا يقولوا لولا أرسلت الينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة و ينبهنا لما وجب الانتباه له * قرأ السلمى لكن الله يشهد بالتشديد (فان قلت) الاستدراك لا بد له من مستدرك فما هو فى قوله لكن الله يشهد (قلت) لما سأل أهل الكتاب انزال الكتاب من السماء وتعنتوا بذلك واحتج عليهم بقوله انا أوحينا اليك قال لكن الله يشهد بمعنى أنهم لا يشهدون لكن الله يشهد وقيل لما نزل انا أوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد ومعنى شهادة الله بما أنزل اليه اثباته لصحته باظهار المعجزات كما تثبت الدعاوى بالبينات * وشهادة الملائكة شهادتهم بأنه حق وصدق (فان قلت) بم يجابون لو قالوا بم يعلم أن الملائكة يشهدون بذلك (قلت) يجابون بأنه يعلم بشهادة الله لانه لما علم باظهار المعجزات أنه شاهد بصحته علم أن الملائكة يشهدون بصحة ما شهد بصحته لان شهادتهم تبع لشهادته (فان قلت) ما معنى قوله (أنزله بعلمه) وما موقعه من الجملة التى قبله (قلت) معناه أنزله ملتبسا بعلمه الخاص الذى لا يعلمه غيره وهو تأليفه على نظم وأسلوب يعجز عنه كل بليغ وصاحب بيان وموقعه مما قبله موقع الجملة المفسرة لانه بيان للشهادة وأن شهادته بصحته أنه أنزله بالنظم المعجز الفائت للقدرة وقيل أنزله وهو عالم بأنك أهل لانزاله اليك وأنك مبلغه وقيل أنزله بما علم من مصالح العباد مشتملا عليه ويحتمل أنه أنزله وهو عالم به رقيب عليه حافظ له من الشياطين برصد من الملائكة والملائكة يشهدون بذلك كما قال فى آخر سورة الجن ألا ترى الى قوله تعالى وأحاط بما لديهم والاحاطة بمعنى العلم (وكفى بالله شهيدا) وان لم يشهد غيره لان التصديق بالمعجزة هو الشهادة حقا فأى شئ

رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقيل لهم ما هذه الآية تناديكم يا معشر القدرية ان الحجة انما قامت على الخلق بالاحكام الشرعية المؤدية الى الجزاء بارسال الرسل لا بمجرد العقل فما يقولون فيها صمت حينئذ آذانهم وغيروا فى وجه هذا النص وغيروه عما هو موضوع له فقالوا المراد ان الرسل تتمم حجة الله وتنبه على ما وجب قبل بعثها بالعقل كما أجاب به الزمخشرى وقريبا من هذا التعسف يقولون اذا ورد عليهم قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وربما دلس على ضعفة الطالبين لهذا الفصل من كلام الزمخشرى قوله ان أدلة التوحيد والمعرفة منصوبة قبل ارسال الرسل وبذلك تقوم الحجة فيظن ان ذلك جار على سنن أصحة ذا المعرفة باتفاق والتوحيد باجماع انما طريقه العقل لا النقل الذى يلبس عليه أن النظر فى أدلة التوحيد هو فعل المكلف ليس بالحكم الشرعى بل الحكم وجوب النظر والمعرفة متلقاة من العقل المحض والوجوب متلقى من النقل الصرف وبه تقوم الحجة وعليه يترتب الجزاء والله سبحانه ولى التوفيق والمعونة * قوله تعالى لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون (قال محمود فيه ان قلت الاستدراك لا بد له من مستدرك الخ) قال أحمد ورود هذا الفصل فى كلامه مما يغتبط به

* قوله تعالى ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم (قال محمود فيه أى جمعوا بين الكفر والمعاصى الخ) قال أحمد يعدل من الظاهر لعله يتروح الى بث طرف من العقيدة الفاسدة فى وجوب وعيد العصاة وانهم مخلدون تخليد الكفار وقد تكرر ذلك منه وهذه الآية تنبو عن هذا المعتقد فانه جعل الفعلين أعنى الكفر والظلم كالصلة للموصول المجموع فيلزم وقوع الفعلين جميعا من كل واحد من آحاده الا ترى انك اذا قلت الزيدون قاموا فقد أسندت القيام الى كل واحد من آحاد الجمع فكذلك لو عطفت عليه فعلا آخر لزم فيه ذلك ضرورة والله الموفق * قوله تعالى لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون (قال محمود معناه لن يأنف وان يذهب بنفسه عزة الخ) قال أحمد وقد كثر الاختلاف فى تفضيل الانبياء على الملائكة فذهب جمهور ٣٩٩ الاشعرية الى تفضيل الانبياء وذهب

أكبر شهادة قل الله (كفروا وظلموا) جمعوا بين الكفر والمعاصى أو كان بعضهم كافرين وبعضهم ظالمين أصحاب كبائر لانه لا فرق بين الفريقين فى أنه لا يغفر لهما الا بالتوبة (ولا ليهديهم طريقا) لا يلطف بهم فيسلكون الطريق الموصل الى جهنم أو لا يهديهم يوم القيامة طريقا الا طريقها (يسيرا) أى لا صارف له عنه (فآمنوا خيرا لكم) وكذلك انتهوا خيرا لكم انتصابه بمضمر وذلك انه لما بعثهم على الايمان وعلى الانتهاء عن التثليث علم أنه يحملهم على أمر فقال خيرا لكم أى اقصدوا أو ائتوا أمرا خيرا لكم مما أنتم فيه من الكفر والتثليث وهو الايمان والتوحيد (لا تغلوا فى دينكم) غلت اليهود فى حط المسيح عن منزلته حيث جعلته مولودا لغير رشدة وغلت النصارى فى رفعه عن مقداره حيث جعلوه الها (ولا تقولوا على الله الا الحق) وهو تنزيهه عن الشريك والولد * قرأ جعفر بن محمد انما المسيح بوزن السكيت * وقيل لعيسى كلمة الله وكلمة منه لانه وجد بكلمته وأمره لا غير من غير واسطة أب ولا نطفة وقيل له روح الله وروح منه لذلك لانه ذو روح وجد من غير جزء من ذى روح كالنطفة المنفصلة من الاب الحى وانما اخترع اختراعا من عند الله وقدرته خالصة * ومعنى (ألقاها الى مريم) أوصلها اليها وحصلها فيها (ثلاثة) خبر مبتدا محذوف فان صحت الحكاية عنهم أنهم يقولون هو جوهر واحد ثلاثة أقانيم أقنوم الاب وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس وأنهم يريدون بأقنوم الاب الذات وبأقنوم الابن العلم وبأقنوم روح القدس الحياة فتقديره الله ثلاثة والا فتقديره الآلهة ثلاثة والذى يدل عليه القرآن التصريح منهم بأن الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة وأن المسيح ولد الله من مريم ألا ترى الى قوله أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله وقالت النصارى المسيح ابن الله والمشهور المستفيض عنهم أنهم يقولون فى المسيح لاهوتية وناسوتية من جهة الاب والام ويدل عليه قوله انما المسيح عيسى ابن مريم فأثبت أنه ولد لمريم اتصل بها اتصال الاولاد بأمهاتها وأن اتصاله بالله تعالى من حيث انه رسوله وانه موجود بأمره وابتداعه جسدا حيا من غير أب فنفى أن يتصل به اتصال الابناء بالآباء وقوله سبحانه أن يكون له ولد وحكاية الله أوثق من حكاية غيره * ومعنى (سبحانه أن يكون له ولد) سبحه تسبيحا من أن يكون له ولد وقرأ الحسن ان يكون بكسر الهمزة ورفع النون أى سبحانه ما يكون له ولد على أن الكلام جملتان (له ما فى السموات وما فى الارض) بيان لتنزهه عما نسب اليه يعنى أن كل ما فيهما خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزأ منه على أن الجزء انما يصح فى الاجسام وهو متعال عن صفات الاجسام والاعراض (وكفى بالله وكيلا) يكل اليه الخلق كلهم أمورهم فهو الغنى عنهم وهم الفقراء اليه (لن يستنكف المسيح) لن يأنف وان يذهب بنفسه عزة من نكفت الدمع اذا نحيته عن خدك باصبعك (ولا الملائكة المقربون) ولا من هو أعلى منه قدرا وأعظم منه خطرا وهم الملائكة الكروبيون الذين حول

كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وان تكفروا فان لله ما فى السموات والارض وكان الله عليما حكيما يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا

القاضى أبو بكر منا والحليمى وجماعة المعتزلة الى تفضيل الملائكة وتتخذ المعتزلة هذه الآية عمدتهم فى تفضيل الملائكة من حيث الوجه الذى استدل به الزمخشرى ونحن بعون الله نشبع القول فى المسئلة من حيث الآية فنقول أورد الاشعرية على الاستدلال بها أسئلة * أحدها أن سيدنا محمدا عليه أفضل الصلاة والسلام أفضل من عيسى عليه الصلاة والسلام فلا يلزم من كون الملائكة أفضل من المسيح أن تكون أفضل من محمد عليه الصلاة والسلام وهذا السؤال انما يتوجه اذ لم يدع مورده ان كل واحد من آحاد الانبياء أفضل من كل واحد من آحاد الملائكة وبين طائفتنا فى هذا الطرف خلاف * السؤال الثانى ان قوله ولا الملائكة المقربون صيغة جمع تتناول مجموع

الملائكة فهذا يقتضي كون مجموع الملائكة أفضل من المسيح ولا يلزم أن يكون كل واحد منهم أفضل من المسيح وفي هذا السؤال أيضا نظر لان مورده اذا بنى على ان المسيح أفضل من كل واحد من آحاد الملائكة فقد يقال يلزمه القول بأنه أفضل من الكل كما ان النبي عليه الصلاة والسلام لما كان أفضل من كل واحد من آحاد الانبياء كان أفضل من كلهم ولم يفرق بين التفضيل على التفصيل والتفضيل على الجملة أحد ممن صنف في هذا المعنى وقد كان بعض المعاصرين يفصل بين التفضيلين وادعى أنه لا يلزم منه على التفصيل تفضيل على الجملة ولم يثبت عنه هذا القول ولو قاله أحد فهو مردود بوجه لطيف وهو ان التفضيل المراد جل أماراته رفع درجة الافضل في الجنة والاحاديث متوافرة بذلك وحينئذ لا يخلو اما أن ترفع درجة واحد من المفضولين على من اتفق على انه أفضل من كل واحد منهم أولا ترفع درجة أحد منهم عليه لا سبيل الى الاول لانه يلزم منه رفع المفضول على الافضل فتعين الثاني وهو ارتفاع درجة الافضل على درجات المجموع ضرورة فيلزم ثبوت أفضليته على المجموع من ثبوت أفضليته على كل واحد منهم قطعا * الثالث انه عطف الملائكة على المسيح بالواو وهي لا تقتضي ترتيبا وأما الاستشهاد بالمثال المذكور على ان الثاني أبدا يكون أعلى رتبة فمعارض بأمثلة لا تقتضي ذلك كقول القائل ما عابني على هذا الامر زيد ولا عمرو * قلت وكقولك لا تؤذ مسلما ولا ذميا فان هذا الترتيب وجه الكلام والثاني أدنى وأخفض درجة ولو ذهبت تعكس هذا فقلت لا تؤذ ذميا ولا مسلما لجعل الاعلى ثانيا لخرجت عن حد الكلام وقانون البلاغة وهذا المثال بين ما يورد في نقض القانون المقرر ولكن الحق أولى من المراء وليس بين المثالين تعارض ونحن نمهد تمهيدا يرفع اللبس ويكشف الغطاء فنقول للنكتة في الترتيب في المثالين الموهوم ٤٠٠ تعارضهما واحدة وهي توجب في مواضع تقديم الاعلى وفي مواضع تأخيره وتلك النكتة مقتضى البلاغة النائي عن التكرار والسلامة عن النزول فاذا تعددت ذلك فهما أدى الى أن يكون آخر الكلام نزولا بالنسبة الى أوله أو يكون الآخر مندرجا في الاول قد أفاده وأنت مستغن عن الآخر فاعدل عن ذلك الى ما يكون ترقيا من الادنى الى الاعلى واستئنافا لفائدة لم يشتمل عليها الاول مثاله الآية المذكورة فانك لو ذهبت فيها الى أن يكون المسيح أفضل من الملائكة وأعلى رتبة لكان ذكر الملائكة بعده كالمستغنى عنه لانه اذا كان الافضل وهو المسيح على هذا التقدير عبدا لله غير مستنكف من العبودية لزم من ذلك ان من دونه في الفضيلة أولى أن لا يستنكف عن كونه عبدا لله وهم الملائكة على هذا التقدير فلم يتجدد اذا بقوله ولا الملائكة المقربون الا ما أفاد أول الكلام واذا قدرت المسيح مفضولا بالنسبة الى الملائكة فانك ترقيت من تعظيم الله تعالى بان المفضول لا يستنكف عن كونه عبدا لله الى أن الافضل لا يستنكف عن ذلك وليس يلزم من عدم استنكاف المفضول عدم استنكاف الافضل فالحاجة داعية الى ذكر الملائكة اذ لم يستلزم الاول الآخر فصار الكلام على هذا التقدير تتجدد فوائده وتتزايد وما كان كذلك تعين أن يحمل عليه الكتاب العزيز لانه الغاية في البلاغة وبهذه النكتة يجب أن تقول لا تؤذ مسلما ولا ذميا فتؤخر الادنى على عكس الترتيب في الآية لانك اذا نهيته عن ايذاء المسلم فقد يقال ذلك من خواصه احتراما للاسلام فلا يلزم من ذلك نهيه عن الكافر المسلوبة عنه هذه الخصوصية فاذا قلت ولا ذميا فقد جددت فائدة لم تكن في الاول وترقيت من النهي عن بعض أنواع الاذى الى النهي عن أكثر منه ولو رتبت هذا المثال كترتيب الآية فقلت لا تؤذ ذميا فهم النهي عن أذى المسلم أدخل في النهي اذ يساوي الذمي في سبب الاحترام وهو الانسانية مثلا ويمتاز عنه بسبب أجل وأعظم وهو الاسلام فيقنعه هذا النهي عن تجديد نهي آخر عن أذى المسلم فان قلت ولا مسلما لم تجدد له فائدة ولم تعلمه غير ما علمه أولا فقد علمت انها نكتة واحدة توجب أحيانا تقديم الاعلى وأحيانا تأخيره ولا يميز ذلك الا السياق وما أشك أن سياق الآية يقتضي تقديم الادنى وتأخير الاعلى ومن البلاغة المرتبة على هذه النكتة قوله تعالى فلا تقل لهما أف استغناء عن نهيه عن ضربهما فما فوقه بتقديم الادنى ولم يلق ببلاغة الكتاب العزيز أن تريد نهيا عن أعلى من التأفيف

العرش كجبريل وميكائيل واسرافيل ومن في طبقتهم (فان قلت) من أين دل قوله ولا الملائكة المقربون على أن المعنى ولا من فوقه (قلت) من حيث ان علم المعاني لا يقتضي غير ذلك وذلك أن الكلام انما سيق لرد مذهب النصارى وغلوهم في رفع المسيح عن منزلة العبودية فوجب أن يقال لهم لن يترفع عيسى عن العبودية ولا من هو أرفع منه درجة كأنه قيل لن يستنكف الملائكة المقربون من العبودية فكيف بالمسيح ويدل عليه دلالة ظاهرة بينة تخصيص المقربين لكونهم أرفع الملائكة درجة وأعلاهم منزلة ومثاله قول القائل

وما مثله ممن يجاود حاتم * ولا البحر ذو الامواج يلتج زاخره

لا شبهة في انه قصد بالبحر ذي الامواج ما هو فوق حاتم في الجود ومن كان له ذوق فليذق مع هذه الآية قوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى يعترف بالفرق البين * وقرأ علي رضي الله عنه عبيدا لله على التصغير وروي أن وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال وأي شيء أقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال انه ليس بعار أن يكون عبدا لله قالوا بلى فنزلت أي لا يستنكف عيسى من ذلك فلا تستنكفوا له منه فلو كان موضع استنكاف لكان هو أولى بأن يستنكف لان العار ألصق به (فان قلت) علام عطف قوله ولا الملائكة (قلت) لا يخلو إما أن يعطف على المسيح أو

والاثم اولانه مستغنى عنه وما يحتاج المتدبر لآيات القرآن مع التأييد شاهد اسواها ما فرطنا فى الكتاب من شيء ولما اقتضى الانصاف تسليم مقتضى الآية لتفضيل الملائكة وكانت الادلة على تفضيل الانبياء عتيدة عند المعتقد لذلك جمع بين الآية وتلك الادلة بحمل التفضيل فى الآية على غير محل الخلاف وذلك أن تفضيل الملائكة فى القوة وشدة البطش وسعة التمكن والاقتدار قال وهذا النوع من الفضيلة هو المناسب لسياق الآية لان المقصود الرد على النصارى فى اعتقادهم ألوهية عيسى عليه السلام مستندين الى كونه أحيا الموتى وأبرأ الاكمه والابرص وصدرت على يديه آثار عظيمة خارقة فناسب ذلك أن يقال هذا الذى صدرت على يديه هذه الخوارق لا يستنكف عن عبادة الله تعالى بل من هو أكثر خوارق وأظهر آثارا كالملائكة المقربين الذين من جملتهم جبريل عليه السلام وقد بلغ من قوته واقدار الله له ان اقتلع المدائن واحتملها على ريشة من جناحه وقلب عاليها سافلها فيكون تفضيل الملائكة اذا بهذا الاعتبار لا خلاف انهم أقوى وأبطش وان خوارقهم أكثر وانما الخلاف فى التفضيل باعتبار مزيد الثواب والكرامات ورفع الدرجات فى دار الجزاء وليس فى الآية عليه دليل ولما كان أكثر ما لبس على النصارى فى ألوهية عيسى كونه ٤٠١ مخلوقا أى موجودا من غير أب أنبأنا الله تعالى ان هذا الموجود من غير أب لا يستنكف من عبادة الله بل ولا الملائكة المخلوقون من غير أب ولا أم فيكون تأخير ذكرهم لان خلقهم

فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك

أو على اسم يكون أو على المستتر فى عبد لما فيه من معنى الوصف لدلالته على معنى العبادة كقولك مررت برجل عبد أبوه فالعطف على المسيح هو الظاهر لاداء غيره الى ما فيه بعض انحراف عن الغرض وهو أن المسيح لا يأنف أن يكون هو ولا من فوقه موصوفين بالعبودية أو أن يعبد الله هو ومن فوقه (فان قلت) قد جعلت الملائكة وهم جماعة عبد الله فى هذا العطف فما وجهه (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يراد ولا كل واحد من الملائكة أو ولا الملائكة المقربون أن يكونوا عبادا لله فحذف ذلك لدلالة عبد الله عليه ايجازا وأما اذا عطفتهم على الضمير فى عبدا فقد طاح هذا السؤال * قرئ فسيحشرهم بضم الشين وكسرها وبالنون (فان قلت) التفصيل غير مطابق للمفصل لانه اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد (قلت) هو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك لوجهين أحدهما أن يحذف ذكر أحد الفريقين لدلالة التفصيل عليه ولان ذكر أحدهما يدل على ذكر الثانى كما حذف أحدهما فى التفصيل فى قوله عقيب هذا (فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به) والثانى وهو أن الاحسان الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا فى جملة التنكيل بهم فكأنه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذب بالحسرة اذا رأى أجور العاملين وبما يصيبه من عذاب الله * البرهان والنور المبين القرآن أو أراد بالبرهان دين الحق أو رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالنور المبين ما يبينه ويصدقه من الكتاب المعجز (فى رحمة منه وفضل) فى ثواب مستحق وتفضل (ويهديهم اليه) الى عبادته (صراطا مستقيما) وهو طريق الاسلام والمعنى توفيقهم وتثبيتهم * روى أنه آخر ما نزل من الاحكام كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طريق مكة عام حجة الوداع فأتاه جابر بن عبد الله فقال ان لى أختا فكم آخذ من ميراثها ان ماتت وقيل كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى كلالة فكيف أصنع فى مالى فنزلت (ان امرؤ هلك) ارتفع امرؤ بمضمر يفسره الظاهر ومحل (ليس له ولد) الرفع على الصفة لا النصب على الحال أى ان هلك امرؤ غير ذى ولد والمراد بالولد الابن وهو اسم مشترك يجوز ايقاعه على الذكر وعلى الانثى لان الابن يسقط الاخت ولا تسقطها البنت الا فى

أغرب من خلق عيسى وتنبيها لذلك ان الله تعالى نظر عيسى بآدم عليهما السلام فنظر الغريب بالاغرب وشبه العجيب من قدرته بالاعجب اذ عيسى مخلوق من أم وآدم من غير أم ولا أب ولذلك قال خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ومدار هذا البحث على النكتة التى نبهت عليها فى استقامة اشتمال المذكور أياما على فائدة لم يشتمل عليها الاول بأى طريق كان من تفضيل أو غيره من الفوائد فقد استد النظر وطابق صيغة الآية والله أعلم وعلى الجملة فالمسئلة سمعية والقطع فيها معروف بالنص الذى لا يحتمل تأويلا ووجوده عسر صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وما أحسن تأكيد الزمخشرى لاستدلاله بنعت الملائكة المعنيين بأنهم المقربون ومن ثم ينشئ ظهور من فصل القول فى الملائكة والانبياء فلم يعم التفضيل فى الملائكة ولا فى الانبياء بل فصل ثم فضل وليس الغرض الاذكر محامل الآية لا البحث فى اختلاف المذاهب والله الموفق * قوله تعالى ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر الى قوله ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا (قال ان قلت التفصيل غير مطابق للمفصل الخ) قال أحمد المراد بالمفصل من لم يستنكف ومن استنكف لسبق ذكرهما ألا ترى ان المسيح والملائكة المقربين ومن دونهم من عباد الله لم يستنكفوا عن عبادة الله وقد جرى ذكرهم ورشد اليه تأكيد الضمير بقوله جميعا فكأنه قال فسيحشر اليه المقربين وغيرهم جميعا ووقوع الفعل المتصل به الضمير جزاء لقوله ومن يستنكف لا يعين اختصاص الضمير بالمستنكفين لان المصحح لارتباط الكلام فقد وجد مندرجا فى طى هذا الضمير الشامل لهم

والغيرهم وحينئذ يكون المفصل مشتملا على الفريقين وتفصيله منطبق عليه والله أعلم * قوله تعالى فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك (قال ان قلت الى من يرجع ضمير التثنية والجمع الخ) قال أحمد وقد سبق له هذا التمثيل في مثل هذا الموضع ولو مثل بقول القائل حصان كانت ذا ابنتك لكان أسلم اذ في لفظ من من الابهام ما يسوغ وقوعها على الاصناف المختلفة من مذكر ومؤنث وتثنية وجمع ومثل الآية سواء قوله تعالى يحسبون كل

وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شئ عليم

ـذهب ابن عباس وبالاخت التي هي لاب وأم دون التي لام لان الله تعالى فرض لها النصف وجعل أخاها عصبة وقال للذكر مثل حظ الانثيين وأما الاخت للام فلها السدس في آية المواريث مسوى بينها وبين أخيها (وهو يرثها) وأخوها يرثها ان قدر الامر على العكس من موتها وبقائه بعدها (ان لم يكن لها ولد) أي ابن لان الابن يسقط الاخ دون البنت (فان قلت) الابن لا يسقط الاخ وحده فان الاب نظيره في الاسقاط فلم اقتصر على نفي الولد (قلت) بين حكم انتفاء الولد ووكل حكم انتفاء الوالد الى بيان السنة وهو قوله عليه السلام ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلاولى عصبة ذكر والاب أولى من الاخ وليسا بأول حكمين بين أحدهما بالكتاب والآخر بالسنة ويجوز أن يدل بحكم انتفاء الولد على حكم انتفاء الوالد لان الولد أقرب الى الميت من الوالد فاذا ورث الاخ عند انتفاء الاقرب فأولى أن يرث عند انتفاء الابعد ولان الكلالة تتناول انتفاء الوالد والولد جميعا فكان ذكر انتفاء أحدهما دالا على انتفاء الآخر (فان قلت) الى من يرجع ضمير التثنية والجمع في قوله (فان كانتا اثنتين) وان كانوا اخوة (قلت) أصله فان كان من يرث بالاخوة اثنتين وان كان من يرث بالاخوة ذكورا واناثا وانما قيل فان كانتا وان كانوا كما قيل من كانت أمك فكما أنث ضمير من لمكان تأنيث الخبر كذلك ثنى وجمع ضمير من يرث في كانتا وكانوا لمكان تثنية الخبر وجمعه * والمراد بالاخوة الاخوة والاخوات تغليبا لحكم المذكورة (أن تضلوا) مفعول له ومعناه كراهة أن تضلوا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا وأعطى من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم

﴿سورة المائدة مدنية وهي مائة وثلاث وعشرون آية﴾

سورة المائدة مدنية وهي مائة وثلاث وعشرون آية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم ان الله يحكم ما يريد يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد

* يقال وفى بالعهد وأوفى به ومنه والموفون بعهدهم * والعقد العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه قال الحطيئة

قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم * شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا

وهي عقود الله التي عقدها على عباده وألزمها اياهم من مواجب التكليف وقيل هي ما يعقدون بينهم من عقود الامانات ويتحالفون عليه ويتماسحون من المبايعات ونحوها والظاهر أنها عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وأنه كلام قدم مجملا ثم عقب بالتفصيل وهو قوله (أحلت لكم) وما بعده * البهيمة كل ذات أربع في البر والبحر واضافتها الى الانعام للبيان وهي الاضافة التي بمعنى من كخاتم فضة ومعناه البهيمة من الانعام (الا ما يتلى عليكم) الا محرم ما يتلى عليكم من القرآن من نحو قوله حرمت عليكم الميتة أو الا ما يتلى عليكم آية تحريمه * والانعام الازواج الثمانية وقيل بهيمة الانعام الظباء وبقر الوحش ونحوها كأنهم أرادوا ما يماثل الانعام ويدانيها من جنس البهائم في الاجترار وعدم الانياب فأضيفت الى الانعام لملابسة الشبه (غير محلى الصيد) نصب على الحال من الضمير في لكم أي أحلت لكم هذه الاشياء لا محلين الصيد وعن الاخفش أن انتصابه عن قوله أوفوا بالعقود وقوله (وأنتم حرم) حال عن محلى الصيد كأنه قيل أحللنا لكم بعض الانعام في حال امتناعكم من الصيد وأنتم محرمون لئلا نحرج عليكم (ان الله يحكم ما يريد) من الاحكام ويعلم أنه حكمة ومصلحة * والحرم جمع حرام وهو المحرم * الشعائر جمع شعيرة وهي اسم ما أشعر أي جعل شعارا وعلما للنسك من مواقف الحج ومرامى الجمار والمطاف والمسعى والافعال التي هي علامات الحاج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي والحلق والنحر * والشهر الحرام شهر الحج * والهدى ما أهدى الى

صيغة عليم هم العدو فمن جعل الجملة مفعولا ثانيا للحسبان فان أصل الكلام هي العدو اذ الضمير على هذا الاعراب للصيحة ولكنه ذكره وجمعه لمكان الخبر والله أعلم

البيت

﴿القول في سورة المائدة﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود (قال المصنف يقال وفى بالعهد وأوفى به ومنه الموفون بعهدهم) قال أحمد ورد في الكتاب العزيز وفى بالتضعيف في قوله تعالى وابراهيم الذي وفى وورد وأوفى كثير ومنه أوفوا بالعقود وأما وفى ثلاثيا فلم يرد الا في قوله تعالى ومن أوفى بعهده

البيت وتقرب به الى الله من النسائك وهو جمع هدية كما يقال جدى فى جمع جدية السرج * والقلائد جمع قلادة وهى ما قلد به الهدى من نعل أو عروة مزادة أو لحاء شجر أو غيره * وآمو المسجد الحرام قاصدوه وهم الحجاج والعمار * واحلال هذه الاشياء أن يتهاون بحرمة الشعائر وأن يحال بينها وبين المتنسكين بها وأن يحدثوا فى أشهر الحج ما يصدون به الناس عن الحج وأن يتعرض للهدى بالغصب أو بالمنع من بلوغ محله وأما القلائد ففيها وجهان أحدهما أن يراد بها ذوات القلائد من الهدى وهى البدن وتعطف على الهدى للاختصاص وزيادة التوصية بها لانها أشرف الهدى كقوله وجبريل وميكال كأنه قيل والقلائد منها خصوصا والثانى أن ينهى عن التعرض لقلائد الهدى مبالغة فى النهى عن التعرض للهدى على معنى ولا تحلوا قلائدها فضلا أن تحلوها كما قال ولا يبدين زينتهن فنهى عن ابداء الزينة مبالغة فى النهى عن ابداء مواقعها (ولا آمين) ولا تحلوا قوما قاصدين المسجد الحرام (يبتغون فضلا من ربهم) وهو الثواب (ورضوانا) وأن يرضى عنهم أى لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيما لهم واستنكارا أن يتعرض لمثلهم قيل هى محكمة وعن النبى صلى الله عليه وسلم المائدة من آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها وحرموا حرامها وقال الحسن ليس فيها منسوخ وعن أبى ميسرة فيها ثمانى عشرة فريضة وليس فيها منسوخ وقيل هى منسوخة وعن ابن عباس كان المسلمون والمشركون يحجون جميعا فنهى الله المسلمين أن يمنعوا أحدا عن حج البيت بقوله لا تحلوا ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله وقال مجاهد والشعبى لا تحلوا نسخ بقوله واقتلوهم حيث وجدتموهم * وفسر ابتغاء الفضل بالتجارة وابتغاء الرضوان بأن المشركين كانوا يظنون فى أنفسهم أنهم على سداد من دينهم وأن الحج يقربهم الى الله فوصفهم الله بظنهم * وقرأ عبد الله ولا آمى البيت الحرام على الاضافة * وقرأ حميد بن قيس والاعرج تبتغون بالتاء على خطاب المؤمنين (فاصطادوا) اباحة للاصطياد بعد حظره عليهم كأنه قيل واذا حللتم فلا جناح عليكم أن تصطادوا وقرئ بكسر الفاء وقيل هو بدل من كسر الهمزة عند الابتداء * وقرئ واذا أحللتم يقال حل المحرم وأحل * جرم يجرى مجرى كسب فى تعديه الى مفعول واحد واثنين تقول جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه ويقال أجرمته ذنبا على نقل المتعدى الى مفعول بالهمزة الى مفعولين كقولهم أكسبته ذنبا وعليه قراءة عبد الله ولا يجرمنكم بضم الياء وأول المفعولين على القراءتين ضمير المخاطبين والثانى أن تعتدوا (وأن صدوكم) بفتح الهمزة متعلق بالشنآن بمعنى العلة والشنآن شدة البغض * وقرئ بسكون النون والمعنى ولا يكسبنكم بغض قوم لأن صدوكم الاعتداء ولا يحملنكم عليه * وقرئ ان صدوكم على ان الشرطية وفى قراءة عبد الله ان يصدوكم ومعنى صدهم اياكم عن المسجد الحرام منع أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتداء الانتقام منهم بالحاق مكروه بهم (وتعاونوا على البر والتقوى) على العفو والاغضاء (ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) على الانتقام والتشفى ويجوز أن يراد العموم لكل بر وتقوى وكل اثم وعدوان فيتناول بعمومه العفو والانتصار * كان أهل الجاهلية يأكلون هذه المحرمات البهيمة التى تموت حتف أنفها والفصيد وهو الدم ٣ فى المباعر يشوونها ويقولون لم يحرم من فزد له (وما أهل لغير الله به) أى رفع الصوت به لغير الله وهو قولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه (والمنخنقة) التى خنقوها حتى ماتت أو انخنقت بسبب (والموقوذة) التى أثخنوها ضربا بعصا أو حجر حتى ماتت (والمتردية) التى تردت من جبل أو فى بئر فماتت (والنطيحة) التى نطحتها أخرى فماتت بالنطح (وما أكل السبع) بعضه (الا ما ذكيتم) الا ما أدركتم ذكاته وهو يضطرب اضطراب المذبوح وتشخب أوداجه * وقرأ عبد الله والمنطوحة وفى رواية عن أبى عمرو والسبع بسكون الباء وقرأ ابن عباس وأكيل السبع (وما ذبح على النصب) كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويشرحون اللحم عليها يعظمونها بذلك ويتقربون به اليها تسمى الانصاب والنصب واحد قال الاعشى

وذا النصب المنصوب لا تعبدنه * لعاقبة والله ربك فاعبدا

ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا واذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب

من الله لانه بنى أفعل من التفضيل وفى اذ لا يبنى الا من ثلاثى

٣ قوله فى المباعر أى مواضع البعر وهى الامعاء وقوله فزد بضم الفاء وسكون الزاى آخره دال مهملة ويروى فصد بسكون الصاد تخفيفا أى لم يحرم القرى من فصدت له الراحلة فحظى بدمها ويروى قصد بالقاف أى أعطى قصدا أى قليلا اه من القاموس اه مصححه

وقيل هو جمع والواحد نصاب وقرئ النصب بسكون الصاد (وأن تستقسموا بالازلام) وحرم عليكم الاستقسام بالازلام أي بالقداح كان أحدهم اذا اراد سفرا أو غزوا أو تجارة أو نكاحا أو أمرا من معاظم الامور ضرب بالقداح وهى مكتوب على بعضها امرني ربي وعلى بعضها نهاني ربي وبعضها غفل فان خرج الآمر مضى لطيته وان خرج الناهى أمسك وان خرج الغفل أجالها عودا فمعنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة ماقسم له مما لم يقسم له بالازلام وقيل هو الميسر وقسمتهم الجزور على الانصباء المعلومة (ذلكم فسق) الاشارة الى الاستقسام أو الى تناول ماحرم عليهم لان المعنى حرم عليكم تناول الميتة وكذا وكذا (فان قلت) لم كان استقسام المسافر وغيره بالازلام لتعرف الحال فسقا (قلت) لانه دخول فى علم الغيب الذى استأثر به علام الغيوب وقال لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله واعتقاد أن اليه طريقا والى استنباطه وقوله أمرنى ربى ونهانى ربى افتراء على الله ومايدريه أنه أمره أو نهاه والكهنة والمنجمون بهذه المثابة وان كان أراد بالرب الصنم فقد روى أنهم كانوا يجيلونها عند أصنامهم فأمره ظاهر (اليوم) لم يرد به يوما بعينه وانما أراد به الزمان الحاضر ومايتصل به ويدانيه من الازمنة الماضية والآتية كقولك كنت بالامس شابا وأنت اليوم أشيب فلا تريد بالامس اليوم الذى قبل يومك ولا باليوم يومك ونحوه الآن فى قوله

الآن لما ابيض مسربتي * وعضضت من نابي على جذم

وقيل أريد يوم نزولها وقد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر فى حجة الوداع (يئس الذين كفروا من دينكم) يئسوا منه أن يبطلوه وأن ترجعوا محللين لهذه الخبائث بعد ماحرمت عليكم وقيل يئسوا من دينكم أن يغلبوه لان الله عز وجل وفى بوعده من اظهاره على الدين كله (فلا تخشوهم) بعد اظهار الدين وزوال الخوف من الكفار وانقلابهم مغلوبين مقهورين بعدما كانوا غالبين (واخشون) واخلصوا لى الخشية (أكملت لكم دينكم) كفيتكم أمر عدوكم وجعلت اليد العليا لكم كما تقول الملوك اليوم كمل لنا الملك وكمل لنا ما نريد اذا كفوا من ينازعهم الملك ووصلوا الى أغراضهم ومباغيهم أو أكملت لكم ما تحتاجون اليه فى تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على الشرائع وقوانين القياس وأصول الاجتهاد (وأتممت عليكم نعمتى) بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكهم وأن لم يحج معكم مشرك ولم يطف بالبيت عريان أو أتممت نعمتى عليكم باكمال أمر الدين والشرائع كأنه قال اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى بذلك لانه لانعمة أتم من نعمة الاسلام (ورضيت لكم الاسلام دينا) يعنى اخترته لكم من بين الاديان وآذنتكم بأنه هو الدين المرضى وحده ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ان هذه أمتكم أمة واحدة (فان قلت) بم اتصل قوله (فمن اضطر) (قلت) بذكر المحرمات وقوله ذلكم فسق اعتراض أكد به معنى التحريم وكذلك مابعده لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المنعوت بالرضا دون غيره من الملل ومعناه فمن اضطر الى الميتة أو الى غيرها (فى مخمصة) فى مجاعة (غير متجانف لاثم) غير منحرف اليه كقوله غير باغ ولا عاد (فان الله غفور) لا يؤاخذه بذلك * فى السؤال معنى القول فلذلك وقع بعده (ماذا أحل لهم) كأنه قيل يقولون لك ماذا أحل لهم وانما لم يقل ماذا أحل لنا حكاية لما قالوه لان يسألونك بلفظ الغيبة كما تقول أقسم زيد ليفعلن ولو قيل لافعلن وأحل لنا لكان صوابا وماذا مبتدأ وأحل لهم خبره كقولك أى شئ أحل لهم ومعناه ماذا أحل لهم من المطاعم كأنهم حين تلا عليهم ماحرم عليهم من خبيثات المآكل سألوا عما أحل لهم منها فقيل (أحل لكم الطيبات) أى ماليس بخبيث منها وهو كل مالم يأت تحريمه فى كتاب أو سنة أو قياس مجتهد (وما علمتم من الجوارح) عطف على الطيبات أى أحل لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف أو تجعل ما شرطية وجوابها فكلوا والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والنمر والعقاب والصقر والبازى والشاهين * والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد لصاحبها ورائضها لذلك بما علم من الحيل وطرق التأديب والتثقيف واشتقاقه من الكلب لان التأديب أكثر ما يكون فى الكلاب فاشتق من لفظه لكثرته فى جنسه أو لان السبع يسمى

وأن تستقسموا بالازلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح

* قوله تعالى وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم الآية (قال وما علمتم عطفا على الطيبات الخ) قال أحمد ولقد أحسن فى التنبيه على هذا السر الخفى غير ان الحال باصالتها منتقلة غير لازمة ومقتضى هذا التقرير جعلها من الصفات اللازمة لمعلم الجوارح الثابتة له

عاد كلامه (قال وفى قوله تعلمونهن مما علمكم الله فائدة جليلة الخ) قال أحمد وفى الآية دليل على أن البهائم لها علم لان تعليمها معناه لغة تحصيل العلم لها بطرقه خلافا لمنكرى ذلك * قوله تعالى وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم (قال معناه فلا عليكم ان تطعموهم الخ) قال أحمد وقد يستدل بهذه الآية من يرى الكفار مخاطبين بفروع الشريعة لان التحليل حكم وقد علقه بهم فى قوله وطعامكم حل لهم كما علق الحكم بالمؤمنين وهذه الآية أبين فى الاستدلال بها من قوله لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن فان لقائل أن يقول فى تلك الآية نفى الحكم ليس بحكم ولا يستطيع ذلك فى آية المائدة هذه لان الحكم فيها مثبت والله أعلم

كلبا ومنه قوله عليه السلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فأكله الاسد أو من الكلب الذى هو بمعنى الضراوة يقال هو كلب بكذا اذا كان ضاريا به وانتصاب (مكلبين) على الحال من علمتم (فان قلت) ما فائدة هذه الحال وقد استغنى عنها بعلمتم (قلت) فائدتها أن يكون من يعلم الجوارح نحريرا فى علمه مدربا فيه موصوفا بالتكليب و (تعلمونهن) حال ثانية أو استئناف وفيه فائدة جليلة وهى أن على كل آخذ علما أن لا يأخذه الا من أقتل أهله علما وأنحرهم دراية وأغوصهم على لطائفه وحقائقه وان احتاج الى أن يضرب اليه أكباد الابل فكم من آخذ عن غير متقن قد ضيع أيامه وعض عند لقاء النحارير أنامله (مما علمكم الله) من علم التكليب لانه الهام من الله ومكتسب بالعقل أو مما عرفكم أن تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وامساك الصيد عليه وأن لا يأكل منه * وقرئ مكلبين بالتخفيف وأفعل وفعل يشتركان كثيرا * والامساك على صاحبه أن لا يأكل منه لقوله عليه السلام لعدى بن حاتم وان أكل منه فلا تأكل انما أمسك على نفسه وعن على رضى الله عنه اذا أكل البازى فلا تأكل وفرق العلماء فاشترطوا فى سباع البهائم ترك الاكل لانها تؤدب بالضرب ولم يشترطوه فى سباع الطير ومنهم من لم يعتبر ترك الاكل أصلا ولم يفرق بين امساك الكل والبعض وعن سلمان وسعد بن أبى وقاص وأبى هريرة رضى الله عنهم اذا أكل الكلب ثلثيه وبقى ثلثه وذكرت اسم الله عليه فكل (فان قلت) الام يرجع الضمير فى قوله (واذكروا اسم الله عليه) (قلت) اما أن يرجع الى ما أمسكن على معنى وسموا عليه اذا أدركتم ذكاته أو الى ما علمتم من الجوارح أى سموا عليه عند ارساله (طعام الذين أوتوا الكتاب) قيل هو ذبائحهم وقيل هو جميع مطاعمهم ويستوى فى ذلك جميع النصارى وعن على رضى الله عنه أنه استثنى نصارى بنى تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها الا شرب الخمر وبه أخذ الشافعى وعن ابن عباس انه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال لا بأس وهو قول عامة التابعين وبه أخذ أبو حنيفة وأصحابه وحكم الصابئين حكم أهل الكتاب عند أبى حنيفة وقال صاحباه هم صنفان صنف يقرؤن الزبور ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرؤن كتابا ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من أهل الكتاب وأما المجوس فقد سن بهم سنة أهل الكتاب فى أخذ الجزية منهم دون أكل ذبائحهم ونكاح نسائهم وقد روى عن ابن المسيب أنه قال اذا كان المسلم مريضا فأمر المجوسى أن يذكر اسم الله ويذبح فلا بأس وقال أبو ثور وان أمره بذلك فى الصحة فلا بأس وقد أساء (وطعامكم حل لهم) فلا عليكم أن تطعموهم لانه لو كان حراما عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم اطعامهم (المحصنات) الحرائر أو العفائف وتخصيصهن بعث على تخير المؤمنين لنطفهم والاماء من المسلمات يصح نكاحهن بالاتفاق وكذلك نكاح غير العفائف منهن وأما الاماء الكتابيات فعند أبى حنيفة هن كالمسلمات وخالفه الشافعى وكان ابن عمر لا يرى نكاح الكتابيات ويحتج بقوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ويقول لا أعلم شركا أعظم من قولها ان ربها عيسى وعن عطاء قد أكثر الله المسلمات وانما رخص لهم يومئذ (محصنين) أعفاء (ولا متخذى أخدان) صدائق والخدن يقع على الذكر والانثى (ومن يكفر بالايمان) بشرائع الاسلام وما أحل الله وحرم (اذا قمتم الى الصلوة) كقوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وكقولك اذا ضربت غلامك فهون عليه فى أن المراد ارادة الفعل (فان قلت) لم جاز أن يعبر عن ارادة الفعل بالفعل (قلت) لان الفعل يوجد بقدرة الفاعل عليه وارادته له وهو

مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم

ولما استشعر الزمخشرى دلالتها على ذلك وهو من القائلين بأن الكفار يستحيل خطابهم بفروع الشريعة أسلف تأويلها بصرف الخطاب الى المؤمنين أى لا جناح عليكم أيها المسلمون أن تطعموا أهل الكتاب كما رأيته فى كلامه أيضا * قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة الآية (قال قوله اذا قمتم كقوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله الخ) قال أحمد هذا الكلام يستقيم وروده من السنى كما يستقيم من المعتزلى لانا نقول الفعل يوجد بقدرة العبد ملتبسا بها ومقارنا لها والمعتزلى يقوله ويعنى مخلوقا بها وناشئا عن تأثيرها فالعبارة مستعملة فى المذهبين ولكن باختلاف المعنى والله الموفق

* عادكلامه (قال فان قلت ظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الخ) قال أحمد الزمخشري أنكر أن يراد بالمشترك كل واحد من معانيه على الجمع وقد سبق له انكار ذلك ومن جوز ارادة جميع المحامل أجاز ذلك في الآية ومن المجوزين لذلك الشافعي رحمه الله تعالى وناهيك بامام الفن وقدوته هذا اذا وقع البناء على ان صيغة افعل مشتركة بين الوجوب والندب صح تناولها في الآية للفريقين المحدثين والمتطهرين وتناولها للمتطهرين من حيث الندب والله أعلم * قوله تعالى وامسحوا برؤسكم وأرجلكم (قال فيه قرأ جماعة وأرجلكم بالنصب الخ) قال أحمد ولم يوجه الجر بما يشفي الغليل والوجه فيه ان الغسل والمسح متقاربان من

الى المرافق وامسحوا برؤسكم وأرجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه

قصده اليه وميله وخلوص داعيه فكما عبر عن القدرة على الفعل بالفعل في قولهم الانسان لا يطير والاعمى لا يبصر أي لا يقدران على الطيران والابصار ومنه قوله تعالى نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين يعني انا كنا قادرين على الاعادة كذلك عبر عن ارادة الفعل بالفعل وذلك لان الفعل مسبب عن القدرة والارادة فاقيم المسبب مقام السبب للملابسة بينهما ولايجاز الكلام ونحوه من اقامة المسبب مقام السبب قولهم كما تدين تدان عبر عن الفعل المبتدا الذي هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذي هو مسبب عنه وقيل معنى قمتم الى الصلاة قصدتموها لان من توجه الى شئ وقام اليه كان قاصدا له لا محالة فعبر عن القصد له بالقيام اليه (فان قلت) ظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلاة محدث وغير محدث فما وجهه (قلت) يحتمل أن يكون الامر للوجوب فيكون الخطاب للمحدثين خاصة وأن يكون للندب وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده أنهم كانوا يتوضؤن لكل صلاة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات وعنه عليه السلام أنه كان يتوضأ لكل صلاة فلما كان يوم الفتح مسح على خفيه فصلى الصلوات الخمس بوضوء واحد فقال له عمر صنعت شيأ لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته يا عمر يعني بيانا للجواز (فان قلت) هل يجوز أن يكون الامر شاملا للمحدثين وغيرهم لهؤلاء على وجه الايجاب ولهؤلاء على وجه الندب (قلت) لا لان تناول الكلمة لمعنيين مختلفين من باب الالغاز والتعمية وقيل كان الوضوء لكل صلاة واجبا أول ما فرض ثم نسخ * الى تفيد معنى الغاية مطلقا فأما دخولها في الحكم وخروجها فامر يدور مع الدليل فمما فيه دليل على الخروج قوله فنظرة الى ميسرة لان الاعسار علة الانظار وبوجود الميسرة تزول العلة ولو دخلت الميسرة فيه لكان منظرا في كلتا الحالتين معسرا وموسرا وكذلك ثم أتموا الصيام الى الليل لو دخل الليل لوجب الوصال ومما فيه دليل على الدخول قولك حفظت القرآن من أوله الى آخره لان الكلام مسوق لحفظ القرآن كله ومنه قوله تعالى من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى لوقوع العلم بأنه لا يسري به الى بيت المقدس من غير أن يدخله وقوله (الى المرافق) والى الكعبين لا دليل فيه على أحد الامرين فأخذ كافة العلماء بالاحتياط فحكموا بدخولها في الغسل وأخذ زفر وداود بالمتيقن فلم يدخلاها وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يدير الماء على مرفقيه (وامسحوا برؤسكم) المراد الصاق المسح بالرأس وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح برأسه وقد أخذ مالك بالاحتياط فأوجب الاستيعاب أو أكثره على اختلاف الرواية وأخذ الشافعي باليقين فأوجب أقل ما يقع عليه اسم المسح وأخذ أبو حنيفة ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما روي أنه مسح على ناصيته وقدر الناصية بربع الرأس * قرأ جماعة وأرجلكم بالنصب فدل على أن الارجل مغسولة (فان قلت) فما تصنع بقراءة الجر ودخولها في حكم المسح (قلت) الارجل من بين الاعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها فكانت مظنة للاسراف المذموم المنهي عنه فعطفت على الرابع الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها وقيل (الى الكعبين) فجيء بالغاية اماطة لظن ظان يحسبها ممسوحة لان المسح لم تضرب له غاية في الشريعة وعن علي رضي الله عنه أنه أشرف على فتية من قريش فرأى في وضوئهم تجوزا فقال ويل للاعقاب من النار فلما سمعوا جعلوا يغسلونها غسلا ويدلكونها دلكا وعن ابن عمر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضأ قوم وأعقابهم بيض تلوح فقال ويل للاعقاب من النار وفي رواية جابر ويل للعراقيب وعن عمر أنه رأى رجلا يتوضأ فترك باطن قدميه فأمره أن يعيد الوضوء وذلك للتغليظ

حيث ان كل واحد منهما امساس بالعضو فيسهل عطف المغسول على الممسوح من ثم كقوله متقلدا سيفا ورمحا * وعلفتها تبنا وماء باردا ونظائره كثيرة وبهذا وجه الحذاق ثم يقال ما فائدة هذا التشريك بعلة التقارب وهلا أسند الى كل واحد منهما الفعل الخاص به على الحقيقة فيقال فائدته الايجاز والاختصار وتوكيد الفائدة بما ذكره الزمخشري وتحقيقه ان الاصل ان يقال مثلا واغسلوا أرجلكم غسلا خفيفا لا اسراف فيه كما هو المعتاد فاختصرت هذه المقاصد باشراكه الارجل مع الممسوح ونبه بهذا التشريك الذي لا يكون الا في الفعل الواحد أو الفعلين المتقاربين جدا على ان الغسل المطلوب في الارجل غسل خفيف يقارب المسح وحسن ادراجه معه تحت صيغة واحدة وهذا تقرير كامل لهذا المقصود والله أعلم (قوله الرابع) كذا بالاصل وصوابه الثالث كما هو واضح اه

للتغليظ عليه وعن عائشة رضي الله عنها لأن تقطعا أحب الي من أن أمسح على القدمين بغير خفين وعن عطاء والله ما علمت أن أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على القدمين وقد ذهب بعض الناس الى ظاهر العطف فأوجب المسح وعن الحسن أنه جمع بين الامرين وعن الشعبي نزل القرآن بالمسح والغسل سنة وقرأ الحسن وأرجلكم بالرفع بمعنى وأرجلكم مغسولة أو ممسوحة الى الكعبين * وقرئ فاطهروا أي فطهروا أبدانكم وكذلك ليطهركم * وفي قراءة عبد الله فأموا صعيدا (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمم (ولكن يريد ليطهركم) بالتراب اذا أعوزكم التطهر بالماء (وليتم نعمته عليكم) وليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه (لعلكم تشكرون) نعمته فيثيبكم (واذكروا نعمة الله عليكم) وهي نعمة الاسلام (وميثاقه الذي واثقكم به) أي عاقدكم به عقدا وثيقا وهو الميثاق الذي أخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في حال اليسر والعسر والمنشط والمكره فقبلوا وقالوا (سمعنا وأطعنا) وقيل هو الميثاق ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان * عدى يجرمنكم بحرف الاستعلاء مضمنا معنى فعل يتعدى به كأنه قيل ولا يحملنكم ويجوز أن يكون قوله أن تعتدوا بمعنى على أن تعتدوا فحذف مع أن ونحوه قوله عليه السلام من اتبع على ملئ فليتبع لانه بمعنى أحيل * وقرئ شنآن بالسكون ونظيره في المصادر ليان والمعنى لا يحملنكم بغضكم للمشركين على أن تتركوا العدل فتعتدوا عليهم بأن تنتصروا منهم وتتشفوا بما في قلوبكم من الضغائن بارتكاب مالا يحل لكم من مثلة أو قذف أو قتل أولاد أو نساء أو نقض عهد أو ما أشبه ذلك (اعدلوا هو أقرب للتقوى) نهاهم أولا أن تحملهم البغضاء على ترك العدل ثم استأنف فصرح لهم بالامر بالعدل تأكيدا وتشديدا ثم استأنف فذكر لهم وجه الامر بالعدل وهو قوله هو أقرب للتقوى أي العدل أقرب الى التقوى وأدخل في مناسبتها أو أقرب الى التقوى لكونه لطفا فيها وفيه تنبيه عظيم على أن وجوب العدل مع الكفار الذين هم أعداء الله اذا كان بهذه الصفة من القوة فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه وأحباؤه (لهم مغفرة وأجر عظيم) بيان للوعد بعد تمام الكلام قبله كأنه قال قدم لهم وعدا فقيل أي شئ وعده لهم فقيل لهم مغفرة وأجر عظيم أو يكون على ارادة القول بمعنى وعدهم وقال لهم مغفرة أو على اجراء وعد مجرى قال لانه ضرب من القول أو يجعل وعد واقعا على الجملة التي هي لهم مغفرة كما وقع تركنا على قوله سلام على نوح كأنه قيل وعدهم هذا القول واذا وعدهم من لا يخلف الميعاد هذا القول فقد وعدهم مضمونه من المغفرة والاجر العظيم وهذا القول يتلقون به عند الموت ويوم القيامة فيسرون به ويستروحون اليه ويهون عليهم السكرات والاهوال قبل الوصول الى الثواب * روي أن المشركين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قاموا الى صلاة الظهر يصلون معا وذلك بعسفان في غزوة ذي أنمار فلما صلوا ندموا أن لا كانوا أكبوا عليهم فقالوا ان لهم بعدها صلاة هي أحب اليهم من آبائهم وأبنائهم يعنون صلاة العصر وهموا بأن يوقعوا بهم اذا قاموا اليها فنزل جبريل بصلاة الخوف وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلي رضي الله عنهم يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمري خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فأجلسوه في صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش الى رحا عظيمة يطرحها عليه فأمسك الله يده ونزل جبريل فأخبره فخرج وقيل نزل منزلا وتفرق الناس في العضاه يستظلون بها فعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سلاحه بشجرة فجاء اعرابي فسل سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أقبل عليه فقال من يمنعك مني قال الله قالها ثلاثا فشام الاعرابي السيف فصاح رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه فأخبرهم وأبى أن يعاقبه يقال بسط اليه لسانه اذا شتمه وبسط اليه يده اذا بطش به ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء ومعنى بسط اليد مدها الى المبطوش به ألا ترى الى قولهم فلان بسيط الباع ومديد الباع بمعنى (فكف أيديهم عنكم) فمنعها أن تمد اليكم * لما استقر بنو اسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون أمرهم الله بالمسير الى أريحاء أرض الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبابرة وقال لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها واني ناصركم وأمر موسى عليه السلام بأن يأخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء

ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله

* قوله تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم الآية (قال محمود فان قلت فهلا قيل من النصارى الخ) قال أحمد وبقيت نكتة
في تخصيص هذا الموضع باسناد النصرانية الى دعواهم ولم يتفق ذلك في غيره ألا ترى الى قوله تعالى وقالت اليهود والنصارى
نحن أبناء الله وأحباؤه
فالوجه في ذلك والله
أعلم انه لما كان المقصود
في هذه الآية ذمهم
بنقض الميثاق المأخوذ
عليهم في نصرة الله تعالى
ناسب ذلك ان يصدر الكلام بما يدل على انهم لم ينصروا الله ولم يفوا بما واثقوا عليه من
النصرة وما كان حاصل أمرهم الا التفوه بدعوى النصرة وقولها دون فعلها والله أعلم

اني معكم لئن أقمتم الصلاة
وآتيتم الزكاة وآمنتم
برسلي وعزرتموهم
وأقرضتم الله قرضا
حسنا لأكفرن عنكم
سيآتكم ولأدخلنكم
جنات تجري من تحتها
الانهار فمن كفر بعد ذلك
منكم فقد ضل سواء
السبيل فبما نقضهم
ميثاقهم لعناهم وجعلنا
قلوبهم قاسية يحرفون
الكلم عن مواضعه
ونسوا حظا مما ذكروا به
ولا تزال تطلع على خائنة
منهم الا قليلا منهم فاعف
عنهم واصفح ان الله يحب
المحسنين ومن الذين
قالوا انا نصارى أخذنا
ميثاقهم فنسوا حظا
مما ذكروا به فأغرينا
بينهم العداوة والبغضاء
الى يوم القيامة وسوف
ينبئهم الله بما كانوا
يصنعون يا أهل
الكتاب قد جاءكم رسولنا
يبين لكم كثيرا مما كنتم
تخفون من الكتاب
ويعفو عن كثير

بما أمروا به توثقة عليهم فاختار النقباء وأخذ الميثاق على بني اسرائيل وتكفل لهم به النقباء وسار بهم فلما دنا من أرض كنعان بعث النقباء يتجسسون فرأوا أجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم وقد نهاهم موسى عليه السلام أن يحدثوهم فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوقنا من سبط يهوذا ويوشع بن نون من سبط افرايم بن يوسف وكانا من النقباء والنقيب الذي ينقب عن أحوال القوم ويفتش عنها كما قيل له عريف لانه يتعرفها (اني معكم) أي ناصركم ومعينكم (عزرتموهم) نصرتموهم ومنعتموهم من أيدي العدو ومنه التعزير وهو التنكيل والمنع من معاودة الفساد وقرئ بالتخفيف يقال عزرت الرجل اذا حطته وكنفته والتعزير والتأزير من واد واحد ومنه لأنصرنك نصرا مؤزرا أي قويا وقيل معناه ولقد أخذنا ميثاقهم بالايمان والتوحيد وبعثنا منهم اثني عشر ملكا يقيمون فيهم العدل ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر * واللام في لئن أقمتم موطئة للقسم وفي (لأكفرن) جواب له وهذا الجواب ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا (بعد ذلك) بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق بالوعد العظيم (فان قلت) من كفر قبل ذلك أيضا فقد ضل سواء السبيل (قلت) أجل ولكن الضلال بعده أظهر وأعظم لان الكفر انما عظم قبحه لعظم النعمة المكفورة فاذا زادت النعمة زاد قبح الكفر وتمادى (لعناهم) طردناهم وأخرجناهم من رحمتنا وقيل مسخناهم وقيل ضربنا عليهم الجزية (وجعلنا قلوبهم قاسية) خذلناهم ومنعناهم الالطاف حتى قست قلوبهم أو أمليناهم ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى قست وقرأ عبد الله قسية أي ردية مغشوشة من قولهم درهم قسي وهو من القسوة لان الذهب والفضة الخالصين فيهما لين والمغشوش فيه يبس وصلابة والقاسي والقاسح بالحاء أخوان في الدلالة على اليبس والصلابة وقرئ قسية بكسر القاف للاتباع (يحرفون الكلم) بيان لقسوة قلوبهم لانه لا قسوة أشد من الافتراء على الله وتغيير وحيه (ونسوا حظا) وتركوا نصيبا جزيلا وقسطا وافيا (مما ذكروا به) من التوراة يعني أن تركهم واعراضهم عن التوراة اغفال حظ عظيم أو قست قلوبهم وفسدت فحرفوا التوراة وزلت أشياء منها عن حفظهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية وقيل تركوا نصيب أنفسهم مما أمروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته (ولا تزال تطلع) أي هذه عادتهم وهجيراهم وكان عليها أسلافهم كانوا يخونون الرسل وهؤلاء يخونونك ينكثون عهودك ويظاهرون المشركين على حربك ويهمون بالفتك بك وأن يسموك (على خائنة) على خيانة أو على فعلة ذات خيانة أو على نفس أو فرقة خائنة ويقال رجل خائنة كقولهم رجل راوية للشعر للمبالغة قال

حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن * للغدر خائنة مغل الاصبع

وقرئ على خيانة (منهم الا قليلا منهم) وهم الذين آمنوا منهم (فاعف عنهم) بعث على مخالفتهم وقيل هو منسوخ بآية السيف وقيل فاعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم (أخذنا ميثاقهم) أخذنا من النصارى ميثاق من ذكر قبلهم من قوم موسى أي مثل ميثاقهم بالايمان بالله والرسل وبافعال الخير وأخذنا من النصارى ميثاق أنفسهم بذلك (فان قلت) فهلا قيل من النصارى (قلت) لانهم انما سموا أنفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى نحن أنصار الله ثم اختلفوا بعد نسطورية ويعقوبية وملكانية أنصارا للشيطان (فأغرينا) فألصقنا وألزمنا من غري بالشئ اذا لزمه ولصق به وأغراه غيره ومنه الغراء الذي يلصق به (بينهم) بين فرق النصارى المختلفين وقيل بينهم وبين اليهود ونحوه وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض (يا أهل الكتاب) خطاب لليهود والنصارى (مما كنتم تخفون) من نحو صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن نحو الرجم (ويعفو عن كثير) مما تخفونه لا يبينه اذا لم تضطر

* قوله تعالى وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه الآية (قال محمود معنى قولهم أبناء الله أشياع ابني الله عزير الخ) قال أحمد ومنه قول الملائكة لانهم خواص عباد الله انا أرسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم الى قوله الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين فأضافوا التقدير اليهم وفي الحقيقة المقدر الله وكذلك قول الدابة لانها من خواص آيات الله ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون فيمن جعله من قول الدابة والله أعلم

* قوله تعالى بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء (قال محمود يعني أهل الطاعة ويعذب من يشاء قال يعني العصاة) قال أحمد رحمه الله بل مشيئة الله تعالى تسع التائب المنيب والعاصي المصر اذا كان موحدا والزمخشري أخرج هذا التفسير على قاعدته المذكورة في غير ما موضع وهي القطع بوعيد العصاة المصرين الموحدين وان المغفرة محال * قوله تعالى واذ قال موسى (٤٠٩) لقومه يا قوم اذكروا نعمة

قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الارض جميعا ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير

اليه مصلحة دينية ولا يكن فيه فائدة الا اقتداء بحكم وصفته مما لا بد من بيانه وكذلك الرجم وما فيه احياء الشريعة وامانة بدعة وعن الحسن ويعفو عن كثير منكم لا يؤاخذه (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) يريد القرآن لكشفه ظلمات الشرك والشك ولابانته ما كان خافيا عن الناس من الحق أو لانه ظاهر الاعجاز (من اتبع رضوانه) من آمن به (سبل السلام) طرق السلامة والنجاة من عذاب الله أو سبل الله * قولهم (ان الله هو المسيح) معناه بت القول على أن حقيقة الله هو المسيح لا غير قيل كان في النصارى قوم يقولون ذلك وقيل ما صرحوا به ولكن مذهبهم يؤدي اليه حيث اعتقد وا أنه يخلق ويحيي ويميت ويدبر أمر العالم (فمن يملك من الله شيئا) فمن يمنع من قدرته ومشيئته شيئا (ان أراد أن يهلك) من دعوه الها من المسيح وأمه دلالة على أن المسيح عبد مخلوق كسائر العباد وأراد بعطف من في الارض على المسيح وأمه أنهما من جنسهم لا تفاوت بينهما وبينهم في البشرية (يخلق ما يشاء) أي يخلق من ذكر وأنثى ويخلق من أنثى من غير ذكر كما خلق عيسى ويخلق من غير ذكر وأنثى كما خلق آدم أو يخلق ما يشاء كخلق الطير على يد عيسى معجزة له وكاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك فيجب أن ينسب اليه ولا ينسب الى البشر المجري على يده (أبناء الله) أشياع ابني الله عزير والمسيح كما قيل لاشياع أبي خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبيون وكما كان يقول رهط مسيلمة نحن أنبياء الله ويقول أقرباء الملك وذووه وحشمه نحن الملوك ولذلك قال مؤمن آل فرعون لكم الملك اليوم (فلم يعذبكم بذنوبكم) فان صح أنكم أبناء الله وأحباؤه فلم تذنبون وتعذبون بذنوبكم فتمسخون وتمسكم النار أياما معدودات على زعمكم ولو كنتم أبناء الله لكنتم من جنس الاب غير فاعلين للقبائح ولا مستوجبين للعقاب ولو كنتم أحباءه لما عصيتموه ولما عاقبكم (بل أنتم بشر) من جملة من خلق من البشر (يغفر لمن يشاء) وهم أهل الطاعة (ويعذب من يشاء) وهم العصاة (يبين لكم) اما أن يقدر المبين وهو الدين والشرائع وحذفه لظهور ما ورد الرسول لتبيينه أو يقدر ما كنتم تخفون وحذفه لتقدم ذكره أو لا يقدر ويكون المعنى يبذل لكم البيان ومحله النصب على الحال أي مبينا لكم و (على فترة) متعلق بجاءكم أي جاءكم على حين فتور من ارسال الرسل وانقطاع من الوحي (أن تقولوا) كراهة أن تقولوا (فقد جاءكم) متعلق بمحذوف أي لا تعتذروا فقد جاءكم وقيل كان بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما خمسمائة وستون سنة وقيل ستمائة وقيل أربعمائة ونيف وستون وعن الكلبي كان بين موسى وعيسى ألف وسبعمائة سنة وألف نبي وبين عيسى ومحمد صلوات الله عليهم أربعة أنبياء ثلاث من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي والمعنى الامتنان عليهم وأن الرسول بعث اليهم حين انطمست آثار الوحي أحوج ما يكونون اليه ليهشوا اليه ويعدوه أعظم نعمة من الله وفتح باب الى الرحمة وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بأنه لم يرسل اليهم من ينبههم عن غفلتهم (جعل فيكم أنبياء) لانه لم يبعث في أمة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء (وجعلكم ملوكا) لانه ملكهم بعد فرعون ملكه وبعد

 والله على كل شيء قدير واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم

الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين (قال لم يبعث في أمة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء الخ) قال أحمد والحامل على تفسير الملك بهذه التفاسير ان الله تعالى أنبأ في ظاهر الكلام انه جعل الجميع ملوكا بقوله وجعلكم ملوكا ولم يقل وجعل فيكم ملوكا كما قال جعل فيكم أنبياء فلما عمم الملك فيهم ولا شك ان الملك المعهود وهو الاستيلاء العام لم يثبت لكل أحد منهم فيتعين حمل الملك على ما كان ثابتا لجميعهم أو لاكثرهم من الابعاض المذكورة هذا هو الباعث على تفسير الملك بذلك والله أعلم وهذا المعنى وان لم يثبت لكل واحد منهم الا انه كان ثابتا لملوكهم وهم منهم اذ اسرائيل الاب الاقرب يجمعهم فلما كانت ملوكهم منهم وهم

أقرباؤهم وأشياعهم وملتبسون بهم جاز الامتنان عليهم بهذه الصنيعة والمعنى مفهوم وهذا بعينه هو التقرير السالف آنفا في قول اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه وما بالعهد من قدم (فان قلت) فلم لم يقل اذ جعلكم أنبياء لان الانبياء منهم كما قلت في الملوك (قلت) النبوة مزية غير الملك وآحاد الناس يشارك الملك في كثير مما به صار الملك ملكا ولا كذلك النبوة فان درجتها أرفع من أن يشرك من لم تثبت له مع الثابتة نبوته في مزيتها وخصوصيتها (٤١٠) ونعتها فهذا هو سر تمييز الانبياء وتعميم الملوك والله أعلم * قوله تعالى قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها الى قوله فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون

مالم يؤت أحدا من العالمين ياقوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين قالوا ياموسى انا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون قال رب انى لا أملك الا نفسى وأخى

الجبابرة ملكهم ولان الملوك تكاثروا فيهم تكاثر الانبياء وقيل كانوا مملوكين في أيدى القبط فانقذهم الله فسمى انقاذهم ملكا وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وقيل من له بيت وخدم وقيل من له مال لا يحتاج معه الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق (مالم يؤت أحدا من العالمين) من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك من الامور العظام وقيل أراد عالمي زمانهم (الارض المقدسة) يعنى أرض بيت المقدس وقيل الطور وما حوله وقيل الشام وقيل فلسطين ودمشق وبعض الاردن وقيل سماها الله لابراهيم ميراثا لولده حين رفع على الجبل فقيل له انظر فلك ما أدرك بصرك وكان بيت المقدس قرار الانبياء ومسكن المؤمنين (كتب الله لكم) قسمها لكم وسماها أو خط في اللوح المحفوظ أنها لكم (ولا ترتدوا على أدباركم) ولا تنكصوا على أعقابكم مدبرين من خوف الجبابرة جبنا وهلعا وقيل لما حدثهم النقباء بحال الجبابرة رفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا ليتنا متنا بمصر وقالوا تعالوا نجعل علينا رأسا ينصرف بنا الى مصر ويجوز أن يراد لا ترتدوا على أدباركم في دينكم بمخالفتكم أمر ربكم وعصيانكم نبيكم * فترجعوا خاسرين ثواب الدنيا والآخرة * الجبار فعال من جبره على الامر بمعنى أجبره عليه وهو العاتى الذى يجبر الناس على ما يريد (قال رجلان) هما كالب ويوشع (من الذين يخافون) من الذين يخافون الله ويخشونه كأنه قيل رجلان من المتقين ويجوز أن تكون الواو لبنى اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف تقديره من الذين يخافهم بنو اسرائيل وهم الجبارون وهما رجلان منهم (أنعم الله عليهما) بالايمان فآمنا قالا لهم ان العمالقة أجسام لا قلوب فيها فلا تخافوهم وازحفوا اليهم فانكم غالبوهم يشجعانهم على قتالهم وقراءة من قرأ يخافون بالضم شاهدة له وكذلك أنعم الله عليهما كأنه قيل من المخوفين وقيل هم من الاخافة ومعناه من الذين يخوفون من الله بالتذكرة والموعظة أو يخوفهم وعيد الله بالعقاب (فان قلت) ما محل أنعم الله عليهما (قلت) ان انتظم مع قوله من الذين يخافون في حكم الوصف لرجلان فمرفوع وان جعل كلاما معترضا فلا محل له (فان قلت) من أين علما أنهم غالبون (قلت) من جهة اخبار موسى بذلك وقوله تعالى كتب الله لكم وقيل من جهة غلبة الظن وما تبيناه من عادة الله في نصرة رسله وما عهدا من صنع الله لموسى في قهر أعدائه وما عرفا من حال الجبابرة والباب باب قريتهم (لن ندخلها) نفى لدخولهم في المستقبل على وجه التأكيد المؤيس و (أبدا) تعليق للنفى المؤكد بالدهر المتطاول و (ماداموا فيها) بيان للابد (فاذهب أنت وربك) يحتمل أن لا يقصدوا حقيقة الذهاب ولكن كما تقول كلمته فذهب يجيبنى تريد معنى الارادة والقصد للجواب كأنهم قالوا أريدا قتالهم والظاهر أنهم قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وقلة مبالاة بهما واستهزاء وقصدوا ذهابهما حقيقة بجهلهم وجفاهم وقسوة قلوبهم التى عبدوا بها العجل وسألوا بها رؤية الله عز وجل جهرة والدليل عليه مقابلة ذهابهما بقعودهم ويحكى أن موسى وهرون عليهما السلام خرا لوجوههما قدامهم لشدة ما ورد عليهما فهموا برجمهما ولامر ما قرن الله اليهود بالمشركين وقدمهم عليهم في قوله لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا لما عصوه وتمردوا عليه وخالفوه وقالوا ما قالوا من كلمة الكفر ولم يبق معه مطيع موافق يثق به الا هرون (قال رب انى لا أملك) لنصرة دينك (الا نفسى وأخى) وهذا من البث

(قال يحتمل أن لا يقصدوا حقيقة الذهاب ولكن الخ) قال أحمد رحمه الله يريد الزمخشري سألوا رؤية الله جهرة وهى محال عقلا تعنتا منهم وقدمر له ذلك وبينا ان تلبسهم بذلك كان لعدم قوم الايمان به على التعيين اقتراحا وتقاعسا والحزن عن الحق في قوله ان نؤمن لك حتى نرى الله جهرة * عاد كلامه (قال قال رب انى لا أملك الا نفسى لنصرة دينك الخ) قال أحمد وفى قول موسى عليه السلام ليلة الاسراء لنبينا عليه الصلاة والسلام انى جربت بنى اسرائيل وخبرتهم فارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك لا تطيق ذلك وتكريره هذا القول مرارا مصداق لما ذكره الزمخشري وأما ان كان المراد بالرجلين غير يوشع وكالب وكانا من العماليق الذين خافهم بنو اسرائيل ويكون معنى يخافون أى يخافهم بنو اسرائيل فالضمير على هذا يرجع الى بنى اسرائيل والعائد محذوف

والحزن والشكوى الى الله والحسرة ورقة القلب التى بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة ونحوه قول
يعقوب عليه السلام انما أشكو بثى وحزنى الى الله وعن على رضى الله عنه انه كان يدعو الناس على منبر
الكوفة الى قتال البغاة فما أجابه الا رجلان فتنفس الصعداء ودعا لهما وقال أين تقعان مما أريد وأخى فى
اعراب أخى وجوه أن يكون منصوبا عطفا على نفسى أو على الضمير فى انى بمعنى ولا أملك الا نفسى وان أخى
لا يملك الا نفسه ومرفوعا عطفا على محل ان واسمها كانه قيل أنا لا أملك الا نفسى وهرون كذلك لا يملك الا
نفسه أو على الضمير فى لا أملك وجاز للفصل ومجرورا عطفا على الضمير فى نفسى وهو ضعيف لقبح العطف على
ضمير المجرور الا بتكرير الجار (فان قلت) أما كان معه الرجلان المذكوران (قلت) كانه لم يثق بهما كل
الوثوق ولم يطمئن الى ثباتهما لما ذاق على طول الزمان واتصال الصحبة من أحوال قومه وتلونهم وقسوة
قلوبهم فلم يذكر الا النبى المعصوم الذى لا شبهة فى أمره ويجوز أن يقول ذلك لفرط ضجره عندما سمع منهم
تقليلا لمن يوافقه ويجوز أن يريد ومن يؤاخينى على دينى (فافرق) فافصل (بيننا) وبينهم بأن تحكم لنا بما نستحق
وتحكم عليهم بما يستحقون وهو فى معنى الدعاء عليهم ولذلك وصل به قوله فانها محرمة عليهم على وجه التسبيب
أو فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله ونجنى من القوم الظالمين (فانها) فان الارض المقدسة
(محرمة عليهم) لا يدخلونها ولا يملكونها (فان قلت) كيف يوفق بين هذا وبين قوله التى كتب الله لكم (قلت)
فيه وجهان أحدهما أن يراد كتبها لكم بشرط أن تجاهدوا أهلها فلما أبوا الجهاد قيل فانها محرمة عليهم
والثانى أن يراد فانها محرمة عليهم أربعين سنة فاذا مضت الاربعون كان ما كتب فقد روى أن موسى سار بمن
بقى من بنى اسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتح أريحاء وأقام فيها ما شاء الله ثم قبض صلوات الله عليه وقيل
لما مات موسى بعث يوشع نبيا فأخبرهم بأنه نبى الله وان الله أمره بقتال الجبابرة فصدقوه وبايعوه وسار بهم
الى أريحاء وقتل الجبارين وأخرجهم وصار الشام كله لبنى اسرائيل وقيل لم يدخل الارض المقدسة أحد
ممن قال انا لن ندخلها وهلكوا فى التيه ونشأت نواشئ من ذرياتهم فقاتلوا الجبارين ودخلوها * والعامل
فى الظرف اما محرمة واما يتيهون ومعنى (يتيهون فى الارض) يسيرون فيها متحيرين لا يهتدون طريقا والتيه
المفازة التى يتاه فيها روى أنهم لبثوا أربعين سنة فى ستة فراسخ يسيرون كل يوم جادين حتى اذا سئموا وأمسوا
اذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من حر الشمس ويطلع لهم عمود من نور بالليل يضئ لهم وينزل
عليهم المن والسلوى ولا تطول شعورهم واذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله (فان قلت)
فلم كان ينعم عليهم بتظليل الغمام وغيره وهم معاقبون (قلت) كما ينزل بعض النوازل على العصاة عركا لهم
وعليهم مع ذلك النعمة متظاهرة ومثل ذلك مثل الوالد المشفق يضرب ولده ويؤذيه ليتأدب ويتثقف ولا
يقطع عنه معروفه واحسانه (فان قلت) هل كان معهم فى التيه موسى وهرون عليهما السلام (قلت)
اختلف فى ذلك فقيل لم يكونا معهم لانه كان عقابا وقد طلب موسى الى ربه أن يفرق بينهما وبينهم وقيل كانا
معهم الا أنه كان ذلك روحا لهما وسلامة لا عقوبة كالنار لابراهيم وملائكة العذاب وروى أن هرون مات
فى التيه ومات موسى بعده فيه بسنة ودخل يوشع أريحاء بعد موته بثلاثة أشهر ومات النقباء فى التيه بغتة
الا كالب ويوشع (فلا تأس) فلا تحزن عليه لانه ندم على الدعاء عليهم فقيل انهم أحقاء لفسقهم بالعذاب فلا
تحزن ولا تندم * هما ابنا آدم لصلبه قابيل وهابيل أوحى الله الى آدم أن يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر
وكانت توأمة قابيل أجمل واسمها اقليما فحسد عليها أخاه وسخط فقال لهما آدم قربا قربانا فمن أيكما تقبل
زوجها فقبل قربان هابيل بأن نزلت نار فأكلته فازداد قابيل حسدا وسخطا وتوعده بالقتل وقيل هما رجلان
من بنى اسرائيل (بالحق) تلاوة متلبسة بالحق والصحة أو اتل نبأ متلبسا بالصدق موافقا لما فى كتب الاولين
أو بالغرض الصحيح وهو تقبيح الحسد لان المشركين وأهل الكتاب كلهم كانوا يحسدون رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويبغون عليه أو اتل عليهم وأنت محق صادق و (اذ قربا) نصب بالنبأ أى قصتهم وحديثهم فى ذلك
الوقت ويجوز أن يكون بدلا من النبأ أى اتل عليهم النبأ نبأ ذلك الوقت على تقدير حذف المضاف والقربان

فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الارض فلا تأس على القوم الفاسقين واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك

وهو المفعول فعلى هذا لاشك ان هذين الرجلين ليسا من بنى اسرائيل المكتوب عليهم قتال العمالقة واعنى موسى عليه السلام انى لا أملك من بنى اسرائيل المفروض عليهم القتال أمر أحد الا نفسى وأخى والله أعلم

• قوله تعالى انى أريد أن تبوء باثمى واثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين (قال ان قلت كيف جاز أن يريد شقاوة أخيه وتعذيبه الخ) قال أحمد وهذا من دسه لمعتقده الفاسد فى بيان كلامه والفاسد من هذا اعتقاده ان فى الكائنات ماليس مراد الله تعالى وتلك القبائح بجملتها قائمة على زعمه واقعة على خلاف المشيئة الربانية وهذا هو الشرك الخفى فاياك ان تحوم حول شركه والعياذ بالله فاما ارادته لاثم أخيه وعقوبته فمعناه انى لا أريد أن أقتلك فأعاقب ولما لم يكن بد من ارادة أحد الامرين اما اثمه بتقدير ان يدفع عن نفسه فيقتل أخاه وأما اثم أخيه بتقدير ان يستسلم وكان غيرمريد للاول اضطر الى الثانى فلم يرد اذا اثم أخيه لعينه وانما أراد ان الاثم هو بالمدافعة المؤدية الى القتل ولم يكن حينئذ (٤١٢) مشروعية فلزم من ذلك ارادة اثم أخيه وهذا كما يتمنى الانسان الشهادة ومعناها ان يبوء الكافر بقتله وما عليه فى ذلك من الاثم ولكن لم يقصد هو اثم الكافر لعينه وانما أراد أن يبذل نفسه فى سبيل الله فجاء اثم الكافر بقتله ضمنا وتبعا والذى يدل على ذلك انه لا فرق فى حصول درجة الشهادة وفضيلتها بين أن يموت القاتل على الكفر وبين أن يختم له بالايمان فيحبط عنه اثم القتل الذى به كان الشهيد شهيدا أعنى بقى الاثم على قاتله أوحبط عنه اذ ذلك لا ينقص من فضيلة شهادته ولا يزيدها ولو كان اثم الكافر بالقتل مقصود الاختلاف التمنى باعتبار بقائه واحباطه فدل على انه أمر لازم تبع لا مقصود والله أعلم • عاد كلامه (فان قلت لم جاء الشرط بصيغة الفعل والجزاء باسم الفاعل الخ) قال أحمد وانما امتاز اسم الفاعل عن الفعل بهذه الخصوصية من حيث ان صيغة الفعل لا تعطى سوى حدوث معناه عن الفاعل لا غير واما اتصاف الذات به فذلك أمر يعطيه اسم الفاعل ومن ثم يقولون قام زيد فهو قائم فيجعلون اتصافه بالقيام ناشئا عن صدوره منه ولهذا المعنى قوله تعالى لتكونن من المرجومين عدولا عن الفعل الذى هو لنرجمنك الى الاسم تغليظا يعنون انهم يجعلون هذه لثبوتها ووقوعها به كالسمة والعلامة الثابتة ولا يقتصرون على مجرد ايقاعها به

(فبعث

قال انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى اليك لاقتلك انى أخاف الله رب العالمين انى أريد أن تبوء باثمى واثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين

اسم ما يتقرب به الى الله من نسيكة أو صدقة كما أن الحلوان اسم ما يحلى أى يعطى يقال قرب صدقة وتقرب بها لان تقرب مطاوع قرب قال الاصمعى تقربوا قرف القمع فيعدى بالباء حتى يكون بمعنى قرب (فان قلت) كيف كان قوله (انما يتقبل الله من المتقين) جوابا لقوله لاقتلنك (قلت) لما كان الحسد لاخيه على تقبل قربانه هو الذى حمله على توعده بالقتل قال له انما أتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى لا من قبلى فلم تقتلنى ومالك لا تعاتب نفسك ولا تحملها على تقوى الله التى هى السبب فى القبول فأجابه بكلام حكيم مختصر جامع لمعان وفيه دليل على أن الله تعالى لا يقبل طاعة الا من مؤمن متق فما أنعاه على أكثر العاملين أعمالهم وعن عامر بن عبد الله أنه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له ما يبكيك فقد كنت وكنت قال انى أسمع الله يقول انما يتقبل الله من المتقين (ما أنا بباسط يدى اليك لاقتلك) قيل كان أقوى من القاتل وأبطش منه ولكنه تحرج عن قتل أخيه واستسلم له خوفا من الله لان الدفع لم يكن مباحا فى ذلك الوقت قاله مجاهد وغيره (انى أريد أن تبوء باثمى واثمك) أن تحتمل اثم قتلى لك لو قتلتك واثم قتلك لى (فان قلت) كيف يحمل اثم قتله له ولا تزر وازرة وزر أخرى (قلت) المراد بمثل اثمى على الاتساع فى الكلام كما تقول قرأت قراءة فلان وكتبت كتابته تريد المثل وهو اتساع فاش مستفيض لا يكاد يستعمل غيره ونحوه قوله عليه الصلاة والسلام المستبان ما قالا فعلى البادى ما لم يعتد المظلوم على أن البادى عليه اثم سبه ومثل اثم سب صاحبه لانه كان سببا فيه الا أن الاثم محطوط عن صاحبه معفو عنه لانه مكافئ مدافع عن عرضه ألا ترى الى قوله ما لم يعتد المظلوم لانه اذا خرج من حد المكافأة واعتدى لم يسلم (فان قلت) فحين كف هابيل قتل أخيه واستسلم وتحرج عما كان محظورا فى شريعته من الدفع فأين الاثم حتى يتحمل أخوه مثله فيجتمع عليه الاثمان (قلت) هو مقدر فهو يتحمل مثل الاثم المقدر كأنه قال انى أريد أن تبوء بمثل اثمى لو بسطت يدى اليك وقيل باثمى باثم قتلى واثمك الذى من أجله لم يتقبل قربانك (فان قلت) فكيف جاز أن يريد شقاوة أخيه وتعذيبه بالنار (قلت) كان ظالما وجزاء الظالم حسن جائز أن يراد ألا ترى الى قوله تعالى (وذلك جزاء الظالمين) واذا جاز أن يريده الله جاز أن يريده العبد لانه لا يريد الا ما هو حسن والمراد بالاثم وبال القتل وما يجره من استحقاق العقاب (فان قلت) لم جاء الشرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم الفاعل وهو قوله لئن بسطت ما أنا بباسط (قلت) ليفيد أنه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع ولذلك أكده بالباء المؤكدة للنفى (فطوعت له نفسه قتل أخيه) فوسعته له ويسرته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرأ الحسن فطاوعت وفيه وجهان أن يكون مما جاء من فاعل بمعنى فعل وأن يراد أن قتل أخيه كأنه دعا نفسه الى الاقدام عليه فطاوعته ولم تمتنع وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله وقيل قتل وهو ابن عشرين سنة وكان قتله عند عقبة حراء وقيل بالبصرة فى موضع المسجد الاعظم

(فبعث الله غرابا) روى أنه أول قتيل قتل على وجه الارض من بنى آدم ولما قتله تركه بالعراء لا يدرى ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله فى جراب على ظهره سنة حتى أروح وعكفت عليه السباع فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم ألقاه فى الحفرة (قال يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب) و يروى أنه لما قتله اسود جسده وكان أبيض فسأله آدم عن أخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وروى أن آدم مكث بعد قتله مائة سنة لا يضحك وأنه رثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر الا منحول ملحون وقد صح أن الانبياء عليهم السلام معصومون من الشعر (ليريه) ليريه الله أو ليريه الغراب أى ليعلمه لانه لما كان سبب تعليمه فكأنه قصد تعليمه على سبيل المجاز (سوأة أخيه) عورة أخيه وما لا يجوز أن ينكشف من جسده والسوأة الفضيحة لقبحها قال * يا لقوم للسوأة السوآء * أى الفضيحة العظيمة فكنى بها عنها (فأوارى) بالنصب على جواب الاستفهام وقرئ بالسكون على فأنا أوارى أو على التسكين فى موضع النصب للتخفيف (من النادمين) على قتله لما تعب فيه من حمله وتحيره فى أمره وتبين له من عجزه وتلمذه للغراب واسوداد لونه وسخط أبيه ولم يندم ندم التائبين (من أجل ذلك) بسبب ذلك وبعلته وقيل أصله من أجل شرا اذا جناه يأجله أجلا ومنه قوله

XV. 66

وأهل خباء صالح ذات بينهم * قد احتربوا فى عاجل أنا آجله

كأنك اذا قلت من أجلك فعلت كذا أردت من أن جنيت فعلته وأوجبته ويدل عليه قولهم من جراك فعلته أى من أن جررته بمعنى جنيته وذلك اشارة الى القتل المذكور أى من أن جنى ذلك القتل الكتب وجره (كتبنا على بنى اسرائيل) ومن لابتداء الغاية أى ابتدأ الكتب ونشأ من أجل ذلك ويقال فعلت كذا لأجل كذا وقد يقال أجل كذا بحذف الجار وايصال الفعل قال * أجل أن الله قد فضلكم * وقرئ من اجل ذلك بحذف الهمزة وفتح النون لالقاء حركتها عليها وقرأ أبو جعفر من اجل ذلك بكسر الهمزة وهى لغة فاذا خفف كسر النون ملقيا لكسرة الهمزة عليها (بغير نفس) بغير قتل نفس لا على وجه الاقتصاص (أو فساد) عطف على نفس بمعنى أو بغير فساد (فى الارض) وهو الشرك وقيل قطع الطريق (ومن أحياها) ومن استنقذها من بعض أسباب الهلكة قتل أو غرق أو حرق أو هدم أو غير ذلك (فان قلت) كيف شبه الواحد بالجميع وجعل حكمه كحكمهم (قلت) لان كل انسان يدلى بما يدلى به الآخر من الكرامة على الله وثبوت الحرمة فاذا قتل فقد أهين ما كرم على الله وهتكت حرمته وعلى العكس فلا فرق اذا بين الواحد والجميع فى ذلك (فان قلت) فما الفائدة فى ذكر ذلك (قلت) تعظيم قتل النفس واحيائها فى القلوب ليشمئز الناس عن الجسارة عليها ويتراغبوا فى المحاماة على حرمتها لان المتعرض لقتل النفس اذا تصور قتلها بصورة قتل الناس جميعا عظم ذلك عليه فثبطه وكذلك الذى أراد احياءها وعن مجاهد قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله والعذاب العظيم ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك وعن الحسن يا ابن آدم أرأيت لو قتلت الناس جميعا أكنت تطمع أن يكون لك عمل يوازى ذلك فيغفر لك به كلا انه شئ سولته لك نفسك والشيطان فكذلك اذا قتلت واحدا (بعد ذلك) بعد ما كتبنا عليهم وبعد مجئ الرسل بالآيات (لمسرفون) يعنى فى القتل لا يبالون بعظمته (يحاربون الله ورسوله) يحاربون رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحاربة المسلمين فى حكم محاربته (ويسعون فى الارض فسادا) مفسدين أو لان سعيهم فى الارض لما كان على طريق الفساد نزل منزلة ويفسدون فى الارض فانتصب فسادا على المعنى ويجوز أن يكون مفعولا له أى للفساد نزلت فى قوم هلال بن عويمر وكان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وقد مر بهم قوم يريدون رسول الله فقطعوا عليهم وقيل فى العرنيين فأوحى اليه أن من جمع بين القتل وأخذ المال قتل وصلب ومن أفرد القتل قتل ومن أفرد أخذ المال قطعت يده لاخذ المال ورجله لاخافة السبيل ومن أفرد الاخافة نفى من الارض وقيل هذا حكم كل قاطع طريق كافرا كان أو مسلما ومعناه (أن يقتلوا) من غير صلب ان أفردوا القتل (أو يصلبوا) مع القتل ان جمعوا بين القتل والاخذ قال أبو حنيفة ومحمد رحمهما الله يصلب حيا ويطعن حتى يموت (أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف) ان

فبعث الله غرابا يبحث فى الارض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه قال يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى فأصبح من النادمين من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك فى الارض لمسرفون انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف

* قوله تعالى ان الذين كفروا لو أن لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم (قال وما يروى عن عكرمة ان نافع بن الازرق قال لابن عباس يا أعمى البصر أعمى القلب تزعم ان قوما يخرجون من النار الخ) قال أحمد في هذا الفصل من كلامه وتشدقه بالسفاهة على أهل السنة ورميهم بما لا يقولون به من الاخبار بالكذب والتلفيق والافتراء ما يعمي الكبد المملوء بحب السنة وأهلها على الانتصاب للانتصاف منه ولسنا بصدد تصحيح هذه الحكاية ولا وفق الله صحة العقيدة على صحتها * قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما الآية (قال رفعهما على الابتداء والخبر محذوف (٤١٤) عند سيبويه كأنه الخ) قال أحمد المستقرأ من وجوه القراآت ان العامة لا تتفق فيها أبدا على العدول عن الافصح وجدير بالقرآن أن يجري على أفصح الوجوه وأن لا يخلو من الافصح وما يشتمل عليه كلام العرب الذي لم يصل أحد منهم الى ذروة فصاحته ولم يتعلق بأهدابها سيبويه يحاشي من اعتقاد عراء القرآن عن الافصح واشتماله على الشاذ الذي لا يعد من القرآن ونحن نورد الفصل من كلام سيبويه على هذه الآية ليتضح لسامعه براءة سيبويه من عهدة هذا النقل قال سيبويه في ترجمة باب الامر والنهي بعد ان ذكر المواضع التي يختار فيها النصب وملخصها انه متى بني الاسم على فعل الامر فذاك موضع اختيار النصب ثم قال كالموضح لامتياز هذه الآية عما اختار فيها النصب وأما قوله عز وجل والسارق والسارقة فاقطعوا الآية وقوله الزانية والزاني فاجلدوا فان هذا لم يبن على الفعل ولكنه جاء على مثال قوله مثل الجنة التي وعد المتقون ثم قال بعد فيها أنهار فيها كذا يريد سيبويه تمييز هذه الآي عن المواضع التي بين اختيار النصب فيها ووجه التمييز بان الكلام حيث يختار النصب يكون الاسم فيه مبنيا على الفعل وأما في هذه الآي فليس يبني عليه فلا يلزم فيه

أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون ان الذين كفروا لو أن لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما

أخذوا المال (أو ينفوا من الارض) اذا لم يزيدوا على الاخافة وعن جماعة منهم الحسن والنخعي ان الامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق من غير تفصيل والنفي الحبس عند أبي حنيفة وعند الشافعي النفي من بلد الى بلد لا يزال يطلب وهو هارب فزعا وقيل ينفى من بلده وكانوا ينفونهم الى دهلك وهو بلد في أقصى تهامة وناصع وهو بلد من بلاد الحبشة (خزي) ذل وفضيحة (الا الذين تابوا) استثناء من المعاقبين عقاب قطع الطريق خاصة وأما حكم القتل والجراح وأخذ المال فالى الاولياء ان شاؤا عفوا وان شاؤا استوفوا وعن علي رضي الله عنه أن الحرث بن بدر جاءه تائبا بعدما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة * الوسيلة كل ما يتوسل به أي يتقرب من قرابة أو صنيعة أو غير ذلك فاستعيرت لما يتوسل به الى الله تعالى من فعل الطاعات وترك المعاصي وأنشد للبيد

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم * ألا كل ذي لب الى الله واسل

(ليفتدوا به) ليجعلوه فدية لانفسهم وهذا تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى النجاة منه بوجه وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقال للكافر يوم القيامة أرأيت لو كان لك ملء الارض ذهبا أكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له قد سئلت أيسر من ذلك ولو مع ما في حيزه خبر ان (فان قلت) لم وحد الراجع في قوله ليفتدوا به وقد ذكر شيآن (قلت) هو نحو قوله * فاني وقيار بها لغريب * أو على اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة كأنه قيل ليفتدوا بذلك ويجوز أن يكون الواو في ومثله بمعنى مع فيتوحد المرجوع اليه (فان قلت) فبم ينصب المفعول معه (قلت) بما يستدعيه لو من الفعل لان التقدير لو ثبت أن لهم ما في الارض * قرأ أبو واقد أن يخرجوا بضم الياء من أخرج ويشهد لقراءة العامة قوله بخارجين وما يروى عن عكرمة أن نافع بن الازرق قال لابن عباس يا أعمى البصر أعمى القلب تزعم أن قوما يخرجون من النار وقد قال الله تعالى وما هم بخارجين منها فقال ويحك اقرأ ما فوقها هذه للكفار فمما لفقته المجبرة وليس بأول تكاذيبهم وفراهم وكفاك بما فيه من مواجهة ابن الازرق ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بين أظهر أعضاده من قريش وأنضاده من بني عبد المطلب وهو حبر الامة وبحرها ومفسرها بالخطاب الذي لا يجسر على مثله أحد من أهل الدنيا وبرفعه الى عكرمة دليلين ناصين أن الحديث فرية ما فيها مرية (والسارق والسارقة) رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند سيبويه كأنه قيل وفيما فرض عليكم السارق والسارقة أي حكمهما ووجه آخر وهو أن يرتفعا بالابتداء والخبر (فاقطعوا أيديهما) ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط لان المعنى والذي سرق والتي سرقت فاقطعوا أيديهما والاسم الموصول يضمن معنى الشرط وقرأ عيسى بن عمر بالنصب وفضلها سيبويه على قراءة العامة لاجل الامر لان زيدا فاضربه أحسن من زيد فاضربه أيديهما أيديهما ونحوه فقد صغت قلوبكما اكتفى بتثنية المضاف اليه عن تثنية المضاف وأريد باليدين اليمينان بدليل قراءة عبد الله والسارقون والسارقات

اختيار النصب عاد كلامه قال وانما وضع المثل للحديث الذي ذكر بعده فذكر أخبارا وقصصا فكأنه قال ومن القصص مثل الجنة فهو محمول على هذا الاضمار والله أعلم وكذلك الزانية والزاني لما قال جل ثناؤه سورة أنزلناها وفرضناها قال في جملة الفرائض الزانية والزاني ثم جاء فاجلدوا بعد ان مضى فيهما الرفع يريد سيبويه لم يكن الاسم مبنيا على الفعل المذكور بعد بل بني على محذوف متقدم وجاء الفعل طارئا عاد كلامه قال كما جاء وقائلة خولان فانكح فتاتهم فجاء بالفعل بعد ان عمل فيه المضمر وكذلك والسارق والسارقة وفيما فرض عليكم السارق والسارقة فانما دخلت هذه الاسماء بعد قصص وأحاديث وقد قرأ أناس السارق والسارقة بالنصب وهو في العربية على ماذكرت لك من القوة ولكن أبت العامة الا الرفع يريد سيبويه ان قراءة النصب جاء الاسم فيها مبنيا على الفعل غير معتمد على متقدم فكان النصب قويا بالنسبة الى الرفع حيث بني الاسم على الفعل لا على متقدم وليس يعني انه قوي بالنسبة الى الرفع حيث يعتمد الاسم على المحذوف المتقدم فانه قد بين ان ذلك يخرجه من الباب الذي يختار فيه النصب فكيف يفهم عنه ترجيحه عليه والباب مع القراءتين مختلف وانما يقع الترجيح بعد التساوي في الباب فالنصب أرجح من الرفع حيث يبنى الاسم (٤١٥) على الفعل والرفع متعين لا أقول أرجح حيث بني الاسم على كلام متقدم ثم

جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك

والسارقات فاقطعوا أيمانهم والسارق في الشريعة من سرق من الحرز والمقطع الرسغ وعند الخوارج المنكب والمقدار الذي يجب به القطع عشرة دراهم عند أبي حنيفة وعند مالك والشافعي رحمهما الله ربع دينار وعن الحسن درهم وفي مواعظه احذر من قطع يدك في درهم (جزاء) و(نكالا) مفعول لهما (فمن تاب) من السراق (من بعد ظلمه) من بعد سرقته (وأصلح) أمره بالتفصي عن التبعات (فان الله يتوب عليه) ويسقط عنه عقاب الآخرة وأما القطع فلا تسقطه التوبة عند أبي حنيفة وأصحابه وعند الشافعي في أحد قوليه تسقطه (من يشاء) من يجب في الحكمة تعذيبه والمغفرة له من المصرين والتائبين وقيل يسقط حد الحربي اذا سرق بالتوبة ليكون أدعى له الى الاسلام وأبعد من التنفير عنه ولا يسقطه عن المسلم لان في اقامته الصلاح للمؤمنين والحياة ولكم في القصاص حياة (فان قلت) لم قدم التعذيب على المغفرة (قلت) لانه قوبل بذلك تقدم السرقة على التوبة قرئ ولا يحزنك بضم الياء ويسرعون والمعنى لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين (في الكفر) أي في اظهاره بما يلوح منهم من آثار الكيد للاسلام ومن موالاة المشركين فاني ناصرك عليهم وكافيك شرهم يقال أسرع فيه الشيب وأسرع فيه الفساد بمعنى وقع فيه سريعا فكذلك مسارعتهم في الكفر ووقوعهم وتهافتهم فيه أسرع شيء اذا وجدوا فرصة لم يخطئوها و(آمنا) مفعول قالوا و(بأفواههم) متعلق بقالوا لا بآمنا (ومن الذين هادوا) منقطع مما قبله خبر لسماعون أي ومن اليهود قوم سماعون ويجوز أن يعطف على من الذين قالوا ويرتفع سماعون على هم سماعون والضمير للفريقين أو للذين هادوا ومعنى (سماعون للكذب) قابلون لما يفتريه الاحبار ويفتعلونه من الكذب على الله وتحريف كتابه من قولك الملك يسمع كلام فلان ومنه سمع الله لمن حمده (سماعون لقوم آخرين لم يأتوك) يعني اليهود الذين لم يصلوا الى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجافوا عنه لما أفرط فيهم من شدة البغضاء وتبالغ من العداوة أي قابلون من الاحبار ومن أولئك المفرطين في العداوة الذين لا يقدرون أن ينظروا اليك وقيل سماعون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لاجل ان يكذبوا عليه بأن يمسخوا ما سمعوا منه بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير سماعون من رسول الله لاجل قوم آخرين من اليهود وجهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منه وقيل

حقق سيبويه هذا المقدر بأن الكلام واقع بعد قصص وأخبار ولو كان كما ظنه الزمخشري لم يحتج سيبويه الى تقدير بل كان يرفعه على الابتداء ويجعل الامر خبره كما أعربه الزمخشري فالملخص على هذا أن النصب على وجه واحد وهو بناء الاسم على فعل الامر والرفع على وجهين أحدهما ضعيف وهو الابتداء وبناء الكلام على الفعل والآخر قوي بالغ كوجه النصب وهو رفعه على خبر ابتداء محذوف دل عليه السياق وحيثما تعارض لنا وجهان في الرفع واحدهما قوي والآخر ضعيف تعين حمل القراءة على القوي كما أعربه سيبويه رضي الله عنه والله تعالى أعلم * قوله تعالى ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير (قال فان قلت لم قدم التعذيب على المغفرة الخ) قال أحمد هو مبني على ان المراد بالمغفور لهم التائبون وبالمعذبين السراق ولا يجعل المغفرة تابعة للمشيئة الا بقيد التوبة لان غير التائب على زعمه لا يجوز ان يشاء الله المغفرة له فلذلك ينزل الاطلاق على المتقدم ذكره ونحن نعتقد ان المغفرة في حق غير التائب من الموحدين تتبع المشيئة حتى ان من جملة ما يدخل في عموم قوله ويغفر لمن يشاء السارق الذي لم يتب وعلى هذا يكون تقديم التعذيب لان السياق للوعيد فيناسب ذلك تقديم ما يليق به من الزواجر والله أعلم

* قوله تعالى ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيأ أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم الآية (قال معنى ومن يرد الله فتنته ومن يرد تركه مفتونا الخ) قال أحمد رحمه الله كم يتلجلج والحق ابلج هذه الآية كما تراها منطبقة على عقيدة السنة فى ان الله تعالى أراد الفتنة من المفتونين ولم يرد أن يطهر قلوبهم (٤١٦) من دنس الفتنة ووضر الكفر لا كما زعم المعتزلة من أنه تعالى ما أراد الفتنة من أحد وأراد من كل أحد الايمان وطهارة القلب وان الواقع من الفتن على خلاف ارادته وان غير الواقع من طهارة قلوب الكفار

يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون ان أوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيأ أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم سماعون للكذب أكالون للسحت فان جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيأ وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين انا أنزلنا التوراة فيها

السماعون بنو قريظة والقوم الآخرون يهود خيبر (يحرفون الكلم) يميلونه ويزيلونه (عن مواضعه) التى وضعه الله تعالى فيها فيهملونه بغير مواضع بعد أن كان ذا مواضع (ان أوتيتم هذا) المحرف المزال عن مواضعه (فخذوه) واعلموا أنه الحق واعملوا به (وان لم تؤتوه) وأفتاكم محمد بخلافه (فاحذروا) واياكم واياه فهو الباطل والضلال وروى أن شريفا من خيبر زنا بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم فى التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بنى قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقالوا ان أمركم محمد بالجلد والتحميم فاقبلوا وان أمركم بالرجم فلا تقبلوا وأرسلوا الزانيين معهم فأمرهم بالرجم فأبوا أن يأخذوا به فقال له جبريل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا فقال هل تعرفون شابا أمرد أبيض أعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو أعلم يهودى على وجه الارض ورضوا به حكما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدك الله الذى لا اله الا هو الذى فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وأنجاكم وأغرق آل فرعون والذى أنزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من أحصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته أن ينزل علينا العذاب ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء كان يعرفها من أعلامه فقال أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله النبى الامى العربى الذى بشر به المرسلون وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب مسجده (ومن يرد الله فتنته) تركه مفتونا وخذلانه (فلن تملك له من الله شيأ) فلن تستطيع له من لطف الله وتوفيقه شيأ (أولئك الذين لم يرد الله) أن يمنحهم من ألطافه ما يطهر به قلوبهم لانهم ليسوا من أهلها لعلمه أنها لا تنفع فيهم ولا تنجع ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم * السحت كل ما لا يحل كسبه وهو من سحته اذا استأصله لانه مسحوت البركة كما قال تعالى يمحق الله الربا وقرئ السحت بالتخفيف والتثقيل والسحت بفتح السين على لفظ المصدر من سحته والسحت بفتحتين والسحت بكسر السين وكانوا يأخذون الرشا على الاحكام وتحليل الحرام وعن الحسن كان الحاكم فى بنى اسرائيل اذا أتاه أحدهم برشوة جعلها فى كمه فأراها اياه وتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه فيأكل الرشوة ويسمع الكذب وحكى أن عاملا قدم من عمله فجاءه قومه فقدم اليهم العراضة وجعل يحدثهم بما جرى له فى عمله فقال أعرابى من القوم نحن كما قال الله تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت وعن النبى صلى الله عليه وسلم كل لحم أنبته السحت فالنار أولى به * قيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا اذا تحاكم اليه أهل الكتاب بين أن يحكم بينهم وبين أن لا يحكم وعن عطاء والنخعى والشعبى أنهم اذا ارتفعوا الى حكام المسلمين فان شاؤا حكموا وان شاؤا أعرضوا وقيل هو منسوخ بقوله وأن احكم بينهم بما أنزل الله وعند أبى حنيفة رحمه الله ان احتكموا الينا حملوا على حكم الاسلام وان زنى منهم رجل بمسلمة أو سرق من مسلم شيأ أقيم عليه الحد وأما أهل الحجاز فانهم لا يرون اقامة الحدود عليهم يذهبون الى أنهم قد صولحوا على شركهم وهو أعظم من الحدود ويقولون ان النبى صلى الله عليه وسلم رجم اليهوديين قبل نزول الجزية (فلن يضروك شيأ) لانهم كانوا لا يتحاكمون اليه الا لطلب الايسر والاهون عليهم كالجلد مكان الرجم فاذا أعرض عنهم وأبى الحكومة لهم شق عليهم وتكرهوا اعراضه عنهم وكانوا خلقاء بأن يعادوه ويضاروه فأمن الله سربه (بالقسط) بالعدل والاحتياط كما حكم بالرجم (وكيف يحكمونك) تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه مع أن الحكم منصوص فى كتابهم الذين يدعون الايمان به (ثم يتولون من بعد ذلك) ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما فى كتابهم لا يرضون به وما أولئك بالمؤمنين بكتابهم

مراد ولكن لم يقع لخبثهم هذه الآية وأمثالها وأراد الله أن يطهر قلوبهم من وضر البدع أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها وما أبشع صرف الزمخشرى هذه الآية كما عن ظاهرها بقوله لم يرد الله أن يمنحهم ألطافه لعلمه ان ألطافه لا تنجع فيهم ولا تنفع تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا واذا لم تنجع ألطاف الله تعالى ولم تنفع فلطف من ينفع وارادة من تنجع * وليس وراء الله للمرء مطمع *

هـــدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون وكتبنا عليهم فيها

كما يدعون أو وما أولئك بالكاملين في الايمان على سبيل التهكم بهم (فان قلت) فيها حكم الله ما موضعه من الاعراب قلت اما أن ينتصب حالا من التوراة وهي مبتدأ خبره عندهم واما أن يرتفع خبرا عنها كقولك وعندهم التوراة ناطقة بحكم الله واما أن لا يكون له محل وتكون جملة مبينة لان عندهم ما يغنيهم عن التحكيم كما تقول عندك زيد ينصحك ويشير عليك بالصواب فما تصنع بغيره (فان قلت) لم أنثت التوراة (قلت) لكونها نظيرة لموماة ودوداة ونحوها في كلام العرب (فان قلت) علام عطف ثم يتولون (قلت) على يحكمونك (فيها هدى) يهدى للحق والعدل (ونور) يبين ما استبهم من الاحكام (الذين أسلموا) صفة أجريت على النبيين على سبيل المدح كالصفات الجارية على القديم سبحانه لا للتفصلة والتوضيح وأريد باجرائها التعريض باليهود وأنهم بعداء من ملة الاسلام التي هي دين الانبياء كلهم في القديم والحديث وأن اليهودية بمعزل منها وقوله الذين أسلموا (للذين هادوا) مناد على ذلك (والربانيون والاحبار) والزهاد والعلماء من ولد هرون الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود (بما استحفظوا من كتاب الله) بما سألهم أنبياؤهم حفظه من التوراة أي بسبب سؤال أنبيائهم اياهم أن يحفظوه من التغيير والتبديل ومن في من كتاب الله للتبيين (وكانوا عليه شهداء) رقباء لئلا يبدل والمعنى يحكم بأحكام التوراة النبيون بين موسى وعيسى وكان بينهما ألف نبي وعيسى للذين هادوا يحملونهم على أحكام التوراة لا يتركونهم أن يعدلوا عنها كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من حملهم على حكم الرجم وارغام أنوفهم وابائه عليهم ما اشتهوه من الجلد وكذلك حكم الربانيون والاحبار المسلمون بسبب ما استحفظهم أنبياؤهم من كتاب الله والقضاء بأحكامه وبسبب كونهم عليه شهداء ويجوز أن يكون الضمير في استحفظوا للانبياء والربانيين والاحبار جميعا ويكون الاستحفاظ من الله أي كلفهم الله حفظه وأن يكونوا عليه شهداء (فلا تخشوا الناس) نهى للحكام عن خشيتهم غير الله في حكوماتهم وادهانهم فيها وامضائها على خلاف ما أمروا به من العدل لخشية سلطان ظالم أو خيفة أذية أحد من القرباء والاصدقاء (ولا تشتروا) ولا تستبدلوا ولا تستعيضوا (بآيات الله) وأحكامه (ثمنا قليلا) وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضا الناس كما حرف أحبار اليهود كتاب الله وغيروا أحكامه رغبة في الدنيا وطلبا للرياسة فهلكوا (ومن لم يحكم بما أنزل الله) مستهينا به (فأولئك هم الكافرون) والظالمون والفاسقون وصف لهم بالعتو في كفرهم حين ظلموا آيات الله بالاستهانة وتمردوا بأن حكموا بغيرها وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الكافرين والظالمين

قوله تعالى انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار الآية (قال قوله أسلموا صفة أجريت على النبيين على سبيل المدح الخ) قال أحمد والباعث له على حمل هذه الصفة على المدح دون التفصلة والتوضيح ان الانبياء لا يكونون الا متصفين بها فذكر النبوة يستلزم ذكرها فلم ثم حملها على المدح وفيه نظر فان المدح انما يكون غالبا بالصفات الخاصة التي يتميز بها الممدوح عمن دونه والاسلام أمر عام يتناول أمم الانبياء ومتبعيهم كما يتناولهم ألا ترى انه لا يحسن في مدح النبي أن يقتصر على كونه رجلا مسلما فان أقل متبعيه كذلك فالوجه والله أعلم ان الصفة قد تذكر للعظيم في نفسها وليتنوه بها اذا وصف بها عظيم القدر كما يكون تنويها بقدر موصوفها فالحاصل أنه كما يراد اعظام الموصوف بالصفة العظيمة قد يراد اعظام الصفة بعظم موصوفها وعلى هذا الاسلوب جرى وصف الانبياء بالصلاح في قوله تعالى وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين وأمثاله تنويها بمقدار الصلاح اذ جعل صفة الانبياء وبعثا لآحاد الناس على الدأب في تحصيل صفته وكذلك قيل في قوله تعالى الذين يحملون (٤١٧) العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا فأخبر عن الملائكة المقربين بالايمان تعظيما لقدر الايمان وبعثا للبشر على الدخول فيه ليساووا الملائكة المقربين في هذه الصفة والا فمن المعلوم ان الملائكة مؤمنون ليس الا ولهذا قال ويستغفرون للذين

آمنوا يعني من البشر لثبوت حق الاخوة في الايمان بين الطائفتين فكذلك والله أعلم جرى وصف الانبياء في هذه الآية بالاسلام تنويها به ولقد أحسن القائل في أوصاف الاشراف والناظم في مدحه عليه الصلاة والسلام

فان مدحت محمدا بقصيدتي * فلقد مدحت قصيدتي بمحمد

والاسلام وان كان من أشرف الاوصاف اذ حاصله معرفة الله تعالى بما يجب له ويستحيل عليه ويجوز في حقه الا ان النبوة أشرف وأجل لاشتمالها على عموم الاسلام مع خواص المواهب التي لا تسعها العبارة فلو لم يذهب الى الفائدة المذكورة في ذكر الاسلام بعد النبوة في سياق المدح لخرجنا عن قانون البلاغة المألوف في الكتاب العزيز وفي كلام العرب الفصيح وهو الترقي من الادنى الى الاعلى لا النزول على العكس ألا ترى أبا الطيب كيف تزحزح عن هذا المهيع في قوله

شمس ضحاها هلال ليلتها * در تقاصيرها زبرجدها

فنزل عن الشمس الى الهلال وعن الدر الى الزبرجد في سياق المدح فمضغت الالسن عرض بلاغته ومزقت اديم صيغته فعلينا أن نتدبر الآيات المعجزات حتى يتعلق فهمنا باهداب علوها في البلاغة المعهود لها والله الموفق

والفاسقين أهل الكتاب وعنه نعم القوم أنتم ما كان من حلو فلكم وما كان من مر فهو لأهل الكتاب من جحد
حكم الله كفر ومن لم يحكم به وهو مقر فهو ظالم فاسق وعن الشعبي هذه في أهل الإسلام والظالمون في اليهود
والفاسقون في النصارى وعن ابن مسعود هو عام في اليهود وغيرهم وعن حذيفة أنتم أشبه الأمم سمتا ببني
إسرائيل لتركبن طريقهم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة غير أني لا أدري أتعبدون العجل أم لا * في مصحف
أبي وأنزل الله على بني إسرائيل فيها وفيه وأن الجروح قصاص والمعطوفات كلها قرئت منصوبة ومرفوعة
والرفع للعطف على محل أن النفس لأن المعنى وكتبنا عليهم النفس بالنفس إما لإجراء كتبنا مجرى قلنا
وإما لأن معنى الجملة التي هي قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب كما تقع عليه القراءة تقول كتبت
الحمد لله وقرأت سورة أنزلناها ولذلك قال الزجاج لو قرئ إن النفس بالنفس بالكسر لكان صحيحا
أو للاستئناف والمعنى فرضنا عليهم فيها (أن النفس) مأخوذة (بالنفس) مقتولة بها إذا قتلتها بغير حق
(و) كذلك (العين) مفقوءة (بالعين) (والأنف) مجدوع (بالأنف والأذن) مصلومة (بالأذن والسن)
مقلوعة (بالسن والجروح قصاص) ذات قصاص وهو المقاصة ومعناه ما يمكن فيه القصاص وتعرف المساواة
وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت (فمن تصدق) من أصحاب الحق (به)
بالقصاص وعفا عنه (فهو كفارة له) فالتصدق به كفارة للمتصدق يكفر الله من سيئاته ما تقتضيه الموازنة
كسائر طاعاته وعن عبد الله بن عمرو يهدم عنه من ذنوبه بقدر ما تصدق به وقيل فهو كفارة للجاني إذا تجاوز
عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه وفي قراءة أبي فهو كفارته له يعني فالمتصدق كفارته له أي الكفارة التي
يستحقها له لا ينقص منها وهو تعظيم لما فعل كقوله تعالى فأجره على الله وترغيب في العفو * قفيته مثل
عقبته إذا اتبعته ثم يقال قفيته بفلان وعقبته به فتعديه إلى الثاني بزيادة الباء (فإن قلت) فأين المفعول الأول
في الآية (قلت) هو محذوف والظرف الذي هو (على آثارهم) كالساد مسده لأنه إذا قفى به على أثره فقد قفى
به إياه والضمير في آثارهم للنبيين في قوله يحكم بها النبيون الذين أسلموا * وقرأ الحسن الأنجيل بفتح الهمزة
فإن صح عنه فلأنه أعجمي خرج لعجمته عن زنات العربية كما خرج هابيل وآجر (ومصدقا) عطف على محل
فيه هدى ومحله النصب على الحال (وهدى وموعظة) يجوز أن ينتصبا على الحال كقوله مصدقا وأن
ينتصبا مفعولا لهما كقوله وليحكم كأنه قيل وللهدى والموعظة آتيناه الإنجيل وللحكم بما أنزل الله فيه من
الأحكام (فإن قلت) فإن نظمت هدى وموعظة في سلك مصدقا فما تصنع بقوله وليحكم (قلت) أصنع به
ما صنعت بهدى وموعظة حين جعلتهما مفعولا لهما فأقدر وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله آتيناه إياه
وقرئ وليحكم على لفظ الأمر بمعنى وقلنا ليحكم وروي في قراءة أبي وأن ليحكم بزيادة أن مع الأمر على أن أن
موصولة بالأمر كقولك أمرته بأن قم كأنه قيل وآتيناه الإنجيل وأمرنا بأن يحكم أهل الإنجيل وقيل إن
عيسى عليه السلام كان متعبدا بما في التوراة من الأحكام لأن الإنجيل مواعظ وزواجر والأحكام فيه
قليلة وظاهر قوله وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه يرد ذلك وكذلك قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا
وإن ساغ لقائل أن يقول معناه وليحكموا بما أنزل الله فيه من إيجاب العمل بأحكام التوراة (فإن قلت)
أي فرق بين التعريفين في قوله (وأنزلنا إليك الكتاب) وقوله (لما بين يديه من الكتاب) (قلت) الأول
تعريف العهد لأنه عنى به القرآن والثاني تعريف الجنس لأنه عنى به جنس الكتب المنزلة ويجوز أن يقال
هو للعهد لأنه لم يرد به ما يقع عليه اسم الكتاب على الإطلاق وإنما أريد نوع معلوم منه وهو ما أنزل من السماء
سوى القرآن (ومهيمنا) ورقيبا على سائر الكتب لأنه يشهد لها بالصحة والثبات وقرئ ومهيمنا عليه بفتح الميم
أي هومن عليه بأن حفظ من التغيير والتبديل كما قال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذي هيمن
عليه الله عز وجل أو الحفاظ في كل بلد لو حرف حرف منه أو حركة أو سكون لتنبه عليه كل أحد ولاشمأزوا
رادين ومنكرين * ضمن (ولا تتبع) معنى ولا تنحرف فلذلك عدي بعن كأنه قيل ولا تنحرف عما جاءك من
الحق متبعا أهواءهم (لكل جعلنا منكم) أيها الناس (شرعة) شريعة وقرأ يحيى بن وثاب بفتح الشين
(ومنهاجا) وطريقا واضحا في الدين تجرون عليه وقيل هذا دليل على أنا غير متعبدين بشرائع من قبلنا

أن النفس بالنفس
والعين بالعين والأنف
بالأنف والأذن بالأذن
والسن بالسن والجروح
قصاص فمن تصدق به
فهو كفارة له ومن لم
يحكم بما أنزل الله فأولئك
هم الظالمون وقفينا على
آثارهم بعيسى ابن مريم
مصدقا لما بين يديه
من التوراة وآتيناه
الإنجيل فيه هدى ونور
ومصدقا لما بين يديه
من التوراة وهدى
وموعظة للمتقين وليحكم
أهل الإنجيل بما أنزل
الله فيه ومن لم يحكم
بما أنزل الله فأولئك
هم الفاسقون وأنزلنا
إليك الكتاب بالحق
مصدقا لما بين يديه من
الكتاب ومهيمنا عليه
فاحكم بينهم بما أنزل الله
ولا تتبع أهواءهم عما
جاءك من الحق لكل
جعلنا منكم شرعة
ومنهاجا ولو شاء الله

لجعلكم

(لجعلكم أمة واحدة) جماعة متفقة على شريعة واحدة أو ذوى أمة واحدة أى دين واحد لا اختلاف فيه (ولكن) أراد (ليبلوكم فيما آتاكم) من الشرائع المختلفة هل تعملون بها مذعنين معتقدين أنها مصالح قد اختلفت على حسب الاحوال والاوقات معترفين بأن الله لم يقصد باختلافها الا ما اقتضته الحكمة أم تتبعون الشبه وتفرطون فى العمل (فاستبقوا الخيرات) فابتدروها وتسابقوا نحوها (الى الله مرجعكم) استئناف فى معنى التعليل لاستباق الخيرات (فينبئكم) فيخبركم بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل بين محقكم ومبطلكم وعاملكم ومفرطكم فى العمل (فان قلت) (وأن احكم بينهم) معطوف على ماذا (قلت) على الكتاب فى قوله وأنزلنا اليك الكتاب كأنه قيل وأنزلنا اليك أن احكم على أن أن وصلت بالامر لانه فعل كسائر الافعال ويجوز أن يكون معطوفا على بالحق أى أنزلناه بالحق وبأن احكم (أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك) أن يضلوك عنه ويستزلوك وذلك أن كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس من أحبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأنا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضى لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (فان تولوا) عن الحكم بما أنزل الله اليك وأرادوا غيره (فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم) يعنى بذنب التولى عن حكم الله وارادة خلافه فوضع ببعض ذنوبهم موضع ذلك وأراد أن لهم ذنوبا جمة كثيرة العدد وأن هذا الذنب مع عظمه بعضها وواحد منها وهذا الابهام لتعظيم التولى واستسرافهم فى ارتكابه ونحو البعض فى هذا الكلام ما فى قول لبيد * أو يرتبط بعض النفوس حمامها * أراد نفسه وانما قصد تفخيم شأنها بهذا الابهام كأنه قال نفسا كبيرة ونفسا أى نفس فكما أن التنكير يعطى معنى التكبير وهو معنى البعضية فكذلك اذا صرح بالبعض (لفاسقون) لمتمردون فى الكفر معتدون فيه يعنى أن التولى عن حكم الله من التمرد العظيم والاعتداء فى الكفر (أفحكم الجاهلية يبغون) فيه وجهان أحدهما أن قريظة والنضير طلبوا اليه أن يحكم بما كان يحكم به أهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم القتلى بواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت والثانى أن يكون تعييرا لليهود بأنهم أهل كتاب وعلم وهم يبغون حكم الملة الجاهلية التى هى هوى وجهل لا تصدر عن كتاب ولا ترجع الى وحى من الله تعالى وعن الحسن هو عام فى كل من يبغى غير حكم الله والحكم حكمان حكم بعلم فهو حكم الله وحكم بجهل فهو حكم الشيطان وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض فقرأ هذه الآية وقرئ تبغون بالتاء والياء وقرأ السلمى أفحكم الجاهلية يبغون برفع الحكم على الابتداء وايقاع يبغون خبرا واسقاط الراجع عنه كاسقاطه عن الصلة فى أهذا الذى بعث الله رسولا وعن الصفة فى الناس رجلان رجل أهنت ورجل أكرمت وعن الحال فى مررت بهند يضرب زيد وقرأ قتادة أفحكم الجاهلية على أن هذا الحكم الذى يبغونه انما يحكم به أفعى نجران أو نظيره من حكام الجاهلية فأرادوا بسفههم أن يكون محمد خاتم النبيين حكما كأولئك الحكام * اللام فى قوله (لقوم يوقنون) للبيان كاللام فى هيت لك أى هذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم الذين يتيقنون أن لا أعدل من الله ولا أحسن حكما منه * لا تتخذوهم أولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتؤاخونهم وتصافونهم وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين ثم علل النهى بقوله (بعضهم أولياء بعض) أى انما يوالى بعضهم بعضا لاتحاد ملتهم واجتماعهم فى الكفر فما لمن دينه خلاف دينهم ولموالاتهم (ومن يتولهم منكم فانه) من جملتهم وحكمه حكمهم وهذا تغليظ من الله وتشديد فى وجوب مجانبة المخالف فى الدين واعتزاله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تراءى ناراهما ومنه قول عمر رضى الله عنه لابى موسى فى كاتبه النصرانى لا تكرموهم اذ أهانهم الله ولا تأمنوهم اذ خونهم الله ولا تدنوهم اذ أقصاهم الله وروى أنه قال له أبو موسى لا قوام للبصرة الا به فقال مات النصرانى والسلام يعنى هب أنه قد مات فما كنت تكون صانعا حينئذ فاصنعه الساعة واستغن عنه بغيره (ان الله لا يهدى القوم الظالمين) يعنى الذين ظلموا أنفسهم بموالاة الكفر يمنعهم الله ألطافه ويخذلهم مقتا لهم (يسارعون فيهم)

لجعلكم أمة واحدة ولكن
ليبلوكم فيما آتاكم
فاستبقوا الخيرات
الى الله مرجعكم جميعا
فينبئكم بما كنتم فيه
تختلفون وأن احكم
بينهم بما أنزل الله ولا
تتبع أهواءهم
واحذرهم أن يفتنوك
عن بعض ما أنزل الله
اليك فان تولوا فاعلم
أنما يريد الله أن يصيبهم
ببعض ذنوبهم وان كثيرا
من الناس لفاسقون
أفحكم الجاهلية يبغون
ومن أحسن من الله
حكما لقوم يوقنون
يا أيها الذين آمنوا
لا تتخذوا اليهود
والنصارى أولياء بعضهم
أولياء بعض ومن
يتولهم منكم فانه منهم
ان الله لا يهدى القوم
الظالمين فترى الذين
فى قلوبهم مرض
يسارعون فيهم يقولون
نخشى أن تصيبنا دائرة

ينكمشون في موالاتهم ويرغبون فيها ويعتذرون بأنهم لا يأمنون أن تصيبهم دائرة من دوائر الزمان أي
صرف من صروفه ودولة من دوله فيحتاجوا اليهم والى معونتهم وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه انه قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي موالي من يهود كثيرا عددهم واني أبرأ الى الله ورسوله من ولايتهم وأوالي
الله ورسوله فقال عبد الله بن أبي اني رجل أخاف الدوائر لا أبرأ من ولاية موالي وهم يهود بني قينقاع (فعسى
الله أن يأتي بالفتح) لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه واظهار المسلمين (أو أمر من عنده) يقطع شأفة
اليهود ويجليهم عن بلادهم فيصبح المنافقون نادمين على ما حدثوا به أنفسهم وذلك أنهم كانوا يشكون في
أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون ما نظن أن يتم له أمر وبالحرى أن تكون الدولة والغلبة لهؤلاء
وقيل أو أمر من عنده أو أن يؤمر النبي صلى الله عليه وسلم باظهار أسرار المنافقين وقتلهم فيندموا على نفاقهم
وقيل أو أمر من عند الله لا يكون فيه للناس فعل كبني النضير الذين طرح الله في قلوبهم الرعب فأعطوا
أيديهم من غير أن يوجف عليهم بخيل ولا ركاب (ويقول الذين آمنوا) قرئ بالنصب عطفا على أن يأتي
وبالرفع على أنه كلام مبتدأ أي ويقول الذين آمنوا في ذلك الوقت وقرئ يقول بغير واو وهي مصاحف مكة
والمدينة والشام كذلك على انه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ فقيل يقول الذين آمنوا أهؤلاء
الذين أقسموا (فان قلت) لمن يقولون هذا القول (قلت) اما أن يقوله بعضهم لبعض تعجبا من حالهم واغتباطا
بما من الله عليهم من التوفيق في الاخلاص (أهؤلاء الذين أقسموا) لكم باغلاظ الايمان أنهم أولياؤكم
ومعاضدوكم على الكفار واما أن يقولوه لليهود لانهم حلفوا لهم بالمعاضدة والنصرة كما حكى الله عنهم وان
قوتلتم لننصرنكم (حبطت أعمالهم) من جملة قول المؤمنين أي بطلت أعمالهم التي كانوا يتكلفونها في
رأي أعين الناس وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما أحبط أعمالهم فما أخسرهم أو من قول الله عز وجل
شهادة لهم بحبوط الاعمال وتعجيبا من سوء حالهم * وقرئ من يرتدد ومن يرتد وهو في الامام بدالين وهو
من الكائنات التي أخبر عنها في القرآن قبل كونها وقيل بل كان أهل الردة احدى عشرة فرقة ثلاث في
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو مدلج ورئيسهم ذو الخمار وهو الاسود العنسي وكان كاهنا تنبأ باليمن
واستولى على بلاده وأخرج عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ
ابن جبل والى سادات اليمن فأهلكه الله على يدي فيروز الديلمي بيته فقتله وأخبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بقتله ليلة قتل فسر المسلمون وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد وأتى خبره في آخر شهر ربيع
الاول وبنو حنيفة قوم مسيلمة تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد
رسول الله أما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فأجاب عليه الصلاة والسلام من محمد رسول الله الى
مسيلمة الكذاب أما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه أبو بكر رضي الله
عنه بجنود المسلمين وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة وكان يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في
الاسلام أراد في جاهليتي واسلامي وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم خالدا فانهزم بعد القتال الى الشام ثم أسلم وحسن اسلامه وسبع في عهد أبي بكر رضي الله عنه فزارة قوم
عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك
ابن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها مسيلمة الكذاب وفيها يقول أبو العلاء
المعري في كتاب استغفر واستغفري

أمت سجاح ووالاها مسيلمة * كذابة في بني الدنيا وكذاب

وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله أمرهم على يدي أبي بكر
رضي الله عنه وفرقة واحدة في عهد عمر رضي الله عنه غسان قوم جبلة بن الايهم نصرته اللطمة وسيرته الى
بلاد الروم بعد اسلامه (فسوف يأتي الله بقوم) قيل لما نزلت أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبي موسى
الاشعري فقال قوم هذا وقيل هم ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من أفناء

الناس

فعسى الله أن يأتي بالفتح
أو أمر من عنده
فيصبحوا على ما أسروا
في أنفسهم نادمين
ويقول الذين آمنوا
أهؤلاء الذين أقسموا
بالله جهد أيمانهم انهم
لمعكم حبطت أعمالهم
فأصبحوا خاسرين يا أيها
الذين آمنوا من يرتد
منكم عن دينه فسوف
يأتي الله بقوم

قوله بعث اليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم
خالدا في أبي السعود أبو
بكر وهو الصواب اهـ
مصححه

* قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه الآية (قال) محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته وأن لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه ومحبة الله لعباده أن يثيبهم أحسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثني عليهم ويرضى عنهم وأما ما يعتقده أجهل الناس وأعداهم للعلم وأهله وأمقتهم للشرع وأسوأهم طريقة وان كانت طريقتهم عند أمثالهم من الجهلة والسفهاء شيأ وهم الفرقة المفتعلة المتفعلة من الصوف وما يدينون به من المحبة والعشق والتغني على كراسيهم خربها الله وفي مراقصهم عطلها الله بأبيات الغزل المقولة في المردان الذين يسمونهم شهداء وصعقاتهم التي أين عنها صعقة موسى يوم دك الطور فتعالى الله عنه علوا كبيرا ومن كلماتهم كما أنه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فان الهاء راجعة الى الذات دون النعوت والصفات انتهى كلامه (قال أحمد) لا شك ان تفسير محبة العبد لله بطاعته له على خلاف الظاهر وهو من المجاز الذي يسمى فيه المسبب باسم السبب والمجاز الذي لا يعدل اليه عن الحقيقة الا بعد تعذرها فليمحض حقيقة المحبة لغة بالقواعد لينظر أهي ثابتة للعبد متعلقة بالله تعالى أم لا اذ المحبة لغة ميل المتصف بها الى أمر ملذ واللذات الباعثة على المحبة منقسمة الى مدرك بالحس كلذة الذوق في المطعوم ولذة النظر واللمس في الصور المستحسنة ولذة الشم في الروائح العطرة ولذة السمع في النغمات الحسنة والى لذة تدرك بالعقل كلذة الجاه والرياسة والعلوم وما يجري مجراها فقد ثبت ان في اللذات الباعثة على المحبة ما لا يدركه الا العقل دون الحس ثم تتفاوت المحبة ضرورة بحسب تفاوت البواعث عليها فليس اللذة برياسة الانسان على أهل قرية كلذته بالرياسة على أقاليم معتبرة واذا تفاوتت المحبة بحسب تفاوت البواعث فلذات العلوم أيضا متفاوتة بحسب تفاوت المعلومات فليس معلوم أكمل ولا أجل من المعبود الحق فاللذة الحاصلة في معرفته تعالى ومعرفة جلاله وكماله تكون أعظم والمحبة المنبعثة عنها تكون أمكن واذا حصلت هذه المحبة بعثت على الطاعات والموافقات (٤٢١) فقد تحصل من ذلك أن محبة العبد ممكنة بل واقعة من كل مؤمن فهي من لوازم الايمان وشروطه والناس فيها متفاوتون بحسب تفاوت ايمانهم

يحبهم ويحبونه

واذا كان كذلك وجب تفسير محبة العبد لله بمعناها الحقيقي لغة وكانت الطاعات والموافقات كالمسبب عنها والمغاير لها ألا ترى الى الاعرابي الذي سأل عن الساعة فقال له النبي عليه الصلاة والسلام ما أعددت لها فقال ما أعددت لها كبير عمل ولكن حب الله ورسوله فقال عليه الصلاة والسلام أنت مع من أحببت فهذا الحديث ناطق بان المفهوم من المحبة لله غير الاعمال والتزام الطاعات لان الاعرابي نفاها وأثبت الحب وأقره عليه الصلاة والسلام على ذلك ثم اذا ثبت اجراء محبة العبد لله تعالى على حقيقتها لغة فالمحبة في اللغة اذا تأكدت سميت عشقا فمن تأكدت محبته لله تعالى وظهرت آثار تأكدها عليه من استيعاب الاوقات في ذكره وطاعته فلا يمنع أن تسمى محبته عشقا اذ العشق ليس الا المحبة البالغة وما أردت بهذا الفصل الا تخليص الحق والانتصاب لاحباء الله عز وجل من الزمخشري فانه خلط في كلامه الغث بالسمين فاطلق القول كما سمعته بالقدح الفاحش في المتصوفة من غير تحرز منه نسب اليهم ما لا يعبأ بمرتكبه ولا يعد في البهائم فضلا عن خواص البشر ولا يلزم من تسمي طائفة بهذا الاسم غاصبين له من أهله ثم ارتكابهم ما نقل عنهم مما ينافي حال المسمين به حقيقة ان يؤاخذ الصالح بالطالح ولا تزر وازرة وزر أخرى وهذا كما ان علماء الدين قد انتسب اليهم قوم سموا أنفسهم بأهل العدل والتوحيد ثم خلعوا الربقة فجحدوا صفات الله تعالى وقضاءه وقدره وقالوا ان الامر أنف وجعلوا لانفسهم شركا في المخلوقات وفعلوا وصنعوا أفلا يسوغ لنا أن نقدح في علماء أصول الدين مطلقا لانهم قد انتسب اليهم من لا حيلة لهم في نفيه عن التسمي بسمتهم ولا يكلف الله نفسا الا وسعها ولا شك ان في الناس من أنكر تصور محبة العبد لله الا بمعنى طاعته له لا غير وهو الذي يحاز اليه الزمخشري وقد بينا تصور ذلك وأوضحناه والمعترفون بتصور ذلك وثبوته ينسبون المنكرين الى انهم جهلوا فانكروا كما ان العنين ينكر على من يعتقد ان وراء اللعب لذة من جماع أو غيره والمتمهك في الشهوات والغرام بالنساء يظن ان ليس وراء ذلك لذة من رياسة أو جاه أو شبيه ذلك وكل طائفة تسخر عن فوقها وتعتقد انهم مشغولون في غير شيء قال الغزالي والمحبون لله يقولون لمن أنكر عليهم ذلك ان تسخروا منا فانا نسخر

الناس جاهدوا يوم القادسية وقيل هم الانصار وقيل سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فضرب بيده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله رجال من أبناء فارس (يحبهم ويحبونه) محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته وأن لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه ومحبة الله لعباده أن يثيبهم أحسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثني عليهم ويرضى عنهم وأما ما يعتقده أجهل الناس وأعداهم للعلم وأهله وأمقتهم للشرع وأسوأهم طريقة وان كانت طريقتهم عند أمثالهم من الجهلة والسفهاء شيأ وهم الفرقة المفتعلة المتفعلة من الصوف وما يدينون به من المحبة والعشق والتغني على كراسيهم خربها الله وفي مراقصهم عطلها الله بأبيات الغزل المقولة في المردان الذين يسمونهم شهداء وصعقاتهم التي أين عنها صعقة موسى عند دك الطور فتعالى الله عنه علوا كبيرا ومن كلماتهم كما أنه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فان الهاء راجعة الى الذات دون النعوت والصفات ومنها الحب شرطه أن تلحقه سكرات المحبة فاذا لم يكن ذلك لم تكن فيه حقيقة (فان قلت) أين الراجع من الجزاء الى الاسم المتضمن لمعنى الشرط (قلت) هو محذوف معناه

فسوف يأتى الله بقوم مكانهم أو بقوم غيرهم أو ما أشبه ذلك (أذلة) جمع ذليل وأما ذلول فجمعه ذلل ومن زعم أنه من الذل هو نقيض الصعوبة فقد غبي عنه أن ذلولا لا يجمع على أذلة (فان قلت) هلا قيل أذلة للمؤمنين أعزة على الكافرين (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يضمن الذل معنى الحنو والعطف كأنه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع والثانى أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنحتهم ونحوه قوله عز وجل أشداء على الكفار رحماء بينهم وقرئ أذلة وأعزة بالنصب على الحال (ولا يخافون لومة لائم) يحتمل أن تكون الواو للحال على أنهم يجاهدون وحالهم فى المجاهدة خلاف حال المنافقين فانهم كانوا موالين لليهود لعنت فاذا خرجوا فى جيش المؤمنين خافوا أولياءهم اليهود فلا يعملون شيأ مما يعلمون أنه يلحقهم فيه لوم من جهتهم وأما المؤمنون فكانوا يجاهدون لوجه الله لا يخافون لومة لائم قط وأن تكون للعطف على أن من صفتهم المجاهدة فى سبيل الله وأنهم صلاب فى دينهم اذا شرعوا فى أمر من أمور الدين انكار منكر أو أمر بمعروف مضوا فيه كالمسامير المحماة لا يرعبهم قول قائل ولا اعتراض معترض ولا لومة لائم يشق عليه جدهم فى انكارهم وصلابتهم فى أمرهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفى التنكير مبالغتان كأنه قيل لا يخافون شيأ قط من لوم أحد من اللوام و (ذلك) اشارة الى ما وصف به القوم من المحبة والذلة والعزة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة (يؤتيه) يوفق له (من يشاء) ممن يعلم أن له لطفا (واسع) كثير الفواضل والالطاف (عليم) بمن هو من أهلها عقب النهى عن موالاة من تجب معاداتهم ذكر من تجب موالاتهم بقوله تعالى (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) ومعنى انما وجوب اختصاصهم بالموالاة (فان قلت) قد ذكرت جماعة فهلا قيل انما أولياؤكم (قلت) أصل الكلام انما وليكم الله فجعلت الولاية لله على طريق الاصالة ثم نظم فى سلك اثباتها له اثباتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على سبيل التبع ولو قيل انما أولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا لم يكن فى الكلام أصل وتبع وفى قراءة عبد الله انما مولاكم (فان قلت) (الذين يقيمون) ما محله (قلت) الرفع على البدل من الذين آمنوا أو على هم الذين يقيمون أو النصب على المدح وفيه تمييز للخلص من الذين آمنوا نفاقا أو واطأت قلوبهم ألسنتهم الا أنهم مفرطون فى العمل (وهم راكعون) الواو فيه للحال أى يعملون ذلك فى حال الركوع وهو الخشوع والاخبات والتواضع لله اذا صلوا واذا زكوا وقيل هو حال من يؤتون الزكاة بمعنى يؤتونها فى حال ركوعهم فى الصلاة وانها نزلت فى على كرم الله وجهه حين سأله سائل وهو راكع فى صلاته فطرح له خاتمه كأنه كان مرجا فى خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلاته (فان قلت) كيف صح أن يكون لعلى رضى الله عنه واللفظ لفظ جماعة (قلت) جئ به على لفظ الجمع وان كان السبب فيه رجلا واحدا ليرغب الناس فى مثل فعله فينالوا مثل ثوابه ولينبه على أن سجية المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والاحسان وتفقد الفقراء حتى ان لزهم أمر لا يقبل التأخير وهم فى الصلاة لم يؤخروه الى الفراغ منها (فان حزب الله) من اقامة الظاهر مقام المضمر ومعناه فانهم هم الغالبون ولكنهم بذلك جعلوا أعلاما لكونهم حزب الله وأصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم ويحتمل أن يريد بحزب الله الرسول والمؤمنين ويكون المعنى ومن يتولهم فقد تولى حزب الله واعتضد بمن لا يغالب * روى أن رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث كانا قد أظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت * يعنى أن اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا لا يصح أن يقابل باتخاذكم اياهم أولياء بل يقابل ذلك بالبغضاء والشنآن والمنابذة * وفصل المستهزئين بأهل الكتاب والكفار وان كان أهل الكتاب من الكفار اطلاقا للكفار على المشركين خاصة والدليل عليه قراءة عبد الله ومن الذين أشركوا وقرئ والكفار بالنصب والجر وتعضد قراءة الجر قراءة أبى ومن الكفار (واتقوا الله) فى موالاة الكفار وغيرها (ان كنتم مؤمنين) حقا لان الايمان حقا يأبى موالاة أعداء الدين (اتخذوها) الضمير للصلاة أو للمناداة قيل كان رجل من النصارى بالمدينة اذا سمع المؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله قال حرق الكاذب فدخلت خادمه بنار ذات ليلة وهو نائم فتطايرت منها شرارة فى البيت فاحترق البيت واحترق هو وأهله وقيل فيه دليل

أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم

منكم ما تضمرون * قوله تعالى ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون (قال محمود هذا من اقامة الظاهر مقام المضمر ومعناه الخ) قال أحمد ومقابله قوله تعالى ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ان الظالمين فى عذاب مقيم فوضع الظالمين موضع ضمير الاول ليزيدهم سمة الظلم الى الخسران

على ثبوت الاذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده (لا يعقلون) لان لعبهم وهزؤهم من أفعال السفهاء والجهلة فكأنه لا عقل لهم * قرأ الحسن هل تنقمون بفتح القاف والفصيح كسرها والمعنى هل تعيبون منا وتنكرون الا الايمان بالكتب المنزلة كلها (وأن أكثركم فاسقون) (فان قلت) علام عطف قوله وان أكثركم فاسقون (قلت) فيه وجوه منها أن يعطف على أن آمنا بمعنى وما تنقمون منا الا الجمع بين ايماننا وبين تمردكم وخروجكم عن الايمان كأنه قيل وما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا في دين الاسلام وأنتم خارجون منه ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف أي واعتقاد أنكم فاسقون ومنها أن يعطف على المجرور أي وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما أنزل وبأن أكثركم فاسقون ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع أي وما تنقمون منا الا الايمان مع أن أكثركم فاسقون ويجوز أن يكون تعليلا معطوفا على تعليل محذوف كأنه قيل وما تنقمون منا الا الايمان لقلة انصافكم وفسقكم واتباعكم الشهوات ويدل عليه تفسير الحسن بفسقكم نقمتم ذلك علينا * وروى أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال أومن بالله وما أنزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى عليه السلام ما نعلم أهل دين أقل حظا في الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فنزلت وعن نعيم بن ميسرة وان أكثركم بالكسر ويحتمل أن ينتصب وان أكثركم بفعل محذوف يدل عليه هل تنقمون أي ولا تنقمون أن أكثركم فاسقون أو يرتفع على الابتداء والخبر محذوف أي وفسقكم ثابت معلوم عندكم لانكم علمتم أنا على الحق وانكم على الباطل الا أن حب الرياسة وكسب الاموال لا يدعكم فتنصفوا (ذلك) اشارة الى المنقوم ولا بد من حذف مضاف قبله أو قبل من تقديره بشر من أهل ذلك أو دين من لعنه الله و(من لعنه الله) في محل الرفع على قولك هو من لعنه الله كقوله تعالى قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار أو في محل الجر على البدل من شر * وقرئ مثوبة ومثوبة ومثالهما مشورة ومشورة (فان قلت) المثوبة مختصة بالاحسان فكيف جاءت في الاساءة (قلت) وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله * تحية بينهم ضرب وجيع * ومنه فبشرهم بعذاب أليم (فان قلت) المعاقبون من الفريقين هم اليهود فلم شورك بينهم في العقوبة (قلت) كان اليهود لعنوا يزعمون أن المسلمين ضالون مستوجبون للعقاب فقيل لهم من لعنه الله شر عقوبة في الحقيقة واليقين من أهل الاسلام في زعمكم ودعواكم (وعبد الطاغوت) عطف على صلة من كأنه قيل ومن عبد الطاغوت وفي قراءة أبي وعبدوا الطاغوت على المعنى وعن ابن مسعود ومن عبدوا وقرئ وعابد الطاغوت عطفا على القردة وعابدي وعباد وعبد وعبد ومعناه الغلو في العبودية كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ في الحذر والفطنة قال

أبني لبينى ان أمكم * أمة وان أباكم عبد

وعبد بوزن حطم وعبيد وعبد بضمتين جمع عبيد وعبدة بوزن كفرة وعبد وأصله عبدة فحذفت التاء للاضافة أو هو كخدم في جمع خادم وعبد وعباد وأعبد وعبد الطاغوت على البناء للمفعول وحذف الراجع بمعنى وعبد الطاغوت فيهم أو بينهم وعبد الطاغوت بمعنى صار الطاغوت معبودا من دون الله كقولك أمر اذا صار أميرا وعبد الطاغوت بالجر عطفا على من لعنه الله (فان قلت) كيف جاز أن يجعل الله منهم عباد الطاغوت (قلت) فيه وجهان أحدهما أنه خذلهم حتى عبدوها والثاني أنه حكم عليهم بذلك ووصفهم به كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وقيل الطاغوت العجل لانه معبود من دون الله ولان عبادتهم للعجل مما زينه لهم الشيطان فكانت عبادتهم له عبادة للشيطان وهو الطاغوت وعن ابن عباس رضي الله عنه أطاعوا الكهنة وكل من أطاع أحدا في معصية الله فقد عبده وقرأ الحسن الطواغيت وقيل وجعل منهم القردة أصحاب السبت والخنازير كفار أهل مائدة عيسى وقيل كلا المسخين من أصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وروى أنها لما نزلت كان المسلمون يعيرون اليهود ويقولون يا اخوة القردة والخنازير فينكسون رؤسهم (أولئك) الملعونون الممسوخون (شر مكانا) جعلت الشرارة للمكان

لا يعقلون قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا الا أن آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل واذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم

---

* قوله تعالى قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة (٢٣ ٤) والخنازير وعبد الطاغوت الآية (قال وعبد الطاغوت عطف على صلة من الخ) قال أحمد رحمه الله السؤال يلزم القدرية لانهم يزعمون ان الله تعالى انما أراد منهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيأ وأن عبادتهم للطاغوت قبيحة والله تعالى لا يريد القبائح بل تقع في الوجود على خلاف مشيئته فلذلك اضطر الزمخشري الى تأويل الجعل بالخذلان أو بالحكم وكذلك أول قوله تعالى وجعلناهم أئمة يدعون الى النار بمعنى حكمنا عليهم بذلك هذا مقتضى قاعدة القدرية وأما على عقيدة أهل السنة الموحدين حقا فالآية على ظاهرها والله تعالى هو الذي أشقاهم وخلق في قلوبهم طاعة الطاغوت وعبادته ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن واذا رجع القدري في تحقيق الخذلان أو الحكم الذي

يستروح الى التأويل به لم يقدر منه على حقيقة ولم يفسره بغير الخلق ان اعترف بالحق وترك ارتكاب المراء والتذبذب مع الاهواء والله ولى التوفيق * قوله تعالى واذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به (قال المجروران حالان أى دخلوا كافرين الخ) قال أحمد وفى تصدير الجملة الثانية بالضمير تأكيد لاتحاد حالهم فى الكفر أى وقد دخلوا بالكفر وخرجوا وهم أولئك على حالهم فى الكفر كما تقول لقيت زيدا بعد عوده من سفره وهو هو أى على حاله وفى المثل وعبد الحميد عبد الحميد أى حالته باقية والله أعلم * قوله تعالى وترى كثيرا منهم يسارعون فى الاثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون (قال الاثم الكذب الخ) قال أحمد وقوله عن قولهم الاثم يدل على ان الاثم الاول مقول فيحتمل ان يكون المراد الكذب مطلقا و يحتمل أن يراد كلمة الشرك (٤٢٤) واستدلال الزمخشرى على ان المراد الكذب لا يتم وانما يدل على أنه مقول فيحتمل الامرين والله أعلم * عاد كلامه (قال جعلوا آثم من مرتكبي المناكير لان كل عامل الخ) قال أحمد يعنى انه لما عبر عن الواقع المذموم من مرتكبي المناكير بالعمل

والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان

فى قوله لبئس ما كانوا يعملون وعبر عن ترك الانكار عليهم حيث ذمه بالصناعة فى قوله لبئس ما كانوا يصنعون كان هذا الذم أشد لانه جعل المذموم عليه صناعة لهم وللرؤساء وحرفة لازمة هم فيها أمكن من اصحاب المناكير فى أعمالهم هذا مراده والله أعلم * قوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان الآية (قال غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود الخ) قال أحمد والنكتة فى استعمال هذا المجاز تصوير الحقيقة المعنوية بصورة حسية تلازمها غالبا ولا شئ أثبت من الصور الحسية فى الذهن فلما كان الجود والبخل معنيين لا يدركان بالحس بل لازمهما صورتان تدركان بالحس وهو بسط اليد للجود وقبضها للبخل عبر عنهما بلازمهما لفائدة الايضاح والانتقال من المعنويات الى المحسوسات والله أعلم * عاد كلامه (قال فان قلت قد صح أن قوله يد الله مغلولة عبارة عن البخل الخ) قال أحمد لقد ناقض فضيلته التى أوردها فى هذا الفصل بما ضمنه هذا السؤال والجواب من القاعدة الفاسدة فى ان الله تعالى يستحيل عليه أن يريد من عباده شيأ مما نعاه عليهم وبنى على ذلك استحالة أن يدعو عليهم بالبخل لانه لم يرده منهم ويستحيل أن يريده منهم فوجه هذا النص بالتأويل والتمسك بالاباطيل والحق ان الله يدعو عليهم بالبخل ودعاؤه عبارة عن خلقه الشح فى قلوبهم

وهى لاهله وفيه مبالغة ليست فى قولك أولئك شر وأضل لدخوله فى باب الكناية التى هى أخت المجاز * نزلت فى ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهرون له الايمان نفاقا فأخبره الله تعالى بشأنهم وأنهم يخرجون من مجلسك كما دخلوا لم يتعلق بهم شئ مما سمعوا به من تذكيرك بآيات الله ومواعظك * وقوله بالكفر وبه حالان أى دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وتقديره ملتبسين بالكفر * وكذلك قوله وقد دخلوا وهم قد خرجوا ولذلك دخلت قد تقريبا للماضى من الحال ولمعنى آخر وهو أن أمارات النفاق كانت لائحة عليهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متوقعا لاظهار الله ما كتموه فدخل حرف التوقع وهو متعلق بقوله قالوا آمنا أى قالوا ذلك وهذه حالهم * الاثم الكذب بدليل قوله تعالى عن قولهم الاثم (والعدوان) الظلم وقيل الاثم كلمة الشرك وقولهم عزير ابن الله وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعداهم الى غيرهم * والمسارعة فى الشئ الشروع فيه بسرعة (لبئس ما كانوا يصنعون) كأنهم جعلوا آثم من مرتكبي المناكير لان كل عامل لا يسمى صانعا ولا كل عمل يسمى صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرب وينسب اليه وكان المعنى فى ذلك أن مواقع المعصية معه الشهوة التى تدعوه اليها وتحمله على ارتكابها وأما الذى ينهاه فلا شهوة معه فى فعل غيره فاذا فرط فى الانكار كان أشد حالا من المواقع ولعمرى أن هذه الآية مما يقذ السامع وينعى على العلماء توانيهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى أشد آية فى القرآن وعن الضحاك ما فى القرآن آية أخوف عندى منها * غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ومنه قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولا يقصد من يتكلم به اثبات يد ولا غل ولا بسط ولا فرق عنده بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازا عنه لانهما كلامان معتقبان على حقيقة واحدة حتى انه يستعمله فى ملك لا يعطى عطاء قط ولا يمنعه الا باشارته من غير استعمال يد وبسطها وقبضها ولو أعطى الاقطع الى المنكب عطاء جزيلا لقالوا ما أبسط يده بالنوال لان بسط اليد وقبضها عبارتان وقعتا متعاقبتين للبخل والجود وقد استعملوهما حيث لا تصح اليد كقوله

جاد الحمى بسط اليدين بوابل * شكرت نداه تلاعه ووهاده

ولقد جعل لبيد للشمال يدا فى قوله * اذ أصبحت بيد الشمال زمامها * ويقال بسط اليأس كفيه فى صدرى فجعلت لليأس الذى هو من المعانى لا من الاعيان كفان ومن لم ينظر فى علم البيان عمى عن تبصر محجة الصواب فى تأويل أمثال هذه الآية ولم يتخلص من يد الطاعن اذا عبثت به (فان قلت) قد صح أن قولهم (يد الله مغلولة) عبارة عن البخل فما تصنع بقوله (غلت أيديهم) ومن حقه أن يطابق ما تقدمه والا تنافر

الكلام

والقبض في أيديهم فهو الداعي والخالق لا خالق الا هو يخلق لهم البخل ويتقدس عنه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فليت الزمخشري لم يتحدث في تفسير القرآن الا من حيث علم البيان فانه فيه أفرس الفرسان لا يجارى في ميدانه ولا يمارى في بيانه * عاد كلامه (قال فان قلت لم ثنيت اليد في بل يداه مبسوطتان وهي مفردة في قولهم يد الله الخ) قال أحمد ولما كان المعهود في العطاء أن يكون باحدى اليدين وهي اليمين وكان الغالب على اليهود لعنت اعتقاد الجسمية جاءت عبارتهم عن اليد الواحدة المألوف منها العطاء فبين الله تعالى كذبهم في الامرين في نسبة البخل وفي اضافته الى الواحدة تنزيلا منهم على اعتقاد الجسمية بان ينسب الى ذاته صفة الكرم المعبر عنها بالبسط وبان اضافه الى اليدين جميعا لان كلتا يديه يمين كما ورد في الحديث تنبيها على نفي الجسمية اذ لو كانت ثابتة جل الله عنها لكانت احدى اليدين يمينا والاخرى شمالا ضرورة فلما ثبت ان كلتيهما يمين نفى الجسمية وأضاف الكرم اليهما لا كما يضاف في الشاهد الى اليد اليمنى خاصة اذ الاخرى شمال

ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيآتهم ولأدخلناهم جنات النعيم ولو أنهم

الكلام وزل عن سننه (قلت) يجوز أن يكون معناه الدعاء عليهم بالبخل والنكد ومن ثم كانوا أبخل خلق الله وأنكدهم. ونحوه بيت الاشتر

بقيت وفري وانحرفت عن العلا * ولقيت أضيافي بوجه عبوس

ويجوز أن يكون دعاء عليهم بغل الايدي حقيقة يغلون في الدنيا أسارى وفي الآخرة معذبين بأغلال جهنم والطباق من حيث اللفظ وملاحظة أصل المجاز كما تقول سبني سب الله دابره أي قطعه لان السب أصله القطع (فان قلت) كيف جاز أن يدعو الله عليهم بما هو قبيح وهو البخل والنكد (قلت) المراد به الدعاء بالخذلان الذي تقسو به قلوبهم فيزيدون بخلا الى بخلهم ونكدا الى نكدهم أو بما هو مسبب عن البخل والنكد من لصوق العار بهم وسوء الاحدوثة التي تخزيهم وتمزق أعراضهم (فان قلت لم ثنيت اليد في قوله تعالى بل يداه مبسوطتان وهي مفردة في يد الله مغلولة (قلت) ليكون رد قولهم وانكاره أبلغ وأدل على اثبات غاية السخاء له ونفي البخل عنه وذلك أن غاية ما يبذله السخي بماله من نفسه أن يعطيه بيديه جميعا فبنى المجاز على ذلك * وقرئ ولعنوا بسكون العين. وفي مصحف عبد الله بل يداه بسطان يقال يده بسط بالمعروف ونحوه مشية سجح وناقة سرح (ينفق كيف يشاء) تأكيد للوصف بالسخاء ودلالة على أنه لا ينفق الا على مقتضى الحكمة والمصلحة روي أن الله تبارك وتعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس مالا فلما عصوا الله في محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوه كف الله تعالى ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء يد الله مغلولة ورضي بقوله الآخرون فأشركوا فيه (وليزيدن) أي يزدادون عند نزول القرآن لحسدهم تماديا في الجحود وكفرا بآيات الله (وألقينا بينهم العداوة) فكلمهم أبدا مختلف وقلوبهم شتى لا يقع اتفاق بينهم ولا تعاضد (كلما أوقدوا نارا) كلما أرادوا محاربة أحد غلبوا وقهروا ولم يقم لهم نصر من الله على أحد قط وقد أتاهم الاسلام وهم في ملك المجوس وقيل خالفوا حكم التوراة فبعث الله عليهم بختنصر ثم أفسدوا فسلط الله عليهم فطرس الرومي ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المجوس ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المسلمين وقيل كلما حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نصر عليهم وعن قتادة رضي الله عنه لا تلقى اليهود ببلدة الا وجدتهم من أذل الناس (ويسعون) ويجتهدون في الكيد للاسلام ومحو ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتبهم (ولو أن أهل الكتاب) مع ما عددنا من سيآتهم (آمنوا) برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به وقرنوا ايمانهم بالتقوى التي هي الشريطة في الفوز بالايمان (لكفرنا عنهم) تلك السيآت ولم نؤاخذهم بها (ولأدخلناهم) مع المسلمين الجنة وفيه اعلام بعظم معاصي اليهود والنصارى وكثرة سيآتهم ودلالة على سعة رحمة الله تعالى وفتحه باب التوبة على كل عاص وان عظمت معاصيه وبلغت مبالغ سيئات اليهود والنصارى وأن الايمان لا ينجي ولا يسعد الا مشفوعا بالتقوى كما قال الحسن هذا العمود فأين الاطناب (ولو أنهم

وليست محلا للتكريم والله أعلم * قوله تعالى ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيآتهم ولأدخلناهم جنات النعيم (قال فيه دليل على أن الايمان

لا ينجي الخ) قال أحمد هو ينتهز الفرصة من ظاهر هذه الآية فيجعلها دليلا على قاعدته في أن مجرد الايمان لا ينجي من الخلود في النار حتى ينضاف اليه التقوى لان الله تعالى جعل المجموع في هذه الآية شرط التكفير ولادخال الجنة وظاهره انهما ما لم يجتمعا لا يوجد تكفير ولا دخول الجنة وأنى له ذلك والاجماع والاتفاق من الفريقين أهل السنة والمعتزلة على ان مجرد الايمان يجب ما قبله ويمحوه كما ورد النص فلو فرضنا موت الداخل في الايمان عقيب دخوله فيه لكان كيوم ولدته أمه باتفاق مكفر الخطايا محكوما له بالجنة فدل ذلك على ان اجتماع الامرين ليس بشرط هذا ان كان المراد بالتقوى الاعمال وان كانت التقوى على أصل موضعها الخوف من الله عز وجل فهذا المعنى ثابت لكل مؤمن وان قارف الكبائر وحينئذ لا يتم للزمخشري منه غرض وما هذا الا الحاح ولجاج في مخالفة المعتقد المستفاد من قوله عليه الصلاة والسلام من قال لا اله الا الله دخل الجنة وان زنى أو سرق كررها النبي صلى الله عليه وسلم مرارا

ثم قال وان رغم أنف أبي ذر لمراجعه رضي الله عنه في ذلك ونحن نقول وان رغم أنف القدرية * قوله تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين (قال معناه بلغ غير مراقب في التبليغ أحدا ولا خائف أن ينالك مكروه وان لم تفعل معناه وان لم تبلغ جميعه كما أمرتك فما بلغت رسالته فلم تبلغ اذا ما كلفت من اداء الرسالة ولم تؤد منها شيأ قط وذلك ان بعضها ليس بأولى بالاداء من البعض فكأنك أغفلت اداءها جميعا كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لادلاء كل منها بما يدليه غيرها وكونها كذلك في حكم الشئ الواحد والشئ الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن الى أن قال فان قلت وقوع قوله ٤٣٦ فما بلغت رسالته جزاء الشرط ما وجه صحته قلت فيه وجهان أحدهما انه اذا لم تمتثل الخ قال أحمد وهذا الاتحاد بين الشرط والجزاء ظاهر الا ان حاصله ان لم تبلغ الرسالة لم تبلغ الرسالة باتحاد المبتدا والخبر حتى لا يزيد الخبر عليه شيأ في الظاهر كقوله أنا أبو النجم وشعري شعري

أقاموا التوراة والانجيل) أقاموا أحكامهما وحدودهما وما فيهما من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما أنزل اليهم) من سائر كتب الله لانهم مكلفون الايمان بجميعها فكأنها أنزلت اليهم وقيل هو القرآن لوسع الله عليهم الرزق وكانوا قد قحطوا وقوله (لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) عبارة عن التوسعة وفيه ثلاثة أوجه أن يفيض عليهم بركات السماء وبركات الارض وأن يكثر الاشجار المثمرة والزروع المغلة وأن يرزقهم الجنان اليانعة الثمار يجتنون ما تهدل منها من رؤس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الارض من تحت أرجلهم (منهم أمة مقتصدة) طائفة حالها أمم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هي الطائفة المؤمنة عبد الله بن سلام وأصحابه وثمانية وأربعون من النصارى و(ساء ما يعملون) فيه معنى التعجب كأنه قيل وكثير منهم ما أسوأ عملهم وقيل هم كعب بن الاشرف وأصحابه والروم (بلغ ما أنزل اليك) جميع ما أنزل اليك وأي شئ أنزل اليك غير مراقب في تبليغه أحدا ولا خائف أن ينالك مكروه (وان لم تفعل) وان لم تبلغ جميعه كما أمرتك (فما بلغت رسالته) وقرئ رسالاته فلم تبلغ اذا ما كلفت من أداء الرسالات ولم تؤد منها شيأ قط وذلك أن بعضها ليس بأولى بالاداء من بعض وان لم تؤد بعضها فكأنك أغفلت أداءها جميعا كما أن من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لادلاء كل منها بما يدليه غيرها وكونها كذلك في حكم شئ واحد والشئ الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن به وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان كتمت آية لم تبلغ رسالاتي وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا فأوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت (فان قلت) وقوع قوله فما بلغت رسالاته جزاء الشرط ما وجه صحته (قلت) فيه وجهان أحدهما انه اذا لم يمتثل أمر الله في تبليغ الرسالات وكتمها كلها كأنه لم يبعث رسولا كان أمرا شنيعا لاخفاء بشناعته فقيل ان لم تبلغ منها أدنى شئ وان كان كلمة واحدة فأنت كمن ركب الامر الشنيع الذي هو كتمان كلها كما عظم قتل النفس بقوله فكأنما قتل الناس جميعا والثاني أن يراد فان لم تفعل فلك ما يوجبه كتمان الوحي كله من العقاب فوضع السبب موضع المسبب ويعضده قوله عليه الصلاة والسلام فأوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك (والله يعصمك) عدة من الله بالحفظ والكلاءة والمعنى والله يضمن لك العصمة من أعدائك فما عذرك في مراقبتهم (فان قلت) أين ضمان العصمة وقد شج في وجهه يوم أحد وكسرت رباعيته صلوات الله عليه (قلت) المراد أنه يعصمه من القتل وفيه أن عليه أن يحتمل كل ما دون النفس في ذات الله فما أشد تكاليف الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل نزلت بعد يوم أحد والناس الكفار بدليل قوله (ان الله لا يهدي القوم الكافرين) ومعناه أنه لا يمكنهم مما يريدون انزاله بك من الهلاك وعن أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فأخرج رأسه من قبة أدم وقال انصرفوا أيها

أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين قل يا أهل الكتاب

بجعل الخبر عين المبتدا بلا مزيد في اللفظ وأراد وشعري شعري المشهور بلاغته والمستفيض فصاحته ولكنه أوهم بالسكوت عن هذه الصفات التي بها تحصل الفائدة انها من لوازم شعره في افهام الناس السامعين لاشتهاره بها وانه غني الناس عن ذكرها لشهرتها وذياعها وكذلك أريد في الآية لان عدم تبليغ الرسالة أمر معلوم عند الناس مستقر في الافهام انه عظيم شنيع ينقم على مرتكبه بل عدم نشر العلم من العالم أمر فظيع فضلا عن كتمان الرسالة من الرسول فاستغني عن ذكر الزيادات التي يتفاوت بها الشرط والجزاء للصوقها بالجزاء في الافهام وان كل من سمع عدم تبليغ الرسالة فهم ما وراءه من الوعيد والتهديد وحسن هذا الاسلوب في الكتاب العزيز بذكر الشرط عاما بقوله وان لم تفعل ولم يقل فان لم تبلغ الرسالة فما بلغت الرسالة حتى يكون اللفظ متغايرا وهذه المغايرة اللفظية وان كان المعنى واحدا أحسن رونقا وأظهر طلاوة من تكرار اللفظ الواحد في الشرط والجزاء وهذه الذروة انحط عنها أبو النجم بذكر المبتدا بلفظ الخبر وحق له ان تتضاءل فصاحته عند فصاحة المعجز فلا يعاب عليه في ذلك وهذا الفصل كالإباب من علم البيان والله الموفق

وقوله تعالى ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى الآية (قال فيه الصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف الخ) قال أحمد صدق لا ورود للسؤال بهذا التوجيه ولكن ثم سؤال متوجه وهو أن يقال لو عطف الصابئين ونصبه كما قرأ ابن كثير لافاد أيضا دخولهم في جملة المتوب عليهم ولفهم من تقديم ذكرهم على النصارى ما يفهم من الرفع من ان هؤلاء الصابئين وهم أوغل الناس في الكفر يتاب عليهم فما الظن بالنصارى ولكان الكلام جملة واحدة بليغا مختصرا ٤٢٧ والعطف افرادى فلم عدل الى الرفع وجعل الكلام جملتين وهل يمتاز بفائدة على النصب والعطف الافرادى ويجاب عن هذا السؤال بانه لو نصبه وعطفه لم يكن فيه افهام خصوصية لهذا الصنف لان الاصناف كلها معطوف بعضها على بعض عطف المفردات وهذا الصنف من جملتها والخبر عنها واحد وأما مع الرفع فينقطع عن العطف الافرادى وتبقى بقية الاصناف مخصصة بالخبر المعطوف به ويكون خبر هذا الصنف المنفرد بمعزل تقديره مثلا والصابئون كذلك فيجىء كأنه مقيس على بقية الاصناف وملحق بها وهو بهذه المثابة لانهم لما استقر بعد الاصناف من قبول التوبة فكانوا أحقاء بجعلهم تبعا وفرعا مشبهين بمن هم أقعد منهم بهذا الخبر وفائدة التقديم على الخبر أن يكون توسط هذا المبتدا المحذوف الخبر بين الجزئين أدل على الخبر المحذوف من ذكره بعد تقضى الكلام وتمامه والله أعلم

لستم على شئ حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون لقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل وأرسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم

الناس فقد عصمنى الله من الناس (لستم على شئ) أى على دين يعتد به حتى يسمى شيأ لفساده وبطلانه كما تقول هذا ليس بشئ تريد تحقيره وتصغير شأنه وفى أمثالهم أقل من لا شئ (فلا تأس) فلا تتأسف عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم فان ضرر ذلك راجع اليهم لا اليك وفى المؤمنين غنى عنهم (والصابئون) رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما فى حيز ان من اسمها وخبرها كأنه قيل ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك وأنشد سيبويه شاهدا له

والا فاعلموا أنا وأنتم * بغاة ما بقينا فى شقاق

أى فاعلموا أنا بغاة وأنتم كذلك (فان قلت) هلا زعمت أن ارتفاعه للعطف على محل ان واسمها (قلت) لا يصح ذلك قبل الفراغ من الخبر لا تقول ان زيدا وعمرو منطلقان (فان قلت) لم لا يصح والنية به التأخير فكأنك قلت ان زيدا منطلق وعمرو (قلت) لانى اذا رفعته رفعته عطفا على محل ان واسمها والعامل فى محلهما هو الابتداء فيجب أن يكون هو العامل فى الخبر لان الابتداء ينتظم الجزأين فى عمله كما تنتظمهما ان فى عملها فلو رفعت الصابئون المنوى به التأخير بالابتداء وقد رفعت الخبر بان لاعملت فيهما رافعين مختلفين (فان قلت) فقوله والصابئون معطوف لا بد له من معطوف عليه فما هو (قلت) هو مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله ان الذين آمنوا الخ ولا محل لها كما لا محل للتى عطفت عليها (فان قلت) ما التقديم والتأخير الا لفائدة فما فائدة هذا التقديم (قلت) فائدته التنبيه على أن الصابئين يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح فما الظن بغيرهم وذلك أن الصابئين أبين هؤلاء المعدودين ضلالا وأشدهم غيا وما سموا صابئين الا لانهم صبؤا عن الاديان كلها أى خرجوا كما أن الشاعر قدم قوله وأنتم تنبيها على أن المخاطبين أوغل فى الوصف بالبغاة من قومه حيث عاجل به قبل الخبر الذى هو بغاة لئلا يدخل قومه فى البغى قبلهم مع كونهم أوغل فيه منهم وأثبت قدما (فان قلت) فلو قيل والصابئين وايا كم لكان التقديم حاصلا (قلت) لو قيل هكذا لم يكن من التقديم فى شئ لانه لا ازالة فيه عن موضعه وانما يقال مقدم ومؤخر للمزال لا للقار فى مكانه ومجرى هذه الجملة مجرى الاعتراض فى الكلام (فان قلت) كيف قال الذين آمنوا ثم قال (من آمن) (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يراد بالذين آمنوا الذين آمنوا بألسنتهم وهم المنافقون وأن يراد بمن آمن من ثبت على الايمان واستقام ولم يخالجه ريبة فيه (فان قلت) ما محل من آمن (قلت) اما الرفع على الابتداء وخبره (فلا خوف عليهم) والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط ثم الجملة كما هى خبر ان واما النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه أو من المعطوف عليه (فان قلت) فأين الراجع الى اسم ان (قلت) هو محذوف تقديره من آمن منهم كما جاء فى موضع آخر وقرئ والصابيون بياء صريحة وهو من تخفيف الهمزة كقراءة من قرأ يستهزيون والصابون وهو من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات فى دينهم ولم يتبعوا أدلة العقل والسمع وفى قراءة أبى رضى الله عنه والصابئين بالنصب وبها قرأ ابن كثير وقرأ عبد الله يا أيها الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون (لقد أخذنا) ميثاقهم بالتوحيد (وأرسلنا اليهم رسلا) ليقفوهم على ما يأتون وما يذرون فى دينهم (كلما جاءهم رسول) جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع محذوف أى رسول منهم (بما لا تهوى أنفسهم)

* قوله تعالى وأرسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون (قال ان قلت أين جواب الشرط الخ) قال أحمد ومما يدل على حذف الجواب أنه جاء ظاهرا في الآية الأخرى وهي توأمة هذه قوله تعالى أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون فأوقع قوله استكبرتم جوابا ثم فسر استكبارهم وصنيعهم بالأنبياء بقتل البعض وتكذيب البعض ولو قدر الزمخشري ههنا الجواب المحذوف مثل المنطوق به في أخت الآية فقال وأرسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم

عما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكاليف والعمل بالشرائع (فان قلت) أين جواب الشرط فان قوله (فريقا كذبوا وفريقا يقتلون) ناب عن الجواب لان الرسول الواحد لا يكون فريقين ولانه لا يحسن أن تقول ان أكرمت أخي أخاك أكرمت (قلت) هو محذوف يدل عليه قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون كأنه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه وقوله فريقا كذبوا جواب مستأنف لقائل يقول كيف فعلوا برسلهم (فان قلت) لم جيء بأحد الفعلين ماضيا وبالآخر مضارعا (قلت) جيء يقتلون على حكاية الحال الماضية استفظاعا للقتل واستحضارا لتلك الحال الشنيعة للتعجيب منها وقرئ أن لا يكون بالنصب على الظاهر وبالرفع على أن هي المخففة من الثقيلة أصله أنه لا يكون فتنة فخففت أن وحذف ضمير الشأن (فان قلت) كيف دخل فعل الحسبان على أن التي للتحقيق (قلت) نزل حسبانهم لقوته في صدورهم منزلة العلم (فان قلت) فأين مفعولا حسب (قلت) سد ما يشتمل عليه صلة أن وأن من المسند والمسند اليه مسد المفعولين والمعنى وحسب بنو اسرائيل أنه لا يصيبهم من الله فتنة أي بلاء وعذاب في الدنيا والآخرة (فعموا) عن الدين (وصموا) حين عبدوا العجل ثم تابوا عن عبادة العجل (فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا) كرة ثانية بطلبهم المحال غير المعقول في صفات الله وهو الرؤية وقرئ عموا وصموا بالضم على تقدير عماهم الله وصمهم أي رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال نزكته اذا ضربته بالنيزك وركبته اذا ضربته بركبتك (كثير منهم) بدل من الضمير أو على قولهم أكلوني البراغيث أو هو خبر مبتدأ محذوف أي أولئك كثير منهم * لم يفرق عيسى عليه الصلاة والسلام بينه وبينهم في أنه عبد مربوب كمثلهم وهو احتجاج على النصارى (انه من يشرك بالله) في عبادته أو فيما هو مختص به من صفاته أو أفعاله (فقد حرم الله عليه الجنة) التي هي دار الموحدين أي حرمه دخولها ومنعه منه كما يمنع المحرم من المحرم عليه (وما للظالمين من أنصار) من كلام الله على أنهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما يقولوا على عيسى عليه السلام فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم ورده وأنكره وان كانوا معظمين له بذلك ورافعين من مقداره أو من قول عيسى عليه السلام على معنى ولا ينصركم أحد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول أو ولا ينصركم ناصر في الآخرة من عذاب الله * من في قوله (وما من اله الا اله واحد) للاستغراق وهي المقدرة مع لا التي لنفي الجنس في قولك لا اله الا الله والمعنى وما اله قط في الوجود الا اله موصوف بالوحدانية لا ثاني له وهو الله وحده لا شريك له ومن في قوله (ليمسن الذين كفروا منهم) للبيان كالتي في قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الأوثان (فان قلت) فهلا قيل ليمسنهم عذاب أليم (قلت) في اقامة الظاهر مقام المضمر فائدة وهي تكرير الشهادة عليهم بالكفر في قوله لقد كفر الذين قالوا وفي البيان فائدة أخرى وهي الاعلام في تفسير الذين كفروا منهم أنهم بمكان من الكفر والمعنى ليمسن الذين كفروا من النصارى خاصة (عذاب أليم) أي نوع شديد الألم من العذاب كما تقول أعطني عشرين من الثياب تريد من الثياب خاصة لا من غيرها من الأجناس التي يجوز أن يتناولها عشرون ويجوز أن تكون للتبعيض على معنى ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم لان كثيرا منهم تابوا من النصرانية (أفلا يتوبون) ألا يتوبون بعد هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه وفيه تعجيب من اصرارهم (والله غفور رحيم) يغفر لهؤلاء ان تابوا ولغيرهم (قد خلت من قبله الرسل) صفة لرسول أي ما هو الا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاء بآيات من الله كما أتوا بأمثالها ان أبرأ الله الأبرص وأحيا الموتى على يده فقد أحيا العصا وجعلها حية تسعى وفلق بها البحر وطمس على يد موسى وان خلقه من

فريقا كذبوا وفريقا يقتلون وحسبوا أن لا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل

رسول بما لا تهوى أنفسهم استكبر والمكان أولى لدلالة مثله عليه * عاد كلامه (قال فان قلت لم جيء بأحد الفعلين ماضيا الخ) قال أحمد أو يكون حالا على حقيقته لانهم داروا حول قتل محمد عليه أفضل الصلاة والسلام غير وقد قيل هذا الوجه في أخت هذه الآية في البقرة وقد مضى وجه اقتضاء صيغة الفعل المضارع لاستحضاره دون الماضي وتمثيله بقوله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة فعدل عن فأصبحت الى فتصبح تصويرا للحال واستحضارا لها في ذهن السامع ومنه

بأني قد لقيت الغول تهوي * بسهب كالصحيفة صحصحان
فآخذه فأضربه فخرت * صريعا لليدين وللجران

وأمثاله كثيرة والله أعلم * قوله تعالى انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون (قال فان قلت ما معنى التراخي في قوله ثم انظر الخ) قال أحمد ومنه ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وقوله فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر وهي في سائر هذه المواضع منقولة من التراخي الزماني الى التراخي المعنوي في المراتب * قوله تعالى يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل (قال معناه لا تغلوا في دينكم غلوا باطلا الخ) قال أحمد يعني بأهل العدل والتوحيد المعتزلة ويعني بغلوهم الذي هو حق عنده انهم غلوا في التوحيد فجحدوا الصفات الالهية وغلوا في التعديل ٤٣٩ فنفوا أكثر الافعال بل كلها عن أن تكون مخلوقة لله تعالى لانطوائها في مفاسد ولان الله تعالى يعاقب على ما هو قبيح منها والعدل عندهم أن لا يعاقب على فعل خالقه فهذا غلوهم في التعديل وهو كما ترى انه كاسد عن التوحيد لانهم جعلوا كل مخلوق من الحيوانات خالقا فالنصارى غلوا فأشركوا ثلاثة والمعتزلة كما رأيت أشركوا كل أحد بل غير الآدميين في الخلق الذي هو خاص بالرب ويعني الزمخشري بأهل البدع والاهواء من عدا الطائفة المذكورة ويعني بغلوهم الباطل اثبات الصفات لله تعالى وتوحيده على الحق حتى لا خالق سواه ولا مخلوق الا بقدرته وقد ترضى عن شيعته واخوانه وسكت عن ذكر من عداهم ونحن نقول اللهم ارض عمن هو أحق الطوائف برضاك وهذه دعوة أيضا بلا خلاف والله الموفق

وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون

غير ذكر فقد خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى (وأمه صديقة) أي وما أمه أيضا الا صديقة كبعض النساء المصدقات للانبياء المؤمنات بهم فما منزلتهما الا منزلة بشرين أحدهما نبي والآخر صحابي فمن أين اشتبه عليكم أمرهما حتى وصفتموهما بما لم يوصف به سائر الانبياء وصحابتهم مع أنه لا تميز ولا تفاوت بينهما وبينهم بوجه من الوجوه * ثم صرح ببعدهما عما نسب اليهما في قوله (كانا يأكلان الطعام) لان من احتاج الى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنفض لم يكن الا جسما مركبا من عظم ولحم وعروق وأعصاب وأخلاط وأمزجة مع شهوة وقرم وغير ذلك مما يدل على أنه مصنوع مؤلف مدبر كغيره من الاجسام (كيف نبين لهم الآيات) أي الاعلام من الادلة الظاهرة على بطلان قولهم (أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله (فان قلت) ما معنى التراخي في قوله ثم انظر (قلت) معناه ما بين العجبين يعني أنه بين لهم الآيات بيانا عجيبا وأن اعراضهم عنها أعجب منه (ما لا يملك) هو عيسى أي شيأ لا يستطيع أن يضركم بمثل ما يضركم به الله من البلايا والمصائب في الانفس والاموال ولا أن ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من صحة الابدان والسعة والخصب ولان كل ما يستطيعه البشر من المضار والمنافع فباقدار الله وتمكينه فكأنه لا يملك منه شيأ وهذا دليل قاطع على أن أمره مناف للربوبية حيث جعله لا يستطيع ضرا ولا نفعا وصفة الرب أن يكون قادرا على كل شئ لا يخرج مقدور عن قدرته (والله هو السميع العليم) متعلق بأتعبدون أي أتشركون بالله ولا تخشونه وهو الذي يسمع ما تقولون ويعلم ما تعتقدون أو أتعبدون العاجز والله هو السميع العليم الذي يصح منه أن يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم ولن يكون كذلك الا وهو حي قادر (غير الحق) صفة للمصدر أي لا تغلوا في دينكم غلوا غير الحق أي غلوا باطلا لان الغلو في الدين غلوان غلو حق وهو أن يفحص عن حقائقه ويفتش عن أباعد معانيه ويجتهد في تحصيل حججه كما يفعل المتكلمون من أهل العدل والتوحيد رضوان الله عليهم وغلو باطل وهو أن يتجاوز الحق ويتخطاه بالاعراض عن الادلة واتباع الشبه كما يفعل أهل الاهواء والبدع (قد ضلوا من قبل) هم أئمتهم في النصرانية كانوا على الضلال قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم (وأضلوا كثيرا) ممن شايعهم على التثليث (وضلوا) لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم (عن سواء السبيل) حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه * نزل الله لعنهم في الزبور (على لسان داود) وفي الانجيل على لسان عيسى وقيل ان أهل ايلة لما اعتدوا في السبت قال داود عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة ولما كفر أصحاب عيسى عليه السلام بعد المائدة قال عيسى عليه السلام اللهم عذب من كفر بعد ما أكل من المائدة عذابا لم تعذبه أحدا من العالمين والعنهم كما لعنت أصحاب السبت فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبي (ذلك بما عصوا) أي لم يكن ذلك اللعن الشنيع الذي كان سبب المسخ الا لاجل المعصية والاعتداء لا لشئ آخر ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله (كانوا لا يتناهون) لا ينهى بعضهم بعضا (عن منكر فعلوه) ثم قال (لبئس ما كانوا يفعلون) للتعجب من سوء فعلهم مؤكدا لذلك بالقسم فيا حسرة على المسلمين في اعراضهم عن باب التناهي عن المناكير وقلة عبئهم به كأنه ليس من ملة الاسلام في شئ مع

قوله تعالى لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون (قال ان قلت كيف وقع ترك التناهي الخ) قال أحمد وفي هذا التوبيخ الاخبار بأمرين قبيحين أحدهما بانهم كانوا يفعلون المناكر والآخر انهم كانوا تاركين للنهي عنها أي عن أمثالها في المستقبل ولولا زيادة فعلوه لما صرح بوقوعها منهم ولكان المصرح به ترك النهي عن المنكر عند استحقاق النهي وذلك حين الاشراف على تعاطيه وظهور الامارات الدالة عليه فانتظم ثبوت الامرين جميعا على أخصر وجه وأبلغه وقد دلت هذه الآية على المذهب الصحيح الاشعري من ان متعلق النهي فعل وهو الترك خلافا لابي هاشم المعتزلي في قوله ان متعلقه نفي محض وعدم صرف ووجه دلالة الآية على ان متعلقه فعل أنه عبر عن ترك التناهي الذي وقع توبيخهم عليه بالفعل حيث قال لبئس ما كانوا يفعلون أي لبئس الترك للتناهي فعلا كما تقول زيد بئس الرجل فتجعل الرجل واقعا على زيد وقد سمى تركهم النهي عن المنكر في الآية السالفة قبل هذه صنعا فقال لولا ينهاهم الربانيون والاحبار الى قوله لبئس ما كانوا يصنعون وذلك أبلغ في الدلالة على ان متعلق النهي أمر ثابت اذ الصنع أمكن من الفعل في الدلالة على الاثبات وقد مر هذا التقرير والله

ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة

ما يتلون من كلام الله وما فيه من المبالغات في هذا الباب (فان قلت) كيف وقع ترك التناهي عن المنكر تفسيرا للمعصية والاعتداء (قلت) من قبل أن الله تعالى أمر بالتناهي فكان الاخلال به معصية وهو اعتداء لان في التناهي حسما للفساد فكان تركه على عكسه (فان قلت) ما معنى وصف المنكر بفعلوه ولا يكون النهي بعد الفعل (قلت) معناه لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه أو عن مثل منكر فعلوه أو عن منكر أرادوا فعله كما ترى أمارات الخوض في الفسق وآلاته تسوى وتهيأ فتنكر ويجوز أن يراد لا ينتهون ولا يمتنعون عن منكر فعلوه بل يصرون عليه ويداومون على فعله يقال تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع منه وتركه (ترى كثيرا منهم) هم منافقو أهل الكتاب كانوا يوالون المشركين ويصافونهم (أن سخط الله عليهم) هو المخصوص بالذم ومحله الرفع كأنه قيل لبئس زادهم الى الآخرة سخط الله عليهم والمعنى موجب سخط الله (ولو كانوا يؤمنون) ايمانا خالصا غير نفاق ما اتخذوا المشركين (أولياء) يعني أن موالاة المشركين كفى بها دليلا على نفاقهم وأن ايمانهم ليس بايمان (ولكن كثيرا منهم فاسقون) متمردون في كفرهم ونفاقهم وقيل معناه ولو كانوا يؤمنون بالله وموسى كما يدعون ما اتخذوا المشركين أولياء كما لم يوالهم المسلمون * وصف الله شدة شكيمة اليهود وصعوبة اجابتهم الى الحق ولين عريكة النصارى وسهولة ارعوائهم وميلهم الى الاسلام وجعل اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين بل نبه على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على الذين أشركوا وكذلك فعل في قوله ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا ولعمري انهم لكذلك وأشد وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما خلا يهوديان بمسلم الا هما بقتله * وعلل سهولة مأخذ النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين (بأن منهم قسيسين ورهبانا) أي علماء وعبادا (وأنهم) قوم فيهم تواضع واستكانة ولا كبر فيهم واليهود على خلاف ذلك وفيه دليل بين على أن التعلم أنفع شئ وأهداه الى الخير وأدله على الفوز حتى علم القسيسين وكذلك علم الآخرة والتحدث بالعاقبة وان كان في راهب والبراءة من الكبر وان كانت في نصراني * ووصفهم الله برقة القلوب وأنهم يبكون عند استماع القرآن وذلك نحو ما يحكى عن النجاشي رضي الله عنه أنه قال لجعفر ابن أبي طالب حين اجتمع في مجلسه المهاجرون الى الحبشة والمشركون لعنوا وهم يغرونه عليهم ويتطلبون عنتهم عنده هل في كتابكم ذكر مريم قال جعفر فيه سورة تنسب اليها فقرأها الى قوله ذلك عيسى بن مريم وقرأ سورة طه الى قوله وهل أتاك حديث موسى فبكى النجاشي وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم سبعون رجلا حين قرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس فبكوا

الموافق * قوله تعالى لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون (قال وصف الله تعالى شدة شكيمة اليهود وصعوبة اجابتهم الخ) قال أحمد وانما قال الذين قالوا انا نصارى ولم يقل النصارى تعريضا بصلابة اليهود في الكفر والامتناع من الامتثال للامر لان اليهود قيل لهم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فقابلوا ذلك بأن قالوا اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون والنصارى قالوا نحن أنصار الله ومن ثم سموا انصارى وكذلك (فان أ) صدر أول هذه السورة ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأسند ذلك الى قولهم والاشارة به الى قولهم نحن أنصار الله لكنه ههنا ذكرته بها على انهم لم يثبتوا على الميثاق ولا على ما قالوه من أنهم أنصار الله وفي الآية الثانية ذكر تنبيها على انهم أقرب حالا من اليهود لانهم لما ورد عليهم الامر لم يكافحوه بالرد مكافحة اليهود بل قالوا نحن أنصار الله واليهود قالت فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون فهذا سره والله أعلم

*عاد كلامه (قال ان قلت ما معنى قوله ترى أعينهم تفيض من الدمع الخ) قال أحمد وهذه العبارة من أبلغ العبارات وأنهاها وهى ثلاث مراتب فالاولى فاض دمع عينه وهذا هو الاصل والثانية محولة من هذه وهى قول القائل فاضت عينه دمعا حولت الفعل الى العين مجازا ومبالغة ثم نبهت على الاصل والحقيقة بنصب ما كان فاعلا على التمييز والثالثة فيها ٤٣١ هذا التحويل المذكور وهى الواردة فى الآية الا أنه أبلغ من الثانية باطراح المنبهة على الاصل وعدم نصب التمييز وابرازه فى صورة التعليل والله أعلم وانما كان الكلام مع التعليل أبعد عن الاصل منه مع التمييز لان التمييز مثله فى قد استقر كونه فاعلا فى الاصل فى مثل تصبب زيد عرقا وتفقأ عمرو شحما واشتعل الرأس شيبا وتفجرت الارض عيونا فاذا قلت فاضت عينه دمعا فهم هذا الاصل فى العادة فى أمثاله وأما التعليل فلم يعهد فيه ذلك الاتراك تقول فاضت عينه من ذكر الله كما تقول فاضت عينه من الدمع فلا يفهم التعليل ما يفهم التمييز والله الموفق

(فان قلت) بم تعلقت اللام فى قوله (للذين آمنوا) (قلت) بعداوة ومودة على أن عداوة اليهود التى اختصت المؤمنين أشد العداوات وأظهرها وأن مودة النصارى التى اختصت المؤمنين أقرب المودات وأدناها وجودا وأسهلها حصولا ووصف اليهود بالعداوة والنصارى بالمودة مما يؤذن بالتفاوت ثم وصف العداوة والمودة بالاشد والاقرب (فان قلت) ما معنى قوله (تفيض من الدمع) (قلت) معناه تمتلئ من الدمع حتى تفيض لان الفيض أن يمتلئ الاناء أو غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه فوضع الفيض الذى هو من الامتلاء موضع الامتلاء وهو من اقامة المسبب مقام السبب أو قصدت المبالغة فى وصفهم بالبكاء فجعلت أعينهم كأنها تفيض بأنفسها أى تسيل من الدمع من أجل البكاء من قولك دمعت عينه دمعا (فان قلت) أى فرق بين من ومن فى قوله (مما عرفوا من الحق) (قلت) الاولى لابتداء الغاية على أن فيض الدمع ابتدئ ونشأ من معرفة الحق وكان من أجله وبسببه والثانية لتبيين الموصول الذى هو ما عرفوا وتحتمل معنى التبعيض على أنهم عرفوا بعض الحق فأبكاهم وبلغ منهم فكيف اذا عرفوه كله وقرؤا القرآن وأحاطوا بالسنة *وقرئ ترى أعينهم على البناء للمفعول (ربنا آمنا) المراد به انشاء الايمان والدخول فيه (فاكتبنا مع الشاهدين) مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم شهداء على سائر الامم يوم القيامة لتكونوا شهداء على الناس وقالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم فى الانجيل كذلك (وما لنا لا نؤمن بالله) انكار استبعاد لانتفاء الايمان مع قيام موجبه وهو الطمع فى انعام الله عليهم بصحبة الصالحين وقيل لما رجعوا الى قومهم لاموهم فأجابوهم بذلك أو أرادوا وما لنا لا نؤمن بالله وحده لانهم كانوا مثلثين وذلك ليس بايمان بالله ومحل لا نؤمن النصب على الحال بمعنى غير مؤمنين كقولك ما لك قائما والواو فى (ونطمع) واو الحال (فان قلت) ما العامل فى الحال الاولى والثانية (قلت) العامل فى الاولى ما فى اللام من معنى الفعل كأنه قيل أى شئ حصل لنا غير مؤمنين وفى الثانية معنى هذا الفعل ولكن مقيدا بالحال الاولى لانك لو أزلتها وقلت وما لنا ونطمع لم يكن كلاما ويجوز أن يكون ونطمع حالا من لا نؤمن على أنهم أنكروا على نفوسهم أنهم لا يوحدون الله ويطمعون مع ذلك أن يصحبوا الصالحين وأن يكون معطوفا على لا نؤمن على معنى وما لنا نجمع بين التثليث وبين الطمع فى صحبة الصالحين أو على معنى وما لنا لا نجمع بينهما بالدخول فى الاسلام لان الكافر ما ينبغى له أن يطمع فى صحبة الصالحين *وقرأ الحسن فآتاهم الله (بما قالوا) بما تكلموا به عن اعتقاد واخلاص من قولك هذا قول فلان أى اعتقاده وما يذهب اليه (طيبات ما أحل الله لكم) ما طاب ولذ من الحلال ومعنى لا تحرموا لا تمنعوها أنفسكم كمنع التحريم أو لا تقولوا حرمناها على أنفسنا مبالغة منكم فى العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيامة يوما لاصحابه فبالغ وأشبع الكلام فى الانذار فرقوا واجتمعوا فى بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على أن لا يزالوا صائمين قائمين وأن لا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا فى الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم انى لم أومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا فانى أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم وآتى النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى ونزلت وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل الدجاج والفالوذ وكان يعجبه الحلواء والعسل وقال ان المؤمن حلو يحب الحلاوة وعن ابن مسعود أن رجلا قال له انى حرمت الفراش فتلا هذه الآية وقال نم على فراشك وكفر عن يمينك وعن الحسن أنه دعى الى طعام ومعه فرقد السبخى وأصحابه فقعدوا على المائدة وعليها الالوان من الدجاج المسمن والفالوذ وغير ذلك فاعتزل فرقد ناحية فسأل الحسن أهو صائم قالوا لا

للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فأثابهم الله بما قالوا جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم

ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم اذا حلفتم واحفظوا أيمانكم

ولكنه يكره هذه الالوان فأقبل الحسن عليه وقال يافريقد أترى لعاب النحل بلباب البر بخالص السمن يعيبه مسلم وعنه أنه قيل له فلان لا يأكل الفالوذ ويقول لا أؤدى شكره قال أفيشرب الماء البارد قالوا نعم قال انه جاهل ان نعمة الله عليه فى الماء البارد أكثر من نعمته عليه فى الفالوذ وعنه ان الله تعالى أدب عباده فأحسن أدبهم قال الله تعالى لينفق ذو سعة من سعته ما عاب الله قوما وسع عليهم الدنيا فتنعموا وأطاعوا ولا عذر قوما زواها عنهم فعصوه (ولا تعتدوا) ولا تتعدوا حدود ما أحل الله لكم الى ما حرم عليكم أو ولا تسرفوا فى تناول الطيبات أو جعل تحريم الطيبات اعتداء وظلما فنهى عن الاعتداء ليدخل تحته النهى عن تحريمها دخولا أوليا لوروده على عقبه أو أراد ولا تعتدوا بذلك (وكلوا مما رزقكم الله) أى من الوجوه الطيبة التى تسمى رزقا (حلالا) حال مما رزقكم الله (واتقوا الله) تأكيد للتوصية بما أمر به وزاده تأكيدا بقوله (الذى أنتم به مؤمنون) لان الايمان به يوجب التقوى فى الانتهاء الى ما أمر به وعما نهى عنه * اللغو فى اليمين الساقط الذى لا يتعلق به حكم واختلف فيه فعن عائشة رضى الله عنها أنها سئلت عنه فقالت هو قول الرجل لا والله بلى والله وهو مذهب الشافعى وعن مجاهد هو الرجل يحلف على الشئ يرى أنه كذلك وليس كما ظن وهو مذهب أبى حنيفة رحمه الله (بما عقدتم الايمان) بتعقيدكم الايمان وهو توثيقها بالقصد والنية وروى أن الحسن رضى الله عنه سئل عن لغو اليمين وكان عنده الفرزدق فقال يا أبا سعيد دعنى أجب عنك فقال

ولست بمأخوذ بلغو تقوله * اذا لم تعمد عاقدات العزائم

وقرئ عقدتم بالتخفيف وعاقدتم والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم فحذف وقت المؤاخذة لانه كان معلوما عندهم أو بنكث ما عقدتم فحذف المضاف (فكفارته) فكفارة نكثه والكفارة الفعلة التى من شأنها أن تكفر الخطيئة أى تسترها (من أوسط ما تطعمون) من أقصده لان منهم من يسرف فى اطعام أهله ومنهم من يقتر وهو عند أبى حنيفة رحمه الله نصف صاع من بر أو صاع من غيره لكل مسكين أو يغديهم ويعشيهم وعند الشافعى رحمه الله مد لكل مسكين * وقرأ جعفر بن محمد أهاليكم بسكون الياء والاهالى اسم جمع لاهل كالليالى فى جمع ليلة والاراضى فى جمع أرض وقولهم أهلون كقولهم أرضون بسكون الراء وأما تسكين الياء فى حال النصب فللتخفيف كما قالوا رأيت معديكرب تشبيها للياء بالالف (أو كسوتهم) عطف على محل من أوسط وقرئ بضم الكاف ونحوه قدوة فى قدوة وأسوة فى اسوة والكسوة ثوب يغطى العورة وعن ابن عباس رضى الله عنه كانت العباءة تجزئ يومئذ وعن ابن عمر ازار أو قميص أو رداء أو كساء وعن مجاهد ثوب جامع وعن الحسن ثوبان أبيضان وقرأ سعيد بن المسيب واليمانى أو كاسوتهم بمعنى أو مثل ما تطعمون أهليكم اسرافا كان أو تقتيرا لا تنقصونهم عن مقدار نفقتهم ولكن تساوون بينهم وبينهم (فان قلت) ما محل الكاف (قلت) الرفع تقديره أو طعامهم كاسوتهم بمعنى كمثل طعامهم ان لم يطعموهم الاوسط (أو تحرير رقبة) شرط الشافعى رحمه الله الايمان قياسا على كفارة القتل وأما أبو حنيفة وأصحابه فقد جوزوا تحرير الرقبة الكافرة فى كل كفارة سوى كفارة القتل (فان قلت) ما معنى أو (قلت) التخيير وايجاب احدى الكفارات الثلاث على الاطلاق بأيتها أخذ المكفر فقد أصاب (فمن لم يجد) احداها (فصيام ثلاثة أيام) متتابعات عند أبى حنيفة رحمه الله تمسكا بقراءة أبى وابن مسعود رضى الله عنهما فصيام ثلاثة أيام متتابعات وعن مجاهد كل صوم متتابع الا قضاء رمضان ويخير فى كفارة اليمين (ذلك) المذكور (كفارة أيمانكم) ولو قيل تلك كفارة أيمانكم لكان صحيحا بمعنى تلك الاشياء أو لتأنيث الكفارة والمعنى (اذا حلفتم) وحنثتم فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بان الكفارة انما تجب بالحنث فى الحلف لا بنفس الحلف والتكفير قبل الحنث لا يجوز عند أبى حنيفة وأصحابه ويجوز عند الشافعى بالمال اذا لم يعص الحانث (واحفظوا أيمانكم) فبروا فيها ولا تحنثوا أراد الايمان التى

* قوله تعالى ذلك كفارة أيمانكم اذا حلفتم (قال المشار اليه هو المذكور فيما تقدم ولو قيل الخ) قال أحمد بل فى هذه الآية وجه لطيف المأخذ فى الدلالة على صحة وقوع الكفارة بعد اليمين وقبل الحنث وهو المشهور من مذهب مالك وبيان الاستدلال بها انه جعل ما بعد الحلف ظرفا لوقوع الكفارة المعتبرة شرعا حيث أضاف اذا الى مجرد الحلف وليس فى الآية ايجاب الكفارة حتى يقال قد اتفق على انها انما تجب بالحنث فتعين تقديره مضافا الى الحلف بل انما نطقت بشرعية الكفارة ووقوعها على وجه الاعتبار اذ لا يعطى قوله ذلك كفارة أيمانكم ايجابا انما يعطى صحة واعتبارا والله أعلم وهذا انتصار على من منع التكفير قبل الحنث مطلقا وان كانت اليمين على بر والاقوال الثلاثة فى مذهب مالك الا أن القول المنصور هو المشهور * عاد كلامه (قال واحفظوا أيمانكم أى فبروا فيها الخ) قال أحمد وفى هذا التأويل اشعار بان الشارع فى صورة اليمين بعد تحقق أصلها يشدد عليه ويؤاخذ بالاحوط فارشده الله الى حفظ اليمين لئلا يفضى أمره الى

أن يلزم في ظاهر الامر على وجه الاحتياط مالم يصدر منه في علم الله تعالى كالذي يحلف بالطلاق وينسى هل قيده بالثلاث مثلا أو أطلقه فيلزمه الثلاث على المذهب المشهور ويحتمل أن يكون في علم الله تعالى انه انما حلف بالطلاق مطلقا فارشد الى الحفظ لئلا يجره النسيان الى هذا التشديد والمراد بالايمان كل ما ينطلق عليه يمين سواء كان حلفا بالله أو بغيره مما يلزم في الشرع حكما والله أعلم

* قوله تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه (٤٣٢) لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة

التي الحنث فيها معصية لان الايمان اسم جنس يجوز اطلاقه على بعض الجنس وعلى كله وقيل احفظوها بان تكفروها وقيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا بها (كذلك) مثل ذلك البيان (يبين الله لكم آياته) أعلام شريعته وأحكامه (لعلكم تشكرون) نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه * أكد تحريم الخمر والميسر وجوها من التأكيد منها تصدير الجملة بانما ومنها انه قرنهما بعبادة الاصنام ومنه قوله عليه الصلاة والسلام شارب الخمر كعابد الوثن ومنها أنه جعلهما رجسا كما قال تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان ومنها انه جعلهما من عمل الشيطان والشيطان لا يأتي منه الا الشر البحت ومنها أنه أمر بالاجتناب ومنها انه جعل الاجتناب من الفلاح واذا كان الاجتناب فلاحا كان الارتكاب خيبة ومحقة ومنها انه ذكر ما ينتج منهما من الوبال وهو وقوع التعادي والتباغض من أصحاب الخمر والقمر وما يؤديان اليه من الصد عن ذكر الله وعن مراعاة أوقات الصلاة وقوله (فهل أنتم منتهون) من أبلغ ما ينهى به كانه قيل قد تلي عليكم ما فيهما من أنواع الصوارف والموانع فهل أنتم مع هذه الصوارف منتهون أم أنتم على ما كنتم عليه كان لم توعظوا ولم تزجروا (فان قلت) الام يرجع الضمير في قوله فاجتنبوه (قلت) الى المضاف المحذوف كانه قيل انما شأن الخمر والميسر أو تعاطيهما أو ما أشبه ذلك ولذلك قال رجس من عمل الشيطان (فان قلت) لم جمع الخمر والميسر مع الانصاب والازلام أولا ثم أفردهما آخرا (قلت) لان الخطاب مع المؤمنين وانما نهاهم عما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر وذكر الانصاب والازلام لتأكيد تحريم الخمر والميسر واظهار ان ذلك جميعا من أعمال الجاهلية وأهل الشرك فوجب اجتنابه باسره وكانه لا مباينة بين من عبد صنما وأشرك بالله في علم الغيب وبين من شرب خمرا أو قامر ثم أفردهما بالذكر ليرى ان المقصود بالذكر الخمر والميسر * وقوله وعن الصلاة اختصاص للصلاة من بين الذكر كانه قيل وعن الصلاة خصوصا (واحذروا) وكونوا حذرين خاشين لانهم اذا حذروا دعاهم الحذر الى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة ويجوز أن يراد واحذروا ما عليكم في الخمر والميسر أو في ترك طاعة الله والرسول (فان توليتم فاعلموا) انكم لم تضروا بتوليكم الرسول لان الرسول ما كلف الا البلاغ المبين بالآيات وانما ضررتم أنفسكم حين أعرضتم عما كلفتم * رفع الجناح عن المؤمنين في أي شئ طعموه من مستلذات المطاعم ومشتهياتها (اذا ما اتقوا) ما حرم عليهم منها (وآمنوا) وثبتوا على الايمان والعمل الصالح وازدادوه (ثم اتقوا وآمنوا) ثم ثبتوا على التقوى والايمان (ثم اتقوا وأحسنوا) ثم ثبتوا على اتقاء المعاصي وأحسنوا أعمالهم أو أحسنوا الى الناس واسوهم بما رزقهم الله من الطيبات وقيل لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون مال الميسر فنزلت يعني ان المؤمنين لا جناح عليهم في أي شئ طعموه من المباحات اذا ما اتقوا المحارم ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا على معنى ان أولئك كانوا على هذه الصفة ثناء عليهم وحمدا لاحوالهم في الايمان والتقوى والاحسان ومثاله ان يقال لك هل على زيد فيما فعل جناح فتقول وقد علمت أن ذلك أمر مباح ليس على أحد جناح في المباح اذا اتقى المحارم وكان مؤمنا محسنا تريد ان زيدا تقي مؤمن محسن وانه غير مؤاخذ بما فعل * نزلت

كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فان توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشئ من الصيد تناله أيديكم ورماحكم

والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون (قال أكد الله تحريم الخمر والميسر وجوها من التأكيد منها الخ (قال أحمد ويجوز عود الضمير الى الرجس الذي انطوى على سائر ما ذكر والله أعلم * عاد كلامه (قال فان قلت لم جمع الخمر والميسر مع الانصاب الخ) قال أحمد ويرشد الى ان المقصود الخمر والميسر خاصة لانهم انما كانوا يتعاطونهما خاصة الآية الاخرى وهي قوله يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما فخصهما بالذكر ولم يثبت النهي عنهما فلذلك ورد أن قوما تركوهما لما فيهما من الاثم وقوما بقوا على تعاطيهما لما فيهما من المنافع ثم نزلت هذه الآية جازمة بالنهي والله أعلم

• قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشئ من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم (قال ان قلت ما معنى (٤٣٤) التقليل والتصغير الخ) قال أحمد وقد وردت هذه الصيغة بعينها فى الفتن العظيمة فى قوله تعالى ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين فلا شك فى عظم هذه البلايا والمحن التى يستحق الصابر عليها أن يبشر لانه صبر على عظيم فقول الزمخشرى

ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم

اذ انه قلل وصغر تنبيها على ان هذه الفتنة ليست من الفتن العظام مدفوع باستعمالها مع الفتن المتفق على عظمها والظاهر والله أعلم أن المراد عما أشعر به اللفظ من التقليل والتصغير التنبيه على أن جميع ما يقع الابتلاء به من هذه البلايا بعض من كل بالنسبة الى مقدور الله تعالى وانه تعالى قادر على أن يكون ما يبلوهم به من ذلك أعظم مما يقع وأهول وانه مهما اندفع عنهم مما هو أعظم فى المقدور فانما يدفعه عنهم الى ما هو أخف وأسهل لطفا بهم ورحمة ليكون هذا التنبيه باعثا لهم على الصبر وحاملا على الاحتمال والذى يرشد الى ان هذا مراد أن سبق التوعد بذلك لم يكن الا ليكونوا متوطنين على ذلك عند وقوعه فيكون أيضا باعثا على تحمله لان مفاجأة المكروه بغتة أصعب والانذار به قبل وقوعه مما يسهل موقعه وحاصل ذلك لطف ذوا

عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وهم محرمون وكثر عندهم حتى كان يغشاهم فى رحالهم فيستمكنون من صيده أخذا بأيديهم وطعنا برماحهم (ليعلم الله من يخافه بالغيب) ليتميز من يخاف عقاب الله وهو غائب منتظر فى الآخرة فيتقى الصيد ممن لا يخافه فيقدم عليه (فمن اعتدى) فصاد (بعد ذلك) الابتلاء فالوعيد لاحق به (فان قلت) ما معنى التقليل والتصغير فى قوله بشئ من الصيد (قلت) قلل وصغر ليعلم انه ليس بفتنة من الفتن العظام التى تدحض عندها أقدام الثابتين كالابتلاء ببذل الارواح والاموال وانما هو شبيه بما ابتلى به أهل ايلة من صيد السمك وانهم اذا لم يثبتوا عنده فكيف شأنهم عند ما هو أشد منه وقرأ ابراهيم يناله بالياء (حرم) محرمون جمع حرام كردح فى جمع رداح • والتعمد أن يقتله وهو ذاكر لاحرامه أو عالم ان ما يقتله مما يحرم عليه قتله فان قتله وهو ناس لاحرامه أو رمى صيدا وهو يظن أنه ليس بصيد فاذا هو صيد أو قصد برميه غير صيد فعدل السهم عن رميته فأصاب صيدا وهو مخطئ (فان قلت) فمحظورات الاحرام يستوى فيها العمد والخطأ فما بال التعمد مشروطا فى الآية (قلت) لان مورد الآية فيمن تعمد فقد روى انه عن لهم فى عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه أبو اليسر فطعنه برمحه فقتله فقيل له انك قتلت الصيد وأنت محرم فنزلت ولان الاصل فعل التعمد والخطأ لاحق به للتغليظ ويدل عليه قوله تعالى ليذوق وبال أمره ومن عاد فينتقم الله منه وعن الزهرى نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطا وعن سعيد بن جبير لا أرى فى الخطا شيأ أخذا باشتراط العمد فى الآية وعن الحسن روايتان (فجزاء مثل ما قتل) برفع جزاء ومثل جميعا بمعنى فعليه جزاء يماثل ما قتل من الصيد وهو عند أبى حنيفة قيمة الصيد يقوم حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدى تخير بين ان يهدى من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين أن يشترى بقيمته طعاما فيعطى كل مسكين نصف صاع من بر أو صاعا من غيره وان شاء صام عن طعام كل مسكين يوما فان فضل ما لا يبلغ طعام مسكين صام عنه يوما أو تصدق به وعند محمد والشافعى رحمهما الله مثله نظيره من النعم فان لم يوجد له نظير من النعم عدل الى قول أبى حنيفة رحمه الله (فان قلت) فما يصنع من يفسر المثل بالقيمة بقوله (من النعم) وهو تفسير للمثل وبقوله هديا بالغ الكعبة (قلت) قد خير من أوجب القيمة بين أن يشترى بها هديا أو طعاما أو يصوم كما خير الله تعالى فى الآية فكان قوله من النعم بيانا للهدى المشترى بالقيمة فى أحد وجوه التخيير لان من قوم الصيد واشترى بالقيمة هديا فأهداه فقد جزى بمثل ما قتل من النعم على ان التخيير الذى فى الآية بين أن يجزى فى الهدى أو يكفر بالاطعام أو بالصوم انما يستقيم استقامة ظاهرة بغير تعسف اذا قوم ونظر بعد التقويم أى الثلاثة يختار فاما اذا عمد الى النظير وجعله الواجب وحده من غير تخيير فاذا كان شيأ لا نظير له قوم حينئذ ثم يخير بين الاطعام والصوم ففيه نبو عما فى الآية ألا ترى الى قوله تعالى أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما كيف خير بين الاشياء الثلاثة ولا سبيل الى ذلك الا بالتقويم • وقرأ عبد الله فجزاؤه مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل على الاضافة وأصله فجزاء مثل ما قتل بنصب مثل بمعنى فعليه أن يجزى مثل ما قتل ثم أضيف كما تقول عجبت من ضرب زيدا ثم من ضرب زيد وقرأ السلمى على الاصل وقرأ محمد بن مقاتل فجزاء مثل ما قتل بنصبهما بمعنى فليجز جزاء مثل ما قتل • وقرأ الحسن من النعم بسكون العين استثقل الحركة على حرف الحلق فسكنه (يحكم به) بمثل ما قتل (ذوا عدل منكم) حكمان عادلان من المسلمين قالوا وفيه دليل على ان المثل القيمة لان التقويم مما يحتاج الى النظر والاجتهاد دون الاشياء المشاهدة وعن قبيصة انه أصاب ظبيا وهو محرم فسأل عمر فشاور عبد الرحمن بن عوف ثم أمره بذبح شاة فقال قبيصة لصاحبه والله ما علم أمير المؤمنين حتى سأل غيره فأقبل عليه ضربا بالدرة وقال أتغمص الفتيا وتقتل الصيد وأنت محرم قال الله تعالى يحكم به

ذوا عدل منكم فأنا عمر وهذا عبد الرحمن وقرأ محمد بن جعفر ذو عدل منكم أراد يحكم به من يعدل منكم ولم يرد
الوحدة وقيل أراد الامام (هديا) حال عن جزاء فيمن وصفه بمثل لان الصفة خصصته فقربته من المعرفة أو
بدل عن مثل فيمن نصبه أو عن محله فيمن جره ويجوز أن ينتصب حالا عن الضمير في به * ووصف هديا (بالغ
الكعبة) لان اضافته غير حقيقية ومعنى بلوغه الكعبة أن يذبح بالحرم فأما التصدق به فحيث شئت عند أبي
حنيفة وعند الشافعي في الحرم (فان قلت) بم يرفع (كفارة) من ينصب جزاء (قلت) يجعلها خبر مبتدا محذوف
كانه قيل أو الواجب عليه كفارة أو يقدر فعليه ان يجزى جزاء أو كفارة فيعطفها على أن يجزى وقرئ أو كفارة
طعام مساكين على الاضافة وهذه الاضافة مبينة كانه قيل أو كفارة من طعام مساكين كقولك خاتم فضة
بمعنى خاتم من فضة وقرأ الاعرج أو كفارة طعام مسكين وانما وحد لانه واقع موقع التبيين فاكتفى بالواحد
الدال على الجنس * وقرئ أو عدل ذلك بكسر العين والفرق بينهما ان عدل الشئ ما عادله من غير جنسه
كالصوم والاطعام وعدله ما عدل به في المقدار ومنه عدلا الحمل لان كل واحد منهما عدل بالآخر حتى اعتدلا
كان المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول به كالذبح ونحوه ونحوهما الحمل والحمل و (ذلك) اشارة
الى الطعام و (صياما) تمييز للعدل كقولك لى مثله رجلا والخيار في ذلك الى قاتل الصيد عند أبي حنيفة وأبي
يوسف وعند محمد الى الحكمين (ليذوق) متعلق بقوله فجزاء أي فعليه ان يجازى أو يكفر ليذوق سوء عاقبة
هتكه لحرمة الاحرام * والوبال المكروه والضرر الذي يناله في العاقبة من عمل سوء لثقله عليه كقوله تعالى
فأخذناه أخذا وبيلا ثقيلا والطعام الوبيل الذي يثقل على المعدة فلا يستمرأ (عفا الله عما سلف) لكم من
الصيد في حال الاحرام قبل ان تراجعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسألوه عن جوازه وقيل عما سلف لكم
في الجاهلية منه لانهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها محرما (ومن عاد) الى قتل الصيد وهو
محرم بعد نزول النهى (فينتقم الله منه) ينتقم خبر مبتدا محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت
الفاء ونحوه فمن يؤمن بربه فلا يخاف يعني ينتقم منه في الآخرة واختلف في وجوب الكفارة على العائد فعن
عطاء وابراهيم وسعيد بن جبير والحسن وجوبها وعليه عامة العلماء وعن ابن عباس وشريح انه لا كفارة عليه
تعلقا بالظاهر وانه لم يذكر الكفارة (صيد البحر) مصيدات البحر مما يؤكل ومما لا يؤكل (وطعامه) وما يطعم
من صيده والمعنى أحل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر وأحل لكم أكل المأكول منه وهو السمك وحده
عند أبي حنيفة وعند ابن أبي ليلى جميع ما يصاد منه على ان تفسير الآية عنده أحل لكم صيد حيوان البحر
وان تطعموه (متاعا لكم) مفعول له أي أحل لكم تمتيعا لكم وهو في المفعول له بمنزلة قوله تعالى ووهبنا له
اسحق ويعقوب نافلة في باب الحال لان قوله متاعا لكم مفعول له مختص بالطعام كما أن نافلة حال مختصة
بيعقوب يعني أحل لكم طعامه تمتيعا لتنائكم ٣ يأكلونه طريا ولسيارتكم يتزودونه قديدا كما تزود موسى عليه
السلام الحوت في مسيره الى الخضر عليهما السلام * وقرئ وطعمه * وصيد البر ما صيد فيه وهو ما يفرخ فيه
وان كان يعيش في الماء في بعض الاوقات كطير الماء عند أبي حنيفة واختلف فيه فمنهم من حرم على المحرم كل
شئ يقع عليه اسم الصيد وهو قول عمر وابن عباس وعن أبي هريرة وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير انهم أجازوا
للمحرم أكل ما صاده الحلال وان صاده لاجله اذا لم يدل ولم يشر وكذلك ما ذبحه قبل احرامه وهو مذهب أبي
حنيفة وأصحابه رحمهم الله وعند مالك والشافعي وأحمد رحمهم الله لا يباح له ما صيد لاجله (فان قلت) ما يصنع
أبو حنيفة بعموم قوله صيد البر (قلت) قد أخذ أبو حنيفة رحمه الله بالمفهوم من قوله (وحرم عليكم صيد البر ما
دمتم حرما) لان ظاهره انه صيد المحرمين دون صيد غيرهم لانهم هم المخاطبون فكانه قيل وحرم عليكم ما صدتم
في البر فيخرج منه مصيد غيرهم ومصيدهم حين كانوا غير محرمين ويدل عليه قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا
لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم وقرأ ابن عباس رضي الله عنه وحرم عليكم صيد البر أي الله عز وجل وقرئ ما دمتم بكسر
الدال فيمن يقول دام يدام (البيت الحرام) عطف بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح كما تجيء الصفة كذلك

هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة البيت الحرام

في القضاء فسبحان اللطيف بعباده واذا فكر العاقل فيما يبتلى به من أنواع البلايا وجد المندفع عنه منها أكثر الى ما لا يقف عند غاية فنسأل الله العفو والعافية واللطف في المقدور * قوله تعالى وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما (قال اختلف في المراد بالتحريم الخ) قال أحمد وتخصيص عموم الآية لازم على كلا الطائفتين لان مالكا رضي الله عنه يجيز أكل المحرم لصيد البر اذا صاده حلال لنفسه أو لحلال فلابد اذا على مذهبه من تخصيص العموم المخصوص غاية ذلك ان صورة التخصيص على مذهب أبي حنيفة

---

٣ قوله (لتنائكم) التناء كرمان المقيمون جمع تانئ من تنأ بالمكان أقام اه سعد زاده

تكون أكثر منها على مذهب مالك لانه يجيز أكل ما صاده الحلال من أجل المحرم كما نقله عنه فيزيد على مذهب مالك بهذه الصورة والله أعلم * قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد الآية (قال معنى قياما للناس انتعاشا لهم في أمر دينهم ودنياهم الخ) قال أحمد وفي هذه الآية ما يبعد تأويلا من التأويلات الثلاثة المذكورة في قوله أول هذه السورة لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد فان حمل القلائد ثم على ظاهرها وتأويل صرف الاحلال الى مواقعها من المقلد كقوله ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها يريد مواقع الزينة والنهي عن احلال القلائد يشبه كأنه قال لا تحلوا القلائد ها نضلا عن أنها متعذر في هذه الآية لانها وردت في سياق الامتنان بما جعله الله قياما للناس من هذه الامور المعدودة وقد خص المنة بالبدن في قوله والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير الآية ولا يليق بسياق الامتنان الخروج من الاعلى الى الادنى حتى يقع الامتنان بالقلائد ثم بالقلائد بل ذلك لائق في سياق النهي ان يخرج من النهي عن الاعلى الى التشديد بالنهي عن الادنى وأما التأويل الآخر وهو بقاء القلائد على قيتها وصرف الاحلال المنهي عنه لها حقيقة أي لا تتعرضوا القلائد ولا تنتفعوا بها كما قال عليه الصلاة والسلام ألق قلائدها في دمها وخل بين الناس وبينها فمتعذر أيضا بما بعده الذي قبله وأما التأويل الثالث وهو حملها على ذوات القلائد فلائق بالاثنين فتعين المصير اليه ومن ثم لم يذكر الزمخشري في هذه الآية سواه

ووجه صلاحيته وظهوره فيهما ان الغرض في سياق النهي افراده بالذكر وتخصيصه بالنهي بعد ان اندرج مع غيره في النهي ١٣ فكأنه نهي عنه لخصوصيته مرتين والغرض في سياق الامتنان أيضا ذلك وهو تكرير المنة به مندرجا في العموم ومخصوصا بالذكر وأيضا يليق في الامتنان الترقي من الادنى الى الاعلى بخلاف النهي والله أعلم * قوله تعالى قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث الآية (قال البون بين الخبيث والطيب بعيد عند الله الخ) قال أحمد رحمه الله وقد ثبت شرعا ان أكثر أهل الجنة من هذه الامة وقد اعترف القدرية انهم قليل فيها وشذوذ بالنسبة الى من عداهم من الطوائف والامر بهذه المثابة وهم أيضا يعتقدون انهم الفرقة الناجية الموعودون بالجنة لا غيرهم اذ كل من عداهم على طمعهم الفاسد مخلد في النار مع الكفار فعلى هذا تكون هذه الطائفة الشاذة القليلة أكثر أهل الجنة وحاشا الله أن يستمر ذلك على عقل عاقل محصل مطلع على ما ورد في السنن من الآثار المكافحة لهذا الظن الفاسد بالرد والتكذيب ومن هم المعتزلة حتى يتراخى طمعهم على هذا الحد وهذا الاستنباط الذي استنبطه الزمخشري من أن المراد بالطيب هذا النفر المعتزلي من قبيل قول بان المراد في قوله تعالى لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير أهل الحديث وأصحاب الرأي يعني الفقهاء وقد أغلظ في تدبيره هذه الآية على من قال ذلك وعده من البدع وها هو قد ابتدع قريبا منه في حمله الطيب في هذه الآية على الفريق المعتزلي بل ولله شر من تلك البلة لانه حمل الخبيث على من عداهم من الطوائف السنية نعوذ بالله من ذلك ونبرأ من تجريه

قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض وأن الله بكل شيء عليم اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الالباب لعلكم تفلحون يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم

(قياما للناس) انتعاشا لهم في أمر دينهم ودنياهم ونهوضا الى أغراضهم ومقاصدهم في معاشهم ومعادهم لما يتم لهم من أمر حجهم وعمرتهم وتجارتهم وأنواع منافعهم وعن عطاء بن أبي رباح لو تركوه عاما واحدا لم ينظروا ولم يؤخروا (والشهر الحرام) الشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لان لاختصاصه من بين الاشهر باقامة موسم الحج فيه شأنا قد عرفه الله تعالى وقيل عنى به جنس الاشهر الحرم (والهدى والقلائد) والمقلد منه خصوصا وهو البدن لان الثواب فيه أكثر وبهاء الحج معه أظهر (ذلك) اشارة الى جعل الكعبة قياما للناس أو الى ما ذكر من حفظ حرمة الاحرام بترك الصيد وغيره (لتعلموا أن الله يعلم) كل شيء وهو عالم بما يصلحكم وما ينعشكم مما أمركم به وكلفكم (شديد العقاب) لمن انتهك محارمه (غفور رحيم) لمن حافظ عليها (ما على الرسول الا البلاغ) تشديد في ايجاب القيام بما أمر به وأن الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم في التفريط * البون بين الخبيث والطيب بعيد عند الله تعالى وان كان قريبا عندكم فلا تعجبوا بكثرة الخبيث حتى تؤثروه لكثرته على القليل الطيب فان ما تتوهمونه في الكثرة من الفضل لا يوازي النقصان في الخبث وفوات الطيب وهو عام في حلال المال وحرامه وصالح العمل وطالحه وصحيح المذاهب وفاسدها وجيد الناس ورديهم (فاتقوا الله) وآثروا الطيب وان قل على الخبيث وان كثر ومن حق هذه الآية أن تكفح بها وجوه المجبرة اذا افتخروا بالكثرة كما قيل

وكاثر بسعد ان سعدا كثيرة * ولا ترج من سعد وفاء ولا نصرا

وكما قيل

لا يدهمنك من دهمائهم عدد * فان جلهم بل كلهم بقر

وقيل نزلت في حجاج اليمامة حين أراد المسلمون أن يوقعوا بهم فنهوا عن الايقاع بهم وان كانوا مشركين * الجملة الشرطية والمعطوفة عليها أعني قوله (ان تبد لكم تسؤكم وان تسئلوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم) صفة للاشياء والمعنى لا تكثروا مسئلة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تسألوه عن تكاليف شاقة عليكم ان أفتاكم

بها أو كلفكم إياها فتغمكم وتشق عليكم وتندموا على السؤال عنها وذلك نحو ما روي أن سراقة بن مالك أو عكاشة
بن محصن قال يا رسول الله الحج علينا كل عام فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أعاد مسئلته
ثلاث مرات فقال صلى الله عليه وسلم ويحك ما يؤمنك أن أقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت
ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم
فإذا أمرتكم بأمر فخذوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه (وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن)
وإن تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة في زمان الوحي وهو ما دام الرسول بين أظهركم يوحى إليه * تبد لكم
تلك التكاليف الصعبة التي تسوءكم وتؤمروا بتحملها فتعرضون أنفسكم لغضب الله بالتفريط فيها (عفا الله
عنها) عفا الله عما سلف من مسئلتكم فلا تعودوا إلى مثلها (والله غفور حليم) لا يعاجلكم فيما يفرط منكم
بعقوبته (فإن قلت) كيف قال لا تسألوا عن أشياء ثم قال (قد سألها) ولم يقل قد سأل عنها (قلت) الضمير في
سألها ليس براجع إلى أشياء حتى تجب تعديته بعن وإنما هو راجع إلى المسئلة التي دل عليها لا تسألوا يعني قد
سأل قوم هذه المسئلة من الأولين (ثم أصبحوا بها) أي بمرجوعها أو بسببها (كافرين) وذلك أن بني إسرائيل
كانوا يستفتون أنبياءهم عن أشياء فإذا أمروا بها تركوها فهلكوا * كان أهل الجاهلية إذا نتجت الناقة خمسة
أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها أي شقوها وحرموا ركوبها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى وإذا لقيها المعيي لم يركبها
واسمها البحيرة وكان يقول الرجل إذا قدمت من سفري أو برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في
تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل إذا أعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث وإذا ولدت الشاة
أنثى فهي لهم وإن ولدت ذكرا فهو لآلهتهم فإن ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم
وإذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا
مرعى ومعنى (ما جعل) ما شرع ذلك ولا أمر بالتبحير والتسييب وغير ذلك * ولكنهم بتحريمهم ما حرموا
(يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون) فلا ينسبون التحريم إلى الله حتى يفتروا ولكنهم يقلدون في
تحريمها كبارهم * الواو في قوله (أولو كان آباؤهم) واو الحال قد دخلت عليها همزة الإنكار وتقديره أحسبهم
ذلك ولو كان آباؤهم (لا يعلمون شيئا ولا يهتدون) والمعنى أن الاقتداء إنما يصح بالعالم المهتدي وإنما يعرف
اهتداؤه بالحجة * كان المؤمنون تذهب أنفسهم حسرة على أهل العتو والعناد من الكفرة يتمنون دخولهم
في الإسلام فقيل لهم (عليكم أنفسكم) وما كلفتم من إصلاحها والمشي بها في طرق الهدى (لا يضركم) الضلال
عن دينكم إذا كنتم مهتدين كما قال عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام فلا تذهب نفسك عليهم حسرات
وكذلك من يتأسف على ما فيه الفسقة من الفجور والمعاصي ولا يزال يذكر معايبهم ومناكيرهم فهو مخاطب
به وليس المراد ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن من تركهما مع القدرة عليهما فليس بمهتد وإنما هو
بعض الضلال الذين فصلت الآية بينهم وبينه وعن ابن مسعود أنها قرئت عنده فقال إن هذا ليس بزمانها
إنها اليوم مقبولة ولكن يوشك أن يأتي زمان تأمرون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم أنفسكم فهي على هذا تسلية
لمن يأمر وينهى فلا يقبل منه وبسط لعذره وعنه ليس هذا زمان تأويلها قيل فمتى قال إذا جعل دونها السيف
والسوط والسجن وعن أبي ثعلبة الخشني أنه سئل عن ذلك فقال للسائل سألت عنها خبيرا سألت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عنها فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا ما رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا
ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك ودع أمر العوام وإن من ورائكم أياما الصبر فيهن كقبض
على الجمر للعامل منهم مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله وقيل كان الرجل إذا أسلم قالوا له سفهت آباءك
ولاموه فنزلت عليكم أنفسكم عليكم من أسماء الفعل بمعنى الزموا إصلاح أنفسكم ولذلك جزم جوابه وعن نافع
عليكم أنفسكم بالرفع * وقرئ لا يضركم وفيه وجهان أن يكون خبرا مرفوعا وتنصره قراءة أبي حيوة لا يضيركم
وأن يكون جوابا للأمر مجزوما وإنما ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة إليها من الراء المدغمة والأصل
لا يضرركم ويجوز أن يكون نهيا ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره * ارتفع اثنان

وإن تسألوا عنها حين
ينزل القرآن تبد لكم
عفا الله عنها والله غفور
حليم قد سألها قوم من
قبلكم ثم أصبحوا بها
كافرين ما جعل الله
من بحيرة ولا سائبة ولا
وصيلة ولا حام ولكن
الذين كفروا يفترون
على الله الكذب وأكثرهم
لا يعقلون وإذا قيل لهم
تعالوا إلى ما أنزل الله
وإلى الرسول قالوا حسبنا
ما وجدنا عليه آباءنا
أولو كان آباؤهم لا يعلمون
شيئا ولا يهتدون يا أيها
الذين آمنوا عليكم
أنفسكم لا يضركم من
ضل إذا اهتديتم إلى الله
مرجعكم جميعا فينبئكم
بما كنتم تعملون يا أيها
الذين آمنوا

على السلف والخلف

على أنه خبر للمبتدا الذى هو (شهادة بينكم) على تقدير شهادة بينكم شهادة اثنين أو على أنه فاعل شهادة بينكم على معنى فيما فرض عليكم أن يشهد اثنان وقرأ الشعبي شهادة بينكم بالتنوين وقرأ الحسن شهادة بالنصب والتنوين على ليقم شهادة اثنان واذا حضر ظرف للشهادة وحين الوصية بدل منه وفى ابداله منه دليل على وجوب الوصية وانها من الامور اللازمة التى ما ينبغى أن يتهاون بها مسلم ويذهل عنها وحضور الموت مشارفته وظهور أمارات بلوغ الاجل (منكم) من أقاربكم و(من غيركم) من الاجانب (ان أنتم ضربتم فى الارض) يعنى ان وقع الموت فى السفر ولم يكن معكم أحد من عشيرتكم فاستشهدوا أجنبيين على الوصية وجعل الاقارب أولى لانهم أعلم بأحوال الميت وبما هو أصلح وهم له أنصح وقيل منكم من المسلمين ومن غيركم من أهل الذمة وقيل هو منسوخ لا تجوز شهادة الذمى على المسلم وانما جازت فى أول الاسلام لقلة المسلمين وتعذر وجودهم فى حال السفر وعن مكحول نسخها قوله تعالى وأشهدوا ذوى عدل منكم وروى انه خرج بديل بن أبى مريم مولى عمرو بن العاص وكان من المهاجرين مع عدى ابن زيد وتميم بن أوس وكانا نصرانيين تجارا الى الشام فمرض بديل وكتب كتابا فيه ما معه وطرحه فى متاعه ولم يخبر به صاحبيه وأمرهما أن يدفعا متاعه الى أهله ومات ففتشا متاعه فأخذا اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فأصاب أهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (تحبسونهما) تقفونهما وتصبرونهما للحلف (من بعد الصلاة) من بعد صلاة العصر لانه وقت اجتماع الناس وعن الحسن بعد صلاة العصر أو الظهر لان أهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وفى حديث بديل انها لما نزلت صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ودعا بعدى وتميم فاستحلفهما عند المنبر فحلفا ثم وجد الاناء بمكة فقالوا انا اشتريناه من تميم وعدى وقيل هى صلاة أهل الذمة وهم يعظمون صلاة العصر (ان ارتبتم) اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى ان ارتبتم فى شأنهما واتهمتموهما فحلفوهما وقيل ان أريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين وان أريد الوصيان فليس بمنسوخ تحليفهما وعن على رضى الله عنه انه كان يحلف الشاهد والراوى اذا اتهمهما * والضمير فى (به) للقسم وفى (كان) للمقسم له يعنى لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضا من الدنيا أى لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال ولو كان من نقسم له قريبا منا على معنى ان هذه عادتهم فى صدقهم وأمانتهم أبدا وانهم داخلون تحت قوله تعالى كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين (شهادة الله) أى الشهادة التى أمر الله بحفظها وتعظيمها وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على طرح حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروى عنه بغير مد على ما ذكر سيبويه أن منهم من يحذف حرف القسم ولا يعوض منه همزة الاستفهام فيقول الله لقد كان كذا * وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة وطرح حركتها على اللام وادغام نون من فيها كقوله عاد لولى (فان قلت) ما موقع تحبسونهما (قلت) هو استئناف كلام كأنه قيل بعد اشتراط العدالة فيهما فكيف نعمل ان ارتبنا بهما فقيل تحبسونهما (فان قلت) كيف فسرت الصلاة بصلاة العصر وهى مطلقة (قلت) لما كانت معروفة عندهم بالتحليف بعدها أغنى ذلك عن التقييد كما لو قلت فى بعض أئمة الفقه اذا صلى أخذ فى الدرس علم أنها صلاة الفجر ويجوز أن تكون اللام للجنس وأن يقصد بالتحليف على أثر الصلاة أن تكون الصلاة لطفا فى النطق بالصدق وناهية عن الكذب والزور ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر (فان عثر) فان اطلع (على انهما استحقا اثما) أى فعلا ما أوجب اثما واستوجبا أن يقال انهما لمن الآثمين (فآخران) فشاهدان آخران (يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم) أى من الذين استحق عليهم الاثم ومعناه من الذين جنى عليهم وهم أهل الميت وعشيرته وفى قصة بديل أنه لما ظهرت خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته أنه اناء صاحبهما وان شهادتهما أحق من شهادتهما و(الاوليان) الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وارتفاعهما على هما الاوليان كأنه قيل ومن هما فقيل الاوليان وقيل هما بدل من الضمير فى يقومان أو من آخران ويجوز أن يرتفعا باستحق أى من الذين استحق عليهم انتداب الاوليين منهم للشهادة لاطلاعهم على حقيقة

شهادة بينكم اذا حضر
أحدكم الموت حين الوصية
اثنان ذوا عدل منكم
أو آخران من غيركم ان
أنتم ضربتم فى الارض
فأصابتكم مصيبة
الموت تحبسونهما من
بعد الصلاة فيقسمان
بالله ان ارتبتم لا نشترى
به ثمنا ولو كان ذا قربى
ولا نكتم شهادة الله انا
اذا لمن الآثمين فان عثر
على أنهما استحقا اثما
فآخران يقومان
مقامهما من الذين
استحق عليهم الاوليان
فيقسمان بالله لشهادتنا
أحق من شهادتهما
وما اعتدينا انا اذا لمن
الظالمين

الحال * وقرئ الأولين على أنه وصف للذين استحق عليهم مجرور أو منصوب على المدح ومعنى الأولية التقدم على الأجانب في الشهادة لكونهم أحق بها وقرئ الأولين على التثنية وانتصابه على المدح وقرأ الحسن الأولان ويحتج به من يرى رد اليمين على المدعي وأبو حنيفة وأصحابه لا يرون ذلك فوجهه عندهم أن الورثة قد ادعوا على النصرانيين أنهما قد اختانا فحلفا فلما ظهر كذبهما ادعيا الشراء فيما كتما فأنكر الورثة فكانت اليمين على الورثة لإنكارهم الشراء (فإن قلت) فما وجه قراءة من قرأ استحق عليهم الأوليان على البناء للفاعل وهم علي وأبي وابن عباس (قلت) معناه من الورثة الذين استحق عليهم الأوليان من بينهم بالشهادة أن يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين (ذلك) الذي تقدم من بيان الحكم (أدنى) أن يأتي الشهداء على نحو تلك الحادثة (بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان) أن تكرر أيمان شهود آخرين بعد أيمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم كما جرى في قصة بديل (واسمعوا) سمع إجابة وقبول (يوم يجمع) بدل من المنصوب في قوله واتقوا الله وهو من بدل الاشتمال كأنه قيل واتقوا الله يوم جمعه أو ظرف لقوله لا يهدي أي لا يهديهم طريق الجنة يومئذ كما يفعل بغيرهم أو ينصب على إضمار اذكر أو يوم يجمع الله الرسل كان كيت وكيت و(ماذا) منتصب بأجبتم انتصاب مصدره على معنى أي إجابة أجبتم ولو أريد الجواب لقيل بماذا أجبتم (فإن قلت) ما معنى سؤالهم (قلت) توبيخ قومهم كما كان سؤال الموءودة توبيخا للوائد (فإن قلت) كيف يقولون (لا علم لنا) وقد علموا بما أجيبوا (قلت) يعلمون أن الغرض بالسؤال توبيخ أعدائهم فيكلون الأمر إلى علمه وإحاطته بما منوا به منهم وكابدوا من سوء إجابتهم إظهارا للتشكي واللجأ إلى ربهم في الانتقام منهم وذلك أعظم على الكفرة وأفت في أعضادهم وأجلب لحسرتهم وسقوطهم في أيديهم إذا اجتمع توبيخ الله وتشكي أنبيائه عليهم ومثاله أن ينكب بعض الخوارج على السلطان خاصة من خواصه نكبة قد عرفها السلطان واطلع على كنهها وعزم على الانتصار له منه فيجمع بينهما ويقول له ما فعل بك هذا الخارجي وهو عالم بما فعل به يريد توبيخه وتبكيته فيقول له أنت أعلم بما فعل بي تفويضا للأمر إلى علم سلطانه واتكالا عليه وإظهارا للشكاية وتعظيما لما حل به منه وقيل من هول ذلك اليوم يفزعون ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعدما تثوب إليهم عقولهم بالشهادة على أممهم وقيل معناه علمنا ساقط مع علمك ومغمور به لأنك علام الغيوب ومن علم الخفيات لم تخف عليه الظواهر التي منها إجابة الأمم لرسلهم فكأنه لا علم لنا إلى جنب علمك وقيل لا علم لنا بما كان منهم بعدنا وإنما الحكم للخاتمة وكيف يخفى عليهم أمرهم وقد رأوهم سود الوجوه زرق العيون موبخين * وقرئ علام الغيوب بالنصب على أن الكلام قد تم بقوله (إنك أنت) أي إنك الموصوف بأوصافك المعروفة من العلم وغيره ثم نصب علام الغيوب على الاختصاص أو على النداء أو هو صفة لاسم إن (إذ قال الله) بدل من يوم يجمع والمعنى أنه يوبخ الكافرين يومئذ بسؤال الرسل عن إجابتهم وبتعديد ما أظهر على أيديهم من الآيات العظام فكذبوهم وسموهم سحرة أو جاوزوا حد التصديق إلى أن اتخذوهم آلهة كما قال بعض بني إسرائيل فيما أظهر على يد عيسى عليه السلام من البينات والمعجزات هذا سحر مبين واتخذه بعضهم وأمه إلهين (أيدتك) قويتك وقرئ آيدتك على أفعلتك (بروح القدس) بالكلام الذي يحيا به الدين وأضافه إلى القدس لأنه سبب الطهر من أوضار الآثام والدليل عليه قوله تعالى (تكلم الناس) و(في المهد) في موضع الحال لأن المعنى تكلمهم طفلا (وكهلا) إلا أن في المهد فيه دليل على حد من الطفولة وقيل الروح القدس جبريل عليه السلام أيد به لتثبيت الحجة (فإن قلت) ما معنى قوله في المهد وكهلا (قلت) معناه تكلمهم في هاتين الحالتين من غير أن يتفاوت كلامك في حين الطفولة وحين الكهولة الذي هو وقت كمال العقل وبلوغ الأشد والحد الذي يستنبأ فيه الأنبياء (والتوراة والإنجيل) خصا بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة لأن المراد بهما جنس الكتاب والحكمة وقيل الكتاب الخط والحكمة

ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين

(قال يوم يجمع بدل من المنصوب الخ) قال أحمد ويكون انتصابه إذا انتصاب المفعول به لا الظرف على حكم المبدل منه * عاد كلامه (قال أو ظرف لقوله لا يهدي القوم الفاسقين الخ) قال أحمد وهو على هذا أيضا مفعول به * عاد كلامه (قال وماذا منتصب بأجبتم انتصاب مصدره على معنى أي إجابة الخ) قال أحمد والتعظيم في هذا نحو التعظيم بالسكوت عن الصلة في مثل ما حصل الأبعد التي واللتيا عاد كلامه (قال وقيل من الهول والفزع يذهلون عن الجواب الخ) قال أحمد وأيضا فالمسؤول عنه إجابتهم عند دعائهم إياهم إلى الله لا ما حدث بعد ذلك مما الآية تتعلق به علم الرسل والله أعلم عاد كلامه (قال وقرئ علام الغيوب بالنصب الخ) قال أحمد ويكون هذا من باب * أنا أبو النجم وشعري شعري

وقدمه قبل بآيات وانما ذكرت هذه الثلاثة من الاعراب لالتباسها الاعلى الحذاق وقليل ماهم * قوله تعالى اذ قال الحواريون ياعيسى ابن مريم هل يستطيع ربك بعد ايمانهم واخلاصهم في قوله واذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بي و برسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون (قال فان قلت ماوصفهم بالايمان والاخلاص وانما حكى ادعاءهم لهما الخ) قال أحمد وقيل ان معنى هل يستطيع هل يفعل كما تقول للقادر على القيام هل تستطيع أن تقوم مبالغة في التقاضي ونقل هذا القول عن الحسن فعلى هذا يكون ايمانهم سالما عن قدح الشك في القدرة فان استقام التعبير عن الفعل بالاستطاعة فذاك والله أعلم من باب التعبير عن المسبب بالسبب اذ الاستطاعة من جملة أسباب الايجاد وعلى عكسه التعبير عن (٤٤٠) ارادة الفعل بالفعل تسمية بالسبب الذي هو الارادة باسم المسبب الذي الفعل في مثل قوله

كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني واذ كففت بني اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين واذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بي و برسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون اذ قال الحواريون ياعيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه

الكلام المحكم الصواب (كهيئة الطير) هيئة مثل هيئة الطير (باذني) بتسهيلي (فتنفخ فيها) الضمير للكاف لانها صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى عليه السلام وينفخ فيها ولا يرجع الى الهيئة المضاف اليها لانها ليست من خلقه ولا من نفخه في شيء وكذلك الضمير في (فتكون * تخرج الموتى) تخرجهم من القبور وتبعثهم قيل أخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية (واذ كففت بني اسرائيل عنك) يعني اليهود حين هموا بقتله وقيل لما قال الله تعالى لعيسى اذكر نعمتي عليك كان يلبس الشعر و يأكل الشجر ولا يدخر شيأ لغد يقول مع كل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت أينما أمسى بات (أوحيت الى الحواريين) أمرتهم على ألسنة الرسل (مسلمون) مخلصون من أسلم وجهه لله (عيسى) في محل النصب على اتباع حركة الابن كقولك يازيد بن عمرو وهي اللغة الفاشية ويجوز أن يكون مضموما كقولك يازيد بن عمرو والدليل عليه قوله

أحار بن عمرو كأني خمر * ويعدو على المرء ما يأتمر

لان الترخيم لا يكون الا في المضموم (فان قلت) كيف قالوا (هل يستطيع ربك) بعد ايمانهم واخلاصهم (قلت) ماوصفهم الله بالايمان والاخلاص وانما حكى ادعاءهم لهما ثم أتبعه قوله اذ قالوا فآذن ان دعواهم كانت باطلة وانهم كانوا شاكين وقوله هل يستطيع ربك كلام لا يرد مثله عن مؤمنين معظمين لربهم * وكذلك قول عيسى عليه السلام لهم معناه اتقوا الله ولا تشكوا في اقتداره واستطاعته ولا تقترحوا عليه ولا تتحكموا ما تشتهون من الآيات فتهلكوا اذا عصيتموه بعدها (ان كنتم مؤمنين) ان كانت دعواكم للايمان صحيحة * وقرئ هل تستطيع ربك أي هل تستطيع سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله * والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام وهي من ماده اذا أعطاه ورفده كأنها تميد من تقدم اليه (ونكون عليها من الشاهدين) نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني اسرائيل أو نكون من الشاهدين لله بالوحدانية ولك بالنبوة عاكفين عليها على أن عليها في موضع الحال وكانت دعواهم لارادة ما ذكروا كدعواهم الايمان والاخلاص وانما سأل عيسى وأجيب ليلزموا الحجة بكمالها ويرسل عليهم العذاب اذا خالفوا * وقرئ ويعلم بالياء على البناء للمفعول وتعلم وتكون بالتاء والضمير للقلوب (اللهم) أصله يا الله فحذف حرف النداء وعوضت منه الميم و (ربنا) نداء ثان (تكون لنا عيدا) أي يكون يوم نزولها عيدا قيل هو يوم الاحد ومن ثم اتخذه النصارى عيدا وقيل العيد السرور العائد ولذلك يقال يوم عيد فكان معناه تكون لنا سرورا وفرحا وقرأ عبد الله تكن على جواب الامر ونظيرهما يرثني و يرثني (لاولنا وآخرنا) بدل من لنا بتكرير العامل أي لمن في زماننا من أهل ديننا ولمن يأتي بعدنا وقيل يأكل منها آخر الناس كما يأكل أولهم ويجوز للمقدمين منا والاتباع وفي قراءة زيد لاولانا وأخرانا والتأنيث

يعني

اذا قمتم الى الصلاة وقد مضى أول السورة وفي هذا التأويل للحسن تعضيد لتأويل أبي حنيفة حيث جعل الطول المانع من نكاح الامة وجود الحرة في العصمة وعدمه ان لا يملك عصمة الحرة وان كان قادرا على ذلك فتباح له حينئذ الامة وحمل قوله ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات على معنى ومن لم يملك منكم وحمل النكاح على الوطء فجعل استطاعة الملك المنفية هي الملك كما ترى حتى ان القادر غير المالك عادم الطول عنده فينكح الامة وقد مضى ذكر مذهبه وكنت أستبعد انتهاضه لان يكون تأويلا يحتمله اللفظ ويساعده الاستعمال حتى وقفت على تفسير الحسن هذا والله أعلم

* قوله تعالى ماقلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم (قال أن في قوله أن اعبدوا ان جعلتها مفسرة لم يكن لها بد من مفسر الخ) قال أحمد وقد أجاز بعضهم وقوع ان المفسرة بعد لفظ القول ولم يقتصر بها على ما في معناه فيجوز على هذا القول وقوعها تفسيرا لفعل القول وقد أبى الزمخشري في مفصله وقوعها الا بعد فعل في معنى القول كمذهبه ههنا * عاد كلامه (قال وأما فعل الامر فسند الى ضمير الله عز وجل الخ) قال أحمد ويجوز أيضا هذا الوجه على صرف التفسير الى المعنى كأنه حكى معنى قول الله عز وجل له بعبارة أخرى وكأن الله تعالى قال له مر هم بعبادتي أو قال لهم على لسان عيسى اعبدوا الله ربي وربكم فلما حكاه عيسى عليه السلام قال اعبدوا الله ربي وربكم فكنى عن اسمه الظاهر بضميره كما قال الله تعالى حكاية عن موسى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى الذي جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى فانظر كيف بناء (٤٤١) أول الكلام حكاية لقول موسى وموسى لا يقول فأخرجنا ولكن فأخرج الله فلما حكاه الله تعالى عن موسى رد الكلام اليه تعالى وأضاف الاخراج الى ذاته على طريقة المتكلم لا الحاكي وكذلك قوله تعالى ليقولن خلقهن العزيز العليم الى قوله فأنشرنا به بلدة ميتا ونظائره كثيرة وقد قدمت نحوا من هذا البحث عند قوله تعالى حكاية عن اليهود انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله لما استبعد الزمخشري ان تصفه اليهود بهذه الصفات المنافية لاعتقادهم فيه * عاد كلامه (قال وان جعلت ان موصولة مع فعل الامر الخ) قال أحمد أي فلا يقدر بالعبادة ولكن بالامر بها كأنه قيل ماقلت لهم الا الامر بالعبادة لله والامر مقول لقلت على ان جعل العبادة مقولة ليس ببعيد على طريقة ثم يعودون لما قالوا أي للوطء الذي قالوا فيه وكقوله تعالى ونرثه ما يقول ويأتينا فردا وسيأتي له تصحيح هذا الاستعمال لوروده كثيرا في القرآن الكريم * عاد كلامه (قال وكذلك اذا جعلته بدلا من الهاء لانك الخ) قال أحمد وهذا أيضا غير مانع من البدل ولغا يواجه المصنف عالا يسعه انكاره فقد قال في مفصله ما هذا نصه وقولهم ان البدل في حكم تنحية الاول ايذان منهم باستقلاله بنفسه ومفارقته التأكيد والصفة في كونهما تتمتين لما يتبعانه لا أن يعنوا اهدار الاول واطراحه ألا تراك تقول زيد رأيت غلامه رجلا صالحا فلو ذهبت الى اهدار الاول لم يسد كلامك فانظر كيف يرد كلامه في

عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين وإذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك انك أنت علام الغيوب ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم

بمعنى الامة والجماعة (عذابا) بمعنى تعذيبا والضمير في لا أعذبه للمصدر ولو أريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بد من الباء وروى أن عيسى عليه السلام لما أراد الدعاء لبس صوفا ثم قال اللهم أنزل علينا فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها وأخرى تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة وقال لهم ليقم أحسنكم عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله عليها ويأكل منها فقال شمعون رأس الحواريين أنت أولى بذلك فقام عيسى فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة فقال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله بالقدرة العالية كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقال الحواريون يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير وروى أنهم لما سمعوا بالشريطة وهي قوله تعالى فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه قالوا لا نريد فلم تنزل وعن الحسن والله ما نزلت ولو نزلت لكانت عيدا الى يوم القيامة لقوله وآخرنا والصحيح أنها نزلت (سبحانك) من أن يكون لك شريك (ما يكون لي) ما ينبغي لي (أن أقول) قولا لا يحق لي أن أقوله (في نفسي) في قلبي والمعنى تعلم معلومي ولا أعلم معلومك ولكنه سلك بالكلام طريق المشاكلة وهو من فصيح الكلام وبينه فقيل (في نفسك) لقوله في نفسي (انك أنت علام الغيوب) تقرير للجملتين معا لان ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب ولان ما يعلمه علام الغيوب لا ينتهي اليه علم أحد * أن في قوله (أن اعبدوا الله) ان جعلتها مفسرة لم يكن لها بد من مفسر والمفسر اما فعل القول واما فعل الامر وكلاهما لا وجه له أما فعل القول فيحكى بعده الكلام من غير أن يتوسط بينهما حرف التفسير لا تقول ما قلت لهم الا أن اعبدوا الله ولكن ما قلت لهم الا اعبدوا الله وأما فعل الامر فمسند الى ضمير الله عز وجل فلو فسرته باعبدوا الله ربي وربكم لم يستقم لان الله تعالى لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم وان جعلتها موصولة بالفعل لم تخل من أن تكون بدلا من ما أمرتني به أو من الهاء في به وكلاهما غير مستقيم لان البدل هو الذي يقوم مقام المبدل منه ولا يقال ما قلت لهم الا أن اعبدوا الله بمعنى ما قلت لهم الا عبادته لان العبادة لا تقال وكذلك اذا جعلته بدلا من الهاء لانك لو أقمت أن اعبدوا الله مقام الهاء فقلت الا ما أمرتني بأن

المفصل بهو الحق ما ارتكبه من رد البدل فى هذه الآية للزوم طرح الاول فتخلو الصلة من الضمير ولم يجعل هذا القدر مانعا فى المثال المذكور مع انك لو طرحت الاول لخلا الخبر من الضمير العائد ولم يسند الكلام فهذه وجوه أربعة منعها فى اعراب أن وكلها مسندة حسب ما بينا وهذه المساجلة فى هذا الاعراب من الغرر والحجول فى صناعة الاعراب وعلم البيان وفرسان هذا المضمار قليل * عاد كلامه (قال فان قلت كيف يصنع قلت يحمل فعل الخ) قال أحمد هذا التأويل اتوقع ان المفسرة بعد فعل فى معنى القول وليس قولا صريحا وحمل القول على الامر ابصحح المذهب الآخر فى اجازة وقوعها بعد القول فانه لولا ما بين القول والامر من التفاوت المعنوى لما جاز اطلاق أحدهما وارادة الاخرى والعجب ان الامر قسم من أقسام القول وما بينهما الا عموم وخصوص وليس فى هذا التأويل الذى سلكه الا كلفة لا طائل وراءها ولو كانت العرب تأبى وقوع المفسرة بعد القول لما أوقعتها بعد فعل ليس بقول ثم عبرت عن ذلك الفعل بالقول لان ذلك كالعود الى ماوقع الفرار منه وهم بعداء من ذلك * عاد كلامه (قال ويجوز أن تكون موصولة الخ) قال أحمد بريد بجعله عطف بيان أن يسلم من تقدير اطراح الاول فى البدل وخلو الصلة حينئذ من العائد وقد بينا ان ذلك غير لازم فى البدل والعجب انه أيضا فى مفصله لم يفصل بين عطف البيان والبدل الا فى مثل قول المرار * أنا ابن التارك البكرى بشر * لانه لو جعله بدلا للزم تكرير العامل واضافة اسم الفاعل المعرف بالالف واللام الى العلم ولم يفصل بينهما فى غير هذا المثال ومن حيث المعنى ان المعتمد فى عطف البيان الاول وأما الثانى فللتوضيح والمعتمد فى البدل الثانى (٤٤٢) وأما الاول فبساط لذكره لا على انه مطرح مهدر * قوله تعالى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر

وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شئ قدير

اعبدوا الله لم يصح ابقاء الموصول بغير راجع اليه من صلته (فان قلت) فكيف يصنع (قلت) يحمل فعل القول على معناه لان معنى ما قلت لهم الا ما أمرتنى به ما أمرتهم الا بما أمرتنى به حتى يستقيم تفسيره بأن اعبدوا الله ربى وربكم ويجوز أن تكون أن موصولة عطف بيان للهاء لا بدلا (وكنت عليهم شهيدا) رقيبا كالشاهد على المشهود عليه أمنعهم من أن يقولوا ذلك ويتدينوا به (فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم) تمنعهم من القول به بما نصبت لهم من الادلة وأنزلت عليهم من البينات وأرسلت اليهم من الرسل (ان تعذبهم فانهم عبادك) الذين عرفتهم عاصين جاحدين لآياتك مكذبين لانبيائك (وان تغفر لهم فانك أنت العزيز) القوى القادر على الثواب والعقاب (الحكيم) الذى لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب (فان قلت) المغفرة لا تكون للكفار فكيف قال وان تغفر لهم (قلت) ما قال انك تغفر لهم ولكنه بنى الكلام على ان غفرت فقال ان عذبتهم عدلت لانهم أحقاء بالعذاب وان غفرت لهم مع كفرهم لم تعدم فى المغفرة وجه حكمة لان المغفرة حسنة لكل مجرم فى المعقول بل متى كان الجرم أعظم جرما كان العفو عنه أحسن * قرئ هذا يوم ينفع بالرفع والاضافة وبالنصب اما على أنه ظرف لقال واما على أن هذا مبتدأ والظرف خبر ومعناه هذا الذى ذكرنا من كلام عيسى واقع يوم ينفع ولا يجوز أن يكون فتحا كقوله تعالى يوم لا تملك لانه مضاف الى متمكن وقرأ الاعمش يوم ينفع بالتنوين كقوله تعالى واتقوا يوما لا تجزى نفس (فان قلت) ما معنى قوله (ينفع الصادقين صدقهم) ان أريد صدقهم فى الآخرة فليست الآخرة بدار عمل وان أريد

لهم فانك أنت العزيز الحكيم (قال ان قلت المغفرة لا تكون للكفار فكيف قال وان تغفر لهم الخ) قال أحمد رحمه الله تذبذب الزمخشرى فى هذا الموضع فلا الى أهل السنة ولا الى القدرية أما أهل السنة فالمغفرة للكافر جائزة عندهم فى حكم الله تعالى عقلا بل عقاب المتقى المخلص كذلك غير ممتنع عقلا من الله تعالى واذا كان كذلك فهذا الكلام خرج على الجواز العقلى وان كان السمع ورد بتعذيب الكفار وعدم الغفران لهم الان ورود السمع بذلك لا يرفع الجواز العقلى وأما القدرية فيزعمون ان المغفرة للكافر ممتنعة عقلا لا تجوز على الله تعالى لمناقضتها الحكمة فمن ثم كفعتهم هذه الآية بارداذ لو كان الامر كزعمهم لما دخلت كلمة ان المستعملة عند الشك فى وقوع الفعل بعدها لغة فى فعل لا شك فى عدم وقوعه عقلا ولكان ذلك من باب التعليق بالمحال كان يبيض القار وأشباهه وليس هذا مكانه فقول الزمخشرى اذا ان يغفر لهم لم يعدم وجها من الحكمة فى المغفرة لان العفو عن الجرم حسن عقلا لا يأتلف بقواعد السنة اذ لا يلتفت عندهم الى التحسين العقلى ولا يأتلف أيضا بنزغات القدرية لانهم يزعمون بانه لا وجه من الحكمة فى المغفرة للكافر ويقطعون بمنافاتها الحكمة فكيف يخاطب الله تعالى به فعلم ان عيسى عليه السلام يبرأ الى الله من هذا الاطلاق ومما اشتمل عليه من سوء الادب فان قول القائل لمن يخاطبه ما فعل كذا فلن يعدم فيه عذرا ووجها من المصلحة كلام مبتذل وعبارة نازلة عن أوفى مراتب الادب انما يطلقها المتكلم لمن هو دونه عادة فنسأل الله الهام الادب وتجنب ما فى اساءته من مزلات العطب * قوله تعالى قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم (قال ان قلت ما معناه ان أريد صدقهم فى الآخرة الخ) قال أحمد ولو أجاب بحمل الصادقين على الدنيا وصدقهم على الآخرة حتى يكون التقدير هذا يوم ينفع الصادقين فى الدنيا صدقهم فى الآخرة لكان

صدقهم

أوضح طباقا التفسير بقتادة وأخرج لابليس واشباهه من هذا العموم فان ابليس وان صدق في الآخرة الا انه لم يكن من الصادقين في الدنيا فلم ينفعه صدقه في الآخرة والوجهان متقاربان ﴿القول في سورة الانعام وهي مكية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون (قال الفرق بين الجعل والخلق ان الخلق فيه معنى التقدير الخ) قال أحمد وقد وردت جعل وخلق موردا واحدا فورد وخلق منها زوجها وورد وجعل منها زوجها وذلك ظاهر في الترادف الا أن الخاطر ميلا الى الفرق الذي أبداه الزمخشري ويؤيده ان جعل لم يصحب السموات والارض والزمها خلق وفي اضافة الخلق في هذه الآية الى السموات والارض والجعل الى الظلمات والنور مصداق لما يميز بينهما والله أعلم * عاد كلامه (قال فان قلت لم افرد النور وقلت للقصد الخ) قال أحمد وقد سبق للزمخشري الاستدلال بجمع الجنس على التكثير واعتقاداته أدل (٤٤٣) على الكثرة من الافراد وقد

صدقهم في الدنيا فليس بمطابق لما ورد فيه لانه في معنى الشهادة لعيسى عليه السلام بالصدق فيما يجيب به يوم القيامة (قلت) معناه الصدق المستمر بالصادقين في دنياهم وآخرتهم وعن قتادة متكلمان تكلما يوم القيامة أما ابليس فقال ان الله وعدكم وعد الحق فصدق يومئذ وكان قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه صدقه وأما عيسى عليه السلام فكان صادقا في الحياة وبعد الممات فنفعه صدقه (فان قلت) في السموات والارض العقلاء وغيرهم فهلا غلب العقلاء فقيل ومن فيهن (قلت) ما يتناول الاجناس كلها تناولا عاما الا ترى انك تقول اذا رأيت شبحا من بعيد ما هو قبل أن تعرف أعاقل هو أم غيره فكان أولى بارادة العموم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة أعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

﴿سورة الانعام مكية وعن ابن عباس غير ست آيات وهي مائة وخمس وستون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* جعل يتعدى الى مفعول واحد اذا كان بمعنى أحدث وأنشأ كقوله (وجعل الظلمات والنور) والى مفعولين اذا كان بمعنى صير كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا والفرق بين الخلق والجعل أن الخلق فيه معنى التقدير وفي الجعل معنى التضمين كانشاء شيء من شيء أو تصيير شيء شيئا أو نقله من مكان الى مكان ومن ذلك وجعل منها زوجها وجعل الظلمات والنور لان الظلمات من الاجرام المتكاثفة والنور من النار وجعلنا كم أزواجا أجعل الآلهة الها واحدا (فان قلت) لم أفرد النور (قلت) للقصد الى الجنس كقوله تعالى والملك على أرجائها أو لان الظلمات كثيرة لانه ما من جنس من أجناس الاجرام الا وله ظل وظله هو الظلمة بخلاف النور فانه من جنس واحد وهو النار (فان قلت) علام عطف قوله (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) (قلت) اما على قوله الحمد لله على معنى أن الله حقيق بالحمد على ما خلق لانه ما خلقه الا نعمة ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته وأما على قوله خلق السموات على معنى أنه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه أحد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه (فان قلت) فما معنى ثم (قلت) استبعاد أن يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته وكذلك ثم أنتم تمترون استبعاد لان يمتروا فيه بعد ما ثبت أنه محييهم ومميتهم وباعثهم (ثم قضى أجلا) أجل الموت (وأجل مسمى عنده) أجل القيامة وقيل الاجل الاول ما بين أن يخلق الى أن يموت

قدمنا ما في ذلك من النظر وأسلفنا الاستدلال بقول حبر الامة كتابه أكثر من كتبه على خلاف ذلك وهو رأي الامام أبي المعالي ولو قال

سورة الانعام مكية وهي مائة وخمس وستون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون وهو الله

الزمخشري ان جمع الظلمات لاختلافها بحسب اختلاف ما ينشأ عنه من أجناس الاجرام وافراد النور لاتحاد الجنس الذي ينشأ عنه وهو النار لكان أولى والله أعلم * عاد كلامه (قال فان قلت علام عطف ثم الذين كفروا بربهم يعدلون الخ) قال أحمد وفي هذا الوجه الثاني نظر من حيث ان عطفه على الصلة يوجب دخوله في حكمها ولو قال الحمد لله الذي الذين كفروا بربهم يعدلون لم يستقم لخلو الجملة من العائد ويمكن أن يقال وضع الظاهر الذي هو ربهم موضع المضمر تفخيما وتعظيما وأصل الكلام الذي هم به يعدلون الذين كفروا أو الذي الذين كفروا به يعدلون باتساع وقوعها صلة ورعاية لهذا الاصل فهذا نظر من حيث الاعراب ونظيره قوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم فيمن جعل ما موصولة لا شرطية فان دخول جاءكم وما بعده في حكم الصلة يستدعي ضميرا عائدا الى الموصول وهو مفقود لفظا لان الظاهر وضع فيه موضع المضمر والاصل ثم جاءكم رسول مصدق له فاستقام عطفه ودخوله في حكم الصلة بهذه الطريقة لكن بقي في آية الانعام هذه نظر في المعنى على الاعراب المذكور وهو انه يصير التقدير الحمد لله الذي الذين كفروا يعدلون ووقوع هذا عقيب الحمد غير مناسب كما ترى فالوجه والله أعلم عطفه على أول الكلام لا على الصلة والله الموفق

* قوله تعالى هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده (قال ان قلت المبتدأ النكرة اذا كان خبره ظرفا وجب الخ) قال أحمد وليس فى ارادة هذا المعنى موجب للتقديم وقد ورد وعنده علم الساعة فى سياق التعظيم لها وهو ومع ذلك مؤخر عن الخبر فى قوله وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون فالظاهر والله أعلم أن التقديم انما كان لان الكلام منقول من كلام آخر وكان الاصل والله أعلم ثم قضى أجلا وأجلا مسمى عنده اذ كلا هما مقضى فلما عدل بالكلام عن العطف الافرادى تمييزا بين الاجلين رفع الثانى بالابتداء وأقر مكانه من التقديم والله أعلم * قوله وهو الله فى السموات وفى الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون (قال فى السموات (٤٤٤) متعلق بمعنى اسم الله الخ) قال أحمد وما الآيتان الكريمتان الا توأمتان فان التمدح فى آية الزخرف وقع بما وقع التمدح به ههنا من القدرة على الاعادة والاستئثار بعلم الساعة والتوحد فى الالوهية وفى كونه تعالى المعبود فى السموات والارض * عاد كلامه (قال أو وهو المعروف بالالوهية أو هو الذى يقال له الله فيهما الخ) قال أحمد وهذه الوجوه كلها كان التعبير وقع فيها بالملزوم عن لوازمه المشهورة به كما وقع ذلك فى قوله * أنا أبو النجم وشعرى شعرى * أى المعروف المشهور لانه بنى على انه متى ذكر شعره فهم السامع عند ذكره خواصه من الجودة والبلاغة وسلامة الطبع لاشتهاره بذلك فاقتصر على قوله شعرى اتكالا على فهم السامع * قوله تعالى ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين (قال لم يقتصر بهم على الرؤية لئلا الخ) قال أحمد والظاهر أن فائدة زيادة لمسهم له بأيديهم تحقيق القراءة على قرب أى فقرؤه وهو فى أيديهم لا بعيد عنهم لما آمنوا والافالخط لا يدرك باللمس حتى يجعل فائدة زيادته ادراكه بوجهين كما يفهم من كلام الزمخشرى

هذا

فى السموات وفى الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الارض مالم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان

والثانى ما بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل الاول النوم والثانى الموت (فان قلت) المبتدأ النكرة اذا كان خبره ظرفا وجب تأخيره فلم جاز تقديمه فى قوله وأجل مسمى عنده (قلت) لانه تخصص بالصفة فقارب المعرفة كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك (فان قلت) الكلام السائر أن يقال عندى ثوب جيد ولى عبد كيس وما أشبه ذلك فما أوجب التقديم (قلت) أوجبه أن المعنى وأى أجل مسمى عنده تعظيما لشأن الساعة فلما جرى فيه هذا المعنى وجب التقديم (فى السموات) متعلق بمعنى اسم الله كانه قيل وهو المعبود فيها ومنه قوله وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله أو وهو المعروف بالالهية أو المتوحد بالالهية فيها أو هو الذى يقال له الله فيها لا يشرك به فى هذا الاسم ويجوز أن يكون الله فى السموات خبرا بعد خبر على معنى أنه الله وأنه فى السموات والارض بمعنى أنه عالم بما فيهما لا يخفى عليه منه شئ كان ذاته فيهما (فان قلت) كيف موقع قوله (يعلم سركم وجهركم) (قلت) ان أردت المتوحد بالالهية كان تقريرا له لان الذى استوى فى علمه السر والعلانية هو الله وحده وكذلك اذا جعلت فى السموات خبرا بعد خبر والا فهو كلام مبتدأ بمعنى هو يعلم سركم وجهركم أو خبر ثالث (ويعلم ما تكسبون) من الخير والشر ويثيب عليه ويعاقب من فى (من آية) للاستغراق وفى (من آيات ربهم) للتبعيض يعنى وما يظهر لهم دليل قط من الادلة التى يجب فيها النظر والاستدلال والاعتبار الا كانوا عنه معرضين تاركين للنظر لا يلتفتون اليه ولا يرفعون به رأسا لقلة خوفهم وتدبرهم للعواقب (فقد كذبوا) مردود على كلام محذوف كانه قيل ان كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا بما هو أعظم آية وأكبرها وهو الحق (لما جاءهم) يعنى القرآن الذى تحدوا به على تبالغهم فى الفصاحة فعجزوا عنه (فسوف يأتيهم أنباء) الشئ الذى (كانوا به يستهزؤن) وهو القرآن أى أخباره وأحواله بمعنى سيعلمون بأى شئ استهزؤا وسيظهر لهم أنه لم يكن بموضع استهزاء وذلك عند ارسال العذاب عليهم فى الدنيا أو يوم القيامة أو عند ظهور الاسلام وعلو كلمته * مكن له فى الارض جعل له مكانا فيها ونحوه أرض له ومنه قوله انا مكنا له فى الارض أولم نمكن لهم وأما مكنته فى الارض فأثبته فيها ومنه قوله ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه ولتقارب المعنيين جمع بينهما فى قوله (مكناهم فى الارض مالم نمكن لكم) والمعنى لم نعط أهل مكة نحو ما أعطينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة فى الاجسام والسعة فى الاموال والاستظهار بأسباب الدنيا والسماء المظلة لان الماء ينزل منها الى السحاب أو السحاب أو المطر * والمدرار المغزار (فان قلت) أى فائدة فى ذكر انشاء قرن آخرين بعدهم (قلت) الدلالة على أنه لا يتعاظمه أن يهلك قرنا ويخرب بلاده منهم فانه قادر على أن ينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده كقوله تعالى ولا يخاف عقباها (كتابا) مكتوبا (فى قرطاس) فى ورق (فلمسوه بايديهم) ولم يقتصر بهم على الرؤية لئلا يقولوا سكرت أبصارنا ولا تبقى لهم علة لقالوا (ان

* قوله تعالى وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون (قال يعني لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين الخ) قال أحمد
لا يحسن أن يجعل سبب مناجزتهم بالهلاك وضوح الآية في نزول الملك فانه ربما يفهم هذا الكلام ان الآيات التى لزمهم الايمان بها دون
نزول الملك في الوضوح وليس الامر كذلك فالوجه والله أعلم أن يكون سبب تعجيل عقوبتهم بتقدير نزول الملك وعدم ايمانهم أنهم اقترحوا
مالا يتوقف وجوب الايمان عليه اذ الذى يتوقف الوجوب عليه المعجز من حيث كونه معجزا لا المعجز الخاص فاذا أجيبوا على وفق
مقترحهم فلم ينجع فيهم كانوا حينئذ على غاية من الرسوخ في العناد المناسب لعدم النظرة والله أعلم (٤٤٥) عاد كلامه (قال) واما لانه نزول
الاختيار الذى قاعدة التكليف مبنية عليه
عند نزول الملك فيجب اهلاكهم واما لانهم اذا شاهدوا الملك في صورته زهقت أرواحهم من
هول مايشاهدون (قال أحمد) ويقوى هذا الوجه قوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا قال ابن عباس ليتمكنوا من رؤيته ولا يهلكوا
من مشاهدة صورته * عاد كلامه (قال ومعنى ثم بعدما بين الامرين قضاء الامر الخ) قال أحمد وهذه النكتة من محاسن تنبيهاته * قوله
تعالى قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين (قال ان قلت أى فرق بين قوله فانظروا وبين قوله ثم انظروا الخ) قال
أحمد وأظهر من هذا التأويل أن يجعل الامر بالسير في المكانين واحدا ليكون ذلك سببا في النظر فحيث دخلت الفاء فلاظهار السببية
وحيث دخلت ثم فللتنبيه على ان النظر هو المقصود من السير وان السير وسيلة اليه لا غير وشتان بين المقصود والوسيلة والله أعلم

هذا الا سحر مبين وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم مايلبسون ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين قل لمن مافى السموات والارض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيامة لاريب فيه الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون وله ماسكن في الليل والنهار وهو السميع العليم قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والارض

هذا الا سحر مبين) تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره (لقضى الامر) لقضى أمر هلاكهم (ثم لا ينظرون) بعد
نزوله طرفة عين اما لانهم اذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورته وهى آية لا شئ
أبين منها وأيقن ثم لا يؤمنون كما قال ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى لم يكن بد من اهلاكهم كما أهلك
أصحاب المائدة واما لانه يزول الاختيار الذى هو قاعدة التكليف عند نزول الملائكة فيجب اهلاكهم واما لانهم
اذا شاهدوا ملكا في صورته زهقت أرواحهم من هول مايشاهدون ومعنى ثم بعدما بين الامرين قضاء
الامر وعدم الانظار جعل عدم الانظار أشد من قضاء الامر لان مفاجأة الشدة أشد من نفس الشدة
(ولو جعلناه ملكا) ولو جعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا لانهم كانوا يقولون لولا أنزل على محمد ملك وتارة يقولون
ماهذا الا بشر مثلكم ولو شاء ربنا لانزل ملائكة (لجعلناه رجلا) لارسلناه في صورة رجل كما كان ينزل جبريل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أعم الاحوال في صورة دحية لانهم لا يبقون مع رؤية الملائكة في
صورهم (وللبسنا عليهم) ولخلطنا عليهم مايخلطون على أنفسهم حينئذ فانهم يقولون اذا رأوا الملك في صورة
انسان هذا انسان وليس بملك فان قال لهم الدليل على أنى ملك أنى جئت بالقرآن المعجز وهو ناطق بأنى ملك
لا بشر كذبوه كما كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم فاذا فعلوا ذلك خذلوا كما هم مخذولون الآن فهو لبس الله عليهم
ويجوز أن يراد وللبسنا عليهم حينئذ مثل مايلبسون على أنفسهم الساعة في كفرهم بآيات الله البينة وقرأ
ابن محيصن ولبسنا عليهم بلام واحدة وقرأ الزهرى وللبسنا عليهم مايلبسون بالتشديد (ولقد استهزئ) تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من قومه (فحاق) بهم فأحاط بهم الشئ الذى كانوا يستهزؤن به وهو
الحق حيث أهلكوا من أجل الاستهزاء به (فان قلت) أى فرق بين قوله فانظروا وبين قوله ثم انظروا
(قلت) جعل النظر مسببا عن السير في قوله فانظروا فكأنه قيل سيروا لاجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين
وأما قوله (سيروا في الارض ثم انظروا) فمعناه اباحة السير في الارض للتجارة وغيرها من المنافع وايجاب
النظر في آثار الهالكين ونبه على ذلك بثم لتباعد مابين الواجب والمباح (لمن مافى السموات والارض) سؤال
تبكيت و (قل لله) تقرير لهم أى هو لله لا خلاف بيني وبينكم ولا تقدرون أن تضيفوا شيأ منه الى غيره
(كتب على نفسه الرحمة) أى أوجبها على ذاته في هدايتكم الى معرفته ونصب الادلة لكم على توحيده بما
أنتم مقرون به من خلق السموات والارض * ثم أوعدهم على اغفالهم النظر واشراكهم به من لا يقدر على
خلق شئ بقوله (ليجمعنكم الى يوم القيامة) فيجازيكم على اشراككم وقوله (الذين خسروا أنفسهم) نصب
على الذم أو رفع أى أريد الذين خسروا أنفسهم أو أنتم الذين خسروا أنفسهم (فان قلت) كيف جعل عدم
ايمانهم مسببا عن خسرانهم والامر على العكس (قلت) معناه الذين خسروا أنفسهم في علم الله لاختيارهم
الكفر فهم لا يؤمنون (وله) عطف على الله (ماسكن في الليل والنهار) من السكنى وتعديه بفى كما في قوله
وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم (وهو السميع العليم) يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم فلا يخفى
عليه شئ مما يشتمل عليه الملوان * أولى غير الله همزة الاستفهام دون الفعل الذى هو أتخذ لان الانكار

قوله تعالى قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين (قال المراد الرحمة العظمى وهى النجاة من النار الخ) قال أحمد ولقد الجئ الى تخصيص الرحمة اما بكونها العظمى واما برحمة الثواب انه لو بقيت على اطلاقها لما زاد الجزاء على الشرط اذ من المعلوم ضرورة ان صرف العذاب رحمة ما والعجب ان الزمخشرى يصحح تخصيصها برحمة الثواب بان صرف العذاب يستلزم الثواب ولا بد وغيره يصحح (٤٤٦) هذا التخصيص بأنه لا يلزم من صرف العذاب حصول الثواب لجواز أن يصرف عنه العذاب ولا يثاب فافاد الجزاء اذا ذاك ما لم تفهم من الشرط هكذا صححه القرنوى ولعمرى ان قاعدة المعتزلة تلجئ الى ما ذهب اليه الزمخشرى لانقسام المكلفين عندهم الى مستوجب الجنة فالعذاب قطعا او يستدون ذلك الى العقل لا الى السمع * قوله تعالى قل اى شئ أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم (قال الشئ أعم العام لوقوعه على كل ما يصح الخ) قال أحمد وتفسيره الشئ بخالف الفريقين الاشعرية فانهم فسروه بالموجود ليس الا والمعتزلة فانهم قالوا المعلوم الذى يصح وجوده فاتفقوا على خروج المستحيل وعلى الجملة فهذه المسئلة معدودة من علم الكلام باعتبار ما واما هذا البحث فلغوى يتحاكم فيه لاهل اللغة وظاهرة ولهم غنيت من لا شئ واذا رأى غير شئ ظننه رجلا لان الشئ لا ينطلق الا على الموجود اذ لو كان الشئ كل ما يصح أن يعلم عدما كان أو وجودا أو ممكنا أو مستحيلا لما صدق على أمر ما انه ليس بشئ والامر فى ذلك قريب

وهو يطعم ولا يطعم قل انى أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شئ قدير وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير قل أى شئ أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم وأوحى الى هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل انما هو اله واحد واننى برئ مما تشركون الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم

فى اتخاذ غير الله وليا لا فى اتخاذ الولى فكان أولى بالتقديم ونحوه أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون آلله أذن لكم * وقرئ فاطر السموات بالجر صفة لله وبالرفع على المدح وقرأ الزهرى فطر وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما عرفت ما فاطر السموات والارض حتى أتانى أعرابيان يختصمان فى بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أى ابتدعتها (وهو يطعم ولا يطعم) وهو يرزق ولا يرزق كقوله ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون والمعنى أن المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وروى ابن المأمون عن يعقوب وهو يطعم ولا يطعم على بناء الاول للمفعول والثانى للفاعل والضمير لغير الله وقرأ الاشهب وهو يطعم ولا يطعم على بنائهما للفاعل وفسر بأن معناه وهو يطعم ولا يستطعم وحكى الازهرى أطعمت بمعنى استطعمت ونحوه أفدت ويجوز أن يكون المعنى وهو يطعم تارة ولا يطعم أخرى على حسب المصالح كقولك هو يعطى ويمنع ويبسط ويقدر ويغنى ويفقر (أول من أسلم) لان النبى سابق أمته فى الاسلام كقوله وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين وكقول موسى سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين (ولا تكونن) وقيل لى لا تكونن (من المشركين) ومعناه أمرت بالاسلام ونهيت عن الشرك و (من يصرف عنه) العذاب (يومئذ فقد رحمه) الله الرحمة العظمى وهى النجاة كقولك ان أطعمت زيدا من جوعه فقد أحسنت اليه تريد فقد أتممت الاحسان اليه أو فقد أدخله الجنة لان من لم يعذب لم يكن له بد من الثواب وقرئ من يصرف عنه على البناء للفاعل والمعنى من يصرف الله عنه فى ذلك اليوم فقد رحمه بمعنى من يدفع الله عنه ويحفظه وقد علم من المدفوع عنه وترك ذكر المصروف لكونه معلوما أو مذكورا قبله وهو العذاب ويجوز أن ينتصب يومئذ بيصرف انتصاب المفعول به أى من يصرف الله عنه ذلك اليوم أى هوله فقد رحمه وينصر هذه القراءة قراءة أبى رضى الله عنه من يصرف الله عنه (وان يمسسك الله بضر) من مرض أو فقر أو غير ذلك من بلاياه فلا قادر على كشفه الا هو (وان يمسسك بخير) من غنى أو صحة (فهو على كل شئ قدير) فكان قادرا على ادامته أو ازالته (فوق عباده) تصوير للقهر والعلو بالغلبة والقدرة كقوله وانا فوقهم قاهرون * الشئ أعم العام لوقوعه على كل ما يصح أن يعلم ويخبر عنه فيقع على القديم والجرم والعرض والمحال والمستقيم ولذلك صح أن يقال فى الله عز وجل شئ لا كالاشياء كأنك قلت معلوم لا كسائر المعلومات ولا يصح جسم لا كالاجسام * وأراد أى شهيد (أكبر شهادة) فوضع شيأ مقام شهيد ليبالغ فى التعميم (قل الله شهيد بينى وبينكم) يحتمل أن يكون تمام الجواب عند قوله قل الله بمعنى الله أكبر شهادة ثم ابتدأ شهيد بينى وبينكم أى هو شهيد بينى وبينكم وأن يكون الله شهيد بينى وبينكم هو الجواب لدلالته على أن الله عز وجل اذا كان هو الشهيد بينه وبينهم فأكبر شئ شهادة شهيد له (ومن بلغ) عطف على ضمير المخاطبين من أهل مكة أى لانذركم به وأنذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم وقيل من الثقلين وقيل من بلغه الى يوم القيامة وعن سعيد بن جبير من بلغه القرآن فكأنما رأى محمدا صلى الله عليه وسلم (أئنكم لتشهدون) تقرير لهم مع انكار واستبعاد (قل لا أشهد) شهادتكم (الذين آتيناهم الكتاب) يعنى اليهود والنصارى (يعرفونه) يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليته ونعته الثابت فى الكتابين معرفة خالصة (كما يعرفون أبناءهم) بحلاهم ونعوتهم لا يخفون

* قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون (قال فتنتهم كفرهم والمعنى ثم لم تكن عاقبة كفرهم الخ) قال أحمد وفي الآية دليل بين على أن الاخبار بالشيء على خلاف ما هو به كذب وان لم يعلم المخبر مخالفة خبره لمخبره ألا تراه جعل اخبارهم وتبريهم كذبا مع انه تعالى أخبر انهم ضل عنهم (٤٤٧) ما كانوا يفترون أي سلبوا علمه حينئذ دهشا وحيرة فلم يرفع ذلك اطلاق الكذب عليهم * قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا (قال الاكنة على القلوب والوقر في الآذان مثل في نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبوله الخ) قال أحمد رحمه الله وهذه الآية حينئذ في رد معتقد القدرية الذين يزعمون ان الله تعالى أراد من هؤلاء المستمعين أن يعوا القرآن ويفقهوه وانه لم يمنعهم من ذلك ومحال على زعمهم أن يمنعهم من ذلك ويريدوا أن لا يفقهوه لان ذلك عندهم قبيح فانظر كيف تكافحهم هذه الآية بالرد وتنادي عليهم بالخطأ اذ قوله أن يفقهوه معناه كراهة أن يفقهوه وبين الارادة على زعمهم والكراهة على ما أبانت عنه الآية بون بعيد والله الموفق

الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته انه لا يفلح الظالمون ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا

عليهم ولا يلتبسون بغيرهم وهذا استشهاد لاهل مكة بمعرفة أهل الكتاب وبصحة نبوته ثم قال (الذين خسروا أنفسهم) من المشركين ومن أهل الكتاب الجاحدين (فهم لا يؤمنون) به جمعوا بين أمرين متناقضين فكذبوا على الله بما لا حجة عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة البينة والبرهان الصحيح حيث قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا وقالوا والله أمرنا بها وقالوا الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ونسبوا اليه تحريم البحائر والسوائب وذهبوا فكذبوا القرآن والمعجزات وسموها سحرا ولم يؤمنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم (ويوم نحشرهم) ناصبه محذوف تقديره ويوم نحشرهم كان كيت وكيت فترك ليبقى على الابهام الذي هو داخل في التخويف (أين شركاؤكم) أي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله وقوله (الذين كنتم تزعمون) معناه تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان * وقرئ يحشرهم ثم يقول بالياء فيهما وانما يقال لهم ذلك على وجه التوبيخ ويجوز أن يشاهدوهم الا أنهم حين لا ينفعونهم ولا يكون منهم ما رجوا من الشفاعة فكأنهم غيب عنهم وأن يحال بينهم وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بهم الرجاء فيها فيروا مكان خزيهم وحسرتهم (فتنتهم) كفرهم والمعنى ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه أعمارهم وقاتلوا عليه وافتخروا به وقالوا دين آبائنا الا جحوده والتبرؤ منه والحلف على الانتفاء من التدين به ويجوز أن يراد ثم لم يكن جوابهم الا أن قالوا فسمي فتنة لانه كذب * وقرئ تكن بالتاء وفتنتهم بالنصب وانما أنث أن قالوا لوقوع الخبر مؤنثا كقولك من كانت أمك وقرئ بالياء ونصب الفتنة وبالياء والتاء مع رفع الفتنة * وقرئ ربنا بالنصب على النداء (وضل عنهم) وغاب عنهم (ما كانوا يفترون) أي يفترون الهيته وشفاعته (فان قلت) كيف يصح أن يكذبوا حين يطلعون على حقائق الامور وعلى أن الكذب والجحود لا وجه لمنفعته (قلت) الممتحن ينطق بما ينفعه وبما لا ينفعه من غير تمييز بينهما حيرة ودهشا ألا تراهم يقولون ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون وقد أيقنوا بالخلود ولم يشكوا فيه ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك وقد علموا أنه لا يقضى عليهم وأما قول من يقول معناه ما كنا مشركين عند أنفسنا وما علمنا انا على خطأ في معتقدنا وحمل قوله انظر كيف كذبوا على أنفسهم يعني في الدنيا فتمحل وتعسف وتحريف لأفصح الكلام الى ما هو عي واقحام لان المعنى الذي ذهبوا اليه ليس هذا الكلام بمترجم عنه ولا منطبق عليه وهو ناب عنه أشد النبو وما أدري ما يصنع من ذلك تفسيره بقوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا انهم هم الكاذبون بعد قوله ويحلفون على الكذب وهم يعلمون فشبه كذبهم في الآخرة بكذبهم في الدنيا (ومنهم من يستمع اليك) حين تتلو القرآن روي أنه اجتمع أبو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وأبو جهل وأضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر يا أبا قتيلة ما يقول محمد فقال والذي جعلها بيته يعني الكعبة ما أدري ما يقول الا أنه يحرك لسانه ويقول أساطير الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال أبو سفيان اني لاراه حقا فقال أبو جهل كلا فنزلت * والاكنة على القلوب والوقر في الآذان مثل في نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبوله واعتقاد صحته ووجه اسناد الفعل الى ذاته وهو قوله وجعلنا الدلالة على أنه أمر ثابت فيهم لا يزول عنهم كأنهم مجبولون عليه أو هي حكاية لما كانوا ينطقون به من قولهم وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وقرأ طلحة وقرا بكسر الواو (حتى اذا جاؤك يجادلونك) هي حتى التي تقع بعدها الجمل والجملة قوله اذا جاؤك (يقول الذين كفروا) ويجادلونك في موضع الحال ويجوز أن تكون الجارة ويكون اذا جاؤك في محل الجر بمعنى حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال وقوله يقول الذين كفروا تفسير له والمعنى أنه

* قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا (٤٤٨) على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون (قال وقرئ ولا نكذب ونكون بالنصب باضمار أن على جواب التمني الخ) قال أحمد وكثيرا ما تتناوب صيغة التمني والخبر الا ترى الى قوله تعالى وبما كانوا يكذبون في قوله ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين الى قوله وبما كانوا يكذبون وهذه المعاهدة انما كانت تمنيا بصيغة الخبر والله أعلم وأبين من ذلك قوله تعالى في آية أخرى وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فهذا هو التمني بعينه ولكن بصيغة الوعد والخبر الصريحة والله الموفق

بلغ تكذيبهم الآيات الى أنهم يجادلونك ويناكرونك وفسر مجادلتهم بأنهم يقولون (ان هذا الا أساطير الأولين) فيجعلون كلام الله وأصدق الحديث خرافات وأكاذيب وهي الغاية في التكذيب (وهم ينهون) الناس عن القرآن أو عن الرسول عليه الصلاة والسلام واتباعه ويثبطونهم عن الايمان به (وينأون عنه) بأنفسهم فيضلون ويضلون (وان يهلكون) بذلك (الا أنفسهم) ولا يتعداهم الضرر الى غيرهم وان كانوا يظنون أنهم يضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو أبو طالب لانه كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عنه ولا يؤمن به وروى انهم اجتمعوا الى أبي طالب وأرادوا برسول الله صلى الله عليه وسلم سوأ فقال

والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة * وابشر بذاك وقر منه عيونا
ودعوتني وزعمت أنك ناصح * ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت دينا لا محالة أنه * من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذاري سبة * لوجدتني سمحا بذاك مبينا

فنزلت (ولو ترى) جوابه محذوف تقديره ولو ترى لرأيت أمرا شنيعا (وقفوا على النار) أروها حتى يعاينوها أو اطلعوا عليها اطلاعا هي تحتهم أو أدخلوها فعرفوا مقدار عذابها من قولك وقفته على كذا اذا فهمته وعرفته * وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا (ياليتنا نرد) تم تمنيهم ثم ابتدؤا (ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) واعدين الايمان كأنهم قالوا ونحن لا نكذب ونؤمن على وجه الاثبات وشبهه سيبويه بقولهم دعني ولا أعود بمعنى دعني وأنا لا أعود تركتني أو لم تتركني ويجوز أن يكون معطوفا على نرد أو حالا على معنى ياليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين فيدخل تحت حكم التمني (فان قلت) يدفع ذلك قوله وانهم لكاذبون لان المتمني لا يكون كاذبا (قلت) هذا تمن قد تضمن معنى العدة فجاز أن يتعلق به التكذيب كما يقول الرجل ليت الله يرزقني مالا فأحسن اليك وأكافئك على صنيعك فهذا متمن في معنى الواعد فلو رزق مالا ولم يحسن الى صاحبه ولم يكافئه كذب كأنه قال ان رزقني الله مالا كافأتك على الاحسان وقرئ ولا نكذب ونكون بالنصب باضمار أن على جواب التمني ومعناه ان رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين (بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل) من قبائحهم وفضائحهم في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم فلذلك تمنوا ما تمنوا ضجرا لا أنهم عازمون على أنهم لو ردوا لآمنوا وقيل هو في المنافقين وانه يظهر نفاقهم الذي كانوا يسرونه وقيل هو في أهل الكتاب وأنه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولو ردوا) الى الدنيا بعد وقوفهم على النار (لعادوا لما نهوا عنه) من الكفر والمعاصي (وانهم لكاذبون) فيما وعدوا من أنفسهم لا يفون به (وقالوا) عطف على لعادوا أي ولو ردوا لكفروا ولقالوا (ان هي الا حياتنا الدنيا) كما كانوا يقولون قبل معاينة القيامة ويجوز أن يعطف على قوله وانهم لكاذبون على معنى وانهم لقوم كاذبون في كل شئ وهم الذين قالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وكفى به دليلا على كذبهم (وقفوا على ربهم) مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده ليعاتبه وقيل وقفوا على جزاء ربهم وقيل عرفوه حق التعريف (قال) مردود على قول قائل قال ماذا قال لهم ربهم اذ وقفوا عليه فقيل قال (أليس هذا بالحق) وهذا تعيير من الله تعالى لهم على التكذيب وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث والجزاء ما هو بحق وما هو الا باطل (بما كنتم تكفرون) بكفركم بلقاء الله ببلوغ الآخرة وما يتصل بها وقد حقق الكلام فيه في مواضع أخر (حتى) غاية لكذبوا لا لخسر لأن خسرانهم لا غاية له أي ما زال بهم التكذيب الى حسرتهم وقت مجيء الساعة (فان قلت) أما يتحسرون عند موتهم (قلت) لما كان الموت وقوعا في أحوال الآخرة

ان هذا الا أساطير الأولين وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون الا أنفسهم وما يشعرون ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة

ومقدماتها

قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله الآية (قال قد فى قد نعلم بمعنى ربما الذى يجىء لزيادة الفعل وكثرته كقوله ولكنه قد يهلك المال نائله) قال أحمد ومثله فى قوله وقد تعلمون انى رسول الله اليكم فانه يكثر علمهم برسالته ويؤكده بظهور آياته حتى يقيم عليهم الحجة فى جمعهم بين متناقضين اذيته ورسوخ علمهم برسالته والله أعلم ومنه أيضا قوله * قد أترك القرن مصفرا أنامله * والغرض التعبير عن المعنى بما يشعر بعكسه تنبيها على انه بلغ الآية التى مابعدها الا الرجوع ٤٤٩ الى الضد وذلك من لطائف لغة العرب وغرائبها * عاد كلامه (قال وقرئ يكذبونك بالتشديد والتخفيف من كذبه الى قوله ولكن الظالمين الخ) قال أحمد وفى هذا النوع من اقامة الظاهر مقام المضمر فان من نكت البيان احداهما الاسهاب فى ذمهم وهذه النكتة يستقل بها الظاهر من

٥٧ كشاف ل حيث كونه ظاهرا حتى لو كان لقبا جامدا والاخرى زيادة منه تؤكد ذمهم تفهم من اشتقاق الظاهر * عاد كلامه (قال وقوله ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية الخ) قال أحمد رحمه الله ولا دلالة فيه لانه مؤتلف مع نفى التكذيب أيضا وموقعه حينئذ من الفصاحة أبين أى هؤلاء لم يكذبوك فحقك أن تصبر عليهم ولا يحزنك أمرهم واذا كان من قبلك من الانبياء قد كذبهم قومهم فصبروا عليهم فأنت اذ لم يكذبوك أجدر بالصبر فقد ائتلف كما ترى بالتفسيرين جميعا ولكنه من غير الوجه الذى استدل به وفيه تقريب لما اختاره وذلك ان مثل هذه التسلية قد وردت مصرحا بها فى نحو قوله وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك فسلاه عن تكذيبهم له بتكذيب غيرهم من الامم لانبيائهم وما هو الا تفسير حسن مطابق للواقع مؤيد بالنظائر والله أعلم * قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى الآية

بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين

ومقدماتها جعل من جنس الساعة وسمى باسمها ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته أو جعل مجىء الساعة بعد الموت لسرعته كالواقع بغير فترة (بغتة) فجأة وانتصابها على الحال بمعنى باغتة أو على المصدر كأنه قيل بغتتهم الساعة بغتة (فرطنا فيها) الضمير للحياة الدنيا جىء بضميرها وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة أو للساعة على معنى قصرنا فى شأنها وفى الايمان بها كما تقول فرطت فى فلان ومنه فرطت فى جنب الله (يحملون أوزارهم على ظهورهم) كقوله فبما كسبت أيديكم لانه اعتيد حمل الاثقال على الظهور كما ألف الكسب بالايدى (ساء ما يزرون) بئس شيأ يزرون وزرهم كقوله ساء مثلا القوم * جعل أعمال الدنيا لعبا ولهوا واشتغالا بما لا يعنى ولا يعقب منفعة كما تعقب أعمال الآخرة المنافع العظيمة وقوله (للذين يتقون) دليل على أن ما عدا أعمال المتقين لعب ولهو * وقرأ ابن عباس رضى الله عنه ولدار الآخرة * وقرئ تعقلون بالتاء والياء * قد فى (قد نعلم) بمعنى ربما الذى يجىء لزيادة الفعل وكثرته كقوله

أخا ثقة لا تهلك الخمر ماله * ولكنه قد يهلك المال نائله

* والهاء فى (انه) ضمير الشأن (ليحزنك) * قرئ بفتح الياء وضمها و (الذى يقولون) هو قولهم ساحر كذاب (لا يكذبونك) قرئ بالتشديد والتخفيف من كذبه اذا جعله كاذبا فى زعمه وأكذبه اذا وجده كاذبا والمعنى أن تكذيبك أمر راجع الى الله لانك رسوله المصدق بالمعجزات فهم لا يكذبونك فى الحقيقة وانما يكذبون الله بجحود آياته فاله عن حزنك لنفسك وانهم كذبوك وأنت صادق وليشغلك عن ذلك ما هو أهم وهو استعظامك بجحود آيات الله تعالى والاستهانة بكتابه ونحوه قول السيد لغلامه اذا أهانه بعض الناس انهم لم يهينوك وانما أهانونى وفى هذه الطريقة قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل فانهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بألسنتهم وقيل فانهم لا يكذبونك لانك عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون بآيات الله وعن ابن عباس رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الامين فعرفوا أنه لا يكذب فى شىء ولكنهم كانوا يجحدون وكان أبو جهل يقول ما نكذبك لانك عندنا صادق وانما نكذب ما جئتنا به وروى أن الاخنس بن شريق قال لابى جهل يا أبا الحكم أخبرنى عن محمد أصادق هو أم كاذب فانه ليس عندنا أحد غيرنا فقال له والله ان محمدا لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصى باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقوله (ولكن الظالمين) من اقامة الظاهر مقام المضمر للدلالة على أنهم ظلموا فى جحودهم (ولقد كذبت) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا دليل على أن قوله فانهم لا يكذبونك ليس بنفى لتكذيبه وانما هو من قولك لغلامك ما أهانوك ولكنهم أهانونى (على ما كذبوا وأوذوا) على تكذيبهم وايذائهم (ولا مبدل لكلمات الله) لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون (ولقد جاءك من نبإ المرسلين) بعض أنبائهم وقصصهم وما كابدوا من مصابرة المشركين * كان يكبر على النبى صلى الله عليه وسلم كفر قومه واعراضهم عما جاء به فنزل لعلك باخع

(قال بأن يأتيهم بآية ملجئة ولكنه لا يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين من الذين يجهلون ذلك ويرومون ما هو خلافه) قال أحمد وهذه الآية أيضا كافلة بالرد على القدرية في زعمهم ان الله تعالى شاء جمع الناس كلهم على الهدى فلم يكن ألا ترى أن الجملة مصدرة بلو ومقتضاها امتناع جوابها لامتناع الواقع بعدها فامتناع اجتماعهم على الهدى اذا انما كان لامتناع المشيئة فمن ثم ترى الزمخشري يحمل المشيئة على قهرهم على الهدى بآية ملجئة لا يكون الايمان معها اختيارا حتى يتم له ان هذا الوجه من المشيئة لم يقع وان مشيئة اجتماعهم على الهدى على اختيار منهم ثابتة غير ممتنعة ولكن لم يقع متعلقها وهذه من خباياه وركائمه فاحذرها والله الموفق * قوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شئ (قال ان قلت هلا قيل وما من دابة ولا طائر الخ) قال أحمد ولم يبين وجه زيادتها التعميم ولقائل عليها أن يقول يلزم من العموم في أجناس الطير دخول كل طائر في الجو في العموم وان لم يذكر في الجو وكذلك يلزم من عموم الدواب في سائر أصنافها أن يندرج في ذلك كل دابة في الارضين وان لم يذكر في الارض فلا بد من بيان وجه الزيادة فنقول موقع قوله في الارض ويطير بجناحيه موقع الوصف العام وصفة العام عامة ضرورة المطابقة فكأنه مع زيادة الصفة تظافرت صفتان عامتان والله أعلم

وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت أن تبتغي نفقا في الارض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شئ ثم الى ربهم يحشرون

نفسك انك لا تهدي من أحببت (وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت أن تبتغي نفقا في الارض) منفذا تنفذ فيه الى ما تحت الارض حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها (أو سلما في السماء فتأتيهم) منها (بآية) فافعل يعني أنك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه على اسلام قومه وتهالكه عليه وأنه لو استطاع أن يأتيهم بآية من تحت الارض أو من فوق السماء لأتى بها رجاء ايمانهم وقيل كانوا يقترحون الآيات فكان يود أن يجابوا اليها لتمادي حرصه على ايمانهم فقيل له ان استطعت ذلك فافعل دلالة على أنه بلغ من حرصه أنه لو استطاع ذلك لفعله حتى يأتيهم بما اقترحوا من الآيات لعلهم يؤمنون ويجوز أن يكون ابتغاء النفق في الارض أو السلم في السماء هو الاتيان بالآيات كأنه قيل لو استطعت النفوذ الى ما تحت الارض أو الرقي الى السماء لعل ذلك يكون لك آية يؤمنون عندها وحذف جواب ان كما تقول ان شئت أن تقوم بنا الى فلان نزوره (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) بأن يأتيهم بآية ملجئة ولكنه لا يفعل لخروجه عن الحكمة (فلا تكونن من الجاهلين) من الذين يجهلون ذلك ويرومون ما هو خلافه (انما يستجيب الذين يسمعون) يعني أن الذين تحرص على أن يصدقوك بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون وانما يستجيب من يسمع كقوله انك لا تسمع الموتى (والموتى يبعثهم الله) مثل لقدرته على الجائهم الى الاستجابة بأنه هو الذي يبعث الموتى من القبور يوم القيامة (ثم اليه يرجعون) للجزاء فكان قادرا على هؤلاء الموتى بالكفر أن يحييهم بالايمان وأنت لا تقدر على ذلك وقيل معناه وهؤلاء الموتى يعني الكفرة يبعثهم الله ثم اليه يرجعون فحينئذ يسمعون وأما قبل ذلك فلا سبيل الى استماعهم وقرئ يرجعون بفتح الياء (لولا نزل عليه آية) نزل بمعنى أنزل * وقرئ أن ينزل بالتشديد والتخفيف وذكر الفعل والفاعل مؤنث لان تأنيث آية غير حقيقي وحسن للفصل وانما قالوا ذلك مع تكاثر ما أنزل من الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم لترك الاعتداد بما أنزل عليه كأنه لم ينزل عليه شئ من الآيات عنادا منهم (قل ان الله قادر على أن ينزل آية) تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل على بني اسرائيل ونحوه أو آية ان جحدوها جاءهم العذاب (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن الله قادر على أن ينزل تلك الآية وأن صارفا من الحكمة يصرفه عن انزالها (أمم أمثالكم) مكتوبة أرزاقها وآجالها وأعمالها كما كتبت أرزاقكم وآجالكم وأعمالكم (ما فرطنا) ما تركنا وما أغفلنا (في الكتاب) في اللوح المحفوظ (من شئ) من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ما وجب أن يثبت مما يختص به (ثم الى ربهم يحشرون) يعني الامم كلها من الدواب والطير فيعوضها وينصف بعضها من بعض كما روي انه يأخذ للجماء من القرناء (فان قلت) كيف قيل الا أمم مع افراد الدابة والطائر (قلت) لما كان قوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر دالا على معنى الاستغراق ومغنيا عن أن يقال وما من دواب ولا طير حمل قوله الا أمم على المعنى (فان قلت) هلا قيل وما من دابة ولا طائر الا أمم أمثالكم وما معنى زيادة قوله في الارض ويطير بجناحيه (قلت) معنى ذلك زيادة التعميم والاحاطة كأنه قيل وما من دابة قط في جميع الارضين السبع وما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم محفوظة أحوالها غير مهمل أمرها (فان قلت) فما الغرض في ذكر ذلك (قلت) الدلالة على عظم قدرته ولطف علمه وسعة سلطانه وتدبيره تلك الخلائق المتفاوتة الاجناس المتكاثرة الاصناف وهو حافظ لما لها وما

* قوله تعالى من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم (قال معنى يضلله يخذله ولم يلطف به الخ) قال أحمد وهذا من تحريفاته للهداية والضلالة اتباعا لمعتقده الفاسد في أن الله تعالى لا يخلق الهدى ولا الضلال وانهما من جملة مخلوقات العباد وكم تخرق عليه هذه العقيدة فيروم أن يرقعها وقد اتسع الخرق على الراقع والله الموفق * قوله تعالى قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون (قال متعلق الاستخبار محذوف تقديره الخ) قال أحمد هو لا يدع أن يحجر واسعا فيوجب على الله رعاية المصالح بناء على القاعدة الفاسدة من مراعاة الصلاح والأصلح

عليها مهيمن على أحوالها لا يشغله شأن عن شأن وأن المكلفين ليسوا بمخصوصين بذلك دون من عداهم من سائر الحيوان * وقرأ ابن أبي عبلة ولا طائر بالرفع على المحل كأنه قيل وما دابة ولا طائر * وقرأ علقمة ما فرطنا بالتخفيف (فان قلت) كيف أتبعه قوله (والذين كذبوا بآياتنا) (قلت) لما ذكر من خلائقه وآثار قدرته ما يشهد لربوبيته وينادي على عظمته قال والمكذبون (صم) لا يسمعون كلام المنبه (بكم) لا ينطقون بالحق خابطون في ظلمات الكفر فهم غافلون عن تأمل ذلك والتفكر فيه ثم قال ايذانا بأنهم من أهل الطبع (من يشاء الله يضلله) أي يخذله ويخل وضلاله لم يلطف به لانه ليس من أهل اللطف (ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) أي يلطف به لان اللطف يجدي عليه (أرأيتكم) أخبروني والضمير الثاني لا محل له من الاعراب لانك تقول أرأيتك زيدا ما شأنه فلو جعلت للكاف محلا لكنت كأنك تقول أرأيت نفسك زيدا ما شأنه وهو خلف من القول ومتعلق الاستخبار محذوف تقديره (ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة) من تدعون ثم بكتهم بقوله (أغير الله تدعون) بمعنى أتخصون آلهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم اذا أصابكم ضر أم تدعون الله دونها (بل اياه تدعون) بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة (فيكشف ما تدعون اليه) أي ما تدعونه الى كشفه (ان شاء) ان أراد أن يتفضل عليكم ولم يكن مفسدة (وتنسون ما تشركون) وتتركون آلهتكم أو لا تذكرونها في ذلك الوقت لان أذهانكم في ذلك الوقت مغمورة بذكر ربكم وحده اذ هو القادر على كشف الضر دون غيره ويجوز أن يتعلق الاستخبار بقوله أغير الله تدعون كأنه قيل أغير الله تدعون ان أتاكم عذاب الله (فان قلت) ان علقت الشرط به فما تصنع بقوله فيكشف ما تدعون اليه مع قوله أو أتتكم الساعة وقوارع الساعة لا تكشف عن المشركين (قلت) قد اشترط في الكشف المشيئة وهو قوله ان شاء ايذانا بأنه ان فعل كان له وجه من الحكمة الا أنه لا يفعل لوجه آخر من الحكمة أرجح منه * البأساء والضراء البؤس والضر وقيل البأساء القحط والجوع والضراء المرض ونقصان الاموال والانفس والمعنى ولقد أرسلنا اليهم الرسل فكذبوهم فأخذناهم (لعلهم يتضرعون) يتذللون ويتخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم (فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا) معناه نفي التضرع كأنه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم بأسنا ولكنه جاء بلولا ليفيد أنه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع الا عنادهم وقسوة قلوبهم واعجابهم بأعمالهم التي زينها الشيطان لهم (فلما نسوا ما ذكروا به) من البأساء والضراء أي تركوا الاتعاظ به ولم ينفع فيهم ولم يزجرهم (فتحنا عليهم أبواب كل شيء) من الصحة والسعة وصنوف النعمة ليزاوج عليهم بين نوبتي الضراء والسراء كما يفعل الأب المشفق بولده يخاشنه تارة ويلاطفه أخرى طلبا لصلاحه (حتى اذا فرحوا بما أوتوا) من الخير والنعم لم يزيدوا على الفرح والبطر من غير انتداب لشكر ولا تصد لتوبة واعتذار (أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون) واجمون متحسرون آيسون (فقطع دابر القوم) آخرهم لم يترك منهم أحد قط لستؤصلت شأفتهم

والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا

* عاد كلامه (قال وتنسون ما تشركون أي وتتركون آلهتكم الخ) قال أحمد وانما يلتقي الاختصاص حيث يقول معناه أتخصون آلهتكم ثم قال بل تخصون الله بالدعاء من حيث تقدم المفعول على الفعل في قوله أغير الله تدعون وقوله بل اياه تدعون وتقديم المفعول عنده يفيد الاختصاص والحصر وقوله تعالى اياك نعبد في قوة قولك لا نعبد الا اياك وقد مضى الكلام عليه * عاد كلامه (قال ويجوز أن يتعلق الاستخبار بقوله أغير الله تدعون الخ) قال أحمد ولقد سدد النظر لولا انه نغص ذلك بما يفهم وجوب مراعاة المصالح وان مشيئة الله تعالى تابعة للمصلحة وقد تقدم آنفا فاحذره وعليك بما سواه فانه من بديع النظر والله الموفق

* قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذاهم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين (قال الحمد ههنا ايذان بوجوب الحمد عند هلاك الخ) قال أحمد ونظيرها قوله تعالى وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى فمن وقف ههنا وجعل الحمد على اهلاك المتقدم ذكرهم من الطاغين ومنهم من وقف على المنذرين وجعل الحمد متصلا بما بعده من اقامة البراهين على وحدانية الله تعالى وانه جل جلاله خير عما يشركون فعلى الاول يكون الحمد ختما وعلى الثانى فاتحة وهو مستعمل فيهما شرعا لكنه فى آية النمل أظهر فى كونه مفتتحا لما بعده وفى آية الانعام ختم لما تقدمه ختما اذلا يقتضى السياق غير ذلك والله أعلم * قوله تعالى قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم انى ملك ان أتبع الا ما يوحى الى قل هل يستوى الاعمى والبصير أفلا تتفكرون الآية (قال أى لا أدعى ما يستبعد فى العقول الخ) قال أحمد رحمه الله هو يبنى على القاعدة المتقدمة له فى تفضيل الملائكة على الانبياء ولعمرى ان ظاهر هذه الآية يؤيده فلذلك انتهز الفرصة فى الاستدلال بها ولمخالفه أن يقول انما وردت الآية ردا على الكفار فى قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق لولا أنزل عليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز الآية فرد قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام بأنه بشر وذلك شأن البشر ولم يدع انه ملك حتى يتعجب من أكله الطعام وحينئذ لا يلزم منها تفضيل الملائكة على الانبياء لانه لا خلاف ان الانبياء يأكلون الطعام وان الملائكة ليسوا كذلك فالتفرقة بهذا الوجه متفق عليها ولا يوجب ذلك اتفاقا على ان الملائكة أفضل من الانبياء 452 وكذلك رد قولهم أو يلقى اليه كنز بأنه لا يملك خزائن الله تعالى حتى

والحمد لله رب العالمين قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم انى ملك ان أتبع الا ما يوحى الى قل هل يستوى الاعمى والبصير

المستقيم

(والحمد لله رب العالمين) ايذان بوجوب الحمد عند هلاك الظلمة وأنه من أجل النعم وأجزل القسم * وقرئ فتحنا بالتشديد (ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم) بأن يصمكم ويعميكم (وختم على قلوبكم) بأن يغطى عليها ما يذهب عنده فهمكم وعقلكم (يأتيكم به) أى يأتيكم بذلك اجراء للضمير مجرى اسم الاشارة أو بما أخذ وختم عليه (يصدفون) يعرضون عن الآيات بعد ظهورها * لما كانت البغتة أن يقع الامر من غير أن يشعر به وتظهر أماراته قيل (بغتة أو جهرة) وعن الحسن ليلا أو نهارا وقرئ بغتة أو جهرة (هل يهلك) أى ما يهلك هلاك تعذيب وسخط الا الظالمون * وقرئ هل يهلك بفتح الياء (مبشرين ومنذرين) من آمن بهم وعاجلا وآجلا بالثواب وأطاعهم ومن كذبهم وعصاهم ولم يرسلهم ليتلهى بهم ويقترح عليهم الآيات بعد وضوح أمرهم بالبراهين القاطعة (وأصلح) ما يجب عليه اصلاحه مما كان * جعل العذاب ماسا كأنه حى يفعل بهم ما يريد من الآلام ومنه قولهم لقيت منه الامرين والاقورين حيث جمعوا جمع العقلاء وقوله اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا * أى لا أدعى ما يستبعد فى العقول أن يكون لبشر من ملك خزائن الله وهى قسمه بين الخلق وأرزاقه وعلم الغيب وأنى من الملائكة الذين هم أشرف جنس خلقه الله تعالى وأفضله وأقربه منزلة منه أى لم أدع الهية ولا ملكية لانه ليس بعد الالهية منزلة أرفع من منزلة الملائكة حتى تستبعدوا دعواى وتستنكروها وانما أدعى ما كان مثله لكثير من البشر وهو النبوة (هل يستوى الاعمى والبصير) مثل للضال والمهتدى ويجوز أن يكون مثلا لمن اتبع ما يوحى اليه ومن لم يتبع أو لمن ادعى

بأنهم بكنز منها على وفق مقترحهم ولا قال لهم ذلك حتى يقام عليه الحجة بهذه الآية بجاء الترتيب فيها مخالفا لترتيب قوله لن يستنكف المسيح أن يكون عبد الله ولا الملائكة المقربون قال الزمخشرى لانهم أعلى من الانبياء وقد أخر ههنا دعوى الملكية عن دعوى الالهية اذ الالهية أجل وأعلى والملكية أدنى ولا محل لذلك الا التمهيد الذى أسلفته وقد جعلت الامر فى التقديم والتأخير تبعا للسياق فقد تقتضى البلاغة فى بعضه عكس ما تقتضيه فى الآخر ولم يحسن الزمخشرى فى قوله ليس بعد الالهية منزلة أرفع من منزلة الملائكة فانه جعل الالهية من جملة المنازل كالملكية ومثل هذا الاطلاق لا يسوغ والمنزلة عبارة عن المحل الذى ينزل الله فيه العبد من علو وغيره فاطلاقها على الالهية تحريف والله الموفق للصواب * عاد كلامه (قال والاعمى والبصير مثل للضال والمهتدى الخ) قال أحمد قوله أو ادعى المحال يعنى المستحيل ولذلك قابله بالمستقيم يريد الممكن وذلك مسبب عن دعوى الالهية اذ ادعاؤها لا يجوز عقلا وأما مدعى الملكية فلا يقاس بمدعى الالهية فى الاستحالة العقلية ويجوز فى القدرة أن يجعل البشر ملكا والملك بشرا كما يجوز أن يجعل البشر انبياء ويدل على هذا الجواز قوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا هذا مع ان العقل يجيزه فى قدرة الله تعالى لان الجواهر متماثلة والمعانى القائمة ببعضها يجوز أن تقوم بكلها

فالمعاني التي بها كان الملك ملكا يجوز أن يخلقها الله تعالى للبشر وبالعكس وعدم وقوعه لا يأبى استقامته وامكانه والله الموفق * قوله تعالى وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون (قال الذين يخافون اما قوم آمنوا الا أنهم مفرطون الخ) قال أحمد وانما كانت هذه الحال لازمة لو قيل وأنذر به الذين يحشرون لانه لولا الحال لعم الامر بالانذار كل أحد والمقصود تخصيصه بالبعض وأما وقد قيل وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم فهذا الكلام ٤٥٣ مستقل برأسه ومضمونه تخصيص الانذار المأمور به بالقوم الخائفين من البعث اما لانهم مقرون به واما لانهم يحتاطون لانفسهم فيحملهم الخوف على النظر المفضي الى اليقين دون العتاة المصممين على الجحود وليس كل خائف من البعث لا شفيع له فان الموحدين أجمعين خائفون وهم مشفوع لهم وان بني بالملازمة التي لا ينفك ذو الحال عنها كالتي في قوله وهو الحق مصدقا فانما هو حينئذ يبني على قاعدته في انكار الشفاعة فكل خائف عنده لا شفيع له اذ لا يخاف الا أصحاب الكبائر غير التائبين أو الكفار والكل عنده سواء لا شفيع لهم وحيث أثبت الشفاعة جعلها خاصة بزيادة الثواب فلا ينالها الا من يستوجب على زعمه الثواب بعمله الصالح وتكون الشفاعة مفيدة للمزيد على ما يرضيه فهذا عنده لا يخاف من البعث لانه يستوجب الجنة فمن ثم جعل الحال لازمة اذ الناس قسمان غير خائف فلا تتناوله الآية وخائف فذلك انما خاف لانه استوجب العقاب فلا شفاعة تناله وهذه من دفائنه الخفية ومكامنه المزوية فتفطن لها والله الموفق برحمته

أفلا تتفكرون وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين

المستقيم وهو النبوة والمحال وهو الالهية أو الملكية (أفلا تتفكرون) فلا تكونوا ضالين أشباه العميان أو فتعلموا أني ما ادعيت ما لا يليق بالبشر أو فتعلموا أن اتباع ما يوحى الي مما لا بد لي منه (فان قلت) أعلم الغيب ما محله من الاعراب (قلت) النصب عطفا على قوله عندي خزائن الله لانه من جملة المقول كأنه قال لا أقول لكم هذا القول ولا هذا القول (وأنذر به) الضمير راجع الى قوله ما يوحى الي و (الذين يخافون أن يحشروا) اما قوم داخلون في الاسلام مقرون بالبعث الا أنهم مفرطون في العمل فينذرهم بما يوحى اليه (لعلهم يتقون) أي يدخلون في زمرة المتقين من المسلمين واما أهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث واما ناس من المشركين علم من حالهم أنهم يخافون اذا سمعوا بحديث البعث أن يكون حقا فيهلكوا فهم ممن يرجى أن ينجع فيهم الانذار دون المتمردين منهم فأمر أن ينذر هؤلاء * وقوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا بمعنى يخافون أن يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا لهم ولا بد من هذه الحال لان كلا محشور فالمخوف انما هو الحشر على هذه الحال * ذكر غير المتقين من المسلمين وأمر بانذارهم ليتقوا ثم أردفهم ذكر المتقين منهم وأمره بتقريبهم واكرامهم وأن لا يطيع فيهم من أرادهم خلاف ذلك وأثنى عليهم بأنهم يواصلون دعاء ربهم أي عبادته ويواظبون عليها * والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل معناه يصلون صلاة الصبح والعصر ووسمهم بالاخلاص في عبادتهم بقوله (يريدون وجهه) والوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته روي أن رؤساء من المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو طردت عنا هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين وهم عمار وصهيب وبلال وخباب وسلمان وأضرابهم رضوان الله عليهم وأرواح جبابهم وكانت عليهم جباب من صوف جلسنا اليك وحادثناك فقال عليه الصلاة والسلام ما أنا بطارد المؤمنين قالوا فأقمهم عنا اذا جئنا فاذا قمنا فأقعدهم معك ان شئت فقال نعم طمعا في ايمانهم وروي أن عمر رضي الله عنه قال له لو فعلت حتى ننظر الى ما يصيرون قال فاكتب بذلك كتابا فدعا بصحيفة وبعلي رضي الله عنه ليكتب فنزلت فرمى بالصحيفة واعتذر عمر من مقالته قال سلمان وخباب فينا نزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا ويدنو منا حتى تمس ركبتنا ركبته وكان يقوم عنا اذا أراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا الى أن نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي معكم المحيا ومعكم الممات (ما عليك من حسابهم من شيء) كقوله ان حسابهم الا على ربي وذلك أنهم طعنوا في دينهم واخلاصهم فقال ما عليك من حسابهم من شيء بعد شهادته لهم بالاخلاص وبارادة وجه الله في أعمالهم على معنى وان كان الامر على ما يقولون عند الله فما يلزمك الا اعتبار الظاهر والاتسام بسمة المتقين وان كان لهم باطن غير مرضي فحسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم اليك كما أن حسابك عليك لا يتعداك اليهم كقوله ولا تزر وازرة وزر أخرى (فان قلت) أما كفى قوله ما عليك من حسابهم من شيء حتى ضم اليه (وما من حسابك عليهم من شيء) (قلت) قد جعلت الجملتان بمنزلة جملة واحدة وقصد بهما مؤدى واحد وهو المعنى في قوله ولا تزر وازرة وزر أخرى ولا يستقل بهذا المعنى الا الجملتان جميعا كأنه قيل لا تؤاخذ أنت ولا هم بحساب صاحبه وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا يؤاخذون بحسابك ولا أنت بحسابهم حتى يهمك ايمانهم ويحركك الحرص عليه الى أن تطرد المؤمنين (فتطردهم) جواب النفي (فتكون من الظالمين) جواب النهي ويجوز أن يكون عطفا على فتطردهم على وجه التسبيب لان كونه ظالما مسبب

عن طردهم * وقرئ بالغدوة والعشى (وكذلك فتنا) ومثل ذلك الفتن العظيم فتنا بعض الناس ببعض أى ابتليناهم بهم وذلك أن المشركين كانوا يقولون للمسلمين (أهؤلاء) الذين (من الله عليهم من بيننا) أى أنعم عليهم بالتوفيق لاصابة الحق ولما يسعدهم عنده من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء انكارا لان يكون أمثالهم على الحق وممنونا عليهم من بينهم بالخير ونحوه أألقى الذكر عليه من بيننا لو كان خيرا ماسبقونا اليه ومعنى فتناهم ليقولوا ذلك خذلناهم فافتتنوا حتى كان افتتانهم سببا لهذا القول لانه لا يقول مثل قولهم هذا الا مخذول مفتون (أليس الله بأعلم بالشاكرين) أى الله أعلم بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه للايمان وبمن يصمم على كفره فيخذله ويمنعه التوفيق (فقل سلام عليكم) اما أن يكون أمرا بتبليغ سلام الله اليهم واما أن يكون أمرا بأن يبدأهم بالسلام اكراما لهم وتطييبا لقلوبهم وكذلك قوله (كتب ربكم على نفسه الرحمة) من جملة ما يقول لهم ليبشرهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة منهم * وقرئ انه فانه بالكسر على الاستئناف كأن الرحمة استفسرت فقيل (انه من عمل منكم) وبالفتح على الابدال من الرحمة (بجهالة) فى موضع الحال أى عمله وهو جاهل وفيه معنيان أحدهما أنه فاعل فعل الجهلة لان من عمل ما يؤدى الى الضرر فى العاقبة وهو عالم بذلك أو ظان فهو من أهل السفه والجهل لا من أهل الحكمة والتدبير ومنه قول الشاعر

على أنها قالت عشية زرتها * جهلت على عمد ولم تك جاهلا

والثانى انه جاهل بما يتعلق به من المكروه والمضرة ومن حق الحكيم أن لا يقدم على شئ حتى يعلم حاله وكيفيته وقيل انها نزلت فى عمر رضى الله عنه حين أشار باجابة الكفرة الى ماسألوا ولم يعلم أنها مفسدة * وقرئ (ولتستبين) بالتاء والياء مع رفع السبيل لانها تذكر وتؤنث وبالتاء على خطاب الرسول مع نصب السبيل يقال استبان الامر وتبين واستبنته وتبينته والمعنى ومثل ذلك التفصيل البين نفصل آيات القرآن ونلخصها فى صفة أحوال المجرمين من هو مطبوع على قلبه لا يرجى اسلامه ومن يرى فيه امارة القبول وهو الذى يخاف اذا سمع ذكر القيامة ومن دخل فى الاسلام الا أنه لا يحفظ حدوده ولتستوضح سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يجب أن يعامل به فصلنا ذلك التفصيل (نهيت) صرفت وزجرت بما ركب فىّ من أدلة العقل وبما أوتيت من أدلة السمع عن عبادة ما تعبدون (من دون الله) وفيه استجهال لهم ووصف بالاقتحام فيما كانوا فيه على غير بصيرة (قل لا أتبع أهواءكم) أى لا أجرى فى طريقتكم التى سلكتموها فى دينكم من اتباع الهوى دون اتباع الدليل وهو بيان السبب الذى منه وقعوا فى الضلال وتنبيه لكل من أراد اصابة الحق ومجانبة الباطل (قد ضللت اذا) أى ان اتبعت أهواءكم فأنا ضال وما أنا من الهدى فى شئ يعنى أنكم كذلك ولما نفى أن يكون الهوى متبعا نبه على ما يجب اتباعه بقوله (قل انى على بينة من ربى) ومعنى قوله انى على بينة من ربى وكذبتم به انى من معرفة ربى وانه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق (وكذبتم به) أنتم حيث أشركتم به غيره يقال أنا على بينة من هذا الامر وأنا على يقين منه اذا كان ثابتا عندك بدليل * ثم عقبه بما دل على استعظام تكذيبهم بالله وشدة غضبه عليهم لذلك وأنهم أحقاء بأن يغافصوا بالعذاب المستأصل فقال (ما عندى ما تستعجلون به) يعنى العذاب الذى استعجلوه فى قولهم فأمطر علينا حجارة من السماء (ان الحكم الا لله) فى تأخير عذابكم (يقض الحق) أى القضاء الحق فى كل ما يقضى من التأخير والتعجيل فى أقسامه (وهو خير الفاصلين) أى القاضين وقرئ يقص الحق أى يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره من قص أثره (لو أن عندى) أى فى قدرتى وامكانى (ما تستعجلون به) من العذاب (لقضى الامر بينى وبينكم) لأهلكتكم عاجلا غضبا لربى وامتعاضا من تكذيبكم به ولتخلصت منكم سريعا (والله أعلم بالظالمين) وبما يجب فى الحكمة من كنه عقابهم * وقيل على بينة من ربى على حجة من جهة ربى وهى القرآن وكذبتم به أى بالبينة وذكر الضمير على تأويل البيان أو القرآن (فان قلت) بم انتصب الحق (قلت) بأنه صفة لمصدر يقضى أى يقضى القضاء الحق ويجوز أن يكون مفعولا به من قولهم قضى الدرع اذا صنعها أى يصنع الحق ويدبره وفى قراءة عبد الله

وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوأ بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت اذا وما أنا من المهتدين قل انى على بينة من ربى وكذبتم به ما عندى ما تستعجلون به ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين قل لو أن عندى ما تستعجلون به لقضى الامر بينى وبينكم والله أعلم بالظالمين وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس

* قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين (قال المفاتح استعارة لان المفاتح يتوصل بها الى ما في المخازن الخ) قال أحمد اطلاق التوصل على الله تعالى ليس سديدا فانه يوهم تجدد وصول بعد تباعد اذ قول القائل توصل زيد الى كذا يفهم انه وصل بعد تكلف وبعد والله تعالى مقدس عن ذلك والغائب كالحاضر في علمه والعلم بالكائن هو العلم بما سيكون لا يتغاير ولا يختلف وليس لنا أن نطلق مثل هذا الاطلاق الا عن ثبت والله الموفق * عاد كلامه (قال ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل في حكمها الخ) قال أحمد وفائدة هذا التكرير التطرية لما بعد عهده لانه لما عطف على ورقة بعد ان ساق الايجاب المقصود دالة في قوله الا يعلمها وكانت هذه المعطوفات داخلة في ايجاب العلم وهو المقصود وطالت وبعد ارتباط آخرها بالايجاب السالف كان ذلك جديرا بتجديد العهد بالمقصود ثم كان اللائق بالبلاغة الالوفق في القرآن التجديد بعبارة أخرى ايتلقاها السامع غضة جديدة غير مملولة بالتكرير وهذا السر انما ينقب عنه المسيطر في علم البيان ونكت البلاغة والله الموفق

الا في كتاب مبين وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرّطون ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين قل من ينجيكم من ظلمات البرّ والبحر تدعونه تضرّعا وخفية لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم

يقضي بالحق (فان قلت) لم أسقطت الياء في الخط (قلت) اتباعا للخط اللفظ وسقوطها في اللفظ لالتقاء الساكنين * جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة لان المفاتح يتوصل بها الى ما في المخازن المتوثق منها بالأغلاق والأقفال ومن علم مفاتحها وكيف تفتح توصل اليها فأراد أنه هو المتوصل الى المغيبات وحده لا يتوصل اليها غيره كمن عنده مفاتح أقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل الى ما في المخازن والمفاتح جمع مفتح وهو المفتاح وقرئ مفاتيح وقيل هي جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن * ولا حبة ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل في حكمها كأنه قيل وما يسقط من شئ من هذه الاشياء الا يعلمه وقوله (الا في كتاب مبين) كالتكرير لقوله الا يعلمها لان معنى الا يعلمها ومعنى الا في كتاب مبين واحد والكتاب المبين علم الله تعالى أو اللوح * وقرئ ولا حبة ولا رطب ولا يابس بالرفع وفيه وجهان أن يكون عطفا على محل من ورقة وأن يكون رفعا على الابتداء وخبره الا في كتاب مبين كقولك لا رجل منهم ولا امرأة الا في الدار (وهو الذي يتوفاكم بالليل) الخطاب للكفرة أي أنتم منسدحون الليل كله كالجيف (ويعلم ما جرحتم بالنهار) ما كسبتم من الآثام فيه (ثم يبعثكم فيه) ثم يبعثكم من القبور في شأن ذلك الذي قطعتم به أعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ومن أجله كقولك فيم دعوتني فتقول في أمر كذا (ليقضى أجل مسمى) وهو الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على أعمالهم (ثم اليه مرجعكم) وهو المرجع الى موقف الحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون) في ليلكم ونهاركم (حفظة) ملائكة حافظين لأعمالكم وهم الكرام الكاتبون وعن أبي حاتم السجستاني أنه كان يكتب عن الاصمعي كل شئ يلفظ به من فوائد العلم حتى قال فيه أنت شبيه الحفظة تكتب لغط اللغطة فقال أبو حاتم وهذا أيضا مما يكتب (فان قلت) الله تعالى غنيّ بعلمه عن كتبة الملائكة فما فائدتها (قلت) فيها لطف للعباد لانهم اذا علموا أن الله رقيب عليهم والملائكة الذين هم أشرف خلقه موكلون بهم يحفظون عليهم أعمالهم ويكتبونها في صحائف تعرض على رؤس الاشهاد في مواقف القيامة كان ذلك أزجر لهم عن القبيح وأبعد من السوء (توفته رسلنا) أي استوفت روحه وهم ملك الموت وأعوانه وعن مجاهد جعلت الارض له مثل الطست يتناول من يتناوله وما من أهل بيت الا ويطوف عليهم في كل يوم مرتين وقرئ توفاه ويجوز أن يكون ماضيا ومضارعا بمعنى تتوفاه و (يفرطون) بالتشديد والتخفيف فالتفريط التواني والتأخير عن الحد والافراط مجاوزة الحد أي لا ينقصون مما أمروا به أو لا يزيدون فيه (ثم ردوا الى الله) أي الى حكمه وجزائه (مولاهم) مالكهم الذي يلي عليهم أمورهم (الحق) العدل الذي لا يحكم الا بالحق (ألا له الحكم) يومئذ لا حكم فيه لغيره (وهو أسرع الحاسبين) لا يشغله حساب عن حساب وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولك الحمد لله الحق (ظلمات البر والبحر) مجاز عن مخاوفهما وأهوالهما يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب أي اشتدت ظلمته حتى عاد كالليل ويجوز أن يراد ما يشفون عليه من الخسف في البرّ والغرق في البحر بذنوبهم فاذا دعوا وتضرّعوا كشف الله عنهم الخسف والغرق فنجوا من ظلماتهما (لئن أنجيتنا) على ارادة القول (من هذه) من هذه الظلمة الشديدة * وقرئ ينجيكم بالتشديد والتخفيف وأنجانا وخفية بالضم والكسر (هو القادر) هو الذي عرفتموه قادرا وهو الكامل القدرة (عذابا من فوقكم) كما أمطر على قوم لوط وعلى أصحاب الفيل الحجارة وأرسل

* قوله تعالى (واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) (قال معناه وان شغلك بوسوسته حتى تنسى النهى الخ) قال أحمد وهذا التأويل الثانى يروم ٤٥٦ تنزيله على قاعدة التحسين والتقبيح بالعقل وانه كاف وان لم يرد شرع فى التحريم وغيره من الاحكام اذا كانت واضحة للعقل كمجالسة المستهزئين فان قبحها بين بالعقل فهو مستقل بتحريمها وحيث ورد الشرع بذلك

أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبإ مستقر وسوف تعلمون واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وما على الذين يتقون من حسابهم من شئ ولكن ذكرى لعلهم يتقون وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع

على قوم نوح الطوفان (أو من تحت أرجلكم) كما أغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم من قبل أكابركم وسلاطينكم ومن تحت أرجلكم من قبل سفلتكم وعبيدكم وقيل هو حبس المطر والنبات (أو يلبسكم شيعا) أو يخلطكم فرقا مختلفين على أهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة لامام ومعنى خلطهم أن ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا فى ملاحم القتال من قوله

وكتيبة لبستها بكتيبة * حتى اذا التبست نفضت لها يدى

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت الله أن لا يبعث على أمتى عذابا من فوقهم أو من تحت أرجلهم فأعطانى ذلك وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنى وأخبرنى جبريل أن فناء أمتى بالسيف وعن جابر بن عبد الله لما نزل من فوقكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعوذ بوجهك فلما نزل أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا قال هاتان أهون ومعنى الآية الوعيد بأحد أصناف العذاب المعدودة * والضمير فى قوله (وكذب به) راجع الى العذاب (وهو الحق) أى لا بد أن ينزل بهم (قل لست عليكم بوكيل) بحفيظ وكل الى أمركم أمنعكم من التكذيب اجبارا انما أنا منذر (لكل نبإ) لكل شئ ينبأ به يعنى انباءهم بأنهم يعذبون وايعادهم به (مستقر) وقت استقرار وحصول لا بد منه وقيل الضمير فى به للقرآن (يخوضون فى آياتنا) فى الاستهزاء بها والطعن فيها وكانت قريش فى أنديتهم يفعلون ذلك (فأعرض عنهم) فلا تجالسهم وقم عنهم (حتى يخوضوا فى حديث غيره) فلا بأس أن تجالسهم حينئذ (واما ينسينك الشيطان) وان شغلك بوسوسته حتى تنسى النهى عن مجالستهم (فلا تقعد) معهم (بعد الذكرى) بعد أن تذكر النهى * وقرئ ينسينك بالتشديد ويجوز أن يراد وان كان الشيطان ينسينك قبل النهى قبح مجالسة المستهزئين لانها مما تنكره العقول فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان ذكرناك قبحها ونبهناك عليه معهم (وما على الذين يتقون من حسابهم من شئ) وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم شئ مما يحاسبون عليه من ذنوبهم (ولكن) عليهم أن يذكروهم (ذكرى) اذا سمعوهم يخوضون بالقيام عنهم واظهار الكراهة لهم وموعظتهم (لعلهم يتقون) لعلهم يجتنبون الخوض حياء أو كراهة لمساءتهم ويجوز أن يكون الضمير للذين يتقون أى يذكرونهم ارادة أن يثبتوا على تقواهم ويزدادوها وروى أن المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقرآن لم نستطع أن نجلس فى المسجد الحرام وأن نطوف فرخص لهم (فان قلت) ما محل ذكرى (قلت) يجوز أن يكون نصبا على ولكن يذكرونهم ذكرى أى تذكيرا ورفعا على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز أن يكون عطفا على محل من شئ كقولك ما فى الدار من أحد ولكن زيد لان قوله من حسابهم يأبى ذلك (اتخذوا دينهم لعبا ولهوا) أى دينهم الذى كان يجب أن يأخذوا به لعبا ولهوا وذلك أن عبادة الاصنام وما كانوا عليه من تحريم البحائر والسوائب وغير ذلك من باب اللعب واللهو واتباع هوى النفس والعمل بالشهوة ومن جنس الهزل دون الجد أو اتخذوا ما هو لعب ولهو من عبادة الاصنام وغيرها دينا لهم أو اتخذوا دينهم الذى كلفوه ودعوا اليه وهو دين الاسلام لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزؤا وقيل جعل الله لكل قوم عيدا يعظمونه ويصلون فيه ويعمرونه بذكر الله والناس كلهم من المشركين وأهل الكتاب اتخذوا عيدهم لعبا ولهوا غير المسلمين فانهم اتخذوا عيدهم كما شرعه الله * ومعنى ذرهم أعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم ولا تشغل قلبك بهم (وذكر به) أى بالقرآن (أن تبسل نفس) مخافة أن تسلم الى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء كسبها وأصل الابسال المنع لان المسلم اليه يمتنع المسلم قال

وابسالى بنى بغير جرم * بعوناه ولا بدم مراق

ومنه هذا عليك بسل أى حرام محظور والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه أو لانه شديد البسور يقال بسر الرجل

فهو كاشف لحكمها ومنبه عليه لا منشئ فيها حكما وقد علمت فساد هذه القاعدة ومخالفتها للعقائد السنية على ان الآية تنبو عنه فانه لو كان النسيان المراد هو نسيان الحكم الذى يدل عليه العقل قبل ورود هذا النهى لما عبر بالمستقبل فى قوله واما ينسينك فأما وقد ورد بصيغة الاستقبال فلا وجه لحمله على الماضى والله الموفق

اذا

* قوله تعالى وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها (قال معناه وان تفد كل فداء والعدل الفدية الخ) قال أحمد وهذا أيضا من عيون اعرابه ونكت اغرابه التي طالما ذهل عنها غيره وهو من جنس تدقيقه في منع عود الضمير من قوله فتنفخ فيها الى الهيئة من قوله كهيئة الطير مع انه السابق الى الذهن وانما حمله على القول بان العدل ههنا مصدر ان الفعل تعدى اليه بغير واسطة ولو كان المراد المفدى به لكان مفعولا به فلم يتعد اليه الفعل الا بالباء وكان وجه الكلام وان تعدل بكل عدل فلما عدل عنه علم انه مصدر والله أعلم * قوله تعالى قل أندعو من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له أصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا قل ان هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين وأن أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذي اليه تحشرون (قال نزلت في أبي بكر رضي الله عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمن الى عبادة الاوثان الخ) قال أحمد ومن أنكر الجن واستيلاءها على بعض الاناسي بقدرة الله تعالى حتى يحدث من ذلك الخبطة والصرع ونحوهما فهو ممن استهوته الشياطين في مهامه الضلال الفلسفي حيران له أصحاب من الموحدين يدعونه الى الهدى الشرعي ائتنا وهو راكب في ضلالة التعاسيف لا يلوي عليهم ولا يلتفت اليهم فرة يقول ان الوارد في الشرع من ذلك تخييل كما تقدم في سورة البقرة ومرة يعده من زعمات العرب وزخارفها وقد أسلفنا ذلك (٤٥٧) في البقرة وآل عمران قولا شافيا بلية الجدد به عهدا

وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون قل أندعوا من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له أصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا قل ان هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين

اذا اشتد عبوسه فاذا زاد قالوا بسل والعابس منقبض الوجه (وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها) وان تفد كل فداء والعدل الفدية لان الفادي يعدل المفدى بمثله وكل عدل نصب على المصدر وفاعل يؤخذ قوله منها لا ضمير العدل لان العدل ههنا مصدر فلا يسند اليه الاخذ وأما في قوله تعالى ولا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدى به فصح اسناده اليه (أولئك) اشارة الى المتخذين دينهم لعبا ولهوا * قيل نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمن الى عبادة الاوثان (قل أندعوا) أنعبد (من دون الله) الضار النافع مالا يقدر على نفعنا ولا مضرتنا (ونرد على أعقابنا) راجعين الى الشرك بعد اذ أنقذنا الله منه وهدانا للاسلام (كالذي استهوته الشياطين) كالذي ذهبت به مردة الجن والغيلان (في الارض) المهمه (حيران) تائها ضالا عن الجادة لا يدري كيف يصنع (له) أي لهذا المستهوي (أصحاب) رفقة (يدعونه الى الهدى) الى أن يهدوه الطريق المستوي أو سمى الطريق المستقيم بالهدى يقولون له (ائتنا) وقد اعتسف المهمه تابعا للجن لا يجيبهم ولا يأتيهم وهذا مبني على ما تزعمه العرب وتعتقده أن الجن تستهوي الانسان والغيلان تستولي عليه كقوله كالذي يتخبطه الشيطان من المس فشبه الضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه اليه فلا يلتفت اليهم (قل ان هدى الله) وهو الاسلام (هو الهدى) وحده وما وراءه ضلال وغي ومن يبتغ غير الاسلام دينا فماذا بعد الحق الا الضلال (فان قلت) فما محل الكاف في قوله كالذي استهوته (قلت) النصب على الحال من الضمير في نرد على أعقابنا أي أننكص مشبهين من استهوته الشياطين (فان قلت) ما معنى استهوته (قلت) هو استفعال من هوى في الارض اذا ذهب فيها كأن معناه طلبت هويه وحرصت عليه (فان قلت) ما محل (أمرنا) (قلت) النصب عطفا على محل قوله ان هدى الله هو الهدى على أنهما مقولان كأنه قيل قل هذا القول وقل أمرنا لنسلم (فان قلت) ما معنى اللام في (لنسلم) (قلت) هي تعليل للامر بمعنى أمرنا وقيل لنا أسلموا لاجل أن نسلم (فان قلت) فاذا كان هذا واردا في شأن أبي بكر الصديق رضي الله عنه فكيف

والله الموفق عاد كلامه

(قال فان قلت اذا كان هذا واردا في أبي بكر فكيف قيل للرسول عليه الصلاة والسلام قل أندعوا من دون الله الخ) قال أحمد هو مبني على ان الامر هو الارادة أو من لوازمه ارادة المأمور به وهذا الاعراب منزل على معتقده هذا وأما أهل السنة فكما علمت ان الامر عندهم غير الارادة ولا يستلزمها وقولهم في هذه اللام كقولهم في وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون من نفي كونها تعليلا والوجه في ذلك انهم لما أوضحت لهم الآيات البينات وأزيحت عنهم العلل وتمكنوا من الاسلام والعبادة امتثالا للامر جعلوا بمثابة من أريد منهم ذلك تمكينا لحضهم على الامتثال ولقطع أعذارهم اذا فعل بهم فعل المراد منهم ذلك وما شأن المريد للشيء اذا كان قادرا على حصوله أن يزيح العلل ويرفع الموانع وكذلك فعل مع المكلفين وان لم تكن الطاعة مرادة من جميعهم وأما اذا كانت اللام هي التي تصحب المصدر كما يقول الزجاج تقديره الامر للاسلام وكذلك يقول في قوله تعالى يريد الله ليبين لكم الارادة للبيان وهي اللام التي تصحب المفعول عند تقدمه في قولك لزيد ضربت فهي على هذا الوجه غير محتاجة للتأويل وقد قيل انها بمعنى أن كأنه قيل وأمرنا أن نسلم قال هذا القائل وكي ولام كي في أمرت وأردت خاصة بمعنى أن لا على بابها من التعليل والغرض من دخولها افادة الاستقبال على وجه أوثق وأبلغ اذ لا يتعلق هذان المعنيان أعني الامر والارادة الا بمستقبل وقد جمع بين الثلاثة اللام وكي وان في قوله أردت لكيما أن يطير البيت وهذا الوجه أيضا سالم المعنى من الخلل الذي يعتقده الزمخشري والمحافظة على العقيدة وقد وجدنا السبيل الى ذلك بحمد الله متعينة والله الموفق

* عاد كلامه (قال فان قلت علام عطف قوله وأن أقيموا الخ) قال أحمد وهذا مصداق القول بان لنسلم معناه أن نسلم وان اللام فيه رديفة أن لا يراد عطفه واعلم اذ ذلك هو الوجه الصحيح ان شاء الله وفى ورود أقيموا الصلاة محكيا بصيغته وورود نسلم محكيا بمعناه اذ الاصل المطابق لاقيموا أسلموا مصداق لما قدمته عند قوله تعالى ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربى وربكم وبينت ثم ان ذلك جائز على أن يكون عيسى عليه السلام حكى قول الله تعالى اعبدوا الله ربكم ورب عيسى بمعناه فقال اعبدوا الله ربى وربكم فهذا مثله فى حكاية المعنى دون اللفظ والله أعلم * قوله تعالى (٤٥٨) وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبا الآية (قال قوله فلما جن عليه الليل

وأن أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذى اليه تحشرون وهو الذى خلق السموات والارض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ فى الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير واذ قال ابراهيم لابيه آزر أتتخذ أصناما آلهة انى أراك وقومك فى ضلال مبين وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى

قيل للرسول عليه الصلاة والسلام قل أندعو (قلت) للاتحاد الذى كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين خصوصا بينه وبين الصديق أبى بكر رضى الله عنه (فان قلت) علام عطف قوله (وأن أقيموا) (قلت) على موضع لنسلم كأنه قيل وأمرنا أن نسلم وأن أقيموا ويجوز أن يكون التقدير وأمرنا لان نسلم ولان أقيموا أى للاسلام ولاقامة الصلاة (قوله الحق) مبتدأ ويوم يقول خبره مقدما عليه وانتصابه بمعنى الاستقرار كقولك يوم الجمعة القتال واليوم بمعنى الحين والمعنى أنه خلق السموات والارض قائما بالحق والحكمة وحين يقول لشئ من الاشياء كن فيكون ذلك الشئ قوله الحق والحكمة أى لا يكون شيأ من السموات والارض وسائر المكونات الا عن حكمة وصواب و(يوم ينفخ) ظرف لقوله (وله الملك) كقوله لمن الملك اليوم ويجوز أن يكون قوله الحق فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق أى لقضائه الحق كن فيكون قوله الحق وانتصاب اليوم لمحذوف دل عليه قوله بالحق كأنه قيل وحين يكون ويقدر يقوم بالحق (عالم الغيب) هو عالم الغيب وارتفاعه على المدح (آزر) اسم أبى ابراهيم عليه السلام وفى كتب التواريخ أن اسمه بالسريانية تارح والاقرب أن يكون وزن آزر فاعل مثل تارح وعابر وعازر وشالخ وفالغ وما أشبهها من أسمائهم وهو عطف بيان لابيه وقرئ آزر بالضم على النداء وقيل آزر اسم صنم فيجوز أن ينبز به للزومه عبادته كما نبز ابن قيس بالرقيات اللاتى كان يشبب بهن فقيل ابن قيس الرقيات وفى شعر بعض المحدثين

أدعى بأسماء نبزا فى قبائلها * كأن أسماء أضحت بعض أسمائى

أو أريد عابد آزر فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه * وقرئ أأزرا تتخذ أصناما آلهة بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاى ساكنة وراء منصوبة منونة وهو اسم صنم ومعناه أتعبد أزرا على الانكار ثم قال تتخذ أصناما آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل فى حكم الانكار لانه كالبيان له (فلما جن عليه الليل) عطف على قال ابراهيم لابيه وقوله وكذلك نرى ابراهيم جملة معترض بها بين المعطوف والمعطوف عليه والمعنى ومثل ذلك التعريف والتبصير نعرف ابراهيم ونبصره * ملكوت السموات والارض يعنى الربوبية والالهية ونوفقه لمعرفتها ونرشده بما شرحنا صدره وسددنا نظره وهديناه لطريق الاستدلال * وليكون من الموقنين فعلنا ذلك ونرى حكاية حال ماضية وكان أبوه وقومه يعبدون الاصنام والشمس والقمر والكواكب فأراد أن ينبههم على الخطأ فى دينهم وأن يرشدهم الى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم أن النظر الصحيح مؤد الى أن شيأ منها لا يصح أن يكون الها لقيام دليل الحدوث فيها وأن وراءها محدثا أحدثها وصانعا صنعها ومدبرا دبر طلوعها وأفولها وانتقالها ومسيرها وسائر أحوالها (هذا ربى) قول من ينصف خصمه مع علمه بأنه مبطل فيحكى قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لان ذلك أدعى الى الحق وأنجى من الشغب ثم يكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة (لا أحب الآ فلين) لا أحب عبادة الارباب المتغيرين عن حال الى حال المتنقلين من مكان الى مكان المحتجبين بستر فان ذلك من صفات الاجرام (بازغا) مبتدئا فى الطلوع (لئن لم يهدنى ربى) تنبيه لقومه

عطف على قال ابراهيم لابيه الخ) قال أحمد وفى الاعتراض بهذه الجملة تنويه بما سيأتى من استدلال ابراهيم عليه السلام على وانه تبصيره من الله تعالى وتسديد * عاد كلامه (قال وكان أبوه آزر وقومه يعبدون الاصنام والشمس والقمر والكواكب الخ) قال أحمد والتعريض بضلالهم ثانيا أصرح وأقوى من قوله أولا لا أحب الآ فلين وانما ترقى الى ذلك لان الخصوم قد أقامت عليه الاستدلال الاول حجة فأنسوا بالقدح فى معتقدهم ولو قيل هذا فى الاول فلعلهم كانوا ينفرون ولا يصغون الى الاستدلال فما عرض صلوات الله عليه بأنهم فى ضلالة الابعد ان وثق باصغائهم الى تمام المقصود واستماعهم الى آخره والدليل على ذلك انه ترقى فى النوبة الثالثة الى التصريح بالبراءة منهم والتقريع بأنهم على شرك حين قيام الحجة عليهم وتبلج الحق وبلغ من الظهور غاية المقصود والله أعلم

* عادكلامه (قال وقوله هذا أكبر من باب استعمال النصفة أيضامع الخصوم الخ) قال أحمد وصدق الزمخشري بل ذلك متعين وقد ورد الحديث الوارد في الشفاعة انهم يأتون ابراهيم عليه السلام فيلتمسون منه الشفاعة فيقول نفسي نفسي لا أسأل احدا غيري ويذكر كذباته الثلاث ويقول لست لها يريد قوله لسارة هي أختي وانما عني في الاسلام وقوله انه سقيم وانما عني همه بقومه وبشركهم والمؤمن يسقمه ذلك وقوله بل فعله كبيرهم وقد ذكرت فيه وجوه من التعريض فاذا عد صلوات الله عليه وسلامه على نفسه هذه الكلمات مع العلم بأنه غير مؤاخذ بها دل ذلك على انها أعظم ما صدر منه فلو كان الامر على ما يقال من أن هذا الكلام محكي عنه على انه نظره لنفسه لكان أولى أن يعده وأعظم مما ذكرناه لانه حينئذ يكون شكا بل جزما على ان الصحيح ان الانبياء قبل النبوة معصومون من ذلك عادكلامه (قال فان قلت لم احتج عليهم بالافول دون البزوغ وكلاهما انتقال الخ) قال أحمد وهذه أيضا من عيون نكته ووجوه حسناته * قوله تعالى وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به

(٤٥٩)

الا أن يشاء ربي شيأ وسع ربي كل شيء علما

هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم انى بريء مما تشركون انى وجهت وجهي للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربي شيأ وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون

على ان من اتخذ القمر الها وهو نظير الكوكب في الافول فهو ضال وأن الهداية الى الحق بتوفيق الله ولطفه (هذا أكبر) من باب استعمال النصفة أيضا مع خصومه (انى بريء مما تشركون) من الاجرام التي تجعلونها شركاء لخالقها (انى وجهت وجهي للذى فطر السموات والارض) أى للذى دلت هذه المحدثات عليه وعلى أنه مبتدئها ومبتدعها وقيل هذا كان نظره واستدلاله في نفسه فحكاه الله والاول أظهر لقوله لئن لم يهدني ربي وقوله ياقوم انى بريء مما تشركون (فان قلت) لم احتج عليهم بالافول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال الى حال (قلت) الاحتجاج بالافول أظهر لانه انتقال مع خفاء واحتجاب (فان قلت) ما وجه التذكير في قوله هذا ربي والاشارة للشمس (قلت) جعل المبتدأ مثل الخبر لكونهما عبارة عن شيء واحد كقولهم ما جاءت حاجتك ومن كانت أمك ولم تكن فتنتهم الا أن قالوا وكان اختيار هذه الطريقة واجبا لصيانة الرب عن شبهة التأنيث الا تراهم قالوا في صفة الله علام ولم يقولوا علامة وان كان العلامة أبلغ احترازا من علامة التأنيث * وقرئ ترى ابراهيم ملكوت السموات والارض بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية (وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله) وكانوا حاجوه في توحيد الله ونفى الشركاء عنه منكرين لذلك (وقد هدان) يعني الى التوحيد (ولا أخاف ما تشركون به) وقد خوفوه أن معبوداتهم تصيبه بسوء (الا أن يشاء ربي شيأ) الا وقت مشيئة ربي شيأ يخاف فحذف الوقت يعني لا أخاف معبوداتكم في وقت قط لانها لا تقدر على منفعة ولا مضرة الا اذا شاء ربي أن يصيبني بمخوف من جهتها ان أصبت ذنبا أستوجب به انزال المكروه مثل أن يرجمني بكوكب أو بشقة من الشمس أو القمر أو يجعلها قادرة على مضرتي (وسع ربي كل شيء علما) أى ليس بعجب ولا مستبعد أن يكون في علمه انزال المخوف بي من جهتها (أفلا تتذكرون) فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز (وكيف أخاف) لتخويفكم شيأ مأمون الخوف لا يتعلق به ضرر بوجه (و) أنتم (لا تخافون) ما يتعلق به كل مخوف وهو اشراككم بالله ما لم ينزل باشراكه (سلطانا) أى حجة لان الاشراك لا يصح أن يكون عليه حجة كانه قال وما لكم تنكرون علي الامن في موضع الامن ولا تنكرون على أنفسكم الامن في موضع الخوف ولم يقل فأينا أحق بالامن أنا أم أنتم احترازا من تزكيته نفسه فعدل عنه الى قوله (فأي الفريقين) يعني

أفلا تتذكرون وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون (قال الا أن يشاء معناه الا وقت مشيئة ربي شيأ فحذف الوقت الخ) قال أحمد وعني بجعلها قادرة على ان المضرة خلق قدرة يخلق بها المضرة لمن يريد بناء على قاعدته وقد علمت ان عقيدة أهل السنة ان ذلك لا يجوز عقلا لا يخلق غير الله ولا يقدر قدرة مؤثرة في المقدور الا هو وان كان الزمخشري لم يصرح ههنا من عقيدته فانما يعني حيث يصرح أو يكنى ما يلائمها ويتنزل عليها وغاية خوف ابراهيم منها المعلق على مشيئة الله لا ذلك خوف الضرر عندها بقدرة الله تعالى لا بها وكأنه في الحقيقة لم يخف الا من الله لان الخوف الذى أثبته منها معلق بمشيئة الله وقدرته وهو كالخوف منها والله أعلم * عادكلامه (قال ومعنى كيف أخاف ما أشركتم الخ ما لكم تنكرون على الامن الخ) قال أحمد ويحتمل أن يكون العدول الى ذلك ليعم بالامن كل موحد وبالخوف كل مشرك ويندرج هو في حكم الموحدين وقومه في حكم المشركين وأحسن الجواب ما أفاد وزاد

(قال والمراد بقوله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أى لم يخلطوا ايمانهم بمعصية تفسقهم وأبى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس) قال أحمد وقد ورد ان الآية لما نزلت عظمت على الصحابة وقالوا أينا لم يظلم نفسه فقال عليه الصلاة والسلام انما هو الظلم فى قول لقمان ان الشرك لظلم عظيم وانما هو يروم بذلك تنزيله على معتقده فى وجوب وعيد العصاة وانهم لاحظ لهم فى الامن كالكفار ويجعل هذه الآية تقتضى تخصيص الامن بالجامعين الامرين الايمان (٤٦٠) والبراءة من المعاصى ونحن نسلم ذلك ولا يلزم أن يكون الخوف اللاحق للعصاة هو الخوف

الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين واسمعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجرا ان هو الا ذكرى للعالمين وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم

فريقى المشركين والموحدين * ثم استأنف الجواب عن السؤال بقوله (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) أى لم يخلطوا ايمانهم بمعصية تفسقهم وأبى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس (وتلك) اشارة الى جميع ما احتج به ابراهيم عليه السلام على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم مهتدون * ومعنى (آتيناها) أرشدناه اليها ووفقناه لها (نرفع درجات من نشاء) يعنى فى العلم والحكمة وقرئ بالتنوين (ومن ذريته) الضمير لنوح أو لابراهيم و (داود) عطف على نوحا أى وهدينا داود (ومن آبائهم) فى موضع النصب عطفا على كلا بمعنى وفضلنا بعض آبائهم (ولو أشركوا) مع فضلهم وتقدمهم وما رفع لهم من الدرجات لكانوا كغيرهم فى حبوط أعمالهم كما قال تعالى وتقدس لئن أشركت ليحبطن عملك (آتيناهم الكتاب) يريد الجنس (فان يكفر بها) بالكتاب والحكمة والنبوة أو بالنبوة (هؤلاء) يعنى أهل مكة (قوما) هم الانبياء المذكورون ومن تابعهم بدليل قوله (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) وبدليل وصل قوله فان يكفر بها هؤلاء بما قبله وقيل هم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وكل من آمن به وقيل كل مؤمن من بنى آدم وقيل الملائكة وادعى الانصار أنها لهم وعن مجاهد هم الفرس ومعنى توكيلهم بها انهم وفقوا للايمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشئ ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه * والباء فى بها صلة كافرين * وفى بكافرين تأكيد النفى * فبهداهم اقتده فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد الا بهم وهذا معنى تقديم المفعول والمراد بهداهم طريقتهم فى الايمان بالله وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع فانها مختلفة وهى هدى مالم تنسخ فاذا نسخت لم تبق هدى بخلاف أصول الدين فانها هدى أبدا والهاء فى اقتده للوقف تسقط فى الدرج واستحسن ايثار الوقف لثبات الهاء فى المصحف (وما قدروا الله حق قدره) وما عرفوه حق معرفته فى الرحمة على عباده واللطف بهم حين أنكروا بعثة الرسل والوحى اليهم وذلك من أعظم رحمته وأجل نعمته وما أرسلناك الا رحمة للعالمين أو ما عرفوه حق معرفته فى سخطه على الكافرين وشدة بطشه بهم ولم يخافوه حين جسروا على تلك المقالة العظيمة من انكار النبوة * والقائلون هم اليهود بدليل قراءة من قرأ تجعلونه بالتاء وكذلك تبدونها وتخفون وانما قالوا ذلك مبالغة فى انكار انزال القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فألزموا مالا بد لهم من الاقرار به من انزال التوراة على موسى عليه السلام وأدرج تحت الالزام توبيخهم وأن نعى عليهم سوء جهلهم لكتابهم وتحريفهم وابداء بعض واخفاء بعض فقيل (جاء به موسى) وهو نور وهدى للناس حتى غيروه ونقصوه وجعلوه قراطيس مقطعة وورقات مفرقة ليتمكنوا مما راموا من الابداء والاخفاء وروى أن مالك بن الصيف من أحبار اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدك بالذى أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فأنت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذى يطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر فقال ما أنزل الله على بشر من شئ فقال له قومه ويلك ما هذا الذى بلغنا عنك قال انه أغضبنى فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقيل القائلون قريش وقد ألزموا انزال التوراة لانهم كانوا يسمعون من اليهود بالمدينة ذكر موسى والتوراة وكانوا يقولون لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم (وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) الخطاب لليهود أى علمتم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم مما أوحى اليه مالم

اللاحق للكفار لان العصاة من المؤمنين انما يخافون العذاب المؤقت وهم آمنون من الخلود وأما الكفار فغير آمنين بوجه ما والله الموفق * قوله تعالى قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا (قال وأدرج تحت الالزام توبيخهم وان نعى عليهم الخ) قال أحمد وهذا أيضا من دقة نظره فى الكتاب العزيز والتعمق فى آثار معادنه وابراز محاسنه

* قوله تعالى ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون (قال أصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة

تعلموا أنتم وأنتم حملة التوراة ولم تعلمه آباؤكم الاقدمون الذين كانوا أعلم منكم ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش كقوله تعالى لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم (قل الله) أي أنزله الله فانهم لا يقدرون أن يناكروك (ثم ذرهم في خوضهم) في باطلهم الذي يخوضون فيه ولا عليك بعد الزام الحجة * ويقال لمن كان في عمل لا يجدي عليه انما أنت لاعب و(يلعبون) حال من ذرهم أو من خوضهم ويجوز أن يكون في خوضهم حالا من يلعبون وأن يكون صلة لهم أو لذرهم (مبارك) كثير المنافع والفوائد (ولتنذر) معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب كأنه قيل أنزلناه للبركات وتصديق ما تقدمه من الكتب والانذار وقرئ ولينذر بالياء والتاء * وسميت مكة (أم القرى) لانها مكان أول بيت وضع للناس ولانها قبلة أهل القرى كلها ومحجهم ولانها أعظم القرى شأنا ولبعض المجاورين

فمن يلق في بعض القريات رحله * فأم القرى ملقى رحالي ومنتابي

(والذين يؤمنون بالآخرة) يصدقون بالعاقبة ويخافونها (يؤمنون) بهذا الكتاب وذلك ان أصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن * وخص الصلاة لانها عماد الدين ومن حافظ عليها كانت لطفا في المحافظة على أخواتها (افترى على الله كذبا) فزعم أن الله بعثه نبيا (أو قال أوحي الي ولم يوح اليه شيء) وهو مسيلمة الحنفي الكذاب أو كذاب صنعاء الاسود العنسي وعن النبي صلى الله عليه وسلم رأيت فيما يرى النائم كأن في يدي سوارين من ذهب فكبرا علي وأهماني فأوحى الله الي أن انفخهما فنفختهما فطارا عني فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما كذاب اليمامة مسيلمة وكذاب صنعاء الاسود العنسي (ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اذا أملى عليه سميعا عليما كتب هو عليما حكيما واذا قال عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى آخر الآية عجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله أحسن الخالقين فقال عليه الصلاة والسلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد أوحي الي مثل ما أوحي اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال فارتد عن الاسلام ولحق بمكة ثم رجع مسلما قبل فتح مكة وقيل هو النضر بن الحرث والمستهزؤن (ولو ترى) جوابه محذوف أي لرأيت أمرا عظيما (اذ الظالمون) يريد الذين ذكرهم من اليهود والمتنبئة فتكون اللام للعهد ويجوز أن تكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء لاشتماله * وغمرات الموت شدائده وسكراته وأصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة (باسطوا أيديهم) يبسطون اليهم أيديهم يقولون هاتوا أرواحكم أخرجوها الينا من أجسادكم وهذه عبارة عن العنف في السياق والالحاح والتشديد في الارهاق من غير تنفيس وامهال وأنهم يفعلون بهم فعل الغريم المسلط يبسط يده الى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة ولا يمهله ويقول له أخرج الي مالي عليك الساعة ولا أريم مكاني حتى أنزعه من أحداقك وقيل معناه باسطوا أيديهم عليهم بالعذاب (أخرجوا أنفسكم) خلصوها من أيدينا أي لا تقدرون على الخلاص (اليوم تجزون) يجوز أن يريدوا وقت الاماتة وما يعذبون به من شدة النزع وأن يريدوا الوقت الممتد المتطاول الذي يلحقهم فيه العذاب في البرزخ والقيامة * والهون الهوان الشديد واضافة العذاب اليه كقولك رجل سوء يريد العراقة في الهوان والتمكن فيه (عن آياته تستكبرون) فلا تؤمنون بها (فرادى) منفردين عن أموالكم وأولادكم وما حرصتم عليه وآثرتموه من دنياكم وعن أوثانكم التي زعمتم أنها شفعاؤكم وشركاء الله (كما خلقناكم أول مرة) على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد (وتركتم ما خولناكم) ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة (وراء ظهوركم) لم ينفعكم ولم تحتملوا منه نقيرا ولا قدمتموه لانفسكم (فيكم شركاء) في استعبادكم لانهم حين دعوهم آلهة وعبدوها فقد جعلوها لله شركاء فيهم وفي استعبادهم * وقرئ فرادى بالتنوين وفراد مثل ثلاث وفردى نحو سكرى (فان قلت) كما خلقناكم

قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي الي ولم يوح اليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد

الغالبة الخ) قال أحمد هو بجملته من مجاز التمثيل ولا حاجة الى ذلك والظاهر انهم يفعلون معهم هذه الامور حقيقة على الصور المحكية واذا أمكن البقاء على الحقيقة فلا معدل عنها * عاد كلامه (وقيل معناه باسطوا أيديهم عليهم بالعذاب الخ) قال أحمد ومثله ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء

* قوله تعالى ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ذلكم الله فانى تؤفكون فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم (قال معناه فالق الحب والنوى بالنبات والشجر الخ) قال أحمد رحمه الله وقد وردا جميعا بصيغة الفعل كثيرا فى قوله يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيى الارض بعد موتها وكذلك تخرجون وقوله أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى فعطف أحد القسمين على الآخر كثيرا دليل على أنهما توأمان مقترنان وذلك يبعد قطعه عنه فى آية الانعام هذه ورده الى فالق الحب والنوى فالوجه والله أعلم أن يقال كان الاصل وروده بصيغة اسم الفاعل اسوة أمثاله من الصفات المذكورة (٤٦٢) فى هذه الآية من قوله فالق الحب وفالق الاصباح وجاعل الليل ومخرج الحى من الميت الا انه عدل عن اسم الفاعل الى الفعل المضارع فى هذا الوصف وحده وهو قوله يخرج الحى من الميت ارادة لتصوير اخراج الحى من الميت واستحضاره فى ذهن السامع وهذا التصوير والاستحضار انما يتمكن فى أدائهما الفعل المضارع دون اسم الفاعل والماضى وقد مضى تمثيل ذلك بقوله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة فعدل عن الماضى المطابق لقوله أنزل لهذا المعنى ومنه ما فى قوله وانى قد لقيت الغول يسعى * بسهب كالصحيفة صحصحان فآخذه فأضربه فخرت * صريعا لليدين وللجران فعدل الى المضارع ارادة لتصوير شجاعته واستحضارها لذهن السامع ومنه انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق والطير محشورة فعدل عن مسبحات وان كان مطابقا لمحشورة لهذا السبب والله أعلم ثم هذا المقصد انما يجىء فيما يكون العناية به أقوى ولاشك ان اخراج الحى من الميت أشهر فى القدرة من عكسه وهو أيضا أول الحالين والنظر أول ما يبدأ فيه ثم القسم الآخر وهو اخراج الميت من الحى بان عنه فكان الاول جديرا بالتصدير والتأكيد فى النفس ولذلك هو مقدم أبدا على القسم الآخر فى الذكر على حسب ترتيبهما فى الواقع وسهل عطف الاسم على الفعل وحسنه ان اسم الفاعل فى معنى الفعل المضارع فكل واحد منهما يقدر بالآخر فلا جناح فى عطفه عليه والله أعلم * عاد كلامه (قال فان قلت ما معنى فلق الصبح والظلمة هى التى تنفلق الخ) قال

تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ذلكم الله فانى تؤفكون فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا

فى أى محل هو (قلت) فى محل النصب صفة لمصدر جئتمونا أى مجيئا مثل خلقنا لكم (تقطع بينكم) وقع التقطع بينكم كما تقول جمع بين الشيئين تريد أوقع الجمع بينهما على اسناد الفعل الى مصدره بهذا التأويل ومن رفع فقد أسند الفعل الى الظرف كما تقول قوتل خلفكم وأمامكم وفى قراءة عبد الله لقد تقطع ما بينكم (فالق الحب والنوى) بالنبات والشجر وعن مجاهد أراد الشقين الذين فى النواة والحنطة (يخرج الحى من الميت) أى الحيوان والنامى من النطف والبيض والحب والنوى (ومخرج) هذه الاشياء الميتة من الحيوان والنامى (فان قلت) كيف قال مخرج الميت من الحى بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحى من الميت (قلت) عطفه على فالق الحب والنوى لا على الفعل ويخرج الحى من الميت موقعه موقع الجملة المبينة لقوله فالق الحب والنوى لان فلق الحب والنوى بالنبات والشجر النامين من جنس اخراج الحى من الميت لان النامى فى حكم الحيوان ألا ترى الى قوله يحيى الارض بعد موتها (ذلكم الله) أى ذلكم المحيى والمميت هو الله الذى تحق له الربوبية (فأنى تؤفكون) فكيف تصرفون عنه وعن توليه الى غيره (الاصباح) مصدر سمى به الصبح وقرأ الحسن بفتح الهمزة جمع صبح وأنشد قوله

أفنى رياحا وبنى رياح * تناسخ الامساء والاصباح

بالكسر والفتح مصدرين وجمع مساء وصبح (فان قلت) فما معنى فلق الصبح والظلمة هى التى تنفلق عن الصبح كما قال

تردت به ثم انفرى عن أديمها * تفرى ليل عن بياض نهار

(قلت) فيه وجهان أحدهما أن يراد فالق ظلمة الاصباح وهى الغبش فى آخر الليل ومنقضاه الذى يلى الصبح والثانى أن يراد فالق الاصباح الذى هو عمود الفجر عن بياض النهار واسفاره وقالوا انشق عمود الفجر وانصدع الفجر وسموا الفجر فلقا بمعنى مفلوق وقال الطائى

وأزرق الفجر يبدو قبل أبيضه * وأول الغيث قطر ثم ينسكب

* وقرئ فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا بالنصب على المدح وقرأ النخعى فلق الاصباح وجعل الليل السكن ما يسكن اليه الرجل ويطمئن استئناسا به واسترواحا اليه من زوج أو حبيب ومنه قيل للنار سكن لانه يستأنس بها ألا تراهم سموها المؤنسة والليل يطمئن اليه المتعب بالنهار لاستراحته فيه وجمامه ويجوز أن يراد وجعل الليل مسكونا فيه من قوله لتسكنوا فيه (والشمس والقمر) قرئا بالحركات الثلاث فالنصب على اضمار فعل دل عليه جاعل الليل أى وجعل الشمس والقمر (حسبانا) أو يعطفان على محل الليل (فان قلت) كيف يكون لليل محل والاضافة حقيقة لان اسم الفاعل المضاف اليه فى معنى المضى ولا تقول زيد ضارب عمرا أمس (قلت) ما هو فى معنى المضى وانما هو دال على جعل مستمر فى الازمنة المختلفة وكذلك فالق الحب وفالق

أحد وقيل الخالق والفالق بمعنى فيكون المراد خالق الاصباح والاظهر ما قدره عليه المصنف والله أعلم * قوله تعالى وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون (قال ان قلت لم قيل مع ذكر النجوم يعلمون الخ) قال أحد لا يتحقق هذا التفاوت ولا سبيل الى الحقيقة وما هذا الجواب الاصطلاحى والتحقيق انه لما أريد فصل كل منهما بفاصلة تنبيها على استقلال كل واحدة منهما بالمقصود من الحجة كره فصلهما بفاصلتين متساويتين فى اللفظ لما فى ذلك من التكرار فعدل الى فاصلة مخالفة تحسينا للنظم واتساعا فى البلاغة ويحتمل وجها آخر فى تخصيص الاولى بالعلم والثانية بالفقه وهو انه لما كان المقصود التعريض بمن لا يتدبر آيات الله ولا يعتبر بمخلوقاته وكانت الآيات المذكورة أولا خارجة عن أنفس النظار ومنافية لها اذ النجوم والنظر فيها وعلم الحكمة الالهية فى تدبيرها أمر خارج عن نفس الناظر ولا كذلك النظر فى انشائهم من نفس واحدة وتقلباتهم فى أطوار مختلفة وأحوال متغايرة فانه نظر لا يعدو نفس الناظر ولا يتجاوزها فاذا تمهد ذلك فجهل الانسان بنفسه وبأحواله وعدم النظر فيها والتفكر أبشع من جهله (٤٦٣) بالامور الخارجة عنه كالنجوم والافلاك ومقادير سيرها وتقلبها فلما كان الفقه أدنى درجات العلم اذ هو عبارة عن الفهم نفى من أبشع القبيلين جهلا وهم الذين لا يتبصرون فى أنفسهم ونفى الادنى أبشع من نفى الاعلى درجة فخص به أسوأ الفريقين حالا ويفقهون ههنا مضارع فقه الشئ بكسر القاف اذا فهمه ولو أدنى فهم وليس من فقه بضم القاف لان تلك درجة عالية ومعناه صار فقيها قاله الهروى فى معرض الاستدلال على ان فقه أنزل من علم وفى حديث سلمان انه قال وقد سألته امرأة جاءته فقهت أى فهمت كالمتعجب من فهم المرأة عنه واذا قيل فلان لا يفقه شيأ كان أذم فى العرف من قولك فلان لا يعلم شيأ وكأن معنى قولك لا يفقه شيأ ليست له أهلية الفهم وان فهم وأما قولك لا يعلم شيأ فغايته نفى حصول العلم له وقد يكون له أهلية الفهم والعلم لو يعلم والذى يدل على أن التارك للفكرة فى نفسه أجهل وأسوأ حالا من التارك للفكرة فى غيره قوله تعالى وفى الارض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون فخص التبصر فى النفس بعد اندراجها فيما فى الارض من الآيات وأنكر على من لا يتبصر فى نفسه انكارا مستأنفا وقولنا فى ادراج الكلام انه نفى العلم عن أحد الفريقين ونفى الفقه عن الآخر يعنى بطريق التعريض حيث خص العلم بالآيات المفصلة والتفقه فيها بقوم فأشعر أن قوما غيرهم لا علم عندهم ولا فقه والله الموفق فتأمل هذا الفصل وان طال بعض الطول فالنظر فى الحسن غير ممول

ذلك تقدير العزيز العليم وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية

الاصباح كما تقول الله قادر عالم فلا تقصد زمانا دون زمان والجر عطف على لفظ الليل والرفع على الابتداء والخبر محذوف تقديره والشمس والقمر مجعولان حسبانا أو محسوبان حسبانا ومعنى جعل الشمس والقمر حسبانا جعلهما على حسبان لان حسبان الاوقات يعلم بدورهما وسيرهما والحسبان بالضم مصدر حسب كما أن الحسبان بالكسر مصدر حسب ونظيره الكفران والشكران (ذلك) اشارة الى جعلهما حسبانا أى ذلك التسيير بالحساب المعلوم (تقدير العزيز) الذى قهرهما وسخرهما (العليم) بتدبيرهما وتدويرهما (فى ظلمات البر والبحر) فى ظلمات الليل بالبر والبحر وأضافها اليهما لملابستها لهما أو شبه مشتبهات الطرق بالظلمات * من فتح قاف المستقر كان المستودع اسم مكان مثله أو مصدرا ومن كسرها كان اسم فاعل والمستودع اسم مفعول والمعنى فلكم مستقر فى الرحم ومستودع فى الصلب أو مستقر فوق الارض ومستودع تحتها أو فمنكم مستقر ومنكم مستودع (فان قلت) لم قيل (يعلمون) مع ذكر النجوم و (يفقهون) مع ذكر انشاء بنى آدم (قلت) كان انشاء الانس من نفس واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة ألطف وأدق صنعة وتدبيرا فكان ذكر الفقه الذى هو استعمال فطنة وتدقيق نظر مطابقا له (فأخرجنا به) بالماء (نبات كل شئ) نبت كل صنف من أصناف النامى يعنى أن السبب واحد وهو الماء والمسببات صنوف مفتنة كما قال تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل (فأخرجنا منه) من النبات (خضرا) شيأ غضا أخضر يقال أخضر وخضر كأعور وعور وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة (نخرج منه) من الخضر (حبا متراكبا) وهو السنبل و (قنوان) رفع بالابتداء ومن النخل خبره ومن طلعها بدل منه كأنه قيل وحاصلة من طلع النخل قنوان ويجوز أن يكون الخبر محذوفا لدلالة أخرجنا عليه تقديره ومخرجة من طلع النخل قنوان ومن قرأ يخرج منه حب متراكب كان قنوان عنده معطوفا على حب والقنوان جمع قنو ونظيره صنو وصنوان وقرئ بضم القاف وبفتحها على انه اسم جمع كركب لان فعلان ليس من زيادة التكسير (دانية) سهلة المجتنى معرضة للقاطف كالشئ الدانى القريب المتناول ولان النخلة وان كانت صغيرة ينالها القاعد فانها تأتى بالثمر لا تنتظر الطول وقال الحسن دانية قريب بعضها من بعض وقيل ذكر القريبة وترك ذكر البعيدة

وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السموات والارض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ فاعبدوه وهو على كل شئ وكيل لا تدركه الابصار

لان النعمة فيها أظهر أودل بذكر القريبة على ذكر البعيدة كقوله سرابيل تقيكم الحر وقوله (وجنات من أعناب) فيه وجهان أحدهما أن يراد وثم جنات من أعناب أى مع النخل والثانى أن يعطف على قنوان على معنى وحاصلة أو ومخرجة من النخل قنوان وجنات من أعناب أى من نبات أعناب وقرئ وجنات بالنصب عطفا على نبات كل شئ أى وأخرجنا به جنات من أعناب وكذلك قوله (والزيتون والرمان) والاحسن أن ينتصبا على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلاة لفضل هذين الصنفين (مشتبها وغير متشابه) يقال اشتبه الشيئان وتشابها كقولك استويا وتساويا والافتعال والتفاعل يشتركان كثيرا وقرئ متشابها وغير متشابه وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك كقوله كنت منه ووالدى بريا والمعنى بعضه متشابها وبعضه غير متشابه فى القدر واللون والطعم وذلك دليل على التعمد دون الاهمال (انظروا الى ثمره اذا أثمر) اذا أخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به * وانظروا الى حال ينعه ونضجه كيف يعود شيئا جامعا للمنافع وملاذ نظر اعتبار واستبصار واستدلال على قدرة مقدره ومدبره وناقله من حال الى حال وقرئ وينعه بالضم يقال ينعت الثمرة ينعا وينعا وقرأ ابن محيصن ويانعه وقرئ وثمره بالضم * ان جعلت (لله شركاء) مفعولى جعلوا نصبت الجن بدلا من شركاء وان جعلت لله لغوا كان شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما على الاول (فان قلت) فما فائدة التقديم (قلت) فائدته استعظام أن يتخذ لله شريك من كان ملكا أو جنيا أو انسيا أو غير ذلك ولذلك قدم اسم الله على الشركاء * وقرئ الجن بالرفع كأنه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة التى للتبيين والمعنى أشركوهم فى عبادته لانهم أطاعوهم كما يطاع الله وقيل هم الذين زعموا أن الله خالق الخير وكل نافع وابليس خالق الشر وكل ضار (وخلقهم) وخلق الجاعلين لله شركاء ومعناه وعلموا أن الله خالقهم دون الجن ولم يمنعهم علمهم أن يتخذوا من لا يخلق شريكا للخالق وقيل الضمير للجن وقرئ وخلقهم أى اختلاقهم الافك يعنى وجعلوا لله خلقهم حيث نسبوا قبائحهم الى الله فى قولهم والله أمرنا بها (وخرقوا له) وخلقوا له أى افتعلوا له (بنين وبنات) وهو قول أهل الكتابين فى المسيح وعزير وقول قريش فى الملائكة يقال خلق الافك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى وسئل الحسن عنه فقال كلمة عربية كانت العرب تقولها كان الرجل اذا كذب كذبة فى نادى القوم يقول له بعضهم قد خرقها والله ويجوز أن يكون من خرق الثوب اذا شقه أى اشتقوا له بنين وبنات وقرئ وخرقوا بالتشديد للتكثير لقوله بنين وبنات وقرأ ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهما وحرفوا له بمعنى وزوروا له أولادا لان المزور محرف مغير للحق الى الباطل (بغير علم) من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوه من خطأ أو صواب ولكن رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية (بديع السموات) من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها كقولك فلان بديع الشعر أى بديع شعره أو هو بديع فى السموات والارض كقولك فلان ثبت الغدر أى ثابت فيه والمعنى أنه عديم النظير والمثل فيها وقيل البديع بمعنى المبدع وارتفاعه على أنه خبر مبتدا محذوف أو هو مبتدأ وخبره (أنى يكون له ولد) أو فاعل تعالى وقرئ بالجر ردا على قوله وجعلوا لله أو على سبحانه وبالنصب على المدح وفيه ابطال الولد من ثلاثة أوجه أحدها أن مبتدع السموات والارض وهى أجسام عظيمة لا يستقيم أن يوصف بالولادة لان الولادة من صفات الاجسام ومخترع الاجسام لا يكون جسما حتى يكون والدا والثانى أن الولادة لا تكون الا بين زوجين من جنس واحد وهو متعال عن مجانس فلم يصح أن تكون له صاحبة فلم تصح الولادة والثالث أنه ما من شئ الا وهو خالقه والعالم به ومن كان بهذه الصفة كان غنيا عن كل شئ والولد انما يطلبه المحتاج * وقرئ ولم يكن له صاحبة بالياء وانما جاز للفصل * كقوله لقد ولد الاخيطل أم سوء * (ذلكم) اشارة الى الموصوف بما تقدم من الصفات وهو مبتدأ وما بعده أخبار مترادفة وهى (الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ) أى ذلكم الجامع لهذه الصفات (فاعبدوه) مسبب عن مضمون الجملة على معنى أن من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه ثم قال (وهو على كل شئ وكيل) يعنى وهو مع تلك الصفات

مالك

* قوله تعالى لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير (قال البصر هو الجوهر اللطيف الذى ركبه الله تعالى فى حاسة النظر به تدرك الخ) قال أحمد وقد ساف الكلام على هذه الآية فى غير موضعها لان المصنف تعجل الكلام عليها قبل والذى يريده الآن أن الادراك عبارة عن الاحاطة ومنه فلما أدركه الغرق أى أحاط به وانا لمدركون أى محاط (٤٦٥) بنا فالنفى اذا عن الابصار احاطتها به عز وعلا لا بمجرد الرؤية ثم اما ان يقتصر على ان الآية لا تدل على مخالفتنا أو تزيد فنقول يدل لنا ان تخصيص الاحاطة بالنفى يشعر بطريق المفهوم بثبوت ماهو أدنى من ذلك

وآوله بمجرد الرؤية كما أنا نقول لا تحيط به الافهام وان كانت المعرفة بمجردها حاصلة لكل مؤمن فالاحاطة للعقل منفية كنفى الاحاطة للحس ومادون الاحاطة من المعرفة للعقل ٥٩ كشاف ل والرؤية للحس ثابت غير منفى ولم يذكر الزمخشرى على احالة الرؤية عقلا دليلا ولا شبهة فيحتاج الى القدح فيه ثم معارضته بأدلة الجواز ولكنه اقتصر على استبعاد أن يكون المرئى لا فى جهة فيقتصر معه على الزامه استبعاد أن يكون الموجود لا فى جهة اذ اتباع الوهم يبعدهما جميعا والانقياد الى العقل يبطل هذا الوهم ويجيزهما معا وهذا القدر كاف بحسب ما أورده فى هذا الموضع والله الموفق

وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون اتبع ما أوحى اليك من ربك لا اله الا هو وأعرض عن المشركين ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا

مالك لكل شئ من الارزاق والآجال رقيب على الاعمال * البصر هو الجوهر اللطيف الذى ركبه الله فى حاسة النظر به تدرك المبصرات فالمعنى أن الابصار لا تتعلق به ولا تدركه لانه متعال أن يكون مبصرا فى ذاته لان الابصار انما تتعلق بما كان فى جهة أصلا أو تابعا كالاجسام والهيآت (وهو يدرك الابصار) وهو للطف ادراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة التى لا يدركها مدرك (وهو اللطيف) يلطف عن أن تدركه الابصار (الخبير) بكل لطيف فهو يدرك الابصار لا تلطف عن ادراكه وهذا من باب اللف (قد جاءكم بصائر من ربكم) هو وارد على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله وما أنا عليكم بحفيظ والبصيرة نور القلب الذى به يستبصر كما أن البصر نور العين الذى به تبصر أى جاءكم من الوحى والتنبيه على ما يجوز على الله وما لا يجوز ما هو للقلوب كالبصائر (فمن أبصر) الحق وآمن (فلنفسه) أبصر واياها نفع (ومن عمى) عنه فعلى نفسه عمى واياها ضر بالعمى (وما أنا عليكم بحفيظ) أحفظ أعمالكم وأجازيكم عليها انما أنا منذر والله هو الحفيظ عليكم (وليقولوا) جوابه محذوف تقديره وليقولوا درست نصرفها ومعنى (درست) قرأت وتعلمت وقرئ دارست أى دارست العلماء ودرست بمعنى قدمت هذه الآيات وعفت كما قالوا أساطير الاولين ودرست بضم الراء مبالغة فى درست أى اشتد دروسها ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت أو عفيت ودارست وفسروها بدارست اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم وجاز الاضمار لان الشهرة بالدراسة كانت لليهود عندهم ويجوز أن يكون الفعل للآيات وهو لاهلها أى دارس أهل الآيات وحملتها محمدا وهم أهل الكتاب ودرس أى درس محمد ودارسات على هى دارسات أى قديمات أو ذات دروس كعيشة راضية (فان قلت) أى فرق بين اللامين فى ليقولوا ولنبينه (قلت) الفرق بينهما أن الاولى مجاز والثانية حقيقة وذلك أن الآيات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا دارست ولكن لانه حصل هذا القول بتصريف الآيات كما حصل التبيين شبه به فسيق مساقه وقيل ليقولوا كما قيل لنبينه (فان قلت) الام يرجع الضمير فى قوله (ولنبينه) (قلت) الى الآيات لانها فى معنى القرآن كأنه قيل وكذلك نصرف القرآن أو الى القرآن وان لم يجر له ذكر لكونه معلوما أو الى التبيين الذى هو مصدر الفعل كقولهم ضربته زيدا ويجوز أن يراد فمن قرأ درست ودارست درست الكتاب ودارسته فيرجع الى الكتاب المقدر (لا اله الا هو) اعتراض أكد به ايجاب اتباع الوحى لا محل له من الاعراب ويجوز أن يكون حالا من ربك وهى حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا (ولا تسبوا) الآلهة (الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله) وذلك انهم قالوا عند نزول قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون الهك وقيل كان المسلمون يسبون آلهتهم فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله تعالى (فان قلت) سب الآلهة حق وطاعة فكيف صح النهى عنه وانما يصح النهى عن المعاصى (قلت) رب طاعة علم أنها تكون مفسدة فتخرج عن أن تكون طاعة فيجب النهى عنها لانها معصية لا لانها طاعة كالنهى عن المنكر هو من أجل الطاعات فاذا علم أنه يؤدى الى زيادة الشر انقلب معصية ووجب النهى عن ذلك النهى كما يجب النهى عن المنكر (فان قلت) فقد روى عن الحسن وابن سيرين انهما حضرا جنازة فرأى محمد نساء فرجع فقال الحسن لو تركنا الطاعة لاجل المعصية لاسرع ذلك فى ديننا (قلت) ليس هذا مما نحن بصدده لان حضور الرجال الجنازة طاعة وليس بسبب لحضور النساء فانهن يحضرنها حضر الرجال أو لم يحضروا بخلاف سب الآلهة وانما خيل الى محمد أنه مثله حتى نبه عليه الحسن (عدوا) ظلما وعدوانا وقرئ عدوا بضم العين وتشديد الواو بمعناه يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعدوانا وعداء وعن ابن كثير عدوا بفتح العين

* قوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون (قال ومعنى ان الله تعالى قادر على أن ينزل الآيات ولكنه لا ينزلها الا على موجب الحكمة الخ) قال أحمد ومحز النظر فى الآية يتضح بمثال فنقول اذا قال لك القائل أكرم فلانا فانه يكافئك وكنت أنت تعلم منه عدم المكافأة فاذا أنكرت على المشير باكرامه قلت وما يدريك انى اذا أكرمته يكافئنى فانكرت عليه اثباته المكافأة وأنت تعلم نفيها فان انعكس الامر فقال لك لا تكرمه فانه لا يكافئك وكنت تعلم منه المكافأة فانكرت على المشير بحرمانه قلت وما يدريك انه لا يكافئنى تريد وأنا أعلم منه المكافأة فكان مقتضى الانكار على المؤمنين الذين أحسنوا الظن بالمعاندين فاعتقدوا انهم يؤمنون عند نزول الآية المقترحة أن يقال وما يدريكم انها اذا جاءت لا يؤمنون كما تقول فى المثال منكرا على من أثبت المكافأة وأنت تعلم خلافها وما يدريك انه يكافئنى باسقاط لا وان أثبتها انعكس المعنى الى ان المعلوم لك الثبوت وأنت تنكر على من نفى فلما جاءت الآية تفهم بادئ الرأى ان الله تعالى علم الايمان منهم وأنكر على المؤمنين نفيهم له والواقع على خلاف ذلك اختلف العلماء فحمل بعضهم لا على الزيادة وبعضهم أول أن بعل وبعضهم جعل الكلام جواب قسم محذوف وقد تقدم ان بعد القسم فقال التقدير والله انها اذا جاءت لا يؤمنون وأما الزمخشرى فتفطن لبقاء الآية على ظاهرها وقرارها فى نصابها من غير حذف ولا تأويل فقال قوله السالف ونحن نوضح اطراده فى المثال المذكور ليتضح بوجهيه فى الآية فنقول اذا حرمت زيدا لعلمك بعدم مكافأته فأشير عليك بالاكرام بناء على ان المشير يظن المكافأة فلك معه حالتان حالة تنكر عليه ادعاءه العلم بما علمت خلافه وحالة تعذره فى عدم العلم بما أحطت به علما فان أنكرت عليه قلت وما يدريك انه يكافئنى وان عذرته فى عدم علمه بانه لا يكافئ قلت وما يدريك انه لا يكافئنى يعنى ومن أين تعلم أنت ما علمته أنا من عدم مكافأته وأنت لم تخبر أمره خبرى فكذلك الآية انما وردها الكلام اقامة عذر المؤمنين فى عدم علمهم بالغيب فى علم الله تعالى وهو عدم ايمان هؤلاء فاستقام دخول لا وتعين وتبين ان سبب الاضطراب التباس الانكار باقامة الاعذار والله الموفق للصواب

بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا

يعنى أعداء (بغير علم) على جهالة بالله وبما يجب أن يذكر به (كذلك زينا لكل أمة) مثل ذلك التزيين زينا لكل أمة من أمم الكفار سوء عملهم أى خليناهم وشأنهم ولم نكفهم حتى حسن عندهم سوء عملهم أو أمهلنا الشيطان حتى زين لهم أو زيناه فى زعمهم وقولهم ان الله أمرنا بهذا وزينه لنا (فينبئهم) فيوبخهم عليه ويعاتبهم ويعاقبهم (لئن جاءتهم آية) من مقترحاتهم (ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله) وهو قادر عليها ولكنه لا ينزلها الا على موجب الحكمة أو انما الآيات عند الله لا عندى فكيف أجيئكم بها أو آتيكم بها (وما يشعركم) وما يدريكم (أنها) أن الآية التى تقترحونها (اذا جاءت لا يؤمنون) بها يعنى أنا أعلم أنها اذا جاءت لا يؤمنون بها وأنتم لا تدرون بذلك وذلك أن المؤمنين كانوا يطمعون فى ايمانهم اذا جاءت تلك الآية ويتمنون مجيئها فقال عز وجل وما يدريكم أنهم لا يؤمنون على معنى أنكم لا تدرون ما سبق علمى به من انهم لا يؤمنون به ألا ترى الى قوله كما لم يؤمنوا به أول مرة وقيل أنها بمعنى لعلها من قول العرب ائت السوق أنك تشترى لحما وقال امرؤ القيس

عوجا على الطلل المحيل لاننا * نبكى الديار كما بكى ابن خذام

وتقويها قراءة أبى لعلها اذا جاءت لا يؤمنون وقرئ بالكسر على أن الكلام قد تم قبله بمعنى وما يشعركم ما يكون منهم ثم أخبرهم بعلمه فيهم فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون البتة ومنهم من جعل لا مزيدة فى قراءة الفتح وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم لا يؤمنون أى يحلفون بانهم يؤمنون عند مجيئها وما يشعرهم ان تكون قلوبهم حينئذ كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات مطبوعا عليها فلا يؤمنوا بها (ونقلب أفئدتهم * ونذرهم) عطف على لا يؤمنون داخل فى حكم وما يشعركم بمعنى وما يشعركم أنهم لا يؤمنون وما يشعركم انا نقلب أفئدتهم وأبصارهم أى نطبع على قلوبهم وأبصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق كما كانوا عند نزول آياتنا أولا لا يؤمنون بها لكونهم مطبوعا على قلوبهم وما يشعركم انا نذرهم فى طغيانهم أى نخليهم وشأنهم لا نكفهم عن الطغيان حتى يعمهوا فيه وقرئ ويقلب ويذرهم بالياء أى الله عز وجل وقرأ الاعمش وتقلب أفئدتهم وأبصارهم على البناء للمفعول (ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة) كما قالوا لولا أنزل علينا الملائكة (وكلمهم الموتى) كما قالوا فأتوا بآبائنا (وحشرنا عليهم كل شئ قبلا) كما قالوا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا قبلا كفلاء بصحة ما بشرنا به وأنذرنا وجماعات وقيل قبلا مقابلة وقرئ قبلا أى عيانا

(الا

الا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك مافعلوه فذرهم ومايفترون ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ماهم مقترفون أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ماحرم عليكم

(الا أن يشاء الله) مشيئة اكراه واضطرار (ولكن أكثرهم يجهلون) فيقسمون بالله جهد أيمانهم على مالا يشعرون من حال قلوبهم عند نزول الآيات أو ولكن أكثر المسلمين يجهلون أن هؤلاء لا يؤمنون الا أن يضطرهم فيطمعون في ايمانهم اذا جاءت الآية المقترحة (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا) وكما خلينا بينك وبين أعدائك كذلك فعلنا بمن قبلك من الانبياء واعدائهم لم نمنعهم من العداوة لما فيه من الامتحان الذي هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والاجر * انتصب (شياطين) على البدل من عدوا أو على انه مفعول أول كقوله وجعلوا لله شركاء الجن (يوحي بعضهم الى بعض) يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس وكذلك بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض وعن مالك بن دينار ان شيطان الانس أشد علي من شيطان الجن لاني اذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عني وشيطان الانس يجيئني فيجرني الى المعاصي عيانا (زخرف القول) مايزينه من القول والوسوسة والاغراء على المعاصي ويموهه (غرورا) خدعا وأخذا على غرة (ولو شاء ربك مافعلوه) مافعلوا ذلك أي ماعادوك أو ما أوحى بعضهم الى بعض زخرف القول بأن يكفهم ولا يخليهم وشأنهم (ولتصغى) جوابه محذوف تقديره وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا على أن اللام لام الصيرورة وتحقيقها ماذكر والضمير في (اليه) يرجع الى مارجع اليه الضمير في فعلوه أي ولتميل الى ماذكر من عداوة الانبياء ووسوسة الشياطين (أفئدة) الكفار (وليرضوه) لانفسهم (وليقترفوا ماهم مقترفون) من الآثام (أفغير الله أبتغي حكما) على ارادة القول أي قل يامحمد أفغير الله أطلب حاكما يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل (وهو الذي أنزل اليكم الكتاب) المعجز (مفصلا) مبينا فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لي بالصدق وعليكم بالافتراء * ثم عضد الدلالة على أن القرآن حق بعلم أهل الكتاب أنه حق لتصديقه ماعندهم وموافقته له (فلا تكونن من الممترين) من باب التهييج والالهاب كقوله تعالى ولا تكونن من المشركين أو فلا تكونن من الممترين في أن أهل الكتاب يعلمون أنه منزل بالحق ولا يريبك جحود أكثرهم وكفرهم به ويجوز أن يكون فلا تكونن خطابا لكل أحد على معنى انه اذا تعاضدت الادلة على صحته وصدقه فما ينبغي أن يمتري فيه أحد وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم خطاب لامته (وتمت كلمات ربك) أي تم كل ما أخبر به وأمر ونهى ووعد وأوعد (صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته) لا أحد يبدل شيأ من ذلك مما هو أصدق وأعدل وصدقا وعدلا نصب على الحال وقرئ كلمة ربك أي ماتكلم به وقيل هي القرآن (وان تطع أكثر من في الارض) من الناس أضلوك لان الاكثر في غالب الامر يتبعون هواهم ثم قال (ان يتبعون الا الظن) وهو ظنهم أن آباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم (وان هم الا يخرصون) يقدرون أنهم على شئ أو يكذبون في أن الله حرم كذا وأحل كذا * وقرئ من يضل بضم الياء أي يضله الله (فكلوا) مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك أنهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قتل الله أحق أن تأكلوا مما قتلتم أنتم فقيل للمسلمين ان كنتم متحققين بالايمان فكلوا (مما ذكر اسم الله عليه) خاصة دون ماذكر عليه اسم غيره من آلهتهم أو مات حتف أنفه وماذكر اسم الله عليه هو المذكى ببسم الله (وما لكم ألا تأكلوا) وأي غرض لكم في أن لا تأكلوا (وقد فصل لكم) وقد بين لكم (ماحرم عليكم) مما لم يحرم وهو قوله حرمت عليكم الميتة وقرئ فصل لكم ماحرم عليكم على تسمية الفاعل وهو

* قوله تعالى ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله (قال معناه الا أن يشاء الله مشيئة اكراه واضطرار) قال أحمد بل المراد الا أن يشاء الله منهم اختيار الايمان فانه تعالى لو شاء منهم اختيارهم للايمان لاختاروه وآمنوا حتما ماشاء الله كان والزمخشري بنى على القاعدة الفاسدة في اعتقاده ان الله تعالى شاء منهم الايمان اختيارا فلم يؤمنوا اذ لا يجب على زعم طائفته نفوذ المشيئة ولا يطلقون القول كما أطلقه سلف هذه الامة وجملة شريعتها من (٤٦٧) قولهم ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن بل يقولون ان أكثر ماشاء ولم يقع اذ شاء الايمان والصلاح من جميع الخلق فلم يؤمن ويعمل الصالح الا القليل وقليل ماهم وهذا كله مما يتعالى الله عنه علوا كبيرا فاذا صدهم مثل هذه الآية بارد تحيلوا في المدافعة بحمل المشيئة المنفية على مشيئة القسر والاضطرار وأغالم يتم لهم ذلك ان لو كان القرآن يتبع الآراء وأما وهو القدوة والمتبوع فما خالفه حينئذ وزحزح عنه فالى النار ومابعد الحق الا الضلال والله

الموفق للصواب * قوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق (قال ان قلت قد ذهب جماعة من المجتهدين الى جواز أكل مالم يذكر اسم الله عليه بنسيان أو عمد الخ) قال أحمد مذهب مالك وأبي حنيفة سواء فى ان متروك التسمية عمدا لا يؤكل سواء كان تهاونا أو غير تهاون ولاشهب قول شاذ بجواز غير المتهاون فى ترك تسميته والآية تساعد مذهب الامامين مساعدة بينة فانه ذكر عقيب غير المسمى عليه قوله وانه لفسق وذلك ان كان عبارة عن فعل المكلف وهو اهمال التسمية أو تسمية غير الله فلا يدخل النسيان لان الناسي غير مكلف فلا يكون فعله فسقا ولا هو فاسق وان كان نفس الفسق الذبيحة التى لم يسم عليها ولم يكن مصدرا فانما تسمى الذبيحة فسقا اذا نقل هذا الاسم من المصدر الى الذات فالذبيحة التى تركت التسمية عليها نسيانا لا يصح ان تسمى فسقا اذ الفعل الذى ينقل منه هذا الاسم ليس بفسق فاذا تمهد ذلك فاما أن يقول لا دليل فى الآية على تحريم منسي التسمية فبقى على أصل الاباحة أو يقول فيها دليل على اباحته من حيث مفهوم تخصيص النهي بما هو فسق فما ليس بفسق ليس بحرام وهذا النظر يستد اذا لم تكن الميتة متناولة فى هذه الآية وأما اذا أثبت انها مرادة تعين صرف الفسق الى (٤٦٨) الآكل والمأكول وكان الضمير من قوله وانه عائدا الى المصدر المنهي عنه أو الى الموصول

الا ما اضطررتم اليه وان كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم ان ربك هو أعلم بالمعتدين وذروا ظاهر الاثم وباطنه ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها

الله عز وجل (الا ما اضطررتم اليه) مما حرم عليكم فانه حلال لكم فى حال الضرورة (وان كثيرا ليضلون) قرئ بفتح الياء وضمها أي يضلون فيحرمون ويحللون (بأهوائهم) وشهواتهم من غير تعلق بشريعة (ظاهر الاثم وباطنه) ما أعلنتم منه وما أسررتم وقيل ما عملتم وما نويتم وقيل ظاهره الزنا فى الحوانيت وباطنه الصديقة فى السر (وانه لفسق) الضمير راجع الى مصدر الفعل الذى دخل عليه حرف النهي يعني وان الاكل منه لفسق أو الى الموصول على وان أكله لفسق أو جعل مالم يذكر اسم الله عليه فى نفسه فسقا (فان قلت) قد ذهب جماعة من المجتهدين الى جواز أكل مالم يذكر اسم الله عليه بنسيان أو عمد (قلت) قد تأوله هؤلاء بالميتة وبما ذكر غير اسم الله عليه كقوله أو فسقا أهل لغير الله به (ليوحون) ليوسوسون (الى أوليائهم) من المشركين (ليجادلوكم) بقولهم ولا تأكلون مما قتله الله وبهذا يرجح تأويل من تأوله بالميتة (انكم لمشركون) لان من اتبع غير الله تعالى فى دينه فقد أشرك به ومن حق ذى البصيرة فى دينه أن لا يأكل مما لم يذكر اسم الله عليه كيفما كان لما يرى فى الآية من التشديد العظيم وان كان أبو حنيفة رحمه الله مرخصا فى النسيان دون العمد ومالك والشافعي رحمهما الله فيهما * مثل الذى هداه الله بعد الضلالة ومنحه التوفيق لليقين الذى يميز به بين المحق والمبطل والمهتدي والضال بمن كان ميتا فأحياه الله وجعل له نورا يمشي به فى الناس مستضيئا به فيميز بعضهم من بعض ويفصل بين حلاهم ومن بقي على الضلالة بالخابط فى الظلمات لا ينفك منها ولا يتخلص ومعنى قوله (كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها) كمن صفته هذه وهي قوله فى الظلمات ليس بخارج منها بمعنى هو فى الظلمات ليس بخارج منها كقوله تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار أى صفتها هذه وهي قوله فيها أنهار (زين للكافرين) أى زينه الشيطان أو الله عز وعلا على قوله زينا لهم أعمالهم ويدل عليه قوله (وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها) يعني وكما جعلنا فى مكة صناديدها ليمكروا فيها كذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها لذلك ومعناه خليناهم ليمكروا وما كففناهم عن المكر وخص الاكابر لانهم هم الحاملون على الضلال والماكرون بالناس كقوله أمرنا مترفيها وقرئ أكبر مجرميها على قولك هم أكبر

وحينئذ يندرج المنسي فى النهي ولا يستقيم على ان الميتة مندرجة كاندراج المنسي لان الوجه الذى به تندرج الميتة قومهم هو الوجه الذى به يندرج المنسي اذ يكون الفسق اما الآكل واما المأكول نقلا من الاكل ولا ينصرف الى غير ذلك لان الميتة لم يفعل المكلف فيها فعلا يسمى فسقا سوى الاكل والمنسي تسميته لا يستقيم ان يسمى الذبح فيها فسقا لاجل النسيان فيتعين صرفه الى الأكل ومن ثم قوى عند الزمخشري تعميم التحريم حتى فى المنسي لانه يرى أن الميتة مرادة من الآية ولا بد اذ هي سبب نزول الآية والتحقيق ان العام الظاهر متى ورد على سبب خاص كان نصا فى السبب ظاهرا باقيا على ظهوره فيما عداه واذا ثبت اندراج الميتة لزم اندراج المنسي تقدم وحينئذ يضطر مبيح المنسي الى مخصص فيتمسك بقوله عليه الصلاة والسلام ذكر الله على قلب كل مؤمن من سمى أو لم يسم وكان الناسي ذاكرا حكما وان لم يكن ذاكرا وجودا وهذا عند التحقيق ليس بتخصيص ولكن منع لاندراج الناسي فى العموم وسنده الحديث المذكور ويؤيد بأن العام الوارد على سبب خاص وان قوى تناوله للسبب حتى ينهض الظاهر فيه نصا الا انه ضعيف التناول لما عداه حتى ينحط عن أمثاله الظواهر فيه ويكتفى من معارضته بما لا يكتفى به منه لولا السبب وهذا البحث متطلع بفنون شتى على نكت بديعة والله الموفق للصواب * قوله تعالى قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم

(قال معنى هذا الاستثناء انهم يخلدون فى عذاب النار الابد كله الخ) قال أحمد قد ثبت خلود الكفار فى العذاب ثبوتا قطعيا فمن ثم اعتنى
العلماء بالكلام على الاستثناء فى هذه الآية وفى أختها فى سورة هود فذهب بعضهم الى انها شاملة لعصاة الموحدين وللكفار والمستثنى
العصاة لانهم لا يخلدون وهذا تأويل أهل السنة وقد غلط الزمخشرى فى انكاره فى آية (٤٦٩) هود وتناهى الى ما نعوذ بالله منه
فقدح فى عبد الله بن
عمرو بن العاص
رضى الله عنه راوى الحديث الشاهد لهذا التأويل ونحن نبرأ الى الله تعالى من القدح فى مثل عبد الله وهو من جلة الصحابة رضوان الله
عليهم وفقهائهم وزهادهم وذهب بعضهم الى ان هذا الاستثناء محدود بمشيئة رفع العذاب أى مخلدون الا ان يشاء الله لو شاء وفائدته اظهار
القدرة والاعلان بان خلودهم انما كان لان الله تعالى قد شاءه وكان من الجائز العقلى فى مشيئته أن لا يعذبهم ولو عذبهم لا يخلدهم وان
ذلك ليس بأمر واجب عليه وانما هو مقتضى مشيئته وارادته عز وجل وفيما على هذا الوجه دفع فى صدر المعتزلة الذين يزعمون ان تخليد

قومهم وأكابر قومهم (وما يمكرون الا بأنفسهم) لان مكرهم يحيق بهم وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وتقديم موعد بالنصرة عليهم * روى أن الوليد بن المغيرة قال لو كانت النبوة حقا لكنت أولى بها منك لانى
أكبر منك سنا وأكثر منك مالا وروى أن أبا جهل قال زاحمنا بنى عبد مناف فى الشرف حتى اذا صرنا
كفرسى رهان قالوا منا نبى يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه أبدا الا أن يأتينا وحى كما يأتيه فنزلت ونحوها
قوله تعالى بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة (الله أعلم) كلام مستأنف للانكار عليهم وأن
لا يصطفى للنبوة الا من علم أنه يصلح لها وهو أعلم بالمكان الذى يضعها فيه منهم (سيصيب الذين أجرموا) من
أكابرها (صغار) وقماءة بعد كبرهم وعظمتهم (وعذاب شديد) فى الدارين من الاسر والقتل وعذاب النار
(فمن يرد الله أن يهديه) أن يلطف به ولا يريد أن يلطف الا بمن له لطف (يشرح صدره للاسلام) يلطف به حتى
يرغب فى الاسلام وتسكن اليه نفسه ويحب الدخول فيه (ومن يرد أن يضله) أن يخذله ويخليه وشأنه وهو
الذى لا لطف له (يجعل صدره ضيقا حرجا) يمنعه ألطافه حتى يقسو قلبه وينبو عن قبول الحق وينسد فلا
يدخله الايمان وقرئ ضيقا بالتخفيف والتشديد وحرجا بالكسر وحرجا بالفتح وصفا بالمصدر (كأنما يصعد فى
السماء) كأنما يزاول أمرا غير ممكن لان صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد من الاستطاعة وتضيق عنه
المقدرة وقرئ يصعد وأصله يتصعد وقرأ عبد الله يتصعد ويصاعد وأصله يتصاعد ويصعد من صعد
ويصعد من أصعد (يجعل الله الرجس) يعنى الخذلان ومنع التوفيق وصفه بنقيض ما يوصف به التوفيق من
الطيب أو أراد الفعل المؤدى الى الرجس وهو العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب (وهذا صراط ربك)
وهذا طريقه الذى اقتضته الحكمة وعادته فى التوفيق والخذلان (مستقيما) عادلا مطردا وانتصابه على انه
حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا (لهم) لقوم يذكرون (دار السلام) دار الله يعنى الجنة أضافها الى نفسه
تعظيما لها أو دار السلامة من كل آفة وكدر (عند ربهم) فى ضمانه كما تقول لفلان عندى حق لا ينسى
أو ذخيرة لهم لا يعلمون كنهها كقوله فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين (وهو وليهم) مواليهم ومحبهم
أو ناصرهم على أعدائهم (بما كانوا يعملون) بسبب أعمالهم أو متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون (ويوم
نحشرهم) منصوب بمحذوف أى واذكر يوم نحشرهم أو ويوم نحشرهم قلنا (يا معشر الجن) أو ويوم نحشرهم
وقلنا يا معشر الجن كان ما لا يوصف لفظاعته والضمير لمن يحشر من الثقلين وغيرهم والجن هم الشياطين
(قد استكثرتم من الانس) أضللتم منهم كثيرا أو جعلتموهم أتباعكم فحشر معكم منهم الجم الغفير كما تقول
استكثر الامير من الجنود واستكثر فلان من الاشياع (وقال أولياؤهم من الانس) الذين أطاعوهم واستمعوا
الى وسوستهم (ربنا استمتع بعضنا ببعض) أى انتفع الانس بالشياطين حيث دلوهم على الشهوات وعلى أسباب
التوصل اليها وانتفع الجن بالانس حيث أطاعوهم وساعدوهم على مرادهم وشهوتهم فى اغوائهم وقيل
استمتاع الانس بالجن ما فى قوله وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وان الرجل كان اذا نزل
واديا وخاف قال أعوذ برب هذا الوادى يعنى به كبير الجن واستمتاع الجن بالانس اعتراف الانس لهم
بانهم يقدرون على الدفع عنهم واجارتهم لهم (وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا) يعنون يوم البعث وهذا
الكلام اعتراف بما كان منهم من طاعة الشياطين واتباع الهوى والتكذيب بالبعث واستسلام لربهم
وتحسر على حالهم (خالدين فيها الا ما شاء الله) أى يخلدون فى عذاب النار الابد كله الا ما شاء الله الا الاوقات التى

وما يمكرون الا بأنفسهم
وما يشعرون واذا
جاءتهم آية قالوا لن
نؤمن حتى نؤتى مثل
ما أوتى رسل الله الله
أعلم حيث يجعل رسالته
سيصيب الذين أجرموا
صغار عند الله وعذاب
شديد بما كانوا يمكرون
فمن يرد الله أن يهديه
يشرح صدره للاسلام
ومن يرد أن يضله يجعل
صدره ضيقا حرجا
كأنما يصعد فى السماء
كذلك يجعل الله
الرجس على الذين
لا يؤمنون وهذا صراط
ربك مستقيما قد
فصلنا الآيات لقوم
يذكرون لهم دار السلام
عند ربهم وهو وليهم بما
كانوا يعملون ويوم
نحشرهم جميعا يا معشر
الجن قد استكثرتم من
الانس وقال أولياؤهم
من الانس ربنا استمتع
بعضنا ببعض وبلغنا
أجلنا الذى أجلت لنا
قال النار مثواكم
خالدين فيها الا ما شاء الله

الكفار واجب على الله تعالى بمقتضى الحكمة وانه لا يجوز في العقل ان يشاء خلاف ذلك وذهب الزجاج الى وجه لطيف اقايظهر بالبسط
فقال المراد والله أعلم الا ما شاء من زيادة العذاب ولم يبين وجه استقامة الاستثناء والمستثنى على هذا التأويل لم يغاير المستثنى منه في الحكم
ونحن نبينه فنقول العذاب والعياذ (٤٧٠) بالله على درجات متفاوتة فكأن المراد انهم مخلدون في جنس العذاب الا ما شاء ربك من
زيادة تبلغ الغاية وتنتهي
الى أقصى النهاية حتى
تكاد لبلوغها الغاية
ومباينتها لانواع العذاب
في الشدة تعد ليس من
جنس العذاب وخارجة
عنه والشيء اذا بلغ الغاية
عندهم عبروا عنه
بالضد كما تقدم في التعبير
عن كثرة الفعل برب
وقدرهما موضوعان اضرب الكثرة من العلة وذلك أمر معتاد في لغة العرب وقد حام أبو الطيب حوله فقال لقد جدت حتى (اعملوا
كاد يبخل حاتم * الى المنتهى ومن السرور بكاد فكان هؤلاء اذا بلغوا الى غاية العذاب ونهاية الشدة فقد وصلوا الى الحد الذي يكاد أن
يخرج من اسم العذاب المطلق حتى يسوغ معاملته في التعبير معاملة المغاير وهو وجه حسن لا يكاد يفهم من كلام الزجاج الا بعد هذا

ان ربك حكيم عليم
وكذلك نولي بعض
الظالمين بعضا بما كانوا
يكسبون يا معشر الجن
والانس ألم يأتكم رسل
منكم يقصون عليكم
آياتي وينذرونكم لقاء
يومكم هذا قالوا شهدنا
على أنفسنا وغرتهم
الحياة الدنيا وشهدوا
على أنفسهم أنهم كانوا
كافرين ذلك أن لم يكن
ربك مهلك القرى بظلم
وأهلها غافلون ولكل
درجات مما عملوا وما
ربك بغافل عما يعملون
وربك الغني ذو الرحمة
ان يشأ يذهبكم
ويستخلف من بعدكم
ما يشاء كما أنشأكم من
ذرية قوم آخرين ان
ما توعدون لآت وما
أنتم بمعجزين قل يا قوم

ينقلون فيها من عذاب النار الى عذاب الزمهرير فقد روي أنهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض أوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد الى الجحيم أو يكون من قول الموتور الذي ظفر بواتره ولم يزل يحرق عليه أنيابه وقد طلب اليه أن ينفس عن خناقه أهلكني الله ان نفست عنك الا اذا شئت وقد علم أنه لا يشاء الا التشفي منه بأقصى ما يقدر عليه من التعنيف والتشديد فيكون قوله الا اذا شئت من أشد الوعيد مع تهكم بالموعد لخروجه في صورة الاستثناء الذي فيه اطماع (ان ربك حكيم) لا يفعل شيأ الا بموجب الحكمة (عليم) بأن الكفار يستوجبون عذاب الابد (نولي بعض الظالمين بعضا) نخليهم حتى يتولى بعضهم بعضا كما فعل الشياطين وغواة الانس أو يجعل بعضهم أولياء بعض يوم القيامة وقرناءهم كما كانوا في الدنيا (بما كانوا يكسبون) بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي * يقال لهم يوم القيامة على جهة التوبيخ (ألم يأتكم رسل منكم) واختلف في أن الجن هل بعث اليهم رسل منهم فتعلق بعضهم بظاهر الآية ولم يفرق بين مكلفين ومكلفين أن يبعث اليهم رسول من جنسهم لانهم به آنس وله آلف وقال آخرون الرسل من الانس خاصة وانما قيل رسل منكم لانه لما جمع الثقلان في الخطاب صح ذلك وان كان من أحدهما كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقيل أراد رسل الرسل من الجن اليهم كقوله تعالى ولوا الى قومهم منذرين وعن الكلبي كانت الرسل قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم يبعثون الى الانس ورسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى الانس والجن (قالوا شهدنا على أنفسنا) حكاية لتصديقهم وايجابهم قوله ألم يأتكم لان الهمزة الداخلة على نفي اتيان الرسل للانكار فكان تقريرا لهم وقولهم شهدنا على أنفسنا اقرار منهم بأن حجة الله لازمة لهم وأنهم محجوجون بها (فان قلت) ما لهم مقرين في هذه الآية جاحدين في قوله والله ربنا ما كنا مشركين (قلت) تتفاوت الاحوال والمواطن في ذلك اليوم المتطاول فيقرون في بعضها ويجحدون في بعضها أو أريد شهادة أيديهم وأرجلهم وجلودهم حين يختم على أفواههم (فان قلت) لم كرر ذكر شهادتهم على أنفسهم (قلت) الاولى حكاية لقولهم كيف يقولون ويعترفون والثانية ذم لهم وتخطئة لرأيهم ووصف لقلة نظرهم لانفسهم وأنهم قوم غرتهم الحياة الدنيا واللذات الحاضرة وكان عاقبة أمرهم أن اضطروا الى الشهادة على أنفسهم بالكفر والاستسلام لربهم واستيجاب عذابه وانما قال ذلك تحذيرا للسامعين من مثل حالهم (ذلك) اشارة الى ما تقدم من بعثة الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة وهو خبر مبتدا محذوف أي الامر ذلك و (أن لم يكن ربك مهلك القرى) تعليل أي الامر ما قصصناه عليك لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم على أن أن هي التي تنصب الافعال ويجوز أن تكون مخففة من الثقيلة على معنى لان الشأن والحديث لم يكن ربك مهلك القرى بظلم ولك أن تجعله بدلا من ذلك كقوله وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع (بظلم) بسبب ظلم قدموا عليه أو ظالما على أنه لو أهلكهم وهم غافلون لم ينبهوا برسول وكتاب لكان ظالما وهو متعال عن الظلم وعن كل قبيح (ولكل) من المكلفين (درجات) منازل (مما عملوا) من جزاء أعمالهم (وما ربك بغافل عما يعملون) بساه عنه يخفى عليه مقاديره وأحواله وما يستحق عليه من الاجر (وربك الغني) عن عباده وعن عبادتهم (ذو الرحمة) يترحم عليهم بالتكليف ليعرضهم للمنافع الدائمة (ان يشأ يذهبكم) أيها العصاة (ويستخلف من بعدكم ما يشاء) من الخلق المطيع (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) من أولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل سفينة نوح عليه السلام المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن أبلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة وقوله

البسط وفي تفسير ابن عباس رضي الله عنه ما يؤيده والله الموفق * قوله تعالى وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم الآية (قال المعنى ان شركاءهم من الشياطين أو من سدنة الاصنام زينوا لهم قتل أولادهم الخ) قال أحمد رحمه الله لقد ركب المصنف في هذا الفصل متن عمياء وتاه في تيهاء وأنا أبرأ الى الله وأبرئ حملة كتابه وحفظة كلامه مما رماهم به فانه تخيل أن القراء أئمة الوجوه السبعة اختار كل منهم حرفا قرأ به اجتهادا لا نقلا وسماعا فلذلك غلط ابن عامر في قراءته هذه وأخذ يبين وجه غلطه ورؤيته الياء ثابتة في شركائهم فاستدل بذلك على أنه مجرور وتعين عنده نصب أولادهم بالقياس اذ لا يضاف المصدر الى أمرين معا فقرأه منصوبا قال المصنف وكانت له مندوحة عن نصبه الى جره بالاضافة وابدال الشركاء منه وكان ذلك أولى مما ارتكبه يعني ابن عامر من الفصل بين المضاف والمضاف اليه الذي يستسمج في الشعر فضلا عن النثر فضلا عن المعجز هذا كله كما ترى ظن من الزمخشري ان ابن عامر قرأ قراءته هذه رأيا منه وكان الصواب خلافه والفصيح سواء ولم يعلم الزمخشري ان هذه القراءة بنصب الاولاد والفصل بين المضاف والمضاف اليه بما يعلم ضرورة ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأها على جبريل كما أنزلها عليه ثم تلاها النبي صلى الله عليه وسلم على عدد التواتر من الائمة ولم يزل عدد التواتر يتناقلونها ويقرؤون بها خلفا عن سلف الى ان انتهت الى ابن عامر فقرأها أيضا كما سمعها فهذا معتقد أهل الحق في جميع الوجوه السبعة انها متواترة جملة وتفصيلا عن أفصح من نطق بالضاد صلى الله عليه وسلم فاذا علمت العقيدة الصحيحة فلا مبالاة بعدها بقول الزمخشري ولا بقول امثاله ممن لحن ابن عامر فان المنكر عليه انما أنكر ما ثبت انه براء منه قطعا وضرورة ولولا عذر أن المنكر ليس من أهل الشأنين أعني علم القراءة وعلم الاصول ولا يعد من ذوي الفنين المذكورين لخيف عليه الخروج من ربقة الدين وانه على هذا العذر لفي عهدة خطرة وزلة منكرة تزيد على زلة من ظن ان تفاصيل الوجوه السبعة فيها ما ليس متواترا فان هذا القائل لم يثبتها بغير النقل وغايته انه ادعى ان نقلها لا يشترط فيه التواتر وأما الزمخشري فظن انها تثبت بالرأي غير موقوفة على النقل وهذا لم يقل به أحد من المسلمين وما حمله على هذا الخيال الا التغالي في اعتقاد اطراد الاقيسة النحوية فظنها قطعية حتى يرد ما خالفها ثم اذا تنزل معه على اطراد القياس الذي ادعاه مطردا فقراءة ابن عامر هذه لا تخالفه وذلك ان الفصل بين المضاف والمضاف اليه وان كان عسرا الا ان المصدر اذا أضيف الى معموله فهو مقدر بالفعل وبهذا التقدير عمل وهو وان لم تكن اضافته غير محضة الا انه شبيه بما اضافته غير محضة حتى قال بعض النحاة ان اضافته ليست محضة لذلك فالحاصل ان اتصاله بالمضاف اليه ليس كاتصال غيره وقد جاء الفصل بين المضاف غير المصدر وبين المضاف اليه بالظرف فلا أقل من أن يتميز المصدر على غيره لما بيناه من انفكاكه في التقدير وعدم توغله في الاتصال بان يفصل بينه وبين المضاف اليه بما ليس أجنبيا عنه

اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم

(اعملوا على مكانتكم) يحتمل اعملوا على تمكنكم من أمركم وأقصى استطاعتكم وامكانكم أو اعملوا على جهتكم وحالكم التي أنتم عليها يقال للرجل اذا أمر أن يثبت على حاله على مكانتك يا فلان أي اثبت على ما أنت عليه لا تنحرف عنه (اني عامل) أي عامل على مكانتي التي أنا عليها والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم لي فاني ثابت على الاسلام وعلى مصابرتكم (فسوف تعلمون) أينا تكون له العاقبة المحمودة وطريقة هذا الامر طريقة قوله اعملوا ما شئتم وهي التخلية والتسجيل على المأمور بانه لا يأتي منه الا الشر فكأنه مأمور به وهو واجب عليه حتم ليس له أن يتفصى عنه ويعمل بخلافه (فان قلت) ما موضع (من) (قلت) الرفع اذا كان بمعنى أي وعلق عنه فعل العلم أو النصب اذا كان بمعنى الذي و (عاقبة الدار) العاقبة الحسنى التي خلق الله تعالى هذه الدار لها وهذا طريق من الانذار لطيف المسلك فيه انصاف في المقال وأدب حسن مع تضمن شدة الوعيد والوثوق بأن المنذر محق والمنذر مبطل * كانوا يعينون أشياء من حرث ونتاج لله وأشياء منهما لآلهتهم فاذا رأوا ما جعلوه لله زاكيا ناميا يزيد في نفسه خيرا رجعوا فجعلوه للآلهة واذا زكى ما جعلوه للاصنام تركوه لها واعتلوا بان الله غني وانما ذاك لحبهم آلهتهم وايثارهم لها وقوله (مما ذرأ) فيه أن الله كان أولى بأن يجعل له الزاكي لانه هو الذي ذرأه وزكاه ولا يرد الى ما لا يقدر على ذرء ولا تزكية (بزعمهم) وقرئ بالضم أي قد زعموا أنه لله والله لم يأمرهم بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة التي هي من الشرك لانهم أشركوا بين الله وبين أصنامهم في القربة (فلا يصل الى الله) أي لا يصل الى الوجوه التي كانوا يصرفونه اليها من قرى الضيفان والتصدق على المساكين (فهو يصل الى شركائهم) من انفاق عليها بذبح نسائك عندها والاجراء على سدنتها ونحو ذلك (ساء ما يحكمون) في ايثار آلهتهم على الله تعالى وعملهم ما لم يشرع لهم (وكذلك) ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربان بين الله تعالى والآلهة أو ومثل ذلك التزيين البليغ الذي هو علم من الشياطين والمعنى أن شركاءهم من الشياطين أو من سدنة الاصنام زينوا لهم قتل اولادهم بالوأد أو بنحرهم للآلهة

وكأنه بالتقدير فكه بالفصل ثم قدم المفعول على الفاعل وأضافه الى الفاعل وبقي المفعول مكانه حين الفك ويسهل ذلك أيضا تغاير حال المصدر اذ تارة يضاف الى الفاعل وتارة يضاف الى المفعول وقد التزم بعضهم اختصاص الجواز بالفصل بالمفعول بينه وبين الفاعل لوقوعه في غير مرتبته اذ ينوى به التأخير فكأنه لم يفصل كما جاز تقدم المضمر على الظاهر اذا حل في غير رتبته لان النية به التأخير وأنشد أبو عبيدة * فداسهم دوس الحصاد الدائس * وأنشد أيضا

يفركن حب السنبل الكنافج * بالقاع فرك القطن المحالج

ففصل كما ترى بين المصدر وبين الفاعل بالمفعول ومما يقوى عدم توغله في الاضافة جواز العطف على موضع مخفوضه رفعا ونصبا فهذه كلها نكت مؤيدة بقواعد منظرة بشواهد من أقيسة العربية تجمع شمل القوانين الضوية لهذه (٤٧٢) القراءة وليس غرضنا تصحيح القراءة بقواعد العربية بل تصحيح قواعد العربية بالقراءة وهذا القدر كاف ان شاء الله في الجمع بينهما والله الموفق وما أجريناه في أدراج الكلام من تقريب اضافة المصدر من غير المحضة لما أردنا انضمامه الى غيره من الوجوه التي يدل

ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة

وكان الرجل في الجاهلية يحلف لئن ولد له كذا غلاما لينحرن أحدهم كما حلف عبد المطلب * وقرئ زين على البناء للفاعل الذي هو شركاؤهم ونصب قتل أولادهم وزين على البناء للمفعول الذي هو القتل ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين كأنه قيل لما قيل زين لهم قتل أولادهم من زينه فقيل زينه لهم شركاؤهم وأما قراءة ابن عامر قتل أولادهم شركائهم برفع القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء على اضافة القتل الى الشركاء والفصل بينهما بغير الظرف فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجا مردودا كما سمج ورد * زج القلوص أبي مزاده * فكيف به في الكلام المنثور فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته والذي حمله على ذلك أن رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوبا بالياء ولو قرأ بجر الاولاد والشركاء لان الاولاد شركاؤهم في أموالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب (ليردوهم) ليهلكوهم بالاغواء (وليلبسوا عليهم دينهم) وليخلطوه عليهم ويشبهوه ودينهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل عليه السلام حتى زلوا عنه الى الشرك وقيل دينهم الذي وجب أن يكونوا عليه وقيل معناه وليوقعوهم في دين ملتبس (فان قلت) ما معنى اللام (قلت) ان كان التزيين من الشياطين فهي على حقيقة التعليل وان كان من السدنة فعلى معنى الصيرورة (ولو شاء الله) مشيئة قسر (ما فعلوه) لما فعل المشركون ما زين لهم من القتل أو لما فعل الشياطين أو السدنة التزيين أو الارداء أو اللبس أو جميع ذلك ان جعلت الضمير جاريا مجرى اسم الاشارة (وما يفترون) وما يفترونه من الافك أو وافتراؤهم (حجر) فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوي في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات وقرأ الحسن وقتادة حجر بضم الحاء وقرأ ابن عباس حرج وهو من التضييق وكانوا اذا عينوا أشياء من حرثهم وأنعامهم لآلهتهم قالوا (لا يطعمها الا من نشاء) يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء (وأنعام حرمت ظهورها) وهي البحائر والسوائب والحوامي (وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها) في الذبح وانما يذكرون عليها أسماء الاصنام وقيل لا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها والمعنى أنهم قسموا أنعامهم فقالوا هذه أنعام حجر وهذه أنعام محرمة الظهور وهذه أنعام لا يذكر عليها اسم الله فجعلوها أجناسا بهواهم ونسبوا ذلك التجنيس الى الله (افتراء عليه) أي فعلوا ذلك كله على جهة الافتراء تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وانتصابه على أنه مفعول له أو حال أو مصدر مؤكد لان قولهم ذلك في معنى الافتراء * كانوا يقولون في أجنة البحائر والسوائب ما ولد منها حيا فهو خالص للذكور لا تأكل منه الاناث وما ولد منها ميتا اشترك فيه الذكور والاناث وأنث (خالصة) للحمل على المعنى لان ما في معنى الاجنة وذكر محرم للحمل على اللفظ ونظيره ومنهم من يستمع اليك

بإجماعها على أن الفصل غير منكر في اضافته ولا مستبعد من القياس ولم يفرده في الدلالة المذكورة اذ المتفق على عدم فصلها لا يسوغ فيها الفصل فلا يمكن استقلال الوجه المذكور بالدلالة والله الموفق

* قوله تعالى وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا (قال فيه وأنث خالصة للحمل على المعنى لان ما في معنى الاجنة الخ) قال أحمد ليس سواء الا أنه في الآية الاولى رجوع الى اللفظ بعد المعنى وفيه اجمال وبينهما بون اقتضى ان أنكر جماعة من متأخري الفن وقوعه في الكتاب العزيز وادعوا أن جميع ما ورد فيه للعود على المعنى بعد اللفظ وقد التزم غيرهم اجازة ذلك وعدوا في الكتاب العزيز منه موضعين يمكن صرف الكلام فيهما الى غير الموصول وعلى الجملة فالحمل على اللفظ بعد المعنى قليل وغيره أولى ما وجد اليه سبيل وقد ذكر المصنف وجهين آخرين سوى ذلك فقال ويجوز أن تكون الهاء للمبالغة مثلها في راوية الشعر وان يكون مصدرا وقع موقع الخالص كالعافية أي ذو خالصة ويدل عليه قراءة من قرأ خالصة بالنصب على ان قوله لذكورنا هو الخبر وخالصة مصدر مؤكد ولا يجوز أن يكون حالا متقدمة لان المجرور لا يتقدم عليه حاله ولقد أحسن في الاحتراز بمنع الحال من المجرور حتى يتعين المصدر

حتى

حتى اذا نرجوا من عندك ويجوز أن تكون التاء للمبالغة مثلها فى راوية الشعر وأن تكون مصدرا وقع موقع الخالص كالعاقبة أى ذو خالصة ويدل عليه قراءة من قرأ خالصة بالنصب على أن قوله (لذكورنا) هو الخبر وخالصة مصدر مؤكد ولا يجوز أن يكون حالا متقدمة لان المجرور لا يتقدم عليه حاله وقرأ ابن عباس خالصه على الاضافة وفى مصحف عبد الله خالص (وان يكن ميتة) وان يكن ما فى بطونها ميتة وقرئ وان تكن بالتأنيث على وان تكن الاجنة ميتة وقرأ أهل مكة وان تكن ميتة بالتأنيث والرفع على كان التامة وتذكير الضمير فى قوله (فهم فيه شركاء) لان الميتة لكل ميت ذكرا أو أنثى فكأنه قيل وان يكن ميت فهم فيه شركاء (سيجزيهم وصفهم) أى جزاء وصفهم الكذب على الله فى التحليل والتحريم من قوله تعالى وتصف ألسنتهم الكذب هذا حلال وهذا حرام * نزلت فى ربيعة ومضر والعرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر (سفها بغير علم) لخفة أحلامهم وجهلهم بأن الله هو رازق أولادهم لا هم * وقرئ قتلوا بالتشديد (ما رزقهم الله) من البحائر والسوائب وغيرها (أنشأ جنات) من الكروم (معروشات) مسموكات (وغير معروشات) متروكات على وجه الارض لم تعرش وقيل المعروشات ما فى الارياف والعمران مما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه وغير معروشات مما أنبته الله وحشيا فى البرارى والجبال فهو غير معروش يقال عرشت الكرم اذا جعلت له دعائم وسمكا تعطف عليه القضبان وسقف البيت عرشه (مختلفا أكله) فى اللون والطعم والحجم والرائحة وقرئ أكله بالضم والسكون وهو ثمره الذى يؤكل والضمير للنخل والزرع داخل فى حكمه لكونه معطوفا عليه ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن وقت الانشاء كذلك كقوله تعالى فادخلوها خالدين * وقرئ ثمره بضمتين (فان قلت) ما فائدة قوله (اذا أثمر) وقد علم أنه اذا لم يثمر لم يؤكل منه (قلت) لما أبيح لهم الاكل من ثمره قيل اذا أثمر ليعلم أن أول وقت الاباحة وقت اطلاع الشجر الثمر لئلا يتوهم أنه لا يباح الا اذا أدرك وأينع (وآتوا حقه يوم حصاده) الآية مكية والزكاة انما فرضت بالمدينة فأريد بالحق ما كان يتصدق به على المساكين يوم الحصاد وكان ذلك واجبا حتى نسخه افتراض العشر ونصف العشر وقيل مدنية والحق هو الزكاة المفروضة ومعناه واعزموا على ايتاء الحق واقصدوه واهتموا به يوم الحصاد حتى لا تؤخروه عن أول وقت يمكن فيه الايتاء (ولا تسرفوا) فى الصدقة كما روى عن ثابت بن قيس بن شماس أنه صرم خمسمائة نخلة ففرق ثمرها كله ولم يدخل منه شيأ الى منزله ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا (حمولة وفرشا) عطف على جنات أى وأنشأ من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح أو ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش وقيل الحمولة الكبار التى تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم لانها دانية من الارض للطافة أجرامها مثل الفرش المفروش عليها (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) فى التحليل والتحريم من عند أنفسكم كما فعل أهل الجاهلية (ثمانية أزواج) بدل من حمولة وفرشا (اثنين) زوجين اثنين يريد الذكر والانثى كالجمل والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة والتيس والعنز والواحد اذا كان وحده فهو فرد فاذا كان معه غيره من جنسه سمى كل واحد منهما زوجا وهما زوجان بدليل قوله خلق الزوجين الذكر والانثى والدليل عليه قوله تعالى ثمانية أزواج ثم فسرها بقوله من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ونحو تسميتهم الفرد بالزوج بشرط أن يكون معه آخر من جنسه تسميتهم الزجاجة كأسا بشرط أن يكون فيها خمر * والضأن والمعز جمع ضائن وماعز كتاجر وتجر وقرئا بفتح العين وقرأ أبى ومن المعزى * وقرئ اثنان على الابتداء * الهمزة فى (آلذكرين) للانكار والمراد بالذكرين الذكر من الضأن والذكر من المعز * وبالانثيين الانثى من الضأن والانثى من المعز على طريق الجنسية والمعنى انكار أن يحرم الله تعالى من جنسى الغنم ضأنها ومعزها شيأ من نوعى ذكورها واناثها ولا مما تحمل اناث الجنسين وكذلك الذكران من جنسى الابل والبقر والانثيان منهما وما تحمل اناثهما وذلك أنهم كانوا يحرمون ذكورة الانعام تارة واناثها تارة وأولادها كيفما كانت ذكورا واناثا أو مختلطة تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله فأنكر ذلك عليهم (نبئونى بعلم) أخبرونى بأمر معلوم من جهة الله تعالى يدل على تحريم ما حرمتم (ان كنتم صادقين) فى أن الله حرمه (أم كنتم شهداء) بل

لذكورنا ومحرم على أزواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ومن الانعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين نبئونى بعلم ان كنتم صادقين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين أم كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا

* قوله تعالى ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين (قال معناه ذلك الجزاء جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم الخ) قال أحمد هذه الآية وردت فيمن كفر وافترى على الله ووعيد الكافر باتفاق واقع به غير مصروف عنه وأهل السنة وان قالوا بجواز العفو عن العاصي الموحد فلا يقولون ان ذلك حتم ولا يلزمهم ذلك لان الله تعالى حيث توعد المؤمنين العصاة علق حلول الوعيد بهم بالمشيئة وأخبر انه يغفر لمن يشاء منهم فمن ثم اعتقدنا ان كل موحد عاص في المشيئة وحيث أطلق وعيدهم في بعض الظواهر فهو محمول على القيد فلا يلزمهم حينئذ اعتقاد الخلف في الخبر والزمخشري انما يندن حول الزامهم ذلك وأنى له * قوله تعالى

فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدى القوم الظالمين قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء

سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون

أم كنتم شهداء ومعنى الهمزة الانكار يعنى أم شاهدتم ربكم حين أمركم بهذا التحريم وذكر المشاهدة على مذهبهم لانهم كانوا لا يؤمنون برسول وهم يقولون الله حرم هذا الذى نحرمه فتهكم بهم فى قوله أم كنتم شهداء على معنى أعرفتم التوصية به مشاهدين لانكم لا تؤمنون بالرسل (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) فنسب اليه تحريم ما لم يحرم (ليضل الناس) وهو عمرو بن لحى بن قمعة الذى بحر البحائر وسيب السوائب (فان قلت) كيف فصل بين بعض المعدود وبعضه ولم يوال بينه (قلت) قد وقع الفاصل بينهما اعتراضا غير أجنبى من المعدود وذلك أن الله عز وجل من على عباده بانشاء الانعام لمنافعهم وباباحتها لهم فالاعتراض بالاحتجاج على من حرمها والاحتجاج على من حرمها تأكيد وتشديد للتحليل والاعتراضات فى الكلام لا تساق الا للتوكيد (فيما أوحى الى) تنبيه على أن التحريم انما يثبت بوحى الله تعالى وشرعه لا بهوى الانفس (محرما) طعاما محرما من المطاعم التى حرمتموها (الا أن يكون ميتة) الا أن يكون الشئ المحرم ميتة (أو دما مسفوحا) أى مصبوبا سائلا كالدم فى العروق لا كالكبد والطحال وقد رخص فى دم العروق بعد الذبح (أو فسقا) عطف على المنصوب قبله سمى ما أهل به لغير الله فسقا لتوغله فى باب الفسق ومنه قوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وأهل صفة له منصوبة المحل ويجوز أن يكون مفعولا له من أهل أى أهل لغير الله به فسقا (فان قلت) فعلام تعطف (أهل) والام يرجع الضمير فى (به) على هذا القول (قلت) يعطف على يكون ويرجع الضمير الى ما يرجع اليه المستكن فى يكون (فمن اضطر) فمن دعته الضرورة الى أكل شئ من هذه المحرمات (غير باغ) على مضطر مثله تارك لمواساته (ولا عاد) متجاوز قدر حاجته من تناوله (فان ربك غفور رحيم) لا يؤاخذه * ذو الظفر ماله اصبع من دابة أو طائر وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا حرم ذلك عليهم فعم التحريم كل ذى ظفر بدليل قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم * وقوله (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) كقولك من زيد أخذت ماله تريد بالاضافة زيادة الربط والمعنى أنه حرم عليهم لحم كل ذى ظفر وشحمه وكل شئ منه وترك البقر والغنم على التحليل لم يحرم منهما الا الشحوم الخالصة وهى الثروب وشحوم الكلى وقوله (الا ما حملت ظهورهما) يعنى الا ما اشتمل على الظهور والجنوب من السحفة (أو الحوايا) أو اشتمل على الامعاء (أو ما اختلط بعظم) وهو شحم الالية وقيل الحوايا عطف على شحومهما أو بمنزلة سائق قولهم جالس الحسن أو ابن سيرين (ذلك) الجزاء (جزيناهم) وهو تحريم الطيبات (ببغيهم) بسبب ظلمهم (وانا لصادقون) فيما أوعدنا به العصاة لا نخلفه كما لا نخلف ما وعدناه أهل الطاعة فلما عصوا وبغوا ألحقنا بهم الوعيد وأحللنا بهم العقاب (فان كذبوك) فى ذلك وزعموا أن الله واسع الرحمة وأنه لا يؤاخذ بالبغى ويخلف الوعيد جودا وكرما (فقل) لهم (ربكم ذو رحمة واسعة) لاهل طاعته (ولا يرد بأسه) مع سعة رحمته (عن القوم المجرمين) فلا تغتروا برجاء رحمته عن خوف نقمته (سيقول الذين أشركوا) اخبار بما سوف يقولونه ولما قالوه قال وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ يعنون بكفرهم وتمردهم أن شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم

الا الظن وان أنتم الا تخرصون (قال فيه هذا اخبار بما سوف يقولونه الخ) قال أحمد وفائدته توطين النفس على الجواب ومكافحتهم بالرد واعداد الحجة قبل أوانها كما قال سيقول السفهاء من الناس * عاد كلامه (قال فلما وقع ذلك منهم قال وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ يعنون بكفرهم الخ) قال أحمد رحمه الله قد تقدم أيضا الكلام على هذه الآية وأوضحنا ان الرد عليهم انما كان لاعتقادهم انهم مسلوبون اختيارهم وقدرتهم وان اشراكهم انما صدر منهم على وجه الاضطرار وزعموا انهم يقيمون الحجة على الله ورسله بذلك فرد الله قولهم وكذبهم فى دعواهم عدم الاختيار لانفسهم وشبههم بمن اغتر قبلهم بهذا الخيال فكذب الرسل وأشرك بالله واعتمد على انه انما

بفعل ذلك كله بمشيئة الله ورام افحام الرسل بهذه الشبهة ثم بين الله تعالى انهم لا حجة لهم في ذلك وان الحجة البالغة له لا لهم بقوله ألا لله الحجة البالغة ثم أوضح تعالى ان كل واقع بمشيئته وانه لم يشأ منهم الا ما صدر عنهم وانه لو شاء منهم الهداية لاهتدوا أجمعون بقوله فلو شاء لهداكم أجمعين والمقصود من ذلك ان يتمحض وجه الرد عليهم ويتخلص عقيدة نفوذ المشيئة وعموم تعلقها بكل كائن عن الرد وينصرف الرد الى دعواهم بسلب الاختيار لانفسهم والى اقامتهم الحجة بذلك خاصة واذا تدبرت هذه وجدتها كافية في الرد على من زعم من أهل القبلة ان العبد لا اختيار له ولا قدرة البتة بل هو مجبور على أفعاله مقهور عليها وهم الفرقة المعروفون بالجبرة والمصنف يغالط في الحقائق فيسمي أهل السنة مجبرة وان أثبتوا للعبد اختيارا وقدرة لانهم يسلبون تأثير قدرة العبد ويجعلونها مقارنة لافعاله الاختيارية مميزة بينها وبين أفعاله القسرية فمن هذه الجهة سوى بينهم وبين الجبرة ويجعله لقبا عاما لاهل السنة وجاء الرد على الجبرة الذين ميزناهم عن أهل السنة في قوله تعالى سيقول الذين أشركوا الى قوله قل فلله الحجة البالغة وتتمة الآية رد صراح على طائفة الاعتزال القائلين بان الله تعالى شاء الهداية منهم أجمعين فلم تقع من أكثرهم ووجه الرد أن لو اذا دخلت على فعل مثبت نفته فيقتضي ذلك أن الله تعالى لما قال فلو شاء لم يكن الواقع انه شاء هدايتهم ولو شاءها لوقعت فهذا تصريح ببطلان زعمهم ومحل عقدهم فاذا ثبت اشتمال الآية على رد عقيدة الطائفتين المذكورتين الجبرة في أولها والمعتزلة في آخرها فاعلم انها جامعة لعقيدة السنة منطبقة عليها فان أولها كما بينا يثبت للعبد اختيارا وقدرة على وجه يقطع حجته وعذره في المخالفة والعصيان وآخرها يثبت نفوذ مشيئة الله في العبد وان جميع أفعاله على وفق المشيئة الالهية خيرا أو غيره وذلك عين عقيدتهم فانهم كما يثبتون للعبد مشيئة وقدرة يسلبون تأثيرها ويعتقدون ان ثبوتهما قاطع لحجته ملزم له بالطاعة على وفق اختياره ويثبتون نفوذ مشيئة الله أيضا وقدرته في أفعال عباده فهم كما رأيت تبع للكتاب العزيز يثبتون ما أثبت وينفون ما نفى مؤيدون بالعقل والنقل والله الموفق * عاد كلامه (قال فان قلت هلا قيل قل هلم شهداء يشهدون أن الله حرم هذا وأي فرق بينه وبين المنزل الخ) قال أحمد رحمه الله ووجه مناقضته له انه لو قيل على خلاف المنزل وهو قوله هلم شهداء يشهدون يفهم ان الطالب للشهداء ليس على تحقيق من ان ثم شهداء كما يقول الحاكم للمدعي هات بينة تشهد بذلك فهو لا يتحقق ان للمدعي بينة ثم يكون قوله فان شهدوا تحقيقا لان ثم شهداء فالجمع بينهما متناقض كما ترى والله الموفق

كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون قل تعالوا أتل

وتحريمهم ما أحل الله بمشيئة الله وارادته ولولا مشيئته لم يكن شيء من ذلك كمذهب المجبرة بعينه (كذلك كذب الذين من قبلهم) أي جاؤا بالتكذيب المطلق لان الله عز وجل ركب في العقول وأنزل في الكتب ما دل على غناه وبراءته من مشيئة القبائح وارادتها والرسل أخبروا بذلك فمن علق وجود القبائح من الكفر والمعاصي بمشيئة الله وارادته فقد كذب التكذيب كله وهو تكذيب الله وكتبه ورسله ونبذ أدلة العقل والسمع وراء ظهره (حتى ذاقوا بأسنا) حتى أنزلنا عليهم العذاب بتكذيبهم (قل هل عندكم من علم) من أمر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم (فتخرجوه لنا) وهذا من التهكم والشهادة بأن مثل قولهم محال أن يكون له حجة (ان تتبعون الا الظن) في قولكم هذا (وان أنتم الا تخرصون) تقدرون أن الامر كما تزعمون أو تكذبون * وقرئ كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف (قل فلله الحجة البالغة) يعني فان كان الامر كما زعمتم أن ما أنتم عليه بمشيئة الله فلله الحجة البالغة عليكم على قود مذهبكم (فلو شاء لهداكم أجمعين) منكم ومن مخالفيكم في الدين فان تعليقكم دينكم بمشيئة الله يقتضي أن تعلقوا دين من يخالفكم أيضا بمشيئته فتوالوهم ولا تعادوهم وتوافقوهم ولا تخالفوهم لان المشيئة تجمع بين ما أنتم عليه وبين ما هم عليه (هلم) يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث عند الحجازيين وبنو تميم تؤنث وتجمع والمعنى هاتوا شهداءكم وقربوهم (فان قلت) كيف أمرهم باستحضار شهدائهم الذين يشهدون أن الله حرم ما زعموه محرما ثم أمره بأن لا يشهد معهم (قلت) أمره باستحضارهم وهم شهداء بالباطل ليلزمهم الحجة ويلقمهم الحجر ويظهر للمشهود لهم بانقطاع الشهداء أنهم ليسوا على شيء لتساوي أقدام الشاهدين والمشهود لهم في أنهم لا يرجعون الى ما يصح التمسك به وقوله (فلا تشهد معهم) يعني فلا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لانه اذا سلم لهم فكأنه شهد معهم مثل شهادتهم وكان واحدا منهم (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا) من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أن من كذب بآيات الله وعدل به غيره فهو متبع للهوى لا غير لانه لو اتبع الدليل لم يكن الا مصدقا بالآيات موحدا لله تعالى (فان قلت) هلا قيل قل هلم شهداء يشهدون أن الله حرم هذا وأي فرق بينه وبين المنزل (قلت) المراد أن يحضروا شهداءهم الذين علم أنهم يشهدون لهم وينصرون قولهم وكان المشهود لهم يقلدونهم ويثقون بهم ويعتضدون بشهادتهم ليهدم ما يقومون به فيحق الحق ويبطل الباطل فأضيفت الشهداء اليهم للدلالة على أنهم شهداء

معروفون موسومون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم والدليل عليه قوله تعالى فان شهدوا فلا تشهد معهم
ولو قيل هلم شهداء يشهدون لمكان معناه هاتوا أناسا يشهدون بتحريم ذلك فكان الظاهر طلب شهداء بالحق
وذلك ليس بالغرض ويناقضه قوله تعالى وان شهدوا فلا تشهد معهم * تعال من الخاص الذي صار عاما
وأصله أن يقول من كان في مكان عال لمن هو أسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم و (ما حرم) منصوب بفعل
التلاوة أي أتل الذي حرمه ربكم أو يحرم بمعنى أقل أي شئ حرم ربكم لان التلاوة من القول وأن في (ألا
تشركوا) مفسرة ولا للنهي (فان قلت) هلا قلت هي التي تنصب الفعل وجعلت أن لا تشركوا بدلا من ما حرم
(قلت) وجب أن يكون لا تشركوا ولا تقربوا ولا تقتلوا ولا تتبعوا السبل نواهي لانعطاف الاوامر عليها
وهي قوله وبالوالدين احسانا لان التقدير وأحسنوا بالوالدين احسانا وأوفوا واذا قلتم فاعدلوا وبعهد الله
أوفوا (فان قلت) فما تصنع بقوله وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه فيمن قرأ بالفتح وانما يستقيم عطفه على أن
لا تشركوا اذا جعلت أن هي الناصبة للفعل حتى يكون المعنى أتل عليكم نفي الاشراك والتوحيد وأتل عليكم
أن هذا صراطي مستقيما (قلت) أجعل قوله وأن هذا صراطي مستقيما علة للاتباع بتقدير اللام كقوله
تعالى وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا بمعنى ولان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه والدليل عليه القراءة
بالكسر كأنه قيل واتبعوا صراطي لانه مستقيم أو واتبعوا صراطي انه مستقيم (فان قلت) اذا جعلت أن
مفسرة لفعل التلاوة وهو معلق بما حرم ربكم وجب أن يكون ما بعده منهيا عنه محرما كله كالشرك وما بعده مما
دخل عليه حرف النهي فما تصنع بالاوامر (قلت) لما وردت هذه الاوامر مع النواهي وتقدمهن جميعا فعل
التحريم واشتركن في الدخول تحت حكمه علم أن التحريم راجع الى أضدادها وهي الاساءة الى الوالدين
وبخس الكيل والميزان وترك العدل في القول ونكث عهد الله (من املاق) من أجل فقر ومن خشيته كقوله
تعالى خشية املاق (ما ظهر منها وما بطن) مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه (الا بالحق) كالقصاص والقتل
على الردة والرجم (الا بالتي هي أحسن) الا بالخصلة التي هي أحسن ما يفعل بمال اليتيم وهي حفظه وتثميره
والمعنى احفظوه عليه حتى يبلغ أشده فادفعوه اليه (بالقسط) بالسوية والعدل (لا نكلف نفسا الا وسعها)
الا ما يسعها ولا تعجز عنه وانما أتبع الامر بايفاء الكيل والميزان ذلك لان مراعاة الحد من القسط الذي لا زيادة
فيه ولا نقصان مما يجري فيه الحرج فأمر ببلوغ الوسع وان ما وراءه معفو عنه (ولو كان ذا قربى) ولو كان المقول
له أو عليه في شهادة أو غيرها من أهل قرابة القائل فلا ينبغي أن يزيد في القول أو ينقص كقوله ولو على أنفسكم
أو الوالدين والاقربين * وقرئ وأن هذا صراطي مستقيما بتخفيف أن وأصله وانه هذا صراطي على أن الهاء
ضمير الشأن والحديث وقرأ الاعمش وهذا صراطي وفي مصحف عبد الله وهذا صراط ربكم وفي مصحف أبي
وهذا صراط ربك (ولا تتبعوا السبل) الطرق المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر
البدع والضلالات (فتفرق بكم) فتفرقكم أيادي سبا (عن سبيله) عن صراط الله المستقيم وهو دين الاسلام
* وقرئ فتفرق بادغام التاء وروى أبو وائل عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خط خطا ثم قال
هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم
تلا هذه الآية وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما هذه الآيات محكمات لم
ينسخهن شئ من جميع الكتب وقيل انهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن
كعب الاحبار والذي نفس كعب بيده ان هذه الآيات لاول شئ في التوراة (فان قلت) علام عطف قوله ثم
آتينا موسى الكتاب (قلت) على وصاكم به (فان قلت) كيف صح عطفه عليه بثم والايتاء قبل التوصية بدهر
طويل (قلت) هذه التوصية قديمة لم تزل توصاها كل أمة على لسان نبيهم كما قال ابن عباس رضي الله عنهما
محكمات لم ينسخهن شئ من جميع الكتب فكأنه قيل ذلكم وصاكم به يا بني آدم قديما وحديثا (ثم) أعظم من
ذلك أنا (آتينا موسى الكتاب) وأنزلنا هذا الكتاب المبارك وقيل هو معطوف على ما تقدم قبل شطر
السورة من قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب (تماما على الذي أحسن) تماما للكرامة والنعمة على الذي

ما حرم ربكم عليكم ألا
تشركوا به شيأ وبالوالدين
احسانا ولا تقتلوا أولادكم
من املاق نحن نرزقكم
واياهم ولا تقربوا
الفواحش ما ظهر منها
وما بطن ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله الا
بالحق ذلكم وصاكم به
لعلكم تعقلون ولا تقربوا
مال اليتيم الا بالتي هي
أحسن حتى يبلغ أشده
وأوفوا الكيل والميزان
بالقسط لا نكلف نفسا
الا وسعها واذا قلتم
فاعدلوا ولو كان ذا قربى
وبعهد الله أوفوا ذلكم
وصاكم به لعلكم تذكرون
وأن هذا صراطي
مستقيما فاتبعوه ولا
تتبعوا السبل فتفرق
بكم عن سبيله ذلكم وصاكم
به لعلكم تتقون ثم آتينا
موسى الكتاب تماما
على الذي أحسن
وتفصيلا لكل شئ
وهدى ورحمة لعلهم
بلقاء ربهم يؤمنون
وهذا كتاب أنزلناه
مبارك فاتبعوه واتقوا
لعلكم ترحمون

أحسن

* قوله تعالى يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا (قال) فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة اذا آمنت الخ) قال أحمد رحمه الله هو يروم الاستدلال على صحة عقيدته في ان الكافر والعاصي سواء في الخلود بهذه الآية اذ سوى بينهما في عدم الانتفاع بما يستدركانه بعد ظهور الآيات ولا يتم له ذلك فان هذا الكلام اشتمل على النوع المعروف من علم البيان

أحسن على من كان محسنا صالحا يريد جنس المحسنين وتدل عليه قراءة عبد الله على الذين أحسنوا أو أراد به موسى عليه السلام أي تتمة للكرامة على العبد الذي أحسن الطاعة في التبليغ وفي كل ما أمر به أو تماما على الذي أحسن موسى من العلم والشرائع من أحسن الشيء اذا أجاد معرفته أي زيادة على علمه على وجه التتميم وقرأ يحيى بن يعمر على الذي أحسن بالرفع أي على الذي هو أحسن بحذف المبتدا كقراءة من قرأ مثلا ما بعوضة بالرفع أي على الدين الذي هو أحسن دين وأرضاه أو آتينا موسى الكتاب تماما أي تاما كاملا على أحسن ما تكون عليه الكتب أي على الوجه والطريق الذي هو أحسن وهو معنى قول الكلبي أتم له الكتاب على أحسنه (أن تقولوا) كراهة ان تقولوا (على طائفتين) يريدون أهل التوراة وأهل الانجيل (وان كنا) هي أن المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والاصل وانه كنا عن دراستهم غافلين على أن الهاء ضمير الشأن (عن دراستهم) عن قراءتهم أي لم نعرف مثل دراستهم (لكنا أهدى منهم) لحدة أذهاننا وثقابة أفهامنا وغزارة حفظنا لأيام العرب ووقائعها وخطبها وأشعارها وأسجاعها وأمثالها على انا أميون * وقرئ أن يقولوا أو يقولوا بالياء (فقد جاءكم بينة من ربكم) تبكيت لهم وهو على قراءة من قرأ يقولوا على لفظ الغيبة أحسن لما فيه من الالتفات والمعنى ان صدقتكم فيما كنتم تعدون من أنفسكم فقد جاءكم بينة من ربكم فحذف الشرط وهو من أحاسن الحذوف (فمن أظلم ممن كذب بآيات الله) بعد ما عرف صحتها وصدقها أو تمكن من معرفة ذلك (وصدف عنها) الناس فضل وأضل (سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب) كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب * الملائكة ملائكة الموت أو العذاب (أو يأتي ربك) أو يأتي كل آيات ربك بدليل قوله (أو يأتي بعض آيات ربك) يريد آيات القيامة والهلاك الكلي وبعض الآيات أشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك * وعن البراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تتذاكرون فقلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمغرب وخسفا بالمشرق وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونار تخرج من عدن (لم تكن آمنت من قبل) صفة لقوله نفسا وقوله (أو كسبت في إيمانها خيرا) عطف على آمنت والمعنى ان أشراط الساعة اذا جاءت وهي آيات ملجئة مضطرة ذهب أوان التكليف عندها فلم ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة إيمانها من قبل ظهور الآيات أو مقدمة الايمان غير كاسبة في إيمانها خيرا فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة اذا آمنت في غير وقت الايمان وبين النفس التي آمنت في وقته ولم تكسب خيرا ليعلم أن قوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جمع بين قرينتين لا ينبغي أن تنفك احداهما عن الاخرى حتى يفوز صاحبهما ويسعد والا فالشقوة والهلاك (قل انتظروا انا منتظرون) وعيد * وقرئ أن يأتيهم الملائكة بالياء والتاء * وقرأ ابن سيرين لا تنفع بالتاء لكون الايمان مضافا الى ضمير المؤنث الذي هو بعضه كقولك ذهبت بعض أصابعه (فرقوا دينهم) اختلفوا فيه كما اختلفت اليهود والنصارى وفي الحديث افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وهي الناجية وافترقت النصارى ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وقيل فرقوا دينهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وقرئ فارقوا دينهم أي تركوه (وكانوا شيعا) فرقا كل فرقة تشيع اماما لها (لست منهم في شيء) أي من السؤال

أن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا قل انتظروا انا منتظرون ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء انما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون من جاء بالحسنة فله

والبلاغة باللف وأصل الكلام يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا لم تكن مؤمنة قبل إيمانها بعد ولا نفسا لم تكسب في إيمانها خيرا قبل ما تكسبه من الخير بعد الا أنه لف الكلامين فجعلهما كلاما واحدا بلاغة واختصارا وايجازا واذا ثبت ان ذلك هو الاصل فهو غير مخالف لقواعد السنة فانا نقول لا ينفع بعد ظهور الآيات اكتساب الخير وان نفع الايمان المتقدم في السلامة من الخلود فهذا بأن يدل على رد الاعتزال أجدر من أن يدل له والله الموفق

﴿القول في سورة الاعراف﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * المص كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه الآية (قال الحرج الشك الخ) قال أحمد ويشهد له قوله تعالى فلا تكونن من الممترين ولهذه النكتة ميز امام الحرمين بين العلم والاعتقاد الصحيح بان العقد ربط الفكر بمعتقد والاعتقاد افتعال منه والعلم يشعر بانحلال العقود وهو الانشراح والثلج والثقة وما أحسن تنبيهه بقوله والاعتقاد افتعال منه يريد اذا كان العقد مباينا للعلم فما ظنك بالاعتقاد لان صيغة الافتعال أبلغ معنى ومنه الاعتماد والاحتمال ومن ثم ورد

عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وانا أول المسلمين قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم

﴿سورة الاعراف مكية وهي مائتان وخمس آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

عنهم وعن تفرقهم وقيل من عقابهم وقيل هي منسوخة بآية السيف (عشر أمثالها) على اقامة صفة الجنس المميز مقام الموصوف تقديره عشر حسنات أمثالها وقرئ عشر أمثالها برفعهما جميعا على الوصف وهذا أقل ما وعد من الاضعاف وقد وعد بالواحد سبعمائة ووعد ثوابا بغير حساب ومضاعفة الحسنات فضل ومكافأة السيئات عدل (وهم لا يظلمون) لا ينقص من ثوابهم ولا يزاد على عقابهم (دينا) نصب على البدل من محل الى صراط لان معناه هداني صراطا بدليل قوله ويهديكم صراطا مستقيما * والقيم فيعل من قام كسيد من ساد وهو أبلغ من القائم وقرئ قيما والقيم مصدر بمعنى القيام وصف به (ملة ابراهيم) عطف بيان و (حنيفا) حال من ابراهيم (قل ان صلاتي ونسكي) وعبادتي وتقربي كله وقيل وذبحي وجمع بين الصلاة والذبح كما في قوله فصل لربك وانحر وقيل صلاتي وحجي من مناسك الحج (ومحياي ومماتي) وما آتيه في حياتي وما أموت عليه من الايمان والعمل الصالح (لله رب العالمين) خالصة لوجهه (وبذلك) من الاخلاص (أمرت وأنا أول المسلمين) لان اسلام كل نبي متقدم لاسلام أمته (قل أغير الله أبغي ربا) جواب عن دعائهم له الى عبادة آلهتهم والهمزة للانكار أي منكر أن أبغي ربا غيره (وهو رب كل شيء) فكل من دونه مربوب ليس في الوجود من له الربوبية غيره كما قال قل أفغير الله تأمروني أعبد (ولا تكسب كل نفس الا عليها) جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم (جعلكم خلائف الارض) لان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فخلفت أمته سائر الامم أو جعلهم يخلف بعضهم بعضا أو هم خلفاء الله في أرضه يملكونها ويتصرفون فيها (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) في الشرف والرزق (ليبلوكم فيما آتاكم) من نعمة المال والجاه كيف تشكرون تلك النعمة وكيف يصنع الشريف بالوضيع والحر بالعبد والغني بالفقير (ان ربك سريع العقاب) لمن كفر نعمته (وانه لغفور رحيم) لمن قام بشكرها ووصف العقاب بالسرعة لان ما هو آت قريب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلت على سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى الله عليه واستغفر له أولئك السبعون ألف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة

﴿سورة الاعراف مكية غير ثمان آيات واسئلهم عن القرية الى واذ نتقنا الجبل وهي مائتان وخمس آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(كتاب) خبر مبتدا محذوف أي هو كتاب و (أنزل اليك) صفة له والمراد بالكتاب السورة (فلا يكن في صدرك حرج منه) أي شك منه كقوله فان كنت في شك مما أنزلنا اليك وسمي الشك حرجا لان الشاك ضيق الصدر حرجه كما أن المتيقن منشرح الصدر منفسحه أي لا تشك في أنه منزل من الله ولا تحرج من تبليغه لانه كان يخاف قومه وتكذيبهم له واعراضهم عنه وأذاهم فكان يضيق صدره من الاداء ولا ينبسط له فأمنه الله ونهاه عن المبالاة بهم (فان قلت) بم تعلق قوله (لتنذر) (قلت) بأنزل أي أنزل اليك لانذارك به أو بالنهي لانه اذا لم يخفهم أنذرهم وكذلك اذا أيقن أنه من عند الله شجعه اليقين على الانذار لان صاحب اليقين جسور متوكل على ربه متكل على عصمته (فان قلت) فما محل (ذكرى) (قلت) يحتمل الحركات الثلاث النصب باضمار

المص كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين

في الخير كسب وفي نقيضه اكتسب لان النفوس في الشهوات والمخالفات واتباع الاهواء أجد منها في الطاعات ووقع الاغراض وعلى ذلك جاء لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وان كان العلم من الاعلام المأخوذ من العلمة بالتحريك وهي انشراح الشفة وانشقاقها فالذي ذكره الامام حينئذ نهاية في نوعه والله الموفق * عاد كلامه (قال أو ولا تحرج من تبليغه لانه كان يخاف قومه وتكذيبهم له الخ) قال أحمد ويشهد لهذا التأويل قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل اليه كنز أو جاء معه ملك الآية

اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الا أن قالوا انا كنا ظالمين فلنسألن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين

بإضمار فعلها كأنه قيل لتنذر به وتذكر تذكيرا لان الذكرى اسم بمعنى التذكير والرفع عطفا على كتاب أو بأنه خبر مبتدأ محذوف والجر للعطف على محل أن تنذر أي للانذار وللذكرى (فان قلت) النهي في قوله فلا يكن متوجه الى الحرج فما وجهه (قلت) هو من قولهم لا أرينك هاهنا (اتبعوا ما أنزل اليكم) من القرآن والسنة (ولا تتبعوا من دونه) من دون الله (أولياء) أي ولا تتولوا من دونه من شياطين الجن والانس فيحملوكم على عبادة الأوثان والأهواء والبدع ويضلوكم عن دين الله وما أنزل اليكم وأمركم باتباعه وعن الحسن يا ابن آدم أمرت باتباع كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وسلم والله ما نزلت آية الا وهو يحب أن تعلم فيم نزلت وما معناها * وقرأ مالك بن دينار ولا تبتغوا من الابتغاء ومن يبتغ غير الاسلام دينا * ويجوز أن يكون الضمير في من دونه لما أنزل على ولا تتبعوا من دون دين الله دين أولياء (قليلا ما تذكرون) حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وقرئ تذكرون بحذف التاء ويتذكرون بالياء وقليلا نصب بتذكرون أي تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة (فجاءها) فجاء أهلها (بياتا) مصدر واقع موقع الحال بمعنى بائتين يقال بات بياتا حسنا وبيتة حسنة وقوله (هم قائلون) حال معطوفة على بياتا كأنه قيل فجاءهم بأسنا بائتين أو قائلين (فان قلت) هل يقدر حذف المضاف الذي هو الأهل قبل قرية أو قبل الضمير في أهلكناها (قلت) انما يقدر المضاف للحاجة ولا حاجة فان القرية تهلك كما يهلك أهلها وانما قدرناه قبل الضمير في فجاءها لقوله أو هم قائلون (فان قلت) لا يقال جاءني زيد هو فارس بغير واو فما بال قوله هم قائلون (قلت) قدر بعض النحويين الواو محذوفة ورده الزجاج وقال لو قلت جاءني زيد راجلا أو هو فارس أو جاءني زيد هو فارس لم يحتج فيه الى واو لان الذكر قد عاد الى الأول والصحيح أنها اذا عطفت على حال قبلها حذفت الواو استثقالا لاجتماع حرفي عطف لان واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل فقولك جاءني زيد راجلا أو هو فارس كلام فصيح وارد على حده وأما جاءني زيد هو فارس فخبيث (فان قلت) فما معنى قوله أهلكناها فجاءها بأسنا والاهلاك انما هو بعد مجيء البأس (قلت) معناه أردنا اهلاكها كقوله اذا قمتم الى الصلاة وانما خص هذان الوقتان وقت البيات ووقت القيلولة لانهما وقت الغفلة والدعة فيكون نزول العذاب فيهما أشد وأفظع وقوم لوط أهلكوا بالليل وقت السحر وقوم شعيب وقت القيلولة (فما كان دعواهم) ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم الا اعترافهم ببطلانه وفساده وقولهم (انا كنا ظالمين) فيما كنا عليه ويجوز فما كان استغاثتهم الا قولهم هذا لانه لا مستغاث من الله بغيره من قولهم دعواهم يا لكعب ويجوز فما كان دعواهم ربهم الا اعترافهم لعلمهم أن الدعاء لا ينفعهم وأن لات حين دعاء فلا يزيدون على ذم أنفسهم وتحسرهم على ما كان منهم ودعواهم نصب خبرا لكان وأن قالوا رفع اسم له ويجوز العكس (فلنسألن الذين أرسل اليهم) أرسل مسند الى الجار والمجرور وهو اليهم ومعناه

* عاد كلامه (قال فان قلت النهي في قوله فلا يكن متوجه الى الحرج فما وجهه قلت هو من قولهم لا أرينك هاهنا) قال أحمد يريد ان الحرج منهي في الآية ظاهرا والمراد النهي عنه والله أعلم * عاد كلامه (قال وقوله هم قائلون حال معطوفة على بياتا كأنه قيل فجاءهم الخ) قال أحمد الاكتفاء بالضمير في الجملة الاسمية الواقعة حالا ضعيف والافصح دخول الواو كما اختاره الزمخشري وأما الزجاج وغيره فيجعلون أحد الأمرين كافيا في الاسمية اما الواو واما الضمير واما قول الزمخشري ان الجملة المعطوفة انما حذفت منها واو الحال كراهية لاجتماعهما وهي واو عطف أيضا مع مثلها ففيه نظر وذلك ان واو الحال لا بد أن تمتاز عن واو العطف بمزية ألا تراها تصحب الجملة الاسمية عقيب الفعلية في قولك جاء في زيد وهو راكب ولو كانت عاطفة مجردة لاستقبح توسطها بين المتغايرين وان لم يكن قبيحا فالافصح خلافه فلما رأيناها تتوسط بينهما والكلام حينئذ هو الافصح أو المتعين علمت أنها ممتازة بمعنى وخاصية عن واو العطف واذا ثبت امتيازها عن العاطفة فلا غرو في اجتماعهما وان كان فيها معنى العطف مضافا الى تلك الخاصية فاما أن تسلبه حينئذ لاغناء العاطف عنها أو تستمر عليه كما تجمع الواو ولكن لما فيها من زيادة معنى الاستدراك في مثل قوله ولكن لا يشعرون فعلى هذا كان من الممكن أن تجتمع واو الحال مع العاطف بلا كراهية والذي يدل على ذلك انك لو قلت سبح الله وأنت راكع أو وأنت ساجد لكان فصيحا لا خبث فيه ولا كراهة فالتحقيق والله أعلم في الجملة المعطوفة على الحال ان المصحح لوقوعها حالا من غير واو وهو العاطف اذ يقتضي مشاركة الجملة الثانية لما عطفت عليه في الحال فيستغني عن واو الحال كما انك تعطف على المقسم به فتدخله في حكم القسم من غير واو موقعة في مثل والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وفي مثل فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس ولو قلت في غير التلاوة وبالليل اذا عسعس لجاز ولكن يستغني عن تكرار حرف القسم لنيابة العاطف منابه فهذا والله أعلم سبب استغناء الجملة المعطوفة على الحال عن الواو والمصححة للحالية فالحاصل من هذا انك ان أتيت بواو الحال مصاحبة للعاطف لم تخرج عن حد الفصاحة الى الاستثقال بل أفدت تأكيدا وان لم تأت بها فكذلك في الفصاحة مع افادة الاختصار والله الموفق للصواب

* قوله تعالى قال أنظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين (قال فان قلت لم أجيب الى استنظاره وانما استنظر ليفسد عباده الخ) قال أحمد وهذا السؤال انما يورده ويلتزم الجواب عنه القدرية الذين يوجبون على الله تعالى رعاية المصالح في أفعاله وأما أهل السنة فقد أصغوا حق الاصغاء الى قوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فلا يورد أحدهم هذا السؤال ولا يجيب عنه من يورده والله الموفق قوله تعالى قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم (قال والمعنى فبسبب وقوعي في الغي لأجتهدن في اغوائهم حتى يفسدوا بسببي الخ) قال أحمد نحت كلام الزمخشري هذا نزغتان من الاعتزال خفيتان * احداهما تحريفه الاغواء الى التكليف لانه يعتقد ان الله تعالى لم يغوه أي لم يخلق له الغي ويغويهم بناء على قاعدة التحسين والتقبيح والصلاح والاصلح فيضطره اعتقاده الى حمل الاغواء على تكليفه بالسجود لانه كان سببا في غيه وكثيرا ما يؤول أفعال الله تعالى اذا أسندها الى ذاته حقيقة الى التسبب ويجعل ذلك من مجاز السببية لان الفعل له ملابسات بالفاعل والمفعول

فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين قال ما منعك ألا تسجد اذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين قال أنظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين

فلنسألن الذين أرسل اليهم وهم الامم يسألهم عما أجابوا عنه رسلهم كما قال ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين ويسأل المرسلين عما أجيبوا به كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم (فلنقصن عليهم) على الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم (بعلم) عالمين بأحوالهم الظاهرة والباطنة وأقوالهم وأفعالهم (وما كنا غائبين) عنهم وعما وجد منهم (فان قلت) فاذا كان عالما بذلك وكان يقصه عليهم فما معنى سؤالهم (قلت) معناه التوبيخ والتقريع والتقرير اذا فاهوا به بألسنتهم وشهد عليهم أنبياؤهم (والوزن يومئذ الحق) يعني وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها ورفعه على الابتداء وخبره يومئذ والحق صفته أي والوزن يوم يسأل الله الامم ورسلهم الوزن الحق أي العدل وقرئ القسط واختلف في كيفية الوزن فقيل توزن صحف الاعمال بميزان له لسان وكفتان تنظر اليه الخلائق تأكيدا للحجة واظهارا للنصفة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن أعمالهم فيعترفون بها بألسنتهم وتشهد بها عليهم أيديهم وأرجلهم وجلودهم وتشهد عليهم الانبياء والملائكة والاشهاد وكما تثبت في صحائفهم فيقرؤنها في موقف الحساب وقيل هي عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل (فمن ثقلت موازينه) جمع ميزان أو موزون أي فمن رجحت أعماله الموزونة التي لها وزن وقدر وهي الحسنات أو ما توزن به حسناتهم وعن الحسن وحق لميزان توضع فيه الحسنات أن يثقل وحق لميزان توضع فيه السيآت أن يخف (بآياتنا يظلمون) يكذبون بها ظلما كقوله فظلموا بها (مكناكم في الارض) جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا أو مكناكم فيها وأقدرناكم على التصرف فيها (وجعلنا لكم فيها معايش) جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها أو ما يتوصل به الى ذلك والوجه تصريح الياء وعن ابن عامر أنه همز على التشبيه بصحائف (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) يعني خلقنا أباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه بعد ذلك ألا ترى الى قوله (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) الآية (من الساجدين) ممن سجد لآدم (ألا تسجد) لا في أن لا تسجد صلة بدليل قوله ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ومثلها لئلا يعلم أهل الكتاب بمعنى ليعلم (فان قلت) ما فائدة زيادتها (قلت) توكيد معنى الفعل الذي تدخل عليه وتحقيقه كأنه قيل ليتحقق علم أهل الكتاب وما منعك أن تحقق السجود وتلزمه نفسك (اذ أمرتك) لان أمري لك بالسجود أوجبه عليك ايجابا وحتمه عليك حتما لا بد لك منه (فان قلت) لم سأله عن المانع من السجود وقد علم ما منعه (قلت) للتوبيخ ولاظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره بأصله وازدرائه بأصل آدم وانه خالف أمر ربه معتقدا انه غير واجب عليه لما رأى ان سجود الفاضل للمفضول خارج من الصواب (فان قلت) كيف يكون قوله (أنا خير منه) جوابا لما منعك وانما الجواب أن يقول منعني كذا (قلت) قد استأنف قصة أخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم وبعلة فضله عليه وهو ان أصله من نار وأصل آدم من طين فعلم منه الجواب وزيادة عليه وهي انكار الامر واستبعاد أن يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله كأنه يقول من كان على هذه الصفة كان مستبعدا أن يؤمر بما أمر به (فاهبط منها) من السماء التي هي مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة الى الارض التي هي مقر العاصين المتكبرين من الثقلين (فما يكون لك) فما يصح لك (أن تتكبر فيها) وتعصي (فاخرج انك من الصاغرين) من أهل الصغار والهوان على الله وعلى أوليائه لتكبرك كما تقول للرجل قم صاغرا اذا أهنته وفي ضده قم راشدا وذلك انه لما أظهر الاستكبار ألبس الصغار وعن عمر رضي الله عنه من تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله ومن تكبر وعدا طوره وهصه الله الى الارض (فان قلت) لم أجيب الى استنظاره وانما استنظر ليفسد عباده

قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم

ويغويهم (قلت) لما في ذلك من ابتلاء العباد وفي مخالفته من أعظم الثواب وحكمه حكم ما خلق في الدنيا من صنوف الزخارف وأنواع الملاذ والملاهي وما ركب في الانفس من الشهوات ليمتحن بها عباده (فبما أغويتني) فبسبب اغوائك اياي لأقعدن لهم وهو تكليفه اياه ما وقع به في الغي ولم يثبت كما ثبتت الملائكة مع كونهم أفضل منه ومن آدم أنفسا ومناصب وعن الاصم أمرتني بالسجود فحملني الانف على معصيتك والمعنى فبسبب وقوعي في الغي لاجتهدن في اغوائهم حتى يفسدوا بسببي كما فسدت بسببهم (فان قلت) بم تعلقت الباء فان تعلقها بلأقعدن يصد عنه لام القسم لا تقول والله بزيد لأمرن (قلت) تعلقت بفعل القسم المحذوف تقديره فبما أغويتني أقسم بالله لأقعدن أي فبسبب اغوائك أقسم ويجوز أن تكون الباء للقسم أي فأقسم باغوائك لأقعدن وانما أقسم بالاغواء لانه كان تكليفا والتكليف من أحسن أفعال الله لكونه تعريضا لسعادة الابد فكان جديرا بأن يقسم به ✽ ومن تكاذيب الجبرة ما حكوه عن طاوس انه كان في المسجد الحرام فجاء رجل من كبار الفقهاء يرمى بالقدر فجلس اليه فقال له طاوس تقوم أو تقام فقام الرجل فقيل له أتقول هذا الرجل فقيل فقال ابليس أفقه منه قال رب بما أغويتني وهذا يقول أنا أغوي نفسي وما ظنك بقوم بلغ من تهالكهم على اضافة القبائح الى الله سبحانه ان لفقوا الاكاذيب على الرسول والصحابة والتابعين وقيل ما للاستفهام كأنه قيل بأي شئ أغويتني ثم ابتدأ لأقعدن واثبات الالف اذا أدخل حرف الجر على ما الاستفهامية قليل شاذ وأصل الغي الفساد ومنه غوى الفصيل اذا بشم والبشم فساد في المعدة (لأقعدن لهم صراطك المستقيم) لأعترضن لهم على طريق الاسلام كما يعترض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة وانتصابه على الظرف كقوله كما عسل الطريق الثعلب وشبهه الزجاج بقولهم ضرب زيد الظهر والبطن أي على الظهر والبطن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن آدم باطرقه فقعد له بطريق الاسلام فقال له تدع دين آبائك فعصاه فأسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال له تدع ديارك وتتغرب فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له تقاتل فتقتل فيقسم مالك وتنكح امرأتك فعصاه فقاتل (ثم لآتينهم) من الجهات الاربع التي يأتي منها العدو في الغالب وهذا مثل لوسوسته اليهم وتسويله ما أمكنه وقدر عليه كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك (فان قلت) كيف قيل (من بين أيديهم ومن خلفهم) بحرف الابتداء (وعن أيمانهم وعن شمائلهم) بحرف المجاوزة (قلت) المفعول فيه عدى

والزمان والمكان والسبب فاسناده الى الفاعل حقيقة واسناده الى بقيتها مجاز ويجعل الفعل مسندا الى الله تعالى لانه مسببه لا لانه فاعله وقد استدل على ذلك فيما سلف بقول مالك بن دينار لرجل رآه مقيدا محبوسا في مال عليه هذه وضعت القيود في رجليك وأشار الى سلة فيها أخبصة وألوان مختلفة رآها عند المسجون أي اعتناؤك بهذه الاطعمة كان سببا في تبذير المال الذي آل بك الى وضع القيود في رجليك فعلى هذا يروم حمل هذه الآية يعني بما كلفتني من التكليف الذي كان سببا في خلق الغي لنفسي لأقعدن فيجعل ابليس هو الفاعل في الحقيقة وأما اسناد الفعل الى الله تعالى فمجاز هذه احدى النزغتين والاخرى جعله التكليف من جملة الافعال لانه يزعم ان كلام الله تعالى محدث من جملة أفعاله لا صفة من صفاته والتكليف من الكلام فهاتان زلتان جمع القدرية بينهما وابليس لعنه الله لم يرض واحدة منهما لانه نسب الاغواء الى الله تعالى اذ هو خالق كل شئ فما ظن بطائفة ترضى لنفسها من خفي الشرك ما لم يسبق به ابليس نعوذ بالله من التعرض لسخط الله ✽ عاد كلامه (قال) ومن تكاذيب الجبرة ما حكوه عن طاوس انه كان في المسجد الحرام فجاء رجل من كبار الفقهاء يرمى بالقدر فجلس اليه فقال له طاوس تقوم أو تقام فقام الرجل فقيل له أتقول هذا الرجل فقيه فقال ابليس أفقه منه قال رب بما أغويتني وهذا يقول أنا أغوي نفسي انتهى كلام طاوس على زعمهم وما ظنك بقوم بلغ من تهالكهم على اضافة القبائح الى الله سبحانه وتعالى أن لفقوا الاكاذيب على الرسول والصحابة والتابعين انتهى كلامه (قال أحمد) وانما أوردت مثل هذا من كلامه وان كان غير محتاج الى التنبيه على فساده وحيده عن العقائد الصحيحة لتبلغ الحجة في وجوب ارذاله وتعينه على من هداه الله اليه ولقد صدق طاوس رضي الله عنه وأما قول الزمخشري في أهل السنة الذين سماهم مجبرة انهم يتهالكون في نسبة القبائح الى الله سبحانه وتعالى فحاصله انهم يخلصون التوحيد حتى لا يؤمنوا بخالق غير الله ولكن يصدقوا قوله تعالى ممتدحا الله خالق كل شئ لا كالقدرية الذين هم يتهالكون حتى هم يشركون ويحرفون الكلم عن مواضعه فيؤولون الفاعل بالمسبب فأي الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون والله الموفق للصواب

* قوله تعالى فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما وورى عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين الآية (قال فيه دليل على أن كشف العورة من عظائم الامور الخ) قال أحمد وفى هذه الكلمات أيضا جنوح الى قاعدة الاعتزال فى أمرين أحدهما قوله ان كشف العورة لم يزل مستقبحا فى العقول فانه ينشأ عن اعتقاده أن التقبيح والتحسين بالعقل وان جاز أن يصدر هذا الكلام من المعتقد لعقيدة السنة الا انه لا يريد به ظاهره اذ التحسين والتقبيح انما يدركان بالشرع (٤٨٢) والسمع لا بالعقل ومعنى هذا الاطلاق لو صدر من سنى أن العقل يدرك المعنى الذى لاجله حسن الشرع الستر وقبح الكشف الامر الثانى استدلاله على تفضيل الملائكة على الانبياء وقد مضى أن ذلك معتقد المعتزلة وان كان بعض أهل السنة قد مال اليه والجواب بمن يعتقد تفضيل الانبياء انه لا يلزم من اعتقاد ابليس لذلك ووسوسته بان الملائكة أفضل ان يكون الامر كذلك فى علم الله تعالى ألا ترى ابليس لعنه الله قد أخبر ان الله تعالى منعهما من الشجرة بينهم حتى لا يخلدا أو لا يكونا ملكين وهو فى ذلك كاذب مبطل فلا دليل فيه اذ ليس فى الآية ما يوجب تقرير الله تعالى لابليس على ذلك ولا تصديقه فيه بل ختمت الآية بما يدل على أنه كذب لهما وغرهما اذ قال الله تعالى عنه فدلاهما بغرور فلعل تفضيله الملائكة على النبوة من جملة غروره والله أعلم * عاد كلامه (قال فان قلت المقاسمة ان يقسم لصاحبك ويقسم لك الخ) قال أحمد ويكون فى الكلام حينئذ لف لان آدم وحواء عليهما السلام لا يقسمان له بلفظ المتكلم ولكن بالخطاب فجمل القسم من الجانبين كالماو احدا مضافا لابليس

ولا تجدن أكثرهم شاكرين قال اخرج منها مذؤما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ورى عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين

اليه الفعل نحو تعديته الى المفعول به فكما اختلفت حروف التعدية فى ذاك اختلفت فى هذا وكانت لغة تؤخذ ولا تقاس وانما يفتش عن صحة موقعها فقط فلما سمعناهم يقولون جلس عن يمينه وعلى يمينه وعن شماله وعلى شماله قلنا معنى على يمينه انه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلى من المستعلى عليه ومعنى عن يمينه انه جلس متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق له ثم كثر حتى استعمل فى المتجافى وغيره كما ذكرنا فى تعال ونحوه من المفعول به قولهم رميت عن القوس وعلى القوس ومن القوس لان السهم يبعد عنها ويستعليها اذا وضع على كبدها للرمى ويبتدأ الرمى منها وكذلك قالوا جلس بين يديه وخلفه بمعنى فيه لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل يقع فى بعض الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل وعن شقيق ما من صباح الا قعد لى الشيطان على أربع مراصد من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى أما من بين يدى فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فاقرأ وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا وأما من خلفى فيخوفنى الضيعة على مخلفى فاقرأ وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها وأما من قبل يمينى فيأتينى من قبل الثناء فاقرأ والعاقبة للمتقين وأما من قبل شمالى فيأتينى من قبل الشهوات فاقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون (ولا تجد أكثرهم شاكرين) قاله تظنيا بدليل قوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقيل سمعه من الملائكة باخبار الله تعالى لهم (مذؤما) من ذأمه اذا ذمه * وقرأ الزهرى مذوما بالتخفيف مثل مسول فى مسؤل * واللام فى (لمن تبعك) موطئة للقسم و (لأملأن) جوابه وهو ساد مسد جواب الشرط (منكم) منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب كما فى قوله انكم قوم تجهلون وروى عصمة عن عاصم لمن تبعك بكسر اللام بمعنى لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله لأملأن جهنم منكم أجمعين على أن لأملأن فى محل الابتداء ولمن تبعك خبره (ويا آدم) وقلنا يا آدم وقرئ هذى الشجرة والاصل الياء والهاء بدل منها * ويقال وسوس اذا تكلم كلاما خفيا يكرره ومنه وسوس الحلى وهو فعل غير متعد كولولت المرأة ووعوع الذئب ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس له وموسوس اليه وهو الذى تلقى اليه الوسوسة ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله ووسوس اليه ألقاها اليه (ليبدى) جعل ذلك غرضا له ليسوءهما اذا رأيا ما يؤثران ستره وأن لا يطلع عليه مكشوفا وفيه دليل على أن كشف العورة من عظائم الامور وأنه لم يزل مستهجنا فى الطباع مستقبحا فى العقول (فان قلت) ما للواو المضمومة فى (ووري) لم تقلب همزة كما قلبت فى أويصل (قلت) لان الثانية مدة كالف وارى وقد جاء فى قراءة عبد الله أورى بالقلب (الا أن تكونا ملكين) الا كراهة أن تكونا ملكين وفيه دليل على أن الملكية بالمنظر الاعلى وأن البشرية تلمح مرتبتها كلا ولا وقرئ ملكين بكسر اللام كقوله وملك لا يبلى (من الخالدين) من الذين لا يموتون ويبقون فى الجنة ساكنين * وقرئ من سوأتهما بالتوحيد وسوّاتهما بالواو المشددة (وقاسمهما) وأقسم لهما (انى لكما لمن الناصحين) (فان قلت) المقاسمة أن تقسم لصاحبك ويقسم لك تقول قاسمت فلانا حالفته وتقاسما تحالفا ومنه قوله تعالى تقاسموا بالله لنبيتنه (قلت) كأنه قال لهما أقسم لكما انى لمن الناصحين وقالا له أتقسم بالله انك لمن الناصحين فجعل ذلك مقاسمة

* عاد كلامه (قال أو اقسم لهما على النصيحة واقسما له على قبولها) قال أحمد وهذا التأويل يتم لوجود المقاسمة عن ذكر المقسم عليه وأما حيث
جعل المقسم عليه هو النصيحة لا غير فيبعد التأويل المذكور الان يحمل الامر على انه سمى قبول النصيحة نصيحة للمشاكلة والمقابلة
كما قيل في قوله تعالى وواعدنا موسى انه سمى التزام موسى للوفاء والحضور للميعاد ميعادا فاسند التعبير بالمفاعلة والله أعلم

بينهم أو أقسم لهما بالنصيحة وأقسما له بقبولها أو أخرج قسم ابليس على زنة المفاعلة لانه اجتهد فيه اجتهاد
المقاسم (فدلاهما) فنزلهما الى الاكل من الشجرة (بغرور) بما غرهما به من القسم بالله وعن قتادة وانما يخدع
المؤمن بالله وعن ابن عمر رضى الله عنه انه كان اذا رأى من عبده طاعة وحسن صلاة أعتقه فكان عبيده
يفعلون ذلك طلبا للعتق فقيل له انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا له (فلما ذاقا الشجرة) وجدا
طعمها آخذين في الاكل منها وقيل الشجرة هي السنبلة وقيل شجرة الكرم (بدت لهما سوآتهما) أي تهافت
عنهما اللباس فظهرت لهما عوراتهما وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر وعن عائشة رضى
الله عنها ما رأيت منه ولا رأى مني وعن سعيد بن جبير كان لباسهما من جنس الاظفار وعن وهب كان
لباسهما نورا يحول بينهما وبين النظر * ويقال طفق يفعل كذا بمعنى جعل يفعل كذا وقرأ أبو السمال وطفقا
بالفتح (يخصفان) ورقة فوق ورقة على عوراتهما ليستترا بها كما يخصف النعل بان تجعل طرقة على طرقة
وتوثق بالسيور وقرأ الحسن يخصفان بكسر الخاء وتشديد الصاد وأصله يختصفان * وقرأ الزهري يخصفان
من أخصف وهو منقول من خصف أي يخصفان أنفسهما وقرئ يخصفان من خصف بالتشديد (من ورق
الجنة) قيل كان ورق التين (ألم أنهكما) عتاب من الله تعالى وتوبيخ وتنبيه على الخطأ حيث لم يتحذرا ما حذرهما
الله من عداوة ابليس وروى أنه قال لآدم ألم يكن لك فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة
فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان أحدا من خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم
لا تنال العيش الا كدا فأهبط وعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وطحن
وعجن وخبز * وسميا ذنبهما وان كان صغيرا مغفورا ظلما لانفسهما وقالا (لنكونن من الخاسرين) على عادة
الاولياء والصالحين في استعظامهم الصغير من السيآت واستصغارهم العظيم من الحسنات (اهبطوا)
الخطاب لآدم وحواء وابليس و (بعضكم لبعض عدو) في موضع الحال أي متعادين يعاديهما ابليس
ويعاديانه (مستقر) استقرار أو موضع استقرار (ومتاع الى حين) وانتفاع بعيش الى انقضاء آجالكم وعن
ثابت البناني لما أهبط آدم وحضرته الوفاة أحاطت به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها خلى
ملائكة ربي فانما أصابني الذي أصابني فيك فلما توفي غسلته الملائكة بماء وسدر وترا وحنطته وكفنته في
وتر من الثياب وحفروا له ولحدوا ودفنوه بسرنديب بأرض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده * جعل ما في
الارض منزلا من السماء لانه قضى ثم وكتب ومنه وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج * والريش لباس
الزينة استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته أي أنزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سوآتكم ولباسا يزينكم
لان الزينة غرض صحيح كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال وقرأ عثمان رضى الله عنه ورياشا جمع ريش
كشعب وشعاب (ولباس التقوى) ولباس الورع والخشية من الله تعالى وارتفاعه على الابتداء وخبره
اما الجملة التي هي (ذلك خير) كأنه قيل ولباس التقوى هو خير لان أسماء الاشارة تقرب من الضمائر فيما
يرجع الى عود الذكر واما المفرد الذي هو خير وذلك صفة للمبتدا كأنه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير
ولا تخلو الاشارة من أن يراد بها تعظيم لباس التقوى أو أن تكون اشارة الى اللباس المواري للسوأة لان
مواراة السوأة من التقوى تفضيلا له على لباس الزينة وقيل لباس التقوى خبر مبتدا محذوف أي وهو
لباس التقوى ثم قيل ذلك خير وفي قراءة عبد الله وأبي ولباس التقوى خير وقيل المراد بلباس التقوى
ما يلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها مما يتقى به في الحروب وقرئ ولباس التقوى بالنصب

* قوله تعالى قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين (قال

فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير

سميا ذنبهما ظلما وان كان صغيرا مغفورا الخ) قال أحمد وهذا أيضا اعتزال خفي لانهم يزعمون ان اجتناب الكبائر يوجب تكفير الصغائر وان لم يتب العبد منها فهذا معنى
قول الزمخشري وان كان صغيرا مغفورا وانما وسمت هذا الاعتزال بالخفاء لان هذا الكلام يستقيم وروده عن أهل السنة لكنهم يعنون
بكونه مغفورا أن الله تعالى تفضل بغفرانه ولو شاء لآخذ به وان كان الانبياء معصومين من الكبائر لا كما يزعمه المعتزلة من وجوب
مغفرته والله الموفق

* قوله تعالى انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم (قال وفيه دليل بين انهم لا يرون الخ) قال أحمد أين يذهب به عما ورد في الحديث الصحيح
من اعتراض ابليس وأسهم وهو قدوهم للنبي صلى الله عليه وسلم يروم أن يشغله عن صلاته حتى أمكنه الله منه فأخذه عليه الصلاة والسلام
فدعته وأراد أن يربطه الى سارية من سوارى المسجد يلعب به الصبيان حتى ذكر دعوة سليمان عليه السلام فتركه واذا جاز ذلك للنبي
عليه الصلاة والسلام كان جائزا (٤٨٤) لاولياء الله والمتبعين لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كرامة لكن الزمخشري بصدد عن ذلك
بجحده لكرامة الاولياء
لانه عقيدة اخوانه
اذ الكرامة انما يؤتاها
الولي الصادق فكيف
يناله من يشك في اسلامه
فانهم لفي عذر من جحده
والتكذيب بها رزقنا الله الايمان بالكرامات ان لم يكن لها أهلا والله الموفق * قوله تعالى واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا وان
والله أمرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون (قال وكلاهما باطل من العذر لان أحدهما الخ) قال أحمد وهذا
أيضا من الاعتزال الخفي وغرضه ان يمهد قاعدة التحسين والتقبيح ومراعاة الصلاح والاصلح واستحالة مخالفة ذلك على الله تعالى ولا يتم
من ذلك غرض لان المنكر عليهم دعواهم أن الله تعالى أمرهم بالفحشاء وهم كاذبون في هذه الدعوى ولا يلزم من سلب الامر الارادة

ذلك من آيات الله لعلهم
يذكرون يابني آدم لا
يفتننكم الشيطان كما
أخرج أبويكم من الجنة
ينزع عنهما لباسهما
ليريهما سوآتهما انه
يراكم هو وقبيله من حيث
لا ترونهم انا جعلنا
الشياطين أولياء للذين
لا يؤمنون واذا فعلوا
فاحشة قالوا وجدنا عليها
آباءنا والله أمرنا بها قل
ان الله لا يأمر بالفحشاء
أتقولون على الله ما لا
تعلمون قل أمر ربي
بالقسط وأقيموا وجوهكم
عند كل مسجد وادعوه
مخلصين له الدين كما
بدأكم تعودون فريقا
هدى وفريقا حق عليهم
الضلالة انهم اتخذوا
الشياطين أولياء من دون
الله ويحسبون انهم
مهتدون يابني آدم خذوا
زينتكم عند كل مسجد

عطفا على لباسا وريشا (ذلك من آيات الله) الدالة على فضله ورحمته على عباده يعني انزال اللباس (لعلهم يذكرون) فيعرفوا عظيم النعمة فيه وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوآت وخصف الورق عليها اظهارا للمنة فيما خلق من اللباس ولما في العرى وكشف العورة من المهانة والفضيحة واشعارا بأن التستر باب عظيم من أبواب التقوى (لا يفتننكم الشيطان) لا يمحننكم بأن لا تدخلوا الجنة كما محن أبويكم بأن أخرجهما منها (ينزع عنهما لباسهما) حال أي أخرجهما نازعا لباسهما بأن كان سببا في أن نزع عنهما (انه يراكم هو) تعليل للنهي وتحذير من فتنته بأنه بمنزلة العدو المداجي يكيدكم ويغتالكم من حيث لا تشعرون وعن مالك بن دينار ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة الا من عصم الله (وقبيله) وجنوده من الشياطين وفيه دليل بين أن الجن لا يرون ولا يظهرون للانس وأن اظهارهم أنفسهم ليس في استطاعتهم وأن زعم من يدعي رؤيتهم زور ومخرقة (انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) أي خلينا بينهم وبينهم لم نكفهم عنهم حتى تولوهم وأطاعوهم فيما سولوا لهم من الكفر والمعاصي وهذا تحذير آخر أبلغ من الاول (فان قلت) علام عطف وقبيله (قلت) على الضمير في يراكم المؤكد بهو والضمير في انه للشأن والحديث وقرأ اليزيدي وقبيله بالنصب وفيه وجهان أن يعطف على اسم ان وأن تكون الواو بمعنى مع واذا عطفه على اسم ان وهو الضمير في انه كان راجعا الى ابليس * الفاحشة ما تبالغ في قبحه من الذنوب أي اذا فعلوها اعتذروا بأن آباءهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم وبأن الله تعالى أمرهم بأن يفعلوها وكلاهما باطل من العذر لان أحدهما التقليد والتقليد ليس بطريق للعلم والثاني افتراء على الله والحاد في صفاته كانوا يقولون لو كره الله منا ما نفعله لنقلنا عنه وعن الحسن ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى العرب وهم قدرية مجبرة يحملون ذنوبهم على الله وتصديقه قول الله تعالى (واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء) لان فعل القبيح مستحيل عليه لعدم الداعي ووجود الصارف فكيف يأمر بفعله (أتقولون على الله ما لا تعلمون) انكار لاضافتهم القبيح اليه وشهادة على ان مبنى قولهم على الجهل المفرط وقيل المراد بالفاحشة طوافهم بالبيت عراة (بالقسط) بالعدل وبما قام في النفوس أنه مستقيم حسن عند كل مميز وقيل بالتوحيد (وأقيموا وجوهكم) وقل أقيموا وجوهكم أي اقصدوا عبادته مستقيمين اليها غير عادلين الى غيرها (عند كل مسجد) في كل وقت سجود أو في كل مكان سجود وهو الصلاة (وادعوه) واعبدوه (مخلصين له الدين) أي الطاعة مبتغين بها وجه الله خالصا (كما بدأكم تعودون) كما أنشأكم ابتداء يعيدكم احتج عليهم في انكارهم الاعادة بابتداء الخلق والمعنى أنه يعيدكم فيجازيكم على أعمالكم فأخلصوا له العبادة (فريقا هدى) وهم الذين أسلموا أي وفقهم للايمان (وفريقا حق عليهم الضلالة) أي كلمة الضلالة وعلم الله أنهم يضلون ولا يهتدون وانتصاب قوله وفريقا بفعل مضمر يفسره ما بعده كأنه قيل وخذل فريقا حق عليهم الضلالة (انهم) ان الفريق الذي حق عليهم الضلالة (اتخذوا الشياطين أولياء) أي تولوهم بالطاعة فيما أمروهم به وهذا دليل على أن علم الله لا أثر له في ضلالهم وأنهم هم الضالون باختيارهم وتوليهم الشياطين دون الله (خذوا زينتكم) أي ريشكم ولباس زينتكم (عند كل مسجد) كلما صليتم أو طفتم وكانوا يطوفون عراة وعن طاوس لم يأمرهم بالحرير والديباج وانما كان أحدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه وراء المسجد

لان الله تعالى يأمر بما لا يريد ويريد مالا يأمر به * قوله تعالى قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق
وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا الآية (قال في هذا تهكم لانه لا يجوز أن ينزل برهانا (٤٨٥) بأن يشرك بغيره) قال أحمد وانما

وان طاف وهي عليه ضرب وانتزعت عنه لانهم قالوا لا نعبد الله في ثياب أذنبنا فيها وقيل تفاؤلا ليتعروا من الذنوب كما تعروا من الثياب وقيل الزينة المشط وقيل الطيب والسنة أن يأخذ الرجل أحسن هيئته للصلاة وكان بنو عامر في أيام حجهم لا يأكلون الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون فانا أحق أن نفعل فقيل لهم (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) وعن ابن عباس رضي الله عنه كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة ويحكى ان الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شئ والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال له قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه قال وما هي قال قوله تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يؤثر من رسولكم شئ في الطب فقال قد جمع رسولنا صلى الله عليه وسلم الطب في ألفاظ يسيرة قال وما هي قال قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء واعط كل بدن ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا (زينة الله) من الثياب وكل ما يتجمل به (والطيبات من الرزق) المستلذات من المآكل والمشارب ومعنى الاستفهام في من انكار تحريم هذه الاشياء قيل كانوا اذا أحرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها (قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا) غير خالصة لهم لان المشركين شركاؤهم فيها (خالصة) لهم (يوم القيامة) لا يشركهم فيها أحد (فان قلت) هلا قيل هي للذين آمنوا ولغيرهم (قلت) لينبه على أنها خلقت للذين آمنوا على طريق الاصالة وأن الكفرة تبع لهم كقوله تعالى ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره الى عذاب النار وقرئ خالصة بالنصب على الحال وبالرفع على أنها خبر بعد خبر (الفواحش) ما تفاحش قبحه أي تزايد وقيل هي ما يتعلق بالفروج (والاثم) عام لكل ذنب وقيل شرب الخمر (والبغي) الظلم والكبر أفرده بالذكر كما قال وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي (ما لم ينزل به سلطانا) فيه تهكم لانه لا يجوز أن ينزل برهانا بأن يشرك به غيره (وأن تقولوا على الله) وأن تتقولوا عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره (ولكل أمة أجل) وعيد لاهل مكة بالعذاب النازل في أجل معلوم عند الله كما نزل بالامم * وقرئ فاذا جاء آجالهم وقال (ساعة) لانها أقل الاوقات في استعمال الناس يقول المستعجل لصاحبه في ساعة يريد أقصر وقت وأقربه (اما يأتينكم) هي ان الشرطية ضمت اليها ما مؤكدة لمعنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة أو الخفيفة (فان قلت) فما جزاء هذا الشرط (قلت) الفاء وما بعده من الشرط والجزاء والمعنى فمن اتقى وأصلح منكم والذين كذبوا منكم وقرئ تأتينكم بالتاء (فمن أظلم) فمن أشنع ظلما ممن تقول على الله ما لم يقله أو كذب ما قاله (أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) أي مما كتب لهم من الارزاق والاعمار (حتى اذا جاءتهم رسلنا) حتى غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له أي الى وقت وفاتهم وهي حتى التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام ههنا الجملة الشرطية وهي اذا جاءتهم رسلنا قالوا (يتوفونهم) حال من الرسل أي متوفيهم والرسل ملك الموت وأعوانه * وما وقعت موصولة بأين في خط المصحف وكان حقها أن تفصل لانها موصولة بمعنى أين الآلهة الذين تدعون (ضلوا عنا) غابوا عنا فلا نراهم ولا ننتفع بهم اعترافا منهم بأنهم لم يكونوا على شئ فيما كانوا عليه وأنهم لم يحمدوه في العاقبة (قال ادخلوا) أي يقول الله تعالى يوم القيامة لاولئك الذين قال فيهم فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته وهم كفار العرب (في أمم) في موضع الحال أي كائنين في جملة أمم وفي غمارهم مصاحبين لهم أي ادخلوا في النار مع أمم (قد خلت من قبلكم) وتقدم زمانهم زمانكم (لعنت أختها) التي ضلت بالاقتداء بها (حتى اذا اداركوا فيها) أي تداركوا بمعنى تلاحقوا واجتمعوا في النار

وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أينما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى اذا اداركوا فيها جميعا

يعني التهكم منه لان الكلام يجري مجرى ماله سلطان الا انه لم ينزل لانه انما نفى تنزيل السلطان به ولم ينف أن يكون له سلطان وكان أصل الكلام وان تشركوا بالله ما لا سلطان به فينزل فيكون على طريقة * على لاحب لا يهتدى بمناره *

* قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون (قال اللام لتوكيد النفى يعنون وما كان يستقيم الخ) قال أحمد وهذه تكفح وجوه القدرية بالرد فانها شاهدة شهادة تامة مؤكدة باللام على ان المهتدى من خلق الله الهدى وان غير ذلك محال ان يكون فلا يهتدى الا من هدى الله ولو لم يهده لم يهتد وأما القدرية فيزعمون ان كل مهتد خلق لنفسه الهدى فهو اذا مهتدوان لم يهده الله اذ هدى الله للعبد خلق الهدى له ون زعمهم ان الله تعالى لم يخلق لاحد من المهتدين الهدى (٤٨٦) ولا يتوقف ذلك على خلقه تعالى الله عما يقولون ولما فطن الزمخشرى ذلك جرى على

قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط وكذلك نجزى المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزى الظالمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ونزعنا ما فى صدورهم من غل تجرى من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله

(قالت أخراهم) منزلة وهى الاتباع والسفلة (لأولاهم) منزلة وهى القادة والرؤس ومعنى لأولاهم لاجل أولاهم لان خطابهم مع الله لا معهم (عذابا ضعفا) مضاعفا (لكل ضعف) لان كلا من القادة والاتباع كانوا ضالين مضلين (ولكن لا تعلمون) قرئ بالياء والتاء (فما كان لكم علينا من فضل) عطفوا هذا الكلام على قول الله تعالى للسفلة لكل ضعف أى فقد ثبت أن لا فضل لكم علينا وأنا متساوون فى استحقاق الضعف (فذوقوا العذاب) من قول القادة أو من قول الله لهم جميعا (لا تفتح لهم أبواب السماء) لا يصعد لهم عمل صالح اليه يصعد الكلم الطيب كلا ان كتاب الابرار لفى عليين وقيل ان الجنة فى السماء فالمعنى لا يؤذن لهم فى صعود السماء ولا يطرق لهم اليها ليدخلوا الجنة وقيل لا تصعد أرواحهم اذا ماتوا كما تصعد أرواح المؤمنين وقيل لا تنزل عليهم البركة ولا يغاثون فتحنا أبواب السماء وقرئ لا تفتح بالتشديد ولا يفتح بالياء ولا تفتح بالتاء والبناء للفاعل ونصب الابواب على أن الفعل للآيات وبالياء على ان الفعل لله عز وجل * وقرأ ابن عباس الجمل بوزن القمل وسعيد بن جبير الجمل بوزن النغر وقرئ الجمل بوزن القفل والجمل بوزن النصب والجمل بوزن الحبل ومعناها القلس الغليظ لانه حبال جمعت وجعلت جملة واحدة وعن ابن عباس رضى الله عنه ان الله أحسن تشبيها من أن يشبه بالجمل يعنى أن الحبل مناسب للخيط الذى يسلك فى سم الابرة والبعير لا يناسبه الا أن قراءة العامة أوقع لان سم الابرة مثل فى ضيق المسلك يقال أضيق من خرت الابرة وقالوا للدليل الماهر خريت للاهتداء به فى المضايق المشبهة بأخرات الابر والجمل مثل فى عظم الجرم قال

* جسم الجمال وأحلام العصافير * ان الرجال ليسوا بجزر تراد منهم الاجسام فقيل لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون أبدا من ولوج هذا الحيوان الذى لا يلج الا فى باب واسع فى ثقب الابرة وعن ابن مسعود أنه سئل عن الجمل فقال زوج الناقة استجهالا للسائل واشارة الى أن طلب معنى آخر تكلف * وقرئ فى سم بالحركات الثلاث وقرأ عبد الله فى سم الخيط والخياط والمخيط كالحزام والمحزم ما يخاط به وهو الابرة (وكذلك) ومثل ذلك الجزاء الفظيع (نجزى المجرمين) ليؤذن أن الاجرام هو السبب الموصل الى العقاب وأن كل من أجرم عوقب وقد كرره فقال (وكذلك نجزى الظالمين) لان كل مجرم ظالم لنفسه (مهاد) فراش (غواش) أغطية وقرئ غواش بالرفع كقوله تعالى وله الجوار المنشآت فى قراءة عبد الله (لا نكلف نفسا الا وسعها) جملة معترضة بين المبتدا والخبر للترغيب فى اكتساب ما لا يكتنهه وصف الواصف من النعيم الخالد مع التعظيم بما هو فى الوسع وهو الامكان الواسع غير الضيق من الايمان والعمل الصالح وقرأ الاعمش لا تكلف نفس * من كان فى قلبه غل على أخيه فى الدنيا نزع منه فسلمت قلوبهم وطهرت ولم يكن بينهم الا التواد والتعاطف وعن على رضى الله عنه انى لارجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم (هدانا لهذا) أى وفقنا لموجب هذا الفوز العظيم وهو الايمان والعمل الصالح (وما كنا لنهتدى) اللام لتوكيد النفى يعنون وما كان يستقيم أن نكون مهتدين لولا هداية الله وتوفيقه وفى مصاحف أهل الشام ما كنا لنهتدى

عادته فى تحريف الهدى من الله تعالى الى اللطف الذى بسببه يخلق العبد الاهتداء

بغير

لنفسه فانصف من نفسك واعرض قول القائل المهتدى من اهتدى بنفسه من غير ان يهديه الله أى يخلق له الهدى على قوله تعالى حكاية عن قول الموحدين فى دار الحق وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله وانظر تباين هذين القولين أعنى قول المعتزلى فى الدنيا وقول الموحد فى الآخرة فى مقعد صدق واختر لنفسك أى الفريقين تقتدى به وما أراك والخطاب لكل عاقل تعدل بهذا القول المحكى عن أولياء الله فى دار السلام منوها به فى الكتاب العزيز قول قدرى ضال تذبذب مع هواه وتعصبه فى دار الغرور والزوال نسأل الله حسن المآب والمآل

❊ عاد كلامه (قال وقوله تعالى ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون المراد بسبب أعمالكم لا بالتفضل كما تقول المبطلة) قال
أحمد يعني بالمبطلة قوما سمعوا قوله عليه الصلاة والسلام لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله ولكن بفضل الله وبرحمته قيل ولا أنت يا رسول الله
قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل منه ورحمة فقالوا صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهؤلاء هم أهل السنة قيل لهم فما معنى قوله
تعالى وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون قالوا الله تفضل بأن جعل الجنة جزاء العمل فضلا منه ورحمة لا أن ذلك مستحق عليه وواجب
للعبادة وجوب الديون التي لا اختيار في أدائها جمعا بين الدليلين على وجه يطابق دليل العقل الدال على أن الله تعالى يستحيل أن يجب
عليه شيء فانظر أيها المنصف هل تجد في هذا الكلام من الباطل ما يوجب أن يلقب أصحابه بالمبطلة وحاكم لنفسك النهاية إذا وضح لك أنهم
براء في هذا اللقب فاعرضه على قوم زعموا أنهم يستحقون على الله تعالى حقا بأعمالهم التي لا ينتفع (٤٨٧) بوجودها ولا يتضرر بتركها

لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة

بغيروا وعلى أنها جملة موضحة للأولى (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) فكان لنا لطفا وتنبيها على الاهتداء فاهتدينا
يقولون ذلك سرورا واغتباطا بما نالوا وتلذذا بالتكلم به لا تقربا وتعبدا كما ترى من رزق خيرا في الدنيا
يتكلم بنحو ذلك ولا يتمالك أن لا يقوله للفرح لا للقربة (أن تلكم الجنة) أن مخففة من الثقيلة تقديره ونودوا
بأنه تلكم الجنة (أورثتموها) والضمير ضمير الشأن والحديث أو تكون بمعنى أي لأن المناداة من القول كأنه
قيل وقيل لهم أي تلكم الجنة أورثتموها (بما كنتم تعملون) بسبب أعمالكم لا بالتفضل كما تقول المبطلة ❊ أن
في (أن قد وجدنا) يحتمل أن تكون مخففة من الثقيلة وأن تكون مفسرة كالتي سبقت آنفا وكذلك (أن
لعنة الله على الظالمين) وإنما قالوا لهم ذلك اغتباطا بحالهم وشماتة بأصحاب النار وزيادة في غمهم ولتكون
حكايته لطفا لمن سمعها وكذلك قول المؤذن بينهم لعنة الله على الظالمين وهو ملك يأمره الله فينادي بينهم نداء
يسمع أهل الجنة وأهل النار وقرئ أن لعنة الله بالتشديد والنصب وقرأ الأعمش إن لعنة الله بكسر إن على
إرادة القول أو على إجراء أذن مجرى قال (فإن قلت) هلا قيل ما وعدكم ربكم كما قيل ما وعدنا ربنا (قلت) حذف
ذلك تخفيفا لدلالة وعدنا عليه ولقائل أن يقول أطلق ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب
والعقاب وسائر أحوال القيامة لأنهم كانوا مكذبين بذلك أجمع ولأن الموعود كله مما ساءهم وما نعيم أهل الجنة
إلا عذاب لهم فأطلق لذلك (وبينهما حجاب) يعني بين الجنة والنار أو بين الفريقين وهو السور المذكور
في قوله تعالى فضرب بينهم بسور (وعلى الأعراف) وعلى أعراف الحجاب وهو السور المضروب بين الجنة والنار
وهي أعاليه جمع عرف استعير من عرف الفرس وعرف الديك (رجال) من المسلمين من آخرهم دخولا
في الجنة لقصور أعمالهم كأنهم المرجون لأمر الله يحبسون بين الجنة والنار إلى أن يأذن الله لهم في دخول
الجنة (يعرفون كلا) من زمر السعداء والأشقياء (بسيماهم) بعلامتهم التي أعلمهم الله تعالى بها إلهام الله
ذلك أو تعريف الملائكة إذا نظروا إلى أصحاب الجنة نادوهم بالتسليم عليهم (وإذا صرفت أبصارهم تلقاء
أصحاب النار) ورأوا ما هم فيه من العذاب استعاذوا بالله وفزعوا إلى رحمته أن لا يجعلهم معهم ❊ ونادوا رجالا
من رؤس الكفرة يقولون لهم (أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة) إشارة لهم إلى أهل الجنة الذين كان
الرؤساء يستهينون بهم ويحتقرونهم لفقرهم وقلة حظوظهم من الدنيا وكانوا يقسمون أن الله لا يدخلهم الجنة
(ادخلوا الجنة) يقال لأصحاب الأعراف ادخلوا الجنة وذلك بعد أن يحبسوا على الأعراف وينظروا إلى
الفريقين ويعرفوهم بسيماهم ويقولوا ما يقولون وفائدة ذلك بيان أن الجزاء على قدر الأعمال وأن التقدم
والتأخر على حسبها وأن أحدا لا يسبق عند الله إلا بسبقه في العمل ولا يتخلف عنده إلا بتخلفه فيه وليرغب

تعالى وتقدس عن ذلك ويطلقون القول بأن الجزاء أن الجنة ونعيمها أقطاعهم بحق مستحق على الله تعالى لا تفضل له عليهم فيه بل
هو بمثابة دين تقاضاه بعض الناس من مدينه وانظر أي الفريقين المذكورين أحق بلقب المبطلة والسلام ❊ عاد كلامه (قال فإن قلت
هلا قيل ما وعدكم ربكم كما قيل ما وعدنا الخ) قال أحمد ولقائل أن يقول ولو ذكر المفعول حسب ذكره في الأول فقيل فهل وجدتم ما وعدكم
ربكم حقا لكان الفعل مطلقا أيضا باعتبار الموعود به لأنه لم يذكر فكان يتناول كل موعود من البعث والحساب والعقاب الذي هو
أنواع من جملتها التحسر على نعيم أهل الجنة فليس ذلك خاصا بحذف المفعول الواقع على الموعودين فالوجه أن حذفه إيجاز وتخفيف
واستغناء عنه بالأول والله أعلم ❊ قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين

(قال التضرع تفعل من الضراعة وهى الذل الخ) قال أحمد وحسبك فى تعين الاسرار فى الدعاء اقترانه بالتضرع فى الآية فالاخلال به كالاخلال بالضراعة الى الله فى الدعاء وان دعاء لا تضرع فيه ولا خشوع لقليل الجدوى فكذلك دعاء لا خفية ولا وقار يصحبه وترى كثيرا من أهل زمانك يعتمدون الصراخ (٤٨٨) والصياح فى الدعاء خصوصا فى الجوامع حتى يعظم اللغط ويشتد وتستد المسامع وتستد

لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون الا تأويله يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ادعوا ربكم تضرعا وخفية

السامعون فى حال السابقين ويحرصوا على احراز قصبتهم وليتصوروا أن كل أحد يعرف ذلك اليوم بسيماه التى استوجب أن يوسم بها من أهل الخير والشر فيرتدع المسىء عن اساءته ويزيد المحسن فى احسانه وليعلم أن العصاة يوبخهم كل أحد حتى أقصر الناس عملا وقوله واذا صرفت أبصارهم فيه أن صارفا يصرف أبصارهم لينظروا فيستعيذوا ويوبخوا وقرأ الاعمش واذا قلبت أبصارهم * وقرئ أدخلوا الجنة على البناء للمفعول وقرأ عكرمة دخلوا الجنة (فان قلت) كيف لاءم هاتين القراءتين قوله (لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون) (قلت) تأويله أدخلوا أو دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون (فان قلت) ما محل قوله لم يدخلوها وهم يطمعون (قلت) لا محل له لانه استئناف كأن سائلا سأل عن حال أصحاب الاعراف فقيل لم يدخلوها وهم يطمعون يعنى حالهم أن دخولهم الجنة استأخر عن دخول أهل الجنة فلم يدخلوها لكونهم محبوسين وهم يطمعون لم ييأسوا ويجوز أن يكون له محل بأن يقع صفة لرجال * ما أغنى عنكم جمعكم المال أو كثرتكم واجتماعكم * وما كنتم تستكبرون واستكباركم عن الحق وعلى الناس وقرئ تستكثرون من الكثرة (أفيضوا علينا) فيه دليل على أن الجنة فوق النار (أو مما رزقكم الله) من غيره من الاشربة لدخوله فى حكم الافاضة ويجوز أن يراد أو ألقوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة كقوله * علفتها تبنا وماء باردا * وانما يطلبون ذلك مع يأسهم من الاجابة اليه حيرة فى أمرهم كما يفعل المضطر الممتحن (حرمهما على الكافرين) منعهم شراب الجنة وطعامها كما يمنع المكلف ما يحرم عليه ويحظر كقوله * حرام على عينى أن تطعم الكرى * (فاليوم ننساهم) نفعل بهم فعل الناسين الذين ينسون عبيدهم من الخير لا يذكرونهم به (كما نسوا لقاء يومهم هذا) كما فعلوا بلقائه فعل الناسين فلم يخطروه ببالهم ولم يهتموا به (فصلناه على علم) عالمين كيف نفصل أحكامه ومواعظه وقصصه وسائر معانيه حتى جاء حكيما قيما غير ذى عوج وقرأ ابن محيصن فضلناه بالضاد المعجمة يعنى فضلناه على جميع الكتب عالمين أنه أهل للتفضيل عليها و (هدى ورحمة) حال من منصوب فصلناه كما أن على علم حال من مرفوعه (الا تأويله) الا عاقبة أمره وما يؤول اليه من تبين صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد (قد جاءت رسل ربنا بالحق) أى تبين وصح أنهم جاؤا بالحق (أو نرد) جملة معطوفة على الجملة التى قبلها داخلة معها فى حكم الاستفهام كأنه قيل هل لنا من شفعاء أو هل نرد ورافعه وقوعه موقعا يصلح للاسم كما تقول ابتداء هل يضرب زيد ولا يطلب له فعل آخر يعطف عليه فلا يقدر هل يشفع لنا شافع أو نرد وقرأ ابن أبى اسحق أو نرد بالنصب عطفا على فيشفعوا لنا أو تكون أو بمعنى حتى أن أى يشفعوا لنا حتى نرد فنعمل وقرأ الحسن بنصب نرد ورفع فنعمل بمعنى فنحن نعمل (يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا) وقرئ يغشى بالتشديد أى يلحق الليل بالنهار أو النهار بالليل يحتملهما جميعا والدليل على الثانى قراءة حميد بن قيس يغشى الليل النهار بفتح الياء ونصب الليل ورفع النهار أى يدرك النهار الليل ويطلبه حثيثا حسن الملاءمة لقراءة حميد (بأمره) بمشيئته وتصريفه وهو متعلق بمسخرات أى خلقهن جاريات بمقتضى حكمته وتدبيره وكما يريد أن يصرفها سمى ذلك أمرا على التشبيه كأنهن مأمورات بذلك * وقرئ والشمس والقمر والنجوم مسخرات بالرفع * ولما ذكر أنه خلقهن مسخرات بأمره قال (ألا له الخلق والامر) أى هو الذى خلق الاشياء كلها وهو الذى صرفها على حسب ارادته (تضرعا وخفية) نصب على الحال أى ذوى تضرع وخفية * وكذلك خوفا وطمعا والتضرع تفعل من الضراعة وهو الذل أى تذللا وتملقا * وقرئ وخفية وعن الحسن رضى الله عنه ان الله يعلم القلب التقى والدعاء الخفى ان كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره وان كان الرجل لقد فقه الفقه

ويهتز الداعى بالناس ولا يعلم انه جمع بين بدعتين رفع الصوت فى الدعاء وفى المسجد وربما حصلت للعوام حينئذ رقة لا تحصل مع خفض الصوت الكثير ورعاية سمت الوقار وسلوك السنة الثابتة بالآثار وما هى الا رقة شبيهة بالرقة العارضة للنساء والاطفال ليست خارجة عن صميم الفؤاد لانها لو كانت من أصل لكانت عند اتباع السنة فى الدعاء وفى خفض الصوت به أوفر وأوفى وأزكى فما أكثر التباس الباطل بالحق على

الكثير ولا يشعر الناس به ولقد كان الرجل ليصلى الصلاة الطويلة وعنده الزور وما يشعرون به ولقد أدركنا أقواماً ما كان على الارض من عمل يقدرون على أن يعملوه فى السر فيكون علانية أبداً ولقد كان المسلمون يجتهدون فى الدعاء وما يسمع لهم صوت ان كان الا همساً بينهم وبين ربهم وذلك ان الله تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعاً وخفية وقد أثنى على زكريا فقال اذ نادى ربه نداء خفياً وبين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفاً (انه لا يحب المعتدين) أى المجاوزين ما أمروا به فى كل شئ من الدعاء وغيره وعن ابن جريج هو رفع الصوت بالدعاء وعنه الصياح فى الدعاء مكروه وبدعة وقيل هو الاسهاب فى الدعاء وعن النبى صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وحسب المرء أن يقول اللهم انى أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ قوله تعالى انه لا يحب المعتدين (ان رحمة الله قريب من المحسنين) كقوله وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً وانما ذكر قريب على تأويل الرحمة بالرحم أو الترحم أو لانه صفة موصوف محذوف أى شئ قريب أو على تشبيهه بفعيل الذى هو بمعنى مفعول كما شبه ذلك به فقيل قتلاء وأسراء أو على أنه بزنة المصدر الذى هو النقيض والضغيب أو لان تأنيث الرحمة غير حقيقى ＊ قرئ نشراً وهو مصدر نشر وانتصابه اما لان أرسل ونشر متقاربان فكأنه قيل نشرها نشراً واما على الحال بمعنى منتشرات ونشراً جمع نشور ونشراً بتخفيف نشر كرسل ورسل وقرأ مسروق نشراً بمعنى منشورات فعل بمعنى مفعول كنفض وحسب ومنه قولهم ضم نشره وبشراً جمع بشير وبشراً بتخفيفه وبشراً بفتح الباء مصدر من بشره بمعنى بشره أى باشرات وبشرى (بين يدى رحمته) أمام رحمته وهى الغيث الذى هو من أتم النعم وأجلها وأحسنها أثراً (أقلت) حملت ورفعت واشتقاق الاقلال من القلة لان الرافع المطيق يرى الذى يرفعه قليلا (سحاباً ثقالا) سحائب ثقالا بالماء جمع سحابة (سقناه) الضمير للسحاب على اللفظ ولو حمل على المعنى كالثقال لانث كما لو حمل الوصف على اللفظ لقيل ثقيلا (لبلد ميت) لاجل بلد ليس فيه حيا ولسقيه وقرئ ميت (فأنزلنا به) بالبلد أو بالسحاب أو بالسوق وكذلك (فأخرجنا به ＊ كذلك) مثل ذلك الاخراج وهو اخراج الثمرات (نخرج الموتى لعلكم تذكرون) فيؤديكم التذكر الى أنه لا فرق بين الاخراجين اذ كل واحد منهما اعادة للشئ بعد انشائه (والبلد الطيب) الارض الكريمة التربة (والذى خبث) الارض السبخة التى لا تنبت ما ينتفع به ＊ باذن ربه بتيسيره وهو فى موضع الحال كأنه قيل يخرج نباته حسناً وافياً لانه واقع فى مقابلة (نكدا) والنكد الذى لا خير فيه ＊ وقرئ يخرج نباته أى يخرجه البلد وينبته وقوله والذى خبث صفة للبلد ومعناه والبلد الخبيث لا يخرج نباته الا نكداً فحذف المضاف الذى هو النبات وأقيم المضاف اليه الذى هو الراجع الى البلد مقامه الا أنه كان مجروراً بارزاً فانقلب مرفوعاً مستكناً لوقوعه موقع الفاعل أو يقدر ونبات الذى خبث ＊ وقرئ نكداً بفتح الكاف على المصدر أى ذا نكد ونكداً باسكانها للتخفيف كقوله نزه عن الريب بمعنى نزه وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ والتنبيه من المكلفين ولمن لا يؤثر فيه شئ من ذلك وعن مجاهد آدم وذريته منهم خبيث وطيب وعن قتادة المؤمن سمع كتاب الله فوعاه بعقله وانتفع به كالارض الطيبة أصابها الغيث فأنبتت والكافر بخلاف ذلك وهذا التمثيل واقع على أثر ذكر المطر وانزاله بالبلد الميت واخراج الثمرات به على طريق الاستطراد (كذلك) مثل ذلك التصريف (نصرف الآيات) نرددها ونكررها (لقوم يشكرون) نعمة الله وهم المؤمنون ليفكروا فيها ويعتبروا بها وقرئ يصرف بالياء أى يصرفها الله (لقد أرسلنا نوحاً) جواب قسم محذوف (فان قلت) ما لهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام الا مع قد وقل عنهم نحو قوله حلفت لها بالله حلفة فاجر ＊ لناموا (قلت) انما كان ذلك لان الجملة القسمية لا تساق الا تأكيداً للجملة المقسم عليها التى هى جوابها فكانت مظنة لمعنى التوقع الذى هو معنى قد عند استماع المخاطب كلمة القسم قيل أرسل نوح عليه السلام وهو ابن خمسين سنة وكان نجاراً وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ واخنوخ اسم ادريس النبى عليه السلام ＊ وقرئ غيره بالحركات الثلاث فالرفع على المحل كأنه قيل ما لكم اله غيره والجر على اللفظ

انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً ان رحمت الله قريب من المحسنين وهو الذى يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته حتى اذا أقلت سحاباً ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون لقد أرسلنا نوحاً الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم

عقول كثيرة من الخلق اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه

قال الملأ من قومه انا لنراك في ضلال مبين قال ياقوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوما عمين والى عاد

والنصب على الاستثناء بمعنى ما لكم من اله الا اياه كقولك ما في الدار من أحد الا زيدا وغير زيد (فان قلت) فما موقع الجملتين بعد قوله اعبدوا الله (قلت) الاولى بيان لوجه اختصاصه بالعبادة والثانية بيان للداعي الى عبادته لانه هو المحذور عقابه دون ما كانوا يعبدونه من دون الله * واليوم العظيم يوم القيامة أو يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان (الملأ) الاشراف والسادة وقيل الرجال ليس معهم نساء (في ضلال) في ذهاب عن طريق الصواب والحق * ومعنى الرؤية رؤية القلب * (فان قلت) لم قال (ليس بي ضلالة) ولم يقل ضلال كما قالوا (قلت) الضلالة أخص من الضلال فكانت أبلغ في نفي الضلال عن نفسه كأنه قال ليس بي شيء من الضلال كما لو قيل لك ألك تمر فقلت ما لي تمرة (فان قلت) كيف وقع قوله (ولكني رسول) استدراكا للانتفاء عن الضلالة (قلت) كونه رسولا من الله مبلغا رسالاته ناصحا في معنى كونه على الصراط المستقيم فصح لذلك أن يكون استدراكا للانتفاء عن الضلالة * وقرئ أبلغكم بالتخفيف (فان قلت) كيف موقع قوله أبلغكم (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يكون كلاما مستأنفا بيانا لكونه رسول رب العالمين والثاني أن يكون صفة لرسول (فان قلت) كيف جاز أن يكون صفة والرسول لفظه لفظ الغائب (قلت) جاز ذلك لان الرسول وقع خبرا عن ضمير المخاطب وكان معناه كما قال * أنا الذي سمتن أمي حيدره * (رسالات ربي) ما أوحي الي في الاوقات المتطاولة أو في المعاني المختلفة من الاوامر والنواهي والمواعظ والزواجر والبشائر والنذائر ويجوز أن يريد رسالاته اليه والى الانبياء قبله من صحف جده ادريس وهي ثلاثون صحيفة ومن صحف شيث وهي خمسون صحيفة (وأنصح لكم) يقال نصحته ونصحت له وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على امحاض النصيحة وأنها وقعت خالصة للمنصوح له مقصودا بها جانبه لا غير فرب نصيحة ينتفع بها الناصح فيقصد النفعين جميعا ولا نصيحة أمحض من نصيحة الله تعالى ورسله عليهم السلام (وأعلم من الله ما لا تعلمون) أي من صفات الله وأحواله يعني قدرته الباهرة وشدة بطشه على أعدائه وأن بأسه لا يرد عن القوم المجرمين وقيل لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا آمنين لا يعلمون ما علمه نوح بوحي الله اليه أو أراد وأعلم من جهة الله أشياء لا علم لكم بها قد أوحي الي بها (أوعجبتم) الهمزة للانكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كأنه قيل أكذبتم وعجبتم (أن جاءكم) من أن جاءكم (ذكر) موعظة (من ربكم على رجل منكم) على لسان رجل منكم كقوله ما وعدتنا على رسلك وذلك أنهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح عليه السلام ويقولون ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين يعنون ارسال البشر ولو شاء ربنا لانزل ملائكة (لينذركم ولتتقوا) ليحذركم عاقبة الكفر وليوجد منكم التقوى وهي الخشية بسبب الانذار (ولعلكم ترحمون) ولترجوا بالتقوى ان وجدت منكم (والذين معه) قيل كانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به (فان قلت) (في الفلك) بم يتعلق (قلت) هو متعلق بمعه كأنه قيل والذين استقروا معه في الفلك أو صحبوه في الفلك ويجوز أن يتعلق بفعل الانجاء أي أنجيناهم في السفينة من الطوفان (عمين) عمي القلوب غير مستبصرين وقرئ عامين والفرق بين العمي والعامي أن العمي يدل على عمى

* قوله تعالى قال الملأ من قومه انا لنراك في ضلال مبين قال ياقوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين (قال ان قلت لم قال ليس بي ضلالة ولم يقل ضلال الخ) قال أحمد تعليله كون نفيها أبلغ من نفي الضلال بانها أخص منه غير مستقيم والله أعلم فان نفي الأخص أعم من نفي الاعم فلا يستلزمه ضرورة ان الاعم لا يستلزم الاخص بخلاف العكس ألا تراك اذا قلت هذا ليس بانسان لم يستلزم ذلك ان لا يكون حيوانا ولو قلت (٤٩٠) هذا ليس بحيوان لاستلزم ان لا يكون انسانا فنفي الاعم كما ترى أبلغ من نفي الاخص والتحقيق في الجواب ان يقال الضلالة أدنى من الضلال وأقل لانها لا تطلق الا على الفعلة الواحدة منه وأما الضلال فينطلق على القليل والكثير من جنسه ونفي الادنى أبلغ من نفي الاعلى لا من حيث كونه أخص وهو من باب التنبيه بالادنى على الاعلى والله أعلم * قوله تعالى ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي الآية (قال ان قلت كيف موقع قوله أبلغكم قلت فيه وجهان الخ) قال أحمد وقد استدرك ابن جني قول ثابت أبي الطيب * انا الذي نظر الاعمى الى أدبي * عدولا عن لفظ الغيبة لو كان الى أدبه وهذه الآية والرجز العلوي كفيلان بتحسين ما ارتكبه أبو الطيب

(قال فان قلت لم حذف العاطف من قوله تعالى فى قصة هود هذه قال ياقوم ولم يقل فقال قلت لانه أخرج الكلام جوابا عن سؤال سائل كأنه قيل فما قال هود حينئذ فقيل قال ياقوم وكذلك قال الملأ) قال أحمد وحذف العاطف (٤٩١) من المقاولة الا ترى قوله فى سورة

ثابت والعاصى على عمى حادث ونحوه قوله وضائق به صدرك (أخاهم) واحدا منهم من قولك يا أخا العرب للواحد منهم وانما جعل واحدا منهم لانهم أفهم عن رجل منهم وأعرف بحاله فى صدقه وأمانته وهو هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وأخاهم عطف على نوحا و(هودا) عطف بيان له (فان قلت) لم حذف العاطف من قوله (قال ياقوم) ولم يقل فقال كما فى قصة نوح (قلت) هو على تقدير سؤال سائل قال فما قال لهم هود فقيل قال ياقوم اعبدوا الله وكذلك (قال الملأ) (فان قلت) لم وصف الملأ (الذين كفروا) دون الملا من قوم نوح (قلت) كان فى أشراف قوم هود من آمن به منهم مرثد بن سعد الذى أسلم وكان يكتم اسلامه فأريدت التفرقة بالوصف ولم يكن فى أشراف قوم نوح مؤمن ونحوه قوله تعالى وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة ويجوز أن يكون وصفا وارد اللذم لا غير (فى سفاهة) فى خفة حلم وسخافة عقل حيث تهجر دين قومك الى دين آخر وجعلت السفاهة ظرفا على طريق المجاز أرادوا أنه متمكن فيها غير منفك عنها وفى اجابة الانبياء عليهم السلام من نسبهم الى الضلال والسفاهة بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والاغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بأن خصومهم أضل الناس وأسفههم أدب حسن وخلق عظيم وحكاية الله عز وجل ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسبلون أذيالهم على ما يكون منهم (ناصح أمين) أى عرفت فيما بينكم بالنصح والامانة فما حقى أن أتهم أو أنا لكم ناصح فيما أدعوكم اليه أمين على ما أقول لكم لا أكذب فيه (خلفاء من بعد قوم نوح) أى خلفتموهم فى الارض أو جعلكم ملوكا فى الارض قد استخلفكم فيها بعدهم (فى الخلق بسطة) فيما خلق من أجرامكم ذهابا فى الطول والبدانة قيل كان أقصرهم ستين ذراعا وأطولهم مائة ذراع (فاذكروا آلاء الله) فى استخلافكم وبسطة أجرامكم وما سواهما من عطاياه وواحد الآلاء الى ونحوه انى وآناء وضلع وأضلاع وعنب وأعناب (فان قلت) اذ فى قوله اذ جعلكم خلفاء ما وجه انتصابه (قلت) هو مفعول به وليس بظرف أى اذكروا وقت استخلافكم (أجئتنا لنعبد الله وحده) أنكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء فى اتخاذ الاصنام شركاء معه حبا لما نشؤا عليه والفا لما صادفوا آباءهم يتدينون به (فان قلت) ما معنى المجىء فى قوله أجئتنا (قلت) فيه أوجه أن يكون لهود عليه السلام مكان معتزل عن قومه يتحنث فيه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء قبل المبعث فلما أوحى اليه جاء قومه يدعوهم وأن يريدوا به الاستهزاء لانهم كانوا يعتقدون أن الله تعالى لا يرسل الا الملائكة فكأنهم قالوا أجئتنا من السماء كما يجىء الملك وأن لا يريدوا حقيقة المجىء ولكن التعرض بذلك والقصد كما يقال ذهب يشتمنى ولا يراد حقيقة الذهاب كأنهم قالوا أقصدتنا لنعبد الله وحده وتعرضت لنا بتكليف ذلك (فأتنا بما تعدنا) استعجال منهم للعذاب (قد وقع عليكم) أى حق عليكم ووجب أو قد نزل عليكم جعل المتوقع الذى لا بد من نزوله بمنزلة الواقع ونحوه قولك لمن طلب اليك بعض المطالب قد كان ذلك وعن حسان أن ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور وهو طفل فجاء يبكى فقال له يا بنى مالك قال لسعنى طوير كأنه ملتف فى بردى حبرة فضمه الى صدره وقال له يا بنى قد قلت الشعر * والرجس العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب (فى أسماء سميتموها) فى أشياء ما هى الا أسماء ليس تحتها مسميات لانكم تسمونها آلهة ومعنى الالهية فيها معدوم ومحال وجوده وهذا كقوله تعالى ما تدعون من دونه من شئ ومعنى سميتموها سميتم بها من سميته زيدا (وقطع دابر هم) استئصالهم وتدميرهم عن آخرهم وقصتهم أن عادا قد تبسطوا فى البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم أصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله اليهم هودا نبيا وكان من أوسطهم وأفضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فأمسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله تعالى الفرج منه

أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك فى سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين قال ياقوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربى وأنا لكم ناصح أمين أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلوننى فى أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا انى معكم من المنتظرين فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا

الشعراء حكاية عن تقاول موسى عليه السلام وفرعون كيف أسقط ذكر العاطف منه على كثرة الاقوال المعددة فيها والسر فى ذلك والله أعلم ان العاطف ينتظم الجمل حين يصيرها كالجملة الواحدة فاجتنب لارادة استقلال كل واحدة منها فى معناها والله أعلم

عند بيته الحرم مسلمهم ومشركهم وأهل مكة اذ ذاك العماليق أولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد الى مكة من أماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذى كان يكتم اسلامه فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا عن الحرم فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان كانتا لمعاوية فلما رأى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له أهمه ذلك وقال قد هلك أخوالى وأصهارى وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحيى أن يكلمهم خيفة أن يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية

ألا يا قيل ويحك قم فهينم * لعل الله يسقينا غماما
فيسقى أرض عاد ان عادا * قد امسوا لا يبينون الكلاما

وما كانوا مؤمنين والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها

فلما غنتا به قالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء الذى نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان أطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم وأظهر اسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فأنشأ الله تعالى سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها أكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد لهم يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فأهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فأتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا (فان قلت) ما فائدة نفى الايمان عنهم فى قوله (وما كانوا مؤمنين) مع اثبات التكذيب بآيات الله (قلت) هو تعريض بمن آمن منهم كمرثد بن سعد ومن نجا مع هود عليه السلام كأنه قال وقطعنا دابر الذين كذبوا منهم ولم يكونوا مثل من آمن منهم ليؤذن أن الهلاك خص المكذبين ونجى الله المؤمنين قرئ والى ثمود بمنع الصرف بتأويل القبيلة والى ثمود بالصرف بتأويل الحى أو باعتبار الاصل لانه اسم أبيهم الاكبر وهو ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وقيل سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الشأم والحجاز الى وادى القرى (قد جاءتكم بينة) آية ظاهرة وشاهد على صحة نبوتى * وكأنه قيل ما هذه البينة فقال (هذه ناقة الله لكم آية) وآية نصب على الحال والعامل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل كأنه قيل أشير اليها آية ولكم بيان لمن هى له آية موجبة عليه الايمان خاصة وهم ثمود لانهم عاينوها وسائر الناس أخبروا عنها وليس الخبر كالمعاينة كأنه قال لكم خصوصا وانما أضيفت الى اسم الله تعظيما لها وتفخيما لشأنها وأنها جاءت من عنده مكونة من غير فحل وطروقة آية من آياته كما تقول آية الله وروى أن عادا لما أهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم فى الارض وكثروا وعمروا أعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبنى المسكن المحكم فينهدم فى حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا فى سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله وأفسدوا فى الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله تعالى اليهم صالحا عليه السلام وكانوا قوما عربا وصالح من أوسطهم نسبا فدعاهم الى الله تعالى فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وأنذرهم فسألوه آية فقال أية آية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا فى يوم معلوم لهم من السنة فتدعو الهك وندعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا أوثانهم وسألوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو وأشار الى صخرة منفردة فى ناحية الجبل يقال لها الكاثبة أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التى شاكلت البخت فان فعلت صدقناك وأجبناك فأخذ صالح عليه السلام عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله تعالى وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها فى العظم فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع أعقابهم ناس من رؤسهم أن يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا

فاذا

* قوله تعالى قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم (قال ان قلت الضمير في منهم راجع الى ماذا قلت الى قومه الخ) قال أحمد نقوله ان على الاول بدل الشئ من الشئ وهما لعين واحدة وعلى الثاني بدل بعض من كل * عاد كلامه (قال فان قلت كيف وقع قولهم انا بما أرسل به مؤمنون جوابا الخ) قال أحمد وقولهم انا به مؤمنون ليس اخبارا عن وجوب الايمان به بل عن امتثال الواجب والعمل به ونحن قد امتثلنا * عاد كلامه (قال ولذلك كان جواب الكفرة انا بالذي الخ) قال أحمد ولو طابقوا بين

فاذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ماء فيها ثم تتفحج فيحتلبون ما شاؤا حتى تمتلئ أوانيهم فيشربون ويدخرون قال أبو موسى الاشعري أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا وكانت الناقة اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها أنعامهم فتهبط الى بطنه واذا وقع البرد تشتت ببطن الوادي فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان عنيزة أم غنم وصدقة بنت المختار لما أضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقي جبلا اسمه قارة فرغى ثلاثا وكان صالح قال لهم أدركوا الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد ووجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه فأنجاه الله الى أرض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فأتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا (تأكل في أرض الله) أي الارض أرض الله والناقة ناقة الله فذروها تأكل في أرض ربها فليست الارض لكم ولا ما فيها من النبات من انباتكم (ولا تمسوها بسوء) لا تضربوها ولا تطردوها ولا تريبوها بشئ من الاذى اكراما لآية الله وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل الذي أصابهم وقال صلى الله عليه وسلم يا علي أتدري من أشقى الاولين قال الله ورسوله أعلم قال عاقر ناقة صالح أتدري من أشقى الآخرين قال الله ورسوله أعلم قال قاتلك وقرأ أبو جعفر في رواية تأكل في أرض الله وهو في موضع الحال بمعنى آكلة (وبوأكم) ونزلكم والمباءة المنزل (في أرض) في أرض الحجر بين الحجاز والشام (من سهولها قصورا) أي تبنونها من سهولة الارض بما تعملون منها من الرهص واللبن والآجر * وقرأ الحسن وتنحتون بفتح الحاء وتنحاتون باشباع الفتحة كقوله * ينباع من ذفرى أسيل حرة * (فان قلت) علام انتصب (بيوتا) (قلت) على الحال كما تقول خط هذا الثوب قميصا وابر هذه القصبة قلما وهي من الحال المقدرة لان الجبل لا يكون بيتا في حال النحت ولا الثوب ولا القصبة قميصا وقلما في حال الخياطة والبري وقيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء (الذين استضعفوا) للذين استضعفهم رؤساء الكفار واستذلوهم و(لمن آمن منهم) بدل من الذين استضعفوا (فان قلت) الضمير في منهم راجع الى ماذا (قلت) الى قومه أو الى الذين استضعفوا (فان قلت) هل لاختلاف المرجعين أثر في اختلاف المعنى (قلت) نعم وذلك أن الراجع اذا رجع الى قومه فقد جعل من آمن مفسرا لمن استضعف منهم فدل أن استضعافهم كان مقصورا على المؤمنين واذا رجع الى الذين استضعفوا لم يكن الاستضعاف مقصورا عليهم ودل أن المستضعفين كانوا مؤمنين وكافرين (أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه) شئ قالوه على سبيل الطنز والسخرية كما تقول للمجسمة أتعلمون ان الله فوق العرش (فان قلت) كيف صح قولهم (انا بما أرسل به مؤمنون) جوابا عنه (قلت) سألوهم عن العلم بارساله فجعلوا ارساله أمرا معلوما مكشوفا مسلما لا يدخله ريب كأنهم قالوا العلم بارساله وبما أرسل به ما لا كلام فيه ولا شبهة تدخله لوضوحه وانارته وانما الكلام في وجوب الايمان به فنخبركم أنا به مؤمنون ولذلك كان جواب الكفرة (انا بالذي آمنتم به كافرون) فوضعوا آمنتم به موضع أرسل به ردا لما جعله المؤمنون معلوما وأخذوه مسلما (فعقروا الناقة) أسند العقر الى جميعهم لانه كان برضاهم وان لم يباشره الا بعضهم وقد يقال

تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون فعقروا الناقة

الكلامين لكان مقتضى المطابقة ان يقولوا انا بما أرسل به كافرون ولكن أبوا ذلك حذرا مما في ظاهره من اثباتهم لرسالته وهم يجحدونها وقد يصدر مثل ذلك على سبيل التهكم كما قال فرعون ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون فأثبت ارساله تهكما وليس هذا موضع التهكم فان الغرض اخبار كل واحد من الفريقين المؤمنين والمكذبين عن حاله فلهذا خلص الكافرون قولهم عن اشعار الايمان بالرسالة احتياطا للكفر وغلوا في الاصرار

للقبيلة الصيحة أنتم فعلتم كذا وما فعله الا واحد منهم (وعتوا عن أمر ربهم) وتولوا عنه واستكبروا عن امتثاله عاتين وأمر ربهم ما أمر به على لسان صالح عليه السلام من قوله فذروها تأكل فى أرض الله أو شأن ربهم وهو دينه ويجوز أن يكون المعنى وصدر عتوهم عن أمر ربهم كأن أمر ربهم بتركها كان هو السبب فى عتوهم ونحو عن هذه ما فى قوله وما فعلته عن أمرى (ائتنا بما تعدنا) أرادوا من العذاب وانما جاز الاطلاق لانه كان معلوما واستعجالهم له لتكذيبهم به ولذلك علقوه بما هم به كافرون وهو كونه من المرسلين (الرجفة) الصيحة التى زلزلت لها الارض واضطربوا لها (فى دارهم) فى بلادهم أو فى مساكنهم (جاثمين) هامدين لا يتحركون موتى يقال الناس جثم أى قعود لا حراك بهم ولا ينبسون نبسة ومنه المجثمة التى جاء النهى عنها وهى البهيمة تربط وتجمع قوائمها لترمى وعن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم لما مر بالحجر قال لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فأخذتهم الصيحة فلم يبق منهم الا رجل واحد كان فى حرم الله قالوا من هو قال ذاك أبو رغال فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه وروى أن صالحا كان بعثه الى قوم فخالف أمره وروى أنه عليه السلام مر بقبر أبى رغال فقال أتدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم فذكر قصة أبى رغال وأنه دفن ههنا ودفن معه غصن من ذهب فابتدروه وبحثوا عنه بأسيافهم فاستخرجوا الغصن (فتولى عنهم) الظاهر انه كان مشاهدا لما جرى عليهم وأنه تولى عنهم بعدما أبصرهم جاثمين تولى مغتم متحسر على ما فاته من ايمانهم يتحزن لهم ويقول (ياقوم لقد) بذلت فيكم وسعى ولم آل جهدا فى ابلاغكم النصيحة لكم ولكنكم (لا تحبون الناصحين) ويجوز أن يتولى عنهم تولى ذاهب عنهم منكر لاصرارهم حين رأى العلامات قبل نزول العذاب وروى أن عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروى أنه خرج فى مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكى فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم أنهم قد هلكوا وكانوا ألفا وخمسمائة دار وروى انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم (فان قلت) كيف صح خطاب الموتى وقوله ولكن لا تحبون الناصحين (قلت) قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت وكان قد نصحه حيا فلم يسمع منه حتى ألقى بنفسه فى التهلكة يا أخى كم نصحتك وكم قلت لك فلم تقبل منى وقوله ولكن لا تحبون الناصحين حكاية حال ماضية (ولوطا) وأرسلنا لوطا و(اذ) ظرف لأرسلنا أو واذكر لوطا واذ بدل منه بمعنى واذكر وقت (قال لقومه أتأتون الفاحشة) أتفعلون السيئة المتمادية فى القبح (ما سبقكم بها) ما عملها قبلكم والباء للتعدية من قولك سبقته بالكرة اذا ضربتها قبله ومنه قوله عليه السلام سبقك بها عكاشة (من أحد من العالمين) من الاولى زائدة لتوكيد النفى وافادة معنى الاستغراق والثانية للتبعيض (فان قلت) ما موقع هذه الجملة (قلت) هى جملة مستأنفة أنكر عليهم أولا بقوله أتأتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال أنتم أول من عملها أو على انه جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا لم لا نأتيها فقال ما سبقكم بها أحد فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به (أئنكم لتأتون الرجال) بيان لقوله أتأتون الفاحشة والهمزة مثلها فى أتأتون للانكار والتعظيم وقرئ انكم على الاخبار المستأنف لتأتون الرجال من أتى المرأة اذا غشيها (شهوة) مفعول له أى للاشتهاء لا حامل لكم عليه الا مجرد الشهوة من غير داع آخر ولا ذم أعظم منه لانه وصف لهم بالبهيمة وأنه لا داعى لهم من جهة العقل البتة كطلب النسل ونحوه أو حال بمعنى مشتهين تابعين للشهوة غير ملتفتين الى السماجة (بل أنتم قوم مسرفون) أضرب عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحال التى توجب ارتكاب القبائح وتدعو الى اتباع الشهوات وهو أنهم قوم عادتهم الاسراف وتجاوز الحدود فى كل شئ فمن ثم أسرفوا فى باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد الى غير المعتاد ونحوه بل أنتم قوم عادون (وما كان جواب قومه الا أن قالوا) يعنى ما أجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط عليه السلام من انكار الفاحشة وتعظيم أمرها ووسمهم بسمة الاسراف الذى هو أصل الشر كله ولكنهم جاؤا بشئ آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ضجرا بهم وبما يسمعونهم من وعظهم ونصحهم وقولهم (انهم أناس يتطهرون) سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخارا بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء اذا وعظهم أبعدوا عنا هذا المتقشف وأريحونا من هذا المتزهد (وأهله) ومن يختص به من ذويه أو من المؤمنين (من الغابرين) من الذين غبروا فى ديارهم أى بقوا فهلكوا

وعتوا عن أمر ربهم وقالوا ياصالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين فتولى عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون وما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم انهم أناس يتطهرون فأنجيناه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين

والتذكير لتغليب الذكور على الاناث وكانت كافرة موالية لاهل سدوم وروى أنها التفتت فأصابها حجر فماتت * وقيل كانت المؤتفكة خمس مدائن وقيل كانوا أربعة آلاف بين الشام والمدينة فأمطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل أمطر عليهم ثم خسف بهم وروى أن تاجرا منهم كان فى الحرم فوقف له الحجر أربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه (فان قلت) أى فرق بين مطر وأمطر (قلت) يقال مطرتهم السماء وواد ممطور وفى نوابغ الكلم حرى غير ممطور حرى أن يكون غير ممطور ومعنى مطرتهم أصابتهم بالمطر كقولهم غاثتهم ووبلتهم وجادتهم ورهمتهم ويقال أمطرت عليهم كذا بمعنى أرسلته عليهم ارسال المطر فأمطر علينا حجارة من السماء وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ومعنى (وأمطرنا عليهم مطرا) وأرسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا يعنى الحجارة ألا ترى الى قوله فساء مطر المنذرين كان يقال لشعيب عليه السلام خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا أهل بخس للمكاييل والموازين (قد جاءتكم بينة من ربكم) معجزة شاهدة بصحة نبوتى أوجبت عليكم الايمان بى والاخذ بما آمركم به والانتهاء عما أنهاكم عنه فأوفوا ولا تبخسوا (فان قلت) ما كانت معجزته (قلت) قد وقع العلم بأنه كانت له معجزة لقوله قد جاءتكم بينة من ربكم ولانه لا بد لمدعى النبوة من معجزة تشهد له وتصدقه والا لم تصح دعواه وكان متنبئا لا نبيا غير أن معجزته لم تذكر فى القرآن كما لم تذكر أكثر معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم فيه ومن معجزات شعيب عليه السلام ما روى من محاربة عصى موسى عليه السلام التنين حين دفع اليه غنمه وولادة الغنم الدرع خاصة حين وعده أن تكون له الدرع من أولادها ووقوع عصى آدم عليه السلام على يده فى المرات السبع وغير ذلك من الآيات لان هذه كلها كانت قبل أن يستنبأ موسى عليه السلام فكانت معجزات لشعيب (فان قلت) كيف قيل (الكيل والميزان) وهلا قيل المكيال والميزان كما فى سورة هود عليه السلام (قلت) أريد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال أو سمى ما يكال به بالكيل كما قيل العيش لما يعاش به أو أريد فأوفوا الكيل ووزن الميزان ويجوز أن يكون الميزان كالميعاد والميلاد بمعنى المصدر * ويقال بخسته حقه اذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وفى أمثالهم تحسبها حمقاء وهى باخس وقيل (أشياءهم) لانهم كانوا يبخسون الناس كل شىء فى مبايعاتهم أو كانوا مكاسين لا يدعون شيأ الا مكسوه كما يفعل أمراء الحرمين وروى أنهم كانوا اذا دخل الغريب بلدهم أخذوا دراهمه الجياد وقالوا هى زيوف فقطعوها قطاعا ثم أخذوها بنقصان ظاهر وأعطوه بدلها زيوفا (بعد اصلاحها) بعد الاصلاح فيها أى لا تفسدوا فيها بعد ما أصلح فيها الصالحون من الانبياء وأتباعهم العاملين بشرائعهم واضافته كاضافة قوله بل مكر الليل والنهار بمعنى بل مكركم فى الليل والنهار أو بعد اصلاح أهلها على حذف المضاف (ذلكم) اشارة الى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البخس والافساد فى الارض أو الى العمل بما أمرهم به ونهاهم عنه ومعنى (خير لكم) يعنى فى الانسانية وحسن الاحدوثة وما تطلبونه من التكسب والتربح لان الناس أرغب فى متاجرتكم اذا عرفوا منكم الامانة والسوية (ان كنتم مؤمنين) ان كنتم مصدقين لى فى قولى ذلكم خير لكم (ولا تقعدوا بكل صراط) ولا تقتدوا بالشيطان فى قوله لأقعدن لهم صراطك المستقيم فتقعدوا بكل صراط أى بكل منهاج من مناهج الدين والدليل على أن المراد بالصراط سبيل الحق قوله (وتصدون عن سبيل الله) * ومحل توعدون وما عطف عليه النصب على الحال أى ولا تقعدوا موعدين وصادين عن سبيل الله وباغين اياها عوجا (فان قلت) صراط الحق واحد وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فكيف قيل بكل صراط (قلت) صراط الحق واحد ولكنه يتشعب الى معارف وحدود وأحكام كثيرة مختلفة فكانوا اذا رأوا أحدا يشرع فى شىء منها أوعدوه وصدوه (فان قلت) الام يرجع الضمير فى (آمن به) (قلت) الى كل صراط تقديره توعدون من آمن به وتصدون عنه فوضع الظاهر الذى هو سبيل الله موضع الضمير زيادة فى تقبيح أمرهم ودلالة على عظم ما يصدون عنه وقيل كانوا يجلسون على الطرق والمراصد فيقولون لمن مر بهم ان شعيبا كذاب فلا يفتننكم عن دينكم كما كان يفعل

وأمطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين والى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به

---

* قوله تعالى وأمطرنا عليهم مطرا (قال يقال مطرتهم السماء وواد ممطور الخ) قال أحمد مقصود المصنف الرد على من يقول مطرت السماء فى الخير وأمطرت فى الشر ويتوهم انها تفرقة وضعية فبين ان أمطرت معناه أرسلت شيأ على نحو المطر وان لم يكن ماء حتى لو أرسل الله من السماء أنواعا من الخيرات والارزاق مثلا كالمن والسلوى جاز أن يقال فيه أمطرت السماء خيرات أى أرسلتها ارسال المطر فليس للشر خصوصية فى هذه الصيغة الرباعية ولكن اتفق ان السماء لم ترسل شيأ سوى المطر الا وكان عذابا فظن الواقع اتفاقا مقصودا فى الوضع فنبه على تحقيق الامر فيه وأحسن وأجمل

* قوله تعالى قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا الآيات (قال ان قلت كيف خاطبوا شعيبا بصيغة العود الخ) قال أحمد والزمخشري بنى هذا الكلام على أن صيغة العود تستدعي رجوع العائد الى حال كان عليها قبل والتحقيق في الجواب عن السؤال المذكور مع اقتضاء العود لذلك ان هذا الفعل وان استعمل كذلك الا أنه كثيرا ما يرد بمعنى صار وحينئذ يجوز أن يكون أخا كان ولا يستدعي الرجوع الى حالة سابقة بل عكس ذلك وهو الانتقال من حال سابقة الى حالة مؤتنفة مثل صار وكأنهم قالوا والله أعلم لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتصيرن كفارا مثلنا وحينئذ يندفع السؤال أو يسلم استعمال العود بمعنى الرجوع الى أمر سابق ويجاب عن ذلك بمثل الجواب عن قوله تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات والاخراج يستدعي دخولا سابقا فيما وقع الاخراج منه ونحن نعلم ان المؤمن الناشئ في الايمان لم يدخل قط في ظلمة الكفر ولا كان فيها وكذلك الكافر الاصلي لم يدخل قط في نور الايمان ولا كان فيه ولكن (٤٩٦) لما كان الايمان والكفر من الافعال الاختيارية التي خلق الله العبد متيسرا لكل واحد منهما متمكنا منه لو أراده فعبر عن تمكن المؤمن من الكفر ثم عدوله عنه الى الايمان اخبارا بالاخراج من الظلمات الى النور توفيقا من الله ولطفا به * خذلانا وبالعكس في حق الكافر وقد مضى نظير هذا النظر عند قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وهو من المجاز المعبر فيه عن السبب بالمسبب وفائدة اختياره في هذه المواضع تحقيق التمكن والاختيار لاقامة حجة الله على عباده والله أعلم * عاد كلامه الى قوله تعالى وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا (قال ان قلت الله تعالى متقدس عن ان يشاء ردة المؤمنين وعودهم الى الكفر الخ) قال أحمد وهذا السؤال كما ترى مفرع على القاعدة الفاسدة في اعتقاد وجوب رعاية الصلاح والاصلح وهو غير موجه على قاعدة السنة فظاهر الآية هو المعول عليه لا يجوز تأويله ولا تبديله وأما استدلال الزمخشري على صحة تأويله بقوله وسع ربنا كل شيء علما فمن اختباله انه في التأويلات الباطلة يعضدها ويتبع الشبه ويلفقها وموقع قوله وسع ربنا كل شيء علما الاعتراف بالقصور عن علم العاقبة والاطلاع على الامور الغائبة فان العود الى الكفر جائز في قدرة الله أن يقع من العبد ولو وقع فبقدرة الله ومشيئته المغيبة عن خلقه فالحذر قائم والخوف لازم ولكن لمن وفقه الله تعالى للعقيدة الصحيحة والايمان السالم والله الموفق ونظيره قول ابراهيم عليه السلام ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما لما رد الامر الى المشيئة وهي مغيبة مجد الله تعالى

وتبغونها عوجا واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا

قريش بمكة وقيل كانوا يقطعون الطرق وقيل كانوا عشارين (وتبغونها عوجا) وتطلبون لسبيل الله عوجا أي تصفونها للناس بأنها سبيل معوجة غير مستقيمة لتصدوهم عن سلوكها والدخول فيها أو يكون تعييبا لهم وأنهم يطلبون لها ما هو محال لان طريق الحق لا يعوج (واذكروا اذ كنتم قليلا) اذ مفعول به غير ظرف أي واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم (فكثركم) الله ووفر عددكم قيل ان مدين بن ابراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله في نسلها بالبركة والنماء فكثروا وفشوا ويجوز اذ كنتم مقلين فقراء فكثركم فجعلكم مكثرين موسرين أو كنتم أقلة أذلة فأعزكم بكثرة العدد والعدد (عاقبة المفسدين) آخر أمر من أفسد قبلكم من الامم كقوم نوح وهود وصالح ولوط وكانوا قريبي العهد مما أصاب المؤتفكة (فاصبروا) فتربصوا وانتظروا (حتى يحكم الله بيننا) أي بين الفريقين بأن ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله منهم كقوله فتربصوا انا معكم متربصون أو هو عظة للمؤمنين وحث على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من أذى المشركين الى أن يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم ويجوز أن يكون خطابا للفريقين أي ليصبر المؤمنون على أذى الكفار وليصبر الكفار على ما يسوءهم من ايمان من آمن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب (وهو خير الحاكمين) لان حكمه حق وعدل لا يخاف فيه الحيف * أي ليكونن أحد الامرين اما اخراجكم واما عودكم في الكفر (فان قلت) كيف خاطبوا شعيبا عليه السلام بالعود في الكفر في قولهم (أو لتعودن في ملتنا) وكيف أجابهم بقوله (ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها) والانبياء عليهم السلام لا يجوز عليهم من الصغائر الا ما ليس فيه تنفير فضلا عن الكبائر فضلا عن الكفر (قلت) لما قالوا لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك فعطفوا على ضميره الذين دخلوا في الايمان منهم بعد كفرهم قالوا لتعودن فغلبوا الجماعة على الواحد فجعلوهم عائدين جميعا اجراء للكلام على حكم التغليب وعلى ذلك أجرى شعيب عليه السلام جوابه فقال ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وهو يريد عود قومه الا أنه نظم نفسه في جملتهم وان كان بريئا من ذلك اجراء لكلامه على حكم التغليب (فان قلت) فما معنى قوله وما يكون لنا أن نعود فيها (الا أن يشاء الله) والله تعالى متعال أن يشاء ردة المؤمنين وعودهم في الكفر (قلت) معناه الا أن يشاء الله

خذلاننا ومنعنا الالطاف لعلمه انها لا تنفع فينا وتكون عبثا والعبث قبيح لا يفعله الحكيم والدليل عليه قوله (وسع ربنا كل شئ علما) أى هو عالم بكل شئ مما كان وما يكون فهو يعلم أحوال عباده كيف تتحول وقلوبهم كيف تتقلب وكيف تقسو بعد الرقة وتمرض بعد الصحة وترجع الى الكفر بعد الايمان (على الله توكلنا) فى أن يثبتنا على الايمان ويوفقنا لازدياد الايقان ويجوز أن يكون قوله الا أن يشاء الله حسما لطمعهم فى العود لان مشيئة الله لعودهم فى الكفر محال خارج عن الحكمة * أولو كنا كارهين الهمزة للاستفهام والواو واو الحال تقديره أتعيدوننا فى ملتكم فى حال كراهتنا ومع كوننا كارهين وما يكون لنا وما ينبغى لنا وما يصح لنا (ربنا افتح بيننا) احكم بيننا والفتاحة الحكومة أو أظهر أمرنا حتى ينفتح ما بيننا (وبين قومنا) وينكشف بأن تنزل عليهم عذابا يتبين معه أنهم على الباطل (وأنت خير الفاتحين) كقوله وهو خير الحاكمين (فان قلت) كيف أسلوب قوله قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم (قلت) هو اخبار مقيد بالشرط وفيه وجهان أحدهما أن يكون كلاما مستأنفا فيه معنى التعجب كأنهم قالوا ما أكذبنا على الله ان عدنا فى الكفر بعد الاسلام لان المرتد أبلغ فى الافتراء من الكافر لان الكافر مفتر على الله الكذب حيث يزعم أن لله ندا ولا ند له والمرتد مثله فى ذلك وزائد عليه حيث يزعم أنه قد تبين له ما خفى عليه من التمييز بين الحق والباطل والثانى أن يكون قسما على تقدير حذف اللام بمعنى والله لقد افترينا على الله كذبا (وقال الملأ الذين كفروا من قومه) أى أشرافهم للذين دونهم يثبطونهم عن الايمان (لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون) لاستبدالكم الضلالة بالهدى كقوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وقيل تخسرون باتباعه فوائد البخس والتطفيف لانه ينهاكم عنهما ويحملكم على الايفاء والتسوية (فان قلت) ما جواب القسم الذى وطأته اللام فى لئن اتبعتم شعيبا وجواب الشرط (قلت) قوله انكم اذا لخاسرون ساد مسد الجوابين (الذين كذبوا شعيبا) مبتدأ خبره (كأن لم يغنوا فيها) وكذلك (كانوا هم الخاسرين) وفى هذا الابتداء معنى الاختصاص كأنه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بأن أهلكوا واستؤصلوا كأن لم يقيموا فى دارهم لأن الذين اتبعوا شعيبا قد أنجاهم الله الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بالخسران العظيم دون اتباعه فانهم الرابحون وفى هذا الاستئناف والابتداء وهذا التكرير مبالغة فى رد مقالة الملا لاشياعهم وتسفيه لرأيهم واستهزاء بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم * الاسى شدة الحزن قال العجاج * وانحلبت عيناه من فرط الاسى * اشتد حزنه على قومه ثم أنكر على نفسه فقال فكيف يشتد حزنى على قوم ليسوا بأهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم ويجوز أن يريد لقد أعذرت اليكم فى الابلاغ والنصيحة والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا قولى ولم تصدقونى فكيف آسى عليكم يعنى أنه لا يأسى عليهم لانهم ليسوا أحقاء بالاسى * وقرأ يحيى بن وثاب فكيف ايسى بكسر الهمزة (الا أخذنا أهلها بالبأساء) بالبؤس والفقر (والضراء) بالضر والمرض لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه (لعلهم يضرعون) ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا أردية الكبر والعزة (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) أى أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والصحة والسعة كقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات (حتى عفوا) كثروا ونموا فى أنفسهم وأموالهم من قولهم عفا النبات وعفا الشحم والوبر اذا كثرت ومنه قوله صلى الله عليه وسلم وأعفوا اللحى وقال الحطيئة

* بمستأسد القريان عاف نباته * وقال

ولكنا نعض السيف منها * بأسوق عافيات الشحم كوم

(وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء) يعنى وأبطرتهم النعمة وأشروا فقالوا هذه عادة الدهر يعاقب فى الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا نحو ذلك وما هو بابتلاء من الله لعباده فلم يبق بعد ابتلائهم بالسيئات والحسنات الا أن نأخذهم بالعذاب (فأخذناهم) أشد الاخذ وأفظعه وهو أخذهم فجأة من غير شعور منهم * اللام فى القرى اشارة الى القرى التى دل عليها قوله وما أرسلنا فى قرية من نبى كأنه قال ولو أن أهل تلك القرى الذين كذبوا وأهلكوا (آمنوا) بدل كفرهم (واتقوا) المعاصى مكان ارتكابها (لفتحنا عليهم

وسع ربنا كل شئ علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين وما أرسلنا فى قرية من نبى الا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم

بالانفراد بعلم الغائبات والله أعلم * عاد كلامه (قال ويجوز أن يكون المراد حسم طمعهم الخ) قال أحمد وهذا من الطراز الاول فالحقه به وصفا صفا

* قوله تعالى أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم (قال ان قلت بم يتعلق قوله ونطبع على قلوبهم الخ) قال أحمد بل يجوز والله عطفه عليه ولا يلزم أن يكون المخاطبون موصوفين بالطبع ولا يضرهم ان كانوا كفارا أو مقترفين للذنوب فليس الطبع من لوازم اقتراف الذنب ولا بد اذ الطبع هو التمادي على الكفر والاصرار والغلو في التصميم حتى يكون الموصوف به مأيوسا من قبوله للحق ولا يلزم (٤٩٨) أن يكون كل كافر بهذه المثابة بل ان الكافر يهدد من تماديه على كفره بان يطبع الله على قلبه فلا يؤمن أبدا وهو مقتضى العطف على أصبناهم فتكون الآية قد هددتهم بأمرين أحدهما الاصابة ببعض ذنوبهم والآخر الطبع على قلوبهم وهذا الثاني أشد من الاول وهو أيضا نوع من الاصابة بالذنوب أو العقوبة عليها لكنه أنكى أنواع العذاب وأبلغ صنوف العقاب وكثيرا ما يعاقب الله على الذنب بالايقاع في ذنب أكبر منه على الكفر بزيادة التصميم عليه والعتو يجيء فيه كما قال تعالى فزادتهم رجسا الى رجسهم كما زادت المؤمنين ايمانا الى ايمانهم وهذا النوع من الثواب والعقاب مناسب لما كان سببا فيه وجزاء عليه فثواب الايمان ايمان وثواب الكفر كفر وانما الزمخشري يحاذر من هذا الوجه دخول الطبع في مشيئة الله تعالى وذلك عنده محال لانه قبيح والله عنده متعال وأنى يتم الفرار من الحق وكم من آية صرحت بوقوع الطبع من الله فضلا عن تعلق المشيئة به

بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد أهلها ان لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل

بركات من السماء والارض) لآتيناهم بالخير من كل وجه وقيل أراد المطر والنبات (ولكن كذبوا فأخذناهم) بسوء كسبهم ويجوز أن تكون اللام في القرى للجنس (فان قلت) ما معنى فتح البركات عليهم (قلت) تيسيرها عليهم كما يتيسر أمر الابواب المستغلقة بفتحها ومنه قولهم فتحت على القارئ اذا تعذرت عليه القراءة فيسرتها عليه بالتلقين * البيات يكون بمعنى البيتوتة يقال بات بياتا ومنه قوله تعالى فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون وقد يكون بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم يقال بيته العدو بياتا فيجوز أن يراد أن يأتيهم بأسنا بائتين أو وقت بيات أو مبيتا أو مبيتين أو يكون بمعنى تبييتا كأنه قيل أن يبيتهم بأسنا بياتا و(ضحى) نصب على الظرف يقال أتانا ضحى وضحيا وضحاء والضحى في الاصل اسم لضوء الشمس اذا أشرقت وارتفعت * والفاء والواو في أفأمن وأوأمن حرفا عطف دخلت عليهما همزة الانكار (فان قلت) ما المعطوف عليه ولم عطفت الاولى بالفاء والثانية بالواو (قلت) المعطوف عليه قوله فأخذناهم بغتة وقوله ولو أن أهل القرى الى يكسبون وقع اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه وانما عطف بالفاء لان المعنى فعلوا وصنعوا فأخذناهم بغتة أبعد ذلك أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وأمنوا أن يأتيهم بأسنا ضحى * وقرئ أو أمن على العطف بأو (وهم يلعبون) يشتغلون بما لا يجدي عليهم كأنهم يلعبون (فان قلت) فلم رجع فعطف بالفاء قوله (أفأمنوا مكر الله) (قلت) هو تكرير لقوله أفأمن أهل القرى ومكر الله استعارة لاخذه العبد من حيث لا يشعر ولاستدراجه فعلى العاقل أن يكون في خوفه من مكر الله كالمحارب الذي يخاف من عدوه الكمين والبيات والغيلة وعن الربيع بن خثيم ان ابنته قالت له مالي أرى الناس ينامون ولا أراك تنام فقال يا بنتاه ان أباك يخاف البيات أراد قوله أن يأتيهم بأسنا بياتا * اذا قرئ أولم يهد بالياء كان أن لو نشاء مرفوعا بأنه فاعله بمعنى أولم يهد للذين يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم ويرثون أرضهم هذا الشأن وهو أنا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم كما أصبنا من قبلهم وأهلكنا الوارثين كما أهلكنا الموروثين واذا قرئ بالنون فهو منصوب كأنه قيل أولم يهد الله للوارثين هذا الشأن بمعنى أولم نبين لهم أنا (لو نشاء أصبناهم بذنوبهم) كما أصبنا من قبلهم وانما عدي فعل الهداية باللام لانه بمعنى التبيين (فان قلت) بم تعلق قوله تعالى (ونطبع على قلوبهم) (قلت) فيه أوجه أن يكون معطوفا على ما دل عليه معنى أولم يهد كأنه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم أو على يرثون الارض أو يكون منقطعا بمعنى ونحن نطبع على قلوبهم (فان قلت) هل يجوز أن يكون ونطبع بمعنى وطبعنا كما كان لو نشاء بمعنى لو شئنا ويعطف على أصبناهم (قلت) لا يساعد عليه المعنى لان القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم موصوفين بصفة من قبلهم من اقتراف الذنوب والاصابة بها وهذا التفسير يؤدي الى خلوهم عن هذه الصفة وأن الله تعالى لو شاء لاتصفوا بها (تلك القرى نقص عليك من أنبائها) كقوله هذا بعلي شيخا في أنه مبتدأ وخبر وحال ويجوز أن يكون القرى صفة لتلك ونقص خبرا وأن يكون القرى نقص خبرا بعد خبر (فان قلت) ما معنى تلك القرى حتى يكون كلاما مفيدا (قلت) هو مفيد ولكن بشرط التقييد بالحال كما يفيد بشرط التقييد بالصفة في قولك هو الرجل الكريم (فان قلت) ما معنى الاخبار عن القرى بنقص عليك من أنبائها (قلت) معناه أن تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض أنبائها ولها أنباء غيرها لم نقصها عليك (فما كانوا ليؤمنوا) عند مجيء الرسل بالبينات بما كذبوه من آيات الله من قبل

* قوله تعالى انى رسول من رب العالمين حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق (قال فيه أربع قرآآت المشهورة وحقيق على أن لا أقول الخ) قال أحمد القلب يستعمل فى اللغة على وجهين أحدهما قلب الحقيقة الى المجاز لوجه من المبالغة كقوله

* وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر * وكقوله قد صرح السر عن كتمان وابتذلت * وضع المحاجن بالمهرية الدقن *

فالحقيقة أن الضياطرة تشقى بالرماح والمهرية تبتذل بالمحاجن فعدل عن ذلك تنبيها على أن الرماح قد تنفصل وتتقصف فى أجوافهم فعبر عن ذلك بالشقاء وان المحاجن كثيرا ما ترفع وتوضع وتستعمل فى ضرب المهرية وربما (٤٩٩) تمزقت عن ذلك فجعل ذلك ابتذالا لها وقد حام أبو الطيب حول هذا النوع كثيرا فى أمثال قوله

كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لأكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون انى رسول من رب العالمين حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معى بنى اسرائيل قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين فألقى عصاه فاذا هى

مجىء الرسل أوفيما كانوا ليؤمنوا الى آخر أعمارهم بما كذبوا به أولا حين جاءتهم الرسل أى استمروا على التكذيب من لدن مجىء الرسل اليهم الى أن ماتوا مصرين لا يرعوون ولا تلين شكيمتهم فى كفرهم وعنادهم مع تكرر المواعظ عليهم وتتابع الآيات ومعنى اللام تأكيد النفى وأن الايمان كان منافيا لحالهم فى التصميم على الكفر وعن مجاهد هو كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه (كذلك) مثل ذلك الطبع الشديد نطبع على قلوب الكافرين (وما وجدنا لأكثرهم من عهد) الضمير للناس على الاطلاق أى وما وجدنا لأكثر الناس من عهد يعنى أن أكثرهم نقض عهد الله وميثاقه فى الايمان والتقوى (وان وجدنا) وان الشأن والحديث وجدنا أكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة مارقين والآية اعتراض ويجوز أن يرجع الضمير الى الامم المذكورين وأنهم كانوا اذا عاهدوا الله فى ضر ومخافة لئن أنجيتنا لنؤمنن ثم نجاهم نكثوا كما قال قوم فرعون لموسى عليه السلام لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك الى قوله اذا هم ينكثون والوجود بمعنى العلم من قولك وجدت زيدا ذا الحفاظ بدليل دخول ان المخففة واللام الفارقة ولا يسوغ ذلك الا فى المبتدا والخبر والافعال الداخلة عليهما (من بعدهم) الضمير للرسل فى قوله ولقد جاءتهم رسلهم أو للامم (فظلموا بها) فكفروا بآياتنا أجرى الظلم مجرى الكفر لانهما من واد واحد ان الشرك لظلم عظيم أو فظلموا الناس بسببها حين أوعدوهم وصدوهم عنها وآذوا من آمن بها ولانه اذا وجب الايمان بها فكفروا بدل الايمان كان كفرهم بها ظلما فلذلك قيل فظلموا بها أى كفروا بها واضعين الكفر غير موضعه وهو موضع الايمان * يقال لملوك مصر الفراعنة كما يقال لملوك فارس الاكاسرة فكأنه قال يا ملك مصر وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان (حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق) فيه أربع قرآآت المشهورة وحقيق على أن لا أقول وهى قراءة نافع وحقيق أن لا أقول وهى قراءة عبد الله وحقيق بأن لا أقول وهى قراءة أبى وفى المشهورة اشكال ولا تخلو من وجوه أحدها أن تكون مما يقلب من الكلام لامن الالباس كقوله

* وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر * ومعناه وتشقى الضياطرة بالرماح وحقيق على أن لا أقول وهى قراءة نافع والثانى أن ما لزمك فقد لزمته فلما كان قول الحق حقيقا عليه كان هو حقيقا على قول الحق أى لازما له والثالث أن يضمن حقيق معنى حريص كما ضمن هيجنى معنى ذكرنى فى بيت الكتاب والرابع وهو الاوجه الادخل فى نكت القرآن أن يغرق موسى فى وصف نفسه بالصدق فى ذلك المقام لاسيما وقد روى أن عدو الله فرعون قال له لما قال انى رسول من رب العالمين كذبت فيقول أنا حقيق على قول الحق أى واجب على قول الحق أن أكون أنا قائله والقائم به ولا يرضى الا بمثلى ناطقا به (فأرسل معى بنى اسرائيل) فخلهم حتى يذهبوا معى راجعين الى الارض المقدسة التى هى وطنهم ومولد آبائهم وذلك أن يوسف عليه السلام لما توفى وانقرضت الاسباط غلب فرعون نسلهم واستعبدهم فأنقذهم الله بموسى عليه السلام وكان بين اليوم الذى دخل يوسف مصر واليوم الذى دخله موسى أربعمائة عام (فان قلت) كيف قال له (فأت بها) بعد

والسيف يشقى كما تشقى الضلوع به * وللسيوف كما للناس آجال والمراد بشقاء السيف انقطاعه فى أضلاع المضروب كما صرح بذلك فى قوله

طوال الردينيات يقصفها دمى * وبيض السريجيات يقطعها لحمى

الوجه الثانى قلب معرى عن هذا المعنى البليغ ولذلك لا يستفصح كقولهم خرق الثوب المسمار وأشباهه وعلى الوجه الاول الافصح جاءت الآية على هذه القراءة وهو الوجه الرابع من وجوه الزمخشرى وفى طيه من المبالغة ما نبهت عليه وأما الوجه الثانى وهو أن ما لزمك فقد لزمته ففيه نظر من حيث ان اللزوم قد يكون من أحد الطرفين دون الآخر ولزوم موسى عليه السلام لقول الحق من هذا النمط وأما الوجه الثالث فلا يلائم بين القراءتين وقد ذكر لها وجه خامس وهو أن يكون على بمعنى الباء وقد نقل رميت على القوس بمعنى رميت بالقوس وهو وجه حسن يلائم والله أعلم ويشهد له قراءة أبى حقيق بأن لا أقول

قوله تعالى سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم (قال معناه أروها بالحيل والشعوذة الخ) قال أحمد معتقد المعتزلة انكار وجود السحر والشياطين والجن في خبط طويل لهم ومعتقد أهل السنة اقرار الظواهر على ما هي عليه لأن العقل لا يحيل وجود ذلك وقد ورد السمع بوقوعه فوجب الاقرار بوجوده ولا يمتنع عند أهل السنة أن يرقى الساحر في الهواء ويستدق فيتولج في الكوة الضيقة ولا يمتنع أن يفعل الله عند ارشاد الساحر ما يستأثر الاقتدار عليه وذلك واقع بقدرة الله تعالى عند ارشاد الساحر هذا هو الحق والمعتقد الصدق وانما أجريت هذا الفصل لأن كلام الزمخشري لا يخلو من رمز الى انكاره الا أن هذا النص القاطع بوقوعه يلجمه عن التصريح تسعى بالدفاع وكشف القناع ولا يدعه التصميم على اعتقاد المعتزلة من التنفيس عما في نفسه فيسميه شعوذة وحيلة و بالقطع يعلم ان الشعوذة

ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين قالوا يا موسى اما أن تلقي واما أن نكون نحن الملقين قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس

قوله ان كنت جئت بآية (قلت) معناه ان كنت جئت من عند من أرسلك بآية فأتني بها وأحضرها عندي لتصح دعواك ويثبت صدقك (ثعبان مبين) ظاهر أمره لا يشك في انه ثعبان وروي أنه كان ثعبانا ذكرا أشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الأسفل في الأرض ولحيه الأعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون ليأخذه فوثب فرعون من سريره وهرب وأحدث ولم يكن أحدث قبل ذلك وهرب الناس وصاحوا وحمل على الناس فانهزموا فمات منهم خمسة وعشرون ألفا قتل بعضهم بعضا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى خذه وأنا أومن بك وأرسل معك بني اسرائيل فأخذه موسى فعاد عصا (فان قلت) بم يتعلق (للناظرين) (قلت) يتعلق ببيضاء والمعنى فاذا هي بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضها بياضا عجيبا خارجا عن العادة يجتمع الناس للنظر اليه كما تجتمع النظارة للعجائب وذلك ما روي أنه أرى فرعون يده وقال ما هذه قال يدك ثم أدخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاعها شعاع الشمس وكان موسى عليه السلام آدم شديد الأدمة (ان هذا لساحر عليم) أي عالم بالسحر ماهر فيه قد أخذ عيون الناس بخدعة من خدعه حتى خيل اليهم العصا حية والآدم أبيض (فان قلت) قد عزي هذا الكلام الى فرعون في سورة الشعراء وأنه قاله للملأ وعزي ههنا اليهم (قلت) قد قاله هو وقالوه هم فحكي قوله ثم وقولهم ههنا أو قاله ابتداء فتلقنه منه الملأ فقالوه لأعقابهم أو قالوه عنه للناس على طريق التبليغ كما يفعل الملوك يرى الواحد منهم الرأي فيكلم به من يليه من الخاصة ثم تبلغه الخاصة العامة والدليل عليه أنهم أجابوه في قولهم (أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم) وقرئ سحار أي يأتوك بكل ساحر مثله في العلم والمهارة أو بخير منه وكانت هذه مؤامرة مع القبط وقولهم فماذا تأمرون من أمرته فأمرني بكذا اذا شاورته فأشار عليك برأي وقيل فماذا تأمرون من كلام فرعون قاله للملأ لما قالوا له ان هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم كأنه قيل قال فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه ومعنى أرجه وأخاه أخرهما وأصدرهما عنك حتى ترى رأيك فيهما وتدبر أمرهما وقيل احبسهما وقرئ أرجئه بالهمزة وأرجه من أرجأه وأرجاه (فان قلت) هلا قيل وجاء السحرة فرعون فقالوا (قلت) هو على تقدير سائل سأل ما قالوا اذ جاؤه فأجيب بقوله (قالوا أئن لنا لأجرا) أي جعلا على الغلبة وقرئ ان لنا لأجرا على الاخبار واثبات الأجر العظيم وايجابه كأنهم قالوا لا بد لنا من أجر والتنكير للتعظيم كقول العرب ان له لابلا وان له لغنما يقصدون الكثرة (فان قلت) (وانكم لمن المقربين) ما الذي عطف عليه (قلت) هو معطوف على محذوف سد مسده حرف الايجاب كأنه قال ايجابا لقولهم ان لنا لأجرا نعم ان لكم لأجرا وانكم لمن المقربين أراد اني لا أقتصر بكم على الثواب وحده وان لكم مع الثواب ما يقل معه الثواب وهو التقريب والتعظيم لأن المثاب انما يتهنأ بما يصل اليه ويغتبط به اذا نال معه الكرامة والرفعة وروي أنه قال لهم تكونون أول من يدخل وآخر من يخرج وروي أنه دعا برؤساء السحرة ومعلميهم فقال لهم ما صنعتم قالوا قد عملنا سحرا لا يطيقه سحرة أهل الأرض الا أن يكون أمرا من السماء فانه لا طاقة لنا به وروي أنهم كانوا ثمانين ألفا وقيل سبعين ألفا وقيل بضعة وثلاثين ألفا واختلفت الروايات فمن مقل ومن مكثر وقيل كان يعلمهم مجوسيان من أهل نينوى وقيل قال فرعون لا نغالب موسى الا بما هو منه يعني السحر * تخييرهم اياه أدب حسن راعوه معه كما يفعل أهل الصناعات اذا التقوا كالمتناظرين قبل أن يتخاوضوا في الجدال والمتصارعين قبل أن يتأخذوا للصراع وقولهم (واما أن نكون نحن الملقين) فيه ما يدل على رغبتهم في أن يلقوا قبله من تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر أو تعريف الخبر واقحام الفصل وقد سوغ لهم موسى ما تراغبوا فيه ازدراء لشأنهم وقلة مبالاة بهم وثقة بما كان بصدده من التأييد السماوي وان المعجزة لن يغلبها سحر أبدا (سحروا أعين الناس) أروها بالحيل والشعوذة وخيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه كقوله تعالى يخيل اليه من سحرهم أنها

واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم وأوحينا الى موسى أن ألق عصاك فاذا هي تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين وألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين قالوا انا الى ربنا منقلبون وما تنقم منا الا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك وآلهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون

تسعى روى أنهم ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا هي أمثال الحيات قد ملأت الارض وركب بعضها بعضا (واسترهبوهم) وأرهبوهم ارهابا شديدا كأنهم استدعوا رهبتهم (بسحر عظيم) في باب السحر روى أنهم لوّنوا حبالهم وخشبهم وجعلوا فيها ما يوهم الحركة قيل جعلوا فيها الزئبق (ما يأفكون) ما موصولة أو مصدرية يعني ما يأفكونه أي يقلبونه عن الحق الى الباطل ويزوّرونه أو افكهم تسمية للمأفوك بالافك روى أنها لما تلقفت ملء الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت عصى كما كانت وأعدم الله بقدرته تلك الاجرام العظيمة أو فرقها أجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا (فوقع الحق) فحصل وثبت ومن بدع التفاسير فوقع قلوبهم أي فأثر فيها من قولهم قاس وقيح (وانقلبوا صاغرين) وصاروا أذلاء مبهوتين (وألقي السحرة) وخروا سجدا كأنما ألقاهم ملق لشدة خرورهم وقيل لم يتمالكوا مما رأوا فكأنهم ألقوا عن قتادة كانوا أول النهار كفارا سحرة وفي آخره شهداء بررة وعن الحسن تراه ولد في الاسلام ونشأ بين المسلمين يبيع دينه بكذا وكذا وهؤلاء كفار نشؤا في الكفر بذلوا أنفسهم لله (آمنتم به) على الاخبار أي فعلتم هذا الفعل الشنيع توبيخا لهم وتقريعا وقرئ أآمنتم بحرف الاستفهام ومعناه الانكار والاستبعاد (ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة) ان صنعكم هذه الحيلة احتلتموها أنتم وموسى في مصر قبل أن تخرجوا منها الى هذه الصحراء قد تواطأتم على ذلك لغرض لكم وهو أن تخرجوا منها القبط وتسكنوها بني اسرائيل وكان هذا الكلام من فرعون تمويها على الناس لئلا يتبعوا السحرة في الايمان وروى أن موسى عليه السلام قال للساحر الاكبر أتؤمن بي ان غلبتك قال لآتين بسحر لا يغلبه سحر وان غلبتني لأومنن بك وفرعون يسمع فلذلك قال ما قال (فسوف تعلمون) وعيد أجمله ثم فصله بقوله (لأقطعن) وقرئ لأقطعن بالتخفيف وكذلك ثم لأصلبنكم (من خلاف) من كل شق طرفا وقيل ان أول من قطع من خلاف وصلب لفرعون (انا الى ربنا منقلبون) فيه أوجه أن يريدوا انا لا نبالي بالموت لانقلابنا الى لقاء ربنا ورحمته وخلاصنا منك ومن لقائك أو ننقلب الى الله يوم الجزاء فيثيبنا على شدائد القطع والصلب أو انا جميعا يعنون أنفسهم وفرعون ننقلب الى الله فيحكم بيننا أو انا لا محالة ميتون منقلبون الى الله فما تقدر أن تفعل بنا الا ما لا بد لنا منه (وما تنقم منا الا أن آمنا) وما تعيب منا الا الايمان بآيات الله أراد وما تعيب منا الا ما هو أصل المناقب والمفاخر كلها وهو الايمان ومنه قوله * ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * (أفرغ علينا صبرا) هب لنا صبرا واسعا وأكثره علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء افراغا وعن بعض السلف ان أحدكم ليفرغ على أخيه ذنوبا ثم يقول قد مازحتك أي يغمره بالحياء والخجل أو صب علينا ما يطهرنا من أوضار الآثام وهو الصبر على ما توعدنا به فرعون لانهم علموا انهم اذا استقاموا وصبروا كان ذلك مطهرة لهم (وتوفنا مسلمين) ثابتين على الاسلام (ويذرك) عطف على ليفسدوا لانه اذا تركهم ولم يمنعهم وكان ذلك مؤديا الى ما دعوه فسادا والى تركه وترك آلهته فكأنه تركهم لذلك أو هو جواب للاستفهام بالواو كما يجاب بالفاء نحو قول الحطيئة

ألم أك جاركم ويكون بيني * وبينكم المودة والاخاء

والنصب باضمار ان تقديره أيكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وآلهتك وقرئ ويذرك وآلهتك بالرفع عطفا على أتذر موسى بمعنى أتذره وأيذرك يعني تطلق له ذلك أو يكون مستأنفا أو حالا على معنى أتذره وهو يذرك وآلهتك وقرأ الحسن ويذرك بالجزم كأنه قيل يفسدوا كما قرئ وأكن من الصالحين كأنه قيل أصدق وقرأ أنس رضي الله عنه ونذرك بالنون والنصب أي يصرفنا عن عبادتك فنذرها وقرئ ويذرك والاهتك أي عبادتك وروى انهم قالوا له ذلك لانه وافق السحرة على الايمان ستمائة ألف نفس فأرادوا بالفساد في الارض ذلك وخافوا أن يغلبوا على الملك وقيل صنع فرعون لقومه أصناما وأمرهم ان يعبدوها تقربا اليه كما يعبد عبدة الاصنام الاصنام ويقولون ليقربونا الى الله زلفى ولذلك قال أنا ربكم الاعلى (سنقتل أبناءهم) يعني سنعيد عليهم ما كنا محناهم به من قتل الابناء ليعلموا انا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر وانهم مقهورون تحت أيدينا كما كانوا وان غلبة موسى لا أثر لها في ملكنا واستيلائنا ولئلا يتوهم العامة انه هو المولود الذي

لا تعلق في يد ابن عمر رضي الله عنه حتى يكوعها ولا تؤثر في سد الشعر حتى يخيل اليه أنه يأتي نساءه وهو لا يأتيهن وقد ورد ذلك وأمثاله مستفيضا واتفقا فالعمدة ان كل واقع فبقدرة الله تعالى فلا يمتنع أن يوقع تعالى بقدرته عند ارشاد الساحر أعاجيب يضل بها من يشاء ويهدي من يشاء والله الموفق

* قوله تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون الى قوله يعلمون (قال فيه معنى لعلهم يذكرون يتنبهون لان ذلك كان لاصرارهم الخ) قال أحمد دلت اللام على دعواهم استحقاق الحسنة وأما دعوى اختصاصها لهم حتى لا يشركهم فيها أحد فدل عليه تقدير الخبر الذى هو لنا (٥٠٢) وقد علمت طريقة المصنف فى اسناده الحصر من تقديم ما حقه أن يؤخر كالمفعول والخبر ونحو ذلك ما عادة كلامه (قال فان قلت كيف قيل فاذا جاءتهم الحسنة الخ) قال أحمد وقد ورد وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا

أخبر المنجمون والكهنة بذهاب ملكه على يده فيئس طوائف من ذلك عن طاعته وأوعدهم الى اتباعه وانه منتظر بعد (قال موسى لقومه استعينوا بالله) قال لهم ذلك حين قال فرعون سنقتل أبناءهم فجزعوا منه وتضجروا يسكنهم ويسليهم ويعدهم النصرة عليهم ويذكر لهم ما وعد الله بنى اسرائيل من اهلاك القبط وتوريثهم أرضهم وديارهم (فان قلت) لم أخليت هذه الجملة عن الواو وأدخلت على التى قبلها (قلت) هى جملة مبتدأة مستأنفة وأما وقال الملأ فمعطوفة على ما سبقها من قوله قال الملأ من قوم فرعون * وقوله (ان الارض لله) يجوز أن تكون اللام للعهد ويراد أرض مصر خاصة كقوله وأورثنا الارض وأن تكون للجنس فيتناول أرض مصر لانها من جنس الارض كما قال ضمرة انما المرء بأصغريه فأراد بالمرء الجنس وغرضه أن يتناوله تناولا أوليا (والعاقبة للمتقين) بشارة بان الخاتمة المحمودة للمتقين منهم ومن القبط وأن المشيئة متناولة لهم وقرأ والعاقبة للمتقين بالنصب أبى وابن مسعود عطفا على الارض (أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا) يعنون قتل أبنائهم قبل مولد موسى عليه السلام الى أن استنبئ واعادته عليهم بعد ذلك وما كانوا يستعبدون به ويمتهنون فيه من أنواع الخدم والمهن ويمسون به من العذاب (عسى ربكم أن يهلك عدوكم) تصريح بما رمز اليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو اهلاك فرعون واستخلافهم بعده فى أرض مصر (فينظر كيف تعملون) فيرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم وعن عمرو بن عبيد رحمه الله أنه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف أو رغيفان فطلب زيادة لعمرو فلم توجد فقرأ عمرو هذه الآية ثم دخل عليه بعد ما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقى فينظر كيف تعملون (بالسنين) بسنى القحط والسنة من الاسماء الغالبة كالدابة والنجم ونحو ذلك وقد اشتقوا منها فقالوا أسنت القوم بمعنى أقحطوا وقال ابن عباس رضى الله عنه أما السنون فكانت لباديتهم وأهل مواشيهم وأما نقص الثمرات فكان فى أمصارهم وعن كعب يأتى على الناس زمان لا تحمل النخلة الا تمرة (لعلهم يذكرون) فيتنبهوا على أن ذلك لاصرارهم على الكفر وتكذيبهم لآيات الله ولان الناس فى حال الشدة أضرع خدودا وألين أعطافا وأرق أفئدة وقيل عاش فرعون أربعمائة سنة ولم ير مكروها فى ثلثمائة وعشرين سنة ولو أصابه فى تلك المدة وجع أو جوع أو حمى لما ادعى الربوبية (فاذا جاءتهم الحسنة) من الخصب والرخاء (قالوا لنا هذه) أى هذه مختصة بنا ونحن مستحقوها ولم نزل فى النعمة والرفاهية واللام مثلها فى قولك الجل للفرس (وان تصبهم سيئة) من ضيقة وجدب (يطيروا بموسى ومن معه) يتطيروا بهم ويتشاءموا ويقولوا هذه بشؤمهم ولولا مكانهم لما أصابتنا كما قالت الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذه من عندك (فان قلت) كيف قيل فاذا جاءتهم الحسنة باذا وتعريف الحسنة وان تصبهم سيئة بان وتنكير السيئة (قلت) لان جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه وأما السيئة فلا تقع الا فى الندرة ولا يقع الا شئ منها ومنه قول بعضهم قد عددت أيام البلاء فهل عددت أيام الرخاء (طائرهم عند الله) أى سبب خيرهم وشرهم عند الله وهو حكمه ومشيئته والله هو الذى يشاء ما يصيبهم من الحسنة والسيئة وليس شؤم أحد ولا يمنه بسبب فيه كقوله تعالى قل كل من عند الله * ويجوز أن يكون معناه ألا انما سبب شؤمهم عند الله وهو عملهم المكتوب عنده الذى يجرى عليهم ما يسوءهم لاجله ويعاقبون له بعد موتهم بما وعدهم الله فى قوله سبحانه النار يعرضون عليها لا طائر أشأم من هذا وقرأ الحسن انما طيركم عند الله وهو اسم لجمع طائر غير تكسير ونظيره التجر والركب وعند أبى الحسن هو تكسير (مهما) هى ما المضمنة معنى الجزاء ضمت اليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء فى قولك متى

قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض فينظر كيف تعملون ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا انما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون وقالوا مهما تأتنا به

هذه من عندك فلم يراع فرق ما بينهما ولعل بين سياق الآيتين اختلافا أوجب فى كل واحد منهما ما ذكر فيه قوله تعالى وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين (قال مهما هى ما المضمنة معنى الجزاء ضمت اليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء الخ) قال أحمد والذى عده أولا من كلام سيبويه وسنذكره قال سيبويه وسألت الخليل عن مهما فقال هى ما أدخلت معها ما لغوا بمنزلتها مع متى اذا قلت متى ما تأتنى آتك انتهى كلام سيبويه وكان هذا القائل والله أعلم اغتر بتشبيه الخليل لها بمتى ما فظنها فى معناها وانما شبه الخليل بالثانية من مهما فى

لحاقها زائدة مؤكدة للاولى بما الاحقة لتى عاد كلام سيبويه قال ولكنهم استقبحوا تكرير لفظ واحد فأبدلوا الهاء من الالف التى فى الاولى انتهى نقله عن الخليل قال سيبويه ويجوز أن تكون كاذ ضمت اليها ما انتهى كلامه * قال أحمد ومعنى تشبيه سيبويه لها باذما أن الجزاء بجملة الكلمة لا بالجزء الاول منها خاصة والا لكان عين مذهب الخليل والذى يحقق ذلك أن سيبويه قال أول هذا الباب وأما حيث واذ فلا يجازى بهما حتى يضم اليهما ما فتصير اذ مع ما بمنزلة انما وكأنما وليست ما فيهما بلغو ولكن كل واحدة منهما مع ما بمنزلة حرف واحد فانظر قوله وليست ما فيهما بلغو يعنى ليست زائدة مؤكدة ولكن لها حظ فى اقتضاء الجزاء حتى لا يفيده الا اجتماع جزئى الكلمة وبقى وراء ذلك نظر فى أن سيبويه هل أراد أن ما ضمت الى مه التى هى الصوت أو الى ما الجزائية (٥٠٣) والظاهر من مراده ان انضمامها الى الصوت لانها لو كانت منضمة الى ما الجزائية لكانت مستقلة بافادة الجزاء قبل انضمام ما اليها ولا تكون مثل اذا وحيث ولا يكون تنظير سيبويه مطابقا وهذا الذى فهمه ابن طاهر وتبعه فيه تلميذه ابن خروف وعزا ابن خروف هذا المذهب الى سيبويه ورد قول

من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم

ابن باب شاذ ان هذا المذهب للخليل خاصة وقد تواطأ ابن باب شاذ والزمخشرى على نقل هذا المذهب عن سيبويه وازالته الى غيره وأظهر ما قوى به مذهب الخليل والله أعلم ان هذه الكلمة استعملت فى الاستفهام حسب استعمالها فى الجزاء وأنشدوا مهما لى الليلة مهما ليه * أودى بنعلى وسربالية أراد ما لى الليلة ولا اشكال هنا انها ما الاستفهامية كررت تأكيدا كما يقولون لا لا ونعم نعم ثم استكره تكرار اللفظ بعينه فقلبت ألف الاولى هاء وقد جاء قلب الاستفهامية وان لم يكن تكرار فهو مع معه أجدر واذا وضح ان مهما الواقعة فى الاستفهام أصلها ما مكررة كان ذلك أوضح دليل على ان الواقعة فى الجزاء كذلك والاستشهاد بالنظائر أميز صحيح العربية والله أعلم وأما رد الزمخشرى على من زعم انها بمعنى متى ما فرد صحيح والآية أصدق شاهد على رده فان الضمير المجرور فيها عائد الى مهما حتما وقد اتصل به مفسرا له قوله من آية دل أن الضمير واقع على الآية فلزم وقوع مهما عليها ضرورة ايجاد المرجع فى المضمر ومظهره فذهاب هذا القائل الى ايقاع مهما على الوقت زاعما أنها بمعنى متى ما ذهاب عن الصواب وعذر الزمخشرى واضح فى الرد على تسجيله واغلاظ النكير عليه وتفويق سهام التشنيع اليه فتأمل هذا الفصل ففيه اثارة

ما تضرب أضرب أينما تكونوا يدرككم الموت فلما أنذهبن بك الا أن الالف قلبت هاء استثقالا لتكرير المتجانسين وهو المذهب السديد البصرى ومن الناس من زعم أن مه هى الصوت الذى يصوت به الكاف وما للجزاء كانه قيل كف ما تأتنا به (من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين) (فان قلت) ما محل مهما (قلت) الرفع بمعنى أيما شئ تأتنا به أو النصب بمعنى أيما شئ تحضرنا تأتنا به ومن آية تبيين لهما والضميران فى به وبها راجعان الى مهما الا أن أحدهما ذكر على اللفظ والثانى أنث على المعنى لانه فى معنى الآية ونحوه قول زهير

ومهما يكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم

وهذه الكلمة فى عداد الكلمات التى يحرفها من لا يد له فى علم العربية فيضعها غير موضعها ويحسب مهما بمعنى متى ما ويقول مهما جئتنى أعطيتك وهذا من وضعه وليس من كلام واضع العربية فى شئ ثم يذهب فيفسر مهما تأتنا به من آية بمعنى الوقت فيلحد فى آيات الله وهو لا يشعر وهذا وأمثاله مما يوجب الجثو بين يدى الناظر فى كتاب سيبويه (فان قلت) كيف سموها آية ثم قالوا لتسحرنا بها (قلت) ما سموها آية لاعتقادهم أنها آية وانما سموها اعتبارا لتسمية موسى وقصدوا بذلك الاستهزاء والتلهى (الطوفان) ما طاف بهم وغلبهم من مطر أو سيل قيل طفى الماء فوق حروثهم وذلك أنهم مطروا ثمانية أيام فى ظلمة شديدة لا يرون شمسا ولا قمرا ولا يقدر أحدهم أن يخرج من داره وقيل أرسل الله عليهم السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بنى اسرائيل وبيوت القبط مشتبكة فامتلأت بيوت القبط ماء حتى قاموا فى الماء الى تراقيهم فمن جلس غرق ولم تدخل بيوت بنى اسرائيل قطرة وفاض الماء على وجه أرضهم وركد فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف ودام عليهم سبعة أيام وعن أبى قلابة الطوفان الجدرى وهو أول عذاب وقع فيهم فبقى فى الارض وقيل هو الموتان وقيل الطاعون فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فرفع عنهم فما آمنوا فنبت لهم تلك السنة من الكلإ والزرع ما لم يعهد مثله فأقاموا شهرا فبعث الله عليهم الجراد فأكلت عامة زروعهم وثمارهم ثم أكلت كل شئ حتى الابواب وسقوف البيوت والثياب ولم يدخل بيوت بنى اسرائيل منها شئ ففزعوا الى موسى ووعدوه التوبة فكشف عنهم بعد سبعة أيام خرج موسى عليه السلام الى الفضاء فأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد الى النواحى التى جاء منها فقالوا ما نحن بتاركى ديننا فأقاموا شهرا فسلط الله عليهم القمل وهو الحنان فى قول أبى عبيدة كبار القردان وقيل الدبا وهو أولاد الجراد قبل نبات أجنحتها وقيل البراغيث وعن سعيد بن جبير السوس فأكل ما أبقاه الجراد ولحس الارض وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيمصه وكان يأكل أحدهم طعاما فيمتلئ قملا وكان يخرج أحدهم عشرة أجربة الى الرحى فلا يرد منها الا يسيرا وعن سعيد بن جبير انه كان الى جنبهم كثيب أعفر فضربه موسى بعصاه فصار قملا

فأخذت في أبشارهم وأشعارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كأنه الجدري فصاحوا وصرخوا وفزعوا الى موسى فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن أنك ساحر وعزة فرعون لا نصدقك أبدا فأرسل الله عليهم بعد شهر الضفادع فدخلت بيوتهم وامتلأت منها آنيتهم وأطعمتهم ولا يكشف أحد شيأ من ثوب ولا طعام ولا شراب الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل اذا أراد أن يتكلم وثبت الضفدع الى فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم فلا يقدرون على الرقاد وكانت تقذف بأنفسها في القدور وهي تغلي وفي التنانير وهي تفور فشكوا الى موسى وقالوا ارحمنا هذه المرة فما بقي الا أن نتوب التوبة النصوح ولا نعود فأخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد فأرسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما فشكوا الى فرعون فقال انه سحركم فكان يجمع بين القبطي والاسرائيلي على اناء واحد فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما ويستقيان من ماء واحد فيخرج للقبطي الدم وللاسرائيلي الماء حتى ان المرأة القبطية تقول لجارتها الاسرائيلية اجعلي الماء في فيك ثم مجيه في فيّ فيصير الماء في فيها دما وعطش فرعون حتى أشفى على الهلاك فكان يمص الأشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها الطيب ملحا أجاجا وعن سعيد بن المسيب سال عليهم النيل دما وقيل سلط الله عليهم الرعاف وروى أن موسى عليه السلام مكث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات وروى أنه لما أراهم اليد والعصا ونقص النفوس والثمرات قال يارب ان عبدك هذا قد علا في الارض فخذه بعقوبة تجعلها له ولقومه نقمة ولقومي عظة ولمن بعدي آية فحينئذ بعث الله عليهم الطوفان ثم الجراد ثم ما بعده من النقم * وقرأ الحسن والقمل بفتح القاف وسكون الميم يريد القمل المعروف (آيات مفصلات) نصب على الحال ومعنى مفصلات مبينات ظاهرات لا يشكل على عاقل أنها من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره وأنها عبرة لهم ونقمة على كفرهم أو فصل بين بعضها وبعض بزمان تمتحن فيه أحوالهم وينظر أيستقيمون على ما وعدوا من أنفسهم أم ينكثون الزاما للحجة عليهم (بما عهد عندك) ما مصدرية والمعنى بعهده عندك وهو النبوة والباء اما أن تتعلق بقوله ادع لنا ربك على وجهين أحدهما أسعفنا الى ما نطلب اليك من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوة أو ادع الله لنا متوسلا اليه بعهده عندك واما أن يكون قسما مجابا بلنؤمنن أي أقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك (الى أجل هم بالغوه) الى حد من الزمان هم بالغوه لا محالة فمعذبون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الامهال وكشف العذاب الى حلوله (اذا هم ينكثون) جواب لما يعني فلما كشفناه عنهم فاجأوا النكث وبادروا ولم يؤخروه ولكن لما كشف عنهم نكثوا (فانتقمنا منهم) فأردنا الانتقام منهم (فأغرقناهم) * واليم البحر الذي لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه واشتقاقه من التيمم لان المستنفعين به يقصدونه (بأنهم كذبوا بآياتنا) أي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم عنها وقلة فكرهم فيها (القوم الذين كانوا يستضعفون) هم بنو اسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه * والارض أرض مصر والشام ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا كيف شاؤا في أطرافها ونواحيها الشرقية والغربية (باركنا فيها) بالخصب وسعة الارزاق (كلمت ربك الحسنى) قوله ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض الى قوله ما كانوا يحذرون والحسنى تأنيث الاحسن صفة للكلمة ومعنى تمت على بني اسرائيل مضت عليهم واستمرت من قولك تم على الامر اذا مضى عليه (بما صبروا) بسبب صبرهم وحسبك به حاثا على الصبر ودالا على أن من قابل البلاء بالجزع وكله الله اليه ومن قابله بالصبر وانتظار النصر ضمن الله له الفرج وعن الحسن عجبت ممن خف كيف خف وقد سمع قوله وتلا الآية ومعنى خف طاش جزعا وقلة صبر ولم يرزن رزانة أولي الصبر * وقرأ عاصم في رواية وتمت كلمات ربك الحسنى ونظيره من آيات ربه الكبرى (ما كان يصنع فرعون وقومه) ما كانوا يعملون ويسوون من العمارات وبناء القصور (وما كانوا يعرشون) من الجنات وهو الذي أنشأ جنات معروشات أو وما كانوا يرفعون من الابنية المشيدة في السماء كصرح هامان وغيره وقرئ يعرشون بالكسر والضم وذكر اليزيدي أن الكسر أفصح وبلغني أنه قرأ بعض الناس يغرسون من غرس الأشجار وما أحسبه الا تصحيفا منه

وهذا

آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز قالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم بالغوه اذا هم ينكثون فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون وجاوزنا ببني اسرائيل البحر

للسبيل وشفاء للغليل والله الموفق

فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ماهم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال أغير الله أبغيكم الها وهو فضلكم على العالمين واذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هرون اخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب

* وهذا آخر ما اقتص الله من نبأ فرعون والقبط وتكذيبهم بآيات الله وظلمهم ومعاصيهم ثم أتبعه اقتصاص نبأ بنى اسرائيل وما أحدثوه بعد انقاذهم من ملكة فرعون واستعباده ومعاينتهم الآيات العظام ومجاوزتهم البحر من عبادة البقر وطلب رؤية الله جهرة وغير ذلك من أنواع الكفر والمعاصى ليعلم حال الانسان وأنه كما وصفه ظلوم كفار جهول كنود الا من عصمه الله وقليل من عبادى الشكور وليسلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مما رأى من بنى اسرائيل بالمدينة وروى أنه عبر بهم موسى يوم عاشوراء بعد ما أهلك الله تعالى فرعون وقومه فصاموه شكرا لله تعالى (فأتوا على قوم) فمروا عليهم (يعكفون على أصنام لهم) يواظبون على عبادتها ويلازمونها قال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك أول شأن العجل وقيل كانوا قوما من لخم وقيل كانوا من الكنعانيين الذين أمر موسى عليه السلام بقتالهم * وقرئ وجوّزنا بمعنى أجزنا يقال أجاز المكان وجوّزه وجاوزه بمعنى جازه كقولك أعلاه وعلاه وعالاه * وقرئ يعكفون بضم الكاف وكسرها (اجعل لنا الها) صنما نعكف عليه (كما لهم آلهة) أصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف ولذلك وقعت الجملة بعدها وعن على رضى الله عنه أن يهوديا قال له اختلفتم بعد نبيكم قبل أن يجف ماؤه فقال قلتم اجعل لنا الها قبل أن تجف أقدامكم (انكم قوم تجهلون) تعجب من قولهم على أثر ما رأوا من الآية العظمى والمعجزة الكبرى فوصفهم بالجهل المطلق وأكده لانه لاجهل أعظم مما رأى منهم ولا أشنع (ان هؤلاء) يعنى عبدة تلك التماثيل (متبر ماهم فيه) مدمر مكسر ما هم فيه من قولهم اناء متبر اذا كان فضاضا ويقال لكسار الذهب التبر أى يتبر الله ويهدم دينهم الذى هم عليه على يدى ويحطم أصنامهم هذه ويتركها رضاضا (وباطل ما كانوا يعملون) أى ما عملوا شيأ من عبادتها فيما سلف الا وهو باطل مضمحل لا ينتفعون به وان كان فى زعمهم تقربا الى الله كما قال تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وفى ايقاع هؤلاء اسما لان وتقديم خبر المبتدا من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الاصنام بأنهم هم المعرضون للتبار وأنه لا يعدوهم البتة وأنه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض اليهم ما أحبوا (أغير الله أبغيكم الها) أغير المستحق للعبادة أطلب لكم معبودا وهو فضلكم على العالمين (وهو فضلكم) حال من الله أى ما فعل دون غيره من الاختصاص بالنعمة التى لم يعطها أحدا غيركم لتختصوه بالعبادة ولا تشركوا به غيره ومعنى الهمزة الانكار والتعجب من طلبتهم مع كونهم مغمورين فى نعمة الله عبادة غير الله (يسومونكم سوء العذاب) يبغونكم شدة العذاب من سام السلعة اذا طلبها (فان قلت) ما محل يسومونكم (قلت) هو استئناف لا محل له ويجوز أن يكون حالا من المخاطبين أو من آل فرعون و (ذلكم) اشارة الى الانجاء أو الى العذاب * والبلاء النعمة أو المحنة * وقرئ يقتلون بالتخفيف * وروى أن موسى عليه السلام وعد بنى اسرائيل وهو بمصر ان أهلك الله عدوهم أتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين يوما وهو شهر ذى القعدة فلما أتم الثلاثين أنكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك وقيل أوحى الله تعالى اليه أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندى من ريح المسك فأمره الله تعالى أن يزيد عليها عشرة أيام من ذى الحجة لذلك وقيل أمره الله أن يصوم ثلاثين يوما وأن يعمل فيها بما يقربه من الله ثم أنزلت عليه التوراة فى العشر وكلم فيها ولقد أجمل ذكر الاربعين فى سورة البقرة وفصلها ههنا و (ميقات ربه) ما وقته له من الوقت وضربه له و (أربعين ليلة) نصب على الحال أى تم بالغا هذا العدد و (هرون) عطف بيان لأخيه وقرئ بالضم على النداء (اخلفنى فى قومى) كن خليفتى فيهم (وأصلح) وكن مصلحا أو وأصلح ما يجب أن يصلح من أمور بنى اسرائيل * ومن دعاك منهم الى الافساد فلا تتبعه ولا تطعه (لميقاتنا) لوقتنا الذى وقتناه وحددناه ومعنى اللام الاختصاص فكأنه قيل واختص مجيئه بميقاتنا كما تقول أتيته لعشر خلون من الشهر (وكلمه ربه) من غير

* قوله تعالى ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه الآية (قال معناه كلمه بغير واسطة الخ) قال أحمد وهذا تصريح منه بخلق الكلام كما هو معتقد المعتزلة والذى يختص به هذه الآية من وجوه الرد عليه انها سيقت مساق الامتنان على موسى باصطفاء الله تخصيصه اياه بتكليمه وكذلك قال تعالى بعد آيات منها انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين فلو كان تكليم الله يعنى خلق الحروف والاصوات فى بعض الاجرام واسماع موسى لذلك لكان كل أحد يساوى موسى عليه السلام فى ذلك بل كان آحاد أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام آثر بهذه المزية وأحق بالخصوصية من موسى عليه السلام لانهم سمعوا الكلام على الوجه المذكور من أفضل الاجرام وأزكاها خلقا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكانت مزيتهم أظهر وخصوصيتهم أوفر ونحن نعلم ضرورة من سياق هذه الآية تمييز موسى عليه الصلاة والسلام بهذه المزية فلا محمل لذلك الا اعتقاد انه سمع الكلام القديم القائم بذات الله سبحانه وتعالى بلا واسطة دليل عليه من حروف ولا غيرها وكما أجزنا من المعقول أن ترى ذات البارى سبحانه وتعالى وان لم يكن جسما فكذلك نجيز أن يسمع كلامه وان لم يكن حرفا ولا صوتا والكلام فى هذه العقيدة طويل والشوط بطين وهذه النكتة هى الخاصة بهذه الآية والله الموفق * عاد كلامه (قال وقوله أرنى أنظر اليك محذوف المفعول الاول مذكور الثانى والتقدير أرنى نفسك أنظر اليك الخ) قال أحمد ما أشد ما اضطرب كلامه فى هذه الآية لان غرضه أن يدحض الحق بالضلالة ويشين بكفه وجه الغزالة هيهات قد تبين الصبح لذى عينين فالحق أبلج لا يعارجه ريب الاعتقدى وبن أما خط المقول من اجازة رؤية الله تعالى فوظيفة علم الكلام وأحصر وجه فى افادة ذلك ان الوجود مصحح الرؤية بدليل ان جواز الرؤية حكم يستدعى مصححا وقد شمل الجواز الجوهر والعرض ولا جامع بينهما يمكن جعله مصححا سوى الوجود واذا كان الوجود هو المصحح فقد صحت رؤيته تعالى لوجوده وأما السمعاد أن يرى ما ليس فى جهة فأمر وهمى مثله عرض للمعطلة فعميت بصائرهم حتى أنكروا موجودا الا فى جهة ومن اتبع الاوهام اعتسق مهامه الضلال وهام ولو كانت الرؤية تتوقف على جهة المرئى لكانت المعرفة تتوقف على جهة المعروف ولا خلاف انه سبحانه يعرف لا فى جهة فكذلك يرى لا فى جهة فالحق ان موسى عليه السلام انما طلب الرؤية لنفسه لعلمه بجواز ذلك على الله تعالى والقدرية

يجبرهم الطمع ويجرؤهم حتى يروموا أن يجعلوا موسى عليه السلام كان على معتقدهم وماهم حينئذ الا ممن آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها وأما قوله عليه السلام أتهلكنا بما فعل السفهاء منا تبريا من أفعالهم وتسفيها لهم وتضليلا

أرنى أنظر اليك قال لن ترانى

لرأيهم فلا راحة للقدرية فى الاستشهاد به على انكار موسى عليه السلام لجواز الرؤية فان الذى كان الاهلاك بسببه انما هو عبادة العجل فى قول أكثر المفسرين ثم وان كان السبب طلبهم للرؤية فليس لانها غير جائزة على الله ولكن لان الله تعالى أخبر انها لا تقع فى دار الدنيا والخبر صدق وذلك بعد السلام سؤال موسى للرؤية فلما سألوا وقد سمعوا الخبر بعدم وقوعها كان طلبهم خلاف المعلوم تكذيبا للخبر فمن ثم سفههم موسى عليه السلام وتبرأ من طلب ما أخبر الله انه لا يقع ثم ولو كان سؤالهم الرؤية قبل اخبار الله تعالى بعدم وقوعها فانما سفههم موسى عليه السلام لاقتراحهم على الله هذه الآية الخاصة وتوقيفهم الايمان عليها حيث قالوا ان نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ألا ترى ان قولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا القاسا والقيه جائزا ومع ذلك فرعوا به لاقتراحهم على الله ما لا يتوقف وجوب الايمان عليه فهذه المباحث الثلاثة توضح للشمس تطر الزمخشرى بعين الهوى وعمايته عن سبيل الهدى والله الموفق * عاد كلامه (قال فان قلت هلا قال أرهم ينظروا اليك الخ) قال أحمد وهذا الكلام الآخر من الطراز الاول وأقرب شاهد على رده انه لو كان طلب الرؤية لهم حتى اذا سمعوا منع الله تعالى أنها أيقنوا انها ممتنعة لكان طلبها عينا غير مفيد لهذا الغرض لان هؤلاء لا يخلو أمرهم اما أن يكونوا مؤمنين بموسى أو كفارا به فان كانوا مؤمنين به فاخباره اياهم ان الله تعالى لا يرى ولا يجوز عليه ذلك كاف فى حصول المقصود فى غير حاجة الى أن يسأل موسى عليه السلام من الله أن يريه ذاته على علم بان ذلك محال وان كانوا كفارا بموسى عليه السلام فلا يحصل الغرض من ذلك أيضا لان الله تعالى اذا منعه سؤله من الرؤية فانما يثبت ذلك لهم بقول موسى عن الله تعالى انه منعه ذلك وهم كفار بموسى عليه السلام فكيف يفيدهم غيره عن

واسطة كما يكلم الملائكة كلمه أن يخلق الكلام منطوقا به فى بعض الاجرام كما خلقه مخطوطا فى اللوح وروى أن موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة وعن ابن عباس رضى الله عنه كلمه أربعين يوما وأربعين ليلة وكتب له الالواح وقيل انما كلمه فى أول الاربعين (أرنى أنظر اليك) ثانى مفعولى أرنى محذوف أى أرنى نفسك أنظر اليك (فان قلت) الرؤية عين النظر فكيف قيل أرنى أنظر اليك (قلت) معنى أرنى نفسك اجعلنى متمكنا من رؤيتك بأن تتجلى لى فأنظر اليك وأراك (فان قلت) فكيف قال (لن ترانى) ولم يقل لن تنظر الى لقوله أنظر اليك (قلت) لما قال أرنى بمعنى اجعلنى متمكنا من الرؤية التى هى الادراك علم أن الطلبة هى الرؤية لا النظر الذى لا ادراك معه فقيل لن ترانى ولم يقل لن تنظر الى (فان قلت) كيف طلب موسى عليه السلام ذلك وهو من أعلم الناس بالله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز وبتعاليه عن الرؤية التى هى ادراك ببعض الحواس وذلك انما يصح فيما كان فى جهة وما ليس بجسم ولا عرض فمحال أن يكون فى جهة ومنع المجبرة احالته فى العقول غير لازم لانه ليس بأول مكابرتهم وارتكابهم وكيف يكون طالبه وقد قال حين أخذت الرجفة الذين قالوا أرنا الله جهرة أتهلكنا بما فعل السفهاء منا الى قوله تضل بها من تشاء فتبرأ من فعلهم ودعاهم سفهاء وضلالا (قلت) ما كان طلب الرؤية الا ليبكت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضلالا وتبرأ من فعلهم وليلقمهم الحجر وذلك أنهم حين طلبوا الرؤية أنكر عليهم وأعلمهم الخطأ ونبههم على الحق فلجوا وتمادوا فى لجاجهم وقالوا لابد ولن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأراد أن يسمعوا النص من عند الله باستحالة ذلك وهو قوله لن ترانى ليتيقنوا وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة فلذلك قال رب أرنى أنظر اليك (فان قلت) فهلا قال أرهم ينظروا اليك (قلت) لان الله سبحانه انما كلم موسى عليه

الله بامتناع ذلك فهذا أوضح مصداق لان موسى عليه السلام انما طلب الرؤية لنفسه اعتقاد الجوازها على الله تعالى فاخبره الله ان ذلك لا يقع فى الدنيا وان كان جائزا * عاد كلامه (قال وقوله أنظر اليك ومافيه من معنى المقابلة الخ) قال أحمد ودعواه ان النظر يستلزم الجسمية قد سلف ردها وأما تنزيه موسى عليه السلام بنسبة اعتقاد استحالة الرؤية اليه فهو غنى عنه واما اقناعه فى تفضيله بر بحانه عليه السلام فى العلم بالله و بصفاته على واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد والنظام وأبى الهذيل والشيخين فهو نقص عن منصبه العلى واقل العوام المقلدين لاهل السنة راجح عند الله على أصحاب البدع والاهواء وان ملؤا الارض نفاقا وشحنوا مصنفاتهم عناء الاهل السنة وشقاقا فكيف بكليم الله عليه أفضل الصلاة والسلام * عاد كلامه (قال فان قلت مامعنى لن قلت تأكيد النفى الذى تعطيه لا الخ) قال أحمد لن كما قال تشارك لا فى النفى وتمتاز عنها بتأكيده وأما استنباط الزمخشرى من ذلك منافاة الرؤية لحال البارى عز وجل ثم اطلاق الحال على الله تعالى مع يستغفر عنه واستشهاده على ان تشعر باستحالة المنفى بها فعلا لامر دود كثيرا بكثير من الآى كقوله تعالى قل لن تخرجوا معى أبدا فذلك لا يحيل خروجهم عقلا ولن يؤمن من قومك الا من قد آمن لن تتبعونا فهذه كلها جائزات عقلا لولا ان الخبر منع من وقوعها فالرؤية كذلك * عاد كلامه (قال ثم حقق تعالى عند طلب الرؤية مامثله عند نسبة الولد الخ) قال أحمد نسبة

(ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا)

جواز الرؤية الى الله تعالى عند الزمخشرى كنسبة الولد اليه وهذا مفرع على المعتقد السالف بطلانه وليس له فى هذا الفصل وظيفة الا تتبع الشبه لامتناع الرؤية نلقفها من كل فج والحق ان دك الجبل انما كان لان الله عز وجل اظهر له آية من ملكوت السماء ولا تستقر الدنيا لاظهار شئ من ملكوت السماء وهذا هو المأثور عن السلف فى هذه الآية ومعناه عند أبى الحسن رحمه الله فعل فعلا سماه تجليا وكان الغضب اما لانهم طلبوا رؤية جسمانية فى جهة واما لانهم كتموا الخبر بانه لا يرى فى الدنيا واما لانهم كفروا بالاقتراح أو بالمجموع * عاد كلامه (قال ومعنى فان استقر مكانه فان ثبت كما كان ذاهبا الخ) قال أحمد وهذا من حيل القدرية فى احالة الرؤية يقولون قد علقها الله على شرط محال وهو استقرار الجبل حال دكه والمعلق على المحال محال وهذه حيلة باطلة فان المعلق عليه استقرار الجبل من حيث هو استقرار وذلك ممكن جائز وتعلق العلم بانه لا يستقر له لا يرفع امكان استقراره وتعلق العلم لا يغير المعلوم ولا ينقل حكمه من امكان الى امتناع ولا العكس وحينئذ يتوجه دليلا لاهل السنة فنقول استقرار الجبل ممكن وقد علق عليه وقوع الرؤية والمعلق على الممكن ممكن والمعتزلة يعتقدون ان خلاف المعلوم لا يجوز أن يكون مقدورا ونحن نقول مقدور ولكن ماتعلقت المشيئة بايجاده وقولنا أقعد بالآداب واسعد بالاجلال فى الخطاب

السلام وهم يسمعون فلما سمعوا كلام رب العزة أرادوا أن يرى موسى ذاته فيبصروه معه كما أسمعه كلامه فسمعوه معه ارادة مبنية على قياس فاسد فلذلك قال موسى أرنى أنظر اليك ولانه اذا زجر عما طلب وأنكر عليه فى نبوته واختصاصه وزلفته عند الله تعالى وقيل له لن يكون ذلك كان غيره أولى بالانكار ولان الرسول امام أمته فكان مايخاطب به أو مايخاطب راجعا اليهم وقوله انظر اليك ومافيه من معنى المقابلة التى هى محض التشبيه والتجسيم دليل على انه ترجمة عن مقترحهم وحكاية لقولهم وجل صاحب الجمل أن يجعل الله منظورا اليه مقابلا بحاسة النظر فكيف بمن هو أعرق فى معرفة الله تعالى من واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد والنظام وأبى الهذيل والشيخين وجميع المتكلمين (فان قلت) مامعنى لن (قلت) تأكيد النفى الذى تعطيه لا وذلك أن لا تنفى المستقبل تقول لا أفعل غدا فاذا أكدت نفيها قلت لن أفعل غدا والمعنى أن فعله ينافى حالى كقوله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له فقوله لا تدركه الابصار نفى للرؤية فيما يستقبل ولن ترانى تأكيد وبيان لان المنفى مناف لصفاته (فان قلت) كيف اتصل الاستدراك فى قوله (ولكن انظر الى الجبل) بما قبله (قلت) اتصل به على معنى ان النظر الى محال فلا تطلبه ولكن عليك بنظر آخر وهو أن تنظر الى الجبل الذى يرجف بك وبمن طلبت الرؤية لاجلهم كيف أفعل به وكيف أجعله دكا بسبب طلبك الرؤية لتستعظم ما أقدمت عليه بما أريك من عظم أثره كانه عز وعلا حقق عند طلب الرؤية مامثله عند نسبة الولد اليه فى قوله وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا (فان استقر مكانه) كما كان مستقرا ثابتا ذاهبا فى جهاته (فسوف ترانى) تعليق لوجود الرؤية بوجود مالا يكون من استقرار الجبل مكانه حين يدكه دكا ويسويه بالارض وهذا كلام مدمج بعضه فى بعض وارد على أسلوب عجيب ونمط بديع ألا ترى كيف تخلص من النظر الى النظر بكلمة الاستدراك ثم كيف بنى الوعيد بالرجفة الكائنة بسبب طلب النظر على الشريطة فى وجود الرؤية أعنى قوله فان استقر مكانه فسوف ترانى (فلما تجلى ربه للجبل) فلما ظهر له اقتداره وتصدى له أمره وارادته (جعله دكا) أى مدكوكا مصدر بمعنى مفعول كضرب الامير والدك والدق أخوان كالشك والشق وقرئ دكاء والدكاء اسم للرابية الناشزة من الارض كالدكة أو أرضا دكاء مستوية ومنه قولهم ناقة دكاء متواضعة السنام وعن الشعبى قال لى الربيع بن خثيم ابسط يدك دكاء أى مدها مستوية وقرأ يحيى بن وثاب دكا أى قطعا دكا جمع دكاء (وخر موسى صعقا) من هول مارأى وصعق من باب فعلته ففعل يقال صعقته فصعق وأصله من

* عاد كلامه (قال ومعنى وخر موسى صعقا وخر مغشيا عليه غشية كالموت وروى ان الملائكة مرت عليه الخ) قال أحمد وهذه حكاية انما
يوردها من يتعسف لامتناع الرؤية فيتخذها عونا وظهرا على المعتقد الفاسد والوجه التورك بالغلط على ناقلها وتنزيه الملائكة عليهم
السلام من اهانة موسى كليم الله بالوكز بالرجل والغمص في الخطاب * عاد كلامه (قال فان قلت ان كان طلب الرؤية للغرض الذى ذكرته
فمم تاب الخ) قال أحمد أما دك الجبل فقد سلف الكلام على سره وأما تسبيح موسى عليه السلام فلما تبين له من أن العلم قد سبق بعدم وقوع
الرؤية فى الدنيا والله تعالى مقدس ٥٠٨ عن وقوع خلاف معلومه وعن الخلف فى خبره الحق وقوله الصدق فلما تبين ان مطلوبه كان

الصاعقة ويقال لها الصاقعة من صقعه اذا ضربه على رأسه ومعناه خر مغشيا عليه غشية كالموت وروى أن
الملائكة مرت عليه وهو مغشى عليه فجعلوا يلكزونه بأرجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض أطمعت فى
رؤية رب العرب (فلما أفاق) من صعقته (قال سبحانك) أنزهك عما لا يجوز عليك من الرؤية وغيرها (تبت
اليك) من طلب الرؤية (وأنا أول المؤمنين) بأنك لست بمرئى ولا مدرك بشئ من الحواس (فان قلت) فان
كان طلب الرؤية للغرض الذى ذكرته فمم تاب (قلت) من اجرائه تلك المقالة العظيمة وان كان لغرض صحيح
على لسانه من غير اذن فيه من الله تعالى فانظر الى اعظام الله تعالى أمر الرؤية فى هذه الآية وكيف أرجف
الجبل بطالبيها وجعله دكا وكيف أصعقهم ولم يخل كليمه من نفيان ذلك مبالغة فى اعظام الامر وكيف سبح
ربه ملتجئا اليه وتاب من اجراء تلك الكلمة على لسانه وقال أنا أول المؤمنين ثم تعجب من المتسمين بالاسلام
المتسمين بأهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهبا ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة فانه من
منصوبات أشياخهم والقول ما قال بعض العدلية فيهم

لجماعة سموا هواهم سنة * وجماعة حمر لعمرى موكفه
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا * شنع الورى فتستروا بالبلكفه

وتفسير آخر وهو ان يريد بقوله أرنى أنظر اليك عرفنى نفسك تعريفا واضحا جليا كأنها اراءة فى جلائها بآية
مثل آيات القيامة التى تضطر الخلق الى معرفتك أنظر اليك أعرفك معرفة اضطرار كأنى أنظر اليك كما جاء
فى الحديث سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر بمعنى ستعرفونه معرفة جلية هى فى الجلاء كابصاركم القمر اذا
امتلأ واستوى قال لن ترانى أى لن تطيق معرفتى على هذه الطريقة ولن تحتمل قوتك تلك الآية المضطرة
ولكن انظر الى الجبل فانى أورد عليه وأظهر له آية من تلك الآيات فان ثبت لتجليها واستقر مكانه ولم يتضعضع
فسوف تثبت لها وتطيقها فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهرت له آية من آيات قدرته وعظمته جعله دكا وخر موسى
صعقا لعظم ما رأى فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك مما اقترحت وتجاسرت وأنا أول المؤمنين بعظمتك
وجلالك وان شيأ لا يقوم لبطشك وبأسك (اصطفيتك على الناس) اخترتك على أهل زمانك وآثرتك عليهم
(برسالاتى) وهى أسفار التوراة (وبكلامى) وبتكليمى اياك (فخذ ما آتيتك) ما أعطيتك من شرف النبوة
والحكمة (وكن من الشاكرين) على النعمة فى ذلك فهى من أجل النعم وقيل خر موسى صعقا يوم عرفة
وأعطى التوراة يوم النحر (فان قلت) كيف قيل اصطفيتك على الناس وكان هرون مصطفى مثله ونبيا
(قلت) أجل ولكنه كان تابعا له وردأ ووزيرا والكليم هو موسى عليه السلام والاصيل فى حمل الرسالة * ذكروا
فى عدد الالواح وفى جوهرها وطولها أنها كانت عشرة ألواح وقيل سبعة وقيل لوحين وأنها كانت من زمرد
جاء بها جبريل عليه السلام وقيل من زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء وقيل أمر الله موسى بقطعها من صخرة
صماء لينها له فقطعها بيده وشققها بأصابعه وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التوراة
وان طولها كان عشرة أذرع وقوله (من كل شئ) فى محل النصب مفعول كتبنا و(موعظة) وتفصيلا

خلاف المعلوم سبح الله
وقدس علمه وخبره عن
الخلف وأما التوبة فى
حق الانبياء فلا تستلزم
كونها عن ذنب لان
منصبهم الجليل ينبغى
أن يكون منزها مبرأ
من كل ما يحطه ولا شك
ان التوقف فى سؤال

فلما أفاق قال سبحانك
تبت اليك وأنا أول
المؤمنين قال ياموسى
انى اصطفيتك على
الناس برسالاتى وبكلامى
فخذ ما آتيتك وكن من
الشاكرين وكتبنا له فى
الالواح من كل شئ
موعظة وتفصيلا لكل
شئ

الرؤية على الاذن كان
أكمل وقد ورد سيئات
المقربين حسنات
الابرار * عاد كلامه (قال
ثم أعجب من المتسمين
بالاسلام المتسمين بأهل
السنة والجماعة الخ)
قال أحمد رحمه الله وقد
انتقل الزمخشرى فى
هذا الفصل الى ما تسمعه من هجاء أهل السنة ولولا الاستنان بحسان بن ثابت الانصارى صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وشاعره والمنافح عنه وروح القدس معه لقلنا لهؤلاء المتلقبين بالعدلية وبالناجين سلاما ولكن كما نافح حسان عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم اعداءه فحق ان نافح عن أصحاب سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أعداءهم فنقول

وجماعة كفروا برؤية ربهم * حقا ووعد الله ما لن يخلفه
وتلقبوا عدلية قلنا أجل * عدلوا بربهم فحسبهم سفه
وتلقبوا الناجين كلا انهم * ان لم يكونوا فى لظى فعلى شفه

بدل

فخذها بقوة وأمر
قومك يأخذوا بأحسنها
سأريكم دار الفاسقين
سأصرف عن آياتى
الذين يتكبرون فى
الارض بغير الحق وان
يروا كل آية لا يؤمنوا
بها وان يروا سبيل الرشد
لا يتخذوه سبيلا وان
يروا سبيل الغى يتخذوه
سبيلا ذلك بأنهم كذبوا
بآياتنا وكانوا عنها غافلين
والذين كذبوا بآياتنا
ولقاء الآخرة حبطت
أعمالهم هل يجزون
الا ما كانوا يعملون
واتخذ قوم موسى من
بعده من حليهم عجلا
جسدا له خوار

بدل منه والمعنى كتبنا له كل شىء كان بنو اسرائيل محتاجين اليه فى دينهم من المواعظ وتفصيل الاحكام وقيل أنزلت التوراة وهى سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه فى سنة لم يقرأها الا أربعة نفر موسى و يوشع وعزير وعيسى عليهم السلام وعن مقاتل كتب فى الالواح انى أنا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بى شيأ ولا تقطعوا السبيل ولا تحلفوا باسمى كاذبين فان من حلف باسمى كاذبا فلا أزكيه ولا تقتلوا ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين (فخذها) فقلنا له خذها عطفا على كتبنا و يجوز أن يكون بدلا من قوله فخذ ما آتيتك والضمير فى خذها للالواح أو لكل شىء لانه فى معنى الاشياء أو للرسالات أو للتوراة ومعنى (بقوة) بجد وعزيمة فعل أولى العزم من الرسل (يأخذوا بأحسنها) أى فيها ما هو حسن وأحسن كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر فمرهم أن يحملوا على أنفسهم فى الاخذ بما هو أدخل فى الحسن وأكثر للثواب كقوله تعالى واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم وقيل يأخذوا بما هو واجب أو ندب لانه أحسن من المباح و يجوز أن يراد يأخذوا بما أمروا به دون ما نهوا عنه على قولك الصيف أحر من الشتاء (سأريكم دار الفاسقين) يريد دار فرعون وقومه وهى مصر كيف أقفرت منهم ودمروا لفسقهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم وقيل منازل عاد وثمود والقرون الذين أهلكهم الله لفسقهم فى ممركم عليها فى أسفاركم وقيل دار الفاسقين نار جهنم وقرأ الحسن سأوريكم وهى لغة فاشية بالحجاز يقال أورنى كذا وأوريته ووجهه أن تكون من أوريت الزند كأن المعنى بينه لى وأنره لاستبينه وقرئ سأورثكم وهى قراءة حسنة يصححها قوله وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون (سأصرف عن آياتى) بالطبع على قلوب المتكبرين وخذلانهم فلا يفكرون فيها ولا يعتبرون بها غفلة وانهماكا فيما يشغلهم عنها من شهواتهم وعن الفضيل بن عياض ذكر لنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عظمت أمتى الدنيا نزع عنها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر حرمت بركة الوحى وقيل سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون أن يبطل آية موسى بأن جمع لها السحرة فأبى الله الا علو الحق وانتكاس الباطل و يجوز سأصرفهم عنها وعن الطعن فيها والاستهانة بها وتسميتها سحرا باهلاكهم وفيه انذار للمخاطبين من عاقبة الذين يصرفون عن الآيات لتكبرهم وكفرهم بها لئلا يكونوا أمثالهم فيسلك بهم سبيلهم (بغير الحق) فيه وجهان أن يكون حالا بمعنى يتكبرون غير محقين لان التكبر بالحق لله وحده وأن يكون صلة لفعل التكبر أى يتكبرون بما ليس بحق وما هم عليه من دينهم (وان يروا كل آية) من الآيات المنزلة عليهم (لا يؤمنوا بها) وقرأ مالك بن دينار وان يروا بضم الياء * وقرئ سبيل الرشد والرشد والرشاد كقولهم السقم والسقم والسقام * وما أسفه من ركب المفازة فان رأى طريقا مستقيما أعرض عنه وتركه وان رأى معتسفا مرديا أخذ فيه وسلكه ففاعل نحو ذلك فى دينه أسفه (ذلك) فى محل الرفع أو النصب على معنى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم أو صرفهم الله ذلك الصرف بسببه (ولقاء الآخرة) يجوز أن يكون من اضافة المصدر الى المفعول به أى ولقائهم الآخرة ومشاهدتهم أحوالها ومن اضافة المصدر الى الظرف بمعنى ولقاء ما وعد الله فى الآخرة (من بعده) من بعد فراقه اياهم الى الطور (فان قلت) لم قيل واتخذ قوم موسى عجلا والمتخذ هو السامرى (قلت) فيه وجهان أحدهما أن ينسب الفعل اليهم لان رجلا منهم باشره ووجد فيما بين ظهرانيهم كما يقال بنو تميم قالوا كذا وفعلوا كذا والقائل والفاعل واحد ولانهم كانوا مريدين لاتخاذه راضين به فكأنهم أجمعوا عليه والثانى أن يراد واتخذوه الها وعبدوه * وقرئ من حليهم بضم الحاء والتشديد جمع حلى كثدى وثدى ومن حليهم بالكسر للاتباع كدلى ومن حليهم على التوحيد والحلى اسم لما يتحسن به من الذهب والفضة (فان قلت) لم قال من حليهم ولم يكن الحلى لهم انما كانت عوارى فى أيديهم (قلت) الاضافة تكون بأدنى ملابسة وكونها عوارى فى أيديهم كفى به ملابسة على أنهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من أملاكهم ألا ترى الى قوله عز وعلا فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بنى اسرائيل (جسدا) بدنا ذا لحم ودم كسائر الاجساد * والخوار صوت البقر قال الحسن ان السامرى قبض قبضة من تراب من أثر فرس جبريل عليه

السلام يوم قطع البحر فقذفه في في العجل فكان عجلا له خوار وقرأ علي رضي الله عنه جؤار بالجيم والهمزة
من جأر إذا صاح وانتصاب جسدا على البدل من عجلا (ألم يروا) حين اتخذوه إلها أنه لا يقدر على كلام ولا على
هداية سبيل حتى لا يختاروه على من لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل أن تنفد كلماته وهو الذي
هدى الخلق إلى سبل الحق ومناهجه بما ركز في العقول من الأدلة وبما أنزل في كتبه ثم ابتدأ فقال (اتخذوه) أي
أقدموا على ما أقدموا عليه من الأمر المنكر (وكانوا ظالمين) واضعين كل شيء في غير موضعه فلم يكن اتخاذ
العجل بدعا منهم ولا أول مناكيرهم (ولما سقط في أيديهم) ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لأن
من شأن من اشتد ندمه وحسرته أن يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لأن فاه قد وقع فيها وسقط
مسند إلى في أيديهم وهو من باب الكناية وقرأ أبو السميفع سقط في أيديهم على تسمية الفاعل أي وقع العض فيها
وقال الزجاج معناه سقط الندم في أيديهم أي في قلوبهم وأنفسهم كما يقال حصل في يده مكروه وإن كان محالا
أن يكون في اليد تشبيها لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين (ورأوا أنهم قد ضلوا)
وتبينوا ضلالهم تبينا كأنهم أبصروه بعيونهم * وقرئ لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا بالتاء وربنا بالنصب على النداء
وهذا كلام التائبين كما قال آدم وحواء عليهما السلام وإن لم تغفر لنا وترحمنا الأسف الشديد الغضب فلما
آسفونا انتقمنا منهم وقيل هو الحزين (خلفتموني) قمتم مقامي وكنتم خلفائي من بعدي وهذا الخطاب إما أن
يكون لعبدة العجل من السامري وأشياعه أو لوجوه بني إسرائيل وهم هرون عليه السلام والمؤمنون معه
ويدل عليه قوله اخلفني في قومي والمعنى بئسما خلفتموني حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله أو حيث
لم تكفوا من عبد غير الله (فإن قلت) أين ما تقتضيه بئس من الفاعل والمخصوص بالذم (قلت) الفاعل مضمر
يفسره ما خلفتموني والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم (فإن قلت)
أي معنى لقوله (من بعدي) بعد قوله خلفتموني (قلت) معناه من بعد ما رأيتم مني من توحيد الله ونفي الشركاء
عنه وإخلاص العبادة له أو من بعد ما كنت أحمل بني إسرائيل على التوحيد وأكفهم عما طمحت نحوه
أبصارهم من عبادة البقر حين قالوا اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء أن يسيروا بسيرة المستخلف
من بعده ولا يخالفوه ونحوه فخلف من بعدهم خلف أي من بعد أولئك الموصوفين بالصفات الحميدة * يقال
عجل عن الأمر إذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه وأعجله عنه غيره ويضمن معنى سبق فيعدى تعديته فيقال
عجلت الأمر والمعنى أعجلتم عن أمر ربكم وهو انتظار موسى حافظين لعهده وما وصاكم به فبنيتم الأمر على أن
الميعاد قد بلغ آخره ولم أرجع إليكم فحدثتم أنفسكم بموتي فغيرتم كما غيرت الأمم بعد أنبيائهم وروي أن السامري
قال لهم حين أخرج لهم العجل وقال هذا إلهكم وإله موسى إن موسى لن يرجع وإنه قد مات وروي أنهم عدوا
عشرين يوما بلياليها فجعلوها أربعين ثم أحدثوا ما أحدثوا (وألقى الألواح) وطرحها لما لحقه من فرط الدهش
وشدة الضجر عند استماعه حديث العجل غضبا لله وحمية لدينه وكان في نفسه حديدا شديد الغضب وكان هرون
ألين منه جانبا ولذلك كان أحب إلى بني إسرائيل من موسى وروي أن التوراة كانت سبعة أسباع فلما ألقى
الألواح تكسرت فرفع منها ستة أسباعها وبقي منها سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شيء وفيما بقي الهدى
والرحمة (وأخذ برأس أخيه) أي بشعر رأسه (يجره إليه) بذؤابته وذلك لشدة ما ورد عليه من الأمر الذي
استفزه وذهب بفطنته وظنا بأخيه أنه فرط في الكف (ابن أم) قرئ بالفتح تشبيها بخمسة عشر وبالكسر
على طرح ياء الإضافة وابن أمي بالياء وابن إم بكسر الهمزة والميم وقيل كان أخاه لأبيه وأمه فإن صح فإنما
أضافه إلى الأم إشارة إلى أنهما من بطن واحد وذلك أدعى إلى العطف والرقة وأعظم للحق الواجب ولأنها
كانت مؤمنة فاعتد بنسبها ولأنها هي التي قاست فيه المخاوف والشدائد فذكره بحقها (إن القوم
استضعفوني) يعني أنه لم يأل جهدا في كفهم بالوعظ والإنذار وبما بلغته طاقته من بذل القوة في مضادتهم حتى
قهروه واستضعفوه ولم يبق إلا أن يقتلوه (فلا تشمت بي الأعداء) فلا تفعل بي ما هو أمنيتهم من الاستهانة بي
والإساءة إلي وقرئ فلا تشمت بي الأعداء على نهي الأعداء عن الشماتة والمراد أن لا يحل به ما يشمتون به لأجله
(ولا تجعلني مع القوم الظالمين) ولا تجعلني في موجدتك علي وعقوبتك لي قرينا لهم وصاحبا أو ولا تعتقد

ألم يروا أنه لا يكلمهم
ولا يهديهم سبيلا اتخذوه
وكانوا ظالمين ولما سقط
في أيديهم ورأوا أنهم قد
ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا
ربنا ويغفر لنا لنكونن
من الخاسرين ولما رجع
موسى إلى قومه غضبان
أسفا قال بئسما
خلفتموني من بعدي
أعجلتم أمر ربكم وألقى
الألواح وأخذ برأس
أخيه يجره إليه قال ابن
أم إن القوم استضعفوني
وكادوا يقتلونني فلا تشمت
بي الأعداء ولا تجعلني
مع القوم الظالمين

* قوله تعالى والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها الآية (قال عظم جناية متخذى العجل أولا ثم أردفها بحكم عام الخ) قال أحمد يعرض بوجوب وعيد الفساق وان مغفرة الذنب بدون التوبة منه من المحال الممتنع وقد تقدم عد ذلك من الاهواء والبدع بل الحق ان المغفرة لما عدا الشرك موكولة الى المشيئة غير ممتنعة عقلا ثم واقعة نقلا والله الموفق * قوله تعالى ٥١١ ولما سكت عن موسى الغضب الآية (قال هذا مثل كأن الغضب كان يغريه على مافعل ويقول له قل لقومك كذا وألق الالواح وجر برأس أخيك الخ) قال أحمد وهو من الغط الذي قدمته من قلب الحقيقة الى المجاز وكان الاصل ولما سكت موسى عن الغضب ولذلك عده بعض أهل العربية من المقلوب وسلكه في نمط خرق الثوب المسمار والتحقيق انه ليس منه وان هذا القلب أشرف وأفصح لانه جاء له على معنى بليغ وهو ان الغضب كان متمكنا من موسى حتى كان كأنه يصرفه في أوامره وكل ماوقع منه حينئذ من الغضب صادر حتى كأنه هو الذي أمره به ومثل هذه النكتة الحسناء لا تلقى في خرق الثوب المسمار بل هي موجودة في قوله تعالى حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق على خلاف قراءة نافع وقد تقدم ذلك آنفا والله الموفق

قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الالواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياى

أي واحد من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم * لما اعتذر اليه أخوه وذكر له شماتة الاعداء (قال رب اغفر لي ولأخي) ليرضى أخاه ويظهر لأهل الشماتة رضاه عنه فلا تتم لهم شماتتهم واستغفر لنفسه مما فرط منه الى أخيه ولأخيه أن عسى فرط في حسن الخلافة وطلب أن لا يتفرقا عن رحمته ولا تزال منتظمة لهما في الدنيا والآخرة (غضب من ربهم وذلة) الغضب ما أمروا به من قتل أنفسهم والذلة خروجهم من ديارهم لان ذل الغربة مثل مضروب وقيل هو ما نال أبناءهم وهم بنو قريظة والنضير من غضب الله تعالى بالقتل والجلاء ومن الذلة بضرب الجزية (المفترين) المتكذبين على الله ولا فرية أعظم من قول السامري هذا الهكم واله موسى ويجوز أن يتعلق في الحياة الدنيا بالذلة وحدها ويراد سينالهم غضب في الآخرة وذلة في الحياة الدنيا وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله (والذين عملوا السيئات) من الكفر والمعاصي كلها (ثم تابوا) ثم رجعوا (من بعدها) الى الله واعتذروا اليه (وآمنوا) وأخلصوا الايمان (ان ربك من بعدها) من بعد تلك العظائم (لغفور) لستور عليهم محاء لما كان منهم (رحيم) منعم عليهم بالجنة وهذا حكم عام يدخل تحته متخذو العجل ومن عداهم عظم جنايتهم أولا ثم أردفها بعظيم رحمته ليعلم أن الذنوب وان جلت وعظمت فان عفوه وكرمه أعظم وأجل ولكن لا بد من حفظ الشريطة وهي وجوب التوبة والانابة وما وراءه طمع فارغ وأشعبية باردة لا يلتفت اليها حازم (ولما سكت عن موسى الغضب) هذا مثل كأن الغضب كان يغريه على مافعل ويقول له قل لقومك كذا وألق الالواح وجر برأس أخيك اليك فترك النطق بذلك وقطع الاغراء ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم وذوق صحيح الا لذلك ولانه من قبيل شعب البلاغة والا فقراءة معاوية بن قرة ولما سكن عن موسى الغضب لا تجد النفس عندها شيئا من تلك الهزة وطرفا من تلك الروعة وقرئ ولما سكت وأسكت أي أسكته الله أو أخوه باعتذاره اليه وتنصله والمعنى ولما طفئ غضبه (أخذ الالواح) التي ألقاها (وفي نسختها) وفيما نسخ منها أي كتب والنسخة فعلة بمعنى مفعول كالخطبة (لربهم يرهبون) دخلت اللام لتقدم المفعول لان تأخر الفعل عن مفعوله يكسبه ضعفا ونحوه للرؤيا تعبرون وتقول لك ضربت (واختار موسى قومه) أي من قومه فحذف الجار وأوصل الفعل كقوله * منا الذي اختير الرجال سماحة * قيل اختار من اثني عشر سبطا من كل سبط ستة حتى تتاموا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد منكم مثل أجر من خرج فقعد كالب ويوشع وروى أنه لم يصب الا ستين شيخا فأوحى الله تعالى اليه أن تختار من الشبان عشرة فاختارهم فأصبحوا شيوخا وقيل كانوا أبناء ماعدا العشرين ولم يتجاوز والاربعين قد ذهب عنهم الجهل والصبا فأمرهم موسى أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم خرج بهم الى طور سينا لميقات ربه وكان أمره ربه أن يأتيه في سبعين من بني اسرائيل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى اذا دخلوا في الغمام وقعوا سجدا فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه افعل ولا تفعل ثم انكشف الغمام فأقبلوا اليه فطلبوا الرؤية فوعظهم وزجرهم وأنكر عليهم فقالوا يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فقال رب أرني أنظر اليك يريد أن يسمعوا الرد والانكار من جهته فأجيب بلن تراني ورجف بهم الجبل فصعقوا * ولما كانت الرجفة (قال) موسى (رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياى) وهذا تمن منه للاهلاك قبل أن يرى ما رأى من تبعة طلب الرؤية كما يقول النادم على الامر

اذ ارى سوء المغبة لو شاء الله لاهلكني قبل هذا (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) يعني أتهلكنا جميعا يعني نفسه واياهم لانه انما طلب الرؤية زجرا للسفهاء وهم طلبوها سفها وجهلا (ان هي الافتنتك) أي محنتك وابتلاؤك حين كلمتني وسمعوا كلامك فاستدلوا بالكلام على الرؤية استدلالا فاسدا حتى افتتنوا وضلوا (تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء) تضل بالمحنة الجاهلين غير الثابتين في معرفتك وتهدي العالمين بك الثابتين بالقول الثابت وجعل ذلك اضلالا من الله وهدى منه لان محنته لما كانت سببا لان ضلوا واهتدوا فكأنه أضلهم بها وهداهم على الاتساع في الكلام (أنت ولينا) مولانا القائم بامورنا (واكتب لنا) وأثبت لنا واقسم (في هذه الدنيا حسنة) عافية وحياة طيبة وتوفيقا في الطاعة (وفي الآخرة) الجنة (هدنا اليك) تبنا اليك وهاد اليه يهود اذا رجع وتاب والهود جمع هائد وهو التائب ولبعضهم

يا راكب الذنب هدهد ❊ واسجد كانك هدهد

وقرأ أبو وجزة السعدي هدنا اليك بكسر الهاء من هاده يهيده اذا حركه وأماله ويحتمل أمرين أن يكون مبنيا للفاعل والمفعول بمعنى حركنا اليك أنفسنا وأملناها أو حركنا اليك وأملنا على تقدير فعلنا كقولك عدت يا مريض بكسر العين فعلت من العيادة ويجوز عدت بالاشمام وعدت باخلاص الضمة فيمن قال عود المريض وقول القول ويجوز على هذه اللغة أن يكون هدنا بالضم فعلنا من هاده يهيده (عذابي) من حاله وصفته أني (أصيب به من أشاء) أي من وجب علي في الحكمة تعذيبه ولم يكن في العفو عنه مساغ لكونه مفسدة ❊ وأما رحمتي فمن حالها وصفتها أنها واسعة تبلغ كل شيء ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص الا وهو متقلب في نعمتي ❊ وقرأ الحسن من أساء من الاساءة ❊ فسأكتب هذه الرحمة كتبة خاصة منكم يا بني اسرائيل للذين يكونون في آخر الزمان من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم بجميع آياتنا وكتبنا يؤمنون لا يكفرون بشيء منها (الذين يتبعون الرسول) الذي نوحي اليه كتابا مختصا به وهو القرآن (النبي) صاحب المعجزات (الذي يجدونه) يجد نعته أولئك الذين يتبعونه من بني اسرائيل (مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ❊ ويحل لهم الطيبات) ما حرم عليهم من الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها أو ما طاب في الشريعة والحكم مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح وما خلا كسبه من السحت (ويحرم عليهم الخبائث) ما يستخبث من نحو الدم والميتة ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به أو ما خبث في الحكم كالربا والرشوة وغيرهما من المكاسب الخبيثة ❊ الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه من الحراك لثقله وهو مثل لثقل تكليفهم وصعوبته نحو اشتراط قتل الانفس في صحة توبتهم ❊ وكذلك الاغلال مثل لما كان في شرائعهم من الاشياء الشاقة نحو بت القضاء بالقصاص عمدا كان أو خطأ من غير شرع الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم العروق في اللحم وتحريم السبت وعن عطاء كانت بنو اسرائيل اذا قامت تصلي لبسوا المسوح وغلوا أيديهم الى أعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة وأوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة وقرئ آصارهم على الجمع (وعزروه) ومنعوه حتى لا يقوى عليه عدو وقرئ بالتخفيف وأصل العزر المنع ومنه التعزير للضرب دون الحد لانه منع عن معاودة القبيح ألا ترى الى تسمية الحد والحد هو المنع و (النور) القرآن (فان قلت) ما معنى قوله (أنزل معه) وانما أنزل مع جبريل (قلت) معناه أنزل مع نبوته لان استنباءه كان مصحوبا بالقرآن مشفوعا به ويجوز أن يعلق باتبعوا أي واتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته وبما أمر به ونهى عنه أو واتبعوا القرآن كما اتبعه مصاحبين له في اتباعه (فان قلت) كيف انطبق هذا الجواب على قول موسى عليه السلام ودعائه (قلت) لما دعا لنفسه ولبني اسرائيل أجيب بما هو منطو على توبيخ بني اسرائيل على استجازتهم الرؤية على الله تعالى وعلى كفرهم بآيات الله العظام التي أجراها على يد موسى وعرض بذلك في قوله والذين هم بآياتنا يؤمنون وأريد أن يكون استماع أوصاف أعقابهم الذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به كعبد الله بن سلام وغيره من أهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا في اخلاص الايمان والعمل الصالح وفي أن يحشروا معهم ولا يفرق

أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة انا هدنا اليك قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذين يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون قل يا أيها الناس

بينهم وبين أعقابهم عن رحمة الله التي وسعت كل شيء (اني رسول الله اليكم جميعا) قيل بعث كل رسول الى قومه خاصة وبعث محمد صلى الله عليه وسلم الى كافة الانس وكافة الجن وجميعا نصب على الحال من اليكم (فان قلت) (الذي له ملك السموات والارض) ما محله (قلت) الاحسن أن يكون منتصبا باضمار أعني وهو الذي يسمى النصب على المدح ويجوز أن يكون جرا على الوصف وان حيل بين الصفة والموصوف بقوله اليكم جميعا وقوله (لا اله الا هو) بدل من الصلة التي هي له ملك السموات والارض وكذلك (يحيي ويميت) وفي لا اله الا هو بيان الجملة قبلها لان من ملك العالم كان هو الاله على الحقيقة وفي يحيي ويميت بيان لاختصاصه بالالهية لانه لا يقدر على الاحياء والاماتة غيره (وكلماته) وما أنزل عليه وعلى من تقدمه من الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على الافراد وهي القرآن أو أراد جنس ما كلم به وعن مجاهد أراد عيسى بن مريم وقيل هي الكلمة التي تكون عنها عيسى وجميع خلقه وهي قوله كن وانما قيل ان عيسى كلمة الله فخص بهذا الاسم لانه لم يكن لكونه سبب غير الكلمة ولم يكن من نطفة تمنى (لعلكم تهتدون) ارادة أن تهتدوا (فان قلت) هلا قيل فآمنوا بالله وبي بعد قوله اني رسول الله اليكم (قلت) عدل عن المضمر الى الاسم الظاهر لتجرى عليه الصفات التي أجريت عليه ولما في طريقة الالتفات من مزية البلاغة وليعلم أن الذي وجب الايمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بأنه النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان أنا أو غيري اظهارا للنصفة وتفاديا من العصبية لنفسه (ومن قوم موسى أمة) هم المؤمنون التائبون من بني اسرائيل لما ذكر الذين تزلزلوا منهم في الدين وارتابوا حتى أقدموا على العظيمتين عبادة العجل واستجازة رؤية الله تعالى ذكر أن منهم أمة موقنين ثابتين يهدون الناس بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة ويرشدونهم * وبالحق يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون أو أراد الذين وصفهم ممن أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به من أعقابهم وقيل ان بني اسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله أن يفرق بينهم وبين اخوانهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أن جبريل ذهب به ليلة الاسراء نحوهم فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبي الامي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى أوصانا من أدرك منكم أحمد فليقرأ عليه مني السلام فرد محمد على موسى عليهما السلام السلام ثم أقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم تكن نزلت فريضة غير الصلاة والزكاة وأمرهم أن يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فأمرهم أن يجمعوا ويتركوا السبت وعن مسروق قرئ بين يدي عبد الله فقال رجل اني منهم فقال عبد الله يعني لمن كان في مجلسه من المؤمنين وهل يزيد صلحاؤكم عليهم شيأ من يهدي بالحق وبه يعدل وقيل لو كانوا في طرف من الدنيا متمسكين بشريعة ولم يبلغهم نسخها كانوا معذورين وهذا من باب الفرض والتقدير والا فقد طار الخبر ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم الى كل أفق وتغلغل في كل نفق ولم يبق الله أهل مدر ولا وبر ولا سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر في مشارق الارض ومغاربها الا وقد ألقاه اليهم وملأ به مسامعهم وألزمهم به الحجة وهو سائلهم عنه يوم القيامة (وقطعناهم) وصيرناهم قطعا أي فرقا وميزنا بعضهم من بعض لقلة الالفة بينهم وقرئ وقطعناهم بالتخفيف (اثنتي عشرة أسباطا) كقولك اثنتي عشرة قبيلة والاسباط أولاد الولد جمع سبط وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولدا من ولد يعقوب عليه السلام (فان قلت) مميز ما عدا العشرة مفرد فما وجه مجيئه مجموعا وهلا قيل اثني عشر سبطا (قلت) لو قيل ذلك لم يكن تحقيقا لان المراد وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة وكل قبيلة أسباط لا سبط فوضع أسباطا موضع قبيلة ونظيره * بين رماحي مالك ونهشل * و(أمما) بدل من اثنتي عشرة بمعنى وقطعناهم أمما لان كل أسباط كانت أمة عظيمة وجماعة كثيفة العدد وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه الاخرى لا تكاد تأتلف * وقرئ اثنتي عشرة بكسر الشين (فانبجست) فانفجرت والمعنى واحد وهو الانفتاح بسعة وكثرة قال العجاج * وكيف غربي دالج تبجسا * (فان قلت) فهلا قيل فضرب فانبجست (قلت) لعدم الالباس وليجعل

اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا أمما وأوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم

الانبجاس مسببا عن الايحاء بضرب الحجر للدلالة على ان الموحى اليه لم يتوقف عن اتباع الامر وأنه من انتفاء الشك عنه بحيث لا حاجة الى الافصاح به وقوله (كل أناس) نظير قوله اثنتى عشرة أسباطا يريد كل أمة من تلك الامم الثنتى عشرة والاناس اسم جمع غير تكسير نحو رخال وتناء وتؤام وأخوات لها ويجوز أن يقال ان الاصل الكسر والتكسير والضمة بدل من الكسرة كما أبدلت فى نحو سكارى وغيارى من الفتحة (وظللنا عليهم الغمام) وجعلناه ظليلا عليهم فى التيه و (كلوا) على ارادة القول (وما ظلمونا) وما رجع الينا ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم ولكن كانوا يضرون أنفسهم ويرجع وبال ظلمهم اليهم (واذ قيل لهم) واذكر اذ قيل لهم * والقرية بيت المقدس (فان قلت) كيف اختلفت العبارة ههنا وفى سورة البقرة (قلت) لا بأس باختلاف العبارتين اذا لم يكن هناك تناقض ولا تناقض بين قوله اسكنوا هذه القرية وكلوا منها وبين قوله فكلوا لانهم اذا سكنوا القرية فتسببت سكناهم للاكل منها فقد جمعوا فى الوجود بين سكناها والاكل منها وسواء قدموا الحطة على دخول الباب أو أخروها فهم جامعون فى الايجاد بينهما وترك ذكر الرغد لا يناقض اثباته وقوله (نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين) موعد بشيئين بالغفران وبالزيادة وطرح الواو لا يخل بذلك لانه استئناف مرتب على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين * وكذلك زيادة منهم زيادة بيان * وأرسلنا وأنزلنا و (يظلمون) ويفسقون من واد واحد * وقرئ يغفر لكم خطيئاتكم وتغفر لكم خطاياكم وخطيئاتكم وخطيئتكم على البناء للمفعول (وسألهم) وسل اليهود وقرئ واسألهم وهذا السؤال معناه التقرير والتقريع بقديم كفرهم وتجاوزهم حدود الله والاعلام بان هذا من علومهم التى لا تعلم الا بكتاب أو وحى فاذا أعلمهم به من لم يقرأ كتابهم علم أنه من جهة الوحى ونظيره همزة الاستفهام التى يراد بها التقرير فى قولك أعدوتم فى السبت * والقرية أيلة وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمى المدينة قرية وعن أبى عمرو بن العلاء ما رأيت قرويين أفصح من الحسن والحجاج يعنى رجلين من أهل المدن (حاضرة البحر) قريبة منه راكبة لشاطئه (اذ يعدون فى السبت) اذ يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم فى يوم السبت وقد نهوا عنه وقرئ يعدون بمعنى يعتدون أدغمت التاء فى الدال ونقلت حركتها الى العين ويعدون من الاعداد وكانوا يعدون آلات الصيد يوم السبت وهم مأمورون بأن لا يشتغلوا فيه بغير العبادة والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعبد فمعناه يعدون فى تعظيم هذا اليوم وكذلك قوله (يوم سبتهم) معناه يوم تعظيمهم أمر السبت ويدل عليه قوله (ويوم لا يسبتون) وقراءة عمر بن عبد العزيز يوم اسباتهم * وقرئ لا يسبتون بضم الباء وقرأ على لا يسبتون بضم الياء من أسبتوا وعن الحسن لا يسبتون على البناء للمفعول أى لا يدار عليهم السبت ولا يؤمرون بأن يسبتوا (فان قلت) اذ يعدون واذ تأتيهم ما محلهما من الاعراب (قلت) أما الاول فمجرور بدل من القرية والمراد بالقرية أهلها كأنه قيل واسألهم عن أهل القرية وقت عدوانهم فى السبت وهو من بدل الاشتمال ويجوز أن يكون منصوبا بكانت أو بحاضرة وأما الثانى فمنصوب بيعدون ويجوز أن يكون بدلا بعد بدل * والحيتان السمك وأكثر ما تستعمل العرب الحوت فى معنى السمكة (شرعا) ظاهرة على وجه الماء وعن الحسن تشرع على أبوابهم كأنها الكباش البيض يقال شرع علينا فلان اذا دنا منا وأشرف علينا وشرعت على فلان فى بيته فرأيته يفعل كذا (كذلك نبلوهم) أى مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم (واذ قالت) معطوف على اذ يعدون وحكمه حكمه فى الاعراب (أمة منهم) جماعة من أهل القرية من صلحائهم الذين ركبوا الصعب والذلول فى موعظتهم حتى أيسوا من قبولهم لآخرين كانوا لا يقلعون عن وعظهم (لم تعظون قوما الله مهلكهم) أى مخترمهم ومطهر الارض منهم (أو معذبهم عذابا شديدا) لتماديهم فى الشر وانما قالوا ذلك لعلمهم أن الوعظ لا ينفع فيهم (قالوا معذرة الى ربكم) أى موعظتنا ابلاء عذر الى الله ولئلا ننسب فى النهى عن المنكر الى بعض التفريط (ولعلهم يتقون) ولطمعنا فى أن يتقوا بعض الاتقاء * وقرئ معذرة بالنصب أى وعظناهم معذرة الى ربكم أو اعتذرنا معذرة (فلما نسوا) يعنى أهل القرية فلما تركوا ما ذكرهم به الصالحون ترك الناسى لما ينساه

كل أناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر اذ يعدون فى السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون فلما نسوا ما ذكروا به

(أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا) الظالمين الراكبين للمنكر (فان قلت) الامة الذين قالوا لم تعظون من أى الفريقين هم أمن فريق الناجين أم المعذبين (قلت) من فريق الناجين لانهم من فريق الناهين وما قالوا ما قالوا الا سائلين عن علة الوعظ والغرض فيه حيث لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم واذا علم الناهى حال المنهى وأن النهى لا يؤثر فيه سقط عنه النهى وربما وجب الترك لدخوله فى باب العبث ألا ترى أنك لو ذهبت الى المكاسين القاعدين على المآصر والجلادين المرتبين للتعذيب لتعظهم وتكفهم عما هم فيه كان ذلك عبثا منك ولم يكن الا سببا للتلهى بك وأما الآخرون فانما لم يعرضوا عنهم لان يأسهم لم يستحكم كما استحكم يأس الاولين ولم يخبروهم كما خبروهم أو لفرط حرصهم وجدهم فى أمرهم كما وصف الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام فى قوله فلعلك باخع نفسك وقيل الامة هم الموعوظون لما وعظوا قالوا للواعظين لم تعظون منا قوما تزعمون أن الله مهلكهم أو معذبهم وعن ابن عباس رضى الله عنه انه قال ليت شعرى ما فعل بهؤلاء الذين قالوا لم تعظون قوما قال عكرمة فقلت جعلنى الله فداك ألا ترى أنهم كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم فلم أزل به حتى عرفته أنهم قد نجوا وعن الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين أخذوا الحيتان(1) وروى أن اليهود أمروا باليوم الذى أمرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا يوم السبت فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد وأمروا بتعظيمه فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت شرعا بيضا سمانا كأنها المخاض لا يرى الماء من كثرتها ويوم لا يسبتون لا تأتيهم فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم انما نهيتم عن أخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا تسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها وتأخذونها يوم الاحد وأخذ رجل منهم حوتا وربط فى ذنبه خيطا الى خشبة فى الساحل ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع فى تنوره فقال له انى أرى الله سيعذبك فلما لم يره عذب أخذ فى السبت القابل حوتين فلما رأوا أن العذاب لا يعاجلهم صادوا وأكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين ألفا فصار أهل القرية أثلاثا ثلث نهوا وكانوا نحوا من اثنى عشر ألفا وثلث قالوا لم تعظون قوما وثلث هم أصحاب الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون انا لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلام فأصبح الناهون ذات يوم فى مجالسهم ولم يخرج من المعتدين أحد فقالوا ان للناس شأنا فعلوا الجدار فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القرود أنسباءها من الانس والانس لا يعرفون أنسباءهم من القرود فجعل القرد يأتى نسيبه فيشم ثيابه ويبكى فيقول ألم أنهك فيقول برأسه بلى وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير وعن الحسن أكلوا والله أوخم أكلة أكلها أهلها أثقلها خزيا فى الدنيا وأطولها عذابا فى الآخرة هاه وايم الله ما حوت أخذه قوم فأكلوه أعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة أدهى وأمر (بئيس) شديد يقال بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد فهو بئيس وقرئ بئس بوزن حذر وبئس على تخفيف العين ونقل حركتها الى الفاء كما يقال كبد فى كبد وبيس على قلب الهمزة ياء كذيب فى ذئب وبيئس على فيعل بكسر الهمزة وفتحها وبيس بوزن ريس على قلب همزة بيئس ياء وادغام الياء فيها وبيس على تخفيف بيس كهين فى هين وبائس على فاعل (فلما عتوا عما نهوا عنه) فلما تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا عن أمر ربهم (قلنا لهم كونوا قردة) عبارة عن مسخهم قردة كقوله انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون والمعنى ان الله تعالى عذبهم أولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ (تأذن ربك) عزم ربك وهو تفعل من الايذان وهو الاعلام لان العازم على الامر يحدث نفسه به ويؤذنها بفعله وأجرى مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك أجيب بما يجاب به القسم وهو قوله (ليبعثن) والمعنى وانحتم ربك وكتب على نفسه ليبعثن على اليهود (الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) فكانوا يؤدون الجزية الى المجوس الى أن بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم الى آخر الدهر ومعنى ليبعثن عليهم ليسلطن عليهم كقوله بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد (وقطعناهم فى الارض أمما) وفرقناهم فيها فلا يكاد يخلو بلد من فرقة منهم (منهم الصالحون) الذين آمنوا منهم بالمدينة

أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم وقطعناهم فى الارض أمما منهم الصالحون

1) cf. Maqrīzī Khiṭaṭ 1, 185; Description topographique [illegible] 1, [illegible]

أو الذين وراء الصين (ومنهم دون ذلك) ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه وهم الكفرة والفسقة (فان قلت) ما محل دون ذلك (قلت) الرفع وهو صفة لموصوف محذوف معناه ومنهم ناس منحطون عن الصلاح ونحوه وما منا الا له مقام معلوم بمعنى وما منا أحد الا له مقام (وبلوناهم بالحسنات والسيآت) بالنعم والنقم (لعلهم) ينتهون فينيبون (فخلف) من بعد المذكورين (خلف) وهم الذين كانوا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم (ورثوا الكتاب) التوراة بقيت فى أيديهم بعد سلفهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها من الاوامر والنواهى والتحليل والتحريم ولا يعملون بها (يأخذون عرض هذا الادنى) أى حطام هذا الشئ الادنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها وفى قوله هذا الادنى تخسيس وتحقير والادنى اما من الدنو بمعنى القرب لانه عاجل قريب واما من دنو الحال وسقوطها وقلتها والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشا فى الاحكام على تحريف الكلام للتسهيل على العامة (ويقولون سيغفر لنا) لا يؤاخذنا الله بما أخذنا وفاعل سيغفر الجار والمجرور وهو لنا ويجوز أن يكون الاخذ الذى هو مصدر يأخذون (وان يأتهم عرض مثله يأخذوه) الواو للحال أى يرجون المغفرة وهم مصرون عائدون الى مثل فعلهم غير تائبين وغفران الذنوب لا يصح الا بالتوبة والمصر لا غفران له (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) يعنى قوله فى التوراة من ارتكب ذنبا عظيما فانه لا يغفر له الا بالتوبة (ودرسوا ما فيه) فى الكتاب من اشتراط التوبة فى غفران الذنوب والذى عليه المجبرة هو مذهب اليهود بعينه كما ترى وعن مالك بن دينار رحمه الله يأتى على الناس زمان ان قصروا عما أمروا به قالوا سيغفر لنا لانا لم نشرك بالله شيأ كل أمرهم الى الطمع خيارهم فيهم المداهنة فهؤلاء من هذه الامة أشباه الذين ذكرهم الله وتلا الآية (والدار الآخرة خير) من ذلك العرض الخسيس (للذين يتقون) الرشا ومحارم الله * وقرئ ورثوا الكتاب وألا تقولوا بالتاء وادارسوا بمعنى تدارسوا أفلا تعقلون بالياء والتاء (فان قلت) ما موقع قوله ألا يقولوا على الله الا الحق (قلت) هو عطف بيان لميثاق الكتاب ومعنى ميثاق الكتاب الميثاق المذكور فى الكتاب وفيه أن اثبات المغفرة بغير توبة خروج عن ميثاق الكتاب وافتراء على الله وتقول عليه ما ليس بحق وان فسر ميثاق الكتاب بما تقدم ذكره كان أن لا يقولوا مفعولا له ومعناه لئلا يقولوا ويجوز أن تكون أن مفسرة ولا تقولوا نهيا كأنه قيل ألم يقل لهم لا تقولوا على الله الا الحق (فان قلت) علام عطف قوله ودرسوا ما فيه (قلت) على ألم يؤخذ عليهم لانه تقرير فكأنه قيل أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه (والذين يمسكون بالكتاب) فيه وجهان أحدهما أن يكون مرفوعا بالابتداء وخبره (انا لا نضيع أجر المصلحين) والمعنى انا لا نضيع أجرهم لان المصلحين فى معنى الذين يمسكون بالكتاب كقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا والثانى أن يكون مجرورا عطفا على الذين يتقون ويكون قوله انا لا نضيع اعتراضا * وقرئ يمسكون بالتشديد وتنصره قراءة أبى والذين مسكوا بالكتاب (فان قلت) التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة ومنها اقامة الصلاة فكيف أفردت (قلت) اظهارا لمزية الصلاة لكونها عماد الدين وفارقة بين الكفر والايمان * وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه والذين استمسكوا بالكتاب (واذ نتقنا الجبل فوقهم) قلعناه ورفعناه كقوله ورفعنا فوقهم الطور ومنه نتق السقاء اذا نفضه ليقتلع الزبدة منه * والظلة كل ما أظلك من سقيفة أو سحاب وقرئ بالطاء من أطل عليه اذا أشرف (وظنوا أنه واقع بهم) وعلموا أنه ساقط عليهم وذلك أنهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لغلظها وثقلها فرفع الله الطور على رؤسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا فى فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها والا ليقعن عليكم فلما نظروا الى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد الا على حاجبه الايسر ويقولون هى السجدة التى رفعت عنا بها العقوبة ولما نشر موسى الالواح وفيها كتاب الله لم يبق جبل ولا شجر ولا حجر الا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا تقرأ عليه التوراة الا اهتز وأنغض لها رأسه (خذوا ما آتيناكم) على ارادة القول أى وقلنا خذوا ما آتيناكم أو قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب (بقوة) وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه (واذكروا ما فيه) من الاوامر والنواهى

ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلوة انا لا نضيع أجر المصلحين واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة

ولا

* قوله تعالى واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم الآية (قال هذا من باب التمثيل والتخييل الخ) قال أحمد اطلاق التمثيل أحسن وقد ورد الشرع به وأما اطلاقه التخييل على كلام الله تعالى فردود (٥١٧) ولم يرد به سمع وقد كثر انكارنا عليه لهذه اللفظة ثم ان القاعدة مستقرة على ان الظاهر مالم يخالف المعقول يجب اقراره على ماهو عليه فكذلك أقره الاكثرون على

ولا تنسوه أو واذكروا مافيه من التعريض للثواب العظيم فارغبوا فيه ويجوز أن يراد خذوا ما آتيناكم من الآية العظيمة بقوة ان كنتم تطيقونه كقوله ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا (واذكروا مافيه) من الدلالة على القدرة الباهرة والانذار (لعلكم تتقون) ما أنتم عليه * وقرأ ابن مسعود وتذكروا وقرئ واذكروا بمعنى وتذكروا (من ظهورهم) بدل من بنى آدم بدل البعض من الكل ومعنى أخذ ذرياتهم من ظهورهم اخراجهم من أصلابهم نسلا واشهادهم على أنفسهم وقوله (ألست بربكم قالوا بلى شهدنا) من باب التمثيل والتخييل ومعنى ذلك أنه نصب لهم الادلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التى ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى فكأنه أشهدهم على أنفسهم وقررهم وقال لهم ألست بربكم وكأنهم قالوا بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوحدانيتك وباب التمثيل واسع فى كلام الله تعالى ورسوله عليه السلام وفى كلام العرب ونظيره قوله تعالى انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين وقوله * اذ قالت الانساع للبطن الحق * قالت له ريح الصبا قرقار * ومعلوم أنه لا قول ثم وانما هو تمثيل وتصوير للمعنى (أن تقولوا) مفعول له أى فعلنا ذلك من نصب الادلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة أن تقولوا (يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين) لم ننبه عليه (أو) كراهة أن (تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم) فاقتدينا بهم لان نصب الادلة على التوحيد وما نبهوا عليه قائم معهم فلا عذر لهم فى الاعراض عنه والاقبال على التقليد والاقتداء بالآباء كما لا عذر لآبائهم فى الشرك وادلة التوحيد منصوبة لهم (فان قلت) بنو آدم وذرياتهم من هم (قلت) عنى بنى آدم أسلاف اليهود الذين أشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبذرياتهم الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخلافهم المقتدين بآبائهم والدليل على أنها فى المشركين وأولادهم قوله أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل والدليل على أنها فى اليهود الآيات التى عطفت عليها هى والتى عطفت عليها وهى على نمطها وأسلوبها وذلك قوله واسألهم عن القرية واذ قالت أمة منهم لم تعظون واذ تأذن ربك واذ نتقنا الجبل فوقهم واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا (أفتهلكنا بما فعل المبطلون) أى كانوا السبب فى شركنا لتأسيسهم الشرك وتقدمهم فيه وتركه سنة لنا (وكذلك) ومثل ذلك التفصيل البليغ (نفصل الآيات) لهم (ولعلهم يرجعون) وارادة أن يرجعوا عن شركهم نفصلها * وقرئ ذرياتهم على التوحيد وأن يقولوا بالياء (واتل عليهم) على اليهود (نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها) هو عالم من علماء بنى اسرائيل وقيل من الكنعانيين اسمه بلعم بن باعوراء أوتى علم بعض كتب الله فانسلخ منها من الآيات بأن كفر بها ونبذها وراء ظهره (فأتبعه الشيطان) فلحقه الشيطان وأدركه وصار قرينا له أو فأتبعه خطواته وقرئ فاتبعه بمعنى فتبعه (فكان من الغاوين) فصار من الضالين الكافرين روى أن قومه طلبوا اليه أن يدعو على موسى ومن معه فأبى وقال كيف أدعو على من معه الملائكة فألحوا عليه ولم يزالوا به حتى فعل (ولو شئنا لرفعناه بها) لعظمناه ورفعناه الى منازل الابرار من العلماء بتلك الآيات (ولكنه أخلد الى الارض) مال الى الدنيا ورغب فيها وقيل مال الى السفالة (فان قلت) كيف علق رفعه بمشيئة الله تعالى ولم يعلق بفعله الذى يستحق به الرفع (قلت) المعنى ولو لزم العمل بالآيات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك أن مشيئة الله تعالى رفعه تابعة للزومه الآيات فذكرت المشيئة والمراد ما هى تابعة له ومسببة عنه كأنه قيل ولو لزمها لرفعناه بها ألا ترى الى قوله ولكنه أخلد الى الارض فاستدرك المشيئة باخلاده الذى هو فعله فوجب أن يكون ولو شئنا فى معنى ما هو فعله ولو كان الكلام على ظاهره لوجب أن يقال ولو شئنا لرفعناه ولكنا لم نشأ (فمثله كمثل الكلب) فصفته التى هى مثل

واذكروا مافيه لعلكم تتقون واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث

ظاهره وحققه ولم يجعلوه مثالا وأما كيفية الاخراج والمخاطبة فالله أعلم بذلك

* عاد كلامه (قال فان قلت بنو آدم وذرياتهم من هم الخ) قال أحمد والاظهر انها شاملة لجملة بنى آدم فتدخل اليهود فى عمومها لان كل واحد من بنى آدم يصدق عليه الاسم أن جميعا انه ابن آدم وانه ذريته ولا يخرج من هذا الا آدم عليه السلام والغالم يذكر لظهوره ولا يخلو الكلام عن النوع المسمى فى فن البلاغة باللف اختصارا او ايجازا

* قوله تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون (قال معنى الحسنى التى هى أحسن الاسماء الخ) قال أحمد أى مما يجوز عليه وان لم يرد اطلاقه شرعا كالشريف والعارف ونحو ذلك * عاد كلامه (قال كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم الخ) قال أحمد وفى هذا (٥١٨) التأويل بعد لان ترك الدعاء ببعض الاسماء لا يطلق عليه الحاد فى العرف وانما يطلق على فعل لا على ترك ولكن يتميز عن الوجه السالف بانه أضاف الاسماء الملحد فيها الى ذاته وهذا أدل على الرحمن منه على مثل أبيض الوجه ونحوه فان هذا ليس من أسمائه الا

ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون

فى الخسة والضعة كصفة الكلب فى أخس أحواله وأذلها * وهى حال دوام اللهث به واتصاله سواء حمل عليه أى شد عليه وهيج فطرد أو ترك غير متعرض له بالحمل عليه وذلك أن سائر الحيوان لا يكون منه اللهث الا اذا هيج منه وحرك والا لم يلهث والكلب يتصل لهثه فى الحالتين جميعا وكان حق الكلام أن يقال ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض فحططناه ووضعنا منزلته فوضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع حططناه أبلغ حط لان تمثيله بالكلب فى أخس أحواله وأذلها فى معنى ذلك وعن ابن عباس رضى الله عنه الكلب منقطع الفؤاد يلهث ان حمل عليه أو لم يحمل عليه وقيل معناه ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال كالكلب ان طردته فسعى لهث وان تركته على حاله لهث (فان قلت) ما محل الجملة الشرطية (قلت) النصب على الحال كأنه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا فى الحالتين وقيل لما دعا بلعم على موسى عليه السلام خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) من اليهود بعد ما قرؤا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة وذكر القرآن المعجز وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به (فاقصص) قصص بلعم الذى هو نحو قصصهم (لعلهم يتفكرون) فيحذرون مثل عاقبته اذا ساروا نحو سيرته وزاغوا شبه زيغه ويعلمون أنك علمته من جهة الوحى فيزدادوا ايقانا بك وتزداد الحجة لزوما لهم (ساء مثلا القوم) أى مثل القوم أو ساء أصحاب مثل القوم وقرأ الجحدرى ساء مثل القوم (وأنفسهم كانوا يظلمون) اما أن يكون معطوفا على كذبوا فيدخل فى حيز الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم أنفسهم واما أن يكون كلاما منقطعا عن الصلة بمعنى وما ظلموا الا أنفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول به للاختصاص كأنه قيل وخصوا أنفسهم بالظلم لم يتعدها الى غيرها (فهو المهتدى) حمل على اللفظ و(فأولئك هم الخاسرون) حمل على المعنى (كثيرا من الجن والانس) هم المطبوع على قلوبهم الذين علم الله أنه لا لطف لهم * وجعلهم فى أنهم لا يلقون أذهانهم الى معرفة الحق ولا ينظرون بأعينهم الى ما خلق الله نظر اعتبار ولا يسمعون ما يتلى عليهم من آيات الله سماع تدبر كأنهم عدموا فهم القلوب وابصار العيون واستماع الآذان وجعلهم لاعراقهم فى الكفر وشدة شكائمهم فيه وأنه لا يأتى منهم الا أفعال أهل النار مخلوقين للنار دلالة على توغلهم فى الموجبات وتمكنهم فيما يؤهلهم لدخول النار ومنه كتاب عمر رضى الله عنه الى خالد بن الوليد بلغنى أن أهل الشأم اتخذوا لك دلوكا عجن بخمر وانى لاظنكم آل المغيرة ذرء النار ويقال لمن كان عريقا فى بعض الامور ما خلق فلان الا لكذا والمراد وصف حال اليهود فى عظم ما أقدموا عليه من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم أنه النبى الموعود وأنهم من جملة الكثير الذين لا يكاد الايمان يتأتى منهم كأنهم خلقوا للنار (أولئك كالانعام) فى عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتدبر (بل هم أضل) من الانعام عن الفقه والاعتبار والتدبر (أولئك هم الغافلون) الكاملون فى الغفلة وقيل الانعام تبصر منافعها ومضارها فتلزم بعض ما تبصره وهؤلاء أكثرهم يعلم أنه معاند فيقدم على النار (ولله الاسماء الحسنى) التى هى أحسن الاسماء لانها تدل على معان حسنة من تمجيد وتقديس وغير ذلك (فادعوه بها) فسموه بتلك الاسماء (وذروا الذين يلحدون فى أسمائه) واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الاسماء الحسنى وذلك أن يسموه بما لا يجوز عليه كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم يا أبا المكارم يا أبيض الوجه يا نخى أو أن يأبوا تسميته ببعض أسمائه الحسنى نحو أن يقولوا يا الله ولا يقولوا يا رحمن وقد قال الله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الاسماء الحسنى ويجوز أن يراد ولله الاوصاف الحسنى

أن يقال اضافه اليه تنزيلا على زعمهم * عاد كلامه (قال ويجوز أن يراد ولله الاوصاف الحسنى وهى الوصف بالعدل والخير الخ) قال أحمد لا يدع حشو العقائد الفاسدة فى غير موضع يسعها فان يكن المراد الاوصاف فالحسنى منها وصف الله بعموم القدرة والانفراد وهى بالمخلوقات حتى لا يشرك معه عباده فى خلق أفعالهم ووصف الله تعالى بانه لا يسئل عما يفعل وان كل قضائه عدل وانه لا يجب عليه رعاية ما يتوهمه الخلق مصلحة بعقولهم وان وعده الصدق وقوله الحق وقدر عدم رؤيته فوجب وقوعها الى غير ذلك من أوصافه

وهي الوصف بالعدل والخير والاحسان وانتفاء شبه الخلق فصفوه بها وذروا الذين يلحدون في أوصافه فيصفونه بمشيئة القبائح وخلق الفحشاء والمنكر وبما يدخل في التشبيه كالرؤية ونحوها وقيل الحادهم في أسماء الله تسميتهم الاصنام آلهة واشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز * لما قال ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا فأخبر أن كثيرا من الثقلين عاملون بأعمال أهل النار أتبعه قوله (وممن خلقنا أمة يهدون بالحق) وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد أعطى القوم بين أيديكم مثلها ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وعنه صلى الله عليه وسلم ان من أمتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى عليه السلام وعن الكلبي هم الذين آمنوا من أهل الكتاب وقيل هم العلماء والدعاة الى الدين * الاستدراج استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد أو الاستنزال درجة بعد درجة قال الاعشى

فلو كنت في جب ثمانين قامة * ورقيت أسباب السماء بسلم
ليستدرجنك القول حتى تهره * وتعلم أني عنكم غير مفحم

ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه وأدرج الكتاب طواه شيئا بعد شيء ودرج القوم مات بعضهم في اثر بعض ومعنى (سنستدرجهم) سنستدنيهم قليلا قليلا الى ما يهلكهم ونضاعف عقابهم (من حيث لا يعلمون) ما يراد بهم وذلك أن يواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم في الغي فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددوا معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين ان مواترة النعم أثرة من الله وتقريب وانما هي خذلان منه وتبعيد فهو استدراج الله تعالى نعوذ بالله منه (وأملي لهم) عطف على سنستدرجهم وهو داخل في حكم السين (ان كيدي متين) سماه كيدا لانه شبيه بالكيد من حيث انه في الظاهر احسان وفي الحقيقة خذلان (ما بصاحبهم) بمحمد صلى الله عليه وسلم (من جنة) من جنون وكانوا يقولون شاعر مجنون وعن قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات يهوت الى الصباح (أولم ينظروا) نظر استدلال (في ملكوت السموات والارض) فيما تدلان عليه من عظم الملك والملكوت الملك العظيم (وما خلق الله من شيء) وفيما خلق الله مما يقع عليه اسم الشيء من أجناس لا يحصرها العدد ولا يحيط بها الوصف (وان عسى) أن مخففة من الثقيلة والاصل وأنه عسى على أن الضمير ضمير الشأن والمعنى أولم ينظروا في أن الشأن والحديث عسى (أن يكون قد اقترب أجلهم) ولعلهم يموتون عما قريب فيسارعوا الى النظر وطلب الحق وما ينجيهم قبل مفاجأة الاجل وحلول العقاب ويجوز أن يراد باقتراب الاجل اقتراب الساعة ويكون من كان التي فيها ضمير الشأن (فان قلت) بم يتعلق قوله (فبأي حديث بعده يؤمنون) (قلت) بقوله عسى أن يكون قد اقترب أجلهم كأنه قيل لعل أجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الى الايمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وبأي حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا * قرئ ونذرهم بالياء والنون والرفع على الاستئناف ويذرهم بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادي له كأنه قيل من يضلل الله لا يهده أحد ويذرهم (يسألونك) قيل ان قوما من اليهود قالوا يا محمد أخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وكان ذلك امتحانا منهم مع علمهم أن الله تعالى قد استأثر بعلمها وقيل السائلون قريش * والساعة من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها أو على العكس لطولها أو لأنها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق (أيان) بمعنى متى وقيل اشتقاقه من أي فعلان منه لان معناه أي وقت وأي فعل من أويت اليه لان البعض آو الى الكل متساند اليه قاله ابن جني وأبى أن يكون من أين لانه زمان وأين مكان وقرأ السلمي ايان بكسر الهمزة (مرساها) ارساؤها أو وقت ارسائها أي اثباتها واقرارها وكل شيء ثقيل رسوه ثباته واستقراره ومنه رسى الجبل وأرسى السفينة والمرسى الانجر الذي ترسى به ولا أثقل من الساعة بدليل قوله ثقلت في السموات والارض والمعنى متى يرسيها الله (انما علمها) أي علم وقت ارسائها عنده قد استأثر به لم يخبر به أحدا من ملك مقرب ولا نبي مرسل يكاد يخفيها من نفسه ليكون ذلك أدعى الى الطاعة وأزجر عن المعصية كما أخفى الاجل

ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم ان كيدي متين أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربي

الجليلة وذروا الذين يلحدون في أوصافه فيجحدونها ثم يزعمون أنه لا يشمل قدرته المخلوقات بل هي مقسومة بينه وبين عباده ويوجبون عليه رعاية ما يتوهمونه مصلحة ويحجرون واسعا من مغفرته وعفوه وكرمه على الخاطئين من موحديه الى غير ذلك من الالحاد المعروف بالطائفة المتلقبين عدلية المزكين لانفسهم وهو أعلم بمن اتقى * عاد كلامه (قال وقيل الحادهم في أسمائه تسميتهم الخ) قال أحمد وهذا تفسير حسن ملائم والله أعلم

* قوله تعالى يسألونك كأنك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون (قال معناه كأنك بليغ في السؤال عنها الخ) قال أحمد وفي هذا النوع من التكرير نكتة لا تلقى الا في الكتاب العزيز وهو أجل من أن يشاركه فيها وذلك ان المعهود في أمثال هذا التكرير أن الكلام اذا بني على مقصد واعترض في أثنائه عارض فأريد الرجوع لتتميم المقصد الاول وقد بعد عهده طري بذكر المقصد الاول لتتصل نهايته ببدايته وقد تقدم لذلك في الكتاب العزيز أمثال وسيأتي وهذا منها فانه لما ابتدأ الكلام بقوله يسئلونك عن الساعة أيان مرساها ثم اعترض ذكر الجواب المضمن في قوله قل انما علمها عند ربي الى قوله بغتة أريد تتميم سؤالهم عنها بوجه من الانكار عليهم وهو المضمن في قوله كأنك حفي عنها وهو شديد التعلق بالسؤال وقد بعد عهده فطري ذكره تطرية عامة ولا نراه أبدا يطري الا بنوع من الاجمال كالتذكرة للاول مستغنى عن تفصيله بما تقدم فمن ثم قيل يسألونك ولم يذكر المسؤل عنه وهو الساعة

لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات والارض لا تأتيكم الا بغتة يسئلونك كأنك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون هو الذي خلقكم

الخاص وهو وقت الموت لذلك (لا يجليها لوقتها الا هو) أي لا تزال خفية لا يظهر أمرها ولا يكشف خفاء علمها الا هو وحده اذا جاء بها في وقتها بغتة لا يجليها بالخبر عنها قبل مجيئها أحد من خلقه لاستمرار الخفاء بها على غيره الى وقت وقوعها (ثقلت في السموات والارض) أي كل من أهلها من الملائكة والثقلين أهمه شأن الساعة ويود أن يتجلى له علمها وشق عليه خفاؤها وثقل عليه أو ثقلت فيها لان أهلها يتوقعونها ويخافون شدائدها وأهوالها أو لان كل شيء لا يطيقها ولا يقوم لها فهي ثقيلة فيها (الا بغتة) الا فجأة على غفلة منكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه (كأنك حفي عنها) كأنك عالم بها وحقيقته كأنك بليغ في السؤال عنها لان من بالغ في المسئلة عن الشيء والتنقير عنه استحكم علمه فيه ورصن وهذا التركيب معناه المبالغة ومنه احفاء الشارب واحتفاء البقل استئصاله وأحفى في المسئلة اذا ألحف وحفي بفلان وتحفى به بالغ في البر به وعن مجاهد استحفيت عنها السؤال حتى علمت وقرأ ابن مسعود كأنك حفي بها أي عالم بها بليغ في العلم بها وقيل عنها متعلق بيسئلونك أي يسئلونك عنها كأنك حفي أي عالم بها وقيل ان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة فقيل يسئلونك عنها كأنك حفي تتحفى بهم فتختصهم بتعليم وقتها لاجل القرابة وتزوي علمها عن غيرهم ولو أخبرت بوقتها لمصلحة عرفها الله في اخبارك به لكنت مبلغه القريب والبعيد من غير تخصيص كسائر ما أوحي اليك وقيل كأنك حفي بالسؤال عنها تحبه وتؤثره يعني أنك تكره السؤال عنها لانها من علم الغيب الذي استأثر الله به ولم يؤته أحدا من خلقه (فان قلت) لم كرر يسئلونك وانما علمها عند الله (قلت) للتأكيد ولما جاء به من زيادة قوله كأنك حفي عنها وعلى هذا تكرير العلماء الحذاق في كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة زائدة منهم محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة رحمهما الله (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أنه العالم بها وأنه المختص بالعلم بها (قل لا أملك لنفسي) هو اظهار للعبودية والانتفاء عما يختص بالربوبية من علم الغيب أي أنا عبد ضعيف لا أملك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضرر كالمماليك والعبيد (الا ما شاء) ربي ومالكي من النفع لي والدفع عني (ولو كنت أعلم الغيب) لكانت حالي على خلاف ما هي عليه من استكثار الخير واستغزار المنافع واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسني شيء منها ولم أكن غالبا مرة ومغلوبا أخرى في الحروب ورابحا وخاسرا في التجارات ومصيبا ومخطئا في التدابير (ان أنا الا) عبد أرسلت نذيرا وبشيرا وما من شأني أني أعلم الغيب (لقوم يؤمنون) يجوز أن يتعلق بالنذير والبشير جميعا لان النذارة والبشارة انما تنفعان فيهم أو يتعلق بالبشير

اكتفاء بما تقدم فلما كرر السؤال لهذه الفائدة كرر الجواب أيضا مجملا فقال قل انما علمها عند الله ويلاحظ هذا في تلخيص الكلام بعد بسطه ومن أدق ما وقفت عليه العرب في هذا النمط من التكرير لاجل بعد العهد تطرية للذكر قوله

وحده يجعل لنا هذا وأحقا بذا ال * ألشحم انا قد مللناه بجل

أي فقط فذكر الالف واللام ناقة للاول من الرجز ثم لما استفتح الجزء الثاني استبعد العهد بالاول فطري ذكرها وأبقى الاولى في مكانها ومن ثم استدل ابن جني على ان ما كان من الرجز على ثلاثة أجزاء فهو بيت كامل وليس بنصف كما ذهب اليه أبو الحسن قال ولو كان بيتا واحدا لم يكن عهد الاولى متباعدا فلم يكن محتاجا الى تكريرها ألا ترى ان عبيدا لما جاء بقصيدة طويلة الابيات وجعل آخر المصراع الاول أل لم يعدها أول المصراع الثاني لانهما بيت واحد فلم يبعد عهدها بعيد وذلك قوله

يا خليلي أربعا واستخبرا ال * منزل الدارس من أهل الحلال

مثل سحق البرد عفى بعدك ال * قطر مغناه وتأويب الشمال

ثم استرسل فيها كذلك بضعة عشر بيتا فانظر هذه النكتة كيف بلغت العرب في رعايتها حتى عدت القريب بعيدا والمتقاصر مديدا فتأملها فانها تحفة انما تنفق عند الحذاق الاعيان في صناعتي العربية والبيان والله المستعان

*قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها الى قوله تعالى فتعالى الله عما يشركون (قال الضمير في آتيتنا ولنكونن لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما الخ) قال أحمد وأسلم من هذين التفسيرين وأقرب والله أعلم أن يكون المراد جنسي الذكر والانثى لا يقصد فيه الى معين وكان المعنى والله أعلم خلقكم جنسا واحدا وجعل أزواجكم منكم أيضا لتسكنوا اليهن فلما تغشى الجنس الذي هو الذكر الجنس الآخر الذي هو الانثى جرى من هذين الجنسين كيت وكيت وانما نسب هذه المقالة الى الجنس وان كان فيهم الموحدون

وحده ويكون المتعلق بالنذير محذوفا أي الانذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون (من نفس واحدة) وهي نفس آدم عليه السلام (وجعل منها زوجها) وهي حواء خلقها من جسد آدم من ضلع من أضلاعه أو من جنسها كقوله جعل لكم من أنفسكم أزواجا (ليسكن اليها) ليطمئن اليها ويميل ولا ينفر لان الجنس الى الجنس أميل وبه آنس واذا كانت بعضا منه كان السكون والمحبة أبلغ كما يسكن الانسان الى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه وقال ليسكن فذكر بعدما أنث في قوله واحدة منها زوجها ذهابا الى معنى النفس ليبين أن المراد بها آدم ولان الذكر هو الذي يسكن الى الانثى ويتغشاها فكان التذكير أحسن طباقا للمعنى *والتغشي كناية عن الجماع وكذلك الغشيان والاتيان (حملت حملا خفيفا) خف عليها ولم تلق منه ما يلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذى ولم تستثقله كما يستثقلنه وقد تسمع بعضهن تقول في ولدها ما كان أخفه على كبدي حين حملته (فمرت به) فمضت به الى وقت ميلاده من غير اخداج ولا ازلاق وقيل حملت حملا خفيفا يعني النطفة فمرت به فقامت به وقعدت وقرأ ابن عباس رضي الله عنه فاستمرت به وقرأ يحيى بن يعمر فمرت به بالتخفيف وقرأ غيره فمارت من المرية كقوله أفتمارونه وأفتمرونه ومعناه فوقع في نفسها ظن الحمل فارتابت به (فلما أثقلت) حان وقت ثقل حملها كقولك أقربت وقرئ أثقلت على البناء للمفعول أي أثقلها الحمل (دعوا الله ربهما) دعا آدم وحواء ربهما ومالك أمرهما الذي هو الحقيق بأن يدعى ويلتجأ اليه فقالا (لئن آتيتنا) لئن وهبت لنا (صالحا) ولدا سويا قد صلح بدنه وبرئ وقيل ولدا ذكرا لان الذكورة من الصلاح والجودة والضمير في آتيتنا و(لنكونن) لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما (فلما آتاهما) ما طلباه من الولد الصالح السوي (جعلا له شركاء) أي جعل أولادهما له شركاء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وكذلك (فيما آتاهما) أي آتى أولادهما وقد دل على ذلك بقوله (فتعالى الله عما يشركون) حيث جمع الضمير وآدم وحواء بريئان من الشرك ومعنى اشراكهم فيما آتاهم الله تسميتهم أولادهم بعبد العزى وعبد مناة وعبد شمس وما أشبه ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم ووجه آخر وهو أن يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم آل قصي ألا ترى الى قوله في قصة أم معبد

فيا لقصي ما زوى الله عنكم * به من فخار لا يبارى وسودد

ويراد هو الذي خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن اليها فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سميا أولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار وجعل الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك وهذا تفسير حسن لا اشكال فيه *وقرئ شركا أي ذوي شرك وهم الشركاء أو أحدثا لله شركا في الولد *أجريت الاصنام مجرى أولي العلم في قوله (وهم يخلقون) بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم اياها آلهة والمعنى أيشركون ما لا يقدر على خلق شئ كما يخلق الله وهم يخلقون لان الله عز وجل خالقهم أو لا يقدر على اختلاق شئ لانه جماد وهم يخلقون لان عبدتهم يختلقونهم فهم أعجز من عبدتهم (ولا يستطيعون لهم) لعبدتهم (نصرا ولا أنفسهم ينصرون) فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم (وان تدعوهم) وان تدعوا هذه الاصنام (الى الهدى) أي الى ما هو هدى ورشاد أو الى أن يهدوكم والمعنى وان تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى (لا يتبعوكم) الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله ويدل عليه قوله فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين (سواء عليكم أدعوتموهم) أم صمتم عن دعائهم في

من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون أيشركون ما لا يخلق شيأ وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون

لان المشركين منهم أئذا ما مت لسوف أخرج حيا وقتل الانسان ما أكفره ان الانسان لفي خسر كما انه كذلك على التفسير الاول أضاف الشرك الى أولاد آدم وحواء وهو واقع من بعضهم

وعلى التفسير الثاني أضافه الى قصي وعقبه والمراد البعض فهذا السؤال وارد على التأويلات الثلاثة وجوابه واحد ويسلم هذا الثالث من حذف المضاف المضطر اليه في التأويل الاول وعما ينصرف الى التأويل الثاني من استبعاد تخصيص قصي بهذا الامر المشترك في الجنس وجعل زوجته منه وكون المراد بذلك أن يسكن اليها لان ذلك عام في الجنس والله أعلم

أنه لا فلاح معهم (فان قلت) هلا قيل أم صمتم ولم وضعت الجملة الاسمية موضع الفعلية (قلت) لانهم كانوا اذا حزبهم أمر دعوا الله دون أصنامهم كقوله واذا مس الناس ضر فكانت حالهم المستمرة أن يكونوا صامتين عن دعوتهم فقيل ان دعوتموهم لم تفترق الحال بين احداثكم دعاءهم وبين ما أنتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم (ان الذين تدعون من دون الله) أي تعبدونهم وتسمونهم آلهة من دون الله (عبادا أمثالكم) وقوله عباد أمثالكم استهزاء بهم أي قصارى أمرهم أن يكونوا أحياء عقلاء فان ثبت ذلك فهم عباد أمثالكم لا تفاضل بينكم ثم أبطل أن يكونوا عبادا أمثالهم فقال (ألهم أرجل يمشون بها) وقيل عباد أمثالكم مملوكون أمثالكم وقرأ سعيد بن جبير ان الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالكم بتخفيف ان ونصب عبادا أمثالكم والمعنى ما الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالكم على اعمال ان النافية عمل ما الحجازية (قل ادعوا شركاءكم) واستعينوا بهم في عداوتي (ثم كيدون) جميعا أنتم وشركاؤكم (فلا تنظرون) فاني لا أبالي بكم ولا يقول هذا الا واثق بعصمة الله وكانوا قد خوفوه آلهتهم فأمر أن يخاطبهم بذلك كما قال قوم هود له ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء فقال لهم اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون (ان وليي الله) أي ناصري عليكم الله (الذي نزل الكتاب) الذي أوحى الي كتابه وأعزني برسالته (وهو يتولى الصالحين) ومن عادته أن ينصر الصالحين من عباده وأنبيائه ولا يخذلهم (ينظرون اليك) يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا أصنامهم بصورة من قلب حدقته الى الشيء ينظر اليه (وهم لا يبصرون) وهم لا يدركون المرئي (العفو) ضد الجهد أي خذ ما عفا لك من أفعال الناس وأخلاقهم وما أتى منهم وتسهل من غير كلفة ولا تداقهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا كقوله صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا قال

خذ العفو مني تستديمي مودتي ✻ ولا تنطقي في سورتي حين أغضب

وقيل خذ الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل نزول آية الزكاة فلما نزلت أمر أن يأخذهم بها طوعا أو كرها ✻ والعرف المعروف والجميل من الافعال (وأعرض عن الجاهلين) ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم وأغض على ما يسوءك منهم وقيل لما نزلت الآية سأل جبريل فقال لا أدري حتى أسأل ثم رجع فقال يا محمد ان ربك أمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام بمكارم الاخلاق وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الاخلاق منها (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) واما ينخسنك منه نخس بأن يحملك بوسوسته على خلاف ما أمرت به (فاستعذ بالله) ولا تطعه والنزغ والنسغ الغرز والنخس كأنه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصي وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده وروي أنه لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يارب والغضب فنزل واما ينزغنك من الشيطان نزغ ويجوز أن يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب كقول أبي بكر رضي الله عنه ان لي شيطانا يعتريني (طيف من الشيطان) لمة منه مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفا قال

أنى ألم بك الخيال يطيف ✻ أو هو تخفيف طيف فيعل من طاف يطيف كلين أو من طاف يطوف كهين وقرئ طائف وهو يحتمل الامرين أيضا وهذا تأكيد وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وأن المتقين هذه عادتهم اذا أصابهم أدنى نزغ من الشيطان والمام بوسوسته (تذكروا) ما أمر الله به ونهى عنه فأبصروا السداد ودفعوا ما وسوس به اليهم ولم يتبعوه أنفسهم ✻ وأما اخوان الشياطين الذين ليسوا بمتقين فان الشياطين يمدونهم في الغي أي يكونون مددا لهم فيه ويعضدونهم ✻ وقرئ يمدونهم من الامداد ويمادونهم بمعنى يعاونونهم (ثم لا يقصرون) ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يصروا ولا يرجعوا وقوله واخوانهم يمدونهم كقوله ✻ قوم اذا الخيل جالوا في كواثبها ✻ في أن الخبر جار على غير ما هو له ويجوز أن يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير المتعلق به الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له والاول أوجه لان اخوانهم في مقابلة الذين اتقوا (فان قلت) لم جمع الضمير في اخوانهم والشيطان مفرد (قلت) المراد به الجنس كقوله أولياؤهم الطاغوت ✻ اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه أي جمعه كقولك اجتمعه أو جبى اليه فاجتباه أي أخذه

ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون واذا لم تأتهم بآية قالوا

كقولك جابيت اليه العروس فاجتلاها ومعنى (لولا اجتبيتها) هلا اجتمعتها افتعالا من عند نفسك لانهم
كانوا يقولون ان هذا الا افك مفترى أوهلا أخذتها منزلة عليك مقترحة (قل انما أتبع ما يوحى الى من ربى)
ولست بمفتعل للآيات أولست بمقترح لها (هذا بصائر) هذا القرآن بصائر (من ربكم) أى حجج بينة يعود
المؤمنون بها بصراء بعد العمى أوهو بمنزلة بصائر القلوب (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) ظاهره
وجوب الاستماع والانصات وقت قراءة القرآن فى صلاة وغير صلاة وقيل كانوا يتكلمون فى الصلاة فنزلت
ثم صار سنة فى غير الصلاة أن ينصت القوم اذا كانوا فى مجلس يقرأ فيه القرآن وقيل معناه واذا تلا عليكم
الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وقيل معنى فاستمعوا له فاعملوا بما فيه ولا تجاوزوه (واذكر ربك فى نفسك)
هو عام فى الاذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك (تضرعا وخيفة) متضرعا وخائفا
(ودون الجهر) ومتكلما كلاما دون الجهر لان الاخفاء أدخل فى الاخلاص وأقرب الى حسن التفكر (بالغدو
والآصال) لفضل هذين الوقتين أو أراد الدوام ومعنى بالغدو بأوقات الغدو وهى الغدوات وقرئ والايصال
من آصل اذا دخل فى الاصيل كأقصر وأعتم وهو مطابق للغدو (ولا تكن من الغافلين) من الذين يغفلون
عن ذكر الله ويلهون عنه (ان الذين عند ربك) هم الملائكة صلوات الله عليهم ومعنى عند دنو الزلفة والقرب
من رحمة الله تعالى وفضله لتوفرهم على طاعته وابتغاء مرضاته (وله يسجدون) ويختصونه بالعبادة
لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن سواهم من المكلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الاعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيامة

﴿سورة الانفال مدنية وهى ست وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

٭ النفل الغنيمة لانها من فضل الله تعالى وعطائه قال لبيد ٭ ان تقوى ربنا خير نفل ٭ والنفل ما ينفله الغازى
أى يعطاه زائدا على سهمه من المغنم وهو أن يقول الامام تحريضا على البلاء فى الحرب من قتل قتيلا فله سلبه
أو قال لسرية ما أصبتم فهو لكم أو فلكم نصفه أو ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الامام الوفاء بما وعد منه وعند
الشافعى رحمه الله فى أحد قوليه لا يلزم ولقد وقع الاختلاف بين المسلمين فى غنائم بدر وفى قسمتها فسألوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم كيف تقسم ولمن الحكم فى قسمتها للمهاجرين أم للانصار أم لهم جميعا فقيل له قل لهم
هى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء ليس لاحد غيره فيها حكم وقيل شرط
لمن كان له بلاء فى ذلك اليوم أن ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين وأسروا سبعين فلما يسر الله الفتح
اختلفوا فيما بينهم وتنازعوا فقال الشبان نحن المقاتلون وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات
كنا ردأ لكم وفئة تتحازون الينا ان انهزمتم وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم المغنم قليل والناس كثير وان
تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت أصحابك فنزلت وعن سعد بن أبى وقاص قتل أخى عمير يوم بدر فقتلت به
سعيد بن العاص وأخذت سيفه فأعجبنى فجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الله قد شفى صدرى
من المشركين فهب لى هذا السيف فقال ليس هذا لى ولا لك اطرحه فى القبض فطرحته وبى ما لا يعلمه الا
الله تعالى من قتل أخى وأخذ سلبى فما جاوزت الا قليلا حتى جاءنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أنزلت
سورة الانفال فقال يا سعد انك سألتنى السيف وليس لى وانه قد صار لى فاذهب فخذه وعن عبادة بن
الصامت نزلت فينا يا معشر أصحاب بدر حين اختلفنا فى النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا فجعله
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه بين المسلمين على السواء وكان فى ذلك تقوى الله وطاعة رسوله واصلاح
ذات البين ٭ وقرأ ابن محيصن يسألونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فى
اللام وقرأ ابن مسعود يسألونك الانفال أى يسألك الشبان ما شرطت لهم من الانفال (فان قلت) ما معنى
الجمع بين ذكر الله والرسول فى قوله (قل الانفال لله والرسول) (قلت) معناه ان حكمها مختص بالله ورسوله

لولا اجتبيتها قل انما
أتبع ما يوحى الى من
ربى هذا بصائر من
ربكم وهدى ورحمة
لقوم يؤمنون واذا
قرئ القرآن فاستمعوا
له وأنصتوا لعلكم
ترحمون واذكر ربك
فى نفسك تضرعا وخيفة
ودون الجهر من القول
بالغدو والآصال ولا
تكن من الغافلين ان
الذين عند ربك
لا يستكبرون عن
عبادته ويسبحونه وله
يسجدون

(سورة الانفال مدنية
وهى ست وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يسألونك عن الانفال
قل الانفال لله والرسول

لكارهون

بأمر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول أمر الله فيها وليس الامر في قسمتها مفوضا الى رأى أحد والمراد ان الذى اقتضته حكمة الله وأمر به رسوله أن يواسى المقاتلة المشروط لهم التنفيل الشيوخ الذين كانوا عند الرايات فيقاسموهم على السوية ولا يستأثروا بما شرط لهم فانهم ان فعلوا لم يؤمن أن يقدح ذلك فيما بين المسلمين من التحاب والتصافى (فاتقوا الله) فى الاختلاف والتخاصم وكونوا متحدين متآخين فى الله (واصلحوا ذات بينكم) وتآسوا وتساعدوا فيما رزقكم الله وتفضل به عليكم وعن عطاء كان الاصلاح بينهم أن دعاهم وقال اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا قد أكلنا وأنفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض (فان قلت) ما حقيقة قوله ذات بينكم (قلت) أحوال بينكم يعنى ما بينكم من الاحوال حتى تكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق كقوله بذات الصدور وهى مضمراتها لما كانت الاحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين كقولهم اسقنى ذا انائك يريدون ما فى الاناء من الشراب وقد جعل التقوى واصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله من لوازم الايمان وموجباته ليعلمهم أن كمال الايمان موقوف على التوفر عليها ومعنى قوله (ان كنتم مؤمنين) ان كنتم كاملى الايمان واللام فى قوله (انما المؤمنون) اشارة اليهم أى انما الكاملو الايمان من صفتهم كيت وكيت والدليل عليه قوله أولئك هم المؤمنون حقا (وجلت قلوبهم) فزعت وعن أم الدرداء الوجل فى القلب كاحتراق السعفة أما تجد له قشعريرة قال بلى قالت فادع الله فان الدعاء يذهبه يعنى فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزة سلطانه وبطشه بالعصاة وعقابه وهذا الذكر خلاف الذكر فى قوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله لان ذلك ذكر رحمته ورأفته وثوابه وقيل هو الرجل يريد أن يظلم أو يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع وقرئ وجلت بالفتح وهى لغة نحو وبق فى وبق وفى قراءة عبد الله فرقت (زادتهم ايمانا) ازدادوا بها يقينا وطمأنينة نفس لان تظاهر الادلة أقوى للمدلول عليه وأثبت لقدمه وقد حمل على زيادة العمل وعن أبى هريرة رضى الله عنه الايمان سبع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان وعن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ان للايمان سننا وفرائض وشرائع فمن استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان (وعلى ربهم يتوكلون) ولا يفوضون أمورهم الى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون الا اياه * جمع بين أعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل وبين أعمال الجوارح من الصلاة والصدقة (حقا) صفة للمصدر المحذوف أى أولئك هم المؤمنون ايمانا حقا أو هو مصدر مؤكد للجملة التى هى أولئك هم المؤمنون كقولك هو عبد الله حقا أى حق ذلك حقا وعن الحسن أن رجلا سأله أمؤمن أنت قال الايمان ايمانان فان كنت تسألنى عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فأنا مؤمن وان كنت تسألنى عن قوله انما المؤمنون فوالله لا أدرى أمنهم أنا أم لا وعن الثورى من زعم أنه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد أنه من أهل الجنة فقد آمن بنصف الآية وهذا الزام منه يعنى كما لا يقطع بأنه من أهل ثواب المؤمنين حقا فلا يقطع بأنه مؤمن حقا وبهذا تعلق من يستثنى فى الايمان وكان أبو حنيفة رضى الله عنه ممن لا يستثنى فيه وحكى عنه أنه قال لقتادة لم تستثنى فى ايمانك قال اتباعا لابراهيم عليه السلام فى قوله والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين فقال له هلا اقتديت به فى قوله أولم تؤمن قال بلى (درجات) شرف وكرامة وعلو منزلة (ومغفرة) وتجاوز لسيئاتهم (ورزق كريم) نعيم الجنة يعنى لهم منافع حسنة دائمة على سبيل التعظيم وهذا معنى الثواب (كما أخرجك ربك) فيه وجهان أحدهما أن يرتفع محل الكاف على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال كحال اخراجك يعنى أن حالهم فى كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة مثل حالهم فى كراهة خروجك للحرب والثانى أن ينتصب على أنه صفة مصدر الفعل المقدر فى قوله الانفال لله والرسول أى الانفال استقرت لله والرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك وهم كارهون و(من

فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم كما أخرجك ربك من

(قال فى كا. وجهان أحدهما أن يرتفع محل الكاف الخ) قال أحمد وكان جدى أبو العباس أحمد الفقيه الوزير رحمه الله يذكر فى معنى الآية وجها أوجه من هذين وهو أن المراد تشبيه اختصاصه عليه السلام بالانفال

وتفويض أمرها الى حكمه من حيث الاثابة والجزاء باخراجه من بيته مطيعا لله تعالى سامعا لامره راضيا بحكمه على كراهة المؤمنين لذلك فى الطاعة فشبه الله تعالى ثوابه بهذه المزية بطاعته المرضية فكما بلغت طاعته الغاية فى نوع الطاعات فكذلك بلغت اثابة الله له الغاية فى جنس المثوبات وبجماع هذا المعنى هو المشار اليه بقوله عليه الصلاة والسلام الاجر على قدر النصب ولك على هذا المعنى أن تجعل الكاف مرفوعة ومنصوبة على حسب التقدير والله الموفق

بيتك

بيتك) يريد بيته بالمدينة أو المدينة نفسها لانها مهاجره ومسكنه فهى فى اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه (بالحق) أى اخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب الذى لا محيد عنه (وان فريقا من المؤمنين لكارهون) فى موضع الحال أى اخرجك فى حال كراهتهم وذلك ان عير قريش أقبلت من الشأم فيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكبا منهم أبو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر المسلمين فأعجبهم تلقى العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ أهل مكة خبر خروجهم فنادى أبو جهل فوق الكعبة يا أهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم أموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها أبدا وقد رأت أخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها انى رأيت عجبا رأيت كان ملكا نزل من السماء فأخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا أصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال أبو جهل ما يرضى رجالهم ان يتنبؤا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج أبو جهل بجميع أهل مكة وهم النفير فى المثل السائر لا فى العير ولا فى النفير فقيل له ان العير أخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك أبدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وأن محمدا لم يصب العير وأنا قد أعضضناه فمضى بهم الى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما فى السنة فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير أحب اليكم أم النفير قالوا بل العير أحب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ردد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبى صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فأحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر أمرك فامض فوالله لو سرت الى عدن أبين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما أمرك الله فانا معك حيث ما أحببت لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت منا عين تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أشيروا على أيها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فأنت فى ذمامنا نمنعك مما نمنع منه آباءنا ونساءنا فكان النبى صلى الله عليه وسلم يتخوف أن لا تكون الانصار لا ترى عليهم نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله قال أجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وبسطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وأبشروا فان الله وعدنى احدى الطائفتين والله لكأنى الآن أنظر الى مصارع القوم وروى أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شئ فناداه العباس وهو فى وثاقه لا يصلح فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لم قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد أعطاك ما وعدك وكانت الكراهة من بعضهم لقوله وان فريقا من المؤمنين لكارهون * والحق الذى جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقى النفير لايثارهم عليه تلقى العير (بعدما تبين) بعد اعلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم ينصرون * وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتأهب وذلك لكراهتهم القتال * ثم شبه حالهم فى فرط فزعهم ورعبهم وهم يسار بهم الى الظفر والغنيمة بحال من يعتل الى القتل ويساق على الصغار الى الموت المتيقن وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليها لا يشك فيها وقيل كان خوفهم لقلة العدد وأنهم كانوا رجالة وروى أنه ما كان فيهم الا فارسان (اذ) منصوب باضمار اذكر (أنها لكم) بدل من احدى الطائفتين

بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك فى الحق بعدما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن

والطائفتان العير والنفير و (غير ذات الشوكة) العير لانه لم يكن فيها الا أربعون فارسا والشوكة كانت فى النفير لعددهم وعدتهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويقال شوك القنا لشباها ومنها قولهم شائك السلاح أى تتمنون أن تكون لكم العير لانها الطائفة التى لا حدة لها ولا شدة ولا تريدون الطائفة الاخرى (أن يحق الحق) أن يثبته ويعليه (بكلماته) بآياته المنزلة فى محاربة ذات الشوكة وبما أمر الملائكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من أسرهم وقتلهم وطرحهم فى قليب بدر * والدابر الآخر فاعل من دبر اذا أدبر ومنه دابرة الطائر وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال يعنى أنكم تريدون الفائدة العاجلة وسفساف الامور وأن لا تلقوا ما يرزؤكم فى أبدانكم وأحوالكم والله عز وجل يريد معالى الامور وما يرجع الى عمارة الدين ونصرة الحق وعلو الكلمة والفوز فى الدارين وشتان ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وغلب كثرتهم بقلتكم وأعزكم وأذلهم وحصل لكم ما لا تعارض أدناه العير وما فيها * وقرئ بكلمته على التوحيد (فان قلت) بم يتعلق قوله (ليحق الحق) (قلت) بمحذوف تقديره ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك ما فعله الا لهما وهو اثبات الاسلام واظهاره وابطال الكفر ومحقه (فان قلت) أليس هذا تكريرا (قلت) لا لان المعنيين متباينان وذلك أن الاول تمييز بين الارادتين وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها وأنه ما نصرهم ولا خذل أولئك الا لهذا الغرض الذى هو سيد الاغراض ويجب أن يقدر المحذوف متأخرا حتى يفيد معنى الاختصاص فينطبق عليه المعنى وقيل قد تعلق بيقطع (فان قلت) بم يتعلق (اذ تستغيثون) (قلت) هو بدل من اذ يعدكم وقيل بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم أنهم لما علموا أنه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله ويقولون أى ربنا انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين أغثنا وعن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى المشركين وهم ألف والى أصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم أنجز لى ما وعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فأخذه أبو بكر رضى الله عنه فألقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك (أنى ممدكم) أصله بأنى ممدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله وعن أبى عمرو أنه قرأ انى ممدكم بالكسر على ارادة القول أو على اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول (فان قلت) هل قاتلت الملائكة يوم بدر (قلت) اختلف فيه فقيل نزل جبريل فى يوم بدر فى خمسمائة ملك على الميمنة وفيها أبو بكر وميكائيل فى خمسمائة على الميسرة وفيها على بن أبى طالب فى صور الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض وقد أرخوا أذنابها بين أكتافهم فقاتلت وقيل قاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم الاحزاب ويوم حنين وعن أبى جهل أنه قال لابن مسعود من أين كان ذلك الصوت الذى كنا نسمع ولا نرى شخصا قال من الملائكة فقال أبو جهل هم غلبونا لا أنتم وروى أن رجلا من المسلمين بينما هو يشتد فى أثر رجل من المشركين اذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر الى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الانصارى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذاك من مدد السماء وعن أبى داود المازنى تبعت رجلا من المشركين لاضربه يوم بدر فوقع رأسه بين يدى قبل أن يصل اليه سيفى وقيل لم يقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين والا فملك واحد كاف فى اهلاك أهل الدنيا كلهم فان جبريل عليه السلام أهلك بريشة من جناحه مدائن قوم لوط وأهلك بلاد ثمود قوم صالح بصيحة واحدة * وقرئ مردفين بكسر الدال وفتحها من قولك ردفه اذا تبعه ومنه قوله تعالى ردف لكم بعض الذى تستعجلون بمعنى ردفكم وأردفته اياه اذا أتبعته ويقال أردفته كقولك أتبعته اذا جئت بعده فلا يخلو المكسور الدال من أن يكون بمعنى متبعين أو متبعين فان كان بمعنى متبعين فلا يخلو من أن يكون بمعنى متبعين بعضهم بعضا أو متبعين بعضهم لبعض أو بمعنى متبعين اياهم المؤمنين أى يتقدمونهم فيتبعونهم أنفسهم أو متبعين لهم يشيعونهم ويقدمونهم بين أيديهم وهم على ساقتهم ليكونوا على أعينهم وحفظهم أو بمعنى متبعين أنفسهم ملائكة آخرين أو متبعين غيرهم من الملائكة ويعضد هذا الوجه قوله تعالى فى سورة آل عمران بثلاثة

غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين

---

* قوله تعالى ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون (قال يعنى انكم تريدون العاجلة وسفساف الامور الخ) قال أحمد والتحقيق فى التمييز بين الكلامين ان الاول ذكر الارادة فيه مطلقة غير مقيدة بالواقعة الخاصة كأنه قيل وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ومن شأن الله تعالى ارادة تحقيق الحق وتمحيق الكفر على الاطلاق ولارادته أن يحق الحق ويبطل الباطل خصكم بذات الشوكة فبين الكلامين عموم وخصوص واطلاق وتقييد وفى ذلك ما لا يخفى من المبالغة فى تأكيد المعنى بذكره على وجهين اطلاق وتقييد والله أعلم

وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم اذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام

آلاف من الملائكة منزلين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ومن قرأ مردفين بالفتح فهو بمعنى متبعين أو متبعين * وقرئ مردّفين بكسر الراء وضمها وتشديد الدال وأصله مرتدفين أي مترادفين أو متبعين من ارتدفه فأدغمت تاء الافتعال في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل أو على اتباع الدال وبالضم على اتباع الميم وعن السدي بآلاف من الملائكة على الجمع ليوافق ما في سورة آل عمران (فان قلت) فبم يعتذر لمن قرأ على التوحيد ولم يفسر المردفين بارداف الملائكة ملائكة آخرين والمردفين بارتدافهم غيرهم (قلت) بأن المراد بالالف من قاتل منهم أو الوجوه منهم الذين من سواهم أتباع لهم (فان قلت) الام يرجع الضمير في (وما جعله) (قلت) الى قوله أني ممدكم لان المعنى فاستجاب لكم بامدادكم (فان قلت) ففيمن قرأ بالكسر (قلت) الى قوله اني ممدكم لانه مفعول القول المضمر فهو في معنى القول ويجوز أن يرجع الى الامداد الذي يدل عليه ممدكم (الا بشرى) الا بشارة لكم بالنصر كالسكينة لبني اسرائيل يعني أنكم استغثتم وتضرعتم لقلتكم وذلتكم فكان الامداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكينا منكم وربطا على قلوبكم (وما النصر الا من عند الله) يريد ولا تحسبوا النصر من الملائكة فان الناصر هو الله لكم وللملائكة أو وما النصر بالملائكة وغيرهم من الاسباب الا من عند الله والمنصور من نصره الله (اذ يغشاكم) بدل ثان من اذ يعدكم أو منصوب بالنصر أو بما في من عند الله من معنى الفعل أو بما جعله الله أو باضمار اذكر وقرئ يغشيكم بالتخفيف والتشديد ونصب النعاس والضمير لله عز وجل و (أمنة) مفعول له (فان قلت) أما وجب أن يكون فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا (قلت) بلى ولكن لما كان معنى يغشاكم النعاس تنعسون انتصب أمنة على أن النعاس والامنة لهم والمعنى اذ تنعسون أمنة بمعنى أمنا أي لامنكم و (منه) صفة لها أي أمنة حاصلة لكم من الله عز وجل (فان قلت) فعلى غير هذه القراءة (قلت) يجوز أن تكون الامنة بمعنى الايمان أي ينعسكم ايمانا منه أو على يغشيكم النعاس فتنعسون أمنا (فان قلت) هل يجوز أن ينتصب على أن الامنة للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم أي يغشاكم النعاس لامنه على أن اسناد الامن الى النعاس اسناد مجازي وهو لاصحاب النعاس على الحقيقة أو على أنه أنامكم في وقت كان من حق النعاس في مثل ذلك الوقت المخوف أن لا يقدم على غشيانكم وانما غشيكم أمنة حاصلة من الله لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل والتخييل (قلت) لا تبعد فصاحة القرآن عن احتماله وله فيه نظائر وقد ألم به من قال

يهاب النوم أن يغشى عيونا * تهابك فهو نفار شرود

وقرئ أمنة بسكون الميم ونظير أمن أمنة حيي حياة ونحو أمن أمنة رحم رحمة والمعنى أن ما كان بهم من الخوف كان يمنعهم من النوم فلما طامن الله قلوبهم وأمنهم رقدوا وعن ابن عباس رضي الله عنه النعاس في القتال أمنة من الله وفي الصلاة وسوسة من الشيطان (وينزل) قرئ بالتخفيف والتثقيل * وقرأ الشعبي ما ليطهركم به قال ابن جني ما موصولة وصلتها حرف الجر بما جره فكأنه قال ما للطهور و (رجز الشيطان) وسوسته اليهم وتخويفه اياهم من العطش وقيل الجنابة لانها من تخييله وقرئ رجس الشيطان وذلك أن ابليس تمثل لهم وكان المشركون قد سبقوهم الى الماء ونزل المسلمون في كثيب أعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم أكثرهم فقال لهم أنتم يا أصحاب محمد تزعمون أنكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على حق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا أن يجهدكم العطش فاذا قطع العطش أعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من أحبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا وأشفقوا

بقوله تعالى اذ يغشاكم النعاس أمنة منه (قال وقرئ اذ يغشيكم بالتخفيف والتشديد الخ) قال أحمد ومثل هذا النظر يجري عند قوله تعالى هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا لان فاعل الارادة هو الله عز وجل وفاعل الخوف والطمع هم وقد انتصبا لهما فالجواب انه لما كان الله تعالى اذا أراهم البرق رأوه كانوا فاعلين في المعنى وكان المعنى وهو الذي يريكم البرق فترونه خوفا وطمعا وهذا مثل آية الانفال فان المفعول في المعنى فاعل وسيأتي مزيد بحث في هذه النكتة وقد جرى القلم بتحليها ههنا وذلك أن لقائل أن يقول فاعل يغشي النعاس اياهم هو الله تعالى وهو فاعل الامنة أيضا وخالقها وحينئذ يتحد فاعل الفعل والعلة فيرتفع السؤال ويزول الاشكال على قواعد السنة التي تقتضي نسبة أفعال الخلق الى الله تعالى على انه خالقها ومبدعها وانما ورد السؤال أن يقول المعتبر أن يكون فاعل الفعل متصفا بالعلة كما هو متصف بالفعل والباري عز وجل وان كان خالق الامنة للعبد وكان بها آمنا فالعبد هو الفاعل اللغوي وان كان الله تعالى هو الفاعل حقيقة وعقيدة وحينئذ يفتقر السؤال الى الجواب السالف والله الموفق * عاد كلامه (قال فان قلت فعلى غير هذه القراءة قلت كذلك الخ) قال أحمد وجه حسن بشرط الادب في اسقاط لفظة التخييل وقد تقدمت له امثالها

فأنزل الله عز وجل المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الحياض على عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤا وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس والضمير في به للماء ويجوز أن يكون للربط لان القلب اذا تمكن فيه الصبر والجراءة ثبتت القدم في مواطن القتال (اذ يوحي) يجوز أن يكون بدلا ثالثا من اذ يعدكم وأن ينتصب بيثبت (أني معكم) مفعول يوحي وقرئ انى بالكسر على ارادة القول أو على اجراء يوحي مجرى يقول كقوله اني معكم والمعنى اني معينكم على التثبيت فثبتوهم وقوله (سألقي * فاضربوا) يجوز أن يكون تفسيرا لقوله اني معكم فثبتوا ولا معونة أعظم من القاء الرعب في قلوب الكفرة ولا تثبيت أبلغ من ضرب أعناقهم واجتماعهما غاية النصرة ويجوز أن يكون غير تفسير وأن يراد بالتثبيت أن يخطروا ببالهم ما تقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم في القتال وأن يظهروا ما يتيقنون به أنهم ممدون بالملائكة وقيل كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفون وجهه فيأتي فيقول اني سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشي بين الصفين فيقول أبشروا فان الله ناصركم لانكم تعبدونه وهؤلاء لا يعبدونه * وقرئ الرعب بالتثقيل (فوق الاعناق) أراد أعالي الاعناق التي هي المذابح لانها مفاصل فكان ايقاع الضرب فيها حزا وتطييرا للرؤس وقيل أراد الرؤس لانها فوق الاعناق يعني ضرب الهام قال * وأضرب هامة البطل المشيح *

و

غشيته وهو في جأواء باسلة * عضبا أصاب سواء الرأس فانفلقا

* والبنان الاصابع يريد الاطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى لان الضرب اما واقع على مقتل أو غير مقتل فأمرهم بأن يجمعوا عليهم النوعين معا ويجوز أن يكون قوله سألقي الى قوله كل بنان عقيب قوله فثبتوا الذين آمنوا تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به كأنه قال قولوا لهم قولي سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب أو كأنهم قالوا كيف نثبتهم فقيل قولوا لهم قولي سألقي فالضاربون على هذا هم المؤمنون (ذلك) اشارة الى ما أصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل ومحله الرفع على الابتداء و(بأنهم) خبره أي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم والمشاقة مشتقة من الشق لان كلا المتعاديين في شق خلاف شق صاحبه وسئلت في المنام عن اشتقاق المعاداة فقلت لان هذا في عدوة وذاك في عدوة كما قيل المخاصمة والمشاقة لان هذا في خصم أي في جانب وذاك في خصم وهذا في شق وذاك في شق والكاف في ذلك لخطاب الرسول عليه السلام أو لخطاب كل واحد وفي (ذلكم) للكفرة على طريقة الالتفات ومحل ذلكم الرفع على ذلكم العقاب أو العقاب ذلكم (فذوقوه) ويجوز أن يكون نصبا على عليكم ذلكم فذوقوه كقولك زيدا فاضربه (وأن للكافرين) عطف على ذلكم في وجهيه أو نصب على أن الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في الآخرة فوضع الظاهر موضع الضمير وقرأ الحسن وان للكافرين بالكسر (زحفا) حال من الذين كفروا والزحف الجيش الدهم الذي يرى لكثرته كأنه يزحف أي يدب دبيبا من زحف الصبي اذا دب على استه قليلا قليلا سمي بالمصدر والجمع زحوف والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وأنتم قليل فلا تفروا فضلا أن تدانوهم في العدد أو تساووهم أو حال من الفريقين أي اذا لقيتموهم متزاحفين هم وأنتم أو حال من المؤمنين كأنهم اشعروا بما كان سيكون منهم يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر ألفا وتقدمة نهي لهم عن الفرار يومئذ وفي قوله ومن يولهم يومئذ امارة عليه (الا متحرفا لقتال) هو الكر بعد الفر يخيل عدوه انه منهزم ثم يعطف عليه وهو باب من خدع الحرب ومكايدها (أو متحيزا) أو منحازا (الى فئة) الى جماعة أخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها وعن ابن عمر رضي الله عنه خرجت سرية وأنا فيهم ففروا فلما رجعوا الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل أنتم العكارون وأنا فئتكم وانهزم رجل من القادسية فأتى المدينة الى عمر رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين هلكت فررت من الزحف فقال عمر رضي الله عنه أنا فئتك وعن ابن عباس رضي الله عنه ان الفرار من

اذ يوحي ربك الى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير

الزحف من أكبر الكبائر (فان قلت) بم انتصب الا متحرفا (قلت) على الحال والا لغو أو على الاستثناء من المولين أي ومن يولهم الا رجلا منهم متحرفا أو متحيزا * وقرأ الحسن دبره بالسكون ووزن متحيز متفيعل لا متفعل لانه من حاز يحوز فبناء متفعل منه متحوز * لما كسروا أهل مكة وقتلوا وأسروا وأقبلوا على التفاخر فكان القائل يقول قتلت وأسرت ولما طلعت قريش قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني أسألك ما وعدتني فأتاه جبريل عليه السلام فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال لما التقى الجمعان لعلي رضي الله عنه أعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم فقيل لهم (فلم تقتلوهم) والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم (ولكن الله قتلهم) لانه هو الذي أنزل الملائكة وألقى الرعب في قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوى قلوبكم وأذهب عنها الفزع والجزع (وما رميت) أنت يا محمد (اذ رميت ولكن الله رمى) يعني أن الرمية التي رميتها لم ترمها أنت على الحقيقة لانك لو رميتها لما بلغ أثرها الا ما يبلغه أثر رمي البشر ولكنها كانت رمية الله حيث أثرت ذلك الاثر العظيم فأثبت الرمية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه لان أثرها الذي لا تطيقه البشر فعل الله عز وجل فكان الله هو فاعل الرمية على الحقيقة وكأنها لم توجد من الرسول عليه السلام أصلا وقرئ ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف لكن ورفع ما بعده (وليبلي المؤمنين) وليعطيهم بلاء حسنا عطاء جميلا قال زهير * فأبلاهما خير البلاء الذي يبلو * والمعنى وللاحسان الى المؤمنين فعل ما فعل وما فعله الا لذلك (ان الله سميع) لدعائهم (عليم) بأحوالهم (ذلكم) اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع أي الغرض ذلكم (وأن الله موهن) معطوف على ذلكم يعني أن الغرض ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وقرئ موهن بالتشديد وقرئ على الاضافة وعلى الاصل الذي هو التنوين والاعمال (ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك أنهم حين أرادوا أن ينفروا تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أقرانا للضيف وأوصلنا للرحم وأفكنا للعاني ان كان محمد على حق فانصره وان كنا على حق فانصرنا وروي أنهم قالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين وروي أن أبا جهل قال يوم بدر اللهم أينا كان أهجر وأقطع للرحم فأحنه اليوم أي فأهلكه وقيل ان تستفتحوا خطاب للمؤمنين (وان تنتهوا) خطاب للكافرين يعني وان تنتهوا عن عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (فهو خير لكم) وأسلم (وان تعودوا) لمحاربته (نعد) لنصرته عليكم (وان الله) قرئ بالفتح على ولان الله معين المؤمنين كان ذلك وقرئ بالكسر وهذه أوجه ويعضدها قراءة ابن مسعود والله مع المؤمنين * وقرئ ولن يغني عنكم بالياء للفصل (ولا تولوا) قرئ بطرح احدى التاءين وادغامها والضمير في (عنه) لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان المعنى وأطيعوا رسول الله كقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه ولان طاعة الرسول وطاعة الله شئ واحد من يطع الرسول فقد أطاع الله فكان رجوع الضمير الى أحدهما كرجوعه اليهما كقولك الاحسان والاجمال لا ينفع في فلان ويجوز أن يرجع الى الامر بالطاعة أي ولا تولوا عن هذا الامر وامتثاله وأنتم تسمعونه أو ولا تتولوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تخالفوه (وأنتم تسمعون) أي تصدقون لانكم مؤمنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا) أي ادعوا السماع (وهم لا يسمعون) لانهم ليسوا بمصدقين فكأنهم غير سامعين والمعنى أنكم تصدقون بالقرآن والنبوة فاذا توليتم عن طاعة الرسول في بعض الامور من قسمة الغنائم وغيرها كان تصديقكم كلا تصديق وأشبه سماعكم سماع من لا يؤمن * ثم قال (ان شر الدواب) أي ان شر من يدب على وجه الارض أو ان شر البهائم الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه

فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيأ ولو كثرت وان الله مع المؤمنين يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون

* قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى (قال ولما جاءت قريش قال عليه الصلاة والسلام هذه قريش جاءت الخ) قال أحمد أوضح مصداق في التمييز بين الحقيقة والمجاز الآية لانك تقول للبليد ليس بحمار وتصدق عليه مع صدق قولك فيه على سبيل التجوز انه حمار فاذا ثبت ذلك ان من مميزات المجاز صدق سلبه بخلاف الحقيقة فافهم ان هذه الآية تكفح وجوه القدرية بالرد وذلك ان الله تعالى أثبت الفعل للخلق ونفاه عنهم ولا محمل لذلك الا ان ثبوته لهم مجاز والفاعل والخالق حقيقة هو الله تعالى فأثبته لهم مجازا ونفاه عنهم حقيقة واياك أن تعرج على تعكيس الزمخشري في تأويل الآية فانه نظر أعوج وباطل مخلج والحق أبلج والله الموفق بكرمه

* قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون (قال يعني ولو علم الله ان اللطف ينفع في هؤلاء الخ) قال أحمد رحمه الله اطلاق القول بان الله تعالى يلطف بالعبد فلا ينفع لطفه مردود فان اللطف هو اسداء الجميل والالطاف به واسمه اللطيف من ذلك فاذا أسدى الجميل الى العبد بان أسمعه اسماع لطيف به فتلك الغاية المرجوة ومعنى اللطف به على هذا أن يخلق في قلبه قبول الحق وحسن الاصغاء اليه والاهتداء به ولكن لا يتم ذلك على عقيدة الاعتزال والرأى الفاسد في خلق الافعال لان مقتضاها ان العبد هو الذي يخلق لنفسه قبول الحق والهداية (٥٣٠) وحسن الاستماع والاصغاء وان الله تعالى لا يشارك العبد في خلق ذلك بل الذي ينسب الى الله تعالى ارادة الهداية من جميع الخلق ولا يلزم حصول مراده على العموم تعالى الله عما يقولون ثم لو تنزل متنزل على هذه القاعدة لما استقام تأويل الزمخشري أيضا فان

حاصله ولو علم الله فيهم خيرا لطف بهم ولو لطف بهم لما انتفعوا باللطف فيلزم عدم انتفاعهم باللطف على تقدير علم الله الخير فيهم وهذا غير مستقيم لما يلزم عليه من وقوع خلاف المعلوم لله تعالى وذلك محال عقلا ولا يرتفع الاشكال الا بتقدير الاسماع الواقع جوابا أولا خلاف الاسماع الواقع شرطا ثانيا كيلا يتكرر الوسط فيلزم المحال المذكور وأقرب وجه في اختلاف الاسماعين أن يراد بالاول ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم اسماعا يخلق لهم به الهداية والقبول ولو أسمعهم لا على انه يخلق لهم الاهتداء بل اسماعا مجردا من ذلك لتولوا وهم معرضون فهذا هو الوجه في تأويل الآية والله الموفق * قوله تعالى واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه (قال معناه أنه يميته فتفوته الفرصة التي هو واجدها الخ) قال أحمد رحمه الله تم هذا معتقد أهل السنة الذي استعار لهم لقب الجبرة وهو العقد الحق المؤسس على التقوى وتفويض المخلوقات كلها الى الواحد الحق خالق الخلق فان كان ذلك ظلما فانا برىء من الطائفة المتسمية بالعدلية اصرارا على هذا الرأى الباطل والمعتقد الماحل والله الموفق

ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب واذكروا

جعلوهم من جنس البهائم ثم جعلوهم شرها (ولو علم الله) في هؤلاء الصم البكم (خيرا) أى انتفاعا باللطف (لاسمعهم) للطف بهم حتى لا يسمعوا سماع المصدقين ثم قال (ولو أسمعهم لتولوا) عنه يعني ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم ألطافه أو ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا وقيل هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا بأحد وكانوا أصحاب اللواء وعن ابن جريج هم المنافقون وعن الحسن أهل الكتاب (اذا دعاكم) وحد الضمير كما وحده فيما قبله لان استجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كاستجابته وانما يذكر أحدهما مع الآخر للتوكيد والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على باب أبي بن كعب فناداه وهو في الصلاة فعجل في صلاته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت أصلي قال ألم تخبر فيما أوحي الي استجيبوا لله وللرسول قال لا جرم لا تدعوني الا أجبتك وفيه قولان أحدهما أن هذا مما اختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم والثاني أن دعاءه كان لامر لم يحتمل التأخير واذا وقع مثله للمصلي فله أن يقطع صلاته (لما يحييكم) من علوم الديانات والشرائع لان العلم حياة كما ان الجهل موت ولبعضهم

لا تعجبن الجهول حلته * فذاك ميت وثوبه كفن

وقيل لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كقوله ولكم في القصاص حياة وقيل للشهادة لقوله بل أحياء عند ربهم (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) يعني أنه يميته فتفوته الفرصة التي هو واجدها وهي التمكن من اخلاص القلب ومعالجة أدوائه وعلله ورده سليما كما يريده الله فاغتنموا هذه الفرصة وأخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله (واعلموا أنكم اليه تحشرون) فيثيبكم على حسب سلامة القلوب واخلاص الطاعة وقيل معناه ان الله قد يملك على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويبدله بالخوف أمنا وبالأمن خوفا وبالذكر نسيانا وبالنسيان ذكرا وما أشبه ذلك مما هو جائز على الله تعالى فأما ما يثاب عليه العبد ويعاقب من أفعال القلوب فلا والجبرة على أنه يحول بين المرء والايمان اذا كفر وبينه وبين الكفر اذا آمن تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقيل معناه أنه يطلع على كل ما يخطره المرء بباله لا يخفى عليه شيء من ضمائره فكأنه بينه وبين قلبه * وقرئ بين المر بتشديد الراء ووجهه أنه قد حذف الهمزة وألقى حركتها على الراء كالخب ثم نوى الوقف على لغة من يقول مررت بعمر (فتنة) ذنبا قيل هو اقرار المنكر بين أظهرهم وقيل افتراق الكلمة وقيل فتنة عذابا وقوله (لا تصيبن) لا يخلو من أن يكون جوابا للامر أو نهيا بعد أمر أو صفة لفتنة فاذا كان جوابا فالمعنى ان أصابتكم لا تصب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم وهذا كما يحكى أن علماء بني اسرائيل نهوا عن المنكر تعذيرا فعمهم الله بالعذاب واذا كانت نهيا بعد أمر فكأنه قيل واحذروا ذنبا أو عقابا ثم قيل لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب أو أثر الذنب ووباله من ظلم منكم خاصة وكذلك اذا جعلته صفة على

أراد القول كأنه قيل واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن ونظيره قوله

حتى اذا جن الظلام واختلط * جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط

أي بمذق مقول فيه هذا القول لانه سمار فيه لون الورقة التي هي لون الذئب ويعضد المعنى الاخير قراءة ابن مسعود لتصيبن على جواب القسم المحذوف وعن الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير وهو يوم الجمل خاصة قال الزبير نزلت فينا وقرأناها زمانا وما أرانا من أهلها فاذا نحن المعنيون بها وعن السدي نزلت في أهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل وروي أن الزبير كان يساير النبي صلى الله عليه وسلم يوما اذ أقبل علي رضي الله عنه فضحك اليه الزبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف حبك لعلي فقال يا رسول الله بأبي أنت وأمي اني أحبه كحبي لولدي أو أشد حبا قال فكيف أنت اذا سرت اليه تقاتله (فان قلت) كيف جاز أن تدخل النون المؤكدة في جواب الامر (قلت) لان فيه معنى النهي اذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحك فلذلك جاز لا تطرحنك ولا تصيبن ولا يحطمنكم (فان قلت) فما معنى من في قوله الذين ظلموا منكم (قلت) التبعيض على الوجه الاول والتبيين على الثاني لان المعنى لا تصيبنكم خاصة على ظلمكم لان الظلم أقبح منكم من سائر الناس (اذ أنتم) نصبه على انه مفعول به مذكور لا ظرف أي اذكروا وقت كونكم أقلة أذلة مستضعفين (في الارض) أرض مكة قبل الهجرة تستضعفكم قريش (تخافون أن يتخطفكم الناس) لان الناس كانوا جميعا لهم أعداء منافقين مضادين (فآواكم) الى المدينة (وأيدكم) بنصره بمظاهرة الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر (ورزقكم من الطيبات) من الغنائم (لعلكم تشكرون) ارادة أن تشكروا هذه النعم وعن قتادة كان هذا الحي من العرب أذل الناس وأشقاهم عيشا وأعراهم جلدا وأبينهم ضلالا يؤكلون ولا يأكلون فمكن الله لهم في البلاد ووسع لهم في الرزق والغنائم وجعلهم ملوكا * معنى الخون النقص كما أن معنى الوفاء التمام ومنه تخونه اذا تنقصه ثم استعمل في ضد الامانة والوفاء لانك اذا خنت الرجل في شيء فقد أدخلت عليه النقصان فيه وقد استعير فقيل خان الدلو الكرب وخان المشتار السبب لانه اذا انقطع به فكأنه لم يف له ومنه قوله تعالى وتخونوا أماناتكم والمعنى لا تخونوا الله بأن تعطلوا فرائضه ورسوله بأن لا تستنوا به و (أماناتكم) فيما بينكم بأن لا تحفظوها (وأنتم تعلمون) تبعة ذلك ووباله وقيل وأنتم تعلمون أنكم تخونون يعني ان الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو وقيل وأنتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن وروي أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على أن يسيروا الى أذرعات وأريحاء من أرض الشام فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا أرسل الينا أبا لبابة مروان بن عبد المنذر وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في أيديهم فبعثه اليهم فقالوا له ما ترى هل ننزل على حكم سعد فأشار الى حلقه أنه الذبح قال أبو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت أني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله علي فمكث سبعة أيام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا أحلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالي فقال صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث أن تتصدق به وعن المغيرة نزلت في قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وقيل أماناتكم ما ائتمنكم الله عليه من فرائضه وحدوده (فان قلت) وتخونوا جزم هو أم نصب (قلت) يحتمل أن يكون جزما داخلا في حكم النهي وأن يكون نصبا باضمار أن كقوله وتكتموا الحق وقرأ مجاهد وتخونوا أمانتكم على التوحيد * جعل الاموال والاولاد فتنة لانهم سبب الوقوع في الفتنة وهي الاثم أو العذاب أو محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده والله عنده أجر عظيم فعليكم أن تنوطوا بطلبه وبما تؤدي اليه هممكم وتزهدوا في الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد حتى تورطوا أنفسكم من أجلهما كقوله المال والبنون الآية وقيل هي من جملة ما نزل في أبي لبابة وما فرط منه لاجل ماله وولده (فرقانا) نصرا لانه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر

اذ أنتم قليل مستضعفون في الارض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيآتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم واذ يمكر بك الذين كفروا

باذلال حزبه والاسلام باعزاز أهله ومنه قوله تعالى يوم الفرقان أو بيانا وظهورا يشهر أمركم ويبث صيتكم
وآثاركم فى أقطار الارض من قولهم بت أفعل كذا حتى سطع الفرقان أى طلع الفجر أو مخرجا من الشبهات
وتوفيقا وشرحا للصدور أو تفرقة بينكم وبين غيركم من أهل الاديان وفضلا ومزية فى الدنيا والآخرة *
لما فتح الله عليه ذكره مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله عز وجل فى نجاته من مكرهم واستيلائه
عليهم وما أتاح الله له من حسن العاقبة والمعنى واذكر اذ يمكرون بك وذلك أن قريشا لما أسلمت الانصار
وبايعوه فرقوا أن يتفاقم أمره فاجتمعوا فى دار الندوة متشاورين فى أمره فدخل عليهم ابليس فى صورة
شيخ وقال أنا شيخ من نجد ما أنا من تهامة دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم ولن تعدموا منى
رأيا ونصحا فقال أبو البخترى رأيى أن تحبسوه فى بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه
وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون فقال ابليس بئس الرأى يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من
أيديكم فقال هشام بن عمرو رأيى أن تحملوه على جمل وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم
فقال ابليس بئس الرأى يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال أبو جهل أنا أرى أن تأخذوا من كل بطن غلاما
وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه فى القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب
قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال الشيخ لعنه الله صدق هذا الفتى هو أجودكم رأيا فتفرقوا
على رأى أبى جهل مجتمعين على قتله فأخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن لا يبيت
فى مضجعه وأذن الله فى الهجرة فأمر عليا رضى الله عنه فنام فى مضجعه وقال له اتشح ببردتى فانه لن يخلص
اليك أمر تكرهه وباتوا مترصدين فلما أصبحوا ثاروا الى مضجعه فأبصروا عليا فبهتوا وخيب الله عز وجل
سعيهم واقتصوا أثره فأبطل الله مكرهم (ليثبتوك) ليسجنوك أو يوثقوك أو يثخنوك بالضرب والجرح
من قولهم ضربوه حتى أثبتوه لا حراك به ولا براح وفلان مثبت وجعا وقرئ ليثبتوك بالتشديد وقرأ النخعى
ليبيتوك من البيات وعن ابن عباس ليقيدوك وهو دليل لمن فسره بالايثاق (ويمكرون) ويخفون المكايد
له (ويمكر الله) ويخفى الله ما أعد لهم حتى يأتيهم بغتة (والله خير الماكرين) أى مكره أنفذ من مكر
غيره وأبلغ تأثيرا أو لأنه لا ينزل الا ما هو حق وعدل ولا يصيب الا بما هو مستوجب (لو نشاء لقلنا مثل
هذا) نفاجة منهم وصلف تحت الراعدة فانهم لم يتوانوا فى مشيئتهم لو ساعدتهم الاستطاعة والا فما منعهم
ان كانوا مستطيعين أن يشاؤا غلبة من تحداهم وقرعهم بالعجز حتى يفوزوا بالقدح المعلى دونه مع فرط أنفتهم
واستنكافهم أن يغلبوا فى باب البيان خاصة وأن يماتنهم واحد فيتعلوا لامتناع المشيئة ومع ما علم وظهر
ظهور الشمس من حرصهم على أن يقهروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتهالكهم على أن يغمروه وقيل
قائله النضر بن الحرث المقتول صبرا حين سمع اقتصاص الله أحاديث القرون لو شئت لقلت مثل هذا وهو
الذى جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رستم واسفنديار فزعم أن هذا مثل ذلك وأنه من جملة تلك الاساطير
وهو القائل (ان كان هذا هو الحق) وهذا أسلوب من الجحود بليغ يعنى ان كان القرآن هو الحق فعاقبنا على
انكاره بالسجيل كما فعلت بأصحاب الفيل أو بعذاب آخر ومراده نفى كونه حقا واذا انتفى كونه حقا لم
يستوجب منكره عذابا فكان تعليق العذاب بكونه حقا مع اعتقاد أنه ليس بحق كتعليقه بالمحال فى قولك
ان كان الباطل حقا فأمطر علينا الحجارة وقوله هو الحق تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين هذا
هو الحق وقرأ الاعمش هو الحق بالرفع على أن هو مبتدأ غير فصل وهو فى القراءة الاولى فصل * ويقال
أمطرت السماء كقوله أنجمت وأسبلت ومطرت كقولك هتنت وهتلت وقد كثر الامطار فى معنى العذاب
(فان قلت) ما فائدة قوله (من السماء) والامطار لا تكون الا منها (قلت) كأنه أريد أن يقال فأمطر علينا السجيل
وهى الحجارة المسومة للعذاب فوضع حجارة من السماء موضع السجيل كما تقول صب عليه مسرودة من حديد
تريد درعا (بعذاب أليم) أى بنوع آخر من جنس العذاب الاليم يعنى أن أمطار السجيل بعض العذاب الاليم
فعذبنا به أو بنوع آخر من أنواعه وعن معاوية أنه قال لرجل من سبأ ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم

امرأة

ليثبتوك أو يقتلوك
أو يخرجوك ويمكرون
ويمكر الله والله خير
الماكرين واذا تتلى
عليهم آياتنا قالوا قد
سمعنا لو نشاء لقلنا مثل
هذا ان هذا الا أساطير
الاولين واذ قالوا اللهم
ان كان هذا هو الحق
من عندك فأمطر علينا
حجارة من السماء أو
ائتنا بعذاب أليم وما
كان الله ليعذبهم وأنت
فيهم وما كان الله معذبهم

امرأة قال أجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا له * اللام لتأكيد النفي والدلالة على أن تعذيبهم وأنت بين أظهرهم غير مستقيم في الحكمة لان عادة الله وقضية حكمته أن لا يعذب قوما عذاب استئصال مادام نبيهم بين أظهرهم وفيه اشعار بأنهم مرصدون بالعذاب اذا هاجر عنهم والدليل على هذا الاشعار قوله وما لهم ألا يعذبهم الله وانما يصح هذا بعد اثبات التعذيب كأنه قال وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وهو معذبهم اذا فارقتهم وما لهم أن لا يعذبهم (وهم يستغفرون) في موضع الحال ومعناه نفي الاستغفار عنهم أي ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ولكنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون ولا يتوقع ذلك منهم وقيل معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر وهم المسلمون بين أظهرهم ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المستضعفين وما لهم أن لا يعذبهم الله وأي شئ لهم في انتفاء العذاب عنهم يعني لا حظ لهم في ذلك وهم معذبون لا محالة وكيف لا يعذبون وحالهم أنهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية واخراجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من الصد وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء (وما كانوا أولياءه) وما استحقوا مع شركهم وعداوتهم للدين أن يكونوا ولاة أمره وأربابه (ان أولياؤه الا المتقون) من المسلمين ليس كل مسلم أيضا ممن يصلح لان يلي أمره انما يستأهل ولايته من كان برا تقيا فكيف بالكفرة عبدة الاصنام (ولكن أكثرهم لا يعلمون) كأنه استثنى من كان يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسة أو أراد بالأكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم * المكاء فعال بوزن الثغاء والرغاء من مكا يمكو اذا صفر ومنه المكاء كأنه سمي بذلك لكثرة مكائه وأصله الصفة نحو الوضاء والقراء وقرئ مكا بالقصر ونظيرهما البكى والبكاء * والتصدية التصفيق تفعلة من الصدى أو من صد يصد اذا قومك منه يصدون وقرأ الاعمش وما كان صلاتهم بالنصب على تقديم خبر كان على اسمه (فان قلت) ما وجه هذا الكلام (قلت) هو نحو من قوله

وما كنت أخشى أن يكون عطاؤه * أداهم سودا أو محدرجة سمرا

والمعنى أنه وضع القيود والسياط موضع العطاء ووضعوا المكاء والتصدية موضع الصلاة وذلك أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء وهم مشبكون بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك اذا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاته يخلطون عليه (فذوقوا) عذاب القتل والاسر يوم بدر بسبب كفركم وأفعالكم التي لا يقدم عليها الا الكفرة * قيل نزلت في المطعمين يوم بدر كان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزائر وقيل قالوا لكل من كان له تجارة في العير أعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثأرنا بما أصيب منا ببدر وقيل نزلت في أبي سفيان وقد استأجر ليوم أحد ألفين من الاحابيش سوى من استجاش من العرب وأنفق عليهم أربعين أوقية والاوقية اثنان وأربعون مثقالا (ليصدوا عن سبيل الله) أي كان غرضهم في الانفاق الصد عن اتباع محمد وهو سبيل الله وان لم يكن عندهم كذلك (ثم تكون عليهم حسرة) أي تكون عاقبة انفاقها ندما وحسرة فكأن ذاتها تصير ندما وتنقلب حسرة (ثم يغلبون) آخر الامر وان كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين سجالا قبل ذلك فيرجعون طلقاء كتب الله لأغلبن أنا ورسلي (والذين كفروا) والكافرون منهم (الى جهنم يحشرون) لان منهم من أسلم وحسن اسلامه (ليميز الله الخبيث) الفريق الخبيث من الكفار (من) الفريق (الطيب) من المؤمنين * فيجعل الفريق (الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا) عبارة عن الجمع والضم حتى يتراكبوا كقوله تعالى كادوا يكونون عليه لبدا يعني لفرط ازدحامهم (أولئك) اشارة الى الفريق الخبيث وقيل ليميز المال الخبيث الذي أنفقه المشركون في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم من المال الطيب الذي أنفقه المسلمون كأبي بكر وعثمان في نصرته فيركمه فيجعله في جهنم في جملة ما يعذبون به كقوله فتكوى بها جباههم وجنوبهم الآية واللام على هذا متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وعلى الاول بيحشرون وأولئك اشارة الى الذين كفروا * وقرئ ليميز على التخفيف (قل للذين

وهم يستغفرون وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه ان أولياؤه الا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون قل للذين كفروا

كفروا من أبي سفيان وأصحابه أي قل لاجلهم هذا القول وهو (ان ينتهوا) ولو كان بمعنى خاطبهم به لقيل ان تنتهوا يغفر لكم وهي قراءة ابن مسعود ونحوه وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه خاطبوا به غيرهم لاجلهم ليسمعوه أي ان ينتهوا عما هم عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتاله بالدخول في الاسلام (يغفر لهم ما قد سلف) لهم من العداوة (وان يعودوا) لقتاله (فقد مضت سنة الاولين) منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر أو فقد مضت سنة الذين تحزبوا على أنبيائهم من الامم فدمروا فليتوقعوا مثل ذلك ان لم ينتهوا وقيل معناه أن الكفار اذا انتهوا عن الكفر وأسلموا غفر لهم ما قد سلف لهم من الكفر والمعاصي وخرجوا منها كما تنسل الشعرة من العجين ومنه قوله عليه الصلاة والسلام الاسلام يجب ما قبله وقالوا الحربي اذا أسلم لم يبق عليه تبعة قط وأما الذمي فلا يلزمه قضاء حقوق الله وتبقى عليه حقوق الآدميين وبه احتج أبو حنيفة رحمه الله في أن المرتد اذا أسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة في حال الردة وقبلها وفسر وان يعودوا بالارتداد* وقرئ يغفر لهم على أن الضمير لله عز وجل (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) الى أن لا يوجد فيهم شرك قط (ويكون الدين كله لله) ويضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين الاسلام وحده (فان انتهوا) عن الكفر وأسلموا (فان الله بما يعملون بصير) يثيبهم على توبتهم واسلامهم وقرئ تعملون بالتاء فيكون المعنى فان الله بما تعملون من الجهاد في سبيله والدعوة الى دينه والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الاسلام بصير يجازيكم عليه أحسن الجزاء (وان تولوا) ولم ينتهوا (فان الله مولاكم) أي ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته (انما غنمتم) ما موصولة و (من شيء) بيانه قيل من شيء حتى الخيط والمخيط (فان لله) مبتدأ خبره محذوف تقديره فحق أو فواجب أن لله خمسه وروى الجعفي عن أبي عمرو فان لله بالكسر وتقويه قراءة النخعي فلله خمسه والمشهورة آكد وأثبت للايجاب كأنه قيل فلا بد من ثبات الخمس فيه ولا سبيل الى الاخلال به والتفريط فيه من حيث انه اذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت واجب حق لازم وما أشبه ذلك كان أقوى لايجابه من النص على واحد وقرئ خمسه بالسكون (فان قلت) كيف قسمة الخمس (قلت) عند أبي حنيفة رحمه الله أنها كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة أسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم لذوي قرباه من بني هاشم وبني المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة والمظاهرة لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم رضي الله عنهما أنهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم أرأيت اخواننا بني المطلب أعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال صلى الله عليه وسلم انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين أصابعه وثلاثة أسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل وأما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم فهم أسوة سائر الفقراء ولا يعطى أغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل وأما عند الشافعي رحمه الله فيقسم على خمسة أسهم سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من السلاح والكراع ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من أغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين والباقي للفرق الثلاث وعند مالك بن أنس رحمه الله الامر فيه مفوض الى اجتهاد الامام ان رأى قسمه بين هؤلاء وان رأى أعطاه بعضهم دون بعض وان رأى غيرهم أولى وأهم فغيرهم (فان قلت) ما معنى ذكر الله عز وجل وعطف الرسول وغيره عليه (قلت) يحتمل أن يكون معنى لله وللرسول لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه وأن يراد بذكره ايجاب سهم سادس يصرف الى وجه من وجوه القرب وأن يراد بقوله فان لله خمسه ان من حق الخمس أن يكون متقربا به اليه لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها كقوله تعالى وجبريل وميكال

ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير وان تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل

• قوله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى الآية (قال ان قلت ما معنى ذكر الله وعطف الرسول وغيره عليه الخ) قال أحمد لان مالكا رضي الله عنه لا يرى ذكر الوجوه المذكورة لبيان انه لا يصرف فيما سواها وليس لان يملكها ولا على التحديد حتى لا يجوز الاقتصار على بعض الوجوه دون بعض بل الامر عنده موكول الى نظر الامام فيصرف الخمس في مصالح المسلمين ومن جملتها قرابته عليه الصلاة والسلام ولا تحديد عنده في ذلك البتة وهذا التأويل الثالث ينطبق على مذهبه وبيان ذلك ان المراد حينئذ بذكر الله تعالى بيان ان الخمس يصرف في وجوه التقربات لله تعالى غير مقيد ثم تخصيص الوجوه المذكورة بعد ليس تحديدا ولكن تنبيها على فضلها او التخصيص لقصد التفصيل بعد التعميم لا يرفع حكم العموم الاول بل هو قار على حاله كما ان العموم ثابت للملائكة وان خص جبريل وميكال بعده والله تعالى أعلم

وميكال فعلى الاحتمال الاول مذهب الامامين وعلى الثانى ماقال أبو العالية انه يقسم على ستة أسهم سهم لله تعالى يصرف الى رتاج الكعبة وعنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة وهو سهم الله تعالى ثم يقسم مابقى على خمسة وقيل ان سهم الله تعالى لبيت المال وعلى الثالث مذهب مالك بن أنس وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه كان على ستة أسهم لله وللرسول سهمان وسهم لاقاربه حتى قبض فأجرى أبو بكر رضى الله عنه الخمس على ثلاثة وكذلك روى عن عمر ومن بعده من الخلفاء وروى أن أبا بكر رضى الله عنه منع بنى هاشم الخمس وقال انما لكم أن يعطى فقيركم ويزوج أيمكم ويخدم من لاخادم له منكم فاما الغنى منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غنى لايعطى من الصدقة شيأ ولايتيم موسر وعن زيد بن على رضى الله عنه كذلك قال ليس لنا أن نبنى منه قصورا ولا أن نركب منه البراذين وقيل الخمس كله للقرابة وعن على رضى الله عنه أنه قيل له ان الله تعالى قال واليتامى والمساكين فقال أيتامنا ومساكيننا وعن الحسن رضى الله عنه فى سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لولى الامر من بعده وعن الكلبى رضى الله عنه أن الآية نزلت ببدر وقال الواقدى كان الخمس فى غزوة بنى قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة أيام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة (فان قلت) بم تعلق قوله (ان كنتم آمنتم بالله) (قلت) بمحذوف يدل عليه واعلموا المعنى ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا أن الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه أطماعكم واقتنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد بالعلم المجرد ولكنه العلم المضمن بالعمل والطاعة لامر الله تعالى لان العلم المجرد يستوى فيه المؤمن والكافر (وما أنزلنا) معطوف على بالله أى ان كنتم آمنتم بالله وبالمنزل على عبدنا وقرئ عبدنا كقوله وعبد الطاغوت بضمتين (يوم الفرقان) يوم بدر و(الجمعان) الفريقان من المسلمين والكافرين والمراد ما أنزل عليه من الآيات والملائكة والفتح يومئذ (والله على كل شئ قدير) يقدر على أن ينصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم (اذ) بدل من يوم الفرقان * والعدوة شط الوادى بالكسر والضم والفتح وقرئ بهن وبالعدية على قلب الواو ياء لان بينها وبين الكسرة حاجزا غير حصين كما فى الصبية * والدنيا والقصوى تأنيث الادنى والاقصى (فان قلت) كلتاهما فعلى من بنات الواو فلم جاءت احداهما بالياء والثانية بالواو (قلت) القياس هو قلب الواو ياء كالعليا وأما القصوى فكالقود فى مجيئه على الاصل وقد جاء القصيا الا أن استعمال القصوى أكثر كما كثر استعمال استصوب مع مجئ استصاب وأغيلت مع أغالت والعدوة الدنيا مما يلى المدينة والقصوى مما يلى مكة (والركب أسفل منكم) يعنى الركب الاربعين الذين كانوا يقودون العير أسفل منكم بالساحل وأسفل نصب على الظرف معناه مكانا أسفل من مكانكم وهو مرفوع المحل لانه خبر المبتدا (فان قلت) مافائدة هذا التوقيت وذكر مراكز الفريقين وأن العير كانت أسفل منهم (قلت) الفائدة فيه الاخبار عن الحال الدالة على قوة شأن العدو وشوكته وتكامل عدته وتمهد أسباب الغلبة له وضعف شأن المسلمين والتياث أمرهم وأن غلبتهم فى مثل هذه الحال ليست الا صنعا من الله سبحانه ودليلا على أن ذلك أمر لم يتيسر الا بحوله وقوته وباهر قدرته وذلك أن العدوة القصوى التى أناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت أرضا لابأس بها ولاماء بالعدوة الدنيا وهى خبار تسوخ فيها الارجل ولايمشى فيها الا بتعب ومشقة وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم وتشحذ فى المقاتلة عنها نياتهم ولهذا كانت العرب تخرج الى الحرب بظعنهم وأموالهم ليبعثهم الذب عن الحريم والغيرة على الحرم على بذل جهيداهم فى القتال وأن لايتركوا وراءهم مايحدثون أنفسهم بالانحياز اليه فيجمع ذلك قلوبهم ويضبط هممهم ويوطن نفوسهم على أن لايبرحوا مواطنهم ولايخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى نجدتهم وقصارى شدتهم وفيه تصوير ما دبر سبحانه من أمر وقعة بدر ليقضى أمرا كان مفعولا من اعزاز دينه واعلاء كلمته حين وعد المسلمين احدى الطائفتين مبهمة غير مبينة حتى خرجوا ليأخذوا العير راغبين فى الخروج وشخص بقريش مرعوبين مما بلغهم من تعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم لاموالهم حتى نفروا ليمنعوا عيرهم وسبب

ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شئ قدير اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم

* قوله تعالى اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد (قال ان قلت ما فائدة ذكر مراكز الفريقين وان العير كانت أسفل منهم الخ) قال أحمد وهذا الفصل من خواص حسنات الزمخشرى وتنقيبه عن أسرار الكتاب العزيز

الاسباب حتى أناخ هؤلاء بالعدوة الدنيا وهؤلاء بالعدوة القصوى ووراءهم العير يحامون عليها حتى قامت الحرب على ساق وكان ما كان (ولو تواعدتم) أنتم وأهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال لخالف بعضكم بعضا فثبطكم قلتكم وكثرتهم على الوفاء بالموعد وثبطهم ما في قلوبهم من تهيب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقي ما وفقه الله وسبب له (ليقضي) متعلق بمحذوف أي ليقضي أمرا كان واجبا أن يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه دبر ذلك وقوله (ليهلك) بدل منه واستعير الهلاك والحياة للكفر والاسلام أي ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن مخالجة شبهة حتى لا تبقى له على الله حجة ويصدر اسلام من أسلم أيضا عن يقين وعلم بأنه دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك أن ما كان من وقعة بدر من الآيات الغر المحجلة التي من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطا لها * وقرئ ليهلك بفتح اللام وحيي باظهار التضعيف (لسميع عليم) يعلم كيف يدبر أموركم ويسوي مصالحكم أو لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وبايمان من آمن وثوابه (اذ يريكهم الله) نصبه باضمار اذكر أو هو بدل ثان من يوم الفرقان أو متعلق بقوله لسميع عليم أي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك (في منامك) في رؤياك وذلك أن الله عز وجل أراه اياهم في رؤياه قليلا فأخبر بذلك أصحابه فكان تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم وعن الحسن في منامك في عينك لانها مكان النوم كما قيل للقطيفة المنامة لانه ينام فيها وهذا تفسير فيه تعسف وما أحسب الرواية صحيحة فيه عن الحسن وما يلائم علمه بكلام العرب وفصاحته (لفشلتم) لجبنتم وهبتم الاقدام (ولتنازعتم) في الرأي وتفرقت فيما تصنعون كلمتكم وترجحتم بين الثبات والفرار (ولكن الله سلم) أي عصم وأنعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف (انه عليم بذات الصدور) يعلم ما سيكون فيها من الجراءة والجبن والصبر والجزع (واذ يريكموهم) الضميران مفعولان يعني واذ يبصركم اياهم و(قليلا) نصب على الحال وانما قللهم في أعينهم تصديقا لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعاينوا ما أخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا قال ابن مسعود رضي الله عنه لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي أتراهم سبعين قال أراهم مائة فأسرنا رجلا منهم فقلنا له كم كنتم قال ألفا (ويقللكم في أعينهم) حتى قال قائل منهم انما هم أكلة جزور (فان قلت) الغرض في تقليل الكفار في أعين المؤمنين ظاهر فما الغرض في تقليل المؤمنين في أعينهم (قلت) قد قللهم في أعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيها بعده ليجترئوا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجأهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا وتفل شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حسابهم وتقديرهم وذلك قوله يرونهم مثليهم رأي العين ولئلا يستعدوا لهم وليعظم الاحتجاج عليهم باستيضاح الآية البينة من قلتهم أولا وكثرتهم آخرا (فان قلت) بأي طريق يبصرون الكثير قليلا (قلت) بأن يستر الله عنهم بعضه بساتر أو يحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير كما أحدث في أعين الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم ان الاحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك واحد فقال ما لي لا أرى هذين الديكين أربعة (اذا لقيتم فئة) اذا حاربتم جماعة من الكفار وترك أن يصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء اسم للقتال غالب (فاثبتوا) لقتالهم ولا تفروا (واذكروا الله كثيرا) في مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم (لعلكم تفلحون) لعلكم تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه اشعار بأن على العبد أن لا يفتر عن ذكر ربه أشغل ما يكون قلبا وأكثر ما يكون هما وأن تكون نفسه مجتمعة لذلك وان كانت متوزعة عن غيره وناهيك بما في خطب أمير المؤمنين عليه السلام في أيام صفين وفي مشاهده مع البغاة والخوارج من البلاغة والبيان ولطائف المعاني وبليغات المواعظ والنصائح دليلا على أنهم كانوا لا يشغلهم عن ذكر الله شاغل وان تفاقم الامر (ولا تنازعوا) قرئ بتشديد التاء (فتفشلوا) منصوب باضمار ان أو مجزوم لدخوله في حكم النهي وتدل على التقديرين قراءة من قرأ وتذهب ريحكم بالتاء

ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وان الله لسميع عليم اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور واذ يريكموهم اذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ولا تكونوا

* قوله تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم (قال ان قلت بأي طريق يبصرون الكثير قليلا الخ) قال أحمد وفي هذا دليل بين على ان الله تعالى (٥٣٦) هو الذي يخلق الادراك في الحاسة غير موقوف على سبب من مقابلة أو قرب أو ارتفاع حجب أو غير ذلك اذ لو كانت هذه الاسباب موجبة للرؤية عقلا لما أمكن ان يستر عنهم البعض وقد أدركوا البعض والسبب الموجب مشترك فعلى هذا يجوز ان يخلق الله الادراك مع اجتماعها فلا ربط اذا بين الرؤية ونفيها الا مقدرة الله تعالى وهي رادة على القدرية المنكرين لرؤية الله تعالى بناء على اعتبار هذه الاسباب في حصول الادراك عقلا وانها تستلزم الجسمية اذ المقابلة والنصب والقرب وارتفاع الحجب انما تتأتى في جسم فهذه الآية حسبهم في ابطال زعمهم ولكنهم يمرون عليها وهم عنها معرضون والله الموفق

والنصب وقراءة من قرأ ويذهب ريحكم بالياء والجزم * والريح الدولة شبهت في نفوذ أمرها وتمشيه بالريح وهبوبها فقيل هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة ونفذ أمره ومنه قوله

يا صاحبي ألا لاحي بالوادي * الا عبيد قعود بين أذواد
أتنظران قليلا ريث غفلتهم * أم تعدوان فان الريح للعادي

وقيل لم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله تعالى وفي الحديث نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور * حذرهم بالنهي عن التنازع واختلاف الرأي نحو ما وقع لهم باحد لتنازعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من فشلهم وذهاب ريحهم (كالذين خرجوا من ديارهم) هم أهل مكة حين خرجوا لحماية العير فأتاهم رسول أبي سفيان وهم بالجحفة أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فأبى أبو جهل وقال حتى نقدم بدرا نشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فذلك بطرهم ورئاؤهم الناس باطعامهم فوافوها فسقوا كؤس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهاهم أن يكونوا امثالهم بطرين طربين مرائين باعمالهم وأن يكونوا من أهل التقوى والكآبة والحزن من خشية الله عز وجل مخلصين أعمالهم لله (و) اذكر (اذ زين لهم الشيطان أعمالهم) التي عملوها في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووسوس اليهم أنهم لا يغلبون ولا يطاقون وأوهمهم أن اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان وتبرأ منهم أي بطل كيده حين نزلت جنود الله وكذا عن الحسن رحمه الله كان ذلك على سبيل الوسوسة ولم يتمثل لهم * وقيل لما اجتمعت قريش على السير ذكرت التي بينها وبين بني كنانة من الحرب فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر الكناني وكان من أشرافهم في جند من الشياطين معه راية وقال لا غالب لكم اليوم واني مجيركم من بني كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وقيل كانت يده في يد الحرث بن هشام فلما نكص قال له الحرث الى أين أتخذلنا في هذه الحال فقال اني أرى ما لا ترون ودفع في صدر الحرث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما أسلموا علموا أنه الشيطان وفي الحديث وما رؤي ابليس يوما أصغر ولا أدحر ولا أغيظ من يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة الا ما رؤي يوم بدر (فان قلت) هلا قيل لا غالبا لكم كما يقال لا ضاربا زيدا عندنا (قلت) لو كان لكم مفعولا لغالب بمعنى لا غالبا اياكم لكان الامر كما قلت لكنه خبر تقديره لا غالب كائن لكم (اذ يقول المنافقون) بالمدينة (والذين في قلوبهم مرض) يجوز أن يكون من صفة المنافقين وأن يراد الذين هم على حرف ليسوا بثابتي الاقدام في الاسلام وعن الحسن هم المشركون (غر هؤلاء دينهم) يعنون أن المسلمين اغتروا بدينهم وأنهم يتقوون به وينصرون من أجله فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء ألف ثم قال جوابا لهم (ومن يتوكل على الله فان الله عزيز) غالب يسلط القليل الضعيف على الكثير القوي (ولو ترى) ولو عاينت وشاهدت لان لو ترد المضارع الى معنى الماضي كما ترد ان الماضي الى معنى الاستقبال و(اذ) نصب على الظرف * وقرئ يتوفى بالياء والتاء و (الملائكة) رفعها بالفعل و (يضربون) حال منهم ويجوز أن يكون في يتوفى ضمير الله عز وجل والملائكة مرفوعة بالابتداء ويضربون خبر * وعن مجاهد وأدبارهم أستاههم ولكن الله كريم يكني وانما خصوهما بالضرب لان الخزي والنكال في ضربهما أشد وبلغني عن أهل الصين أن عقوبة الزاني عندهم أن يصبر ثم يعطى الرجل القوي البطش شيأ عمل من حديد كهيئة الطبق فيه رزانة وله مقبض فيضرب به على دبره ضربة واحدة بقوته فيجمد في مكانه وقيل يضربون ما أقبل منهم وما أدبر (وذوقوا) معطوف على يضربون على ارادة القول أي ويقولون ذوقوا (عذاب الحريق) أي مقدمة عذاب النار أو وذوقوا عذاب الآخرة بشارة لهم به وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار أو ويقال لهم يوم القيامة ذوقوا وجواب لو محذوف أي لرأيت أمرا فظيعا منكرا (ذلك بما قدمت أيديكم) يحتمل أن يكون من كلام الله ومن كلام الملائكة وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت خبره (وأن الله) عطف عليه أي ذلك العذاب بسببين بسبب كفركم ومعاصيكم وبأن الله (ليس

كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني أرى ما لا ترون اني أخاف الله والله شديد العقاب اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس

بظلام للعبيد) لان تعذيب الكفار من العدل كاثابة المؤمنين وقيل ظلام للتكثير لاجل العبيد أو لان العذاب من العظم بحيث لولا الاستحقاق لكان المعذب بمثله ظلاما بليغ الظلم متفاقمه الكاف فى محل الرفع أى دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون ودأبهم عادتهم وعملهم الذى دأبوا فيه أى داموا عليه وواظبوا و (كفروا) تفسير لدأب آل فرعون و (ذلك) اشارة الى ما حل بهم يعنى ذلك العذاب أو الانتقام بسبب ان الله لم ينبغ له ولم يصح فى حكمته أن يغير نعمته عند قوم (حتى يغيروا ما) بهم من الحال (فان قلت) فما كان من تغيير آل فرعون ومشركى مكة حتى غير الله نعمته عليهم ولم تكن لهم حال مرضية فيغيروها الى حال مسخوطة (قلت) كما تغير الحال المرضية الى المسخوطة تغير الحال المسخوطة الى أسخط منها وأولئك كانوا قبل بعثة الرسول اليهم كفرة عبدة أصنام فلما بعث اليهم بالآيات البينات فكذبوه وعادوه وتحزبوا عليه ساعين فى اراقة دمه غيروا حالهم الى أسوأ مما كانت فغير الله ما أنعم به عليهم من الامهال وعاجلهم بالعذاب (وأن الله سميع) لما يقول مكذبو الرسل (عليم) بما يفعلون (كدأب آل فرعون) تكرير للتأكيد وفى قوله (بآيات ربهم) زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق * وفى ذكر الاغراق بيان للاخذ بالذنوب (وكل كانوا ظالمين) وكلهم من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصى (الذين كفروا فهم لا يؤمنون) أى أصروا على الكفر ولجوا فيه فلا يتوقع منهم ايمان وهم بنو قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يمالئوا عليه فنكثوا بأن أعانوا مشركى مكة بالسلاح وقالوا نسينا وأخطأنا ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤهم معهم يوم الخندق وانطلق كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم (الذين عاهدت منهم) بدل من الذين كفروا أى الذين عاهدتهم من الذين كفروا وجعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون منهم وشر المصرين الناكثون للعهود (وهم لا يتقون) لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون ما فيه من العار والنار (فاما تثقفنهم فى الحرب) فاما تصادفنهم وتظفرن بهم (فشرد بهم من خلفهم) ففرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم أحد اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه فشرذ بالذال المعجمة بمعنى ففرق وكأنه مقلوب شذر من قولهم ذهبوا شذر مذر ومنه الشذر الملتقط من المعدن لتفرقه وقرأ أبو حيوة من خلفهم ومعناه فافعل التشريد من ورائهم لانه اذا شرد الذين وراءهم فقد فعل التشريد فى الوراء وأوقعه فيه لان الوراء جهة المشردين فاذا جعل الوراء ظرفا للتشريد فقد دل على تشريد من فيه فلم يبق فرق بين القراءتين (لعلهم يذكرون) لعل المشردين من ورائهم يتعظون (واما تخافن من قوم) معاهدين (خيانة) ونكثا بأمارات تلوح لك (فانبذ اليهم) فاطرح اليهم العهد (على سواء) على طريق مستو قصد وذلك أن تظهر لهم نبذ العهد وتخبرهم اخبارا مكشوفا بينا أنك قطعت ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك (ان الله لا يحب الخائنين) فلا يكن منك اخفاء نكث العهد والخداع وقيل على استواء فى العلم بنقض العهد وقيل على استواء فى العداوة والجار والمجرور فى موضع الحال كأنه قيل فانبذ اليهم ثابتا على طريق قصد سوى أو حاصلين على استواء فى العلم أو العداوة على أنها حال من النابذ والمنبوذ اليهم معا (سبقوا) فاتوا وأفلتوا من أن يظفر بهم (انهم لا يعجزون) انهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وقرئ انهم بالفتح بمعنى لانهم كل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل الا أن المكسورة على طريقة الاستئناف والمفتوحة تعليل صريح وقرئ يعجزون بالتشديد وقرأ ابن محيصن يعجزون بكسر النون * وقرأ الاعمش ولا تحسب الذين كفروا بكسر الباء وبفتحها على حذف النون الخفيفة وقرأ حمزة ولا يحسبن بالياء على أن الفعل للذين كفروا وقيل فيه أصله ان سبقوا فحذفت أن كقوله ومن آياته يريكم البرق واستدل عليه بقراءة ابن مسعود رضى الله عنه أنهم سبقوا وقيل وقع الفعل على انهم لا يعجزون على أن لا صلة وسبقوا فى محل الحال بمعنى سابقين أى مفلتين هاربين وقيل معناه ولا يحسبنهم الذين كفروا سبقوا فحذف الضمير لكونه مفهوما وقيل ولا يحسبن قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا وهذه الاقاويل كلها متمحلة وليست هذه القراءة التى تفرد بها حمزة بنيرة وعن الزهرى أنها نزلت

بظلام للعبيد كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم ان الله قوى شديد العقاب ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وان الله سميع عليم كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون وأعدوا لهم ما استطعتم

---

* قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد (قال وقيل ظلام للتكثير لاجل العبيد الخ) قال أحمد وبهذه النكتة يجاب عن قول القائل نفى الادنى أبلغ من نفى الاعلى فلم عدل عن الابلغ والمراد تنزيه الله تعالى وهو جدير بالمبالغة فهذان الجوابان عتيدان فى هذا السؤال

فيمن أقلت من قبل المشركين (من قوة) من كل ما يتقوى به في الحرب من عددها وعن عقبة بن عامر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر ألا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ومات عقبة عن سبعين قوسا في سبيل الله وعن عكرمة هي الحصون * والرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله ويجوز أن يسمى بالرباط الذي هو بمعنى المرابطة ويجوز أن يكون جمع ربيط كفصيل وفصال وقرأ الحسن ومن ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط ويجوز أن يكون قوله (ومن رباط الخيل) تخصيصا للخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكال وعن ابن سيرين رحمه الله أنه سئل عمن أوصى بثلث ماله في الحصون فقال يشترى به الخيل فترابط في سبيل الله ويغزى عليها فقيل له انما أوصى في الحصون فقال ألم تسمع قول الشاعر

* ان الحصون الخيل لا مدر القرى *

(ترهبون) قرئ بالتخفيف والتشديد وقرأ ابن عباس ومجاهد رضي الله عنهما تخزون والضمير في (به) راجع الى ما استطعتم (عدو الله وعدوكم) هم أهل مكة (وآخرين من دونهم) هم اليهود وقيل المنافقون وعن السدي هم أهل فارس وقيل كفرة الجن وجاء في الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروى أن صهيل الخيل يرهب الجن * جنح له واليه اذا مال * والسلم تؤنث تأنيث نقيضها وهي الحرب قال

السلم تأخذ منها ما رضيت به * والحرب يكفيك من أنفاسها جرع

وقرئ بفتح السين وكسرها وعن ابن عباس رضي الله عنه أن الآية منسوخة بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله وعن مجاهد بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والصحيح أن الامر موقوف على ما يرى فيه الامام صلاح الاسلام وأهله من حرب أو سلم وليس بحتم أن يقاتلوا أبدا أو يجابوا الى الهدنة أبدا * وقرأ الاشهب العقيلي فاجنح بضم النون (وتوكل على الله) ولا تخف من ابطانهم المكر في جنوحهم الى السلم فان الله كافيك وعاصمك من مكرهم وخديعتهم قال مجاهد يريد قريظة (فان حسبك الله) فان محسبك الله قال جرير

اني وجدت من المكارم حسبكم * أن تلبسوا خز الثياب وتشبعوا

(وألف بين قلوبهم) التأليف بين قلوب من بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات الباهرة لان العرب لما فيهم من الحمية والعصبية والانطواء على الضغينة في أدنى شيء والقائه بين أعينهم الى أن ينتقموا لا يكاد يأتلف منهم قلبان ثم ائتلفت قلوبهم على اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم واتحدوا وأنشؤا يرمون عن قوس واحدة وذلك لما نظم الله من ألفتهم وجمع من كلمتهم وأحدث بينهم من التحاب والتواد وأماط عنهم من التباغض والتماقت وكلفهم من الحب في الله والبغض في الله ولا يقدر على ذلك الا من يملك القلوب فهو يقلبها كما يشاء ويصنع فيها ما أراد وقيل هم الاوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقائع ما أهلك سادتهم ورؤساءهم ودق جماجمهم ولم يكن لبغضائهم أمد ومنتهى وبينهما التجاور الذي يهيج الضغائن ويديم التحاسد والتنافس وعادة كل طائفتين كانتا بهذه المثابة أن تتجنب هذه ما آثرته أختها وتكرهه وتنفر عنه فأنساهم الله تعالى ذلك كله حتى اتفقوا على الطاعة وتصافوا وصاروا أنصارا وعادوا أعوانا وما ذاك الا بلطيف صنعه وبليغ قدرته (ومن اتبعك) الواو بمعنى مع وما بعده منصوب تقول حسبك وزيدا درهم ولا تجر لان عطف الظاهر المجرور على المكني ممتنع قال * فحسبك والضحاك عضب مهند * والمعنى كفاك وكفى تباعك من المؤمنين الله ناصرا أو يكون في محل الرفع أي كفاك الله وكفاك المؤمنون وهذه الآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال وعن ابن عباس رضي الله عنه نزلت في اسلام عمر رضي الله عنه وعن سعيد بن جبير أنه أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر فنزلت * التحريض المبالغة في الحث على الامر من الحرض وهو أن ينهكه المرض ويتبالغ فيه حتى يشفي على الموت أو أن تسميه حرضا وتقول له ما أراك الا حرضا في هذا الامر وممرضا فيه ليهيجه ويحرك منه ويقال حركه وحرصه وحرضه وحرشه وحربه بمعنى * وقرئ حرص بالصاد غير المعجمة حكاها الاخفش من الحرص * وهذه عدة من الله وبشارة بأن الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا عشرة أمثالهم من الكفار بعون الله تعالى وتأييده ثم قال (بأنهم قوم

من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم

* قوله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل (قال القوة الرمي روى عقبة ابن عامر انها الرمي الخ) قال أحمد والمطابق للرمي أن يكون الرباط على بابه مصدرا والله أعلم وهو حسبي ونعم الوكيل

لا يفقهون) أي بسبب ان الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته ويستحقون خذلانه خلاف من يقاتل على بصيرة ومعه ما يستوجب به النصر والاظهار من الله تعالى وعن ابن جريج كان عليهم أن لا يفروا ويثبت الواحد منهم للعشرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حمزة رضي الله عنه في ثلاثين راكبا فلقي أبا جهل في ثلثمائة راكب قيل ثم ثقل عليهم ذلك وضجوا منه وذلك بعد مدة طويلة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة في الابتداء ثم لما كثروا بعد نزل التخفيف * وقرئ ضعفا بالفتح والضم كالمكث والمكث والفقر والفقر وضعفاء جمع ضعيف * وقرئ الفعل المسند الى المائة بالتاء والياء في الموضعين والمراد بالضعف الضعف في البدن وقيل في البصيرة والاستقامة في الدين وكانوا متفاوتين في ذلك (فان قلت) لم كرر المعنى الواحد وهو مقاومة الجماعة لاكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده (قلت) للدلالة على أن الحال مع القلة والكثرة واحدة لا تتفاوت لان الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الالف وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والالف الالفين * قرئ للنبي على التعريف وأسارى ويثخن بالتشديد ومعنى الاثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من قولهم أثخنته الجراحات اذا أثبتته حتى تثقل عليه الحركة وأثخنه المرض اذا أثقله من الثخانة التي هي الغلظ والكثافة يعني حتى يذل الكفر ويضعفه باشاعة القتل في أهله ويعز الاسلام ويقويه بالاستيلاء والقهر ثم الاسر بعد ذلك ومعنى (ما كان) ما صح له وما استقام وكان هذا يوم بدر فلما كثر المسلمون نزل فاما منا بعد واما فداء وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بسبعين أسيرا فيهم العباس عمه وعقيل ابن أبي طالب فاستشار أبا بكر رضي الله عنه فيهم فقال قومك وأهلك استبقهم لعل الله أن يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها أصحابك وقال عمر رضي الله عنه كذبوك وأخرجوك فقدمهم واضرب أعناقهم فان هؤلاء أئمة الكفر وان الله أغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان لنسيب له فلنضرب أعناقهم فقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وان مثلك يا أبا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ثم قال لاصحابه أنتم اليوم عالة فلا يفلتن أحد منهم الا بفداء أو ضرب عنق وروى أنه قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل نأخذ الفداء فاستشهدوا بأحد وكان فداء الاسارى عشرين أوقية وفداء العباس أربعين أوقية وعن محمد بن سيرين كان فداؤهم مائة أوقية والاوقية أربعون درهما وستة دنانير وروى أنهم لما أخذوا الفداء نزلت الآية فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وأبو بكر يبكيان فقال يا رسول الله أخبرني فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تباكيت فقال أبكي على أصحابك في أخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة الشجرة قريبة منه وروى أنه قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ رضي الله عنهما لقوله كان الاثخان في القتل أحب الي (عرض الدنيا) حطامها سمي بذلك لانه حدث قليل اللبث يريد الفداء (والله يريد الآخرة) يعني ما هو سبب الجنة من اعزاز الاسلام بالاثخان في القتل * وقرئ يريدون بالياء وقرأ بعضهم والله يريد الآخرة بجر الآخرة على حذف المضاف وابقاء المضاف اليه على حاله كقوله

أكل امرئ تحسبين امرأ * ونار توقد بالليل نارا

ومعناه والله يريد عرض الآخرة على التقابل يعني ثوابها (والله عزيز) يغلب أولياءه على أعدائه ويتمكنون منهم قتلا وأسرا ويطلق لهم الفداء ولكنه (حكيم) يؤخر ذلك الى أن يكثروا ويعزوا وهم يعجلون (لولا كتاب من الله سبق) لولا حكم منه سبق اثباته في اللوح وهو أنه لا يعاقب أحدا بخطإ وكان هذا خطأ في الاجتهاد لانهم نظروا في أن استبقاءهم ربما كان سببا في اسلامهم وتوبتهم وأن فداءهم يتقوى به على الجهاد في سبيل الله وخفي عليهم أن قتلهم أعز للاسلام وأهيب لمن وراءهم وأفل لشوكتهم وقيل كتابه أنه سيحل لهم الفدية التي أخذوها وقيل ان أهل بدر مغفور لهم وقيل انه لا يعذب قوما الا بعد تأكيد الحجة وتقديم النهي ولم

بتقدم

لا يفقهون الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم

يتقدم نهى عن ذلك (فكلوا مما غنمتم) روى أنهم أمسكوا عن الغنائم ولم يمدوا أيديهم اليها فنزلت وقيل هو
اباحة للفداء لانه من جملة الغنائم (واتقوا الله) فلا تقدموا على شئ لم يعهد اليكم فيه (فان قلت) ما معنى الفاء
(قلت) التسبيب والسبب محذوف معناه قد أبحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم * وحلالا نصب على الحال
من المغنوم أو صفة للمصدر أى أكلا حلالا وقوله (ان الله غفور رحيم) معناه أنكم اذا اتقيتموه بعد ما فرط
منكم من استباحة الفداء قبل أن يؤذن لكم فيه غفر لكم ورحمكم وتاب عليكم (فى أيديكم) فى ملكتكم كأن
أيديكم قابضة عليهم * وقرئ من الاسارى (فى قلوبكم خيرا) خلوص ايمان وصحة نية (يؤتكم خيرا مما أخذ
منكم) من الفداء اما أن يخلفكم فى الدنيا أضعافه أو يثيبكم فى الآخرة وفى قراءة الاعمش يثبكم خيرا وعن
العباس رضى الله عنه أنه قال كنت مسلما لكنهم استكرهونى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكن
ما تذكره حقا فالله يجزيك فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا وكان أحد الذين ضمنوا اطعام أهل بدر وخرج
بالذهب لذلك وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس افد ابنى أخيك عقيل بن أبى طالب ونوفل
ابن الحرث فقال يا محمد تركتنى أتكفف قريشا ما بقيت فقال له فأين الذهب الذى دفعته الى أم الفضل وقت
خروجك من مكة وقلت لها لا أدرى ما يصيبنى فى وجهى هذا فان حدث بى حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله
والفضل فقال العباس وما يدريك قال أخبرنى به ربى قال العباس فأنا أشهد أنك صادق وأن لا اله الا الله
وأنك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه أحد الا الله ولقد دفعته اليها فى سواد الليل ولقد كنت مرتابا فى أمرك
فأما اذ أخبرتنى بذلك فلا ريب قال العباس رضى الله عنه فأبدلنى الله خيرا من ذلك لى الآن عشرون عبدا ان
أدناهم ليضرب فى عشرين ألفا وأعطانى زمزم ما أحب أن لى بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر المغفرة
من ربى وروى أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مال البحرين ثمانون ألفا فتوضأ لصلاة الظهر
وما صلى حتى فرقه وأمر العباس أن يأخذ منه فأخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما أخذ منى
وأرجو المغفرة وقرأ الحسن وشيبة مما أخذ منكم على البناء للفاعل (وان يريدوا خيانتك) نكث ما بايعوك
عليه من الاسلام والردة واستحباب دين آبائهم (فقد خانوا الله من قبل) فى كفرهم به ونقض ما أخذ على كل
عاقل من ميثاقه (فأمكن منهم) كما رأيتم يوم بدر فسيمكن منهم ان أعادوا الخيانة وقيل المراد بالخيانة منع
ما ضمنوا من الفداء * الذين هاجروا أى فارقوا أوطانهم وقومهم حبا لله ورسوله هم المهاجرون * والذين
آووهم الى ديارهم ونصروهم على أعدائهم هم الانصار (بعضهم أولياء بعض) أى يتولى بعضهم بعضا فى
الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوى القرابات حتى نسخ ذلك بقوله تعالى
وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض * وقرئ من ولايتهم بالفتح والكسر أى من توليهم فى الميراث ووجه الكسر
أن تولى بعضهم بعضا شبه بالعمل والصناعة كأنه بتوليه صاحبه يزاول أمرا أو يباشر عملا (فعليكم النصر)
فواجب عليكم أن تنصروهم على المشركين (الا على قوم) منهم (بينكم وبينهم) عهد فانه لا يجوز لكم نصرهم
عليهم لانهم لا يبتدؤن بالقتال اذ الميثاق مانع من ذلك (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) ظاهره اثبات
الموالاة بينهم كقوله تعالى فى المسلمين أولئك بعضهم أولياء بعض ومعناه نهى المسلمين عن موالاة الذين
كفروا وموارثتهم وايجاب مباعدتهم ومصارمتهم وان كانوا أقارب وأن يتركوا يتوارثون بعضهم بعضا
ثم قال (الا تفعلوه) أى الا تفعلوا ما أمرتكم به من تواصل المسلمين وتولى بعضهم بعضا حتى فى التوارث تفضيلا
لنسبة الاسلام على نسبة القرابة ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار ولم تجعلوا قرابتهم كلا قرابة تحصل
فتنة فى الارض ومفسدة عظيمة لان المسلمين ما لم يصيروا يدا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد
زائدا * وقرئ كثير بالثاء (أولئك هم المؤمنون حقا) لانهم صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من
هجرة الوطن ومفارقة الاهل والانسلاخ من المال لاجل الدين وليس بتكرار لان هذه الآية واردة
للثناء عليهم والشهادة لهم مع الموعد الكريم والاولى للامر بالتواصل (والذين آمنوا من بعد) يريد اللاحقين
بعد السابقين الى الهجرة كقوله والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا

فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الاسرى ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم

بالاعيان الحقوم بهم وجعلهم منهم تفضلا منه وترغيبا (وأولوا الارحام) أولوا القرابات أولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة (في كتاب الله) تعالى في حكمه وقسمته وقيل في اللوح وقيل في القرآن وهو آية المواريث وقد استدل به أصحاب أبي حنيفة رحمه الله على توريث ذوي الارحام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفال وبراءة فأنا شفيع له يوم القيامة وشاهد انه بريء من النفاق وأعطى عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له أيام حياته في الدنيا

﴿سورة التوبة مدنية وهي مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون آية﴾

لها عدة أسماء براءة التوبة المقشقشة المبعثرة المشردة المخزية الفاضحة المثيرة الحافرة المنكلة المدمدمة سورة العذاب لان فيها التوبة على المؤمنين وهي تقشقش من النفاق أي تبرئ منه وتبعثر عن أسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشردهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن حذيفة رضي الله عنه انكم تسمونها سورة التوبة وانما هي سورة العذاب والله ما تركت أحدا الا نالت منه (فان قلت) هلا صدرت بآية التسمية كما في سائر السور (قلت) سأل عن ذلك ابن عباس عثمان رضي الله عنهما فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نزلت عليه السورة أو الآية قال اجعلوها في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أين نضعها وكانت قصتها شبيهة بقصتها فلذلك قرنت بينهما وكانتا تدعيان القرينتين وعن أبي بن كعب انما توهموا ذلك لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود وسئل ابن عيينة رضي الله عنه فقال اسم الله سلام وأمان فلا يكتب في النبذ والمحاربة قال الله تعالى ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا قيل فان النبي صلى الله عليه وسلم قد كتب الى أهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم قال انما ذلك ابتداء يدعوهم ولم ينبذ اليهم ألا تراه يقول سلام على من اتبع الهدى فمن دعي الى الله عز وجل فأجاب ودعي الى الجزية فأجاب فقد اتبع الهدى وأما النبذ فانما هو البراءة واللعنة وأهل الحرب لا يسلم عليهم ولا يقال لا تفرق ولا تخف ومترس ولا بأس هذا أمان كله وقيل سورة الانفال والتوبة سورة واحدة كلتاهما نزلت في القتال تعدان السابعة من الطول وهي سبع وما بعدها المئون وهذا قول ظاهر لانهما معا مائتان وست فهما بمنزلة احدى الطول وقد اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم الانفال وبراءة سورة واحدة وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وتركت بسم الله الرحمن الرحيم لقول من قال هما سورة واحدة (براءة) خبر مبتدأ محذوف أي هذه براءة و(من) لابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة كما في قولك برئت من الدين والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله (الى الذين عاهدتم) كما يقال كتاب فلان الى فلان ويجوز أن يكون براءة مبتدأ لتخصيصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم كما تقول رجل من بني تميم في الدار وقرئ براءة بالنصب على اسمعوا براءة ❊ وقرأ أهل نجران من الله بكسر النون والوجه الفتح مع لام التعريف لكثرته والمعنى ان الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وأنه منبوذ اليهم (فان قلت) لم علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين (قلت) قد أذن الله في معاهدة المشركين أولا فاتفق المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاهدوهم فلما نقضوا العهد أوجب الله تعالى النبذ اليهم فخوطب المسلمون بما تجدد من ذلك فقيل لهم اعلموا أن الله ورسوله قد برئا مما عاهدتم به المشركين ❊ روي أنهم عاهدوا المشركين من أهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا الا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين وأمروا أن يسيحوا في الارض أربعة أشهر آمنين أين شاؤا الا يتعرض لهم وهي الاشهر الحرم في قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم

وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شيء عليم

﴿سورة التوبة مدنية وهي مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون آية﴾

براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض أربعة أشهر واعلموا أنكم

﴿القول في سورة براءة﴾ براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين الآية (قال معناه ان الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين الخ) قال أحمد ووراء ما ذكره سر آخر هو المرعي والله أعلم وذلك ان نسبة العهد الى الله ورسوله في مقام نسب اليه النبذ من المشركين لا تحسن شرعا ألا ترى الى وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لامراء السرايا حيث يقول لهم واذا نزلت بحصن فطلبوا النزول على حكم الله فأنزلهم على حكمك فانك لا تدري أصادفت حكم الله فيهم أو لا وان طلبوا ذمة الله فأنزلهم على ذمتك فلأن تخفر ذمتك خير من ان تخفر ذمة الله فانظر الى أمره عليه الصلاة والسلام بتوفير ذمة الله مخافة ان تخفر وان كان لم يحصل بعد ذلك الامر المتوقع فتوفير عهد الله وقد تحقق من المشركين النكث وقد تبرأ من الله ورسوله بأن لا ينسب العهد المنبوذ الى الله أحرى وأجدر فلذلك نسب العهد الى المسلمين دون البراءة منه والله أعلم

غير معجزى الله وأن الله
مخزى الكافرين
وأذان من الله ورسوله
الى الناس يوم الحج الاكبر
أن الله برىء من
المشركين ورسوله فان
تبتم

الحرم وذلك لصيانة الاشهر الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة
ثمان وكان الامير فيها عتاب بن أسيد فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله عنه على موسم سنة
تسع ثم أتبعه عليا رضى الله عنه راكب العضباء ليقرأها على أهل الموسم فقيل له لو بعثت بها الى أبى بكر
رضى الله عنه فقال لا يؤدى عنى الا رجل منى فلما دنا على سمع أبو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال أمير أو مأمور قال مأمور وروى أن أبا بكر لما كان ببعض الطريق
هبط جبريل عليه السلام فقال يا محمد لا يبلغن رسالتك الا رجل منك فأرسل عليا فرجع أبو بكر رضى الله
عنهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أشىء نزل من السماء قال نعم فسر وأنت على الموسم
وعلى ينادى بالآى فلما كان قبل التروية خطب أبو بكر رضى الله عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام على رضى
الله عنه يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا أيها الناس انى رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين
أو أربعين آية وعن مجاهد رضى الله عنه ثلاث عشرة آية ثم قال أمرت بأربع أن لا يقرب البيت بعد هذا
العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وأن يتم الى كل ذى عهد عهده
فقالوا عند ذلك يا على أبلغ ابن عمك أنا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وأنه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن بالرماح
وضرب بالسيوف وقيل انما أمر أن لا يبلغ عنه الا رجل منه لان العرب عادتها فى نقض عهودها أن يتولى
ذلك على القبيلة رجل منها فلو تولاه أبو بكر رضى الله عنه لجاز أن يقولوا هذا خلاف ما يعرف فينا فى نقض
العهود فأزيحت علتهم بتولية ذلك عليا رضى الله عنه (فان قلت) الاشهر الاربعة ماهى (قلت) عن الزهرى
رضى الله عنه ان براءة نزلت فى شوال فهى أربعة أشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هى عشرون
من ذى الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الآخر وكانت حرما لانهم أومنوا فيها
وحرم قتلهم وقتالهم أو على التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها وقيل لعشر من ذى القعدة الى عشر من ربيع
الاول لان الحج فى تلك السنة كان فى ذلك الوقت للنسىء الذى كان فيهم ثم صار فى السنة الثانية فى ذى الحجة
(فان قلت) ما وجه اطباق أكثر العلماء على جواز مقاتلة المشركين فى الاشهر الحرم وقد صانها الله تعالى عن
ذلك (قلت) قالوا قد نسخ وجوب الصيانة وأبيح قتال المشركين فيها (غير معجزى الله) لا تفوتونه وان أمهلكم
• وهو مخزيكم أى مذلكم فى الدنيا بالقتل وفى الآخرة بالعذاب (وأذان) ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم
الجملة معطوفة على مثلها ولا وجه لقول من قال انه معطوف على براءة كما لا يقال عمرو معطوف على زيد فى
قولك زيد قائم وعمرو قاعد والاذان بمعنى الايذان وهو الاعلام كما أن الامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء
(فان قلت) أى فرق بين معنى الجملة الاولى والثانية (قلت) تلك اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب
الاعلام بما ثبت (فان قلت) لم علقت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وعلق الاذان بالناس (قلت) لان
البراءة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم وأما الاذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث
من المعاهدين ومن لم ينكث (يوم الحج الاكبر) يوم عرفة وقيل يوم النحر لان فيه تمام الحج ومعظم أفعاله من
الطواف والنحر والحلق والرمى وعن على رضى الله عنه أن رجلا أخذ بلجام دابته فقال ما الحج الاكبر قال
يومك هذا خل عن دابتى وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند
الجمرات فى حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر أو جعل
الوقوف بعرفة هو الحج الاكبر لانه معظم واجباته لانه اذا فات فات الحج وكذلك ان أريد به يوم النحر لان
ما يفعل فيه معظم أفعال الحج فهو الحج الاكبر وعن الحسن رضى الله عنه سمى يوم الحج الاكبر لاجتماع المسلمين
والمشركين فيه وموافقته لاعياد أهل الكتاب ولم يتفق ذلك قبله ولا بعده فعظم فى قلب كل مؤمن وكافر
• حذفت الباء التى هى صلة الاذان تخفيفا وقرئ ان الله بالكسر لان الاذان فى معنى القول (ورسوله) عطف
على المنوى فى برىء أو على محل ان المكسورة واسمها وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان أو لان الواو بمعنى مع أى
برىء معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم كقوله لعمرك ويحكى أن أعرابيا سمع رجلا يقرأها فقال

* قوله تعالى الا الذين عاهدتم (قال ان قلت مم هذا الاستثناء قلت وجهه ان يكون مستثنى الخ) قال أحمد ويجوز أن يكون قوله فسيحوا خطابا من الله تعالى للمشركين غير مضمر قبله القول ويكون الاستثناء على هذا من قوله الى الذين عاهدتم كأنه قيل براءة من الله ورسوله الى المعاهدين لا الباقين على العهد فأتموا اليهم أيها المسلمون عهدهم ويكون فيه خروج من خطاب المسلمين في قوله الى الذين عاهدتم الى خطاب المشركين في قوله فسيحوا ثم التفات من التكلم الى الغيبة بقوله واعلموا أنكم غير معجزى الله وان الله واصله واعلموا أنكم غير معجزى وأتى وفى هذا الالتفات بعد الالتفات الاول افتنان في أساليب البلاغة وتفخيم للشأن وتعظيم الامر ثم يتلو هذا الالتفات العود الى خطاب المسلمين بقوله الا الذين عاهدتم ثم لم ينقصوكم فأتموا وكل هذا من حسنات الفصاحة وانما بعث الزمخشري على تقدير القول قبل فسيحوا مراعاة أن يطابق قوله فأتموا اذ الخاطب على هذا التقدير المسلمون أولا وثانيا ولا يكون فيه شيء من الالتفاتات المبنية على التأويل الذي ذكرناه وكلا الوجهين ممتاز بنوع من البلاغة وطرف من الفصاحة والله أعلم * قوله تعالى واقعدوا لهم كل مرصد (قال فيه المرصد المجاز والممر الخ) قال أحمد ويكون انتصابه دون جره من الاتساع لان المرصد ظرف مختص والاصل قصور الفعل عن نصبه ويكون مثل قوله في الاتساع * كما عسل الطريق الثعلب * ويحتمل والله أعلم أن يكون مرصد مصدرا الا أن صيغة اسم الزمان والمكان والمصدر من فعله واحد فعلى هذا يكون منصوبا أصليا لان اقعدوا في معنى ارصدوا كأنه قيل وارصدوهم كل مرصد الا أن الظرفية يقويها قوله حيث وجدتموهم فيقتضيها قصد المطابقة بين ظرفي المكان والله أعلم

فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيأ ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله

ان كان الله بريء من رسوله فأنا منه بريء فلببه الرجل الى عمر فحكى الاعرابي قراءته فعندها أمر عمر رضي الله عنه بتعلم العربية (فان تبتم) من الكفر والغدر (فهو خير لكم وان توليتم) على التوبة أو ثبتم على التولى والاعراض عن الاسلام والوفاء (فاعلموا أنكم غير) سابقين الله تعالى ولا فائتين أخذه وعقابه (فان قلت) مم استثنى قوله (الا الذين عاهدتم) (قلت) وجهه أن يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقضوا فأتموا اليهم عهدهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كأنه قيل بعد أن أمروا في الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا فأتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر * ان الله يحب المتقين يعنى ان قضية التقوى أن لا يسوى بين القبيلين فاتقوا الله في ذلك (لم ينقصوكم شيأ) لم يقتلوا منكم أحدا ولم يضروكم قط (ولم يظاهروا) ولم يعاونوا (عليكم) عدوا كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشد

لاهم انى ناشد محمدا * حلف أبينا وأبيك الاتلدا
ان قريشا أخلفوك الموعدا * ونقضوا ذمامك المؤكدا
هم بيتونا بالحطيم هجدا * وقتلونا ركعا وسجدا

فقال عليه الصلاة والسلام لا نصرت ان لم أنصركم وقرئ لم ينقضوكم بالضاد معجمة أى لم ينقضوا عهدكم ومعنى (فأتموا اليهم) فأدوه اليهم تاما كاملا قال ابن عباس رضي الله عنه بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة أشهر فأتم اليهم عهدهم * انسلخ الشهر كقولك انجرد الشهر وسنة جرداء و(الاشهر الحرم) التى أبيح فيها للناكثين أن يسيحوا (فاقتلوا المشركين) يعنى الذين نقضوكم وظاهروا عليكم (حيث وجدتموهم) من حل أو حرم (وخذوهم) وأسروهم والاخيذ الاسير (واحصروهم) وقيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد وعن ابن عباس رضي الله عنه حصرهم أن يحال بينهم وبين المسجد الحرام (كل مرصد) كل ممر ومجتاز ترصدونهم به وانتصابه على الظرف كقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم (فخلوا سبيلهم) فأطلقوا عنهم بعد الاسر والحصر أو فكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم كقوله * خل السبيل لمن يبنى المنار به * وعن ابن عباس رضي الله عنه دعوهم واتيان المسجد الحرام (ان الله غفور رحيم) يغفر لهم ما سلف من الكفر والغدر (أحد) مرتفع بفعل الشرط مضمرا يفسره الظاهر تقديره وان استجارك أحد استجارك ولا يرتفع بالابتداء لان ان من عوامل الفعل لا تدخل على غيره والمعنى وان جاءك أحد من المشركين بعد انقضاء الاشهر لا عهد بينك وبينه ولا ميثاق فاستأمنك ليسمع ما تدعو اليه من التوحيد والقرآن وتبين ما بعثت له فأمنه (حتى يسمع كلام الله) ويتدبره ويطلع

ويطلع على حقيقة الامر (ثم أبلغه) بعد ذلك داره التى يأمن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت من غير غدر ولا خيانة وهذا الحكم ثابت فى كل وقت وعن الحسن رضى الله عنه هى محكمة الى يوم القيامة وعن سعيد ابن جبير جاء رجل من المشركين الى على رضى الله عنه فقال ان أراد الرجل منا أن يأتى محمدا بعد انقضاء هذا الاجل يسمع كلام الله أو يأتيه لحاجة قتل قال لا لان الله تعالى يقول وان أحد من المشركين استجارك الآية وعن السدى والضحاك رضى الله عنهما هى منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين (ذلك) أى ذلك الامر يعنى الامر بالاجارة فى قوله فأجره (ب) سبب (أنهم) قوم جهلة (لا يعلمون) ما الاسلام وما حقيقة ما تدعو اليه فلا بد من اعطائهم الامان حتى يسمعوا ويفهموا الحق (كيف) استفهام فى معنى الاستنكار والاستبعاد لان يكون للمشركين عهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أضداد وغرة صدورهم يعنى محال أن يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا فى ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا فى قتلهم * ثم استدرك ذلك بقوله (الا الذين عاهدتم) أى ولكن الذين عاهدتم منهم (عند المسجد الحرام) ولم يظهر منهم نكث كبنى كنانة وبنى ضمرة فتربصوا أمرهم ولا تقاتلوهم (فما استقاموا لكم) على العهد (فاستقيموا لهم) على مثله (ان الله يحب المتقين) يعنى أن التربص بهم من أعمال المتقين (كيف) تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما كما قال

وخبرتمانى انما الموت بالقرى * فكيف وهاتا هضبة وقليب

يريد فكيف مات أى كيف يكون لهم عهد (و) حالهم أنهم (ان يظهروا عليكم) بعد ما سبق لهم من تأكيد الايمان والمواثيق لم ينظروا فى حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم (لا يرقبوا فيكم الا) لا يراعوا حلفا وقيل قرابة وأنشد لحسان رضى الله عنه

لعمرك ان الك من قريش * كال السقب من رأل النعام

وقيل الا الها وقرئ ايلا بمعناه وقيل جبرئيل وجبرئل من ذلك وقيل منه اشتق الال بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم من الرحمن والوجه أن اشتقاق الال بمعنى الحلف لانهم اذا تحالفوا رفعوا به أصواتهم وشهروه من الال وهو الجؤار وله أليل أى أنين يرفع به صوته ودعت ألليها اذا ولولت ثم قيل لكل عهد وميثاق ال وسميت به القرابة لان القرابة عقدت بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق (يرضونكم) كلام مبتدأ فى وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد * واباء القلوب مخالفة ما فيها من الاضغان لما يجرونه على ألسنتهم من الكلام الجميل (وأكثرهم فاسقون) متمردون خلعاء لا مروءة تزعهم ولا شمائل مرضية تردعهم كما يوجد ذلك فى بعض الكفرة من التفادى عن الكذب والنكث والتعفف عما يثلم العرض ويجر أحدوثة السوء (اشتروا) استبدلوا (بآيات الله) بالقرآن والاسلام (ثمنا قليلا) وهو اتباع الاهواء والشهوات (فصدوا عن سبيله) فعدلوا عنه أو صرفوا غيرهم وقيل هم الاعراب الذين جمعهم أبو سفيان وأطعمهم (هم المعتدون) المجاوزون الغاية فى الظلم والشرارة (فان تابوا) عن الكفر ونقض العهد (فاخوانكم فى الدين) فهم اخوانكم على حذف المبتدا كقوله تعالى فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم (ونفصل الآيات) ونبينها وهذا اعتراض كأنه قيل وان من تأمل تفصيلها فهو العالم بعثا وتحريضا على تأمل ما فصل من أحكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها (وطعنوا فى دينكم) وثلبوه وعابوه (فقاتلوا أئمة الكفر) فقاتلوهم فوضع أئمة الكفر موضع ضميرهم اشعارا بأنهم اذا نكثوا فى حال الشرك تمردا وطغيانا وطرحا لعادات الكرام الاوفياء من العرب ثم آمنوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وصاروا اخوانا للمسلمين فى الدين ثم رجعوا فارتدوا عن الاسلام ونكثوا ما بايعوا عليه من الايمان والوفاء بالعهود وقعدوا يطعنون فى دين الله ويقولون ليس دين محمد بشئ فهم أئمة الكفر وذوو الرياسة والتقدم فيه لا يشق كافر غبارهم وقالوا اذا طعن الذمى فى دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على أن لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة (انهم لا أيمان لهم) جمع يمين وقرئ لا ايمان لهم أى لا اسلام لهم أو لا يعطون الامان بعد الردة والنكث ولا سبيل اليه (فان قلت) كيف أثبت لهم الايمان فى قوله وان نكثوا أيمانهم ثم نفاها عنهم (قلت) أراد أيمانهم التى أظهروها ثم قال لا أيمان لهم على الحقيقة وأيمانهم ليست بأيمان

ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكوة فاخوانكم فى الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمان لهم

* قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة الآية (قال كيف تكرار لاستبعاد ثبات الخ) قال أحمد السر فى تكرار كيف والله أعلم

وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله على أن يمين الكافر لا تكون يمينا وعند الشافعي رحمه الله يمينهم يمين وقال معناه انهم لا يوفون بها بدليل انه وصفها بالنكث (لعلهم ينتهون) متعلق بقوله فقاتلوا أئمة الكفر أي ليكن غرضكم في مقاتلتهم بعد ما وجد منهم ما وجد من العظائم أن تكون المقاتلة سببا في انتهائهم عما هم عليه وهذا من غاية كرمه وفضله وعوده على المسيء بالرحمة كلما عاد (فان قلت) كيف لفظ أئمة (قلت) همزة بعدها همزة بين بين أي بين مخرج الهمزة والياء وتحقيق الهمزتين قراءة مشهورة وان لم تكن بمقبولة عند البصريين وأما التصريح بالياء فليس بقراءة ولا يجوز أن تكون قراءة ومن صرح بها فهو لاحن محرف (ألا تقاتلون) دخلت الهمزة على لا تقاتلون تقريرا بانتفاء المقاتلة ومعناه الحض عليها على سبيل المبالغة (نكثوا أيمانهم) التي حلفوها في المعاهدة (وهموا باخراج الرسول) من مكة حين تشاوروا في أمره بدار الندوة حتى أذن الله تعالى له في الهجرة فخرج بنفسه (وهم بدؤكم أول مرة) أي وهم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم أولا بالكتاب المنير وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى القتال فهم البادئون بالقتال والبادئ أظلم فما يمنعكم من أن تقاتلوهم بمثله وأن تصدموهم بالشر كما صدموكم وبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها ويقرر أن من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب حقيق بأن لا تترك مصادمته وأن يوبخ من فرط فيها (أتخشونهم) تقرير بالخشية منهم وتوبيخ عليها (فالله أحق أن تخشوه) فتقاتلوا أعداءه (ان كنتم مؤمنين) يعني أن قضية الايمان الصحيح أن لا يخشى المؤمن الا ربه ولا يبالي بمن سواه كقوله تعالى ولا يخشون أحدا الا الله * ولما وبخهم الله على ترك القتال جرد لهم الأمر به فقال (قاتلوهم) ووعدهم ليثبت قلوبهم ويصحح نياتهم أنه يعذبهم بأيديهم قتلا ويخزيهم أسرا ويوليهم النصر والغلبة عليهم (ويشف صدور) طائفة من المؤمنين وهم خزاعة قال ابن عباس رضي الله عنه هم بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة فأسلموا فلقوا من أهلها أذى شديدا فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال أبشروا فان الفرج قريب (ويذهب غيظ) قلوبكم لما لقيتم منهم من المكروه وقد حصل الله لهم هذه المواعيد كلها فكان ذلك دليلا على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته (ويتوب الله على من يشاء) ابتداء كلام واخبار بأن بعض أهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك أيضا فقد أسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ ويتوب بالنصب باضمار أن ودخول التوبة في جملة ما أجيب به الأمر من طريق المعنى (والله عليم) يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان (حكيم) لا يفعل الا ما اقتضته الحكمة (أم) منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على وجود الحسبان والمعنى أنكم لا تتركون على ما أنتم عليه حتى يتبين الخالص منكم وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا وليجة أي بطانة من الذين يضادون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين رضوان الله عليهم (ولما) معناها التوقع وقد دلت على أن تبين ذلك وايضاحه متوقع كائن وأن الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين المخلصين وقوله (ولم يتخذوا) معطوف على جاهدوا داخل في حيز الصلة كأنه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والوليجة فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كقول القائل ما علم الله مني ما قيل في يريد ما وجد ذلك مني (ما كان للمشركين) ما صح لهم وما استقام (أن يعمروا مسجد الله) يعني المسجد الحرام لقوله وعمارة المسجد الحرام وأما القراءة بالجمع ففيها وجهان أحدهما أن يراد المسجد الحرام وانما قيل مساجد لأنه قبلة المساجد كلها وامامها فعامره كعامر جميع المساجد ولأن كل بقعة منه مسجد والثاني أن يراد جنس المساجد واذا لم يصلحوا لأن يعمروا جنسها دخل تحت ذلك أن لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ومقدمته وهو آكد لأن طريقته طريقة الكناية كما لو قلت فلان لا يقرأ كتب الله كنت أنفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك (شاهدين) حال من الواو في يعمروا والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته ومعنى

لعلهم ينتهون ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك

انه لما ذكر أولا لاستبعاد ثبات عهدهم عند الله ولم يذكر اذ ذاك السبب البعد لغاية باستثناء الباقين على العهد وطال الكلام أعيدت كيف تطرية للذكر وليأخذ بعض الكلام بحجزة بعض فلم يقصد مجرد التكرار بل هذا السر الذي انطوى عليه وقد تقدمت له أمثال والله الموفق

شهادتهم

حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلوة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم

شهادتهم على أنفسهم بالكفر ظهور كفرهم وأنهم نصبوا أصنامهم حول البيت وكانوا يطوفون عراة ويقولون لا نطوف عليها بثياب قد أصبنا فيها المعاصي وكلما طافوا بها شوطا سجدوا لها وقيل هو قولهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وقيل قد أقبل المهاجرون والانصار على أسارى بدر فعيروهم بالشرك فطفق علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوبخ العباس بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم وأغلظ له في القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقال أولكم محاسن قالوا نعم ونحن أفضل منكم أجرا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت (حبطت أعمالهم) التي هي العمارة والحجابة والسقاية وفك العناة واذا هدم الكفر أو الكبيرة الأعمال الثابتة الصحيحة اذا تعقبها فما ظنك بالمقارن والى ذلك أشار في قوله شاهدين حيث جعله حالا عنهم ودل على أنهم قارنون بين العمارة والشهادة بالكفر على أنفسهم في حال واحدة وذلك محال غير مستقيم (انما يعمر مساجد الله) وقرئ بالتوحيد أي انما تستقيم عمارة هؤلاء وتكون معتدا بها والعمارة تتناول رم ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها واعتيادها للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم بل هو أجله وأعظمه وصيانتها مما لم تبن له المساجد من أحاديث الدنيا فضلا عن فضول الحديث وعن النبي صلى الله عليه وسلم يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وفي الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال عليه السلام قال الله تعالى ان بيوتي في أرضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يكرم زائره وعنه عليه السلام من ألف المسجد ألفه الله وقال عليه السلام اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان وعن أنس رضي الله عنه من أسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش تستغفر له ما دام في ذلك المسجد ضوءه (فان قلت) هلا ذكر الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم (قلت) لما علم وشهر أن الايمان بالله تعالى قرينته الايمان بالرسول عليه السلام لاشتمال كلمة الشهادة والاذان والاقامة وغيرها عليهما مقترنين مزدوجين كأنهما شيء واحد غير منفك أحدهما عن صاحبه انطوى تحت ذكر الايمان بالله تعالى الايمان بالرسول عليه السلام وقيل دل عليه بذكر اقامة الصلاة وايتاء الزكاة (فان قلت) كيف قيل (ولم يخش الا الله) والمؤمن يخشى المحاذير ولا يتمالك أن لا يخشاها (قلت) هي الخشية والتقوى في أبواب الدين وأن لا يختار على رضا الله رضا غيره لتوقع مخوف واذا اعترضه أمران أحدهما حق الله والآخر حق نفسه أن يخاف الله فيؤثر حق الله على حق نفسه وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فأريد نفي تلك الخشية عنهم (فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم لأطماعهم من الانتفاع بأعمالهم التي استعظموها وافتخروا بها وأملوا عاقبتها بأن الذين آمنوا وضموا الى ايمانهم العمل بالشرائع مع استشعار الخشية والتقوى اهتداؤهم دائر بين عسى ولعل فما بال المشركين يقطعون أنهم مهتدون ونائلون عند الله الحسنى وفي هذا الكلام ونحوه لطف للمؤمنين في ترجيح الخشية على الرجاء ورفض الاغترار بالله تعالى * السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولا بد من مضاف محذوف تقديره (أجعلتم) أهل (سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله) وتصدقه قراءة ابن الزبير وأبي وجزة السعدي وكان من القراء سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى انكار أن يشبه المشركون بالمؤمنين وأعمالهم المحبطة بأعمالهم المثبتة وأن يسوى بينهم * وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر وروي أن المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام أفنحن أفضل أم محمد وأصحابه فقالت لهم اليهود أنتم أفضل وقيل ان عليا رضي الله عنه قال للعباس يا عم ألا تهاجرون ألا تلحقون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألست في أفضل من الهجرة أسقي حاج بيت الله وأعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال العباس ما أراني الا تارك سقايتنا فقال عليه السلام أقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا

* قوله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم الآية (قال اذا هدم الكفر أو الكبيرة الأعمال الخ) قال أحمد كلام صحيح الا قوله ان الكبيرة تهدم الأعمال فانه تفريع على قاعدة المعتزلة والحق خلافها * قوله تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر الى قوله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين (قال في هذه الآية تبعيد للمشركين الخ) قال أحمد وأكثرهم يقول ان عسى من الله واجبة بناء منهم على ان استعمالها غير مصروفة للمخاطبين والحق فيما قال الزمخشري ولكن الخطاب مصروف اليهم أي بحال هؤلاء المؤمنين حال مرجوة والعاقبة عند الله معلومة ولله عاقبة الأمور

* قوله تعالى لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ (قال مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها الخ) قال أحمد لا مانع والله أعلم من عطف الظرفين المكانى والزمانى أحدهما على الآخر وناصبهما واحد كعطف أحد المفعولين على الآخر والفعل واحد اذ يجوز أن تقول ضرب زيد عمرا فى المسجد ويوم الجمعة كما تقول ضربت زيدا وعمرا ولا يحتاج الى اضمار فعل جديد غير الاول هذا مع انه لا بد من تغاير الفعلين الواقعين بالمفعولين فى الحقيقة فانك اذا قلت أضرب زيدا اليوم وعمرا غدا

أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ وضاقت عليكم الارض بما رحبت

(أعظم درجة عند الله) من أهل السقاية والعمارة عندكم (وأولئك هم الفائزون) لا أنتم والمختصون بالفوز دونكم * قرئ يبشرهم بالتخفيف والتثقيل * وتنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف وعن ابن عباس رضى الله عنه هى فى المهاجرين خاصة * كان قبل فتح مكة من آمن لم يتم ايمانه الا بأن يهاجر ويصارم أقاربه الكفرة ويقطع موالاتهم فقالوا يا رسول الله ان نحن اعتزلنا من خالفنا فى الدين قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وهلكت أموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه أو أبوه أو أخوه أو بعض أقاربه فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت فى التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله تعالى عن موالاتهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا يطعم أحدكم طعم الايمان حتى يحب فى الله ويبغض فى الله حتى يحب فى الله أبعد الناس ويبغض فى الله أقرب الناس اليه * وقرئ عشيراتكم وعشيراتكم وقرأ الحسن وعشائركم (فتربصوا حتى يأتى الله بأمره) وعيد عن ابن عباس هو فتح مكة وعن الحسن هى عقوبة عاجلة أو آجلة وهذه آية شديدة لا ترى أشد منها كأنها تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين فلينصف أورع الناس وأتقاهم من نفسه هل يجد عنده من التصلب فى ذات الله والثبات على دين الله ما يستحب له دينه على الآباء والابناء والاخوان والعشائر والمال والمساكن وجميع حظوظ الدنيا ويتجرد منها لاجله أم يزوى الله عنه أحقر شئ منها لمصلحته فلا يدرى أى طرفيه أطول ويغويه الشيطان عن أجل حظ من حظوظ الدين فلا يبالى كأنما وقع على أنفه ذباب فطيره * مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها قال

وكم موطن لولاى طحت كما هوى * بأجرامه من قلة النيق منهوى

وامتناعه من الصرف لانه جمع وعلى صيغة لم يأت عليها واحد والمواطن الكثيرة وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة * (فان قلت) كيف عطف الزمان على المكان وهو (يوم حنين) على المواطن (قلت) معناه وموطن يوم حنين أو فى أيام مواطن كثيرة ويوم حنين ويجوز أن يراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين على ان الواجب أن يكون يوم حنين منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر وموجب ذلك ان قوله (اذ أعجبتكم) بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لان كثرتهم لم تعجبهم فى جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرا فى جميعها فبقى أن يكون ناصبه فعلا خاصا به الا اذا نصبت انما اضمارا اذكر وحنين واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر ألفا الذين حضروا فتح مكة منضما اليهم ألفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وهم أربعة آلاف فيمن ضامهم من أمداد سائر العرب فكانوا الجم الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قائلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل أبو بكر رضى الله عنه وذلك قوله اذ أعجبتكم كثرتكم فاقتتلوا قتالا شديدا وأدركت المسلمين كلمة الاعجاب بالكثرة وزل عنهم أن الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وهو ثابت فى مركزه لا يتحلحل ليس معه الا عمه العباس رضى الله عنه آخذا بلجام دابته وأبو سفيان بن الحرث ابن عمه وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق على تناهى شجاعته

لم يشك فى ان الضربين متغايران بتغاير الظرفين ومع ذلك الفعل واحد فى الصناعة وعلى هذا يجوز فى الآية والله أعلم بقاء كل واحد من الظرفين على حاله غير مؤول الى الآخر على ان الزمخشرى أوجب تعدد الفعل وتقدير ناصب لظرف الزمان غير الفعل الاول وان كان عنده جميعا زمانين لعلة ان كثرتهم لم تكن ثابتة فى جميع المواطن يريد ولو ذهبت الى اتحاد الناصب للزم ذلك وهذا غير لازم ألا تراك لو قلت اضرب زيدا حين يقوم وحين يقعد لكان الناصب للظرفين واحدا وهما متغايران وانما يمتنع عمل الفعل الواحد فى ظرفى زمان مختلفين عند عدم العطف المتوسط بينهما والله أعلم

شجاعته ورباطة جأشه صلى الله عليه وسلم وما هي الا من آيات النبوة وقال يارب ائتني بما وعدتني وقال صلى الله عليه وسلم للعباس وكان صيتا اصبح بالناس فنادى الانصار فخذا فخذا ثم نادى يا أصحاب الشجرة يا أصحاب البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة عليهم البياض على خيول بلق فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قتال المسلمين فقال هذا حين حمي الوطيس ثم أخذ كفا من تراب فرماهم به ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا قال العباس لكأني أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض خلفهم على بغلته (بما رحبت) ما مصدرية والباء بمعنى مع أي مع رحبها وحقيقته ملتبسة برحبها على أن الجار والمجرور في موضع الحال كقولك دخلت عليه بثياب السفر أي ملتبسا بها لم أحلها تعني مع ثياب السفر والمعنى لا تجدون موضعا تستصلحونه لهربكم اليه ونجاتكم لفرط الرعب فكأنها ضاقت عليكم (ثم وليتم مدبرين) ثم انهزمتم (ثم أنزل الله سكينته) رحمته التي سكنوا بها وآمنوا (وعلى المؤمنين) الذين انهزموا وقيل هم الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وقع الهرب (وأنزل جنودا) يعني الملائكة وكانوا ثمانية آلاف وقيل خمسة آلاف وقيل ستة عشر ألفا (وعذب الذين كفروا) بالقتل والاسر وسبي النساء والذراري (ثم يتوب الله) أي يسلم بعد ذلك ناس منهم وروي أن ناسا منهم جاؤا فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام وقالوا يا رسول الله أنت خير الناس وأبر الناس وقد سبي أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا قيل سبي يومئذ ستة آلاف نفس وأخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال ان عندي ما ترون ان خير القول أصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما أموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيأ فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيأ فمن كان بيده شيء وطابت نفسه أن يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيأ فنعطيه مكانه قالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا أدري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء أن قد رضوا *النجس مصدر يقال نجس نجسا وقذر قذرا ومعناه ذو نجس لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم أو جعلوا كأنهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها وعن ابن عباس رضي الله عنه أعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضأ وأهل المذاهب على خلاف هذين القولين وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم على تقدير حذف الموصوف كأنه قيل انما المشركون جنس نجس أو ضرب نجس وأكثر ما جاء تابعا لرجس وهو تخفيف نجس نحو كبد في كبد (فلا يقربوا المسجد الحرام) فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون في الجاهلية (بعد عامهم هذا) بعد حج عامهم هذا وهو عام تسع من الهجرة حين أمر أبو بكر على الموسم وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه ويدل عليه قول علي كرم الله وجهه حين نادى ببراءة الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عندهم وعند الشافعي يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون منه ومن غيره من المساجد وعن عطاء رضي الله عنه أن المراد بالمسجد الحرام الحرم وأن على المسلمين أن لا يمكنوهم من دخوله ونهي المشركين أن يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم منه وقيل المراد أن يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك (وان خفتم عيلة) أي فقرا بسبب منع المشركين من الحج وما كان لكم في قدومهم عليكم من الارفاق والمكاسب (فسوف يغنيكم الله من فضله) من عطائه أو من تفضله بوجه آخر فأرسل السماء عليهم مدرارا فأغزر بها خيرهم وأكثر ميرهم وأسلم أهل تبالة وجرش فحملوا الى مكة الطعام وما يعاش به فكان ذلك أعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته وعن ابن عباس رضي الله عنه ألقى الشيطان في قلوبهم الخوف وقال من أين تأكلون فأمرهم الله بقتال أهل الكتاب وأغناهم بالجزية وقيل بفتح البلاد والغنائم *وقرئ عائلة بمعنى المصدر كالعافية أو حالا عائلة ومعنى قوله (ان شاء) الله ان أوجبت الحكمة أغناءكم وكان مصلحة لكم في دينكم (ان الله عليم) بأحوالكم (حكيم) لا يعطي ولا يمنع الا عن حكمة

ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق

قوله تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا (قال هذا النهي راجع الى نهي المسلمين من تمكينهم منه) قال أحمد وقد يستدل به من يقول ان الكفار مخاطبون بفروع الشريعة وخصوصا بالمناهي فان ظاهر الآية توجه النهي الى المشركين الا انه بعيد لان المعلوم من المشركين انهم لا ينزجرون بهذا النهي والمقصود تطهير المسجد الحرام بابعادهم عنه فلا يحصل هذا المقصود الا بنهي المسلمين عن

وصواب (من الذين أوتوا الكتاب) بيان للذين مع ما فى حيزه نفى عنهم الايمان بالله لان اليهود مثنية والنصارى مثلثة وايمانهم باليوم الآخر لانهم فيه على خلاف ما يجب وتحريم ما حرم الله ورسوله لانهم لا يحرمون ما حرم فى الكتاب والسنة وعن أبى روق لا يعملون بما فى التوراة والانجيل وأن يدينوا دين الحق وأن يعتقدوا دين الاسلام الذى هو الحق وما سواه الباطل وقيل دين الله يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذه دينه ومعتقده * سميت جزية لانها طائفة مما على أهل الذمة أن يجزوه أى يقضوه أو لانهم يجزون بها من منّ عليهم بالاعفاء عن القتل (عن يد) اما أن يراد يد المعطى أو الآخذ فمعناه على ارادة يد المعطى حتى يعطوها عن يد أى عن يد مؤاتية غير ممتنعة لان من أبى وامتنع لم يعط يده بخلاف المطيع المنقاد ولذلك قالوا أعطى بيده اذا انقاد وأصحب ألا ترى الى قولهم نزع يده عن الطاعة كما يقال خلع ربقة الطاعة عن عنقه أو حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا غير نسيئة لا مبعوثا على يد أحد ولكن عن يد المعطى الى يد الآخذ وأما على ارادة يد الآخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية أو عن انعام عليهم لان قبول الجزية منهم وترك أرواحهم لهم نعمة عظيمة عليهم (وهم صاغرون) أى تؤخذ منهم على الصغار والذل وهو أن يأتى بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس وان يتلتل تلتلة ويؤخذ بتلبيبه ويقال له أد الجزية وان كان يؤديها ويزخ فى قفاه وتسقط بالاسلام عند أبى حنيفة ولا يسقط به خراج الارض واختلف فيمن تضرب عليه فعند أبى حنيفة تضرب على كل كافر من ذمى ومجوسى وصابئ وحربى الا على مشركى العرب وحدهم روى الزهرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح عبدة الاوثان على الجزية الا من كان من العرب وقال لاهل مكة هل لكم فى كلمة اذا قلتموها دانت لكم بها العرب وأدت اليكم العجم الجزية وعند الشافعى لا تؤخذ من مشركى العجم والمأخوذ عند أبى حنيفة فى أول كل سنة من الفقير الذى له كسب اثنا عشر درهما ومن المتوسط فى الغنى ضعفها ومن المكثر ضعف الضعف ثمانية وأربعون ولا تؤخذ من فقير لا كسب له وعند الشافعى يؤخذ فى آخر السنة من كل واحد دينار فقيرا كان أو غنيا كان له كسب أو لم يكن (عزير ابن الله) مبتدأ وخبر كقوله المسيح ابن الله وعزير اسم أعجمى كعازر وعيزار وعزرائيل ولعجمته وتعريفه امتنع صرفه ومن نون فقد جعله عربيا وأما قول من قال سقوط التنوين لالتقاء الساكنين كقراءة من قرأ أحد الله أو لان الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو معبودنا فتمحل عنه مندوحة وهو قول ناس من اليهود ممن كان بالمدينة وما هو بقول كلهم عن ابن عباس رضى الله عنه جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص وسبب هذا القول أن اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى عليه السلام فرفع الله عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح فى الارض فأتاه جبريل عليه السلام فقال له الى أين تذهب قال أطلب العلم فحفظه التوراة فأملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله التوراة فى صدره وهو غلام الا لانه ابنه والدليل على أن هذا القول كان فيهم أن الآية تليت عليهم فما أنكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على التكذيب (فان قلت) كل قول يقال بالفم فما معنى قوله (ذلك قولهم بأفواههم) (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يراد أنه قول لا يعضده برهان فما هو الا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته كالالفاظ المهملة التى هى أجراس ونغم لا تدل على معان وذلك أن القول الدال على معنى لفظه مقول بالفم ومعناه مؤثر فى القلب وما لا معنى له مقول بالفم لا غير والثانى أن يراد بالقول المذهب كقولهم قول أبى حنيفة يريدون مذهبه وما يقول به كأنه قيل ذلك مذهبهم ودينهم بأفواههم لا بقلوبهم لانه لا حجة معه ولا شبهة حتى يؤثر فى القلوب وذلك أنهم اذا اعترفوا أنه لا صاحبة له لم تبق شبهة فى انتفاء الولد (يضاهون) لا بد فيه من حذف مضاف تقديره يضاهى قولهم قولهم ثم حذف المضاف وأقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا والمعنى أن الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يضاهى قولهم قول قدمائهم يعنى أنه كفر قديم فيهم غير مستحدث أو يضاهى قول المشركين الملائكة بنات الله تعالى الله عنه وقيل الضمير للنصارى أى يضاهى قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم أقدم منهم

من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل

تمكينهم من قربانه ويرشد الى ان المخاطب فى الحقيقة المسلمون تصدير الكلام بخطابهم فى قوله يا أيها الذين آمنوا وتضمينه نصا بخطابهم بقوله وان خفتم عيلة وكثيرا ما يتوجه النهى على من المراد خلافه وعلى ما المراد خلافه اذا كانت ثم ملازمة كقوله لا أرينك ههنا ولا تموتن الا وأنتم مسلمون والله أعلم * قوله تعالى حتى يعطوا الجزية عن يد (قال اما أن يراد به المعطى أو الآخذ الخ) قال أحمد فيكون كاليد فى قوله عليه السلام لا تبيعوا الذهب الى قوله الا يدا بيد * عاد كلامه (قال وان أريد به الآخذ فمعناه حتى يعطوها الخ) قال أحمد وهذا الوجه أملى بالفائدة والله أعلم

وقرئ يضاهئون بالهمز من قولهم امرأة ضهيأ على فعيل وهي التي ضاهأت الرجال في أنها لا تحيض وهمزتها مزيدة كما في غرقئ (قاتلهم الله) أي هم أحقاء بأن يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبوا شنعاء قاتلهم الله ما أعجب فعلهم (أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن الحق * اتخاذهم أربابا أنهم أطاعوهم في الأمر بالمعاصي وتحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله كما تطاع الأرباب في أوامرهم ونحوه تسمية أتباع الشيطان فيما يوسوس به عبادة بل كانوا يعبدون الجن يا أبت لا تعبد الشيطان وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال أليسوا يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم فتحلونه قلت بلى قال فتلك عبادتهم وعن فضيل رضي الله عنه ما أبالي أطعت مخلوقا في معصية الخالق أو صليت لغير القبلة وأما المسيح فحين جعلوه ابنا لله فقد أهلوه للعبادة ألا ترى الى قوله قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين (وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا) أمرتهم بذلك أدلة العقل والنصوص في الانجيل والمسيح عليه السلام انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة (سبحانه) تنزيه له عن الاشراك به واستبعاد له ويجوز أن يكون الضمير في وما أمروا للمتخذين أربابا أي وما أمر هؤلاء الذين هم عندهم أرباب الا ليعبدوا الله ويوحدوه فكيف يصح أن يكونوا أربابا وهم مأمورون مستعبدون مثلهم * مثل حالهم في طلبهم أن يبطلوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يريد أن ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله أن يزيده ويبلغه الغاية القصوى في الاشراق أو الاضاءة ليطفئه بنفخه ويطمسه (ليظهره) ليظهر الرسول عليه السلام (على الدين كله) على أهل الأديان كلهم أو ليظهر دين الحق على كل دين (فان قلت) كيف جاز أبى الله الا كذا ولا يقال كرهت أو أبغضت الا زيدا (قلت) قد أجرى أبى مجرى لم يرد ألا ترى كيف قوبل يريدون أن يطفئوا بقوله ويأبى الله وكيف أوقع موقع ولا يريد الله الا أن يتم نوره * معنى أكل الأموال على وجهين اما أن يستعار الأكل للأخذ ألا ترى الى قولهم أخذ الطعام وتناوله واما على أن الأموال يؤكل بها فهي سبب الأكل ومنه قوله

ان لنا أحمرة عجافا * يأكلن كل ليلة اكافا

يريد علفا يشترى بثمن اكاف ومعنى أكلهم بالباطل انهم كانوا يأخذون الرشا في الأحكام والتخفيف والمسامحة في الشرائع (والذين يكنزون) يجوز أن يكون اشارة الى الكثير من الأحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم أخذ البراطيل وكنز الأموال والضن بها عن الانفاق في سبيل الخير ويجوز أن يراد المسلمون الكانزون غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين من اليهود والنصارى تغليظا ودلالة على أن من يأخذ منهم السحت ومن لا يعطي منكم طيب ماله سواء في استحقاق البشارة بالعذاب الأليم وقيل نسخت الزكاة آية الكنز وقيل هي ثابتة وانما عني بترك الانفاق في سبيل الله منع الزكاة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما أدي زكاته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ أن يزكى فلم يزك فهو كنز وان كان ظاهرا وعن عمر رضي الله عنه أن رجلا سأله عن أرض له باعها فقال أحرز مالك الذي أخذت احفر له تحت فراش امرأتك قال أليس بكنز قال ما أدي زكاته فليس بكنز وعن ابن عمر رضي الله عنه كل ما أديت زكاته فليس بكنز وان كان تحت سبع أرضين وما لم تؤد زكاته فهو الذي ذكر الله تعالى وان كان على ظهر الأرض (فان قلت) فما تصنع بما روى سالم بن الجعد رضي الله عنه انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبا للذهب تبا للفضة قالها ثلاثا فقالوا له أي مال نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين أحدكم على دينه وبقوله عليه الصلاة والسلام من ترك صفراء أو بيضاء كوي بها وتوفي رجل فوجد في مئزره دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كية وتوفي آخر فوجد في مئزره ديناران فقال كيتان (قلت) كان هذا قبل أن تفرض الزكاة فأما بعد فرض الزكاة فالله أعدل وأكرم من أن يجمع عبده مالا من حيث أذن له فيه ويؤدي عنه ما أوجب عليه فيه ثم يعاقبه ولقد كان كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله وعبيد الله رضي الله عنهم يقتنون الأموال ويتصرفون فيها وما عابهم أحد ممن أعرض عن القنية لأن الاعراض

قاتلهم الله أنى يؤفكون اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم

---

* قوله تعالى ويأبى الله الا أن يتم نوره (قال ان قلت كيف جاز أبى الله الا كذا ولا يقال كرهت الخ) قال أحمد ولا يقال على هذا ان الاباء عدم الارادة فكما صح الايجاب بعد نفي الارادة فينبغي أن يصح بعد ما هو في معناها مطلقا لانا نقول لوجود حرف النفي أثر في تصحيح مجيء حرف الايجاب بعده فلا يلزم ذلك والله أعلم

اختيار للافضل والادخل فى الورع والزهد فى الدنيا والاقتناء مباح موسع لا يذم صاحبه ولكل شىء حد
وما روى عن على رضى الله عنه أربعة آلاف فما دونها نفقة فما زاد فهو كنز كلام فى الافضل (فان قلت)
لم قيل ولا ينفقونها وقد ذكر شيآن (قلت) ذهابا بالضمير الى المعنى دون اللفظ لان كل واحد منهما جملة وافية
وعدة كثيرة ودنانير ودراهم فهو كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل ذهب به الى الكنوز
وقيل الى الاموال وقيل معناه ولا ينفقونها والذهب كما أن معنى قوله * فانى وقيار بها لغريب * وقيار كذلك
(فان قلت) لم خصا بالذكر من بين سائر الاموال (قلت) لانهما قانون التمول وأثمان الاشياء ولا يكنزهما
الا من فضلا عن حاجته ومن كثرا عنده حتى يكنزهما لم يعدم سائر أجناس المال فكان ذكر كنزهما دليلا على
ما سواهما (فان قلت) ما معنى قوله (يحمى عليها) وهلا قيل تحمى من قولك حمى الميسم وأحميته ولا تقول أحميت
على الحديد (قلت) معناه أن النار تحمى عليها أى توقد ذات حمى وحر شديد من قوله نار حامية ولو قيل يوم
تحمى لم يعط هذا المعنى (فان قلت) فاذا كان الاحماء للنار فلم ذكر الفعل (قلت) لانه مسند الى الجار والمجرور
أصله يوم تحمى النار عليها فلما حذفت النار قيل يحمى عليها لانتقال الاسناد عن النار الى عليها كما تقول رفعت
القصة الى الامير فان لم تذكر القصة قلت رفع الى الامير وعن ابن عامر أنه قرأ تحمى بالتاء * وقرأ أبو حيوة
فيكوى بالياء (فان قلت) لم خصت هذه الاعضاء (قلت) لانهم لم يطلبوا بأموالهم حيث لم ينفقوها فى سبيل
الله الا الاغراض الدنيوية من وجاهة عند الناس وتقدم وأن يكون ماء وجوههم مصونا عندهم يتلقون
بالجميل ويحيون بالاكرام ويبجلون ويحتشمون ومن أكل طيبات يتضلعون منها وينفخون جنوبهم ومن
لبس ناعمة من الثياب يطرحونها على ظهورهم كما ترى أغنياء زمانك هذه أغراضهم وطلباتهم من أموالهم
لا يخطرون ببالهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب أهل الدثور بالاجور وقيل لانهم كانوا اذا أبصروا
الفقير عبسوا واذا ضمهم واياه مجلس ازوروا عنه وتولوا بأركانهم وولوه ظهورهم وقيل معناه يكوون على
الجهات الاربع مقاديمهم ومآخيرهم وجنوبهم (هذا ما كنزتم) على ارادة القول وقوله (لانفسكم) أى
كنزتموه لتنتفع به نفوسكم وتلتذ وتحصل لها الاغراض التى حامت حولها وما علمتم أنكم كنزتموه لتستضر به
أنفسكم وتتعذب وهو توبيخ لهم (فذوقوا ما كنتم تكنزون) وقرئ تكنزون بضم النون أى وبال المال الذى
كنتم تكنزونه أو وبال كونكم كانزين (فى كتاب الله) فيما أثبته وأوجبه من حكمه ورآه حكمة وصوابا وقيل فى
اللوح (أربعة حرم) ثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب ومنه قوله عليه السلام فى
خطبته فى حجة الوداع ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها
أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت
الاشهر الى ما كانت عليه وعاد الحج فى ذى الحجة وبطل النسىء الذى كان فى الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا
الحجة وكانت حجة أبى بكر رضى الله عنه قبلها فى ذى القعدة (ذلك الدين القيم) يعنى أن تحريم الاشهر الاربعة
هو الدين المستقيم دين ابراهيم واسمعيل وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما وكانوا يعظمون الاشهر
الحرم ويحرمون القتال فيها حتى لو لقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه لم يهجه وسموا رجبا الاصم ومنصل الاسنة
حتى أحدثت النسىء فغيروا (فلا تظلموا فيهن) فى الحرم (أنفسكم) أى لا تجعلوا حرامها حلالا وعن عطاء تالله
ما يحل للناس أن يغزوا فى الحرم ولا فى الاشهر الحرم الا أن يقاتلوا وما نسخت وعن عطاء الخراسانى رضى
الله عنه أحلت القتال فى الاشهر الحرم براءة من الله ورسوله وقيل معناه لا تأثموا فيهن بيانا لعظم حرمتهن كما
عظم أشهر الحج بقوله تعالى فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق الآية وان كان ذلك محرما فى سائر الشهور
(كافة) حال من الفاعل أو المفعول (مع المتقين) ناصرا لهم حثهم على التقوى بضمان النصر لاهلها
* والنسىء تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر وذلك أنهم كانوا أصحاب حروب وغارات فاذا جاء الشهر الحرام
وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا آخر حتى رفضوا تخصيص الاشهر الحرم
بالتحريم فكانوا يحرمون من شهور العام أربعة أشهر وذلك قوله تعالى (ليواطؤا عدة ما حرم الله) أى

يحمى عليها فى نار جهنم
فتكوى بها جباههم
وجنوبهم وظهورهم
هذا ما كنزتم لانفسكم
فذوقوا ما كنتم تكنزون
ان عدة الشهور عند
الله اثنا عشر شهرا فى
كتاب الله يوم خلق
السموات والارض
منها أربعة حرم ذلك
الدين القيم فلا تظلموا
فيهن أنفسكم وقاتلوا
المشركين كافة كما
يقاتلونكم كافة واعلموا
أن الله مع المتقين انما
النسىء زيادة فى الكفر
يضل به الذين كفروا
يحلونه عاما ويحرمونه
عاما ليواطؤا عدة
ما حرم الله

* قوله تعالى يوم يحمى
عليها فى نار جهنم (قال
ان قلت هلا قيل تحمى
كما يقال حمى الميسم
وأحميته الخ) قال أحمد
وفى هذا الفصل دقائق
اعراب يشوب حسنها
اغراب والله الموفق

ليوافقوا

فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله

ليواطئوا العدة التي هي الاربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص الذي هو أحد الواجبين وربما زادوا في عدد الشهور فيجعلونها ثلاثة عشر أو أربعة عشر ليتسع لهم الوقت ولذلك قال عز وعلا ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا يعني من غير زيادة زادوها * والضمير في يحلونه ويحرمونه للنسىء أي اذا أحلوا شهرا من الاشهر الحرم عاما رجعوا فحرموه في العام القابل يروى أنه حدث ذلك في كنانة لانهم كانوا فقراء محاويج الى الغارة وكان جنادة بن عوف الكناني مطاعا في الجاهلية وكان يقوم على جمل في الموسم فيقول بأعلى صوته ان آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ثم يقوم في القابل فيقول ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه * جعل النسىء زيادة في الكفر لان الكافر كلما أحدث معصية ازداد كفرا فزادتهم رجسا الى رجسهم كما ان المؤمن اذا أحدث طاعة ازداد ايمانا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وقرئ يضل على البناء للمفعول ويضل بفتح الياء والضاد ويضل على أن الفعل لله عز وجل * وقرأ الزهري ليوطئوا بالتشديد * والنسىء مصدر نسأه اذا أخره يقال نسأه نسأ ونساء ونسيئا كقولك مسه مسا ومساسا ومسيسا وقرئ بهن جميعا وقرئ النسي بوزن الندي والنسي بوزن النهي وهما تخفيف النسىء والنسء * (فان قلت) ما معنى قوله (فيحلوا ما حرم الله) (قلت) معناه فيحلوا بمواطأة العدة وحدها من غير تخصيص ما حرم الله من القتال أو من ترك الاختصاص للاشهر بعينها (زين لهم سوء أعمالهم) خذلهم الله فحسبوا أعمالهم القبيحة حسنة (والله لا يهدي) أي لا يلطف بهم بل يخذلهم وقرئ زين لهم سوء أعمالهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل (اثاقلتم) تثاقلتم وبه قرأ الاعمش أي تباطأتم وتقاعستم وضمن معنى الميل والاخلاد فعدي بالى والمعنى ملتم الى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه ونحوه أخلد الى الارض واتبع هواه وقيل ملتم الى الاقامة بأرضكم ودياركم وقرئ أثاقلتم على الاستفهام الذي معناه الانكار والتوبيخ (فان قلت) فما العامل في اذا وحرف الاستفهام مانعه أن يعمل فيه (قلت) ما دل عليه قوله اثاقلتم أو ما في ما لكم من معنى الفعل كأنه قيل ما تصنعون اذا قيل لكم كما تعمله في الحال اذا قلت ما لك قائما وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الا ورى عنها بغيرها الا في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة (من الآخرة) أي بدل الآخرة كقوله لجعلنا منكم ملائكة (في الآخرة) في جنب الآخرة (الا تنفروا) سخط عظيم على المتثاقلين حيث أوعدهم بعذاب أليم مطلق يتناول عذاب الدارين وأنه يهلكهم ويستبدل بهم قوما آخرين خيرا منهم وأطوع وأنه غني عنهم في نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيئا وقيل الضمير للرسول أي ولا تضروه لان الله وعده أن يعصمه من الناس وأن ينصره ووعد الله كائن لا محالة وقيل يريد بقوله قوما غيركم أهل اليمن وقيل أبناء فارس والظاهر مستغن عن التخصيص (فان قلت) كيف يكون قوله فقد (نصره الله) جوابا للشرط (قلت) فيه وجهان أحدهما الا تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه الا رجل واحد ولا أقل من الواحد فدل بقوله فقد نصره الله على أنه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت والثاني أنه أوجب له النصرة وجعله منصورا في ذلك الوقت فلن يخذل من بعده وأسند الاخراج الى الكفار كما أسنده اليهم في قوله من قريتك التي أخرجتك لانهم حين هموا باخراجه أذن الله له في الخروج فكأنهم أخرجوه (ثاني اثنين) أحد اثنين كقوله ثالث ثلاثة وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق رضي الله عنه يروى ان جبريل عليه السلام لما أمره بالخروج قال من يخرج معي قال أبو بكر وانتصابه على الحال وقرئ ثاني اثنين بالسكون و(اذ هما) بدل من اذ أخرجه * والغار نقب في أعلى ثور وهو جبل في يمين مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا (اذ يقول) بدل ثان قيل طلع المشركون فوق الغار فأشفق أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه الصلاة والسلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في أسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أعم أبصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد أخذ الله بأبصارهم

* قوله الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير (قال في هذه الآية سخط عظيم على المتثاقلين حيث أوعدهم عذابا أليما الخ) قال أحمد ويقرب اعادة الضمير الى الرسول ان الضمير في قوله الا تنصروه عقيب ذلك عائد اليه اتفاقا والله أعلم

* قوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم (قال هذا كناية عن الجناية لان العفو رادف لها الخ) قال أحمد رحمه الله ليس له ان يفسر هذه الآية بهذا التفسير وهو بين أحد أمرين اما أن لا يكون هو المراد واما أن يكون هو المراد ولكن قد أجل الله نبيه الكريم عن مخاطبته بصريح العتب وخصوصا في حق المصطفى عليه الصلاة والسلام فالزمخشري على كلا التقديرين ذاهل عما يجب من حقه عليه الصلاة والسلام ولقد أحسن من قال (٥٥٤) في هذه الآية فان من لطف الله تعالى بنبيه أن بدأه بالعفو قبل العتب ولو قال له ابتداء لم أذنت لهم لتفطر قلبه عليه الصلاة والسلام فمثل هذا الادب يجب احتذاؤه في حق سيد البشر عليه أفضل الصلاة والسلام * عاد كلامه (قال) وقوله لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله الى قوله انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله الآية قال معناه ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا الخ (قال) أحمد وهذا الادب يجب أن يقتفى مطلقا فلا يليق أبدا بالمرء ان يستأذن أخاه في ان يسدى اليه معروفا ولا بالمضيف ان يستأذن ضيفه في أن يقدم اليه طعاما فان الاستئذان في أمثال هذه المواطن امارة التكلف والتكره وصلوات الله على خليله وسلامه لقد بلغ من كرمه وادبه مع ضيوفه انه كان لا يتعاطى شيأ من أسباب التهيؤ للضيافة بمرأى منهم فلذلك مدحه الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بهذه الخلة الجليلة والآداب الجليلة فقال

سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر

عنه وقالوا من أنكر صحبة أبى بكر رضى الله عنه فقد كفر لانكاره كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة (سكينته) ما ألقى فى قلبه من الامنة التى سكن عندها وعلم أنهم لا يصلون اليه * والجنود الملائكة يوم بدر والاحزاب وحنين * وكلمة الذين كفروا دعوتهم الى الكفر (وكلمة الله) دعوته الى الاسلام وقرئ كلمة الله بالنصب والرفع أوجه و (هى) فصل أو مبتدأ وفيها تأكيد فضل كلمة الله فى العلو وأنها المختصة به دون سائر الكلام (خفافا وثقالا) خفافا فى النفور لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم أو خفافا لقلة عيالكم وأذيالكم وثقالا لكثرتها أو خفافا من السلاح وثقالا منه أو ركبانا ومشاة أو شبابا وشيوخا أو مهازيل وسمانا أو صحاحا ومراضا وعن ابن أم مكتوم أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلى أن أنفر قال نعم حتى نزل قوله ليس على الاعمى حرج وعن ابن عباس نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى وعن صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت ياعم لقد أعذر الله اليك فرفع حاجبيه وقال يا ابن أخى استنفرنا الله خفافا وثقالا الا أنه من يحبه الله يبتله وعن الزهرى خرج سعيد بن المسيب الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقيل له انك عليل صاحب ضرر فقال استنفرنا الله الخفيف والثقيل فان لم يمكنى الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم) ايجاب للجهاد بهما ان أمكن أو بأحدهما على حسب الحال والحاجة * العرض ما عرض لك من منافع الدنيا يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر أى لو كان ما دعوا اليه غنما قريبا سهل المنال (وسفرا قاصدا) وسطا مقاربا (الشقة) المسافة الشاطة الشاقة وقرأ عيسى بن عمر بعدت عليهم الشقة بكسر العين والشين ومنه قوله

يقولون لا تبعد وهم يدفنونه * ولا بعد الا ما توارى الصفائح

(بالله) متعلق بسيحلفون أو هو من جملة كلامهم والقول مراد فى الوجهين أى سيحلفون يعنى المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله (لو استطعنا لخرجنا معكم) أو سيحلفون بالله يقولون لو استطعنا وقوله لخرجنا سد مسد جوابى القسم ولو جميعا والاخبار بما سوف يكون بعد القفول من حلفهم واعتذارهم وقد كان من جملة المعجزات ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة أو استطاعة الابدان كأنهم تمارضوا وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الجمع فى قوله فتمنوا الموت (يهلكون أنفسهم) اما أن يكون بدلا من سيحلفون أو حالا بمعنى مهلكين والمعنى أنهم يوقعونها فى الهلاك بحلفهم الكاذب وما يحلفون عليه من التخلف ويحتمل أن يكون حالا من قوله لخرجنا أى لخرجنا معكم وان أهلكنا أنفسنا وألقيناها فى التهلكة بما نحملها من المسير فى تلك الشقة وجاء به على لفظ الغائب لانه مخبر عنهم ألا ترى أنه لو قيل سيحلفون بالله لو استطاعوا لخرجوا لكان سديدا يقال حلف بالله ليفعلن ولأفعلن فالغيبة على حكم الاخبار والتكلم على الحكاية (عفا الله عنك) كناية عن الجناية لان العفو رادف لها ومعناه أخطأت وبئس ما فعلت و (لم أذنت لهم) بيان لما كنى عنه بالعفو ومعناه مالك أذنت لهم فى القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا استأنيت بالاذن (حتى يتبين لك) من صدق فى عذره ممن كذب فيه وقيل شيآن فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمر بهما اذنه للمنافقين وأخذه من الاسارى فعاتبه الله تعالى (لا يستأذنك) ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك فى أن يجاهدوا وكان الخلص من المهاجرين والانصار يقولون لا نستأذن النبى أبدا ولنجاهدن

تعالى فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين أى ذهب على خفاء منهم كيلا يشعر وابه والمهتم بأمر ضيفه عبر أى منه رعاية كالمستأذن له فى الضيافة فهذا من الآداب التى ينبغى ان يتمسك بها ذوو المروأة وأولو القوة وأشد من الاستئذان فى الخروج للجهاد ونصرة الدين التثاقل عن المبادرة اليه بعد الحض عليه والمناداة وأسوأ أحوال المتثاقل وقد دعى الناس الى الغزاة أن يكون متمسكا بشعبة من النفاق نعوذ بالله من التعرض لسخطه * قوله تعالى ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم (٥٥٥) وقيل اقعدوا مع القاعدين

أبداً معه بأموالنا وأنفسنا ومعنى (أن يجاهدوا) فى أن يجاهدوا أو كراهة أن يجاهدوا (والله عليم بالمتقين) شهادة لهم بالانتظام فى زمرة المتقين وعدة لهم بأجزل الثواب (انما يستأذنك) يعنى المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين رجلا (يترددون) عبارة عن التحير لان التردد ديدن المتحير كما أن الثبات والاستقرار ديدن المستبصر * قرئ عده بمعنى عدته فعل بالعدة ما فعل بالعدة من قال وأخلفوك عد الامر الذى وعدوا من حذف تاء التأنيث وتعويض المضاف اليه منها وقرئ عدة بكسر العين بغير اضافة وعده باضافة (فان قلت) كيف موقع حرف الاستدراك (قلت) لما كان قوله ولو أرادوا الخروج معطيا معنى نفى خروجهم واستعدادهم للغزو قيل (ولكن كره الله انبعاثهم) كأنه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم كما تقول ما أحسن الىّ زيد ولكن أساء الىّ (فثبطهم) فكسلهم وخذلهم وضعف رغبتهم فى الانبعاث (وقيل اقعدوا) جعل القاء الله فى قلوبهم كراهة الخروج أمرا بالقعود وقيل هو قول الشيطان بالوسوسة وقيل هو قول لهم لانفسهم وقيل هو اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم فى القعود (فان قلت) كيف جاز أن يوقع الله تعالى فى نفوسهم كراهة الخروج الى الغزو وهى قبيحة وتعالى الله عن الهام القبيح (قلت) خروجهم كان مفسدة لقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا فكان ايقاع كراهة ذلك الخروج فى نفوسهم حسنا ومصلحة (فان قلت) فلم خطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاذن لهم فيما هو مصلحة (قلت) لان اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم لم يكن للنظر فى هذه المصلحة ولا علمها الا بعد القفول باعلام الله تعالى ولكن لانهم استأذنوه فى ذلك واعتذروا اليه فكان عليه أن يتفحص عن كنه معاذيرهم ولا يتجوز فى قبولها فمن ثم أتاه العتاب ويجوز أن يكون فى ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الاذن لهم مع تثبيط الله اياهم مصلحة أخرى فباذنه لهم فقدت تلك المصلحة وذلك انه اذا ثبطهم الله فلم ينبعثوا وكان قعودهم بغير اذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم قامت عليهم الحجة ولم تبق لهم معذرة ولقد تدارك الله ذلك حيث هتك أستارهم وكشف أسرارهم وشهد عليهم بالنفاق وانهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر (فان قلت) ما معنى قوله (مع القاعدين) (قلت) هو ذم لهم وتعجيز والحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شأنهم القعود والجثوم فى البيوت وهم القاعدون والخالفون والخوالف ويبينه قوله تعالى رضوا بأن يكونوا مع الخوالف (الا خبالا) ليس من الاستثناء المنقطع فى شئ كما يقولون لان الاستثناء المنقطع هو أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك ما زادوكم خيرا الا خبالا والمستثنى منه فى هذا الكلام غير مذكور واذا لم يذكر وقع الاستثناء من أعم العام الذى هو الشئ فكان استثناء متصلا لان الخبال بعض أعم العام كأنه قيل ما زادوكم شيئا الا خبالا والخبال الفساد والشر (ولأوضعوا خلالكم) ولسعوا بينكم بالتضريب والنمائم وافساد ذات البين يقال وضع البعير وضعا اذا أسرع وأوضعته أنا والمعنى ولأوضعوا ركائبهم بينكم والمراد الاسراع بالنمائم لان الراكب أسرع من الماشى وقرأ ابن الزبير رضى الله عنه ولأرقصوا من رقصت الناقة رقصا اذا أسرعت وأرقصتها قال * والراقصات الى منى فالغبغب * وقرئ ولأوفضوا (فان قلت) كيف خط فى المصحف ولا أوضعوا بزيادة ألف (قلت) كانت الفتحة تكتب ألفا قبل الخط العربى والخط العربى اخترع قريبا من نزول القرآن وقد بقى من ذلك الالف أثر فى الطباع فكتبوا صورة الهمزة ألفا وفتحتها ألفا أخرى ونحوه أو لا أذبحنه (يبغونكم الفتنة) يحاولون أن يفتنوكم بأن يوقعوا الخلاف فيما

(قال ان قلت كيف جاز أن يوقع الله فى نفوسهم كراهة الخروج للغزو الخ) قال أحمد وهذا الفصل من كلامه مبنى على قاعدتين فاسدتين ايجاب مراعاة المصالح على الله تعالى والتحسين والتقبيح وقد تكرر

أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة

بطلان ذلك فاحذره واعلم ان معتقد السنة ان الله تعالى ألقى كراهة الخروج فى قلوبهم لانه أراد شقاوتهم وانضاف الى ذلك ارادة راحة المخلصين من مرافقتهم اذ الامر ليس شرطا فى نفوذ المشيئة والله الموفق * عاد كلامه (قال فان قلت فما معنى قوله مع القاعدين الخ) قال أحمد وهذا من تنبهاته الحسنة ونزيده بسطا فنقول لو قيل اقعدوا مقتصرا عليه لم يفد سوى أمرهم بالقعود وكذلك كونوا مع القاعدين ولا تحصل هذه الفائدة من الحاقهم بهؤلاء الاصناف الموصوفين عند الناس بالتخلف والتقاعد الموسومين بهذه السمة الا من عبارة الآية ولعن الله فرعون لقد بالغ فى توعده موسى عليه السلام بقوله لأجعلنك من المسجونين ولم يقل لأجعلنك مسجونا لمثل هذه النكتة من المبالغة

بينكم ويفسدوا نياتكم فى مغزاكم (وفيكم سماعون لهم) أى نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه اليهم أو فيكم قوم يسمعون للمنافقين ويطيعونهم (لقد ابتغوا الفتنة) أى العنت ونصب الغوائل والسعى فى تشتيت شملك وتفريق أصحابك عنك كما فعل عبد الله بن أبى يوم أحد حين انصرف بمن معه وعن ابن جريج رضى الله عنه وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلا ليفتكوا به (من قبل) من قبل غزوة تبوك (وقلبوا لك الامور) ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا الآراء فى ابطال أمرك وقرئ وقلبوا بالتخفيف (حتى جاء الحق) وهو تأييدك ونصرك (وظهر أمر الله) وغلب دينه وعلا شرعه (ائذن لى) فى القعود (ولا تفتنى) ولا توقعنى فى الفتنة وهى الاثم بأن لا تأذن لى فانى ان تخلفت بغير اذنك أثمت وقيل ولا تلقنى فى الهلكة فانى اذا خرجت معك هلك مالى وعيالى وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار أنى مستهتر بالنساء فلا تفتنى ببنات الاصفر يعنى نساء الروم ولكنى أعينك بمال فاتركنى وقرئ ولا تفتنى من أفتنه (ألا فى الفتنة سقطوا) أى ان الفتنة هى التى سقطوا فيها وهى فتنة التخلف وفى مصحف أبى رضى الله عنه سقط لان من موحد اللفظ مجموع المعنى (لمحيطة بالكافرين) يعنى أنها تحيط بهم يوم القيامة أو هى محيطة بهم الآن لان أسباب الاحاطة معهم فكأنهم فى وسطها (ان تصبك) فى بعض الغزوات (حسنة) ظفر وغنيمة (تسؤهم وان تصبك مصيبة) نكبة وشدة فى بعضها نحو ما جرى فى يوم أحد يفرحوا بحالهم فى الانحراف عنك و(يقولوا قد أخذنا أمرنا) أى أمرنا الذى نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم (من قبل) من قبل ما وقع * ويتولوا عن مقام التحدث بذلك والاجتماع له الى أهاليهم (وهم فرحون) مسرورون وقيل تولوا أعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم * قرأ ابن مسعود رضى الله عنه قل هل يصيبنا وقرأ طلحة رضى الله عنه هل يصيبنا بتشديد الياء ووجهه أن يكون يفيعل لا يفعل لانه من بنات الواو كقولهم الصواب وصاب السهم يصوب ومصاوب فى جمع مصيبة فحق يفعل منه يصوب ألا ترى الى قولهم صوب رأيه الا أن يكون من لغة من يقول صاب السهم يصيب ومنه قوله أسهمى الصائبات والصيب واللام فى قوله (الا ما كتب الله لنا) مفيدة معنى الاختصاص كأنه قيل لن يصيبنا الا ما اختصنا الله باثباته وايجابه من النصرة عليكم أو الشهادة ألا ترى الى قوله (هو مولانا) أى الذى يتولانا ونتولاه ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وحق المؤمنين أن لا يتوكلوا على غير الله فليفعلوا ما هو حقهم (الا احدى الحسنيين) الا احدى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هى حسنى العواقب وهما النصرة والشهادة (ونحن نتربص بكم) احدى السوأيين من العواقب اما (أن يصيبكم الله بعذاب من عنده) وهو قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود (أو) بعذاب (بأيدينا) وهو القتل على الكفر (فتربصوا) بنا ما ذكرنا من عواقبنا (انا معكم متربصون) ما هو عاقبتكم فلا بد أن يلقى كلنا ما يتربصه لا يتجاوزه (أنفقوا) يعنى فى سبيل الله ووجوه البر (طوعا أو كرها) نصب على الحال أى طائعين أو مكرهين (فان قلت) كيف أمرهم بالانفاق ثم قال (لن يتقبل منكم) (قلت) هو أمر فى معنى الخبر كقوله تبارك وتعالى قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا ومعناه لن يتقبل منكم أنفقتم طوعا أو كرها ونحوه قوله تعالى استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وقوله

* أسيئى بنا أو أحسنى لا ملومة * أى لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ولا نلومك أسأت الينا أم أحسنت (فان قلت) متى يجوز نحو هذا (قلت) اذا دل الكلام عليه كما جاز عكسه فى قولك رحم الله زيدا وغفر له (فان قلت) لم فعل ذلك (قلت) لنكتة فيه وهى أن كثيرا كأنه يقول امتحنى لطف محلك عندى وقوة محبتى لك وعاملينى بالاساءة والاحسان وانظرى هل يتفاوت حالى معك مسيئة كنت أو محسنة وفى معناه قول القائل

أخوك الذى ان قمت بالسيف عامدا * لتضربه لم يستغشك فى الود

وكذلك المعنى أنفقوا وانظروا هل يتقبل منكم واستغفر لهم أو لا تستغفر لهم وانظر هل ترى اختلافا بين حال الاستغفار وتركه (فان قلت) ما الغرض فى نفى التقبل أهو ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم

تقبله

وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا انا معكم متربصون قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم

انكم كنتم قوماً فاسقين
وما منعهم أن تقبل
منهم نفقاتهم الا أنهم
كفروا بالله وبرسوله
ولا يأتون الصلاة الا
وهم كسالى ولا ينفقون
الا وهم كارهون فلا
تعجبك أموالهم ولا
أولادهم انما يريد الله
ليعذبهم بها في الحياة
الدنيا وتزهق أنفسهم
وهم كافرون ويحلفون
بالله انهم لمنكم وما هم
منكم ولكنهم قوم
يفرقون لو يجدون ملجأ
أو مغارات أو مدخلا
لولوا اليه وهم يجمحون
ومنهم من يلمزك في
الصدقات فان أعطوا
منها رضوا وان لم
يعطوا منها اذا هم
يسخطون ولو أنهم
رضوا ما آتاهم الله
ورسوله وقالوا حسبنا
الله سيؤتينا الله من
فضله ورسوله انا الى
الله راغبون

تقبله منهم ورده عليهم ما يبذلون منه أم هو كونه غير مقبول عند الله تعالى ذاهباً هباء لا ثواب له (قلت) يحتمل الامرين جميعاً وقوله طوعاً أو كرهاً معناه طائعين من غير الزام من الله ورسوله او ملزمين وسمي الالزام اكراهاً لانهم منافقون فكان الزامهم الانفاق شاقاً عليهم كالاكراه أو طائعين من غير اكراه من رؤسائكم لان رؤساء أهل النفاق كانوا يحملون على الانفاق لما يرون من المصلحة فيه أو مكرهين من جهتهم وروي أنها نزلت في الجد بن قيس حين تخلف عن غزوة تبوك وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مالي أعينك به فاتركني (انكم) تعليل لرد انفاقهم * والمراد بالفسق التمرد والعتو (أنهم) فاعل منع وهم وأن تقبل مفعولاه * وقرئ أن تقبل بالتاء والياء على البناء للمفعول ونفقاتهم ونفقتهم على الجمع والتوحيد وقرأ السلمي أن يقبل منهم نفقاتهم على أن الفعل لله عز وجل (كسالى) بالضم والفتح جمع كسلان نحو سكارى وغيارى في جمع سكران وغيران وكسلهم لانهم لا يرجون بصلاتهم ثواباً ولا يخشون بتركها عقاباً فهي ثقيلة عليهم كقوله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقرأت في بعض الاخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كره للمؤمن أن يقول كسلت كأنه ذهب الى هذه الآية فان الكسل من صفات المنافقين فما ينبغي أن يسنده المؤمن الى نفسه (فان قلت) الكراهية خلاف الطواعية وقد جعلهم الله تعالى طائعين في قوله طوعاً ثم وصفهم بأنهم لا ينفقون الا وهم كارهون (قلت) المراد بطوعهم أنهم يبذلونه من غير الزام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من رؤسائهم وما طوعهم ذاك الا عن كراهية واضطرار لا عن رغبة واختيار الاعجاب بالشيء أن يسر به سرور راض به متعجب من حسنه والمعنى فلا تستحسن ولا تفتتن بما أوتوا من زينة الدنيا كقوله تعالى ولا تمدن عينيك فان الله تعالى انما أعطاهم ما أعطاهم للعذاب بأن عرضه للتغنم والسبي وبلاهم فيه بالآفات والمصائب وكلفهم الانفاق منه في أبواب الخير وهم كارهون له على رغم أنوفهم وأذاقهم أنواع الكلف والمجاشم في جمعه واكتسابه وفي تربية أولادهم (فان قلت) ان صح تعليق التعذيب بارادة الله تعالى فما بال زهوق أنفسهم (وهم كافرون) (قلت) المراد الاستدراج بالنعم كقوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثماً كأنه قيل ويريد أن يديم عليهم نعمته الى أن يموتوا وهم كافرون ملتهون بالتمتع عن النظر للعاقبة (لمنكم) لمن جملة المسلمين (يفرقون) يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالاسلام تقية (ملجأ) مكاناً يلجؤن اليه متحصنين به من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة (أو مغارات) أو غيراناً وقرئ بضم الميم من أغار الرجل وغار اذا دخل الغور وقيل هو تعدية غار الشيء وأغرته أنا يعني أمكنة يغيرون فيها أشخاصهم ويجوز أن يكون من أغار الثعلب اذا أسرع بمعنى مهارب ومفار (أو مدخلا) أو نفقاً يندسون فيه وينجحرون وهو مفتعل من الدخول وقرئ مدخلا من دخل ومدخلا من أدخل مكاناً يدخلون فيه أنفسهم وقرأ أبي بن كعب رضي الله عنه متدخلا وقرئ لوألوا اليه لالتجؤا اليه (يجمحون) يسرعون اسراعاً لا يردهم شيء من الفرس الجموح وهو الذي اذا حمل لم يرده اللجام وقرأ أنس رضي الله عنه يجمزون فسئل فقال يجمحون ويجمزون ويشتدون واحد (يلمزك) يعيبك في قسمة الصدقات ويطعن عليك قيل هم المؤلفة قلوبهم وقيل هو ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فقال اعدل يا رسول الله فقال صلوات الله عليه وسلامه ويلك ان لم أعدل فمن يعدل وقيل هو أبو الجواظ من المنافقين قال ألا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم وهو يزعم أنه يعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أبا لك أما كان موسى راعياً أما كان داود راعياً فلما ذهب قال عليه الصلاة والسلام احذروا هذا وأصحابه فانهم منافقون وقرئ يلمزك بالضم ويلمزك ويلامزك التثقيل والبناء على المفاعلة مبالغة في اللمز * ثم وصفهم بأن رضاهم وسخطهم لانفسهم لا للدين وما فيه صلاح أهله لان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعطف قلوب أهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون منه واذا للمفاجأة أي وان لم يعطوا منها فاجؤا السخط * جواب لو محذوف تقديره ولو أنهم رضوا لكان خيراً لهم والمعنى ولو أنهم رضوا ما أصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت به نفوسهم وان قل نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا

* قوله تعالى انما الصدقات للفقراء الآية الى آخرها (قال هذا قصر لجنس الصدقات على الاصناف المعدودة وانها مختصة بها الخ) قال أحمد وهو مذهب مالك رضي الله عنه والقول بوجوب صرفها الى جميع الاصناف حتى لا يجوز ترك صنف واحد منها أخذا من اشعار اللام بالتمليك كما ذهب اليه الشافعي لا يسعده السياق فان الآية مصدرة بكلمة الحصر الدالة على ان غيرهم لا يستحق فيها نصيبا فهذا هو الغرض الذي سيقت له فلا اقتضاء فيها للمساواة والله أعلم * عاد كلامه (قال فان قلت لم عدل عن اللام الى في في الاربعة الاخيرة الخ) قال أحمد وثم سر آخر هو أظهر وأقرب وذلك ان الاصناف الاربعة الاوائل ملاك لما عساه يدفع اليهم وانما يأخذونه ملكا فكان دخول اللام لائقا بهم وأما الاربعة الاواخر فلا يملكون ما يصرف نحوهم بل ولا يصرف اليهم ولكن في مصالح تتعلق بهم فالمال الذي يصرف في الرقاب انما يتناوله السادة المكاتبون (558) والبائعون فليس نصيبهم مصروفا الى أيديهم حتى يعبر عن ذلك باللام المشعرة بتملكهم لما يصرف نحوهم وانما هم محال لهذا الصرف والمصلحة المتعلقة به وكذلك الغارمون انما يصرف نصيبهم لارباب ديونهم

انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم

ما قسم لنا سيرزقنا الله غنيمة أخرى فيؤتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر مما آتانا اليوم (انا الى الله) في أن يغنمنا ويخولنا فضله لراغبون (انما الصدقات للفقراء) قصر لجنس الصدقات على الاصناف المعدودة وأنها مختصة بها لا تتجاوزها الى غيرها كأنه قيل انما هي لهم لا لغيرهم ونحوه قولك انما الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل أن تصرف الى الاصناف كلها وأن تصرف الى بعضها وعليه مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه وعن حذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أنهم قالوا في أي صنف منها وضعتها أجزأك وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه لو نظرت الى أهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان أحب الي وعند الشافعي رضي الله عنه لا بد من صرفها الى الاصناف الثمانية وعن عكرمة رضي الله عنه أنها تفرق في الاصناف الثمانية وعن الزهري أنه كتب لعمر بن عبد العزيز تفريق الصدقات على الاصناف الثمانية (والعاملين عليها) السعاة الذين يقبضونها (والمؤلفة قلوبهم) أشراف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستألفهم على أن يسلموا فيرضخ لهم شيأ منها حين كان في المسلمين قلة (وفي الرقاب) المكاتبون يعانون منها وقيل الاسارى وقيل تبتاع الرقاب فتعتق (والغارمين) الذين ركبتهم الديون ولا يملكون بعدها ما يبلغ النصاب وقيل الذين تحملوا الحمالات فتداينوا فيها وغرموا (وفي سبيل الله) فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم (وابن السبيل) المسافر المنقطع عن ماله فهو فقير حيث هو غني حيث ماله (فريضة من الله) في معنى المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات لهم وقرئ فريضة بالرفع على تلك فريضة (فان قلت) لم عدل عن اللام الى في في الاربعة الاخيرة (قلت) للايذان بانهم أرسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره لان في للوعاء فنبه على انهم أحقاء بان توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها ومصبا وذلك لما في فك الرقاب من الكتابة أو الرق أو الاسر وفي فك الغارمين من الغرم من التخليص والانقاذ ولجمع الغازي الفقير أو المنقطع في الحج بين الفقر والعبادة وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الاهل والمال وتكرير في في قوله وفي سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين (فان قلت) فكيف وقعت هذه الآية في تضاعيف ذكر المنافقين ومكايدهم (قلت) دل بكون هذه الاصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على أنهم ليسوا منهم حسما لاطماعهم واشعارا باستيجابهم الحرمان وأنهم بعداء عنها وعن مصارفها فما لهم وما لها وما سلطهم على التكلم فيها ولمز قاسمها صلوات الله عليه وسلامه * الاذن الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل أحد سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كأن جملته أذن سامعة ونظيره قولهم للربيئة عين * وايذاؤهم له هو

تخليصا للذمم لا لهم وأما سبيل الله فواضح فيه ذلك وأما ابن السبيل فكأنه كان مندرجا في سبيل الله وانما أفرد بالذكر تنبيها على خصوصيته مع أنه مجرد من الحرفين جميعا وعطفه على المجرور باللام ممكن ولكنه على القريب منه أقرب والله أعلم وكان جدي

قدرهم

أبو العباس أحمد بن فارس الفقيه الوزير استنبط من تغاير الحرفين المذكورين وجها في الاستدلال لمالك على ان الغرض بيان المصرف واللام لذلك لا للملك فيقول متعلق الجار الواقع خبرا عن الصدقات محذوف فيتعين تقديره فاما ان يكون التقدير انما الصدقات مصروفة للفقراء كقول مالك أو مملوكة للفقراء كقول الشافعي لكن الاول متعين لانه تقدير يكتفى به في الحرفين جميعا يصح تعلق اللام به وفي معا فيصح ان تقول هذا الشيء مصروف في كذا بخلاف تقديره مملوكة فانه انما يلتئم مع اللام وعند الانتهاء الى في يحتاج الى تقديره مصروفة ليلتئم بها فتقديره من اللام عام التعلق شامل الصحة متعين والله الموفق

ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل

قولهم فيه هو أذن * وأذن خير كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح كأنه قيل نعم هو أذن ولكن نعم الاذن ويجوز أن يريد هو أذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس بأذن في غير ذلك ودل عليه قراءة حمزة ورحمة بالجر عطفا عليه أي هو أذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله * ثم فسر كونه أذن خير بانه يصدق بالله لما قام عنده من الادلة ويقبل من المؤمنين الخلص من المهاجرين والانصار وهو رحمة لمن آمن منكم أي أظهر الايمان أيها المنافقون حيث يسمع منكم ويقبل ايمانكم الظاهر ولا يكشف أسراركم ولا يفضحكم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين مراعاة لما رأى الله من المصلحة في الابقاء عليكم فهو أذن كما قلتم الا انه أذن خير لكم لا أذن سوء فسلم لهم قولهم فيه الا انه فسر بما هو مدح له وثناء عليه وان كانوا قصدوا به المذمة والتقصير بفطنته وشهامته وانه من أهل سلامة القلوب والغرة وقيل ان جماعة منهم ذموه صلوات الله عليه وسلامه وبلغه ذلك فاشتغلت قلوبهم فقال بعضهم لا عليكم فانما هو أذن سامعة قد سمع كلام المبلغ فاذى ونحن نأتيه ونعتذر اليه فيسمع عذرنا أيضا فيرضى فقيل هو أذن خير لكم وقرئ أذن خير لكم على أن أذن خبر مبتدا محذوف وخير كذلك أي هو أذن هو خير لكم يعني ان كان كما تقولون فهو خير لكم لانه يقبل معاذيركم ولا يكافئكم على سوء دخلتكم وقرأ نافع بتخفيف الذال (فان قلت) لم عدى فعل الايمان بالباء الى الله تعالى والى المؤمنين باللام (قلت) لانه قصد التصديق بالله الذي هو نقيض الكفر به فعدي بالباء وقصد السماع من المؤمنين وأن يسلم لهم ما يقولونه ويصدقه لكونهم صادقين عنده فعدي باللام ألا ترى الى قوله وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ما أنباه عن الباء ونحوه فما آمن لموسى الا ذرية من قومه أنؤمن لك واتبعك الارذلون آمنتم له قبل أن آذن لكم (فان قلت) ما وجه قراءة ابن أبي عبلة ورحمة بالنصب (قلت) هي علة معللها محذوف تقديره ورحمة لكم يأذن لكم فحذف لان قوله أذن خير لكم يدل عليه (لكم ليرضوكم) الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن أو يتخلفون عن الجهاد ثم يأتونهم فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم ان كنتم مؤمنين كما تزعمون فاحق من أرضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق * وانما وحد الضمير لانه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله صلى الله عليه وسلم فكانا في حكم مرضي واحد كقولك احسان زيد واجماله نعشني وجبر مني أو والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك * المحادة مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق (فأن له) على حذف الخبر أي فحق أن له (نار جهنم) وقيل معناه فله وأن تكرير لأن في قوله أنه تأكيدا ويجوز أن يكون فأن له معطوفا على أنه على أن جواب من محذوف تقديره ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله يهلك فان له نار جهنم وقرئ ألم تعلموا بالتاء * كانوا يستهزؤن بالاسلام وأهله وكانوا يحذرون أن يفضحهم الله بالوحي فيهم حتى قال بعضهم والله لا أرانا الا شر خلق الله لوددت أني قدمت فجلدت مائة جلدة وأن لا ينزل فينا شيء يفضحنا * والضمير في عليهم وتنبئهم للمؤمنين وفي قلوبهم للمنافقين وصح ذلك لان المعنى يقود اليه ويجوز أن تكون الضمائر للمنافقين لان السورة اذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم ومعنى تنبئهم بما في قلوبهم كأنها تقول لهم في قلوبكم كيت وكيت يعني أنها تذيع أسرارهم عليهم حتى يسمعوها مذاعة منتشرة فكأنها تخبرهم بها وقيل معنى يحذر الامر بالحذر أي ليحذر المنافقون (فان قلت) الحذر واقع على انزال السورة في قوله (يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة) فما معنى قوله (مخرج ما تحذرون) (قلت) معناه محصل مبرز انزال السورة أو ان الله مظهر ما كنتم تحذرونه أي تحذرون اظهاره من نفاقكم بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فأطلع الله نبيه عليه السلام على ذلك فقال احبسوا على الركب فأتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من أمرك ولا من أمر أصحابك ولكن كنا في شيء مما

---

* قوله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين (قال الاذن الرجل الذي يصدق كل ما يسمع سمي الرجل بالجارحة التي هي آلة السماع الخ) قال أحمد لا شيء أبلغ من الرد عليهم بهذا الوجه لانه في الاول اطماع لهم بالموافقة ثم كر على طمعهم بالحسم وأعقبهم في تنقصه باليأس منه ويضاهي هذا من مستعملات الفقهاء القول بالموجب لان في أوله اطماعا للخصم بالتسليم ثم بتا للطمع على قرب ولا شيء أقطع من الاطماع ثم اليأس يتلوه ويعقبه والله الموفق

يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن) لم يعبأ باعتذارهم لانهم كانوا كاذبين فجعلوا كأنهم معترفون باستهزائهم وبأنه موجود منهم حتى وبخوا بأخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزأ به يلى حرف التقرير وذلك انما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء وثبوته (لا تعتذروا) لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فانها لا تنفعكم بعد ظهور سركم (قد كفرتم) قد ظهر كفركم باستهزائكم (بعد ايمانكم) بعد اظهاركم الايمان (ان نعف عن طائفة منكم) باحداثهم التوبة واخلاصهم الايمان بعد النفاق (نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين) مصرين على النفاق غير تائبين منه أو ان نعف عن طائفة منكم لم يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يستهزؤا فلم نعذبهم في العاجل نعذب في العاجل طائفة بانهم كانوا مجرمين مؤذين لرسول الله صلى الله عليه وسلم مستهزئين * وقرأ مجاهد ان تعف عن طائفة على البناء للمفعول مع التأنيث والوجه التذكير لان المسند اليه الظرف كما تقول سير بالدابة ولا تقول سيرت بالدابة ولكنه ذهب الى المعنى كأنه قيل ان ترحم طائفة فأنث لذلك وهو غريب والجيد قراءة العامة ان يعف عن طائفة بالتذكير وتعذب طائفة بالتأنيث * وقرئ ان يعف عن طائفة يعذب طائفة على البناء للفاعل وهو الله عز وجل (بعضهم من بعض) أريد به نفي أن يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في قولهم ويحلفون بالله انهم لمنكم وتقرير قوله وما هم منكم ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين (يأمرون بالمنكر) بالكفر والمعاصي (وينهون عن المعروف) عن الايمان والطاعات (ويقبضون أيديهم) شحا بالمبار والصدقات والانفاق في سبيل الله (نسوا الله) أغفلوا ذكره (فنسيهم) فتركهم من رحمته وفضله (هم الفاسقون) هم الكاملون في الفسق الذي هو التمرد في الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجرا ان يلم بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذي وصف الله به المنافقين حين بالغ في ذمهم واذا كره رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلم أن يقول كسلت لان المنافقين وصفوا بالكسل في قوله كسالى فما ظنك بالفسق (خالدين فيها) مقدرين الخلود (هي حسبهم) دلالة على عظم عذابها وانه لا شئ أبلغ منه وانه بحيث لا يزاد عليه نعوذ بالله من سخطه وعذابه (ولعنهم الله) وأهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين ملحقين بالشياطين الملاعين كما عظم أهل الجنة وألحقهم بالملائكة المكرمين (ولهم عذاب مقيم) ولهم نوع من العذاب سوى الصلي بالنار مقيم دائم كعذاب النار ويجوز أن يريد ولهم عذاب مقيم معهم في العاجل لا ينفكون عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر المخالف للباطن خوفا من المسلمين وما يحذرونه أبدا من الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على أسرارهم * الكاف محلها رفع على أنتم مثل الذين من قبلكم أو نصب على فعلتم مثل ما فعل الذين من قبلكم وهو أنكم استمتعتم وخضتم كما استمتعوا وخاضوا ونحوه قول النمر

* كاليوم مطلوبا ولا طلبا * باضمار لم أر وقوله (كانوا أشد منكم قوة) تفسير لتشبيههم بهم وتمثيل فعلهم بفعلهم * والخلاق النصيب وهو ما خلق للانسان أي قدر من خير كما قيل له قسم لانه قسم ونصيب لانه نصب أي أثبت * والخوض الدخول في الباطل واللهو (كالذي خاضوا) كالفوج الذي خاضوا أو كالخوض الذي خاضوه (فان قلت) أي فائدة في قوله فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغن عنه كما أغنى قوله كالذي خاضوا عن أن يقال وخاضوا فخضتم كالذي خاضوا (قلت) فائدته أن يذم الاولين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا ورضاهم بها والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح في الآخرة وأن يخسس أمر الاستمتاع ويهجن أمر الراضي به ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم كما تريد أن تنبه بعض الظلمة على سماجة فعله فتقول أنت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب ويعسف وأنت تفعل مثل فعله وأما وخضتم كالذي خاضوا فمعطوف على ما قبله مستند اليه مستغن باسناده اليه عن تلك التقدمة (حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) نقيض قوله وآتيناه أجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين (وأصحاب مدين) وأهل مدين وهم قوم شعيب (والمؤتفكات) مدائن قوم لوط وقيل

قريات

أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات

قريات قوم لوط وهود وصالح وائتفا كهن انقلاب أحوالهن عن الخير الى الشر (فما كان الله ليظلمهم) فما صح منه أن يظلمهم وهو حكيم لا يجوز عليه القبيح وأن يعاقبهم بغير جرم ولكن ظلموا أنفسهم حيث كفروا به فاستحقوا عقابه (بعضهم أولياء بعض) في مقابلة قوله في المنافقين بعضهم من بعض (سيرحمهم الله) السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في قولك سأنتقم منك يوما تعني أنك لا تفوتني وان تباطأ ذلك ونحوه سيجعل لهم الرحمن ودا ولسوف يعطيك ربك فترضى سوف يؤتيهم أجورهم (عزيز) غالب على كل شيء قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب (حكيم) واضع كلا موضعه على حسب الاستحقاق (ومساكن طيبة) عن الحسن قصورا من اللؤلؤ والياقوت الاحمر والزبرجد * وعدن علم بدليل قوله جنات عدن التي وعد الرحمن ويدل عليه ما روى أبو الدرداء رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وقيل هي مدينة في الجنة وقيل نهر جناته على حافاته (ورضوان من الله أكبر) وشيء من رضوان الله أكبر من ذلك كله لان رضاه هو سبب كل فوز وسعادة ولانهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته والكرامة أكبر أصناف الثواب ولان العبد اذا علم أن مولاه راض عنه فهو أكبر في نفسه مما وراءه من النعم وانما تتهنأ له برضاه كما اذا علم بسخطته تنغصت عليه ولم يجد لها لذة وان عظمت وسمعت بعض أولى الهمة البعيدة والنفس المرة من مشايخنا يقول لا تطمح عيني ولا تنازع نفسي الى شيء مما وعد الله في دار الكرامة كما تطمح وتنازع الى رضاه عني وأن أحشر في زمرة المهديين المرضيين عنده (ذلك) اشارة الى ما وعد الله أو الى الرضوان أي هو (الفوز العظيم) وحده دون ما يعده الناس فوزا وروى أن الله عز وجل يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك قالوا وأي شيء أفضل من ذلك قال أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدا (جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالحجة (واغلظ عليهم) في الجهادين جميعا ولا تحابهم وكل من وقف منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة وتستعمل معه الغلظة ما أمكن منها عن ابن مسعود ان لم يستطع بيده فبلسانه فان لم يستطع فليكفهر في وجهه فان لم يستطع فبقلبه يريد الكراهة والبغضاء والتبرؤ منه وقد حمل الحسن جهاد المنافقين على اقامة الحدود عليهم اذا تعاطوا أسبابها * أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمع من معه منهم منهم الجلاس بن سويد فقال الجلاس والله لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم ساداتنا وأشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر ابن قيس الانصاري للجلاس أجل والله ان محمدا الصادق وأنت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضر فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم أنزل على عبدك ونبيك تصديق الكاذب وتكذيب الصادق فنزلت (يحلفون بالله ما قالوا) فقال الجلاس يا رسول الله لقد عرض الله على التوبة والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته (وكفروا بعد اسلامهم) وأظهروا كفرهم بعد اظهارهم الاسلام (وهموا بما لم ينالوا) وهو الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك عند مرجعه من تبوك توافق خمسة عشر منهم على أن يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل فأخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبيناهما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الابل وبقعقعة السلاح فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا أعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل أرادوا أن يتوجوا عبد الله بن أبي وان لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما نقموا) وما أنكروا وما عابوا (الا أن أغناهم الله) وذلك أنهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فأثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر ألفا فاستغنى (فان يتوبوا) هي الآية التي تاب عندها الجلاس (في الدنيا والآخرة) بالقتل والنار * وروى أن ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال صلى الله عليه وسلم يا ثعلبة قليل

فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة وما لهم في الارض من ولي ولا نصير ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن

---

* قوله تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم (قال معناه جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة الخ) قال أحمد والحمد لله الذي انطقه بالحجة للنافي اغلاظ عليه أحيانا والله الموفق

* قوله تعالى استغفر لهم أو لا تستغفر لهم الخ (قال قد ذكرنا ان هذا الامر فى معنى الخبر الخ) قال أحمد وما ذهب اليه الزمخشرى فى هذا
وأمثاله من محذوف هو المقصود بالامر وهذا واقع موقعه كقول كثير عزة * أسيئى بنا أو أحسنى لا ملومة * كأنه يقول لها امتحنى محبتك
عندى وقوة محبتى لك وعاملينى

بالاساءة والاحسان وانظرى هل يتفاوت حالى معك مسيئة أو محسنة وكذلك معنى
الآية استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وانظر هل يغفر لهم فى حالتى الاستغفار وتركه وهل يتفاوت الحال أو لا

تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذى بعثك بالحق لئن رزقنى الله مالا لأعطين كل ذى حق
حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمى الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل
عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم مصدقين لأخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا أخت الجزية وقال ارجعا
حتى أرى رأيى فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاءه
ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعنى أن أقبل منك فجعل التراب على رأسه فقال هذا عملك قد أمرتك فلم تطعنى
فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى أبى بكر رضى الله عنه فلم يقبلها وجاء بها الى عمر رضى الله عنه
فى خلافته فلم يقبلها وهلك فى زمان عثمان رضى الله عنه * وقرئ لنصدقن ولنكونن بالنون الخفيفة فيهما
(من الصالحين) قال ابن عباس رضى الله عنه يريد الحج (فأعقبهم) عن الحسن وقتادة رضى الله عنهما أن الضمير
للبخل يعنى فأورثهم البخل (نفاقا) متمكنا (فى قلوبهم) لأنه كان سببا فيه وداعيا اليه والظاهر أن الضمير لله
عز وجل والمعنى فخذلهم حتى نافقوا وتمكن فى قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها الى أن يموتوا بسبب اخلافهم
ما وعدوا الله من التصدق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل خلف الوعد ثلث النفاق * وقرئ يكذبون
بالتشديد وألم تعلموا بالتاء عن على رضى الله عنه (سرهم ونجواهم) ما أسروه من النفاق والعزم على اخلاف
ما وعدوه وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن فى الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها (الذين يلمزون)
محله النصب أو الرفع على الذم ويجوز أن يكون فى محل الجر بدلا من الضمير فى سرهم ونجواهم وقرئ يلمزون
بالضم (المطوعين) المتطوعين المتبرعين روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد
الرحمن بن عوف بأربعين أوقية من ذهب وقيل بأربعة آلاف درهم وقال كان لى ثمانية آلاف فأقرضت
ربى أربعة وأمسكت أربعة لعيالى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما
أمسكت فبارك الله له حتى صولحت تماضر امرأته عن ربع الثمن على ثمانين ألفا وتصدق عاصم بن عدى
بمائة وسق من تمر وجاء أبو عقيل الانصارى رضى الله عنه بصاع من تمر فقال بت ليلتى أجر بالجرير على صاعين
فتركت صاعا لعيالى وجئت بصاع فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره على الصدقات فلمزهم
المنافقون وقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان كان الله ورسوله لغنيين عن صاع أبى عقيل ولكنه
أحب أن يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت (الا جهدهم) الا طاقتهم وقرئ بالفتح والضم (سخر الله
منهم) كقوله الله يستهزئ بهم فى أنه خبر غير دعاء ألا ترى الى قوله (ولهم عذاب أليم) * سأل عبد الله بن عبد الله
ابن أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رجلا صالحا أن يستغفر لأبيه فى مرضه ففعل فنزلت فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد رخص لى فسأزيد على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر
لهم وقد ذكرنا أن هذا الامر فى معنى الخبر كأنه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم وان فيه
معنى الشرط وذكرنا النكتة فى المجئ به على لفظ الامر والسبعون جار مجرى المثل فى كلامهم للتكثير قال
على بن أبى طالب عليه السلام
لأصبحن العاص وابن العاصى * سبعين ألفا عاقدى النواصى
(فان قلت) كيف خفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أفصح العرب وأخبرهم بأساليب الكلام
وتمثيلاته

من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدى القوم الفاسقين فرح

قال أحمد وقد ورد بصيغة الخبر فى الآية الأخرى فى قوله تعالى سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم * عاد كلامه (قال فان قلت كيف خفى على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو أفصح من نطق بالضاد الخ) قال أحمد وقد أنكر القاضى رضى الله عنه حديث الاستغفار ولم يصححه وتغالى
قوم فى قبوله حتى انهم اتخذوه عمدة فى مفهوم المخالفة وبنوه على انه عليه السلام فهم من تحديد نفى الغفران بالسبعين ثبوت الغفران
بالزائد عليه وذلك سبب انكار القاضى عليهم

وتخييلا لأنه والذي يفهم من ذكر هذا العدد كثرة الاستغفار كيف وقد تلاه بقوله ذلك بأنهم كفروا الآية فبين الصارف عن المغفرة لهم حتى قال قد رخص لي ربي فسأزيد على السبعين (قلت) لم يخف عليه ذلك ولكنه خيل بما قال اظهارا لغاية رحمته ورأفته على من بعث اليه كقول ابراهيم عليه السلام ومن عصاني فانك غفور رحيم وفي اظهار النبي صلى الله عليه وسلم الرأفة والرحمة لطف لامته ودعاء لهم الى ترحم بعضهم على بعض (المخلفون) الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنافقين فأذن لهم وخلفهم في المدينة في غزوة تبوك أو الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان (بمقعدهم) بقعودهم عن الغزو (خلاف رسول الله) خلفه يقال أقام خلاف الحي بمعنى بعدهم ظعنوا ولم يظعن معهم وتشهد له قراءة أبي حيوة خلف رسول الله وقيل هو بمعنى المخالفة لانهم خالفوه حيث قعدوا ونهض وانتصابه على أنه مفعول له أو حال أي قعدوا لمخالفته أو مخالفين له (أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم) تعريض بالمؤمنين وبتحملهم المشاق العظام لوجه الله تعالى وبما فعلوا من بذل أموالهم وأرواحهم في سبيل الله تعالى وايثارهم ذلك على الدعة والخفض وكره ذلك المنافقون وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما في المؤمنين من باعث الايمان وداعي الايقان (قل نار جهنم أشد حرا) استجهال لهم لان من تصون من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصون في مشقة الابد كان أجهل من كل جاهل ولبعضهم

مسرة أحقاب تلقيت بعدها * مساءة يوم أريها شبه الصاب

فكيف بأن تلقى مسرة ساعة * وراء تقضيها مساءة أحقاب

* معناه فسيضحكون قليلا ويبكون كثيرا (جزاء) الا أنه أخرج على لفظ الامر للدلالة على أنه حتم واجب لا يكون غيره يروى أن أهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم * وانما قال (الى طائفة منهم) لان منهم من تاب عن النفاق وندم على التخلف أو اعتذر بعذر صحيح وقيل لم يكن المخلفون كلهم منافقين فأراد بالطائفة المنافقين منهم (فاستأذنوك للخروج) يعني الى غزوة بعد غزوة تبوك و(أول مرة) هي الخرجة الى غزوة تبوك وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم الذي علم الله أنه لم يدعهم اليه الا النفاق بخلاف غيرهم من المتخلفين (مع الخالفين) قد مر تفسيره وقرأ مالك بن دينار رحمه الله مع الخلفين على قصر الخالفين (فان قلت) مرة نكرة وضعت موضع المرات للتفضيل فلم ذكر اسم التفضيل المضاف اليها وهو دال على واحدة من المرات (قلت) أكثر اللغتين هند أكبر النساء وهي أكبرهن ثم ان قولك هي كبرى امرأة لا تكاد تعثر عليه ولكن هي أكبر امرأة وأول مرة وآخر مرة وعن قتادة ذكر لنا أنهم كانوا اثني عشر رجلا قيل فيهم ما قيل * روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض رأس النفاق عبد الله بن أبي بعث اليه ليأتيه فلما دخل عليه قال أهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت اليك لتستغفر لي لا لتؤنبني وسأله أن يكفنه في شعاره الذي يلي جلده ويصلي عليه فلما مات دعاه ابنه حباب الى جنازته فسأله عن اسمه فقال أنت عبد الله بن عبد الله الحباب اسم شيطان فلما هم بالصلاة عليه قال له عمر أتصلي على عدو الله فنزلت وقيل أراد أن يصلي عليه فجذبه جبريل (فان قلت) كيف جازت له تكرمة المنافق وتكفينه في قميصه (قلت) كان ذلك مكافأة له على صنيع سبق له وذلك أن العباس رضي الله عنه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أخذ أسيرا ببدر لم يجدوا له قميصا وكان رجلا طوالا فكساه عبد الله قميصه وقال له المشركون يوم الحديبية انا لا نأذن لمحمد ولكنا نأذن لك فقال لا ان لي في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة فشكر رسول الله صلى الله عليه وسلم له ذلك واجابته له الى مسألته اياه فقد كان عليه الصلاة والسلام لا يرد سائلا وكان يتوفر على دواعي المروءة ويعمل بعادات الكرام واكراما لابنه الرجل الصالح فقد روى أنه قال له أسألك أن تكفنه في بعض قمصانك وأن تقوم على قبره لا يشمت به الاعداء وعلما بأن تكفينه في قميصه لا ينفعه مع كفره فلا فرق بينه وبين غيره من الاكفان وليكون الباسه اياه لطفا لغيره فقد روى أنه قيل له لم وجهت اليه بقميصك وهو كافر فقال ان قميصي لن يغني عنه من الله شيأ واني أؤمل من الله أن يدخل في الاسلام كثير بهذا السبب فيروى أنه أسلم ألف من الخزرج لما رأوه طلب الاستشفاء

فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره

انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا
وهم فاسقون ولا تعجبك أموالهم وأولادهم انما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق
أنفسهم وهم كافرون واذا
أنزلت سورة أن آمنوا
بالله وجاهدوا مع رسوله
استأذنك أولوا الطول
منهم وقالوا ذرنا نكن
مع القاعدين رضوا بأن
يكونوا مع الخوالف
وطبع على قلوبهم فهم
لا يفقهون لكن الرسول
والذين آمنوا معه
جاهدوا بأموالهم
وأنفسهم وأولئك لهم
الخيرات وأولئك هم
المفلحون أعد الله لهم
جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ذلك
الفوز العظيم وجاء
المعذرون من الاعراب
ليؤذن لهم وقعد الذين
كذبوا الله ورسوله
سيصيب الذين كفروا
منهم عذاب أليم ليس
على الضعفاء ولا على
المرضى ولا على الذين
لا يجدون ما ينفقون
حرج اذا نصحوا لله
ورسوله ما على المحسنين
من سبيل والله غفور
رحيم ولا على الذين اذا
ما أتوك لتحملهم قلت
لا أجد ما أحملكم عليه
تولوا وأعينهم تفيض
من الدمع حزنا ألا يجدوا
ما ينفقون انما السبيل
على الذين يستأذنونك
وهم أغنياء رضوا بأن
يكونوا مع الخوالف
وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا

بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك ترحمه واستغفاره كان للدعاء الى التراحم والتعاطف لانهم اذا رأوه يترحم على من يظهر الايمان وباطنه على خلاف ذلك دعا المسلم الى أن يتعطف على من واطأ قلبه لسانه ورآه حتما عليه (فان قلت) فكيف جازت الصلاة عليه (قلت) لم يتقدم نهي عن الصلاة عليهم وكانوا يجرون مجرى المسلمين لظاهر ايمانهم لما في ذلك من المصلحة وعن ابن عباس رضي الله عنه ما أدري ما هذه الصلاة الا اني أعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخادع (مات) صفة لاحد وانما قيل مات وماتوا بلفظ الماضي والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لانه كائن موجود لا محالة (انهم كفروا) تعليل النهي وقد أعيد قوله (ولا تعجبك) لان تجدد النزول له شأن في تقرير ما نزل له وتأكيده وارادة أن يكون على بال من المخاطب لا ينساه ولا يسهو عنه وأن يعتقد أن العمل به مهم يفتقر الى فضل عناية به لا سيما اذا تراخى ما بين النزولين فأشبه الشيء الذي أهم صاحبه فهو يرجع اليه في أثناء حديثه ويتخلص اليه وانما أعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب أن يحذر منه * يجوز أن يراد السورة بتمامها وأن يراد بعضها في قوله (واذا أنزلت سورة) كما يقع القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه وقيل هي براءة لان فيها الامر بالايمان والجهاد (أن آمنوا) هي أن المفسرة (أولوا الطول) ذوو الفضل والسعة من طال عليه طولا (مع القاعدين) مع الذين لهم علة وعذر في التخلف (انهم لا يفقهون) ما في الجهاد من الفوز والسعادة وما في التخلف من الشقاء والهلاك (لكن الرسول) أي ان تخلف هؤلاء فقد نهد الى الغزو من هو خير منهم وأخلص نية ومعتقدا كقوله فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما فان استكبروا فالذين عند ربك (الخيرات) تتناول منافع الدارين لاطلاق اللفظ وقيل الحور لقوله فيهن خيرات (المعذرون) من عذر في الامر اذا قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته أن يوهم أن له عذرا فيما يفعل ولا عذر له أو المعتذرون بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز في العربية كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها لاتباع الميم ولكن لم تثبت بهما قراءة وهم الذين يعتذرون بالباطل كقوله يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم وقرئ المعذرون بالتخفيف وهو الذي يجتهد في العذر ويحتشد فيه قيل هم أسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا جهدا فائذن لنا في التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك أغارت أعراب طيّ على أهالينا ومواشينا فقال صلى الله عليه وسلم سيغنيني الله عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله تعالى وعن قتادة اعتذروا بالكذب وقرئ المعّذرون بتشديد العين والذال من تعذّر بمعنى اعتذر وهذا غير صحيح لان التاء لا تدغم في العين ادغامها في الطاء والزاي والصاد في المطّوّعين وازّكى واصّدق وقيل أريد المعتذرون بالصحة وبه فسر المعذرون والمعذرون على قراءة ابن عباس رضي الله عنه الذين لم يفرطوا في العذر (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) هم منافقو الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا وظهر بذلك أنهم كذبوا الله ورسوله في ادعائهم الايمان وقرأ أبيّ كذّبوا بالتشديد (سيصيب الذين كفروا منهم) من الاعراب (عذاب أليم) في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار (الضعفاء) الهرمى والزمنى * والذين لا يجدون الفقراء قيل هم مزينة وجهينة وبنو عذرة * والنصح لله ورسوله الايمان بهما وطاعتهما في السر والعلن وتوليهما والحب والبغض فيهما كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه (على المحسنين) على المعذورين الناصحين ومعنى لا سبيل عليهم لا جناح عليهم ولا طريق للعاتب عليهم (قلت لا أجد) حال من الكاف في أتوك وقد قبله مضمرة كما قيل في قوله أو جاؤكم حصرت صدورهم أي اذا ما أتوك قائلا لا أجد (تولوا) ولقد حصر الله المعذورين في التخلف الذين ليس لهم في أبدانهم استطاعة والذين عدموا آلة الخروج والذين سألوا المعونة فلم يجدوها وقيل المستحملون أبو موسى الاشعري وأصحابه وقيل البكاؤون وهم ستة نفر من الانصار (تفيض من الدمع) كقولك تفيض دمعا وهو أبلغ من يفيض دمعها لان العين جعلت كأن كلها دمع فائض ومن للبيان كقولك أفديك من رجل ومحل الجار والمجرور النصب على التمييز (الا يجدوا) لئلا يجدوا ومحله نصب على أنه مفعول له وناصبه المفعول له الذي هو حزنا (فان قلت) (رضوا) ما موقعه (قلت) هو استئناف كأنه قيل ما بالهم استأذنوا وهم أغنياء فقيل رضوا بالدناءة والضعة والانتظام في جملة الخوالف (وطبع الله على قلوبهم) يعني

ان

* قوله تعالى ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء (قال دوائر الزمان دوله وعقبه لتذهب غلبتكم عليه الخ) قال أحمد وفى آية براءة مزيد على مناسبة الدعاء لحال المدعو عليهم ولقولهم وذلك ان الذى نسب اليهم تربص الدوائر مطلقا والذى دعى عليهم به دائرة السوء على التقييد بأسوء الدوائر لا على الاطلاق والله الموفق

لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين الاعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا انها قربة لهم سيدخلهم الله فى رحمته ان الله غفور رحيم والسابقون الاولون من المهاجرين

أن السبب فى استئذانهم رضاهم بالدناءة وخذلان الله تعالى اياهم (فان قلت) فهل يجوز أن يكون قوله قلت لا أجد استئنافا مثله كأنه قيل اذا ما أتوك لتحملهم تولوا فقيل مالهم تولوا باكين فقيل قلت لا أجد ما أحملكم عليه الا أنه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض (قلت) نعم ويحسن (لن نؤمن لكم) علة للنهى عن الاعتذار لان غرض المعتذر أن يصدق فيما يعتذر به فاذا علم أنه مكذب وجب عليه الاخلال وقوله (قد نبأنا الله من أخباركم) علة لانتفاء تصديقهم لان الله عز وجل اذا أوحى الى رسوله الاعلام بأخبارهم وأحوالهم وما فى ضمائرهم من الشر والفساد لم يستقم مع ذلك تصديقهم فى معاذيرهم (وسيرى الله عملكم) أتنيبون أم تثبتون على كفركم (ثم تردون) اليه وهو عالم كل غيب وشهادة وسر وعلانية فيجازيكم على حسب ذلك (لتعرضوا عنهم) فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم (فأعرضوا عنهم) فأعطوهم طلبتهم (انهم رجس) تعليل لترك معاتبتهم يعنى أن المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم انما يعاتب الاديم ذو البشرة والمؤمن يوبخ على زلة تفرط منه ليطهره التوبيخ بالحمل على التوبة والاستغفار وأما هؤلاء فأرجاس لا سبيل الى تطهيرهم (ومأواهم جهنم) يعنى وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا عتابهم (لترضوا عنهم) أى غرضهم فى الحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك فى دنياهم (فان ترضوا عنهم) فان رضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كان الله ساخطا عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته وآجلها وقيل انما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهم أن رضا المؤمنين يقتضى رضا الله عنهم قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير وأصحابهما وكانوا ثمانين رجلا منافقين فقال النبى صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جاء عبد الله بن أبى يحلف أن لا يتخلف عنه أبدا (الاعراب) أهل البدو (أشد كفرا ونفاقا) من أهل الحضر لجفائهم وقسوتهم وتوحشهم ونشئهم فى بعد من مشاهدة العلماء ومعرفة الكتاب والسنة (وأجدر ألا يعلموا) وأحق بجهل حدود الدين وما أنزل الله من الشرائع والاحكام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ان الجفاء والقسوة فى الفدادين (والله عليم) يعلم حال كل أحد من أهل الوبر والمدر (حكيم) فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم مخطئهم ومصيبهم من عقابه وثوابه (مغرما) غرامة وخسرانا والغرامة ما ينفقه الرجل وليس يلزمه لانه لا ينفق الا تقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله عز وجل وابتغاء المثوبة عنده (ويتربص بكم الدوائر) دوائر الزمان دوله وعقبه لتذهب غلبتكم عليه ليتخلص من اعطاء الصدقة (عليهم دائرة السوء) دعاء معترض دعى عليهم بنحو ما دعوا به كقوله عز وجل وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم وقرئ السوء بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة والسوء بالفتح وهو ذم للدائرة كقولك رجل سوء فى نقيض قولك رجل صدق لان من دارت عليه ذام لها (والله سميع) لما يقولون اذا توجهت عليهم الصدقة (عليم) بما يضمرون وقيل هم أعراب أسد وغطفان وتميم (قربات) مفعول ثان ليتخذ والمعنى أن ما ينفقه سبب لحصول القربات عند الله (وصلوات الرسول) لان الرسول كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على آل أبى أوفى وقال تعالى وصل عليهم فلما كان ما ينفق سببا لذلك قيل يتخذ ما ينفق قربات وصلوات (ألا انها) شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستئناف مع حرفى التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات الامر وتمكنه وكذلك (سيدخلهم) وما فى السين من تحقيق الوعد وما أدل هذا الكلام على رضا الله تعالى عن المتصدقين وان الصدقة منه بمكان اذا خلصت النية من صاحبها وقرئ قربة بضم الراء وقيل هم عبد الله ذو البجادين ورهطه (السابقون الاولون من المهاجرين) هم الذين صلوا الى القبلتين وقيل الذين شهدوا بدرا وعن الشعبى من بايع بالحديبية وهى

* قوله تعالى وصلوات الرسول الا انها قربة لهم سيدخلهم الله فى رحمته الآية (قال ما أدل هذا الكلام على ان الصدقة من الله بمكان الخ) قال أحمد وللقدرية كما علمت مذهب فى ان الفاسق ليس بمؤمن ولا كافر وانه مخلد فى النار وان كان موحدا وغرض الزمخشرى أن يجعل الفسق الذى وسم به المنافق هو الذى يوسم به الموحد حتى يكون استحقاقهما للخلود واحدا فاحذره والله أعلم

الانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله

بيعة الرضوان ما بين الهجرتين (و) من (الانصار) أهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر وأهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم القرآن وقرأ عمر رضي الله عنه والانصار بالرفع عطفا على السابقون * وعن عمر أنه كان يرى أن قوله والذين اتبعوهم باحسان بغير واو صفة للانصار حتى قال له زيد انه بالواو فقال ائتوني بأبي فقال تصديق ذلك في أول الجمعة وآخرين منهم وأوسط الحشر والذين جاؤوا من بعدهم وآخر الانفال والذين آمنوا من بعد وروي أنه سمع رجلا يقرؤه بالواو فقال من أقرأك قال أبي فدعاه فقال أقرأنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانك لتبيع القرظ بالبقيع قال صدقت وان شئت قلت شهدنا وغبتم ونصرنا وخذلتم وآوينا وطردتم ومن ثم قال عمر لقد كنت أرانا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا وارتفع السابقون بالابتداء وخبره (رضي الله عنهم) ومعناه رضي عنهم لأعمالهم (ورضوا عنه) لما أفاض عليهم من نعمته الدينية والدنيوية * وفي مصاحف أهل مكة تجري من تحتها وهي قراءة ابن كثير وفي سائر المصاحف تحتها بغير من (وممن حولكم) يعني حول بلدتكم وهي المدينة (منافقون) وهم جهينة وأسلم وأشجع وغفار كانوا نازلين حولها (ومن أهل المدينة) عطف على خبر المبتدا الذي هو ممن حولكم ويجوز أن يكون جملة معطوفة على المبتدا والخبر اذا قدرت ومن أهل المدينة قوم مردوا على النفاق على أن مردوا صفة موصوف محذوف كقوله أنا ابن جلا وعلى الوجه الاول لا يخلو من أن يكون كلاما مبتدأ أو صفة لمنافقون فصل بينها وبينه بمعطوف على خبره (مردوا على النفاق) تمهروا فيه من مرن فلان عمله ومرد عليه اذا درب به وضري حتى لان عليه ومهر فيه ودل على مرانتهم عليه ومهارتهم فيه بقوله (لا تعلمهم) أي يخفون عليك مع فطنتك وشهامتك وصدق فراستك لفرط تنوقهم في تحامي ما يشكك في أمرهم ثم قال (نحن نعلمهم) أي لا يعلمهم الا الله ولا يطلع على سرهم غيره لانهم يبطنون الكفر في سويداوات قلوبهم ابطانا ويبرزون لك ظاهرا كظاهر المخلصين من المؤمنين لا تشك معه في ايمانهم وذلك أنهم مردوا على النفاق وضروا به ولهم فيه اليد الطولى (سنعذبهم مرتين) قيل هما القتل وعذاب القبر وقيل الفضيحة وعذاب القبر وعن ابن عباس رضي الله عنه أنهم اختلفوا في هاتين المرتين فقال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فأخرج ناسا وفضحهم فهذا العذاب الاول والثاني عذاب القبر وعن الحسن أخذ الزكاة من أموالهم ونهك أبدانهم (الى عذاب عظيم) الى عذاب النار (اعترفوا بذنوبهم) أي لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على أنفسهم بأنهم بئس ما فعلوا متندمين نادمين وكانوا ثلاثة أبو لبابة مروان بن عبد المنذر وأوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم أوثقوا أنفسهم بلغهم ما نزل في المتخلفين فأيقنوا بالهلاك فأوثقوا أنفسهم على سواري المسجد فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته صلى الله عليه وسلم كلما قدم من سفر فرآهم موثقين فسأل عنهم فذكر له أنهم أقسموا أن لا يحلوا أنفسهم حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلهم فقال وأنا أقسم أن لا أحلهم حتى أومر فيهم فنزلت فأطلقهم وعذرهم فقالوا يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيأ فنزلت خذ من أموالهم (عملا صالحا) خروجا الى الجهاد (وآخر سيئا) تخلفا عنه عن الحسن وعن الكلبي التوبة والاثم (فان قلت) قد جعل كل واحد منهما مخلوطا فما المخلوط به (قلت) كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به لان المعنى خلط كل واحد منهما بالآخر كقولك خالطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه

قوله تعالى وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم (قال معناه انه مع شهامتك وفطنتك وصدق فراستك يخفون حالهم عليك الخ) قال أحمد وكان قوله تعالى مردوا على النفاق توطئة لتقرير خفاء حالهم عنه عليه الصلاة والسلام لما لهم من الخبرة ٥٦٦ في النفاق والضراوة به والله أعلم * قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم (قال ان قلت قد جعل كل واحد منهما مخلوطا فما المخلوط به الخ) قال أحمد والتحقيق في هذا أنك اذا قلت خالطت الماء باللبن فالمصرح به في هذا الكلام ان الماء المخلوط واللبن مخلوط به والمدلول عليه لزوما لا تصريحا كون الماء مخلوطا به واللبن مخلوط واذا قلت خالطت الماء واللبن فالمصرح به جعل كل واحد منهما مخلوطا واما ما خلط به كل واحد منهما فغيره مصرح به بل من اللازم أن كل واحد منهما مخلوط به يحتمل أن يكون قرينة أو غيره فقول الزمخشري ان قولك خالطت الماء واللبن يفيد ما يفيده مع الباء وزيادة ليس كذلك فالظاهر في الآية والله أعلم ان العدول عن الباء انما كان لتضمين الخلط معنى العمل كأنه قيل عملوا عملا صالحا وآخر سيئا ثم انضاف الى العمل معنى الخلط فعبر عنهما معا به والله أعلم

وفيه

وفيه ما ليس فى قولك خلطت الماء باللبن لانك جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به واذا قلته بالواو جعلت
الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما كأنك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز أن يكون من قولهم
بعت الشاء شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم (فان قلت) كيف قيل (أن يتوب عليهم) وما ذكرت توبتهم (قلت)
اذا ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة فقد ذكرت توبتهم (تطهرهم) صفة لصدقة وقرئ تطهرهم
من أطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر ولم يقرأ وتزكيهم الا باثبات الياء والتاء فى تطهرهم
للخطاب أو لغيبة المؤنث والتزكية مبالغة فى التطهير وزيادة فيه أو بمعنى الانماء والبركة فى المال (وصل
عليهم) واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة أن يدعو المصدق لصاحب الصدقة اذا أخذها وعن الشافعى
رحمه الله أحب أن يقول الوالى عند أخذ الصدقة آجرك الله فيما أعطيت وجعله طهورا وبارك لك فيما أبقيت
* وقرئ ان صلواتك على التوحيد (سكن لهم) يسكنون اليه وتطمئن قلوبهم بأن الله قد تاب عليهم (والله سميع)
يسمع اعترافهم بذنوبهم ودعاءهم (عليم) بما فى ضمائرهم والغم من الندم لما فرط منهم * قرئ (ألم يعلموا)
بالياء والتاء وفيه وجهان أحدهما أن يراد المتوب عليهم يعنى ألم يعلموا قبل أن يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم
(ان الله هو يقبل التوبة) اذا صحت ويقبل الصدقات اذا صدرت عن خلوص النية وهو للتخصيص والتأكيد
وان الله تعالى من شأنه قبول توبة التائبين وقيل معنى التخصيص فى هو أن ذلك ليس الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم انما الله سبحانه هو الذى يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها ووجهوها اليه (وقل) لهؤلاء التائبين
(اعملوا) فان عملكم لا يخفى خيرا كان أو شرا على الله وعباده كما رأيتم وتبين لكم والثانى أن يراد غير التائبين
ترغيبا لهم فى التوبة فقد روى أنه لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا
لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت (فان قلت) فما معنى قوله ويأخذ الصدقات (قلت) هو مجاز عن
قبوله لها وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان الصدقة تقع فى يد الله تعالى قبل أن تقع فى يد السائل والمعنى أنه
يتقبلها ويضاعف عليها وقوله (فسيرى الله) وعيد لهم وتحذير من عاقبة الاصرار والذهول عن التوبة * قرئ
مرجون ومرجؤن من أرجيته وأرجأته اذا أخرته ومنه المرجئة يعنى وآخرون من المتخلفين موقوف
أمرهم (اما يعذبهم) ان بقوا على الاصرار ولم يتوبوا (واما يتوب عليهم) ان تابوا وهم ثلاثة كعب بن مالك
وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم
ولم يفعلوا كما فعل أبو لبابة وأصحابه من شد أنفسهم على السوارى واظهار الجزع والغم فلما علموا أن أحدا
لا ينظر اليهم فوضوا أمرهم الى الله تعالى وأخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله (والله عليم حكيم) وفى
قراءة عبد الله غفور رحيم واما للعباد أى خافوا عليهم العذاب وارجوا لهم الرحمة * فى مصاحف أهل المدينة
والشأم الذين اتخذوا بغير واو لانها قصة على حيالها وفى سائرها بالواو على عطف قصة مسجد الضرار الذى
أحدثه المنافقون على سائر قصصهم روى أن بنى عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم أن يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبنى مسجدا ونرسل الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فيه ويصلى فيه أبو عامر الراهب اذا قدم من الشأم ليثبت لهم الفضل
والزيادة على اخوتهم وهو الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق وقال لرسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم أحد لا أجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج
هاربا الى الشأم وأرسل الى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فانى ذاهب الى قيصر وآت
بجنود ومخرج محمدا وأصحابه من المدينة فبنوا مسجدا بجنب مسجد قباء وقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم بنينا
مسجدا لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب أن تصلى لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال صلى
الله عليه وسلم انى على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سألوه
اتيان المسجد فنزلت عليه فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدى وعامر بن السكن ووحشى قاتل حمزة فقال لهم
انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه ففعل وأمر أن يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف

ان يتوب عليهم ان الله
غفور رحيم خذ من
أموالهم صدقة تطهرهم
وتزكيهم بها وصل
عليهم ان صلواتك سكن
لهم والله سميع عليم ألم
يعلموا أن الله هو يقبل
التوبة عن عباده ويأخذ
الصدقات وأن الله هو
التواب الرحيم وقل
اعملوا فسيرى الله عملكم
ورسوله والمؤمنون
وستردون الى عالم
الغيب والشهادة
فينبئكم بما كنتم تعملون
وآخرون مرجون
لامر الله اما يعذبهم
واما يتوب عليهم والله
عليم حكيم والذين
اتخذوا مسجدا

قوله واما للعباد كتب
عليه يعنى اما للشك
وهو لا يجوز على الله
فهو اذن للعباد كأو فى
أو يزيدون وأمل فى أمله
يتذكر اهـ كتبه المصحح

والقمامة ومات أبو عامر بالشام بقنسرين (ضرارا) مضارة لاخوانهم أصحاب مسجد قباء ومعازة (وكفرا)
وتقوية للنفاق (وتفريقا بين المؤمنين) لانهم كانوا يصلون مجتمعين فى مسجد قباء فيغتص بهم فأرادوا أن
يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم (وارصادا) واعدادا (لـ) أجل (من حارب الله ورسوله) وهو الراهب أعدوه له
ليصلى فيه ويظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كل مسجد بنى مباهاة أو رياء وسمعة أو لغرض سوى
ابتغاء وجه الله أو بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار وعن شقيق أنه لم يدرك الصلاة فى مسجد بنى عامر
فقيل له مسجد بنى فلان لم يصلوا فيه بعد فقال لا أحب أن أصلى فيه فانه بنى على ضرار وكل مسجد بنى على
ضرار أو رياء أو سمعة فان أصله ينتهى الى المسجد الذى بنى ضرارا وعن عطاء لما فتح الله تعالى الامصار على
يد عمر رضى الله عنه أمر المسلمين أن يبنوا المساجد وأن لا يتخذوا فى مدينة مسجدين يضار أحدهما صاحبه
(فان قلت) والذين اتخذوا ما محله من الاعراب (قلت) محله النصب على الاختصاص كقوله والمقيمين
الصلاة وقيل هو مبتدأ خبره محذوف معناه وفيمن وصفنا الذين اتخذوا كقوله والسارق والسارقة (فان
قلت) بم يتصل قوله (من قبل) (قلت) باتخذوا أى اتخذوا مسجدا من قبل أن ينافق هؤلاء بالتخلف (ان
أردنا) ما أردنا ببناء هذا المسجد (الا) الخصلة (الحسنى) أو الارادة الحسنى وهى الصلاة وذكر الله والتوسعة
على المصلين (لمسجد أسس على التقوى) قيل هو مسجد قباء أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه أيام
مقامه بقباء وهى يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة وهو أولى لان الموازنة بين
مسجدى قباء أوقع وقيل هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وعن أبى سعيد الخدرى سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذى أسس على التقوى فأخذ حصباء فضرب بها الارض وقال هو
مسجدكم هذا مسجد المدينة (من أول يوم) من أول يوم من أيام وجوده (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) قيل
لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار
جلوس فقال أمؤمنون أنتم فسكت القوم ثم أعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وأنا معهم فقال صلى
الله عليه وسلم أترضون بالقضاء قالوا نعم قال أتصبرون على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون فى الرخاء قالوا نعم
قال صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد أثنى عليكم فما
الذى تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار
الماء فتلا النبى صلى الله عليه وسلم رجال يحبون أن يتطهروا وقرئ أن يطهروا بالادغام وقيل هو عام فى
التطهر من النجاسات كلها وقيل كانوا لا ينامون الليل على الجنابة ويتبعون الماء أثر البول وعن الحسن
هو التطهر من الذنوب بالتوبة وقيل يحبون أن يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن آخرهم (فان
قلت) ما معنى المحبتين (قلت) محبتهم للتطهر أنهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص المحب للشئ المشتهى له
على ايثاره ومحبة الله تعالى اياهم أنه يرضى عنهم ويحسن اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه * وقرئ أسس بنيانه
وأسس بنيانه على البناء للفاعل والمفعول وأسس بنيانه جمع أساس على الاضافة وأساس بنيانه بالفتح والكسر
جمع أس وأساس بنيانه على أفعال جمع أس أيضا وأس بنيانه والمعنى أفمن أسس بنيان دينه على قاعدة قوية
محكمة وهى الحق الذى هو تقوى الله ورضوانه (خير أم من) أسسه على قاعدة هى أضعف القواعد
وأرخاها وأقلها بقاء وهو الباطل والنفاق الذى مثله مثل (شفا جرف هار) فى قلة الثبات والاستمساك
وضع شفا الجرف فى مقابلة التقوى لانه جعل مجازا عما ينافى التقوى (فان قلت) فما معنى قوله (فانهار به
فى نار جهنم) (قلت) لما جعل الجرف الهار مجازا عن الباطل قيل فانهار به فى نار جهنم على معنى فطاح به
الباطل فى نار جهنم الا أنه رشح المجاز فجئ بلفظ الانهيار الذى هو للجرف وليصوّر أن المبطل كأنه
أسس بنيانا على شفا جرف من أودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى فى قعرها والشفا الحرف والشفير
وجرف الوادى جانبه الذى يتحفر أصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا والهار الهائر وهو المتصدع الذى
أشفى على التهدم والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف من خالف ونظيره شاك وصات فى شائك

ضرارا وكفرا وتفريقا
بين المؤمنين وارصادا
لمن حارب الله ورسوله
من قبل وليحلفن ان
أردنا الا الحسنى والله
يشهد انهم لكاذبون
لا تقم فيه أبدا لمسجد
أسس على التقوى من
أول يوم أحق أن تقوم
فيه فيه رجال يحبون أن
يتطهروا والله يحب
المطهرين أفمن أسس
بنيانه على تقوى من الله
ورضوان خير أم من
أسس بنيانه على شفا
جرف هار فانهار به فى
نار جهنم والله لا يهدى
القوم الظالمين

وصائت وألفه ليست بألف فاعل انما هي عينه وأصله هور وشوك وصوت ولا ترى أبلغ من هذا الكلام ولا أدل على حقيقة الباطل وكنه أمره * وقرئ جرف بسكون الراء (فان قلت) فما وجه ما روى سيبويه عن عيسى بن عمر على تقوى من الله بالتنوين (قلت) قد جعل الالف للالحاق لا للتأنيث كتترى فيمن نون ألحقها بجعفر وفي مصحف أبي فانهارت به قواعده وقيل حفرت بقعة من مسجد الضرار فرؤي الدخان يخرج منه وروى أن مجمع بن حارثة كان امامهم في مسجد الضرار فكلم بنو عمرو بن عوف أصحاب مسجد قباء عمر بن الخطاب في خلافته أن يأذن لمجمع فيؤمهم في مسجدهم فقال لا ولا نعمة عين أليس بامام مسجد الضرار فقال يا أمير المؤمنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت بهم والله يعلم أني لا أعلم ما أضمروا فيه ولو علمت ما صليت معهم فيه كنت غلاما قارئا للقرآن وكانوا شيوخا لا يقرؤن من القرآن شيأ فعذره وصدقه وأمره بالصلاة بقومه * ريبة شكا في الدين ونفاقا وكان القوم منافقين وانما حملهم على بناء ذلك المسجد كفرهم ونفاقهم كما قال عز وجل ضرارا وكفرا فلما هدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ازداد والما غاظهم من ذلك وعظم عليهم تصميما على النفاق ومقتا للاسلام فمعنى قوله (لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم) لا يزال هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم لا يزول وسمه عن قلوبهم ولا يضمحل أثره (الا أن تقطع قلوبهم) قطعا وتفرق أجزاء فحينئذ يسلون عنه وأما ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة فيجوز أن يكون ذكر التقطيع تصويرا لحال زوال الريبة عنها ويجوز أن يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم أو في القبور أو في النار وقرئ يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع بفتح التاء بمعنى تتقطع وتقطع قلوبهم على أن الخطاب للرسول أي الا أن تقطع أنت قلوبهم بقتلهم وقرأ الحسن الى أن وفي قراءة عبد الله ولو قطعت قلوبهم وعن طلحة ولو قطعت قلوبهم على خطاب الرسول أو كل مخاطب وقيل معناه الا أن يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما وأسفا على تفريطهم * مثل الله اثابتهم بالجنة على بذلهم أنفسهم وأموالهم في سبيله بالشروى وروى تاجرهم فأغلى لهم الثمن وعن عمر رضي الله عنه فجعل لهم الصفقتين جميعا وعن الحسن أنفسا هو خلقها وأموالا هو رزقها وروى أن الانصار حين بايعوه على العقبة قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم قال فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم أعرابي وهو يقرأها فقال كلام من قال كلام الله قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو فاستشهد (يقاتلون) فيه معنى الامر كقوله تجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم * وقرئ فيقتلون ويقتلون على بناء الاول للفاعل والثاني للمفعول وعلى العكس (وعدا) مصدر مؤكد أخبر بأن هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين في سبيله وعد ثابت قد أثبته (في التوراة والانجيل) كما أثبته في القرآن ثم قال (ومن أوفى بعهده من الله) لان اخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرام من الخلق مع جوازه عليهم لحاجتهم فكيف بالغني الذي لا يجوز عليه القبيح قط ولا ترى ترغيبا في الجهاد أحسن منه وأبلغ (التائبون) رفع على المدح أي هم التائبون يعني المؤمنين المذكورين ويدل عليه قراءة عبد الله وأبي رضي الله عنهما التائبين بالياء الى والحافظين نصبا على المدح ويجوز أن يكون جرا صفة للمؤمنين وجوز الزجاج أن يكون مبتدأ خبره محذوف أي التائبون العابدون من أهل الجنة أيضا وان لم يجاهدوا كقوله وكلا وعد الله الحسنى وقيل هو رفع على البدل من الضمير في يقاتلون ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره العابدون وما بعده خبر بعد خبر أي التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون هذه الخصال وعن الحسن هم الذين تابوا من الشرك وتبرؤا من النفاق و(العابدون) الذين عبدوا الله وحده وأخلصوا له العبادة وحرصوا عليها و(السائحون) الصائمون شبهوا بذوي السياحة في الارض في امتناعهم من شهواتهم وقيل هم طلبة العلم يسيحون في الارض يطلبونه في مظانه * قيل قال صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب أنت أعظم الناس علي حقا وأحسنهم عندي يدا فقل كلمة تجب لك بها شفاعتي فأبى فقال لا أزال أستغفر لك ما لم أنه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة سأل أي أبويه أحدث

لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم الا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين

به عهدا فقيل أمك آمنة فزار قبرها بالابواء ثم قام مستعبرا فقال انى استأذنت ربى فى زيارة قبر أمى فأذن لى واستأذنته فى الاستغفار لها فلم يأذن لى فنزلت وهذا أصح لان موت أبى طالب كان قبل الهجرة وهذا آخر ما نزل بالمدينة وقيل استغفر لابيه وقيل قال المسلمون ما يمنعنا أن نستغفر لآبائنا وذوى قرابتنا وقد استغفر ابراهيم لابيه وهذا محمد يستغفر لعمه (ما كان للنبى) ما صح له الاستغفار فى حكم الله وحكمته (من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) لانهم ماتوا على الشرك * قرأ طلحة وما استغفر ابراهيم لابيه وعنه وما يستغفر ابراهيم على حكاية الحال الماضية (الا عن موعدة وعدها اياه) أى وعدها ابراهيم أباه وهو قوله لاستغفرن لك ويدل عليه قراءة الحسن وحماد الراوية وعدها أباه (فان قلت) كيف خفى على ابراهيم أن الاستغفار للكافر غير جائز حتى وعده (قلت) يجوز أن يظن أنه ما دام يرجى منه الايمان جاز الاستغفار له على أن امتناع جواز الاستغفار للكافر انما علم بالوحى لان العقل يجوز أن يغفر الله للكافر ألا ترى الى قوله عليه السلام لعمه لاستغفرن لك ما لم أنه وعن الحسن قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يستغفر لآبائه المشركين فقال ونحن نستغفر لهم فنزلت وعن على رضى الله عنه رأيت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت له فقال أليس قد استغفر ابراهيم (فان قلت) فما معنى قوله (فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه) (قلت) معناه فلما تبين له من جهة الوحى أنه لن يؤمن وأنه يموت كافرا وانقطع رجاؤه عنه قطع استغفاره فهو كقوله من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم * أواه فعال من أوه كلأل من اللؤلؤ وهو الذى يكثر التأوه ومعناه أنه لفرط ترحمه ورقته وحلمه كان يتعطف على أبيه الكافر ويستغفر له مع شكاسته عليه وقوله لارجمنك يعنى ما أمر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى عنه وبين أنه محظور لا يؤاخذ به عباده الذين هداهم للاسلام ولا يسميهم ضلالا ولا يخذلهم الا اذا أقدموا عليه بعد بيان حظره عليهم وعلمهم بانه واجب الاتقاء والاجتناب وأما قبل العلم والبيان فلا سبيل عليهم كما لا يؤاخذون بشرب الخمر ولا بيع الصاع بالصاعين قبل التحريم وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين قبل ورود النهى عنه وفى هذه الآية تشديد ما ينبغى أن يغفل عنه وهى أن المهدى للاسلام اذا أقدم على بعض محظورات الله داخل فى حكم الاضلال * والمراد بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهى فأما ما يعلم بالعقل كالصدق فى الخبر ورد الوديعة فغير موقوف على التوقيف (تاب الله على النبى) كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقوله واستغفر لذنبك وهو بعث للمؤمنين على التوبة وأنه ما من مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار حتى النبى والمهاجرون والانصار وابانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله وأن صفة التوابين الاوابين صفة الانبياء كما وصفهم بالصالحين ليظهر فضيلة الصلاح وقيل معناه تاب الله عليه من اذنه للمنافقين فى التخلف عنه كقوله عفا الله عنك (فى ساعة العسرة) فى وقتها والساعة مستعملة فى معنى الزمان المطلق كما استعملت الغداة والعشية واليوم

* غداة طفت علماء بكر بن وائل * وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة * عشية قارعنا جذام وحميرا
اذا جاء يوما وارثى يبتغى الغنى * يجد جمع كف غير ملأى ولا صفرا

والعسرة حالهم فى غزوة تبوك كانوا فى عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد وفى عسرة من الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة أن اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء وفى عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها وفى شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة (كاد تزيغ قلوب فريق منهم) عن الثبات على الايمان أو عن اتباع الرسول فى تلك الغزوة والخروج معه وفى كاد ضمير الشأن وشبهه سيبويه بقولهم ليس خلق الله مثله وقرئ يزيغ بالياء وفى قراءة عبد الله من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يريد المتخلفين من المؤمنين كأبى لبابة وأمثاله (ثم تاب عليهم) تكرير للتوكيد ويجوز أن يكون الضمير للفريق تاب عليهم لكيدودتهم (الثلاثة) كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية ومعنى (خلفوا) خلفوا عن الغزو وقيل عن أبى لبابة وأصحابه حيث تيب عليهم بعدهم وقرئ خلفوا أى خلفوا الغازين بالمدينة أو فسدوا من الخالفة

وخلوف

ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لاواه حليم وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ان الله بكل شئ عليم ان الله له ملك السموات والارض يحيى ويميت وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض

* قوله تعالى وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون (قال فأما ما يدرك حظره بالعقل الخ) قال أحمد هذا تفريع على قاعدة التحسين والتقبيح وان العقل حاكم والشرع كاشف لما غمض عليه تابع اقتضاه وهذه القاعدة قد سبق بطلانها فى غير ما موضع والله الموفق

وخلوف الفم وقرأ جعفر الصادق رضي الله عنه خالفوا وقرأ الأعمش وعلى الثلاثة المخلفين (بما رحبت)
برحبها أي مع سعتها وهو مثل للحيرة في أمرهم كأنهم لا يجدون فيها مكانا يقرون فيه قلقا وجزعا مما هم فيه
(وضاقت عليهم أنفسهم) أي قلوبهم لا يسعها أنس ولا سرور لأنها حرجت من فرط الوحشة والغم (وظنوا)
وعلموا (أن لا ملجأ من) سخط (الله الا) الى استغفاره (ثم تاب عليهم ليتوبوا) ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة
كرة بعد أخرى ليستقيموا على توبتهم ويثبتوا وليتوبوا أيضا فيما يستقبل ان فرطت منهم خطيئة علما منهم
ان الله تواب على من تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة روى أن ناسا من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به عن الحسن بلغني أنه كان لأحدهم حائط كان خيرا من مائة ألف
درهم فقال يا حائطاه ما خلفني الا ظلك وانتظار ثمرك اذهب فأنت في سبيل الله ولم يكن لآخر الا أهله فقال
يا أهلاه ما بطأني ولا خلفني الا الضن بك لا جرم والله لأكابدن المفاوز حتى ألحق برسول الله فركب ولحق به
ولم يكن لآخر الا نفسه لا أهل ولا مال فقال يا نفس ما خلفني الا حب الحياة لك والله لأكابدن الشدائد حتى
ألحق برسول الله فتأبط زاده ولحق به قال الحسن كذلك والله المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها وعن أبي
ذر الغفاري أن بعيره أبطأ به فحمل متاعه على ظهره واتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى سواده كن أبا ذر فقال الناس هو ذاك فقال رحم الله أبا ذر يمشي وحده
ويموت وحده ويبعث وحده وعن أبي خيثمة انه بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل
وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة
حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته وأخذ سيفه ورمحه ومر
كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن أبا خيثمة
فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له ومنهم من بقي لم يلحق به منهم الثلاثة قال كعب لما
قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعد ما ذكرني وقال ليت شعري ما خلف كعبا
فقيل له ما خلفه الا حسن برديه والنظر في عطفيه فقال معاذ الله ما أعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا
أيها الثلاثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا أحد من قريب ولا بعيد فلما مضت أربعون ليلة أمرنا أن نعتزل
نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا أنا بنداء من ذروة سلع أبشر يا كعب بن مالك فخررت ساجدا
وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وتتابعت البشارة فلبست
ثوبي وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام الى طلحة بن
عبيد الله يهرول حتى صافحني وقال لتهنك توبة الله عليك فلن أنساها لطلحة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يستنير استنارة القمر أبشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك ثم تلا علينا الآية وعن أبي بكر
الوراق أنه سئل عن التوبة النصوح فقال أن تضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة
كعب بن مالك وصاحبيه (مع الصادقين) وقرئ من الصادقين وهم الذين صدقوا في دين الله نية وقولا وعملا
أو الذين صدقوا في ايمانهم ومعاهدتهم لله ورسوله على الطاعة من قوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقيل
هم الثلاثة أي كونوا مثل هؤلاء في صدقهم وثباتهم وعن ابن عباس رضي الله عنه الخطاب لمن آمن من أهل
الكتاب أي كونوا مع المهاجرين والانصار ووافقوهم وانتظموا في جملتهم واصدقوا مثل صدقهم وقيل لمن تخلف
من الطلقاء عن غزوة تبوك وعن ابن مسعود رضي الله عنه لا يصلح الكذب في جد ولا هزل ولا أن يعد أحدكم
صبيه ثم لا ينجزه اقرؤا ان شئتم وكونوا مع الصادقين فهل فيها من رخصة (ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه)
أمروا بأن يصحبوه على البأساء والضراء وأن يكابدوا معه الاهوال برغبة ونشاط واغتباط وأن يلقوا أنفسهم
من الشدائد ما تلقاه نفسه علما بأنها أعز نفس عند الله وأكرمها عليه فاذا تعرضت مع كرامتها وعزتها للخوض
في شدة وهول وجب على سائر الانفس أن تتهافت فيما تعرضت له ولا يكترث لها أصحابها ولا يقيموا لها وزنا
وتكون أخف شيء عليهم وأهونه فضلا عن أن يربؤا بأنفسهم عن متابعتها ومصاحبتها ويضنوا بها على ما سمح

بما رحبت وضاقت
عليهم أنفسهم وظنوا أن
لا ملجأ من الله الا اليه ثم
تاب عليهم ليتوبوا ان
الله هو التواب الرحيم
يا أيها الذين آمنوا
اتقوا الله وكونوا مع
الصادقين ما كان
لأهل المدينة ومن
حولهم من الأعراب
أن يتخلفوا عن رسول
الله ولا يرغبوا بأنفسهم
عن نفسه

ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع أجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين

بنفسه عليه وهذا نهى بليغ مع تقبيح لامرهم وتوبيخ لهم عليه وتهييج لمتابعته بأنفة وحمية (ذلك) اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان لهم أن يتخلفوا من وجوب مشايعته كأنه قيل ذلك الوجوب (ب) سبب (أنهم لا يصيبهم) شئ من عطش ولا تعب ولا مجاعة فى طريق الجهاد ولا يدوسون مكانا من أمكنة الكفار بحوافر خيولهم وأخفاف رواحلهم وأرجلهم ولا يتصرفون فى أرضهم تصرفا يغيظهم ويضيق صدورهم (ولا ينالون من عدو نيلا) ولا يرزؤنهم شيأ بقتل أو أسر أو غنيمة أو هزيمة أو غير ذلك (الا كتب لهم به عمل صالح) واستوجبوا الثواب ونيل الزلفى عند الله وذلك مما يوجب المشايعة ويجوز أن يراد بالوطء الايقاع والابادة لا الوطء بالاقدام والحوافر كقوله عليه السلام آخر وطأة وطئها الله بوج والموطئ اما مصدر كالمورد واما مكان فان كان مكانا فمعنى يغيظ الكفار يغيظهم وطؤه والنيل أيضا يجوز أن يكون مصدرا مؤكدا وأن يكون بمعنى المنيل ويقال نال منه اذا رزأه ونقصه وهو عام فى كل ما يسوءهم وينكيهم ويلحق بهم ضررا وفيه دليل على ان من قصد خيرا كان سعيه فيه مشكورا من قيام وقعود ومشى وكلام وغير ذلك وكذلك الشر وبهذه الآية استشهد أصحاب أبى حنيفة أن المدد القادم بعد انقضاء الحرب يشارك الجيش فى الغنيمة لان وطء ديارهم مما يغيظهم وينكى فيهم ولقد أسهم النبى صلى الله عليه وسلم لابنى عامر وقد قدما بعد تقضى الحرب وأمد أبو بكر الصديق رضى الله عنه المهاجر بن أبى أمية وزياد بن أبى لبيد بعكرمة بن أبى جهل مع خمسمائة نفس فلحقوا بعد ما تقضوا فأسهم لهم وعند الشافعى لا يشارك المدد الغانمين * وقرأ عبيد بن عمير ظماء بالمد يقال ظمئ ظماءة وظماء (ولا ينفقون نفقة صغيرة) ولو تمرة ولو علاقة سوط (ولا كبيرة) مثل ما أنفق عثمان رضى الله عنه فى جيش العسرة (ولا يقطعون واديا) أى أرضا فى ذهابهم ومجيئهم والوادى كل منفرج بين جبال وآكام يكون منفذا للسيل وهو فى الاصل فاعل من ودى اذا سال ومنه الودى وقد شاع فى استعمال العرب بمعنى الارض يقولون لا تصل فى وادى غيرك (الا كتب لهم) ذلك من الانفاق وقطع الوادى ويجوز أن يرجع الضمير فيه الى عمل صالح وقوله (ليجزيهم) متعلق بكتب أى أثبت فى صحائفهم لاجل الجزاء * اللام لتأكيد النفى ومعناه أن نفير الكافة عن أوطانهم لطلب العلم غير صحيح ولا ممكن وفيه أنه لو صح وأمكن ولم يؤد الى مفسدة لوجب لوجوب التفقه على الكافة ولان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة (فلولا نفر) فحين لم يمكن نفير الكافة ولم يكن مصلحة فهلا نفر (من كل فرقة * طائفة) أى من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير (ليتفقهوا فى الدين) ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق فى أخذها وتحصيلها (ولينذروا قومهم) وليجعلوا غرضهم ومرمى همتهم فى التفقه انذار قومهم وارشادهم والنصيحة لهم لا ما ينتحيه الفقهاء من الاغراض الخسيسة ويؤمونه من المقاصد الركيكة من التصدر والترؤس والتبسط فى البلاد والتشبه بالظلمة فى ملابسهم ومراكبهم ومنافسة بعضهم بعضا وفشو داء الضرائر بينهم وانقلاب حماليق أحدهم اذا لمح ببصره مدرسة لآخر أو شرذمة جثوا بين يديه وتهالكه على أن يكون موطأ العقب دون الناس كلهم فما أبعد هؤلاء من قوله عز وجل لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا (لعلهم يحذرون) ارادة أن يحذروا الله فيعملوا عملا صالحا ووجه آخر وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك وبعد ما أنزل فى المتخلفين من الآيات الشداد استبق المؤمنون عن آخرهم الى النفير وانقطعوا جميعا عن استماع الوحى والتفقه فى الدين فأمروا أن ينفر من كل فرقة منهم طائفة الى الجهاد ويبقى أعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذى هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة أعظم أثرا من الجلاد بالسيف

قوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون (قال معناه أن نفير الكافة لطلب العلم غير ممكن الخ) قال أحمد قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة على التفسير الاول أمر لا نهى وعلى الثانى خبر والمراد به (٥٧٢) النهى لانه فى الاول راجع الى تنفير أهل البوادى الى المدينة للتفقه وهذا لو أمكن الجميع فعله لكان جائزا أو واجبا وان لم يمكن وجب على بعضهم القيام عن باقيهم على طريق وجوب الكفاية وأما فى الثانى فلان المؤمنين نفروا من المدينة للجهاد أجمعين وكان ذلك ممكنا بل واتفاقهم عن اطراح التفقه بالكلية وأمروا به أمر كفاية والله أعلم * قال أحمد ولا أجدنى تأخرى عن حضور الغزاة عذر الا صرف الهمة لتحرير هذا المصنف فانى تفقهت فى أصل الدين وقواعد العقائد مؤيدا بآيات الكتاب العزيز مع ما اشتمل عليه من صيانة حوزتها من مكايد أهل البدع والاهواء وانا مع ذلك أرجو من الله حسن التوجه بلغنا الله الخير ووفقنا لما يرضيه وجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم

* قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة (قال القتال واجب مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم الخ) قال أحمد يتعين القتال على أحد فريقين اما من نزل بهم عدو وفيهم قوة عليه ثم على من قرب منهم حتى يكتفوا واما من عينهم الامام لذلك وان بعدت بهم الدار واذا أوجب الله على هذه الامة القتال وازعاج العدو من دياره واخراجه من قراره فوجوبه وقد نزل العدو بدار الاسلام أجدر * قوله تعالى واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم (قال معناه تغامزوا

بالسيف وقوله ليتفقهوا الضمير فيه للفرق الباقية بعد الطوائف النافرة من بينهم ولينذروا قومهم ولينذر الفرق الباقية قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا في أيام غيبتهم من العلوم وعلى الاول الضمير للطائفة النافرة الى المدينة للتفقه (يلونكم) يقربون منكم والقتال واجب مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن الاقرب فالاقرب أوجب ونظيره وأنذر عشيرتك الاقربين وقد حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم غزا الشأم وقيل هم قريظة والنضير وفدك وخيبر وقيل الروم لانهم كانوا يسكنون الشأم والشأم أقرب الى المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على أهل كل ناحية أن يقاتلوا من وليهم مالم يضطر اليهم أهل ناحية أخرى وعن ابن عمر رضي الله عنه أنه سئل عن قتال الديلم فقال عليك بالروم * وقرئ غلظة بالحركات الثلاث فالغلظة كالشدة والغلظة كالضغطة والغلظة كالسخطة ونحوه واغلظ عليهم ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله (مع المتقين) ينصر من اتقاه فلم يترأف على عدوه (فمنهم من يقول) فمن المنافقين من يقول بعضهم لبعض (أيكم زادته هذه) السورة (ايمانا) انكارا واستهزاء بالمؤمنين واعتقادهم زيادة الايمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به وأيكم مرفوع بالابتداء وقرأ عبيد بن عمير أيكم بالفتح على اضمار فعل يفسره زادته تقديره أيكم زادت زادته هذه ايمانا (فزادتهم ايمانا) لانها أزيد لليقين والثبات وأثلج للصدر أو فزادتهم عملا فان زيادة العمل زيادة في الايمان لان الايمان يقع على الاعتقاد والعمل (فزادتهم رجسا الى رجسهم) كفرا مضموما الى كفرهم لانهم كلما جددوا بتجديد الله الوحي كفرا ونفاقا ازداد كفرهم واستحكم وتضاعف عقابهم * وقرئ أولا يرون بالياء والتاء (يفتنون) يبتلون بالمرض والقحط وغيرهما من بلاء الله ثم لا ينتهون ولا يتوبون عن نفاقهم ولا يذكرون ولا يعتبرون ولا ينظرون في أمرهم أو يبتلون بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعاينون أمره وما ينزل الله عليه من نصرته وتأييده أو يفتنهم الشيطان فيكذبون وينقضون العهود مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقتلهم وينكل بهم ثم لا ينزجرون (نظر بعضهم الى بعض) تغامزوا بالعيون انكارا للوحي وسخرية به قائلين (هل يراكم من أحد) من المسلمين لننصرف فانا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم أو ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون هل يراكم من أحد وقيل معناه واذا ما أنزلت سورة في عيب المنافقين (صرف الله قلوبهم) دعاء عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عما في قلوب أهل الايمان من الانشراح (بأنهم) بسبب أنهم (قوم لا يفقهون) لا يتدبرون حتى يفقهوا (من أنفسكم) من جنسكم ومن نسبكم عربي قرشي مثلكم ثم ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة من النتائج بقوله (عزيز عليه ما عنتم) أي شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب (حريص عليكم) حتى لا يخرج أحد منكم عن اتباعه والاستسعاد بدين الحق الذي جاء به (بالمؤمنين) منكم ومن غيركم (رؤف رحيم) * وقرئ من أنفسكم أي من أشرفكم وأفضلكم وقيل هي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة وعائشة رضي الله عنهما وقيل لم يجمع الله اسمين من أسمائه لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله رؤف رحيم (فان تولوا) فان أعرضوا عن الايمان بك وناصبوك فاستعن وفوض اليه فهو كافيك معرتهم ولا يضرونك وهو ناصرك عليهم

يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم

بالعيون انكار الوحي الخ) قال أحمد يحتمل الدعاء كما فسره ويحتمل الاخبار بان الله صرف قلوبهم أي منعها من تلقي الحق بالقبول ولكن الزمخشري يفر من جعله خبرا لان صرف القلوب عن الحق لا يجوز على الله تعالى عنده بناء على قاعدة الصلاح والاصلح ولا يزال يؤول الظاهر اذا اقتضى ذلك كما مر له في قوله ختم الله على قلوبهم فلما احتملت هذه الآية الدعاء والخبر على حد سواء تعين عنده جعلها دعاء ثم في هذا الدعاء مناسبة للفعل الصادر منهم وهو الانصراف كقوله وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم وكقوله ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء

* وقرئ العظيم بالرفع وعن ابن عباس رضي الله عنه العرش لا يقدر أحد قدره وعن أبي بن كعب آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول من أنفسكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل على القرآن الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله أحد فانهما أنزلتا على ومعهما سبعون ألف صف من الملائكة

﴿سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الر) تعديد للحروف على طريق التحدي و (تلك آيات الكتاب) اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب السورة و (الحكيم) ذو الحكمة لاشتماله عليها ونطقه بها أو وصف بصفة محدثه قال الاعشى

وغريبة تأتي الملوك حكيمة * قد قلتها ليقال من ذا قالها

* الهمزة لانكار التعجب والتعجيب منه و (أن أوحينا) اسم كان وعجبا خبرها وقرأ ابن مسعود عجب فجعله اسما وهو نكرة وأن أوحينا خبرا وهو معرفة كقوله * يكون مزاجها عسل وماء * والاجود أن تكون كان تامة وأن أوحينا بدلا من عجب (فان قلت) فما معنى اللام في قوله أكان للناس عجبا وما الفرق بينه وبين قولك أكان عند الناس عجبا (قلت) معناه أنهم جعلوه لهم أعجوبة يتعجبون منها ونصبوه علما لهم يوجهون نحوه استهزاءهم وانكارهم وليس في عند الناس هذا المعنى والذي تعجبوا منه أن يوحى الى بشر وأن يكون رجلا من أفناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب أن الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم أبي طالب وأن يذكر لهم البعث وينذر بالنار ويبشر بالجنة وكل واحد من هذه الامور ليس بعجب لان الرسل المبعوثين الى الامم لم يكونوا الا بشرا مثلهم وقال الله تعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا وارسال الفقير أو اليتيم ليس بعجب أيضا لان الله تعالى انما يختار من استحق الاختيار لجمعه أسباب الاستقلال بما اختير له من النبوة والغنى والتقدم في الدنيا ليس من تلك الاسباب في شيء وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى والبعث للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبا انما العجب العجيب والمنكر في العقول تعطيل الجزاء (أن أنذر الناس) أن هي المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول ويجوز أن تكون المخففة من الثقيلة وأصله أنه أنذر الناس على معنى ان الشأن قولنا أنذر الناس و (أن لهم) الباء معه محذوف (قدم صدق عند ربهم) أي سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة (فان قلت) لم سميت السابقة قدما (قلت) لما كان السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد وباعا لان صاحبها يبوع بها فقيل لفلان قدم في الخير واضافته الى صدق دلالة على زيادة فضل وأنه من السوابق العظيمة وقيل مقام صدق (ان هذا) ان هذا الكتاب وما جاء به محمد (لسحر) ومن قرأ لساحر فهذا اشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دليل عجزهم واعترافهم به وان كانوا كاذبين في تسميته سحرا وفي قراءة أبي ما هذا الا سحر (يدبر) يقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة ويفعل ما يفعل المتحري للصواب الناظر في أدبار الامور وعواقبها لئلا يلقاه ما يكره آخرا و (الامر) أمر الخلق كله وأمر ملكوت السموات والارض والعرش (فان قلت) ما موقع هذه الجملة (قلت) قد دل بالجملة قبلها على عظمة شأنه وملكه بخلق السموات والارض مع بسطتها واتساعها في وقت يسير وبالاستواء على العرش وأتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وأنه لا يخرج أمر من الامور من قضائه وتقديره وكذلك قوله (ما من شفيع الا من بعد اذنه) دليل على العزة والكبرياء كقوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن و (ذلكم) اشارة الى المعلوم بتلك العظمة أي ذلك العظيم الموصوف بما وصف به هو (ربكم) وهو الذي يستحق منكم العبادة (فاعبدوه) وحده ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك أو انسان فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع (أفلا تذكرون) فان أدنى التفكر والنظر ينبهكم على الخطأ فيما أنتم عليه (اليه مرجعكم جميعا) أي لا ترجعون في العاقبة الا اليه فاستعدوا للقائه (وعد الله) مصدر مؤكد لقوله اليه مرجعكم

وحقا

﴿سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الر تلك آيات الكتاب الحكيم أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لسحر مبين ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون اليه مرجعكم جميعا وعد الله

(القول في سورة يونس)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم (قال أي سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة الخ) قال أحمد ولم يرد في سابقة السوء تسميتها قدما اما لان المجاز لا يطرد واما ان يكون مطردا ولكن غلب العرف على قصرها كما يغلب في الحقيقة والله أعلم

* قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار فى جنات النعيم (قال معناه يسددهم بسبب ايمانهم للاستقامة الخ) قال أحمد هو يقرر بذلك زعمه فى أن شرط دخول الجنة العمل الصالح وان من لم يعمل مخلد فى النار كالكافر وأنى له ذلك وقد جعل الله سبب الهداية الى الجنة مطلق الايمان فقال يهديهم ربهم بايمانهم وقول (٥٧٥) الزمخشرى ان المراد اضافة العمل

حقا انه يبدؤا الخلق ثم
يعيده ليجزى الذين
آمنوا وعملوا الصالحات
بالقسط والذين كفروا
لهم شراب من حميم
وعذاب أليم بما كانوا
يكفرون هو الذى جعل
الشمس ضياء والقمر
نورا وقدره منازل
لتعلموا عدد السنين
والحساب ما خلق الله
ذلك الا بالحق يفصل
الآيات لقوم يعلمون
ان فى اختلاف الليل
والنهار وما خلق الله
فى السموات والأرض
لآيات لقوم يتقون
ان الذين لا يرجون
لقاءنا ورضوا بالحياة
الدنيا واطمأنوا بها
والذين هم عن آياتنا
غافلون أولئك مأواهم
النار بما كانوا يكسبون
ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات يهديهم ربهم
بايمانهم تجرى من
تحتهم الانهار فى جنات
النعيم دعواهم فيها
سبحانك اللهم وتحيتهم
فيها سلام وآخر
دعواهم أن الحمد لله
رب العالمين

و (حقا) مصدر مؤكد لقوله وعد الله (انه يبدؤا الخلق ثم يعيده) استئناف معناه التعليل لوجوب المرجع اليه وهو أن الغرض ومقتضى الحكمة بابتداء الخلق واعادته هو جزاء المكلفين على أعمالهم وقرئ أنه يبدؤ الخلق بمعنى لانه أو هو منصوب بالفعل الذى نصب وعد الله أى وعد الله وعد ابداء الخلق ثم اعادته والمعنى اعادة الخلق بعد بدئه * وقرئ وعد الله على لفظ الفعل ويبدئ من أبدأ ويجوز أن يكون مرفوعا بما نصب حقا أى حق حقا بدأ الخلق كقوله

أحقا عباد الله أن لست جائيا * ولا ذاهبا الا على رقيب

* وقرئ حق أنه يبدؤ الخلق كقولك حق أن زيدا منطلق (بالقسط) بالعدل وهو متعلق بيجزى والمعنى ليجزيهم بقسطه ويوفيهم أجورهم أو بقسطهم وبما أقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا وعملوا صالحا لان الشرك ظلم قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم والعصاة ظلام أنفسهم وهذا أوجه لمقابلة قوله بما كانوا يكفرون * الياء فى (ضياء) منقلبة عن واو ضوء لكسرة ما قبلها وقرئ ضئاء بهمزتين بينهما ألف على القلب بتقديم اللام على العين كما قيل فى عاقعة والضياء أقوى من النور (وقدره) وقدر القمر والمعنى وقدر مسيره (منازل) أو قدره ذا منازل كقوله تعالى والقمر قدرناه منازل (والحساب) وحساب الاوقات من الشهور والايام والليالى (ذلك) اشارة الى المذكور أى ما خلقه الا ملتبسا بالحق الذى هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا * وقرئ يفصل بالياء * خص المتقين لانهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر الى النظر والتدبر (لا يرجون لقاءنا) لا يتوقعونه أصلا ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم المستولية عليهم المذهلة باللذات وحب العاجل عن التفطن للحقائق أو لا يأملون حسن لقائنا كما يأمله السعداء أو لا يخافون سوء لقائنا الذى يجب أن يخاف (ورضوا بالحياة الدنيا) من الآخرة وآثروا القليل الفانى على الكثير الباقى كقوله تعالى أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة (واطمأنوا بها) وسكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديدا وأملوا بعيدا (يهديهم ربهم بايمانهم) يسددهم بسبب ايمانهم للاستقامة على سلوك السبيل المؤدى الى الثواب ولذلك جعل (تجرى من تحتهم الانهار) بيانا له وتفسيرا لان التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها ويجوز أن يريد يهديهم فى الآخرة بنور ايمانهم الى طريق الجنة كقوله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ومنه الحديث ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله فى صورة حسنة فيقول له أنا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله فى صورة سيئة فيقول له أنا عملك فينطلق به حتى يدخله النار (فان قلت) فلقد دلت هذه الآية على أن الايمان الذى يستحق به العبد الهداية والتوفيق والنور يوم القيامة هو ايمان مقيد وهو الايمان المقرون بالعمل الصالح والايمان الذى لم يقترن بالعمل الصالح فصاحبه لا توفيق له ولا نور (قلت) الامر كذلك ألا ترى كيف أوقع الصلة مجموعا فيها بين الايمان والعمل كأنه قال ان الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح ثم قال بايمانهم أى بايمانهم هذا المضموم اليه العمل الصالح وهو بين واضح لا شبهة فيه (دعواهم) دعاؤهم لان اللهم نداء لله ومعناه اللهم انا نسبحك كقول القانت فى دعاء القنوت اللهم اياك نعبد ولك نصلى ونسجد ويجوز أن يراد بالدعاء العبادة وأعتزلكم وما تدعون من دون الله على معنى أن لا تكليف فى الجنة ولا عبادة وما عبادتهم الا أن يسبحوا الله ويحمدوه وذلك ليس بعبادة انما يلهمونه فينطقون به تلذذا بلا كلفة كقوله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية (وآخر دعواهم) وخاتمة دعائهم الذى هو التسبيح (أن) يقولوا (الحمد لله رب العالمين) * ومعنى وتحيتهم فيها سلام أن بعضهم يحيى بعضا

لا ينتهض عن حيز الدعوى فان الله لم يعلل بغير الايمان وان جرى لغيره ذكر أولا فلا يلزم اجراؤه ثانيا ولا يحوج اليه وشبهته ان الايمان المجعول سببا مضاف الى ضمير الصالحين فيلزم أخذ الصلاح قيدا فى السبب وهو ممنوع فان الضمير انما يعود على الذوات لا باعتبار الصفات وقد تقدمت لهذه المباحثة أمثال وأشكال والله الموفق

* قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير الآية قال أحمد وهذا أيضا من تنبيهات الزمخشري الحسنة التي تقوم على دقة نظره شاهدة وبينة ولا يكاد وضع المصدر مؤكدا أو مقارنا لغير فعله في الكتاب العزيز يخلو من مثل هذه الفائدة الجليلة والنحاة غايتهم ان يقولوا في قوله تعالى والله أنبتكم من الارض نباتا انه أجرى المصدر على الفعل مقدرا عدم الزيادة أو هذا المصدر لفعل دل عليه المذكور تقديره نبتم نباتا ولا يزيدون على ذلك فاذا راجع الفطن قريحته وناجى فكرته هل قرن المصدر في كتاب الله بغير فعله لفائدة أولا تسور بلطف النظر على مثل هذه الفوائد العلية من انتهاء الفائدة والله أعلم في اقتران قوله نباتا بقوله أنبتكم التنبيه على حتم نفوذ القدرة في المقدور وسرعة امضاء حكمها حتى كان انبات الله لهم نفس نباتهم أي اذا وجد من الله الانبات وجد لهم النبات حتما فكان أحد الامرين عين الآخر فقرن به والله أعلم * قوله تعالى ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون (قال فيه ان قلت كيف جاز النظر على الله تعالى الخ) قال أحمد وكنت أحسب ان الزمخشري يقتصر على انكار رؤية العبد لله تعالى فضم الى ذلك انكار رؤية الله والجمع بين هذين النزغتين عقيدة طائفة من القدرية يقولون ان الله لا يرى ولا يرى تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقد تقدم ابطال دعواهم ان النظر يستلزم المقابلة والجسمية فلا نعيده والله الموفق

ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم أجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون وإذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا

بالسلام وقيل هي تحية الملائكة اياهم اضافة للمصدر الى المفعول وقيل تحية الله لهم وان هي المخففة من الثقيلة وأصله أنه الحمد لله على أن الضمير للشأن كقوله * أن هالك كل من يحفى وينتعل * وقرئ أن الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد * أصله (ولو يعجل الله للناس الشر) تعجيله لهم الخير فوضع (استعجالهم بالخير) موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم واسعافه بطلبتهم حتى كان استعجالهم بالخير تعجيل لهم والمراد أهل مكة وقولهم فأمطر علينا حجارة من السماء يعني ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم اليه (لقضي اليهم أجلهم) لأميتوا وأهلكوا وقرئ لقضى اليهم أجلهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وتنصره قراءة عبد الله لقضينا اليهم أجلهم (فان قلت) فكيف اتصل به قوله (فنذر الذين لا يرجون لقاءنا) وما معناه (قلت) قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفي التعجيل كأنه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي اليهم أجلهم فنذرهم (في طغيانهم) أي فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاما للحجة عليهم (لجنبه) في موضع الحال بدليل عطف الحالين عليه أي دعانا مضطجعا (أو قاعدا أو قائما) (فان قلت) فما فائدة ذكر هذه الاحوال (قلت) معناه أن المضرور لا يزال داعيا لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالاته كلها كان منبطحا عاجز النهض متخاذل النوء أو كان قاعدا لا يقدر على القيام أو كان قائما لا يطيق المشي والمضطرب الى أن يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها والمسحة بتمامها ويجوز أن يراد أن من المضرورين من هو أشد حالا وهو صاحب الفراش ومنهم من هو أخف وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يستغنون عن الدعاء واستدفاع البلاء لان الانسان للجنس (مر) أي مضى على طريقته الاولى قبل مس الضر ونسي حال الجهد أو مر عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع اليه كأنه لا عهد له به (كأن لم يدعنا) كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن قال * كأن ثدياه حقان * (كذلك) مثل ذلك التزيين (زين للمسرفين) زين الشيطان بوسوسته أو الله بخذلانه وتخليته ما كانوا يعملون من الاعراض عن الذكر واتباع الشهوات (لما) ظرف لأهلكنا والواو في (وجاءتهم) للحال أي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالحجج والشواهد على صدقهم وهي المعجزات وقوله (وما كانوا ليؤمنوا) يجوز أن يكون عطفا على ظلموا وأن يكون اعتراضا واللام لتأكيد النفي يعني وما كانوا يؤمنون حقا تأكيد النفي ايمانهم وأن الله قد علم منهم أنهم يصرون على كفرهم وأن الايمان مستبعد منهم والمعنى أن السبب في اهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله أنه لا فائدة في امهالهم بعد أن ألزموا الحجة ببعثة الرسل (كذلك) مثل ذلك الجزاء يعني الاهلاك (نجزي) كل مجرم وهو وعيد لأهل مكة على اجرامهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ يجزي بالياء (ثم جعلناكم) الخطاب للذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم أي استخلفناكم في الارض بعد القرون التي أهلكنا (لننظر) أتعملون خيرا أم شرا فنعاملكم على حسب عملكم و (كيف) في محل النصب بتعملون لا بننظر لان معنى الاستفهام فيه يحجب أن يتقدم عليه عامله (فان قلت) كيف جاز النظر على الله تعالى وفيه معنى المقابلة (قلت) هو مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم بالشئ موجودا شبه بنظر الناظر وعيان المعاين في تحققه * غاظهم ما في القرآن

من ذم عبادة الاوثان والوعيد للمشركين فقالوا (ائت بقرآن) آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك (أو بدله)
بان تجعل مكان آية عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها * فامر بان يجيب عن التبديل لانه
داخل تحت قدرة الانسان وهو أن يضع مكان آية عذاب آية رحمة مما أنزل وأن يسقط ذكر الآلهة وأما
الاتيان بقرآن آخر فغير مقدور عليه للانسان (ما يكون لى) ما ينبغى لى وما يحل كقوله تعالى ما يكون لى أن
أقول ما ليس لى بحق (أن أبدله من تلقاء نفسى) من قبل نفسى وقرئ بفتح التاء من غير أن يأمرنى بذلك
ربى (ان أتبع الا ما يوحى الى) لا آتى ولا أذر شيأ من نحو ذلك الا متبعا لوحى الله وأوامره ان نسخت آية
تبعت النسخ وان بدلت آية مكان آية تبعت التبديل وليس الى تبديل ولا نسخ (انى أخاف ان عصيت ربى)
بالتبديل والنسخ من عند نفسى (عذاب يوم عظيم) (فان قلت) أما ظهر وتبين لهم العجز عن الاتيان بمثل
القرآن حتى قالوا ائت بقرآن غير هذا (قلت) بلى ولكنهم كانوا لا يعترفون بالعجز وكانوا يقولون لو نشاء لقلنا
مثل هذا ويقولون افترى على الله كذبا فينسبونه الى الرسول ويزعمونه قادرا عليه وعلى مثله مع علمهم بأن
العرب مع كثرة فصحائها وبلغائها اذا عجزوا عنه كان الواحد منهم أعجز (فان قلت) لعلهم أرادوا ائت بقرآن غير
هذا أو بدله من جهة الوحى كما أتيت بالقرآن من جهته وأراد بقوله ما يكون لى ما يتسهل لى وما يمكننى أن
أبدله (قلت) يرده قوله انى أخاف ان عصيت ربى (فان قلت) فما كان غرضهم وهم أدهى الناس وأنكرهم
فى هذا الاقتراح (قلت) الكيد والمكر أما اقتراح ابدال قرآن بقرآن ففيه أنه من عندك وأنك قادر
على مثله فأبدل مكانه آخر وأما اقتراح التبديل والتغيير فللطمع ولاختبار الحال وأنه ان وجد منه تبديل
فاما أن يهلكه الله فينجوا منه أو لا يهلكه فيسخروا منه ويجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحا لافترائه على الله
(لو شاء الله ما تلوته عليكم) يعنى ان تلاوته ليست الا بمشيئة الله واحداثه أمرا عجيبا خارجا عن العادات وهو
أن يخرج رجل أمى لم يتعلم ولم يستمع ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره ولا نشأ فى بلد فيه علماء فيقرأ عليكم
كتابا فصيحا يبهر كل كلام فصيح ويعلو على كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم من علوم الاصول والفروع
وأخبار مما كان وما يكون ناطقا بالغيوب التى لا يعلمها الا الله وقد بلغ بين ظهرانيكم أربعين سنة تطلعون على
أحواله ولا يخفى عليكم شئ من أسراره وما سمعتم منه حرفا من ذلك ولا عرفه به أحد من أقرب الناس منه
وألصقهم به (ولا أدراكم به) ولا أعلمكم به على لسانى وقرأ الحسن ولا أدرأتكم به على لغة من يقول أعطأته
وأرضأته فى معنى أعطيته وأرضيته وتعضده قراءة ابن عباس ولا أنذرتكم به ورواه الفراء ولا أدرأتكم به
بالهمز وفيه وجهان أحدهما أن تقلب الالف همزة كما قيل لبأت بالحج ورثأت الميت وحلأت السويق وذلك
لان الالف والهمزة من واد واحد ألا ترى أن الالف اذا مستها الحركة انقلبت همزة والثانى أن يكون من
درأته اذا دفعته وأدرأته اذا جعلته دارئا والمعنى ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤننى بالجدال وتكذبوننى
وعن ابن كثير ولأدراكم به بلام الابتداء لاثبات الادراء ومعناه لو شاء الله ما تلوته أنا عليكم ولأعلمكم به على
لسان غيرى ولكنه يمن على من يشاء من عباده فخصنى بهذه الكرامة ورآنى لها أهلا دون سائر الناس (فقد
لبثت فيكم عمرا) وقرئ عمرا بالسكون يعنى فقد أقمت فيما بينكم يافعا وكهلا فلم تعرفونى متعاطيا شيأ من نحوه
ولا قدرت عليه ولا كنت متواصفا بعلم وبيان فتتهمونى باختراعه (أفلا تعقلون) فتعلموا أنه ليس الا من الله
لا من مثلى وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم ائت بقرآن غير هذا من اضافة الافتراء اليه (ممن افترى على
الله كذبا) يحتمل أن يريد افتراء المشركين على الله فى قولهم انه ذو شريك وذو ولد وأن يكون تفاديا مما أضافوه
اليه من الافتراء (ما لا يضرهم ولا ينفعهم) الاوثان التى هى جماد لا تقدر على نفع ولا ضر وقيل ان عبدوها
لم تنفعهم وان تركوا عبادتها لم تضرهم ومن حق المعبود أن يكون مثيبا على الطاعة معاقبا على المعصية وكان
أهل الطائف يعبدون اللات وأهل مكة العزى ومناة وهبل واسافا ونائلة (و) كانوا (يقولون هؤلاء شفعاؤنا
عند الله) وعن النضر بن الحرث اذا كان يوم القيامة شفعت لى اللات والعزى (أتنبؤن الله بما لا يعلم)
أتخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو انباء بما ليس بمعلوم لله واذا لم يكن معلوما له وهو العالم الذات المحيط بجميع

ائت بقرآن غير هذا
أو بدله قل ما يكون لى
أن أبدله من تلقاء نفسى
ان أتبع الا ما يوحى الى
انى أخاف ان عصيت
ربى عذاب يوم عظيم
قل لو شاء الله ما تلوته
عليكم ولا أدراكم به فقد
لبثت فيكم عمرا من قبله
أفلا تعقلون فمن أظلم
ممن افترى على الله كذبا
أو كذب بآياته انه لا يفلح
المجرمون ويعبدون
من دون الله ما لا
يضرهم ولا ينفعهم
ويقولون هؤلاء شفعاؤنا
عند الله قل أتنبؤن الله
بما لا يعلم

*قوله تعالى هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف الآية (قال ان قلت كيف جعل الكون فى الفلك غاية الخ) قال أحمد وهذه أيضا من نكته التى لا يكتنه حسنها وقد مر لى قبل الوقوف عليها مثل هذا النظر بعينه فى توأمتها وذلك عند قوله تعالى وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم وقد استدل الزمخشرى بها لابى حنيفة فى أن الصغير (٥٧٨) يبتلى قبل البلوغ بان يدفع اليه قدر من المال يتصرف فيه خلافا لمالك فانه لا يرى الابتلاء قبل البلوغ قال الزمخشرى ووجه الاستدلال أن الله تعالى جعل البلوغ غاية الابتلاء فيلزم وقوع الابتلاء قبله ضرورة كونه مغيابه واعترضت هذا الاستدلال فيما سلف بأن المجعول غاية هو جملة ما فى حيز حتى من البلوغ مقرونا بايناس الرشد وهذا المجموع هو الذى يلزم وقوعه بعد الابتلاء ولا يلزم من ذلك أن يقع كل واحد من مفرديه بعد الابتلاء بل من الممكن ان يقع أحدهما قبل والآخر بعد فلا يحصل المجموع الا بعد الابتلاء ويوضح ذلك هذه الآية فانه تعالى جعل غاية تسييرهم فى الفلك كونهم فيها مضافا الى ما ذكر معه ونحن نعلم ان كونهم فى الفلك وذلك أحد ما جعل غاية متقدم على التسيير وان كان المجموع انما كوقوع الحادثة بجملتها بعد الكون فى الفلك والله أعلم وانما بسطت القول ههنا لفوائده ثم لتجدده بما مضى عهدا

فى السموات ولا فى الارض سبحانه وتعالى عما يشركون وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل انما الغيب لله فانتظروا انى معكم من المنتظرين واذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم مكر فى آياتنا قل الله أسرع مكرا ان رسلنا يكتبون ما تمكرون هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك

المعلومات لم يكن شيأ لان الشئ ما يعلم ويخبر عنه فكان خبرا ليس له مخبر عنه (فان قلت) كيف أنبؤا الله بذلك (قلت) هو تهكم بهم وبما ادعوه من المحال الذى هو شفاعة الاصنام واعلام بأن الذى أنبؤا به باطل غير منطو تحت الصحة فكانهم يخبرونه بشئ لا يتعلق به علمه كما يخبر الرجل الرجل بما لا يعلمه وقرئ أتنبؤن بالتخفيف وقوله (فى السموات ولا فى الارض) تأكيد لنفيه لان ما لم يوجد فيهما فهو منتف معدوم (تشركون) قرئ بالتاء والياء وما موصولة أو مصدرية أى عن الشركاء الذين يشركونهم به أو عن اشراكهم (وما كان الناس الا أمة واحدة) حنفاء متفقين على ملة واحدة من غير أن يختلفوا بينهم وذلك فى عهد آدم الى أن قتل قابيل هابيل وقيل بعد الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهو تأخير الحكم بينهم الى يوم القيامة (لقضى بينهم) عاجلا فيما اختلفوا فيه ولميز المحق من المبطل وسبق كلمته بالتأخير لحكمة أوجبت أن تكون هذه الدار دار تكليف وتلك دار ثواب وعقاب وقالوا (لولا أنزل عليه آية من ربه) أرادوا آية من الآيات التى كانوا يقترحونها وكانوا لا يعتدون بما أنزل عليه من الآيات العظام المتكاثرة التى لم ينزل على أحد من الانبياء مثلها وكفى بالقرآن وحده آية باقية على وجه الدهر بديعة غريبة فى الآيات دقيقة المسلك من بين المعجزات وجعلوا نزولها كلا نزول وكأنه لم ينزل عليه آية قط حتى قالوا لولا أنزل عليه آية واحدة من ربه وذلك لفرط عنادهم وتماديهم فى التمرد وانهماكهم فى الغى (فقل انما الغيب لله) أى هو المختص بعلم الغيب المستأثر به لا علم لى ولا لاحد به يعنى أن الصارف عن انزال الآيات المقترحة أمر مغيب لا يعلمه الا هو (فانتظروا) نزول ما اقترحتموه (انى معكم من المنتظرين) لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الآيات * سلط الله القحط سبع سنين على أهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون فى آيات الله ويعادون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكيدونه واذا الاولى للشرط والآخرة جوابها وهى للمفاجأة والمكر اخفاء الكيد وطيه من الجارية الممكورة المطوية الخلق ومعنى (مستهم) خالطتهم حتى أحسوا بسوء أثرها فيهم (فان قلت) ما وصفهم بسرعة المكر فكيف صح قوله (أسرع مكرا) (قلت) بلى دلت على ذلك كلمة المفاجأة كانه قال واذا رحمناهم من بعد ضراء فاجؤا وقوع المكر منهم وسارعوا اليه قبل أن يغسلوا رؤسهم من مس الضراء ولم يتلبثوا ريثما يسيغون غصتهم والمعنى أن الله تعالى دبر عقابكم وهو موقعه بكم قبل أن تدبروا كيف تعملون فى اطفاء نور الاسلام (ان رسلنا يكتبون) اعلام بأن ما تظنونه خافيا مطويا لا يخفى على الله وهو منتقم منكم وقرئ يمكرون بالتاء والياء وقيل مكرهم قولهم سقينا بنوء كذا وعن أبى هريرة ان الله ليصبح القوم بالنعمة ويمسيهم بها فتصبح طائفة منهم بها كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا * قرأ زيد ابن ثابت ينشركم ومثله قوله فانتشروا فى الارض ثم اذا أنتم بشر تنتشرون (فان قلت) كيف جعل الكون فى الفلك غاية للتسيير فى البحر والتسيير فى البحر انما هو بالكون فى الفلك (قلت) لم يجعل الكون فى الفلك غاية للتسيير فى البحر ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما فى حيزها كانه قيل يسيركم حتى اذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من مجئ الريح العاصف وتراكم الامواج والظن للهلاك والدعاء بالانجاء (فان قلت) ما جواب اذا (قلت) جاءتها (فان قلت) فدعوا (قلت) بدل من ظنوا لان دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به (فان قلت) ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة (قلت) المبالغة

كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعى منهم الانكار والتقبيح (فان قلت) ما وجه قراءة أم الدرداء في الفلكي بزيادة ياء النسب (قلت) قيل هما زائدتان كما في الخارجي والاحمري ويجوز أن يراد به اللج والماء الغمر الذي لا تجري الفلك الا فيه والضمير في (جرين) للفلك لانه جمع فلك كالاسد في فعل أخي فعل وفي قراءة أم الدرداء للفلك أيضا لان الفلكي يدل عليه (جاءتها) جاءت الريح الطيبة أي تلقتها وقيل الضمير للفلك (من كل مكان) من جميع أمكنة الموج (أحيط بهم) أي أهلكوا جعل احاطة العدو بالحي مثلا في الهلاك (مخلصين له الدين) من غير اشراك به لانهم لا يدعون حينئذ غيره معه (لئن أنجيتنا) على ارادة القول أو لان دعوا من جملة القول (يبغون في الارض) يفسدون فيها ويعبثون مترقين في ذلك ممعنين فيه من قولك بغى الجرح اذا ترامى الى الفساد (فان قلت) فما معنى قوله (بغير الحق) والبغي لا يكون بحق (قلت) بلى وهو استيلاء المسلمين على أرض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقطع أشجارهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني قريظة * قرئ متاع الحياة الدنيا بالنصب (فان قلت) ما الفرق بين القراءتين (قلت) اذا رفعت كان المتاع خبر المبتدا الذي هو بغيكم وعلى أنفسكم صلته كقوله فبغى عليهم ومعناه انما بغيكم على أمثالكم والذين جنسهم جنسكم يعني بغي بعضكم على بعض منفعة الحياة الدنيا لا بقاء لها واذا نصبت فعلى أنفسكم خبر غير صلة معناه انما بغيكم وبال على أنفسكم ومتاع الحياة الدنيا في موضع المصدر المؤكد كأنه قيل تتمتعون متاع الحياة الدنيا ويجوز أن يكون الرفع على هو متاع الحياة الدنيا بعد تمام الكلام وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تمكر ولا تعن ماكرا ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها وعنه عليه الصلاة والسلام أسرع الخير ثوابا صلة الرحم وأعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة وروى ثنتان يعجلهما الله تعالى في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي الله عنه لو بغى جبل على جبل لدك الباغي وكان المأمون يتمثل بهذين البيتين في أخيه

ياصاحب البغي ان البغي مصرعة * فاربع فخير فعال المرء أعدله
فلو بغى جبل يوما على جبل * لاندك منه أعاليه وأسفله

وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم على أنفسكم * هذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الارض في جفافه وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف وزين الارض بخضرته ورفيفه (فاختلط به) فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا (أخذت الارض زخرفها وازينت) كلام فصيح جعلت الارض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس اذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من ألوان الزين وأصل ازينت تزينت فأدغم وبالاصل قرأ عبد الله وقرئ وأزينت على أفعلت من غير اعلال الفعل كأغيلت أي صارت ذات زينة وازيانت بوزن ابياضت (قادرون عليها) متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها (أتاها أمرنا) وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد أمنهم واستيقانهم أنه قد سلم (فجعلناها) فجعلنا زرعها (حصيدا) شبيها بما يحصد من الزرع في قطعه واستئصاله (كأن لم تغن) كأن لم تغن زرعها أي لم ينبت على حذف المضاف في هذه المواضع لا بد منه والا لم يستقم المعنى وقرأ الحسن كأن لم يغن بالياء على أن الضمير للمضاف المحذوف الذي هو الزرع وعن مروان أنه قرأ على المنبر كأن لم تتغن بالامس من قول الأعشى

* طويل الثواء طويل التغني * والامس مثل في الوقت القريب كأنه قيل كأن لم تغن آنفا (دار السلام) الجنة أضافها الى اسمه تعظيما لها وقيل السلام السلامة لان أهلها سالمون من كل مكروه وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم الا قيلا سلاما سلاما (ويهدي) ويوفق (من يشاء) وهم الذين علم أن اللطف يجدي عليهم لان مشيئته تابعة لحكمته ومعناه يدعو العباد كلهم الى دار السلام ولا يدخلها الا المهديون (الحسنى) المثوبة الحسنى (وزيادة) وما يزيد على المثوبة وهي التفضل ويدل عليه قوله تعالى ويزيدهم من فضله وعن علي رضي الله عنه الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس رضي الله عنه الحسنى الحسنة

وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما أنجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون والله يدعوا الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم للذين أحسنوا الحسنى وزيادة

---

* قوله تعالى الذين أحسنوا الحسنى وزيادة (ذكر) في الزيادة تفاسير كثيرة ثم قال وزعمت المشبهة والمجبرة ان الزيادة النظر الى وجه الله تعالى الخ

(قال أحمد) نسبة تفسير الزيادة برؤية الله تعالى الى زعم أهل السنة الملقبين عنده بالمشبهة والمجبرة جرى على ديدنه المعروف في التكذيب بما لم يحط به علما وهذا التفسير مستفيض منقول عن جملة الصحابة والحديث المروي فيه مدون في الصحاح متفق على صحته وقد جعل أهل السنة جاؤا به من عند أنفسهم ومن قبل قال المصرون على الكفر لسيد البشر وصاحب السنة ائت بقرآن غير هذا أو بدله حملا له على انه جاء به من عنده فلأهل السنة اذا أسوة بصاحبها ولقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة فابتلاء الحق بالباطل قديم والله الموفق وان في قوله تعالى على أثر ذلك ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة مصداقا لصحة هذا التفسير فان فيه تنبيها على اكرام وجوههم بالنظر الى وجه الله تعالى بجدير بهم ان لا يرهق وجوههم قتر البعد ولا ذلة الحجاب بعكس المحرومين المحجوبين فان وجوههم مرهقة بقتر الطرد وذلة البعد نسأل الله الكفاية فأولئك يغشى وجوههم أنوار المشاهدة وهؤلاء يغشى وجوههم كقطع الليل المظلم منهم شقي وسعيد

ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون والذين كسبوا السيآت جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت وردوا الى الله مولاهم

وان زيادة عشر أمثالها وعن الحسن رضي الله عنه عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف وعن مجاهد رضي الله عنه الزيادة مغفرة من الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة الزيادة ان تمر السحابة بأهل الجنة فتقول ما تريدون ان أمطركم فلا يريدون شيأ الا أمطرتهم وزعمت المشبهة والمجبرة أن الزيادة النظر الى وجه الله تعالى وجاءت بحديث مرفوع اذا دخل أهل الجنة الجنة نودوا أن يا أهل الجنة فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما أعطاهم الله شيأ هو أحب اليهم منه (ولا يرهق وجوههم) لا يغشاها (قتر) غبرة فيها سواد (ولا ذلة) ولا أثر هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق أهل النار اذكارا بما ينقذهم منه برحمته ألا ترى الى قوله تعالى ترهقها قترة وترهقهم ذلة (فان قلت) ما وجه قوله (والذين كسبوا السيآت جزاء سيئة بمثلها) وكيف يتلاءم (قلت) لا يخلو اما أن يكون والذين كسبوا معطوفا على قوله للذين أحسنوا كأنه قيل وللذين كسبوا السيآت جزاء سيئة بمثلها واما أن يقدر وجزاء الذين كسبوا السيآت جزاء سيئة بمثلها على معنى جزاؤهم ان تجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وهذا أوجه من الأول لان في الأول عطفا على عاملين وان كان الأخفش يجيزه وفي هذا دليل على ان المراد بالزيادة الفضل لانه دل بترك الزيادة على السيئة على عدله ودل ثمة باثبات الزيادة على المثوبة على فضله وقرئ يرهقهم ذلة بالياء (من الله من عاصم) أي لا يعصمهم أحد من سخط الله وعذابه ويجوز ما لهم من جهة الله ومن عنده من يعصمهم كما يكون للمؤمنين (مظلما) حال من الليل ومن قرأ قطعا بالسكون من قوله بقطع من الليل جعله صفة له وتعضده قراءة أبي بن كعب كأنما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم (فان قلت) اذا جعلت مظلما حالا من الليل فما العامل فيه (قلت) لا يخلو اما أن يكون أغشيت من قبل أن من الليل صفة لقوله قطعا فكان افضاؤه الى الموصوف كافضائه الى الصفة واما أن يكون معنى الفعل في من الليل (مكانكم) الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم و(أنتم) أكد به الضمير في مكانكم لسده مسد قوله الزموا (وشركاؤكم) عطف عليه وقرئ وشركاءكم على أن الواو بمعنى مع والعامل فيه ما في مكانكم من معنى الفعل (فزيلنا بينهم) ففرقنا بينهم وقطعنا أقرانهم والوصل التي كانت بينهم في الدنيا أو فباعدنا بينهم بعد الجمع بينهم في الموقف * وتبرؤ شركائهم منهم ومن عبادتهم كقوله تعالى ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا وقرئ فزايلنا بينهم كقولك صاعر خده وصعره وكالمته وكلمته (ما كنتم ايانا تعبدون) انما كنتم تعبدون الشياطين حيث أمروكم أن تتخذوا لله أندادا فأطعتموهم (ان كنا) هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وهم الملائكة والمسيح ومن عبدوه من دون الله من أولي العقل وقيل الأصنام ينطقها الله عز وجل فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي زعموها وعلقوا بها أطماعهم (هنالك) في ذلك المقام وفي ذلك الموقف أو في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان (تبلوا كل نفس) تختبر وتذوق (ما أسلفت) من العمل فتعرف كيف هو أقبيح أم حسن أنافع أم ضار أمقبول أم مردود كما يتختبر الرجل الشيء ويتعرفه ليكتنه حاله ومنه قوله تعالى يوم تبلى السرائر وعن عاصم نبلو كل نفس بالنون ونصب كل أي نختبرها باختبار ما أسلفت من العمل فنعرف حالها بمعرفة حال عملها ان كان حسنا فهي سعيدة وان كان سيأ فهي شقية والمعنى نفعل بها فعل الخابر كقوله تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملا ويجوز أن يراد نصيب بالبلاء وهو العذاب كل نفس عاصية بسبب ما أسلفت من الشر وقرئ تتلوا أي تتبع ما أسلفت لان عمله هو الذي يهديه الى طريق الجنة أو الى طريق النار أو تقرأ في صحيفتها ما قدمت من خير أو شر

* قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض (قال معناه أي من يرزقكم منهما جميعا الخ) (٥٨١) قال أحمد وهذه الآية كافحة لوجوه القدرية الزاعمين ان الارزاق منقسمة فيها ما رزقه الله العبد وهو الحلال ومنها ما رزقه العبد لنفسه وهو الحرام وهذه الآية ناعية عليهم هذا الشرك الخفي لو سمعوا

مولاهم الحق وضل
عنهم ما كانوا يفترون
قل من يرزقكم من
السماء والارض أمن
يملك السمع والابصار
ومن يخرج الحي من
الميت ويخرج الميت من
الحي ومن يدبر الامر
فسيقولون الله فقل
أفلا تتقون فذلكم الله
ربكم الحق فماذا بعد
الحق الا الضلال فأنى
تصرفون كذلك حقت
كلمة ربك على الذين
فسقوا أنهم لا يؤمنون
قل هل من شركائكم من
يبدؤ الخلق ثم يعيده
قل الله يبدؤ الخلق ثم
يعيده فأنى تؤفكون
قل هل من شركائكم من
يهدي الى الحق قل الله
يهدي للحق أفمن يهدي
الى الحق أحق أن يتبع
أمن لا يهدي الا أن يهدى
فما لكم كيف تحكمون
وما يتبع أكثرهم الا ظنا
ان الظن لا يغني من
الحق شيئا ان الله عليم
بما يفعلون وما كان
هذا القرآن أن يفترى
من دون الله ولكن
تصديق الذي بين يديه
أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون

(مولاهم الحق) ربهم الصادق ربوبيته لانهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة أو الذي يتولى حسابهم وثوابهم العدل الذي لا يظلم أحدا وقرئ الحق بالفتح على تأكيد قوله ردوا الى الله كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل أو على المدح كقولك الحمد لله أهل الحمد (وضل عنهم ما كانوا يفترون) وضاع عنهم ما كانوا يدعون أنهم شركاء الله أو بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة الآلهة (قل من يرزقكم من السماء والارض) أي يرزقكم منهما جميعا لم يقتصر برزقكم على جهة واحدة ليفيض عليكم نعمته ويوسع رحمته (من يملك السمع والابصار) من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذي سويا عليه من الفطرة العجيبة أو من يحميهما ويحصنهما من الآفات مع كثرتها في المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيهما أدنى شئ بكلاءته وحفظه (ومن يدبر الامر) ومن يلي تدبير أمر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص (أفلا تتقون) أفلا تقون أنفسكم ولا تحذرون عليها عقابه فيما أنتم بصدده من الضلال (ذلكم) اشارة الى من هذه قدرته وأفعاله (ربكم الحق) الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه لمن حقق النظر (فماذا بعد الحق الا الضلال) يعني أن الحق والضلال لا واسطة بينهما فمن تخطى الحق وقع في الضلال (فأنى تصرفون) عن الحق الى الضلال وعن التوحيد الى الشرك وعن السعادة الى الشقاء (كذلك) مثل ذلك الحق (حقت كلمت ربك) أي كما حق وثبت أن الحق بعده الضلال أو كما حق أنهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك (على الذين فسقوا) أي تمردوا في كفرهم وخرجوا الى الحد الاقصى فيه و(أنهم لا يؤمنون) بدل من الكلمة أي حق عليهم انتفاء الايمان وعلم الله منهم ذلك أو حق عليهم كلمة الله أنهم من أهل الخذلان وأن ايمانهم غير كائن أو أراد بالكلمة العدة بالعذاب وأنهم لا يؤمنون تعليل بمعنى لانهم لا يؤمنون (فان قلت) كيف قيل لهم (هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده) وهم غير معترفين بالاعادة (قلت) قد وضعت اعادة الخلق لظهور برهانها موضع ما ان دفعه دافع كان مكابرا رادا للظاهر البين الذي لا مدخل للشبهة فيه دلالة على أنهم في انكارهم لها منكرون أمرا مسلما معترفا بصحته عند العقلاء وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده) فأمره بأن ينوب عنهم في الجواب يعني أنه لا يدعهم لجاجهم ومكابرتهم أن ينطقوا بكلمة الحق فكلم عنهم * يقال هداه للحق والى الحق فجمع بين اللغتين * ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قوله (أمن لا يهدي) وقرئ لا يهدي بفتح الهاء وكسرها مع تشديد الدال والاصل يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء أو كسرت لالتقاء الساكنين وقد كسرت الياء لاتباع ما بعدها * وقرئ الا أن يهدى من هداه وهداه للمبالغة ومنه قولهم تهدى ومعناه أن الله وحده هو الذي يهدي للحق بما ركب في المكلفين من العقول وأعطاهم من التمكين للنظر في الادلة التي نصبها لهم وبما لطف بهم ووفقهم وألهمهم وأخطر ببالهم ووقفهم على الشرائع فهل من شركائكم الذين جعلتم أندادا لله أحد من أشرفهم كالملائكة والمسيح وعزير يهدي الى الحق مثل هداية الله * ثم قال أفمن يهدي الى الحق هذه الهداية أحق بالاتباع أم الذي لا يهدي أي لا يهتدي بنفسه أو لا يهدي غيره الا أن يهديه الله وقيل معناه أم من لا يهتدي من الاوثان الى مكان فينتقل اليه (الا أن يهدى) الا أن ينقل أو لا يهتدي ولا يصح منه الاهتداء الا أن ينقله الله من حاله الى أن يجعله حيوانا مكلفا فيهديه (فما لكم كيف تحكمون) بالباطل حيث تزعمون أنهم أنداد الله (وما يتبع أكثرهم) في اقرارهم بالله (الا ظنا) لانه قول غير مستند الى برهان عندهم (ان الظن) في معرفة الله (لا يغني من الحق) وهو العلم (شيئا) وقيل وما يتبع أكثرهم في قولهم للاصنام انها آلهة وانها شفعاء عند الله الا الظن والمراد بالاكثر الجميع (ان الله عليم) وعيد على ما يفعلون من اتباع الظن وتقليد الآباء * وقرئ تفعلون بالتاء (وما كان هذا القرآن) افتراء (من دون الله ولكن) كان (تصديق الذي بين يديه) وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة لانه معجز دونها فهو عيار عليها وشاهد لصحتها كقوله تعالى هو الحق مصدقا لما بين يديه وقرئ ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب على ولكن هو تصديق وتفصيل ومعنى وما كان أن يفترى وما صح

وما استقام وكان محالاً أن يكون مثله فى علو أمره وإعجازه مفترى (وتفصيل الكتاب) وتبيين ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع من قوله كتاب الله عليكم (فان قلت) بم اتصل قوله (لا ريب فيه من رب العالمين) (قلت) هو داخل فى حيز الاستدراك كأنه قال ولكن كان تصديقاً وتفصيلاً منتفياً عنه الريب كائناً من رب العالمين ويجوز أن يراد ولكن كان تصديقاً من رب العالمين وتفصيلاً منه لا ريب فى ذلك فيكون من رب العالمين متعلقاً بتصديق وتفصيل ويكون لا ريب فيه اعتراضاً كما تقول زيد لا شك فيه كريم (أم يقولون افتراه) بل أيقولون اختلقه على أن الهمزة تقرير لالزام الحجة عليهم أو انكار لقولهم واستبعاد والمعنيان متقاربان (قل) ان كان الامر كما تزعمون (فأتوا) أنتم على وجه الافتراء (بسورة مثله) فأنتم مثلى فى العربية والفصاحة ومعنى بسورة مثله أى شبيهة به فى البلاغة وحسن النظم وقرئ بسورة مثله على الاضافة أى بسورة كتاب مثله (وادعوا) من دون الله (من استطعتم) من خلقه للاستعانة به على الاتيان بمثله يعنى أن الله وحده هو القادر على أن يأتى بمثله لا يقدر على ذلك أحد غيره فلا تستعينوه وحده ثم استعينوا بكل من دونه (ان كنتم صادقين) أنه افتراه (بل كذبوا) بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن وفاجؤه فى بديهة السماع قبل أن يفقهوه ويعلموا كنه أمره وقبل أن يتدبروه ويقفوا على تأويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم كالناشئ على التقليد من الحشوية اذا أحس بكلمة لا توافق ما نشأ عليه وألفه وان كانت أضوأ من الشمس فى ظهور الصحة وبيان الاستقامة أنكرها فى أول وهلة واشمأز منها قبل أن يحس ادراكها بحاسة سمعه من غير فكر فى صحة أو فساد لانه لم يشعر قلبه الا صحة مذهبه وفساد ما عداه من المذاهب (فان قلت) ما معنى التوقع فى قوله (ولما يأتهم تأويله) (قلت) معناه أنهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليداً للآباء وكذبوه بعد التدبر تمرداً وعناداً فذمهم بالتسرع الى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن أنهم علموا بعد علو شأنه واعجازه لما كرر عليهم التحدى ورازوا قواهم فى المعارضة واستيقنوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغياً وحسداً (كذلك) أى مثل ذلك التكذيب (كذب الذين من قبلهم) يعنى قبل النظر فى معجزات الانبياء وقبل تدبرها من غير انصاف من أنفسهم ولكن قلدوا الآباء وعاندوا وقيل هو فى الذين كذبوا وهم شاكون ويجوز أن يكون معنى ولما يأتهم تأويله ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب أى عاقبته حتى يتبين لهم أهو كذب أم صدق يعنى أنه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب فتسرعوا الى التكذيب به قبل أن ينظروا فى نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقبل أن يخبروا اخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه (ومنهم من يؤمن به) يصدق به فى نفسه ويعلم أنه حق ولكنه يعاند بالتكذيب * ومنهم من يشك فيه لا يصدق به أو يكون للاستقبال أى ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر (وربك أعلم بالمفسدين) بالمعاندين أو المصرين (وان كذبوك) وان تموا على تكذيبك ويئست من اجابتهم فتبرأ منهم وخلهم فقد أعذرت كقوله تعالى فان عصوك فقل انى برئ وقيل هى منسوخة بآية السيف (ومنهم من يستمعون اليك) معناه ومنهم ناس يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون وناس ينظرون اليك ويعاينون أدلة الصدق وأعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون * ثم قال أتطمع أنك تقدر على اسماع الصم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما تفرس واستدل اذا وقع فى صماخه دوى الصوت فاذا اجتمع سلب السمع والعقل جميعاً فقد تم الامر * وأتحسب أنك تقدر على هداية العمى ولو انضم الى العمى وهو فقد البصر فقد البصيرة لان الاعمى الذى له فى قلبه بصيرة قد يحدس ويتظنن وأما العمى مع الحمق فجهد البلاء يعنى أنهم فى اليأس من أن يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمى الذين لا بصائر لهم ولا عقول وقوله (أفأنت * أفأنت) دلالة على أنه لا يقدر على اسماعهم وهدايتهم الا الله عز وجل بالقسر والالجاء كما لا يقدر على رد الاصم والاعمى المسلوبى العقل حديدى السمع والبصر راجحى العقل الا هو وحده (ان الله لا يظلم الناس شيأ) أى لا ينقصهم شيأ مما يتصل بمصالحهم من بعثة الرسل وانزال الكتب * ولكنهم

يظلمون

وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين وان كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا برئ مما تعملون ومنهم من يستمعون اليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك أفأنت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون ان الله لا يظلم الناس شيأ ولكن الناس أنفسهم يظلمون ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا

قوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله (قال معناه أنهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل الخ) قال أحمد وكان التكذيب قبل الاحاطة بعلمه ربما يوهم عذراً لمكذب فجاءت كلمة لما مشعرة بأنهم قد أحاطوا بعلمه حتى تنصرم أعذارهم ويتحقق شبه أوهم والله أعلم

يظلمون أنفسهم بالكفر والتكذيب ويجوز أن يكون وعيد المكذبين يعني أن ما يلحقهم يوم القيامة من العذاب لاحق بهم على سبيل العدل والاستيجاب ولا يظلمهم الله به ولكنهم ظلموا أنفسهم باقتراف ما كان سببا فيه (الا ساعة من النهار) يستقربون وقت لبثهم في الدنيا وقيل في القبور لهول ما يرون (يتعارفون بينهم) يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتفارقوا الا قليلا وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الامر عليهم (فان قلت) كأن لم يلبثوا ويتعارفون كيف موقعهما (قلت) أما الاولى فحال من هم أي نحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة وأما الثانية فاما أن تتعلق بالظرف واما أن تكون مبينة لقوله كأن لم يلبثوا الا ساعة لان التعارف لا يبقى مع طول العهد وينقلب تناكرا (قد خسر) على ارادة القول أي يتعارفون بينهم قائلين ذلك أو هي شهادة من الله تعالى على خسرانهم والمعنى أنهم وضعوا في تجارتهم وبيعهم الايمان بالكفر (وما كانوا مهتدين) للتجارة عارفين بها وهو استئناف فيه معنى التعجب كأنه قيل ما أخسرهم (فالينا مرجعهم) جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف كأنه قيل واما نرينك بعض الذى نعدهم في الدنيا فذاك أو نتوفينك قبل أن نريكه فنحن نريكه في الآخرة (فان قلت) الله شهيد على ما يفعلون في الدارين فما معنى ثم (قلت) ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب كأنه قال ثم الله معاقب على ما يفعلون وقرأ ابن أبي عبلة ثم بالفتح أي هنالك ويجوز أن يراد أن الله مؤد شهادته على أفعالهم يوم القيامة حين ينطق جلودهم وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم شاهدة عليهم (ولكل أمة رسول) يبعث اليهم لينبههم على التوحيد ويدعوهم الى دين الحق (فاذا جاءهم رسولهم) بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه (قضى بينهم) أي بين النبي ومكذبيه (بالقسط) بالعدل فأنجي الرسول وعذب المكذبون لقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا أو ولكل أمة من الامم يوم القيامة رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان كقوله تعالى وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق (متى هذا الوعد) استعجال لما وعدوا من العذاب استبعادا له (لا أملك لنفسي ضرا) من مرض أو فقر (ولا نفعا) من صحة أو غنى (الا ما شاء الله) استثناء منقطع أي ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف أملك لكم الضرر وجلب العذاب (لكل أمة أجل) يعني ان عذابكم له أجل مضروب عند الله وحد محدود من الزمان (اذا جاء) ذلك الوقت أنجز وعدكم لا محالة فلا تستعجلوا وقرئ ابن سيرين فاذا جاء آجالهم (بياتا) نصب على الظرف بمعنى وقت بيات (فان قلت) هلا قيل ليلا أو نهارا (قلت) لانه أريد ان أتاكم عذابه وقت بيات فبيتكم وأنتم ساهون نائمون لا تشعرون كما يبيت العدو المباغت والبيات بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وكذلك قوله (نهارا) معناه في وقت أنتم فيه مشتغلون بطلب المعاش والكسب ونحوه بياتا أو هم نائمون ضحى وهم يلعبون الضمير في (منه) للعذاب والمعنى ان العذاب كله مكروه مر المذاق موجب للنفار فأي شيء يستعجلون منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال ويجوز أن يكون معناه التعجب كأنه قيل أي شيء هول شديد يستعجلون منه ويجب أن تكون من للبيان في هذا الوجه وقيل الضمير في منه لله تعالى (فان قلت) بم تعلق الاستفهام وأين جواب الشرط (قلت) تعلق بأرأيتم لان المعنى أخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال أو تعرفوا الخطأ فيه (فان قلت) فهلا قيل ماذا تستعجلون منه (قلت) أريدت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام لان من حق المجرم أن يخاف التعذيب على اجرامه ويهلك فزعا من مجيئه وان أبطأ فضلا أن يستعجله ويجوز أن يكون ماذا يستعجل منه المجرمون جوابا للشرط كقولك ان أتيتك ماذا تطعمني ثم تتعلق الجملة بأرأيتم وأن يكون (أثم اذا ما وقع آمنتم به) جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا والمعنى ان أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء في قوله أفأمن أهل القرى أوأمن أهل القرى (آلآن) على ارادة القول أي قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به (وقد كنتم به تستعجلون) يعني وقد كنتم به تكذبون لان استعجالهم كان على جهة التكذيب والانكار وقرئ آلان بحذف الهمزة التي بعد اللام والقاء حركتها على

الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين واما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فالينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون ولكل أمة رسول فاذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله لكل أمة أجل اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قل أرأيتم ان أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون أثم اذا ما وقع آمنتم به آلآن وقد كنتم به تستعجلون

---

* قوله تعالى قل أرأيتم ان أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون (قال ان قلت هلا قيل ماذا تستعجلون منه الخ) قال أحمد وفي هذا النوع البليغ نكتتان احداهما وضع الظاهر مكان المضمر والاخرى ذكر الظاهر بصيغة زائدة مناسبة للصدر وكلاهما مستقل بوجه من البلاغة والمبالغة والله أعلم

اللام (ثم قيل للذين ظلموا) عطف على قيل المضمر قبل آلآن (ويستنبئونك) ويستخبرونك فيقولون (أحق هو) وهو استفهام على جهة الانكار والاستهزاء وقرأ الاعمش آلحق هو وهو أدخل في الاستهزاء لتضمنه معنى التعريض بأنه باطل وذلك أن اللام للجنس فكأنه قيل أهو الحق لا الباطل أو أهو الذي سميتموه الحق والضمير للعذاب الموعود (اى) بمعنى نعم في القسم خاصة كما كان هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة وسمعتهم يقولون في التصديق ايو فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده (وما أنتم بمعجزين) بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة (ظلمت) صفة لنفس على ولو أن لكل نفس ظالمة (ما في الارض) أي ما في الدنيا اليوم من خزائنها وأموالها وجميع منافعها على كثرتها (لافتدت به) لجعلته فدية لها يقال فداه فافتدى ويقال افتداه أيضا بمعنى فداه (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب) لانهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ولم يخطر ببالهم وعاينوا من شدة الامر وتفاقمه ما سلبهم قواهم وبهرهم فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا ولا ما يفعله الجازع سوى اسرار الندم والحسرة في القلوب كما ترى المقدم للصلب يثخنه ما دهمه من فظاعة الخطب ويغلب حتى لا ينبس بكلمة ويبقى جامدا مبهوتا وقيل أسروا الندامة من سفلتهم الذين أضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وقيل أسروها أخلصوها اما لان اخفاءها اخلاصها واما من قولهم سر الشئ لخالصه وفيه تهكم بهم وباخطائهم وقت اخلاص الندامة وقيل أسروا الندامة أظهروها من قولهم أسر الشئ وأشره اذا أظهره وليس هنالك تجلد (وقضى بينهم) أي بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم ❊ ثم أتبع ذلك الاعلام بأن له الملك كله وأنه المثيب المعاقب وما وعده من الثواب والعقاب فهو حق وهو القادر على الاحياء والاماتة لا يقدر عليهما غيره والى حسابه وجزائه المرجع ليعلم أن الامر كذلك فيخاف ويرجى ولا يغتر به المغترون (قد جاءتكم موعظة) أي قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد (و) هو شفاء أي دواء (لما في) صدوركم من العقائد الفاسدة ودعاء الى الحق (ورحمة) لمن آمن به منكم ❊ أصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتأكيد والتقرير وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كأنه قيل ان فرحوا بشئ فليخصوهما بالفرح فانه لا مفروح به أحق منهما ويجوز أن يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا ويجوز أن يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك فبمجيئها فليفرحوا وقرئ فلتفرحوا بالتاء وهو الاصل والقياس وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى وعنه لتأخذوا مصافكم قالها في بعض الغزوات وفي قراءة أبي فافرحوا (هو) راجع الى ذلك ❊ وقرئ تجمعون بالياء والتاء وعن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام وقيل فضله الاسلام ورحمته ما وعد عليه (أرأيتم) أخبروني و (ما أنزل الله) ما في موضع النصب بأنزل أو بأرأيتم في معنى أخبرونيه (فجعلتم منه حراما وحلالا) أي أنزله الله رزقا حلالا كله فبعضتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام كقولهم هذه أنعام وحرث حجر ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا (آلله أذن لكم) متعلق بأرأيتم وقل تكرير للتوكيد والمعنى أخبروني آلله أذن لكم في التحليل والتحريم فأنتم تفعلون ذلك باذنه أم تكذبون على الله في نسبة ذلك اليه ❊ ويجوز أن تكون الهمزة للانكار وأم منقطعة بمعنى بل أتفترون على الله تقرير للافتراء وكفى بهذه الآية زاجرة زجرا بليغا عن التجوز فيما يسئل عنه من الاحكام وباعثة على وجوب الاحتياط فيه وأن لا يقول أحد في شئ جائز أو غير جائز الا بعد ايقان واتقان ومن لم يوقن فليتق الله وليصمت والا فهو مفتر على الله (يوم القيامة) منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه يعني أي شئ ظن المفترين في ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه وهو يوم الجزاء بالاحسان والاساءة وهو وعيد عظيم حيث أبهم أمره وقرأ عيسى ابن عمر وما ظن على لفظ الفعل ومعناه وأي ظن ظنوا يوم القيامة وجئ به على لفظ الماضي لانه كائن فكأن قد كان (ان الله لذو فضل على الناس) حيث أنعم عليهم بالعقل ورحمهم بالوحي وتعليم الحلال والحرام (ولكن أكثرهم لا يشكرون) هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا اليه (وما تكون في شأن) ما نافية والخطاب لرسول الله

ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون ويستنبئونك أحق هو قل اى وربي انه لحق وما أنتم بمعجزين ولو أن لكل نفس ظلمت ما في الارض لافتدت به وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ألا ان لله ما في السموات والارض ألا ان وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون هو يحيي ويميت واليه ترجعون يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون وما تكون في شأن وما تتلوا

صلى الله عليه وسلم والشأن الامر وأصله الهمز بمعنى القصد من شأنت شأنه اذا قصدت قصده والضمير في (منه) للشأن لان تلاوة القرآن شأن من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو معظم شأنه أو للتنزيل كأنه قيل وماتتلو من التنزيل من قرآن لان كل جزء منه قرآن والاضمار قبل الذكر تفخيم له أو لله عز وجل وما (تعملون) أنتم جميعا (من عمل) أي عمل كان (الا كنا عليكم شهودا) شاهدين رقباء نحصي عليكم (اذ تفيضون فيه) من أفاض في الامر اذا اندفع فيه (ومايعزب) قرئ بالضم والكسر ومايبعد ومايغيب ومنه الروض العازب (ولا أصغر من ذلك ولا أكبر) القراءة بالنصب والرفع والوجه النصب على نفي الجنس والرفع على الابتداء ليكون كلاما برأسه وفي العطف على محل من مثقال ذرة أو على لفظ مثقال ذرة فتحا في موضع الجر لامتناع الصرف اشكال لان قولك لا يعزب عنه شئ الا في كتاب مشكل (فان قلت) لم قدمت الارض على السماء بخلاف قوله في سورة سبأ عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض (قلت) حق السماء أن تقدم على الارض ولكنه لما ذكر شهادته على شؤن أهل الارض وأحوالهم وأعمالهم ووصل بذلك قوله لا يعزب عنه لاءم ذلك أن قدم الارض على السماء على أن العطف بالواو حكمه حكم التثنية (أولياء الله) الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وقد فسر ذلك في قوله (الذين آمنوا وكانوا يتقون) فهو توليهم اياه (لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) فهو توليه اياهم وعن سعيد بن جبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من أولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم يعني السمت والهيئة وعن ابن عباس رضي الله عنه الاخبات والسكينة وقيل هم المتحابون في الله وعن عمر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ماهم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله قالوا يارسول الله خبرنا من هم وما أعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ الآية الذين آمنوا نصب أو رفع على المدح أو على وصف الاولياء أو على الابتداء والخبر لهم البشرى والبشرى في الدنيا مابشر الله به المؤمنين المتقين في غير مكان من كتابه وعن النبي صلى الله عليه وسلم هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له وعنه عليه الصلاة والسلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وقيل هي محبة الناس له والذكر الحسن وعن أبي ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال تلك عاجل بشرى المؤمن وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تأتيهم الملائكة بالرحمة قال الله تعالى تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة وأما البشرى في الآخرة فتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة ومايرون من بياض وجوههم واعطاء الصحائف بأيمانهم ومايقرؤن منها وغير ذلك من البشارات (لا تبديل لكلمات الله) لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده كقوله تعالى مايبدل القول لدي و(ذلك) اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين وكلتا الجملتين اعتراض (ولا يحزنك) وقرئ ولا يحزنك من أحزنه (قولهم) تكذيبهم لك وتهديدهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال أمرك وسائر مايتكلمون به في شأنك (ان العزة لله) استئناف بمعنى التعليل كأنه قيل مالي لا أحزن فقيل ان العزة لله جميعا أي ان الغلبة والقهر في ملكة الله جميعا لا يملك أحد شيأ منهما لا هم ولا غيرهم فهو يغلبهم وينصرك عليهم كتب الله لأغلبن أنا ورسلي انا لننصر رسلنا وقرأ أبو حيوة أن العزة بالفتح بمعنى لان العزة على صريح التعليل ومن جعله بدلا من قولهم ثم أنكره فالمنكر هو تخريجه لا ما أنكر من القراءة به (هو السميع العليم) يسمع مايقولون ويعلم مايدبرون ويعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك (من في السموات ومن في الارض) يعني العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان وانما خصهم ليؤذن أن هؤلاء اذا كانوا له وفي ملكته فهم عبيد كلهم وهو سبحانه وتعالى ربهم ولا يصلح أحد منهم للربوبية ولا أن يكون شريكا له فيها فما وراءهم مما لا يعقل أحق أن لا يكون له ندا وشريكا وليدل على أن من اتخذ غيره ربا من ملك أو انسي فضلا عن صنم أو غير ذلك فهو مبطل تابع لما أدى اليه التقليد وترك النظر ومعنى ومايتبعون شركاء أي ومايتبعون حقيقة الشركاء وان

منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه ومايعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا هو السميع العليم ألا ان لله من في السموات ومن في الارض ومايتبع الذين يدعون من دون الله شركاء

كانوا يسمونهم شركاء لان شركة الله فى الربوبية محال (ان يتبعون الا) ظنهم أنها شركاء (وان هم الا يخرصون) يحزرون و يقدرون أن تكون شركاء تقديرا باطلا ويجوز أن يكون وما يتبع فى معنى الاستفهام يعنى وأى شئ يتبعون وشركاء على هذا نصب بيدعون وعلى الاول بيتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء فاقتصر على أحدهما للدلالة و يجوز أن تكون ما موصولة معطوفة على من كأنه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أى وله شركاؤهم * وقرأ على بن أبى طالب رضى الله عنه تدعون بالتاء ووجهه أن يحمل وما يتبع على الاستفهام أى وأى شئ يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين يعنى أنهم يتبعون الله و يطيعونه فما لكم لا تفعلون مثل فعلهم كقوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة فقال ان يتبع هؤلاء المشركون الا الظن ولا يتبعون ما يتبع الملائكة والنبيون من الحق * ثم نبه على عظيم قدرته ونعمته الشاملة لعباده التى يستحق بها أن يوحدوه بالعبادة بأنه جعل لهم الليل مظلما ليسكنوا فيه مما يقاسون فى نهارهم من تعب التردد فى المعاش والنهار مضيا يبصرون فيه مطالب أرزاقهم ومكاسبهم (لقوم يسمعون) سماع معتبر مدكر (سبحانه) تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء (هو الغنى) علة لنفى الولد لان ما يطلب به الولد من يلد وما يطلبه له السبب فى كله الحاجة فمن الحاجة منتفية عنه كان الولد عنه منتفيا (له ما فى السموات وما فى الارض) فهو مستغن عليه كله فهم عن اتخاذ أحد منهم ولدا (ان عندكم من سلطان بهذا) ما عندكم من حجة بهذا القول والباء حقها أن تتعلق بقوله ان عندكم على أن يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بأرضكم موز كأنه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان (أتقولون على الله ما لا تعلمون) لما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فدل على أن كل قول لا برهان عليه لقائله فذلك جهل وليس بعلم (يفترون على الله الكذب) باضافة الولد اليه (متاع فى الدنيا) أى افتراؤهم هذا منفعة قليلة فى الدنيا وذلك حيث يقيمون رياستهم فى الكفر ومناصبة النبى صلى الله عليه وسلم بالتظاهر به ثم يلقون الشقاء المؤبد بعده (كبر عليكم) عظم عليكم وشق وثقل ومنه قوله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين ويقال تعاظمه الامر (مقامى) مكانى يعنى نفسه كما تقول فعلت كذا لمكان فلان وفلان ثقيل الظل ومنه ولمن خاف مقام ربه بمعنى خاف ربه أو قيامى ومكثى بين أظهركم مددا طوالا ألف سنة الا خمسين عاما أو مقامى وتذكيرى لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا على أرجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى صلوات الله عليه أنه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود (فاجمعوا أمركم وشركاءكم) من أجمع الامر وأزمعه اذا نواه وعزم عليه قال * هل أغدون يوما وأمرى مجمع * والواو بمعنى مع يعنى فاجمعوا أمركم مع شركائكم وقرأ الحسن وشركاؤكم بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير تأكيد بالمنفصل لقيام الفاصل مقامه لطول الكلام كما تقول اضرب زيدا وعمرو وقرئ فاجمعوا من الجمع وشركاءكم نصب للعطف على المفعول أو لان الواو بمعنى مع وفى قراءة أبى فاجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم (فان قلت) كيف جاز اسناد الاجماع الى الشركاء (قلت) على وجه التهكم كقوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون (فان قلت) ما معنى الامرين أمرهم الذى يجمعونه وأمرهم الذى لا يكون عليهم غمة (قلت) أما الامر الاول فالقصد الى اهلاكه يعنى فاجمعوا ما تريدون من اهلاكى واحتشدوا فيه وابذلوا وسعكم فى كيدى وانما قال ذلك اظهارا لقلة مبالاته وثقته بما وعده ربه من كلاءته وعصمته اياه وأنهم لن يجدوا اليه سبيلا وأما الثانى ففيه وجهان أحدهما أن يراد مصاحبتهم له وما كانوا فيه معه من الحال الشديدة عليهم المكروهة عندهم يعنى ثم أهلكونى لئلا يكون عيشكم بسببى غصة وحالكم عليكم غمة أى غما وهما والغم والغمة كالكرب والكربة والثانى أن يراد به ما أريد بالامر الاول والغمة السترة من غمه اذا ستره ومنها قوله عليه السلام ولا غمة فى فرائض الله أى لا تستر ولكن يجاهر بها يعنى ولا يكن قصدكم الى اهلاكى مستورا عليكم ولكن مكشوفا مشهورا تجاهروننى به (ثم اقضوا الى) ذلك الامر الذى تريدون بى أى أدوا الى قطعه وتصحيحه كقوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر أو أدوا الى ما هو أحق عليكم عندكم من هلاكى كما يقضى الرجل غريمه (ولا تنظرون)

ان يتبعون الا الظن وانهم الا يخرصون هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغنى له ما فى السموات وما فى الارض ان عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع فى الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا الى ولا تنظرون

* قوله تعالى قالوا ان هذا لسحر مبين قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون (قال ان قلت هم قطعوا بقولهم
ان هذا لسحر مبين على أنه سحر الخ) قال أحمد وفي الفرق بين الوجهين غموض وايضاحه (٥٨٧) ان القول على الوجه الاول وقع كناية

فان توليتم فما سألتكم من أجر ان أجري الا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملئه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الارض وما نحن لكما بمؤمنين وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر

ولا تمهلوني وقرئ ثم افضوا الى بالفاء بمعنى ثم انتهوا الى بشركم وقيل هو من أفضى الرجل اذا خرج الى الفضاء أي أصحروا به الى وأبرزوه لى (فان توليتم) فان أعرضتم عن تذكيري ونصيحتي (فما سألتكم من أجر) فما كان عندي ما ينفركم عني وتتهموني لاجله من طمع في أموالكم وطلب أجر على عظتكم (ان أجري الا على الله) وهو الثواب الذي يثيبني به في الآخرة أي ما نصحتكم الا لوجه الله لا لغرض من أغراض الدنيا (وأمرت أن أكون من المسلمين) الذين لا يأخذون على تعليم الدين شيأ ولا يطلبون به دنيا يريد أن ذلك مقتضى الاسلام والذي كل مسلم مأمور به والمراد أن يجعل الحجة لازمة لهم ويبرئ ساحته فذكر أن توليهم لم يكن عن تفريط منه في سوق الامر معهم على الطريق الذي يجب أن يساق عليه وانما ذلك لعنادهم وتمردهم لا غير (فكذبوه) فتموا على تكذيبه وكان تكذيبهم له في آخر المدة المتطاولة كتكذيبهم في أوائلها وذلك عند مشارفة الهلاك بالطوفان (وجعلناهم خلائف) يخلفون الهالكين بالغرق (كيف كان عاقبة المنذرين) تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن أنذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثله وتسلية له (من بعده) من بعد نوح (رسلا الى قومهم) يعني هودا وصالحا وابراهيم ولوطا وشعيبا (فجاؤهم بالبينات) بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم (فما كانوا ليؤمنوا) فما كان ايمانهم الا ممتنعا كالمحال لشدة شكيمتهم في الكفر وتصميمهم عليه (بما كذبوا به من قبل) يريد انهم كانوا قبل بعثة الرسل أهل جاهلية مكذبين بالحق فما وقع فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرسل وقبلها كأن لم يبعث اليهم أحد (كذلك نطبع) مثل ذلك الطبع المحكم نطبع (على قلوب المعتدين) والطبع جار مجرى الكناية عن عنادهم ولجاجهم لان الخذلان يتبعه ألا ترى كيف أسند اليهم الاعتداء ووصفهم به (من بعدهم) من بعد الرسل (بآياتنا) بالآيات التسع (فاستكبروا) عن قبولها وهو أعظم الكبر أن يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبينها ويتعظموا عن تقبلها (وكانوا قوما مجرمين) كفارا ذوي آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترؤا على ردها (فلما جاءهم الحق من عندنا) فلما عرفوا أنه هو الحق وأنه من عند الله لا من قبل موسى وهرون (قالوا) لحبهم الشهوات (ان هذا لسحر مبين) وهم يعلمون أن الحق أبعد شئ من السحر الذي ليس الا تمويها وباطلا (فان قلت) هم قطعوا بقولهم ان هذا لسحر مبين على أنه سحر فكيف قيل لهم أتقولون أسحر هذا (قلت) فيه أوجه أن يكون معنى قوله (أتقولون للحق) أتعيبونه وتطعنون فيه وكان عليكم أن تذعنوا له وتعظموه من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول اذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونحو القول الذكر في قوله سمعنا فتى يذكرهم ثم قال (أسحر هذا) فأنكر ما قالوه في عيبه والطعن عليه وأن يحذف مفعول أتقولون وهو ما دل عليه قولهم ان هذا لسحر مبين كأنه قيل أتقولون ما تقولون يعني قولهم ان هذا لسحر مبين ثم قيل أسحر هذا وأن يكون جملة قوله أسحر هذا ولا يفلح الساحرون حكاية لكلامهم كأنهم قالوا أجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح (ولا يفلح الساحرون) كما قال موسى للسحرة ما جئتم به السحر ان الله سيبطله (لتلفتنا) لتصرفنا واللفت والفتل اخوان ومطاوعهما الالتفات والانفتال (عما وجدنا عليه آباءنا) يعنون عبادة الاصنام (وتكون لكما الكبرياء) أي الملك لان الملوك موصوفون بالكبر ولذلك قيل للملك الجبار ووصف بالصيد والشوس ولذلك وصف ابن الرقيات مصعبا في قوله

ملكه ملك رأفة ليس فيه * جبروت منه ولا كبرياء

ينفي ما عليه الملوك من ذلك ويجوز أن يقصدوا ذمهما وانهما ان ملكا أرض مصر تجبرا وتكبرا كما قال القبطي لموسى عليه السلام ان تريد الا أن تكون جبارا في الارض (وما نحن لكما بمؤمنين) أي مصدقين لكما فيما جئتما به * وقرئ يطبع ويكون لكما بالياء (ما جئتم به) ما موصولة واقعة مبتدأ و(السحر) خبر أي الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحرا من آيات الله وقرئ آلسحر على الاستفهام فعلى هذه

عن العيبة لا يتقاضى
مفعولا وفي الثاني على انه يطلب مفعولا والله أعلم * قوله تعالى قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله (قال ما موصولة مبتدأ
والسحر خبر أي الذي جئتم به الخ قال أحمد وليس المراد في القراءة الاولى الاخبار بان ما جاؤا به سحر خاصة ولكن مع تنزيه ما جاء به

من كونه سحرا وانما استفاد ذلك مما في هذا النظم المخصوص من افادة الحصر ولو مرت بخاطر الامام أبي المعالي في مسئلة تحريمة التكبير لم يعدل عن الاستشهاد بها على افادة هذا النظم الحصر فتأمل ان موسى عليه السلام حيث أطلقه فانما أراد اضافة السحر الى ما جاؤا به محصورا فيه حتى لا يتعدى الى الحق الذي جاء به هو منه شئ وأما القراءة الثانية ففيها والله أعلم ارشاد الى ان قول موسى عليه السلام أولا أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا حكاية لقولهم ويكون أسحر هذا هو الذي قالوه ولا يناقض ذلك حكاية الله عنهم انهم قالوا ان هذا لسحر مبين وذلك اما لانهم قالوا الامرين جميعا بدؤا بالاستفهام على سبيل الاستهتار بالحق والاستهزاء بكونه سحرا والاستهزاء بالحق انكار له بل قد يكون الاستفهام من جهة المواطن أبت من الاخبار ألا ترى أنهم يقولون في قوله أأنت أم سالم أبلغ في البت من قوله مخبرا أنت أم سالم ثم ثنوا بصيغة الخبر الخاصة ببت الانكار ودعوى انه سحر فقالوا ان هذا لسحر مبين فحكى الله تعالى عنهم هذا القول الثاني ووبخهم موسى على قولهم الاول (٥٨٨) ومعنى العبارتين ومآلهما واحد واما أن لا يكونوا قالوا سوى أسحر هذا على سبيل الانكار

ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم وان فرعون لعال في الارض وانه لمن المسرفين وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين وأوحينا الى موسى وأخيه ان تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون

القراءة ما الاستفهامية أى أى شئ جئتم به أهو السحر وقرأ عبد الله ما جئتم به سحر وقرأ أبى ما أتيتم به سحر والمعنى لا ما أتيت به (ان الله سيبطله) سيمحقه أو يظهر بطلانه باظهار المعجزة على الشعوذة (لا يصلح عمل المفسدين) لا يثبته ولا يديمه ولكن يسلط عليه الدمار (ويحق الله الحق) ويثبته (بكلماته) بأوامره وقضاياه وقرئ بكلمته بأمره ومشيئته (فما آمن لموسى) في أول أمره (الا ذرية من قومه) الا طائفة من ذرارى بنى اسرائيل كأنه قيل الا أولاد من أولاد قومه وذلك انه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون وأجابته طائفة من أبنائهم مع الخوف وقيل الضمير في قومه لفرعون والذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطته (فان قلت) الام يرجع الضمير في قوله (وملئهم) (قلت) الى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر أو لانه ذو أصحاب يأتمرون له ويجوز أن يرجع الى الذرية أى على خوف من فرعون وخوف من أشراف بنى اسرائيل لانهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى أنفسهم ويدل عليه قوله (ان يفتنهم) يريد أن يعذبهم (وان فرعون لعال في الارض) لغالب فيها قاهر (وانه لمن المسرفين) في الظلم والفساد وفي الكبر والعتو بادعائه الربوبية (ان كنتم آمنتم بالله) صدقتم به وبآياته (فعليه توكلوا) فاليه أسندوا أمركم في العصمة من فرعون * ثم شرط في التوكل الاسلام وهو أن يسلموا أنفسهم لله أى يجعلوها له سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها لان التوكل لا يكون مع التخليط ونظيره في الكلام ان ضربك زيد فاضربه ان كانت بك قوة (فقالوا على الله توكلنا) انما قالوا ذلك لان القوم كانوا مخلصين لا جرم أن الله سبحانه قبل توكلهم وأجاب دعاءهم ونجاهم وأهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء في أرضه فمن أراد أن يصلح التوكل على ربه والتفويض اليه فعليه برفض التخليط الى الاخلاص (لا تجعلنا فتنة) موضع فتنة لهم أى عذاب يعذبوننا ويفتنوننا عن ديننا أو فتنة لهم يفتتنون بنا ويقولون لو كان هؤلاء على الحق لما أصيبوا * تبوأ المكان اتخذه مباءة كقولك توطنه اذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون اليه للعبادة والصلاة فيه (واجعلوا بيوتكم) تلك (قبلة) أى مساجد متوجهة نحو القبلة وهى الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون الى الكعبة وكانوا في أول أمرهم مأمورين بأن يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون على ذلك في أول الاسلام بمكة (فان قلت) كيف نوع الخطاب فثنى أولا ثم جمع ثم وحد آخرا (قلت) خوطب موسى وهرون عليهما السلام أن يتبوآ

حسبما تقدم فحكاه الله تعالى عنهم وماله لانه يعلم ان مرادهم من الاستفهام الانكار وبت القول انه سحر وحكى موسى عليه السلام قولهم لقومهما بلفظه ولم يورده بعبارة أخرى وحكاية القصص المتلوة في الكتاب العزيز بصيغ مختلفة لا محمل لها سوى انها معان منقولة الى لغة العربية فيترجم عنها بالالفاظ المترادفة المتساوية المعاني وحاصل هذا البحث ان قول موسى عليه السلام أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا انما حكى فيه قولهم ويرشد الى ذلك انه كان أهم عندما أتوا بالسحر عن مقالتهم مستهينا فقال ما جئتم به آلسحر على قراءة الاستفهام قرضا بوفاء على السواء والذي يحقق لك ان الاستفهام والاخبار في مثل هذا المعنى مؤداهما واحد ان الله تعالى حكى قول موسى عليه السلام ما جئتم به السحر على الوجهين الخبر والاستفهام على ما قتضته القراءتان وهو قول واحد دل على ان مؤدى الامرين واحد ضرورة صدق الخبر وتحامل الزمخشري على تأويل القول بالتعييب أو اضمار مفعول تقولون استشكالا لوقوع الاستفهام محكيا بالقول والمحكي أولا عنهم الخبر وقد أوضحنا انه لا تنافر ولا تنافي بين الامرين فشد بهذا الفصل عزم التمسك فانه من دقائق النكت والله الموفق

وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين آلآن وقد عصيت قبل وكنت

لقومهما بيوتا يختارانها للعبادة وذلك مما يفوض الى الانبياء ثم سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها لان ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى عليه السلام بالبشارة التي هي الغرض تعظيما لها وللمبشر بها * الزينة ما يتزين به من لباس أو حلي أو فرش أو أثاث أو غير ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت لهم من فسطاط مصر الى أرض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت (فان قلت) ما معنى قوله (ربنا ليضلوا عن سبيلك) (قلت) هو دعاء بلفظ الامر كقوله ربنا اطمس واشدد وذلك أنه لما عرض عليهم آيات الله وبيناته عرضا مكررا وردد عليهم النصائح والمواعظ زمانا طويلا وحذرهم عذاب الله وانتقامه وأنذرهم عاقبة ما كانوا عليه من الكفر والضلال المبين ورآهم لا يزيدون على عرض الآيات الا كفرا وعلى الانذار الا استكبارا وعن النصيحة الا نبوا ولم يبق له مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول الصحبة أنه لا يجيء منهم الا الغي والضلال وأن ايمانهم كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة أو علم ذلك بوحي من الله اشتد غضبه عليهم وأفرط مقته وكراهته لحالهم فدعا الله عليهم بما علم أنه لا يكون غيره كما تقول لعن الله ابليس وأخزى الله الكفرة مع علمك أنه لا يكون غير ذلك وليشهد عليهم بأنه لم يبق له فيهم حيلة وأنهم لا يستأهلون الا أن يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم يتسكعون فيه كأنه قال ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال وليكونوا ضلالا وليطبع الله على قلوبهم فلا يؤمنوا وما على منهم هم أحق بذلك وأحق كما يقول الاب المشفق لولده الشاطر اذا ما لم يقبل منه حسرة على ما فاته من قبول نصيحته وحردا عليه لا لان يريد خلاعته واتباعه هواه * ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الايمان (فلا يؤمنوا) جواب للدعاء الذي هو اشدد أو دعاء بلفظ النهي وقد حملت اللام في ليضلوا على التعليل على أنهم جعلوا نعمة الله سببا في الضلال فكأنهم أوتوها ليضلوا وقوله فلا يؤمنوا عطف على ليضلوا وقوله ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم دعاء معترض بين المعطوف والمعطوف عليه * وقرأ الفضل الرقاشي أئنك آتيت على الاستفهام واطمس بضم الميم * وقرئ دعواتكما قيل كان موسى يدعو وهرون يؤمن ويجوز أن يكونا جميعا يدعوان والمعنى ان دعاءكما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن في وقته (فاستقيما) فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة والزيادة في الزام الحجة فقد لبث نوح عليه السلام في قومه ألف عام الا قليلا ولا تستعجلا قال ابن جريج فمكث موسى بعد الدعاء أربعين سنة (ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) أي لا تتبعا طريق الجهلة بعادة الله في تعليق الامور بالمصالح ولا تعجلا فان العجلة ليست بمصلحة وهذا كما قال لنوح عليه السلام اني أعظك أن تكون من الجاهلين * وقرئ ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية وبتخفيف التاء من تبع * قرأ الحسن وجوزنا من أجاز المكان وجوزه وجاوزه وليس من جوز الذي في بيت الاعشى

* واذا تجوزها حبال قبيلة *

لانه لو كان منه لكان حقه أن يقال وجوزنا بني اسرائيل في البحر كما قال

* كما جوز السكي في الباب فيتق *

(فأتبعهم) فلحقهم يقال تبعته حتى أتبعته * وقرأ الحسن وعدوا وقرئ أنه بالفتح على حذف الباء التي هي صلة الايمان وانه بالكسر على الاستئناف بدلا من آمنت * كرر المخذول المعنى الواحد ثلاث مرات في ثلاث عبارات حرصا على القبول ثم لم يقبل منه حيث أخطأ وقته وقاله حين لم يبق له اختيار قط وكانت المرة الواحدة كافية في حال الاختيار وعند بقاء التكليف (آلآن) أتؤمن الساعة في وقت الاضطرار حين أدركك الغرق وأيست من نفسك قيل قال ذلك حين ألجمه الغرق يعني حين أوشك أن يغرق وقيل قاله بعد أن غرق في نفسه والذي يحكى أنه حين قال آمنت أخذ جبريل من حال البحر فدسه في

* قوله تعالى وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك (قال قلت هو دعاء بلفظ الامر الخ) قال أحمد وهذا من اعتزاله الخفي الذي هو أدق من دبيب النمل يكاد الاطلاع عليه أن يكون كشفا ووجه ذلك انه علم ان الظاهر بل والباطن ان اللام للتعليل وان الفعل منصوب بها ومعنى ذلك اخبار موسى عليه السلام بان الله انما أمدهم بالزينة والاموال وما يتبعهما من النعم استدراجا ليزدادوا اثما وضلالة كما أخبر تعالى عن امثالهم بقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما وهذا المعنى منتظم على جعل اللام للتعليل والزمخشري بنى على القاعدة الفاسدة في استحالة ذلك على الله تعالى لاعتقاده ان من الجور ان يملي لهم في الضلالة ويعاقبهم عليها فهو متبتل لما يرد من الآيات بعمل الحيلة في تأويلها وردها الى معتقده وجعلها تبعا له كما تقدم له تأويل قوله ليزدادوا اثما وكأين من آية غرامه ان يسترغمها ويطفئ نورها بامثال هذه التأويلات الرديئة لفظا وعقدا ويأبى الله الا أن يتم نوره ثم لا يسعه الا أن يحمل موسى عليه السلام على امثال هذه المعتقدات ولقد برأه الله وكان عند الله وجيها * قوله تعالى آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين (قال معناه أتؤمن الساعة في وقت اضطرارك حين أدركك الغرق الخ) قال أحمد

فيه فالغضب لله على الكافر في وقت قد علم أن ايمانه لا ينفعه وأما ما يضم اليه من قولهم خشية أن تدركه رحمة الله فمن زيادات الباهتين لله وملائكته وفيه جهالتان احداهما أن الايمان يصح بالقلب كايمان الاخرس فحال البحر لا يمنعه والاخرى أن من كره ايمان الكافر وأحب بقاءه على الكفر فهو كافر لأن الرضا بالكفر كفر (من المفسدين) من الضالين المضلين عن الايمان كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وروى أن جبريل عليه السلام أتاه بفتيا ما قول الامير في عبد رجل نشأ في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون فيه يقول أبو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماه أن يغرق في البحر فلما ألجمه الغرق ناوله جبريل خطه فعرفه (ننجيك) بالتشديد والتخفيف نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر وقيل نلقيك بنجوة من الارض * وقرئ ننحيك بالحاء نلقيك بناحية مما يلي البحر وذلك أنه طرح بعد الغرق بجانب البحر قال كعب رماه الماء الى الساحل كأنه ثور (ببدنك) في موضع الحال أي في الحال التي لا روح فيك وانما أنت بدن أو ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شئ ولم يتغير أو عريانا لست الا بدنا من غير لباس أو بدرعك قال عمرو بن معديكرب

أعاذل شكتي بدني وسيفي * وكل مقاص سابس القياد

وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرأ أبو حنيفة رحمه الله بابدانك وهو على وجهين اما أن يكون مثل قولهم هوى باجرامه يعني ببدنك كله وافيا باجزائه أو يريد بدروعك كأنه كان مظاهرا بينها (لمن خلفك آية) لمن وراءك من الناس علامة وهم بنو اسرائيل وكان في أنفسهم أن فرعون أعظم شأنا من أن يغرق وروى أنهم قالوا ما مات فرعون ولا يموت أبدا وقيل أخبرهم موسى بهلاكه فلم يصدقوه فألقاه الله على الساحل حتى عاينوه وكأن مطرحه كان على ممر من بني اسرائيل حتى قيل لمن خلفك وقيل لمن خلفك لمن يأتي بعدك من القرون ومعنى كونه آية أن تظهر للناس عبوديته ومهانته وأن ما كان يدعيه من الربوبية باطل محال وأنه مع ما كان فيه من عظم الشأن وكبرياء الملك آل أمره الى ما ترون لعصيانه ربه عز وجل فما الظن بغيره أو لتكون عبرة تعتبر بها الامم بعدك فلا يجترئوا على نحو ما اجترأت عليه اذا سمعوا بحالك وبهوانك على الله * وقرئ لمن خلقك بالقاف أي لتكون لخالقك آية كسائر آياته ويجوز أن يراد ليكون طرحك على الساحل وحدك وتمييزك من بين المغرقين لئلا يشتبه على الناس أمرك ولئلا يقولوا لادعائك العظمة ان مثله لا يغرق ولا يموت آية من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره وليعلموا أن ذلك تعمد منه لاماطة الشبهة في أمرك (مبوأ صدق) منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام (فما اختلفوا) في دينهم وما تشعبوا فيه شعبا الا من بعد ما قرؤا التوراة وكسبوا العلم بدين الحق ولزمهم الثبات عليه واتحاد الكلمة وعلموا ان الاختلاف فيه تفرق عنه وقيل هو العلم بمحمد صلى الله عليه وسلم واختلاف بني اسرائيل وهم أهل الكتاب اختلافهم في صفته ونعته وانه هو أم ليس به بعد ما جاءهم العلم والبيان أنه هو لم يرتابوا فيه كما قال الله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم (فان قلت) كيف قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم (فان كنت في شك مما أنزلنا اليك) مع قوله في الكفرة وانهم لفي شك منه مريب (قلت) فرق عظيم بين قوله وانهم لفي شك منه مريب باثبات الشك لهم على سبيل التأكيد والتحقيق وبين قوله فان كنت في شك بمعنى الفرض والتمثيل كأنه قيل فان وقع لك شك مثلا وخيل لك الشيطان خيالا منه تقديرا (فاسئل الذين يقرؤن الكتاب) والمعنى أن الله عز وجل قدم ذكر بني اسرائيل وهم قرأة الكتاب ووصفهم بان العلم قد جاءهم لان أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب عندهم في التوراة والانجيل وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فأراد أن يؤكد علمهم بصحة القرآن وصحة نبوة محمد عليه السلام ويبالغ في ذلك فقال فان وقع لك شك فرضا وتقديرا وسبيل من خالجته شبهة في الدين أن يسارع الى حلها واماطتها اما بالرجوع الى قوانين الدين وأدلته واما بمقادحة العلماء المنبهين على الحق فسل علماء أهل الكتاب يعني أنهم من الاحاطة بصحة ما أنزل اليك وقتلها علما بحيث يصلحون لمراجعة مثلك ومساءلتهم فضلا عن غيرك فالغرض وصف الاحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما أنزل الى رسول

من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك

ولقد أنكر منكرا وغضب لله والملائكته كما يجب لهم والله الموفق * قوله تعالى فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك (قال ان قلت كيف قال له عليه السلام فان كنت في شك مع قوله في الكفرة وانهم لفي شك منه مريب الخ) قال أحمد ولو قال هذا المفسر ان نفي الشك عنه عليه الصلاة والسلام توطئة لامره بالسؤال لتقوم حجته على المسؤلين لا ليستفيد بسؤالهم علما لمزيد تعين الاراء بقوله قل لمن ما في السموات والارض قل لله فأمره بالسؤال والجواب جميعا لكان أقوم وأسلم والله أعلم

لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ان الذين حقت عليهم كلمت ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قل انظروا

الله لا وصف رسول الله بالشك فيه ثم قال (لقد جاءك الحق من ربك) أى ثبت عندك بالآيات والبراهين القاطعة أن ما أتاك هو الحق الذى لا مدخل فيه للمرية (فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله) أى فاثبت ودم على ما أنت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب بآيات الله ويجوز أن يكون على طريقة التهييج والالهاب كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ أنزلت اليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلام عند نزوله لا أشك ولا أسأل بل أشهد أنه الحق وعن ابن عباس رضى الله عنه لا والله ما شك طرفة عين ولا سأل أحدا منهم وقيل خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد خطاب أمته ومعناه فان كنتم فى شك مما أنزلنا اليكم كقوله وأنزلنا اليكم نورا مبينا وقيل الخطاب للسامع ممن يجوز عليه الشك كقول العرب اذا عز أخوك فهن وقيل ان للنفى أى فما كنت فى شك فاسأل يعنى لا نأمرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد ابراهيم عليه السلام بمعاينة احياء الموتى وقرئ فاسئل الذين يقرؤن الكتب (حقت عليهم كلمة ربك) ثبت عليهم قول الله الذى كتبه فى اللوح وأخبر به الملائكة أنهم يموتون كفارا فلا يكون غيره وتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدر ومراد تعالى الله عن ذلك (فلولا كانت) فهلا كانت (قرية) واحدة من القرى التى أهلكناها تابت عن الكفر وأخلصت الايمان قبل المعاينة ولم تؤخر كما أخر فرعون الى أن أخذ بمخنقه (فنفعها ايمانها) بأن يقبله الله منها لوقوعه فى وقت الاختيار وقرأ أبى وعبد الله فهلا كانت (الا قوم يونس) استثناء من القرى لان المراد أهاليها وهو استثناء منقطع بمعنى ولكن قوم يونس لما آمنوا ويجوز أن يكون متصلا والجملة فى معنى النفى كأنه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس وانتصابه على أصل الاستثناء وقرئ بالرفع على البدل هكذا روى عن الجرمى والكسائى روى أن يونس عليه السلام بعث الى نينوى من أرض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا أربعين ليلة وقيل قال لهم يونس ان أجلكم أربعون ليلة فقالوا ان رأينا أسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلاثون أغامت السماء غيما أسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب وأولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج وأظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا فرحمهم الله وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود بلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه أساس بنائه فيرده وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حى حين لا حى ويا حى محيى الموتى ويا حى لا اله الا أنت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم منها وأجل افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله (ولو شاء ربك) مشيئة القسر والالجاء (لآمن من فى الارض كلهم) على وجه الاحاطة والشمول (جميعا) مجتمعين على الايمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه ألا ترى الى قوله (أفأنت تكره الناس) يعنى انما يقدر على اكراههم واضطرارهم الى الايمان هو لا أنت وايلاء الاسم حرف الاستفهام للاعلام بأن الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الشأن فى المكره من هو وما هو الا هو وحده لا يشارك فيه لانه هو القادر على أن يفعل فى قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر (وما كان لنفس) يعنى من النفوس التى علم أنها تؤمن (الا باذن الله) أى بتسهيله وهو منح الالطاف (ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون) قابل الاذن بالرجس وهو الخذلان والنفس المعلوم ايمانها بالذين لا يعقلون وهم المصرون على الكفر كقوله صم بكم عمى فهم لا يعقلون وسمى الخذلان رجسا وهو العذاب لانه سببه وقرئ الرجز بالزاى

• قوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا (قال المراد مشيئة القسر والالجاء) قال أحمد وهذا من دسه الاعتزال مخلسا وخلط الباطل بالحق مدلسا ولما علم أن الآية تقتضى عدم مشيئة الله تعالى لايمان الخلق (٥٩١) بصيغة الكلية وانه انما شاء ذلك ممن آمن لا ممن كفر اذ مقتضى لولا امتناع وكان ذلك رد المعتقده الفاسد اذ يزعمون ان الله تعالى شاء الايمان من جميع أهل الارض فلم يؤمن الا بعضهم أخذ يحرف مشيئة الايمان الى مشيئة القسر والالجاء ليتم له ان المشيئة المرادة فى الآية لم تقع لانا نوافقه على ان الله تعالى ما قسر الخلق ولا سلب اختيارهم بل أمرهم بالايمان وخلق لهم اختيارا له وقصده وهذا كما ترى لا يعد فى التأويل بل هو أجدر بالتعطيل فوجب رده واقرار الظاهر على حاله نعوذ بالله من زيغ الشيطان واضلاله والله الموفق

ماذا في السموات والارض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون فهل ينتظرون الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننج المؤمنين قل يا أيها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين

وقرئ ونجعل بالنون (ماذا في السموات والارض) من الآيات والعبر (وما تغني الآيات والنذر) والرسل المنذرون أو الانذارات (عن قوم لا يؤمنون) لا يتوقع ايمانهم وهم الذين لا يعقلون وقرئ وما يغني بالياء وما نافية أو استفهامية (أيام الذين خلوا من قبلهم) وقائع الله تعالى فيهم كما يقال أيام العرب لوقائعها (ثم ننجي رسلنا) معطوف على كلام محذوف يدل عليه قوله الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم كأنه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا على حكاية الاحوال الماضية (والذين آمنوا) ومن آمن معهم * كذلك ننج المؤمنين مثل ذلك الانجاء ننجي المؤمنين منكم ونهلك المشركين و(حقا علينا) اعتراض يعني حق ذلك علينا حقا وقرئ ننج بالتشديد (يا أيها الناس) يا أهل مكة (ان كنتم في شك من ديني) وصحته وسداده فهذا ديني فاسمعوا وصفه واعرضوه على عقولكم وانظروا فيه بعين الانصاف لتعلموا أنه دين لا مدخل فيه للشك وهو اني لا أعبد الحجارة التي تعبدونها من دون من هو الهكم وخالقكم (ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم) وانما وصفه بالتوفي ليريهم أنه الحقيق بان يخاف ويتقى فيعبد دون ما لا يقدر على شئ (وأمرت أن أكون من المؤمنين) يعني أن الله أمرني بذلك بما ركب في من العقل وبما أوحى الي في كتابه وقيل معناه ان كنتم في شك من ديني ومما أنا عليه أأثبت عليه أم أتركه وأوافقكم فلا تحدثوا أنفسكم بالمحال ولا تشكوا في أمري واقطعوا عني أطماعكم واعلموا أني لا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولا أختار الضلالة على الهدى كقوله قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون أمرت أن أكون أصله بأن أكون فحذف الجار وهذا الحذف يحتمل أن يكون من الحذف المطرد الذي هو حذف الحروف الجارة مع أن وأن وأن يكون من الحذف غير المطرد وهو قوله أمرتك الخير فاصدع بما تؤمر (فان قلت) عطف قوله (وأن أقم) على أن أكون فيه اشكال لان أن لا تخلو من أن تكون التي للعبارة أو التي تكون مع الفعل في تأويل المصدر فلا يصح أن تكون للعبارة وان كان الامر مما يتضمن معنى القول لان عطفها على الموصولة يأبى ذلك والقول بكونها موصولة مثل الاولى لا يساعد عليه لفظ الامر وهو أقم لان الصلة حقها أن تكون جملة تحتمل الصدق والكذب (قلت) قد سوغ سيبويه أن توصل أن بالامر والنهي وشبه ذلك بقولهم أنت الذي تفعل على الخطاب لان الغرض وصلها بما تكون معه في معنى المصدر والامر والنهي دالان على المصدر دلالة غيرهما من الافعال أقم وجهك استقم اليه ولا تلتفت يمينا ولا شمالا و(حنيفا) حال من الدين أو من الوجه (فان فعلت) معناه فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكني عنه بالفعل ايجازا (فانك اذا من الظالمين) اذا جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كأن سائلا سأل عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لانه لا ظلم أعظم من الشرك ان الشرك لظلم عظيم * أتبع النهي عن عبادة الاوثان ووصفها بأنها لا تنفع ولا تضر أن الله عز وجل هو الضار النافع الذي ان أصابك بضر لم يقدر على كشفه الا هو وحده دون كل أحد فكيف بالجماد الذي لا شعور به وكذلك ان أرادك بخير لم يرد أحد ما يريده بك من فضله واحسانه فكيف بالاوثان فهو الحقيق اذا بأن توجه اليه العبادة دونها وهو أبلغ من قوله ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته (فان قلت) لم ذكر المس في أحدهما والارادة في الثاني (قلت) كأنه أراد أن يذكر الامرين جميعا الارادة والاصابة في كل واحد من الضر والخير وأنه لا راد لما يريده منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فأوجز الكلام بأن ذكر المس وهو الاصابة في أحدهما والارادة في الآخر ليدل بما ذكر على ما ترك على أنه قد ذكر الاصابة بالخير في قوله تعالى (يصيب به من يشاء من عباده) والمراد بالمشيئة مشيئة المصلحة (قد جاءكم الحق) فلم يبق لكم عذر ولا على الله حجة فمن اختار الهدى واتباع الحق فما نفع باختياره الا نفسه ومن آثر الضلال فما ضر الا نفسه واللام وعلى دلا على معنى النفع والضر * وكل اليهم الامر بعد ابانة الحق وازاحة العلل وفيه حث على ايثار الهدى واطراح الضلال مع ذلك (وما أنا عليكم بوكيل) بحفيظ موكول الي أمركم وحملكم على ما أريد انما أنا بشير ونذير (واصبر) على دعوتهم واحتمال أذاهم واعراضهم (حتى يحكم الله) لك بالنصرة عليهم والغلبة وروي أنها لما نزلت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار فقال انكم ستجدون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني يعني

انى أمرت فى هذه الآية بالصبر على ما سامتنى الكفرة فصبرت فاصبر وأنتم على ما يسومكم الامراء الجورة قال أنس فلم نصبر وروى أن أبا قتادة تخلف عن تلقى معاوية حين قدم المدينة وقد تلقته الانصار ثم دخل عليه من بعد فقال له مالك لم تتلقنا قال لم تكن عندنا دواب قال فأين النواضح قال قطعناها فى طلبك وطلب أبيك يوم بدر وقد قال صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار انكم ستلقون بعدى أثرة قال معاوية فماذا قال قال فاصبروا حتى تلقونى قال فاصبر قال اذن نصبر فقال عبد الرحمن بن حسان

ألا أبلغ معاوية بن حرب * أمير الظالمين ثنا كلامى

بأنا صابرون فنظروكم * الى يوم التغابن والخصام

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

﴿سورة هود عليه السلام مكية وهى مائة وثلاث وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(أحكمت آياته) نظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم المرصف ويجوز أن يكون نقلا بالهمزة من حكم بضم الكاف اذا صار حكيما أى جعلت حكيمة كقوله تعالى آيات الكتاب الحكيم وقيل منعت من الفساد من قولهم أحكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح قال جرير

أبنى حنيفة أحكموا سفهاءكم * انى أخاف عليكم أن أغضبا

وعن قتادة أحكمت من الباطل (ثم فصلت) كما تفصل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد والاحكام والمواعظ والقصص أو جعلت فصولا سورة سورة وآية آية أو فرقت فى التنزيل ولم تنزل جملة واحدة أو فصل فيها ما يحتاج اليه العباد أى بين ولخص وقرئ أحكمت آياته ثم فصلت أى أحكمتها أنا ثم فصلتها وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت أى فرقت بين الحق والباطل (فان قلت) ما معنى ثم (قلت) ليس معناها التراخى فى الوقت ولكن فى الحال كما تقول هى محكمة أحسن الاحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل وفلان كريم الاصل ثم كريم الفعل وكتاب خبر مبتدا محذوف وأحكمت صفة له وقوله (من لدن حكيم خبير) صفة ثانية ويجوز أن يكون خبرا بعد خبر وأن يكون صلة لاحكمت وفصلت أى من عنده احكامها وتفصيلها وفيه طباق حسن لان المعنى أحكمها حكيم وفصلها أى بينها وشرحها خبير عالم بكيفيات الامور (ألا تعبدوا) مفعول له على معنى لئلا تعبدوا أو تكون أن مفسرة لان فى تفصيل الآيات معنى القول كأنه قيل قال لا تعبدوا الا الله أو أمركم أن لا تعبدوا الا الله (وأن استغفروا) أى أمركم بالتوحيد والاستغفار ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ منقطعا عما قبله على لسان النبى صلى الله عليه وسلم اغراء منه على اختصاص الله بالعبادة ويدل عليه قوله اننى لكم منه نذير وبشير كأنه قال ترك عبادة غير الله اننى لكم منه نذير كقوله تعالى فضرب الرقاب والضمير فى منه لله عز وجل أى اننى لكم نذير وبشير من جهته كقوله رسول من الله أو هى صلة لنذير أى أنذركم منه ومن عذابه ان كفرتم وأبشركم بثوابه ان آمنتم (فان قلت) ما معنى ثم فى قوله (ثم توبوا اليه) (قلت) معناه استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة أو استغفروا والاستغفار توبة ثم أخلصوا التوبة واستقيموا عليها كقوله ثم استقاموا (يمتعكم) يطول نفعكم فى الدنيا بمنافع حسنة مرضية من عيشة واسعة ونعمة متتابعة (الى أجل مسمى) الى أن يتوفاكم كقوله فلنحيينه حياة طيبة (ويؤت كل ذى فضل فضله) ويعط فى الآخرة كل من كان له فضل فى العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس منه أو فضله فى الثواب والدرجات تتفاضل فى الجنة على قدر تفاضل الطاعات (وان تولوا) وان تتولوا (عذاب يوم كبير) هو يوم القيامة وصف بالكبر كما وصف بالعظم والثقل * وبين عذاب اليوم الكبير بأن مرجعهم الى من هو قادر على كل شئ فكان قادرا على أشد ما أراد من عذابهم لا يعجزه وقرئ وان تولوا من ولى (يثنون صدورهم) يزورون عن الحق

﴿سورة هود عليه السلام مكية وهى مائة وثلاث وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ألا تعبدوا الا الله اننى لكم منه نذير وبشير وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى أجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضله وان تولوا فانى أخاف عليكم عذاب يوم كبير الى الله مرجعكم وهو على كل شئ قدير الا انهم يثنون صدورهم

ويصرفون عنه لان من أقبل على الشئ استقبله بصدره ومن ازورّ عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى
عنه كشحه (ليستخفوا منه) يعنى ويريدون ليستخفوا من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم
ونظير اضمار يريدون لعود المعنى الى اضماره الاضمار فى قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق معناه
فضرب فانفلق ومعنى (ألا حين يستغشون ثيابهم) ويريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم أيضا
كراهة لاستماع كلام الله تعالى كقول نوح عليه السلام جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم ثم قال
(يعلم ما يسرون وما يعلنون) يعنى أنه لا تفاوت فى علمه بين اسرارهم واعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى
ما يريدون من الاستخفاء والله مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافق عنده روى أنها
نزلت فى الاخنس بن شريق وكان يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة وله منطق حلو وحسن سياق
للحديث فكان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم مجالسته ومحادثته وهو يضمر خلاف ما يظهر وقيل نزلت
فى المنافقين * وقرئ تثنونى صدورهم وتثنونى افعوعل من الثنى كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة
قرئ بالتاء والياء وعن ابن عباس لتثنونى وقرئ تثنون وأصله تثنونن تفعوعل من الثن وهو ما هش وضعف
من الكلأ يريد مطاوعة صدورهم للثنى كما ينثنى الهش من النبات أو أراد ضعف ايمانهم ومرض قلوبهم
وقرئ تثنئن من اثنأن افعال منه ثم همز كما قيل ابيأضت وادهأمت وقرئ تثنوى بوزن ترعوى (فان قلت)
كيف قال (على الله رزقها) بلفظ الوجوب وانما هو تفضل (قلت) هو تفضل الا أنه لما ضمن أن يتفضل به
عليهم رجع التفضل واجبا كنذور العباد * والمستقر مكانه من الارض ومسكنه * والمستودع حيث كان
مودعا قبل الاستقرار من صلب أو رحم أو بيضة (كل) كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها
فى اللوح يعنى ذكرها مكتوب فيه مبين (وكان عرشه على الماء) أى ما كان تحته خلق قبل خلق السموات
والارض وارتفاعه فوقها الا الماء وفيه دليل على أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والارض
وقيل وكان الماء على متن الريح والله أعلم بذلك وكيفما كان فالله ممسك كل ذلك بقدرته وكلما ازدادت الاجرام
كانت أحوج اليه والى امساكه (ليبلوكم) متعلق بخلق أى خلقهن لحكمة بالغة وهى أن يجعلها مساكن
لعباده وينعم عليهم فيها بفنون النعم ويكلفهم الطاعات واجتناب المعاصى فمن شكر وأطاع أثابه ومن كفر
وعصى عاقبه ولما أشبه ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم يريد ليفعل بكم ما يفعل المبتلى لاحوالكم كيف تعملون
(فان قلت) كيف جاز تعليق فعل البلوى (قلت) لما فى الاختبار من معنى العلم لانه طريق اليه فهو ملابس
له كما تقول انظر أيهم أحسن وجها واسمع أيهم أحسن صوتا لان النظر والاستماع من طرق العلم (فان قلت)
كيف قيل (أيكم أحسن عملا) وأعمال المؤمنين هى التى تتفاوت الى حسن وأحسن فأما أعمال المؤمنين
والكافرين فتفاوتها الى حسن وقبيح (قلت) الذين هم أحسن عملا هم المتقون وهم الذين استبقوا الى
تحصيل ما هو غرض الله من عباده فخصهم بالذكر واطرح ذكر من وراءهم تشريفا لهم وتنبيها على
مكانهم منه وليكون ذلك لطفا للسامعين وترغيبا فى حيازة فضلهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم ليبلوكم أيكم
أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع فى طاعة الله * وقرئ ولئن قلت انكم مبعوثون بفتح الهمزة ووجهه
أن يكون من قولهم ائت السوق أنك تشترى لنا لحما وأنك تشترى بمعنى علك أى ولئن قلت لهم لعلكم
مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم وظنوه ولا تبتوا القول بانكاره لقالوا (ان هذا الا سحر مبين) باتين القول
ببطلانه ويجوز أن تضمن قلت معنى ذكرت ومعنى قولهم ان هذا الا سحر مبين ان السحر أمر باطل وأن
بطلانه كبطلان السحر تشبيها له به أو أشاروا بهذا الى القرآن لان القرآن هو الناطق بالبعث فاذا جعلوه
سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث وغيره وقرئ ان هذا الا ساحر يريدون الرسول والساحر كاذب
مبطل (العذاب) عذاب الآخرة وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس قتل جبريل المستهزئين (الى أمة)
الى جماعة من الاوقات (ما يحبسه) ما يمنعه من النزول استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزاء (يوم
يأتيهم) منصوب بخبر ليس ويستدل به من يستجيز تقديم خبر ليس على ليس وذلك أنه اذا جاز تقديم معمول

خبرها

ليستخفوا منه ألا حين
يستغشون ثيابهم يعلم
ما يسرون وما يعلنون
انه عليم بذات الصدور
وما من دابة فى الارض
الا على الله رزقها ويعلم
مستقرها ومستودعها
كل فى كتاب مبين وهو
الذى خلق السموات
والارض فى ستة أيام
وكان عرشه على الماء
ليبلوكم أيكم أحسن عملا
ولئن قلت انكم مبعوثون
من بعد الموت ليقولن
الذين كفروا ان هذا
الا سحر مبين ولئن أخرنا
عنهم العذاب الى أمة
معدودة ليقولن
ما يحبسه ألا يوم يأتيهم
ليس مصروفا

﴿القول فى سورة هود عليه السلام﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها (قال ان قلت كيف قال على الله رزقها بلفظ الوجوب الخ) قال أحمد كل ما يسديه الله تعالى من رزق أو نعمة أو مكافأة فى الدنيا أو ثواب فى الآخرة فذلك كله فضل ولا واجب على الله تعالى وان ورد مثل هذه الصيغة فمحمول على ان الله عز وجل لما وعدهم فضله ووعده وخبره صدق وجب وقوع

خبرها عليها كان ذلك دليلا على جواز تقديم خبرها اذ المعمول تابع للعامل فلا يقع الا حيث يقع العامل (وحاق بهم) وأحاط بهم (ما كانوا به يستهزؤن) العذاب الذى كانوا به يستعجلون وانما وضع يستهزؤن موضع يستعجلون لان استعجالهم كان على جهة الاستهزاء والمعنى ويحيق بهم الا أنه جاء على عادة الله فى اخباره (الانسان) للجنس (رحمة) نعمة من صحة وأمن وجدة (ثم نزعناها منه) ثم سلبناه تلك النعمة (انه ليؤس) شديد اليأس من أن تعود اليه مثل تلك النعمة المسلوبة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه ولا استرجاع (كفور) عظيم الكفران لما سلف له من التقلب فى نعمة الله نساء له (ذهب السيآت عنى) أى المصائب التى ساءتنى (انه لفرح) أشر بطر (فخور) على الناس بما أذاقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر (الا الذين) آمنوا فان عادتهم ان نالتهم رحمة أن يشكروا وان زالت عنهم نعمة أن يصبروا * كانوا يقترحون عليه آيات تعنتا لا استرشادا لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية فى رشادهم ومن اقتراحاتهم لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به وبغيره مما جاء به من البينات فكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلقى اليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه فحرك الله منه وهيجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله (فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك) أى لعلك تترك أن تلقيه اليهم وتبلغه اياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به (وضائق به صدرك) بأن تتلوه عليهم (أن يقولوا) مخافة أن يقولوا (لولا أنزل عليه كنز) أى هلا أنزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة ولم أنزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ثم قال (انما أنت نذير) أى ليس عليك الا أن تنذرهم بما أوحى اليك وتبلغهم ما أمرت بتبليغه ولا عليك ردوا أو تهاونوا أو اقترحوا (والله على كل شئ وكيل) يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب أن يفعل فتوكل عليه وكل أمرك اليه وعليك بتبليغ الوحى بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت الى استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم (فان قلت) لم عدل عن ضيق الى ضائق (قلت) ليدل على أنه ضيق عارض غير ثابت لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أفسح الناس صدرا ومثله قولك زيد سيد وجواد تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين فاذا أردت الحدوث قلت سائد وجائد ونحوه كانوا قوما عامين فى بعض القرآت وقول السمهرى العكلى

بمنزلة أما اللئيم فسامن * بها وكرام الناس بادشحوبها

(أم) منقطعة * والضمير فى (افتراه) لما يوحى اليك * تحداهم أولا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخاير فى الخط لصاحبه اكتب عشرة أسطر نحو ما أكتب فاذا تبين له العجز عن مثل خطه قال قد اقتصرت منك على سطر واحد (مثله) بمعنى أمثاله ذهابا الى مماثلة كل واحدة منها له (مفتريات) صفة لعشر سور لما قالوا افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله قاودهم على دعواهم وأرخى معهم العنان وقال هبوا أنى اختلقته من عند نفسى ولم يوح الى وأن الامر كما قلتم فأتوا أنتم أيضا بكلام مثله مختلق من عند أنفسكم فأنتم عرب فصحاء مثلى لا تعجزون عن مثل ما أقدر عليه من الكلام (فان قلت) كيف يكون ما يأتون به مثله وما يأتون به مفترى وهذا غير مفترى (قلت) معناه مثله فى حسن البيان والنظم وان كان مفترى (فان قلت) ما وجه جمع الخطاب بعد افراده وهو قوله لكم فاعلموا بعد قوله قل (قلت) معناه فان لم يستجيبوا لك وللمؤمنين لان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كانوا يتحدونهم وقد قال فى موضع آخر فان لم يستجيبوا لك فاعلم ويجوز أن يكون الجمع لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله * فان شئت حرمت النساء سواكم * ووجه آخر وهو أن يكون الخطاب للمشركين والضمير فى لم يستجيبوا لمن استطعتم يعنى فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله الى المظاهرة على معارضته لعلمهم بالعجز عنه وأن طاقتهم أقصر من أن تبلغه (فاعلموا انما أنزل بعلم الله) أى أنزل ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لا سبيل لهم اليه (و) اعلموا عند ذلك (أن لا اله الا الله) وحده وأن توحيده واجب والاشراك به ظلم عظيم (فهل أنتم مسلمون) مبايعون بالاسلام بعد هذه الحجة القاطعة وهذا وجه حسن مطرد ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه

عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيآت عنى انه لفرح فخور الا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك انما أنت نذير والله على كل شئ وكيل أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما أنزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل أنتم مسلمون من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها

الموعود أى يستحيل فى العقل ان لا يقع لمزوم الخلف فى خبر الصادق فعبر عن ذلك بما يعبر به عن وجوب التكليف وبينهما هذا الفرق المذكور هذه قاعدة أهل الحق وقد مر الكلام عليها عند قوله تعالى انما التوبة على الله والله الموفق

* قوله تعالى يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون (قال أراد أنهم لفرط تصامهم عن استماع الحق وكراهتهم له كأنهم الخ) قال أحمد أهل الحق وإن نفوا تأثير استطاعة العبد وخلصوا الخلق لقدرة الخالق عز وجل لا ينفون استطاعة العبد نفسها ولا ما يجده من نفسه من الفرق حالة الحركات القسرية والاختيارية وإنما الذي ينفي الاستطاعة جملة هم المجبرة حقيقة لا أهل السنة والحق

نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة أولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون أولئك الذين

فاثبتوا على العلم الذي أنتم عليه وازدادوا يقينا وثبات قدم على أنه منزل من عند الله وعلى التوحيد ومعنى فهل أنتم مسلمون فهل أنتم مخلصون (نوف إليهم) نوصل إليهم أجور أعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرزق وقيل هم أهل الرياء يقال للقراء منهم أردت أن يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ولمن وصل الرحم وتصدق فعلت حتى يقال فقيل ولمن قاتل فقتل قاتلت حتى يقال فلان جريء فقد قيل وعن أنس بن مالك هم اليهود والنصارى إن أعطوا سائلا أو وصلوا رحما عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسهم لهم في الغنائم وقرئ يوف بالياء على أن الفعل لله عز وجل وتوف إليهم أعمالهم بالتاء على البناء للمفعول وفي قراءة الحسن نوفي بالتخفيف وإثبات الياء لأن الشرط وقع ماضيا كقوله * يقول لا غائب مالي ولا حرم * (وحبط ما صنعوا فيها) وحبط في الآخرة ما صنعوه أو صنيعهم يعني لم يكن له ثواب لأنهم لم يريدوا به الآخرة إنما أرادوا به الدنيا وقد وفي إليهم ما أرادوا (وباطل ما كانوا يعملون) أي كان عملهم في نفسه باطلا لأنه لم يعمل لوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب له وقرئ وبطل على الفعل وعن عاصم وباطلا بالنصب وفيه وجهان أن تكون ما إبهامية وينتصب بيعملون ومعناه وباطلا أي باطل كانوا يعملون وأن تكون بمعنى المصدر على وبطل بطلانا ما كانوا يعملون (أفمن كان على بينة) معناه أمن كان يريد الحياة الدنيا فمن كان على بينة أي لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم يريد أن بين الفريقين تفاوتا بعيدا وتباينا بينا وأراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله ابن سلام وغيره كان على بينة (من ربه) أي على برهان من الله وبيان أن دين الإسلام حق وهو دليل العقل (ويتلوه) ويتبع ذلك البرهان (شاهد منه) أي شاهد يشهد بصحته وهو القرآن منه من الله أو شاهد من القرآن فقد تقدم ذكره آنفا (ومن قبله) ومن قبل القرآن (كتاب موسى) وهو التوراة أي ويتلو ذلك البرهان أيضا من قبل القرآن كتاب موسى وقرئ كتاب موسى بالنصب ومعناه كان على بينة من ربه وهو الدليل على أن القرآن حق ويتلوه ويقرأ القرآن شاهد منه شاهد ممن كان على بينة كقوله وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ومن قبله كتاب موسى ويتلو من قبل القرآن التوراة (إماما) كتابا مؤتما به في الدين قدوة فيه (ورحمة) ونعمة عظيمة على المنزل إليهم (أولئك) يعني من كان على بينة (يؤمنون به) يؤمنون بالقرآن (ومن يكفر به من الأحزاب) يعني أهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله صلى الله عليه وسلم (فالنار موعده فلا تك في مرية) وقرئ مرية بالضم وهما الشك (منه) من القرآن أو من الموعد (يعرضون على ربهم) يحبسون في الموقف وتعرض أعمالهم ويشهد عليهم (الأشهاد) من الملائكة والنبيين بأنهم الكذابون على الله بأنه اتخذ ولدا وشريكا ويقال (ألا لعنة الله على الظالمين) فواخزياه وافضيحتاه والأشهاد جمع شاهد أو شهيد كأصحاب أو أشراف (ويبغونها عوجا) يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة أو يبغون أهلها أن يعوجوا بالارتداد * وهم الثانية لتأكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به (أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض) أي ما كانوا يعجزون الله في الدنيا أن يعاقبهم لو أراد عقابهم وما كان لهم من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولكنه أراد إنظارهم وتأخير عقابهم إلى هذا اليوم وهو من كلام الأشهاد (يضاعف لهم العذاب) وقرئ يضعف (ما كانوا يستطيعون السمع) أراد أنهم لفرط تصامهم عن استماع الحق وكراهتهم له كأنهم لا يستطيعون السمع ولعل

بعض مع الزمخشري في هذا الموضع إلا في غفلته حيث يقول فيوعوع بها على أهل العدل يعني الآية المذكورة وهذه سقطة عظيمة وهب أن المجبر غلط في الاستدلال بالآية على معتقده فكيف يستجيز أن يطلق على إيراده الآية وعوعة وإنما تلا كتاب الله تعالى غير أن خطأه في تصحيح معتقده الباطل به وما الزمخشري إلا يتسامح كثيرا فيما يجب من الآداب لكتاب العزيز وإنما يليق التسامح إذا كان يفسر شعر امرئ القيس أو الحارث بن حلزة وأما أدب القرآن فيضيق عن أسهل من ذلك والله الموفق

* قوله تعالى مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون (قال شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع الى قوله أن تكون الواو الخ) قال أحمد بخلافها على الوجه الاول فانها لعطف الموصوف على الموصوف وأما تنظيره الآية بتشبيه امرئ القيس فى كونه شبه تشبيهين اثنين ففيه نظر فان امرأ القيس شبه كل واحد من الرطب واليابس تشبيها واحدا والآية على التفسير الاول شبهت كل واحد من الكافر والمؤمن تشبيهين وانما يتنظر ببيت امرئ القيس على الوجه الثانى فان مقتضاه ان كل واحد منهما شبه تشبيها واحدا لكن فى صفتين متعددتين والامر فى ذلك قريب والله أعلم

بعض المجبرة يتوثب اذا عثر عليه فيوعوع به على أهل العدل كأنه لم يسمع الناس يقولون فى كل لسان هذا كلام لا أستطيع أن أسمعه وهذا مما يمجه سمعى ويحتمل أن يريد بقوله وما كان لهم من أولياء أنهم جعلوا آلهتهم أولياء من دون الله وولايتها ليست بشئ فما كان لهم فى الحقيقة من أولياء ثم بين نفى كونهم أولياء بقوله ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فكيف يصلحون للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض بوعيد (خسروا أنفسهم) اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله فكان خسرانهم فى تجارتهم مالا خسران أعظم منه وهو أنهم خسروا أنفسهم (وضل عنهم) وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو (ما كانوا يفترون) من الآلهة وشفاعتها (لاجرم) فسر فى مكان آخر (هم الاخسرون) لا ترى أحدا أبين خسرانا منهم (وأخبتوا الى ربهم) واطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهى الارض المطمئنة ومنه قولهم للشئ الدنى الخبيت قال ينفع الطيب القليل من الرز * قولا ينفع الكثير الخبيت
وقيل التاء فيه بدل من الثاء * شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع وهو من اللف والطباق وفيه معنيان ان يشبه الفريق تشبيهين اثنين كما شبه امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف والعناب وان يشبهه بالذى جمع بين العمى والصمم أو الذى جمع بين البصر والسمع على أن تكون الواو فى والاصم وفى والسميع لعطف الصفة على الصفة كقوله * الصابح فالغانم فالآيب * (هل يستويان) يعنى الفريقين (مثلا) تشبيها * أى أرسلناه نوحا بانى لكم نذير ومعناه أرسلناه ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله (انى لكم نذير مبين) بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح فى كأن والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد وقرئ بالكسر على ارادة القول (أن لاتعبدوا) بدل من انى لكم نذير أى أرسلناه بان لاتعبدوا (الا الله) أو تكون أن مفسرة متعلقة بارسلنا أو بنذير * وصف اليوم بأليم من الاسناد المجازى لوقوع الالم فيه (فان قلت) فاذا وصف به العذاب (قلت) مجازى مثله لان الاليم فى الحقيقة هو المعذب ونظيرهما قولك نهارك صائم وجد جده (الملأ) الاشراف من قولهم فلان ملئ بكذا اذا كان مطيقا له وقد ملؤا بالامر لانهم ملؤا بكفايات الامور واضطلعوا بها وبتدبيرها أو لانهم يتمالؤن أى يتظاهرون ويتساندون أو لانهم يملؤن القلوب هيبة والمجالس أبهة أو لانهم ملاء بالاحلام والآراء الصائبة (ما نراك الا بشرا مثلنا) تعريض بانهم أحق منه بالنبوة وأن الله لو أراد أن يجعلها فى أحد من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب أنك واحد من الملا وموازلهم فى المنزلة فما جعلك أحق منهم ألا ترى الى قولهم وما نرى لكم علينا من فضل أو أرادوا أنه كان ينبغى أن يكون ملكا لا بشرا * والاراذل جمع الارذل كقوله أكابر مجرميها أحاسنكم أخلاقا * قرئ بادى الرأى بالهمز بمعنى اتبعوك أول الرأى أو ظاهر الرأى وانتصابه على الظرف أصله وقت حدوث أول رأيهم أو وقت حدوث ظاهر رأيهم فحذف ذلك وأقيم المضاف اليه مقامه أرادوا أن اتباعهم لك انما هو شئ عن لهم بديهة من غير روية ونظر وانما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتأخرهم فى الاسباب الدنيوية لانهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فكان الاشرف عندهم من له جاه ومال كما ترى أكثر المتسمين بالاسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه اكرامهم واهانتهم ولقد زل عنهم ان التقدم فى الدنيا لا يقرب أحدا من الله وانما يبعده ولا يرفعه بل يضعه فضلا أن يجعله سببا فى الاختيار للنبوة والتأهيل لها على أن الانبياء

خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون لاجرم أنهم فى الآخرة هم الاخسرون ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين أن لاتعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا

* قوله تعالى فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى (قال هو تعريض بانهم كانوا أحق منه بالنبوة الخ) قال أحمد ويحتمل فى الوجهين أن يكون المراد أول الرأى ولكنه ترك الهمز استثقالا الا أن يكون القارئ بها ليس من مذهبه تسهيل الهمز والمعنيان متقاربان وقد زعم هؤلاء أن يعيبوا نوحا بان اتبعه من وجهين أحدهما ان المتبعين أراذل ليسوا قدوة ولا أسوة والثانى أنهم مع ذلك لم يتروّوا فى اتباعه ولا أمعنوا الفكرة فى صحة ما جاء به وانما بادروا الى ذلك من غير فكرة ولا روية وغرض هؤلاء أن لا يقوم عليهم حجة بأن منهم من صدقه وآمن به والله أعلم

من فضل بل نظنكم كاذبين قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون وياقوم لا أسئلكم عليه مالا ان أجري الا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا انهم ملاقوا ربهم ولكني أراكم قوما تجهلون وياقوم من ينصرني من الله ان طردتهم أفلا تذكرون ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول اني ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما في أنفسهم اني اذا لمن الظالمين قالوا يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما أنتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم

عليهم السلام بعثوا مرغبين في طلب الآخرة ورفض الدنيا مزهدين فيها مصغرين لشأنها وشأن من أخلد اليها فما أبعد حالهم من الاتصاف بما يبعده من الله والتشرف بما هو ضعة عند الله (من فضل) من زيادة شرف علينا تؤهلكم للنبوة (بل نظنكم كاذبين) فيما تدعونه (أرأيتم) أخبروني (ان كنت على بينة) على برهان (من ربي) وشاهد منه يشهد بصحة دعواي (وآتاني رحمة من عنده) بايتاء البينة على أن البينة في نفسها هي الرحمة ويجوز أن يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة (فان قلت) فقوله (فعميت) ظاهر على الوجه الاول فما وجهه على الوجه الثاني وحقه أن يقال فعميتا (قلت) الوجه أن يقدر فعميت بعد البينة وأن يكون حذفه للاقتصار على ذكره مرة ومعنى عميت خفيت وقرئ فعميت بمعنى أخفيت وفي قراءة أبي فعماها عليكم (فان قلت) فما حقيقته (قلت) حقيقته أن الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء لان الاعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره فمعنى فعميت عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمي على القوم دليلهم في المفازة بقوا بغير هاد (فان قلت) فما معنى قراءة أبي (قلت) المعنى أنهم صمموا على الاعراض عنها فخلاهم الله وتصميمهم فجعلت تلك التخلية تعمية منه والدليل عليه قوله (أنلزمكموها وأنتم لها كارهون) يعني أنكرهكم على قبولها ونقسركم على الاهتداء بها وأنتم تكرهونها ولا تختارونها ولا اكراه في الدين وقد جيء بضميري المفعولين متصلين جميعا ويجوز أن يكون الثاني منفصلا كقولك أنلزمكم اياها ونحوه فسيكفيكهم الله ويجوز فسيكفيك اياهم وحكي عن أبي عمرو اسكان الميم ووجهه أن الحركة لم تكن الا خلسة خفيفة فظنها الراوي سكونا والاسكان الصريح لحن عند الخليل وسيبويه وحذاق البصريين لان الحركة الاعرابية لا يسوغ طرحها الا في ضرورة الشعر * والضمير في قوله (لا أسئلكم عليه) راجع الى قوله لهم اني لكم نذير مبين أن لا تعبدوا الا الله * وقرئ وما أنا بطارد الذين آمنوا بالتنوين على الاصل (فان قلت) ما معنى قوله (انهم ملاقوا ربهم) (قلت) معناه أنهم يلاقون الله فيعاقب من طردهم أو يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من ايمان صحيح ثابت كما ظهر لي منهم وما أعرف غيره منهم أو على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء ايمانهم على بادي الرأي من غير نظر وتفكر وما علي أن أشق عن قلوبهم وأتعرف سر ذلك منهم حتى أطردهم ان كان الامر كما تزعمون ونحوه ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية أوهم مصدقون بلقاء ربهم موقنون به عالمون أنهم ملاقوه لا محالة (تجهلون) تتسافهون على المؤمنين وتدعونهم أراذل من قوله * ألا لا يجهلن أحد علينا * أو تجهلون لقاء ربكم أو تجهلون أنهم خير منكم (من ينصرني من الله) من يمنعني من انتقامه (ان طردتهم) وكانوا يسألونه أن يطردهم ليؤمنوا به أنفة من أن يكونوا معهم على سواء (ولا أعلم الغيب) معطوف على عندي خزائن الله أي لا أقول عندي خزائن الله ولا أقول أنا أعلم الغيب ومعناه لا أقول لكم عندي خزائن الله فأدعي فضلا عليكم في الغنى حتى تجحدوا فضلي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل ولا أدعي علم الغيب حتى تنسبوني الى الكذب والافتراء أو حتى أطلع على ما في نفوس أتباعي وضمائر قلوبهم (ولا أقول اني ملك) حتى تقولوا لي ما أنت الا بشر مثلنا * ولا أحكم على من استرذلتم من المؤمنين لفقرهم أن الله (لن يؤتيهم خيرا) في الدنيا والآخرة لهوانهم عليه كما تقولون مساعدة لكم ونزولا على هواكم (اني اذا لمن الظالمين) ان قلت شيأ من ذلك * والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه وأزرى به قصر به يقال ازدرته عينه واقتحمته عينه (جادلتنا فأكثرت جدالنا) معناه أردت جدالنا وشرعت فيه فأكثرته كقولك جاد فلان فأكثر وأطاب (فأتنا بما تعدنا) من العذاب المعجل (انما يأتيكم به الله) أي ليس الاتيان بالعذاب الي انما هو الى من كفرتم به وعصيتموه (ان شاء) يعني ان اقتضت حكمته أن يعجله لكم وقرأ ابن عباس رضي الله عنه فأكثرت جدلنا (فان قلت) ما وجه ترادف هذين الشرطين

(قلت)

* قوله تعالى ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم (قال ان قلت ما وجه ترادف هذين الشرطين الخ) قال أحمد ونظير هذه الآية من مسائل الفقهاء قول القائل أنت طالق ان شربت ان أكلت وهي المترجمة بمسئلة اعتراض الشرط على الشرط والمنقول عن الشافعية انها ان شربت ثم أكلت لم تحنث وان أكلت ثم شربت حنث وهذا الفرق مبناه على جعل الجزاء الشرط الآخر أي الذي يليه ثم جعلهما معا جزاء للشرط المتوسط ولذلك سر في العربية لا نطول بذكره وعليه أعرب الزمخشري هذه الآية كما رأيت والله أعلم

(قلت) قوله (ان كان الله يريد أن يغويكم) جزاؤه مادل عليه قوله لا ينفعكم نصحى وهذا الدال فى حكم مادل عليه فوصل بشرط كما وصل الجزاء بالشرط فى قولك ان أحسنت الى أحسنت اليك ان أمكننى (فان قلت) فما معنى قوله ان كان الله يريد أن يغويكم (قلت) اذا عرف الله من الكافر الاصرار فخلاه وشأنه ولم يلجئه سمى ذلك اغواء واضلالا كما أنه اذا عرف منه أنه يتوب ويرعوى فلطف به سمى ارشادا وهداية وقيل أن يغويكم أن يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك ومعناه أنكم اذا كنتم من التصميم على الكفر بالمنزلة التى لا تنفعكم نصائح الله ومواعظه وسائر ألطافه كيف ينفعكم نصحى (فعلى اجرامى) وأجرامى بلفظ المصدر والجمع كقوله والله يعلم اسرارهم وأسرارهم ونحو جرم وأجرام قفل وأقفال وينصر الجمع أن فسره الاولون بآثامى والمعنى ان صح وثبت أنى افتريته فعلى عقوبة اجرامى أى افترائى وكان حقى حينئذ أن تعرضوا عنى وتتألبوا علىّ (وأنا برىء) يعنى ولم يثبت ذلك وأنا برىء منه ومعنى (مما تجرمون) من اجرامكم فى اسناد الافتراء الىّ فلا وجه لاعراضكم ومعاداتكم (لن يؤمن) اقناط من ايمانهم وأنه كالمحال الذى لا تعلق به للمتوقع (الا من قد آمن) الا من قد وجد منه ما كان يتوقع من ايمانه وقد للتوقع وقد أصابت محزها (فلا تبتئس) فلا تحزن حزن بائس مستكين قال

ما يقسم الله أقبل غير مبتئس * منه وأقعد كريما ناعم البال

والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وايذائك ومعاداتك فقد حان وقت الانتقام لك منهم (بأعيننا) فى موضع الحال بمعنى اصنعها محفوظا وحقيقته ملتبسا بأعيننا كأن لله معه أعينا تكلؤه أن يزيغ فى صنعته عن الصواب وأن لا يحول بينه وبين عمله أحد من أعدائه (ووحينا) وأنا نوحى اليك ونلهمك كيف تصنع عن ابن عباس رضى الله عنه لم يعلم كيف صنعة الفلك فأوحى الله اليه أن يصنعها مثل جؤجؤ الطائر (ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا) ولا تدعنى فى شأن قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك (انهم مغرقون) انهم محكوم عليهم بالاغراق وقد وجب ذلك وقضى به القضاء وجف القلم فلا سبيل الى كفه كقوله يا ابراهيم أعرض عن هذا انه قد جاء أمر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود (ويصنع الفلك) حكاية حال ماضية (سخروا منه) ومن عمله السفينة وكان يعملها فى برية بيهماء فى أبعد موضع من الماء وفى وقت عز الماء فيه عزة شديدة فكانوا يتضاحكون ويقولون له يا نوح صرت نجارا بعدما كنت نبيا (فانا نسخر منكم) يعنى فى المستقبل (كما تسخرون) منا الساعة أى نسخر منكم سخرية مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق فى الدنيا والحرق فى الآخرة وقيل ان تستجهلونا فيما نصنع فانا نستجهلكم فيما أنتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله وعذابه فأنتم أولى بالاستجهال منا أو ان تستجهلونا فانا نستجهلكم فى استجهالكم لانكم لا تستجهلون الا عن جهل بحقيقة الامر وبناء على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة فى البعد عن الحقائق وروى أن نوحا عليه السلام اتخذ السفينة فى سنتين وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها فى السماء ثلاثون ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون فحمل فى البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفى البطن الاوسط الدوابّ والانعام وركب هو ومن معه فى البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم عليه السلام وجعله معترضا بين الرجال والنساء وعن الحسن كان طولها ألفا ومائتى ذراع وعرضها ستمائة وقيل ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فأخذ كفا من ذلك التراب فقال أتدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا كعب ابن حام قال فضرب الكثيب بعصاه فقال قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب فقال له عيسى عليه السلام أهكذا هلكت قال لا مت وأنا شاب ولكننى ظننت أنها الساعة فمن ثم شبت قال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها ألف ذراع ومائتى ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب والوحوش وطبقة للانس وطبقة للطير ثم قال له عد باذن الله كما كنت فعاد ترابا (من يأتيه) فى محل النصب بتعلمون أى فسوف تعلمون الذى يأتيه (عذاب يخزيه) ويعنى به اياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق

ان كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم واليه ترجعون أم يقولون افتراه قل ان افتريته فعلىّ اجرامى وأنا برىء مما تجرمون وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون ويصنع الفلك وكلما مرّ عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه

(ويحل عليه) حلول الدين والحق اللازم الذى لا انفكاك له عنه (عذاب مقيم) وهو عذاب الآخرة (حتى)
هى التى يبتدأ بعدها الكلام دخلت على الجملة من الشرط والجزاء (فان قلت) وقعت غاية لماذا (قلت) لقوله
ويصنع الفلك أى وكان يصنعها الى أن جاء وقت الموعد (فان قلت) فاذا اتصلت حتى بيصنع فما تصنع بما بينهما
من الكلام (قلت) هو حال من يصنع كانه قال يصنعها والحال أنه كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه (فان
قلت) فما جواب كلما (قلت) أنت بين أمرين اما أن تجعل سخروا جوابا وقال استئنافا على تقدير سؤال سائل
أو تجعل سخروا بدلا من مر أو صفة لملأ وقال جوابا (وأهلك) عطف على اثنين وكذلك (ومن آمن) يعنى
واحمل أهلك والمؤمنين من غيرهم * واستثنى من أهله من سبق عليه القول انه من أهل النار وما سبق عليه
القول بذلك الا للعلم بأنه يختار الكفر لا لتقديره عليه وارادته به تعالى الله عن ذلك قال الضحاك أراد ابنه
وامرأته (الا قليل) روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال كانوا ثمانية نوح وأهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم
وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة وأولاد نوح
سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء * يجوز أن يكون كلاما واحدا
وكلامين فالكلام الواحد أن يتصل بسم الله باركبوا حالا من الواو بمعنى اركبوا فيها مسمين الله أو قائلين بسم
الله وقت اجرائها ووقت ارسائها اما لان المجرى والمرسى للوقت واما لانهما مصدران كالاجراء والارساء حذف
منهما الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ومقدم الحاج ويجوز أن يراد مكانا الاجراء والارساء وانتصابهما
بما فى بسم الله من معنى الفعل أو بما فيه من ارادة القول والكلامان أن يكون بسم الله مجراها ومرساها
جملة من مبتدا وخبر مقتضبة أى بسم الله اجراؤها وارساؤها يروى أنه كان اذا أراد أن تجرى قال بسم الله
فجرت واذا أراد أن ترسو قال بسم الله فرست ويجوز أن يقحم الاسم كقوله ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله
اجراؤها وارساؤها أى بقدرته وأمره * وقرئ مجراها ومرساها بفتح الميم من جرى ورسى اما مصدرين أو
وقتين أو مكانين وقرأ مجاهد مجريها ومرسيها بلفظ اسم الفاعل مجرورى المحل صفتين لله (فان قلت) ما معنى
قولك جملة مقتضبة (قلت) معناه أن نوحا عليه السلام أمرهم بالركوب ثم أخبرهم بأن مجراها ومرساها
بذكر اسم الله أو بأمره وقدرته ويحتمل أن تكون غير مقتضبة بأن تكون فى موضع الحال كقوله
* وجاؤنا بهم سكر علينا * فلا تكون كلاما برأسه ولكن فضلة من فضلات الكلام الاول وانتصاب هذه
الحال عن ضمير الفلك كانه قيل اركبوا فيها مجراة ومرساة بسم الله بمعنى التقدير كقوله تعالى ادخلوها خالدين
(ان ربى لغفور رحيم) لولا مغفرته لذنوبكم ورحمته اياكم لما نجاكم (فان قلت) بم اتصل قوله (وهى تجرى بهم)
(قلت) بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كانه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهى تجرى بهم أى تجرى
وهم فيها (فى موج كالجبال) يريد موج الطوفان شبه كل موجة منه بالجبل فى تراكمها وارتفاعها (فان قلت)
الموج ما يرتفع فوق الماء عند اضطرابه وزخيره وكان الماء قد التقى وطبق ما بين السماء والارض وكانت
الفلك تجرى فى جوف الماء كما تسبح السمكة فما معنى جريها فى الموج (قلت) كان ذلك قبل التطبيق وقبل أن
يغمر الطوفان الجبال ألا ترى الى قول ابنه سآوى الى جبل يعصمنى من الماء قيل كان اسم ابنه كنعان وقيل
يام * وقرأ على رضى الله عنه ابنها والضمير لامرأته وقرأ محمد بن على وعروة بن الزبير ابنه بفتح الهاء يريدان ابنها
فاكتفيا بالفتحة عن الالف وبه ينصر مذهب الحسن قال قتادة سألته فقال والله ما كان ابنه فقلت ان الله
حكى عنه ان ابنى من أهلى وأنت تقول لم يكن ابنه وأهل الكتاب لا يختلفون فى أنه كان ابنه فقال ومن يأخذ
دينه من أهل الكتاب واستدل بقوله من أهلى ولم يقل منى ولنسبته الى أمه وجهان أحدهما أن يكون ربيبا
له كعمر بن أبى سلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يكون لغير رشدة وهذه غضاضة عصمت منها الانبياء
عليهم السلام وقرأ السدى ونادى نوح ابناه على الندبة والترثى أى قال يا ابناه * والمعزل مفعل من عزله عنه اذا
نحاه وأبعده يعنى وكان فى مكان عزل فيه نفسه عن أبيه وعن مركب المؤمنين وقيل كان فى معزل عن دين
أبيه (يابنى) قرئ بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة وبالفتح اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء

ويحل عليه عذاب
مقيم حتى اذا جاء أمرنا
وفار التنور قلنا احمل
فيها من كل زوجين
اثنين وأهلك الا من
سبق عليه القول ومن
آمن وما آمن معه الا
قليل وقال اركبوا فيها
بسم الله مجراها
ومرساها ان ربى لغفور
رحيم وهى تجرى بهم
فى موج كالجبال ونادى
نوح ابنه وكان فى معزل
يابنى اركب معنا ولا
تكن مع الكافرين
قال سآوى الى جبل
يعصمنى من الماء قال
لا عاصم اليوم من أمر
الله

---

* قوله تعالى بسم الله
مجراها ومرساها (قال
ويجوز أن يقحم الاسم
الخ) قال أحمد نفور
من اعتقاد ان الاسم
هو المسمى ولو اعتقد
ذلك لما جعله مقحما
والله أعلم

* قوله تعالى لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم (قال المراد الا الراحم وهو الله تعالى أو لا عاصم اليوم الخ) قال أحمد والاحتمالات الممكنة أربعة لا عاصم الا راحم ولا معصوم الا مرحوم ولا عاصم الا مرحوم ولا معصوم الا راحم فالاولان استثناء من الجنس والآخران من غير الجنس وزاد الزمخشري خامسا وهو لا عاصم الا مرحوم على انه من الجنس بتأويل حذف المضاف تقديره لا مكان عاصم الا مكان مرحوم والمراد بالنفي التعريض بعدم عصمة الجبل وبالمثبت التعريض بعصمة السفينة والكل جائز وبعضها أقرب من بعض والله أعلم * قوله تعالى قيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت ٦٠١ على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين (قال نداء الارض والسماء بما ينادى به العاقل الخ) قال أحمد ومن هذا النمط في السكوت عن ذكر الموصوف اكتفاء

الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من أهلي وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم اني أعظك أن تكون من الجاهلين قال رب اني أعوذ بك

الاضافة في قولك يا بنيا وسقطت الياء والالف لالتقاء الساكنين لان الراء بعدهما ساكنة (الا من رحم) الا الراحم وهو الله تعالى أو لا عاصم اليوم من الطوفان الا من رحم الله أي الا مكان من رحم الله من المؤمنين وكان لهم غفورا رحيما في قوله ان ربي لغفور رحيم وذلك أنه لما جعل الجبل عاصما من الماء قال له لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعني السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة الا من رحمه الله كقوله ماء دافق وعيشة راضية وقيل الا من رحم استثناء منقطع كأنه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن وقرئ الا من رحم على البناء للمفعول * نداء الارض والسماء بما ينادى به الحيوان المميز على لفظ التخصيص والاقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهو قوله يا أرض ويا سماء ثم أمرهما بما يؤمر به أهل التمييز والعقل من قوله ابلعي ماءك وأقلعي من الدلالة على الاقتدار العظيم وأن السموات والارض وهذه الاجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه كأنها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته وجلالته وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له والنزول على مشيئته على الفور من غير ريث فكما يرد عليهم أمره كان المأمور به مفعولا لا حبس ولا ابطاء * والبلع عبارة عن النشف * والاقلاع الامساك يقال أقلع المطر وأقلعت الحمى (وغيض الماء) من غاضه اذا نقصه (وقضي الامر) وأنجز ما وعد الله نوحا من هلاك قومه (واستوت) واستقرت السفينة (على الجودي) وهو جبل بالموصل (وقيل بعدا) يقال بعد بعدا وبعدا اذا أرادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ونحو ذلك ولذلك اختص بدعاء السوء ومجيء أخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء وأن تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وأن فاعلها فاعل واحد لا يشارك في أفعاله فلا يذهب الوهم الى أن يقول غيره يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي ولا أن يقضي ذلك الامر الهائل غيره ولا أن تستوي السفينة على متن الجودي وتستقر عليه الا بتسويته واقراره ولما ذكرنا من المعاني والنكت استفصح علماء البيان هذه الآية ورقصوا لها رؤوسهم لا لتجانس الكلمتين وهما قوله ابلعي وأقلعي وذلك وان كان لا يخلي الكلام من حسن فهو كغير الملتفت اليه بازاء تلك المحاسن التي هي اللب وما عداها قشور وعن قتادة استقلت بهم السفينة لعشر خلون من رجب وكانت في الماء خمسين ومائة يوم واستقرت بهم على الجودي شهرا وهبط بهم يوم عاشوراء وروي أنها مرت بالبيت فطافت به سبعا وقد أعتقه الله من الغرق وروي أن نوحا صام يوم الهبوط وأمر من معه فصاموا شكرا لله تعالى * نداؤه ربه دعاؤه له وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضاء وعده في تنجية أهله (فان قلت) فاذا كان النداء هو قوله رب فكيف عطف قال رب على نادى بالفاء (قلت) أريد بالنداء ارادة النداء ولو أريد النداء نفسه لجاء كما جاء قوله اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب بغير فاء (ان ابني من أهلي) أي بعض أهلي لانه كان ابنه من صلبه أو كان ربيبا له فهو بعض أهله (وان وعدك الحق) وان كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذي لا شك في انجازه والوفاء به وقد وعدتني أن تنجي أهلي فما بال ولدي (وأنت أحكم الحاكمين) أي أعلم الحكام وأعدلهم لانه لا فضل

بصفاته لانفراده بها السكوت عن ذكر الاوصاف احيانا اكتفاء بذكر الموصوف لتنبيه بها وتوحده فيها وانه متى ذكر مكانها فقد ذكرت بذكره في مثل

قوله وهو الله في السموات وفي الارض الآية والمراد وهو الله الموصوف بصفات الكمال المشهور بها في العالمين ومنه * أنا أبو النجم وشعري شعري * ولقد تحيل الشعراء على التعلق باذيال هذه المعاني اللطيفة فقال أبو الطيب يمدح عضد الدولة لا تحمدنهما واحمدن هماما * اذا لم يسم حامده سواكا * يعني لا تمدح نفسك فانك المنفرد بالمدائح حتى اذا ذكرت ولم يسم الممدوح بها لم يسبق الى ذهن أحد غيرك لتفردك بها * قوله تعالى قال رب ان ابني من أهلي وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين (قال أي أعلم الحكام وأعدلهم لانه لا فضل

الحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ورب غريق فى الجهل والجور من متقلدى الحكومة فى زمانك قد لقب أقضى القضاة ومعناه أحكم الحاكمين فاعتبر واستعبر ويجوز أن يكون من الحكمة على أن يبنى من الحكمة حاكم بمعنى النسبة كما قيل دارع من الدرع وحائض وطالق على مذهب الخليل (انه عمل غير صالح) تعليل لانتفاء كونه من أهله وفيه ايذان بأن قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وأن نسيبك فى دينك ومعتقدك من الاباعد فى المنصب وان كان حبشيا وكنت قرشيا لصيقك وخصيصك ومن لم يكن على دينك وان كان أمس أقاربك رحما فهو أبعد بعيد منك وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة فى ذمه كقولها * فانما هى اقبال وادبار * وقيل الضمير لنداء نوح أى ان نداءك هذا عمل غير صالح وليس بذاك (فان قلت) فهلا قيل انه عمل فاسد (قلت) لما نفاه عن أهله نفى عنه صفتهم بكلمة النفى التى يستبقى معها لفظ المنفى وآذن بذلك أنه انما أنجى من أنجى من أهله لصلاحهم لا لانهم أهلك وأقاربك وأن هذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه أبوتك كقوله كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيأ وقرئ عمل غير صالح أى عمل عملا غير صالح * وقرئ فلا تسئلن بكسر النون بغير ياء الاضافة وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء يعنى فلا تلتمس منى ملتمسا أو التماسا لا تعلم أصواب هو أم غير صواب حتى تقف على كنهه وذكر المسئلة دليل على أن النداء كان قبل أن يغرق حين خاف عليه (فان قلت) لم سمى نداءه سؤالا ولا سؤال فيه (قلت) قد تضمن دعاؤه معنى السؤال وان لم يصرح به لانه اذا ذكر الموعد بنجاة أهله فى وقت مشارفة ولده الغرق فقد استنجز * وجعل سؤال ما لا يعرف كنهه جهلا وغباوة ووعظه أن لا يعود اليه والى أمثاله من أفعال الجاهلين (فان قلت) قد وعده أن ينجى أهله وما كان عنده ان ابنه ليس منهم دينا فلما أشفى على الغرق تشابه عليه الامر لان العدة قد سبقت له وقد عرف الله حكيما لا يجوز عليه فعل القبيح وخلف الميعاد فطلب اماطة الشبهة وطلب اماطة الشبهة واجب فلم زجر وسمى سؤاله جهلا (قلت) ان الله عز وعلا قدم له الوعد بانجاء أهله مع استثناء من سبق عليه القول منهم فكان عليه أن يعتقد ان فى جملة أهله من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح وأن كلهم ليسوا بناجين وأن لا تخالجه شبهة حين شارف ولده الغرق فى أنه من المستثنين لا من المستثنى منهم

فهو تب

قال أحمد ثم حدث بعد الزمخشرى ترفع عن أقضى القضاة الى قاضى القضاة والذى تلاحظوا به فى ارتفاع هذه الثانية على الاولى ان الاولى تقتضى مشاركة القضاة لاقضاهم فى الوصف وان يزاد عليهم فترفعوا ان يشركهم أحد فى وصفهم عن دونهم فى المذهب فعدلوا عما يشاركون فيه الى ما ليس كذلك فافردوا رئيسهم بتلقيبه بقاضى القضاة أى هو الذى يقضى بين القضاة ولا يشاركه منهم أحد فى وصفه وجعلوا الذى يليه فى الرتبة أقضى القضاة لانهم انما يعنون قاضى قضاة زمانه أو اقليمه واذا جاز أن يطلق على أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه أقضى قضاة الصحابة فى زمانه كما أطلقه عليه النبى عليه الصلاة والسلام حيث قال أقضاكم على فدخل فى الخاطبين القضاة وغيرهم فلا حرج ان شاء الله أن يطلق على أعدل قضاة الزمان أو الاقليم وأعلمهم قاضى القضاة وأقضى القضاة أى قضاة زمانه وبلده وكل قرن ناجم فى زمن فهو شبيه زمن فيه بدا هذا اللقب * قوله تعالى انه عمل غير صالح (قال فهلا قيل انه عمل فاسد قلت لما نفاه عن أهله نفى عنه الخ) قال أحمد ولهذا المعنى والله أعلم قيل له عليه الصلاة والسلام وأنذر عشيرتك الاقربين وان كان مأمورا بالانذار على العموم ولكن لما كانت أهلية النبى عليه الصلاة والسلام مظنة الاتكال والفتور عن العمل خص أهله بالانذار ايذانا بذلك والله أعلم ولهذا لما نزلت أنذرهم النبى صلى الله عليه وسلم وقال انى لا أملك لكم من الله شيأ أو قال ذلك لكل واحد منهم بخصوصه * قوله تعالى فلا تسألن ما ليس لك به علم انى أعظك أن تكون من الجاهلين (قال فان قلت قد وعده الله أن ينجى أهله وما كان عنده الخ) قال أحمد وفى كلام الزمخشرى ما يدل على انه يعتقد ان نوحا عليه السلام صدر منه ما أوجب نسبة الجهل اليه ومعاتبته على ذلك وليس الامر كما تخيله الزمخشرى ونحن نوضح الحق فى الآية منزلا على نصاب مع تنزيه نوح عليه السلام مما توهم الزمخشرى نسبته اليه فنقول لما وعد نوح أولا تنجية أهله الا من سبق عليه القول منهم ولم يكن كاشفا لحال ابنه المذكور ولا مطلعا على باطن أمره بل معتقدا بظاهر الحال انه مؤمن بقى على التمسك بصيغة العموم للاهلية الثابتة ولم يعارضها يقين فى كفر ابنه حتى يخرج من الاهل ويدخل فى المستثنين فسأل الله فيه بناء على ذلك فبين له انه من المستثنين وانه هو لا علم له بذلك فلذلك سأل فيه وهذا بأن يكون ابانة عذرا ولى منه أن يكون عتبا فان نوحا عليه السلام لا يكافه الله علما استأثر به غيبا وأما قوله انى أعظك أن تكون من الجاهلين فالمراد منه النهى عن وقوع السؤال فى المستقبل بعد ان أعلمه الله باطن أمره وانه ان وقع فى المستقبل فى السؤال كان من الجاهلين والغرض من ذلك تقديم ما يبقيه عليه السلام على سمة العصمة والموعظة لا تستدعى وقوع ذنب بل المقصد منها أن لا يقع الذنب فى الاستقبال ولذلك مثل عليه الصلاة والسلام ذلك واستعاذ بالله أن يقع منه ما نهى عنه والله أعلم

فهو تب على أن اشتبه عليه ما يجب أن لا يشتبه (أن أسألك) من أن أطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته
تأدبا بأدبك واتعاظا بموعظتك (والا تغفر لي) ما فرط مني من ذلك (وترحمني) بالتوبة علي (أكن من الخاسرين)
أعمالا * وقرئ يانوح اهبط بضم الباء (بسلام منا) مسلما محفوظا من جهتنا أو مسلما عليك مكرما (وبركات
عليك) ومباركا عليك والبركات الخيرات النامية وقرئ وبركة على التوحيد (وعلى أمم ممن معك) يحتمل أن
تكون من للبيان فيراد الامم الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جماعات أو قيل لهم أمم لان الامم تتشعب
منهم وأن تكون لابتداء الغاية أي على أمم ناشئة ممن معك وهي الامم الى آخر الدهر وهو الوجه وقوله (وأمم)
رفع بالابتداء و (سنمتعهم) صفة والخبر محذوف تقديره وممن معك أمم سنمتعهم وانما حذف لان قوله ممن معك
يدل عليه والمعنى أن السلام منا والبركات عليك وعلى أمم مؤمنين ينشؤن ممن معك وممن معك أمم ممتعون
بالدنيا منقلبون الى النار وكان نوح عليه السلام أبا الانبياء والخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه في
السفينة وعن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وفيما بعده
من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم أخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من
عذب وقيل المراد بالامم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب (تلك) اشارة الى قصة نوح عليه السلام ومحلها
الرفع على الابتداء والجمل بعدها أخبار أي تلك القصة بعض أنباء الغيب موحاة اليك مجهولة عندك وعند
قومك (من قبل هذا) من قبل ايحائي اليك واخبارك بها أو من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي أو من قبل
هذا الوقت (فاصبر) على تبليغ الرسالة وأذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما قيض
لنوح ولقومه (ان العاقبة) في الفوز والنصر والغلبة (للمتقين) وقوله ولا قومك معناه أن قومك الذين
أنت منهم على كثرتهم ووفور عددهم اذا لم يكن ذلك شأنهم ولا سمعوه ولا عرفوه فكيف برجل منهم كما تقول لم
يعرف هذا عبد الله ولا أهل بلده (أخاهم) واحدا منهم وانتصابه للعطف على أرسلنا نوحا و (هودا) عطف
بيان و (غيره) بالرفع صفة على محل الجار والمجرور وقرئ غيره بالجر صفة على اللفظ (ان أنتم الا مفترون)
تفترون على الله الكذب باتخاذكم الاوثان له شركاء * ما من رسول الا واجه قومه بهذا القول لان شأنهم
النصيحة والنصيحة لا يمحضها ولا يمحضها الا حسم المطامع وما دام يتوهم شئ منها لم تنجع ولم تنفع (أفلا تعقلون)
اذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها أجرا الا من الله وهو ثواب الآخرة ولا شئ أنفى للتهمة من ذلك قيل
(استغفروا ربكم) آمنوا به (ثم توبوا اليه) من عبادة غيره لان التوبة لا تصح الا بعد الايمان والمدرار الكثير
الدرور كالمغزار وانما قصد استمالتهم الى الايمان وترغيبهم فيه بكثرة المطر وزيادة القوة لان القوم كانوا
أصحاب زروع وبساتين وعمارات حراصا عليها أشد الحرص فكانوا أحوج شئ الى الماء وكانوا مدلين بما
أوتوا من شدة القوة والبطش والبأس والنجدة مستحرزين بها من العدو مهيبين في كل ناحية وقيل أراد
القوة في المال وقيل القوة على النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت أرحام نسائهم وعن
الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه وفد على معاوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال اني رجل ذو مال ولا يولد لي
فعلمني شيأ لعل الله يرزقني ولدا فقال عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم واحد
سبعمائة مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك معاوية فقال هلا سألته مم قال ذلك فوفد وفدة أخرى فسأله الرجل
فقال ألم تسمع قول هود عليه السلام ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح عليه السلام ويمددكم بأموال وبنين
(ولا تتولوا) ولا تعرضوا عني وعما أدعوكم اليه وأرغبكم فيه (مجرمين) مصرين على اجرامكم وآثامكم
(ما جئتنا ببينة) كذب منهم وجحود كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أنزل عليه آية من ربه
مع فوت آياته الحصر (عن قولك) حال من الضمير في تاركي آلهتنا كأنه قيل وما نترك آلهتنا صادرين عن
قولك (وما نحن لك بمؤمنين) وما يصح من أمثالنا أن يصدقوا مثلك فيما يدعوهم اليه اقناطا له من
الاجابة (اعتراك) مفعول نقول والا لغو والمعنى ما نقول الا قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء أي خبلك ومسك
بجنون لسبك اياها وصدك عنها وعداوتك لها مكافأة لك منها على سوء فعلك بسوء الجزاء فمن ثم تتكلم بكلام

أن أسألك ما ليس لي
به علم والا تغفر لي وترحمني
أكن من الخاسرين
قيل يانوح اهبط بسلام
منا وبركات عليك وعلى
أمم ممن معك وأمم
سنمتعهم ثم يمسهم منا
عذاب أليم تلك من
أنباء الغيب نوحيها
اليك ما كنت تعلمها
أنت ولا قومك من قبل
هذا فاصبر ان العاقبة
للمتقين والى عاد أخاهم
هودا قال ياقوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره
ان أنتم الا مفترون ياقوم
لا أسألكم عليه أجرا
ان أجري الا على الذي
فطرني أفلا تعقلون
وياقوم استغفروا ربكم
ثم توبوا اليه يرسل
السماء عليكم مدرارا
ويزدكم قوة الى قوتكم
ولا تتولوا مجرمين قالوا
ياهود ما جئتنا ببينة
وما نحن بتاركي آلهتنا
عن قولك وما نحن لك
بمؤمنين ان نقول الا
اعتراك بعض آلهتنا
بسوء قال اني أشهد الله
واشهدوا أني بريء

المجانين وتهذى بهذيان المبرسمين وليس بعجب من أولئك أن يسموا التوبة والاستغفار خبلا وجنونا وهم عاداعلام الكفر وأوتاد الشرك وانما العجب من قوم من المتظاهرين بالاسلام سمعناهم يسمون التائب من ذنوبه مجنونا والمنيب الى ربه مخبلا ولم نجدهم معه على عشر مما كانوا عليه فى أيام جاهليته من الموادة وما ذاك الالعرق من الالحاد أبى الا أن ينبض وضب من الزندقة أراد أن يطلع رأسه وقد دلت أجوبتهم المتقدمة على أن القوم كانوا جفاة غلاظ الاكباد لا يبالون بالبهت ولا يلتفتون الى النصح ولا تلين شكيمتهم للرشد وهذا الاخير دال على جهل مفرط وبله متناه حيث اعتقدوا فى حجارة انها تنتصر وتنتقم ولعلهم حين أجاز والعقاب كانوا يجيزون الثواب * من أعظم الآيات أن يواجه بهذا الكلام رجل واحد أمة عطاشا الى اراقة دمه يرمونه عن قوس واحدة وذلك لثقته بربه وانه يعصمه منهم فلا تنشب فيه مخالبهم ونحو ذلك قال نوح عليه السلام لقومه ثم اقضوا الى ولا تنظرون أكد براءته من آلهتهم وشركهم ووثقها بما جرت به عادة الناس من توثيقهم الامور بشهادة الله وشهادة العباد فيقول الرجل الله شهيد على أنى لا أفعل كذا ويقول لقومه كونوا شهداء على انى لا أفعله (فان قلت) هلا قيل انى أشهد الله وأشهدكم (قلت) لان اشهاد الله على البراءة من الشرك اشهاد صحيح ثابت فى معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده وأما اشهادهم فما هو الا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب فعدل به عن لفظ الاول لاختلاف ما بينهما وجىء به على لفظ الامر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد على أنى لا أحبك تهكما به واستهانة بحاله (مما تشركون من دونه) من اشراككم آلهة من دونه أو مما تشركونه من آلهة من دونه أى أنتم تجعلونها شركاء له ولم يجعلها هو شركاء ولم ينزل بذلك سلطانا (فكيدونى جميعا) أنتم وآلهتكم أعجل ما تفعلون من غير انظار فانى لا أبالى بكم وبكيدكم ولا أخاف معرتكم وان تعاونتم على وأنتم الاقوياء الشداد فكيف تضرنى آلهتكم وما هى الا جماد لا تضر ولا تنفع وكيف تنتقم منى اذا نلت منها وصددت عن عبادتها بأن تخبلنى وتذهب بعقلى * ولما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم ومن كون كل دابة فى قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه والاخذ بنواصيها تمثيل لذلك (ان ربى على صراط مستقيم) يريد أنه على طريق الحق والعدل فى ملكه لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده معتصم به (فان تولوا) فان تتولوا (فان قلت) الابلاغ كان قبل التولى فكيف وقع جزاء للشرط (قلت) معناه فان تتولوا لم أعاتب على تفريط فى الابلاغ وكنتم محجوجين بأن ما أرسلت به اليكم قد بلغكم فأبيتم الا تكذيب الرسالة وعداوة الرسول (ويستخلف) كلام مستأنف يريد ويهلككم الله ويجىء بقوم آخرين يخلفونكم فى دياركم وأموالكم (ولا تضرونه) بتوليكم (شيأ) من ضرر قط لانه لا يجوز عليه المضار والمنافع وانما تضرون أنفسكم وفى قراءة عبد الله ويستخلف بالجزم وكذلك ولا تضروه عطفا على محل فقد أبلغتكم والمعنى ان تتولوا يعذرنى ويستخلف قوما غيركم ولا تضروا الا أنفسكم (على كل شئ حفيظ) أى رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم أو من كان رقيبا على الاشياء كلها حافظا لها وكانت مفتقرة الى حفظه من المضار لم يضر مثله مثلكم (والذين آمنوا معه) قيل كانوا أربعة آلاف (فان قلت) ما معنى تكرير التنجية (قلت) ذكر أولا انه حين أهلك عدوهم نجاهم ثم قال (ونجيناهم من عذاب غليظ) على معنى وكانت تلك التنجية من عذاب غليظ وذلك ان الله عز وجل بعث عليهم السموم فكانت تدخل فى أنوفهم وتخرج من أدبارهم فتقطعهم عضوا عضوا وقيل أراد بالثانية التنجية من عذاب الآخرة ولا عذاب أغلظ منه وأشد * وقوله برحمة منا يريد بسبب الايمان الذى أنعمنا عليهم بالتوفيق له (وتلك عاد) اشارة الى قبورهم وآثارهم كأنه قال سيحوا فى الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم استأنف وصف أحوالهم فقال (جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله) لانهم اذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله لا نفرق بين أحد من رسله قيل لم يرسل اليهم الا هود وحده (كل جبار عنيد) يريد رؤساءهم وكبراءهم ودعاتهم الى تكذيب الرسل ومعنى اتباع أمرهم طاعتهم

* قوله تعالى قال انى أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون (قال ان قلت هلا قيل أشهد الله واشهدكم الخ) قال أحمد وتلخيص ما قاله ان صيغة الخبر لا تحتمل سوى الاخبار بوقوع الاشهاد منه فلما كان اشهاد الله واقعا محققا عبر عنه بصيغة الخبر لانه اشهاد صحيح ثابت وعبر فى جانبهم بصيغة الامر التى تتضمن الاستهانة بدينهم وقلة المبالاة به وهو مراده فى هذا المقام معهم ويحتمل أن يكون اشهاده لهم حقيقة والغرض اقامة الحجة عليهم وانما عدل الى صيغة الامر عن صيغة الخبر للتمييز بين خطابه لله تعالى وخطابه لهم بأن يعبر عن خطاب الله تعالى بصيغة الخبر التى هى أجل وأوقر للمخاطب من صيغة الامر والله الموفق للصواب

مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون انى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم فان تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم ويستخلف ربى قوما غيركم ولا تضرونه شيأ ان ربى على كل شئ حفيظ ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد وأتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ألا ان عادا كفروا ربهم

* قوله تعالى ألا بعدا لعاد قوم هود (قال ان قلت ما الفائدة فى هذا البيان وجعل قوم هود عطف بيان على عاد الخ) قال أحمد فيه أيضا
فائدتان جليلتان احداهما النسبة بذكر هود الذى انما استحقوا الهلاك بسببه على موجب الدعاء عليهم وكأنه

ألا بعدا لعاد قوم هود
وإلى ثمود أخاهم صالحا
قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره هو
أنشأكم من الأرض
واستعمركم فيها فاستغفروه
ثم توبوا اليه ان ربى
قريب مجيب قالوا
يا صالح قد كنت فينا
مرجوا قبل هذا أتنهانا
أن نعبد ما يعبد آباؤنا
واننا لفى شك مما تدعونا
اليه مريب قال يا قوم
أرأيتم ان كنت على
بينة من ربى وآتانى منه
رحمة فمن ينصرنى من
الله ان عصيته فما
تزيدوننى غير تخسير
ويا قوم هذه ناقة الله
لكم آية فذروها تأكل
فى أرض الله ولا تمسوها
بسوء فيأخذكم عذاب
قريب فعقروها فقال
تمتعوا فى داركم ثلاثة
أيام ذلك وعد غير
مكذوب فلما جاء أمرنا
نجينا صالحا والذين
آمنوا معه برحمة منا
ومن خزى يومئذ ان
ربك هو القوى العزيز
وأخذ الذين ظلموا
الصيحة فأصبحوا فى
ديارهم جاثمين كأن لم
يغنوا فيها ألا ان ثمود
كفروا ربهم ألا بعدا
لثمود ولقد جاءت

طاعتهم ولما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم فى الدارين تكبهم على وجوههم فى عذاب الله و (ألا) وتكرارها مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لأمرهم وتفظيع له وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم (فان قلت) (بعدا) دعاء بالهلاك فما معنى الدعاء به عليهم بعد هلاكهم (قلت) معناه الدلالة على انهم كانوا مستأهلين له ألا ترى الى قوله

اخوتى لا تبعدوا أبدا * وبلى والله قد بعدوا

(قوم هود) عطف بيان لعاد (فان قلت) ما الفائدة فى هذا البيان والبيان حاصل بدونه (قلت) الفائدة فيه أن يوسموا بهذه الدعوة وسما وتجعل فيهم أمرا محققا لا شبهة فيه بوجه من الوجوه ولأن عادا عادان الأولى القديمة التى هى قوم هود والقصة فيهم والأخرى ارم (هو أنشأكم من الأرض) لم ينشئكم منها الا هو ولم يستعمركم فيها غيره وانشاؤهم منها خلق آدم من التراب (واستعمركم فيها) وأمركم بالعمارة والعمارة متنوعة الى واجب وندب ومباح ومكروه وكان ملوك فارس قد أكثروا من حفر الأنهار وغرس الأشجار وعمروا الأعمار الطوال مع ما كان فيهم من عسف الرعايا فسأل نبى من أنبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فأوحى اليه انهم عمروا بلادى فعاش فيها عبادى وعن معاوية بن أبى سفيان انه أخذ فى احياء الأرض فى آخر أمره فقيل له فقال ما حملنى عليه الا قول القائل

ليس الفتى بفتى لا يستضاء به * ولا تكون له فى الأرض آثار

وقيل استعمركم من العمر نحو استبقاكم من البقاء وقد جعل من العمرى وفيه وجهان أحدهما أن يكون استعمر فى معنى أعمر كقولك استهلكه ومعناه أعمركم فيها دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضاء أعماركم والثانى أن يكون بمعنى جعلكم معمرين دياركم فيها لأن الرجل اذا ورث داره من بعده فكأنما أعمره اياها لأنه يسكنها عمره ثم يتركها لغيره (قريب) دانى الرحمة سهل المطلب (مجيب) لمن دعاه وسأله (فينا) فيما بيننا (مرجوا) كانت تلوح فيك مخايل الخير وأمارات الرشد فكنا نرجوك لننتفع بك وتكون مشاورا فى الأمور ومسترشدا فى التدابير فلما نطقت بهذا القول انقطع رجاؤنا عنك وعلمنا أن لا خير فيك وعن ابن عباس فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجو أن تدخل فى ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه (يعبد آباؤنا) حكاية حال ماضية (مريب) من أرابه اذا أوقعه فى الريبة وهى قلق النفس وانتفاء الطمأنينة باليقين أو من أراب الرجل اذا كان ذا ريبة على الاسناد المجازى قيل (ان كنت على بينة من ربى) بحرف الشك وكان على يقين انه على بينة لأن خطابه للجاحدين فكأنه قال قدروا أنى على بينة من ربى وأنى نبى على الحقيقة وانظروا ان تابعتكم وعصيت ربى فى أوامره فمن يمنعنى من عذاب الله (فما تزيدوننى) اذن حينئذ (غير تخسير) يعنى تخسرون أعمالى وتبطلونها أو فما تزيدوننى بما تقولون لى وتحملوننى عليه غير أن أخسركم أى أنسبكم الى الخسران وأقول لكم انكم خاسرون (آية) نصب على الحال قد عمل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل * (فان قلت) فبم يتعلق لكم (قلت) بآية حالا منها متقدمة لأنها لو تأخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال (عذاب قريب) عاجل لا يستأخر عن مسكم لها بسوء الا يسيرا وذلك ثلاثة أيام ثم يقع عليكم (تمتعوا) استمتعوا بالعيش (فى داركم) فى بلدكم وتسمى البلاد الديار لأنه يدار فيها أى يتصرف يقال ديار بكر لبلادهم وتقول العرب الذين حوالى مكة نحن من عرب الدار يريدون من عرب البلد وقيل فى دار الدنيا وقيل عقروها يوم الأربعاء وهلكوا يوم السبت (غير مكذوب) غير مكذوب فيه فاتسع فى الظرف بحذف الحرف واجرائه مجرى المفعول به كقولك يوم مشهود من قوله ويوم شهدناه أو على المجاز كأنه قيل للوعد نفى بك فاذا وفى به فقد صدق ولم يكذب أو وعد غير كذب على ان المكذوب مصدر كالمجلود والمعقول وكالمصدوقة بمعنى الصدق (ومن خزى يومئذ) قرئ مفتوح الميم لأنه مضاف الى اذ وهو غير متمكن كقوله

قيل عاد قوم هود الذى كذبوه والأخرى تناسب الآتى بذلك فان قبلها واتبعوا أمر كل جبار عنيد
وقبل ذلك حفيظ وغليظ وغير ذلك مما هو على وزن فعيل المناسب لفعول فى القوافى والله أعلم

* قوله تعالى ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط الآية (قال قيل انه كان ينزل فى طرف من الارض فخاف ان يريدوا به مكروها الخ) قال أحمد وقد وردت قصة ابراهيم هذه فى ثلاثة مواضع هذا أحدها وهو دال على انه انما أوجس منهم خيفة لعلمه انهم ملائكة وعدم علمه فيم جاؤا الثانى فى الحجر قوله ونبئهم عن ضيف ابراهيم الى قوله لا توجل انا نبشرك فلم يطمئنوا اياه لا مه انهم ملائكة ولكن بانهم يبشرون له فدل على استشعارهم انه علم كونهم ملائكة ووجل مما جاؤا فيه الثالث فى الذاريات فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه فهو أيضا كذلك وأما لوط فلم يشعر انهم ملائكة حتى أعلموه بذلك ألا ترى الى قوله تعالى قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فأول ما أعلموا به انهم رسل فالفرق بين هذه الآية وبين آى ابراهيم مصداق لان ابراهيم علم كونهم ملائكة ولوط لم يعلم ذلك ولا يبعد من فضل ابراهيم على لوط ان يبعد على فراسته أن يعلم انهم ملائكة دون لوط عليهما السلام * عاد كلامه (قال ومعنى أوجس أضمر وانما قالوا لا تخف لانهم رأوا أثر الخوف الخ) قال أحمد وهذا التأويل وهم فيه الزمخشرى والله أعلم لانهم انما علموا خوفه ووجله باخباره اياهم بذلك ويدل عليه قوله تعالى فى آية أخرى قال انا منكم وجلون قالوا لا توجل والقصة واحدة والله الموفق للصواب * عاد كلامه (قال وقرأ وضحك زوجته لانها سرت بذهاب الخيفة الخ) قال أحمد ويبعد هذا التأويل انها قالت بعد يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا ان هذا لشئ عجيب فلو كان حيضها قبل بشارتها لما تعجبت اذ لا عجب فى حمل من تحيض والحيض فى العادة مهماز على امكان الحمل والله الموفق

رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب قالت يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلى

* على حين عاتبت المشيب على الصبا * (فان قلت) علام عطف (قلت) على نجينا لان تقديره ونجيناهم من خزى يومئذ كما قال ونجيناهم من عذاب غليظ على وكانت التنجية من خزى يومئذ أى من ذله ومهانته وفضيحته ولا خزى أعظم من خزى من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه ويجوز أن يريد بيومئذ يوم القيامة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة * وقرئ ألا ان ثمودا لثمود كلاهما بالصرف وامتناعه فالصرف للذهاب الى الحى أو الاب الاكبر ومنعه للتعريف والتأنيث بمعنى القبيلة (رسلنا) يريد الملائكة عن ابن عباس جاءه جبريل عليه السلام وملكان معه وقيل جبريل وميكائيل واسرافيل وقيل كانوا تسعة وعن السدى أحد عشر (بالبشرى) هى البشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط والظاهر الولد (سلاما) سلمنا عليك سلاما (سلام) أمركم سلام وقرئ فقالوا سلما قال سلم بمعنى السلام وقيل سلم وسلام كحرم وحرام وأنشد

مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت * كما اكتل بالبرق الغمام اللوائح

(فما لبث أن جاء) فما لبث فى المجئ به بل عجل فيه أو فما لبث مجيئه * والعجل ولد البقرة ويسمى الحسيل والخبش بلغة أهل السراة وكان مال ابراهيم عليه الصلاة والسلام البقر (حنيذ) مشوى بالرضف فى أخدود وقيل حنيذ يقطر دسمه من حنذت الفرس اذا ألقيت عليه الجل حتى تقطره عرقا ويدل عليه بعجل سمين * يقال نكره وأنكره واستنكره ومنكور قليل فى كلامهم وكذلك أنا أنكرك ولكن منكر ومستنكر وأنكرك قال الاعشى

وأنكرتنى وما كان الذى نكرت * من الحوادث الا الشيب والصلعا

قيل كان ينزل فى طرف من الارض فخاف أن يريدوا به مكروها وقيل كانت عادتهم انه اذا مس من يطرقهم طعامهم أمنوه والا خافوه والظاهر انه أحس بانهم ملائكة ونكرهم لانه تخوف أن يكون نزولهم لامر أنكره الله عليه أو لتعذيب قومه ألا ترى الى قولهم لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط وانما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم أرسلوا (فأوجس) فأضمر * وانما قالوا لا تخف لانهم رأوا أثر الخوف والتغير فى وجهه أو عرفوه بتعريف الله أو علموا ان علمه بانهم ملائكة موجب للخوف لانهم كانوا لا ينزلون الا بعذاب (وامرأته قائمة) قيل كانت قائمة وراء الستر تسمع تحاورهم وقيل كانت قائمة على رؤسهم تخدمهم وفى مصحف عبد الله وامرأته قائمة وهو قاعد (فضحكت) سرورا بزوال الخيفة أو بهلاك أهل الخبائث أو كان ضحكها ضحك انكار لغفلتهم وقد أظلهم العذاب وقيل كانت تقول لابراهيم اضمم لوطا ابن أخيك اليك فانى أعلم انه ينزل بهؤلاء القوم عذاب فضحكت سرورا لما أتى الامر على ما توهمت وقيل فضحكت فحاضت وقرأ محمد بن زياد الاعرابى فضحكت بفتح الحاء (يعقوب) رفع بالابتداء كأنه قيل ومن وراء اسحق يعقوب مولود أو موجود أى من بعده وقيل الوراء ولد الولد وعن الشعبى انه قيل له أهذا ابنك فقال نعم من الوراء وكان ولد ولده وقرئ يعقوب بالنصب كأنه قيل ووهبنا لها اسحق ومن وراء اسحق يعقوب على طريقة قوله ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب الا ان الالف فى (يا ويلتا) مبدلة من ياء الاضافة وكذلك فى يا لهفا ويا عجبا

وقرأ الحسن يا ويلتي بالياء على الاصل و (شيخا) نصب بما دل عليه اسم الاشارة وقرئ شيخ على انه خبر مبتدا
محذوف أى هذا بعلى هو شيخ أو بعلى بدل من المبتدا وشيخ خبر أو يكونان معا خبرين قيل بشرت ولها تسعون سنة ولابراهيم مائة وعشرون سنة (ان هذا الشيء عجيب) أن يولد ولد من هرمين وهو استبعاد
من حيث العادة التي أجراها الله وانما أنكرت عليها الملائكة تعجبها ف (قالوا أتعجبين من أمر الله) لانها كانت
في بيت الآيات ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان عليها أن تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي
سائر النساء الناشئات في غير بيوت النبوة وأن تسبح الله وتمجده مكان التعجب والى ذلك أشارت الملائكة
صلوات الله عليهم في قولهم رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت أرادوا ان هذه وأمثالها مما يكرمكم به رب
العزة ويخصكم بالانعام به يا أهل بيت النبوة فليست بمكان عجب * وأمر الله قدرته وحكمته وقوله (رحمت
الله وبركاته عليكم) كلام مستأنف علل به انكار التعجب كأنه قيل اياك والتعجب فان أمثال هذه الرحمة
والبركة متكاثرة من الله عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الأسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم
وكلهم من ولد ابراهيم (حميد) فاعل ما يستوجب به الحمد من عباده (مجيد) كريم كثير الاحسان اليهم
*وأهل البيت نصب على النداء أو على الاختصاص لان أهل البيت مدح لهم اذ المراد أهل بيت خليل
الرحمن (الروع) ما أوجس من الخيفة حين نكر أضيافه والمعنى أنه لما اطمأن قلبه بعد الخوف وملئ
سرورا بسبب البشرى بدل الغم فرغ للمجادلة (فان قلت) أين جواب لما (قلت) هو محذوف كما حذف
في قوله فلما ذهبوا به وأجمعوا وقوله (يجادلنا) كلام مستأنف دال على الجواب وتقديره اجترأ على خطابنا
أو فطن لمجادلتنا أو قال كيت وكيت ثم ابتدأ فقال يجادلنا في قوم لوط قيل في يجادلنا هو جواب لما وانما
جيء به مضارعا لحكاية الحال وقيل ان لما ترد المضارع الى معنى الماضي كما ترد ان الماضي الى معنى
الاستقبال وقيل معناه أخذ يجادلنا وأقبل يجادلنا والمعنى يجادل رسلنا ومجادلته اياهم أنهم قالوا انا
مهلكو أهل هذه القرية فقال أرأيتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين أتهلكونها قالوا لا قال
فأربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال أرأيتم ان كان فيها رجل واحد مسلم
أتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله (في قوم لوط) في معناهم
وعن ابن عباس قالوا له ان كان فيها خمسة يصلون رفع عنهم العذاب وعن قتادة ما قوم لا يكون فيهم عشرة
فيهم خير وقيل كان فيها أربعة آلاف ألف انسان (ان ابراهيم لحليم) غير عجول على كل من أساء اليه (أواه)
كثير التأوه من الذنوب (منيب) تائب راجع الى الله بما يحب ويرضى وهذه الصفات دالة على رقة القلب
والرأفة والرحمة فبين ان ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء أن يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون
التوبة والانابة كما حمله على الاستغفار لابيه (يا ابراهيم) على ارادة القول أي قالت له الملائكة (أعرض عن
هذا) الجدال وان كانت الرحمة ديدنك فلا فائدة فيه (انه قد جاء أمر ربك) وهو قضاؤه وحكمه الذي
لا يصدر الا عن صواب وحكمة والعذاب نازل بالقوم لا محالة لا مرد له بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك * كانت
مساءة لوط وضيق ذرعه لانه حسب انهم انس فخاف عليهم خبث قومه وان يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم
وروى أن الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى
منزله قال لهم أما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرهم قال أشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا يقول
ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك أحد فخرجت امرأته فأخبرت بهم قومها * يقال يوم عصيب
وعصوصب اذا كان شديدا من قولك عصبه اذا شده (يهرعون) يسرعون كأنما يدفعون دفعا (ومن قبل
كانوا يعملون السيئات) ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش ويكثرونها فضروا بها ومرنوا
عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك جاؤا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء وقيل معناه وقد عرف لوط
عادتهم في عمل الفواحش قبل ذلك (هؤلاء بناتي) أراد أن يقي أضيافه ببناته وذلك غاية الكرم وأراد هؤلاء
بناتي فتزوجوهن وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزا كما زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتيه من
عتبة بن أبي لهب وأبي العاص بن وائل قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فأراد أن

شيخا ان هذا الشيء
عجيب قالوا أتعجبين
من أمر الله رحمت الله
وبركاته عليكم أهل
البيت انه حميد مجيد
فلما ذهب عن ابراهيم
الروع وجاءته البشرى
يجادلنا في قوم لوط ان
ابراهيم لحليم أواه
منيب يا ابراهيم أعرض
عن هذا انه قد جاء أمر
ربك وانهم آتيهم
عذاب غير مردود
ولما جاءت رسلنا لوطا
سيء بهم وضاق بهم
ذرعا وقال هذا يوم
عصيب وجاءه قومه
يهرعون اليه ومن قبل
كانوا يعملون السيئات
قال يا قوم هؤلاء بناتي
هن أطهر لكم

يزوجها ابنتيه وقرأ ابن مروان هن أطهر لكم بالنصب وضعفه سيبويه وقال احتبى ابن مروان في لحنه
وعن أبي عمرو بن العلاء من قرأ هن أطهر بالنصب فقد تربع في لحنه وذلك ان انتصابه على أن يجعل حالا قد
عمل فيها ما في هؤلاء من معنى الفعل كقوله هذا بعلي شيخا أو ينصب هؤلاء بفعل مضمر كأنه قيل خذوا
هؤلاء وبناتي بدل ويعمل هذا المضمر في الحال وهن فصل وهذا لا يجوز لان الفصل مختص بالوقوع بين
جزأي الجملة ولا يقع بين الحال وذي الحال وقد خرج له وجه لا يكون هن فيه فصلا وذلك أن يكون هؤلاء
مبتدأ وبناتي هن جملة في موضع خبر المبتدإ كقولك هذا أخي هو ويكون أطهر حالا (فاتقوا الله) بايثارهن
عليهم (ولا تخزون) ولا تهينوني ولا تفضحوني من الخزي أو ولا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء (في ضيفي)
في حق ضيوفي فانه اذا خزي ضيف الرجل أو جاره فقد خزي الرجل وذلك من عراقة الكرم واصالة المروءة
(أليس منكم رجل رشيد) رجل واحد يهتدي الى سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن السوء * وقرئ
ولا تخزون بطرح الياء ويجوز أن يكون عرض البنات عليهم مبالغة في تواضعه لهم واظهار الشدة
امتعاضه مما أوردوا عليه طمعا في ان يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فيتركوا له ضيوفه مع ظهور
الامر واستقرار العلم عنده وعندهم أن لا مناكحة بينه وبينهم ومن ثم (قالوا لقد علمت) مستشهدين بعلمه
(ما لنا في بناتك من حق) لانك لا ترى منا كحتنا وما هو الا عرض سابري ٣ وقيل لما اتخذوا اتيان الذكران
مذهبا ودينا لتواطئهم عليه كان عندهم انه هو الحق وان نكاح الاناث من الباطل فلذلك قالوا ما لنا في
بناتك من حق قط لان نكاح الاناث أمر خارج من مذهبنا الذي نحن عليه ويجوز أن يقولوه على وجه
الخلاعة والغرض نفي الشهوة (لتعلم ما نريد) عنوا اتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة * جواب لو محذوف
كقوله تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال يعني لو أن لي بكم قوة لفعلت بكم وصنعت يقال ما لي به قوة وما لي
به طاقة ونحوه لا قبل لهم بها وما لي به يدان لانه في معنى لا أضطلع به ولا أستقل به * والمعنى لو قويت عليكم
بنفسي أو أويت الى قوي أستند اليه وأتمنع به فيحميني منكم فشبه القوي العزيز بالركن من الجبل في شدته
ومنعته ولذلك قالت الملائكة وقد وجدت عليه ان ركنك لشديد وقال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله
أخي لوطا كان يأوي الى ركن شديد * وقرئ أو آوي بالنصب باضمار أن كأنه قيل لو أن لي بكم قوة أو أويا
كقولها * للبس عباءة وتقر عيني * وقرئ الى ركن بضمتين وروي أنه أغلق بابه حين جاؤا وجعل يرادهم
ما حكى الله عنه ويجادلهم فتسوروا الجدار * فلما رأت الملائكة ما لقي لوط من الكرب قالوا يا لوط ان
ركنك لشديد (انا رسل ربك لن يصلوا اليك) فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل
عليه السلام ربه في عقوبتهم فأذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح
من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم فأعماهم كما قال الله تعالى
فطمسنا أعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط قوما سحرة
* لن يصلوا اليك جملة موضحة للتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصلوا اليه ولم يقدروا على ضرره * قرئ
فاسر بالقطع والوصل والا امرأتك بالرفع والنصب وروي أنه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا الصبح
فقال أريد أسرع من ذلك فقالوا (أليس الصبح بقريب) وقرئ الصبح بضمتين (فان قلت) ما وجه قراءة
من قرأ الا امرأتك بالنصب (قلت) استثناها من قوله فأسر بأهلك والدليل عليه قراءة عبد الله فأسر
بأهلك بقطع من الليل الا امرأتك ويجوز أن ينتصب عن لا يلتفت على أصل الاستثناء وان كان الفصيح
هو البدل أعني قراءة من قرأ بالرفع فأبدلها عن أحد وفي اخراجها مع أهله روايتان روي أنه أخرجها
معهم وأمر أن لا يلتفت منهم أحد الا هي فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فأدركها حجر
فقتلها وروي أنه أمر بأن يخلفها مع قومها فان هواها اليهم فلم يسر بها واختلاف القراءتين لاختلاف
الروايتين (جعلنا عاليها سافلها) جعل جبريل جناحه في أسفلها ثم رفعها الى السماء حتى سمع أهل السماء
نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وأتبعوا الحجارة من فوقهم (من سجيل) قيل هي كلمة معربة من
سنك كل بدليل قوله حجارة من طين وقيل هي من أسجله اذا أرسله لانها ترسل على الظالمين ويدل عليه قوله

لترسل

فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد قال لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك انه مصيبها ما أصابهم ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل

٣ (قوله سابري) في المثل عرض سابري يقوله من يعرض عليه الشيء عرضا لا يبالغ فيه اه من هامش الأصل

* قوله تعالى ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم (قال ان قلت النهي عن النقصان أمر بالايفاء الخ) قال أحمد لمن قال ان الامر بالشيء ليس نهيا عن ضده أن يستدل بهذه الآية فان الامر لو كان عين النهي عن الضد لكان وروده عقيبه تكرارا وفي كلام الزمخشري ما يدل على انه وهم فاعتقد ان النهي في الآية قبل الامر وذلك سهو وغفلة وكل مأخوذ من قوله ومتروك الا المعصوم وأما قوله ان الايفاء حسن في العقول فتفريع على قاعدة التحسين والتقبيح وقد سبق بطلانه وبينا ان التحسين والتقبيح موظفان من الشرع ولا مجال للعقل في حكم سمعي * قوله تعالى بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين (٦٠٩) (قال بقية الله ما يبقى لكم من الحلال الخ) قال أحمد المنقول عن المعتزلة ان الكفار غير مخاطبين بفروع الشريعة لا نهيا ولا أمرا وقد جوز بعضهم خطابهم بالنهي وهذه الآية تدل على انهم مخاطبون في حال

لمرسل عليهم حجارة وقيل مما كتب الله أن يعذب به من السجل وسجل لفلان (منضود) نضد في السماء نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه في أثر بعض متتابعا (مسومة) معلمة للعذاب وعن الحسن رضي الله عنه كانت معلمة ببياض وحمرة وقيل عليها سيما يعلم بها أنها ليست من حجارة الارض وقيل مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به (وما هي) من كل ظالم ببعيد وفيه وعيد لاهل مكة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل عليه السلام فقال يعني ظالمي أمتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى أي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم (ببعيد) بشيء بعيد ويجوز أن يراد وما هي بمكان بعيد لانها وان كانت في السماء وهي مكان بعيد الا أنها اذا هوت منها فهي أسرع شيء لحوقا بالمرمي فكأنها بمكان قريب منه (اني أراكم بخير) يريد بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف أو أراكم بنعمة من الله حقها أن تقابل بغير ما تفعلون أو أراكم بخير فلا تزيلوه عنكم بما أنتم عليه كقول مؤمن آل فرعون يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا (يوم محيط) مهلك من قوله وأحيط بثمره وأصله من احاطة العدو (فان قلت) وصف العذاب بالاحاطة أبلغ أم وصف اليوم بها (قلت) بل وصف اليوم بها لان اليوم زمان يشتمل على الحوادث فاذا أحاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا أحاط بنعيمه (فان قلت) النهي عن النقصان أمر بالايفاء فما فائدة قوله أوفوا (قلت) نهوا أولا عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان لان في التصريح بالقبيح نعيا على المنهي وتعييرا له ثم ورد الامر بالايفاء الذي هو حسن في العقول مصرحا بلفظه لزيادة ترغيب فيه وبعث عليه وجيء به مقيدا بالقسط أي ليكن الايفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان أمرا بما هو الواجب لان ما جاوز العدل فضل وأمر مندوب اليه وفيه توقيف على أن الموفي عليه أن ينوي بالوفاء القسط لان الايفاء وجه حسنه أنه قسط وعدل فهذه ثلاث فوائد * البخس الهضم والنقص ويقال للمكس البخس قال زهير

* وفي كل ما باع امرؤ بخس درهم * وروى مكس درهم وكانوا يأخذون من كل شيء يباع شيئا كما تفعل السماسرة أو كانوا يمكسون الناس أو كانوا ينقصون من أثمان ما يشترون من الاشياء فنهوا عن ذلك * والعثي في الارض نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز أن يجعل التطفيف والبخس عثيا منهم في الارض (بقيت الله) ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم (خير لكم ان كنتم مؤمنين) بشرط ان تؤمنوا وانما خوطبوا بترك التطفيف والبخس والفساد في الارض وهم كفرة بشرط الايمان (فان قلت) بقية الله خير للكفرة لانهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف فلم شرط الايمان (قلت) لظهور فائدتها مع الايمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب وخفاء فائدتها مع فقده لانغماس صاحبها في غمرات الكفر وفي ذلك استعظام للايمان وتنبيه على جلالة شأنه ويجوز أن يراد ان كنتم مصدقين لي فيما أقول لكم وأنصح به اياكم ويجوز أن يراد ما يبقى لكم عند الله من الطاعات خيرا لكم كقوله والباقيات الصالحات خير عند

منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان اني أراكم بخير واني أخاف عليكم عذاب يوم محيط ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين بقيت الله خير لكم ان كنتم مؤمنين

الكفر بشرط الايمان وقد قررها الزمخشري على ذلك * عاد كلامه قال فان قلت بقية الله خير للكفرة لانهم يسلمون معها من تبعة

البخس الخ) قال أحمد وهذا أيضا من اقرار الزمخشري الآية على ظاهرها ومعنى السؤال ان الكفار اذا قدرنا خطابهم بالفروع انتفعوا باجتناب المنهيات في الدار الآخرة لان ثمرة الخلاف في مسئلة خطاب الكفار انما تظهر في الدار الآخرة واذا كانوا ينتفعون بذلك فلا معنى لاشتراط الايمان والحال مع وجوده وعدمه في الانتفاع بالامتثال سواء ومعنى الجواب ان ظهور الانتفاع بالامتثال انما يتحقق مع الايمان وأما مع الكفر فهم مخلدون في العذاب فانما تظهر الفائدة على خفاء في تحقيق مأمن العذاب والله الموفق * عاد كلامه (قال ويجوز أن يراد ما يبقى لكم من الطاعات عند الله الخ) قال أحمد قد تقدم أن عقيدة أهل السنة أن لا خالق ولا رازق الا الله ايمانا بقوله هل من خالق غير الله يرزقكم واذا كان الرزق عبارة عن كل ما يقيم به الخلق بنيتهم لزم اندراج الحرام في هذا الاطلاق عقدا وحقيقة وأما اطلاق القول باضافته على الخصوص الى الله تعالى فأمر خارج عن الاعتقاد راجع الى الاتباع والله الموفق

* قوله تعالى قالوا يا شعيب أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء (قال معناه تأمرك بتكليف أن نترك ما يعبد آباؤنا الى قوله بتاء الخطاب فيهما) قال أحمد فعلى هذه القراءة يكون أن تفعل معطوفا على ان نترك وعلى المشهور لا يجوز ذلك والله أعلم لاستحالة المعنى فيتعين العطف فيها على ما يعبد كأنهم قالوا أصلواتك تأمرك ان نترك عبادة آبائنا أو معبود آبائنا على انها مصدرية أو موصولة ثم قالوا (٦١٠) أو أن نفعل أي أو ان نترك فعلنا في أموالنا ما نشاء هذه لطيفة فتنبه لها ولا حاجة الى اضمار الزمخشري لمضاف تقديره تأمرك بتكليف ان نترك واحتجاجه لذلك بان الانسان لا يؤمر بفعل غيره اذا والمسئلة فرع من فروع خلق الافعال ومع ذلك كله فتقدير المضاف في الآية متوجه ليس بناء على القراءة المذكورة ولكن لان عرف التخاطب في مثله يقتضي ذلك والله أعلم * قوله تعالى ان أريد الا الاصلاح ما استطعت (قال ما استطعت ظرف أي مدة استطاعتي للاصلاح وما دمت متمكنا منه ويجوز أن يكون على حذف مضاف تقديره الا الاصلاح اصلاح ما استطعت أو يكون مفعولا للمصدر كقوله * ضعيف النكاية أعداءه *) قال أحمد والظاهر انه ظرف كه وفي قوله فاتقوا الله ما استطعتم وأما جعله مفعولا للمصدر وقد عرف بالالف واللام فبعيد لان أعمال المصدر المعرف في المفعول الصريح ليس بذاك قالوا ولم يوجد في القرآن عاملا في مفعول صريح ولا في غيره الا في قوله لا يحب الله الجهر بالسوء فأعمله في الجار والمدول

وما أنا عليكم بحفيظ قالوا يا شعيب أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء انك لانت الحليم الرشيد قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب ويا قوم

ربك واضافة البقية الى الله من حيث انها رزقه الذي يجوز أن يضاف اليه وأما الحرام فلا يضاف الى الله ولا يسمى رزقا واذا أريد بها الطاعة فكما تقول طاعة الله وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه ومراقبته التي تصرف عن المعاصي والقبائح (وما أنا عليكم بحفيظ) وما بعثت لاحفظ عليكم أعمالكم وأجازيكم عليها وانما بعثت مبلغا ومنبها على الخير وناصحا وقد أعذرت حين أنذرت * كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه اذا رأوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم (أصلواتك تأمرك) السخرية والهزء والصلاة وان جاز أن تكون آمرة على طريق المجاز كما كانت ناهية في قوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وأن يقال ان الصلاة تأمر بالجميل والمعروف كما يقال تدعو اليه وتبعث عليه الا أنهم ساقوا الكلام مساق الطنز وجعلوا الصلاة آمرة على سبيل التهكم بصلاته وأرادوا أن هذا الذي تأمر به من ترك عبادة الاوثان باطل لا وجه لصحته وأن مثله لا يدعوك اليه داعي عقل ولا يأمرك به آمر فطنة فلم يبق الا أن يأمرك به آمر هذيان ووسوسة شيطان وهو صلواتك التي تداوم عليها في ليلك ونهارك وعندهم أنها من باب الجنون ومما يتولع به المجانين والموسوسون من بعض الاقوال والافعال ومعنى تأمرك (أن نترك) تأمرك بتكليف أن نترك (ما يعبد آباؤنا) فحذف المضاف الذي هو التكليف لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره * وقرئ أصلاتك بالتوحيد * وقرأ ابن أبي عبلة أو ان تفعل في أموالنا ما تشاء بتاء الخطاب فيهما وهو ما كان يأمرهم به من ترك التطفيف والبخس والاقتناع بالحلال القليل من الحرام الكثير وقيل كان ينهاهم عن حذف الدراهم والدنانير وتقطيعها وأرادوا بقولهم (انك لانت الحليم الرشيد) نسبته الى غاية السفه والغي فعكسوا ليتهكموا به كما يتهكم بالشحيح الذي لا يبض حجره فيقال له لو أبصرك حاتم لسجد لك وقيل معناه انك للمتواصف بالحلم والرشد في قومك يعنون أن ما تأمر به لا يطابق حالك وما شهرت به (ورزقني منه) أي من لدنه (رزقا حسنا) وهو ما رزقه من النبوة والحكمة وقيل رزقا حسنا حلالا طيبا من غير بخس ولا تطفيف (فان قلت) أين جواب أرأيتم وماله لم يثبت كما أثبت في قصة نوح ولوط (قلت) جوابه محذوف وانما لم يثبت لان اثباته في القصتين دل على مكانه ومعنى الكلام ينادي عليه والمعنى أخبروني ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربي وكنت نبيا على الحقيقة أيصح لي أن لا آمركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي والانبياء لا يبعثون الا لذلك * يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وأنت مول عنه وخالفني عنه اذا ولى عنه وأنت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول خالفني الى الماء يريد أنه قد ذهب اليه واردا وأنا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله تعالى وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه يعني أن أسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم (ان أريد الا الاصلاح) ما أريد الا أن أصلحكم بموعظتي ونصيحتي وأمري بالمعروف ونهيي عن المنكر (ما استطعت) ظرف أي مدة استطاعتي للاصلاح وما دمت متمكنا منه لا آلو فيه جهدا أو بدل من الاصلاح أي المقدار الذي استطعته منه ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف على قولك الا الاصلاح اصلاح ما استطعت أو مفعول له كقوله

* ضعيف النكاية أعداءه * أي ما أريد الا أن أصلح ما استطعت اصلاحه من فاسدكم (وما توفيقي الا بالله) وما كوني موفقا لاصابة الحق فيما آتي وأذر ووقوعه موافقا لرضا الله الا بمعونته وتأييده والمعنى انه استوفق ربه في امضاء الامر على سننه وطلب منه التأييد والاظهار على عدوه وفي ضمنه تهديد للكفار وحسم لاطماعهم

لاطماعهم فيه * جرم مثل كسب فى تعديه الى مفعول واحد والى مفعولين تقول جرم ذنبا وكسبه وجرمته ذنبا وكسبته اياه قال * جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا * ومنه قوله تعالى (لا يجرمنكم شقاقى أن يصيبكم) أى لا يكسبنكم شقاقى اصابة العذاب وقرأ ابن كثير بضم الياء من أجرمته ذنبا اذا جعلته جارماله أى كاسبا وهو منقول من جرم المتعدى الى مفعول واحد كما نقل أكسبه المال من كسب المال وكما لافرق بين كسبته مالا وأكسبته اياه فكذلك لافرق بين جرمته ذنبا وأجرمته اياه والقراءتان مستويتان فى المعنى لاتفاوت بينهما الا أن المشهورة أفصح لفظا كما أن كسبته مالا أفصح من أكسبته والمراد بالفصاحة أنه على ألسنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم أدور وهم له أكثر استعمالا * وقرأ أبو حيوة ورويت عن نافع مثل ما أصاب بالفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله * لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت * (وما قوم لوط منكم ببعيد) يعنى أنهم أهلكوا فى عهد قريب من عهدكم فهم أقرب الهالكين منكم أو لا يبعدون منكم فى الكفر والمساوى وما يستحق به الهلاك (فان قلت) ما لبعيد لم يرد على ما يقتضيه قوم من حمله على لفظه أو معناه (قلت) اما أن يراد وما اهلاكهم ببعيد أو وما هم بشئ بعيد أو بزمان أو مكان بعيد ويجوز أن يسوى فى قريب وبعيد وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التى هى الصهيل والنهيق ونحوهما (رحيم ودود) عظيم الرحمة للتائبين فاعل بهم ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من الاحسان والاجمال (ما نفقه كثيرا مما تقول) لانهم كانوا لا يلقون اليه أذهانهم رغبة عنه وكراهية له كقوله وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه او كانوا يفقهونه ولكنهم لم يقبلوه فكأنهم لم يفقهوه أو قالوا ذلك على وجه الاستهانة به كما يقول الرجل لصاحبه اذا لم يعبأ بحديثه ما أدرى ما تقول أو جعلوا كلامه هذيانا وتخليطا لا ينفهم كثير منه وكيف لا ينفهم كلامه وهو خطيب الانبياء وقيل كان ألثغ (فينا ضعيفا) لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا ان أردنا بك مكروها وعن الحسن ضعيفا مهينا وقيل ضعيفا أعمى وحمير تسمى المكفوف ضعيفا كما يسمى ضريرا وليس بسديد لان فينا يأباه الا ترى انه لو قيل انا لنراك فينا أعمى لم يكن كلاما لان الاعمى أعمى فيهم وفى غيرهم ولذلك قللوا قومه حيث جعلوهم رهطا * والرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة وانما قالوا ولولا رهطك لاحترامهم واعتدادهم لانهم كانوا على ملتهم لا خوفا من شوكتهم وعزتهم (لرجمناك) لقتلناك شر قتلة (وما أنت علينا بعزيز) أى لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وانما يعز علينا رهطك لانهم من أهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا وقد دل ايلاء ضميره حرف النفى على أن الكلام واقع فى الفاعل لا فى الفعل كأنه قيل وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك قال فى جوابهم (أرهطى أعز عليكم من الله) ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب (فان قلت) فالكلام واقع فيه وفى رهطه وانهم الاعزة عليهم دونه فكيف صح قوله أرهطى أعز عليكم من الله (قلت) تهاونهم به وهو نبى الله تهاون بالله فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه أعز عليهم من الله ألا ترى الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله (واتخذتموه وراءكم ظهريا) ونسيتموه وجعلتموه كالشئ المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به والظهرى منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ونظيره قولهم فى النسبة الى أمس أمسى (بما تعملون محيط) قد أحاط بأعمالكم علما فلا يخفى عليه شئ منها (على مكانتكم) لا تخلو المكانة من أن تكون بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة أو تكون مصدرا من مكن مكانة فهو مكين والمعنى اعملوا قارين على جهتكم التى أنتم عليها من الشرك والشنآن لى أو اعملوا متمكنين من عداوتى مطيقين لها (انى عامل) على حسب ما يؤتينى الله من النصرة والتأييد ويمكننى (من يأتيه) يجوز أن تكون من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كأنه قيل سوف تعلمون أينا يأتيه عذاب يخزيه وأينا هو كاذب وأن تكون موصولة قد عمل فيها كأنه قيل سوف تعلمون الشقى الذى يأتيه عذاب يخزيه والذى هو كاذب (فان قلت) أى فرق بين ادخال الفاء ونزعها فى سوف تعلمون (قلت) ادخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها وصل خفى تقديرى بالاستئناف الذى هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا

لا يجرمنكم شقاقى أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربى رحيم ودود قالوا ياشعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز قال ياقوم أرهطى أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ان ربى بما تعملون محيط وياقوم اعملوا على مكانتكم انى عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب

عن اقتضاء الاعراب الى وجوه وهى ممكنة عتيدة متعينة خصوصا فى أفصح الكلام والله أعلم * قوله تعالى انا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك (قال فيه معنى قولهم ضعيفا أى لا قوة لك ولا عز فيما بيننا الخ) قال أحمد وهذا من محاسن نكته الدالة على انه كان مليا بالحذاقة فى علم البيان والله المستعان

* قوله تعالى اني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا اني معكم رقيب (قال ان قلت فقد ذكر عملهم على مكانتهم الخ) قال أحمد والظاهر والله أعلم ان الكلام مع جميعهم فالاول وهو قوله من يأتيه عذاب يخزيه مضمن ذكر جزائهم الذي يجازون به وهو الكذب ويكون من باب عطف الصفة على الصفة والموصوف واحد كما تقول لمن تهدده ستعلم من يذم ان ومن يعاقب وانما يعني المخاطب في الكلامين (٦١٢) فاذا ثبت صرف الكلامين اليهم لم يخل ذلك من دلالة على ذكر عاقبة هؤلاء اذ أحد الفريقين اذا كان مبطلا فالآخر هو المحق قطعا فذكره لاحدى العاقبتين صريحا يفهم ذكر الاخرى تعريضا والتعريض كما علمت في كثير من مواضعه أبلغ وأوقع من التصريح

وارتقبوا اني معكم رقيب ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود

فاذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت فقال سوف تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف وهو باب من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه (وارتقبوا) وانتظروا العاقبة وما أقول لكم (اني معكم رقيب) أي منتظر والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضريب والصريم بمعنى الضارب والصارم أو بمعنى المراقب كالعشير والنديم أو بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع (فان قلت) قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته ثم أتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم فكان القياس أن يقول من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى ينصرف من يأتيه عذاب يخزيه الى الجاحدين ومن هو صادق الى النبي المبعوث اليهم (قلت) القياس ما ذكرت ولكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب يعني في زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم (فان قلت) ما بال ساقتي قصة عاد وقصة مدين جاءتا بالواو والساقتان الوسطيان بالفاء (قلت) قد وقعت الوسطيان بعد ذكر الوعد وذلك قوله ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب فجيء بالفاء الذي هو للتسبيب كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت وأما الاخريان فلم تقعا بتلك المثابة وانما وقعتا مبتدأتين فكان حقهما أن تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة * الجاثم اللازم لمكانه لا يريم كاللابد يعني أن جبريل صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو قعصا (كأن لم يغنوا) كأن لم يقيموا في ديارهم أحياء متصرفين مترددين البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد ألا ترى الى قوله (كما بعدت) وقرأ السلمي بعدت بضم العين والمعنى في البناءين واحد وهو نقيض القرب الا أنهم أرادوا التفصلة بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين ضماني الخير والشر فقالوا وعد وأوعد وقراءة السلمي جاءت على الاصل اعتبارا لمعنى البعد من غير تخصيص كما يقال ذهب فلان ومضى في معنى الموت وقيل معناه بعدا لهم من رحمة الله كما بعدت ثمود منها (بآياتنا وسلطان مبين) فيه وجهان أن يراد أن هذه الآيات فيها سلطان مبين لموسى على صدق نبوته وأن يراد بالسلطان المبين العصا لانها أبهرها (وما أمر فرعون برشيد) تجهيل لمتبعيه حيث شايعوه على أمره وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه أدنى مسكة من العقل وذلك أنه ادعى الالهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالعسف والظلم والشر الذي لا يأتي الا من شيطان مارد ومثله بمعزل من الالهية ذاتا وأفعالا فاتبعوه وسلموا له دعواه وتتابعوا على طاعته والامر الرشيد الذي فيه رشد أي وما في أمره رشد انما هو غي صريح وضلال ظاهر مكشوف وانما يتبع العقلاء من يرشدهم ويهديهم لا من يضلهم ويغويهم وفيه أنهم عاينوا الآيات والسلطان المبين في أمر موسى عليه السلام وعلموا أن معه الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس في أمره رشد قط (يقدم قومه) أي كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه ويجوز أن يريد بقوله وما أمر فرعون برشيد وما أمره بصالح حميد العاقبة ويكون قوله يقدم قومه تفسيرا لذلك وايضاحا أي كيف يرشد أمر من هذه عاقبته والرشد مستعمل في كل ما يحمد ويرتضى كما استعمل الغي في كل ما يذم ويتسخط ويقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه قادمة الرحل كما يقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش وأقدم بمعنى تقدم ومنه مقدم العين (فان قلت) هلا قيل يقدم قومه فيوردهم ولم جيء بلفظ الماضي (قلت) لان الماضي يدل على أمر موجود مقطوع به فكأنه قيل يقدمهم فيوردهم النار لا محالة و(الورد) المورد (المورود) الذي وردوه شبه بالفارط الذي يتقدم

وهذا منه والذي يدل على ان الكلام معهما وان عاقبة أمر شعيب لم تذكر استغناء عنها بذكر عاقبتهم كما بيناه في الآية التي في أول هذه السورة وهي قوله تعالى قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم الواردة ألا تراه كيف اكتفى بذلك عن أن يقول ومن هو على خلاف ذلك وكذلك قوله في سورة الانعام قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار فذكر هنالك أيضا احدى العاقبتين لان المراد بهذه العاقبة عاقبة الخير ومتى أطلقت فلا يعنى الا ذلك كقوله والعاقبة للمتقين واستغنى عن ذكر مقابلتها والله أعلم فتأمل هذا الفصل فانه تحفة لمن همه تطلع درر الكتاب العزيز وضم

الواردة الى الماء وشبه أتباعه بالواردة ثم قيل بئس الورد الذى يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار ضده (وأتبعوا فى هذه) فى هذه الدنيا (لعنة) أى يلعنون فى الدنيا ويلعنون فى الآخرة (بئس الرفد المرفود) رفدهم أى بئس العون المعان وذلك أن اللعنة فى الدنيا رفد للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة فى الآخرة وقيل بئس العطاء المعطى (ذلك) مبتدأ (من أنباء القرى نقصه عليك) خبر بعد خبر أى ذلك النبأ بعض أنباء القرى المهلكة مقصوص عليك (منها) الضمير للقرى أى بعضها باق وبعضها عافى الاثر كالزرع القائم على ساقه والذى حصد (فان قلت) ما محل هذه الجملة (قلت) هى مستأنفة لا محل لها (وما ظلمناهم) باهلاكنا اياهم (ولكن ظلموا أنفسهم) بارتكاب ما به أهلكوا (فما أغنت عنهم آلهتهم) فما قدرت أن ترد عنهم بأس الله (يدعون) يعبدون وهى حكاية حال ماضية و (لما) منصوب بما أغنت (أمر ربك) عذابه ونقمته (تتبيب) تخسير يقال تب اذا خسر وتببه غيره اذا أوقعه فى الخسران * محل الكاف الرفع تقديره ومثل ذلك الاخذ (أخذ ربك) والنصب فيمن قرأ وكذلك أخذ ربك بلفظ الفعل * وقرئ اذ أخذ القرى (وهى ظالمة) حال من القرى (أليم شديد) وجيع صعب على المأخوذ وهذا تحذير من وخامة عاقبة الظلم لكل أهل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها بل لكل من ظلم غيره أو نفسه بذنب يقترفه فعلى كل من أذنب أن يحذر أخذ ربه الاليم الشديد فيبادر التوبة ولا يغتر بالامهال (ذلك) اشارة الى ما قص الله من قصص الامم الهالكة بذنوبهم (لآية لمن خاف) لعبرة له لانه ينظر الى ما أحل بالمجرمين فى الدنيا وما هو الا أنموذج مما أعد لهم فى الآخرة فاذا رأى عظمه وشدته اعتبر به عظم العذاب الموعود فيكون له عبرة وعظة ولطفا فى زيادة التقوى والخشية من الله تعالى ونحوه ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى (ذلك) اشارة الى يوم القيامة لان عذاب الآخرة دل عليه و (الناس) رفع باسم المفعول الذى هو مجموع كما يرفع بفعله اذا قلت يجمع له الناس (فان قلت) لاى فائدة أوثر اسم المفعول على فعله (قلت) لما فى اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه يوم لا بد من ان يكون ميعادا مضروبا لجمع الناس له وانه الموصوف بذلك صفة لازمة وهو أثبت أيضا لاسناد الجمع الى الناس وأنهم لا ينفكون منه ونظيره قول المتهدد انك لمنهوب مالك محروب قومك فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس فى الفعل وان شئت فوازن بينه وبين قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع تعثر على صحة ما قلت لك ومعنى يجمعون له يجمعون لما فيه من الحساب والثواب والعقاب (يوم مشهود) مشهود فيه فاتسع فى الظرف باجرائه مجرى المفعول به كقوله * ويوم شهدناه سليما وعامرا * أى يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه أحد والمراد بالمشهود الذى كثر شاهدوه ومنه قولهم لفلان مجلس مشهود وطعام محضور قال فى محفل من نواصى الناس مشهود (فان قلت) فما منعك أن تجعل اليوم مشهودا فى نفسه دون أن تجعله مشهودا فيه كما قال الله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه (قلت) الغرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وتميزه من بين الايام فان جعلته مشهودا فى نفسه فسائر الايام كذلك مشهودات كلها ولكن يجعل مشهودا فيه حتى يحصل التمييز كما تميز يوم الجمعة عن أيام الاسبوع بكونه مشهودا فيه دونها ولم يجز أن يكون مشهودا فى نفسه لان سائر ايام الاسبوع مثله يشهدها كل من يشهده وكذلك قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه الشهر منتصب ظرفا لا مفعولا به وكذلك الضمير فى فليصمه والمعنى فمن شهد منكم فى الشهر فليصم فيه يعنى فمن كان منكم مقيما حاضرا لوطنه فى شهر رمضان فليصم فيه ولو نصبته مفعولا فالمسافر والمقيم كلاهما يشهدان الشهر لا يشهده المقيم ويغيب عنه المسافر * الاجل يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى منتهاها فيقولون انتهى الاجل وبلغ الاجل آخره ويقولون حل الاجل فاذا جاء أجلهم يراد آخر مدة التأجيل والعد انما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها فمعنى قوله (وما نؤخره الا لأجل معدود) الا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف وقرئ وما يؤخره بالياء * وقرئ يوم يأت بغير ياء ونحوه قولهم لا أدر حكاه الخليل وسيبويه وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير فى لغة هذيل (فان قلت) فاعل يأتى ما هو (قلت) الله عز وجل كقوله هل ينظرون الا أن يأتيهم الله أو يأتى ربك وجاء ربك وتعضده قراءة من قرأ وما يؤخره

وأتبعوا فى هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شئ لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذه أليم شديد ان فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره الا لأجل معدود يوم يأت

بعضها الى بعض والله الموفق للصواب قوله تعالى ذلك يوم مجموع له الناس (قال فيه ان قلت لم عدل عن الفعل الى اسم المفعول الخ) قال أحمد وهذا السرور قوله تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق والطير محشورة فاستعمل الفعل حيث يليق به واسم المفعول حيث يحسن استعماله أيضا الخ * قوله تعالى وذلك يوم مشهود (قال المراد مشهود فيه فاتسع فى الظرف الخ) قال أحمد يكون المشهود الذى هو المفعول به مسكوتا عنه مبهما ومن الابهام ما يكون تفخيما وهذا امكانه

بالياء وقوله باذنه ويجوز أن يكون الفاعل ضمير اليوم كقوله تعالى أن تأتيهم الساعة (فان قلت) بما انتصب
الظرف (قلت) اما أن ينتصب بلا تكلم واما باضمار اذكر واما بالانتهاء المحذوف فى قوله الا لاجل معدود
أى ينتهى الاجل يوم يأتى (فان قلت) فاذا جعلت الفاعل ضمير اليوم فقد جعلت اليوم وقتا لاتيان اليوم
وحددت الشئ بنفسه (قلت) المراد اتيان هوله وشدائده (لا تكلم) لا تتكلم وهو نظير قوله لا يتكلمون
الا من أذن له الرحمن (فان قلت) كيف يوفق بين هذا وبين قوله تعالى يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها
وقوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون (قلت) ذلك يوم طويل له مواقف ومواطن ففى
بعضها يجادلون عن أنفسهم وفى بعضها يكفون عن الكلام فلا يؤذن لهم وفى بعضها يؤذن لهم فيتكلمون وفى
بعضها يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وتشهد أرجلهم (فمنهم) الضمير لاهل الموقف ولم يذكروا لان
ذلك معلوم ولان قوله لا تكلم نفس يدل عليه وقد مر ذكر الناس فى قوله مجموع له الناس * والشقى الذى
وجبت له النار لاساءته * والسعيد الذى وجبت له الجنة لاحسانه * قراءة العامة بفتح الشين وعن الحسن
شقوا بالضم كما قرئ سعدوا * والزفير اخراج النفس * والشهيق رده قال الشماخ

بعيد مدى التطريب أول صوته * زفير ويتلوه شهيق محشرج

(مادامت السموات والارض) فيه وجهان أحدهما أن تراد سموات الآخرة وأرضها وهى دائمة مخلوقة
للابد والدليل على أن لها سموات وأرضا قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله وأورثنا
الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء ولانه لا بد لاهل الآخرة مما يقلهم ويظلهم اما سماء يخلقها الله أو يظلهم
العرش وكل ما أظلك فهو سماء والثانى أن يكون عبارة عن التأبيد ونفى الانقطاع كقول العرب ما دام تعار
وما أقام ثبير وما لاح كوكب وغير ذلك من كلمات التأبيد (فان قلت) فما معنى الاستثناء فى قوله (الا ما شاء
ربك) وقد ثبت خلود أهل الجنة والنار فى الابد من غير استثناء (قلت) هو استثناء من الخلود فى عذاب النار
ومن الخلود فى نعيم الجنة وذلك أن أهل النار لا يخلدون فى عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وبأنواع
من العذاب سوى عذاب النار وبما هو أغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم وخسؤه لهم واهانته اياهم وكذلك
أهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو أكبر منها وأجل موقعا منهم وهو رضوان الله كما قال وعد الله المؤمنين
والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر
ولهم ما يتفضل الله به عليهم سوى ثواب الجنة مما لا يعرف كنهه الا هو فهو المراد بالاستثناء والدليل عليه قوله
عطاء غير مجذوذ ومعنى قوله فى مقابلته (ان ربك فعال لما يريد) أنه يفعل بأهل النار ما يريد من العذاب كما
يعطى أهل الجنة عطاءه الذى لا انقطاع له فتأمله فان القرآن يفسر بعضه بعضا ولا يخدعنك عنه قول المجبرة
ان المراد بالاستثناء خروج أهل الكبائر من النار بالشفاعة فان الاستثناء الثانى ينادى على تكذيبهم
ويسجل بافترائهم وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض النوابت عن عبد الله بن عمرو بن العاص
ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا وقد بلغنى أن من
الضلال من اغتر بهذا الحديث فاعتقد أن الكفار لا يخلدون فى النار وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان
المبين زادنا الله هداية الى الحق ومعرفة بكتابه وتنبها على أن نعقل عنه ولئن صح هذا عن ابن العاص
فمعناه أنهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير فذلك خلو جهنم وصفق أبوابها وأقول ما كان لابن عمرو فى
سيفيه ومقاتلته بهما على بن أبى طالب رضى الله عنه ما يشغله عن تسيير هذا الحديث (غير مجذوذ) غير
مقطوع ولكنه ممتد الى غير نهاية كقوله لهم أجر غير ممنون * لما قص قصص عبدة الاوثان وذكر ما أحل بهم
من نقمه وما أعد لهم من عذابه قال (فلا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء) أى فلا تشك بعد ما أنزل عليك من هذه
القصص فى سوء عاقبة عبادتهم وتعرضهم بها لما أصاب أمثالهم قبلهم تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وعدة بالانتقام منهم ووعيدا لهم ثم قال (ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم) يريد أن حالهم فى الشرك مثل حال
آبائهم من غير تفاوت بين الحالين وقد بلغك ما نزل بآبائهم فسينزلن بهم مثله وهو استئناف معناه تعليل

لا تكلم نفس الا باذنه
فمنهم شقى وسعيد فأما
الذين شقوا ففى النار
لهم فيها زفير وشهيق
خالدين فيها مادامت
السموات والارض الا
ماشاء ربك ان ربك فعال
لما يريد وأما الذين سعدوا
ففى الجنة خالدين فيها ما
دامت السموات والارض
الا ماشاء ربك عطاء غير
مجذوذ فلا تك فى مرية
مما يعبد هؤلاء ما يعبدون
الا كما يعبد آباؤهم من
قبل

النهي عن المرية وما في مما وكما يجوز أن تكون مصدرية وموصولة أي من عبادتهم وكعبادتهم أو مما يعبدون من الأوثان ومثل ما يعبدون منها (وانا لموفوهم نصيبهم) أي حظهم من العذاب كما وفينا آباءهم أنصباءهم (فان قلت) كيف نصب (غير منقوص) حالا عن النصيب الموفى (قلت) يجوز أن يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل ألا تراك تقول وفيته شطر حقه وثلث حقه وحقه كاملا وناقصا (فاختلف فيه) آمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف في القرآن (ولولا كلمة) يعني كلمة الانظار الى يوم القيامة (لقضى بينهم) بين قوم موسى أو قومك وهذه من جملة التسلية أيضا (وان كلا) التنوين عوض من المضاف اليه يعني وان كلهم وان جميع المختلفين فيه (ليوفينهم) جواب قسم محذوف * واللام في لما موطئة للقسم وما مزيدة والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم (ربك أعمالهم) من حسن وقبيح وايمان وجحود * وقرئ وان كلا بالتخفيف على اعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لأصلها الذي هو التثقيل وقرأ أبي وان كل لما ليوفينهم على أن ان نافية ولما بمعنى الا وقراءة عبد الله مفسرة لها وان كل الا ليوفينهم وقرأ الزهري وسليمان بن أرقم وان كلا لما ليوفينهم بالتنوين كقوله أكلا لما والمعنى وان كلا ملومين بمعنى مجموعين كأنه قيل وان كلا جميعا كقوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون (فاستقم كما أمرت) فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي أمرت بها على جادة الحق غير عادل عنها (ومن تاب معك) معطوف على المستتر في استقم وانما جاز العطف عليه ولم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه والمعنى فاستقم أنت وليستقم من تاب عن الكفر وآمن معك (ولا تطغوا) ولا تخرجوا عن حدود الله (انه بما تعملون بصير) عالم فهو مجازيكم به فاتقوه وعن ابن عباس ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع القرآن آية كانت أشد ولا أشق عليه من هذه الآية ولهذا قال شيبتني هود والواقعة وأخواتهما وروى أن أصحابه قالوا له لقد أسرع فيك الشيب فقال شيبتني هود وعن بعضهم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت له روي عنك أنك قلت شيبتني هود فقال نعم فقلت ما الذي شيبك منها أقصص الأنبياء وهلاك الأمم قال لا ولكن قوله فاستقم كما أمرت وعن جعفر الصادق رضي الله عنه فاستقم كما أمرت قال افتقر الى الله بصحة العزم * قرئ ولا تركنوا بفتح الكاف وضمها مع فتح التاء وعن أبي عمرو بكسر التاء وفتح الكاف على لغة تميم في كسرهم حروف المضارعة الا الياء في كل ما كان من باب علم يعلم ونحوه قراءة من قرأ فتمسكم النار بكسر التاء وقرأ ابن أبي عبلة ولا تركنوا على البناء للمفعول من أركنه اذا أماله والنهي متناول للانحطاط في هواهم والانقطاع اليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا بأعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين الى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم وتأمل قوله ولا تركنوا فان الركون هو الميل اليسير وقوله (الى الذين ظلموا) أي الى الذين وجد منهم الظلم ولم يقل الى الظالمين وحكي أن الموفق صلى خلف الامام فقرأ بهذه الآية فغشي عليه فلما أفاق قيل له فقال هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن رحمه الله جعل الله الدين بين لاءين ولا تطغوا ولا تركنوا ولما خالط الزهري السلاطين كتب اليه أخ له في الدين عافانا الله واياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعو لك الله ويرحمك أصبحت شيخا كبيرا وقد أثقلتك نعم الله بما فهمك الله من كتابه وعلمك من سنة نبيه وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء قال الله سبحانه لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت أنك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين أدناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيك الى ضلالهم يدخلون الشك بك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما أكثر ما أخذوا منك في جنب ما أفسدوا عليك من دينك فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله فيهم فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا فانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء والسلام وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وعن

وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب وان كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم انه بما يعملون خبير فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار

---

* قوله تعالى وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص (قال) أي حظهم من العذاب وانما نصب غير منقوص حالا من النصيب الموفى لأنه يجوز أن يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل الا تراك تقول وفيته شطر حقه وحقه كاملا (قال أحمد) وهم والله أعلم فان التوفية تستلزم عدم نقصان الموفى كاملا كان أو ناقصا فقولك وفيته نصف حقه يستلزم عدم نقصانه فالوجه انتصابه حالا عنه والأوجه أن يقال استعملت التوفية بمعنى الاعطاء كما استعمل التوفي بمعنى الأخذ ومن قال أعطيت فلانا حقه كان جديرا أن يؤكده بقوله غير منقوص والله أعلم

الاوزاعى مامن شئ أبغض الى الله من عالم يزور عاملا وعن محمد بن مسلمة الذباب على العذرة أحسن من قارئ على باب هؤلاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا للظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله فى أرضه ولقد سئل سفيان عن ظالم أشرف على الهلاك فى برية هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت (ومالكم من دون الله من أولياء) حال من قوله فتمسكم أى فتمسكم النار وأنتم على هذه الحال ومعناه ومالكم من دون الله من أنصار يقدرون على منعكم من عذابه لا يقدر على منعكم منه غيره (ثم لا تنصرون) ثم لا ينصركم هو لانه وجب فى حكمته تعذيبكم وترك الابقاء عليكم (فان قلت) فما معنى ثم (قلت) معناها الاستبعاد لان النصرة من الله مستبعدة مع استيجابهم العذاب واقتضاء حكمته له (طرفى النهار) غدوة وعشية (وزلفا من الليل) وساعات من الليل وهى ساعاته القريبة من آخر النهار من أزلفه اذا قربه وازدلف اليه وصلاة الغدوة الفجر وصلاة العشية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشى وصلاة الزلف المغرب والعشاء وانتصاب طرفى النهار على الظرف لانهما مضافان الى الوقت كقولك أقمت عنده جميع النهار وأتيته نصف النهار وأوله وآخره تنصب هذا كله على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه ونحوه وأطراف النهار وقرئ وزلفا بضمتين وزلفا بسكون اللام وزلفى بوزن قربى فالزلف جمع زلفة كظلم فى ظلمة والزلف بالسكون نحو بسرة وبسر والزلف بضمتين نحو بسر فى بسر والزلفى بمعنى الزلفة كما أن القربى بمعنى القربة وهو ما يقرب من آخر النهار من الليل وقيل وزلفا من الليل وقربا من الليل وحقها على هذا التفسير أن تعطف على الصلاة أى أقم الصلاة طرفى النهار وأقم زلفا من الليل على معنى وأقم صلاة تتقرب بها الى الله عز وجل فى بعض الليل (ان الحسنات يذهبن السيآت) فيه وجهان أحدهما أن يراد تكفير الصغائر بالطاعات وفى الحديث ان الصلاة الى الصلاة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر والثانى ان الحسنات يذهبن السيآت بأن يكن لطفا فى تركها كقوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل نزلت فى أبى اليسر عمرو بن غزية الانصارى كان يبيع التمر فأتته امرأة فأعجبته فقال لها ان فى البيت أجود من هذا التمر فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما فعل فقال صلى الله عليه وسلم انتظر أمر ربى فلما صلى صلاة العصر نزلت فقال نعم اذهب فانها كفارة لما عملت وروى أنه أتى أبا بكر فأخبره فقال استر على نفسك وتب الى الله فأتى عمر رضى الله عنه فقال له مثل ذلك ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فقال عمر أهذا له خاصة أم للناس عامة فقال بل للناس عامة وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له توضأ وضوأ حسنا وصل ركعتين ان الحسنات يذهبن السيآت (ذلك) اشارة الى قوله فاستقم فما بعده (ذكرى للذاكرين) عظة للمتعظين ثم كر الى التذكير بالصبر بعد ما جاء بما هو خاتمة للتذكير وهذا الكر وله فضل خصوصية ومزية وتنبيه على مكان الصبر ومحله كأنه قال وعليك بما هو أهم مما ذكرت به وأحق بالتوصية وهو الصبر على امتثال ما أمرت به والانتهاء عما نهيت عنه فلا يتم شئ منه الا به (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) جاء بما هو مشتمل على الاستقامة واقامة الصلوات والانتهاء عن الطغيان والركون الى الظالمين والصبر وغير ذلك من الحسنات (فلولا كان من القرون) فهلا كان وقد حكوا عن الخليل كل لولا فى القرآن فمعناها هلا الا التى فى الصافات وما صحت هذه الحكاية ففى غير الصافات لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء ولولا رجال مؤمنون ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم (أولوا بقية) أولو فضل وخير وسمى الفضل والجودة بقية لان الرجل يستبقى مما يخرجه أجوده وأفضله فصار مثلا فى الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم أى من خيارهم وبه فسر بيت الحماسة

• ان تذنبوا ثم يأتينى بقيتكم •

ومنه قولهم فى الزوايا خبايا وفى الرجال بقايا ويجوز أن تكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى أى فهلا كان منهم ذوو بقاء على أنفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه وقرئ أولوا بقية بوزن لقية من بقاه يبقيه اذا راقبه وانتظره ومنه بقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم والبقية المرة من مصدره والمعنى فلولا كان منهم أولو مراقبة وخشية من انتقام الله كأنهم ينتظرون ايقاعه بهم

لاشفاقهم

ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون وأقم الصلوة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيآت ذلك ذكرى للذاكرين واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد فى الارض

لاشتغالهم (الاقليلا) استثناء منقطع معناه ولكن قليلا ممن أنجينا من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهى * ومن فى (ممن أنجينا) حقها أن تكون للبيان لا للتبعيض لان النجاة انما هى للناهين وحدهم بدليل قوله تعالى أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا (فان قلت) هل لوقوع هذا الاستثناء متصلا وجه يحمل عليه (قلت) ان جعلته متصلا على ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسدا لانه يكون تحضيضا لاولى البقية على النهى عن الفساد الا للقليل من الناجين منهم كما تقول هلا قرأ قومك القرآن الا الصلحاء منهم تريد استثناء الصلحاء من المحضضين على قراءة القرآن وان قلت فى تحضيضهم على النهى عن الفساد معنى نفيه عنهم فكأنه قيل ما كان من القرون أولو بقية الا قليلا كان استثناء متصلا ومعنى صحيحا وكان انتصابه على أصل الاستثناء وان كان الافصح أن يرفع على البدل (واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه) أراد بالذين ظلموا تاركى النهى عن المنكرات أى لم يهتموا بما هو ركن عظيم من أركان الدين وهو الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وعقدوا هممهم بالشهوات واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترفه من حب الرياسة والثروة وطلب أسباب العيش الهنىء ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم وقرأ أبو عمرو فى رواية الجعفى وأتبع الذين ظلموا يعنى وأتبعوا جزاء ما أترفوا فيه ويجوز أن يكون المعنى فى القراءة المشهورة أنهم اتبعوا جزاء اترافهم وهذا معنى قوى لتقدم الانجاء كأنه قيل الا قليلا ممن أنجينا منهم وهلك السائر (فان قلت) علام عطف قوله واتبع الذين ظلموا (قلت) ان كان معناه واتبعوا الشهوات كان معطوفا على مضمر لان المعنى الا قليلا ممن أنجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا وان كان معناه واتبعوا جزاء الاتراف فالواو للحال كأنه قيل أنجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم (فان قلت) فقوله (وكانوا مجرمين) (قلت) على أترفوا أى اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالآثام أو أريد بالاجرام اغفالهم للشكر أو على اتبعوا أى اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك ويجوز أن يكون اعتراضا وحكما عليهم بأنهم قوم مجرمون (كان) بمعنى صح واستقام * واللام لتأكيد النفى و(بظلم) حال من الفاعل والمعنى واستحال فى الحكمة أن يهلك الله القرى ظالما لها (وأهلها) قوم (مصلحون) تنزيها لذاته عن الظلم وايذانا بأن اهلاك المصلحين من الظلم وقيل الظلم الشرك ومعناه أنه لا يهلك القرى بسبب شرك أهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون الى شركهم فسادا آخر * (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) يعنى لاضطرهم الى أن يكونوا أهل أمة واحدة أى ملة واحدة وهى ملة الاسلام كقوله ان هذه أمتكم أمة واحدة وهذا الكلام يتضمن نفى الاضطرار وأنه لم يضطرهم الى الاتفاق على دين الحق ولكنه مكنهم من الاختيار الذى هو أساس التكليف فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل فاختلفوا فلذلك قال (ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك) الا ناسا هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه (ولذلك خلقهم) ذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام الاول وتضمنه يعنى ولذلك من التمكين والاختيار الذى كان عنه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره (وتمت كلمة ربك) وهى قوله للملائكة (لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) لعلمه بكثرة من يختار الباطل (وكلا) التنوين فيه عوض من المضاف اليه كأنه قيل وكل نبأ (نقص عليك) و(من أنباء الرسل) بيان لكل و(ما نثبت به فؤادك) بدل من كلا ويجوز أن يكون المعنى وكل اقتصاص نقص عليك على معنى وكل نوع من أنواع الاقتصاص نقص عليك يعنى على الاساليب المختلفة وما نثبت به مفعول نقص ومعنى تثبيت فؤاده زيادة يقينه وما فيه طمأنينة قلبه لان تكاثر الادلة أثبت للقلب وأرسخ للعلم (وجاءك فى هذه الحق) أى فى هذه السورة أو فى هذه الانباء المقتصة فيها ما هو حق (وموعظة وذكرى * وقل للذين لا يؤمنون) من أهل مكة وغيرهم (اعملوا) على حالكم وجهتكم التى أنتم عليها (انا عاملون وانتظروا) بنا الدوائر (انا منتظرون) أن ينزل بكم نحو ما اقتص من الله النقم النازلة بأشباهكم (ولله غيب السموات والارض) لا تخفى عليه خافية مما يجرى فيهما فلا تخفى عليه أعمالكم (واليه يرجع الامر كله) فلا بد أن يرجع اليه أمرهم

الاقليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون وانتظروا انا منتظرون ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله

وأمرك فينتقم لك منهم (فاعبده وتوكل عليه) فانه كافيك وكافلك (وما ربك بغافل عما يعملون) وقرئ تعملون بالتاء أي أنت وهم على تغليب المخاطب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء ان شاء الله تعالى الى ذلك

﴿سورة يوسف مكية وهي مائة واحدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(تلك) اشارة الى آيات السورة و(الكتاب المبين) السورة أي تلك الآيات التي أنزلت اليك في هذه السورة آيات السورة الظاهر أمرها في اعجاز العرب وتبكيتهم أو التي تبين لمن تدبرها أنها من عند الله لا من عند البشر أو الواضحة التي لا تشتبه على العرب معانيها لنزوله بلسانهم أو قد أبين فيها ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف فقد روي أن علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف (أنزلناه) أنزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه (قرآنا عربيا) وسمي بعض القرآن قرآنا لأن القرآن اسم جنس يقع على كله وبعضه (لعلكم تعقلون) ارادة أن تفهموه وتحيطوا بمعانيه ولا يلتبس عليكم ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته (القصص) على وجهين يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث يقصه قصصا كقولك شله يشله شللا اذا طرده ويكون فعلا بمعنى مفعول كالنفض والحسب ونحوه النبأ والخبر في معنى المنبأ به والمخبر به ويجوز أن يكون من تسمية المفعول بالمصدر كالخلق والصيد وان أريد المصدر فمعناه نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص (بما أوحينا اليك هذا القرآن) أي بايحائنا اليك هذه السورة على أن يكون أحسن منصوبا نصب المصدر لاضافته اليه ويكون المقصوص محذوفا لأن قوله بما أوحينا اليك هذا القرآن مغن عنه ويجوز أن ينتصب هذا القرآن بنقص كأنه قيل نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص هذا القرآن بايحائنا اليك والمراد بأحسن الاقتصاص أنه اقتص على أبدع طريقة وأعجب أسلوب ألا ترى أن هذا الحديث مقتص في كتب الأولين وفي كتب التواريخ ولا ترى اقتصاصه في كتاب منها مقاربا لاقتصاصه في القرآن وان أريد بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقص عليك أحسن ما يقص من الأحاديث وانما كان أحسنه لما يتضمن من العبر والنكت والحكم والعجائب التي ليست في غيرها والظاهر أنه أحسن ما يقتص في بابه كما يقال في الرجل هو أعلم الناس وأفضلهم يراد في فنه (فان قلت) مم اشتقاق القصص (قلت) من قص أثره اذا اتبعه لأن الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما يقال تلا القرآن اذا قرأه لأنه يتلو أي يتبع ما حفظ منه آية بعد آية (وان كنت) ان مخففة من الثقيلة * واللام هي التي تفرق بينها وبين النافية والضمير في (قبله) راجع الى قوله ما أوحينا والمعنى وان الشأن والحديث كنت من قبل ايحائنا اليك من الغافلين عنه أي من الجاهلين به ما كان لك فيه علم قط ولا طرق سمعك طرف منه (اذ قال يوسف) بدل من أحسن القصص وهو من بدل الاشتمال لأن الوقت مشتمل على القصص وهو المقصوص فاذا قص وقته فقد قص أو باضمار اذكر ويوسف اسم عبراني وقيل عربي وليس بصحيح لأنه لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف (فان قلت) فما تقول فيمن قرأ يوسف بكسر السين أو يوسف بفتحها هل يجوز على قراءته أن يقال هو عربي لأنه على وزن المضارع المبني للفاعل أو المفعول من آسف وانما منع الصرف للتعريف ووزن الفعل (قلت) لا لأن القراءة المشهورة قامت بالشهادة على أن الكلمة أعجمية فلا تكون عربية تارة وأعجمية أخرى ونحو يوسف يونس رويت فيه هذه اللغات الثلاث ولا يقال هو عربي لأنه في لغتين منها بوزن المضارع من آنس وأونس وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قيل من الكريم فقولوا الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف

ابن

فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون

﴿سورة يوسف مكية وهي مائة واحدى عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الر تلك آيات الكتاب المبين انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين اذ قال يوسف لابيه

ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم (يا أبت) قرئ بالحركات الثلاث (فان قلت) ماهذه التاء (قلت) تاء تأنيث وقعت عوضا من ياء الاضافة والدليل على أنها تاء تأنيث قلبها هاء فى الوقف (فان قلت) كيف جاز الحاق تاء التأنيث بالمذكر (قلت) كما جاز نحو قولك حمامة ذكر وشاة ذكر ورجل ربعة وغلام يفعة (فان قلت) فلم ساغ تعويض تاء التأنيث من ياء الاضافة (قلت) لان التأنيث والاضافة يتناسبان فى أن كل واحد منهما زيادة مضمومة الى الاسم فى آخره (فان قلت) فما هذه الكسرة (قلت) هى الكسرة التى كانت قبل الياء فى قولك يا أبى قد زحلقت الى التاء لاقتضاء تاء التأنيث أن يكون ماقبلها مفتوحا (فان قلت) فما بال الكسرة لم تسقط بالفتحة التى اقتضتها التاء وتبقى التاء ساكنة (قلت) امتنع ذلك فيها لانها اسم والاسماء حقها التحريك لاصالتها فى الاعراب وانما جاز تسكين الياء وأصلها أن تحرك تخفيفا لانها حرف لين وأما التاء فحرف صحيح نحو كاف الضمير فلزم تحريكها (فان قلت) يشبه الجمع بين التاء وبين هذه الكسرة الجمع بين العوض والمعوض منه لانها فى حكم الياء اذا قلت يا غلام فكما لا يجوز يا أبتى لا يجوز يا أبت (قلت) الياء والكسرة قبلها شيآن والتاء عوض من أحد الشيئين وهو الياء والكسرة غير متعرض لها فلا يجمع بين العوض والمعوض منه الا اذا جمع بين التاء والياء لاغير ألا ترى الى قولهم يا أبتا مع كون الالف فيه بدلا من الياء كيف جاز الجمع بينها وبين التاء ولم يعد ذلك جمعا بين العوض والمعوض منه فالكسرة أبعد من ذلك (فان قلت) فقد دلت الكسرة فى يا غلام على الاضافة لانها قرينة الياء ولصيقتها فان دلت على مثل ذلك فى يا أبت فالتاء المعوضة لغو وجودها كعدمها (قلت) بل حالها مع التاء كحالها مع الياء اذا قلت يا أبى (فان قلت) فما وجه من قرأ بفتح التاء وضمها (قلت) أما من فتح فقد حذف الالف من يا أبتا واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من حذف الياء فى ياغلام ويجوز أن يقال حركها بحركة الياء المعوض منها فى قولك يا أبى وأما من ضم فقد رأى اسما فى آخره تاء تأنيث فأجراه مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء فقال يا أبت كما تقول يا ثبة ٣ من غير اعتبار لكونها عوضا من ياء الاضافة * وقرئ انى رأيت بتحريك الياء وأحد عشر بسكون العين تخفيفا لتوالى المتحركات فيما هو فى حكم اسم واحد وكذا الى تسعة عشر الا اثنى عشر لئلا يلتقى ساكنان ورأيت من الرؤيا لا من الرؤية لان ماذكره معلوم أنه منام لان الشمس والقمر لو اجتمعا مع الكواكب ساجدة ليوسف فى حال اليقظة لكانت آية عظيمة ليعقوب عليه السلام ولما خفيت عليه وعلى الناس (فان قلت) ما أسماء تلك الكواكب (قلت) روى جابر أن يهوديا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أخبرنى عن النجوم التى رآهن يوسف فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام فأخبره بذلك فقال النبى صلى الله عليه وسلم لليهودى ان أخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودى اى والله انها لاسماؤها وقيل الشمس والقمر أبواه وقيل أبوه وخالته والكواكب اخوته وعن وهب أن يوسف رأى وهو ابن سبع سنين أن احدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة فى الارض كهيئة الدارة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك أن تذكر هذا لاخوتك ثم رأى وهو ابن ثنتى عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على أبيه فقال له لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه أربعون سنة وقيل ثمانون (فان قلت) لم أخر الشمس والقمر (قلت) أخرهما ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص بيانا لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع كما أخر جبريل وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما عليها لذلك ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع أى رأيت الكواكب مع الشمس والقمر (فان قلت) مامعنى تكرار رأيت (قلت) ليس بتكرار انما هو كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جوابا له كأن يعقوب عليه السلام قال له عند قوله انى رأيت أحد عشر كوكبا كيف رأيتها سائلا عن حال رؤيتها فقال (رأيتهم لى ساجدين) (فان قلت) فلم أجريت مجرى العقلاء فى رأيتهم لى ساجدين (قلت) لانه لما وصفها بما هو خاص

يا أبت انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين قال يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك

﴿القول فى سورة يوسف عليه السلام﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين (قال ان قلت مامعنى تكرار رأيت الخ) قال أحمد وأحسن من ذلك ان الكلام طال بين الفعل والحال فطرى ذكر الفعل لمناسبة الحال وهى المقصودة اذ الآية فى السجود كانت والله أعلم

٣ (قوله يا ثبة) بالمثناة وتشديد الموحدة فى غالب النسخ وفى القاموس الثبة بالكسر الحالة الشديدة اه وفى نسخة يا ابنة تأنيث ابن اه من هامش الاصل

بالعقلاء وهو السجود أجرى عليها حكمهم كأنها عاقلة وهذا كثير شائع فى كلامهم أن يلابس الشئ الشئ
من بعض الوجوه فيعطى حكما من أحكامه اظهارا لأثر الملابسة والمقاربة * عرف يعقوب عليه السلام دلالة
الرؤيا على أن يوسف يبلغه الله مبلغا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل
بآبائه فخاف عليه حسد الاخوة وبغيهم * والرؤيا بمعنى الرؤية الا أنها مختصة بما كان منها فى المنام دون اليقظة
فرق بينهما بحرفى التأنيث كما قيل القربة والقربى وقرئ رويك بقلب الهمزة واوا وسمع الكسائى رياك ورياك
بالادغام وضم الراء وكسرها وهى ضعيفة لان الواو فى تقدير الهمزة فلا يقوى ادغامها كما لم يقو الادغام
فى قولهم اتزر من الازار واتجر من الاجر (فيكيدوا) منصوب باضمار أن والمعنى ان قصصتها عليهم كادوك
(فان قلت) هلا قيل فيكيدوك كما قيل فكيدونى (قلت) ضمن معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى فعل
الكيد مع افادة معنى الفعل المضمن فيكون آكد وأبلغ فى التخويف وذلك نحو فيحتالوا لك ألا ترى الى
تأكيده بالمصدر (عدو مبين) ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحواء ولقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم
فهو يحمل على الكيد والمكر وكل شر ليورط من يحسده ولا يؤمن ان يحملهم على مثله (وكذلك) ومثل
ذلك الاجتباء (يجتبيك ربك) يعنى وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز وكبرياء شأن
كذلك يجتبيك ربك لامور عظام وقوله (ويعلمك) كلام مبتدأ غير داخل فى حكم التشبيه كأنه قيل وهو
يعلمك ويتم نعمته عليك والاجتباء الاصطفاء افتعال من جبيت الشئ اذا حصلته لنفسك وجبيت الماء فى
الحوض جمعته * والاحاديث الرؤيا لان الرؤيا اما حديث نفس أو ملك أو شيطان * وتأويلها عبارتها
وتفسيرها وكان يوسف عليه السلام أعبر الناس للرؤيا وأصحهم عبارة لها ويجوز أن يراد بتأويل الاحاديث
معانى كتب الله وسنن الانبياء وما غمض واشتبه على الناس من اغراضها ومقاصدها يفسرها لهم ويشرحها
ويدلهم على مودعات حكمها وسميت أحاديث لانه يحدث بها عن الله ورسله فيقال قال الله وقال الرسول كذا
وكذا ألا ترى الى قوله تعالى فبأى حديث بعده يؤمنون الله نزل أحسن الحديث وهو اسم جمع للحديث
وليس بجمع أحدوثة * ومعنى اتمام النعمة عليهم انه وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة بان جعلهم أنبياء فى
الدنيا وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلا فى الجنة وقيل اتمها على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار ومن
ذبح الولد وعلى اسحق بانجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه
وقيل علم يعقوب أن يوسف يكون نبيا واخوته أنبياء استدلالا بضوء الكواكب فلذلك قال وعلى آل يعقوب
وقيل لما بلغت الرؤيا اخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضى ان سجد له اخوته حتى سجد له أبواه وقيل كان
يعقوب مؤثرا له بزيادة المحبة والشفقة لصغره ولما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما رأى
الرؤيا ضاعف له المحبة فكان يضمه كل ساعة الى صدره ولا يصبر عنه فتبالغ فيهم الحسد وقيل لما قص رؤياه
على يعقوب قال هذا أمر مشتت يجمعه الله لك بعد دهر طويل * وآل يعقوب أهله وهم نسله وغيرهم وأصل
آل أهل بدليل تصغيره على أهيل الا أنه لا يستعمل الا فيمن له خطر يقال آل النبى وآل الملك ولا يقال آل
الحائك ولا آل الحجام ولكن أهلهما * وأراد بالابوين الجد وأبا الجد لانهما فى حكم الاب فى الاصالة ومن ثم
يقولون ابن فلان وان كان بينه وبين فلان عدة و(ابراهيم واسحق) عطف بيان لابويك (ان ربك عليم)
يعلم من يحق له الاجتباء (حكيم) لا يتم نعمته الا على من يستحقها (فى يوسف واخوته) أى فى قصتهم
وحديثهم (آيات) علامات ودلائل على قدرة الله وحكمته فى كل شئ (للسائلين) لمن سأل عن قصتهم
وعرفها وقيل آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سألوه من اليهود عنها فاخبرهم بالصحة من
غير سماع من أحد ولا قراءة كتاب * وقرئ آية وفى بعض المصاحف عبرة وقيل انما قص الله تعالى
على النبى عليه الصلاة والسلام خبر يوسف وبغى اخوته عليه لما رأى من بغى قومه عليه ليتأسى به
وقيل أسماؤهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوى وزبالون ويشجر ودينة ودان ونفتالى وجاد وآشر السبعة
الاولون كانوا من ليا بنت خالة يعقوب والاربعة الآخرون من سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج

فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحاق ان ربك عليم حكيم لقد كان فى يوسف واخوته آيات للسائلين اذ قالوا

اختها

أخبارا حيل فولدت بنيامين ويوسف (ليوسف) اللام للابتداء وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة أرادوا أن زيادة محبته لهما أمر ثابت لا شبهة فيه (وأخوه) هو بنيامين وانما قالوا أخوه وهم جميعا اخوته لان أمهما كانت واحدة وقيل (أحب) في الاثنين لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث اذا كان معه من ولا بد من الفرق مع لام التعريف واذا أضيف جاز الامران والواو في (ونحن عصبة) واو الحال يعني انه يفضلهما في المحبة علينا وهما اثنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن جماعة عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه فنحن أحق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما (ان أبانا لفي ضلال مبين) أي في ذهاب عن طريق الصواب في ذلك * والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا وقيل الى الاربعين سموا بذلك لانهم جماعة تعصب بهم الامور ويستكفون النوائب وروى النزال بن سبرة عن علي رضي الله عنه ونحن عصبة بالنصب وقيل معناه ونحن نجتمع عصبة وعن ابن الانباري هذا كما تقول العرب انما العامري عمته أي يتعهد عمته (اقتلوا يوسف) من جملة ما حكي بعد قوله اذ قالوا كأنهم أطبقوا على ذلك الا من قال لا تقتلوا يوسف وقيل الآمر بالقتل شمعون وقيل دان والباقون كانوا راضين فجعلوا آمرين (أرضا) أرضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها واخلائها من الوصف ولابهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة (يخل لكم وجه أبيكم) يقبل عليكم اقبالة واحدة لا يلتفت عنكم الى غيركم والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها وينازعهم اياها فكان ذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم لان الرجل اذا أقبل على الشيء أقبل بوجهه ويجوز أن يراد بالوجه الذات كما قال تعالى ويبقى وجه ربك وقيل يخل لكم يفرغ لكم من الشغل بيوسف (من بعده) من بعد يوسف أي من بعد كفايته بالقتل أو التغريب أو يرجع الضمير الى مصدر اقتلوا أو اطرحوا (قوما صالحين) تائبين الى الله مما جنيتم عليه أو يصلح ما بينكم وبين أبيكم بعذر تمهدونه أو تصلح دنياكم وتنتظم أموركم بعده بخلو وجه أبيكم * وتكونوا اما مجزوم عطفا على يخل لكم أو منصوب باضمار ان والواو بمعنى مع كقوله وتكتموا الحق قال (قائل منهم) هو يهوذا وكان أحسنهم فيه رأيا وهو الذي قال فلن أبرح الارض قال لهم القتل عظيم (وألقوه في غيابة الجب) وهي غوره وما غاب منه عن عين الناظر وأظلم من أسفله قال المنخل

اذا أنا يوما غيبتني غيابتي * فسيروا بسيري في العشيرة والاهل

أراد غيابة حفرته التي يدفن فيها وقرئ غيابات على الجمع وغيابات بالتشديد وقرأ الجحدري غيبة والجب البئر لم تطو لان الارض تجب جبا لا غير (يلتقطه) يأخذه (بعض السيارة) بعض الاقوام الذين يسيرون في الطريق وقرئ تلتقطه بالتاء على المعنى لان بعض السيارة سيارة كقوله * كما شرقت صدر القناة من الدم * ومنه ذهبت بعض أصابعه (ان كنتم فاعلين) ان كنتم على أن تفعلوا ما يحصل به غرضكم فهذا هو الرأي (ما لك لا تأمنا) قرئ باظهار النونين وبالادغام باشمام وبغير اشمام وتيمنا بكسر التاء مع الادغام والمعنى لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونحبه ونشفق عليه وما وجد منا في بابه ما يدل على خلاف النصيحة والمقة وأرادوا بذلك لما عزموا على كيد يوسف استنزاله عن رأيه وعادته في حفظه منهم وفيه دليل على انه أحس منهم بما أوجب أن لا يأمنهم عليه (نرتع) نتسع في أكل الفواكه وغيرها وأصل الرتعة الخصب والسعة وقرئ نرتع من ارتعى يرتعي * وقرئ يرتع ويلعب بالياء ويرتع من ارتع ماشيته وقرأ العلاء بن سيابة يرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء (فان قلت) كيف استجاز لهم يعقوب عليه السلام اللعب (قلت) كان

---

* قوله تعالى اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة (قال اللام للتوكيد دخلت للاشعار بأن زيادة محبة أبيهم لهما أمر ثابت الخ) قال أحمد وهذه تؤيد قراءة ابن مروان هؤلاء بناتي هن أطهر لكم بالنصب وقد قال سيبويه فيها احتبى ابن مروان في لحنه أي تمكن وحيث تأيدت بقراءة أمير المؤمنين كرم الله وجهه فلا بد من التماس المحمل الصحيح لها وليس ذلك ببعيد ان شاء الله فنقول لو قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن على طريقة

أنا أبو النجم وشعري شعري

ونحو أنا أنا وأنت أنت لم يكن في فصاحته مقال وقد علمت ان معنى أنا أنا أي أنا الموصوف بالاوصاف الشهيرة التي أستغني عن ذكرها فلا بعد والحالة هذه في حذف الخبر اسنادا انه المبتدا وعدم زيادته عليه لفظا وراحة من تكرار اللفظ بعينه والسياق يرشد الى المحذوف واذا كان كذلك فقول القائلين ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن نحن معناه ونحن نحن ولكن استغنوا عن الخبر للسر الذي ذكرناه فقولهم ونحن كلام تام بالتقدير المذكور فلا غرو في وقوع الحال بعده وهذا بعينه يجري في قوله هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فقوله هن في حكم الكلام التام والمراد هؤلاء بناتي هن المشهورات بالاوصاف الحميدة الظاهرة وأصل الكلام هن هن فوقع الحال بعد التمام والله أعلم

ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة ان أبانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون قال اني

لعبهم الاستباق والانتضال ليضروا أنفسهم بما يحتاج اليه لقتال العدو لا للهو بدليل قوله انا ذهبنا نستبق وانما سموه لعبا لانه فى صورته (ليحزننى) اللام لام الابتداء كقوله ان ربك ليحكم بينهم ودخولها أحد ما ذكره سيبويه من سببي المضارعة * اعتذر اليهم بشيئين أحدهما أن ذهابهم به ومفارقته اياه مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة والثانى خوفه عليه من عدوة الذئب اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم أو قل به اهتمامهم ولم تصدق بحفظه عنايتهم وقيل رأى فى النوم ان الذئب قد شد على يوسف فكان يحذره فمن ثم قال ذلك فلقنهم العلة وفى أمثالهم البلاء موكل بالمنطق * وقرئ الذئب بالهمزة على الاصل وبالتخفيف وقيل اشتقاقه من تذاءبت الريح اذا أتت من كل جهة * القسم محذوف تقديره والله (لئن أكله الذئب) واللام موطئة للقسم وقوله (انا اذا لخاسرون) جواب القسم مجزئ عن جزاء الشرط * والواو فى ونحن عصبة واو الحال حلفوا له لئن كان ما خافه من خطفة الذئب أخاهم من بينهم وحالهم انهم عشرة رجال بمثلهم تعصب الامور وتكفى الخطوب انهم اذا لقوم خاسرون أى هالكون ضعفا وخورا وعجزا أو مستحقون أن يهلكوا لانه لا غناء عندهم ولا جدوى فى حياتهم أو مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والدمار وان يقال خسرهم الله ودمرهم حين أكل الذئب بعضهم وهم حاضرون وقيل ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا اذا وخسرناها (فان قلت) قد اعتذر اليهم بعذرين فلم أجابوا عن أحدهما دون الآخر (قلت) هو الذى كان يغيظهم ويذيقهم الامرين فأعاروه آذانا صما ولم يعبؤا به (أن يجعلوه) مفعول أجمعوا من قولك أجمع الامر وأزمعه فأجمعوا أمركم * وقرئ فى غيابات الجب قيل هو بئر بيت المقدس وقيل بأرض الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وجواب لما محذوف ومعناه فعلوا به من الاذى فقد روى انهم لما برزوا به الى البرية أظهروا له العداوة وأخذوا يهينونه ويضربونه وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه الا بالاهانة والضرب حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح يا أبتاه لو تعلم ما يصنع بابنك أولاد الاماء فقال يهوذا أما أعطيتمونى موثقا أن لا تقتلوه فلما أرادوا القاءه فى الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من يديه فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا على قميصى أتوارى به وانما نزعوه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على أبيهم فقالوا له ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تؤنسك ودلوه فى البئر فلما بلغ نصفها ألقوه ليموت وكان فى البئر ماء فسقط فيه ثم آوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكى فنادوه فظن أنها رحمة أدركتهم فأجابهم فأرادوا أن يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا وكان يهوذا يأتيه بالطعام ويروى ان ابراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار وجرد عن ثيابه أتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فألبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب فى تميمة علقها فى عنق يوسف فجاء جبريل فأخرجه وألبسه اياه (وأوحينا اليه) قيل أوحى اليه فى الصغر كما أوحى الى يحيى وعيسى وقيل كان اذ ذاك مدركا وعن الحسن كان له سبع عشرة سنة (لتنبئنهم بأمرهم هذا) وانما أوحى اليه ليؤنس فى الظلمة والوحشة ويبشر بما يؤول اليه أمره ومعناه لتتخلصن مما أنت فيه ولتحدثن اخوتك بما فعلوا بك (وهم لا يشعرون) انك يوسف لعلو شأنك وكبرياء سلطانك وبعد حالك عن أوهامهم ولطول العهد المبدل للهيآت والاشكال وذلك انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرنى هذا الجام أنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وأنكم انطلقتم به وألقيتموه فى غيابة الجب وقلتم لابيكم أكله الذئب وبعتموه بثمن بخس ويجوز أن يتعلق وهم لا يشعرون بقوله وأوحينا على أنا آنسناه بالوحى وأزلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون ذلك ويحسبون أنه مرهق مستوحش لا أنيس له وقرئ لننبئنهم بالنون على أنه وعيد لهم وقوله وهم لا يشعرون متعلق بأوحينا لا غير * وعن الحسن عشيا على تصغير عشى يقال لقيته عشيا وعشيانا وأصيلا وأصيلانا ورواه ابن جنى عشى بضم العين والقصر وقال عشوا من البكاء وروى أن امرأة حاكمت الى شريح فبكت فقال له الشعبى يا أبا أمية أما تراها تبكى فقال قد جاء اخوة يوسف يبكون وهم ظلمة ولا ينبغى لاحد أن يقضى الا بأمر

ليحزننى أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابة الجب وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون وجاؤا أباهم عشاء يبكون

---

* قوله تعالى قال انى ليحزننى أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون (قال) اعتذر لهم بأمرين أحدهما حزنه لمفارقته الثانى خوفه عليه من الذئب اذا غفلوا عنه الخ (قال أحمد) وكان أشغل الامرين لقلبه خوف الذئب عليه لانه مظنة هلاكه وأما حزنه لمفارقته ريثما يرتع ويلعب ويعود سالما اليه فما قليل فأمر سهل فكأنهم لم يشتغلوا الا بتأمينه وتطمينه من أشد الامرين عليه والله أعلم

ان

أن يقضى به من السنة المرضية وروى أنه لما سمع صوتهم فزع وقال مالكم يابنى هل أصابكم فى غنمكم شئ قالوا لا قال فمالكم وأين يوسف (قالوا ياأبانا انا ذهبنا نستبق) أى نتسابق والافتعال والتفاعل يشتركان كالانتضال والتناضل والارتماء والترامى وغير ذلك والمعنى نتسابق فى العدو أو فى الرمى وجاء فى التفسير ننتضل (بمؤمن لنا) بمصدق لنا (ولو كنا صادقين) ولو كنا عندك من أهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وأنت سيئ الظن بنا غير واثق بقولنا (بدم كذب) ذى كذب أو وصف بالمصدر مبالغة كأنه نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته ونحوه فهن به يجود وأنتم به تبخل وقرئ كذبا نصبا على الحال بمعنى جاؤا به كاذبين ويجوز أن يكون مفعولا له وقرأت عائشة رضى الله عنها كدب بالدال غير المعجمة أى كدر وقيل طرى وقال ابن جنى أصله من الكدب وهو الفوف البياض الذى يخرج على أظفار الأحداث كأنه دم قد أثر فى قميصه روى أنهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم أن يمزقوه وروى أن يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاح بأعلى صوته وقال أين القميص فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله مارأيت كاليوم ذئبا أحلم من هذا أكل ابنى ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان فى قميص يوسف ثلاث آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم وألقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبر (فان قلت) على قميصه ما محله (قلت) محله النصب على الظرف كأنه قيل وجاؤا فوق قميصه بدم كما تقول جاء على جماله بأحمال (فان قلت) هل يجوز أن تكون حالا متقدمة (قلت) لا لان حال المجرور لا تتقدم عليه (سولت) سهلت من السول وهو الاسترخاء أى سهلت (لكم أنفسكم أمرا) عظيما ارتكبتموه من يوسف وهونته فى أعينكم استدل على فعلهم به بما كان يعرف من حسدهم وبسلامة القميص أو أوحى اليه بانهم قصدوه (فصبر جميل) خبر أو مبتدأ لكونه موصوفا أى فأمرى صبر جميل أو فصبر جميل أمثل وفى قراءة أبى فصبرا جميلا والصبر الجميل جاء فى الحديث المرفوع انه الذى لاشكوى فيه ومعناه لاشكوى فيه الى الخلق ألا ترى الى قوله انما أشكو بثى وحزنى الى الله وقيل لا أعايشكم على كآبة الوجه بل أكون لكم كما كنت وقيل سقط حاجبا يعقوب على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فأوحى الله تعالى اليه يا يعقوب أتشكونى قال يارب خطيئة فاغفرها لى (والله المستعان) أى أستعينه (على) احتمال (ما تصفون) من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه (وجاءت سيارة) رفقة تسير من قبل مدين الى مصر وذلك بعد ثلاثة أيام من القاء يوسف فى الجب فاخطؤا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب فى قفرة بعيدة من العمران لم يكن الا للرعاة وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين ألقى فيه يوسف (فارسلوا) رجلا يقال له مالك بن ذعر الخزاعى ليطلب لهم الماء والوارد الذى يرد الماء ليستقى للقوم (يابشرى) نادى البشرى كأنه يقول تعالى فهذا من آونتك وقرئ يابشراى على اضافتها الى نفسه وفى قراءة الحسن وغيره يابشرىّ بالياء مكان الالف جعلت الياء بمنزلة الكسرة قبل ياء الاضافة وهى لغة للعرب مشهورة سمعت أهل السروات يقولون فى دعائهم ياسيدىّ وموليّ وعن نافع يابشراى بالسكون وليس بالوجه لما فيه من التقاء الساكنين على غير حده الا أن يقصد الوقف * وقيل لما أدلى دلوه أى أرسلها فى الجب تعلق يوسف بالحبل فلما خرج اذا هو بغلام أحسن ما يكون فقال يابشراى (هذا غلام) وقيل ذهب به فلما دنا من أصحابه صاح بذلك يبشرهم به (وأسروه) الضمير للوارد وأصحابه أخفوه من الرفقة وقيل أخفوا أمره ووجدانهم له فى الجب وقالوا لهم دفعه الينا أهل الماء لنبيعه لهم بمصر وعن ابن عباس ان الضمير لاخوة يوسف وانهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد أبق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه و(بضاعة) نصب على الحال أى أخفوه متاعا للتجارة والبضاعة ما بضع من المال للتجارة أى قطع (والله عليم بما يعملون) لم يخف عليه أسرارهم وهو وعيد لهم حيث استبضعوا ما ليس لهم أو والله عليم بما يعمل اخوة يوسف بابيهم وأخيهم من سوء الصنيع (وشروه) وباعوه (بثمن بخس) مبخوس ناقص عن القيمة نقصانا ظاهرا أو زيف ناقص العيار (دراهم)

قالوا ياأبانا انا ذهبنا
نستبق وتركنا يوسف
عند متاعنا فأكله الذئب
وما أنت بمؤمن لنا ولو
كنا صادقين وجاؤا على
قميصه بدم كذب قال
بل سولت لكم أنفسكم
أمرا فصبر جميل والله
المستعان على ماتصفون
وجاءت سيارة فأرسلوا
واردهم فأدلى دلوه
قال يابشرى هذا غلام
وأسروه بضاعة والله
عليم بما يعملون وشروه
بثمن بخس دراهم

قوله تعالى وجاؤا أباهم
عشاء يبكون (قال روى
انه لما سمع أصواتهم
قال يابنى هل أصابكم
فى غنمكم شئ قالوا لا الخ)
قال أحمد وقواه على
اتهامهم انهم ادعوا
الوجه الخاص الذى
خاف يعقوب عليه
السلام هلاكه بسببه
أولا وهو أكل الذئب
اياه فاتهمهم أن يكونوا
تلقفوا العذر من قوله
لهم وأخاف أن يأكله
الذئب وكثيرا ما تتلقف
الاعذار الباطلة من
فلق فى المخاطب المعتذر
اليه حتى كان بعض
أمراء المؤمنين يلقنون
السارق الانكار

لا دنانير (معدودة) قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا لا يزنون الا ما بلغ الاوقية وهي الاربعون ويعدون مادونها وقيل للقليلة معدودة لان الكثيرة يمتنع من عدها لكثرتها وعن ابن عباس كانت عشرين درهما وعن السدى اثنين وعشرين (وكانوا فيه من الزاهدين) ممن يرغب عما في يده فيبيعه بما طف من الثمن لانهم التقطوه والملتقط للشئ متهاون به لا يبالى بم باعه ولانه يخاف أن يعرض له مستحق ينتزعه من يده فيبيعه من أول مساوم باوكس الثمن ويجوز أن يكون معنى وشروه واشتروه يعني الرفقة من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين لانهم اعتقدوا أنه آبق فخافوا أن يخطروا بمالهم فيه ويروى أن اخوته اتبعوهم يقولون لهم استوثقوا منه لا يأبق وقوله فيه ليس من صلة الزاهدين لان الصلة لا تتقدم على الموصول ألا تراك لا تقول وكانوا زيدا من الضاربين وانما هو بيان كانه قيل في أى شئ زهدوا فقال زهدوا فيه (الذى اشتراه) قيل هو قطفير أو اطفير وهو العزيز الذى كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق وقد آمن بيوسف ومات في حياة يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف الى الاسلام فأبى واشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة وأقام في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله العلم والحكمة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفى وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك في أيامه فرعون موسى عاش أربعمائة سنة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من أولاد فرعون يوسف وقيل اشتراه العزيز بعشرين دينارا وزوجى نعل وثوبين أبيضين وقيل ادخلوه السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا فابتاعه قطفير بذلك المبلغ (أكرمى مثواه) اجعلى منزله ومقامه عندنا كريما أى حسنا مرضيا بدليل قوله انه ربى أحسن مثواى والمراد تفقديه بالاحسان وتعهديه بحسن الملكة حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا ساكنة في كنفنا ويقال للرجل كيف أبو مثواك وأم مثواك لمن ينزل به من رجل أو امرأة يراد هل تطيب نفسك بثوائك عنده وهل يراعى حق نزولك به * واللام في لامرأته متعلقة بقال لا باشتراه (عسى أن ينفعنا) لعله اذا تدرب وراض الامور وفهم مجاريها نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله فينفعنا فيه بكفايته وأمانته أو نتبناه ونقيمه مقام الولد وكان قطفير عقيما لا يولد له وقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك وقيل أفرس الناس ثلاثة العزيز حين تفرس في يوسف فقال لامرأته أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا والمرأة التي أتت موسى وقالت لابيها يا أبت استأجره وأبو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنهما وروى أنه سأله عن نفسه فأخبره بنسبه فعرفه (وكذلك) الاشارة الى ما تقدم من انجائه وعطف قلب العزيز عليه والكاف منصوب تقديره ومثل ذلك الانجاء والعطف (مكنا له) أى كما أنجيناه وعطفنا عليه العزيز كذلك مكناه في أرض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها بامره ونهيه (ولنعلمه من تأويل الاحاديث) كان ذلك الانجاء والتمكين لان غرضنا ليس الا ما تحمد عاقبته من علم وعمل (والله غالب على أمره) على أمر نفسه لا يمنع عما يشاء ولا ينازع ما يريد ويقضى أو على أمر يوسف يدبره لا يكله الى غيره قد أراد اخوته به ما أرادوا ولم يكن الا ما أراد الله ودبره (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أن الامر كله بيد الله * قيل في الاشد ثمانى عشرة سنة وعشرون وثلاث وثلاثون وأربعون وقيل أقصاه ثنتان وستون (حكما) حكمة وهو العلم بالعمل واجتناب ما يجهل فيه وقيل حكما بين الناس وفقها (وكذلك نجزى المحسنين) تنبيه على أنه كان محسنا في عمله متقيا في عنفوان أمره وأن الله آتاه الحكم والعلم جزاء على احسانه وعن الحسن من أحسن عبادة ربه في شبيبته آتاه الله الحكمة في اكتهاله * المراودة مفاعلة من راد يرود اذا جاء وذهب كأن المعنى خادعته عن نفسه أى فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشئ الذى لا يريد أن يخرجه من يده يحتال أن يغلبه عليه ويأخذه منه وهى عبارة عن التمحل لمواقعته اياها (وغلقت الابواب) قيل كانت سبعة وقرئ هيت بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبناؤه كبناء أين وعيط وهيت كجير وهيت كحيث وهئت بمعنى تهيأت يقال هاء يهيء مثل جاء يجيء اذا تهيأ وهيئت لك واللام من صلة الفعل وأما في الاصوات فللبيان كانه قيل لك أقول هذا كما تقول هلم لك (معاذ الله) أعوذ بالله معاذا (انه) ان الشأن والحديث

معدودة وكانوا فيه من الزاهدين وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تأويل الاحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين وراودته التى هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه

قوله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة (قال المعدودة كناية عن القليلة الخ) قال أحمد ومن التعبير عن القلة بالعدد الدعوة المأثورة على الكفرة اللهم أحصهم عددا واستأصلهم بددا ولا تبق منهم أحدا فالمدعو به وان كان احصاؤهم عددا في الظاهر الا ان هذا ليس مرادا لان الله تعالى أحصى كل شئ عددا وأحاط به علما فلا بد من مقصود وراء ذلك وهو لازم العدد وذلك القلة فلما كان كل قليل معدودا وكل كثير غير معدود دعى عليهم بالقلة وعبر عنها بلازمها وهو الاحصاء والله أعلم

(ربى) سيدى ومالكى يريد قطفير (أحسن مثواى) حين قال لك أكرمى مثواه فما جزاؤه أن أخلفه فى أهله سوء الخلافة وأخونه فيهم (انه لا يفلح الظالمون) الذين يجازون الحسن بالسيء وقيل أراد الزناة لانهم ظالمون أنفسهم وقيل أراد الله تعالى لانه مسبب الاسباب ❊ هم بالامر اذا قصده وعزم عليه قال

همت ولم أفعل وكدت وليتنى ❊ تركت على عثمان تبكى حلائله

ومنه قولك لا أفعل ذلك ولا كيدا ولا هما أى ولا أكاد أن أفعله كيدا ولا أهم بفعله هما حكاه سيبويه ومنه الهمام وهو الذى اذا هم بأمر أمضاه ولم ينكل عنه وقوله (ولقد همت به) معناه ولقد همت بمخالطته (وهم بها) وهم بمخالطتها (لولا أن رأى برهان ربه) جوابه محذوف تقديره لولا أن رأى برهان ربه لخالطها فحذف لان قوله وهم بها يدل عليه كقولك هممت بقتله لولا أنى خفت الله معناه لولا أنى خفت الله لقتلته (فان قلت) كيف جاز على نبى الله أن يكون منه هم بالمعصية وقصد اليها (قلت) المراد أن نفسه مالت الى المخالطة ونازعت اليها عن شهوة الشباب وقرمه ميلا يشبه الهم به والقصد اليه وكما تقتضيه صورة تلك الحال التى تكاد تذهب بالعقول والعزائم وهو يكسر ما به ويرده بالنظر فى برهان الله المأخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم ولو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى هما لشدته لما كان صاحبه ممدوحا عند الله بالامتناع لان استعظام الصبر على الابتلاء على حسب عظم الابتلاء وشدته ولو كان همه كهمها عن عزيمة لما مدحه الله بأنه من

ربى أحسن مثواى انه لا يفلح الظالمون ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه

عباده المخلصين ويجوز أن يريد بقوله وهم بها وشارف أن يهم بها كما يقول الرجل قتلته لو لم أخف الله يريد مشارفة القتل ومشافهته كأنه شرع فيه (فان قلت) قوله وهم بها داخل تحت حكم القسم فى قوله ولقد همت به أم هو خارج منه (قلت) الامران جائزان ومن حق القارئ اذا قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلاما برأسه أن يقف على قوله ولقد همت به ويبتدئ قوله وهم بها لولا أن رأى برهان ربه وفيه أيضا اشعار بالفرق بين الهمين (فان قلت) لم جعلت جواب لولا محذوفا يدل عليه هم بها وهلا جعلته هو الجواب مقدما (قلت) لان لولا لا يتقدم عليها جوابها من قبل أنه فى حكم الشرط وللشرط صدر الكلام وهو مع ما فى حيزه من الجملتين مثل كلمة واحدة ولا يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض وأما حذف بعضها اذا دل الدليل عليه فجائز (فان قلت) فلم جعلت لولا متعلقة بهم بها وحده ولم تجعلها متعلقة بجملة قوله ولقد همت به وهم بها لان الهم لا يتعلق بالجواهر ولكن بالمعانى فلابد من تقدير المخالطة والمخالطة لا تكون الا من اثنين معا فكأنه قيل ولقد هما بالمخالطة لولا أن منع مانع أحدهما (قلت) نعم ما قلت ولكن الله سبحانه قد جاء بالهمين على سبيل التفصيل حيث قال ولقد همت به وهم بها فكان اغفاله اغفالا له فوجب أن يكون التقدير ولقد همت بمخالطته وهم بمخالطتها على أن المراد بالمخالطتين توصلها الى ما هو حظها من قضاء شهوتها منه وتوصله الى ما هو حظه من قضاء شهوته منها لولا أن رأى برهان ربه فترك التوصل الى حظه من الشهوة فلذلك كانت لولا حقيقة بأن تعلق بهم بها وحده وقد فسر هم يوسف بأنه حل الهميان وجلس منها مجلس المجامع وبأنه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الاربع وهى مستلقية على قفاها وفسر البرهان بأنه سمع صوتا اياك واياها فلم يكترث له فسمعه ثانيا فلم يعمل به فسمع ثالثا أعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضا على أنملته وقيل ضرب بيده فى صدره فخرجت شهوته من أنامله وقيل كل ولد يعقوب له اثنا عشر ولدا الا يوسف فانه ولد له أحد عشر ولدا من أجل ما نقص من شهوته حين هم وقيل صيح به يا يوسف لا تكن كالطائر كان له ريش فلما زنا قعد لا ريش له وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم رأى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فيه فقال الله لجبريل عليه السلام أدرك عبدى قبل أن يصيب الخطيئة فانحط جبريل وهو يقول يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب فى ديوان الانبياء وقيل رأى تمثال العزيز وقيل قامت المرأة الى صنم كان هناك فسترته وقالت أستحيى منه ان يرانا فقال يوسف استحييت ممن لا يسمع ولا يبصر ولا أستحيى من السميع البصير العليم بذات الصدور وهذا ونحوه مما يورده أهل الحشو والجبر الذين دينهم بهت الله تعالى

كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوأ الا أن يسجن أو عذاب أليم قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين

وأنبيائه وأهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله بسبيل ولو وجدت من يوسف عليه السلام أدنى زلة لنعيت عليه وذكرت توبته واستغفاره كما نعيت على آدم زلته وعلى داود وعلى نوح وعلى أيوب وعلى ذي النون وذكرت توبتهم واستغفارهم كيف وقد أثنى عليه وسمى مخلصا فعلم بالقطع أنه ثبت في ذلك المقام الدحض وأنه جاهد نفسه مجاهدة أولي القوة والعزم ناظرا في دليل التحريم ووجه القبح حتى استحق من الله الثناء فيما أنزل من كتب الأولين ثم في القرآن الذي هو حجة على سائر كتبه ومصداق لها ولم يقتصر الا على استيفاء قصته وضرب سورة كاملة عليها ليجعل له لسان صدق في الآخرين كما جعله لجده الخليل ابراهيم عليه السلام وليقتدي به الصالحون الى آخر الدهر في العفة وطيب الازار والتثبت في مواقف العثار فأخزى الله أولئك في ايرادهم ما يؤدي الى أن يكون انزال الله السورة التي هي أحسن القصص في القرآن العربي المبين ليقتدي بنبي من أنبياء الله في القعود بين شعب الزانية وفي حل تكته للوقوع عليها وفي أن ينهاه ربه ثلاث كرات ويصاح به من عنده ثلاث صيحات بقوارع القرآن وبالتوبيخ العظيم وبالوعيد الشديد وبالتشبيه بالطائر الذي سقط ريشه حين سفد غير انثاه وهو جاثم في مربضه لا يتحلحل ولا ينتهي ولا ينتبه حتى يتداركه الله بجبريل وباجباره ولو أن أوقح الزناة وأشطرهم وأحدهم حدقة وأجلحهم وجها لقي بأدنى ما لقي به نبي الله مما ذكروا لما بقي له عرق ينبض ولا عضو يتحرك فياله من مذهب ما أفحشه ومن ضلال ما أبينه (كذلك) الكاف منصوب المحل أي مثل ذلك التثبيت ثبتناه أو مرفوعه أي الأمر مثل ذلك (لنصرف عنه السوء) من خيانة السيد (والفحشاء) من الزنا (انه من عبادنا المخلصين) الذين أخلصوا دينهم لله وبالفتح الذين أخلصهم الله لطاعته بأن عصمهم ويجوز أن يريد بالسوء مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر بشهوة ونحو ذلك وقوله من عبادنا معناه بعض عبادنا أي هو مخلص من جملة المخلصين أي هو ناشئ منهم لأنه من ذرية ابراهيم الذين قال فيهم انا أخلصناهم بخالصة (واستبقا الباب) وتسابقا الى الباب على حذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه أو على تضمين استبقا معنى ابتدرا نفر منها يوسف فأسرع يريد الباب ليخرج وأسرعت وراءه لتمنعه الخروج (فان قلت) كيف وحد الباب وقد جمعه في قوله وغلقت الأبواب (قلت) أراد الباب البراني الذي هو المخرج من الدار والمخلص من العار فقد روى كعب أنه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الأبواب (وقدت قميصه من دبر) اجتذبته من خلفه فانقد أي انشق حين هرب منها الى الباب وتبعته تمنعه (وألفيا سيدها) وصادفا بعلها وهو قطفير تقول المرأة لبعلها سيدي وقيل انما لم يقل سيدهما لأن ملك يوسف لم يصح فلم يكن سيدا له على الحقيقة قيل ألفياه مقبلا يريد أن يدخل وقيل جالسا مع ابن عم للمرأة * لما اطلع منها زوجها على تلك الهيئة المريبة وهي مغتاظة على يوسف اذ لم يؤاتها جاءت بحيلة جمعت فيها غرضيها وهما تبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة والغضب على يوسف وتخويفه طمعا في أن يؤاتيها خيفة منها ومن مكرها وكرها لما أيست من مؤاتاته طوعا ألا ترى الى قولها ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وما نافية أي ليس جزاؤه الا السجن ويجوز أن تكون استفهامية بمعنى أي شيء جزاؤه الا السجن كما تقول من في الدار الا زيد (فان قلت) كيف لم تصرح في قولها بذكر يوسف وأنه أراد بها سوأ (قلت) قصدت العموم وأن كل من أراد بأهلك سوأ فحقه أن يسجن أو يعذب لأن ذلك أبلغ فيما قصدته من تخويف يوسف * وقيل العذاب الأليم الضرب بالسياط * ولما أغرت به وعرضته للسجن والعذاب وجب عليه الدفع عن نفسه فقال (هي راودتني عن نفسي) ولولا ذلك لكتم عليها (وشهد شاهد من أهلها) قيل كان ابن عم لها وانما ألقى الله الشهادة على لسان من هو من أهلها لتكون أوجب للحجة عليها وأوثق لبراءة يوسف وأنفى للتهمة عنه وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيما يرجع اليه الملك ويستشيره ويجوز أن يكون بعض أهلها كان في الدار فبصر بها من حيث لا تشعر فأغضبه الله ليوسف بالشهادة له والقيام

بالحق

* قوله تعالى قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوأ الا أن يسجن أو عذاب أليم (قال ان قلت لم قالت ما قالت غير مصرحة بذكر يوسف الخ) قال أحمد أو أظهرت بهذا الاجمال الحياء والحشمة أن تقول لبعلها هذا أراد بي سوء ولذلك أيضا كنت بالسوء عما أضمرته من الخناء مبالغة في المكر والكيد وابعادا للتهمة عنها بتوقي ما يشعر منها بالتبرج والقحة وعلى الضمن مقصودها وان وافق ملاحظتها بحشمة الاجمال قول ابنة شعيب تمدح موسى عليه السلام فيما حكى الله عنها قالت احداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الأمين ولم تقل انه قوي أمين حياء من التعيين وحشمة وخفرا ولكن هذه انما بعثها على هذا الادب شيمة الحياء وامرأة العزيز انما بعثها عليه التكلف والاستعمال لذلك الغرض الفاسد من المكر والله أعلم

* قوله تعالى وشهد شاهد من أهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين (قال ان قلت لم سمى قوله شهادة وما هو بلفظ الشهادة الخ) قال أحمد مهما قدره من ذلك في اتباعه لها يحتمل مثله في اتباعها له فانها انما تقد قميصه من قبل بتقدير أن يكون اجتذبها حتى صارا متقابلين فدفعته عن نفسها وهذا بعينه يحتمل اذا كانت هي التابعة ان تكون اجتذبته حتى صارا متقابلين ثم جذبت قميصه اليها من قبل بل ههنا أظهر لان الموجب لقد القميص غالبا الجذب لا الدفع * عاد كلامه (قال والثاني أن يسرع خلفها ليلحقها فيعثر في مقادم قميصه فينقد) قال أحمد وهذا بعينه محتمل لو كانت هي التابعة وهو فار منها فانقد قميصه في اسراعه للفرار والله أعلم فليس كلام الزمخشري في هذا الفصل بذاك والحق والله ولي التوفيق ان الشاهد المذكور ان كان صبيا في المهد كما ورد في بعض الحديث فالآية في مجرد كلامه قبل أوانه حتى لو قال صدق يوسف وكذبت لكفى برهانا على صدقه عليه السلام كما كان مجرد اخبار عيسى عليه السلام في المهد برهانا على صدق مريم فلا تبقى المناسبة بين الامارة المنصوبة وما رتب عليها الا ان العمدة في الدلالة نصبها لا مناسبتها وان كان الشاهد بعض أهلها كان في الدار فبصر بها من حيث لا تشعر فاغضبه الله ليوسف بالشهادة له واقامة الحق كما ذكر الزمخشري فهذا والله أعلم كان من حقه أن يصرح بما رأى فيصدق يوسف ويكذبها ولكنه أراد أن لا يكون هو الفاضح لها ووثق بان انقطاع قميصه انما كان من دبر فنصبه امارة لصدقه وكذبها ثم ذكر القسم الآخر وهو قده من قبل على علم بانه لم ينقد من قبل حتى ينفي عن نفسه التهمة في الشهادة وقصد الفضيحة وينصفهما جميعا فيذكر امارة على صدقها (٦٢٧) المعلوم نفيه كما ذكر امارة على صدقه المعلوم وجوده ومن ثم قدم امارة على صدقها على امارة صدقه في الذكر ازاحة للتهمة ووثوقا بان الامارة الثانية هي الواقعة فلا يضره تأخيرها وهذه اللطيفة بعينها والله أعلم هي التي راعاها مؤمن آل فرعون في قوله وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم قدم قسم الكذب على قسم الصدق ازاحة للتهمة التي تخشى ان تتطرق اليه في حق موسى عليه السلام ووثوقا بان القسم الثاني وهو صدقه هو الواقع فلا يضره تأخيره في الذكر لهذه الفائدة ومن ثم قال بعض الذي يعدكم ولم يقل كل ما يعدكم تعريضا بانه منهم عليه وانه حريص على ان ينصفه حقه وبنحو هذا النحو تأخير يوسف عليه السلام الكشف وعاء أخيه لانه لو بدأ به لفطنوا انه هو الذي أمر بوضع السقاية فيه والله أعلم فقصد هذا الشاهد الامارة الآخرة فقط والمناسبة فيها محققة وأما الامارة الاولى فليست مقصودة وانما ذكرها توطئة كما تقدم فلم يلتمس لها مناسبة جلية صحيحة على اليقين وانما هي كالفرض والتقدير والله أعلم وكانه قال ان كان قميصه قد من قبل فهي صادقة لكنه يعلم انتفاء الامارة المذكورة فعلق صدقها على محال وهو وجود قده من قبل حالة عدمه فهذا التقرير هو الصواب والحق اللباب والله الموفق * وأما ان كان الشاهد الحكيم الذي كان الملك يرجع اليه ويستشيره كما ورد في بعض التفاسير فلا بد من التماس المناسبة في الطرفين لانها عهدة الحكيم واقرب وجه في المناسبة ان قد القميص من دبر دليل على ادباره عنها وقده من قبل دليل على اقباله عليها بوجهه والله أعلم * قوله تعالى انه من كيدكن ان كيدكن عظيم (قال الضمير راجع الى قولها ما جزاء من أراد باهلك سوءا الخ) قال أحمد وفيما قاله هذا العالم نظر لان الآية التي ذكر فيها كيد الشيطان من قول الله تعالى غير محكي وأما هذه الآية فكيد النساء فيها من قول العزيز ولكن حكاه الله تعالى عنه فيحتمل حكايته عنه أن يكون تصحيحا له ويحتمل أن لا يكون المراد تصويبه وأيضا فان كيد الشيطان مذكور في الآية مقابلا لكيد الله تعالى فكان ضعيفا بالنسبة اليه ألا ترى أول الآية الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في

فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم

بالحق وقيل كان ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم أربعة وهم صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى (فان قلت) لم سمى قوله شهادة وما هو بلفظ الشهادة (قلت) لما أدى مؤدى الشهادة في أن ثبت به قول يوسف وبطل قولها سمى شهادة (فان قلت) الجملة الشرطية كيف جازت حكايتها بعد فعل الشهادة (قلت) لانها قول من القول أو على ارادة القول كانه قيل وشهد شاهد فقال ان كان قميصه (فان قلت) ان دل قد قميصه من دبر على أنها كاذبة وأنها هي التي تبعته واجتبذت ثوبه اليها فقدته فمن أين دل قده من قبل على أنها صادقة وأنه كان تابعها (قلت) من وجهين أحدهما أنه اذا كان تابعها وهي دافعته عن نفسها قدت قميصه من قدامه بالدفع والثاني أن يسرع خلفها ليلحقها فيتعثر في مقادم قميصه فيشقه وقرئ من قبل ومن دبر بالضم على مذهب الغايات والمعنى من قبل القميص ومن دبره وأما التنكير فمعناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر وعن ابن أبي اسحق أنه قرأ من قبل ومن دبر بالفتح كانه جعلهما علمين للجهتين فمنعهما الصرف للعلمية والتأنيث وقرئا بسكون العين (فان قلت) كيف جاز الجمع بين ان الذي هو للاستقبال وبين كان (قلت) لان المعنى ان يعلم انه كان قميصه قد ونحوه كقولك ان أحسنت الي فقد أحسنت اليك من قبل ان يمن عليك باحسانه تريد ان تمتن علي أمتن عليك (فلما رأى) يعني قطفير وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها (قال انه) ان قولك ما جزاء من أراد باهلك سوءا أو ان هذا الامر وهو طمعها في يوسف (من كيدكن) الخطاب لها ولامتها وانما استعظم كيد النساء لانه وان كان في الرجال

الا أن النساء ألطف كيدا وأنفذ حيلة ولهن فى ذلك نيقة و رفق و بذلك يغلبن الرجال ومنه قوله تعالى ومن شر
النفاثات فى العقد والقصريات من بينهن معهن ماليس مع غيرهن من البوائق وعن بعض العلماء أنا أخاف
من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان لان الله تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان
كيدكن عظيم (يوسف) حذف منه حرف النداء لانه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له
وتلطيف لمحله (أعرض عن هذا) الامر واكتمه ولا تحدث به (واستغفرى) أنت (لذنبك انك كنت من
الخاطئين) من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال خطئ اذا أذنب متعمدا وانما قال من الخاطئين بلفظ
التذكير تغليبا للذكور على الاناث وما كان العزيز الا رجلا حليما وروى أنه كان قليل الغيرة (وقال نسوة)
وقال جماعة من النساء وكن خمسا امرأة الساقى وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب
السجن وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقى كتأنيث اللمة ولذلك لم تلحق
فعله تاء التأنيث وفيه لغتان كسر النون وضمها (فى المدينة) فى مصر (امرأت العزيز) يردن قطفير والعزيز
الملك بلسان العرب (فتاها) غلامها يقال فتاى وفتاتى اى غلامى وجاريتى (شغفها) خرق حبه شغاف قلبها حتى
وصل الى الفؤاد والشغاف حجاب القلب وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب قال النابغة

وقد حال هم دون ذلك والج ✽ مكان الشغاف تبتغيه الاصابع

وقرئ شعفها بالعين من شعف البعير اذا هنأه فأحرقه بالقطران قال ✽ كما شعف المهنوءة الرجل الطالى ✽
و (حبا) نصب على التمييز (فى ضلال مبين) فى خطأ و بعد عن طريق الصواب (بمكرهن) باغتيابهن وسوء
قالتهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعانى ومقتها وسمى الاغتياب مكرا لانه فى خفية وحال غيبة
كما يخفى الماكر مكره وقيل كانت استكتمتهن سرها فأفشينه عليها (أرسلت اليهن) دعتهن قيل دعت أربعين
امرأة منهن الخمس المذكورات (وأعتدت لهن متكأ) ما يتكئن عليه من نمارق قصدت بتلك الهيئة وهى
قعودهن متكئات والسكاكين فى أيديهن ان يدهشن و يبهتن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فتقع
أيديهن على أيديهن فيقطعنها لان المتكئ اذا بهت لشئ وقعت يده على يده ولا يبعد أن تقصد الجمع بين
المكر بهن وبين فتضع الخناجر فى أيديهن ليقطعن أيديهن فتبكتهن بالحجة ولتهول يوسف من مكرها اذا خرج على
أربعين نسوة مجتمعات فى أيديهن الخناجر توهمه انهن يثبن عليه وقيل متكأ مجلس طعام لانهم كانوا يتكئون
للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك نهى ان يأكل الرجل متكئا وآتتهن السكاكين ليعالجن
بها ما يأكلن وقيل متكأ طعاما من قولك اتكأنا عند فلان طعمنا على سبيل الكناية لان من دعوته ليطعم
عندك اتخذت له تكأة يتكئ عليها قال جميل

فظللنا بنعمة واتكأنا ✽ وشربنا الحلال من قلله

وعن مجاهد متكأ طعاما يحز حزا كان المعنى يعتمد بالسكين لان القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين ✽ وقرئ
متكا بغير همز وعن الحسن متكاء بالمد كأنه مفتعال وذلك لاشباع فتحة الكاف كقوله بمنتزاح بمعنى بمنتزح
ونحوه ينباع بمعنى ينبع وقرئ متكا وهو الاترج وأنشد

فأهدت متكة لبنى أبيها ✽ تخب بها العثمثمة الوقاح

وكانت أهدت أترجة على ناقة وكانها الاترجة التى ذكرها أبو داود فى سننه انها شقت بنصفين وحملا كالعدلين
على جمل وقيل الزماورد وعن وهب أترجا وموزا و بطيخا وقيل اعتدت لهن ما يقطع من متك الشئ بمعنى
بتكه اذا قطعه وقرأ الاعرج متكأ مفعلا من تكئ يتكأ اذا اتكأ (أكبرنه) أعظمنه وهبن ذلك الحسن
الرائع والجمال الفائق قيل كان فضل يوسف على الناس فى الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم
السماء وعن النبى صلى الله عليه وسلم مررت بيوسف الليلة التى عرج بى الى السماء فقلت لجبريل من هذا
فقال يوسف فقيل يا رسول الله كيف رأيته قال كالقمر ليلة البدر وقيل كان يوسف اذا سار فى أزقة مصر
يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من الماء عليها وقيل ما كان أحد يستطيع وصف

يوسف أعرض عن
هذا واستغفرى لذنبك
انك كنت من الخاطئين
وقال نسوة فى المدينة
امرأت العزيز تراود
فتاها عن نفسه قد
شغفها حبا انا لنراها فى
ضلال مبين فلما سمعت
بمكرهن أرسلت اليهن
وأعتدت لهن متكأ
وآتت كل واحدة منهن
سكينا وقالت اخرج
عليهن فلما رأينه أكبرنه

سبيل الطاغوت فقاتلوا
أولياء الشيطان ان
كيد الشيطان كان
ضعيفا وأيضا فان الكيد
الذى يتعاطاه النساء
وغيرهن مستفاد من
الشيطان بوسوسته
وتسويله وشواهد
الشرع قائمة على ذلك
فلا يتصور حينئذ أن
يكون كيدهن أعظم
من كيده والله أعلم

وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين قال رب السجن أحب الي مما

يوسف وقيل كان يشبه آدم يوم خلقه ربه وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقيل أكبرنه حضن والهاء للسكت يقال أكبرت المرأة اذا حاضت وحقيقته دخلت في الكبر لانها بالحيض تخرج من حد الصغر الى حد الكبر وكأن أبا الطيب أخذ من هذا التفسير قوله

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع ✱ فان لحت حاضت في الخدور العواتق

(قطعن أيديهن) جرحنها كما تقول كنت أقطع اللحم فقطعت يدي تريد جرحتها ✱ حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء تقول أساء القوم حاشا زيد قال

حاشا أبي ثوبان ان به ✱ ضنا عن الملحاة والشتم

وهي حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فمعنى حاشا الله براءة الله وتنزيه الله وهي قراءة ابن مسعود على اضافة حاشا الى الله اضافة البراءة ومن قرأ حاشا لله فنحو قولك سقيا لك كأنه قال براءة ثم قال لله لبيان من يبرأ وينزه والدليل على تنزيل حاشا منزلة المصدر قراءة أبي السمال حاشا لله بالتنوين وقراءة أبي عمرو حاش لله بحذف الالف الآخرة وقراءة الاعمش حشا لله بحذف الالف الاولى وقرئ حاش لله بسكون الشين على أن الفتحة تبعت الالف في الاسقاط وهي ضعيفة لما فيها من التقاء الساكنين على غير حده وقرئ حاشا الاله (فان قلت) فلم جاز في حاشا لله أن لا ينون بعد اجرائه مجرى براءة لله (قلت) مراعاة لاصله الذي هو الحرفية ألا ترى الى قولهم جلست من عن يمينه كيف تركوا عن غير معرب على أصله وعلى في قوله غدت من عليه م قلب الالف الى الياء مع الضمير والمعنى تنزيه الله تعالى من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله وأما قوله حاشا لله ما علمنا عليه من سوء فالتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله (ما هذا بشرا) نفين عنه البشرية لغرابة جماله ومباعدة حسنه لما عليه محاسن الصور وأثبتن له الملكية وبتتن بها الحكم وذلك لان الله عز وجل ركز في الطباع أن لا أحسن من الملك كما ركز فيها أن لا أقبح من الشيطان ولذلك يشبه كل متناه في الحسن والقبح بهما وما ركز ذلك فيها الالان الحقيقة كذلك كما ركز في الطباع ان لا أدخل في الشر من الشياطين ولا أجمع للخير من الملائكة الا ما عليه الفئة الخاسئة المجبرة من تفضيل الانسان على الملك وما هو الا من تعكيسهم للحقائق وجحودهم للعلوم الضرورية ومكابرتهم في كل باب واعمال ما عمل ليس هي اللغة القدمى الحجازية وبها ورد القرآن ومنها قوله تعالى ما هن أمهاتهم ومن قرأ على سليقته من بني تميم قرأ بشر بالرفع وهي في قراءة ابن مسعود وقرئ ما هذا بشرى أي ما هو بعبد مملوك لئيم (ان هذا الا ملك كريم) تقول هذا بشرى أي حاصل بشرى بمعنى هذا مشترى وتقول هذا لك بشرى أم بكرى والقراءة هي الاولى لموافقتها المصحف ومطابقة بشر الملك (قالت فذلكن) ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته في الحسن واستحقاق أن يحب ويفتتن به وربا بحاله واستبعادا لمحله ويجوز أن يكون اشارة الى المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعاني تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في أنفسكن ثم لمتنني فيه تعني أنكن لم تصورنه بحق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به ✱ الاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كأنه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها ونحوه استمسك واستوسع الفتق واستجمع الرأي واستفحل الخطب وهذا بيان لما كان من يوسف عليه السلام لا مزيد عليه وبرهان لا شئ أنور منه على أنه بريء مما أضاف اليه أهل الحشو مما فسروا به الهم والبرهان (فان قلت) الضمير في (آمره) راجع الى الموصول أم الى يوسف (قلت) بل الى الموصول والمعنى ما آمر به فحذف الجار كما في قولك أمرتك الخير ويجوز أن تجعل

✱ قوله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم (قال نفين عنه البشرية لغرابة جماله ومباعدة حسنه الخ) قال أحمد تقدم القول في مسئلة التفضيل شافيا والزمخشري لا يدعه التعصب للمعتقد الفاسد أن يحمله على مثل هذه المشافهات يرمي بها أهل الحق فينسب اليهم الاجبار والخسار والمكابرة في الضروريات وجحد الحقائق تعكيسا وهذا كله هم برآء منه وحسبه (٦٢٩) من المقابلة بذلك خطوة في اعتقاد ان تفضيل الملك عند قائله ليس ضروريا ولا عقليا نظريا ولكن سمعيا وقد قنع في الاستدلال على هذه العقيدة بالضرورة التي ادعى انها مركوزة في الطباع ثم حكم بان كل مركوز في الطباع حق وخده وصاوا الكلام في طباع النساء القائلات ما هذا بشرا واذا كان كل مركوز في الطباع حقا فاركز فيها حب الشهوات وايثار العاجلة وجميع أمهات الذنوب مركوز في الطباع أفيكون ذلك حقا الا عند ناظر بعين الهوى أعشى في سبيل الهدى والله ولي التوفيق ✱ قوله تعالى قالت فذلكن الذي لمتنني فيه (قال لم تقل فهذا وهو حاضر الخ) قال أحمد وبهذا أجيب عما أورده من السؤال في قوله تعالى أول البقرة الم ذلك الكتاب لما جعل الاشارة الى الحروف المذكورة فقال ان قلت كيف أشار اليها وهي قريبة كما يشار الى البعيد وأجاب هو بأن كل منقض بعيد وأجيب أنا بأن الاشارة بذلك الى بعد منزلة هذا الكتاب بالنسبة الى كتب الله تعالى

ما مصدرية فيرجع الى يوسف ومعناه ولئن لم يفعل أمرى اياه أى موجب أمرى ومقتضاه * قرئ وليكونا
بالتشديد والتخفيف والتخفيف أولى لان النون كتبت فى المصحف ألفا على حكم الوقف وذلك لا يكون الا فى
الخفيفة * وقرئ السجن بالفتح على المصدر وقال (يدعوننى) على اسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن تنصحن له
وزين له مطاوعتها وقلن له اياك والقاء نفسك فى السجن والصغار فالتجأ الى ربه عند ذلك وقال رب نزول
السجن أحب الى من ركوب المعصية (فان قلت) نزول السجن مشقة على النفس شديدة وما دعونه اليه لذة
عظيمة فكيف كانت المشقة أحب اليه من اللذة (قلت) كانت أحب اليه وآثر عنده نظرا فى حسن الصبر
على احتمالها لوجه الله وفى قبح المعصية وفى عاقبة كل واحدة منهما لا نظرا فى مشتهى النفس ومكروهها
(والا تصرف عنى كيدهن) فزع منه الى ألطاف الله وعصمته كعادة الانبياء والصالحين فيما عزم عليه
ووطن عليه نفسه من الصبر لا أن يطلب منه الاجبار على التعفف والالجاء اليه (أصب اليهن) أمل اليهن
والصبوة الميل الى الهوى ومنها الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها وروحها وقرئ أصب اليهن من
الصبابة (من الجاهلين) من الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء أو من
السفهاء لان الحكيم لا يفعل القبيح * وانما ذكر الاستجابة ولم يتقدم الدعاء لان قوله والا تصرف عنى فيه
معنى طلب الصرف والدعاء باللطف (السميع) لدعوات الملتجئين اليه (العليم) بأحوالهم وما يصلحهم
(بدا لهم) فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء أى ظهر لهم رأى ليسجننه
والضمير فى لهم للعزيز وأهله (من بعد ما رأوا الآيات) وهى الشواهد على براءته وما كان ذلك الا باستنزال
المرأة لزوجها وفتلها منه فى الذروة والغارب وكان مطواعة لها وجملا ذلولا زمامه فى يدها حتى أنساه ذلك
ما عاين من الآيات وعمل برأيها فى سجنه والحاق الصغار به كما أوعدته به وذلك لما أيست من طاعته
لها أو لطمعها فى أن يذلله السجن ويسخره لها وفى قراءة الحسن لتسجننه بالتاء على الخطاب خاطب به بعضهم
العزيز ومن يليه أو العزيز وحده على وجه التعظيم (حتى حين) الى زمان كأنها اقترحت أن يسجن زمانا
حتى تبصر ما يكون منه وفى قراءة ابن مسعود عتى حين وهى لغة هذيل وعن عمر رضى الله عنه أنه سمع رجلا
يقرأ عتى حين فقال من أقرأك قال ابن مسعود فكتب اليه ان الله أنزل هذا القرآن فجعله عربيا وأنزله
بلغة قريش فأقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل والسلام * مع يدل على معنى الصحبة
واستحداثها تقول خرجت مع الامير تريد مصاحبا له فيجب أن يكون دخولهما السجن مصاحبين له
(فتيان) عبدان للملك خبازه وشرابيه رقى اليه أنهما يسمانه فأمر بهما الى السجن فأدخلا السجن ساعة
أدخل يوسف عليه السلام (انى أرانى) يعنى فى المنام وهى حكاية حال ماضية (أعصر خمرا) يعنى عنبا تسمية
للعنب بما يؤول اليه وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب وفى قراءة ابن مسعود أعصر عنبا (من المحسنين)
من الذين يحسنون عبارة الرؤيا أى يجيدونها رأياه يقص عليه بعض أهل السجن رؤياه فيؤولها له فقالا
له ذلك أو من العلماء لانهما سمعاه يذكر للناس ما علما به أنه عالم أو من المحسنين الى أهل السجن فأحسن
الينا بأن تفرج عنا الغمة بتأويل ما رأينا ان كانت لك يد فى تأويل الرؤيا روى أنه كان اذا مرض رجل منهم
قام عليه واذا ضاق أوسع له واذا احتاج جمع له وعن قتادة كان فى السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال
حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا تؤجروا ان لهذا لاجرا فقالوا بارك الله عليك ما أحسن وجهك وما أحسن
خلقك لقد بورك لنا فى جوارك فمن أنت يا فتى قال أنا يوسف ابن صفى الله يعقوب ابن ذبيح الله اسحق ابن
خليل الله ابراهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكنى أحسن جوارك فكن فى أى بيوت
السجن شئت وروى أن الفتيين قالا له انا لنحبك من حين رأيناك فقال أنشدكما بالله أن لا تحبانى فوالله
ما أحبنى أحد قط الا دخل على من حبه بلاء لقد أحبتنى عمتى فدخل على من حبها بلاء ثم أحبنى أبى فدخل على
من حبه بلاء ثم أحبتنى زوجة صاحبى فدخل على من حبها بلاء فلا تحبانى بارك الله فيكما وعن الشعبى
أنهما تحالما له ليمتحناه فقال الشرابى انى أرانى فى بستان فاذا بأصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب
فقطفتها وعصرتها فى كأس الملك وسقيته وقال الخباز انى أرانى وفوق رأسى ثلاث سلال فيها أنواع الاطعمة

يدعوننى اليه والا تصرف عنى كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما انى أرانى أعصر خمرا وقال الآخر انى أرانى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه نبئنا

وإذا سباع الطير تنهش منها (فإن قلت) إلام يرجع الضمير في قوله نبئنا بتأويله (قلت) إلى ما قصا عليه والضمير يجري مجرى اسم الإشارة في نحوه كأنه قيل نبئنا بتأويل ذلك * لما استعبراه ووصفاه بالإحسان افترص ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الإخبار بالغيب وأنه ينبئهما بما يحمل إليهما من الطعام في السجن قبل أن يأتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كما أخبرهما وجعل ذلك تخلصا إلى أن يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الإيمان ويزينه لهما ويقبح إليهما الشرك بالله وهذه طريقة على كل ذي علم أن يسلكها مع الجهال والفسقة إذا استفتاه واحد منهم أن يقدم الهداية والإرشاد والموعظة والنصيحة أولا ويدعوه إلى ما هو أولى به وأوجب عليه مما استفتى فيه ثم يفتيه بعد ذلك وفيه أن العالم إذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه أن يقتبس منه وينتفع به في الدين لم يكن من باب التزكية (بتأويله) ببيان ماهيته وكيفيته لأن ذلك يشبه تفسير المشكل والإعراب عن معناه (ذلكما) إشارة لهما إلى التأويل أي ذلك التأويل والإخبار بالمغيبات (مما علمني ربي) وأوحى به إلي ولم أقله عن تكهن وتنجم (إني تركت) يجوز أن يكون كلاما مبتدأ وأن يكون تعليلا لما قبله أي علمني ذلك وأوحى إلي لأني رفضت ملة أولئك واتبعت ملة الأنبياء المذكورين وهي الملة الحنيفية وأراد بأولئك الذين لا يؤمنون أهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم وتكرير هم للدلالة على أنهم خصوصا كافرون بالآخرة وأن غيرهم كانوا قوما مؤمنين بها وهم الذين على ملة إبراهيم ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيها على ما هم عليه من الظلم والكبائر التي لا يرتكبها إلا من هو كافر بدار الجزاء ويجوز أن يكون فيه تعريض بما مني به من جهتهم حين أودعوه السجن بعد ما رأوا الآيات الشاهدة على براءته وأن ذلك ما لا يقدم عليه إلا من هو شديد الكفر بالجزاء وذكر آباءه ليريهما أنه من بيت النبوة بعد أن عرفهما أنه نبي يوحى إليه بما ذكر من إخباره بالغيوب ليقوي رغبتهما في الاستماع إليه واتباع قوله (ما كان لنا) ما صح لنا معشر الأنبياء (أن نشرك بالله) أي شيء كان من ملك أو جني أو إنسي فضلا أن نشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر ثم قال (ذلك) التوحيد (من فضل الله علينا وعلى الناس) أي على الرسل وعلى المرسل إليهم لأنهم نبهوهم عليه وأرشدوهم إليه (ولكن أكثر الناس) المبعوث إليهم (لا يشكرون) فضل الله فيشركون ولا ينتبهون وقيل إن ذلك من فضل الله علينا لأنه نصب لنا الأدلة التي ننظر فيها ونستدل بها وقد نصب مثل تلك الأدلة لسائر الناس من غير تفاوت ولكن أكثر الناس لا ينظرون ولا يستدلون اتباعا لأهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين (يا صاحبي السجن) يريد يا صاحبي في السجن فأضافهما إلى السجن كما تقول يا سارق الليلة فكما أن الليلة مسروق فيها غير مسروقة فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب وإنما المصحوب غيره وهو يوسف عليه السلام ونحوه قولك لصاحبيك يا صاحبي الصدق فتضيفهما إلى الصدق ولا تريد أنهما صحبا الصدق ولكن كما تقول رجلا صدق وسميتهما صاحبين لأنهما صحباك ويجوز أن يريد يا ساكني السجن كقوله أصحاب النار وأصحاب الجنة (أأرباب متفرقون) يريد التفرق في العدد والتكاثر يقول أأن تكون لكما أرباب شتى يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا (خير لكما (أم) أن يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية بل هو (القهار) الغالب وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الأصنام (ما تعبدون) خطاب لهما ولمن على دينهما من أهل مصر (إلا أسماء) يعني أنكم سميتم ما لا يستحق الإلهية آلهة ثم طفقتم تعبدونها فكأنكم لا تعبدون إلا أسماء فارغة لا مسميات تحتها ومعنى (سميتموها) سميتم بها يقال سميته بزيد وسميته زيدا (ما أنزل الله بها) أي بتسميتها (من سلطان) من حجة (إن الحكم) في أمر العبادة والدين (إلا لله) ثم بين ما حكم به فقال (أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم) الثابت الذي دلت عليه البراهين (أما أحدكما) يريد الشرابي (فيسقي ربه) سيده وقرأ عكرمة فيسقي ربه أي يسقى ما يروى به على البناء للمفعول روي أنه قال للأول ما رأيت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده وأما القضبان الثلاثة فإنها ثلاثة أيام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود إلى ما كنت عليه وقال للثاني ما رأيت من السلال ثلاثة أيام ثم تخرج فتقتل (قضي الأمر) قطع وتم ما (تستفتيان)

بتأويله إنا نراك من المحسنين قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الأمر الذي فيه تستفتيان وقال للذي

فيه من أمركما وشأنكما (فان قلت) ما استفتيا فى أمر واحد بل فى أمرين مختلفين فما وجه التوحيد (قلت) المراد بالامر ما اتهما به من سم الملك وما سجنا من أجله وظنا أن ما رأياه فى معنى ما نزل بهما فكأنهما كانا يستفتيانه فى الامر الذى نزل بهما أعاقبته نجاة أم هلاك فقال لهما قضى الامر الذى فيه تستفتيان أى ما يجر اليه من العاقبة وهى هلاك أحدهما ونجاة الآخر وقيل جحدا وقالا ما رأينا شيأ على ما روى أنهما تحالماله فأخبرهما أن ذلك كائن صدقتما أو كذبتما (ظن انه ناج) الظان هو يوسف ان كان تأويله بطريق الاجتهاد وان كان بطريق الوحى فالظان هو الشرابى أو يكون الظن بمعنى اليقين (اذكرنى عند ربك) صفنى عند الملك بصفتى وقص عليه قصتى لعله يرحمنى وينتاشنى من هذه الورطة (فأنساه الشيطان) فأنسى الشرابى (ذكر ربه) أن يذكره لربه وقيل فأنسى يوسف ذكر الله حين وكل أمره الى غيره (بضع سنين) البضع ما بين الثلاث الى التسع وأكثر الاقاويل على أنه لبث فيه سبع سنين (فان قلت) كيف يقدر الشيطان على الانساء (قلت) يوسوس الى العبد بما يشغله عن الشئ من أسباب النسيان حتى يذهب عنه ويزل عن قلبه ذكره وأما الانساء ابتداء فلا يقدر عليه الا الله عز وجل ما ننسخ من آية أو ننسها (فان قلت) ما وجه اضافة الذكر الى ربه اذا أريد به الملك وما هى باضافة المصدر الى الفاعل ولا الى المفعول (قلت) قد لابسه فى قولك فأنساه الشيطان ذكره لربه أو عند ربه فجازت اضافته اليه لان الاضافة تكون بأدنى ملابسة أو على تقدير فأنساه الشيطان ذكر اخبار ربه فحذف المضاف الذى هو الاخبار (فان قلت) لم أنكر على يوسف الاستعانة بغير الله فى كشف ما كان فيه وقد قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال حكاية عن عيسى عليه السلام من أنصارى الى الله وفى الحديث الله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه المسلم من فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه كربة من كرب الآخرة وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأخذه النوم ليلة من الليالى وكان يطلب من يحرسه حتى جاء سعد فسمعت غطيطه وهل ذلك الا مثل التداوى بالادوية والتقوى بالاشربة والاطعمة وان كان ذلك لان الملك كان كافرا فلا خلاف فى جواز أن يستعان بالكفار فى دفع الظلم والغرق والحرق ونحو ذلك من المضار (قلت) كما اصطفى الله تعالى الانبياء على خليقته فقد اصطفى لهم أحسن الامور وأفضلها وأولاها والاحسن والاولى بالنبى أن لا يكل أمره اذا ابتلى ببلاء الا الى ربه ولا يعتضد الا به خصوصا اذا كان المعتضد به كافرا لئلا يشمت به الكفار ويقولوا لو كان هذا على الحق وكان له رب لأغنيه عما استغاث بنا وعن الحسن أنه كان يبكى اذا قرأها ويقول نحن اذا نزل بنا أمر فزعنا الى الناس * لما دنا فرج يوسف رأى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا أخر يابسات قد استحصدت وأدركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد فى قومه من يحسن عبارتها (سمان) جمع سمين وسمينة وكذلك رجال ونسوة كرام (فان قلت) هل من فرق بين ايقاع سمان صفة للمميز وهو بقرات دون المميز وهو سبع وأن يقال سبع بقرات سمانا (قلت) اذا أوقعتها صفة لبقرات فقد قصدت الى أن تميز السبع بنوع من البقرات وهى السمان منهن لا بجنسهن ولو وصفت بها السبع لقصدت الى تمييز السبع بجنس البقرات لا بنوع منها ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن (فان قلت) هلا قيل سبع عجاف على الاضافة (قلت) التمييز موضوع لبيان الجنس والعجاف وصف لا يقع البيان به وحده (فان قلت) فقد يقولون ثلاثة فرسان وخمسة أصحاب (قلت) الفارس والصاحب والراكب ونحوها صفات جرت مجرى الاسماء فأخذت حكمها وجاز فيها ما لم يجز فى غيرها ألا تراك لا تقول عندى ثلاثة ضخام وأربعة غلاظ (فان قلت) ذاك مما يشكل وما نحن بسبيله لا اشكال فيه ألا ترى أنه لم يقل بقرات سبع عجاف لوقوع العلم بأن المراد البقرات (قلت) ترك الاصل لا يجوز مع وقوع الاستغناء عما ليس بأصل وقد وقع الاستغناء بقولك سبع عجاف عما تقترحه من التمييز بالوصف والعجف الهزال الذى ليس بعده والسبب فى وقوع عجاف جمع العجفاء وأفعل وفعلاء لا يجمعان على

ظن أنه ناج منهما اذكرنى عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين وقال الملك انى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات

فعال

فعال جمله على سمان لانه نقيضه ومن دأبهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض (فان قلت) هل في الآية دليل على أن السنبلات اليابسة كانت سبعا كالخضر (قلت) الكلام مبني على انصبابه الى هذا العدد في البقرات السمان والعجاف والسنابل الخضر فوجب أن يتناول معنى الأخر السبع ويكون قوله وأخر يابسات بمعنى وسبعا أخر (فان قلت) هل يجوز أن يعطف قوله وأخر يابسات على سنبلات خضر فيكون مجرور المحل (قلت) يؤدي الى تدافع وهو أن عطفها على سنبلات خضر يقتضي أن تدخل في حكمها فتكون معها مميزا للسبع المذكورة ولفظ الأخر يقتضي أن تكون غير السبع بيانه أنك تقول عندي سبعة رجال قيام وقعود بالجر فيصح لانك ميزت السبعة برجال موصوفين بالقيام والقعود على أن بعضهم قيام وبعضهم قعود فلو قلت عنده سبعة رجال قيام وآخرين قعود تدافع ففسد (يا أيها الملأ) كانه أراد الاعيان من العلماء والحكماء * واللام في قوله (للرؤيا) اما أن تكون للبيان كقوله وكانوا فيه من الزاهدين واما أن تدخل لان العامل اذا تقدم عليه معموله لم يكن في قوته على العمل فيه مثله اذا تأخر عنه فعضد بها كما يعضد بها اسم الفاعل اذا قلت هو عابر للرؤيا لانحطاطه عن الفعل في القوة ويجوز أن يكون للرؤيا خبر كان كما تقول كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه و(تعبرون) خبرا آخر أو حالا وأن يضمن تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر أمرها كما تقول عبرت النهر اذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره ونحوه أولت الرؤيا اذا ذكرت مآلها وهو مرجعها وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذي اعتمده الاثبات ورأيتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر وقد عثرت على بيت أنشده المبرد في كتاب الكامل لبعض الاعراب

رأيت رؤياثم عبرتها * وكنت للاحلام عبارا

(أضغاث أحلام) تخاليطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس أو وسوسة شيطان وأصل الأضغاث ما جمع من أخلاط النبات وحزم الواحد ضغث فاستعيرت لذلك والاضافة بمعنى من أي أضغاث من أحلام والمعنى هي أضغاث أحلام (فان قلت) ما هو الا حلم واحد فلم قالوا أضغاث أحلام فجمعوا (قلت) هو كما تقول فلان يركب الخيل ويلبس عمائم الخز لمن لا يركب الا فرسا واحدا وما له الا عمامة فردة تزيدا في الوصف فهؤلاء أيضا تزيدوا في وصف الحلم بالبطلان فجعلوه أضغاث أحلام ويجوز أن يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤيا غيرها (وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين) اما أن يريدوا بالاحلام المنامات الباطلة خاصة فيقولوا ليس لها عندنا تأويل فان التأويل انما هو للمنامات الصحيحة الصالحة واما أن يعترفوا بقصور علمهم وأنهم ليسوا في تأويل الاحلام بنحارير وقرئ (وادكر) بالدال وهو الفصيح وعن الحسن واذكر بالذال المعجمة والاصل تذكر أي تذكر الذي نجا من الفتيين من القتل يوسف وما شاهد منه (بعد أمة) بعد مدة طويلة وذلك أنه حين استفتى الملك في رؤياه وأعضل على الملأ تأويلها تذكر الناجي يوسف وتأويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه اليه أن يذكره عند الملك وقرأ الاشهب العقيلي بعد إمة بكسر الهمزة والإمة النعمة قال عدي

ثم بعد الفلاح والملك والامة * وارتهم هناك القبور

أي بعد ما أنعم عليه بالنجاة وقرئ بعد أمه بعد نسيان يقال أمه يأمه أمها اذا نسي ومن قرأ بسكون الميم فقد خطئ (أنا أنبئكم بتأويله) أنا أخبركم به عمن عنده علمه وفي قراءة الحسن أنا آتيكم بتأويله (فأرسلون) فابعثوني اليه لأسأله ومروني باستعباره وعن ابن عباس لم يكن السجن في المدينة * المعنى فأرسلوه الى يوسف فأتاه فقال (يوسف أيها الصديق) أيها البليغ في الصدق وانما قال له ذلك لانه ذاق أحواله وتعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما أول ولذلك كلمه كلام محترز فقال (لعلي أرجع الى الناس لعلهم يعلمون) لانه ليس على يقين من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم فربما لم يعلموا أو معنى لعلهم يعلمون لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من محنتك (تزرعون) خبر في معنى الامر كقوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون وانما يخرج الامر في صورة الخبر للمبالغة في ايجاب ايجاد المأمور

يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع الى الناس لعلهم يعلمون قال تزرعون سبع سنين

* قوله تعالى قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين (قال يحتمل أن يكون مرادهم بالاحلام المنامات الخ) قال أحمد وهذا هو الظاهر وحمل الكلام على الاول يصير من وادي على لاحب لا يهتدى بمناره كانهم قالوا ولا تأويل للاحلام الباطلة فنكون به عالمين وقول الملك لهم أولا ان كنتم للرؤيا تعبرون دليل على انهم لم يكونوا في علمه عالمين لانه أتى بكلمة الشك وجاء اعترافهم بالقصور مطابقا للشك الملك الذي أخرجه مخرج استفهامهم عن كونهم عالمين بالرؤيا أولا وقول الفتى أنا أنبئكم بتأويله الى قوله لعلي أرجع الى الناس لعلهم يعلمون دليل أيضا على ذلك والله أعلم

* قوله تعالى فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن ان ربى بكيدهن عليم (قال انما تأنى وتثبت
فى اجابة الملك لتظهر براءة ساحته عما قرف به الخ) قال أحمد ولقد مدحه النبى صلى الله عليه وسلم على هذه الاناة بقوله ولو لبثت فى السجن
بعض ما لبث يوسف لاجبت الداعى وكان فى طى هذه المدحة بالاناة والتثبت تنزيهه وتبرئته مما لعله يسبق الى الوهم
من انه هم بزليخا هما
تواجد به لانه اذا صبر
وتثبت فيما له أن لا
يصبر فيه وهو الخروج
من السجن مع ان

دأبا فما حصدتم فذروه
فى سنبله الا قليلا مما
تأكلون ثم يأتى من بعد
ذلك سبع شداد يأكلن
ما قدمتم لهن الا قليلا
مما تحصنون ثم يأتى
من بعد ذلك عام فيه
يغاث الناس وفيه
يعصرون وقال الملك
ائتونى به فلما جاءه الرسول
قال ارجع الى ربك
فاسأله ما بال النسوة
اللاتى قطعن أيديهن
ان ربى بكيدهن عليم
قال ما خطبكن اذ
راودتن يوسف عن
نفسه قلن حاش لله
ما علمنا عليه من سوء
قالت امرأت العزيز
الآن حصحص الحق
أنا راودته عن نفسه
وانه لمن الصادقين

به فيجعل كأنه يوجد فهو يخبر عنه والدليل على كونه فى معنى الامر قوله فذروه فى سنبله (دأبا) بسكون الهمزة وتحريكها وهما مصدرا دأب فى العمل وهو حال من المأمورين أى دائبين اما على تدأبون دأبا واما على ايقاع المصدر حالا بمعنى ذوى دأب (فذروه فى سنبله) لئلا يتسوس (يأكلن) من الاسناد المجازى جعل أكل أهلهن مسندا اليهن (تحصنون) تحرزون وتخبئون (يغاث الناس) من الغوث أو من الغيث يقال غيثت البلاد اذا مطرت ومنه قول الاعرابية غثنا ما شئنا (يعصرون) بالياء والتاء يعصرون العنب والزيتون والسمسم وقيل يحلبون الضروع وقرئ يعصرون على البناء للمفعول من عصره اذا أنجاه وهو مطابق للاغاثة ويجوز أن يكون المبنى للفاعل بمعنى ينجون كأنه قيل فيه يغاث الناس وفيه يغيثون أنفسهم أى يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا وقيل يعصرون يمطرون من أعصرت السحابة وفيه وجهان اما أن يضمن أعصرت معنى مطرت فيعدى تعديته واما أن يقال الاصل أعصرت عليهم فحذف الجار وأوصل الفعل تأول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بأن العام الثامن يجئ مباركا خصيبا كثير الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحى وعن قتادة زاده الله علم سنة (فان قلت) معلوم أن السنين المجدبة اذا انتهت كان انتهاؤها بالخصب والا لم توصف بالانتهاء فلم قلت ان علم ذلك من جهة الوحى (قلت) ذلك معلوم علما مطلقا لا مفصلا وقوله فيه يغاث الناس وفيه يعصرون تفصيل لحال العام وذلك لا يعلم الا بالوحى * انما تأنى وتثبت فى اجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما قرف به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسدون الى تقبيح أمره عنده ويجعلوه سلما الى حط منزلته لديه ولئلا يقولوا ما خلد فى السجن سبع سنين الا لامر عظيم وجرم كبير حق به أن يسجن ويعذب ويستكف شره وفيه دليل على أن الاجتهاد فى نفى التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف فى مواقفها قال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم ومنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمارين به فى معتكفه وعنده بعض نسائه هى فلانة اتقاء للتهمة وعن النبى صلى الله عليه وسلم لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى أشترط أن يخرجونى ولقد عجبت منه حين أتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت فى السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب ولما ابتغيت العذر ان كان لحليما ذا أناة وانما قال سل الملك عن حال النسوة ولم يقل سله أن يفتش عن شأنهن لان السؤال مما يهيج الانسان ويحركه للبحث عما سئل عنه فأراد أن يورد عليه السؤال ليجد فى التفتيش عن حقيقة القصة وفص الحديث حتى يتبين له براءته بيانا مكشوفا يتميز فيه الحق من الباطل * وقرئ النسوة بضم النون ومن كرمه وحسن أدبه أنه لم يذكر سيدته مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات أيديهن (ان ربى) ان الله تعالى (بكيدهن عليم) أراد أنه كيد عظيم لا يعلمه الا الله لبعد غوره أو استشهد بعلم الله على أنهن كدنه وأنه برئ مما قرف به أو أراد الوعيد لهن أى هو عليم بكيدهن فمجازيهن عليه (ما خطبكن) ما شأنكن (اذ راودتن يوسف) هل وجدتن منه ميلا اليكن (قلن حاش لله) تعجبا من عفته وذهابه بنفسه عن شئ من الريبة ومن نزاهته عنها (قالت امرأت العزيز الآن حصحص الحق) أى ثبت واستقر وقرئ حصحص على البناء للمفعول وهو من حصحص البعير اذا ألقى ثفناته للاناخة قال

فحصحص فى صم الصفا ثفناته * وناء بسلمى نوءة ثم صمما

الدواعى متوفرة على
الخروج منه فلأن
يصبر فيما عليه أن
يصبر فيه من التهم أولى
وأجدر والله أعلم
عاد كلامه قال وانما قال فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن ولم يكشف
ولا
له عن القصة ولا أوضحها له لان السؤال مجملا مما يهيج الملك على الكشف والبحث والاستعلام ويحصل البراءة له عليه السلام من
ذلك والله الموفق

* قوله تعالى قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين (قال لا مزيد على شهادتهن له بالبراءة واعترافهن على أنفسهن الخ) قال أحمد الصحيح من مذاهب أهل السنة تنزيه الانبياء عن الكبائر والصغائر جميعاً وتتبع الآي المشعرة بوقوع الصغائر بالتأويل وذهب منهم طائفة مع القدرية الى تجويز الصغائر عليهم بشرط أن لا تكون منفرة والصحيح عندنا في قصة يوسف عليه السلام انه مبرأ عن الوقوع فيما يؤاخذ به وان الوقف عند قوله همت به ثم يبتدأ وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كما تقول قتلت زيداً لولا انى أخاف الله فلا يكون الهم واقعاً لوجود المانع منه وهو رؤية البرهان فان كان الزمخشري يعرض بأهل السنة فقد بينا معتقدهم وان كان يعرض بالمجبرة والحشوية حقيقة فشأنه واياهم ٦٣٥ * عاد كلامه (قال وقوله ذلك ليعلم انى لم أخنه بالغيب الخ من كلام يوسف عليه السلام والمعنى ان ذلك الجد في ظهور البراءة ليعلم الخ) قال أحمد وارادته لعموم الاحوال أدخل في تنزيهه وأدل على ان الغرض بهذا الكلام التواضع منه والتبري من تزكية النفس فهو أدل على هذا المعنى من حمله على الحادثة الخاصة والله أعلم * عاد كلامه (قال وقيل ذلك كله كلام امرأة العزيز أي ذلك الذي قلت الخ) قال أحمد وانما يجرى الكلام على هذا الوجه اذا ألجأ اليه محوج كقوله فماذا تأمرون اذ لا يمكن جعله من قول الملأ بوجه فتعين أن يصرف الضمير عنه الى فرعون وأما هذه الآية فهي تتلو قوله وانه لمن الصادقين الى ما قبل ذلك من الضمائر العائدة الى يوسف عليه السلام قطعاً ولا ضرورة تدعو الى حمل الضمير في ليعلم على العزيز وجعله من كلام يوسف وقد تضمنته الآية المصدرة بقول زليخا وذلك قوله قالت امرأة العزيز وفي سياق الآية ما يرشد الى ان هذا القول جرى منها ويوسف عليه السلام بعد في السجن لم يحضر الى الملك وانه لما تحتمت براءته بقولها بعث يخرجه من السجن فذلك قوله وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي * عاد كلامه (قال ولقد لفقت المبطلة روايات مصنوعة الخ) قال أحمد ولقد صدق في التوريك على نقلة هذه الزيادات بالبهت وذلك شأن المبطلة من كل طائفة كما لفقت القدرية على قصة موسى حين طلب الرؤية وخر صعقاً ان الملائكة جعلت تلكزه بأرجلها وتقول يا ابن النساء الحيض طمعت في رؤية رب العزة كل ذلك ليتم لهم غرضهم في انه طلب لهم محالاً في المعقول على الله تعالى ويحق الله الحق بكلماته ويبطل الباطل والله الموفق

ولا مزيد على شهادتهن له بالبراءة والنزاهة واعترافهن على أنفسهن بأنه لم يتعلق بشيء مما قرفته به لانهن خصومه واذا اعترف الخصم بأن صاحبه على الحق وهو على الباطل لم يبق لاحد مقال وقالت المجبرة والحشوية نحن قد بقي لنا مقال ولا بد لنا من ان ندق في فروة من ثبتت نزاهته (ذلك ليعلم) من كلام يوسف أي ذلك التثبت والتشمر لظهور البراءة ليعلم العزيز (أني لم أخنه) بظهر الغيب في حرمته * ومحل (بالغيب) الحال من الفاعل أو المفعول على معنى وأنا غائب عنه خفي عن عينه أو وهو غائب عني خفي عن عيني ويجوز أن يكون ظرفاً أي بمكان الغيب وهو الخفاء والاستتار وراء الابواب السبعة المغلقة (و) ليعلم (أن الله لا يهدي كيد الخائنين) لا ينفذه ولا يسدده وكأنه تعريض بامرأته في خيانتها أمانة زوجها وبه في خيانته امانة الله حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه ويجوز أن يكون تأكيداً لامانته وأنه لو كان خائناً لما هدى الله كيده ولا سدده * ثم أراد أن يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكياً وبحالها في الامانة معجباً ومفتخراً كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر وليبين أن ما فيه من الامانة ليس به وحده وانما هو بتوفيق الله ولطفه وعصمته فقال (وما أبرئ نفسي) من الزلل وما أشهد لها بالبراءة الكلية ولا أزكيها ولا يخلو اما أن يريد في هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم الذي هو ميل النفس عن طريق الشهوة البشرية لا عن طريق القصد والعزم واما أن يريد عموم الاحوال (ان النفس لامارة بالسوء) أراد الجنس أي ان هذا الجنس يأمر بالسوء ويحمل عليه بما فيه من الشهوات (الا ما رحم ربي) الا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة كالملائكة ويجوز أن يكون ما رحم في معنى الزمان أي الا وقت رحمة ربي يعني أنها أمارة بالسوء في كل وقت وأوان الا وقت العصمة ويجوز أن يكون استثناء منقطعاً أي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة كقوله ولا هم ينقذون الا رحمة وقيل معناه ذلك ليعلم الله أني لم أخنه لان المعصية خيانة وقيل هو من كلام امرأة العزيز أي ذلك الذي قلت ليعلم يوسف اني لم أخنه ولم أكذب عليه في حال الغيبة وجئت بالصحيح والصدق فيما سئلت عنه وما أبرئ نفسي مع ذلك من الخيانة فاني قد خنته حين قرفته وقلت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً الا أن يسجن وأودعته السجن تريد الاعتذار مما كان منها ان كل نفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي الا نفساً رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف (ان ربي غفور رحيم) استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت (فان قلت) كيف صح أن يجعل من كلام يوسف ولا دليل على ذلك (قلت) كفى بالمعنى دليلاً قائداً الى أن يجعل من كلامه ونحوه قوله قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره ثم قال فماذا تأمرون وهو من كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم وعن ابن جريج هذا من تقديم القرآن وتأخيره ذهب الى أن ذلك ليعلم متصل بقوله فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ولقد لفقت المبطلة روايات مصنوعة فزعموا

ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين وما أبرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي

ان يوسف حين قال انى لم أخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت بها وقالت له امرأة العزيز ولا حين حللت تكة سراويلك يا يوسف وذلك لتهالكهم على بهت الله ورسله * يقال استخلصه واستخصه اذا جعله خالصا لنفسه وخاصا به (فلما كلمه) وشاهد منه مالم يحتسب (قال) أيها الصديق (انك اليوم لدينا مكين) ذو مكانة ومنزلة (أمين) مؤتمن على كل شئ روى أن الرسول جاءه فقال أجب الملك فخرج من السجن ودعا لاهله اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم أعلم الناس بالاخبار فى الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم انى أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ماهذا اللسان قال لسان آبائى وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها فأجابه بجميعها فتعجب منه وقال أيها الصديق انى أحب أن أسمع رؤياى منك فقال رأيت بقرات فوصف لونهن وأحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التى رآها الملك لا يخرم منها حرفا وقال له من حقك أن تجمع الطعام فى الاهراء فيأتيك الخلق من النواحى يمتارون منك ويجتمع لك من الكنوز مالم يجتمع لاحد قبلك (اجعلنى على خزائن الارض) ولنى خزائن أرضك (انى حفيظ عليم) أمين أحفظ ما تستحفظنيه عالم بوجوه التصرف وصف نفسه بالامانة والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه وانما قال ذلك ليتوصل الى امضاء أحكام الله تعالى واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله تبعث الانبياء الى العباد ولعلمه أن أحدا غيره لا يقوم مقامه فى ذلك فطلب التولية ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا وعن النبى صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى يوسف لو لم يقل اجعلنى على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكنه أخر ذلك سنة (فان قلت) كيف جاز أن يتولى عملا من يد كافر ويكون تبعا له وتحت أمره وطاعته (قلت) روى مجاهد أنه كان قد أسلم وعن قتادة هو دليل على أنه يجوز أن يتولى الانسان عملا من يد سلطان جائر وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة البغاة ويرونه واذا علم النبى أو العالم أنه لا سبيل الى الحكم بأمر الله ودفع الظلم الا بتمكين الملك الكافر أو الفاسق فله أن يستظهر به وقيل كان الملك يصدر عن رأيه ولا يعترض عليه فى كل ما رأى فكان فى حكم التابع له والمطيع (وكذلك) ومثل ذلك التمكين الظاهر (مكنا ليوسف) فى أرض مصر روى أنها كانت أربعين فرسخا فى أربعين (يتبوأ منها حيث يشاء) قرئ بالنون والياء أى كل مكان أراد أن يتخذه منزلا ومتبوأ له لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخولها تحت ملكته وسلطانه روى أن الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت وروى أنه قال له أما السرير فأشد به ملكك وأما الخاتم فأدبر به أمرك وأما التاج فليس من لباسى ولا لباس آبائى فقال قد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك اليه أمره وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه الملك امرأته زليخا فلما دخل عليها قال أليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرائيم وميشا وأقام العدل بمصر وأحبته الرجال والنساء وأسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من أهل مصر فى سنى القحط الطعام بالدنانير والدراهم فى السنة الاولى حتى لم يبق معهم شئ منها ثم بالحلى والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا والله ما رأينا كاليوم ملكا أجل ولا أعظم منه وقال للملك كيف رأيت صنع الله بى فيما خولنى فما ترى قال الرأى رأيك قال فانى أشهد الله وأشهدك أنى اعتقت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أملاكهم وكان لا يبيع من أحد من الممتارين أكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس * وأصاب أرض كنعان وبلاد الشام نحو ما أصاب أرض مصر فأرسل يعقوب بنيه ليمتاروا واحتبس بنيامين (برحمتنا) بعطائنا فى الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم (من نشاء) من اقتضت الحكمة أن نشاءله ذلك (ولا نضيع أجر المحسنين) أن نأجرهم فى الدنيا (ولأجر الآخرة خير) لهم قال سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته فى الدنيا والآخرة والفاجر يعجل له الخير فى الدنيا وماله فى

فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين قال اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون

الآخرة من خلاق وتلا هذه الآية * لم يعرفوه لطول العهد ومفارقته اياهم في سن الحداثة ولاعتقادهم انه قد هلك ولذهابه عن أوهامهم لقلة فكرهم فيه واهتمامهم بشأنه ولبعد حاله التي بلغها من الملك والسلطان عن حاله التي فارقوه عليها طريحا في البئر مشريا بدراهم معدودة حتى لو تخيل لهم أنه هو لكذبوا أنفسهم وظنونهم ولان الملك مما يبدل الزي ويلبس صاحبه من التهيب والاستعظام ما ينكر له المعروف وقيل رأوه على زي فرعون عليه ثياب الحرير جالسا على سرير في عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج فما خطر ببالهم أنه هو وقيل ما رأوه الا من بعيد بينهم وبينه مسافة وحجاب وما وقفوا الا حيث يقف طلاب الحوائج وانما عرفهم لانه فارقهم وهم رجال ورأى زيهم قريبا من زيهم اذ ذاك ولان همته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم فكان يتأمل ويتفطن وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له (ولما جهزهم بجهازهم) أي أصلحهم بعدتهم وهي عدة السفر من الزاد وما يحتاج اليه المسافرون وأوقر ركائبهم بما جاؤا له من الميرة وقرئ بجهازهم بكسر الجيم (قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم) لا بد من مقدمة سبقت له معهم حتى اجترّ القول هذه المسئلة روى أنه لما رآهم وكلموه بالعبرانية قال لهم أخبروني من أنتم وما شأنكم فاني أنكركم قالوا نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا تنظرون عورة بلادي قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو أب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم أنتم قالوا كنا اثنى عشر فهلك منا واحد قال فكم أنتم ههنا قالوا عشرة قال فأين الاخ الحادي عشر قالوا هو عند أبيه يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم بعيون وان الذي تقولون حق قالوا انا ببلاد لا يعرفنا فيها أحد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني بأخيكم من أبيكم وهو يحمل رسالة من أبيكم حتى أصدقكم فاقترعوا بينهم فأصابت القرعة شمعون وكان أحسنهم رأيا في يوسف فخلفوه عنده وكان قد أحسن انزالهم وضيافتهم (ولا تقربون) فيه وجهان أحدهما أن يكون داخلا في حكم الجزاء مجزوما عطفا على محل قوله فلا كيل لكم كأنه قيل فان لم تأتوني به تحرموا ولا تقربوا وان يكون بمعنى النهي (سنراود عنه أباه) سنخادعه عنه وسنجتهد ونحتال حتى ننتزعه من يده (وانا لفاعلون) وانا لقادرون على ذلك لا نتعايا به أو وانا لفاعلون ذلك لا محالة لا نفرط فيه ولا نتوانى (لفتيته) وقرئ لفتيانه وهما جمع فتى كاخوة واخوان في أخ وفعلة للقلة وفعلان للكثرة أي لغلمانه الكيالين (لعلهم يعرفونها) لعلهم يعرفون حق ردها وحق التكرم باعطاء البدلين (اذا انقلبوا الى أهلهم) وفرغوا ظروفهم (لعلهم يرجعون) لعل معرفتهم بذلك تدعوهم الى الرجوع الينا وكانت بضاعتهم النعال والادم وقيل تخوف أن لا يكون عند أبيه من المتاع ما يرجعون به وقيل لم ير من الكرم ان يأخذ من أبيه واخوته ثمنا وقيل علم ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لا يستحلون امساكها فيرجعون لاجلها وقيل معنى لعلهم يرجعون لعلهم يردونها (منع منا الكيل) يريدون قول يوسف فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي لانهم اذا أنذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل (نكتل) نرفع المانع من الكيل ونكتل من الطعام ما نحتاج اليه وقرئ يكتل بمعنى يكتل أخونا فينضم اكتياله الى اكتيالنا أو يكن سببا للاكتيال فان امتناعه بسببه (هل آمنكم عليه) يريد أنكم قلتم في يوسف وانا له لحافظون كما تقولونه في أخيه ثم خنتم بضمانكم فما يؤمنني من مثل ذلك ثم قال (فالله خير حافظا) فتوكل على الله فيه ودفعه اليهم وحافظا تمييز كقولك هو خيرهم رجلا ولله دره فارسا ويجوز أن يكون حالا وقرئ حفظا وقرأ الاعمش فالله خير حافظ وقرأ أبو هريرة خير الحافظين (وهو أرحم الراحمين) فأرجو أن ينعم علي بحفظه ولا يجمع على مصيبتين * وقرئ ردت الينا بالكسر على أن كسرة الدال المدغمة نقلت الى الراء كما في قيل وبيع وحكى قطرب ضرب زيد على نقل كسرة الراء فيمن سكنها الى الضاد (ما نبغي) للنفي أي ما نبغي في القول وما نتزيد فيما وصفنا لك من احسان الملك واكرامه وكانوا قالوا له انا قدمنا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما أكرمنا كرامته أو ما نبغي شيأ وراء ما فعل بنا من الاحسان أو على الاستفهام بمعنى أي شيء نطلب وراء هذا وفي قراءة ابن مسعود ما تبغي بالتاء على مخاطبة يعقوب معناه أي شيء تطلب وراء هذا من الاحسان أو من الشاهد على صدقنا وقيل معناه ما نريد

ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون قالوا سنراود عنه أباه وانا لفاعلون وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى أهلهم لعلهم يرجعون فلما رجعوا الى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وانا له لحافظون قال هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا أبانا ما نبغي

---

* قوله تعالى وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون (قال انما أنكروه لبعد العهد وتغير الصورة الخ) قال أحمد وتوارد النادمين في دخولهم عليه ومعرفته اياهم عند ذلك تدل على ان مجرد دخولهم عليه استعقبته المعرفة بلا مهلة والله أعلم

مناك ببضاعة أخرى وقوله (هذه بضاعتنا ردت الينا) جملة مستأنفة موضحة لقوله ما نبغي والجمل بعدها معطوفة عليها على معنى ان بضاعتنا ردت الينا فنستظهر بها (ونمير أهلنا) في رجوعنا الى الملك (ونحفظ أخانا) فما يصيبه شيء مما نخافه ونزداد باستصحاب أخينا وسق بعير زائدا على أوساق أباعرنا فأي شيء نبتغي وراء هذه المباغي التي نستصلح بها أحوالنا ونوسع ذات أيدينا وانما قالوا (ونزداد كيل بعير) لما ذكرنا انه كان لا يزيد للرجل على حمل بعير للتقسيط (فان قلت) هذا اذا فسرت البغي بالطلب فأما اذا فسرته بالكذب والتزيد في القول كانت الجملة الاولى وهي قوله هذه بضاعتنا ردت الينا بيانا لصدقهم وانتفاء التزيد عن قولهم فما تصنع بالجمل البواقي (قلت) أعطفها على قوله ما نبغي على معنى لا نبغي فيما نقول ونمير أهلنا ونفعل كيت وكيت ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ كقولك وينبغي أن نمير أهلنا كما تقول سعيت في حاجة فلان واجتهدت في تحصيل غرضه ويجب ان أسعى وينبغي لي ان لا أقصر ويجوز أن يراد ما نبغي وما ننطق الا بالصواب فيما نشير به عليك من تجهيزنا مع أخينا ثم قالوا هذه بضاعتنا نستظهر بها ونمير أهلنا ونفعل ونصنع بيانا لانهم لا يبغون في رأيهم وانهم مصيبون فيه وهو وجه حسن واضح (ذلك كيل يسير) أي ذلك مكيل قليل لا يكفينا يعنون ما يكال لهم فأرادوا أن يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم أو يكون ذلك اشارة الى كيل بعير أي ذلك الكيل شيء قليل يجيبنا اليه الملك ولا يضايقنا فيه أو سهل عليه متيسر لا يتعاظمه ويجوز أن يكون من كلام يعقوب وأن حمل بعير واحد شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد كقوله ذلك ليعلم (لن أرسله معكم) مناف لحالي وقد رأيت منكم ما رأيت ارساله معكم (حتى تؤتون موثقا من الله) حتى تعطوني ما أتوثق به من عند الله أراد أن يحلفوا له بالله وانما جعل الحلف بالله موثقا منه لان الحلف به مما تؤكد به العهود وتشدد وقد أذن الله في ذلك فهو اذن منه (لتأتنني به) جواب اليمين لان المعنى حتى تحلفوا لتأتنني به (الا أن يحاط بكم) الا أن تغلبوا فلم تطيقوا الاتيان به أو الا أن تهلكوا (فان قلت) أخبرني عن حقيقة هذا الاستثناء ففيه اشكال (قلت) أن يحاط بكم مفعول له والكلام المثبت الذي هو قوله لتأتنني به في تأويل النفي معناه لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم أي لا تمتنعون منه لعلة من العلل الا لعلة واحدة وهي أن يحاط بكم فهو استثناء من أعم العام في المفعول له والاستثناء من أعم العام لا يكون الا في النفي وحده فلا بد من تأويله بالنفي ونظيره من الاثبات المتأول بمعنى النفي قولهم أقسمت بالله لما فعلت والا فعلت تريد ما أطلب منك الا الفعل (على ما نقول) من طلب الموثق واعطائه (وكيل) رقيب مطلع * وانما نهاهم أن يدخلوا من باب واحد لانهم كانوا ذوي بهاء وشارة حسنة اشتهرهم أهل مصر بالقربة عند الملك والتكرمة الخاصة التي لم تكن لغيرهم فكانوا مظنة لطموح الابصار اليهم من بين الوفود وأن يشار اليهم بالاصابع ويقال هؤلاء أضياف الملك انظروا اليهم ما أحسنهم من فتيان وما أحقهم بالاكرام لامر ما أكرمهم الملك وقربهم وفضلهم على الوافدين عليه فخاف لذلك أن يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا لجمالهم وجلالة أمرهم في الصدور فيصيبهم ما يسوءهم ولذلك لم يوصهم بالتفرق في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين مغمورين بين الناس (فان قلت) هل للاصابة بالعين وجه تصح عليه (قلت) يجوز أن يحدث الله عز وجل عند النظر الى الشيء والاعجاب به نقصانا فيه وخللا من بعض الوجوه ويكون ذلك ابتلاء من الله وامتحانا لعباده ليتميز المحققون من أهل الحشو فيقول المحقق هذا فعل الله ويقول الحشوي هو أثر العين كما قال تعالى وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الآية وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يعوذ الحسن والحسين فيقول أعيذكما بكلمات الله التامة من كل عين لامة ومن كل شيطان وهامة (وما أغني عنكم من الله من شيء) يعني ان أراد الله بكم سوءا لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما أشرت به عليكم من

هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به الا أن يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنكم من الله من شيء

* قوله تعالى قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله (قال معناه ان ارساله معكم مناف الخ) قال أحمد لن لنفي المؤكد وأما قول الزمخشري في المنافاة له فله وراء ذلك غرض انما يطلع عليه من قبل كلامه ءلما وذلك انه اعتمد في احالة الرؤية على الله تعالى على ان قوله تعالى لن تراني معناه ان الرؤية منافية لحالي وجعل هذه المنافاة من مقتضى لن ثم التزم ذلك في هذه اللفظة حيثما وقعت كل ذلك لتمرن الاذهان على ان هذا مقتضى لن وقد سبق وجه الرد عليه في ذلك * عاد كلامه (قال وقوله لتأتنني به الا أن يحاط بكم معناه الا ان تغلبوا فلا تطيقوا الاتيان الخ) قال أحمد وانما اختص هذا النوع من الاستثناء بالنفي لان المستثنى منه مسكوت عنه والنفي عام اذ يلزم من نفي الاتيان مثلا نفي جميع العوارض اللاحقة به ضرورة فكأنه لعمومه مقرون بذكر المستثنى منه ولا كذلك الاتيان فانه لا اشعار له بعموم الأحوال لانه لا يتوقف الا على أحدها والله أعلم ولقد صدقت هذه القصة المثل السائر وهو قولهم البلاء موكل بالمنطق فان يعقوب عليه السلام قال أولا في حق يوسف وأخاف أن يأكله الذئب فابتلي من ناحية هذا القول وقال ههنا ثانيا الا أن يحاط بكم أي تغلبوا عليه فابتلي أيضا بذلك وأحيط بهم وغلبوا عليه

التفرق وهو مصيبكم لا محالة (ان الحكم الا لله) ثم قال (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) أى متفرقين
(ما كان يغنى عنهم) رأى يعقوب ودخولهم متفرقين شيأ قط حيث أصابهم ما ساءهم مع تفرقهم من اضافة
السرقة اليهم وافتضاحهم بذلك وأخذ أخيهم بوجدان الصواع فى رحله وتضاعف المصيبة على أبيهم (الا
حاجة) استثناء منقطع على معنى ولكن حاجة (فى نفس يعقوب قضاها) وهى شفقته عليهم واظهارها بما
قاله لهم ووصاهم به (وانه لذو علم) يعنى قوله وما أغنى عنكم وعلمه بأن القدر لا يغنى عنه الحذر (آوى اليه
أخاه) ضم اليه بنيامين وروى انهم قالوا له هذا أخونا قد جئناك به فقال لهم أحسنتم وأصبتم وستجدون
ذلك عندى فأنزلهم وأكرمهم ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقى بنيامين وحده فبكى وقال
لو كان أخى يوسف حيا لأجلسنى معه فقال يوسف بقى أخوكم وحيدا فأجلسه معه على مائدته وجعل يواكله
وقال أنتم عشرة فلينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثانى له فيكون معى فبات يوسف يضمه اليه ويشم رائحته
حتى أصبح وسأله عن ولده فقال لى عشرة بنين اشتققت أسماءهم من اسم أخ لى هلك فقال له أتحب أن أكون
أخاك بدل أخيك الهالك قال من يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه
وعانقه وقال له (انى أنا أخوك) يوسف (فلا تبتئس) فلا تحزن (بما كانوا يعملون) بنا فيما مضى فان الله
قد أحسن الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما أعلمتك وعن ابن عباس تعرف اليه وعن وهب انما قال له
أنا أخوك بدل أخيك المفقود فلا تبتئس بما كنت تلقى منهم من الحسد والاذى فقد أمنتهم وروى انه قال
له فأنا لا أفارقك قال قد علمت اغتمام والدى بى فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا أن أنسبك الى
ما لا يجمل قال لا أبالى فافعل ما بدا لك قال فانى أدس صاعى فى رحلك ثم أنادى عليك بأنك قد سرقته ليتهيأ لى
ردك بعد تسريحك معهم قال افعل (السقاية) مشربة يسقى بها وهى الصواع قيل كان يسقى بها الملك ثم
جعلت صاعا يكال به وقيل كانت الدواب تسقى بها ويكال بها وقيل كانت اناء مستطيلا يشبه المكوك
وقيل هى المكوك الفارسى الذى يلتقى طرفاه تشرب به الاعاجم وقيل كانت من فضة مموهة بالذهب
وقيل كانت من ذهب وقيل كانت مرصعة بالجواهر (ثم أذن مؤذن) ثم نادى مناد يقال آذنه أعلمه وأذن
أكثر الاعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه روى أنهم ارتحلوا وأمهلهم يوسف حتى انطلقوا ثم أمر بهم
فأدركوا وحبسوا ثم قيل لهم ذلك * والعير الابل التى عليها الاحمال لانها تعير أى تذهب وتجىء وقيل هى
قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كأنها جمع عير وأصلها فعل كسقف وسقف فعل به ما فعل ببيض
وعيد والمراد أصحاب العير كقوله يا خيل الله اركبى * وقرأ ابن مسعود وجعل السقاية على حذف جواب لما
كأنه قيل فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية فى رحل أخيه أمهلهم حتى انطلقوا ثم أذن مؤذن * وقرأ
أبو عبد الرحمن السلمى تفقدون من أفقدته اذا وجدته فقيدا * وقرئ صواع وصاع وصوع وصوع بفتح الصاد
وضمها والعين معجمة وغير معجمة (وأنا به زعيم) يقوله المؤذن يريد وأنا بحمل البعير كفيل أؤديه الى من جاء به
وأراد وسق بعير من طعام جعلا لمن حصله (تالله) قسم فيه معنى التعجب مما أضيف اليهم وانما قالوا لقد علمتم
فاستشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وأمانتهم فى كرتى مجيئهم ومداخلتهم للملك ولانهم دخلوا
وأفواه رواحلهم مكمومة لئلا تتناول زرعا أو طعاما لاحد من أهل السوق ولانهم ردوا بضاعتهم التى
وجدوها فى رحالهم (وما كنا سارقين) وما كنا قط نوصف بالسرقة وهى منافية لحالنا (فما جزاؤه) الضمير
للصواع أى فما جزاء سرقته (ان كنتم كاذبين) فى جحودكم وادعائكم البراءة منه (قالوا جزاؤه من وجد فى رحله)
أى جزاء سرقته أخذ من وجد فى رحله وكان حكم السارق فى آل يعقوب أن يسترق سنة فلذلك استفتوا فى
جزائه وقولهم (فهو جزاؤه) تقرير للحكم أى فأخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير كقولك حق زيد أن يكسى
ويطعم وينعم عليه فذلك حقه أى فهو حقه لتقرر ما ذكرته من استحقاقه وتلزمه ويجوز أن يكون جزاؤه
مبتدأ والجملة الشرطية كما هى خبره على اقامة الظاهر فيها مقام المضمر والاصل جزاؤه من وجد فى رحله
فهو هو فوضع الجزاء موضع هو كما تقول لصاحبك من أخو زيد فيقول لك أخوه من يقعد الى جنبه فهو هو

ان الحكم الا لله عليه
توكلت وعليه فليتوكل
المتوكلون ولما دخلوا
من حيث أمرهم أبوهم
ما كان يغنى عنهم من
الله من شئ الا حاجة
فى نفس يعقوب قضاها
وانه لذو علم لما علمناه
ولكن أكثر الناس
لا يعلمون ولما دخلوا
على يوسف آوى اليه
أخاه قال انى أنا أخوك
فلا تبتئس بما كانوا
يعملون فلما جهزهم
بجهازهم جعل السقاية
فى رحل أخيه ثم أذن
مؤذن أيتها العير انكم
لسارقون قالوا وأقبلوا
عليهم ماذا تفقدون قالوا
نفقد صواع الملك ولمن
جاء به حمل بعير وأنا به
زعيم قالوا تالله لقد علمتم
ما جئنا لنفسد فى
الارض وما كنا سارقين
قالوا فما جزاؤه ان
كنتم كاذبين قالوا
جزاؤه من وجد فى
رحله فهو جزاؤه
كذلك نجزى الظالمين

يرجع الضمير الأول الى من والثانى الى الاخ ثم تقول فهو وأخوه مقيم المظهر مقام المضمر ويحتمل أن يكون جزاؤه خبر مبتدا محذوف أى المسؤل عنه جزاؤه ثم أفتوا بقولهم من وجد فى رحله فهو جزاؤه كما يقول من يستفتى فى جزاء صيد المحرم جزاء صيد المحرم ثم يقول ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم (فبدأ بأوعيتهم) قيل قال لهم من وكل بهم لا بد من تفتيش أوعيتكم فانصرف بهم الى يوسف فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفى التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما أظن هذا أخذ شيأ فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر فى رحله فانه أطيب لنفسك وأنفسنا فاستخرجوه منه * وقرأ الحسن وعاء أخيه بضم الواو وهى لغة وقرأ سعيد بن جبير إعاء أخيه بقلب الواو همزة (فان قلت) لم ذكر ضمير الصواع مرات ثم أنثه (قلت) قالوا رجع بالتأنيث على السقاية أو أنث الصواع لانه يذكر ويؤنث ولعل يوسف كان يسميه سقاية وعبيده صواعا فقد وقع فيما يتصل به من الكلام سقاية وفيما يتصل بهم منه صواعا (كذلك كدنا) مثل ذلك الكيد العظيم كدنا (ليوسف) يعنى علمناه اياه وأوحينا به اليه (ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك) تفسير للكيد وبيان له لانه كان فى دين ملك مصر وما كان يحكم به فى السارق أن يغرم مثلى ما أخذ لا أن يلزم ويستعبد (الا أن يشاء الله) أى ما كان يأخذه الا بمشيئة الله واذنه فيه (نرفع درجات من نشاء) فى العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه وقرئ يرفع بالياء ودرجات بالتنوين (وفوق كل ذى علم عليم) فوقه أرفع درجة منه فى علمه أو وفوق العلماء كلهم عليم هم دونه فى العلم وهو الله عز وعلا (فان قلت) ما أذن الله فيه يجب أن يكون حسنا فأى وجه حسن هذا الكيد وما هو الا بهتان وتسريق لمن لم يسرق وتكذيب لمن لم يكذب وهو قوله انكم لسارقون فما جزاؤه ان كنتم كاذبين (قلت) هو فى صورة البهتان وليس ببهتان فى الحقيقة لان قوله انكم لسارقون تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف وقيل كان ذلك القول من المؤذن لا من يوسف وقوله ان كنتم كاذبين فرض لانتفاء براءتهم وفرض التكذيب لا يكون تكذيبا على أنه لو صرح لهم بالتكذيب كما صرح لهم بالتسريق لكان له وجه لانهم كانوا كاذبين فى قولهم وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب هذا وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التى يتوصل بها الى مصالح ومنافع دينية كقوله تعالى لأيوب عليه السلام وخذ بيدك ضغثا ليتخلص من جلدها ولا يحنث وكقول ابراهيم عليه السلام هى أختى لتسلم من يد الكافر وما الشرائع كلها الا مصالح وطرق الى التخلص من الوقوع فى المفاسد وقد علم الله تعالى فى هذه الحيلة التى لقنها يوسف مصالح عظيمة فجعلها سلما وذريعة اليها فكانت حسنة جميلة وانزاحت عنها وجوه القبح لما ذكرنا (أخ له) أرادوا يوسف روى أنهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم حياء وأقبلوا عليه وقالوا له ما الذى صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بنى راحيل ما يزال لنا منكم بلاء متى أخذت هذا الصاع فقال بنو راحيل الذين لا يزال منكم عليهم البلاء ذهبتم بأخى فأهلكتموه ووضع هذا الصواع فى رحلى الذى وضع البضاعة فى رحالكم * واختلف فيما أضافوا الى يوسف من السرقة فقيل كان أخذ فى صباه صنما لجده أبى أمه فكسره وألقاه بين الجيف فى الطريق وقيل دخل كنيسة فأخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه وقيل كانت فى المنزل عناق أو دجاجة فأعطاها السائل وقيل كانت لابراهيم عليه السلام منطقة يتوارثها أكابر ولده فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته وكانت أكبر أولاده فحضنت يوسف وهى عمته بعد وفاة أمه وكانت لا تصبر عنه فلما شب أراد يعقوب أن ينتزعه منها فعمدت الى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من أخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لى سلم أفعل به ما شئت فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت (فأسرها) اضمار على شريطة التفسير تفسيره (أنتم شر مكانا) وانما أنث لان قوله أنتم شر مكانا جملة أو كلمة على تسميتهم الطائفة من الكلام كلمة كأنه قيل فأسر الجملة أو الكلمة التى هى قوله أنتم شر مكانا والمعنى قال فى نفسه أنتم شر مكانا لان قوله قال أنتم شر مكانا بدل من أسرها وفى قراءة ابن مسعود فأسره على التذكير يريد القول أو الكلام ومعنى أنتم شر مكانا أنتم شر منزلة فى السرق لانكم سارقون بالصحة لسرقتكم أخاكم من أبيكم (والله أعلم بما تصفون) يعلم أنه لم يصح لى ولا لأخى سرقة

فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء
أخيه ثم استخرجها
من وعاء أخيه كذلك
كدنا ليوسف ما كان
ليأخذ أخاه فى دين
الملك الا أن يشاء الله
نرفع درجات من نشاء
وفوق كل ذى علم عليم
قالوا ان يسرق فقد
سرق أخ له من قبل
فأسرها يوسف فى نفسه
ولم يبدها لهم قال أنتم
شر مكانا والله أعلم بما
تصفون قالوا يا أيها
العزيز ان له أبا شيخا
كبيرا

* قوله تعالى وماشهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين (قال معناه وماشهدنا عليه بالسرقة الا بما علمناه من سرقته الخ) قال أحمد اما أن يكون مقتضى شرعهم حينئذ ان مجرد وجود الشئ بيد المدعى عليه بعد انكاره يوجب له أحكام السارق فيكون العلم على ظاهره اذا واما أن لا يكون كذلك فهذا القدر من مجرد وجوده فى رحله لا يوجب علم كونه سارقا وغايته ان يفيد ظنا بينا فيكون المراد بالعلم ههنا الظن وقد ورد مثله ويكون قولهم وماكنا للغيب حافظين تنبيها على أن مستندهم فيما قالوه ظن بمقتضى ظاهر الحال وأما كشف باطن الامر الموجب للعلم فليسوا يدعونه عليه * عاد كلامه (قال وقولهم وماكنا للغيب حافظين معناه وما علمنا انه سيسرق حين أعطيناك الموثق الخ) قال أحمد وانما تنتظم القراءتان على التأويل الذى ذكرته وهو أنهم انما اضافوا اليه السرقة ظنا بمقتضى ظاهر الحال واحترزوا ان يعتقد انهم علموا ذلك حقيقة فقالوا وماكنا للغيب حافظين فالقراءتان على التأويل المذكور يقتضيان تبرئتهم من دعوى العلم الجازم عليه وأما على غيره من التأويلات المذكورة فلا تنتظم القراءتان لان مقتضى الاولى الجزم عليه بالسرقة علما ومقتضى الثانية التبرى من الجزم والله أعلم

وليس الامر كما تصفون * استعطفوه باذكارهم اياه حق أبيهم يعقوب وأنه شيخ كبير السن أو كبير القدر وأن بنيامين أحب اليه منهم وكانوا قد أخبروه بأن ولدا له قد هلك وهو عليه ثكلان وانه مستأنس بأخيه (فخذ أحدنا مكانه) فخذه بدله على وجه الاسترهان أو الاستعباد (انا نراك من المحسنين) الينا فأتمم احسانك أو من عادتك الاحسان فاجر على عادتك ولا تغيرها (معاذ الله) هو كلام موجه ظاهره انه وجب على قضية فتواكم أخذ من وجد الصواع فى رحله واستعباده فلو أخذنا غيره كان ذلك ظلما فى مذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم أنه ظلم وباطنه أن الله أمرنى وأوحى الى بأخذ بنيامين واحتباسه لمصلحة أو لمصالح جمة علمها فى ذلك فلو أخذت غير من أمرنى بأخذه كنت ظالما وعاملا على خلاف الوحى ومعنى معاذ الله (أن نأخذ) نعوذ بالله معاذا من أن نأخذ فأضيف المصدر الى المفعول به وحذف من و (اذا) جواب لهم وجزاء لان المعنى ان أخذنا بدله ظلمنا (استيأسوا) يئسوا وزيادة السين والتاء فى المبالغة نحو ما مر فى استعصم * والنجى على معنيين يكون بمعنى المناجى كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا وبمعنى المصدر الذى هو التناجى كما قيل النجوى بمعناه ومنه قيل قوم نجى كما قيل واذ هم نجوى تنزيلا للمصدر منزلة الاوصاف ويجوز أن يقال هم نجى كما قيل هم صديق لانه بزنة المصادر وجمع أنجية قال * انى اذا ما القوم كانوا أنجيه * ومعنى (خلصوا) اعتزلوا وانفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم (نجيا) ذوى نجوى أو فوجا نجيا أى مناجيا لمناجاة بعضهم بعضا وأحسن منه أنهم تمحضوا تناجيا لاستجماعهم لذلك وافاضتهم فيه بجد واهتمام كأنهم فى أنفسهم صورة التناجى وحقيقته وكان تناجيهم فى تدبير أمرهم على أى صفة يذهبون وماذا يقولون لابيهم فى شأن أخيهم كقوم تعايوا بما دهمهم من الخطب فاحتاجوا الى التشاور (كبيرهم) فى السن وهو روبيل وقيل رئيسهم وهو شمعون وقيل كبيرهم فى العقل والرأى وهو يهوذا (ما فرطتم فى يوسف) فيه وجوه أن تكون ما صلة أى ومن قبل هذا قصرتم فى شأن يوسف ولم تحفظوا عهد أبيكم وأن تكون مصدرية على أن محل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه ووقع من قبل تفريطكم فى يوسف أو النصب عطفا على مفعول ألم تعلموا وهو أن أباكم كأنه قيل ألم تعلموا أخذ أبيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل فى يوسف وان تكون موصولة بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه أى قدمتموه فى حق يوسف من الجناية العظيمة ومحله الرفع أو النصب على الوجهين (فلن أبرح الارض) فلن أفارق أرض مصر (حتى يأذن لى أبى) فى الانصراف اليه (أو يحكم الله لى) بالخروج منها أو بالانتصاف ممن أخذ أخى أو بخلاصه من يده بسبب من الاسباب (وهو خير الحاكمين) لانه لا يحكم أبدا الا بالعدل والحق * وقرئ سرق أى نسب الى السرقة (وماشهدنا) عليه بالسرقة (الا بما علمنا) من سرقته وتيقناه لان الصواع استخرج من وعائه ولا شئ أبين من هذا (وما كنا للغيب حافظين) وما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الموثق أو ما علمنا انك تصاب به كما أصبت بيوسف ومن قرأ سرق فمعناه وماشهدنا الا بقدر ما علمنا من التسريق وما كنا للغيب للامر الخفى حافظين أسرق بالصحة أم دس الصاع فى رحله ولم يشعر (القرية التى كنا فيها) هى مصر أى أرسل الى أهلها فاسألهم عن كنه القصة (والعير التى أقبلنا فيها) وأصحاب العير وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب وقيل من أهل صنعاء * معناه فرجعوا الى أبيهم فقالوا له ما قال لهم أخوهم فقال (بل سولت لكم أنفسكم أمرا)

نخذ أحدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم فى يوسف فلن أبرح الارض حتى يأذن لى أبى أو يحكم الله لى وهو خير الحاكمين ارجعوا الى أبيكم فقولوا يا أبانا ان ابنك سرق وماشهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين واسئل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها وانا لصادقون قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن يأتينى

* قوله تعالى بل سوّلت لكم أنفسكم أمرا (قال معناه ان هذا شئ أردتموه الخ) قال أحمد وهذا من الزمخشري اسلاف جواب عن سؤال كان قائلا يقول هم في الوقعة الاولى سوّلت لهم أنفسهم أمرا بلا مراء وأما في هذه الوقعة الثانية فلم يتعمدوا في حق بنيامين سوأ ولا أخبروا أباهم الا بالواقع على جليته وما تركوه بمصر الا مغلوبين عن استصحابه فما وجه قوله ثانيا بل سوّلت لكم أنفسكم أمرا كما قال لهم أوّلا واذا اورد السؤال على هذا التقرير (٦٤٢) فلابد من زيد بسط في الجواب فنقول كانوا عند يعقوب عليه السلام حينئذ متهمين وهم قمين بأن اتهموا لما أسلفوه في حق يوسف عليه السلام وقامت عنده قرينة تؤكد التهمة وتقويها وهي أخذ الملك له في السرقة ولم يكن ذلك الا من دين يعقوب وحده لا من دين غيره من الناس ولا من عادتهم والى ذلك وقعت الاشارة بقوله تعالى ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك تنبيها من الله تعالى على وجه اتهام يعقوب لهم فعلم ان الملك انما فعل ذلك بفتواهم له به وظن أنهم أفتوه بذلك بعد ظهور السرقة تعمدا ليتخلف أخوهم وكان الواقع انهم استفتوا من قبل أن يدعى عليهم السرقة فذكروا ما عندهم ولم يشعروا ان المقصود الزامهم بما قالوا وتم ام من هو بحيث تتطرق التهمة اليه لا حرج فيه وخصوصا فيما يرجع ... ضا الى الولد من الوالد ويحتمل والله أعلم أن يكون الوجه الذي سوّغ له هذا القول في حقهم أنهم جعلوا مجرد وجود الصواع في رحل من يوجد في رحله سرقة من غير أن يحيلوا الحكم على ثبوت كونه سارقا بوجه معلوم وهذا في شرعنا لا يثبت السرقة على من ادعيت عليه فان كان شرعهم مثل شرعنا في ذلك ففتواهم اذا غير محررة وهو اشعار بانهم كانوا حراصا على ثبوت السرقة عليه ويؤكد ذلك قولهم ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل يؤكدون بذلك ثبوت السرقة عليه والله أعلم رقوله لهم بل سوّلت لكم أنفسكم أمرا واقع بمكانه من حالهم وان كان شرعهم يقتضى ذلك مخالفا لشرعنا فالعمدة على الجواب الاول والله المستعان

بهم جميعا انه هو العليم الحكيم وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون

أردتموه والا فما أدرى ذلك الرجل أن السارق يؤخذ بسرقته لولا فتواكم وتعليمكم (بهم جميعا) بيوسف وأخيه وروبيل أو غيره (انه هو العليم) بحالي في الحزن والاسف (الحكيم) الذى لم يبتلني بذلك الا لحكمة ومصلحة (وتولى عنهم) وأعرض عنهم كراهة لما جاؤا به (يا أسفى) أضاف الاسف وهو أشد الحزن والحسرة الى نفسه والالف بدل من ياء الاضافة والتجانس بين لفظتي الاسف ويوسف مما يقع مطبوعا غير متعمل فيملح ويبدع ونحوه اثاقلتم الى الارض أرضيتم وهم ينهون عنه وينأون عنه يحسبون انهم يحسنون من سبا بنبا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لم تعط أمة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا أمة محمد صلى الله عليه وسلم ألا ترى الى يعقوب حين أصابه ما أصابه لم يسترجع وانما قال يا أسفى (فان قلت) كيف تأسف على يوسف دون أخيه ودون الثالث والرزء الاحدث أشد على النفس وأظهر أثرا (قلت) هو دليل على تمادى أسفه على يوسف وانه لم يقع فائت عنده موقعه وان الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا ولم تنسنى أوفى المصيبات بعده ولان الرزء في يوسف كان قاعدة مصيباته التى ترتبت عليها الرزايا في ولده فكان الاسف عليه أسفا على من لحق به (وابيضت عيناه) اذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته الى بياض كدر وقيل قد عمى بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا * قرئ من الحزن ومن الحزن الحزن كان سبب البكاء الذى حدث منه البياض فكأنه حدث من الحزن قيل ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض أكرم على الله من يعقوب وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل عليه السلام ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال أجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله ساعة قط (فان قلت) كيف جاز لنبي الله أن يبلغ به الجزع ذلك المبلغ (قلت) الانسان مجبول على ان لا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن ولذلك حمد صبره وأن يضبط نفسه حتى لا يخرج الى ما لا يحسن ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون وانما الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله تبكى وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم عن صوتين أحمقين صوت عند الفرح وصوت عند الترح وعن الحسن أنه بكى على ولد أو غيره فقيل له في ذلك فقال ما رأيت الله جعل الحزن عارا على يعقوب (فهو كظيم) فهو مملوء من الغيظ على أولاده ولا يظهر ما يسوءهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه والكظم بفتح الظاء مخرج النفس يقال أخذ بأكظامه (تفتؤ) أراد لا تفتؤ فحذف حرف النفي لانه لا يلتبس بالاثبات لانه لو كان اثباتا لم يكن بد من اللام والنون ونحوه * فقلت يمين الله أبرح قاعدا * ومعنى لا تفتؤ لا تزال وعن مجاهد لا تفتر من حبه كأنه جعل الفتوء والفتور أخوين يقال ما فتئ يفعل قال أوس

فما فتئت خيل تثوب وتدعى * ويلحق منها لاحق وتقطع

* قوله تعالى قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون (قال أتاهم من جهة الدين وكان حليما موفقا فكلمهم مستفهما عن معرفة وجه القبح الخ) قال أحمد ومن تلطفه بهم قوله اذ أنتم جاهلون كالاعتذار عنهم لان فعل القبيح على جهل بمقدار قبحه أسهل من فعله على علم وهم لو ضربوا في طرق الاعتذار لم يلقوا عذرا كهذا ألا ترى ان موسى عليه السلام لما اعتذر عن نفسه لم يزد على أن قال فعلتها اذا وأنا من الضالين وروى أنهم لما قالوا مسنا وأهلنا الضر وتضرعوا اليه ارفضت عيناه (٦٤٣) ثم قال هذا القول وقيل أدوا اليه كتابا من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر أما بعد فانا أهل بيت

موكل بنا البلاء أما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي الى النار ليحرق فجعلها الله عليه بردا وسلاما وأما أبي فوضعت المدية في قفاه ليذبح ففداه الله وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان أخاه من أمه وكنت أتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا فقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تبلغ السابع من ولدك والسلام فلما قرأ الكتاب بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا

حرضا أو تكون من الهالكين قال انما أشكو بثي وحزني الى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون يابني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فلما دخلوا عليه قالوا ياأيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون قالوا أئنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا انه

(حرضا) مشفيا على الهلاك مرضا وأحرضه المرض ويستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه مصدر والصفة حرض بكسر الراء ونحوهما دنف ودنف وجاءت القراءة بهما جميعا وقرأ الحسن حرضا بضمتين ونحوه في الصفات رجل جنب وغرب * البث أصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس أي ينشره ومنه باثه أمره وأبثه اياه ومعنى (انما أشكو) اني لا أشكو الى أحد منكم ومن غيركم انما أشكو الى ربي داعيا له وملتجئا اليه فخلوني وشكايتي وهذا معنى توليه عنهم أي فتولى عنهم الى الله والشكاية اليه وقيل دخل على يعقوب جار له فقال يا يعقوب قد تهشمت وفنيت وما بلغت من السن ما بلغ أبوك فقال هشمني وأفناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف فأوحى الله اليه يا يعقوب أتشكوني الى خلقي قال يارب خطيئة أخطأتها فاغفر لي فغفر له فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما أشكو بثي وحزني الى الله وروى انه أوحى الى يعقوب انما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه وان أحب خلقي الي الانبياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت (وأعلم من الله ما لا تعلمون) أي أعلم من صنعه ورحمته وحسن ظني به انه يأتيني بالفرج من حيث لا أحتسب وروى انه رأى ملك الموت في منامه فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حي فاطلبه * وقرأ الحسن وحزني بفتحتين وحزني بضمتين قتادة (فتحسسوا من يوسف وأخيه) فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما وقرئ بالجيم كما قرئ بهما في الحجرات وهما تفعل من الاحساس وهو المعرفة فلما أحس عيسى منهم الكفر ومن الجس وهو الطلب ومنه قالوا المشاعر لانسان الحواس والجواس (من روح الله) من فرجه وتنفيسه وقرأ الحسن وقتادة من روح الله بالضم أي من رحمته التي يحيا بها العباد (الضر) الهزال من الشدة والجوع (مزجاة) مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من أزجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب قيل كانت من متاع الاعراب صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة (فأوف لنا الكيل) الذي هو حقنا (وتصدق علينا) وتفضل علينا بالمسامحة والاغماض عن رداءة البضاعة أو زدنا على حقنا فسموا ما هو فضل وزيادة لا تلزمه صدقة لان الصدقات محظورة على الانبياء وقيل كانت تحل لغير نبينا وسئل ابن عيينة عن ذلك فقال ألم تسمع وتصدق علينا أراد انها كانت حلالا لهم والظاهر انهم تمسكنوا له وطلبوا اليه أن يتصدق عليهم ومن ثم رق لهم وملكته الرحمة عليهم فلم يتمالك أن عرفهم نفسه وقوله (ان الله يجزي المتصدقين) شاهد لذلك لذكر الله وجزائه والصدقة العطية التي تبتغى بها المثوبة من الله ومنه قول الحسن لمن سمعه يقول اللهم تصدق علي ان الله تعالى لا يتصدق انما يتصدق الذي يبتغي الثواب قل اللهم أعطني أو تفضل علي أو ارحمني (قال هل علمتم) أتاهم من جهة الدين وكان حليما موفقا فكلمهم مستفهما عن معرفة وجه القبح الذي يجب أن يراعيه التائب فقال هل علمتم قبح (ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون) لا تعلمون قبحه فلذلك أقدمتم عليه يعني هل علمتم قبحه فتبتم الى الله منه لان علم القبح يدعو الى الاستقباح والاستقباح يجر الى التوبة فكان كلامه شفقة عليهم وتنصحا لهم في الدين لا معاتبة وتثريبا ايثارا لحق الله على حق نفسه في ذلك المقام الذي يتنفس فيه المكروب وينفث المصدور ويتشفى المغيظ المحنق ويدرك ثاره الموتور فلله أخلاق الانبياء

ما أوطأها وأسمجها ولله حصاة قولهم ما أرزنها وأرجحها وقيل لم يرد نفي العلم عنهم لأنهم كانوا علماء ولكنهم
لما لم يفعلوا ما يقتضيه العلم ولا يقدم عليه الا جاهل سماهم جاهلين وقيل معناه اذ أنتم صبيان في حد السفه
والطيش قبل أن تبلغوا أوان الحلم والرزانة وروى أنهم لما قالوا مسنا وأهلنا الضر وتضرعوا اليه ارفضت
عيناه ثم قال هذا القول وقيل أدوا اليه كتاب يعقوب من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن
ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر أما بعد فانا أهل بيت موكل بنا البلاء أما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمى به
في النار ليحرق فنجاه الله وجعلت النار عليه بردا وسلاما وأما أبي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله وأما
أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد
أكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان أخاه من أمه وكنت أتسلى به فذهبوا به ثم
رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت
عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ذلك
وروى أنه لما قرأ الكتاب بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا (فان قلت) ما فعلهم بأخيه (قلت)
تعريضهم اياه للغم والثكل بافراده عن أخيه لأبيه وأمه وجفاؤهم به حتى كان لا يستطيع أن يكلم أحدا
منهم الا كلام الذليل للعزيز وايذاؤهم له بأنواع الأذى * قرئ أئنك على الاستفهام وانك على الايجاب وفي
قراءة أبي أئنك أو أنت يوسف على معنى أئنك يوسف أو أنت يوسف فحذف الأول لدلالة الثاني عليه وهذا
كلام متعجب مستغرب لما يسمع فهو يكرر الاستثبات (فان قلت) كيف عرفوه (قلت) رأوا في روائه
وشمائله حين كلمهم بذلك ما شعروا به أنه هو مع علمهم بأن ما خاطبهم به لا يصدر مثله الا عن حنيف مسلم من سنخ
ابراهيم لا عن بعض أعزاء مصر وقيل تبسم عند ذلك فعرفوه بثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم وقيل ما عرفوه حتى
رفع التاج عن رأسه فنظروا الى علامة بقرنه كان ليعقوب وسارة مثلها تشبه الشامة البيضاء (فان قلت)
قد سألوه عن نفسه فلم أجابهم عنها وعن أخيه على أن أخاه كان معلوما لهم (قلت) لانه كان في ذكر أخيه بيان
لما سألوه عنه (من يتق) من يخف الله وعقابه (ويصبر) عن المعاصي وعلى الطاعات (فان الله لا يضيع
أجرهم) فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين (لقد آثرك الله علينا) أي فضلك علينا
بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين * وان شأننا وحالنا أنا كنا خاطئين متعمدين للاثم لم نتق ولم نصبر لا جرم
أن الله أعزك بالملك وأذلنا بالتمسكن بين يديك (لا تثريب عليكم) لا تأنيب عليكم ولا عتب وأصل التثريب من
الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش ومعناه ازالة الثرب كما أن التجليد والتقريع ازالة الجلد والقرع
لأنه اذا ذهب كان ذلك غاية الهزال والعجف الذي ليس بعده فضرب مثلا للتقريع الذي يمزق الأعراض
ويذهب بماء الوجوه (فان قلت) بم تعلق اليوم (قلت) بالتثريب أو بالمقدر في عليكم من معنى الاستقرار
أو بيغفر والمعنى لا أثربكم اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الأيام ثم ابتدأ فقال
(يغفر الله لكم) فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم يقال غفر الله لك ويغفر الله لك على لفظ الماضي والمضارع جميعا
ومنه قول المشمت يهديكم الله ويصلح بالكم أو اليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجل غفران الله لما تجدد يومئذ من
توبتهم وندمهم على خطيئتهم وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بعضادتي باب الكعبة يوم الفتح
فقال لقريش ما ترونني فاعلا بكم قالوا نظن خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال أقول ما قال أخي
يوسف لا تثريب عليكم اليوم وروى أن أبا سفيان لما جاء ليسلم قال له العباس اذا أتيت الرسول فاتل عليه
قال لا تثريب عليكم ففعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك ولمن علمك ويروى أن اخوته لما
عرفوه أرسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشية ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال يوسف ان
أهل مصر وان ملكت فيهم فانهم ينظرون الي بالعين الأولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين
درهما ما بلغ ولقد شرفت الآن بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس أنكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم
(اذهبوا بقميصي هذا) قيل هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف وكان من الجنة أمره جبريل عليه

السلام

من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي

(قال فان قلت بم تعلق اليوم في قوله لا تثريب عليكم اليوم الخ) قال أحمد وهذا المعنى انما يتوجه على الاعراب الأول وهو الأوجه ألا ترى الى قولهم بعد ذلك يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين وقوله سوف أستغفر لكم ربي دل على انهم كانوا بعد في عهدة الذنب ولو كان متعلقا بيغفر لزم ان يقطعوا بغفران ذنبهم حينئذ باخبار النبي الصديق ويحتمل ان يقال انما أراد مغفرة ما يرجع الى حقه دون حق أبيه اذ الاثم كان مشتركا بينهما والله أعلم

السلام أن يرسله اليه فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفى (يأت بصيرا) يصر بصيرا كقولك جاء البناء محكما بمعنى صار ويشهد له فارتد بصيرا أو يأت الى وهو بصير وينصره قوله (وأتونى بأهلكم أجمعين) أى يأتنى أبى ويأتنى آله جميعا وقيل يهوذا هو الحامل قال أنا أحزنته بحمل القميص ملطوخا بالدم اليه فافرحه كما أحزنته وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا (فصلت العير) خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه وقرأ ابن عباس فلما انفصل العير (قال) لولد ولده ومن حوله من قومه (انى لاجد ريح يوسف) أوجده الله ريح القميص حين أقبل من مسيرة ثمان * والتفنيد النسبة الى الفند وهو الخرف وانكار العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لانها لم تكن فى شبيبتها ذات رأى فتفند فى كبرها والمعنى لولا تفنيدكم اياى لصدقتمونى (انك لفى ضلالك القديم) لفى ذهابك عن الصواب قدما فى افراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجائك للقائه وكان عندهم أنه قد مات (ألقاه) طرح البشير القميص على وجه يعقوب أو ألقاه يعقوب (فارتد بصيرا) فرجع بصيرا يقال رده فارتد وارتده اذا ارتجعه (ألم أقل لكم) يعنى قوله انى لاجد ريح يوسف أو قوله ولا تيأسوا من روح الله وقوله (انى أعلم) كلام مبتدأ لم يقع عليه القول ولك أن توقعه عليه وتريد قوله انما أشكو بثى وحزنى الى الله وأعلم من الله مالا تعلمون وروى أنه سأل البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر فقال ما أصنع بالملك على أى دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة (سوف أستغفر لكم ربى) قيل أخر الاستغفار الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة ليتعمد به وقت الاجابة وقيل ليتعرف حالهم فى صدق التوبة واخلاصها وقيل أراد الدوام على الاستغفار لهم فقد روى أنه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة فى نيف وعشرين سنة وقيل قام الى الصلاة فى وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفر لى جزعى على يوسف وقلة صبرى عنه واغفر لولدى ما أتوا الى أخيهم فأوحى اليه ان الله قد غفر لك ولهم أجمعين وروى أنهم قالوا له وقد غلبتهم الكآبة ما يغنى عنا عفو كما ان لم يعف عنا ربنا فان لم يوح اليك بالعفو فلا قرت لنا عين أبدا فاستقبل الشيخ القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما أذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا انها الهلكة نزل جبريل عليه السلام فقال ان الله قد أجاب دعوتك فى ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وقد اختلف فى استنبائهم (فلما دخلوا على يوسف) قيل وجه يوسف الى أبيه جهازا ومائتى راحلة ليتجهز اليه بمن معه وخرج يوسف والملك فى أربعة آلاف من الجند والعظماء وأهل مصر بأجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشى يتوكأ على يهوذا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا ولدك فلما لقيه قال يعقوب عليه السلام السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل ان يوسف قال له لما التقيا يا أبت بكيت على حتى ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة تجمعنا فقال بلى ولكن خشيت أن تسلب دينك فيحال بينى وبينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية ألف ألف ومائتى ألف (آوى اليه أبويه) ضمهما اليه واعتنقهما قال ابن أبى اسحق كانت أمه تحيى وقيل هما أبوه وخالته ماتت أمه فتزوجها وجعلها أحد الابوين لان الرابة تدعى أما لقيامها مقام الام أو لان الخالة أم كما ان العم أب ومنه قوله واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق (فان قلت) ما معنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر (قلت) كأنه حين استقبلهم نزل لهم فى مضرب أو بيت ثم فدخلوا عليه وضم اليه أبويه * ثم قال لهم (ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين) ولما دخل مصر وجلس فى مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا اليه أكرم أبويه فرفعهما على السرير (وخروا له) يعنى الاخوة الاحد عشر والابوين (سجدا) ويجوز أن يكون قد خرج فى قبة من قباب الملوك التى تحمل على البغال فأمر أن يرفع اليه أبواه فدخلا عليه القبة فآواهما اليه بالضم والاعتناق وقربهما منه وقال بعد ذلك ادخلوا مصر (فان قلت) بم تعلقت المشيئة (قلت) بالدخول مكيفا بالامن لان القصد الى اتصافهم بالامن فى دخولهم فكأنه قيل لهم اسلموا وآمنوا فى دخولكم ان شاء الله

يأت بصيرا وأتونى بأهلكم أجمعين ولما فصلت العير قال أبوهم انى لاجد ريح يوسف لولا أن تفندون قالوا تالله انك لفى ضلالك القديم فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم أقل لكم انى أعلم من الله مالا تعلمون قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف أستغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا وقد أحسن بى اذ أخرجنى من السجن وجاء بكم

ونظيره قولك للغازي ارجع سالما غانما ان شاء الله فلا تعلق المشيئة بالرجوع مطلقا ولكن مقيدا بالسلامة والغنيمة مكيفا بهما والتقدير ادخلوا مصر آمنين ان شاء الله دخلتم آمنين ثم حذف الجزاء لدلالة الكلام عليه ثم اعترض بالجملة الجزائية بين الحال وذي الحال ومن بدع التفاسير أن قوله ان شاء الله من باب التقديم والتأخير وأن موضعها ما بعد قوله سوف استغفر لكم ربي في كلام يعقوب وما أدري ما أقول فيه وفي نظائره (فان قلت) كيف جاز لهم أن يسجدوا لغير الله (قلت) كانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها مما جرت عليه عادة الناس من أفعال شهرت في التعظيم والتوقير وقيل ما كانت الا انحناء دون تعفير الجباه وخرورهم سجدا يأباه وقيل معناه وخروا لاجل يوسف سجدا لله شكرا وهذا أيضا فيه نبوة * يقال أحسن اليه وبه وكذلك أساء اليه وبه قال * أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة * (من البدو) من البادية لانهم كانوا أهل عمد وأصحاب مواش يتنقلون في المياه والمناجع (نزغ) أفسد بيننا وأغرى وأصله من نخس الرائض الدابة وحملها على الجري يقال نزغه ونسغه اذا نخسه (لطيف لما يشاء) لطيف التدبير لاجله رفيق حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب وروى أن يوسف أخذ بيد يعقوب فطاف به في خزائنه فأدخله خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي وخزائن الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك فلما أدخله خزانة القراطيس قال يا بني ما أعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمان مراحل قال أمرني جبريل قال أو ما تسأله قال أنت أبسط اليه مني فسله قال جبريل عليه السلام الله تعالى أمرني بذلك لقولك وأخاف أن يأكله الذئب قال فهلا خفتني وروى أن يعقوب أقام معه أربعا وعشرين سنة ثم مات وأوصى أن يدفنه بالشأم الى جنب أبيه اسحق فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد الى مصر وعاش بعد أبيه ثلاثا وعشرين سنة فلما تم أمره وعلم أنه لا يدوم له طلبت نفسه الملك الدائم الخالد فتاقت نفسه اليه فتمنى الموت وقيل ما تمناه نبي قبله ولا بعده فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم أهل مصر وتشاحوا في دفنه كل يحب أن يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال فرأوا من الرأي أن عملوا له صندوقا من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعا واحدا وولد له افرائيم وميشا وولد لافرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى ولقد توارثت الفراعنة من العماليق بعده مصر ولم يزل بنو اسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه الى أن بعث الله موسى صلى الله عليه وسلم من في (من الملك) و(من تأويل الاحاديث) للتبعيض لانه لم يعط الا بعض ملك الدنيا أو بعض ملك مصر وبعض التأويل (أنت وليي) أنت الذي تتولاني بالنعمة في الدارين وتوصل الملك الفاني بالملك الباقي (توفني مسلما) طلب للوفاة على حال الاسلام ولان يختم له بالخير والحسنى كما قال يعقوب لولده ولا تموتن الا وأنتم مسلمون ويجوز أن يكون تمنيا للموت على ما قيل (وألحقني بالصالحين) من آبائي أو على العموم وعن عمر بن عبد العزيز أن ميمون بن مهران بات عنده فرآه كثير البكاء والمسئلة للموت فقال له صنع الله على يديك خيرا كثيرا أحييت سننا وأمت بدعا وفي حياتك خير وراحة للمسلمين فقال أفلا أكون كالعبد الصالح لما أقر الله عينه وجمع له أمره قال توفني مسلما وألحقني بالصالحين (فان قلت) علام انتصب فاطر السموات (قلت) على أنه وصف لقوله رب كقولك أخازيد حسن الوجه أو على النداء (ذلك) اشارة الى ما سبق من نبأ يوسف والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومحله الابتداء وقوله (من أنباء الغيب نوحيه اليك) خبران ويجوز أن يكون اسما موصولا بمعنى الذي ومن أنباء الغيب صلته ونوحيه الخبر والمعنى أن هذا النبأ غيب لم يحصل لك الا من جهة الوحي لانك لم تحضر بني يعقوب حين أجمعوا أمرهم وهو القاؤهم أخاهم في البئر كقوله وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب * وهذا تهكم بقريش وبمن كذبه لانه لم يخف على أحد من المكذبين أنه لم يكن من حملة هذا الحديث وأشباهه ولا لقي فيها أحدا ولا سمع منه ولم يكن من علم قومه فاذا أخبر به وقص هذا القصص العجيب الذي أعجز حملته ورواته لم تقع شبهة في أنه ليس منه وأنه من جهة الوحي فاذا أنكروه تهكم بهم وقيل لهم قد علمتم يا مكابرة أنه لم يكن مشاهدا لمن مضى من القرون الخالية ونحوه وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر (وهم

من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم

يكرون) بيوسف و يعفون له الغوائل (وما أكثر الناس) يريد العموم كقوله ولكن أكثر الناس لا يؤمنون وعن ابن عباس رضى الله عنه أراد أهل مكة أى وما هم بمؤمنين (ولو حرصت) وتهالكت على ايمانهم لتصميمهم على الكفر وعنادهم (وما تسألهم) على ما تحدثهم به وتذكرهم أن ينيلوك منفعة وجدوى كما يعطى حملة الاحاديث والاخبار (ان هو الا ذكر) عظة من الله (للعالمين) عامة وحث على طلب النجاة على لسان رسول من رسله (من آية) من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده (يمرون عليها) ويشاهدونها وهم معرضون عنها لا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على الابتداء ويمرون عليها خبره وقرأ السدى والارض بالنصب على و يطؤن الارض يمرون عليها وفى مصحف عبد الله والارض يمشون عليها برفع الارض والمراد ما يرون من آثار الامم الهالكة وغير ذلك من العبر (وما يؤمن أكثرهم) فى اقراره بالله وبانه خلقه وخلق السموات والارض الا وهو مشرك بعبادته الوثن وعن الحسن هم أهل الكتاب معهم شرك وايمان وعن ابن عباس رضى الله عنهما هم الذين يشبهون الله بخلقه (غاشية) نقمة تغشاهم وقيل ما يغمرهم من العذاب ويجللهم وقيل الصواعق (هذه سبيلى) هذه السبيل التى هى الدعوة الى الايمان والتوحيد سبيلى والسبيل والطريق يذكران ويؤنثان ثم فسر سبيله بقوله (أدعوا الى الله على بصيرة) أى أدعو الى دينه مع حجة واضحة غير عمياء (أنا) تأكيد للمستتر فى أدعو (ومن اتبعنى) عطف عليه يريد أدعو اليها أنا ويدعو اليها من اتبعنى ويجوز أن يكون أنا مبتدأ وعلى بصيرة خبرا مقدما ومن اتبعنى عطفا على أنا اخبارا مبتدأ بانه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى ويجوز أن يكون على بصيرة حالا من أدعو عاملة الرفع فى أنا ومن اتبعنى (وسبحان الله) وأنزهه من الشركاء (الا رجالا) لا ملائكة لانهم كانوا يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة وعن ابن عباس رضى الله عنهما يريد ليست فيهم امرأة وقيل فى سجاح المتنبئة * ولم تزل أنبياء الله ذكرانا * وقرئ نوحى اليهم بالنون (من أهل القرى) لانهم أعلم وأحلم وأهل البوادى فيهم الجهل والجفاء والقسوة (ولدار الآخرة) ولدار الساعة أو الحال الآخرة (خير للذين اتقوا) الذين خافوا الله فلم يشركوا به ولم يعصوه وقرئ أفلا تعقلون بالتاء والياء (حتى) متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كانه قيل وما أرسلنا من قبلك الا رجالا فتراخى نصرهم حتى اذا استيأسوا عن النصر (وظنوا أنهم قد كذبوا) أى كذبتهم أنفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون أو رجاؤهم لقولهم رجاء صادق ورجاء كاذب والمعنى أن مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله وتأميله قد تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا أن لا نصر لهم فى الدنيا فجاءهم نصرنا فجأة من غير احتساب وعن ابن عباس رضى الله عنهما وظنوا حين ضعفوا وغلبوا أنهم قد أخلفوا ما وعدهم الله من النصر وقال كانوا بشرا وتلا قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله فان صح هذا عن ابن عباس فقد أراد بالظن ما يخطر بالبال و يهجس فى القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية وأما الظن الذى هو ترجح أحد الجائزين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين فما بال رسل الله الذين هم أعرف الناس بربهم وأنه متعال عن خلف الميعاد منزه عن كل قبيح وقيل وظن المرسل اليهم أن الرسل قد كذبوا أى أخلفوا أو وظن المرسل اليهم أنهم كذبوا من جهة الرسل أى كذبتهم الرسل فى أنهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه وقرئ كذبوا بالتشديد على وظن الرسل أنهم قد كذبتهم قومهم فيما وعدوهم من العذاب والنصرة عليهم وقرأ مجاهد كذبوا بالتخفيف على البناء للفاعل على وظن الرسل أنهم قد كذبوا فيما حدثوا به قومهم من النصرة اما على تأويل ابن عباس واما على أن قومهم اذا لم يروا لموعدهم أثرا قالوا لهم انكم قد كذبتمونا فيكونون كاذبين عند قومهم أو وظن المرسل اليهم أن الرسل قد كذبوا ولو قرئ بهذا مشددا لكان معناه وظن الرسل أن قومهم كذبوهم فى موعدهم * قرئ فنجى بالتخفيف والتشديد من أنجاه ونجاه وفنجى

يكرون وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وما تسألهم عليه من أجر ان هو الا ذكر للعالمين وكأين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون قل هذه سبيلى أدعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم من أهل القرى أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى

* قوله تعالى حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا (قال معناه يئسوا من النصر وظنوا ان أنفسهم كذبتهم الخ) قال أحمد ولا يلزم ان يكون الله قد وعدهم بالنصر فى الدنيا بل كانوا يظنون ذلك و يرجونه لا عن اخبار و وحى * عاد كلامه (قال ونقل عن ابن عباس انه قال فظنوا حين ضعفوا وغلبوا الخ) قال أحمد وهذا أيضا تأويل حسن ينتظم بين القراءتين لان ظن الامم كذب رسلهم تكذيب لهم فيؤدى مؤدى قراءة التشديد

من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم (٦٤٨) المجرمين لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون

(سورة الرعد مختلف فيها وهي خمسة وأربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

المر تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة

على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرأ ابن محيصن فنجا * والمراد (من نشاء) المؤمنون لأنهم الذين يستأهلون أن يشاء نجاتهم وقد بين ذلك بقوله (ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين) * الضمير في (قصصهم) للرسل وينصره قراءة من قرأ في قصصهم بكسر القاف وقيل هو راجع الى يوسف وإخوته (فإن قلت) فالام يرجع الضمير في (ما كان حديثا يفترى) فيمن قرأ بالكسر (قلت) الى القرآن أي ما كان القرآن حديثا يفترى (ولكن) كان (تصديق الذي بين يديه) أي قبله من الكتب السماوية (وتفصيل كل شيء) يحتاج اليه في الدين لأنه القانون الذي يستند اليه السنة والاجماع والقياس بعد أدلة العقل وانتصاب ما نصب بعد لكن للعطف على خبر كان وقرئ ذلك بالرفع على ولكن هو تصديق الذي بين يديه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا أرقاءكم سورة يوسف فانه أيما مسلم تلاها وعلمها أهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت وأعطاه القوة أن لا يحسد مسلما

﴿سورة الرعد مختلف فيها وهي خمس وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(تلك) اشارة الى آيات السورة والمراد بالكتاب السورة أي تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها ثم قال (والذي أنزل إليك) من القرآن كله هو (الحق) الذي لا مزيد عليه لا هذه السورة وحدها وفي أسلوب هذا الكلام قول الانمارية هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها تريد الكملة (الله) مبتدأ و (الذي) خبره بدليل قوله وهو الذي مد الأرض ويجوز أن يكون صفة وقوله يدبر الأمر يفصل الآيات خبر بعد خبر وينصره ما تقدمه من ذكر الآيات (رفع السموات بغير عمد ترونها) كلام مستأنف استشهاد برؤيتهم لها كذلك وقيل هي صفة لعمد ويعضده قراءة أبي ترونه وقرئ عمد بضمتين (يدبر الأمر) يدبر أمر ملكوته وربوبيته (يفصل) آياته في كتبه المنزلة (لعلكم توقنون) بالجزاء وبأن هذا المدبر والمفصل لا بد لكم من الرجوع اليه وقرأ الحسن ندبر بالنون (جعل فيها زوجين اثنين) خلق فيها من جميع أنواع الثمرات زوجين زوجين حين مدها ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت وقيل أراد بالزوجين الأسود والأبيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما أشبه ذلك من الأصناف المختلفة (يغشي الليل النهار) يلبسه مكانه فيصير أسود مظلما بعدما كان أبيض منيرا وقرئ يغشي بالتشديد (قطع متجاورات) بقاع مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة وصالحة للزرع لا للشجر الى أخرى على عكسها مع انتظامها جميعا في جنس الأرضية وذلك دليل على قادر مريد موقع لافعاله على وجه دون وجه * وكذلك الزروع والكروم والنخيل النابتة في هذه القطع مختلفة الأجناس والأنواع وهي تسقى بماء واحد وتراها متغايرة الثمر في الأشكال والألوان والطعوم والروائح متفاضلة فيها وفي بعض المصاحف قطعا متجاورات على وجعل * وقرئ وجنات بالنصب للعطف على زوجين أو بالجر على كل الثمرات * وقرئ وزرع ونخيل بالجر عطفا على أعناب أو جنات * والصنوان جمع صنو وهي النخلة لها رأسان وأصلهما واحد وقرئ بالضم والكسر لغة أهل الحجاز والضم لغة بني تميم وقيس تسقى بالتاء والياء (ونفضل) بالنون وبالياء على البناء للفاعل والمفعول جميعا (في الأكل) بضم الكاف وسكونها (وإن تعجب) يا محمد من قولهم في انكار البعث فقولهم عجيب حقيق بأن يتعجب منه لأن من قدر على انشاء ما عدد عليك من الفطر العظيمة ولم يعي بخلقهن كانت الاعادة أهون شيء عليه وأيسره فكان انكارهم أعجوبة من الأعاجيب (أئذا كنا) الى آخر قولهم يجوز أن يكون في محل الرفع بدلا من قولهم وأن يكون منصوبا بالقول واذا نصب بما دل عليه قوله أئنا لفي خلق جديد (أولئك الذين كفروا بربهم) أولئك الكاملون المتمادون في كفرهم (وأولئك الأغلال في أعناقهم) وصف بالاصرار كقوله انا جعلنا في أعناقهم أغلالا ونحوه * لهم من الرشد أغلال وأقياد * أو هو من جملة الوعيد (بالسيئة قبل الحسنة) بالنقمة قبل العافية والاحسان اليهم بالامهال وذلك أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بالعذاب استهزاء

منهم

منهم بانذاره (وقد خلت من قبلهم المثلات) أى عقوبات أمثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزؤا والمثلة العقوبة بوزن السمرة والمثلة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة وجزاء سيئة سيئة مثلها ويقال أمثلت الرجل من صاحبه وأقصصته منه والمثال القصاص وقرئ المثلات بضمتين لاتباع الفاء العين والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء كما يقال السمرة والمثلات بضم الميم وسكون الثاء تخفيف المثلات بضمتين والمثلات جمع مثلة كركبة وركبات (لذو مغفرة للناس على ظلمهم) أى مع ظلمهم أنفسهم بالذنوب ومحله الحال بمعنى ظالمين لانفسهم وفيه أوجه أن يريد السيآت المكفرة لمجتنب الكبائر أو الكبائر بشرط التوبة أو يريد بالمغفرة الستر والامهال وروى أنها لما نزلت قال النبى عليه السلام لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ أحد العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل أحد (لولا أنزل عليه آية من ربه) لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى من انقلاب العصا حية واحياء الموتى ❊ فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنت رجل أرسلت منذرا ومخوفا لهم من سوء العاقبة وناصحا كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به انك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة بأية آية كانت والآيات كلها سواء فى حصول صحة الدعوى بها لا تفاوت بينها والذى عنده كل شئ بمقدار يعطى كل نبى آية على حسب ما اقتضاه علمه بالمصالح وتقديره لها (ولكل قوم هاد) من الانبياء يهديهم الى الدين ويدعوهم الى الله بوجه من الهداية وبآية خص بها ولم يجعل الانبياء شرعا واحدا فى آيات مخصوصة ووجه آخر وهو أن يكون المعنى انهم يجحدون كون ما أنزل عليك آيات ويعاندون فلا يهمنك ذلك انما أنت منذر فما عليك الا أن تنذر لا أن تثبت الايمان فى صدورهم ولست بقادر عليه ولكل قوم هاد قادر على هدايتهم بالالجاء وهو الله تعالى ولقد دل بما أردفه من ذكر آيات علمه وتقديره الاشياء على قضايا حكمته أن اعطاء كل منذر آيات خلاف آيات غيره أمر مدبر بالعلم النافذ مقدر بالحكمة الربانية ولو علم فى اجابتهم الى مقترحهم خيرا ومصلحة لاجابهم اليه وأما على الوجه الثانى فقد دل به على أن من هذه قدرته وهذا علمه هو القادر وحده على هدايتهم العالم بأى طريق يهديهم ولا سبيل الى ذلك لغيره (الله يعلم) يحتمل أن يكون كلاما مستأنفا وان يكون المعنى هو الله تفسيرا لهاد على الوجه الاخير ثم ابتدئ فقيل يعلم (ما تحمل كل أنثى) وما فى ما تحمل وما تغيض وما تزداد اما موصولة واما مصدرية فان كانت موصولة فالمعنى انه يعلم ما تحمله من الولد على أى حال هو من ذكورة وأنوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك من الاحوال الحاضرة والمترقبة ويعلم ما تغيضه الارحام أى تنقصه يقال غاض الماء وغضته أنا ومنه قوله تعالى وغيض الماء وما تزداده أى تأخذه زائدا تقول أخذت منه حقى وازددت منه كذا ومنه قوله تعالى وازدادوا تسعا ويقال زدته فزاد بنفسه وازداد ومما تنقصه الرحم وتزداده عدد الولد فانها تشتمل على واحد وقد تشتمل على اثنين وثلاثة وأربعة ويروى أن شريكا كان رابع أربعة فى بطن أمه ومنه جسد الولد فانه يكون تاما ومخدجا ومنه مدة ولادته فانها تكون أقل من تسعة أشهر وأزيد عليها الى سنتين عند أبى حنيفة والى أربع عند الشافعى والى خمس عند مالك وقيل ان الضحاك ولد لسنتين وهرم ابن حيان بقى فى بطن أمه أربع سنين ولذلك سمى هرما ومنه الدم فانه يقل ويكثر وان كانت مصدرية فالمعنى أنه يعلم حمل كل أنثى ويعلم غيض الارحام وازديادها لا يخفى عليه شئ من ذلك ومن أوقاته وأحواله ويجوز أن يراد غيوض ما فى الارحام وزيادته فاسند الفعل الى الارحام وهو لما فيها على أن الفعلين غير متعديين ويعضده قول الحسن الغيضوضة أن تضع لثمانية أشهر أو أقل من ذلك والازدياد أن تزيد على تسعة أشهر وعنه الغيض الذى يكون سقطا لغير تمام والازدياد ما ولد لتمام (بمقدار) بقدر وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انا كل شئ خلقناه بقدر (الكبير) العظيم الشأن الذى كل شئ دونه (المتعال) المستعلى على كل شئ بقدرته أو الذى كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها (سارب) ذاهب فى سربه بالفتح أى فى طريقه ووجهه يقال سرب فى الارض سروبا والمعنى سواء عنده من استخفى أى طلب الخفاء فى مختبأ بالليل فى ظلمته

وقد خلت من قبلهم المثلات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه انما أنت منذر ولكل قوم هاد الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شئ عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار

(القول فى سورة الرعد)
(بسم الله الرحمن الرحيم)

❊ قوله تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم (قال ومحل على ظلمهم الحال بمعنى ظالمين لانفسهم الخ) قال أحمد الوجه الحق بقاء الوعد على اطلاقه الا حيث دل الدليل على التقييد فى غير الموحد فان ظلمه أعنى شركه لا يغفر وما عدا الشرك فمغفرته فى المشيئة والزمخشرى يبنى على عقيدته التى وضح فسادها فى استحالة الغفران لصاحب الكبائر وان كان موحدا الا بالتوبة فيقيد مطلقا ويحجر واسعا والله الموفق

* قوله تعالى سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار (قال فيه ان قلت كان من حق الكلام ان يقال ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار الخ) قال أحمد فمقتضى السؤال الذي أورده الزمخشري ان تكون الواو عاطفة لاحدى الصفتين على الاخرى ومقتضى ما أجاب به ان يعطف أحد الموصوفين على الآخر وتحتمل الآية وجها آخر وهو ان يكون الموصول محذوفا وصلته باقية والمعنى ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار وحذف الموصول المعطوف وبقاء صلته شائع وخصوصا وقد تكرر الموصول في الآية ثلاثا ومنه ٦٥٠ قوله تعالى وما أدري ما يفعل بي ولا بكم والاصل ولا ما يفعل بكم والا كان حرف النفي دخيلا في غير موضعه لان الجملة الثانية لو قدرت داخلة في صلة الاول بواسطة العاطف لم يكن للنفي موقع وانما انصب في الاول الموصول لا الصلة ومنه

فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء

له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا أراد الله بقوم سوأ فلا مرد له وما لهم من دونه من وال هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء

ومن يضطرب في الطرقات ظاهرا بالنهار يبصره كل أحد (فان قلت) كان حق العبارة أن يقال ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار حتى يتناول معنى الاستواء المستخفي والسارب والا فقد تناول واحدا هو مستخف وسارب (قلت) فيه وجهان أحدهما ان قوله وسارب عطف على من هو مستخف لا على مستخف والثاني انه عطف على مستخف الا ان من في معنى الاثنين كقوله * نكن مثل من يا ذئب يصطحبان * كأنه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار * والضمير في (له) مردود على من كأنه قيل لمن أسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب (معقبات) جماعات من الملائكة تعتقب في حفظه وكلاءته والاصل معتقبات فادغمت التاء في القاف كقوله وجاء المعذرون بمعنى المعتذرون ويجوز معقبات بكسر العين ولم يقرأ به أو هو مفعلات من عقبه اذا جاء على عقبه كما يقال قفاه لان بعضهم يعقب بعضا أو لانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه (يحفظونه من أمر الله) هما صفتان جميعا وليس من أمر الله بصلة للحفظ كأنه قيل له معقبات من أمر الله أو يحفظونه من أجل أمر الله أي من أجل أن الله أمرهم بحفظه والدليل عليه قراءة علي رضي الله عنه وابن عباس وزيد بن علي وجعفر بن محمد وعكرمة يحفظونه بامر الله أو يحفظونه من بأس الله ونقمته اذا أذنب بدعائهم له ومسئلتهم ربهم أن يمهله رجاء أن يتوب وينيب كقوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه وتقديره من أمر الله أي من قضاياه ونوازله أو على التهكم به وقرئ له معاقيب جمع معقب أو معقبة والياء عوض من حذف احدى القافين في التكسير (ان الله لا يغير ما بقوم) من العافية والنعمة (حتى يغيروا ما بأنفسهم) من الحال الجميلة بكثرة المعاصي (من وال) ممن يلي أمرهم ويدفع عنهم (خوفا وطمعا) لا يصح أن يكونا مفعولا لهما لانهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل الاعلى تقدير حذف المضاف أي ارادة خوف وطمع أو على معنى اخافة واطماعا ويجوز أن يكونا منتصبين على الحال من البرق كأنه في نفسه خوف وطمع أو على ذا خوف وذا طمع أو من المخاطبين أي خائفين وطامعين ومعنى الخوف والطمع ان وقوع الصواعق يخاف عند لمع البرق ويطمع في الغيث قال أبو الطيب فتى كالسحاب الجون تخشى وترتجى * يرجى الحيا منها وتخشى الصواعق وقيل يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن في جرينه التمر والزبيب ومن له بيت يكف ومن البلاد ما لا ينتفع أهله بالمطر كأهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع ويحيابه (السحاب) اسم الجنس والواحدة سحابة و(الثقال) جمع ثقيلة لانك تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما تقول امرأة كريمة ونساء كرام وهي الثقال بالماء (ويسبح الرعد بحمده) ويسبح سامعو الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين له أي يضجون بسبحان الله والحمد لله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده وعن علي رضي الله عنه سبحان من سبحت له واذا اشتد الرعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن ابن عباس ان اليهود سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد ما هو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله ليس بملك ومن بدع المتصوفة الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات أفئدتهم والمطر بكاؤهم (والملائكة من خيفته)

أي ومن يمدحه وينصره والله أعلم * عاد كلامه (قال ومعنى قوله معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله هما صفتان جميعا وليس من أمر الله بصلة للحفظ كأنه قيل له الخ) قال أحمد وحقيقة هذا الوجه انهم يحفظونه من الامر الذي علم الله أنه يدفعه عنه بسبب دعائهم ولولا هذا السبب لكان في علم الله ان النقمة تحل عليه لان الله عز وجل يعلم ما لا يكون لو كان كيف كان يكون وسع ربنا كل شئ علما * قوله تعالى هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال الآية (قال خوفا وطمعا لا يصح ان يكونا مفعولا لهما لانهما ليسا بفعل الخ) قال أحمد أو مفعولا لهما على ان المفعول له في مثل هذا الفعل فاعل في المعنى لانه اذا أراهم فقد رأوا

ويسبح

ويسبح الملائكة من هيبته واجلاله * ذكر علمه النافذ فى كل شئ واستواء الظاهر والخفى عنده ومادل على قدرته الباهرة ووحدانيته ثم قال (وهم) يعنى الذين كفروا وكذبوا رسول الله وأنكروا آياته (يجادلون فى الله) حيث ينكرون على رسوله مايصفه به من القدرة على البعث واعادة الخلائق بقولهم من يحيى العظام وهى رميم ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء والانداد ويجعلونه بعض الاجسام المتوالدة بقولهم الملائكة بنات الله فهذا جدالهم بالباطل كقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وقيل الواو للحال أى فيصيب بها من يشاء فى حال جدالهم وذلك أن أربد أخا لبيد بن ربيعة العامرى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فرمى الله عامرا بغدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية وأرسل على أربد صاعقة فقتلته أخبرنا عن ربنا أمن نحاس هو أم من حديد (المحال) المماحلة وهى شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا اذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان اذا كاده وسعى به الى السلطان ومنه الحديث ولا تجعله علينا ماحلا مصدقا وقال الاعشى

فرع نبع يهتش فى غصن المجـ * ـد غزير الندى شديد المحال

والمعنى انه شديد المكر والكيد لاعدائه يأتيهم الهلكة من حيث لا يحتسبون وقرأ الاعرج بفتح الميم على أنه مفعل من حال يحول محالا اذا احتال ومنه أحول من ذئب أى أشد حيلة ويجوز أن يكون المعنى شديد الفقار ويكون مثلا فى القوة والقدرة كما جاء فساعد الله أشد وموساه أحد لان الحيوان اذا اشتد محاله كان منعوتا بشدة القوة والاضطلاع بما يعجز عنه غيره ألا ترى الى قولهم فقرته الفواقر وذلك أن الفقار عمود الظهر وقوامه (دعوة الحق) فيه وجهان أحدهما أن تضاف الدعوة الى الحق الذى هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه فى قولك كلمة الحق للدلالة على أن الدعوة ملابسة للحق مختصة به وأنها بمعزل من الباطل والمعنى أن الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ويعطى الداعى سؤاله ان كان مصلحة له فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا بأن يوجه اليه الدعاء لما فى دعوته من الجدوى والنفع بخلاف مالا ينفع ولا يجدى دعاؤه والثانى أن تضاف الى الحق الذى هو الله عز وعلا على معنى دعوة المدعو الحق الذى يسمع فيجيب وعن الحسن الحق هو الله وكل دعاء اليه دعوة الحق (فان قلت) ما وجه اتصال هذين الوصفين بما قبله (قلت) أما على قصة أربد فظاهر لان اصابته بالصاعقة محال من الله ومكر به من حيث لم يشعر وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وعلى صاحبه بقوله اللهم أخسفهما بما شئت فأجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق وأما على الاول فوعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله بحلول محاله بهم واجابة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان دعا عليهم فيهم (والذين يدعون) والآلهة الذين يدعوهم الكفار (من) دون الله (لا يستجيبون لهم بشئ) من طلباتهم (الا كباسط كفيه) لا استجابة كاستجابة باسط كفيه أى كاستجابة الماء من بسط كفيه اليه يطلب منه أن يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته اليه ولا يقدر أن يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك مايدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم وقيل شبهوا فى قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن أراد أن يغرف الماء بيديه ليشرب فبسطهما ناشرا أصابعه فلم تلق كفاه منه شيأ ولم يبلغ طلبته من شربه * وقرئ تدعون بالتاء كباسط كفيه بالتنوين (الا فى ضلال) الا فى ضياع لا منفعة فيه لانهم ان دعوا الله لم يجبهم وان دعوا الآلهة لم تستطع اجابتهم (ولله يسجد) أى ينقادون لاحداث ما أراده فيهم من أفعاله شاؤا أو أبوا لا يقدرون أن يمتنعوا عليه * وتنقاد له (ظلالهم) أيضا حيث تتصرف على مشيئته فى الامتداد والتقلص والفئ والزوال * وقرئ بالغدو والايصال من آصلوا اذا دخلوا فى الاصيل (قل الله) حكاية لاعترافهم وتأكيد له عليهم لانه اذا قال لهم من رب السموات والارض لم يكن لهم بد من أن يقولوا الله كقوله قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله وهذا كما يقول المناظر لصاحبه أهذا قولك فاذا قال هذا قولى قال هذا قولك فيحكى اقراره تقريرا له عليه واستيثاقا منه ثم يقول له فيلزمك على هذا القول كيت وكيت ويجوز أن يكون تلقينا أى ان كعوا عن الجواب فلقنهم فانهم يتلقنونه ولا يقدرون أن ينكروه

وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا فى ضلال ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال قل من رب السموات والارض قل الله قل

والاصل وهو الذى يريكم البرق فتروته خوفا وطمعا أى ترقبونه وتتراءونه تارة لاجل الخوف وتارة لاجل الطمع والله أعلم * قوله تعالى له دعوة الحق (قال فيه وجهان أحدهما ان تضاف الدعوة الى الحق الخ) قال أحمد دس تحت تأويل الاول نبذة من الاعتزال على وجه الاختزال فحجر واسعا من لطف الله واستجابته أدعية عباده وحتم رعاية المصالح وجعل معنى اضافة الدعوة الى الحق التباسها بالمصلحة وقد انكشف الغطاء وتبين ان الله تعالى لا تعلل أفعاله ولا تقف استجابته على الشرط المذكور وغرضنا ايقاظ المطالع لهذه المواضع من غفلة تحيزه الى بدعة وضلالة والله الموفق

* قوله تعالى أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء (قال أم مقدرة ببل والهمزة ومعناها هنا الانكار الخ) قال أحمد وفي قوله تعالى خلقوا كخلقه في سياق الانكار تهكم بهم لان غير الله لا يخلق خلقا البتة لا بطريق المشابهة والمساواة لله تقدس عن التشبيه ولا بطريق الانحطاط والقصور فقد كان يكفي في الانكار عليهم ان الشركاء التي اتخذوها لا تخلق مطلقا ولكن جاء في قوله تعالى كخلقه تهكم يزيد الانكار تأكيدا والزمخشري لا يطيق التنبيه على هذه النكتة مع كونه أفطن من ان يستتر عنه لان معتقده ان غير الله يخلق وهم العبيد يخلقون أفعالهم على زعمهم ولكن لا يخلقون كخلق الله لان الله تعالى يخلق الجواهر والاعراض والعبيد لا يخلقون سوى أفعالهم لا غير وفي قوله عز من قائل الله خالق كل شيء القام لافواه وهي المشركين الاولين ثم لافواه اتباعهم في هذه الضلالة كالقدرية فان الله تعالى بت هذه البتة ان كل شيء يصدق عليه انه مخلوق جوهرا كان أو عرضا فعلا لعبيده أو غيره فالله خالقه فلا يبقى بقية يحتمل معها الاشتراك الا عند كل أثيم أفاك يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم فلا جرم ما تقاصر لسان الزمخشري عند هذه الآية وقرن شقاشقه والله الموفق .

أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوي الاعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم

(أفاتخذتم من دونه أولياء) أبعد أن علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه أولياء فجعلتم ما كان يجب أن يكون سبب التوحيد من علمكم وإقراركم سبب الاشراك (لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا) لا يستطيعون لانفسهم أن ينفعوها أو يدفعوا عنها ضررا فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد آثرتموهم على الخالق الرازق المثيب المعاقب فما أبين ضلالكم (أم جعلوا) بل أجعلوا ومعنى الهمزة الانكار و(خلقوا) صفة لشركاء يعني انهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله (فتشابه) عليهم خلق الله وخلقهم حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فنتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبد اذ لا فرق بين خالق وخالق ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا أن يقدروا على ما يقدر عليه الخالق (قل الله خالق كل شيء) لا خالق غير الله ولا يستقيم أن يكون له شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة (وهو الواحد) المتوحد بالربوبية (القهار) لا يغالب وما عداه مربوب ومقهور

* هذا مثل ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه كما ضرب الاعمى والبصير والظلمات والنور مثلا لهما فمثل الحق وأهله بالماء الذي ينزله من السماء فتسيل به أودية الناس فيحيون به وينفعهم أنواع المنافع وبالفلز الذي ينتفعون به في صوغ الحلي منه واتخاذ الاواني والآلات المختلفة ولو لم يكن الا الحديد الذي فيه البأس الشديد لكفى به وأن ذلك ماكث في الارض باق بقاء ظاهرا يثبت الماء في منافعه وتبقى آثاره في العيون والبئار والحبوب والثمار التي تنبت به مما يدخر ويكتنز وكذلك الجواهر تبقى أزمنة متطاولة وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل الذي يرمي به وبزبد الفلز الذي يطفو فوقه اذا أذيب (فان قلت) لم نكرت الاودية (قلت) لان المطر لا يأتي الا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض أودية الارض دون بعض (فان قلت) فما معنى قوله (بقدرها) (قلت) بمقدارها الذي عرف الله انه نافع للممطور عليهم غير ضار ألا ترى الى قوله وأما ما ينفع الناس لانه ضرب المطر مثلا للحق فوجب أن يكون مطرا خالصا للنفع خاليا من المضرة ولا يكون كبعض الامطار والسيول الجواحف (فان قلت) فما فائدة قوله (ابتغاء حلية أو متاع) (قلت) الفائدة فيه كالفائدة في قوله بقدرها لانه جمع الماء والفلز في النفع في قوله وأما ما ينفع الناس لان المعنى وأما ما ينفعهم من الماء والفلز فذكر وجه الانتفاع مما يوقد عليه منه ويذاب وهو الحلية والمتاع وقوله ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع عبارة جامعة لانواع الفلز مع اظهار الكبرياء في ذكره على وجه التهاون به كما هو هجيرى الملوك نحو ما جاء في ذكر الآجر فأوقد لي يا هامان على الطين ومن لابتداء الغاية أي ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء أو للتبعيض بمعنى وبعضه زبد رابيا منتفخا مرتفعا على وجه السيل (جفاء) يجفؤه السيل أي يرمي به وجفأت القدر بزبدها وأجفأ السيل وأجفل وفي قراءة رؤبة بن العجاج جفالا وعن أبي حاتم لا يقرأ بقراءة رؤبة لانه كان يأكل الفأر وقرئ يوقدون بالياء أي يوقد الناس (للذين استجابوا) اللام متعلقة بيضرب أي كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا وللكافرين الذين لم يستجيبوا أي هما مثلا الفريقين و(الحسنى) صفة لمصدر استجابوا أي استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله (لو أن لهم) كلام مبتدأ في ذكر ما أعد لغير المستجيبين وقيل قد تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الامثال وما بعده كلام مستأنف والحسنى مبتدأ خبره للذين استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسنى

*قوله تعالى وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية الآية (قال المراد مما رزقناهم من الحلال لان الحرام لا يكون رزقا ولا يسند الى الله تعالى) قال أحمد الحق أن لا رازق الا الله ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين كما انه لا خالق الا الله هل من خالق غير الله فاذا اقتضى العقل والسمع جميعا ان لا رازق الا الله فأى مقال بعد ذلك يبقى للقدري الزاعم ان أكثر العبيد يرزقون أنفسهم لان الغالب الحرام وهو مع ذلك مصمم على معتقده الفاسد لا يدعه ولا تكفه القوارع السمعية والعقلية ولا تردعه فبأي حديث بعد الله ٦٥٣ وآياته يؤمنون *قوله تعالى أولئك لهم عقبى الدار (قال المراد عقبة الدنيا وهي جمع أهلها الخ) قال

سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى انما يتذكر أولوا الالباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلوة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرؤن بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم

وهي الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره لو مع ما في حيزه و(سوء الحساب) المناقشة فيه وعن النخعي أن يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر منه شيء *دخلت همزة الانكار على الفاء في قوله (أفمن يعلم) لانكار أن تقع شبهة بعد ما ضرب من المثل في ان حال من علم (أنما أنزل اليك من ربك الحق) فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والابريز (انما يتذكر أولوا الالباب) أي الذين عملوا على قضيات عقولهم فنظروا واستبصروا (الذين يوفون بعهد الله) مبتدأ وأولئك لهم عقبى الدار خبره كقوله والذين ينقضون عهد الله أولئك لهم اللعنة ويجوز أن يكون صفة لاولى الالباب والاول أوجه *وعهد الله ما عقدوه على أنفسهم من الشهادة بربوبيته وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى (ولا ينقضون الميثاق) ولا ينقضون كل ما وثقوه على أنفسهم وقبلوه من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص (ما أمر الله به أن يوصل) من الارحام والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الايمان انما المؤمنون اخوة بالاحسان اليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم والنصيحة لهم وطرح التفرقة بين أنفسهم وبينهم وافشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم وشهود جنائزهم ومنه مراعاة حق الاصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر وكل ما تعلق منهم بسبب حتى الهرة والدجاجة وعن الفضيل بن عياض أن جماعة دخلوا عليه بمكة فقال من أين أنتم قالوا من أهل خراسان قال اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم واعلموا أن العبد لو أحسن الاحسان كله وكانت له دجاجة فأساء اليها لم يكن من المحسنين (ويخشون ربهم) أي يخشون وعيده كله (ويخافون) خصوصا (سوء الحساب) فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا (صبروا) مطلق فيما يصبر عليه من المصائب في النفوس والاموال ومشاق التكاليف (ابتغاء وجه) الله لا ليقال ما أصبره وأحمله للنوازل وأوقره عند الزلازل ولا لئلا يعاب بالجزع ولئلا يشمت به الاعداء كقوله *وتجلدي للشامتين أريهم* ولا لانه لا طائل تحت الهلع ولا مرد فيه للفائت كقوله

ما ان جزعت ولا هلعت * ولا يرد بكاى زندا

وكل عمل له وجوه يعمل عليها فعلى المؤمن أن ينوي منها ما به كان حسنا عند الله والا لم يستحق به ثوابا وكان فعلا كلا فعل (مما رزقناهم) من الحلال لان الحرام لا يكون رزقا ولا يسند الى الله (سرا وعلانية) يتناول النوافل لانها في السر أفضل والفرائض لوجوب المجاهرة بها نفيا للتهمة (ويدرؤن بالحسنة السيئة) ويدفعونها عن ابن عباس يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيئ غيرهم وعن الحسن اذا حرموا أعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان اذا أذنبوا تابوا وقيل اذا رأوا منكرا أمروا بتغييره (عقبى الدار) عاقبة الدنيا وهي الجنة لانها التي أراد الله أن تكون عاقبة الدنيا ومرجع أهلها و(جنات عدن) بدل من عقبى الدار *وقرئ جنات بفتح النون والاصل نعم فمن كسر النون فنقل كسرة العين اليها ومن فتح فقد سكن العين ولم ينقل *وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول *وقرأ ابن أبي عبلة صلح بضم اللام والفتح أفصح أعلم ان الانساب لا تنفع اذا تجردت من الاعمال الصالحة *وآباؤهم جمع أبوي كل واحد منهم فكأنه قيل من آبائهم وأمهاتهم (سلام عليكم) في موضع الحال لان المعنى قائلين سلام عليكم أو مسلمين (فان قلت) بم

أحمد قد تكرر مجيء العاقبة المطلقة مثل وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار ومن تكون له عاقبة الدار والعاقبة للمتقين والمراد في جميع ذلك عقبى الخير والسعادة والزمخشري يستنبط من تكرار مجيء العاقبة المطلقة والمراد عاقبة الخير انها هي التي أرادها الله فهي الاصل والعاقبة الاخرى لما لم تكن مرادة بل عارضة على خلاف المراد والاصل لم يكن من حقها ان يعبر عنها الا بتقييدها فيهما كقوله وعقبى الكافرين النار كل ذلك من الزمخشري تهالك على أن ينسب الى الله ارادة ما لم يقع ومشيئة ما لم يكن مصادمة لما انطق الله به السنة حملة الشريعة ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وليس في مجيء ذلك على الاطلاق ما يعين أنه الاصل باعتبار الارادة فلعله الاصل باعتبار الامر ونحن نقول ان المؤدي الى حمد العاقبة مأمور به والمؤدي الى سوئها منهي عنه فمن ثم كانت عاقبة الخير هي الاصل والله الموفق

تعلق قوله (بما صبرتم) (قلت) بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم يعنون هذا الثواب بسبب صبركم أو بدل
ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه هذه الملاذ والنعم والمعنى لئن تعبتم فى الدنيا لقد استرحتم الساعة كقوله
* بما قد أرى فيها أوانس بدنا * وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يأتى قبور الشهداء على رأس كل حول
فيقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ويجوز أن يتعلق بسلام أى نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم (من
بعد ميثاقه) من بعد ما أوثقوه به من الاعتراف والقبول (سوء الدار) يحتمل أن يراد سوء عاقبة الدنيا لانه فى
مقابلة عقبى الدار ويجوز أن يراد بالدار جهنم وبسوئها عذابها (الله يبسط الرزق) أى الله وحده هو يبسط
الرزق ويقدره دون غيره وهو الذى بسط رزق أهل مكة ووسعه عليهم (وفرحوا) بما بسط لهم من الدنيا فرح
بطر وأشر لا فرح سرور بفضل الله وانعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الآخرة وخفى
عليهم ان نعيم الدنيا فى جنب نعيم الآخرة ليس الا شيأ نزرا يتمتع به كعجالة الراكب وهو ما يتعجله من تميرات أو
شربة سويق أو نحو ذلك (فان قلت) كيف طابق قولهم (لولا أنزل عليه آية من ربه) قوله (قل ان الله يضل من
يشاء) (قلت) هو كلام يجرى مجرى التعجب من قولهم وذلك ان الآيات الباهرة المتكاثرة التى أوتيها رسول
الله صلى الله عليه وسلم لم يؤتها نبى قبله وكفى بالقرآن وحده آية وراء كل آية فاذا جحدوها ولم يعتدوا بها وجعلوه
كأن آية لم تنزل عليه قط كان موضعا للتعجب والاستنكار فكأنه قيل لهم ما أعظم عنادكم وما أشد تصميمكم
على كفركم ان الله يضل من يشاء من كان على صفتكم من التصميم وشدة الشكيمة فى الكفر فلا سبيل الى
اهتدائهم وان أنزلت كل آية (ويهدى اليه من) كان على خلاف صفتكم (أناب) أقبل الى الحق وحقيقته
دخل فى نوبة الخير و (الذين آمنوا) بدل من من أناب (وتطمئن قلوبهم بذكر الله) بذكر رحمته ومغفرته بعد
القلق والاضطراب من خشيته كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله أو تطمئن بذكر دلائله الدالة
على وحدانيته أو تطمئن بالقرآن لانه معجزة بينة تسكن القلوب وتثبت اليقين فيها (الذين آمنوا) مبتدأ
و (طوبى لهم) خبره ويجوز أن يكون بدلا من القلوب على تقدير حذف المضاف أى تطمئن القلوب قلوب
الذين آمنوا وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى لك أصبت خيرا وطيبا ومحلها النصب
أو الرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك * والقراءة فى قوله وحسن مآب بالرفع والنصب
تدلك على محلها واللام فى لهم للبيان مثلها فى سقيا لك والواو فى طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها كموقن
وموسر وقرأ مكوزة الاعرابى طيبى لهم فكسر الطاء لتسلم الياء كما قيل بيض ومعيشة (كذلك أرسلناك)
مثل ذلك الارسال أرسلناك يعنى أرسلناك ارسالا له شأن وفضل على سائر الارسالات ثم فسر كيف أرسله
فقال (فى أمة قد خلت من قبلها أمم) أى أرسلناك فى أمة قد تقدمتها أمم كثيرة فهى آخر الامم وأنت خاتم
الانبياء (لتتلو عليهم الذى أوحينا اليك) لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذى أوحينا اليك (وهم يكفرون) وحال
هؤلاء انهم يكفرون (بالرحمن) بالبليغ الرحمة الذى وسعت رحمته كل شئ وما بهم من نعمة فمنه وكفروا بنعمته
فى ارسال مثلك اليهم وانزال هذا القرآن المعجز المصدق لسائر الكتب عليهم (قل هو ربى) الواحد المتعالى
عن الشركاء (عليه توكلت) فى نصرتى عليكم (واليه متاب) فيثيبنى على مصابرتكم ومجاهدتكم (ولو أن قرآنا)
جوابه محذوف كما تقول لغلامك لو أنى قمت اليك وتترك الجواب والمعنى ولو أن قرآنا (سيرت به الجبال) عن
مقارها وزعزعت عن مضاجعها (أو قطعت به الارض) حتى تتصدع وتتزايل قطعا (أو كلم به الموتى) فتسمع
وتجيب لكان هذا القرآن لكونه غاية فى التذكير ونهاية فى الانذار والتخويف كما قال لو أنزلنا هذا القرآن
على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وهذا يعضد ما فسرت به قوله لتتلو عليهم الذى أوحينا اليك
من ارادة تعظيم ما أوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن وقيل معناه ولو أن قرآنا وقع به تسيير
الجبال وتقطيع الارض وتكليم الموتى وتنبيههم لما آمنوا به ولما تنبهوا عليه كقوله ولو أننا نزلنا اليهم
الملائكة الآية وقيل ان أبا جهل بن هشام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم سير بقرآنك الجبال عن مكة
حتى تتسع لنا فنتخذ فيها البساتين والقطائع كما سخرت لداود عليه السلام ان كنت نبيا كما تزعم فلست بأهون

بما صبرتم فنعم عقبى
الدار والذين ينقضون
عهد الله من بعد ميثاقه
ويقطعون ما أمر الله
به أن يوصل ويفسدون
فى الأرض أولئك لهم
اللعنة ولهم سوء الدار
الله يبسط الرزق لمن
يشاء ويقدر وفرحوا
بالحياة الدنيا وما الحياة
الدنيا فى الآخرة الا متاع
ويقول الذين كفروا
لولا أنزل عليه آية من
من ربه قل ان الله
يضل من يشاء ويهدى
اليه من أناب الذين
آمنوا وتطمئن قلوبهم
بذكر الله الا بذكر الله
تطمئن القلوب الذين
آمنوا وعملوا الصالحات
طوبى لهم وحسن
مآب كذلك أرسلناك
فى أمة قد خلت من
قبلها أمم لتتلو عليهم
الذى أوحينا اليك وهم
يكفرون بالرحمن قل
هو ربى لا اله الا هو عليه
توكلت واليه متاب ولو
أن قرآنا سيرت به
الجبال أو قطعت به
الأرض أو كلم به الموتى

* قوله تعالى أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت الآية (قال ومعناه بل أتنبئونه بشركاء الخ) قال أحمد وحقيقة هذا النفي أنهم ليسوا بشركاء وان الله لا يعلمهم كذلك لانهم ليسوا كذلك وان كانت لهم ذوات ثابتة يعلمها الله الا أنها مربوبة حادثة لا آلهة معبودة ولكن يجيء النفي على هذا السنن لمتلو بديع لا تكنه بلاغته وبراعته ولو أتى الكلام على الاصل غير محلى بهذا التصريف البديع لكان وجعلوا لله شركاء وما هم بشركاء فلم يكن بهذا الموقع التي اقتضته التلاوة * عاد كلامه (قال وهذا الاحتجاج وأساليبه العجيبة التي ورد عليها الخ) قال أحمد هذه الكلمة كلمة حق أراد بها باطلا لانه يعرض فيها بخلق القرآن فتنبه لها وما أسرع المطالع لهذا الفصل أن يمر على لسانه وقلبه ويستحسنه وهو غافل عما تحته لولا هذا التنبيه والايقاظ والله أعلم

بل لله الامر جميعا أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله ان الله لا يخلف الميعاد ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الارض أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا

على الله من داود أو سخرت له الريح لتركبها وتسير الى الشأم ثم ترجع في يوم منه فقد شق علينا قطع المسافة البعيدة كما سخرت لسليمان عليه السلام أو ابعث لنا به رجلين أو ثلاثة ممن مات من آبائنا منهم قصي بن كلاب فنزلت ومعنى تقطيع الارض على هذا قطعها بالسير وتجاوزتها عن القراءة هو منتهى قوة. فقد وامعنى وهم يكفرون بالرحمن ولو أن قرآنا سيرت به الجبال وما بينهما اعتراض وليس ببعيد من السداد وقيل قطعت به الارض شققت فجعلت انهارا وعيونا (بل لله الامر جميعا) على معنيين أحدهما بل لله القدرة على كل شيء وهو قادر على الآيات التي اقترحوها الا أن علمه بأن اظهارها مفسدة يصرفه والثاني بل لله أن يلجئهم الى الايمان وهو قادر على الالجاء لولا أنه بنى أمر التكليف على الاختيار ويعضده قوله (أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله) يعني مشيئة الالجاء والقسر (لهدى الناس جميعا) ومعنى أفلم ييأس أفلم يعلم قيل هي لغة قوم من النخع وقيل انما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لان اليائس عن الشيء عالم بأنه لا يكون كما استعمل الرجاء في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك لتضمن ذلك قال سحيم بن وثيل الرياحي

أقول لهم بالشعب اذ ييسرونني * ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم

ويدل عليه أن عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرؤا أفلم يتبين وهو تفسير أفلم ييأس وقيل انما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوي السينات وهذا ونحوه مما لا يصدق في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتي الامام وكان متقلبا في أيدي أولئك الاعلام المحتاطين في دين الله المهيمنين عليه لا يغفلون عن جلائله ودقائقه خصوصا عن القانون الذي اليه المرجع والقاعدة التي عليها البناء هذه والله فرية ما فيها مرية ويجوز أن يتعلق أن لو يشاء بآمنوا على أولم يقنط عن ايمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بأن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولهداهم (تصيبهم بما صنعوا) من كفرهم وسوء أعمالهم (قارعة) داهية تقرعهم بما يحل الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم وأولادهم وأموالهم (أو تحل) القارعة (قريبا) منهم فيفزعون ويضطربون ويتطاير اليهم شرارها ويتعدى اليهم شرورها (حتى يأتي وعد الله) وهو موتهم أو القيامة وقيل ولا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من العداوة والتكذيب قارعة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حول مكة وتختطف منهم وتصيب من مواشيهم أو تحل أنت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك كما حل بالحديبية حتى يأتي وعد الله وهو فتح مكة وكان الله قد وعده ذلك * الاملاء الامهال وأن يترك ملاوة من الزمان في خفض وأمن كالبهيمة على لها في المرعى وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء به وتسلية له (أفمن هو قائم) احتجاج عليهم في اشراكهم بالله يعني أفالله الذي هو قائم رقيب (على كل نفس) صالحة أو طالحة (بما كسبت) يعلم خيره وشره ويعد لكل جزاءه كمن ليس كذلك ويجوز أن يقدر ما يقع خبرا للمبتدا ويعطف عليه وجعلوا وتمثيله أفمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه (وجعلوا) له وهو الله الذي يستحق العبادة وحده (شركاء قل سموهم) أي جعلتم له شركاء فسموهم له من هم ونبئوه بأسمائهم ثم قال (أم تنبئونه) على أم المنقطعة كقولك للرجل قل لي من زيد أم هو أقل من أن يعرف ومعناه بل أتنبئونه بشركاء لا يعلمهم في الارض وهو العالم بما في السموات والارض فاذا لم يعلمهم علم أنهم ليسوا بشيء يتعلق به العلم والمراد نفي أن يكون له شركاء ونحوه قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض (أم بظاهر من القول) بل أتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم بأفواههم ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها وهذا الاحتجاج وأساليبه العجيبة التي ورد عليها مناد على نفسه بلسان طلق ذلق أنه ليس من كلام البشر لمن عرف وأنصف من نفسه فتبارك الله أحسن

مكرهم وصدوا عن
السبيل ومن يضلل
الله فماله من هاد لهم
عذاب فى الحياة الدنيا
ولعذاب الآخرة أشق
ومالهم من الله من واق
مثل الجنة التى وعد
المتقون تجرى من تحتها
الانهار أكلها دائم وظلها
تلك عقبى الذين اتقوا
وعقبى الكافرين النار
والذين آتيناهم الكتاب
يفرحون بما أنزل اليك
ومن الاحزاب من ينكر
بعضه قل انما أمرت
أن أعبد الله ولا أشرك
به اليه أدعوا واليه
مآب وكذلك أنزلناه
حكما عربيا ولئن اتبعت
أهواءهم بعدما جاءك
من العلم مالك من الله
من ولى ولا واق ولقد
أرسلنا رسلا من قبلك
وجعلنا لهم أزواجا
وذرية وما كان لرسول
أن يأتى بآية الا باذن
الله لكل أجل كتاب
يمحو الله ما يشاء ويثبت
وعنده أم الكتاب وان
ما نرينك بعض الذى
نعدهم أو نتوفينك
فانما عليك البلاغ
وعلينا الحساب أولم
يروا أنا نأتى الارض
ننقصها من

الخالقين. وقرئ أتنبئونه بالتخفيف (مكرهم) كيدهم للاسلام بشركهم (وصدوا) قرئ بالحركات الثلاث وقرأ ابن أبى اسحق وصد بالتنوين (ومن يضلل الله) ومن يخذله لعلمه انه لا يهتدى (فماله من هاد) فماله من أحد يقدر على هدايته (لهم عذاب فى الحياة الدنيا) وهو ما ينالهم من القتل والاسر وسائر المحن ولا يلحقهم الا عقوبة لهم على الكفر ولذلك سماه عذابا (ومالهم من الله من واق) ومالهم من حافظ من عذابه أو مالهم من جهته واق من رحمته (مثل الجنة) صفتها التى هى فى غرابة المثل وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف على مذهب سيبويه أى فيما قصصناه عليكم مثل الجنة وقال غيره الخبر (تجرى من تحتها الانهار) كما تقول صفة زيد أسمر وقال الزجاج معناه مثل الجنة جنة تجرى من تحتها الانهار على حذف الموصوف تمثيلا لما غاب عنا بما نشاهد وقرأ على رضى الله عنه أمثال الجنة على الجمع أى صفاتها (أكلها دائم) كقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة (وظلها) دائم لا ينسخ كما ينسخ فى الدنيا بالشمس (والذين آتيناهم الكتاب) يريد من أسلم من اليهود كعبد الله ابن سلام وكعب وأصحابهما ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا أربعون بنجران واثنان وثلاثون بأرض الحبشة وثمانية من أهل اليمن هؤلاء (يفرحون بما أنزل اليك ومن الاحزاب) يعنى ومن أحزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو كعب بن الاشرف وأصحابه والسيد والعاقب أسقفى نجران وأشياعهما (من ينكر بعضه) لانهم كانوا لا ينكرون الاقاصيص وبعض الاحكام والمعانى مما هو ثابت فى كتبهم غير محرف وكانوا ينكرون ما هو نعت الاسلام ونعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه من الشرائع (فان قلت) كيف اتصل قوله (قل انما أمرت أن أعبد الله) بما قبله (قلت) هو جواب للمنكرين معناه قل انما أمرت فيما أنزل الى بأن أعبد الله ولا أشرك به فانكاركم له انكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله وان لا يشرك به قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ * وقرأ نافع فى رواية أبى خليد ولا أشرك بالرفع على الاستئناف كأنه قال وأنا لا أشرك به ويجوز أن يكون فى موضع الحال على معنى أمرت أن أعبد الله غير مشرك به (اليه أدعوا) خصوصا لا أدعو الى غيره (واليه) لا الى غيره مرجعى وأنتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لانكاركم (وكذلك أنزلناه) ومثل ذلك الانزال أنزلناه مأمورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة اليه والى دينه والانذار بدار الجزاء (حكما عربيا) حكمة عربية مترجمة بلسان العرب وانتصابه على الحال * كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أمور يوافقهم عليها منها أن يصلى الى قبلتهم بعد ما حوله الله عنها فقيل له لئن تابعتهم على دين ما هو الا أهواء وشبه بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين والحجج القاطعة خذلك الله فلا ينصرك ناصر وأهلكك فلا يقيك منه واق وهذا من باب الالهاب والتهييج والبعث للسامعين على الثبات فى الدين والتصلب فيه وان لا يزل زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة والا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة الشكيمة بمكان * كانوا يعيبونه بالازواج والولاد كما كانوا يقولون مال هذا الرسول يأكل الطعام وكانوا يقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ فقيل كان الرسل قبله بشرا مثله ذوى أزواج وذرية وما كان لهم أن يأتوا بآيات برأيهم ولا يأتون بما يقترح عليهم والشرائع مصالح تختلف باختلاف الاحوال والاوقات فلكل وقت حكم يكتب على العباد أى يفرض عليهم على ما يقتضيه استصلاحهم (يمحو الله ما يشاء) ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت بدله ما يرى المصلحة فى اثباته أو يتركه غير منسوخ وقيل يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة لانهم مأمورون بكتبة كل قول وفعل (ويثبت) غيره وقيل يمحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة ويثبت ايمانهم وطاعاتهم وقيل يمحو بعض الخلائق ويثبت بعضا من الاناسى وسائر الحيوان والنبات والاشجار وصفاتها وأحوالها والكلام فى نحو هذا واسع المجال (وعنده أم الكتاب) أصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لان كل كائن مكتوب فيه * وقرئ ويثبت (وان ما نرينك) وكيفما دارت الحال أريناك مصارعهم وما وعدناهم من انزال العذاب عليهم أو توفيناك قبل ذلك فما يجب عليك الا تبليغ الرسالة فحسب وعلينا لا عليك حسابهم وجزاؤهم على أعمالهم فلا يهمنك اعراضهم ولا تستعجل بعذابهم (أولم يروا أنا نأتى الارض) أرض الكفر (ننقصها من

اطرافها

*قوله تعالى قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب (قال المراد والذى عنده علم القرآن الخ) قال أحمد فيكون المراد حينئذ جنس المؤمنين (قال وقيل ومن هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا لانهم يشهدون بنعته فى كتبهم) قال أحمد فالكتاب على التأويل الاول مراد به القرآن خاصة وعلى الثانى جنس الكتب المتقدمة عليه (قال وقيل هو الله عز وجل والكتاب اللوح المحفوظ وعن الحسن لا والله ما يعنى الا الله والمعنى كفى بالذى يستحق العبادة وبالذى لا يعلم ما فى اللوح المحفوظ الا هو شهيدا بينى وبينكم وتعضده قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة) قال أحمد وانما قدر الزمخشرى فى المعطوف عليه اسم الله بالذى يستحق العبادة حذرا من عطف الصفة على الموصوف وعدولا الى أنه عطف احدى الصفتين على الاخرى تقديرا وانما أخذ الحصر حيث يقول ومن لا يعلم علم الكتاب الا هو من أنه قدم الخبر الذى هو عنده على مبتدئه وشأن الزمخشرى أخذ الحصر من التقديم والله الموفق للصواب

أطرافها) بما نفتح على المسلمين من بلادهم فتنقص دار الحرب وتزيد فى دار الاسلام وذلك من آيات النصرة والغلبة ونحوه أفلا يرون أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون سنريهم آياتنا فى الآفاق والمعنى عليك بالبلاغ الذى حملته ولا تهتم بما وراءه فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تأخره فان ذلك لما نعلم من المصالح التى لا تعلمها ثم طيب نفسه ونفس عنها بما ذكر من طلوع تباشير الظفر وقرئ ننقصها بالتشديد (لا معقب لحكمه) لا راد لحكمه والمعقب الذى يكر على الشئ فيبطله وحقيقته الذى يعقبه أى يقفيه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفى غريمه بالاقتضاء والطلب قال لبيد *طلب المعقب حقه المظلوم* والمعنى أنه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر بالادبار والانتكاس (وهو سريع الحساب) فعما قليل يحاسبهم فى الآخرة بعد عذاب الدنيا (فان قلت) ما محل قوله لا معقب لحكمه (قلت) هو جملة محلها النصب على الحال كأنه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاءنى زيد لا عمامة على رأسه ولا قلنسوة تريد حاسرا (وقد مكر الذين من قبلهم) وصفهم بالمكر ثم جعل مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكره فقال (فلله المكر جميعا) ثم فسر ذلك بقوله (يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار) لان من علم ما تكسب كل نفس وأعد لها جزاءها فهو المكر كله لانه يأتيهم من حيث لا يعلمون وهم فى غفلة عما يراد بهم وقرئ الكفار والكافرون والذين كفروا والكفر أى أهله والمراد بالكافر الجنس وقرأ جناح بن حبيش وسيعلم الكافر من أعلمه أى سيخبر (كفى بالله شهيدا) لما أظهر من الادلة على رسالتى (ومن عنده علم الكتاب) والذى عنده علم القرآن وما ألف عليه من النظم المعجز الفائت لقوى البشر وقيل ومن هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا لانهم يشهدون بنعته فى كتبهم وقيل هو الله عز وعلا والكتاب اللوح المحفوظ وعن الحسن لا والله ما يعنى الا الله والمعنى كفى بالذى يستحق العبادة وبالذى لا يعلم علم ما فى اللوح الا هو شهيدا بينى وبينكم وتعضده قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة أى ومن لدنه علم الكتاب لان علم من علمه من فضله ولطفه وقرئ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة وعلم على البناء للمفعول وقرئ وبمن عنده علم الكتاب (فان قلت) بم ارتفع علم الكتاب (قلت) فى القراءة التى وقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالمقدر فى الظرف فيكون فاعلا لان الظرف اذا وقع صلة أوغل فى شبه الفعل لاعتماده على الموصول فعمل عمل الفعل كقولك مررت بالذى فى الدار أخوه فأخوه فاعل كما تقول بالذى استقر فى الدار أخوه وفى القراءة التى لم يقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالابتداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد أعطى من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله

﴿سورة ابراهيم عليه السلام مكية وهى احدى وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(كتاب) هو كتاب يعنى السورة *وقرئ ليخرج الناس *والظلمات والنور استعارتان للضلال والهدى (باذن ربهم) بتسهيله وتيسيره مستعار من الاذن الذى هو تسهيل للحجاب وذلك ما يمنحهم من اللطف والتوفيق (الى صراط العزيز الحميد) بدل من قوله الى النور بتكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم ويجوز أن يكون على وجه الاستئناف كأنه قيل الى أى نور فقيل الى صراط العزيز الحميد وقوله (الله) عطف بيان للعزيز الحميد لانه جرى مجرى الاسماء الاعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الذى تحق له العبادة كما غلب النجم فى الثريا وقرئ بالرفع على هو الله *الويل نقيض الوأل وهو النجاة اسم معنى كالهلاك

أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب

﴿سورة ابراهيم عليه السلام مكية وهى احدى وخمسون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الر كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض وويل للكافرين

الا انه لا يشتق منه فعل انما يقال ويلا له فينصب نصب المصادر ثم يرفع رفعها لافادة معنى الثبات فيقال ويل له كقوله سلام عليك ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر الى نور الايمان توعد الكافرين بالويل (فان قلت) ما وجه اتصال قوله (من عذاب شديد) بالويل (قلت) لان المعنى أنهم يولولون من عذاب شديد ويضجون منه ويقولون يا ويلاه كقوله دعوا هنالك ثبورا (الذين يستحبون) مبتدأ خبره أولئك في ضلال بعيد ويجوز أن يكون مجرورا صفة للكافرين ومنصوبا على الذم أو مرفوعا على أعني الذين يستحبون أو هم الذين يستحبون والاستحباب الايثار والاختيار وهو استفعال من المحبة لان المؤثر للشئ على غيره كأنه يطلب من نفسه أن يكون أحب اليها وأفضل عندها من الآخر * وقرأ الحسن ويصدون بضم الياء وكسر الصاد يقال صده عن كذا وأصده قال * أناس أصدوا الناس بالسيف عنهم * والهمزة فيه داخلة على صد صدودا لتنقله من غير التعدي الى التعدي وأما صده فموضوع على التعدية كمنعه وليست بفصيحة كأوقفه لان الفصحاء استغنوا بصده ووقفه عن تكلف التعدية بالهمزة (ويبغونها عوجا) ويطلبون لسبيل الله زيغا واعوجاجا وأن يدلوا الناس على أنها سبيل ناكبة عن الحق غير مستوية والاصل ويبغون لها فحذف الجار وأوصل الفعل (في ضلال بعيد) أي ضلوا عن طريق الحق ووقفوا دونه بمراحل (فان قلت) فما معنى وصف الضلال بالبعد (قلت) هو من الاسناد المجازي والبعد في الحقيقة للضال لانه هو الذي يتباعد عن الطريق فوصف به فعله كما تقول جد جده ويجوز أن يراد في ضلال ذي بعد أو فيه بعد لان الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وبعيدا (الا بلسان قومه ليبين لهم) أي ليفقهوا عنه ما يدعوهم اليه فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به كما قال ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته (فان قلت) لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب وحدهم وانما بعث الى الناس جميعا قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل الى الثقلين وهم على ألسنة مختلفة فان لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة وان لم تكن لغيرهم حجة فلو نزل بالعجمية لم تكن للعرب حجة أيضا (قلت) لا يخلو اما أن ينزل بجميع الالسنة أو بواحد منها فلا حاجة الى نزوله بجميع الالسنة لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فبقي أن ينزل بلسان واحد فكان أولى الالسنة لسان قوم الرسول لانهم أقرب اليه فاذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم وانتشر قامت التراجم ببيانه وتفهيمه كما ترى الحال وتشاهدها من نيابة التراجم في كل أمة من أمم العجم مع ما في ذلك من اتفاق أهل البلاد المتباعدة والاقطار المتنازحة والامم المختلفة والاجيال المتفاوتة على كتاب واحد واجتهادهم في تعلم لفظه وتعلم معانيه وما يتشعب من ذلك من جلائل الفوائد وما يتكاثر في اتعاب النفوس وكد القرائح فيه من القرب والطاعات المفضية الى جزيل الثواب ولانه أبعد من التحريف والتبديل وأسلم من التنازع والاختلاف ولانه لو نزل بألسنة الثقلين كلها مع اختلافها وكثرتها وكان مستقلا بصفة الاعجاز في كل واحد منها وكلم الرسول العربي كل أمة بلسانها كما كلم أمته التي هو منها يتلوه عليهم معجزا لكان ذلك أمرا قريبا من الالجاء ومعنى بلسان قومه بلغة قومه وقرئ بلسن قومه واللسن واللسان كالريش والرياش بمعنى اللغة وقرئ بلسن قومه بضم اللام والسين مضمومة أو ساكنة وهو جمع لسان كعماد وعمد وعمد على التخفيف وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم ورووه عن الضحاك وأن الكتب كلها أنزلت بالعربية ثم أداها كل نبي بلغة قومه وليس بصحيح لان قوله ليبين لهم ضمير القوم وهم العرب فيؤدي الى أن الله أنزل التوراة من السماء بالعربية ليبين للعرب وهذا معنى فاسد (فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء) كقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن لان الله لا يضل الا من يعلم أنه لن يؤمن ولا يهدي الا من يعلم أنه يؤمن والمراد بالاضلال التخلية ومنع الالطاف وبالهداية التوفيق واللطف فكان ذلك كناية عن الكفر والايمان (وهو العزيز) فلا يغلب على مشيئته (الحكيم) فلا يخذل الا أهل الخذلان ولا يلطف الا بأهل اللطف

(ان

من عذاب شديد الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا أولئك في ضلال بعيد وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم ولقد أرسلنا موسى بآياتنا

القول في سورة ابراهيم عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم (قال أي ليفقهوا عنه ما يدعوهم اليه فلا يكون لهم حجة الخ) قال أحمد جميع الفصل مرضي لكن في هذه النكتة نظر لان فيها اشعارا بأن اعجاز القرآن من حيث اللغة العربية خاصة يتقاصر عن اعجازه لو قدر منزلا بكل لسان حتى انه لو ينزل بجميع اللغات لبلغ من الوضوح الى حد يكاد أن يكون الجاء الى الايمان به وهذا فيه نظر والقول به غير متعين لان المعجز يفيد العلم بصدق من ظهر على يده ومتى حصل العلم لم يكن بين علم وعلم تفاوت ولا ترجيح فلو نزل القرآن بجميع اللغات لكان العلم الحاصل منه وقد نزل بلغة واحدة هو العلم الحاصل منه لو نزل بالجميع لا تفاوت ولا ترجيح بين العلمين هذا هو التحقيق والله أعلم والزمخشري يبني في كثير من كلامه على ان العلوم تتفاوت وتنقسم الى جلي وأجلى وهو من الحق بمعزل وانما تلقن ذلك طائفة ظاهرية والله الموفق

(أن أخرج) بمعنى أى أخرج لان الارسال فيه معنى القول كأنه قيل أرسلناه وقلنا له أخرج ويجوز أن تكون أن الناصبة للفعل وانما صلح أن توصل بفعل الامر لان الغرض وصلها بما تكون معه فى تأويل المصدر وهو الفعل والامر وغيره سواء فى الفعلية والدليل على جواز أن تكون الناصبة للفعل قولهم أوعز اليه بأن افعل فأدخلوا عليها حرف الجر وكذلك التقدير بأن أخرج قومك (وذكرهم بأيام الله) وأنذرهم بوقائعه التى وقعت على الامم قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ومنه أيام العرب لحروبها وملاحمها كيوم ذى قار ويوم الفجار ويوم قضة وغيرها وهو الظاهر وعن ابن عباس رضى الله عنه نعماؤه وبلاؤه فأما نعماؤه فانه ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم البحر وأما بلاؤه فاهلاك القرون (لكل صبار شكور) يصبر على بلاء الله ويشكر نعماءه فاذا سمع بما أنزل الله من البلاء على الامم أو أفاض عليهم من النعم تنبه على ما يجب عليه من الصبر والشكر واعتبر وقيل أراد لكل مؤمن لان الشكر والصبر من سجاياهم تنبيها عليهم (اذ أنجاكم) ظرف للنعمة بمعنى الانعام أى انعامه عليكم ذلك الوقت (فان قلت) هل يجوز أن ينتصب بعليكم (قلت) لا يخلو من أن يكون صلة للنعمة بمعنى الانعام أو غير صلة اذا أردت بالنعمة العطية فاذا كان صلة لم يعمل فيه واذا كان غير صلة بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم عمل فيه ويتبين الفرق بين الوجهين أنك اذا قلت نعمة الله عليكم فان جعلته صلة لم يكن كلاما حتى تقول فائضة أو نحوها والا كان كلاما ويجوز أن يكون اذ بدلا من نعمة الله أى اذكروا وقت انجائكم وهو من بدل الاشتمال (فان قلت) فى سورة البقرة يذبحون وفى الاعراف يقتلون وههنا (ويذبحون) مع الواو فما الفرق (قلت) الفرق أن التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيرا للعذاب وبيانا له وحيث أثبت جعل التذبيح لانه أوفى على جنس العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة كأنه جنس آخر (فان قلت) كيف كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم (قلت) تمكينهم وامهالهم حتى فعلوا ما فعلوا ابتلاء من الله ووجه آخر وهو أن ذلك اشارة الى الانجاء وهو بلاء عظيم والبلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعا قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال زهير

* فأبلاهما خير البلاء الذى يبلو *

(واذ تأذن ربكم) من جملة ما قال موسى لقومه وانتصابه للعطف على قوله نعمة الله عليكم كأنه قيل واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم ومعنى تأذن ربكم آذن ربكم ونظير تأذن وآذن توعد وأوعد وتفضل وأفضل ولا بد فى تفعل من زيادة معنى ليس فى أفعل كأنه قيل واذ آذن ربكم ايذانا بليغا تنتفى عنده الشكوك وتنزاح الشبه والمعنى واذ تأذن ربكم فقال (لئن شكرتم) أو أجرى تأذن مجرى قال لانه ضرب من القول وفى قراءة ابن مسعود واذ قال ربكم لئن شكرتم أى لئن شكرتم يا بنى اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالايمان الخالص والعمل الصالح (لأزيدنكم) نعمة الى نعمة ولأضاعفن لكم ما آتيتكم (ولئن كفرتم) وغمطتم ما أنعمت به عليكم (ان عذابى لشديد) لمن كفر نعمتى (وقال موسى ان تكفروا أنتم) يا بنى اسرائيل والناس كلهم فانما ضررتم أنفسكم وحرمتموها الخير الذى لا بد لكم منه وأنتم اليه محاويج والله غنى عن شكركم (حميد) مستوجب للحمد بكثرة أنعمه وأياديه وان لم يحمده الحامدون (والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله) جملة من مبتدا وخبر وقعت اعتراضا أو عطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى أنهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله وعن ابن عباس رضى الله عنه بين عدنان واسمعيل ثلاثون أبا لا يعرفون وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون يعنى أنهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله علمها عن العباد (فردوا أيديهم فى أفواههم) فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ أو ضحكا واستهزاء كمن غلبه الضحك فوضع يده على فيه أو أشاروا بأيديهم الى ألسنتهم وما نطقت به من قولهم (انا كفرنا بما أرسلتم به) أى هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره اقناطا لهم من التصديق

أن أخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بأيام الله ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد وقال موسى ان تكفروا أنتم ومن فى الارض جميعا فان الله لغنى حميد ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم فى أفواههم وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به وانا لفى شك

* قوله تعالى جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم فى أفواههم) قال معناه عضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل الخ) قال أحمد وأقوى هذه الوجوه هذا الوجه الذى نبه المصنف على اختصاصه بالقوة وانما كان كذلك لان اقناطهم الرسل من الايمان قولا وفعلا لا يوضع اليد فى الفم هو المناسب لحدهم فى الكفر وتصدير العبارة بالحرف المؤكد ومواجهة الرسل بضمائر الخطاب واعادة ذلك مبالغة فى التأكيد وايس السياق يناسب للضحك ولا الغيظ ولا التصميت الرسل كمناسبته لاقناطهم من القبول ألا ترى أنهم لما أعادوا الرسل القول ولم يشكروا عليهم عودهم الى المجادلة دل على أنهم لم يسكتوهم أولا ولا كان غرضهم ذلك والله أعلم

الاترى الى قوله فردوا أيديهم فى أفواههم وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به وهذا قول قوى أو وضعوها على أفواههم يقولون للانبياء أطبقوا أفواهكم واسكتوا أو ردوها فى أفواه الانبياء يشيرون لهم الى السكوت أو وضعوها على أفواههم يسكتونهم ولا يذرونهم يتكلمون وقيل الايدى جمع يد وهى النعمة بمعنى الايادى أى ردوا نعم الانبياء التى هى أجل النعم من مواعظهم ونصائحهم وما أوحى اليهم من الشرائع والآيات فى أفواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكأنهم ردوها فى أفواههم ورجعوها الى حيث جاءت منه على طريق المثل (مما تدعوننا اليه) من الايمان بالله وقرئ تدعونا بادغام النون (مريب) موقع فى الريبة أو ذى ريبة من أرابه وأراب الرجل وهى قلق النفس وأن لا تطمئن الى الامر (أفى الله شك) أدخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام ليس فى الشك انما هو فى المشكوك فيه وأنه لا يحتمل الشك لظهور الادلة وشهادتها عليه (يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم) أى يدعوكم الى الايمان ليغفر لكم أو يدعوكم لاجل المغفرة كقوله دعوته لينصرنى ودعوته ليأكل معى وقال

دعوت لما نابنى مسورا • فلبى فلبى يدى مسور

(فان قلت) ما معنى التبعيض فى قوله من ذنوبكم (قلت) ما علمته جاء هكذا الا فى خطاب الكافرين كقوله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال فى خطاب المؤمنين هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم الى أن قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يقفك عليه الاستقراء وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوى بين الفريقين فى الميعاد وقيل أريد أنه يغفر لهم ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم ونحوها (ويؤخركم الى أجل مسمى) الى وقت قد سماه الله وبين مقداره يبلغكموه ان آمنتم والا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت (ان أنتم) ما أنتم (الا بشر مثلنا) لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو أرسل الله الى البشر رسلا لجعلهم من جنس أفضل منهم وهم الملائكة (بسلطان مبين) بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات والحجج وانما أرادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا (ان نحن الا بشر مثلكم) تسليم لقولهم وأنهم بشر مثلهم يعنون أنهم مثلهم فى البشرية وحدها فأما ما وراء ذلك فما كانوا أمثالهم ولكنهم لم يذكروا فضلهم تواضعا منهم واقتصروا على قولهم (ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) بالنبوة لانه قد علم أنه لا يختصهم بتلك الكرامة الا وهم أهل لاختصاصهم بها لخصائص فيهم قد استأثروا بها على أبناء جنسهم (الا باذن الله) أرادوا أن الاتيان بالآية التى اقترحتموها ليس الينا ولا فى استطاعتنا وما هو الا أمر يتعلق بمشيئة الله (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أمر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به أنفسهم قصدا أوليا وأمروها به كأنهم قالوا ومن حقنا أن نتوكل على الله فى الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وما يجرى علينا منكم الاترى الى قوله (وما لنا أن لا نتوكل على الله) ومعناه وأى عذر لنا فى أن لا نتوكل عليه (وقد هدانا) وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل واحد منا سبيله الذى يجب عليه سلوكه فى الدين (فان قلت) كيف كرر الامر بالتوكل (قلت) الاول لاستحداث التوكل وقوله (فليتوكل المتوكلون) معناه فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا من توكلهم وقصدهم الى أنفسهم على ما تقدم (لنخرجنكم • أو لتعودن) ليكونن أحد الامرين لا محالة اما اخراجكم واما عودكم حالفين على ذلك (فان قلت) كأنهم كانوا على ملتهم حتى يعودوا فيها (قلت) معاذ الله ولكن العود بمعنى الصيرورة وهو كثير فى كلام العرب كثرة فاشية لا تكاد تسمعهم يستعملون صار ولكن عاد ما عدت أراه عاد لا يكلمنى ما عاد لفلان مال أو خاطبوا به كل رسول ومن آمن به فغلبوا فى الخطاب الجماعة على الواحد (لنهلكن الظالمين) حكاية تقتضى اضمار القول أو اجراء الايحاء مجرى القول لانه ضرب منه وقرأ أبو حيوة ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبار الاوحى وأن لفظه لفظ الغيبة

مما تدعوننا اليه مريب قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى قالوا ان أنتم الا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك

• عاد كلامه (قال وقولهم ان أنتم الا بشر مثلنا معناه فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو أرسل الله الى البشر رسلا لجعلهم من جنس أفضل منهم وهم الملائكة) قال أحمد ومن تم الكه على الانتصار لاعتقاده تفضيل الملائكة على الرسل من البشر بنسبته حتى جعل الكفار على أنهم كانوا يعتقدون كمعتقد القدرية فى تفضيل الملك على الرسول لانه يدعى ذلك أمرا مركوزا فى الطباع معلوما ضرورة والله الموفق

• قوله تعالى وعلى الله فليتوكل المؤمنون الخ (قال ان قلت كيف كرر ذلك بعد قوله وعلى الله فليتوكل المؤمنون الخ) قال أحمد وبهذا يخرج عن وادى من قتل قتيلا فله سلبه والله أعلم

ونحوه

ونحوه قولك أقسم زيد ليخرجن ولا نخرجن * والمراد بالارض أرض الظالمين وديارهم ونحوه وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وأورثكم أرضهم وديارهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من آذى جاره ورثه الله داره ولقد عاينت هذا في مدة قريبة كان لي خال يظلمه عظيم القرية التي أنا منها ويؤذيني فيه فمات ذلك العظيم وملكني الله ضيعته فنظرت يوما الى أبناء خالي يترددون فيها ويدخلون في دورها ويخرجون ويأمرون وينهون فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثتهم به وسجدنا شكرا لله (ذلك) اشارة الى ما قضى به الله من اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم أي ذلك الامر حق (لمن خاف مقامي) موقفي وهو موقف الحساب لانه موقف الله الذي يقف فيه عباده يوم القيامة أو على اقحام المقام وقيل خاف قيامي عليه وحفظي لاعماله والمعنى أن ذلك حق للمتقين كقوله والعاقبة للمتقين (واستفتحوا) واستنصروا الله على أعدائهم ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح أو استحكموا الله وسألوه القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على أوحى اليهم وقرئ واستفتحوا بلفظ الامر وعطفه على لنهلكن أي أوحى اليهم ربهم وقال لهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا (وخاب كل جبار عنيد) معناه فنصروا وظفروا وأفلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم وقيل واستفتح الكفار على الرسل ظنا منهم بأنهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه (من ورائه) من بين يديه قال عسى الكرب الذي أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب

وهذا وصف حاله وهو في الدنيا لانه مرصد لجهنم فكأنها بين يديه وهو على شفيرها أو وصف حاله في الآخرة حين يبعث ويوقف (فان قلت) علام عطف (ويسقى) (قلت) على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد كأنه أشد عذابها فخصص بالذكر مع قوله ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت (فان قلت) ما وجه قوله تعالى (من ماء صديد) (قلت) صديد عطف بيان لماء قال ويسقى من ماء فأبهمه ابهاما ثم بينه بقوله صديد وهو ما يسيل من جلود أهل النار (يتجرعه) يتكلف جرعه (ولا يكاد يسيغه) دخل كاد للمبالغة يعني ولا يقارب أن يسيغه فكيف تكون الاساغة كقوله لم يكد يراها أي لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها (ويأتيه الموت من كل مكان) كأن أسباب الموت وأصنافه كلها قد تألبت عليه وأحاطت به من جميع الجهات تفظيعا لما يصيبه من الآلام وقيل من كل مكان من جسده حتى من ابهام رجله وقيل من أصل كل شعرة (ومن ورائه) ومن بين يديه (عذاب غليظ) أي في كل وقت يستقبله يتلقى عذابا أشد مما قبله وأغلظ وعن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد ويحتمل أن يكون أهل مكة قد استفتحوا أي استمطروا والفتح المطر في سني القحط التي أرسلت عليهم بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يسقوا فذكر سبحانه ذلك وأنه خيب رجاء كل جبار عنيد وأنه يسقى في جهنم بدل سقياه ماء آخر وهو صديد أهل النار واستفتحوا على هذا التفسير كلام مستأنف منقطع عن حديث الرسل وأممهم * هو مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه تقديره وفيما يقص عليك (مثل الذين كفروا بربهم) والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة (وقوله أعمالهم كرماد) جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل أعمالهم كرماد ويجوز أن يكون المعنى مثل أعمال الذين كفروا بربهم أو هذه الجملة خبر المبتدأ أي صفة الذين كفروا أعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول أو يكون أعمالهم بدلا من مثل الذين كفروا على تقدير مثل أعمالهم وكرماد الخبر * وقرئ الرياح (في يوم عاصف) جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح أو الرياح كقولك يوم ماطر وليلة ساكرة وانما السكور لريحها وقرئ في يوم عاصف بالاضافة وأعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفداء الاسارى وعقر الابل للاضياف واغاثة الملهوفين والاجارة وغير ذلك من صنائعهم شبهها في حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائهم اياها على غير أساس من معرفة الله والايمان به وكونها لوجهه برماد طيرته الريح العاصف (لا يقدرون) يوم القيامة (مما كسبوا) من أعمالهم (على شيء) أي لا يرون له أثرا من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير في الريح على شيء (ذلك هو الضلال البعيد)

لمن خاف مقامي وخاف وعيد واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد ألم تر أن الله خلق السموات والارض

* قوله تعالى ألم تر أن الله خلق السموات والارض بالحق ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز (قال معناه خلقها بالحكمة والغرض الصحيح الخ) قال أحمد وهذا من اعتزاله الخفي وقد تقدمت أمثاله * عاد كلامه (قال معناه وما ذلك على الله بعزيز أي هين عليه لانه قادر بالذات الخ) قال أحمد وهذا اعتزال صراح لم يتقنع في ابرازه وما أبشع قوله عن الله جل جلاله خاص له الداعي وأمضى الصارف وما أنباه عن سمع المحققين العارفين بآداب الله تعالى وبما يجب في حق جلاله وقد تقدم ما فيه كفاية * قوله تعالى فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص (قال الذي قال لهم الضعفاء كان توبيخا لهم الخ) قال أحمد لما استشعر دلالة الآية لعقيدة السنة المتعلقة على أن الله تعالى مهما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأن هداية المشركين مما لم يشأه ولو شاءها لاهتدوا وانما تنشأ هذه الدلالة من ايراد هذا الكلام عن الكفار في دار الحق حين حقت لهم الحقائق وانكشف الغطاء والمقصود من اقتصاصه انذار أمثالهم في الدنيا وتحذيرهم من الحسرة والندم في الآخرة اذا حق عليهم العذاب واعترفوا بالحق وقالوا القول المذكور وهذا يرشد الى أنه كلام صحيح المعنى لو فطن الزمخشري لذلك شرع في تقرير تخطئتهم في هذا القول في الآخرة كما خطأهم في الدنيا بتم له اعتقاد أن الله يشاء ما لا يكون ويكون ما لا يشاء ومن ذلك هداية الكفار فان الله تعالى يشاءها في الدنيا لكنها لم تكن وأنى له ذلك وسياق الآية يصوب الكلام المذكور وينذر الغافلين عنه في الدنيا ويحذرهم من التورط فيما يؤدي الى هذا الندم حيث لا ينفع ويجر الى هذه الحسرة اذ لا ينجع كما أورد كلام الشيطان عقيب ذلك حين يعترف بالحق في دار الحق وحيث لا ينفعه ايمانه فيقول ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم الخ وانما سيق تحذيرا وانذارا اتفاقا والله الموفق

بالحق ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم

اشارة الى بعد ضلالهم عن طريق الحق أو عن الثواب (بالحق) بالحكمة والغرض الصحيح والامر العظيم ولم يخلقها عبثا ولا شهوة * وقرئ خالق السموات والارض (ان يشأ يذهبكم) أي هو قادر على أن يعدم الناس ويخلق مكانهم خلقا آخر على شكلهم أو على خلاف شكلهم اعلاما منه باقتداره على اعدام الموجود وايجاد المعدوم يقدر على الشيء وجنس ضده (وما ذلك على الله بعزيز) بمتعذر بل هو هين عليه يسير لانه قادر الذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور فاذا خلص له الداعي الى شيء وانتفى الصارف تكون من غير توقف كتحريكك اصبعك اذا دعاك اليه داع ولم يعترض دونه صارف وهذه الآية بيان لابعادهم في الضلال وعظيم خطئهم في الكفر بالله لوضوح آياته الشاهدة له الدالة على قدرته الباهرة وحكمته البالغة وأنه هو الحقيق بأن يعبد ويخاف عقابه ويرجى ثوابه في دار الجزاء (وبرزوا لله) ويبرزون يوم القيامة وانما جيء به بلفظ الماضي لان ما أخبر به عز وعلا لصدقه كأنه قد كان ووجد ونحوه ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب النار ونظائره ومعنى بروزهم لله والله تعالى لا يتوارى عنه شيء حتى يبرز له أنهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون أن ذلك خاف على الله فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند أنفسهم وعلموا أن الله لا يخفى عليه خافية أو خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه (فان قلت) لم كتب (الضعفوا) بواو قبل الهمزة (قلت) كتب على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو ونظيره علمؤا بني اسرائيل والضعفاء الاتباع والعوام * والذين استكبروا سادتهم وكبراؤهم الذين استتبعوهم واستغووهم وصدوهم عن الاستماع الى الانبياء واتباعهم (تبعا) تابعين جمع تابع على تبع كقولهم خادم وخدم وغائب وغيب أو ذوي تبع والتبع الاتباع يقال تبعه تبعا (فان قلت) أي فرق بين من في (من عذاب الله) وبينه في (من شيء) (قلت) الاولى للتبيين والثانية للتبعيض كأنه قيل هل أنتم مغنون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب الله ويجوز أن تكونا للتبعيض معا بمعنى هل أنتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله أي بعض بعض عذاب الله (فان قلت) فما معنى قوله (لو هدانا الله لهديناكم) (قلت) الذي قال لهم الضعفاء كان توبيخا لهم وعتابا على استتباعهم واستغوائهم وقولهم فهل أنتم مغنون عنا من باب التبكيت لانهم قد علموا أنهم لا يقدرون على الاغناء عنهم فأجابوهم معتذرين عما كان منهم اليهم بأن الله لو هداهم الى الايمان لهدوهم ولم يضلوهم اما موركين الذنب في ضلالهم واضلالهم على الله كما حكى الله عنهم وقالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء يقولون ذلك في الآخرة كما كانوا يقولونه في الدنيا ويدل عليه قوله حكاية عن المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء واما أن يكون المعنى لو كنا من أهل اللطف فلطف بنا ربنا واهتدينا لهديناكم الى الايمان وقيل معناه

لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم أى لأغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم طريق الهلكة (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) مستويان علينا الجزع والصبر والهمزة وأم للتسوية ونحوه اصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم وروى أنهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا (فان قلت) كيف اتصل قوله سواء علينا بما قبله (قلت) اتصاله به من حيث ان عتابهم لهم كان جزعا مما هم فيه فقالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا يريدون أنفسهم واياهم لاجتماعهم فى عقاب الضلالة التى كانوا مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة فى الجزع كما لا فائدة فى الصبر والامر من ذلك أطم أولما قالوا لو هدانا الله طريق النجاة لأغنينا عنكم وأنجينا كم أتبعوه الاقناط من النجاة فقالوا (ما لنا من محيص) أى منجى ومهرب جزعنا أم صبرنا و يجوز أن يكون من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا كأنه قيل قالوا جميعا سواء علينا كقوله ذلك ليعلم أنى لم أخنه والمحيص يكون مصدرا كالمغيب والمشيب ومكانا كالمبيت والمصيف ويقال حاص عنه وجاص بمعنى واحد (لما قضى الامر) لما قطع الامر وفرغ منه وهو الحساب وتصادر الفريقين ودخول أحدهما الجنة ودخول الآخر النار وروى أن الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا فى الاشقياء من الجن والانس فيقول ذلك (ان الله وعدكم وعد الحق) وهو البعث والجزاء على الاعمال فوفى لكم بما وعدكم (ووعدتكم) خلاف ذلك (فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان) من تسلط وقهر فأقسركم على الكفر والمعاصى وألجئكم اليها (الا أن دعوتكم) الا دعائى اياكم الى الضلالة بوسوستى وتزيينى وليس الدعاء من جنس السلطان ولكنه كقولك ما تحيتهم الا الضرب (فلا تلومونى ولوموا أنفسكم) حيث اغتررتم بى وأطعتمونى اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم اذ دعاكم وهذا دليل على أن الانسان هو الذى يختار الشقاوة أو السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقال فلا تلومونى ولا أنفسكم فان الله قضى عليكم الكفر وأجبركم عليه (فان قلت) قول الشيطان باطل لا يصح التعلق به (قلت) لو كان هذا القول منه باطلا لبين الله بطلانه وأظهر انكاره على أنه لا طائل له فى النطق بالباطل فى ذلك المقام ألا ترى الى قوله ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم كيف أتى فيه بالحق والصدق وفى قوله وما كان لى عليكم من سلطان وهو مثل قول الله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين (ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى) لا ينجى بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يغيثه والاصراخ الاغاثة * وقرئ بمصرخى بكسر الياء وهى ضعيفة واستشهدوا لها ببيت مجهول

قال لها هل لك يا تافى * قالت له ما أنت بالمرضى

وكأنه قدر ياء الاضافة ساكنة وقبلها ياء ساكنة فحركها بالكسر لما عليه أصل التقاء الساكنين ولكنه غير صحيح لان ياء الاضافة لا تكون الا مفتوحة حيث قبلها ألف فى نحو عصاى فما بالها وقبلها ياء (فان قلت) جرت الياء الاولى مجرى الحرف الصحيح لاجل الادغام فكأنها ياء وقعت ساكنة بعد حرف صحيح ساكن فحركت بالكسر على الاصل (قلت) هذا قياس حسن ولكن الاستعمال المستفيض الذى هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل اليه القياسات * ما فى (بما أشركتمونى) مصدرية و (من قبل) متعلقة بأشركتمونى يعنى كفرت اليوم باشراككم اياى من قبل هذا اليوم أى فى الدنيا كقوله تعالى ويوم القيامة يكفرون بشرككم ومعنى كفره باشراككم اياه تبرؤه منه واستنكاره له كقوله تعالى انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وقيل من قبل يتعلق بكفرت وما موصولة أى كفرت من قبل حين أبيت السجود لآدم بالذى أشركتمونيه

سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى انى كفرت بما أشركتمون من قبل

---

* قوله تعالى وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم الخ (قال وروى ان الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا الخ) قال أحمد قد حمل قول الكفار فى الآية الاولى على ابطال الاتصال لانه لا يلائم معتقده واستشهد على ان الكذب حينئذ غير ممتنع ولا متعذر بقوله تعالى فيحلفون له كما يحلفون لكم ثم لما ظن ان قول الشيطان هذا يلائم معتقده اجتهد فى الاستدلال على تصويبه وتصحيحه وان كان قائله الشيطان كل ذلك منه اتباع للهوى حيثما توجه وأينما سلك ونحن معاشر أهل السنة الملقبين عنده بالجبرة نقول ان الله تعالى انما أورد هذا الكلام غير راد له ولا مخطئ فيه الشيطان كما اقتص كلام الكفار فى الآية الاولى كذلك ونحن نعتقد ان الملامة انما تتوجه على المكلف وأما الله تعالى فقد قدس عن ذلك وحجته البالغة وقضاؤه الحق وذلك أن نعترف بما خلقه الله تعالى للعبد من الاختيار الذى يجده من نفسه عند تجاذب طرفى الافعال الارادية ضرورة وبذلك قامت الحجة له على خلقه وان سلبناعن قدرة الخلق تأثيرها فى الفعل فلا تناقض اذا بين عقيدة السنة وبين صرف الملامة الى المكلف والله الموفق

وهو الله عز وجل تقول شركت زيدا فاذا نقلت بالهمزة قلت أشركنيه فلان أى جعلني له شريكا ونحو ما هذه ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومعنى اشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الاوثان وغيرها وهذا آخر قول ابليس وقوله (ان الظالمين) قول الله عز وجل ويحتمل أن يكون من جملة قول ابليس وانما حكى الله عز وجل ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون لطفا للسامعين في النظر لعاقبتهم والاستعداد لما لابد لهم من الوصول اليه وأن يتصوروا في أنفسهم ذلك المقام الذى يقول الشيطان فيه ما يقول فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه وينجيهم • وقرئ فلا يلوموني بالياء على طريقة الالتفات كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم • وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد وأدخل الذين آمنوا على فعل المتكلم بمعنى وأدخل أنا وهذا دليل على أنه من قول الله لا من قول ابليس (باذن ربهم) متعلق بأدخل أى أدخلتهم الملائكة الجنة باذن الله وأمره • (فان قلت) فبم يتعلق في القراءة الاخرى وقولك وأدخلهم أنا باذن ربهم كلام غير ملتئم (قلت) الوجه في هذه القراءة أن يتعلق قوله باذن ربهم بما بعده أى (تحيتهم فيها سلام) باذن ربهم يعنى أن الملائكة يحيونهم باذن ربهم • قرئ ألم تر ساكنة الراء كما قرئ من يتق وفيه ضعف (ضرب الله مثلا) اعتمد مثلا ووضعه و(كلمة طيبة) نصب بمضمر أى جعل كلمة طيبة (كشجرة طيبة) وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس ويجوز أن ينتصب مثلا وكلمة بضرب أى ضرب كلمة طيبة مثلا بمعنى جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة على أنها خبر مبتدا محذوف بمعنى هى كشجرة طيبة (أصلها ثابت) يعنى في الارض ضارب بعروقه فيها (وفرعها) وأعلاها ورأسها (في السماء) ويجوز أن يريد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس وقرأ أنس بن مالك كشجرة طيبة ثابت أصلها (فان قلت) أى فرق بين القراءتين (قلت) قراءة الجماعة أقوى معنى لان في قراءة أنس أجريت الصفة على الشجرة واذا قلت مررت برجل أبوه قائم فهو أقوى معنى من قولك مررت برجل قائم أبوه لان المخبر عنه انما هو الاب لا رجل والكلمة الطيبة كلمة التوحيد وقيل كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة وعن ابن عباس شهادة أن لا اله الا الله وأما الشجرة فكل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان وغير ذلك وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ان الله ضرب مثل المؤمن شجرة فأخبروني ما هى فوقع الناس في شجر البوادى وكنت صبيا فوقع في قلبي أنها النخلة فهبت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقولها وأنا أصغر القوم وروى فمنعني مكان عمر واستحييت فقال لى عمر يا بنى لو كنت قلتها لكانت أحب الى من حمر النعم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا انها النخلة وعن ابن عباس رضى الله عنهما شجرة في الجنة وقوله في السماء معناه في جهة العلو والصعود ولم يرد المظلة كقولك في الجبل طويل في السماء تريد ارتفاعه وشموخه (تؤتى أكلها كل حين) تعطى ثمرها كل وقت وقته الله لاثمارها (باذن ربها) بتيسير خالقها وتكوينه (لعلهم يتذكرون) لان في ضرب الامثال زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعانى (كشجرة خبيثة) كمثل شجرة خبيثة أى صفتها كصفتها • وقرئ ومثل كلمة بالنصب عطفا على كلمة طيبة والكلمة الخبيثة كلمة الشرك وقيل كل كلمة قبيحة وأما الشجرة الخبيثة فكل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل والكشوث ونحو ذلك وقوله (اجتثت من فوق الارض) في مقابلة قوله أصلها ثابت ومعنى اجتثت استؤصلت وحقيقة الاجتثاث أخذ الجثة كلها (ما لها من قرار) أى استقرار يقال قر الشئ قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها القول الذى لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت والذى لا يبقى انما يضمحل عن قريب لبطلانه من قولهم الباطل لجلج وعن قتادة أنه قيل لبعض العلماء ما تقول في كلمة خبيثة فقال ما أعلم لها في الارض مستقرا ولا في السماء مصعدا الا أن تلزم عنق صاحبها حتى يوافى بها

ان الظالمين لهم عذاب أليم وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار يثبت الله الذين آمنوا

• قوله تعالى وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام (قال وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد وأدخل الذين آمنوا على فعل المتكلم الخ) قال أحمد • فان قلت ما الذى صرف الزمخشرى عن حمله على الالتفات من التكلم الى الغيبة وألجأه الى تعلقه بما بعده وقد كانت له في ذلك مندوحة والالتفات على هذا الوجه كثير مستفيض ألا ترى الى قوله تعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ثم قال تنزيلا ممن خلق الارض ولم يقل تنزيلا منا • قلت لامر ما صرف الكلام عن هذا الوجه وهو أن ظاهر أدخل بلفظ المتكلم يشعر بأن ادخالهم الجنة لم يكن بواسطة بل من الله تعالى مباشرة وظاهر الاذن يشعر باضافة الدخول الى الواسطة فبينهما تنافر ولكن يحسن عندى أن يعلق بخالدين والخلود غير الدخول فلا تنافر والله أعلم

* قوله تعالى قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة الآية (قال فيه المقول محذوف الخ) قال أحمد وفى هذا الاعراب نظر لان الجواب حينئذ يكون خبرا من الله تعالى بانه ان قال لهم هذا القول امتثلوا مقتضاه فأقاموا الصلاة وأنفقوا ولكنهم قد قيل لهم فلم يمتثل كثير منهم وخبر الله تعالى يجل عن الخلف وهذه النكتة هى الباعثة لكثير من المعربين على العدول (٦٦٥) عن هذا الوجه من الاعراب مع تبادره فيما اذكر بادى الرأى ويمكن تصحيحه بحمل العام على الغالب لا على الاستغراق ويقوى بوجهين لطيفين أحدهما ان هذا النظم لم يرد الا موصوف بالايمان الحق المنوه باعانه عند الامر كهذه الآية وكقوله وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن وقل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن الثانى تكرر مجيئه للموصوفين بانهم عباد الله المشرفون باضافتهم الى اسم الله وقد قالوا ان لفظ العباد لم يرد فى الكتاب العزيز الا مدحة للمؤمنين وخصوصا اذا انضاف اليه تعالى اضافة التشريف فالحاصل من ذلك ان المأمور فى هذه الآى من هو بصدد الامتثال وفى حيز المسارعة للطاعة فالخبر فى أمثالهم حق وصدق اما على العموم ان أريد أو على الغالب والله أعلم * عاد كلامه قال وجوزوا أن يكون يقيموا بمعنى ليقيموا ويكون هذا هو المقول الخ

بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ألم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فان مصيركم الى النار قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل

القيامة (القول الثابت) الذى ثبت بالحجة والبرهان فى قلب صاحبه وتمكن فيه فاعتقده واطمأنت اليه نفسه وتثبيتهم به فى الدنيا أنهم اذا فتنوا فى دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم أصحاب الاخدود والذين نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم بأمشاط الحديد وكما ثبت جرجيس وشمسون وغيرهما وتثبيتهم فى الآخرة أنهم اذا سئلوا عند تواقف الاشهاد عن معتقدهم ودينهم لم يتلعثموا ولم يبهتوا ولم تحيرهم أهوال الحشر وقيل معناه الثبات عند سؤال القبر وعن البراء بن عازب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم يعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فى قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيى محمد فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت (ويضل الله الظالمين) الذين لم يتمسكوا بحجة فى دينهم وانما اقتصروا على تقليد كبارهم وشيوخهم كما قلد المشركون آباءهم فقالوا انا وجدنا آباءنا على أمة واضلالهم فى الدنيا أنهم لا يثبتون فى مواقف الفتن وتزل أقدامهم أول شئ وهم فى الآخرة أضل وأزل (ويفعل الله ما يشاء) أى ما توجبه الحكمة لان مشيئة الله تابعة للحكمة من تثبيت المؤمنين وتأييدهم وعصمتهم عند ثباتهم وعزمهم ومن اضلال الظالمين وخذلانهم والتخلية بينهم وبين شأنهم عند زللهم (بدلوا نعمت الله) أى شكر نعمة الله (كفرا) لان شكرها الذى وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا فكأنهم غيروا الشكر الى الكفر وبدلوه تبديلا ونحوه وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون أى شكر رزقكم حيث وضعتم التكذيب موضعه ووجه آخر وهو أنهم بدلوا نفس النعمة كفرا على أنهم لما كفروها سلبوها فبقوا مسلوبى النعمة موصوفين بالكفر حاصلا لهم الكفر بدل النعمة وهم أهل مكة أسكنهم الله حرمه وجعلهم قوام بيته وأكرمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر العظيم أو أصابهم الله بالنعمة فى الرخاء والسعة لايلافهم الرحلتين فكفروا نعمته فضربهم بالقحط سبع سنين فحصل لهم الكفر بدل النعمة وكذلك حين أسروا وقتلوا يوم بدر وقد ذهبت عنهم النعمة وبقى الكفر طوقا فى أعناقهم وعن عمر رضى الله عنه هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية فأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر وأما بنو أمية فمتعوا حتى حين وقيل هم متنصرة العرب جبلة بن الايهم وأصحابه (وأحلوا قومهم) ممن تابعهم على الكفر (دار البوار) دار الهلاك * وعطف (جهنم) على دار البوار عطف بيان * قرئ ليضلوا بفتح الياء وضمها (فان قلت) الضلال والاضلال لم يكن غرضهم فى اتخاذ الانداد فما معنى اللام (قلت) لما كان الضلال والاضلال نتيجة اتخاذ الانداد كما كان الاكرام فى قولك جئتك لتكرمنى نتيجة المجئ دخلته اللام وان لم يكن غرضا على طريق التشبيه والتقريب (تمتعوا) ايذان بأنهم لانغماسهم فى التمتع بالحاضر وأنهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه مأمورون به قد أمرهم آمر مطاع لا يسعهم أن يخالفوه ولا يملكون لانفسهم أمرا دونه وهو أمر الشهوة والمعنى ان دمتم على ما أنتم عليه من الامتثال لامر الشهوة (فان مصيركم الى النار) ويجوز أن يراد الخذلان والتخلية ونحوه قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار * المقول محذوف لان جواب قل يدل عليه وتقديره (قل لعبادى الذين آمنوا) أقيموا الصلاة وأنفقوا (يقيموا الصلاة وينفقوا) وجوزوا أن يكون يقيموا وينفقوا بمعنى ليقيموا ولينفقوا ويكون هذا هو المقول قالوا وانما جاز حذف اللام لان الامر الذى هو قل عوض منه ولو قيل يقيموا الصلاة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز (فان قلت) علام انتصب (سرا وعلانية) (قلت) على الحال أى ذوى سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين أو على الظرف أى وقتى سر وعلانية أو على المصدر أى انفاق سر وانفاق علانية والمعنى

انفاق المتطوع به من الصدقات والاعلان بالواجب * والخلال المخالة (فان قلت) كيف طابق الامر بالانفاق
وصف اليوم بأنه (لا بيع فيه ولا خلال) (قلت) من قبل أن الناس يخرجون أموالهم في عقود المعاوضات
فيعطون بدلا ليأخذوا مثله وفي المكارمات ومهاداة الاصدقاء ليستجروا بهداياهم أمثالها أو خيرا منها وأما
الانفاق لوجه الله خالصا كقوله وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى فلا يفعله الا المؤمنون
الخلص فبعثوا عليه ليأخذوا بدله في يوم لا بيع فيه ولا خلال أي لا انتفاع فيه بمبايعة ولا بمخالة ولا بما ينفقون
فيه أموالهم من المعاوضات والمكارمات وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقرئ لا بيع فيه ولا خلال بالرفع
(الله) مبتدأ و(الذي خلق) خبره و(من الثمرات) بيان للرزق أي أخرج به رزقا هو ثمرات ويجوز أن يكون من
الثمرات مفعول أخرج و(رزقا) حالا من المفعول أو نصبا على المصدر من أخرج لانه في معنى رزق (بأمره)
بقوله كن (دائبين) يدأبان في سيرهما وانارتهما ودرئهما الظلمات واصلاحهما ما يصلحان من الارض
والابدان والنبات (وسخر لكم الليل والنهار) يتعاقبان خلفة لمعاشكم وسباتكم (وآتاكم من كل ما سألتموه)
من للتبعيض أي آتاكم بعض جميع ما سألتموه نظرا في مصالحكم وقرئ من كل بالتنوين وما سألتموه نفي ومحله
النصب على الحال أي آتاكم من جميع ذلك غير سائليه ويجوز أن تكون ما موصولة على وآتاكم من كل ذلك
ما احتجتم اليه ولم تصلح أحوالكم ومعايشكم الا به فكأنكم سألتموه أو طلبتموه بلسان الحال (لا تحصوها)
لا تحصروها ولا تطيقوا عدها وبلوغ آخرها هذا اذا أرادوا أن يعدوها على الاجمال وأما التفصيل فلا يقدر
عليه ولا يعلمه الا الله (لظلوم) يظلم النعمة باغفال شكرها (كفار) شديد الكفران لها وقيل ظلوم في الشدة
يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع * والانسان للجنس فيتناول الاخبار بالظلم والكفران من
يوجدان منه (هذا البلد) يعني البلد الحرام زاده الله أمنا وكفاه كل باغ وظالم وأجاب فيه دعوة خليله ابراهيم
عليه السلام (آمنا) ذا أمن (فان قلت) أي فرق بين قوله اجعل هذا بلدا آمنا وبين قوله اجعل هذا البلد
آمنا (قلت) قد سأل في الاول أن يجعله من جملة البلاد التي يأمن أهلها ولا يخافون وفي الثاني أن يخرجه من
صفة كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا (واجنبني) وقرئ
وأجنبني وفيه ثلاث لغات جنبه الشر وجنبه وأجنبه فأهل الحجاز يقولون جنبني شره بالتشديد وأهل نجد
جنبني وأجنبني والمعنى ثبتنا وأدمنا على اجتناب عبادتها (وبني) أراد بنيه من صلبه وسئل ابن عيينة كيف
عبدت العرب الاصنام فقال ما عبد أحد من ولد اسمعيل صنما واحتج بقوله واجنبني وبني (أن نعبد الاصنام)
انما كانت أنصاب حجارة لكل قوم قالوا البيت حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو بمنزلة البيت فكانوا يدورون
بذلك الحجر ويسمونه الدوار فاستحب أن يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت (انهن أضللن كثيرا من
الناس) فاعوذ بك أن تعصمني وبني من ذلك وانما جعلن مضلات لان الناس ضلوا بسببهن فكأنهن أضللنهم
كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم أي افتتنوا بها واغتروا بسببها (فمن تبعني) على ملتي وكان حنيفا مسلما
مثلي (فانه مني) أي هو بعضي لفرط اختصاصه بي وملابسته لي وكذلك قوله من غشنا فليس منا أي ليس
بعض المؤمنين على أن الغش ليس من أفعالهم وأوصافهم (ومن عصاني فانك غفور رحيم) تغفر له ما سلف
منه من عصياني اذا بدا له فيه واستحدث الطاعة لي وقيل معناه ومن عصاني فيما دون الشرك (من ذريتي)
بعض أولادي وهم اسمعيل ومن ولد منه (بواد) هو وادي مكة (غير ذي زرع) لا يكون فيه شيء من زرع قط
كقوله قرآنا عربيا غير ذي عوج بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج ما فيه الا الاستقامة لا غير * وقيل للبيت المحرم لان
الله حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه أو لانه لم يزل ممنعا عزيزا يهابه كل جبار كالشيء المحرم
الذي حقه ان يجتنب أو لانه محترم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها أو لانه حرم على الطوفان أي منع منه كما سمي
عتيقا لانه أعتق منه فلم يستول عليه (ليقيموا الصلاة) اللام متعلقة بأسكنت أي ما أسكنتهم هذا الوادي
الخلاء البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا ليقيموا الصلاة عند بيتك المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك وما تعمر به
مساجدك ومتعبداتك متبركين بالبقعة التي شرفتها على البقاع مستسعدين بجوارك الكريم متقربين اليك

أن يأتي يوم لا بيع فيه
ولا خلال الله الذي
خلق السموات
والارض وأنزل من
السماء ماء فأخرج به
من الثمرات رزقا لكم
وسخر لكم الفلك لتجري
في البحر بأمره وسخر
لكم الانهار وسخر لكم
الشمس والقمر دائبين
وسخر لكم الليل والنهار
وآتاكم من كل ما سألتموه
وان تعدوا نعمة الله لا
تحصوها ان الانسان
لظلوم كفار واذ قال
ابراهيم رب اجعل
هذا البلد آمنا واجنبني
وبني أن نعبد الاصنام
رب انهن أضللن كثيرا
من الناس فمن تبعني
فانه مني ومن عصاني
فانك غفور رحيم ربنا
اني أسكنت من ذريتي
بواد غير ذي زرع عند
بيتك المحرم ربنا ليقيموا
الصلاة فاجعل

أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن وما يخفى على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق ان ربى لسميع الدعاء رب اجعلنى مقيم الصلاة

بالعكوف عند بيتك والطواف به والركوع والسجود حوله مستنزلين الرحمة التى آثرت بها سكان حرمك (افئدة من الناس) أفئدة من أفئدة الناس ومن للتبعيض ويدل عليه ما روى عن مجاهد لو قال افئدة الناس لزحمتكم عليه فارس والروم وقيل لو لم يقل من لازدحموا عليه حتى الروم والترك والهند ويجوز أن يكون من للابتداء كقولك القلب منى سقيم تريد قلبى فكأنه قيل افئدة ناس وانما نكرت المضاف اليه فى هذا التمثيل لتنكير افئدة لانها فى الآية نكرة لتناول بعض الافئدة وقرئ آفدة بوزن عاقدة وفيه وجهان أحدهما أن يكون من القلب كقولك آدر فى أدؤر والثانى أن يكون اسم فاعلة من افدت الرحلة اذا عجلت أى جماعة أو جماعات يرتحلون اليهم ويعجلون نحوهم وقرئ أفدة وفيه وجهان أن تطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه ان تخفف باخراجها بين بين وأن يكون من أفد (تهوى اليهم) تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا ونزاعا من قوله
* يهوى مخارمها هوى الاجدل *
وقرئ تهوى اليهم على البناء للمفعول من هوى اليه واهواه غيره وتهوى اليهم من هوى يهوى اذا أحب ضمن معنى تنزع فعدى تعديته (وارزقهم من الثمرات) مع سكناهم واديا ما فيه شئ منها بأن تجلب اليهم من البلاد (لعلهم يشكرون) النعمة فى أن يرزقوا أنواع الثمرات حاضرة فى واد يباب ليس فيه نجم ولا شجر ولا ماء لا جرم أن الله عز وجل أجاب دعوته فجعله حرما آمنا تجبى اليه ثمرات كل شئ رزقا من لدنه ثم فضله فى وجود اصناف الثمار فيه على كل ريف وعلى اخصب البلاد وأكثرها ثمارا وفى أى بلد من بلاد الشرق والغرب ترى الاعجوبة التى يريكها الله بواد غير ذى زرع وهى اجتماع البواكير والفواكه المختلفة الازمان من الربيعية والصيفية والخريفية فى يوم واحد وليس ذلك من آياته بعجيب متعنا الله بسكنى حرمه ووفقنا لشكر نعمه وأدام لنا التشرف بالدخول تحت دعوة ابراهيم عليه السلام ورزقنا طرفا من سلامة ذلك القلب السليم * النداء المكرر دليل التضرع واللجا الى الله تعالى (انك تعلم ما نخفى وما نعلن) تعلم السر كما تعلم العلن علما لا تفاوت فيه لان غيبا من الغيوب لا يحتجب عنك والمعنى انك أعلم بأحوالنا وما يصلحنا وما يفسدنا منا وأنت أرحم بنا وأنصح لنا منا بأنفسنا ولها فلا حاجة الى الدعاء والطلب وانما ندعوك اظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا الى ما عندك واستعجالا لنيل أياديك وولها الى رحمتك وكما يتملق العبد بين يدى سيده رغبة فى اصابة معروفه مع توفر السيد على حسن الملكة وعن بعضهم انه رفع حاجته الى كريم فأبطأ عليه النجح فأراد ان يذكره فقال مثلك لا يذكر استقصارا ولا توهما لغفلة عن حوائج السائلين ولكن ذا الحاجة لا تدعه حاجته ان لا يتكلم فيها وقيل ما نخفى من الوجد لما وقع بيننا من الفرقة وما نعلن من البكاء والدعاء وقيل ما نخفى من كآبة الافتراق وما نعلن يريد ما جرى بينه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع الى من تكلنا قال الى الله أكلكم قالت آلله أمرك بهذا قال نعم قالت اذن لا نخشى تركتنا الى كاف (وما يخفى على الله من شئ) من كلام الله عز وجل تصديقا لابراهيم عليه السلام كقوله وكذلك يفعلون أو من كلام ابراهيم يعنى وما يخفى على الله الذى هو عالم الغيب من شئ فى كل مكان ومن للاستغراق كأنه قيل وما يخفى عليه شئ ما * على فى قوله (على الكبر) بمعنى مع كقوله

انى على ما ترين من كبرى * اعلم من حيث تؤكل الكتف

وهو فى موضع الحال معناه وهب لى وأنا كبير وفى حال الكبر روى ان اسمعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة وثنتى عشرة سنة وقد روى انه ولد له اسمعيل لاربع وستين واسحق لتسعين وعن سعيد بن جبير لم يولد لابراهيم الا بعد مائة وسبع عشرة سنة وانما ذكر حال الكبر لان المنة بهبة الولد فيها أعظم من حيث انها حال وقوع اليأس من الولادة والظفر بالحاجة على عقب اليأس من اجل النعم وأحلاها فى نفس الظافر ولان الولادة فى تلك السن العالية كانت آية لابراهيم (ان ربى لسميع الدعاء) كان قد دعا ربه وسأله الولد فقال رب هب لى من الصالحين فشكر لله ما أكرمه به من اجابته (فان قلت) الله تعالى يسمع كل دعاء أجابه أو لم يجبه (قلت) هو من قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به وقبله ومنه سمع الله لمن حمده وفى الحديث ما أذن الله لشئ كاذنه لنبى يتغنى بالقرآن (فان قلت) ما هذه الاضافة اضافة السميع الى الدعاء

(قلت) اضافة الصفة الى مفعولها وأصله لسميع الدعاء وقد ذكر سيبويه فعيلا فى جملة أبنية المبالغة العاملة
عمل الفعل كقولك هذا ضروب زيدا وضراب أخاه ومضار ابله وحذر أمورا ورحيم أباه ويجوز أن يكون
من اضافة فعيل الى فاعله ويجعل دعاء الله سميعا على الاسناد المجازى والمراد سماع الله (ومن ذريتى) وبعض
ذريتى عطفا على المنصوب فى اجعلنى وانما بعض لانه علم باعلام الله أن يكون فى ذريته كفار وذلك قوله
لا ينال عهدى الظالمين (وتقبل دعاءى) أى عبادتى وأعتزلكم وما تدعون من دون الله * فى قراءة أبى ولابوى
وقرأ سعيد بن جبير ولوالدى على الافراد يعنى أباه وقرأ الحسن بن على رضى الله عنهما ولولدى يعنى اسمعيل
واسحق وقرئ لولدى بضم الواو والولد بمعنى الولد كالعدم والعدم وقيل جمع ولد كأسد فى أسد وفى بعض
المصاحف ولذريتى (فان قلت) كيف جاز له أن يستغفر لابويه وكانا كافرين (قلت) هو من مجوزات العقل
لا يعلم امتناع جوازه الا بالتوقيف وقيل أراد بوالديه آدم وحواء وقيل بشرط الاسلام ويأباه قوله الا قول
ابراهيم لابيه لاستغفرن لك لانه لو شرط الاسلام لكان استغفارا صحيحا لا مقال فيه فكيف يستثنى الاستغفار
الصحيح من جملة ما يؤتسى فيه بابراهيم (يوم يقوم الحساب) أى يثبت وهو مستعار من قيام القائم على الرجل
والدليل عليه قولهم قامت الحرب على ساقها ونحوه قولهم ترجلت الشمس اذا أشرقت وثبت ضوءها كأنها
قامت على رجل ويجوز أن يسند الى الحساب قيام أهله اسنادا مجازيا أو يكون مثل واسأل القرية وعن
مجاهد قد استجاب الله فيما سأل فلم يعبد أحد من ولده صنما بعد دعوته وجعل البلد آمنا ورزق أهله من
الثمرات وجعله اماما وجعل فى ذريته من يقيم الصلاة وأراه مناسكه وتاب عليه وعن ابن عباس رضى الله
عنهما أنه قال كانت الطائف من أرض فلسطين فلما قال ابراهيم ربنا انى أسكنت الآية رفعها الله فوضعها
حيث وضعها رزقا للحرم (فان قلت) يتعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو أعلم الناس به غافلا حتى قيل (ولا تحسبن الله غافلا) (قلت) ان كان خطابا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ففيه وجهان أحدهما التثبيت على ما كان عليه من أنه لا يحسب الله غافلا كقوله ولا تكونن من
المشركين ولا تدع مع الله الها آخر كما جاء فى الامر يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والثانى أن المراد بالنهى
عن حسبانه غافلا الايذان بأنه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شئ وأنه معاقبهم على قليله وكثيره
على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم يريد الوعيد ويجوز أن يراد ولا تحسبنه يعاملهم
معاملة الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير وان كان خطابا لغيره
ممن يجوز أن يحسبه غافلا لجهله بصفاته فلا سؤال فيه وعن ابن عيينة تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فقيل له
من قال هذا فغضب وقال انما قاله من علمه * وقرئ يؤخرهم بالنون والياء (تشخص فيه الابصار) أى
أبصارهم لا تقر فى أماكنها من هول ما ترى (مهطعين) مسرعين الى الداعى وقيل الاهطاع أن تقبل
ببصرك على المرئى تديم النظر اليه لا تطرف (مقنعى رؤسهم) رافعيها (لا يرتد اليهم طرفهم) لا يرجع اليهم
أن يطرفوا بعيونهم أى لا يطرفون ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة من غير تحريك للاجفان أو لا يرجع
اليهم نظرهم فينظروا الى أنفسهم * الهواء الخلاء الذى لم تشغله الاجرام فوصف به فقيل قلب فلان هواء
اذا كان جبانا لا قوة فى قلبه ولا جرأة ويقال للاحمق أيضا قلبه هواء قال زهير

* من الظلمان جؤجؤه هواء * لان النعام مثل فى الجبن والحمق وقال حسان

* فأنت مجوف نخب هواء * وعن ابن جريج أفئدتهم هواء صفر من الخير خاوية منه وقال أبو عبيدة جوف
لا عقول لهم (يوم يأتيهم العذاب) مفعول ثان لانذر وهو يوم القيامة ومعنى (أخرنا الى أجل قريب) ردنا
الى الدنيا وأمهلنا الى أمد وحد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك
أو أريد باليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل أو يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى
وأنهم يسألون يومئذ أن يؤخرهم ربهم الى أجل قريب كقوله لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق (أولم
تكونوا أقسمتم) على ارادة القول وفيه وجهان أن يقولوا ذلك بطرا وأشرا ولما استولى عليهم من عادة

ومن ذريتى ربنا وتقبل
دعاء ربنا اغفر لى ولوالدى
وللمؤمنين يوم يقوم
الحساب ولا تحسبن الله
غافلا عما يعمل الظالمون
انما يؤخرهم ليوم
تشخص فيه الابصار
مهطعين مقنعى رؤسهم
لا يرتد اليهم طرفهم
وأفئدتهم هواء وأنذر
الناس يوم يأتيهم العذاب
فيقول الذين ظلموا ربنا
أخرنا الى أجل قريب
نجب دعوتك ونتبع
الرسل أولم تكونوا
أقسمتم من قبل

الجهل والسفه وأن يقولوه بلسان الحال حيث بنوا شديدا وأملوا بعيدا و (مالكم) جواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب لقوله أقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل مالنا (من زوال) والمعنى أقسمتم أنكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت والفناء وقيل لا تنتقلون الى دار أخرى يعنى كفرهم بالبعث كقوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت * يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه قوله تعالى (وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) لان السكنى من السكون الذى هو اللبث والاصل تعديه بفى كقولك قر في الدار وغنى فيها وأقام فيها ولكنه لما نقل الى سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبوّأها وأوطنها ويجوز أن يكون سكنوا من السكون أى قروا فيها واطمأنوا طيبى النفوس سائرين سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقى الاولون من أيام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا (وتبين لكم) بالاخبار والمشاهدة (كيف) أهلكناهم وانتقمنا منهم وقرئ ونبين لكم بالنون (وضربنا لكم الامثال) أى صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهى في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم (وقد مكروا مكرهم) أى مكرهم العظيم الذى استفرغوا فيه جهدهم (وعند الله مكرهم) لا يخلو اما أن يكون مضافا الى الفاعل كالاول على معنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكر هو أعظم منه أو يكون مضافا الى المفعول على معنى وعند الله مكرهم الذى يمكرهم به وهو عذابهم الذى يستحقونه يأتيهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون (وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) وان عظم مكرهم وتبالغ في الشدة فضرب زوال الجبال منه مثلا لتفاقمه وشدته أى وان كان مكرهم مسوى لازالة الجبال معدا لذلك وقد جعلت ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم والمعنى ومحال أن تزول الجبال بمكرهم على أن الجبال مثل لآيات الله وشرائعه لانها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا وتنصره قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم وقرئ لتزول بلام الابتداء على وان كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقلع من أماكنها وقرأ على وعمر رضى الله عنهما وان كاد مكرهم (مخلف وعده رسله) يعنى قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لأغلبن أنا ورسلى (فان قلت) هلا قيل مخلف رسله وعده ولم قدم المفعول الثانى على الاول (قلت) قدم الوعد ليعلم أنه لا يخلف الوعد أصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليؤذن أنه اذا لم يخلف وعده أحدا وليس من شأنه اخلاف المواعيد كيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته وقرئ مخلف وعده رسله بجر الرسل ونصب الوعد وهذه في الضعف كمن قرأ قتل أولادهم شركائهم (عزيز) غالب لا يماكر (ذو انتقام) لاوليائه من أعدائه (يوم تبدل الارض) انتصابه على البدل من يوم يأتيهم أو على الظرف للانتقام والمعنى يوم تبدل هذه الارض التى تعرفونها أرضا أخرى غير هذه المعروفة وكذلك السموات والتبديل التغيير وقد يكون في الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير ومنه بدلناهم جلودا غيرها وبدلناهم بجنتيهم جنتين وفي الاوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا أذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل ومنه قوله تعالى فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات واختلف في تبديل الارض والسموات فقيل تبدل أوصافها فتسير عن الارض جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا يرى فيها عوج ولا أمت وعن ابن عباس هى تلك الارض وانما تغير وأنشد

وما الناس بالناس الذين عهدتهم * ولا الدار بالدار التى كنت تعلم

وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها أبوابا وقيل يخلق بدلها أرض وسموات أخر وعن ابن مسعود وأنس يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة وعن على رضى الله عنه تبدل أرضا من فضة وسموات من ذهب وعن الضحاك أرضا من فضة بيضاء كالصحائف وقرئ يوم نبدل الارض بالنون (فان قلت) كيف قال (الواحد القهار) (قلت) هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الملك اذا كان لواحد غلاب لا يغالب ولا يعاز فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار كان

مالكم من زوال وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وترى المجرمين يومئذ

---

* قوله تعالى فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله (قال ان قلت لم قدم المفعول الثانى على الاول الخ) قال أحمد فيما قاله نظر لان الفعل متى تقيد بمفعول انقطع اطلاقه فليس تقديم الوعد في الآية دليلا على اطلاق الفعل باعتبار الموعود حتى يكون ذكر الرسل بائنا كالاجنبى من الاطلاق الاول ولا فرق في المعنى الذى ذكره بين تقديم ذكر الرسل وتأخيره ولا يفيد تقديم المفعول الثانى الا الايذان بالعناية في مقصود المتكلم والامر بهذه المثابة في الآية لانها وردت في سياق الانذار والتهديد للظالمين بما توعدهم الله تعالى به على ألسنة الرسل فالمهم في التهديد ذكر الوعيد وأما كونه على السنة الرسل فذلك امر لا يقف التخويف عليه ولا بد حتى لو فرض التوعد من الله تعالى على غير لسان رسول لكان الخوف منه حسيبا كافيا والله أعلم

﴿القول فى سورة الحجر﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين (قال ان قلت ما معنى تقليل ودادتهم الخ) قال أحمد لا شك ان العرب تعبر عن المعنى بما يؤدى عكس مقصوده كثيرا ومنه قوله * قد أترك القرن مصفرا أنامله * وانما يتمدح بالا كثار من ذلك (٦٧٠) وقد عبر بقد المفيدة للتقليل ومنه والله أعلم وقد تعلمون أنى رسول الله والمقصود توبيخهم على أذاهم لموسى عليه السلام على توفر علمهم برسالته ومناصحته لهم وقد اختلف توجيه علماء البيان لذلك فمنهم من وجهه بما ذكره الزمخشرى آنفا ومن

الامر فى غاية الصعوبة والشدة (مقرنين) قرن بعضهم مع بعض أو مع الشياطين أو قرنت أيديهم الى أرجلهم مغللين وقوله (فى الاصفاد) اما أن يتعلق بمقرنين أى يقرنون فى الاصفاد واما أن لا يتعلق به فيكون المعنى مقرنين مصفدين والاصفاد القيود وقيل الاغلال وأنشد لسلامة بن جندل

وزيد الخيل قد لاقى صفادا * يعض بساعد وبعظم ساق

* القطران فيه ثلاث لغات قطران وقطران وقطران بفتح القاف وكسرها مع سكون الطاء وهو ما يتحلب من شجر يسمى الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحره وحدته والجلد وقد تبلغ حرارته الجوف ومن شأنه أن يسرع فيه اشتعال النار وقد يستسرج به وهو اسود اللون منتن الريح فتطلى به جلود أهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل وهى القمص لتجتمع عليهم الاربع لذع القطران وحرقته واسراع النار فى جلودهم واللون الوحش ونتن الريح على أن التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين وكل ما وعده الله أو أوعد به فى الآخرة فبينه وبين ما نشاهد من جنسه ما لا يقادر قدره وكانه ما عندنا منه الا الاسامى والمسميات ثمة فبكرمه الواسع نعوذ من سخطه ونسأله التوفيق فيما ينجينا من عذابه وقرئ من قطر آن والقطر النحاس أو الصفر المذاب والآنى المتناهى حره (وتغشى وجوههم النار) كقوله تعالى أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة يوم يسحبون فى النار على وجوههم لان الوجه أعز موضع فى ظاهر البدن وأشرفه كالقلب فى باطنه ولذلك قال تطلع على الافئدة وقرئ وتغشى وجوههم بمعنى تتغشى أى يفعل بالمجرمين ما يفعل (ليجزى الله كل نفس) مجرمة (ما كسبت) أو كل نفس من مجرمة ومطيعة لانه اذا عاقب المجرمين لاجرامهم علم أنه يثيب المطيعين لطاعتهم (هذا بلاغ للناس) كفاية فى التذكير والموعظة يعنى بهذا ما وصفه من قوله ولا تحسبن الى قوله سريع الحساب (ولينذروا) معطوف على محذوف أى لينصحوا ولينذروا (به) بهذا البلاغ وقرئ ولينذروا بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعدله (وليعلموا أنما هو اله واحد) لانهم اذا خافوا ما أنذروا به دعتهم المخافة الى النظر حتى يتوصلوا الى التوحيد لان الخشية أم الخير كله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

﴿سورة الحجر مكية وهى تسع وتسعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(تلك) اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات * والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل فى كونه كتابا وأى قرآن مبين كانه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة فى البيان * قرئ ربما وربتما بالتشديد وربما وربما بالضم والفتح مع التخفيف (فان قلت) لم دخلت على المضارع وقد أبوا دخولها الا على الماضى (قلت) لان المترقب فى اخبار الله تعالى بمنزلة الماضى المقطوع به فى تحققه فكانه قيل ربما ود (فان قلت) متى تكون ودادتهم (قلت) عند الموت أو يوم القيامة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين وقيل اذا رأوا المسلمين يخرجون من النار وهذا أيضا باب من الودادة (فان قلت) فما معنى التقليل (قلت) هو وارد على مذهب العرب فى قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الانسان على ما فعل ولا يشكون فى تندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم أرادوا لو كان الندم مشكوكا فيه أو كان قليلا لحق عليك تفعل هذا الفعل لان العقلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل

مقرنين فى الاصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ليجزى الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو اله واحد وليذكر أولوا الالباب

(سورة الحجر مكية وهى تسع وتسعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ربما يود الذين كفروا

التنبيه بالادنى على الاعلى ومنهم من وجهه بان المقصود فى ذلك الايذان بان المعنى قد بلغ الغاية حتى كاد أن يرجع الى الضد وذلك شأن كل ما انتهى لنهايته أن يعود الى عكسه وقد أفصح أبو الطيب ذلك بقوله ٣ ولجدت حتى كدت تبخل حائلا * للمنتهى ومن السرور بكاد وكلا هذين الوجهين يحمل الكلام منه على المبالغة بنوع من الايقاظ اليها والعمدة فى ذلك على سياق الكلام لانه اذا اقتضى مثلا تكثيرا فدخلت فيه عبارة يشعر ظاهرها بالتقليل استيقظ السامع بان المراد المبالغة على احدى الطريقتين المذكورتين والله أعلم ٣ كذا بالاصل وليحرر اه

منه كما من الكثير وكذلك المعنى في الآية لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة فبالحرى أن يسارعوا اليه فكيف
وهم يودونه في كل ساعة و(لو كانوا مسلمين) حكاية ودادتهم وانما جيء بها على لفظ الغيبة لانهم مخبر عنهم
كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله لافعلن ولو كنا مسلمين لكان حسنا سديدا وقيل تدهشهم أهوال
ذلك اليوم فيبقون مبهوتين فان حانت منهم افاقة في بعض الاوقات من سكرتهم تمنوا ذلك وقيل (ذرهم)
يعني اقطع طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهي عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة وخلهم (يأكلوا
ويتمتعوا) بدنياهم وتنفيذ شهواتهم ويشغلهم أملهم وتوقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال وأن
لا يلقوا في العاقبة الا خيرا (فسوف يعلمون) سوء صنيعهم والغرض الايذان بأنهم من أهل الخذلان وأنهم
لا يجيء منهم الا ما هم فيه وأنه لا زاجر لهم ولا واعظ الا معاينة ما ينذرون به حين لا ينفعهم الوعظ ولا سبيل
الى اتعاظهم قبل ذلك فأمر رسوله بأن يخليهم وشأنهم ولا يشتغل بما لا طائل تحته وأن يبالغ في تخليتهم حتى
يأمرهم بما لا يزيدهم الا انهماكا في العاقبة وفيه الزام للحجة ومبالغة في الانذار واعذار فيه وفيه تنبيه على أن
ايثار التلذذ والتنعم وما يؤدي اليه طول الامل وهذه هجيرى أكثر الناس ليس من اخلاق المؤمنين وعن
بعضهم التمرغ في الدنيا من اخلاق الهالكين (ولها كتاب) جملة واقعة صفة لقرية والقياس أن لا يتوسط الواو
بينهما كما في قوله تعالى وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون وانما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف
كما يقال في الحال جاءني زيد عليه ثوب وجاءني وعليه ثوب كتاب (معلوم) مكتوب معلوم وهو أجلها الذي كتب
في اللوح وبين ألا ترى الى قوله (ما تسبق من أمة أجلها) في موضع كتابها وأنث الامة أولا ثم ذكرها آخرا
حملا على اللفظ والمعنى وقال (وما يستأخرون) بحذف عنه لانه معلوم * قرأ الاعمش يا أيها الذي ألقي عليه
الذكر وكأن هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون وكيف
يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه الى الجنون والتعكيس في كلامهم للاستهزاء والتهكم مذهب واسع وقد
جاء في كتاب الله في مواضع منها فبشرهم بعذاب أليم انك لانت الحليم الرشيد وقد يوجد كثيرا في كلام العجم
والمعنى انك لتقول قول المجانين حين تدعي أن الله نزل عليك الذكر * لو ركبت مع لا وما لمعنيين معنى امتناع
الشيء لوجود غيره ومعنى التحضيض وأما هل فلم تركب الا مع لا وحدها للتحضيض قال ابن مقبل

لوما الحياء ولوما الدين عبتكما * ببعض ما فيكما اذ عبتما عوري

والمعنى هلا تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقك ويعضدونك على انذارك كقوله تعالى لولا أنزل اليه ملك فيكون
معه نذيرا أو هلا تأتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك ان كنت صادقا كما كانت تأتي الامم المكذبة برسلها
* قرئ تنزل بمعنى تتنزل وتنزل على البناء للمفعول من نزل وننزل الملائكة بالنون ونصب الملائكة (الا بالحق)
الا تنزلا ملتبسا بالحكمة والمصلحة ولا حكمة في أن تأتيكم عيانا تشاهدونهم ويشهدون لكم بصدق النبي صلى
الله عليه وسلم لانكم حينئذ مصدقون عن اضطرار ومثله قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما
الا بالحق وقيل الحق الوحي أو العذاب و(اذا) جواب وجزاء لانه جواب لهم وجزاء الشرط مقدر تقديره ولو
نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما أخر عذابهم (انا نحن نزلنا الذكر) رد لانكارهم واستهزائهم في قولهم يا أيها
الذي نزل عليه الذكر ولذلك قال انا نحن فأكد عليهم أنه هو المنزل على القطع والبتات وأنه هو الذي بعث به
جبريل الى محمد صلى الله عليه وسلم وبين يديه ومن خلفه رصد حتى نزل وبلغ محفوظا من الشياطين وهو حافظه
في كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما
استحفظها الربانيين والاحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فكان التحريف ولم يكل القرآن الى غير حفظه (فان
قلت) فحين كان قوله انا نحن نزلنا الذكر ردا لانكارهم واستهزائهم فكيف اتصل به قوله (وانا له لحافظون)
(قلت) قد جعل ذلك دليلا على أنه منزل من عنده آية لانه لو كان من قول البشر أو غير آية لتطرق عليه الزيادة
والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه وقيل الضمير في له لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى والله
يعصمك (في شيع الاولين) في فرقهم وطوائفهم والشيعة الفرقة اذا اتفقوا على مذهب وطريقة ومعنى

لو كانوا مسلمين ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون لوما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الاولين

قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون (قال هذا رد لانكارهم واستهزائهم الخ) قال أحمد ويحتمل ان يراد حفظه مما يشينه من تناقض واختلاف لا يخلو عنه الكلام المفترى وذلك أيضا من الدليل على انه من عند الله كما قال تعالى في آية أخرى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا

* قوله تعالى كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين (قال معناه يلقيه فى قلوبهم مكذبا به الخ) قال أحمد والمراد والله أعلم اقامة الحجة على المكذبين بان الله تعالى سلك القرآن فى قلوبهم وأدخله فى سويدائهم كما سلك ذلك فى قلوب المؤمنين المصدقين فكذب به هؤلاء وصدق به هؤلاء كل على علم وفهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة ولئلا يكون للكفار على الله حجة بأنهم ما فهموا وجوه الاعجاز كما فهمها من آمن فاعلمهم الله تعالى من الآن وهم فى مهلة وامكان أنهم ما كفروا الا على علم معاندين باغين غير معذورين والله أعلم ولذلك عقبه الله تعالى بقوله ولو فتحنا عليهم بابا (٦٧٢) من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون أى هؤلاء فهموا القرآن وعلموا

وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الاولين ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين والارض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شئ موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين وانا لنحن نحيى ونميت

أرسلناه فيهم نبأناه فيهم وجعلناه رسولا فيما بينهم (وما يأتيهم) حكاية حال ماضية لان ما لا تدخل على مضارع الا وهو فى معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال * يقال سلكت الخيط فى الابرة وأسلكته اذا أدخلته فيها ونظمته وقرئ نسلكه والضمير للذكر أى مثل ذلك السلك ونحوه نسلك الذكر (فى قلوب المجرمين) على معنى أنه يلقيه فى قلوبهم مكذبا مستهزأ به غير مقبول كما لو أنزلت بلئيم حاجة فلم يجبك اليها فقلت كذلك أنزلها باللئام تعنى مثل هذا الانزال أنزلها بهم مردودة غير مقضية ومحل قوله (لا يؤمنون به) النصب على الحال أى غير مؤمن به أو هو بيان لقوله كذلك نسلكه (سنة الاولين) طريقتهم التى سنها الله فى اهلاكهم حين كذبوا برسلهم وبالذكر المنزل عليهم وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم * قرئ يعرجون بالضم والكسر و (سكرت) حيرت أو حبست من الابصار من السكر أو السكر وقرئ سكرت بالتخفيف أى حبست كما يحبس النهر من الجرى وقرئ سكرت من السكر أى حارت كما يحار السكران والمعنى أن هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم فى العناد أن لو فتح لهم باب من أبواب السماء ويسر لهم معراج يصعدون فيه اليها ورأوا من العيان ما رأوا لقالوا هو شئ نتخايله لا حقيقة له ولقالوا قد سحرنا محمد بذلك وقيل الضمير للملائكة أى لو أريناهم الملائكة يصعدون فى السماء عيانا لقالوا ذلك * وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال انما ليدل على أنهم يبتون القول بأن ذلك ليس الا تسكير الابصار (من استرق) فى محل النصب على الاستثناء وعن ابن عباس أنهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد منعوا من السموات كلها (شهاب مبين) ظاهر للمبصرين (موزون) وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه لا يصلح فيه زيادة ولا نقصان أو له وزن وقدر فى أبواب النعمة والمنفعة وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها (معايش) بياء صريحة بخلاف الشمائل والخبائث ونحوهما فان تصريح الياء فيها خطأ والصواب الهمزة أو اخراج الياء بين بين وقد قرئ معائش بالهمز على التشبيه (ومن لستم له برازقين) عطف على معايش أو على محل لكم كأنه قيل وجعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم من لستم له برازقين أو وجعلنا لكم معايش ومن لستم له برازقين وأراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين يحسبون انهم يرزقونهم ويخطئون فان الله هو الرزاق يرزقهم واياهم ويدخل فيه الانعام والدواب وكل ما بتلك المثابة مما الله رازقه وقد سبق الى ظنهم أنهم هم الرازقون ولا يجوز أن يكون مجرورا عطفا على الضمير المجرور فى لكم لانه لا يعطف على الضمير المجرور * ذكر الخزائن تمثيل والمعنى وما من شئ ينتفع به العباد الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام به وما نعطيه الا بمقدار معلوم نعلم أنه مصلحة له فضرب الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور (لواقح) فيه قولان أحدهما أن الريح لاقح اذا جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر كما قيل للتى لا تأتى بخير ريح عقيم والثانى أن اللواقح بمعنى الملاقح كما قال

* ومختبط مما تطيح الطوائح *

يريد المطاوح جمع مطيحة * وقرئ وأرسلنا الريح على تأويل الجنس (فأسقيناكموه) فجعلناه لكم سقيا (وما أنتم له بخازنين) نفى عنهم ما أثبته لنفسه فى قوله وان من شئ الا عندنا

وجوه اعجازه وولج ذلك فى قلوبهم ووقر ولكنهم قوم سجيتهم العناد وسيمتهم اللدد حتى لو سلك بهم أوضح السبيل وادعاها الى الايمان بضرورة المشاهدة وذلك بان يفتح لهم باب فى السماء ويعرج بهم اليه حتى يدخلوا منه نهارا والى ذلك الاشارة بقوله فظلوا لان الظلول انما يكون نهارا لقالوا بعد هذا الايضاح العظيم المكشوف انما سكرت أبصارنا وسحرنا محمد وما هذه الا خيالات لا حقائق تحتها فأسجل عليهم بذلك انهم لا عذر لهم فى التكذيب من عدم سماع ووعى ووصول الى القلوب وفهم كما فهم غيرهم من المصدقين لان ذلك كله حاصل لهم وانما بهم العناد واللدد والاصرار لا غير والله أعلم

خزائنه

خزائنه كأنه قال نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه في السماء وانزاله منها وما أنتم عليه بقادرين دلالة على عظيم قدرته واظهارا لعجزهم (ونحن الوارثون) أي الباقون بعد هلاك الخلق كله وقيل للباقي وارث استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد فنائه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في دعائه واجعله الوارث منا (ولقد علمنا) من استقدم ولادة وموتا ومن تأخر من الاولين والآخرين أو من خرج من أصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد أو من تقدم في الاسلام وسبق الى الطاعة ومن تأخر وقيل المستقدمين في صفوف الجماعة والمستأخرين وروى أن امرأة حسناء كانت في المصليات خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان بعض القوم يستقدم لئلا ينظر اليها وبعض يستأخر ليبصرها فنزلت (هو يحشرهم) أي هو وحده القادر على حشرهم والعالم بحصرهم مع افراط كثرتهم وتباعد أطراف عددهم (انه حكيم عليم) باهر الحكمة واسع العلم يفعل كل ما يفعل على مقتضى الحكمة والصواب وقد أحاط علما بكل شيء * الصلصال الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار قالوا اذا توهمت في صوته مدا فهو صليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا أنتن * والحمأ الطين الاسود المتغير * والمسنون المصور من سنة الوجه وقيل المصبوب المفرغ أي أفرغ صورة انسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذوبة في أمثلتها وقيل المنتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فالذي يسيل بينهما سنين ولا يكون الا منتنا (من حمإ) صفة لصلصال أي خلقه من صلصال كائن من حمإ وحق (مسنون) بمعنى مصور أن يكون صفة لصلصال كأنه أفرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان أجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الى جوهر آخر (والجان) للجن كآدم للناس وقيل هو ابليس وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد والجأن بالهمز (من نار السموم) من نار الحر الشديد النافذ في المسام قيل هذه السموم جزء من سبعين جزأ من سموم النار التي خلق الله منها الجان (واذ قال ربك) واذكر وقت قوله (سويته) عدلت خلقته وأكملتها وهيأتها لنفخ الروح فيها ومعنى (ونفخت فيه من روحي) وأحييته وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لتحصيل ما يحيا به فيه * واستثنى ابليس من الملائكة لانه كان بينهم مأمورا معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثنى بعد التغليب كقولك رأيتهم الا هندا و (أبى) استئناف على تقدير قول قائل يقول هلا سجد فقيل أبى ذلك واستكبر عنه وقيل معناه ولكن ابليس أبى * حرف الجر مع أن محذوف تقديره (مالك) في (ألا تكون مع الساجدين) بمعنى أي غرض لك في ابائك السجود وأي داع لك اليه * اللام في (لاسجد) لتأكيد النفي ومعناه لا يصح مني وينافي حالي ويستحيل أن أسجد لبشر (رجيم) شيطان من الذين يرجمون بالشهب أو مطرود من رحمة الله لان من يطرد يرجم بالحجارة ومعناه ملعون لان اللعن هو الطرد من الرحمة والابعاد منها * والضمير في منها راجع الى الجنة أو السماء أو الى جملة الملائكة * وضرب يوم الدين حد اللعنة اما لانه أبعد غاية يضربها الناس في كلامهم كقوله مادامت السموات والارض في التأبيد واما أن يراد أنك مذموم مدعو عليك باللعن في السموات والارض الى يوم الدين من غير أن تعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه * ويوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم في معنى واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة * وقيل انما سأل الانظار الى اليوم الذي فيه يبعثون لئلا يموت لانه لا يموت يوم البعث أحد فلم يجب الى ذلك وأنظر الى آخر أيام التكليف (بما أغويتني) الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم (لأزينن) والمعنى أقسم باغوائك اياي لأزينن لهم ومعنى اغوائه اياه تسبيبه لغيه بأن أمره بالسجود لآدم عليه السلام فأفضى ذلك الى غيه وما الامر بالسجود الا حسن وتعريض للثواب بالتواضع والخضوع لامر الله ولكن ابليس اختار الاباء والاستكبار فهلك والله تعالى بريء من غيه ومن ارادته والرضا به ونحو قوله بما أغويتني لأزينن (لهم) قوله فبعزتك لأغوينهم أجمعين في أنه اقسام الا أن أحدهما اقسام بصفته والثاني اقسام بفعله وقد فرق الفقهاء بينهما ويجوز أن لا يكون قسما ويقدر قسم محذوف ويكون المعنى بسبب تسبيبك لاغوائي أقسم لافعلن بهم نحو ما فعلت بي من التسبيب لاغوائهم بأن أزين لهم المعاصي وأوسوس اليهم ما يكون سبب

ونحن الوارثون ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمإ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين قال يا ابليس مالك ألا تكون مع الساجدين قال لم أكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين قال رب فأنظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال رب بما أغويتني لأزينن لهم

هلاكهم (في الارض) في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى أخلد الى الارض واتبع هواه أو أراد أني أقدر على الاحتيال لآدم والتزيين له الاكل من الشجرة وهو في السماء فأنا على التزيين لاولاده في الارض أقدر أو أراد لاجعلن مكان التزيين عندهم الارض ولاوقعن تزييني فيها أي لازيننها في أعينهم ولاحدثنهم بأن الزينة في الدنيا وحدها حتى يستحبوها على الآخرة ويطمئنوا اليها دونها ونحوه يخرج في عراقيبها نصلي * استثنى المخلصين لانه علم أن كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه * أي (هذا) طريق حق (علي) أن أراعيه وهو أن لا يكون لك سلطان على عبادي الامن اختار اتباعك منهم لغوايته وقرئ علي وهو من علو الشرف والفضل (لموعدهم) الضمير للغاوين وقيل أبواب النار أطباقها وأدراكها فأعلاها للموحدين والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن عباس رضي الله عنه ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين * وقرئ جزء بالتخفيف والتثقيل وقرأ الزهري جز بالتشديد كانه حذف الهمزة وألقى حركتها على الزاي كقولك خب في خبء ثم وقف عليه بالتشديد كقولهم الرجل ثم أجرى الوصل مجرى الوقف * المتقي على الاطلاق من يتقي ما يجب اتقاؤه مما نهي عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما اتقوا الكفر والفواحش ولهم ذنوب تكفرها الصلوات وغيرها (ادخلوها) على ارادة القول وقرأ الحسن أدخلوها (بسلام) سالمين أو مسلما عليكم تسلم عليكم الملائكة * الغل الحقد الكامن في القلب من انغل في جوفه وتغلغل أي ان كان لاحدهم في الدنيا غل على آخر نزع الله ذلك من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن علي رضي الله عنه أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم وعن الحرث الاعور كنت جالسا عنده اذ جاء ابن طلحة فقال له علي مرحبا بك يا ابن أخي أما والله اني لارجو أن أكون أنا وأبوك ممن قال الله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل فقال له قائل كلا الله أعدل من أن يجمعك وطلحة في مكان واحد فقال فلمن هذه الآية لا أم لك وقيل معناه طهر الله قلوبهم من أن يتحاسدوا على الدرجات في الجنة ونزع منها كل غل وألقى فيها التواد والتحاب و (اخوانا) نصب على الحال و (على سرر متقابلين) كذلك وعن مجاهد تدور بهم الاسرة حيثما داروا فيكونون في جميع أحوالهم متقابلين * لما أتم ذكر الوعد والوعيد أتبعه (نبئ عبادي) تقرير الما ذكر وتمكينا له في النفوس * وعن ابن عباس رضي الله عنه غفور لمن تاب وعذابه لمن لم يتب وعطف (ونبئهم) على نبئ عبادي ليتخذوا ما أحل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده أن عذابه هو العذاب الاليم (سلاما) أي نسلم عليك سلاما أو سلمت سلاما (وجلون) خائفون وكان خوفه لامتناعهم من الاكل وقيل لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت * وقرأ الحسن لا توجل بضم التاء من أوجله يوجله اذا أخافه وقرئ لا تأجل ولا تواجل من واجله بمعنى أوجله * وقرئ نبشرك بفتح النون والتخفيف (انا نبشرك) استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل أرادوا أنك بمثابة الآمن المبشر فلا توجل * يعني (أبشرتموني) مع مس الكبر بأن يولد لي أي أن الولادة أمر عجيب مستنكر في العادة مع الكبر (فبم تبشرون) هي ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كأنه قال فبأي أعجوبة تبشروني أو أراد أنكم تبشرونني بما هو غير متصور في العادة فبأي شئ تبشرون يعني لا تبشرونني في الحقيقة بشئ لان البشارة بمثل هذا بشارة بغير شئ ويجوز أن لا يكون صلة لبشر ويكون سؤالا عن الوجه والطريقة يعني بأي طريقة تبشرونني بالولد والبشارة به لا طريقة لها في العادة * وقوله (بشرناك بالحق) يحتمل أن تكون الباء فيه صلة أي بشرناك باليقين الذي لا لبس فيه أو بشرناك بطريقة هي حق وهو قول الله ووعده وأنه قادر على أن يوجد ولدا من غير أبوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر * وقرئ تبشرون بفتح النون وكسرها على حذف نون الجمع والاصل تبشرونن وتبشرونّ بادغام نون الجمع في نون العماد * وقرئ من القنطين من قنط يقنط * وقرئ ومن يقنط بالحركات الثلاث في النون * أراد ومن يقنط من رحمة ربه الا المخطئون طريق الصواب أو الا الكافرون كقوله لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون يعني لم أستنكر

في الارض ولاغوينهم
أجمعين الا عبادك منهم
المخلصين قال هذا
صراط علي مستقيم
ان عبادي ليس لك
عليهم سلطان الا من
اتبعك من الغاوين وان
جهنم لموعدهم أجمعين
لها سبعة أبواب لكل
باب منهم جزء مقسوم
ان المتقين في جنات
وعيون ادخلوها بسلام
آمنين ونزعنا ما في
صدورهم من غل
اخوانا على سرر
متقابلين لا يمسهم فيها
نصب وما هم منها
بمخرجين نبئ عبادي
أني أنا الغفور الرحيم
وأن عذابي هو العذاب
الاليم ونبئهم عن ضيف
ابراهيم اذ دخلوا عليه
فقالوا سلاما قال انا
منكم وجلون قالوا
لا توجل انا نبشرك بغلام
عليم قال أبشرتموني
على أن مسني الكبر فبم
تبشرون قالوا بشرناك
بالحق فلا تكن من
القانطين قال ومن
يقنط من رحمة ربه الا
الضالون قال فما خطبكم
أيها المرسلون قالوا انا
أرسلنا الى قوم مجرمين

* قوله تعالى انا أرسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط انا لمنجوهم أجمعين الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين (قال ان قلت هل الاستثناء الاول متصل الخ) قال أحمد وجعله الاول منقطعا أولى وأمكن وذلك ان في استثنائهم من الضمير العائد على قوم منكرين بعدا من حيث ان موقع الاستثناء اخراج ما لولاه لدخل المستثنى في حكم الاول وهذا الدخول متعذر من التنكير ولذلك قلما تجد النكرة يستثنى منها الا في سياق نفي لانها حينئذ تعم فيتحقق الدخول لولا الاستثناء ومن ثم لم يحسن رأيت قوما الا زيدا وحسن ما رأيت أحدا الا زيدا والله أعلم * عاد كلامه (قال فان قلت لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله قدرنا انها لمن الغابرين الخ) قال أحمد وهذه أيضا من دفائنه الاعتزالية في جحد القضاء والقدر واعتقاد أن الامر أنف لانهم لا يعتقدون ان الله تعالى مريد لاكثر أفعال عبيده من معصية ومباح ونحوهما ولا مقدر لها على العبد بمعنى انه مريد ولكنه عالم بما سيفعلونه على خلاف مشيئته وارادته فالتقدير عندهم هو العلم لا الارادة ثم استدل على ان التقدير هو العلم بتقدير فعله عن العمل وذلك من خواص فعل العلم واخوانه فانظر الى بعد غوره ودقة فطنته في ابتغاء آية يافعها ويعاندها البراهين الواضح فلقها في كلامه شاهد على رده فان التقدير عنده مضمن معنى العلم ومن شأن الفعل المضمن معنى آخر أن يبقى على معناه الاصلي مضافا اليه المعنى الطارئ فيفيدهما جميعا فالتقدير اذا كما أفاد العلم الطارئ يفيد الارادة أصلا ووضعا والله أعلم على ان من الناس من جعل قوله تعالى قدرنا انها لمن الغابرين من كلامه تعالى غير محكي عن الملائكة وهو الظاهر فان الذي يجعله من قول الملائكة يحتاج في نسبتهم التقدير الى أنفسهم الى تأويل ويجعله من باب قول خواص الملك دبرنا كذا وأمرنا بكذا وانما يعنون دبر الملك وأمر وبذلك أوله الزمخشري وان كان أصله لا يحتاج معه الى التأويل لانه اذا جعل قدرنا بمعنى علمنا انها لمن الغابرين فلا غرو في علم الملائكة ذلك باخبار الله تعالى اياهم به وانما يحتاج الى التأويل من جعل قدرنا بمعنى أردنا وقضينا وجعله من قول الملائكة والله أعلم

الا آل لوط انا لمنجوهم أجمعين الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون وأتيناك بالحق وانا لصادقون فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا

ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له في العادة التي أجراها الله (فان قلت) قوله تعالى (الا آل لوط) استثناء متصل أم منقطع (قلت) لا يخلو من أن يكون استثناء من قوم فيكون منقطعا لان القوم موصوفون بالاجرام فاختلف لذلك الجنسان وأن يكون استثناء من الضمير في مجرمين فيكون متصلا كانه قيل الى قوم قد أجرموا كلهم الا آل لوط وحدهم كما قال فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين (فان قلت) فهل يختلف المعنى لاختلاف الاستثناءين (قلت) نعم وذلك أن آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم الارسال وعلى أنهم أرسلوا الى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا الى آل لوط أصلا ومعنى ارسالهم الى القوم المجرمين كارسال الحجر أو السهم الى المرمى في أنه في معنى التعذيب والاهلاك كانه قيل انا أهلكنا قوما مجرمين ولكن آل لوط أنجيناهم وأما في المتصل فهم داخلون في حكم الارسال وعلى أن الملائكة أرسلوا اليهم جميعا ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء فلا يكون الارسال مخلصا بمعنى الاهلاك والتعذيب كما في الوجه الاول (فان قلت) فقوله (انا لمنجوهم) بم يتعلق على الوجهين (قلت) اذا انقطع الاستثناء جرى مجرى خبر لكن في الاتصال بآل لوط لان المعنى لكن آل لوط منجون واذا اتصل كان كلاما مستأنفا كأن ابراهيم عليه السلام قال لهم فما حال آل لوط فقالوا انا لمنجوهم (فان قلت) فقوله (الا امرأته) مم استثنى وهل هو استثناء من استثناء (قلت) استثنى من الضمير المجرور في قوله لمنجوهم وليس من الاستثناء من الاستثناء في شيء لان الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه وأن يقال أهلكناهم الا آل لوط الا امرأته كما اتحد الحكم في قول المطلق أنت طالق ثلاثا الا اثنتين الا واحدة وفي قول المقر لفلان علي عشرة دراهم الا ثلاثة الا درهما فأما في الآية فقد اختلف الحكمان لان الا آل لوط متعلق بأرسلنا أو بمجرمين والا امرأته قد تعلق بمنجوهم فأنى يكون استثناء من استثناء * وقرئ لمنجوهم بالتخفيف والتثقيل (فان قلت) لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله (قدرنا انها لمن الغابرين) والتعليق من خصائص أفعال القلوب (قلت) لتضمن فعل التقدير معنى العلم ولذلك فسر العلماء تقدير الله أعمال العباد بالعلم (فان قلت) فلم أسند الملائكة فعل التقدير وهو لله وحده الى أنفسهم ولم يقولوا قدر الله (قلت) لما لهم من القرب والاختصاص بالله الذي ليس لاحد غيرهم كما يقول خاصة الملك دبرنا كذا وأمرنا بكذا والمدبر والآمر هو الملك لاهم وانما يظهرون بذلك اختصاصهم وأنهم لا يتميزون عنه * وقرئ قدرنا بالتخفيف (منكرون) أي تنكركم نفسي وتنفر منكم فأخاف أن تطرقوني بشر بدليل قوله (بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) أي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما فيه فرحك وسرورك وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه ويكذبونك (بالحق) باليقين من عذابهم (وانا لصادقون) في الاخبار بنزوله بهم * وقرئ فأسر بقطع الهمزة ووصلها من أسرى وسرى وروى صاحب الاقليد فسر من السير * والقطع في آخر الليل قال

اقضى الباب وانظرى فى النجوم * كم علينا من قطع ليل بهيم

وقيل هو بعدما يمضى شئ صالح من الليل (فان قلت) ما معنى أمره باتباع أدبارهم ونهيهم عن الالتفات (قلت) قد بعث الله الهلاك على قومه ونجاه وأهله اجابة لدعوته عليهم وخرج مهاجرا فلم يكن له بد من الاجتهاد فى شكر الله وادامة ذكره وتفريغ باله لذلك فأمر بأن يقدمهم لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه وليكون مطلعا عليهم وعلى أحوالهم فلا تفرط منهم التفاتة احتشاما منه ولا غيرها من الهفوات فى تلك الحال المهولة المحذورة ولئلا يتخلف منهم أحد لغرض له فيصيبه العذاب وليكون مسيره مسير الهارب الذى يقدم سربه ويفوت به ونهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم وليوطنوا أنفسهم على المهاجرة ويطيبوها عن مساكنهم ويمضوا قدما غير ملتفتين الى ما وراءهم كالذى يتحسر على مفارقة وطنه فلا يزال يلوى اليه أخادعه كما قال

تلفت نحو الحى حتى وجدتنى * وجعت من الاصغاء ليتا وأخدعا

أو جعل النهى عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التوانى والتوقف لان من يتلفت لا بد له فى ذلك من أدنى وقفة (حيث تؤمرون) قيل هو مصر وعدى وامضوا الى حيث تعديته الى الظرف المبهم لان حيث مبهم فى الامكنة وكذلك الضمير فى تؤمرون * وعدى قضينا بالى لانه ضمن معنى أوحينا كانه قيل وأوحينا اليه مقضيا مبتوتا وفسر (ذلك الامر) بقوله (أن دابر هؤلاء مقطوع) وفى ابهامه وتفسيره تفخيم للامر وتعظيم له وقرأ الاعمش انّ بالكسر على الاستئناف كان قائلا قال أخبرنا عن ذلك الامر فقال ان دابر هؤلاء وفى قراءة ابن مسعود وقلنا ان دابر هؤلاء ودابرهم آخرهم يعنى يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد (أهل المدينة) أهل سدوم التى ضرب بقاضيها المثل فى الجور مستبشرين بالملائكة (لا تفضحون) بفضيحة ضيفى لان من أسيء الى ضيفه أو جاره فقد أسيء اليه كما أن من أكرم من يتصل به فقد أكرم (ولا تخزون) ولا تذلون باذلال ضيفى من الخزى وهو الهوان أو ولا تشوروا به من الخزاية وهى الحياء (عن العالمين) عن أن تجير منهم أحدا أو تدفع عنهم أو تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل أحد وكان يقوم صلى الله عليه وسلم بالنهى عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض له فأوعدوه وقالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين وقيل عن ضيافة الناس وانزالهم وكانوا نهوه أن يضيف أحدا قط (هؤلاء بناتى) اشارة الى النساء لان كل أمة أولاد نبيها رجالهم بنوه ونساؤهم بناته فكانه قال لهم هؤلاء بناتى فانكحوهن وخلوا بنى فلا تتعرضوا لهم (ان كنتم فاعلين) شك فى قبولهم لقوله كانه قال ان فعلتم ما أقول لكم وما أظنكم تفعلون وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما أحل الله دون ما حرم (لعمرك) على ارادة القول أى قالت الملائكة للوط عليه السلام لعمرك (انهم لفى سكرتهم) أى غوايتهم التى أذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطا الذى هم عليه وبين الصواب الذى تشير به عليهم من ترك البنين الى البنات (يعمهون) يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويصغون الى نصيحتك وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه أقسم بحياته وما أقسم بحياة أحد قط كرامة له والعمر والعمر واحد الا أنهم خصوا القسم بالمفتوح لايثار الاخف فيه وذلك لان الحلف كثير الدور على ألسنتهم ولذلك حذفوا الخبر وتقديره لعمرك مما أقسم به كما حذفوا الفعل فى قولك بالله وقرئ فى سكرهم وفى سكراتهم (الصيحة) صيحة جبريل عليه السلام (مشرقين) داخلين فى الشروق وهو بزوغ الشمس (من سجيل) قيل من طين عليه كتاب من السجل ودليله قوله تعالى حجارة من طين مسومة عند ربك أى معلمة بكتاب (للمتوسمين) للمتفرسين المتأملين وحقيقة المتوسمين النظار المتثبتون فى نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشئ يقال توسمت فى فلان كذا أى عرفت وسمه فيه * والضمير فى عاليها سافلها للقرى قوم لوط (وانها) وان هذه القرى يعنى آثارها (لبسبيل مقيم) ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد وهم يبصرون تلك الآثار وهو تنبيه لقريش كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين (أصحاب الايكة) قوم شعيب (وانهما) يعنى قرى قوم لوط والايكة وقيل الضمير للايكة ومدين لان شعيبا كان مبعوثا اليهما فلما ذكر الايكة دل بذكرها على مدين فجاء بضميرهما (لبامام مبين) لبطريق واضح والامام اسم لما يؤتم به فسمى به الطريق ومطمر

حيث تؤمرون وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وجاء أهل المدينة يستبشرون قال ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا أولم ننهك عن العالمين قال هؤلاء بناتى ان كنتم فاعلين لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون فأخذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ان فى ذلك لآيات للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم ان فى ذلك لآية للمؤمنين وان كان أصحاب الايكة لظالمين فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين ولقد كذب

---

* قوله تعالى واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد (قال ان قلت ما معنى أمره باتباع أدبارهم الخ) قال أحمد ولبعض هذه المقاصد عاتب الله تعالى نبيه موسى عليه السلام حيث تقدم قومه فقال وما أعجلك عن قومك يا موسى والله أعلم * عاد كلامه (قال ونهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب الخ) قال أحمد ولقد سلمت هذه الآية

أصحاب الحجر المرسلين وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين فأخذتهم الصيحة مصبحين فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل ان ربك هو الخلاق العليم ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين وقل انى أنا النذير المبين

البناء واللوح الذى يكتب فيه لانهما يؤتم به (أصحاب الحجر) ثمود والحجر واديهم وهو بين المدينة والشأم (المرسلين) يعنى بتكذيبهم صالحا لان من كذب واحدا منهم فكأنما كذبهم جميعا أو أراد صالحا ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون فى ابن الزبير وأصحابه وعن جابر مررنا مع النبى صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم الا أن تكونوا باكين حذرا أن يصيبكم مثل ما أصاب هؤلاء ثم زجر النبى صلى الله عليه وسلم راحلته فأسرع حتى خلفها (آمنين) لوثاقة البيوت واستحكامها من أن تتهدم ويتداعى بنيانها ومن نقب اللصوص ومن الاعداء وحوادث الدهر أو آمنين من عذاب الله يحسبون أن الجبال تحميهم منه (ما كانوا يكسبون) من بناء البيوت الوثيقة والاموال والعدد (الا بالحق) الا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة لا باطلا وعبثا أو بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال (وان الساعة لآتية) وان الله ينتقم لك فيها من أعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسيآتهم فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا لذلك (فاصفح) فأعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم اعراضا جميلا بحلم واغضاء وقيل هو منسوخ بآية السيف ويجوز أن يراد به المخالقة فلا يكون منسوخا (ان ربك هو الخلاق) الذى خلقك وخلقهم وهو (العليم) بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجرى بينكم وهو يحكم بينكم أو ان ربك هو الذى خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم وقد علم أن الصفح اليوم أصلح الى أن يكون السيف أصلح وفى مصحف أبىّ وعثمان ان ربك هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق للكثير لا غير كقولك قطع الثياب وقطع الثوب والثياب (سبعا) سبع آيات وهى الفاتحة أو سبع سور وهى الطوال واختلف فى السابعة فقيل الانفال وبراءة لانهما فى حكم سورة واحدة ولذلك لم يفصل بينهما بآية التسمية وقيل سورة يونس وقيل هى آل حم أو سبع صحائف وهى الاسباع و(المثانى) من التثنية وهى التكرير لان الفاتحة مما تكرر قراءتها فى الصلاة وغيرها أو من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله الواحدة مثناة أو مثنية صفة للآية وأما السور أو الاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثناء كأنها تثنى على الله تعالى بأفعاله العظمى وصفاته الحسنى ومن اما للبيان أو للتبعيض اذا أردت بالسبع الفاتحة أو الطوال وللبيان اذا أردت الاسباع ويجوز أن يكون كتب الله كلها مثانى لانها تثنى عليه ولما فيها من المواعظ المكررة ويكون القرآن بعضها (فان قلت) كيف صح عطف القرآن العظيم على السبع وهل هو الا عطف الشئ على نفسه (قلت) اذا عنى بالسبع الفاتحة أو الطول فما وراءهن ينطلق عليه اسم القرآن لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل الا ترى الى قوله بما أوحينا اليك هذا القرآن يعنى سورة يوسف واذا عنيت الاسباع فالمعنى ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثانى والقرآن العظيم أى الجامع لهذين النعتين وهو الثناء أو التثنية والعظم * أى لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له (الى ما متعنا به أزواجا منهم) أصنافا من الكفار (فان قلت) كيف وصل هذا بما قبله (قلت) يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم قد أوتيت النعمة العظمى التى كل نعمة وان عظمت فهى اليها حقيرة ضئيلة وهى القرآن العظيم فعليك أن تستغنى به ولا تمدن عينيك الى متاع الدنيا ومنه الحديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن وحديث أبى بكر من أوتى القرآن فرأى أن أحدا أوتى من الدنيا أفضل مما أوتى فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وقيل وافت من بصرى وأذرعات سبع قوافل ليهود بنى قريظة والنضير فيها أنواع البز والطيب والجوهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها فى سبيل الله فقال لهم الله عز وعلا لقد أعطيتكم سبع آيات هى خير من هذه القوافل السبع (ولا تحزن عليهم) أى لا تتمن أموالهم ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الاسلام وينتعش بهم المؤمنون * وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وضعفائهم وطب نفسا عن ايمان الاغنياء والاقوياء (وقل) لهم (انى أنا النذير المبين) أنذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم (فان قلت) بم تعلق

على وجازتها آداب المسافرين اهم دينى أو دنيوى من الآمر والمأمور والتابع والمتبوع ما فرطنا في الكتاب من شئ * قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم (قال ان قلت كيف وصل هذا بما قبله الخ) قال أحمد وهذا هو الصواب فى معنى الحديث وقد حمله كثير من العلماء على الغناء وادعى هؤلاء ان تغنى انما يبنى من الغناء الممدود لا من الغنى المقصور وان فعله استغنى خاصة وقد وجدت بناء تغنى من الغنى المقصور فى الحديث الصحيح فى الخيل وأما التى هى ستر فرجل ربطها تغنيا وتعففا واغا هذا من الغنى المقصور قطعا واتفاقا وهو مصدر تغنى فدل ذلك على أنه مستعمل من البناء بن جميعا على خلاف دعوى المخالف والله الموفق

قوله (كما أنزلنا) (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يتعلق بقوله ولقد آتيناك أى أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا على أهل الكتاب وهم المقتسمون (الذين جعلوا القرآن عضين) حيث قالوا بعنادهم وعدوانهم بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه الى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا يستهزؤن به فيقول بعضهم سورة البقرة لى ويقول الآخر سورة آل عمران لى ويجوز أن يراد بالقرآن ما يقرؤنه من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبأن اليهود أقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض والنصارى أقرت ببعض الانجيل وكذبت ببعض وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن صنيع قومه بالقرآن وتكذيبهم وقولهم سحر وشعر وأساطير بأن غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم والثانى أن يتعلق بقوله وقل انى أنا النذير المبين أى وأنذر قريشا مثل ما أنزلنا من العذاب على المقتسمين يعنى اليهود وهو ما جرى على قريظة والنضير جعل المتوقع بمنزلة الواقع وهو من الاعجاز لانه اخبار بما سيكون وقد كان ويجوز أن يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبا بالنذير أى أنذر المعضين الذين يجزؤن القرآن الى سحر وشعر وأساطير مثل ما أنزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم فقعدوا فى كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الآخر كذاب والآخر شاعر فأهلكهم الله يوم بدر وقبله بآفات كالوليد بن المغيرة والعاص ابن وائل والاسود بن المطلب وغيرهم أو مثل ما أنزلنا على الرهط الذين تقاسموا على أن يبيتوا صالحا عليه السلام والاقتسام بمعنى التقاسم (فان قلت) اذا علقت قوله كما أنزلنا بقوله ولقد آتيناك فما معنى توسط لا تمدن الى آخره بينهما (قلت) لما كان ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدد لمعنى التسلية من النهى عن الالتفات الى دنياهم والتأسف على كفرهم ومن الامر بأن يقبل بجامعه على المؤمنين ＊عضين اجزاء جمع عضة وأصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها أعضاء قال رؤبة ＊وليس دين الله بالمعضى＊ وقيل هى فعلة من عضهته اذا بهته وعن عكرمة العضة السحر بلغة قريش يقولون للساحر عاضه ولعن النبى صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة نقصانها على الاول واو وعلى الثانى هاء (لنسئلنهم) عبارة عن الوعيد وقيل يسألهم سؤال تقريع وعن أبى العالية يسأل العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا أجابوا المرسلين (فاصدع بما تؤمر) فاجهر به وأظهره يقال صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا كقولك صرح بها من الصديع وهو الفجر والصدع فى الزجاجة الابانة وقيل فاصدع فافرق بين الحق والباطل بما تؤمر والمعنى بما تؤمر به من الشرائع فحذف الجار كقوله ＊أمرتك الخير فافعل ما أمرت به＊ ويجوز أن تكون ما مصدرية أى بأمرك مصدر من المبنى للمفعول ＊ عن عروة بن الزبير فى المستهزئين هم خمسة نفر ذوو أسنان وشرف الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب والحرث بن الطلاطلة وعن ابن عباس رضى الله عنه ماتوا كلهم قبل بدر قال جبريل عليه السلام للنبى صلى الله عليه وسلم أمرت أن أكفيكهم فأومأ الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فأصاب عرقا فى عقبه فقطعه فمات وأومأ الى أخمص العاص بن وائل فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات وأشار الى عينى الاسود بن المطلب فعمى وأشار الى أنف الحرث بن قيس فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد فى أصل شجرة فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات (بما يقولون) من أقاويل الطاعنين فيك وفى القرآن (فسبح) فافزع فيما نابك الى الله والفزع الى الله هو الذكر الدائم وكثرة السجود يكفك ويكشف عنك الغم ＊ودم على عبادة ربك (حتى يأتيك اليقين) أى الموت أى ما دمت حيا فلا تخل بالعبادة وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم

كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين فوربك لنسئلنهم أجمعين عما كانوا يعملون فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين

قوله الحرث بن قيس كتب عليه اغا يصح اذا كان الطلاطلة لقب قيس والافليس من المعدودين قبل اهـ وعبارة أبى السعود فى اللف والحرث بن قيس ابن الطلاطلة اهـ كتبه مصححه

﴿سورة النحل مكية غير ثلاث آيات في آخرها وتسمى سورة النعم وهي مائة وثمان وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة أو نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعد فقيل لهم (أتى أمر الله) الذي هو بمنزلة الآتي الواقع وإن كان منتظرا لقرب وقوعه (فلا تستعجلوه) روى أنه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم إن هذا يزعم أن القيامة قد قربت فأمسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيأ فنزلت اقترب للناس حسابهم فأشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الأيام قالوا يا محمد ما نرى شيأ مما تخوفنا به فنزلت أتى أمر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه فاطمأنوا وقرئ تستعجلوه بالتاء والياء (سبحانه وتعالى عما يشركون) تبرأ عز وجل عن أن يكون له شريك وأن تكون آلهتهم له شركاء أو عن إشراكهم على أن ما موصولة أو مصدرية (فإن قلت) كيف اتصل هذا باستعجالهم (قلت) لأن استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك وقرئ تشركون بالتاء والياء * وقرئ ينزل بالتخفيف والتشديد وقرئ تنزل الملائكة أي تتنزل (بالروح من أمره) بما يحيي القلوب الميتة بالجهل من وحيه أو بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد و(أن أنذروا) بدل من الروح أي ينزلهم بأن أنذروا وتقديره بأنه أنذروا أي بأن الشأن أقول لكم أنذروا أو تكون أن مفسرة لأن تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول ومعنى أنذروا (أنه لا إله إلا أنا) أعلموا بأن الأمر ذلك من نذرت بكذا إذا علمته والمعنى يقول لهم أعلموا الناس قولي لا إله إلا أنا (فاتقون) ثم دل على وحدانيته وأنه لا إله إلا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والأرض وخلق الإنسان وما يصلحه وما لا بد له منه من خلق البهائم لأكله وركوبه وجر أثقاله وسائر حاجاته وخلق ما لا يعلمون من أصناف خلائقه ومثله متعال عن أن يشرك به غيره وقرئ تشركون بالتاء والياء (فإذا هو خصيم مبين) فيه معنيان أحدهما فإذا هو منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم مبين للحجة بعد ما كان نطفة من مني جمادا لا حس به ولا حركة دلالة على قدرته والثاني فإذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم وصفا للإنسان بالإفراط في الوقاحة والجهل والتمادي في كفران النعمة وقيل نزلت في أبي بن خلف الجمحي حين جاء بالعظم الرميم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم (الأنعام) الأزواج الثمانية وأكثر ما تقع على الإبل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر كقوله والقمر قدرناه ويجوز أن يعطف على الإنسان أي خلق الإنسان والأنعام ثم قال (خلقها لكم) أي ما خلقها إلا لكم ولمصالحكم يا جنس الإنسان * والدفء اسم ما يدفأ به كما أن الملء اسم ما يملأ به وهو الدفاء من لباس معمول من صوف أو وبر أو شعر وقرئ دف بطرح الهمزة وإلقاء حركتها على الفاء (ومنافع) هي نسلها ودرها وغير ذلك (فإن قلت) تقديم الظرف في قوله (ومنها تأكلون) مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها (قلت) الأكل منها هو الأصل الذي يعتمده الناس في معايشهم وأما الأكل من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالجاري مجرى التفكه ويحتمل أن طعمتكم منها لأنكم تحرثون بالبقر فالحب والثمار التي تأكلونها منها وتكتسبون بإكراء الإبل وتبيعون نتاجها وألبانها وجلودها * من الله بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لأنه من أغراض أصحاب المواشي بل هو من معاظمها لأن الرعيان إذا روحوها بالعشي وسرحوها بالغداة فزينت بإراحتها وتسريحها الأفنية وتجاوب فيها الثغاء والرغاء أنست أهلها وفرحت أربابها وأجلتهم في عيون الناظرين إليها وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس ونحوه لتركبوها وزينة يواري سوآتكم وريشا (فإن قلت) لم قدمت الإراحة على التسريح (قلت) لأن الجمال في الإراحة أظهر إذا أقبلت ملأى البطون حافلة الضروع ثم أوت إلى الحظائر حاضرة لأهلها * وقرأ عكرمة حينا تريحون وحينا تسرحون على أن تريحون وتسرحون وصف للحين والمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه كقوله تعالى يوما لا يجزي والد * وقرئ بشق الأنفس بكسر الشين وفتحها وقيل هما لغتان في

﴿سورة النحل مكية هي مائة وثمان وعشرون آية﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلد

(القول في سورة النحل)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله تعالى والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون (قال إن قلت لم قدم المجرور وأجاب بأن الأكل منها هو الأصل الخ) قال أحمد ومدار هذا التقرير على أن تقديم معمول الفعل يوجب حصره فيه فكأنه قال وإنما تأكلون منها

* قوله تعالى وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس (قال ان قلت كيف طابق قوله لم تكونوا بالغيه قوله وتحمل أثقالكم الخ) قال أحمد يحتمل أن يكون المراد تحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه بها الا بشق الانفس واستغنى بذكر البلوغ عن ذكر حملها لان العادة ان المسافر لا يستغنى عن أثقال يستصحبها والمعنى الاول أعلى والله أعلم * قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة (قال ان قلت هلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد الخ) قال أحمد يعني جاز أن ينتصب مجردا من لام التعليل لانه فعل فاعل الفعل الاول وبعينه اقتران الركوب باللام لانه فعل المخاطبين ومتى لم يتحد الفاعل تعين لحاق اللام وفي هذا الجواب نظر فان لقائل ان يقول كان من الممكن مجيئهما معا باللام فيأتيان على سنن واحد ولا غرو في ذلك فالسؤال قائم والجواب العتيد عنه ان المقصود المعتبر الاصلي في هذه الاصناف هو الركوب ٦٨٠ وأما التزين بها فامر تابع غير مقصود قصد الركوب فاقترن المقصود المهم باللام المفيدة للتعليل تنبيها على انه أهم الغرضين وأقوى السببين وتجرد التزين منها تنبيها على تبعيته أو قصوره عن الركوب والله أعلم * قوله تعالى

لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر

معنى المشقة وبينهما فرق وهو أن المفتوح مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذي هو الصدع وأما الشق فالنصف كأنه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد (فان قلت) ما معنى قوله (لم تكونوا بالغيه) كأنهم كانوا زمانا يتحملون المشاق في بلوغه حتى حملت الابل أثقالهم (قلت) معناه وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه في التقدير لو لم تخلق الابل الا بجهد أنفسكم لا انهم لم يكونوا بالغيه في الحقيقة (فان قلت) كيف طابق قوله لم تكونوا بالغيه قوله وتحمل أثقالكم وهلا قيل لم تكونوا حامليها اليه (قلت) طباقه من حيث ان معناه وتحمل أثقالكم الى بلد بعيد قد علمتم أنكم لا تبلغونه بأنفسكم الا بجهد ومشقة فضلا أن تحملوا على ظهوركم أثقالكم ويجوز أن يكون المعنى لم تكونوا بالغيه بها الا بشق الانفس وقيل أثقالكم أجرامكم وعن عكرمة البلد مكة (لرؤف رحيم) حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح (والخيل والبغال والحمير) عطف على الانعام أي وخلق هؤلاء للركوب والزينة وقد احتج على حرمة أكل لحومهن بأن علل خلقها بالركوب والزينة ولم يذكر الاكل بعد ما ذكره في الانعام (فان قلت) لم انتصب (وزينة) (قلت) لانه مفعول له وهو معطوف على محل لتركبوها (فان قلت) فهلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد (قلت) لان الركوب فعل المخاطبين وأما الزينة ففعل الزائن وهو الخالق وقرئ لتركبوها زينة بغير واو أي وخلقها زينة لتركبوها أو تجعل زينة حالا منها أي وخلقها لتركبوها وهي زينة وجمال (ويخلق ما لا تعلمون) يجوز أن يريد به ما يخلق فينا ولنا مما لا نعلم كنهه وتفاصيله ويمن علينا بذكره كما من بالاشياء المعلومة مع الدلالة على قدرته ويجوز أن يخبرنا بأن له من الخلائق ما لا علم لنا به ليزيدنا دلالة على اقتداره بالاخبار بذلك وان طوى عنا علمه لحكمة له في طيه وقد حمل على ما خلق في الجنة والنار مما لم يبلغه وهم أحد ولا خطر على قلبه * المراد بالسبيل الجنس ولذلك أضاف اليها القصد وقال ومنها جائر * والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد أي مستقيم كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعنى قوله (وعلى الله قصد السبيل) أن هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة عليه كقوله ان علينا للهدى (فان قلت) لم غير أسلوب الكلام في قوله (ومنها جائر) (قلت) ليعلم ما يجوز اضافته اليه من السبيلين وما لا يجوز ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها أو وعليه الجائر وقرأ عبد الله ومنكم جائر يعني ومنكم جائر جائر عن القصد بسوء اختياره والله برئ منه (ولو شاء لهداكم أجمعين) قسرا والجاء (لكم) متعلق بأنزل أو بشراب خبر له * والشراب ما يشرب (شجر) يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وفي حديث عكرمة لا تأكلوا ثمن الشجر فانه سحت

وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين (قال ومعناه أن هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة الخ) قال أحمد أين يذهب به عن تتمة الآية وذلك قوله تعالى ولو شاء لهداكم أجمعين ولو كان الامر كما تزعم القدرية لكان الكلام وقد هداكم أجمعين وما كأنهم الا يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون يعني ببعض فانهم ذهبوا الى تأويل الهداية بالقسر والالجاء فكأنهم الا يحرفون الكلم من بعد مواضعه وأما المخالفة بين الاسلوبين فلان سياق الكلام لاقامة حجة الله تعالى على الخلق بأنه بين السبيل القاصد والجائر وهدى قوما اختاروا الهدى وأضل قوما اختاروا الضلالة لانفسهم وقد تقدم في غير ما موضع ان كل فعل صدر على يد العبد فله اعتباران هو من حيث كونه موجودا مخلوق لله تعالى ومضاف اليه بهذا الاعتبار وهو من حيث كونه مقترنا باختيار العبد له وتأتيه له وتيسره عليه يضاف الى العبد وان تعدد هذين الاعتبارين ثابت في كل فعل فناسب اقامة الحجة على العباد اضافة الهداية الى الله تعالى باعتبار خلقه لها واضافة الضلال الى العبد باعتبار اختياره له والحاصل انه ذكر في كل واحد من الفعلين نسبة غير النسبة المذكورة في الآخر ليناسب ذلك اقامة الحجة البالغة والله الموفق للصواب

* عاد كلامه الى قوله لتأكلوا منه لحما طريا (قال هو السمك ووصفه بالطراءة لان الفساد يسرع اليه الخ) قال أحمد فكان ذلك تعليم لا كله وارشاد الى انه لا ينبغى ان يتناول الاطريا والاطباء يقولون ان تناوله بعد ذهاب طراوته اضر شئ يكون والله أعلم * عاد كلامه الى قوله تعالى وتستخرجوا منه حلية تلبسونها (قال الحلية هى اللؤلؤ والمرجان الخ) قال أحمد ولله در مالك (٦٨١) رضى الله عنه حيث جعل للزوج الحجر على زوجته فيما له بال من مالها وذلك مقدر

فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون وماذرأ لكم فى الارض مختلفا ألوانه ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون وان تعدوا نعمة الله

يعنى الكلأ (تسيمون) من سامت الماشية اذا رعت فهى سائمة وأسامها صاحبها وهو من السومة وهى العلامة لانها تؤثر بالرعى علامات فى الارض * قرئ ينبت بالياء والنون (فان قلت) لم قيل ومن كل الثمرات (قلت) لان كل الثمرات لا تكون الا فى الجنة وانما أنبت فى الارض بعض من كلها للتذكرة (يتفكرون) ينظرون فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته * والآية الدلالة الواضحة وعن بعضهم ينبت بالتشديد وقرأ أبى بن كعب ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب بالرفع * قرئت كلها بالنصب على وجعل النجوم مسخرات أو على أن معنى تسخيرها للناس تصييرها نافعة لهم حيث يسكنون بالليل ويبتغون من فضله بالنهار ويعلمون عدد السنين والحساب بمسير الشمس والقمر ويهتدون بالنجوم فكأنه قيل ونفعكم بها فى حال كونها مسخرات لما خلقن له بأمره ويجوز أن يكون المعنى أنه سخرها أنواعا من التسخير جمع مسخر بمعنى تسخير من قولك سخره الله مسخرا كقولك سرحه مسرحا كأنه قيل وسخرها لكم تسخيرات بأمره وقرئ بنصب الليل والنهار وحدهما ورفع ما بعدهما على الابتداء والخبر وقرئ والنجوم مسخرات بالرفع وما قبله بالنصب وقال (ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) فجمع الآية وذكر العقل لان الآثار العلوية أظهر دلالة على القدرة الباهرة وأبين شهادة للكبرياء والعظمة (وماذرأ لكم) معطوف على الليل والنهار يعنى ما خلق فيهما من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك مختلف الهيآت والمناظر (لحما طريا) هو السمك ووصفه بالطراءة لان الفساد يسرع اليه فيسارع الى أكله خيفة الفساد عليه (فان قلت) ما بال الفقهاء قالوا اذا حلف الرجل لا يأكل لحما فأكل سمكا لم يحنث والله تعالى سماه لحما كما ترى (قلت) مبنى الايمان على العادة وعادة الناس اذا ذكر اللحم على الاطلاق أن لا يفهم منه السمك واذا قال الرجل لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالانكار ومثاله أن الله تعالى سمى الكافر دابة فى قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فلو حلف حالف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث (حلية) هى اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم لانهن من جملتهم ولانهن انما يتزين بها من أجلهم فكأنها زينتهم ولباسهم * المخر شق الماء بحيزومها وعن الفراء هو صوت جرى الفلك بالرياح * وابتغاء الفضل التجارة (أن تميد بكم) كراهة أن تميل بكم وتضطرب والمائد الذى يدار به اذا ركب البحر قيل خلق الله الارض فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هى بمقر أحد على ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت (وأنهارا) وجعل فيها أنهارا لان ألقى فيه معنى جعل ألا ترى الى قوله ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا (وعلامات) هى معالم الطرق وكل ما تستدل به السابلة من جبل ومنهل وغير ذلك * والمراد بالنجم الجنس كقولك كثر الدرهم فى أيدى الناس وعن السدى هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدى وقرأ الحسن وبالنجم بضمتين وبضمة وسكون وهو جمع نجم كرهن ورهن والسكون تخفيف وقيل حذف الواو من النجوم تخفيفا (فان قلت) قوله (وبالنجم هم يهتدون) مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه النجم مقحم فيه هم كأنه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فمن المراد بهم (قلت) كأنه أراد قريشا كان لهم اهتداء بالنجوم فى مسايرهم وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر أوجب عليهم والاعتبار ألزم لهم فخصصوا (فان قلت) من لا يخلق أريد به الاصنام فلم جئ بمن الذى هو لاولى العلم (قلت) فيه أوجه أحدها أنهم سموها آلهة وعبدوها فأجروها مجرى أولى العلم ألا ترى الى قوله على أثره والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيأ وهم يخلقون والثانى المشاكلة بينه وبين من يخلق

بالزائد على الثلث لحقه فيها بالتجمل فانظر الى مكنة حظ الرجال من مال النساء ومن زينتهن حتى

٨٦ كشاف ل جعل حظ المرأة من مالها وزينتها حلية له فعبر عن حظه فى لبسها بلبسه تماما بعبر عن حظها سواء مؤيدا بالحديث المروى فى الباب والله أعلم * قوله تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق الآية (قال ان قلت من لا يخلق أريد به الاصنام الخ) قال أحمد هو تحوم على ان العباد يخلقون أفعالهم وان المراد اظهار التفاوت بين من يخلق منهم ومن لا يخلق كالعاجزين والزمنى حتى يثبت التفاوت بين من يخلق منهم وبين الاصنام بطريق الاولى وقد تمكن منه الطمع حتى اعتقد انه يثبت خلق العبد لافعاله بتنزيله الآية على

والثالث أن يكون المعنى أن من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولى العلم فكيف بما لا علم عنده كقوله ألهم أرجل يمشون بها يعني أن الآلهة حالهم منحطة عن حال من لهم أرجل وأيد وآذان وقلوب لأن هؤلاء أحياء وهم أموات فكيف تصح لهم العبادة لا أنها لو صحت لهم هذه الأعضاء لصح أن يعبدوا (فإن قلت) هو إلزام للذين عبدوا الأوثان وسموها آلهة تشبيها بالله فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق فكان حق الإلزام أن يقال لهم أفمن لا يخلق كمن يخلق (قلت) حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه والعبادة له وسووا بينه وبينه فقد جعلوا الله تعالى من جنس المخلوقات وشبيها بها فأنكر عليهم ذلك بقوله أفمن يخلق كمن لا يخلق (لا تحصوها) لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلا أن تطيقوا القيام بحقها من أداء الشكر أتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبيها على أن وراءها ما لا ينحصر ولا ينعد (إن الله لغفور رحيم) حيث يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) من أعمالكم وهو وعيد (والذين يدعون) والآلهة الذين يدعوهم الكفار (من دون الله) وقرئ بالتاء وقرئ يدعون على البناء للمفعول * نفى عنهم خصائص الإلهية بنفي كونهم خالقين وأحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث وأثبت لهم صفات الخلق بأنهم مخلوقون وأنهم أموات وأنهم جاهلون بالغيب ومعنى (أموات غير أحياء) أنهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات أي غير جائز عليها الموت كالحي الذي لا يموت وأمرهم على العكس من ذلك والضمير في يبعثون للداعين أي لا يشعرون متى تبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين وأن آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم وفيه دلالة على أنه لا بد من البعث وأنه من لوازم التكليف ووجه آخر وهو أن يكون المعنى أن الناس يخلقونهم بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على نحو ذلك فهم أعجز من عبدتهم أموات جمادات لا حياة فيها غير أحياء يعني أن من الأموات ما يعقب موته حياة كالنطف التي ينشئها الله حيوانا وأجساد الحيوان التي تبعث بعد موتها وأما الحجارة فأموات لا يعقب موتها حياة وذلك أعرق في موتها (وما يشعرون أيان يبعثون) أي وما يعلم هؤلاء الآلهة متى تبعث الأحياء تهكما بحالها لأن شعور الجماد محال فكيف بشعور ما لا يعلمه حي إلا الحي القيوم سبحانه ووجه ثالث وهو أن يراد بالذين يدعون الملائكة وكان ناس منهم يعبدونهم وأنهم أموات أي لا بد لهم من الموت غير أحياء غير باقية حياتهم وما يشعرون ولا علم لهم بوقت بعثهم وقرئ إيان بكسر الهمزة (إلهكم إله واحد) يعني أنه قد ثبت بما تقدم من إبطال أن تكون الإلهية لغيره وأنه واحد لا شريك له فيها فكان من نتيجة ثبات الوحدانية ووضوح دليلها استمرارهم على شركهم وأن قلوبهم منكرة للوحدانية وهم مستكبرون عنها وعن الإقرار بها (لا جرم) حقا (أن الله يعلم) سرهم وعلانيتهم فيجازيهم وهو وعيد (إنه لا يحب المستكبرين) يجوز أن يريد المستكبرين عن التوحيد يعني المشركين ويجوز أن يعم كل مستكبر ويدخل هؤلاء تحت عمومه (ماذا) منصوب بأنزل بمعنى أي شيء (أنزل ربكم) أو مرفوع بالابتداء بمعنى أي شيء أنزله ربكم فإذا نصبت فمعنى (أساطير الأولين) ما يدعون نزوله أساطير الأولين وإذا رفعته فالمعنى المنزل أساطير الأولين كقوله ماذا ينفقون قل العفو فيمن رفع (فإن قلت) هو كلام متناقض لأنه لا يكون منزل ربهم وأساطير (قلت) هو على السخرية كقوله إن رسولكم وهو كلام بعضهم لبعض أو قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سألهم وفود الحاج عما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا أحاديث الأولين وأباطيلهم (ليحملوا أوزارهم) أي قالوا ذلك إضلالا للناس وصدا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فحملوا أوزار ضلالهم (كاملة) وبعض أوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الإضلال لأن المضل والضال شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه على إضلاله فيتحاملان الوزر ومعنى اللام التعليل من غير أن يكون غرضا كقولك خرجت من البلد مخافة الشر (بغير علم) حال من المفعول أي يضلون من لا يعلم أنهم ضلال وإنما وصف بالضلال واحتمال الوزر من أضلوه وإن لم يعلم لأنه كان عليه أن يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين المحق والمبطل * القواعد أساطين البناء التي تعمده وقيل الأساس وهذا تمثيل يعني أنهم سووا منصوبات ليمكروا بها الله

لا تحصوها إن الله لغفور رحيم والله يعلم ما تسرون وما تعلنون والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيأ وهم يخلقون أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه لا يحب المستكبرين وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم

هذا التأويل ويتعين لو تم له ذلك * وما كل ما يتمنى المرء يدركه * عاد كلامه (قال فإن قلت هو إلزام للذين عبدوا الأوثان وسموها آلهة تشبيها بالله تعالى وكان من حق الإلزام الخ) قال أحمد وقد تقدم الكلام في ذلك عند قوله تعالى وليس الذكر كالأنثى فجدد به عهدا

ورسوله

* قوله تعالى وقال الذين أشركوا لوشاء الله ماعبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا الى قوله ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة (قال يعنى انهم أشركوا بالله (٦٨٣) وحرموا ما أحل الله الخ) قال أحمد

ورسوله بجهل الله هلاكهم فى تلك المتصورات كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فأتى البنيان من الاساطين بأن ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا ونحوه من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا وقيل هو نمروذ بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا * ومعنى اتيان الله اتيان أمره (من القواعد) من جهة القواعد (من حيث لا يشعرون) من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون * وقرئ فأتى الله بيتهم فخر عليهم السقف بضمتين (يخزيهم) يذلهم بعذاب الخزى وربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته يعنى هذا لهم فى الدنيا ثم العذاب فى الآخرة (شركاءى) على الاضافة الى نفسه حكاية لاضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم (تشاقون فيهم) تعادون وتخاصمون المؤمنين فى شأنهم ومعناهم وقرئ تشاقون بكسر النون بمعنى تشاقوننى لان مشاقة المؤمنين كأنها مشاقة الله (قال الذين أوتوا العلم) هم الانبياء والعلماء من أممهم الذين كانوا يدعونهم الى الايمان ويعظونهم فلا يلتفتون اليهم ويتكبرون عليهم ويشاقونهم يقولون ذلك شماتة بهم وحكى الله ذلك من قولهم ليكون لطفا لمن سمعه وقيل هم الملائكة * قرئ تتوفاهم بالتاء والياء وقرئ الذين توفاهم بادغام التاء فى التاء (فألقوا السلم) فسالموا وأخبتوا وجاؤا بخلاف ما كانوا عليه فى الدنيا من الشقاق والكبر وقالوا (ما كنا نعمل من سوء) وجحدوا ما وجد منهم من الكفر والعدوان فرد عليهم أولو العلم (ان الله عليم بما كنتم تعملون) فهو يجازيكم عليه وهذا أيضا من الشماتة وكذلك (فادخلوا أبواب جهنم * خيرا) أنزل خيرا (فان قلت) لم نصب هذا ورفع الاول (قلت) فصلا بين جواب المقر وجواب الجاحد يعنى أن هؤلاء لما سئلوا لم يتلعثموا وأطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفا مفعولا للانزال فقالوا خيرا أى أنزل خيرا وأولئك عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو أساطير الاولين وليس من الانزال فى شئ وروى أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبى صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وأمروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول أنا شر وافد ان رجعت الى قومى دون أن أستطلع أمر محمد وأراه فيلقى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبرونه بصدقه وأنه نبى مبعوث فهم الذين قالوا خيرا وقوله (للذين أحسنوا) وما بعده بدل من خيرا حكاية لقول الذين اتقوا أى قالوا هذا القول فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاه ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ عدة للقائلين ويجعل قولهم من جملة احسانهم ويحمدوا عليه (حسنة) مكافأة فى الدنيا باحسانهم ولهم فى الآخرة ما هو خير منها كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة (ولنعم دار المتقين) دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره و (جنات عدن) خبر مبتدا محذوف ويجوز أن يكون المخصوص بالمدح (طيبين) طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصى لانه فى مقابلة ظالمى أنفسهم (يقولون سلام عليكم) قيل اذا أشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك فقال السلام عليك يا ولى الله الله يقرأ عليك السلام ويبشره بالجنة (تأتيهم الملائكة) قرئ بالتاء والياء يعنى أن تأتيهم لقبض الارواح و (أمر ربك) العذاب المستأصل أو القيامة (كذلك) أى مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب (فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله) بتدميرهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) لانهم فعلوا ما استوجبوا به التدمير (سيئات ما عملوا) جزاء سيئات أعمالهم أو هو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها هذا من جملة ما عدد من أصناف كفرهم وعنادهم من شركهم بالله وانكار وحدانيته بعد قيام الحجج وانكار البعث واستعجاله استهزاء منهم به وتكذيبهم الرسول وشقاقهم واستكبارهم عن قبول الحق يعنى أنهم أشركوا بالله وحرموا ما أحل الله من البحيرة والسائبة وغيرهما ثم نسبوا فعلهم الى الله وقالوا لو شاء لم نفعل وهذا مذهب المجبرة بعينه (كذلك فعل

من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول أين شركاءى الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين أوتوا العلم ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين جنات عدن يدخلونها تجرى من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك يجزى الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى أمر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون فأصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شئ كذلك فعل

قد تكرر منه مثل هذا الفصل فى أخت الآية المتقدمة فى سورة الانعام وقد قدمنا حينئذ ما فيه مقنع ان شاء الله والذى زاده هنا يثبت

معتقده على مازعمه بقوله تعالى ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ووجه تمسكه به ان الله تعالى قسم العبادة الى قسمين مأمور به ومنهى عنه والامر والنهى عند المصنف راجعان الى المشيئة بناء على زعم القدرية فى انكار كلام النفس وحمل الاقتضاء على الارادة فالحاصل (٦٨٤) حينئذ من هذه التتمة ان الله شاء عبادة الخلق له وشاء اجتنابهم عبادة الطاغوت ولم يشأ منهم ان يشركوا به وأخبرهم هذه المشيئة على لسان كل رسول بعثه الى أمة من الامم فجاءت التتمة

الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدى من يضل وما لهم من ناصرين وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ليبين لهم الذى يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون والذين هاجروا

الذين من قبلهم) أى أشركوا وحرموا حلال الله فلما نبهوا على قبح فعلهم وركوه على ربهم (فهل على الرسل) الا أن يبلغوا الحق وأن الله لا يشاء الشرك والمعاصى بالبيان والبرهان ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه وبراءة الله تعالى من أفعال العباد وأنهم فاعلوها بقصدهم وارادتهم واختيارهم والله تعالى باعثهم على جميلها وموفقهم له وزاجرهم عن قبيحها وموعدهم عليه * ولقد أمد ابطال قدر السوء ومشيئة الشر بأنه ما من أمة الا وقد بعث فيهم رسولا يأمرهم بالخير الذى هو الايمان وعبادة الله وباجتناب الشر الذى هو طاعة الطاغوت (فمنهم من هدى الله) أى لطف به لانه عرفه من أهل اللطف (ومنهم من حقت عليه الضلالة) أى ثبت عليه الخذلان والترك من اللطف لانه عرفه مصمما على الكفر لا يأتى منه خير (فسيروا فى الارض فانظروا) مافعلت بالمكذبين حتى لا يبقى لكم شبهة فى أنى لا أقدر الشر ولا أشاؤه حيث أفعل ما أفعل بالاشرار * ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ايمانهم وعرفه أنهم من قسم من حقت عليه الضلالة وأنه (لا يهدى من يضل) أى لا يلطف بمن يخذل لانه عبث والله تعالى متعال عن العبث لانه من قبيل القبائح التى لا تجوز عليه وقرئ لا يهدى أى لا تقدر أنت ولا أحد على هدايته وقد خذله الله وقوله (وما لهم من ناصرين) دليل على أن المراد بالاضلال الخذلان الذى هو نقيض النصرة ويجوز أن يكون لا يهدى بمعنى لا يهتدى يقال هداه الله فهدى وفى قراءة أبى فان الله لا هادى لمن يضل ولمن أضل وهى معاضدة لمن قرأ لا يهدى على البناء للمفعول وفى قراءة عبد الله يهدى بادغام تاء يهتدى وهى معاضدة للاولى وقرئ يضل بالفتح * وقرأ النخعى ان تحرص بفتح الراء وهى لغية (وأقسموا بالله) معطوف على وقال الذين أشركوا ايذانا بأنهما كفرتان عظيمتان موصوفتان حقيقتان بأن تحكيا وتدونا توريك ذنوبهم على مشيئة الله وانكارهم البعث مقسمين عليه و(بلى) اثبات لما بعد النفى أى بلى يبعثهم * ووعد الله مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لان يبعث موعد من الله وبين أن الوفاء بهذا الموعد حق واجب عليه فى الحكمة (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أنهم يبعثون أو أنه وعد واجب على الله لانهم يقولون لا يجب على الله شئ لا ثواب عامل ولا غيره من مواجب الحكمة (ليبين لهم) متعلق بما دل عليه بلى أى يبعثهم ليبين لهم والضمير لمن يموت وهو عام للمؤمنين والكافرين والذين اختلفوا فيه هو الحق (وليعلم الذين كفروا أنهم) كذبوا فى قولهم لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ وفى قولهم لا يبعث الله من يموت وقيل يجوز أن يتعلق بقوله ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أى بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه وأنهم كانوا على الضلالة قبله مفترين على الله الكذب (قولنا) مبتدأ و(أن نقول) خبره و(كن فيكون) من كان التامة التى بمعنى الحدوث والوجود أى اذا أردنا وجود شئ فليس الا أن نقول له احدث فهو يحدث عقيب ذلك لا يتوقف وهذا مثل لان مرادا لا يمتنع عليه وأن وجوده عند ارادته تعالى غير متوقف كوجود المأمور به عند أمر الآمر المطاع اذا ورد على المأمور المطيع الممتثل ولا قول ثم والمعنى أن ايجاد كل مقدور على الله تعالى بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذى هو من شق المقدورات وقرئ فيكون عطفا على نقول (والذين هاجروا) هم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ظلمهم أهل مكة

مترجمة عن معنى صدر الآية مؤكدة بمقتضاه هذا هو الذى زاده المصنف ههنا وقد بينا ان مبناه على انكار كلام النفس الثابت قطعا فهو باطل جزما ففروا
واعجب ان الله تعالى أوضح فى الآيتين جميعا ان الذى أنكره من القائلين لو شاء الله ما أشركنا الغاؤهم واحتجاجهم على الله تعالى بمشيئته التى لا حجة لهم فيها مع ما خلق لهم من الاختيار بقوله ههنا فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة وبقوله فى آخر آية الانعام فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين فتبين فيهما انه هو الذى شاء منهم الاشراك والضلالة ولو شاء هدايتهم أجمعين لاهتدوا عن آخرهم وحصل من هذا البيان صرف الانكار عليهم الى غير نسبة المشيئة لله تعالى وذلك هو الذى قدمناه فى اقامتهم الحجة على الله بمشيئته مع ان حجتهم فى ذلك داحضة ولله عليهم الحجة البالغة الواضحة والله الموفق

ففروا بدينهم الى الله منهم من هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم من هاجر الى المدينة
وقيل هم الذين كانوا محبوسين معذبين بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما خرجوا تبعوهم فردوهم
منهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعن صهيب أنه قال لهم أنا رجل كبير ان كنت معكم لم أنفعكم وان كنت
عليكم لم أضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه أبو بكر رضي الله عنه قال له ربح البيع يا صهيب وقال له عمر
نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وهو ثناء عظيم يريد لو لم يخلق الله نارا لأطاعه فكيف (في الله) في
حقه ولوجهه (حسنة) صفة للمصدر أى لنبوئنهم تبوئة حسنة وفي قراءة علي رضي الله عنه لنثوينهم ومعناه
اثواءة حسنة وقيل لننزلنهم في الدنيا منزلة حسنة وهي الغلبة على أهل مكة الذين ظلموهم وعلى العرب قاطبة
وعلى أهل المشرق والمغرب وعن عمر رضي الله عنه أنه كان اذا أعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال خذ بارك
الله لك فيه هذا ما وعدك ربك في الدنيا وما ذخر لك في الآخرة أكثر وقيل لنبوئنهم مباءة حسنة وهي المدينة
حيث آواهم أهلها ونصروهم (لو كانوا يعلمون) الضمير للكفار أى لو علموا أن الله يجمع لهؤلاء المستضعفين
في أيديهم الدنيا والآخرة لرغبوا في دينهم ويجوز أن يرجع الضمير الى المهاجرين أى لو كانوا يعلمون ذلك لزادوا
في اجتهادهم وصبرهم (الذين صبروا) على هم الذين صبروا أو أعني الذين صبروا وكلاهما مدح أى صبروا على
العذاب وعلى مفارقة الوطن الذي هو حرم الله المحبوب في كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رؤسهم
وعلى المجاهدة وبذل الارواح في سبيل الله * قالت قريش الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا فقيل (وما
أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم) على ألسنة الملائكة (فاسئلوا أهل الذكر) وهم أهل الكتاب ليعلموكم
أن الله لم يبعث الى الامم السالفة الا بشرا (فان قلت) بم تعلق قوله (بالبينات) (قلت) له متعلقات شتى فاما
أن يتعلق بما أرسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا أى وما أرسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت
الا زيدا بالسوط لان أصله ضربت زيدا بالسوط واما برجالا صفة له أى رجالا ملتبسين بالبينات واما بأرسلنا
مضمرا كأنما قيل بم أرسلوا فقلت بالبينات فهو على كلامين والاول على كلام واحد واما بيوحي أى يوحي
اليهم بالبينات واما بلا تعلمون على أن الشرط في معنى التبكيت والالزام كقول الاجير ان كنت عملت لك
فأعطني حقي وقوله فاسئلوا أهل الذكر اعتراض على الوجوه المتقدمة وأهل الذكر أهل الكتاب وقيل
للكتاب الذكر لانه موعظة وتنبيه للغافلين (ما نزل اليهم) يعني ما نزل الله اليهم في الذكر مما أمروا به ونهوا
عنه ووعدوا وأوعدوا (ولعلهم يتفكرون) وارادة أن يصغوا الى تنبيهاته فيتنبهوا ويتأملوا (مكروا السيئات)
أى المكرات السيآت وهم أهل مكة وما مكروا به رسول الله صلى الله عليه وسلم (في تقلبهم) متقلبين في
مسايرهم ومتاجرهم وأسباب دنياهم (على تخوف) متخوفين وهو أن يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم
بالعذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون وقيل هو من قولك تخوفته
وتخونته اذا تنقصته قال زهير

تخوف الرحل منها تامكا قردا * كما تخوف عود النبعة السفن

أى يأخذهم على أن يتنقصهم شيئا بعد شيء في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا وعن عمر رضي الله عنه أنه قال
على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص قال فهل تعرف العرب
ذلك في أشعارها قال نعم قال شاعرنا وأنشد البيت فقال عمر أيها الناس عليكم بديوانكم لا يضل قالوا وما ديواننا
قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم (فان ربكم لرؤف رحيم) حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم
* قرئ أولم يروا وتتفيؤ بالياء والتاء * وما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه (من شيء يتفيؤ ظلاله) * واليمين
بمعنى الايمان و (سجدا) حال من الظلال (وهم داخرون) حال من الضمير في ظلاله لانه في معنى الجمع وهو
ما خلق الله من كل شيء له ظل وجمع بالواو لان الدخور من أوصاف العقلاء أو لان في جملة ذلك من يعقل
فغلب والمعنى أولم يروا الى ما خلق الله من الاجرام التي لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها أى عن جانبي
كل واحد منها وشقيه استعارة من يمين الانسان وشماله لجانبي الشيء أى ترجع الظلال من جانب الى جانب

في الله من بعد ما ظلموا
لنبوئنهم في الدنيا حسنة
ولأجر الآخرة أكبر
لو كانوا يعلمون الذين
صبروا وعلى ربهم
يتوكلون وما أرسلنا
من قبلك الا رجالا نوحي
اليهم فاسئلوا أهل الذكر
ان كنتم لا تعلمون بالبينات
والزبر وأنزلنا اليك
الذكر لتبين للناس
ما نزل اليهم ولعلهم
يتفكرون أفأمن الذين
مكروا السيآت أن
يخسف الله بهم الارض
أو يأتيهم العذاب من
حيث لا يشعرون أو
يأخذهم في تقلبهم فما
هم بمعجزين أو يأخذهم
على تخوف فان ربكم
لرؤف رحيم أولم يروا
الى ما خلق الله من شيء
يتفيؤ ظلاله عن اليمين
والشمائل سجدا لله
وهم داخرون ولله
يسجد ما في السموات
وما في الارض

﴿قوله تعالى ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة الآية (قال ان قلت سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود غيرهم فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد الخ) قال أحمد وهذا مما يتمسك به لمن اختار تناول اللفظ الواحد لحقيقته ومجازه معا ولم ير ذلك متناقضا فان السجود يتناول فعل المكلف حقيقة ويتناول حال غير المكلف بطريق مجاز التشبيه وقد أريدا جميعا من الآية والزمخشري ينكر ذلك في مواضع مررت عليها من كتابه هذا وظاهر مراده ههنا أن السجود عبارة عن قدر مشترك بين فعل المكلف وحال غير المكلف وهو عدم الامتناع عند القدرية وغرضه من ذلك ان يكون اللفظ متواطئا فيهما جميعا ليسلم من الجمع بين الحقيقة والمجاز لانه يأبى ذلك ولا يتم له هذا المقصد في الآية

من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياى فارهبون وله ما في السموات والارض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون ثم اذا كشف الضر عنكم

منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام في أنفسها داخرة أيضا صاغرة منقادة لافعال الله فيها لا تمتنع (من دابة) يجوز أن يكون بيانا لما في السموات وما في الارض جميعا على أن في السموات خلقا لله يدبون فيها كما يدب الاناسي في الارض وأن يكون بيانا لما في الارض وحده ويراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح وأن يكون بيانا لما في الارض وحده ويراد بما في السموات الملائكة وكرر ذكرهم على معنى والملائكة خصوصا من بين الساجدين لانهم أطوع الخلق وأعبدهم ويجوز أن يراد بما في السموات ملائكتهن وبقوله والملائكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم (فان قلت) سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود غيرهم فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد (قلت) المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم وبسجود غيرهم انقياده لارادة الله وأنها غير ممتنعة عليها وكلا السجودين يجمعهما معنى الانقياد فلم يختلفا فلذلك جاز أن يعبر عنهما بلفظ واحد (فان قلت) فهلا جيء بمن دون ما تغليبا للعقلاء من الدواب على غيرهم (قلت) لانه لو جيء بمن لم يكن فيه دليل على التغليب فكان متناولا للعقلاء خاصة فجيء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم ارادة العموم (يخافون) يجوز أن يكون حالا من الضمير في لا يستكبرون أي لا يستكبرون خائفين وأن يكون بيانا لنفي الاستكبار وتأكيدا له لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته (من فوقهم) ان علقته بيخافون فمعناه يخافونه أن يرسل عليهم عذابا من فوقهم وان علقته بربهم حالا منه فمعناه يخافون ربهم عاليا لهم قاهرا كقوله وهو القاهر فوق عباده وانا فوقهم قاهرون وفيه دليل على أن الملائكة مكلفون مدارون على الامر والنهي والوعد والوعيد كسائر المكلفين وأنهم بين الخوف والرجاء (فان قلت) انما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندي رجال ثلاثة وأفراس أربعة لان المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص وأما رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة الى أن يقال رجل واحد ورجلان اثنان فما وجه قوله (الهين اثنين) (قلت) الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فاذا أريدت الدلالة على أن المعني به منهما والذي يساق اليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد اليه والعناية به ألا ترى أنك لو قلت انما هو اله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل أنك تثبت الالهية لا الوحدانية (فاياى فارهبون) نقل للكلام عن الغيبة الى التكلم وجاز لان الغائب هو المتكلم وهو من طريقة الالتفات وهو أبلغ في الترهيب من قوله واياه فارهبوه ومن أن يجيء ما قبله على لفظ المتكلم (الدين) الطاعة (واصبا) حال عمل فيه الظرف والواصب الواجب الثابت لان كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه ويجوز أن يكون من الوصب أي وله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك سمي تكليفا أو وله الجزاء ثابتا دائما سرمدا لا يزول يعني الثواب والعقاب (وما بكم من نعمة) وأي شيء حل بكم أو اتصل بكم من نعمة فهو من الله (فاليه تجأرون) فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الأعشى يصف راهبا

يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا

وقرئ تجرون بطرح الهمزة والقاء حركتها على الجيم * وقرأ قتادة كاشف الضر على فاعل بمعنى فعل وهو أقوى

والله أعلم لان كونها آية سجدة يدل على أن المراد من السجود المذكور فيها منسوبا للمكلفين هو الفعل الخاص المتعارف شرعا الذي يكون ذكره سببا للفعل سببية معتادة في عزائم السجود لا القدر الاعم المشترك والله أعلم

من

﴿قوله تعالى وهم لا يستكبرون يخافون (قال فيه يجوز أن يكون حالا من الضمير الخ) قال أحمد هذا الثاني هو الوجه ليس الا وأما الحال فيعطي انتقالا ويوهم تقييد العدم استكبارهم مع ان الواقع أن عدم استكبارهم مطلق غير مقيد بحال والله الموفق * قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد (قال ان قلت ما فائدة قوله اثنين مع اغناء التثنية عن ذلك الخ) قال أحمد وهذا الفصل من حسناته التي لا يدافع عنها والله الموفق

قوله تعالى واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم الخ) قال فيه ظل بمعنى صار قال أحمد ٣ وجاز أن يراد الظلول نهارا لقصد المبالغة في وصفهم بالعناد والاصرار وانهم لو عرجوا نهارا في الوقت الذي لا يتغابى على البصر فيه شيء الى السماء لتمادوا على كفرهم وتكذيبهم والله أعلم * قوله تعالى ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى (قال المراد بما يكرهونه البنات وشركاء في رياستهم واستخفاف برسلهم الخ) قال أحمد ونقيض هؤلاء من اذا أعجبه شيء من ماله جعله لله (٦٨٧) بل اذا أحب أمة له أعتقها واذا اشتهى طعاما قدم اليه تصدق به على حبه وانما ينقل مثل هذا عن السلف الصالح من الصحابة كابن عمر ونظرائه ومن تابعهم فيها ويجعلون لله ما يشتهون اللهم ان لم ننل رتبة أوليائك فانا نحبهم فمن أحب قوما حشر معهم

من كشف لان بناء المغالبة يدل على المبالغة (فان قلت) فما معنى قوله (اذا فريق منكم بربهم يشركون) (قلت) يجوز أن يكون الخطاب في قوله وما بكم من نعمة فمن الله عاما ويريد بالفريق فريق الكفرة وأن يكون الخطاب للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض كأنه قال فاذا فريق كافر وهم أنتم ويجوز أن يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد (ليكفروا بما آتيناهم) من نعمة الكشف عنهم كأنهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة (فتمتعوا فسوف تعلمون) تخلية ووعيد وقرئ فيمتعوا بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا ويجوز أن يكون ليكفروا فيمتعوا من الامر الوارد في معنى الخذلان والتخلية واللام لام الامر (لما لا يعلمون) أي لآلهتهم ومعنى لا يعلمونها أنهم يسمونها آلهة ويعتقدون فيها أنها تضر وتنفع وتشفع عند الله وليس كذلك وحقيقتها أنها جماد لا يضر ولا ينفع فهم اذا جاهلون بها وقيل الضمير في لا يعلمون للآلهة أي لاشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر أجعلوا لها نصيبا في أنعامهم وزروعهم أم لا وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا اليهم (لتسئلن) وعيد (عما كنتم تفترون) من الافك في زعمكم أنها آلهة وأنها أهل للتقرب اليها كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيه لذاته من نسبة الولد اليه أو تعجب من قولهم (ولهم ما يشتهون) يعني البنين ويجوز في ما يشتهون الرفع على الابتداء والنصب على أن يكون معطوفا على البنات أي وجعلوا لانفسهم ما يشتهون من الذكور و (ظل) بمعنى صار كما يستعمل بات وأصبح وأمسى بمعنى الصيرورة ويجوز أن يجيء ظل لان أكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغتما مربد الوجه من الكآبة والحياء من الناس (وهو كظيم) مملوء حنقا على المرأة (يتوارى من القوم) يستخفي منهم (من) أجل (سوء) المبشر به ومن أجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر أيمسك ما بشر به (على هون) على هوان وذل (أم يدسه في التراب) أم يئده وقرئ أيمسكها على هون أم يدسها على التأنيث وقرئ على هوان (ألا ساء ما يحكمون) حيث يجعلون الولد الذي هذا محله عندهم لله ويجعلون لانفسهم من هو على عكس هذا الوصف (مثل السوء) صفة السوء وهي الحاجة الى الاولاد الذكور وكراهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق واقرارهم على أنفسهم بالشح البالغ (ولله المثل الاعلى) وهو الغنى عن العالمين والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو الجواد الكريم (بظلمهم) بكفرهم ومعاصيهم (ما ترك عليها) أي على الارض (من دابة) قط ولأهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين وعن أبي هريرة أنه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم أو من دابة ظالمة وعن ابن عباس من دابة من مشرك يدب عليها وقيل لو أهلك الآباء بكفرهم لم تكن الابناء (ويجعلون لله ما يكرهون) لانفسهم من البنات ومن شركاء في رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم والتهاون برسالاتهم ويجعلون له أرذل أموالهم ولاصنامهم أكرمها (وتصف ألسنتهم) مع ذلك (أن لهم الحسنى) عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وعن بعضهم أنه قال لرجل من ذوي اليسار كيف تكون يوم القيامة اذا قال الله تعالى هاتوا ما دفع الى السلاطين وأعوانهم فيؤتى بالدواب والثياب وأنواع الاموال الفاخرة واذا قال هاتوا ما دفع الى فيؤتى بالكسر والخرق

اذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسئلن عما كنتم تفترون ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم

٣ (قول المحشي وجاز أن يراد الظلول نهارا لقصد المبالغة في وصفهم بالعناد الخ) لعله انتقال نظر اذ لا يخفى انه مما يناسب الكلام في تفسير قوله تعالى ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون الآية فالمناسب حينئذ اسقاطه من هنا وليحرر اهـ مصححه

وما لا يؤبه له أما تستحيي من ذلك الموقف وقرأ هذه الآية وعن مجاهد أن لهم الحسنى هو قول قريش لنا
البنون وأن لهم الحسنى بدل من الكذب * وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة (مفرطون) قرئ
مفتوح الراء ومكسورها مخففا ومشددا فالمفتوح بمعنى مقدمون الى النار معجلون اليها من أفرطت فلانا
وفرطته فى طلب الماء اذا قدمته وقيل منسيون متروكون من أفرطت فلانا خلفى اذا خلفته ونسيته
والمكسور المخفف من الافراط فى المعاصى والمشدد من التفريط فى الطاعات وما يلزمهم (فهو وليهم اليوم)
حكاية الحال الماضية التى كان يزين لهم الشيطان أعمالهم فيها أو فهو وليهم فى الدنيا فجعل اليوم عبارة عن
زمان الدنيا ومعنى وليهم قرينهم وبئس القرين أو يجعل فهو وليهم اليوم حكاية للحال الآتية وهى حال
كونهم معذبين فى النار أى فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره نفى للناصر لهم على أبلغ الوجوه ويجوز أن
يرجع الضمير الى مشركى قريش وأنه زين للكفار قبلهم أعمالهم فهو ولى هؤلاء لانهم منهم ويجوز أن يكون
على حذف المضاف أى فهو ولى أمثالهم اليوم (وهدى ورحمة) معطوفان على محل لتبين الا أنهما انتصبا على
أنهما مفعول لهما لانهما فعلا الذى أنزل الكتاب * ودخل اللام على لتبين لانه فعل المخاطب لا فعل المنزل وانما
ينتصب مفعولا له ما كان فعل فاعل الفعل المعلل * والذى اختلفوا فيه البعث لانه كان فيهم من يؤمن به
ومنهم عبد المطلب وأشياء من التحريم والتحليل والانكار والاقرار (لقوم يسمعون) سماع انصاف وتدبر
لان من لم يسمع بقلبه فكأنه أصم لا يسمع * ذكر سيبويه الانعام فى باب ما لا ينصرف فى الاسماء المفردة
الواردة على أفعال كقولهم ثوب أكياش ولذلك رجع الضمير اليه مفردا وأما فى بطونها فى سورة المؤمنين
فلان معناه الجمع ويجوز أن يقال فى الانعام وجهان أحدهما أن يكون تكسير نعم كأجبال فى جبل وأن يكون
اسما مفردا مقتضيا لمعنى الجمع كنعم فاذا ذكر فكما يذكر نعم فى قوله

فى كل عام نعم تحوونه * يلقحه قوم وتنتجونه

واذا أنث ففيه وجهان أنه تكسير نعم وأنه فى معنى الجمع * وقرئ نسقيكم بالفتح والضم وهو استئناف كأنه قيل
كيف العبرة فقيل نسقيكم (من بين فرث ودم) أى يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه
وبينهما برزخ من قدرة الله لا يبغى أحدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله قيل اذا
أكلت البهيمة العلف فاستقر فى كرشها طبخته فكان أسفله فرثا وأوسطه لبنا وأعلاه دما والكبد مسلطة على
هذه الاصناف الثلاثة تقسمها فتجرى الدم فى العروق واللبن فى الضروع وتبقى الفرث فى الكرش فسبحان الله
ما أعظم قدرته وألطف حكمته لمن تفكر وتأمل وسئل شقيق عن الاخلاص فقال تمييز العمل من العيوب
كتمييز اللبن من بين فرث ودم (سائغا) سهل المرور فى الحلق ويقال لم يغص أحد باللبن قط وقرئ سيغا بالتشديد
وسيغا بالتخفيف كهين ولين (فان قلت) أى فرق بين من الاولى والثانية (قلت) الاولى للتبعيض لان اللبن
بعض ما فى بطونها كقولك أخذت من مال زيد ثوبا والثانية لابتداء الغاية لان بين الفرث والدم مكان الاسقاء
الذى منه يبتدأ فهو صلة لنسقيكم كقولك سقيته من الحوض ويجوز أن يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليه
فيتعلق بمحذوف أى كائنا من بين فرث ودم ألا ترى أنه لو تأخر فقيل لبنا من بين فرث ودم كان صفة له وانما
قدم لانه موضع العبرة فهو قمن بالتقديم وقد احتج بعض من يرى أن المنى طاهر على من جعله نجسا لجريه
فى مسلك البول بهذه الآية وأنه ليس بمستنكر أن يسلك مسلك البول وهو طاهر كما خرج اللبن من بين فرث
ودم طاهرا (فان قلت) بم تعلق قوله (ومن ثمرات النخيل والاعناب) (قلت) بمحذوف تقديره ونسقيكم من
ثمرات النخيل والاعناب أى من عصيرها وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه وقوله (تتخذون منه سكرا) بيان
وكشف عن كنه الاسقاء أو يتعلق بتتخذون ومنه من تكرير الظرف للتوكيد كقولك زيد فى الدار فيها ويجوز
أن يكون تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله بكفى كان من أرمى البشر تقديره ومن ثمرات النخيل
والاعناب ثمر تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا لانهم يأكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر (فان
قلت) فالام يرجع الضمير فى منه اذا جعلته ظرفا مكررا (قلت) الى المضاف المحذوف الذى هو العصير

كما

مفرطون تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون والله أنزل من السماء ماء فأحيى به الارض بعد موتها ان فى ذلك لآية لقوم يسمعون وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون وأوحى ربك الى النحل

كما رجع في قوله تعالى أو هم قائلون الى الاهل المحذوف و السكر الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا قال

وجاؤنا بهم سكر علينا * فأجلى اليوم والسكران صاحى

وفيه وجهان أحدهما أن تكون منسوخة وممن قال بنسخها الشعبي والنخعي والثاني أن يجمع بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند أبي حنيفة الى حد السكر ويحتج بهذه الآية وبقوله صلى الله عليه وسلم الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب وبأخبار جمة ولقد صنف شيخنا أبو علي الجبائي قدس الله روحه غير كتاب في تحليل النبيذ فلما شيخ وأخذت منه السن العالية قيل له لو شربت منه ما تتقوى به فأبى فقيل له فقد صنفت في تحليله فقال تناولته الدعارة فستبح في المروءة وقيل السكر الطعم وأنشد * جعلت أعراض الكرام سكرا * أى تنقلت بأعراضهم وقيل هو من الخمر وأنه اذا ابترك في أعراض الناس فكأنه تخمر بها * والرزق الحسن الخل والرب والتمر والزبيب وغير ذلك ويجوز أن يجعل السكر رزقا حسنا كأنه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن الايحاء الى النحل الهامها والقذف في قلوبها وتعليمها على وجه هو أعلم به لا سبيل لاحد الى الوقوف عليه والا فنيقتها في صنعتها ولطفها في تدبير أمرها واصابتها فيما يصلحها دلائل بينة شاهدة على أن الله أودعها علما بذلك وفطنها كما أولى أولى العقول عقولهم * وقرأ يحيى بن وثاب الى النحل بفتحتين وهو مذكر كالنحل وتأنيثه على المعنى (أن اتخذى) هي أن المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول * قرئ بيوتا بكسر الباء لاجل الياء ويعرشون بكسر الراء وضمها يرفعون من سقوف البيوت وقيل ما يبنون للنحل في الجبال والشجر والبيوت من الاماكن التي تتعسل فيها والضمير في يعرشون للناس (فان قلت) ما معنى من في قوله أن اتخذى (من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون) وهلا قيل في الجبال وفي الشجر (قلت) أريد معنى البعضية وأن لا تبنى بيوتها في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولا في كل مكان منها (من كل الثمرات) احاطة بالثمرات التي تجرسها النحل وتعتاد أكلها أى ابنى البيوت ثم كلى من كل ثمرة تشتهينها فاذا أكلتها (فاسلكي سبل ربك) أى الطرق التي ألهمك وأفهمك في عمل العسل أو فاسلكي ما أكلت في سبل ربك أى في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من أجوافك ومنافذ مآكلك أو اذا أكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي الى بيوتك راجعة سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها فقد بلغني أنها ربما أجدب عليها ما حولها فتسافر الى البلد البعيد في طلب النجعة أو أراد بقوله ثم كلى ثم اقصدى أكل الثمرات فاسلكي في طلبها في مظانها سبل ربك (ذللا) جمع ذلول وهي حال من السبل لان الله ذللها لها ووطأها وسهلها كقوله هو الذي جعل لكم الارض ذلولا أو من الضمير في فاسلكي أى وأنت ذلل منقادة لما أمرت به غير ممتنعة (شراب) يريد العسل لانه مما يشرب (مختلف ألوانه) منه أبيض وأسود وأصفر وأحمر (فيه شفاء للناس) لانه من جملة الاشفية والادوية المشهورة النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الاطباء فيه العسل وليس الغرض أنه شفاء لكل مريض كما أن كل دواء كذلك وتنكيره اما لتعظيم الشفاء الذي فيه أو لان فيه بعض الشفاء وكلاهما محتمل وعن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا جاء اليه فقال ان أخي يشتكي بطنه فقال اذهب واسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ كأنما أنشط من عقال وعن عبد الله بن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفاءين القرآن والعسل ومن بدع تأويلات الرافضة أن المراد بالنحل علي وقومه وعن بعضهم أنه قال عند المهدى انما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدى وحدث به المنصور فاتخذوه أضحوكة من أضاحيكهم (الى أرذل العمر) الى أخسه وأحقره وهو خمس وسبعون سنة عن علي رضي الله عنه وتسعون سنة عن قتادة لانه لا عمر أسوأ حالا من عمر الهرم (لكيلا يعلم بعد علم شيئا) ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولة في النسيان وأن يعلم شيئا ثم يسرع في

أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا ان الله عليم قدير والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء

---

*قوله تعالى وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون (٦٨٩) (قال قلت أريد معنى البعضية وأن لا تبنى بيوتها الخ) قال أحمد ويقرر هذا المعنى الذي نبه عليه الزمخشري في تبعيض من المتعلقة باتخاذ البيوت بالاطلاق في الاكل كأنه تعالى وكل الاكل الى شهوتها واختيارها فلم يحجر عليها فيه وانما حجر عليها في البيوت وأمرت باتخاذها في بعض المواضع دون بعض لان مصلحة الاكل حاصلة على الاطلاق باستمراء مشتهاها منه وأما البيوت فلا تحصل مصلحتها في كل موضع ولهذا المعنى دخلت ثم لتفاوت الامر بين الحجر عليها في اتخاذ البيوت والاطلاق لها في تناول الثمرات كما تقول راع الحلال فيما تأكله ثم كل أى شئ شئت فتوسط ثم لتفاوت الحجر والاطلاق فسبحان اللطيف الخبير

* قوله تعالى فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون (قال تمثيل للاشراك بالله والتشبيه به الخ) قال أحمد فعلى تفسيره الاول يكون قوله لله متعلقا بالامثال كأنه قيل فلا تمثلوا الله ولا تشبهوه وعلى الثانى يكون متعلقا بالفعل الذى هو تضربوا كأنه قيل فلا تمثلوا لله الامثال فان ضرب المثل انما يستعمل من العالم لغير العالم ليبين له ما خفى عنه والله تعالى هو العالم وأنتم لا تعلمون فتمثيل غير العالم للعالم عكس للحقيقة والله أعلم * عاد كلامه (قال فان قلت لم قال مملوكا لا يقدر على شئ الخ) قال أحمد والقول بصحة ملكه هو مذهب الامام مالك رضى الله عنه وفى هذه الآية له معتصم لان الله تعالى مثل بالمملوك

أفبنعمة الله يجحدون والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمت الله هم يكفرون ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيأ ولا يستطيعون فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ

لانه مظنة العجز وعدم الملك والتصرف غالبا ثم أفصح عن المعنى المقصود وهو ان هذا المملوك ليس عن اتفق ان ملكه سيده فملك وقدر بل هو على الاصل المعهود فى المماليك عاجز غير قادر ولو لم يكن ملك العبد متصورا ومعهودا شرعا وعرفا لكان قوله تعالى لا يقدر على شئ عبد كالتكرار لما فهم من قوله عبدا مملوكا وقول القائل يقول انه احتراز من المكاتب بعيد من فصاحة القرآن فانه لو كان العبد لا يصح منه ملك البتة الا فى حال الكتابة لكانت ارادته حينئذ من اطلاق اللفظ كالالغاز الذى لا يعهد مثله فى بيان القرآن واستيلائه على صنوف

نسيانه فلا يعلمه ان سئل عنه وقيل لئلا يعقل من بعد عقله الاول شيأ وقيل لئلا يعلم زيادة علم على علمه * أى جعلكم متفاوتين فى الرزق فرزقكم أفضل مما رزق مماليككم وهم بشر مثلكم واخوانكم فكان ينبغى أن تردوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا فى الملبس والمطعم كما يحكى عن أبى ذر أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون وأطعموهم مما تطعمون فما رؤى عبده بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت (أفبنعمة الله يجحدون) فجعل ذلك من جملة جحود النعمة وقيل هو مثل ضربه الله للذين جعلوا له شركاء فقال لهم أنتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما أنعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء ولا ترضون ذلك لانفسكم فكيف رضيتم أن تجعلوا عبيدى لى شركاء وقيل المعنى أن الموالى والمماليك أنا رازقهم جميعا فهم فى رزقى سواء فلا تحسبن الموالى أنهم يردون على مماليكهم من عندهم شيأ من الرزق فانما ذلك رزقى أجريه اليهم على أيديهم وقرئ يجحدون بالتاء والياء (من أنفسكم) من جنسكم وقيل هو خلق حواء من ضلع آدم * والحفدة جمع حافد وهو الذى يحفد أى يسرع فى الطاعة والخدمة ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد وقال

حفد الولائد بينهن وأسلمت * بأكفهن أزمة الاجمال

واختلف فيهم فقيل هم الاختان على البنات وقيل اولاد الاولاد وقيل أولاد المرأة من الزوج الاول وقيل المعنى وجعل لكم حفدة أى خدما يحفدون فى مصالحكم ويعينونكم ويجوز أن يراد بالحفدة البنون أنفسهم كقوله سكرا ورزقا حسنا كأنه قيل وجعل لكم منهن أولادا هم بنون وهم حافدون أى جامعون بين الامرين (من الطيبات) يريد بعضها لان كل الطيبات فى الجنة وما طيبات الدنيا الا انموذج منها (أفبالباطل يؤمنون) وهو ما يعتقدون من منفعة الاصنام وبركتها وشفاعتها وما هو الا وهم باطل لم يتوصلوا اليه بدليل ولا أمارة فليس لهم ايمان الا به كأنه شئ معلوم مستيقن * ونعمة الله المشاهدة المعاينة التى لا شبهة فيها لذى عقل وتمييز هم كافرون بها منكرون لها كما ينكر المحال الذى لا تتصوره العقول وقيل الباطل ما يسوّل لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما أحل لهم * الرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق فان أردت المصدر نصبت به (شيأ) كقوله أو اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما على لا يملك أن يرزق شيأ وان أردت المرزوق كان شيأ بدلا منه بمعنى قليلا ويجوز أن يكون تأكيدا للايملك أى لا يملك شيأ من الملك * ومن السموات والارض صلة للرزق ان كان مصدرا بمعنى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الارض نباتا أو صفة ان كان اسما لما يرزق * والضمير فى (ولا يستطيعون) لما لانه فى معنى الآلهة بعدما قيل لا يملك على اللفظ ويجوز أن يكون للكفار يعنى ولا يستطيع هؤلاء مع أنهم أحياء متصرفون أولو ألباب من ذلك شيأ فكيف بالجماد الذى لا حس به (فان قلت) ما معنى قوله ولا يستطيعون بعد قوله لا يملك وهل هما الا شئ واحد (قلت) ليس فى لا يستطيعون تقدير راجع وانما المعنى لا يملكون أن يرزقوا والاستطاعة منفية عنهم أصلا لانهم موات الا أن يقدر الراجع ويراد بالجمع بين نفى الملك والاستطاعة التوكيد أو يراد أنهم لا يملكون الرزق ولا يمكنهم أن يملكوه ولا يتأتى ذلك منهم ولا يستقيم (فلا تضربوا لله الامثال) تمثيل للاشراك بالله والتشبيه به لان من يضرب الامثال مشبه حالا بحال وقصة بقصة (ان الله يعلم) كنه ما تفعلون وعظمه وهو معاقبكم عليه بما يوازيه فى العظم لان العقاب على مقدار الاثم (وأنتم لا تعلمون) كنهه وكنه عقابه فذلك هو الذى جركم اليه وجرأكم عليه فهو تعليل للنهى عن الشرك ويجوز أن يراد فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم كيف يضرب الامثال وأنتم لا تعلمون * ثم علمهم كيف تضرب فقال مثلكم فى اشراككم بالله الاوثان مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر مالك قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء (فان قلت) لم قال (مملوكا لا يقدر على شئ) وكل

البلاغة ومثل هذا أنكره الامام أبو المعالى على من حمل قوله عليه السلام ايما امرأة نكحت بغير اذن وليها على المكاتبة لبعد القصد اليها
على شذوذها وأما الاحتراز به عن المأذون له فينبنى على القول بان المراد بعدم القدرة عدم المكنة من التصرف وان لم يكن المأذون له
مالكا عند هذا القائل وهذا بعيد عن مطابقة قوله ومن رزقناه منا رزقا حسنا فانه انوجب أن يكون المراد بقوله لا يقدر على شئ لا يملك
شيأ من الرزق كما تقول فى المعدم المفلس فلان لا يقدر على شئ أى لا يملك شيأ يقدر على التصرف فيه فتخلص من هذا البحث ان فى الآية
مجالا النصرة مذهب مالك وان كان القائل أن يقول هذه الصفة لازمة كالايضاح لفائدة ضرب المثل بالمملوك كأنه قيل

ومن رزقناه منا رزقا
حسنا فهو ينفق منه
سرا وجهرا هل يستوون
الحمد لله بل أكثرهم
لا يعلمون وضرب الله
مثلا رجلين أحدهما
أبكم لا يقدر على شئ
وهو كل على مولاه أينما
يوجهه لا يأت بخير
هل يستوى هو ومن
يأمر بالعدل وهو على
صراط مستقيم ولله غيب
السموات والأرض وما
أمر الساعة الا كلمح
البصر أو هو أقرب
ان الله على كل شئ قدير
والله أخرجكم من بطون
أمهاتكم لا تعلمون شيأ
وجعل لكم السمع
والابصار والافئدة
لعلكم تشكرون ألم يروا
الى الطير مسخرات فى
جو السماء ما يمسكهن
الا الله ان فى ذلك لآيات
لقوم يؤمنون والله جعل
لكم من بيوتكم سكنا
وجعل لكم من جلود
الانعام بيوتا تستخفونها

عبد مملوك وغير قادر على التصرف (قلت) أما ذكر المملوك فليميز من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا
لانهما من عباد الله وأما لا يقدر على شئ فليجعل غير مكاتب ولا مأذون له لانهما يقدران على التصرف
واختلفوا فى العبد هل يصح له ملك والمذهب الظاهر أنه لا يصح له (فان قلت) من فى قوله (ومن رزقناه)
ما هى (قلت) الظاهر انها موصوفة كأنه قيل وحرا رزقناه ليطابق عبدا ولا يمتنع أن تكون موصولة
(فان قلت) لم قيل (يستوون) على الجمع (قلت) معناه هل يستوى الاحرار والعبيد * الابكم الذى ولد أخرس
فلا يفهم ولا يفهم (وهو كل على مولاه) أى ثقل وعيال على من يلى أمره ويعوله (أينما يوجهه) حيثما يرسله
ويصرفه فى مطلب حاجة أو كفاية مهم لم ينفع ولم يأت بنجح (هل يستوى هو ومن) هو سليم الحواس نفاع
ذو كفايات مع رشد وديانة فهو (يأمر) الناس (بالعدل) والخير (وهو) فى نفسه (على صراط مستقيم) على سيرة
صالحة ودين قويم وهذا مثل ثان ضربه الله لنفسه ولما يفيض على عباده ويشملهم من آثار رحمته وألطافه
ونعمه الدينية والدنيوية وللاصنام التى هى أموات لا تضر ولا تنفع * وقرئ أينما يوجه بمعنى أينما يتوجه
من قولهم أينما أوجه ألق سعدا وقرأ ابن مسعود أينما يوجه على البناء للمفعول (ولله غيب السموات والارض)
أى يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفى عليهم علمه أو أراد بغيب السموات والارض يوم القيامة على
أن علمه غائب عن أهل السموات والارض لم يطلع عليه أحد منهم (الا كلمح البصر أو هو أقرب) أى هو
عند الله وان تراخى كما تقولون أنتم فى الشئ الذى تستقربونه هو كلمح البصر أو هو أقرب اذا بالغتم فى استقرابه
ونحوه قوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون أى هو عنده
دان وهو عندكم بعيد وقيل المعنى أن اقامة الساعة واماتة الاحياء واحياء الاموات من الاولين والآخرين
يكون فى أقرب وقت وأوحاه (ان الله على كل شئ قدير) فهو يقدر على أن يقيم الساعة ويبعث الخلق لانه
بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده * قرئ أمهاتكم بضم الهمزة وكسرها والهاء مزيدة فى أمات
كما زيدت فى أراق فقيل أهراق وشذت زيادتها فى الواحدة قال * أمهتى خندف والياس أبى * (لا تعلمون
شيأ) فى موضع الحال ومعناه غير عالمين شيأ من حق المنعم الذى خلقكم فى البطون وسواكم وصوركم ثم أخرجكم
من الضيق الى السعة وقوله (وجعل لكم) معناه وما ركب فيكم هذه الاشياء الا آلات لازالة الجهل الذى
ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقى الى ما يسعدكم * والافئدة
فى فؤاد كالاغربة فى غراب وهو من جموع القلة التى جرت مجرى جموع الكثرة والقلة اذا لم يرد فى السماع غيرها
كما جاء شسوع فى جمع شسع لا غير فجرت ذلك المجرى * قرئ ألم يروا بالتاء والياء (مسخرات) مذللات للطيران
بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية لذلك * والجو الهواء المتباعد من الارض فى سمت العلو والسكاك
أبعد منه واللوح مثله (ما يمسكهن) فى قبضهن وبسطهن ووقوفهن (الا الله) بقدرته (من بيوتكم) التى
تسكنونها من الحجر والمدر والاخبية وغيرها * والسكن فعل بمعنى مفعول وهو ما يسكن اليه وينقطع اليه من
بيت أو الف (بيوتا) هى القباب والابنية من الادم والانطاع (تستخفونها) ترونها خفيفة المحمل فى الضرب

وانما ضربنا المثل

بالمملوك لان صفته اللازمة له وسمته المعروفة به انه لا يقدر على شئ أى لا يصح منه ملك وكثيرا ما يجئ الحال والصفة لا يقصد بواحد
منهما تقييد ولا تخصيص ولكن ايضاح وتفسير ومن ذلك قوله تعالى ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فقوله لا برهان له به
لا يقصد به تمييز اله سوى الله من اله لان كل مدعو الها غير الله تعالى لا برهان به وانما أريد ان عدم البرهان من لوازم دعاء اله غير الله تعالى
فهذا أقصى ما يمكن أن ينتصر به للقائل بعدم صحة ملك العبد ولنا أن نقول فى دفعه ان الاصل فى الصفة والحال وشبههما التخصيص
والتقييد وأما الوارد من ذلك لازما فنادر على خلاف الاصل والله الموفق

* قوله تعالى وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم (قال المراد يخف عليكم حملها ونقلها الخ) قال أحمد والتفسير الاول أولى لان ظهور المنة فى خفتها انما يتحقق فى حال السفر وأما المستوطن فغير متنقل وما أحسن قول الزمخشرى فى يوم اقامتكم ان المراد خفة ضربها وسهولة ذلك عليهم والله أعلم * قوله تعالى وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم (قال هى القمصان والثياب من الصوف والكتان (٦٩٢) وغيرها الخ) قال أحمد يعنى عند العرب وخصوصا قطان الحجاز وهم الاصل فى هذا

يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون ويوم نبعث من كل أمة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون واذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون وألقوا الى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون

الخطاب * عاد كلامه

والنقض والنقل (يوم ظعنكم ويوم اقامتكم) أى يوم ترحلون خف عليكم حملها ونقلها ويوم تنزلون وتقيمون فى مكان لم يثقل عليكم ضربها أو هى خفيفة عليكم فى أوقات السفر والحضر جميعا على أن اليوم بمعنى الوقت (ومتاعا) وشيأ ينتفع به (الى حين) الى ان تقضوا منه أوطاركم أو الى أن يبلى ويفنى أو الى أن تموتوا * وقرئ يوم ظعنكم بالسكون (مما خلق) من الشجر وسائر المستظلات (أكنانا) جمع كن وهو ما يستكن به من البيوت المنحوتة فى الجبال والغيران والكهوف (سرابيل) هى القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن وغيرها (تقيكم الحر) لم يذكر البرد لان الوقاية من الحر أهم عندهم وقلما يهمهم البرد لكونه يسيرا محتملا وقيل ما يقى من الحر يقى من البرد فدل ذكر الحر على البرد (وسرابيل تقيكم بأسكم) يريد الدروع والجواشن والسربال عام يقع على كل ما كان من حديد وغيره (لعلكم تسلمون) أى تنظرون فى نعمه الفائضة فتؤمنون به وتنقادون له وقرئ تسلمون من السلامة أى تشكرون فتسلمون من العذاب أو تسلم قلوبكم من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع (فان تولوا) فلم يقبلوا منك فقد تمهد عذرك بعد ما أديت ما وجب عليك من التبليغ فذكر سبب العذر وهو البلاغ ليدل على المسبب (يعرفون نعمت الله) التى عددناها حيث يعترفون بها وأنها من الله (ثم ينكرونها) بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم هى من الله ولكنها بشفاعة آلهتنا وقيل انكارهم قولهم ورثناها من آبائنا وقيل قولهم لولا فلان ما أصبت كذا لبعض نعم الله وانما لا يجوز التكلم بنحو هذا اذا لم يعتقد أنها من الله وانه أجراها على يد فلان وجعله سببا فى نيلها (وأكثرهم الكافرون) أى الجاحدون غير المعترفين وقيل نعمة الله نبوة محمد عليه السلام كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا وأكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم (فان قلت) ما معنى ثم (قلت) الدلالة على ان انكارهم أمر مستبعد بعد حصول المعرفة لان حق من عرف النعمة أن يعترف لا أن ينكر (شهيدا) نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب (ثم لا يؤذن للذين كفروا) فى الاعتذار والمعنى لا حجة لهم فدل بترك الاذن على أن لا حجة لهم ولا عذر وكذا عن الحسن (ولا هم يستعتبون) ولا هم يسترضون أى لا يقال لهم ارضوا ربكم لان الآخرة ليست بدار عمل (فان قلت) فما معنى ثم هذه (قلت) معناها أنهم يمنون بعد شهادة الانبياء بما هو أطم منها وهو أنهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم فى القاء معذرة ولا ادلاء بحجة * وانتصاب اليوم بمحذوف تقديره واذكر يوم نبعث أو يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه وكذلك اذا رأوا العذاب بغتهم وثقل عليهم (فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون) كقوله بل تأتيهم بغتة فتبهتهم الآية * ان أرادوا بالشركاء آلهتهم فمعنى شركاؤنا آلهتنا التى دعوناها شركاء وان أرادوا الشياطين فلانهم شركاؤهم فى الكفر وقرناؤهم فى الغى و (ندعوا) بمعنى نعبد (فان قلت) لم قالوا (انكم لكاذبون) وكانوا يعبدونهم على الصحة (قلت) لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكأن عبادتهم لم تكن عبادة والدليل عليه قول الملائكة كانوا يعبدون الجن يعنون أن الجن كانوا راضين بعبادتهم لا نحن فهم المعبودون دوننا أو كذبوهم فى تسميتهم شركاء وآلهة تنزيها لله من الشرك وان أريد بالشركاء الشياطين جاز أن يكونوا كاذبين فى قولهم انكم لكاذبون كما يقول الشيطان انى كفرت بما أشركتمونى من قبل (وألقوا) يعنى الذين ظلموا والقاء السلم الاستسلام لامر الله وحكمه بعد الاباء والاستكبار فى الدنيا (وضل عنهم) وبطل عنهم (ما كانوا يفترون) من ان لله شركاء وأنهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين

(قال وقيل ان ما يقى الحر يقى البرد فدل ذكره عليه) قال أحمد والاول أظهر ألا ترى الى تقديم المنة بالظلال التى تقى من الحر فى قوله تعالى جعل لكم مما خلق ظلالا فدل على ان الاهم عند المخاطبين وقاية الحر فامتن الله عليهم بأعظم نعمه موقعا عندهم وقول القائل ان ما يقى الحر يقى البرد مثله ودعليه بالعرف فان الذى يتقى به الحر من القمصان رقيقها ورفيعها وليس ذلك من لبوس البرد بل لو ابس الانسان فى كل واحد من الفصلين القيظ والبرد لباس الآخر بعد من الثقلاء

كذبوهم

* قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية (قال العدل الواجب والاحسان الندب) قال أحمد وفى جمعهما تحت الامر مايدل لمن قال ان صيغة الامر أعنى هذه المبنية من الهمزة والميم والراء لاصيغة أفعل تتناول القبيلين بطريق التواطؤ وموضوعها القدر المشترك بينهما من الطلب والله أعلم * عاد كلامه (قال وانما كان الواجب عدلا لان الله تعالى عدل فيه على عباده الخ) قال أحمد وهذه وليجة من الاعتزال ومعتقد المعتزلة استحالة تكليف مالا يطاق لانه ظلم وجور وذلك على الله محال والحق والسنة ان كل قضاء الله عدل وان تكليف مالا يطاق جائز عليه وعدل منه لايسئل عما يفعل وهم يسئلون بل التكاليف كلها على خلاف الاستطاعة على مقتضى توحيد أهل السنة المعتقدين ان كل موجود بقدرة الله تعالى حدث وجد لاشريك له فى ملكه وكيف يكون شريكه عبدا مسخرا فى قبضة ملكه هذا هو التوحيد المحض واذا كان العبد مكلفا بما هو من فعل الله فهذا عين التكليف بما لايطاق ولكن ذلك عدل من الله تعالى وحجته البالغة قائمة على المكلف بما خلقه له من التأتى والتيسر فى الافعال الاختيارية التى هى (٦٩٣) محال التكاليف والله الموفق

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون ويوم نبعث فى كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون

كذبوهم وتبرؤا منهم (الذين كفروا) فى أنفسهم * وحملوا غيرهم على الكفر * يضاعف الله عقابهم كما ضاعفوا كفرهم وقيل فى زيادة عذابهم حيات أمثال البخت وعقارب أمثال البغال تلسع احداهن اللسعة فيجد صاحبها حمتها أربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة برده الى النار (بما كانوا يفسدون) بكونهم مفسدين الناس بصدهم عن سبيل الله (شهيدا عليهم من أنفسهم) يعنى نبيهم لانه كان يبعث أنبياء الامم فيهم منهم (وجئنا بك) يا محمد (شهيدا على هؤلاء) على أمتك (تبيانا) بيانا بليغا ونظير تبيان تلقاء فى كسر أوله وقد جوز الزجاج فتحه فى غير القرآن (فان قلت) كيف كان القرآن تبيانا (لكل شئ) (قلت) المعنى أنه بين كل شئ من أمور الدين حيث كان نصا على بعضها واحالة على السنة حيث أمر فيه باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته وقيل وما ينطق عن الهوى وحثا على الاجماع فى قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته اتباع أصحابه والاقتداء بآثارهم فى قوله صلى الله عليه وسلم أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤا طرق القياس والاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس والاجتهاد مستندة الى تبيان الكتاب فمن ثم كان تبيانا لكل شئ * العدل هو الواجب لان الله تعالى عدل فيه على عباده فجعل مافرضه عليهم واقعا تحت طاقتهم (والاحسان) الندب وانما علق أمره بهما جميعا لان الفرض لابد من أن يقع فيه تفريط فيجبره الندب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن علمه الفرائض فقال والله لازدت فيها ولانقصت أفلح ان صدق فعقد الفلاح بشرط الصدق والسلامة من التفريط وقال صلى الله عليه وسلم استقيموا ولن تحصوا فما ينبغى أن يترك مايجبر كسر التفريط من النوافل * والفواحش ماجاوز حدود الله (والمنكر) ماتنكره العقول (والبغى) طلب التطاول بالظلم وحين أسقطت من الخطب لعنة الملاعين على أمير المؤمنين رضى الله عنه أقيمت هذه الآية مقامها ولعمرى انها كانت فاحشة ومنكرا وبغيا ضاعف الله لمن سنها غضبا ونكالا وخزيا اجابة لدعوة نبيه وعادى من عاداه وكانت سبب اسلام عثمان بن مظعون * عهد الله هى البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله (ولا تنقضوا) أيمان البيعة (بعد توكيدها) أى بعد توثيقها باسم الله وأكد ووكد لغتان فصيحتان والاصل الواو والهمزة بدل (كفيلا) شاهدا ورقيبا لان الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن

* عاد كلامه (قال وانما قرنهما فى الامر لان الفرض لايخلو من خلل وتفريط يجبره الندب الخ) قال أحمد وهذه نكتة حسنة يجاب بها عن قول القائل لم حكم عليه الصلاة والسلام بفلاح المصر على ترك السنن فيقال المحكوم بفلاحه لاجله انما هو الصدق فى سلامة الفرائض من خلل النقص والزيادة والله أعلم * عاد كلامه (قال والفواحش ماجاوز حدود الله والمنكر ماتنكره العقول) قال أحمد وهذه أيضا لفتة الى الاعتزال ولو قال والمنكر ماأنكره الشرع لوافق الحق ولكنه لايدع بدعة المعتزلة فى التحسين والتقبيح بالعقل والله الموفق * عاد كلامه (قال والبغى طلب التطاول بالظلم) قال أحمد وأصل موضوعه الطلب ومنه ابتغاء وجه الله ابتغاء مرضاة الله ولكن صار مطلقه خاصا بطلب الظلم عرفا * عاد كلامه (قال وحين أسقطت من الخطب لعنة الملاعين على أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه الخ) قال أحمد ولعل المعوض بهذه الآية عن تلك الهناة لاحظ التطبيق بين ذكر النهى عن البغى فيها وبين الحديث الوارد فى ان المناصب لعلى باغ حيث يقول عليه الصلاة والسلام لعمار وكان من حزب على تقتلك الفئة الباغية والله أعلم فقتل مع على يوم صفين

* قوله تعالى ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة (قال معناه على طريقة الالجاء والقسر) قال أحمد وهذا تفسير اعتزالى قد تقدم أمثاله فى اخوات هذه الآية وغرضه الفرار من الحق المستفاد من تعليق المشيئة بلو الدالة على ان مشيئة الله تعالى لايمان الخلق كلهم ما وقعت وانه انما شاء منهم الافتراق والاختلاف فايمان وكفر وتصديق وتكذيب كما وقع منهم ولو شاء شمولهم بالايمان لوقع فيصادم الزمخشرى هذا النص و يقول قد شاء جعلهم أمة واحدة حنيفة مسلمة ولكن لم يقع مراده فاذا قيل له فعلام تحمل المشيئة فى الآية قال على مشيئة ايمانهم قسرا لا اختيارا وهذه المشيئة لم تقع اتفاقا * عاد كلامه (قال ومما يدل على أن الله لم يبن الامر على الاجبار وانما بناه على الاختيار قوله تعالى (٦٩٤) ولتسئلن عما كنتم تعملون ولو كان هو المضطر للهداية والضلال لما أثبت لهم ما يسئلون

ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هى أربى من أمة انما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء ولتسئلن عما كنتم تعملون ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا انما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة

عليه (ولا تكونوا) فى نقض الايمان كالمرأة التى أنحت على غزلها بعد أن أحكمته وأبرمته فجعلته (أنكاثا) جمع نكث وهو ما ينكث فتله قيل هى ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هى وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن (تتخذون) حال و (دخلا) أحد مفعولى اتخذ يعنى ولا تنقضوا أيمانكم متخذيها دخلا (بينكم) اى مفسدة ودغلا (أن تكون أمة) بسبب أن تكون أمة يعنى جماعة قريش (هى أربى من أمة) هى أزيد عددا وأوفر مالا من أمة من جماعة المؤمنين (انما يبلوكم الله به) الضمير لقوله أن تكون أمة لانه فى معنى المصدر أى انما يختبركم بكونهم أربى لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما عقدتم على أنفسكم ووكدتم من أيمان البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أم تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم وقلة المؤمنين وفقرهم وضعفهم (وليبينن لكم) انذار وتحذير من مخالفة ملة الاسلام (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) حنيفة مسلمة على طريق الالجاء والاضطرار وهو قادر على ذلك (ولكن) الحكمة اقتضت أن يضل (من يشاء) وهو أن يخذل من علم أنه يختار الكفر ويصمم عليه (ويهدى من يشاء) وهو أن يلطف بمن علم أنه يختار الايمان يعنى أنه بنى الامر على الاختيار وعلى ما يستحق به اللطف والخذلان والثواب والعقاب ولم يبنه على الاجبار الذى لا يستحق به شئ من ذلك وحققه بقوله (ولتسئلن عما كنتم تعملون) ولو كان هو المضطر الى الضلال والاهتداء لما أثبت لهم عملا يسئلون عنه * ثم كرر النهى عن اتخاذ الايمان دخلا بينهم تأكيدا عليهم واظهارا لعظم ما يركب منه (فتزل قدم بعد ثبوتها) فتزل أقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها (وتذوقوا السوء) فى الدنيا بصدودكم (عن سبيل الله) وخروجكم من الدين أو بصدكم غيركم لانهم لو نقضوا أيمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها (ولكم عذاب عظيم) فى الآخرة * كان قوم ممن أسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما رأوا من غلبة قريش واستضعافهم المسلمين وايذائهم لهم ولما كانوا يعدونهم ان رجعوا من المواعيد أن ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبتهم الله (ولا تشتروا) ولا تستبدلوا (بعهد الله) وبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثمنا قليلا) عرضا من الدنيا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدونهم ويمنونهم ان رجعوا (انما عند الله) من اظهاركم وتغنيمكم ومن ثواب الآخرة (خير لكم * ما عندكم) من أعراض الدنيا (ينفد وما عند الله) من خزائن رحمته (باق) لا ينفد * وقرئ لنجزين بالنون والياء (الذين صبروا) على أذى المشركين ومشاق الاسلام (فان قلت) لم وحدت القدم ونكرت (قلت) لاستعظام أن تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد ان ثبتت عليه فكيف بأقدام كثيرة (فان قلت) (من) متناول فى نفسه للذكر والانثى فما معنى تبيينه بهما (قلت) هو مبهم صالح على الاطلاق للنوعين الا أنه اذا ذكر كان الظاهر تناوله للذكور فقيل (من ذكر أو أنثى) على التبيين ليعم الموعد النوعين جميعا (حياة طيبة) يعنى فى الدنيا

وهو

عنه (قال أحمد أما أهل السنة الذين يسميهم المصنف مجبرة فهم من الاجبار بمعزل لانهم يثبتون للعبد قدرة واختيارا وأفعالا وهم مع ذلك يوحدون الله حق توحيده فيجعلون قدرته تعالى هى الموجدة والمؤثرة وقدرة العبد مقارنة تحسب تمييزا بين الاختيارى والقسرى وتقوم بها حجة الله على عبده والله الموفق * قوله تعالى فتزل قدم بعد ثبوتها (قال ان قلت لم وحد القدم ونكرها الخ) قال أحمد ومن جنس افادة التنكير ههنا التقليل افادته له فى قوله تعالى وتعيها أذن واعية وفى قوله عز وجل اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد فنكر الأذن والنفس تقليلا للواعى من الناس لما يقضى بسداده وللناظر من الخلق فى أمر معاده والله الموفق

وهو الظاهر لقوله (ولنجزينهم) وعده الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب
الآخرة وذلك أن المؤمن مع العمل الصالح موسرا كان أو معسرا يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا فلا مقال
فيه وان كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله وأما الفاجر فأمره على العكس ان كان
معسرا فلا اشكال في أمره وان كان موسرا فالحرص لا يدعه أن يتهنأ بعيشه وعن ابن عباس رضي الله عنه
الحياة الطيبة الرزق الحلال وعن الحسن القناعة وعن قتادة يعني في الجنة وقيل هي حلاوة الطاعة
والتوفيق في قلبه * لما ذكر العمل الصالح ووعد عليه وصل به قوله (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله) ايذانا
بأن الاستعاذة من جملة الأعمال الصالحة التي يجزل الله عليها الثواب والمعنى فإذا أردت قراءة القرآن فاستعذ
كقوله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وكقولك اذا أكلت فسم الله (فان قلت) لم عبر عن ارادة الفعل
بلفظ الفعل (قلت) لان الفعل يوجد عند القصد والارادة بغير فاصل وعلى حسبه فكان منه بسبب قوي
وملابسة ظاهرة وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أعوذ
بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لي يا ابن أم عبد قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأنيه
جبريل عليه السلام عن القلم عن اللوح المحفوظ (ليس له سلطان) أي تسلط وولاية على أولياء الله يعني أنهم
لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته (انما سلطانه) على من يتولاه ويطيعه (به
مشركون) الضمير يرجع الى ربهم ويجوز أن يرجع الى الشيطان على معنى بسببه وغروره ووسوسته
* تبديل الآية مكان الآية هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لانها مصالح وما كان مصلحة أمس
يجوز أن يكون مفسدة اليوم وخلافه مصلحة * والله تعالى عالم بالمصالح والمفاسد فيثبت ما يشاء وينسخ
ما يشاء بحكمته وهذا معنى قوله (والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر) وجدوا مدخلا للطعن فطعنوا وذلك
لجهلهم وبعدهم عن العلم بالناسخ والمنسوخ وكانوا يقولون ان محمدا يسخر من أصحابه يأمرهم اليوم بأمر
وينهاهم عنه غدا فيأتيهم بما هو أهون ولقد افتروا فقد كان ينسخ الاشق بالاهون والاهون بالاشق
والاهون بالاهون والاشق بالاشق لان الغرض المصلحة لا الهوان والمشقة (فان قلت) هل في ذكر تبديل
الآية بالآية دليل على أن القرآن انما ينسخ بمثله ولا يصح بغيره من السنة والاجماع والقياس (قلت) فيه
أن قرآنا ينسخ بمثله وليس فيه نفي نسخه بغيره على أن السنة المكشوفة المتواترة مثل القرآن في ايجاب العلم
فنسخه بها كنسخه بمثله وأما الاجماع والقياس والسنة غير المقطوع بها فلا يصح نسخ القرآن بها * في ينزل
ونزله وما فيهما من التنزيل شيئا فشيئا على حسب الحوادث والمصالح اشارة الى أن التبديل من باب المصالح
كالتنزيل وأن ترك النسخ بمنزلة انزاله دفعة واحدة في خروجه عن الحكمة و(روح القدس) جبريل عليه
السلام أضيف الى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وزيد الخير والمراد الروح المقدس وحاتم الجواد
وزيد الخير والمقدس المطهر من المآثم وقرئ بضم الدال وسكونها (بالحق) في موضع الحال أي نزله ملتبسا
بالحكمة يعني أن النسخ من جملة الحق (ليثبت الذين آمنوا) ليبلوهم بالنسخ حتى اذا قالوا فيه هو الحق من
ربنا والحكمة حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمأنينة القلوب على أن الله حكيم فلا يفعل الا ما هو
حكمة وصواب (وهدى وبشرى) مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت والتقدير تثبيتا لهم وارشادا
وبشارة وفيه تعريض بحصول أضداد هذه الخصال لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف * أرادوا بالبشر غلاما
كان لحويطب بن عبد العزى قد أسلم وحسن اسلامه اسمه عائش أو يعيش وكان صاحب كتب وقيل هو جبر
غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي وقيل عبدان جبر ويسار كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة
والانجيل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر وقف عليهما يسمع ما يقرآن فقالوا يعلمانه فقيل لاحدهما
فقال بل هو يعلمني وقيل هو سلمان الفارسي * واللسان اللغة * ويقال ألحد القبر ولحده وهو ملحد وملحود
اذا أمال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن استقامة فقالوا ألحد فلان في قوله
وألحد في دينه ومنه الملحد لانه أمال مذهبه عن الأديان كلها لم يمله عن دين الى دين والمعنى لسان الرجل الذي

ولنجزينهم أجرهم
بأحسن ما كانوا يعملون
فاذا قرأت القرآن
فاستعذ بالله من الشيطان
الرجيم انه ليس له
سلطان على الذين آمنوا
وعلى ربهم يتوكلون
انما سلطانه على الذين
يتولونه والذين هم به
مشركون واذا بدلنا
آية مكان آية والله أعلم
بما ينزل قالوا انما أنت
مفتر بل أكثرهم
لا يعلمون قل نزله روح
القدس من ربك
بالحق ليثبت الذين
آمنوا وهدى وبشرى
للمسلمين ولقد نعلم أنهم
يقولون انما يعلمه بشر
لسان الذي يلحدون
اليه

يميلون قولهم عن الاستقامة اليه لسان (أعجمى) غير بين (وهذا) القرآن (لسان عربى مبين) ذو بيان وفصاحة رد لقولهم وابطال لطعنهم وقرئ يلحدون بفتح الياء والحاء وفى قراءة الحسن اللسان الذى يلحدون اليه بتعريف اللسان (فان قلت) الجملة التى هى قوله لسان الذى يلحدون اليه أعجمى ما محلها (قلت) لا محل لها لانها مستأنفة جواب لقولهم ومثله قوله الله أعلم حيث يجعل رسالته بعد قوله واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله (ان الذين لا يؤمنون بآيات الله) أى يعلم الله منهم أنهم لا يؤمنون (لا يهديهم الله) لا يلطف بهم لانهم من أهل الخذلان فى الدنيا والعذاب فى الآخرة لا من أهل اللطف والثواب (انما يفترى الكذب) رد لقولهم انما أنت مفتر يعنى انما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا عليه (وأولئك) اشارة الى قريش (هم الكاذبون) أى هم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون أو الى الذين لا يؤمنون أى أولئك هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون فى الكذب لان تكذيب آيات الله أعظم الكذب أو أولئك هم الذين عادتهم الكذب لا يبالون به فى كل شئ لا تحجبهم عنه مروءة ولا دين أو أولئك هم الكاذبون فى قولهم انما أنت مفتر (من كفر) بدل من الذين لا يؤمنون بآيات الله على أن يجعل وأولئك هم الكاذبون اعتراضا بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال (ولكن من شرح بالكفر صدرا) أى طاب به نفسا واعتقده (فعليهم غضب من الله) ويجوز أن يكون بدلا من المبتدا الذى هو أولئك على ومن كفر بالله من بعد ايمانه هم الكاذبون أو من الخبر الذى هو الكاذبون على وأولئك هم من كفر بالله من بعد ايمانه ويجوز أن ينتصب على الذم وقد جوزوا أن يكون من كفر بالله شرطا مبتدأ ويحذف جوابه لان جواب من شرح دال عليه كأنه قيل من كفر بالله فعليهم غضب الا من أكره ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب روى أن ناسا من أهل مكة فتنوا فارتدوا عن الاسلام بعد دخولهم فيه وكان فيهم من أكره فأجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للايمان منهم عمار وأبواه ياسر وسمية وصهيب وبلال وخباب وسالم عذبوا فأما سمية فقد ربطت بين بعيرين ووجئ فى قبلها بحربة وقالوا انك أسلمت من أجل الرجال فقتلت وقتل ياسر وهما أول قتيلين فى الاسلام وأما عمار فقد أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال مالك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت ومنهم جبر مولى الحضرمى أكرهه سيده فكفر ثم أسلم مولاه وأسلم وحسن اسلامهما وهاجرا (فان قلت) أى الامرين أفضل أفعل عمار أم فعل أبويه (قلت) بل فعل أبويه لان فى ترك التقية والصبر على القتل اعزازا للاسلام وقد روى أن مسيلمة أخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول فى محمد قال رسول الله قال فما تقول فى قال أنت أيضا فخلاه وقال للآخر ما تقول فى محمد قال رسول الله قال فما تقول فى فقال أنا أصم فأعاد عليه ثلاثا فأعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما الاول فقد أخذ برخصة الله وأما الثانى فقد صدع بالحق فهنيئا له (ذلك) اشارة الى الوعيد وأن الغضب والعذاب يلحقانهم بسبب استحبابهم الدنيا على الآخرة واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم (وأولئك هم الغافلون) الكاملون فى الغفلة الذين لا أحد أغفل منهم لان الغفلة عن تدبر العواقب هى غاية الغفلة ومنتهاها (ثم ان ربك) دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال أولئك وهم عمار وأصحابه ومعنى ان ربك لهم أنه لهم لا عليهم بمعنى أنه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا غير مضرور (من بعد ما فتنوا) بالعذاب والاكراه على الكفر وقرئ فتنوا على البناء للفاعل أى بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمى وأشباهه (من بعدها) من بعد هذه الافعال وهى الهجرة والجهاد والصبر (يوم تأتى) منصوب برحيم أو باضمار اذكر (فان قلت) ما معنى النفس المضافة الى النفس (قلت) يقال لعين الشئ وذاته نفسه وفى نقيضه غيره والنفس الجملة كما هى فالنفس الاولى هى الجملة والثانية عينها وذاتها فكأنه قيل يوم يأتى كل انسان يجادل عن ذاته لا يهمه شأن غيره كل يقول نفسى نفسى ومعنى المجادلة عنها

أعجمى وهذا لسان عربى مبين ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدى القوم الكافرين أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون لا جرم أنهم فى الآخرة هم الخاسرون ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون

*قوله عز وجل فأذاقها الله لباس الجوع والخوف (قال ان قلت الاذاقة واللباس استعارتان فاوجه صحة ايقاع الاذاقة على اللباس الخ) قال أحمد وهذا الفصل من كلامه مما يحق على علماء البيان أن يكتبوه بذوب التبر لا بالحبر وقد نظر اليهما جميعا في قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين فاستعير الشراء لاختيارهم الضلالة (٦٩٧) على الهدى وقد كانوا متمكنين من اختياره عليها ثم جاء ملاحظا للشراء المستعار قوله فما ربحت تجارتهم فاستعمل التجارة والربح لمناسبة ذلك لاستعارة الشراء ثم جاء ملاحظا

وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمت الله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام

الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء أضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك (وضرب الله مثلا قرية) أي جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فأنزل الله بهم نقمته فيجوز أن تراد قرية مقدرة على هذه الصفة وأن تكون في قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها (مطمئنة) لا يزعجها خوف لان الطمأنينة مع الامن والانزعاج والقلق مع الخوف (رغدا) واسعا *والانعم جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وأدرع أو جمع نعم كبؤس وأبؤس وفي الحديث نادى منادي النبي صلى الله عليه وسلم بالموسم بمنى انها أيام طعم ونعم فلا تصوموا (فان قلت) الاذاقة واللباس استعارتان فاوجه صحتهما والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فاوجه صحة ايقاعها عليه (قلت) أما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر وأذاقه العذاب شبه ما يدرك من أثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع وأما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشي الانسان والتبس به من بعض الحوادث وأما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكأنه قيل فأذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف ولهم في نحو هذا طريقان لا بد من الاحاطة بهما فان الاستنكار لا يقع الا لمن فقدهما أحدهما أن ينظروا فيه الى المستعار له كما نظر اليه ههنا ونحوه قول كثير

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا * غلقت لضحكته رقاب المال

استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا صفة الرداء نظرا الى المستعار له والثاني أن ينظروا فيه الى المستعار كقوله

ينازعني ردائي عبد عمرو * رويدك يا أخا عمرو بن بكر
لي الشطر الذي ملكت يميني * ودونك فاعتجر منه بشطر

أراد بردائه سيفه ثم قال فاعتجر منه بشطر فنظر الى المستعار في لفظ الاعتجار ولو نظر اليه فيما نحن فيه لقيل فكساهم لباس الجوع والخوف ولقال كثير ضافي الرداء اذا تبسم ضاحكا (وهم ظالمون) في حال التباسهم بالظلم كقوله الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم نعوذ بالله من مفاجأة النقمة والموت على الغفلة *وقرئ والخوف عطفا على اللباس أو على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه أصله ولباس الخوف وقرئ لباس الخوف والجوع *لما وعظهم بما ذكر من حال القرية وما أوتيت به من كفرها وسوء صنيعها وصل بذلك بالفاء في قوله (فكلوا) صدهم عن أفعال الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة التي كانوا عليها بأن أمرهم بأكل ما رزقهم الله من الحلال الطيب وشكر انعامه بذلك وقال (ان كنتم اياه تعبدون) يعني تطيعون أو ان صح زعمكم أنكم تعبدون الله بعبادة الآلهة لانها شفعاؤكم عنده ثم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم بأهوائهم وجهالاتهم دون اتباع ما شرع الله على لسان أنبيائه *وانتصاب (الكذب) بلا تقولوا على ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا من غير استناد ذلك الوصف الى وحي من الله أو الى قياس مستند اليه *واللام مثلها في قولك ولا تقولوا لما أحل الله هو حرام وقوله (هذا حلال وهذا حرام) بدل من الكذب ويجوز أن يتعلق بتصف على ارادة القول أي ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام ولك أن تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية وتعلق هذا حلال وهذا حرام بلا تقولوا على ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب أي لا تحرموا ولا تحللوا لاجل قول تنطق به ألسنتكم

الحقيقة الاصلية المستعار لها قوله وما كانوا مهتدين فانه مجرد عن الاستعارة اذ لو قيل أولئك الذين ضلوا وما كانوا مهتدين لكان الكلام حقيقة معرى عن ثوب الاستعارة والنظر الى المستعار في بابه كترشيح المجاز في بابه ومنه

اذا الشيطان قصع في قفاها * تنفقناه بالحبل التؤام
بجعل الشيطان في قفاها قاصعا ثم نافقا ثم جعله مستخرجا بالحبل المحكم المثنى كما يستخرج الحيوان من جحره والشوط في هذا الفن البديع فطين والله الموفق

* قوله عز وجل ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا الى قوله ثم أوحينا اليك (قال في قوله أمة وجهان أحدهما أنه كان وحده أمة من الامم الخ) قال أحمد ويقوى هذا الثاني قوله تعالى ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا أي كان أمة تؤمه الناس ليقتبسوا منه الخيرات ويقتفوا آثاره المباركات حتى (٦٩٨) أنت على جلالة قدرك قد أوحينا اليك أن اتبع ملته ووافق سيرته والله أعلم * عاد كلامه (قال وفي ثم هذه مافيها من تعظيم منزلة محمد صلى الله عليه وسلم الخ) قال أحمد وانما تفيد ذلك ثم لانها في أصل وضعها لتراخي المعطوف عليه في الزمان ثم استعملت في تراخيه عنه في علو المرتبة بحيث يكون المعطوف أعلى رتبة وأشمخ محلا مما عطف مثلا عليه فكأنه بعد ان عدد مناقب الخليل عليه السلام قال تعالى وههنا ماهو أعلى من ذلك كله قدرا وأرفع رتبة وأبعد رفعة وهو أن النبي الامي الذي هو سيد البشر متبع لملة ابراهيم مأمور باتباعه بالوحي متلو أمره بذلك في القرآن العظيم ففي ذلك تعظيم لهما جميعا لكن نصيب النبي صلى الله عليه وسلم من هذا التعظيم أوفر وأكبر على ما مهدناه والله الموفق للصواب

ويجول في أفواهكم لا لاجل حجة وبينة ولكن قول ساذج ودعوى فارغة (فان قلت) مامعنى وصف ألسنتهم الكذب (قلت) هو من فصيح الكلام وبليغه جعل قولهم كأنه عين الكذب ومحضه فاذا نطقت به ألسنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر صفة لما المصدرية كأنه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الشتم أو بمعنى الكلم الكواذب أو هو جمع الكذاب من قولك كذب كذابا ذكره ابن جنى * واللام في (لتفتروا) من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض (متاع قليل) خبر مبتدأ محذوف أي منفعتهم فيما هم عليه من أفعال الجاهلية منفعة قليلة وعقابها عظيم (ما قصصنا عليك) يعني في سورة الانعام (بجهالة) في موضع الحال أي عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه أو غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم (من بعدها) من بعد التوبة (كان أمة) فيه وجهان أحدهما أنه كان وحده أمة من الامم لكماله في جميع صفات الخير كقوله

وليس لله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد

وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار والثاني أن يكون أمة بمعنى مأموم أي يؤمه الناس ليأخذوا منه الخير أو بمعنى مؤتم به كالرحلة والنخبة وما أشبه ذلك مما جاء من فعلة بمعنى مفعول فيكون مثل قوله قال اني جاعلك للناس اماما وروى الشعبي عن فروة بن نوفل الاشجعي عن ابن مسعود أنه قال ان معاذا كان أمة قانتا لله فقلت غلطت انما هو ابراهيم فقال الامة الذي يعلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله وكان معاذ كذلك وعن عمر رضي الله عنه أنه قال حين قيل له ألا تستخلف لو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته ولو كان معاذ حيا لاستخلفته ولو كان سالم حيا لاستخلفته فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أبو عبيدة أمين هذه الامة ومعاذ أمة قانت لله ليس بينه وبين الله يوم القيامة الا المرسلون وسالم شديد الحب لله لو كان لا يخاف الله لم يعصه وهو ذلك المعنى أي كان اماما في الدين لان الائمة معلمو الخير * والقانت القائم بأمر الله * والحنيف المائل الى ملة الاسلام غير الزائل عنه * ونفى عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش في زعمهم أنهم على ملة أبيهم ابراهيم (شاكرا لانعمه) روى أنه كان لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فأخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا له أن بهم جذاما فقال الآن وجبت مواكلتكم شكرا لله على أنه عافاني وابتلاكم (اجتباه) اختصه واصطفاه للنبوة (وهداه الى صراط مستقيم) الى ملة الاسلام (حسنة) عن قتادة هي تنويه الله بذكره حتى ليس من أهل دين الا وهم يتولونه وقيل الاموال والاولاد وقيل قول المصلي منا كما صليت على ابراهيم (لمن الصالحين) لمن أهل الجنة (ثم أوحينا اليك) في ثم هذه مافيها من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلال محله والايذان بأن أشرف ما أوتي خليل الله ابراهيم من الكرامة وأجل ما أوتي من النعمة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملته من قبل أنها دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة من بين سائر النعوت التي أثنى الله عليه بها (السبت) مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها والمعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ (على الذين اختلفوا فيه) واختلافهم فيه أنهم أحلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم أن يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة بعد ما حتم الله عليهم الصبر عن الصيد فيه وتعظيمه والمعنى في ذكر ذلك نحو المعنى في ضرب القرية التي كفرت بأنعم الله

لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة وانه في الآخرة لمن الصالحين ثم أوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم

مثلا وغيرما ذكروه هو الانذار من سخط الله على العصاة والمخالفين بأوامره والخالعين ربقة طاعته (فان
قلت) ما معنى الحكم بينهم اذا كانوا جميعا محلين أو محرمين (قلت) معناه أنه يجازيهم جزاء اختلاف فعلهم في
كونهم محلين تارة ومحرمين أخرى ووجه آخر وهو أن موسى عليه السلام أمرهم أن يجعلوا في الاسبوع
يوما للعبادة وأن يكون يوم الجمعة فأبوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والارض
وهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم في السبت لان بعضهم اختاره وبعضهم اختار
عليه الجمعة فأذن الله لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فأطاع أمر الله الراضون بالجمعة فكانوا
لا يصيدون فيه وأعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون أولئك وهو يحكم (بينهم يوم القيامة) فيجازي
كل واحد من الفريقين بما يستوجبه ٭ ومعنى جعل السبت فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه وقرئ
انما جعل السبت على البناء للفاعل وقرأ عبد الله انما أنزلنا السبت (الى سبيل ربك) الى الاسلام (بالحكمة)
بالمقالة المحكمة الصحيحة وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة (والموعظة الحسنة) وهي التي لا يخفى عليهم
أنك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها ويجوز أن يريد القرآن أي ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة
حسنة (وجادلهم بالتي هي أحسن) بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة
ولا تعنيف (ان ربك هو أعلم) بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة ومن لا خير فيه
عجزت عنه الحيل وكأنك تضرب منه في حديد بارد ٭ سمى الفعل الاول باسم الثاني للمزاوجة والمعنى ان صنع
بكم صنيع سوء من قتل أو نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه ٭ وقرئ وان عقبتم فعقبوا أي وان قفيتم بالانتصار
فقفوا بمثل ما فعل بكم روي أن المشركين مثلوا بالمسلمين يوم أحد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا
أحدا غير ممثول به الا حنظلة بن الراهب فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة وقد مثل به وروي
فرآه مبقور البطن فقال أما والذي أحلف به لئن أظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن
يمينه وكف عما أراده ولا خلاف في تحريم المثلة وقد وردت الاخبار بالنهي عنها حتى بالكلب العقور ٭ اما أن
يرجع الضمير في (لهو) الى صبرهم وهو مصدر صبرتم ويراد بالصابرين المخاطبون أي ولئن صبرتم لصبركم خير
لكم فوضع الصابرون موضع الضمير ثناء من الله عليهم بأنهم صابرون على الشدائد أو وصفهم بالصفة التي
تحصل لهم اذا صبروا عن المعاقبة واما أن يرجع الى جنس الصبر وقد دل عليه صبرتم ويراد بالصابرين جنسهم
كأنه قيل وللصبر خير للصابرين ونحوه قوله تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله وأن تعفوا أقرب للتقوى ثم قال
لرسوله صلى الله عليه وسلم (واصبر) أنت فعزم عليه بالصبر (وما صبرك الا بالله) أي بتوفيقه وتثبيته وربطه
على قلبك (ولا تحزن عليهم) أي على الكافرين كقوله فلا تأس على القوم الكافرين أو على المؤمنين وما فعل
بهم الكافرون (ولا تك في ضيق) وقرئ ولا تكن في ضيق أي ولا يضيقن صدرك من مكرهم والضيق
تخفيف الضيق أي في أمر ضيق ويجوز أن يكون الضيق والضيق مصدرين كالقيل والقول (ان الله مع
الذين اتقوا) أي هو ولي الذين اجتنبوا المعاصي (و) ولي (الذين هم محسنون) في أعمالهم وعن هرم بن
حيان أنه قيل له حين احتضر أوص فقال انما الوصية من المال ولا مال لي وأوصيكم بخواتم سورة النحل عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما أنعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم
تلاها أو ليلته كان له من الاجر كالذي مات وأحسن الوصية

﴿سورة الاسراء مكية وهي مائة وعشر آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(سبحان) علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره تقديره أسبح الله سبحان ثم نزل
سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ من جميع القبائح التي يضيفها اليه أعداء الله

بينهم يوم القيامة فيما
كانوا فيه يختلفون ادع
الى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة
وجادلهم بالتي هي
أحسن ان ربك هو
أعلم بمن ضل عن سبيله
وهو أعلم بالمهتدين وان
عاقبتم فعاقبوا بمثل
ما عوقبتم به ولئن صبرتم
لهو خير للصابرين واصبر
وما صبرك الا بالله ولا
تحزن عليهم ولا تك في
ضيق مما يمكرون ان
الله مع الذين اتقوا
والذين هم محسنون

﴿سورة الاسراء مكية
وهي مائة وعشر آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سبحان الذي أسرى

﴿اقول في سورة الاسراء﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى (قال ان قلت الاسراء لا يكون الا بالليل فما معنى ذكر الليل الخ) قال أحمد وقد قرن الاسراء بالليل في موضع لا يليق الجواب عنه بهذا كقوله فأسر بأهلك بقطع من الليل وكقوله تعالى فأسر بعبادى ليلا فالظاهر والله أعلم ان الغرض من ذكر الليل وان كان الاسراء يفيده تصوير السير بصورته في ذهن السامع وكان الاسراء لما دل على أمرين أحدهما السير والآخر كونه ليلا أريد افراد أحدهما بالذكر تثبيتا في نفس (٧٠٠)

و(أسرى) وسرى لغتان و(ليلا) نصب على الظرف (فان قلت) الاسراء لا يكون الا بالليل فما معنى ذكر الليل (قلت) أراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراء وأنه أسرى به في بعض الليل من مكة الى الشأم مسيرة أربعين ليلة وذلك أن التنكير فيه قد دل على معنى البعضية ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل أى بعض الليل كقوله ومن الليل فتهجد به نافلة يعنى الامر بالقيام في بعض الليل واختلف في المكان الذى أسرى منه فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ أتانى جبريل عليه السلام بالبراق وقيل أسرى به من دار أم هانئ بنت أبى طالب * والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس الحرم كله مسجد وروى أنه كان نائما في بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء فأسرى به ورجع من ليلته وقص القصة على أم هانئ قال مثل لى النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبثت أم هانئ بثوبه فقال مالك قالت أخشى أن يكذبك قومك ان أخبرتهم قال وان كذبونى فخرج فجلس اليه أبو جهل فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث الاسراء فقال أبو جهل يا معشر بنى كعب بن لؤى هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال الى أبى بكر رضى الله عنه فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا أتصدقه على ذلك قال انى لاصدقه على أبعد من ذلك فسمى الصديق وفيهم من سافر الى ثم فاستنعتوه المسجد فجلى له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا أما النعت فقد أصاب فقالوا أخبرنا عن عيرنا فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد شرقت فقال آخر وهذه والله العير قد أقبلت يقدمها جمل أورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وقد عرج به الى السماء في تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس وأخبر قريشا أيضا بما رأى في السماء من العجائب وأنه لقى الانبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى واختلفوا في وقت الاسراء فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن أنس والحسن أنه كان قبل البعث واختلف في أنه كان في اليقظة أم في المنام فعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت والله ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عرج بروحه وعن معاوية انما عرج بروحه وعن الحسن كان في المنام رؤيا رآها وأكثر الاقاويل بخلاف ذلك * والمسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد (باركنا حوله) يريد بركات الدين والدنيا لانه متعبد الانبياء من وقت موسى ومهبط الوحى وهو محفوف بالانهار الجارية والاشجار المثمرة * وقرأ الحسن ليريه بالياء ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم فقيل أسرى ثم باركنا ثم ليريه على قراءة الحسن ثم من آياتنا ثم انه هو وهى طريقة الالتفات التى هى من طرق البلاغة (انه هو السميع) لاقوال محمد (البصير) بأفعاله العالم بتهذيبها وخلوصها فيكرمه ويقربه على حسب ذلك (ألا تتخذوا) قرئ بالياء على لئلا يتخذوا وبالتاء على أى لا تتخذوا كقولك كتبت اليه أن افعل كذا (وكيلا) ربا تكلون اليه أموركم (ذرية من حملنا) نصب على الاختصاص وقيل على النداء فيمن قرأ ألا تتخذوا بالتاء على النهى يعنى قلنا لهم لا تتخذوا من دونى وكيلا يا ذرية من حملنا (مع نوح) وقد يجعل وكيلا ذرية من حملنا مفعولى تتخذوا أى لا تجعلوهم أربابا كقوله ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير عليهم السلام وقرئ ذرية من حملنا بالرفع بدلا من واو تتخذوا وقرأ زيد بن ثابت ذرية بكسر الذال وروى عنه أنه قد فسرها بولد الولد ذكرهم الله النعمة في انجاء آبائهم من الغرق (انه) ان نوحا (كان عبدا شكورا) قيل كان اذا أكل قال الحمد لله الذى أطعمنى ولو شاء أجاعنى واذا شرب قال الحمد لله الذى سقانى ولو شاء أظمأنى واذا اكتسى قال الحمد لله الذى كسانى ولو شاء أعرانى واذا احتذى قال الحمد

بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل ألا تتخذوا من دونى وكيلا ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا

المخاطب وتنبيها على انه مقصود بالذكر ونظيره في افراد أحدهما دل عليه اللفظ المتقدم مضموما لغيره قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فالاسم الحامل للتثنية دال عليها وعلى الجنسية وكذلك المفرد فأريد التنبيه لان أحد المبنيين وهو التثنية مراد مقصود وكذلك أريد الايقاظ لان الوحدانية هى المقصودة في قوله انما هو اله واحد ولو اقتصر على قوله انما هو الله لاوهم أن المهم اثبات الالهية له والغرض من الكلام ليس الا الاثبات للوحدانية والله أعلم

لله الذي حذاني ولو شاء أحفاني واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي أخرج عني أذاه في عافية ولو شاء حبسه وروي أنه كان اذا أراد الافطار عرض طعامه على من آمن به فان وجده محتاجا آثره به (فان قلت) قوله انه كان عبدا شكورا ما وجه ملاءمته لما قبله (قلت) كأنه قيل لا تتخذوا من دوني وكيلا ولا تشركوا بي لأن نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا وأنتم ذرية من آمن به وحمل معه فاجعلوه أسوتكم كما جعله آباؤكم أسوتهم ويجوز أن يكون تعليلا لاختصاصهم والثناء عليهم بأنهم أولاد المحمولين مع نوح فهم متصلون به فاستأهلوا لذلك الاختصاص ويجوز أن يقال ذلك عند ذكره على سبيل الاستطراد (وقضينا الى بني اسرائيل) وأوحينا اليهم وحيا مقضيا أي مقطوعا مبتوتا بأنهم يفسدون في الارض لا محالة ويعلون أي يتعظمون ويبغون (في الكتاب) في التوراة و(لتفسدن) جواب قسم محذوف ويجوز أن يجري القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له كأنه قال وأقسمنا لتفسدن وقرئ لتفسدن على البناء للمفعول ولتفسدن بفتح التاء من فسد (مرتين) أولاهما قتل زكريا وحبس أرمياء حين أنذرهم سخط الله والآخرة قتل يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى بن مريم (عبادا لنا) وقرئ عبيدا لنا وأكثر ما يقال عباد الله وعبيد الناس سنحاريب وجنوده وقيل بختنصر وعن ابن عباس جالوت قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين ألفا (فان قلت) كيف جاز أن يبعث الله الكفرة على ذلك ويسلطهم عليه (قلت) معناه خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم على أن الله عز وعلا أسند بعث الكفرة عليهم الى نفسه فهو كقوله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وكقول الداعي وخالف بين كلمهم وأسند الجوس وهو التردد خلال الديار بالفساد اليهم فتخريب المسجد واحراق التوراة من جملة الجوس المسند اليهم * وقرأ طلحة فحاسوا بالحاء وقرئ فجوسوا وخلل الديار (فان قلت) ما معنى (وعد أولاهما) (قلت) معناه وعد عقاب أولاهما (وكان وعدا مفعولا) يعني وكان وعد العقاب وعدا لا بد أن يفعل (ثم رددنا لكم الكرة) أي الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو وقيل هي قتل بختنصر واستنقاذ بني اسرائيل أسراهم وأموالهم ورجوع الملك اليهم وقيل هي قتل داود جالوت (أكثر نفيرا) مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر كالعبيد والمعيز * أي الاحسان والاساءة كلاهما مختص بأنفسكم لا يتعدى النفع والضرر الى غيركم وعن علي رضي الله عنه ما أحسنت الى أحد ولا أسأت اليه وتلاها (فاذا جاء وعد) المرة (الآخرة) بعثناهم (ليسوؤا وجوهكم) حذف لدلالة ذكره أولا عليه ومعنى ليسوؤا وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء والضمير لله تعالى أو للوعد أو للبعث ولنسوء بالنون وفي قراءة علي لنسوأن وليسوأن وقرئ لنسوأن بالنون الخفيفة * واللام في (ليدخلوا) على هذا متعلق بمحذوف وهو وبعثناهم ليدخلوا ولنسوأن جواب اذا جاء (ما علوا) مفعول ليتبروا أي ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه أو بمعنى مدة علوهم (عسى ربكم أن يرحمكم) بعد المرة الثانية ان تبتم توبة أخرى وانزجرتم عن المعاصي (وان عدتم) مرة ثالثة (عدنا) الى عقوبتكم وقد عادوا فأعاد الله اليهم النقمة بتسليط الاكاسرة وضرب الاتاوة عليهم وعن الحسن عادوا فبعث الله محمدا فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة ثم كان آخر ذلك ان بعث الله عليهم هذا الحي من العرب فهم منهم في عذاب الى يوم القيامة (حصيرا) محبسا يقال للسجن محصر وحصير وعن الحسن بساطا كما يبسط الحصير المرمول (للتي هي أقوم) للحالة التي هي أقوم الحالات وأسدها أو للملة أو للطريقة وأينما قدرت لم تجد مع الاثبات ذوق البلاغة التي تجده مع الحذف لما في ابهام الموصوف بحذفه من فخامة تفقد مع ايضاحه * وقرئ ويبشر بالتخفيف (فان قلت) كيف ذكر المؤمنين الابرار والكفار ولم يذكر الفسقة (قلت) كان الناس حينئذ اما مؤمن تقي واما مشرك وانما حدث أصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك (فان قلت) علام عطف (وأن الذين لا يؤمنون) (قلت) على أن لهم أجرا كبيرا على معنى أنه بشر المؤمنين ببشارتين اثنتين بثوابهم وبعقاب أعدائهم ويجوز أن يراد ويخبر بأن الذين لا يؤمنون معذبون * أي ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه وأهله وماله كما يدعوه لهم بالخير كقوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير

وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير

---

* قوله تعالى بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار (قال ان قلت كيف جاز أن يبعث الله الكفرة الخ) قال أحمد هذا السؤال انما يتوجه على قدري يوجب على الله تعالى برحمه رعاية

مايتوهمه بعقله مصلحة وأما السنى اذا سئل هذا السؤال أجاب عنه بقوله لا يسئل عما يفعل والله الموفق * قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا (قال فيه معناه (٧٠٢) وما صح منا صحة تدعو اليها الحكمة أن نعذب قوما حتى نلزمهم الحجة ببعث الرسل الخ) قال أحمد وهذا السؤال أيضا انما يتوجه على قدري يزعم ان العقل يرشد الى وجوب النظر والى كثير من أحكام الله تعالى وان لم يبعث رسول فيكلف بعقله ويرتب على ترك امتثال التكاليف استيجاب العذاب اذ العقل كاف عندهم فى ايجاب المعرفة بل فى جميع الاحكام بناء على قاعدة التحسين والتقبيح العقليين وأما السنى فلا يتوجه عليه هذا السؤال فان العقل عنده شرط فى وجوب عموم الاحكام ولا تكليف عنده قبل ورود الشرائع وبعث الانبياء وحينئذ يثبت الحكم وتقوم الحجة فلولا كما أبانت عنه هذه الآية التى يروم الزمخشرى تحريفها فتعتاص عليه وتسد طرق الحيل بين يديه لانه الكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه نعم العقل عمدة فى حصول المعرفة لا فى وجوبها وبين الحصول والوجوب بون بعيد والله الموفق

وكان الانسان عجولا وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شئ فصلناه تفصيلا وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا

(وكان الانسان عجولا) يتسرع الى طلب كل ما يقع فى قلبه ويخطر بباله لا يتأنى فيه تأنى المتبصر وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه دفع الى سودة بنت زمعة أسيرا فأقبل يئن بالليل فقالت له مالك تئن فشكا ألم القد فأرخت من كتافه فلما نامت أخرج يده وهرب فلما أصبح النبى صلى الله عليه وسلم دعا به فأعلم بشأنه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الاجابة وأن يقطع الله يديها فقال النبى صلى الله عليه وسلم انى سألت الله أن يجعل لعنتى ودعائى على من لا يستحق من أهلى رحمة لانى بشر أغضب كما يغضب البشر فلترد سودة يديها ويجوز أن يريد بالانسان الكافر وانه يدعو بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعو بالخير اذا مسته الشدة وكان الانسان عجولا يعنى أن العذاب آتيه لا محالة فما هذا الاستعجال وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو النضر بن الحرث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فأجيب له فضربت عنقه صبرا * فيه وجهان أحدهما أن يراد أن الليل والنهار آيتان فى أنفسهما فتكون الاضافة فى آية الليل وآية النهار للتبيين كاضافة العدد الى المعدود أى فمحونا الآية التى هى الليل وجعلنا الآية التى هى النهار مبصرة والثانى أن يراد وجعلنا نيرى الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر فمحونا آية الليل أى جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسه مظلما لا يستبان فيه شئ كما لا يستبان ما فى اللوح الممحو وجعلنا النهار مبصرا أى تبصر فيه الاشياء وتستبان أو فمحونا آية الليل التى هى القمر حيث لم يخلق لها شعاعا كشعاع الشمس فترى به الاشياء رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر فى ضوئها كل شئ (لتبتغوا فضلا من ربكم) لتتوصلوا ببياض النهار الى استبانة أعمالكم والتصرف فى معايشكم (ولتعلموا) باختلاف الجديدين (عدد السنين) و(جنس (الحساب) وما تحتاجون اليه منه ولولا ذلك لما علم أحد حسبان الاوقات ولتعطلت الامور (وكل شئ) مما تفتقرون اليه فى دينكم ودنياكم (فصلناه) بيناه بيانا غير ملتبس فأزحنا عللكم وما تركنا لكم حجة علينا (طائره) عمله وقد حققنا القول فيه فى سورة النمل وعن ابن عيينة هو من قولك طار له سهم اذا خرج يعنى ألزمناه ما طار من عمله والمعنى أن عمله لازم له لزوم القلادة أو الغل لا يفك عنه ومنه مثل العرب تقلدها طوق الحمامة وقولهم الموت فى الرقاب وهذا ربقة فى رقبته وعن الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة اذا بعثت قلدتها فى عنقك * وقرئ فى عنقه بسكون النون * وقرئ نخرج بالنون ويخرج بالياء والضمير لله عز وجل ويخرج على البناء للمفعول ويخرج من خرج والضمير للطائر أى يخرج الطائر كتابا وانتصاب كتابا على الحال * وقرئ يلقاه بالتشديد مبنيا للمفعول و (يلقاه منشورا) صفتان للكتاب أو يلقاه صفة ومنشورا حال من يلقاه (اقرأ) على ارادة القول وعن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن فى الدنيا قارئا و (بنفسك) فاعل كفى و (حسيبا) تمييز وهو بمعنى حاسب كضريب القداح بمعنى ضاربها وصريم بمعنى صارم ذكرهما سيبويه * وعلى متعلق به من قولك حسب عليه كذا ويجوز أن يكون بمعنى الكافى وضع موضع الشهيد فعدى بعلى لان الشاهد يكفى المدعى ما أهمه (فان قلت) لم ذكر حسيبا (قلت) لانه بمنزلة الشهيد والقاضى والامير لان الغالب أن هذه الامور يتولاها الرجال فكأنه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا ويجوز أن يتأول النفس بالشخص كما يقال ثلاثة أنفس وكان الحسن اذا قرأها قال يا ابن آدم أنصفك والله من جعلك حسيب نفسك * أى كل نفس حاملة وزرا فانما تحمل وزرها لا وزر نفس أخرى (وما كنا معذبين) وما صح منا صحة تدعو اليها الحكمة أن نعذب قوما الا بعد أن (نبعث) اليهم (رسولا) فتلزمهم الحجة (فان قلت) الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسل لان معهم أدلة العقل التى بها يعرف الله وقد أغفلوا النظر وهم متمكنون منه واستيجابهم العذاب لاغفالهم النظر فيما معهم وكفرهم لذلك لا لاغفال الشرائع التى لا سبيل اليها الا بالتوقيف والعمل بها لا يصح الا بعد الايمان (قلت) بعثة الرسل من جملة التنبيه على النظر والايقاظ من رقدة الغفلة لئلا يقولوا كنا غافلين

* قوله تعالى وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا (قال حقيقة أمرهم أن يقال لهم افسقوا ولا يكون هذا فبقي أن يكون مجازا الخ) قال أحمد نص حسن الا قوله انهم خولوا النعم (٧٠٣) ليشكروا فانه فرعه على قاعدة وجوب ارادة الله تعالى للطاعة والحق أنهم خولوها وأمروا بالشكر ففسقوا وكفروا على خلاف الأمر والأمر غير الارادة على قاعدة أهل الحق والله الموفق * قوله عز وجل من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد الى قوله عز وجل ومن أراد الآخرة وسعى لها

وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما

فلولا بعثت النار رسولا ينبهنا على النظر في أدلة العقل (وإذا أردنا) وإذا دنا وقت اهلاك قوم ولم يبق من زمان امهالهم الا قليل أمرناهم (ففسقوا) أي أمرناهم بالفسق ففعلوا والأمر مجاز لان حقيقة أمرهم بالفسق أن يقول لهم افسقوا وهذا لا يكون فبقي أن يكون مجازا ووجه المجاز أنه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة الى المعاصي واتباع الشهوات فكأنهم مأمورون بذلك لتسبب ايلاء النعمة فيه وانما خولهم اياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من الاحسان والبر كما خلقهم أصحاء أقوياء وأقدرهم على الخير والشر وطلب منهم ايثار الطاعة على المعصية فآثروا الفسوق فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمرهم (فان قلت) هلا زعمت أن معناه أمرناهم بالطاعة ففسقوا (قلت) لان حذف ما لا دليل عليه غير جائز فكيف يحذف ما الدليل قائم على نقيضه وذلك ان المأمور به انما حذف لان فسقوا يدل عليه وهو كلام مستفيض يقال أمرته فقام وأمرته فقرأ لا يفهم منه الا أن المأمور به قيام أو قراءة ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك علم الغيب ولا يلزم على هذا قولهم أمرته فعصاني أو فلم يمتثل أمري لان ذلك مناف للأمر مناقض له ولا يكون ما يناقض الأمر مأمورا به فكان محالا أن يقصد أصلا حتى يجعل دالا على المأمور به فكان المأمور به في هذا الكلام غير مدلول عليه ولا منوي لان من يتكلم بهذا الكلام فانه لا ينوي لأمره مأمورا به وكأنه يقول كان مني أمر فلم تكن منه طاعة كما أن من يقول فلان يعطي ويمنع ويأمر وينهى غير قاصد الى مفعول (فان قلت) هلا كان ثبوت العلم بأن الله لا يأمر بالفحشاء وانما يأمر بالقصد والخير دليلا على أن المراد أمرناهم بالخير ففسقوا (قلت) لا يصح ذلك لان قوله ففسقوا يدافعه فكأنك أظهرت شيئا وأنت تدعي اضمار خلافه فكان صرف الأمر الى المجاز هو الوجه ونظير أمر شاء في أن مفعوله استفاض فيه الحذف لدلالة ما بعده عليه تقول لو شاء لأحسن اليك ولو شاء لأساء اليك تريد لو شاء الاحسان ولو شاء الاساءة فلو ذهبت تضمر خلاف ما أظهرت وقلت قد دلت حال من أسندت اليه المشيئة أنه من أهل الاحسان أو من أهل الاساءة فاترك الظاهر المنطوق به وأضمر ما دلت عليه حال صاحب المشيئة لم تكن على سداد وقد فسر بعضهم أمرنا بكثرنا وجعل أمرته فأمر من باب فعلته ففعل كثبرته فثبر وفي الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة أي كثيرة النتاج وروي أن رجلا من المشركين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني أرى أمرك هذا حقيرا فقال صلى الله عليه وسلم انه سيأمر أي سيكثر وسيكبر * وقرئ آمرنا من أمر وأمره غيره وأمرنا بمعنى أمرنا أو من أمر امارة وأمره الله أي جعلناهم أمراء وسلطناهم (كم) مفعول (أهلكنا) و (من القرون) بيان لكم وتمييز له كما يميز العدد بالجنس يعني عادا وثمود وقرونا بين ذلك كثيرا ونبه بقوله (وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا) على أن الذنوب هي أسباب الهلكة لا غير وانه عالم بها ومعاقب عليها * من كانت العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة وأكثر الفسقة تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد فقيد الأمر تقييدين أحدهما تقييد المعجل بمشيئته والثاني تقييد المعجل له بارادته وهكذا الحال ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون ما يتمنون ولا يعطون الا بعضا منه وكثيرا منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة وأما المؤمن التقي فقد اختار مراده وهو غنى الآخرة فما يبالي أوتي حظا من الدنيا أو لم يؤت فان أوتي فبها والا فربما كان الفقر خيرا له وأعون على مراده وقوله (لمن نريد) بدل من له وهو بدل البعض من الكل لان الضمير يرجع الى من وهو في معنى الكثرة * وقرئ يشاء وقيل الضمير لله تعالى فلا فرق اذا بين القراءتين في المعنى ويجوز أن يكون للعبد على أن للعبد ما يشاء من الدنيا وان ذلك لواحد من الدهماء يريد به الله ذلك وقيل هو من يريد الدنيا بعمل الآخرة كالمنافق والمرائي والمهاجر للدنيا والمجاهد للغنيمة والذكر كما قال صلى الله عليه وسلم فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه

سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا

(قال أي من كانت العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة وأكثر الفسقة الخ) قال أحمد ومثل ذلك التقييد ورد في الآية الأخرى وهي قوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب فادخل من المبعضة على حرث الدنيا وجعل الطالب حرث الآخرة مراده وزاد عليه

(مدحورا) مطرودا من رحمة الله (سعيها) حقها من السعي وكفاءها من الاعمال الصالحة * اشترط ثلاث
شرائط في كون السعي مشكورا ارادة الآخرة بان يعقد بها همه و يتجافى عن دار الغرور والسعي فيما كلف
من الفعل والترك والايمان الصحيح الثابت وعن بعض المتقدمين من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله ايمان
ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الآية * وشكر الله الثواب على الطاعة (كلا) كل واحد من
الفريقين والتنوين عوض من المضاف اليه (نمد) هم نزيدهم من عطائنا ونجعل الآنف منه مدد اللسالف
لا نقطعه فنرزق المطيع والعاصي جميعا على وجه التفضل (وما كان عطاء ربك) وفضله (محظورا) أي
ممنوعا لا يمنعه من عاص لعصيانه (انظر) بعين الاعتبار (كيف) جعلناهم متفاوتين في التفضل * وفي
الآخرة التفاوت أكبر لانها ثواب وأعواض وتفضل وكلها متفاوتة وروى أن قوما من الاشراف فمن دونهم
اجتمعوا بباب عمر رضي الله عنه فخرج الاذن لبلال وصهيب فشق على أبي سفيان فقال سهيل بن عمرو انما
أتينا من قبلنا انهم دعوا ودعينا يعني الى الاسلام فأسرعوا وأبطأنا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في
الآخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر لما أعد الله لهم في الجنة أكثر * وقرئ وأكثر تفضيلا وعن بعضهم أيها
المباهي بالرفع منك في مجالس الدنيا أما ترغب في المباهاة بالرفع في مجالس الآخرة وهي أكبر وأفضل
(فتقعد) من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة بمعنى صارت يعني فتصير جامعا على نفسك الذم
وما يتبعه من الهلاك من الهك والخذلان والعجز عن النصرة ممن جعلته شريكا له (وقضى ربك) وأمر
أمرا مقطوعا به (ألا تعبدوا) أن مفسرة ولا تعبدوا نهي أو بأن لا تعبدوا (وبالوالدين احسانا) وأحسنوا
بالوالدين احسانا أو بأن تحسنوا بالوالدين احسانا * وقرئ وأوصى وعن ابن عباس رضي الله عنهما ووصى
وعن بعض ولد معاذ بن جبل وقضاء ربك ولا يجوز أن يتعلق الباء في بالوالدين بالاحسان لان المصدر لا يتقدم
عليه صلته (اما) هي ان الشرطية زيدت عليها ما تأكيدا لها ولذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو
أفردت ان لم يصح دخولها لا تقول ان تكرمن زيدا يكرمك ولكن اما تكرمنه و(أحدهما) فاعل يبلغن
وهو فيمن قرأ يبلغان بدل من ألف الضمير الراجع الى الوالدين و(كلاهما) عطف على أحدهما فاعلا أو بدلا
(فان قلت) لو قيل اما يبلغان كلاهما كان كلاهما توكيدا لا بدلا فمالك زعمت أنه بدل (قلت) لانه معطوف على
ما لا يصح أن يكون توكيدا للاثنين فانتظم في حكمه فوجب أن يكون مثله (فان قلت) ما ضرك لو جعلته
توكيدا مع كون المعطوف عليه بدلا وعطفت التوكيد على البدل (قلت) لو أريد توكيد التثنية لقيل
كلاهما فحسب فلما قيل أحدهما أو كلاهما علم أن التوكيد غير مراد فكان بدلا مثل الاول (أف) صوت يدل
على تضجر وقرئ أف بالحركات الثلاث منونا وغير منون الكسر على أصل البناء والفتح تخفيف للضمة
والتشديد كثم والضم اتباع كمنذ (فان قلت) ما معنى عندك (قلت) هو أن يكبرا ويعجزا وكانا كلا على ولدهما
لا كافل لهما غيره فهما عنده في بيته وكنفه وذلك أشق عليه وأشد احتمالا وصبرا وربما تولى منهما ما كانا
يتوليان منه في حال الطفولة فهو مأمور بان يستعمل معهما وطأة الخلق ولين الجانب والاحتمال حتى
لا يقول لهما اذا أضجره ما يستقذر منهما أو يستثقل من مؤنهما أف فضلا عما يزيد عليه ولقد بالغ سبحانه
في التوصية بهما حيث افتتحها بأن شفع الاحسان اليهما بتوحيده ونظمهما في سلك القضاء بهما معا ثم
ضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومقتضياته
ومع أحوال لا يكاد يدخل صبر الانسان معها في الاستطاعة (ولا تنهرهما) ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما
لا يعجبك والنهي والنهر والنهم أخوات (وقل لهما) بدل التأفيف والنهر (قولا كريما) جميلا كما يقتضيه
حسن الأدب والنزول على المروءة وقيل هو أن يقول يا أبتاه يا أماه كما قال ابراهيم لابيه يا أبت مع كفره
ولا يدعوهما باسمائهما فانه من الجفاء وسوء الأدب وعادة الدعار قالوا ولا بأس به في غير وجهه كما قالت
عائشة رضي الله عنها نحلني أبو بكر كذا * وقرئ جناح الذل والذل بالضم والكسر (فان قلت) ما معنى
قوله (جناح الذل) (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يكون المعنى واخفض لهما جناحك كما قال

مدحورا ومن أراد
الآخرة وسعى لها سعيها
وهو مؤمن فأولئك
كان سعيهم مشكورا
كلا نمد هؤلاء وهؤلاء
من عطاء ربك وما كان
عطاء ربك محظورا
انظر كيف فضلنا بعضهم
على بعض وللآخرة
أكبر درجات وأكبر
تفضيلا لا تجعل مع الله
الها آخر فتقعد مذموما
مخذولا وقضى ربك ألا
تعبدوا الا اياه وبالوالدين
احسانا اما يبلغن عندك
الكبر أحدهما أو كلاهما
فلا تقل لهما أف
ولا تنهرهما وقل لهما
قولا كريما واخفض
لهما جناح الذل

واخفض جناحك للمؤمنين فأضافه الى الذل أو الذل كما أضيف حاتم الى الجود على معنى واخفض لهما جناحك
الذليل أو الذلول والثانى أن تجعل لذله أو لذله لهما جناحا خفيضا كما جعل لبيد للشمال يدا وللقرة زماما مبالغة
فى التذلل والتواضع لهما (من الرحمة) من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم
الى من كان أفقر خلق الله اليهما بالامس * ولا تكتف برحمتك عليهما التى لا بقاء لها وادع الله بأن يرحمهما
رحمته الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك فى صغرك وتربيتهما لك (فان قلت) الاسترحام لهما انما يصح
اذا كانا مسلمين (قلت) واذا كانا كافرين فله أن يسترحم لهما بشرط الايمان وأن يدعو الله لهما بالهداية
والارشاد ومن الناس من قال كان الدعاء للكفار جائزا ثم نسخ وسئل ابن عيينة عن الصدقة عن الميت فقال
كل ذلك واصل اليه ولا شئ أنفع له من الاستغفار ولو كان شئ أفضل منه لامركم به فى الابوين ولقد كرر الله
سبحانه فى كتابه الوصية بالوالدين وعن النبى صلى الله عليه وسلم رضا الله فى رضا الوالدين وسخطه فى سخطهما
وروى يفعل البار ما شاء أن يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما شاء أن يفعل فلن يدخل الجنة وروى
سعيد بن المسيب ان البار لا يموت ميتة سوء وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبوى بلغا من الكبر
أنى ألى منهما ما وليا منى فى الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وأنت تفعل
ذلك وأنت تريد موتهما وشكا رجل الى رسول الله أباه وأنه يأخذ ماله فدعا به فاذا شيخ يتوكأ على عصا فسأله
فقال انه كان ضعيفا وأنا قوى وفقيرا وأنا غنى فكنت لا أمنعه شيأ من مالى واليوم أنا ضعيف وهو قوى وأنا
فقير وهو غنى ويبخل على بماله فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما من حجر ولا مدر يسمع هذا الا بكى
ثم قال للولد أنت ومالك لابيك أنت ومالك لابيك وشكا اليه آخر سوء خلق أمه فقال لم تكن سيئة الخلق
حين حملتك تسعة أشهر قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين أرضعتك حولين قال انها سيئة الخلق قال
لم تكن كذلك حين أسهرت لك ليلها وأظمأت نهارها قال لقد جازيتها قال ما فعلت قال حججت بها على عاتقى قال
ما جزيتها ولو طلقة وعن ابن عمر أنه رأى رجلا فى الطواف يحمل أمه ويقول

انى لها مطية لا تذعر * اذا الركاب نفرت لا تنفر
ما حملت وأرضعتنى أكثر * الله ربى ذو الجلال الاكبر

تظننى جزيتها يا ابن عمر قال لا ولو زفرة واحدة وعنه عليه الصلاة والسلام اياكم وعقوق الوالدين فان الجنة
توجد ريحها من مسيرة ألف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء ان
الكبرياء لله رب العالمين وقال الفقهاء لا يذهب بأبيه الى البيعة واذا بعث اليه منها ليحمله فعل ولا يناوله الخمر
ويأخذ الاناء منه اذا شربها وعن أبى يوسف اذا أمره أن يوقد تحت قدره وفيها لحم الخنزير أوقد وعن حذيفة
أنه استأذن النبى صلى الله عليه وسلم فى قتل أبيه وهو فى صف المشركين فقال دعه يليه غيرك وسئل الفضيل
ابن عياض عن بر الوالدين فقال أن لا تقوم الى خدمتهما عن كسل وسئل بعضهم فقال أن لا ترفع صوتك
عليهما ولا تنظر شزرا اليهما ولا يريا منك مخالفة فى ظاهر ولا باطن وأن تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا
ماتا وتقوم بخدمة أودائهما من بعدهما فعن النبى صلى الله عليه وسلم ان من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود
أبيه (بما فى نفوسكم) بما فى ضمائركم من قصد البر الى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير (ان تكونوا
صالحين) قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم فى حال الغضب وعند حرج الصدر وما لا يخلو منه البشر
أو لحمية الاسلام هنة تؤدى الى أذاهما ثم أبتم الى الله واستغفرتم منها فان الله غفور (للاوابين) للتوابين وعن
سعيد بن جبير هى فى البادرة تكون من الرجل الى أبيه لا يريد بذلك الا الخير وعن سعيد بن المسيب الاواب
الرجل كلما أذنب بادر بالتوبة ويجوز أن يكون هذا عاما لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويندرج
تحته الجانى على أبويه التائب من جنايته لوروده على أثره (وآت ذا القربى حقه) وصى بغير الوالدين من
الاقارب بعد التوصية بهما وأن يؤتوا حقهم وحقهم اذا كانوا محارم كالابوين والولد وفقراء عاجزين عن
الكسب وكان الرجل موسرا أن ينفق عليهم عند أبى حنيفة والشافعى لا يرى النفقة الا على الولد والوالدين

من الرحمة وقل رب
ارحمهما كما ربيانى صغيرا
ربكم أعلم بما فى نفوسكم
ان تكونوا صالحين فانه
كان للاوابين غفورا
وآت ذى القربى حقه

فحسب وان كانوا مياسير أولم يكونوا محارم كابناء العم فحقهم صلتهم بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك (والمسكين وابن السبيل) يعني وآت هؤلاء حقهم من الزكاة وهذا دليل على أن المراد بما يؤتى ذوى القرابة من الحق هو تعهدهم بالمال وقيل أراد بذى القربى أقرباء رسول الله صلى الله عليه وسلم * التبذير تفريق المال فيما لا ينبغى وانفاقه على وجه الاسراف وكانت الجاهلية تنحر ابلها وتتياسر عليها وتبذر أموالها فى الفخر والسمعة وتذكر ذلك فى أشعارها فأمر الله بالنفقة فى وجوهها مما يقرب منه ويزلف وعن عبد الله هو انفاق المال فى غير حقه وعن مجاهد لو أنفق مدا فى باطل كان تبذيرا وقد أنفق بعضهم نفقة فى خير فأكثر فقال له صاحبه لا خير فى السرف فقال لا سرف فى الخير وعن عبد الله بن عمرو مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسعد وهو يتوضأ فقال ما هذا السرف يا سعد قال أوفى الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار (اخوان الشياطين) أمثالهم فى الشرارة وهى غاية المذمة لانه لا شر من الشيطان أوهم اخوانهم وأصدقاؤهم لانهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الاسراف أوهم قرناؤهم فى النار على سبيل الوعيد (وكان الشيطان لربه كفورا) فما ينبغى أن يطاع فانه لا يدعو الا الى مثل فعله وقرأ الحسن اخوان الشيطان وان أعرضت عن ذى القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد (فقل لهم قولا ميسورا) فلا تتركهم غير مجابين اذا سألوك وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا سئل شيأ وليس عنده أعرض عن السائل وسكت حياء * وقوله ابتغاء رحمة من ربك اما أن يتعلق بجواب الشرط مقدما عليه أى فقل لهم قولا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا رحمة لهم وتطييبا لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك أى ابتغ رحمة الله التى ترجوها برحمتك عليهم واما أن يتعلق بالشرط أى وان أعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجو أن يفتح لك فسمى الرزق رحمة فردهم ردا جميلا فوضع الابتغاء موضع الفقد لان فاقد الرزق مبتغ له فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مسببا عنه فوضع المسبب موضع السبب ويجوز أن يكون معنى وان تعرضن عنهم وان لم تنفعهم ولم ترفع خصاصتهم لعدم الاستطاعة ولا يريد الاعراض بالوجه كناية بالاعراض عن ذلك لان من أبى أن يعطى أعرض بوجهه * يقال يسر الامر وعسر مثل سعد الرجل ونحس فهو مفعول وقيل معناه فقل لهم رزقنا الله واياكم من فضله على أنه دعاء لهم ييسر عليهم فقرهم كان معناه قولا ذا ميسور وهو اليسر أى دعاء فيه يسر هذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف وأمر بالاقتصاد الذى هو بين الاسراف والتقتير (فتقعد ملوما) فتصير ملوما عند الله لان المسرف غير مرضى عنده وعند الناس يقول المحتاج أعطى فلانا وحرمنى ويقول المستغنى ما يحسن تدبير أمر المعيشة وعند نفسك اذا احتجت فندمت على ما فعلت (محسورا) منقطعا بك لا شىء عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وحسره بالمسئلة وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس أتاه صبى فقال ان أمى تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة يظهر فعد الينا فذهب الى أمه فقالت له قل له ان أمى تستكسيك الدرع الذى عليك فدخل داره ونزع قميصه وأعطاه وقعد عريانا وأذن بلال وانتظر فلم يخرج للصلاة وقيل أعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وعيينة بن حصن فجاء عباس بن مرداس وأنشأ يقول

أتجعل نهبى ونهب العبيـ * ـد بين عيينة والاقرع
وما كان حصن ولا حابس * يفوقان جدى فى مجمع
وما كنت دون امرئ منهما * ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال يا أبا بكر اقطع لسانه عنى أعطه مائة من الابل فنزلت * ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يرهقه من الاضافة بأن ذلك ليس لهوان منك عليه ولا لبخل به عليك ولكن لان مشيئته فى بسط الارزاق وقدرها تابعة للحكمة والمصلحة ويجوز أن يريد أن البسط والقبض انما هما من أمر الله الذى الخزائن فى يده فأما العبيد فعليهم أن يقتصدوا ويحتمل أنه عز وعلا يبسط لعباده أو يقبض فانه يراعى أوسط الحالين لا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده ولا بالمقبوض عليه أقصى مكروهه فاستنوا بسنته * قتلهم أولادهم هو وأدهم بناتهم كانوا يئدونهن خشية الفاقة وهى الاملاق فنهاهم الله وضمن لهم أرزاقهم وقرئ خشية بكسر الخاء وقرئ خطأ

والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ولا تقربوا الزنا انه كان

وهو

وهو الاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما وخطأ وهو ضد الصواب اسم من أخطأ وقيل هو والخطأ كالحذر والحذر وخطاء بالكسر والمد وخطاء بالفتح والمد وخطأ بالفتح والسكون وعن الحسن خطا بالفتح وحذف الهمزة كالخب وعن أبي رجاء بكسر الخاء غير مهموز (فاحشة) قبيحة زائدة على حد القبح (وساء سبيلا) وبئس طريقا طريقه وهو أن تغصب على غيرك امرأته أو أخته أو بنته من غير سبب والسبب ممكن وهو الصهر الذي شرعه الله (الا بالحق) الا باحدى ثلاث الا بان تكفر أو تقتل مؤمنا عمدا أو تزني بعد احصان (مظلوما) غير راكب واحدة منهن (لوليه) الذي بينه وبينه قرابة توجب المطالبة بدمه فان لم يكن له ولي فالسلطان وليه (سلطانا) تسلطا على القاتل في الاقتصاص منه أو حجة يثبت بها عليه (فلا يسرف) الضمير للولي أي فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية كان اذا قتل منهم واحد قتلوا به جماعة حتى قال مهلهل حين قتل بجير بن الحرث بن عباد بؤ بشسع نعل كليب وقال

كل قتيل في كليب غرة * حتى ينال القتل آل مرة

وكانوا يقتلون غير القاتل اذا لم يكن بواء وقيل الاسراف المثلة وقرأ أبو مسلم صاحب الدولة فلا يسرف بالرفع على أنه خبر في معنى الامر وفيه مبالغة ليست في الامر وعن مجاهد أن الضمير للقاتل الاول وقرئ فلا تسرف على خطاب الولي أو قاتل المظلوم وفي قراءة أبي فلا تسرفوا رده على ولا تقتلوا (انه كان منصورا) الضمير اما للولي يعني حسبه أن الله قد نصره بان أوجب له القصاص فلا يستزد على ذلك وبان الله قد نصره بمعونة السلطان وباظهار المؤمنين على استيفاء الحق فلا يبغ ماوراء حقه واما للمظلوم لان الله ناصره حيث أوجب القصاص بقتله وينصره في الآخرة بالثواب واما للذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله فانه منصور بايجاب القصاص على المسرف (بالتي هي أحسن) بالخصلة أو الطريقة التي هي أحسن وهي حفظه عليه وتثميره (ان العهد كان مسئولا) أي مطلوبا يطلب من المعاهد أن لا يضيعه ويفي به ويجوز أن يكون تخييلا كأنه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفي بك تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت ويجوز أن يراد أن صاحب العهد كان مسئولا * قرئ (بالقسطاس) بالضم والكسر وهو القرسطون وقيل كل ميزان صغر أو كبر من موازين الدراهم وغيرها (وأحسن تأويلا) وأحسن عاقبة وهو تفعيل من آل اذا رجع وهو ما يؤول اليه (ولا تقف) ولا تتبع وقرئ ولا تقف يقال قفا أثره وقافه ومنه القافة يعني ولا تكن في اتباعك مالا علم لك به من قول أو فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري أنه يوصله الى مقصده فهو ضال والمراد النهي عن أن يقول الرجل مالا يعلم وان يعمل بما لا يعلم ويدخل فيه النهي عن التقليد دخولا ظاهرا لانه اتباع لما لا يعلم صحته من فساده وعن ابن الحنفية شهادة الزور وعن الحسن لا تقف أخاك المسلم اذا مر بك فتقول هذا يفعل كذا ورأيته يفعل وسمعته ولم تر ولم تسمع وقيل القفو شبيه بالعضيهة ومنه الحديث من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج وأنشد

ومثل الدمى شم العرانين ساكن * بهن الحياء لا يشعن التقافيا

أي التقاذف وقال الكميت

ولا أرمي البريء بغير ذنب * ولا أقفو الحواصن ان قفينا

وقد استدل به مبطل الاجتهاد ولم يصح لان ذلك نوع من العلم فقد أقام الشرع غالب الظن مقام العلم وأمر بالعمل به (أولئك) اشارة الى السمع والبصر والفؤاد كقوله * والعيش بعد أولئك الايام * و(عنه) في موضع الرفع بالفاعلية أي كل واحد منها كان مسئولا عنه فمسئول مسند الى الجار والمجرور كالمغضوب في قوله غير المغضوب عليهم يقال للانسان لم سمعت مالم يحل لك سماعه ولم نظرت الى مالم يحل لك النظر اليه ولم عزمت على مالم يحل لك العزم عليه * وقرئ والفواد بفتح الفاء والواو قلبت الهمزة واوا بعد الضمة في الفؤاد ثم استصحب القلب مع الفتح (مرحا) حال أي ذا مرح وقرئ مرحا وفضل الاخفش المصدر على اسم الفاعل لما

فاحشة وساء سبيلا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان منصورا ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ولا تمش في الارض مرحا انك

* قوله تعالى وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا (قال أي يطلب من المعاهد أن يفي به ولا ينكثه الخ) قال أحمد كلام حسن الا لفظة التخييل فقد تقدم انكارها عليه وينبغي أن يعوض بالتمثيل والظاهر التأويل الاول ويكون المجرور الذي هو عنه حذف تخفيفا وقد ذكر في بقية الآي كل أولئك كان عنه مسئولا والله أعلم ويعضد تأويل سؤال العهد نفسه على وجه التمثيل وقوف الرحم بين يدي الله وسؤالها قاطعين وصلها وقطعها وقد ورد ذلك في الحديث الصحيح والله الموفق

قوله عزوجل ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا (قال معناه ان تجعل فيها خرقا الخ) قال أحمد وفى
هذا التهكم والتقريع لمن يعتاد هذه المشية كفاية فى الانزجار عنها ولقد حفظ الله عوام زماننا عن هذه المشية وتورط فيها قراؤنا وفقهاؤنا
بينا أحدهم قد عرف مسئلتين أو أجلس بين يديه طالبين أو شد طرفا من رياسة الدنيا اذا هو يتبختر فى مشيه ويترجح ولا يرى انه يطاول
الجبال ولكن يحك بيافوخه عنان السماء كأنهم يمرون عليها وهم عنها معرضون وماذا يفيده أن يقرأ القرآن أو يقرأ عليه وقلبه عن
تدبره على مراحل والله ولى التوفيق (٧٠٨) قوله تعالى تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده
ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا (قال المراد تسبيحها
بلسان الحال من حيث تدل على الصانع الخ) قال أحمد ولقائل أن
يقول شاهده نع بقوله كان حليما غفورا وهو لا يغفر للمشركين ولا يتجاوز عن جهلهم بذلك
وكفرهم واشراكهم وانما يتجاوز عن المؤمنين والظاهر ان المخاطب المؤمنون وأما عدم فقههم التسبيح الصادر من
الجمادات فكأنه والله أعلم من عدم العمل بمقتضى ذلك فان الانسان لو تيقظ حق التيقظ الى ان النملة والبعوضة وكل ذرة من ذرات
الكون تسبح الله وتنزهه وتشهد بجلاله وكبريائه وقهره وعمر خاطره بهذا الفهم لكاد ذلك يشغله عن القوت فضلا عن فضول الكلام
والاعمال والعاكف على الغيبة التى هى فاكهتنا فى زماننا هذا لو استشعر حال افاضته فيها ان كل ذرة وجوهر من ذرات لسانه الذى يلقلقه

لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا انكم لتقولون قولا عظيما ولقد صرفنا فى هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم الا نفورا قل لو كان معه آلهة كما تقولون اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا تسبح له السموات والارض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده

فيه من التأكيد (لن تخرق الارض) لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطأتك وقرئ لن تخرق بضم الراء
(ولن تبلغ الجبال طولا) بتطاولك وهو تهكم بالمختال * قرئ سيئة وسيئه على اضافة سيئ الى ضمير كل وسيئا
فى بعض المصاحف وسيئات وفى قراءة أبى بكر الصديق رضى الله عنه كان شأنه (فان قلت) كيف قيل سيئة
مع قوله مكروها (قلت) السيئة فى حكم الاسماء بمنزلة الذنب والاثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيثه
ولا فرق بين من قرأ سيئة وسيئا ألا ترى انك تقول الزنا سيئة كما تقول السرقة سيئة فلا تفرق بين اسنادها الى
مذكر ومؤنث (فان قلت) فما ذكر من الخصال بعضها سيئ وبعضها حسن ولذلك قرأ من قرأ سيئه بالاضافة
فما وجه من قرأ سيئة (قلت) كل ذلك احاطة بما نهى عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة (ذلك) اشارة
الى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله الها آخر الى هذه الغاية وسماه حكمة لانه كلام محكم لا مدخل فيه
للفساد بوجه وعن ابن عباس هذه الثمانى عشرة آية كانت فى ألواح موسى أولها لا تجعل مع الله الها آخر
قال الله تعالى وكتبنا له فى الالواح من كل شئ موعظة وهى عشر آيات فى التوراة ولقد جعل الله فاتحتها وخاتمتها
النهى عن الشرك لان التوحيد هو رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه حكمه وعلومه وان بذ فيها
الحكماء وحك بيافوخه السماء وما أغنت عن الفلاسفة أسفار الحكم وهم عن دين الله أضل من النعم
(أفأصفاكم) خطاب للذين قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار يعنى أفخصكم ربكم على وجه الخلوص
والصفاء بأفضل الاولاد وهم البنون لم يجعل فيهم نصيبا لنفسه واتخذ أدونهم وهى البنات وهذا خلاف
الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم فان العبيد لا يؤثرون بأجود الاشياء وأصفاها من الشوب ويكون أردأها
وأدونها للسادات (انكم لتقولون قولا عظيما) باضافتكم اليه الاولاد وهى خاصة بالاجسام ثم بأنكم تفضلون
عليه أنفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بأن تجعلوا الملائكة وهم أعلى خلق الله وأشرفهم أدون خلق
الله وهم الاناث (ولقد صرفنا فى هذا القرآن) يجوز أن يريد بهذا القرآن ابطال اضافتهم الى الله البنات لانه
مما صرفه وكرر ذكره والمعنى ولقد صرفنا القول فى هذا المعنى أو أوقعنا التصريف فيه وجعلناه مكانا
للتكرير ويجوز أن يشير بهذا القرآن الى التنزيل ويريد ولقد صرفناه يعنى هذا المعنى فى مواضع من
التنزيل فترك الضمير لانه معلوم وقرئ صرفنا بالتخفيف وكذلك (ليذكروا) قرئ مشددا ومخففا أى كررناه
ليتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا الى ما يحتج به عليهم فـ(ما يزيدهم الا نفورا) عن الحق وقلة طمأنينة اليه
وعن سفيان كان اذا قرأها قال زادنى لك خضوعا ما زاد أعداءك نفورا * قرئ كما تقولون بالتاء والياء
و(اذا) دالة على أن ما بعدها وهو لابتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو ومعنى (لابتغوا الى ذى
العرش سبيلا) لطلبوا الى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض كقوله لو كان
فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل لتقربوا اليه كقوله أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة (علوا)
فى معنى تعاليا والمراد البراءة من ذلك والنزاهة * ومعنى وصف العلو بالكبر المبالغة فى معنى البراءة والبعد
مما وصفوه به * والمراد أنها تسبح له بلسان الحال حيث تدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته فكأنها تنطق

فى سخط الله تعالى عليه مشغولة مملوءة بتقديس الله تعالى وتسبيحه وتخويف عقابه وارهاب جبروته وتيقظ لذلك حق التيقظ لكاد أن لا يتكلم بقية عمره فالظاهر والله أعلم ان الآية انما وردت خطابا على الغالب فى أحوال الغافلين (٧٠٩) وان كانوا مؤمنين والله الموفق

ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه وفى آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا نحن أعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذهم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر فى صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة فسينغضون اليك رؤسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا

بذلك وكانها تنزه الله عز وجل مما لا يجوز عليه من الشركاء وغيرها (فان قلت) فما تصنع بقوله (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) وهذا التسبيح مفقوه معلوم (قلت) الخطاب للمشركين وهم وان كانوا اذا سئلوا عن خالق السموات والارض قالوا الله الا أنهم لما جعلوا معه آلهة مع اقرارهم فكأنهم لم ينظروا ولم يقروا لان نتيجة النظر الصحيح والاقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه فاذا لم يفقهوا التسبيح ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق (فان قلت) من فيهن يسبحون على الحقيقة وهم الملائكة والثقلان وقد عطفوا على السموات والارض فما وجهه (قلت) التسبيح المجازى حاصل فى الجميع فوجب الحمل عليه والا كانت الكلمة الواحدة فى حالة واحدة محمولة على الحقيقة والمجاز (انه كان حليما غفورا) حين لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم وجهلكم بالتسبيح وشرككم (حجابا مستورا) ذا ستر كقولهم سيل مفعم ذو افعام وقيل هو حجاب لا يرى فهو مستور ويجوز أن يراد انه حجاب من دونه حجاب أو حجب فهو مستور بغيره أو حجاب يستر أن يبصر فكيف يبصر المحتجب به وهذه حكاية لما كانوا يقولونه وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كانه قال واذا قرأت القرآن جعلنا على زعمهم (أن يفقهوه) كراهة أن يفقهوه أو لان قوله وجعلنا على قلوبهم أكنة فيه معنى المنع من الفقه فكانه قيل ومنعناهم أن يفقهوه يقال وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة و (وحده) من باب رجع عوده على بدئه وافعله جهدك وطاقتك فى أنه مصدر ساد مسد الحال أصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده * والنفور مصدر بمعنى التولية أو جمع نافر كقاعد وقعود أى يحبون أن تذكر معه آلهتهم لانهم مشركون فاذا سمعوا بالتوحيد نفروا (بما يستمعون به) من الهزؤ بك وبالقرآن ومن اللغو كان يقوم عن يمينه اذا قرأ رجلان من عبد الدار ورجلان منهم عن يساره فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار وبه فى موضع الحال كما تقول يستمعون بالهزؤ أى هازئين و (اذ يستمعون) نصب باعلم أى اعلم وقت استماعهم بما به يستمعون (واذ هم نجوى) وبما يتناجون به اذ هم ذو نجوى (اذ يقول) بدل من اذ هم (مسحورا) سحر فجن وقيل هو من السحر وهو الرئة أى هو بشر مثلكم (ضربوا لك الامثال) مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون (فضلوا) فى جميع ذلك ضلال من يطلب فى التيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير فى أمره لا يدرى ما يصنع * لما قالوا أئذا كنا عظاما قيل لهم (كونوا حجارة أو حديدا) فرد قوله كونوا على قولهم كنا كانه قيل كونوا حجارة أو حديدا ولا تكونوا عظاما فانه يقدر على احيائكم والمعنى أنكم تستبعدون أن يجدد الله خلقكم ويرده الى حال الحياة والى رطوبة الحى وغضاضته بعد ما كنتم عظاما يابسة مع أن العظام بعض أجزاء الحى بل هى عمود خلقه الذى يبنى عليه سائره فليس يبدع أن يردها الله بقدرته الى حالتها الاولى ولكن لو كنتم أبعد شئ من الحياة ورطوبة الحى ومن جنس ما ركب منه البشر وهو أن تكونوا حجارة يابسة أو حديدا مع أن طباعها الجساوة والصلابة لكان قادرا على أن يردكم الى حال الحياة (أو خلقا مما يكبر فى صدوركم) يعنى أو خلقا مما يكبر عندكم عن قبول الحياة ويعظم فى زعمكم على الخالق احياؤه فانه يحييه وقيل ما يكبر فى صدورهم الموت وقيل السموات والارض (فسينغضون) فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء * والدعاء والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين منقادين لا تمتنعون وقوله (بحمده) حال منهم أى حامدين وهى مبالغة فى انقيادهم للبعث كقولك لمن تأمره بركوب ما يشق عليه فيتأبى ويمتنع ستركبه وأنت حامد شاكر يعنى أنك تحمل عليه وتقسر قسرا حتى انك تلين لين المسمح الراغب فيه الحامد عليه وعن سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك (وتظنون) وترون الهول فعنده تستقصرون مدة لبثكم فى الدنيا وتحسبونها يوما

قال انه كان حليما غفورا * عاد كلامه (قال ان قلت من فيهن يسبحون حقيقة وهم الملائكة الخ) قال أحمد وقد تقدم نقلى عنه انه يأبى حمل اللفظ على حقيقته ومجازه دفعة واحدة عند آية السجدة فى النحل ولكن ظهر من كلامه ثم جعل السجود عبارة عن الانقياد وعدم الامتناع على القدرة ليكون متناولا للمكلفين وغير المكلفين بطريق التواطؤ وقد يكون أراد ثم المجاز والله الموفق

أو بعض يوم وعن قتادة تحاقرت الدنيا فى أنفسهم حين عاينوا الآخرة (وقل لعبادى) وقل للمؤمنين (يقولوا) للمشركين الكلمة (التى هى أحسن) وألين ولا يخاشنوهم كقوله وجادلهم بالتى هى أحسن وفسر التى هى أحسن بقوله (ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم أو ان يشأ يعذبكم) يعنى يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم انكم من أهل النار وانكم معذبون وما أشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر وقوله (ان الشيطان ينزغ بينهم) اعتراض يعنى يلقى بينهم الفساد ويغرى بعضهم على بعض ليقع بينهم المشارة والمشاقة (وما أرسلناك عليهم وكيلا) أى ربا موكولا اليك أمرهم تقسرهم على الاسلام وتجبرهم عليه وانما أرسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر أصحابك بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة والمكاشفة وذلك قبل نزول آية السيف وقيل نزلت فى عمر رضى الله عنه شتمه رجل فأمره الله بالعفو وقيل أفرط ايذاء المشركين للمسلمين فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل الكلمة التى هى أحسن أن يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله وقرأ طلحة ينزغ بالكسر وهما لغتان نحو يعرشون ويعرشون هو رد على أهل مكة فى انكارهم واستبعادهم أن يكون يتيم أبى طالب نبيا وأن تكون العراة الجوع أصحابه كصهيب وبلال وخباب وغيرهم دون أن يكون ذلك فى بعض أكابرهم وصناديدهم يعنى وربك أعلم بمن فى السموات والارض وبأحوالهم ومقاديرهم وبما يستأهل كل واحد منهم وقوله (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله (وآتينا داود زبورا) دلالة على وجه تفضيله وهو أنه خاتم الانبياء وأن أمته خير الامم لان ذلك مكتوب فى زبور داود قال الله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون وهم محمد وأمته (فان قلت) هلا عرف الزبور كما عرف فى قوله ولقد كتبنا فى الزبور (قلت) يجوز أن يكون الزبور وزبور كالعباس وعباس والفضل وفضل وأن يريد وآتينا داود بعض الزبر وهى الكتب وأن يريد ما ذكر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الزبور فسمى ذلك زبورا لانه بعض الزبور كما سمى بعض القرآن قرآنا هم الملائكة وقيل عيسى بن مريم وعزير وقيل نفر من الجن عبدهم ناس من العرب ثم أسلم الجن ولم يشعروا أى ادعوهم فهم لا يستطيعون ان يكشفوا عنكم الضر من مرض أو فقر أو عذاب ولا ان يحولوه من واحد الى آخر أو يبدلوه و(أولئك) مبتدأ و(الذين يدعون) صفته و(يبتغون) خبره يعنى ان آلهتهم أولئك يبتغون الوسيلة وهى القربة الى الله تعالى و(أيهم) بدل من واو يبتغون وأى موصولة أى يبتغى من هو أقرب منهم وأزلف الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب أو ضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكأنه قيل يحرصون أيهم يكون أقرب الى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير والصلاح ويرجون ويخافون كما غيرهم من عباد الله فكيف يزعمون أنهم آلهة (ان عذاب ربك كان) حقيقا بأن يحذره كل أحد من ملك مقرب ونبى مرسل فضلا عن غيرهم (نحن مهلكوها) بالموت والاستئصال (أو معذبوها) بالقتل وأنواع العذاب وقيل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت فى كتب الضحاك بن مزاحم فى تفسيرها أما مكة فيخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف وأما خراسان فعذابها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا (فى الكتاب) فى اللوح المحفوظ * استعير المنع لترك ارسال الآيات من أجل صارف الحكمة * وأن الاولى منصوبة والثانية مرفوعة تقديره وما منعنا ارسال الآيات الا تكذيب الاولين والمراد الآيات التى اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن احياء الموتى وغير ذلك وعادة الله فى الامم أن من اقترح منهم آية فأجيب اليها ثم لم يؤمن أن يعاجل بعذاب الاستئصال فالمعنى وما صرفنا عن ارسال ما يقترحونه من الآيات الا أن كذب بها الذين هم أمثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وأنها لو أرسلت لكذبوا بها تكذيب أولئك وقالوا هذا سحر مبين كما يقولون فى غيرها واستوجبوا العذاب المستأصل وقد عزمنا أن نؤخر أمر من بعثت اليهم الى يوم القيامة * ثم ذكر من تلك الآيات التى اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما أرسلت فأهلكوا واحدة وهى ناقة صالح لان آثار هلاكهم فى بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم (مبصرة) بينة وقرئ مبصرة بفتح الميم (فظلموا بها) فكفروا بها (وما نرسل بالآيات) ان أراد بها

وقل لعبادى يقولوا
التى هى أحسن ان
الشيطان ينزغ بينهم
ان الشيطان كان
للانسان عدوا مبينا
ربكم أعلم بكم ان يشأ
يرحمكم أو ان يشأ يعذبكم
وما أرسلناك عليهم
وكيلا وربك أعلم بمن
فى السموات والارض
ولقد فضلنا بعض النبيين
على بعض وآتينا داود
زبورا قل ادعوا الذين
زعمتم من دونه فلا
يملكون كشف الضر
عنكم ولا تحويلا
أولئك الذين يدعون
يبتغون الى ربهم
الوسيلة أيهم أقرب
ويرجون رحمته
ويخافون عذابه ان
عذاب ربك كان محذورا
وان من قرية الا نحن
مهلكوها قبل يوم
القيامة أو معذبوها
عذابا شديدا كان ذلك
فى الكتاب مسطورا وما
منعنا ان نرسل بالآيات
الا ان كذب بها الاولون
وآتينا ثمود الناقة
مبصرة فظلموا بها وما
نرسل بالآيات

الآيات

الآيات المقترحة فالمعنى لا نرسلها (الا تخويفا) من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له فان لم يخافوا وقع عليهم وان أراد غيرها فالمعنى وما نرسل ما نرسل من الآيات كآيات القرآن وغيرها الا تخويفا وانذارا بعذاب الآخرة (واذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس) واذكر اذ أوحينا اليك ان ربك أحاط بقريش يعنى بشرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون وغير ذلك فجعله كأن قد كان ووجد فقال أحاط بالناس على عادته فى أخباره وحين تزاحف الفريقان يوم بدر والنبى صلى الله عليه وسلم فى العريش مع أبى بكر رضى الله عنه كان يدعو ويقول اللهم انى أسألك عهدك ووعدك ثم خرج وعليه الدرع يحرض الناس ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ولعل الله تعالى أراه مصارعهم فى منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر والله لكأنى أنظر الى مصارع القوم وهو يومئ الى الارض ويقول هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت قريش بما أوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر يوم بدر وما أرى فى منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون ويستسخرون ويستعجلون به استهزاء وحين سمعوا بقوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم جعلوها سخرية وقالوا ان محمدا يزعم أن الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر وما قدروا الله حق قدره من قال ذلك وما أنكروا أن يجعل الله الشجرة من جنس لا تأكله النار فهذا وبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك تتخذ منه مناديل اذا اتسخت طرحت فى النار فذهب الوسخ وبقى المنديل سالما لا تعمل فيه النار وترى النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد الحمر كالجمر باحماء النار فلا تضرها ثم أقرب من ذلك أنه خلق فى كل شجرة نارا فلا تحرقها فما أنكروا أن يخلق فى النار شجرة لا تحرقها والمعنى أن الآيات انما يرسل بها تخويفا للعباد وهؤلاء قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر * فما كان ما (أريناك) منه فى منامك بعد الوحى اليك (الا فتنة) لهم حيث اتخذوه سخريا وخوفوا بعذاب الآخرة وبشجرة الزقوم فما أثر فيهم ثم قال فيهم (ونخوفهم) أى نخوفهم بمخاوف الدنيا والآخرة (فما يزيدهم) التخويف (الا طغيانا كبيرا) فكيف يخاف قوم هذه حالهم بارسال ما يقترحون من الآيات وقيل الرؤيا هى الاسراء وبه تعلق من يقول كان الاسراء فى المنام ومن قال كان فى اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية وقيل انما سماها رؤيا على قول المكذبين حيث قالوا له لعلها رؤيا رأيتها وخيال خيل اليك استبعادا منهم كما سمى أشياء بأساميها عند الكفرة نحو قوله فراغ الى آلهتهم أين شركائى ذق انك أنت العزيز الكريم وقيل هى رؤياه أنه سيدخل مكة وقيل رأى فى المنام أن ولد الحكم يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة (فان قلت) أين لعنت شجرة الزقوم فى القرآن (قلت) لعنت حيث لعن طاعموها من الكفرة والظلمة لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن على الحقيقة وانما وصفت بلعن أصحابها على المجاز وقيل وصفها الله باللعن لان اللعن الابعاد من الرحمة وهى فى أصل الجحيم فى أبعد مكان من الرحمة وقيل تقول العرب لكل طعام مكروه ضار ملعون وسألت بعضهم فقال نعم الطعام الملعون القشب الممحوق وعن ابن عباس هى الكشوث التى تلتوى بالشجر يجعل فى الشراب وقيل هى الشيطان وقيل أبو جهل * وقرئ والشجرة الملعونة بالرفع على انها مبتدأ محذوف الخبر كأنه قيل والشجرة الملعونة فى القرآن كذلك (طينا) حال اما من الموصول والعامل فيه أسجد على أأسجد له وهو طين أى أصله طين أو من الراجع اليه من الصلة على أأسجد لمن كان فى وقت خلقه طينا (أرأيتك) الكاف للخطاب و (هذا) مفعول به والمعنى أخبرنى عن هذا (الذى كرمته) على (على) أى فضلته لم كرمته على وأنا خير منه فاختصر الكلام بحذف ذلك ثم ابتدأ فقال (لئن أخرتنى) واللام موطئة للقسم المحذوف (لاحتنكن ذريته) لاستأصلنهم بالاغواء من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها أكلا وهو من الحنك ومنه ما ذكر سيبويه من قولهم أحنك الشاتين أى آكلهما (فان قلت) من أين علم أن ذلك يتسهل له وهو من الغيب (قلت) اما أن سمعه من الملائكة وقد أخبرهم الله به أو خرجه من قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها أو نظر اليه فتوسم فى مخايله أنه خلق شهوانى وقيل قال ذلك لما عملت وسوسته فى آدم والظاهر أنه قال ذلك قبل أكل آدم من الشجرة (اذهب) ليس من الذهاب الذى هو نقيض المجىء انما معناه امض لشأنك

الا تخويفا واذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا قال أرأيتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتنى الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته الا قليلا قال اذهب

* قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن الآية (قال افتتانهم بالشجرة انهم حين سمعوا بقوله ان شجرة الزقوم الخ) قال أحمد والعهدة فى ذلك ان النار لا تؤثر احراقا فى شئ ولكن الله تعالى أجرى العادة انه يخلق الحرق عند ملاقاة جسم النار لبعض الاجسام فاذا كان ذلك من فعل الله لا من فعل النار فالله تعالى أن لا يفعل الحرق فى الشجرة التى فى أصل الجحيم

الذي اخترته خذلانا وتخلية وعقبه بذكر ما جره سوء اختياره في قوله (فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم) كما قال موسى عليه السلام للسامري فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس (فإن قلت) أما كان من حق الضمير في الجزاء أن يكون على لفظ الغيبة ليرجع الى من تبعك (قلت) بلى ولكن التقدير فإن جهنم جزاؤهم وجزاؤك ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل جزاؤكم ويجوز أن يكون للتابعين على طريق الالتفات وانتصب (جزاء موفورا) بما في فإن جهنم جزاؤكم من معنى تجازون أو بإضمار تجازون أو على الحال لأن الجزاء موصوف بالموفور والموفور الموفر يقال فر لصاحبك عرضه فرة * استفزه استخفه والفز الخفيف (وأجلب) من الجلبة وهي الصياح * والخيل الخيالة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي * والرجل اسم جمع للراجل ونظيره الركب والصحب * وقرئ ورجلك على أن فعلا بمعنى فاعل نحو تعب وتاعب ومعناه وجمعك الرجل وتضم جيمه أيضا فيكون مثل حدث وحدث وندس وندس وأخوات لهما يقال رجل رجل وقرئ ورجالك ورجالك (فإن قلت) ما معنى استفزاز إبليس بصوته وإجلابه بخيله ورجله (قلت) هو كلام ورد مورد التمثيل مثلت حاله في تسلطه على من يغويه بمغوار أوقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من أماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم وأجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استأصلهم وقيل بصوته بدعائه الى الشر وخيله ورجله كل راكب وماش من أهل العيث وقيل يجوز أن يكون لإبليس خيل ورجال * وأما المشاركة في الأموال والأولاد فكل معصية يحملهم عليها في بابهما كالربا والمكاسب المحرمة والبحيرة والسائبة والإنفاق في الفسوق والإسراف ومنع الزكاة والتوصل الى الأولاد بالسبب الحرام ودعوى ولد بغير سبب والتسمية بعبد العزى وعبد الحرث والتهويد والتنصير والحمل على الحرف الذميمة والأعمال المحظورة وغير ذلك (وعدهم) المواعيد الكاذبة من شفاعة الآلهة والكرامة على الله بالأنساب الشريفة وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب بدونها والاتكال على الرحمة وشفاعة الرسول في الكبائر والخروج من النار بعد أن يصيروا حمما وإيثار العاجل على الآجل (إن عبادي) يريد الصالحين (ليس لك عليهم سلطان) أي لا تقدر أن تغويهم (وكفى بربك وكيلا) لهم يتوكلون به في الاستعاذة منك ونحوه قوله إلا عبادك منهم المخلصين (فإن قلت) كيف جاز أن يأمر الله إبليس بأن يتسلط على عباده مغويا مضلا داعيا الى الشر صادا عن الخير (قلت) هو من الأوامر الواردة على سبيل الخذلان والتخلية كما قال للعصاة اعملوا ما شئتم (يزجي) يجري ويسير * والضر خوف الغرق (ضل من تدعون إلا إياه) ذهب عن أوهامكم وخواطركم كل من تدعونه في حوادثكم إلا إياه وحده فإنكم لا تذكرون سواه ولا تدعونه في ذلك الوقت ولا تعقدون برحمته رجاءكم ولا تخطرون ببالكم أن غيره يقدر على إغاثتكم أو لم يهتد لإنقاذكم أحد غيره من سائر المدعوين ويجوز أن يراد ضل من تدعون من الآلهة عن إغاثتكم ولكن الله وحده هو الذي ترجونه وحده على الاستثناء المنقطع (أفأمنتم) الهمزة للإنكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم فحملكم ذلك على الإعراض (فإن قلت) بم انتصب (جانب البر) (قلت) بيخسف مفعولا به كالأرض في قوله فخسفنا به وبداره الأرض * وبكم حال والمعنى أن يخسف جانب البر أي يقلبه وأنتم عليه (فإن قلت) فما معنى ذكر الجانب (قلت) معناه أن الجوانب والجهات كلها في قدرته سواء وله في كل جانب برا كان أو بحرا سبب مرصد من أسباب الهلكة ليس جانب البحر وحده مختصا بذلك بل إن كان الغرق في جانب البحر ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لأنه تغييب تحت التراب كما أن الغرق تغييب تحت الماء فالبر والبحر عنده سيان يقدر في البر على نحو ما يقدر عليه في البحر فعلى العاقل أن يستوي خوفه من الله في جميع الجوانب وحيث كان (أو يرسل عليكم حاصبا) وهي الريح التي تحصب أي ترمي بالحصباء يعني أو إن لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف أصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء يرجمكم بها فيكون أشد عليكم من الغرق في البحر (وكيلا) من يتوكل بصرف ذلك عنكم (أم أمنتم) أن يقوي دواعيكم ويوفر حوائجكم الى أن ترجعوا فتركبوا البحر الذي نجاكم منه فأعرضتم فينتقم منكم بأن يرسل (عليكم قاصفا) وهي الريح

التي

فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيما وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح

* قوله تعالى وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا الآية (قال المراد وعدهم المواعيد الكاذبة الخ) قال أحمد وهذا من تجري المصنف على السنة ومتبعي آثاره جعل المغفرة المقرونة بالمشيئة وإن لم تكن توبة للمؤمنين من مواعيد الشيطان مع العلم بأنها ثابتة بقواطع القرآن وعدا من الرحمن وكذلك الشفاعة المتفق

عليها بين أهل السنة والجماعة التي وعدنيها الصادق المصدوق ومنزه الله تعالى بها على كل مخلوق من مواعيد الشيطان الباطلة وأمانيه الماحلة اللهم ارزقنا الشفاعة واحشرنا في زمرة السنة والجماعة * قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم الى قوله ممن خلقنا تفضيلا (قال المراد فضلناهم على ما سوى الملائكة الخ) قال أحمد وقد بلغ الى حد من السفه يوجب الحد ولسنا المساجلة الا من حيث العلم لا من حيث السفه والقدر الذي تختص به هذه الآية ان حمل كثير على الجميع غير مستبعد ولا مستنكر ألا ترى انه ورد حمل القليل على العدم والزمخشري يختار ذلك في قوله تعالى فقليلا ما يؤمنون وأشباهه كثير وقد لمح الشاعر بذلك في قوله (٧١٣) * قليل بها الاصوات الا بغامها * أي لا أصوات بها ولنا أن نبقيه على ما هو عليه ونقول ان المخلوق قسمان بنو آدم أحدهما وغيرهم من جميع المخلوقين القسم الآخر ولا شك ان غيرهم أكثر منهم وان لم يكونوا أكثر منهم كثيرا فمعنى قوله وفضلناهم على كثير ممن خلقنا أي على غيرهم من جميع المخلوقين وتلك الاغيار كثير بلا مراء وذلك مرادف لقولك وفضلناهم على جميع من عداهم ممن خلقنا فظاهر الآية اذا مع الاشعرية الذين سماهم مجبرة وتمشدق في سبهم وشقشق العبارات في ثلبهم وما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد والله ولي التوفيق والتسديد * قوله تعالى يوم ندعو كل أناس بامامهم فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم الآية (قال بامامهم معناه بمن ائتموا به من نبي أو كتاب أو دين الخ) قال أحمد ولقد استبدع بدعا لفظا ومعنى فان جمع الام المعروف أمهات وأما رعاية عيسى عليه السلام بذكر أمهات الخلائق ليذكر بأمه فيستدعي ان خلق عيسى من غير أب غميزة في منصبه وذلك عكس الحقيقة فان خلقه من غير أب كان له آية وشرفا في حقه والله أعلم

فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا يوم ندعو كل أناس بامامهم فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم

التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كأنها تتقصف أي تتكسر وقيل التي لا تمر بشيء الا قصفته (فيغرقكم) وقرئ بالتاء أي الريح وبالنون وكذلك نخسف ونرسل ونعيدكم قرئت بالياء والنون * التبيع المطالب من قوله فاتباع بالمعروف أي مطالبة قال الشماخ * كما لاذ الغريم من التبيع * يقال فلان على فلان تبيع بحقه أي مسيطر عليه مطالب له بحقه والمعنى أنا نفعل ما نفعل بهم ثم لا تجد أحدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثار من جهتنا وهذا نحو قوله ولا يخاف عقباها (بما كفرتم) بكفرانكم النعمة يريد اعراضهم حين نجاهم * قيل في تكرمة ابن آدم كرمه الله بالعقل والنطق والتمييز والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير أمر المعاش والمعاد وقيل بتسليطهم على ما في الارض وتسخيره لهم وقيل كل شيء يأكل بفيه الا ابن آدم وعن الرشيد أنه أحضر طعاما فدعا بالملاعق وعنده أبو يوسف فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم جعلنا لهم أصابع يأكلون بها فأحضرت الملاعق فردها وأكل بأصابعه (على كثير ممن خلقنا) هو ما سوى الملائكة وحسب بني آدم تفضيلا أن ترفع عليهم الملائكة وهم هم ومنزلتهم عند الله منزلتهم والعجب من المجبرة كيف عكسوا في كل شيء وكابروا حتى جسرتهم عادة المكابرة على العظيمة التي هي تفضيل الانسان على الملك وذلك بعد ما سمعوا تفخيم الله أمرهم وتكثيره مع التعظيم ذكرهم وعلموا أين أسكنهم وأنى قربهم وكيف نزلهم من أنبيائه منزلة أنبيائه من أممهم ثم جرهم فرط التعصب عليهم الى أن لفقوا أقوالا وأخبارا منها قالت الملائكة ربنا انك أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فأعطناه في الآخرة فقال وعزتي وجلالي لا أجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان ورووا عن أبي هريرة أنه قال المؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده ومن ارتكابهم أنهم فسروا كثيرا بمعنى جميع في هذه الآية وخذلوا حتى سلبوا الذوق فلم يحسوا ببشاعة قولهم وفضلناهم على جميع ممن خلقنا على أن معنى قولهم على جميع ممن خلقنا أشجى لحلوقهم وأقذى لعيونهم ولكنهم لا يشعرون فانظر الى تمحلهم وتشبثهم بالتأويلات البعيدة في عداوة الملأ الأعلى كأن جبريل عليه السلام غاظهم حين أهلك مدائن قوم لوط فتلك السخيمة لا تنحل عن قلوبهم * قرئ يدعو بالياء والنون ويدعى كل أناس على البناء للمفعول وقرأ الحسن يدعو كل أناس على قلب الالف واوا في لغة من يقول أفعو * والظرف نصب باضمار اذكر ويجوز أن يقال انها علامة الجمع كما في وأسروا النجوى الذين ظلموا والرفع مقدر كما في يدعى ولم يؤت بالنون قلة مبالاة بها لانها غير ضمير ليست الا علامة (بامامهم) بمن ائتموا به من نبي أو مقدم في الدين أو كتاب أو دين فيقال يا اتباع فلان يا أهل دين كذا أو كتاب كذا وقيل بكتاب أعمالهم فيقال يا أصحاب كتاب الخير ويا أصحاب كتاب الشر وفي قراءة الحسن بكتابهم ومن بدع التفاسير أن الامام جمع أم وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم وأن الحكمة في الدعاء بالامهات دون الآباء رعاية حق عيسى عليه السلام واظهار شرف الحسن والحسين وأن لا يفتضح أولاد الزنا وليت شعري أيهما أبدع أصحة لفظه أم بهاء حكمته (فمن أوتي) من هؤلاء المدعوين (كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم) قيل أولئك لان من أوتي في معنى الجمع (فان قلت) لم خص

*عاد كلامه (قال وقد جوزوا ان يكون الثاني بمعنى التفضيل الخ) قال أحمد أي لانه من عمى القلب لا عمى البصر فجاز أن يبنى منه افعل
*عاد كلامه (قال ومن ثم أمال أبو عمرو الاولى وفخم الثانية الخ) قال أحمد ويحتمل أن تكون هذه الآية قسيمة الاولى أي فمن أوتى كتابه بيمينه فهو الذي يبصره ويقرؤه ومن كان في الدنيا أعمى غير مبصر في نفسه ولا ناظر في معاده فهو في الآخرة كذلك غير مبصر في كتابه بل أعمى عنه أو أشد عمى مما كان في الدنيا على اختلاف التأويلين والله أعلم *قوله تعالى ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا اذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات (قال المراد ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات الخ) قال أحمد اما تقليل الركيدودة فالذي ينبغي أن يحمل عليه كونه (٧١٤) الواقع في علم الله تعالى لان الله عز وجل يعلم مالم يكن لو كان كيف كان يكون فعلم تعالى أن الركون الذي كاد يحصل منه عليه السلام وان كان ما حصل أمر قليل وخطب يسير فذلك اخبار من الله تعالى عن الواقع في علمه تقديرا فلا يليق أن يحمل على المبالغة والتنبيه فان ذلك لا يكون في الاخبار ألا ترى انه لو كان الواقع كيدودة ركون كثير لكان تقليله خلفا في الخبر ولا ينكر ان الذنب يعظم بحسب فاعله على ما ورد حسنات الابرار سيآت المقربين وأما نقل الزمخشري عن مشايخه استعظام نسبة الفواحش والقبائح الى الله عز وجل فلقد استعظموا أعظيما يوصف حق على كل مسلم أن يستفظعه ولكنهم جهلوا أباعتقاد أقبح وصفا ذاتيا للقبيح فلزمهم على ذلك ان كل فعل استقبح من العبد استقبح من الله تعالى وهم غالطون في ذلك فمعنى كون الفعل قبيحا ان الله تعالى نهى عنه عبده وان كان لله تعالى ان يفعله وهو حسن بالنسبة اليه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ألا ترى أن الملك يصح منه أن يستقبح من عبده أن يجلس على كرسي الملك ونهاه عن ذلك ولا يستقبح ذلك من نفسه بل هو منه حسن جميل ولقد كان لمشايخه شغل باستعظام ما لزمهم من الاشراك عن استعظام غيره مما هو توحيد محض وايمان صرف ولكنهم زين لهم سوء اعتقادهم فرأوه حسنا والله الموفق

ولا يظلمون فتيلا ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا اذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا

أصحاب اليمين بقراءة كتابهم كأن أصحاب الشمال لا يقرؤن كتابهم (قلت) بلى ولكن اذا اطلعوا على ما في كتابهم أخذهم ما يأخذ المطالب بالنداء على جناياتهم والاعتراف بمساويه امام التنكيل به والانتقام منه من الحيلة والخجل والانخزال وحبسة اللسان والتتعتع والعجز عن اقامة حروف الكلام والذهاب عن تسوية القول فكأن قراءتهم كلا قراءة وأما أصحاب اليمين فأمرهم على عكس ذلك لا جرم أنهم يقرؤن كتابهم أحسن قراءة وأبينها ولا يقنعون بقراءتهم وحدهم حتى يقول القارئ لاهل المحشر هاؤم اقرؤا كتابيه (ولا يظلمون فتيلا) ولا ينقصون من ثوابهم أدنى شئ كقوله ولا يظلمون شيأ فلا يخاف ظلما ولا هضما *معناه ومن كان في الدنيا أعمى فهو في الآخرة أعمى كذلك (وأضل سبيلا) من الاعمى والاعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدي الى طريق النجاة أما في الدنيا فلفقد النظر وأما في الآخرة فلانه لا ينفعه الاهتداء اليه وقد جوزوا أن يكون الثاني بمعنى التفضيل ومن ثم قرأ أبو عمرو الاول ممالا والثاني مفخما لان أفعل التفضيل تمامه بمن فكانت ألفه في حكم الواقعة في وسط الكلام كقولك أعمالكم وأما الاول فلم يتعلق به شئ فكانت ألفه واقعة في الطرف معرضة للامالة روى أن ثقيفا قالت للنبي صلى الله عليه وسلم لا ندخل في أمرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وأن تمتعنا باللات سنة ولا نكسرها بأيدينا عند رأس الحول وأن تمنع من قصد وادينا وج فعضد شجره فاذا سألتك العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله أمرني به وجاؤا بكتابهم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لثقيف لا يعشرون ولا يحشرون فقالوا ولا يجبون فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالوا للكاتب اكتب ولا يجبون والكاتب ينظر الى رسول الله فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فسل سيفه وقال أسعرتم قلب نبينا يا معشر ثقيف أسعر الله قلوبكم نارا فقالوا لسنا نكلم اياك انما نكلم محمدا فنزلت وروى أن قريشا قالوا له اجعل آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة حتى نؤمن بك فنزلت (وان كادوا ليفتنونك) ان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والمعنى أن الشأن قاربوا أن يفتنوك أي يخدعوك فاتنين (عن الذي أوحينا اليك) من أوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا (لتفتري علينا) لتتقول علينا ما لم نقل يعني ما أرادوه عليه من تبديل الوعد وعيدا والوعيد وعدا وما اقترحته ثقيف من أن يضيف الى الله ما لم ينزله عليه (واذا لاتخذوك) أي ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك (خليلا) ولكنت لهم وليا ولخرجت من ولايتي (ولولا أن ثبتناك) ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا (لقد كدت تركن اليهم) لقاربت أن تميل الى خدعهم ومكرهم وهذا تهييج من الله وفضل تثبيت وفي ذلك لطف للمؤمنين (اذا) لو قاربت تركن اليهم أدنى ركنة (لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات) أي لأذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين (فان قلت) كيف حقيقة هذا الكلام (قلت) أصله لأذقناك عذاب الحياة وعذاب الممات لان العذاب عذابان عذاب في الممات وهو عذاب القبر وعذاب في حياة الآخرة وهو عذاب النار والضعف

يوصف به نحو قوله فآتهم عذابا ضعفا من النار يعني مضاعفا فكان أصل الكلام لأذقناك عذابا ضعفا في الحياة وعذابا ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم أضيفت الصفة إضافة الموصوف فقيل ضعف الحياة وضعف الممات كما لو قيل لأذقناك أليم الحياة وأليم الممات ويجوز أن يراد بضعف الحياة عذاب الحياة الدنيا وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار والمعنى لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة في الحياة الدنيا وما نؤخره لما بعد الموت وفي ذكر الكيدودة وتقليلها مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين دليل بين على أن القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شأن فاعله وارتفاع منزلته ومن ثم استعظم مشايخ العدل والتوحيد رضوان الله عليهم نسبة المجبرة القبائح الى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وفيه دليل على أن أدنى مداهنة للغواة مضادة لله وخروج عن ولايته وسبب موجب لغضبه ونكاله فعلى المؤمن اذا تلا هذه الآية أن يجثو عندها ويتدبرها فهي جديرة بالتدبر وبأن يستشعر الناظر فيها الخشية وازدياد التصلب في دين الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنها لما نزلت كان يقول اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين (وان كادوا) وان كاد أهل مكة (ليستفزونك) ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم (من الارض) من أرض مكة (واذا لا يلبثون) لا يبقون بعد اخراجك (الا) زمانا (قليلا) فان الله مهلكهم وكان كما قال فقد أهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل وقيل معناه ولو أخرجوك لاستؤصلوا عن بكرة أبيهم ولم يخرجوه بل هاجر بأمر ربه وقيل من أرض العرب وقيل من أرض المدينة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم فاجتمعوا اليه وقالوا يا أبا القاسم ان الانبياء انما بعثوا بالشأم وهي بلاد مقدسة وكانت مهاجر ابراهيم فلو خرجت الى الشأم لآمنا بك واتبعناك وقد علمنا أنه لا يمنعك من الخروج الا خوف الروم فان كنت رسول الله فالله مانعك منهم فعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أميال من المدينة وقيل بذي الحليفة حتى يجتمع اليه أصحابه ويراه الناس عازما على الخروج الى الشأم لحرصه على دخول الناس في دين الله فنزلت فرجع * وقرئ لا يلبثون وفي قراءة أبي لا يلبثوا على اعمال اذا (فان قلت) ما وجه القراءتين (قلت) أما الشائعة فقد عطف فيها الفعل على الفعل وهو مرفوع لوقوعه خبر كادوا والفعل في خبر كاد واقع موقع الاسم وأما قراءة أبي ففيها الجملة برأسها التي هي اذا لا يلبثوا عطف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك * وقرئ خلافك قال

عفت الديار خلافهم فكأنما * بسط الشواطب بينهن حصيرا

أي بعدهم (سنة من قد أرسلنا) يعني أن كل قوم أخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فسنة الله أن يهلكهم ونصبت نصب المصدر المؤكد أي سن الله ذلك سنة * دلكت الشمس غربت وقيل زالت وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل عليه السلام لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى بي الظهر واشتقاقه من الدلك لان الانسان يدلك عينه عند النظر اليها فان كان الدلوك الزوال فالآية جامعة للصلوات الخمس وان كان الغروب فقد خرجت منها الظهر والعصر * والغسق الظلمة وهو وقت صلاة العشاء (وقرآن الفجر) صلاة الفجر سميت قرآنا وهو القراءة لانها ركن كما سميت ركوعا وسجودا وقنوتا وهي حجة على ابن علية والاصم في زعمهما أن القراءة ليست بركن (مشهودا) يشهده ملائكة الليل والنهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو في آخر ديوان الليل وأول ديوان النهار أو يشهده الكثير من المصلين في العادة أو من حقه أن يكون مشهودا بالجماعة الكثيرة ويجوز أن يكون وقرآن الفجر حثا على طول القراءة في صلاة الفجر لكونها مكثورا عليها ليسمع الناس القرآن فيكثر الثواب ولذلك كانت الفجر أطول الصلوات قراءة (ومن الليل) وعليك بعض الليل (فتهجد به) والتهجد ترك الهجود للصلاة ونحوه التأثم والتحرج ويقال أيضا في النوم تهجد (نافلة لك) عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس وضع نافلة موضع تهجدا لان التهجد عبادة زائدة فكان التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد والمعنى أن التهجد زيد لك على الصلوات المفروضة فريضة عليك خاصة دون غيرك لانه تطوع لهم (مقاما محمودا) نصب على الظرف أي عسى أن يبعثك يوم القيامة فيقيمك مقاما محمودا أو ضمن

وان كادوا ليستفزونك
من الارض ليخرجوك
منها واذا لا يلبثون
خلافك الا قليلا سنة
من قد أرسلنا قبلك من
رسلنا ولا تجد لسنتنا
تحويلا أقم الصلوة لدلوك
الشمس الى غسق الليل
وقرآن الفجر ان قرآن
الفجر كان مشهودا
ومن الليل فتهجد به
نافلة لك عسى أن
يبعثك ربك مقاما
محمودا وقل رب أدخلني
مدخل صدق وأخرجني
مخرج صدق واجعل
لي من لدنك

يبعثك معنى يقيمك ويجوز أن يكون حالا بمعنى أن يبعثك ذا مقام محمود ومعنى المقام المحمود المقام الذي يحمده القائم فيه وكل من رآه وعرفه وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من أنواع الكرامات وقيل المراد الشفاعة وهي نوع واحد مما يتناوله وعن ابن عباس رضي الله عنهما مقام يحمدك فيه الاولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتعطى وتشفع فتشفع ليس أحد الا تحت لوائك وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم هو المقام الذي أشفع فيه لامتي وعن حذيفة يجمع الناس في صعيد واحد فلا تتكلم نفس فأول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجأ ولا منجى منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فهذا قوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قرئ مدخل ومخرج بالضم والفتح بمعنى المصدر ومعنى الفتح أدخلني فأدخل مدخل صدق أي أدخلني القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا على طهارة وطيب من السيئات وأخرجني منه عند البعث اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة آمنا من السخط يدل عليه ذكره على اثر ذكر البعث وقيل نزلت حين أمر بالهجرة يريد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها بالفتح واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من عظيم الامر وهو النبوة واخراجه منه مؤديا لما كلفه من غير تفريط وقيل الطاعة وقيل هو عام في كل ما يدخل فيه ويلابسه من أمر ومكان (سلطانا) حجة تنصرني على من خالفني أو ملكا وعزا قويا ناصرا للاسلام على الكفر مظهرا له عليه فأجيبت دعوته بقوله والله يعصمك من الناس فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض ووعده لينزعن ملك فارس والروم فيجعله له وعنه صلى الله عليه وسلم أنه استعمل عتاب بن أسيد على أهل مكة وقال انطلق فقد استعملتك على أهل الله فكان شديدا على المريب لينا على المؤمن وقال لا والله لا أعلم متخلفا يتخلف عن الصلاة في جماعة الا ضربت عنقه فانه لا يتخلف عن الصلاة الا منافق فقال أهل مكة يا رسول الله لقد استعملت على أهل الله عتاب بن أسيد اعرابيا جافيا فقال صلى الله عليه وسلم اني رأيت فيما يرى النائم كأن عتاب بن أسيد أتى باب الجنة فأخذ بحلقة الباب فقلقلها قلقالا شديدا حتى فتح له فدخلها فأعز الله به الاسلام لنصرته المسلمين على من يريد ظلمهم فذلك السلطان النصير * كان حول البيت ثلثمائة وستون صنما صنم كل قوم بحيالهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت لقبائل العرب يحجون اليها وينحرون لها فشكا البيت الى الله عز وجل فقال أي رب حتى متى تعبد هذه الاصنام حولي دونك فأوحى الله الى البيت اني سأحدث لك توبة جديدة فأملأك خدودا سجدا يدفون اليك دفيف النسور ويحنون اليك حنين الطير الى بيضها لهم عجيج حولك بالتلبية ولما نزلت هذه الآية يوم الفتح قال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم خذ مخصرتك ثم ألقها فجعل يأتي صنما صنما وهو ينكت بالمخصرة في عينه ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى ألقاها جميعا وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال يا علي ارم به فحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد فرمى به فكسره فجعل أهل مكة يتعجبون ويقولون ما رأينا رجلا أسحر من محمد صلى الله عليه وسلم وشكاية البيت والوحي اليه تمثيل وتخييل (وزهق الباطل) ذهب وهلك من قولهم زهقت نفسه اذا خرجت * والحق الاسلام والباطل الشرك (كان زهوقا) كان مضمحلا غير ثابت في كل وقت (وننزل) قرئ بالتخفيف والتشديد (من القرآن) من للتبيين كقوله من الاوثان أو للتبعيض أي كل شيء نزل من القرآن فهو شفاء للمؤمنين يزدادون به ايمانا ويستصلحون به دينهم فوقعه منهم موقع الشفاء من المرضى وعن النبي صلى الله عليه وسلم من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله * ولا يزداد به الكافرون (الا خسارا) أي نقصانا لتكذيبهم به وكفرهم كقوله تعالى فزادتهم رجسا الى رجسهم (واذا أنعمنا على الانسان) بالصحة والسعة (أعرض) عن ذكر الله كأنه مستغن عنه مستبد بنفسه (ونأى بجانبه) تأكيد للاعراض لان الاعراض عن الشيء أن يوليه عرض وجهه والنأي بالجانب أن يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره أو أراد الاستكبار لان ذلك من عادة المستكبرين (واذا مسه الشر) من فقر أو مرض أو

سلطانا نصيرا وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر

* قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (قال العجب من النوابت ومن زعمهم ان القرآن قديم مع اعترافهم بانه معجز الخ) قال أحمد وهما يدلك على حيد (٧١٧) المصنف عن سنن المنصف انه

نازلة من النوازل (كان يؤسا) شديد اليأس من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون * وقرئ وناء بجانبه بتقديم اللام على العين كقولهم راء فى رأى ويجوز أن يكون من ناء بمعنى نهض (قل كل أحد (يعمل على شاكلته) أى على مذهبه وطريقته التى تشاكل حاله فى الهدى والضلالة من قولهم طريق ذو شواكل وهى الطرق التى تتشعب منه والدليل عليه قوله (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) أى أسد مذهبا وطريقة * الاكثر على انه الروح الذى فى الحيوان سألوه عن حقيقته فأخبر أنه من أمر الله أى مما استأثر بعلمه وعن ابن أبى بريدة لقد مضى النبى صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح وقيل هو خلق عظيم روحانى أعظم من الملك وقيل جبريل عليه السلام وقيل القرآن و (من أمر ربى) أى من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر بعثت اليهود الى قريش أن سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فان أجاب عنها أو سكت فليس بنبى وان أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبى فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم فى التوراة فندموا على سؤالهم (وما أوتيتم) الخطاب عام وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب أم أنت معنا فيه فقال بل نحن وأنتم لم نؤت من العلم الا قليلا فقالوا ما أعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام وليس ما قالوه بلازم لان القلة والكثرة تدوران مع الاضافة فيوصف الشئ بالقلة مضافا الى ما فوقه وبالكثرة مضافا الى ما تحته فالحكمة التى أوتيها العبد خير كثير فى نفسها الا أنها اذا أضيفت الى علم الله فهى قليلة وقيل هو خطاب لليهود خاصة لانهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم قد أوتينا التوراة وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التوراة قليل فى جنب علم الله (لنذهبن) جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط * واللام الداخلة على ان موطئة للقسم والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن الصدور والمصاحف فلم نترك له أثرا وبقيت كما كنت لا تدرى ما الكتاب (ثم لا تجد لك) بعد الذهاب (به) من يتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظا مستورا (الا رحمة من ربك) الا أن يرحمك ربك فيرده عليك كأن رحمته تتوكل عليه بالرد أو يكون على الاستثناء المنقطع بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة فى تنزيله وتحفيظه فعلى كل ذى علم أن لا يغفل عن هاتين المنتين والقيام بشكرهما وهما منة الله عليه بحفظ العلم ورسوخه فى صدره ومنته عليه فى بقاء المحفوظ وعن ابن مسعود ان أول ما تفقدون من دينكم الامانة وآخر ما تفقدون الصلاة وليصلين قوم ولا دين لهم وان هذا القرآن تصبحون يوما وما فيكم منه شئ فقال رجل كيف ذلك وقد أثبتناه فى قلوبنا وأثبتناه فى مصاحفنا نعلمه أبناءنا ويعلمه أبناؤنا أبناءهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه فقراء ترفع المصاحف وينزع ما فى القلوب (لا يأتون) جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز أن يكون جوابا للشرط كقوله * يقول لا غائب مالى ولا حرم * لان الشرط وقع ماضيا أى لو تظاهروا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن فى بلاغته وحسن نظمه وتأليفه وفيهم العرب العاربة أرباب البيان لعجزوا عن الاتيان بمثله والعجب من النوابت ومن زعمهم أن القرآن قديم مع اعترافهم بأنه معجز وانما يكون العجز حيث تكون القدرة فيقال الله قادر على خلق الاجسام والعباد عاجزون عنه وأما المحال الذى لا مجال فيه للقدرة ولا مدخل لها فيه كثانى القديم فلا يقال للفاعل قد عجز عنه ولا هو معجز ولو قيل ذلك لجاز وصف الله بالعجز لانه لا يوصف بالقدرة على المحال الا أن يكابروا فيقولوا هو قادر على المحال فان رأس مالهم المكابرة وقلب الحقائق (ولقد صرفنا) رددنا وكررنا (من كل مثل) من كل معنى هو كالمثل فى غرابته وحسنه

تدلس على الضعفة فى مثل هذه المسئلة التى طبقت طبق الارض ظهورا وشيوعا ومع ذلك يرضى لنفسه أن يتجاهل فيها عن معتقد القوم وذلك ان عقيدة أهل السنة ان مدلول

كان يؤسا قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل

العبارات صفة قديمة قائمة بذات البارى تعالى يطلق عليها قرآن ويطلق أيضا على أدلتها وهى هذه الكلمات الفصيحة والآى الكريمة قرآن وان العجز عندهم الدليل

لا المدلول لكنهم يتحرزون من اطلاق القول بانه مخلوق لوجهين أحدهما انه اطلاق موهم والثانى ان السلف الصالح كفوا عنه فاقتفوا آثارهم واقتبسوا أنوارهم وكم من معتقد لا يطلق القول به خشية ايهام غيره مما لا يجوز اعتقاده فلا ربط بين الاعتقاد والاطلاق ولا كرامة لمعتقد ذلك والمتعنت بالزامه والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

*والكفور الجحود (فان قلت) كيف جاز (فأبى أكثر الناس الا كفورا) ولم يجز ضربت الا زيدا (قلت) لان أبى متأول بالنفي كأنه قيل فلم يرضوا الا كفورا * لما تبين إعجاز القرآن وانضمت اليه المعجزات الأخر والبينات ولزمتهم الحجة وغلبوا أخذوا يتعللون باقتراح الآيات فعل المبهوت المحجوج المتحير في أذيال الحيرة فقالوا لن نؤمن لك حتى وحتى (تفجر) تفتح وقرئ تفجر بالتخفيف (من الارض) يعنون أرض مكة (ينبوعا) عينا غزيرة من شأنها أن تنبع بالماء لا تقطع يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء (كما زعمت) يعنون قول الله تعالى ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا من السماء * وقرئ كسفا بسكون السين جمع كسفة كسدرة وسدر وبفتحه (قبيلا) كفيلا بما تقول شاهدا بصحته والمعنى أو تأتي بالله قبيلا وبالملائكة قبيلا كقوله كنت منه ووالدي بريا فاني وقيار بها لغريب أو مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا أو جماعة حالا من الملائكة (من زخرف) من ذهب (في السماء) في معارج السماء فحذف المضاف * يقال رقي في السلم وفي الدرجة (ولن نؤمن لرقيك) ولن نؤمن لاجل رقيك (حتى تنزل علينا كتابا) من السماء فيه تصديقك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال عبد الله بن أبي أمية لن نؤمن لك حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها ثم تأتي معك بصك منشور معه أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول وما كانوا يقصدون بهذه الاقتراحات الا العناد واللجاج ولو جاءتهم كل آية لقالوا هذا سحر كما قال عز وجل ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون وحين أنكروا الآية الباقية التي هي القرآن وسائر الآيات وليست بدون ما اقترحوه بل هي أعظم لم يكن الى تبصرتهم سبيل (قل سبحان ربي) وقرئ قال سبحان ربي أي قال الرسول وسبحان ربي تعجب من اقتراحاتهم عليه (هل كنت الا) رسولا كسائر الرسل (بشرا) مثلهم وكان الرسل لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم من الآيات فليس أمر الآيات الي انما هو الى الله فما بالكم تتخيرونها علي * أن الاولى نصب مفعول ثان لمنع والثانية رفع فاعل له و(الهدى) الوحي أي وما منعهم الايمان بالقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا شبهة تلجلجت في صدورهم وهي انكارهم أن يرسل الله البشر والهمزة في (أبعث الله) للانكار وما أنكروه فخلافه هو المنكر عند الله لان قضية حكمته أن لا يرسل ملك الوحي الا الى أمثاله أو الى الانبياء ثم قرر ذلك بأنه (لو كان في الارض ملائكة يمشون) على أقدامهم كما يمشي الانس ولا يطيرون بأجنحتهم الى السماء فيسمعوا من أهلها ويعلموا ما يجب علمه (مطمئنين) ساكنين في الارض قارين (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) يعلمهم الخير ويهديهم المراشد فأما الانس فما هم بهذه المثابة انما يرسل الملك الى مختار منهم للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وارشادهم (فان قلت) هل يجوز أن يكون بشرا وملكا منصوبين على الحال من رسولا (قلت) وجه حسن والمعنى له أجوب (شهيدا بيني وبينكم) على أني بلغت ما أرسلت به اليكم وأنكم كذبتم وعاندتم (انه كان بعباده) المنذرين والمنذرين (خبيرا) عالما بأحوالهم فهو مجازيهم وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفرة وشهيدا تمييز أو حال (ومن يهد الله) ومن يوفقه ويلطف به (فهو المهتد) لانه لا يلطف الا بمن عرف أن اللطف ينفع فيه (ومن يضلل) ومن يخذل (فلن تجد لهم أولياء) أنصارا (على وجوههم) كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم (عميا وبكما وصما) كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه فهم في الآخرة كذلك لا يبصرون ما يقر أعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى ويجوز أن يحشروا مؤفي الحواس من الموقف الى النار بعد الحساب فقد أخبر عنهم في موضع آخر أنهم يقرؤون ويتكلمون (كلما خبت) كلما أكلت جلودهم ولحومهم وأفنتها فسكن لهبها بدلوا غيرها فرجعت

فأبى أكثر الناس الا كفورا وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء وان نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا

*قوله تعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا (قال معناه لو كانوا يمشون مشي الانس ولا يطيرون باجنحتهم الى السماء الخ) قال أحمد وقد اشتمل كلامه هذا على جواب حسن عن سؤال مقدر وهو قول القائل ان مجرد وجود الملائكة في الارض يناسب ارسال الملك اليهم فما فائدة هذه الزيادة فيكون جوابه ما تقدم والله الموفق

ملتهبة

ملتهبة مستعرة كأنهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جعل الله جزاءهم أن سلط النار على أجزائهم تأكلها وتفنيها ثم يعيدها لا يزالون على الافناء والاعادة ليزيد ذلك فى تحسرهم على تكذيبهم البعث ولانه أدخل فى الانتقام من الجاحد وقد دل على ذلك بقوله (ذلك جزاؤهم) الى قوله (أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) (فان قلت) علام عطف قوله وجعل لهم أجلا (قلت) على قوله (أولم يروا) لان المعنى قد علموا بدليل العقل أن من قدر على خلق السموات والارض فهو قادر على خلق أمثالهم من الانس لانهم ليسوا بأشد خلقا منهن كما قال أأنتم أشد خلقا أم السماء (وجعل لهم أجلا لا ريب فيه) وهو الموت أو القيامة فأبوا مع وضوح الدليل الا جحودا * لو حقها أن تدخل على الافعال دون الاسماء فلا بد من فعل بعدها فى (لو أنتم تملكون) وتقديره لو تملكون تملكون فأضمر تملك اضمارا على شريطة التفسير وأبدل من الضمير المتصل الذى هو الواو ضمير منفصل وهو أنتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ فأنتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وهذا هو الوجه الذى يقتضيه علم الاعراب فأما ما يقتضيه علم البيان فهو أن أنتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وأن الناس هم المختصون بالشح المتبالغ ونحوه قول حاتم لو ذات سوار لطمتنى وقول المتلمس

* ولو غير أخوالى أرادوا نقيصتى * وذلك لان الفعل الاول لما سقط لاجل المفسر برز الكلام فى صورة المبتدإ والخبر * ورحمة الله رزقه وسائر نعمه على خلقه ولقد بلغ هذا الوصف بالشح الغاية التى لا يبلغها الوهم وقيل هو لاهل مكة الذين اقترحوا ما اقترحوا من الينبوع والانهار وغيرها وانهم لو ملكوا خزائن الارزاق لبخلوا بها (قتورا) ضيقا بخيلا (فان قلت) هل يقدر لامسكتم مفعول (قلت) لا لان معناه لبخلتم من قولك للبخيل ممسك * عن ابن عباس رضى الله عنهما هى العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذى نتقه على بنى اسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور وعن عمر بن عبد العزيز أنه سأل محمد بن كعب فذكر اللسان والطمس فقال له عمر كيف يكون الفقيه الا هكذا أخرج يا غلام ذلك الجراب فأخرجه فنفضه فاذا بيض مكسور بنصفين وجوز مكسور وفوم وحمص وعدس كلها حجارة وعن صفوان بن عسال أن بعض اليهود سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال أوحى الله الى موسى أن قل لبنى اسرائيل لا تشركوا بالله شيأ ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببرىء الى ذى سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وأنتم يا يهود خاصة لا تعدوا فى السبت (فاسئل بنى اسرائيل) فقلنا له سل بنى اسرائيل أى سلهم من فرعون وقل له أرسل معى بنى اسرائيل أو سلهم عن ايمانهم وعن حال دينهم أو سلهم أن يعاضدوك وتكون قلوبهم وأيديهم معك وتدل عليه قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل بنى اسرائيل على لفظ الماضى بغير همز وهى لغة قريش وقيل فسل يا رسول الله المؤمنين من بنى اسرائيل وهم عبد الله بن سلام وأصحابه عن الآيات ليزدادوا يقينا وطمأنينة قلب لان الادلة اذا تظاهرت كان ذلك أقوى وأثبت كقول ابراهيم ولكن ليطمئن قلبى (فان قلت) بم تعلق (اذ جاءهم) (قلت) أما على الوجه الاول فبالقول المحذوف أى فقلنا له سلهم حين جاءهم أو بسال فى القراءة الثانية وأما على الاخير فبآتينا أو باضمار اذكر أو يخبروك ومعنى اذ جاءهم اذ جاء آباءهم (مسحورا) سحرت فخولط عقلك (لقد علمت) يا فرعون (ما أنزل هؤلاء) الآيات الا الله عز وجل (بصائر) بينات مكشوفات ولكنك معاند مكابر ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وقرئ علمت بالضم على معنى انى لست بمسحور كما وصفتنى بل أنا عالم بصحة الامر * وأن هذه الآيات منزلها رب السموات والارض * ثم قارع ظنه بظنه كأنه قال ان ظننتنى مسحورا فأنا أظنك (مثبورا) هالكا وظنى أصح من ظنك لان له أمارة ظاهرة وهى انكارك ما عرفت صحته ومكابرتك لآيات الله بعد وضوحها وأما ظنك فكذب بحت لان قولك مع علمك بصحة أمرى انى لاظنك مسحورا قول كذاب وقال الفراء مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على قلبك من قولهم ما ثبرك عن هذا أى ما منعك وصرفك وقرأ أبى بن كعب وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام الفارقة (فأراد) فرعون أن يستخف موسى وقومه من

ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والارض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه فأبى الظالمون الا كفورا قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى اذا لامسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسئل بنى اسرائيل اذ جاءهم فقال له فرعون انى لاظنك يا موسى مسحورا قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وانى لاظنك يا فرعون مثبورا فأراد أن يستفزهم من الارض فأغرقناه ومن معه جميعا وقلنا من بعده لبنى اسرائيل

أرض مصر ويخرجهم منها أو ينفيهم عن ظهر الارض بالقتل والاستئصال فحاق به مكره بأن استفزه الله بإغراقه مع قبطه (اسكنوا الارض) التي أراد فرعون أن يستفزكم منها (فاذا جاء وعد الآخرة) يعني قيام الساعة (جئنا بكم لفيفا) جمعا مختلطين اياكم واياهم ثم يحكم بينكم ويميز بين سعدائكم وأشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) وما أنزلنا القرآن الا بالحكمة المقتضية لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خير أو وما أنزلناه من السماء الا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين (وما أرسلناك) الا لتبشرهم بالجنة وتنذرهم من النار ليس اليك وراء ذلك شيء من اكراه على الدين أو نحو ذلك (وقرآنا) منصوب بفعل يفسره (فرقناه) وقرأ أبي فرقناه بالتشديد أي جعلنا نزوله مفرقا منجما وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قرأه مشددا وقال لم ينزل في يومين أو ثلاثة بل كان بين أوله وآخره عشرون سنة يعني أن فرق بالتخفيف يدل على فصل متقارب (على مكث) بالفتح والضم على مهل وتؤدة وتثبت (ونزلناه تنزيلا) على حسب الحوادث (قل آمنوا به أولا تؤمنوا) أمر بالاعراض عنهم واحتقارهم والازدراء بشأنهم وأن لا يكترث بهم وبايمانهم وبامتناعهم عنه وأنهم ان لم يدخلوا في الايمان ولم يصدقوا بالقرآن وهم أهل جاهلية وشرك * فان خيرا منهم وأفضل وهم العلماء الذين قرؤا الكتب وعلموا ما الوحي وما الشرائع قد آمنوا به وصدقوه وثبت عندهم أنه النبي العربي الموعود في كتبهم فاذا تلي عليهم خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لامره ولانجازه ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد في قوله (ان كان وعد ربنا لمفعولا * ويزيدهم خشوعا) أي يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين (فان قلت) ان الذين أوتوا العلم من قبله تعليل لماذا (قلت) يجوز أن يكون تعليلا لقوله آمنوا به أولا تؤمنوا وأن يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتطييب نفسه كأنه قيل تسل عن ايمان الجهلة بايمان العلماء وعلى الاول ان لم تؤمنوا به لقد آمن به من هو خير منكم (فان قلت) ما معنى الخرور للذقن (قلت) السقوط على الوجه وانما ذكر الذقن وهو مجتمع اللحيين لان الساجد أول ما يلقى به الارض من وجهه الذقن (فان قلت) حرف الاستعلاء ظاهر المعنى اذا قلت خر على وجهه وعلى ذقنه فما معنى اللام في خر لذقنه ولوجهه قال * فخر صريعا لليدين وللفم (قلت) معناه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به لان اللام للاختصاص (فان قلت) لم كرر يخرون للاذقان (قلت) لاختلاف الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين وخرورهم في حال كونهم باكين * عن ابن عباس رضي الله عنهما سمعه أبو جهل يقول يا الله يا رحمن فقال انه ينهانا أن نعبد الهين وهو يدعو الها آخر وقيل ان أهل الكتاب قالوا انك لتقل ذكر الرحمن وقد أكثر الله في التوراة هذا الاسم فنزلت والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وهو يتعدى الى مفعولين تقول دعوته زيدا ثم يترك أحدهما استغناء عنه فيقال دعوت زيدا والله والرحمن المراد بهما الاسم لا المسمى وأو للتخيير فمعنى (ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) سموا بهذا الاسم أو بهذا واذكروا اما هذا واما هذا * والتنوين في (أيا) عوض من المضاف اليه و(ما) صلة للابهام المؤكد لما في أي أي أي هذين الاسمين سميتم وذكرتم (فله الاسماء الحسنى) والضمير في فله ليس براجع الى أحد الاسمين المذكورين ولكن الى مسماهما وهو ذاته تعالى لان التسمية للذات لا للاسم والمعنى أياما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت أسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لانهما منها ومعنى كونها أحسن الاسماء أنها مستقلة بمعاني التحميد والتقديس والتعظيم (بصلاتك) بقراءة صلاتك على حذف المضاف لانه لا يلبس من قبل أن الجهر والمخافتة صفتان تعتقبان على الصوت لا غير والصلاة أفعال وأذكار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بقراءته فاذا سمعها المشركون لغوا وسبوا فأمر بان يخفض من صوته والمعنى ولا تجهر حتى تسمع المشركين (ولا تخافت) حتى لا تسمع من خلفك (وابتغ بين) الجهر والمخافتة (سبيلا) وسطا وروى أن أبا بكر رضي الله عنه كان يخفي صوته بالقراءة في صلاته ويقول أناجي ربي وقد علم حاجتي وكان عمر رضي

اسكنوا الارض فاذا
وعد الآخرة جئنا بكم
لفيفا وبالحق أنزلناه
وبالحق نزل وما أرسلناك
الا مبشرا ونذيرا وقرآنا
فرقناه لتقرأه على
الناس على مكث
ونزلناه تنزيلا قل آمنوا
به أولا تؤمنوا ان الذين
أوتوا العلم من قبله اذا
يتلى عليهم يخرون
للاذقان سجدا
ويقولون سبحان ربنا
ان كان وعد ربنا لمفعولا
ويخرون للاذقان
يبكون ويزيدهم
خشوعا قل ادعوا الله
أوادعوا الرحمن أياما
تدعوا فله الاسماء
الحسنى ولا تجهر
بصلاتك ولا تخافت بها
وابتغ بين ذلك سبيلا
وقل الحمد لله الذي لم يتخذ
ولدا ولم يكن له شريك
في الملك ولم يكن له

* قوله تعالى وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل (قال ان قلت كيف لاق وصفه بنفى الولد والشريك الخ) قال أحمد وقد لاحظ الزمخشرى ههنا ما أغفله عند قوله تعالى الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقد رددت هذا الوجه فيما تقدم بان هذه الجملة لا يليق اقترانها بكلمة التحميد ولا تناسبها فانك لو قلت ابتداء الحمد لله الذى الذين كفروا به يعدلون لم يكن مناسبا والله أعلم

ولى من الذل وكبره تكبيرا

(سورة الكهف مكية وهى مائة واحدى عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه أبدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا

الله عنه يرفع صوته ويقول أزجر الشيطان وأوقظ الوسنان فأمر أبا بكر أن يرفع قليلا وعمر أن يخفض قليلا وقيل معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بأن تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار وقيل بصلاتك بدعائك وذهب قوم الى أن الآية منسوخة بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وابتغاء السبيل مثل لانتحاء الوجه الوسط فى القراءة (ولى من الذل) ناصر من الذل ومانع له منه لاعتزازه به أو لم يوال أحدا من أجل مذلة به ليدفعها بموالاته (فان قلت) كيف لاق وصفه بنفى الولد والشريك والذل بكلمة التحميد (قلت) لان من هذا وصفه هو الذى يقدر على ايلاء كل نعمة فهو الذى يستحق جنس الحمد وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا أفصح الغلام من بنى عبد المطلب علمه هذه الآية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة بنى اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار فى الجنة والقنطار ألف أوقية ومائتا أوقية رزقنا الله بفضله العميم واحسانه الجسيم

﴿سورة الكهف مكية وهى مائة واحدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* لقن الله عباده وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على أجزل نعمائه عليهم وهى نعمة الاسلام وما أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذى هو سبب نجاتهم وفوزهم (ولم يجعل له عوجا) ولم يجعل له شيأ من العوج قط والعوج فى المعانى كالعوج فى الاعيان والمراد نفى الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شئ منه من الحكمة والاصابة فيه (فان قلت) بم انتصب (قيما) (قلت) الاحسن أن ينتصب بمضمر ولا يجعل حالا من الكتاب لان قوله ولم يجعل معطوف على أنزل فهو داخل فى حيز الصلة فجاعله حالا من الكتاب فاصل بين الحال وذى الحال ببعض الصلة وتقديره ولم يجعل له عوجا جعله قيما لانه اذا نفى عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة (فان قلت) ما فائدة الجمع بين نفى العوج واثبات الاستقامة وفى أحدهما غنى عن الآخر (قلت) فائدته التأكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج عند السبر والتصفح وقيل قيما على سائر الكتب مصدقا لها شاهدا بصحتها وقيل قيما بمصالح العباد وما لا بد لهم منه من الشرائع وقرئ قيما * أنذر متعد الى مفعولين كقوله انا أنذرناكم عذابا قريبا فاقتصر على أحدهما وأصله (لينذر) الذين كفروا (بأسا شديدا) والبأس من قوله بعذاب بئيس وقد بؤس العذاب وبؤس الرجل بأسا وبآسة (من لدنه) صادرا من عنده وقرئ من لدنه بسكون الدال مع اشمام الضمة وكسر النون (ويبشر) بالتخفيف والتثقيل (فان قلت) لم اقتصر على أحد مفعولى أنذر (قلت) قد جعل المنذر به هو الغرض المسبوق اليه فوجب الاقتصار عليه والدليل عليه تكرير الانذار فى قوله (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا) متعلقا بالمنذرين من غير ذكر المنذر به كما ذكر المبشر به فى قوله أن لهم أجرا حسنا استغناء بتقدم ذكره * والاجر الحسن الجنة (ما لهم به من علم) أى بالولد أو باتخاذه يعنى أن قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد للآباء وقد اشتملته آباؤهم من الشيطان وتسويله (فان قلت) اتخاذ الله ولدا فى نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم (قلت) معناه ما لهم به من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء العلم بالشئ اما للجهل بالطريق الموصل اليه واما لانه فى نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به * قرئ كبرت كلمة وكلمة بالنصب على التمييز والرفع على الفاعلية والنصب أقوى وأبلغ وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما أكبرها كلمة و (تخرج من أفواههم) صفة للكلمة

(القول فى سورة الكهف)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله تعالى وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم (قال فيه ان قلت اتخاذ الله ولدا فى نفسه محال فكيف قيل لهم الخ) قال أحمد قد مضى له فى قوله تعالى وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ان ذلك وارد على سبيل التهكم والا فلا سلطان على الشرك حتى ينزل ونظيره * ولا يرى الضب بها ينجحر * وقد قدمت حينئذ ان الكلام وارد على سبيل الحقيقة والاصل وان نفى انزال السلطان تارة يكون لاستحالة انزاله ووجوده وتارة يكون لانه لم يقع وان كان ممكنا والله أعلم

تفيد استعظاما لاجترائهم على النطق بها واخراجها من أفواههم فان كثيرا مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس ويحدثون به أنفسهم من المنكرات لا يتمالكون أن يتفوّهوا به ويطلقوا به ألسنتهم بل يكظمون عليه تشوّرا من اظهاره فكيف بمثل هذا المنكر *وقرئ كبرت بسكون الباء مع اشمام الضمة (فان قلت) الام يرجع الضمير في كبرت (قلت) الى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها *شبهه واياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد والاسف على توليهم برجل فارقه أحبته وأعزته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم *وقرئ باخع نفسك على الاصل وعلى الاضافة أى قاتلها ومهلكها وهو للاستقبال فيمن قرأ ان لم يؤمنوا وللمضي فيمن قرأ أن لم يؤمنوا بمعنى لان لم يؤمنوا (بهذا الحديث) بالقرآن (أسفا) مفعول له أى لفرط الحزن ويجوز أن يكون حالا والاسف المبالغة في الحزن والغضب يقال رجل أسف وأسيف (ما على الارض) يعني ما يصلح أن يكون زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها (لنبلوهم أيهم أحسن عملا) وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم زهد في الميل اليها بقوله (وانا لجاعلون ما عليها) من هذه الزينة (صعيدا جرزا) يعني مثل أرض بيضاء لا نبات فيها بعد ان كانت خضراء معشبة في ازالة بهجته واماطة حسنه وابطال ما به كان زينة من اماتة الحيوان وتجفيف النبات والاشجار ونحو ذلك ذكر من الآيات الكلية تزيين الارض بما خلق فوقها من الاجناس التي لا حصر لها وازالة ذلك كله كأن لم يكن ثم قال (أم حسبت) يعني أن ذلك أعظم من قصة أصحاب الكهف وابقاء حياتهم مدة طويلة *والكهف الغار الواسع في الجبل (والرقيم) اسم كلبهم قال أمية بن أبي الصلت

وليس بها الا الرقيم مجاورا * وصيدهم والقوم في الكهف همد

وقيل هو لوح من رصاص رقمت فيه أسماؤهم جعل على باب الكهف وقيل ان الناس رقموا حديثهم نقرا في الجبل وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين غضبان وأيلة دون فلسطين (كانوا) آية (عجبا) من آياتنا وصفا بالمصدر أو على ذات عجب (من لدنك رحمة) أى رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والامن من الاعداء (وهيئ لنا من أمرنا) الذي نحن فيه من مفارقة الكفار (رشدا) حتى نكون بسببه راشدين مهتدين أو اجعل أمرنا رشدا كله كقولك رأيت منك أسدا (فضربنا على آذانهم) أى ضربنا عليها حجابا من أن تسمع يعني أنمناهم انامة ثقيلة لا تنبههم فيها الاصوات كما ترى المستثقل في نومه يصاح به فلا يسمع ولا يستنبه فحذف المفعول الذي هو الحجاب كما يقال بنى على امرأته يريدون بنى عليها القبة (سنين عددا) ذوات عدد فيحتمل أن يريد الكثرة وأن يريد القلة لان الكثير قليل عنده كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقال الزجاج اذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج أن يعد واذا كثر احتاج الى أن يعد *أى يتضمن معنى الاستفهام فعلق عنه لنعلم فلم يعمل فيه *وقرئ ليعلم وهو معلق عنه أيضا لان ارتفاعه بالابتداء لا باسناد يعلم اليه وفاعل يعلم مضمون الجملة كما أنه مفعول نعلم (أى الحزبين) المختلفين منهم في مدة لبثهم لانهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك وذلك قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم أعلم بما لبثتم هم الذين علموا أن لبثهم قد تطاول أو أى الحزبين المختلفين من غيرهم و(أحصى) فعل ماض أى أيهم ضبط (أمدا) لاوقات لبثهم (فان قلت) فما تقول فيمن جعله من أفعل التفضيل (قلت) ليس بالوجه السديد وذلك أن بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس ونحو أعدى من الجرب وأفلس من ابن المذلق شاذ والقياس على الشاذ في غير القرآن ممتنع فكيف به ولان أمدا لا يخلو اما أن ينتصب بأفعل فأفعل لا يعمل واما أن ينصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى فان زعمت أني أنصبه باضمار فعل يدل عليه أحصى كما أضمر في قوله *وأضرب منا بالسيوف القوانسا* على نضرب القوانس فقد أبعدت المتناول وهو قريب حيث أبيت أن يكون أحصى فعلا ثم رجعت مضطرا الى تقديره واضماره (فان قلت)

بهذا الحديث أسفا انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم

•قوله عزوجل لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا (قال أعرب أحصى فعلا ماضيا أى لنعلم أيهم أضبط أمدا الخ) قال أحمد وقد جعل بعض النحاة بناء أفعل من المزيد فيه الهمزة قياسا وادعى ذلك مذهبا لسيبويه وعلله بان بناءه منه لا يغير نظم الكلمة وانما هو تعويض همزة بهمزة

•عاد كلامه (قال وأيضا فلو كان التفضيل لم يخل انتصاب أمدا اما بأفعل الخ) قال أحمد والقائل ان نصبه على التمييز كانتصاب العدد تمييزا في قوله تعالى وأحصى كل شئ عددا ويعضد حمله على أفعل التفضيل وروده في نظير الواقعة واختلاف الاحزاب في مقدار اللبث وذلك في قوله تعالى اذ يقول أمثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما فأمثلهم طريقة هو أحصاهم لما لبثوا عددا وكلا الوجهين جائز والله أعلم

كيف

كيف جعل الله تعالى العلم بإحصائهم المدة غرضا في الضرب على آذانهم (قلت) الله عز وجل لم يزل عالما بذلك
وانما أراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا ويكون لطفا لمؤمني زمانهم وآية بينة
لكفاره (وزدناهم هدى) بالتوفيق والتثبيت (وربطنا على قلوبهم) وقويناها بالصبر على هجر الاوطان
والنعيم والفرار بالدين الى بعض الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام (اذ قاموا)
بين يدي الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم (فقالوا ربنا رب السموات
والارض * شططا) قولا ذا شطط وهو الافراط في الظلم والابعاد فيه من شط اذا بعد ومنه أشط في السوم وفي
غيره (هؤلاء) مبتدأ و (قومنا) عطف بيان و (اتخذوا) خبر وهو اخبار في معنى انكار (لولا يأتون عليهم)
هلا يأتون على عبادتهم فحذف المضاف (بسلطان بين) وهو تبكيت لان الاتيان بالسلطان على عبادة الاوثان
محال وهو دليل على فساد التقليد وأنه لا بد في الدين من الحجة حتى يصح ويثبت (افترى على الله كذبا) بنسبة
الشريك اليه (واذ اعتزلتموهم) خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم (وما
يعبدون) نصب عطف على الضمير يعني واذ اعتزلتموهم واعتزلتم معبوديهم (الا الله) يجوز أن يكون استثناء
متصلا على ما روي أنهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون معه كما أهل مكة وأن يكون منقطعا وقيل هو كلام
معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية أنهم لم يعبدوا غير الله (مرفقا) قرئ بفتح الميم وكسرها وهو ما يرتفق به
أي ينتفع انما أن يقولوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم واما أن يخبرهم به
نبي في عصرهم واما أن يكون بعضهم نبيا (تزاور) أي تمايل أصله تتزاور فخفف بادغام التاء في الزاي
أو حذفها وقد قرئ بهما وقرئ تزور وتزوار بوزن تحمر وتحمار وكلاهما من الزور وهو الميل ومنه زاره اذا مال
اليه والزور الميل عن الصدق (ذات اليمين) جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين (تقرضهم) تقطعهم
لا تقربهم من معنى القطيعة والصرم قال ذو الرمة

الى ظعن يقرضن أقواز مشرف * شمالا وعن أيمانهن الفوارس

(وهم في فجوة منه) وهم في متسع من الكهف والمعنى أنهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في طلوعها
ولا غروبها مع أنهم في مكان واسع منفتح معرض لاصابة الشمس لولا أن الله يحجبها عنهم وقيل في متفسح من
غارهم ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار (ذلك من آيات الله) أي ما صنعه الله بهم
من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة آية من آياته يعني أن ما كان في ذلك السمت تصيبه الشمس
ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل باب الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش فهم في مقنأة أبدا
ومعنى ذلك من آيات الله أن شأنهم وحديثهم من آيات الله (من يهد الله فهو المهتد) ثناء عليهم بأنهم جاهدوا في
الله وأسلموا له وجوههم فلطف بهم وأعانهم وأرشدهم الى نيل تلك الكرامة السنية والاختصاص بالآية
العظيمة وأن كل من سلك طريقة المهتدين الراشدين فهو الذي أصاب الفلاح واهتدى الى السعادة ومن
تعرض للخذلان فلن يجد من يليه ويرشده بعد خذلان الله (وتحسبهم) بكسر السين وفتحها خطاب لكل
أحد والايقاظ جمع يقظ كأنكاد في نكد قيل عيونهم مفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك أيقاظا وقيل
لكثرة تقلبهم وقيل لهم تقلبتان في السنة وقيل تقلبة واحدة في يوم عاشوراء * وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله
تعالى وقرئ وتقلبهم على المصدر منصوبا وانتصابه بفعل مضمر يدل عليه وتحسبهم أيقاظا كأنه قيل وترى
وتشاهد تقلبهم * وقرأ جعفر الصادق وكالبهم أي وصاحب كلبهم (باسط ذراعيه) حكاية حال ماضية لان اسم
الفاعل لا يعمل اذا كان في معنى المضي واضافته اذا أضيف حقيقية معرفة كغلام زيد الا اذا نويت حكاية
الحال الماضية * والوصيد الفناء وقيل العتبة وقيل الباب وأنشد

بأرض فضاء لا يسد وصيدها * علي ومعروفي بها غير منكر

* وقرئ ولملئت بتشديد اللام للمبالغة وقرئ بتخفيف الهمزة وقلبها ياء (رعبا) بالتخفيف والتثقيل وهو
الخوف الذي يرعب الصدر أي يملؤه وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة وقيل لطول أظفارهم وشعورهم وعظم

وزدناهم هدى وربطنا
على قلوبهم اذ قاموا
فقالوا ربنا رب السموات
والارض لن ندعو من
دونه الها لقد قلنا اذا
شططا هؤلاء قومنا
اتخذوا من دونه آلهة
لولا يأتون عليهم بسلطان
بين فمن أظلم ممن افترى
على الله كذبا
واذ اعتزلتموهم وما
يعبدون الا الله فأووا
الى الكهف ينشر لكم
ربكم من رحمته ويهيئ
لكم من أمركم مرفقا
وترى الشمس اذا طلعت
تزاور عن كهفهم ذات
اليمين واذا غربت
تقرضهم ذات الشمال
وهم في فجوة منه ذلك
من آيات الله من يهد
الله فهو المهتد ومن
يضلل فلن تجد له وليا
مرشدا وتحسبهم أيقاظا
وهم رقود ونقلبهم ذات
اليمين وذات الشمال
وكلبهم باسط ذراعيه
بالوصيد لو اطلعت
عليهم لوليت منهم
فرارا ولملئت منهم رعبا

أبدانهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية أنه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضى الله عنه ليس لك ذلك قد منع الله تعالى منه من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال معاوية لا أنتهى حتى أعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فأحرقتهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو (وكذلك بعثناهم) وكما أنمناهم تلك النومة كذلك بعثناهم اذكارا بقدرته على الانامة والبعث جميعا * ليسأل بعضهم بعضا ويعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله تعالى ويزدادوا يقينا ويشكروا ما أنعم الله به عليهم وكرموا به (قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) جواب مبنى على غالب الظن وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب وأنه لا يكون كذبا وان جاز أن يكون خطأ (قالوا ربكم أعلم بما لبثتم) انكار عليهم من بعضهم وأن الله أعلم بمدة لبثهم كأن هؤلاء قد علموا بالادلة أو بالهام من الله أن المدة متطاولة وأن مقدارها مبهم لا يعلمه الا الله وروى أنهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا أنهم فى يومهم فلما نظروا الى طول أظفارهم وأشعارهم قالوا ذلك (فان قلت) كيف وصلوا قولهم (فابعثوا) بتذاكر حديث المدة (قلت) كأنهم قالوا ربكم أعلم بذلك لا طريق لكم الى علمه فخذوا فى شئ آخر مما يهمكم * والورق الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة ومنه الحديث ان عرفجة أصيب أنفه يوم الكلاب فاتخذ أنفا من ورق فأنتن فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتخذ أنفا من ذهب * وقرئ بورقكم بسكون الراء والواو مفتوحة أو مكسورة وقرأ ابن كثير بورقكم بكسر الراء وادغام القاف فى الكاف وعن ابن محيصن أنه كسر الواو وأسكن الراء وأدغم وهذا غير جائز لالتقاء الساكنين لا على حده * وقيل المدينة طرسوس قالوا وتزودهم ما كان معهم من الورق عند فرارهم دليل على أن حمل النفقة وما يصلح المسافر هو رأى المتوكلين على الله دون المتكلين على الاتفاقات وعلى ما فى أوعية القوم من النفقات ومنه قول عائشة رضى الله عنها لمن سألها عن محرم يشد عليه هميانه أوثق عليك نفقتك وما حكى عن بعض صعاليك العلماء أنه كان شديد الحنين الى أن يرزق حج بيت الله وتعولم منه ذلك فكانت مياسير أهل بلده كلما عزم منهم فوج على حج أتوه فبذلوا له أن يحجوا به وألحوا عليه فيعتذر اليهم ويحمد اليهم بذلهم فاذا انفضوا عنه قال لمن عنده ما لهذا السفر الا شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن (أيها) أى أهلها فحذف الاهل كما فى قوله واسئل القرية (أزكى طعاما) أحل وأطيب وأكثر وأرخص (وليتلطف) وليتكلف اللطف والنيقة فيما يباشره من أمر المبايعة حتى لا يغبن أو فى أمر التخفى حتى لا يعرف (ولا يشعرن بكم أحدا) يعنى ولا يفعلن ما يؤدى من غير قصد منه الى الشعور بنا فسمى ذلك اشعارا منه بهم لانه سبب فيه * الضمير فى (انهم) راجع الى الاهل المقدر فى أيها (يرجموكم) يقتلوكم أخبث القتلة وهى الرجم وكانت عادتهم (أو يعيدوكم) أو يدخلوكم (فى ملتهم) بالاكراه العنيف ويصيروكم اليها والعود فى معنى الصيرورة أكثر شئ فى كلامهم يقولون ما عدت أفعل كذا يريدون ابتداء الفعل (ولن تفلحوا اذا أبدا) ان دخلتم فى دينهم (وكذلك أعثرنا عليهم) وكما أنمناهم وبعثناهم لما فى ذلك من الحكمة أطلعنا عليهم * ليعلم الذين أطلعناهم على حالهم (أن وعد الله حق) وهو البعث لان حالهم فى نومتهم وانتباههم بعدها كحال من يموت ثم يبعث و (اذ يتنازعون) متعلق بأعثرنا أى أعثرناهم عليهم حين يتنازعون بينهم أمر دينهم ويختلفون فى حقيقة البعث فكان بعضهم يقول تبعث الارواح دون الاجساد وبعضهم يقول تبعث الاجساد مع الارواح ليرتفع الخلاف وليتبين أن الاجساد تبعث حية حساسة فيها أرواحها كما كانت قبل الموت (فقالوا) حين توفى الله أصحاب الكهف (ابنوا عليهم بنيانا) أى على باب كهفهم لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحظيرة (قال الذين غلبوا على أمرهم) من المسلمين وملكهم وكانوا أولى بهم وبالبناء عليهم (لنتخذن) على باب الكهف (مسجدا) يصلى فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وقيل اذ يتنازعون بينهم أمرهم أى يتذاكر الناس بينهم أمر أصحاب الكهف ويتكلمون فى قصتهم وما أظهر الله من الآية فيهم أو يتنازعون بينهم تدبير أمرهم حين توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف يسدون الطريق

اليهم

وكذلك بعثناهم
ليتساءلوا بينهم قال قائل
منهم كم لبثتم قالوا لبثنا
يوما أو بعض يوم قالوا
ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا
أحدكم بورقكم هذه
الى المدينة فلينظر أيها
أزكى طعاما فليأتكم
برزق منه وليتلطف
ولا يشعرن بكم أحدا
انهم ان يظهروا عليكم
يرجموكم أو يعيدوكم فى
ملتهم ولن تفلحوا اذا
أبدا وكذلك أعثرنا
عليهم ليعلموا أن وعد
الله حق وأن الساعة
لا ريب فيها اذ يتنازعون
بينهم أمرهم فقالوا ابنوا
عليهم بنيانا ربهم أعلم
بهم قال الذين غلبوا
على أمرهم لنتخذن
عليهم مسجدا

اليهم فقالوا ابنوا على باب كهفهم بنيانا روى أن أهل الانجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الأصنام وأكرهوا على عبادتها وممن شدد في ذلك دقيانوس فأراد فتية من أشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فأبوا الا الثبات على الايمان والتصلب فيه ثم هربوا الى الكهف ومروا بكلب فتبعهم فطردوه فأنطقه الله فقال ما تريدون مني أنا أحب أحباء الله فناموا وأنا أحرسكم وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف فكانوا يعبدون الله فيه ثم ضرب الله على آذانهم وقبل أن يبعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن وقد اختلف أهل مملكته في البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته وأغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسأل ربه أن يبين لهم الحق فألقى الله في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام وأخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس اتهموه بأنه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فانطلق الملك وأهل المدينة معه وأبصروهم وحمدوا الله على الآية الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله أنفسهم فألقى الملك عليهم ثيابه وأمر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا * ربهم أعلم بهم من كلام المتنازعين كأنهم تذاكروا أمرهم وتناقلوا الكلام في أنسابهم وأحوالهم ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا الى حقيقة ذلك قالوا ربهم أعلم بهم أو هو من كلام الله عز وجل رد لقول الخائضين في حديثهم من أولئك المتنازعين أو من الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب (سيقولون) الضمير لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب والمؤمنين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فأخر الجواب الى أن يوحى اليه فيهم فنزلت اخبارا بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم وأن المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم * قال ابن عباس رضي الله عنه أنا من أولئك القليل وروى أن السيد والعاقب وأصحابهما من أهل نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر أصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لسان جبريل عليه السلام وعن علي رضي الله عنه هم سبعة نفر أسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء أصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشادنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في أمره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم أفسوس واسم كلبهم قطمير (فان قلت) لم جاء بسين الاستقبال في الأول دون الآخرين (قلت) فيه وجهان أن تدخل الآخرين في حكم السين كما تقول قد أكرم وأنعم تريد معنى التوقع في الفعلين جميعا وأن تريد بيفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له (رجما بالغيب) رميا بالخبر الخفي واتيانا به كقوله ويقذفون بالغيب أي يأتون به أو وضع الرجم موضع الظن فكأنه قيل ظنا بالغيب لأنهم أكثروا أن يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين ألا ترى الى قول زهير * وما هو عنها بالحديث المرجم * أي المظنون * وقرئ ثلاث رابعهم بادغام الثاء في تاء التأنيث وثلاثة خبر مبتدأ محذوف أي هم ثلاثة وكذلك خمسة وسبعة ورابعهم كلبهم جملة من مبتدأ وخبر واقعة صفة لثلاثة وكذلك سادسهم كلبهم وثامنهم كلبهم (فان قلت) فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة ولم دخلت عليها دون الأولين (قلت) هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة في نحو قولك جاءني رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفي يده سيف ومنه قوله تعالى وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وفائدتها تأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن اتصافه

سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل

* قوله تعالى سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل (قال ان قلت لم دخلت الواو في الجملة الاخيرة الخ) قال أحمد وهو الصواب ٧٢٥ لا كمن يقول انها واو الثمانية فان ذلك أمر لا يستقر لمثبته قدم. ويعدون مع هذه الواو في قوله في الجنة وفتحت أبوابها بخلاف أبواب النار فانه قال فيها فتحت أبوابها قالوا لأن أبواب الجنة ثمانية وأبواب النار سبعة وهب أن في اللغة واوا تصحب الثمانية فتختص بها فأين ذكر العدد في أبواب الجنة حتى ينتهي الى الثامن فتصحبه الواو وربما عدوا من ذلك والناهون عن المنكر وهو الثامن من قوله التائبون وهذا أيضا مردود بأن الواو انما اقترنت بهذه الصفة لتربط بينها وبين الاولى التي هي الآمرون بالمعروف لما بينهما من التناسب والربط ألا ترى اقترانهما في جميع مصادرهما ومواردهما كقوله يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وكقوله وأمر بالمعروف وانه عن المنكر وربما عد بعضهم من ذلك الواو في قوله ثيبات وأبكارا لأنه وجدها مع الثامن وهذا غلط فاحش فان هذه واو التقسيم ولو ذهبت تحذفها فتقول ثيبات أبكارا لم يستقم الكلام فقد وضح ان الواو في جميع هذه المواضع المعدودة واردة لغير ما زعمه هؤلاء والله الموفق

بهم أمر ثابت مستقر وهذه الواو هي التي آذنت بأن الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم وطمأنينة نفس ولم يرجموا بالظن كما غيرهم والدليل عليه أن الله سبحانه أتبع القولين الأولين قوله رجما بالغيب وأتبع القول الثالث قوله ما يعلمهم الا قليل وقال ابن عباس رضي الله عنه حين وقعت الواو انقطعت العدة أي لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت اليها وثبت أنهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات وقيل الا قليل من أهل الكتاب والضمير في سيقولون على هذا لاهل الكتاب خاصة أي سيقول أهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا في قليل منهم وأكثرهم على ظن وتخمين (فلا تمار فيهم) فلا تجادل أهل الكتاب في شأن أصحاب الكهف الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو أن تقص عليهم ما أوحى الله اليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل لهم ولا تعنيف بهم في الرد عليهم كما قال وجادلهم بالتي هي أحسن (ولا تستفت) ولا تسأل أحدا منهم عن قصتهم سؤال متعنت له حتى يقول شيأ فترده عليه وتزيف ما عنده لان ذلك خلاف ما وصيت به من المداراة والمجاملة ولا سؤال مسترشد لان الله قد أرشدك بأن أوحى اليك قصتهم (ولا تقولن لشئ) ولا تقولن لاجل شئ تعزم عليه (انى فاعل ذلك) الشئ (غدا) أي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة (الا أن يشاء الله) متعلق بالنهي لا بقوله انى فاعل لانه لو قال انى فاعل كذا الا أن يشاء الله كان معناه الا أن تعترض مشيئة الله دون فعله وذلك مما لا مدخل فيه النهي وتعلقه بالنهي على وجهين أحدهما ولا تقولن ذلك القول الا أن يشاء الله أن تقوله بأن يأذن لك فيه والثاني ولا تقولنه الا بأن يشاء الله أي الا بمشيئة الله وهو في موضع الحال يعني الا ملتبسا بمشيئة الله قائلا ان شاء الله وفيه وجه ثالث وهو أن يكون ان شاء الله في معنى كلمة تأبيد كأنه قيل ولا تقولنه أبدا ونحوه قوله وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله لان عودهم في ملتهم مما لن يشاء الله وهذا نهي تأديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه فقال ائتوني غدا أخبركم ولم يستثن فأبطأ عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش (واذكر ربك) أي مشيئة ربك وقل ان شاء الله اذا فرط منك نسيان لذلك والمعنى اذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر وعن ابن عباس رضي الله عنه ولو بعد سنة ما لم تحنث وعن سعيد بن جبير ولو بعد يوم أو أسبوع أو شهر أو سنة وعن طاوس هو على ثنياه ما دام في مجلسه وعن الحسن نحوه وعن عطاء يستثنى على مقدار حلب ناقة غزيرة وعند عامة الفقهاء أنه لا أثر له في الاحكام ما لم يكن موصولا ويحكى أنه بلغ المنصور أن أبا حنيفة خالف ابن عباس رضي الله عنه في الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال أبو حنيفة هذا يرجع عليك انك تأخذ البيعة بالايمان أفترضى أن يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه ورضي عنه ويجوز أن يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء تشديدا في البعث على الاهتمام بها وقيل واذكر ربك اذا تركت بعض ما أمرك به وقيل واذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل على أداء الصلاة المنسية عند ذكرها و(هذا) اشارة الى نبأ أصحاب الكهف ومعناه لعل الله يؤتيني من البينات والحجج على أني نبي صادق ما هو أعظم في الدلالة وأقرب رشدا من نبأ أصحاب الكهف وقد فعل ذلك حيث آتاه من قصص الانبياء والاخبار بالغيوب ما هو أعظم من ذلك وأدل والظاهر أن يكون المعنى اذا نسيت شيأ فاذكر ربك وذكر ربك عند

* قوله تعالى ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله (قال كان معناه الا أن تعترض مشيئة الله دون فعله الخ) قال أحمد ولا بد من حمل الكلام على أحد الوجهين المذكورين ولولا ذلك لكان المعنى على الظاهر بادى الرأي ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله أن تقول هذا القول وليس الغرض ذلك وانما الغرض النهي عن هذا القول الا مقرونا بقول المشيئة وليت شعري ما معنى قول الزمخشري في تفسير الآية كان المعنى ٧٢٦ الا أن تعترض المشيئة دونه معتقدا ان مشيئة الله تعالى لا تعترض على فعل أحد فكم شاء من الافعال فتركت وكم شاء من التروك ففعلت على زعم القدرية فلا يبنى على أصلهم الفاسد لتعليق الفعل بالمشيئة قولا وهو غير متعلق بها وقوعا حتى أن قول القائل لا أفعل كذا الا أن يشاء الله ان أفعله

فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لاقرب من هذا

كذب وخلف بتقدير فعله اذا كان من قبيل المباح لان الله تعالى لا يشاؤه على زعمهم الفاسد فما أبعد معتقدهم من قواعد الشرع فسحقا سحقا لمن عاد كلامه (قال وقوله واذكر ربك اذا نسيت أي كلمة الاستثناء ثم تنبهت لها فتداركها بالذكر وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم تحنث الى قوله وعند عامة الفقهاء الخ) قال أحمد اما ظاهر الآية فقضاء الامر بتدارك المشيئة متى ذكرت ولو بعد الطول وأما حلها لليمين حينئذ فلا دليل عليه منها والله أعلم (قال ويجوز أن يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح الخ) قال أحمد ويؤيد هذا التأويل بقوله تعالى أول القصة أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا فافتتح ذكر القصة بتقليل شأنها وانكار عده من عجائب آيات الله ثم ختمها بأمره عليه الصلاة والسلام بطلب ما هو أرشد وأدخل في الآية والله أعلم

نسيانه

* قوله تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا (قال معناه جعلنا قلبه غافلا عن الذكر الخ) قال أحمد هو يشمر الهرب من الحق وهو أن المراد خلقنا له وجد بربه أن يشمر في اتباع هواه فان حمل أغفل على بابه صرفه الى الخذلان والا أخرجه بالكناية عن بابه الى باب أفعل للمصادفة ولا يتجرأ على تفسير فعل أسنده الله الى ذاته بالمصادفة الى تفهيم وجدان الشئ بغتة عن جهل سابق وعدم علم * عاد كلامه (قال ويجوز أن يكون المعنى من أغفل ابله اذا الخ) قال أحمد وهذا التأويل فيه رقة حاشية ولطافة معنى وغرضه منه الخلاص عما

رشدا ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا واتل ما أوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه

نسيانه أن تقول عسى ربي أن يهديني لشئ آخر بدل هذا المنسي أقرب منه (رشدا) وأدنى خيرا ومنفعة ولعل النسيان كان خيرة كقوله أو ننسها نأت بخير منها (ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين) يريد لبثهم فيه أحياء مضروبا على آذانهم هذه المدة وهو بيان لما أجمل في قوله فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ومعنى قوله (قل الله أعلم بما لبثوا) أنه أعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق ما أخبرك الله به وعن قتادة أنه حكاية لكلام أهل الكتاب وقل الله أعلم رد عليهم وقال في حرف عبد الله وقالوا لبثوا وسنين عطف بيان لثلثمائة وقرئ ثلثمائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله بالاخسرين أعمالا وفي قراءة أبي ثلثمائة سنة * تسعا تسع سنين لان ما قبله يدل عليه وقرأ الحسن تسعا بالفتح * ثم ذكر اختصاصه بما غاب في السموات والارض وخفي فيها من أحوال أهلها ومن غيرها وأنه هو وحده العالم به * وجاء بما دل على التعجب من ادراكه المسموعات والمبصرات للدلالة على أن أمره في الادراك خارج عن حد ما عليه ادراك السامعين والمبصرين لانه يدرك ألطف الاشياء وأصغرها كما يدرك أكبرها حجما وأكثفها جرما ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر (ما لهم) الضمير لاهل السموات والارض (من ولي) من متول لامورهم (ولا يشرك في حكمه) في قضائه (أحدا) منهم وقرأ الحسن ولا تشرك بالتاء والجزم على النهي * كانوا يقولون له ائت بقرآن غير هذا أو بدله فقيل له (واتل ما أوحي اليك) من القرآن ولا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل فلا مبدل لكلمات ربك أي لا يقدر أحد على تبديلها وتغييرها انما يقدر على ذلك هو وحده واذا بدلنا آية مكان آية (ولن تجد من دونه ملتحدا) ملتجأ تعدل اليه ان هممت بذلك * قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم نح هؤلاء الموالي الذين كأن ريحهم ريح الضأن وهم صهيب وعمار وخباب وغيرهم من فقراء المسلمين حتى نجالسك كما قال قوم نوح أنؤمن لك واتبعك الارذلون فنزلت (واصبر نفسك) واحبسها معهم وثبتها قال أبو ذؤيب

فصبرت عارفة لذلك حرة * ترسو اذا نفس الجبان تطلع

(بالغداة والعشي) دائبين على الدعاء في كل وقت وقيل المراد صلاة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة وبالغداة أجود لان غدوة علم في أكثر الاستعمال وادخال اللام على تأويل التنكير كما قال والزيد زيد المعارك ونحوه قليل في كلامهم * يقال عداه اذا جاوزه ومنه قولهم عدا طوره وجاء في القوم عدا زيدا وانما عدي بعن لتضمين عدا معنى نبا وعلا في قولك نبت عنه عينه وعلت عنه عينه اذا اقتحمته ولم تعلق به (فان قلت) أي غرض في هذا التضمين وهلا قيل ولا تعدهم عيناك أو ولا تعل عيناك عنهم (قلت) الغرض فيه اعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من اعطاء معنى فذ ألا ترى كيف رجع المعنى الى قولك ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين الى غيرهم ونحوه قوله تعالى ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم أي ولا تضموها اليها آكلين لها وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد عينيك من أعداه وعداه نقلا بالهمزة وتثقيل الحشو ومنه قوله * فعد عما ترى اذ لا ارتجاع له * لان معناه فعد همك عما ترى نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزدري بفقراء المؤمنين وأن تنبو عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى زي الاغنياء وحسن شارتهم (تريد زينة الحياة الدنيا) في موضع الحال (من أغفلنا قلبه) من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر بالخذلان أو وجدناه غافلا عنه كقولك أجبنته وأفحمته وأبخلته اذا وجدته كذلك أو من أغفل ابله اذا تركها بغير سمة أي لم نسمه بالذكر ولم نجعلهم من الذين كتبنا في قلوبهم الايمان وقد أبطل الله توهم المجبرة بقوله (واتبع هواه) * وقرئ أغفلنا قلبه باسناد الفعل الى القلب على معنى

قدمناه لانه وان أتى خلق الله الغفلة في القلب فلا يأبى عدم كتب الايمان وانما غرضنا التنبيه على ان مقصد الزمخشري الحيد عن القاعدة المتقدمة والتأويل انما يصار اليه اذا تعذر الظاهر وهو عندنا ممكن فوجب الاعتصام به والله الموفق * عاد كلامه (قال وقد أبطل الله توهم المجبرة بقوله واتبع هواه) قال أحمد قد تقدم في غير ما موضع ان أهل السنة يضيفون فعل العبد الى الله تعالى من حيث كونه مخلوقا له والى العبد من حيث كونه مقرونا بقدرته واختياره ولا تنافي بين الاضافتين فبراهين السنة تتبعه أينما سلك وأية توجه فلا محيص له عنها بوجه

حسبنا قلبه غافلين من أغفلته اذا وجدته غافلا (فرطا) متقدما للحق والصواب نابذاله وراء ظهره من قولهم فرس فرط متقدم للخيل (وقل الحق من ربكم) الحق خبر مبتدا محذوف والمعنى جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق الا اختياركم لانفسكم ماشئتم من الاخذ في طريق النجاة أو في طريق الهلاك وجيء بلفظ الامر والتخيير لانه لما مكن من اختيار أيهما شاء فكأنه مخير مأمور بأن يتخير ماشاء من النجدين * شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط وبيت مسردق ذو سرادق وقيل هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار وقيل حائط من نار يطيف بهم (يغاثوا بماء كالمهل) كقوله فاعتبوا بالصيلم وفيه تهكم والمهل ما أذيب من جواهر الارض وقيل دردي الزيت (يشوي الوجوه) اذا قدم ليشرب انشوى الوجه من حرارته عن النبي صلى الله عليه وسلم هو كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه (بئس الشراب) ذلك (وساءت) النار (مرتفقا) متكأ من المرفق وهذا لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا اتكاء الا أن يكون من قوله

اني أرقت فبت الليل مرتفقا * كأن عيني فيها الصاب مذبوح

(أولئك) خبران وانا لانضيع اعتراض ولك أن تجعل انا لانضيع وأولئك خبرين معا أو تجعل أولئك كلاما مستأنفا بيانا للاجر المبهم (فان قلت) اذا جعلت انا لانضيع خبرا فأين الضمير الراجع منه الى المبتدا (قلت) من أحسن عملا والذين آمنوا وعملوا الصالحات ينتظمهما معنى واحد فقام من أحسن مقام الضمير أو أردت من أحسن عملا منهم فكان كقولك السمن منوان بدرهم * من الاولى للابتداء والثانية للتبيين * وتنكير أساور لابهام أمرها في الحسن * وجمع بين السندس وهو مارق من الديباج وبين الاستبرق وهو الغليظ منه جمعا بين النوعين * وخص الاتكاء لانه هيئة المنعمين والملوك على أسرتهم (واضرب لهم مثلا رجلين) أي ومثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا أخوين في بني اسرائيل أحدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران في سورة والصافات في قوله قال قائل منهم اني كان لي قرين ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر أرضا بألف فقال المؤمن اللهم ان أخي اشترى أرضا بألف دينار وأنا أشتري منك أرضا في الجنة بألف فتصدق به ثم بنى أخوه دارا بألف فقال اللهم اني أشتري منك دارا في الجنة بألف فتصدق به ثم تزوج أخوه امرأة بألف فقال اللهم اني جعلت ألفا صداقا للحور ثم اشترى أخوه خدما ومتاعا بألف فقال اللهم اني اشتريت منك الولدان المخلدين بألف فتصدق به ثم أصابته حاجة فجلس لاخيه على طريقه فمر به في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله وقيل هما مثل لاخوين من بني مخزوم مؤمن وهو أبو سلمة عبد الله بن عبد الاشد وكان زوج أم سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكافر وهو الاسود بن عبد الاشد (جنتين من أعناب) بستانين من كروم (وحففناهما بنخل) وجعلنا النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم أن يجعلوها مؤزرة بالاشجار المثمرة يقال حفوه اذا أطافوا به وحففته بهم أي جعلتهم حافين حوله وهو متعد الى مفعول واحد فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيه وغشيته به (وجعلنا بينهما زرعا) جعلناها أرضا جامعة للاقوات والفواكه ووصف العمارة بأنها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها او يفصل بينهما مع الشكل الحسن والترتيب الانيق * ونعتهما بوفاء الثمار وتمام الاكل من غير نقص * ثم بما هو أصل الخير ومادته من أمر الشرب فجعله أفضل ما يسقى به وهو السيح بالنهر الجاري فيها * والاكل الثمر وقرئ بضم الكاف (ولم تظلم) ولم تنقص وآتت حمل على اللفظ لان كلتا الفظه لفظ مفرد ولو قيل آتتا على المعنى لجاز * وقرئ وفجرنا على التخفيف * وقرأ عبد الله كل الجنتين آتى أكله برد الضمير على كل (وكان له ثمر) أي أنواع من المال من ثمر ماله اذا كثره وعن مجاهد الذهب والفضة أي كانت له الى الجنتين الموصوفتين الاموال الدثرة من الذهب والفضة وغيرهما وكان وافر اليسار من كل وجه متمكنا من عمارة الارض كيف شاء (وأعز نفرا) يعني أنصارا وحشما وقيل أولادا ذكورا لانهم ينفرون معه دون الاناث * يحاوره يراجعه الكلام من حار يحور اذا رجع وسألته فما أحار كلمة

يعني

وكان أمره فرطا وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا اعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لانضيع أجر من أحسن عملا أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الارائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ودخل جنته

* يعنى قطروس أخذ بيد أخيه المسلم يطوف به فى الجنتين ويريه ما فيهما ويعجبه منهما ويفاخره بما ملك من المال دونه (فان قلت) فلم أفرد الجنة بعد التثنية (قلت) معناه ودخل ما هو جنته ماله جنة غيرها يعنى أنه لا نصيب له فى الجنة التى وعد المؤمنون فما ملكه فى الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما (وهو ظالم لنفسه) وهو معجب بما أوتى مفتخر به كافر لنعمة ربه معرض بذلك نفسه لسخط الله وهو أفحش الظلم * اخباره عن نفسه بالشك فى بيدودة جنته لطول أمله واستيلاء الحرص عليه وتمادى غفلته واغتراره بالمهلة واطراحه النظر فى عواقب أمثاله وترى أكثر الاغنياء من المسلمين وان لم يطلقوا بنحو هذا ألسنتهم فان ألسنة أحوالهم ناطقة به منادية عليه (ولئن رددت الى ربى) اقسام منه على أنه ان رد الى ربه على سبيل الفرض والتقدير وكما يزعم صاحبه ليجدن فى الآخرة خيرا من جنته فى الدنيا تطمعا وتمنيا على الله وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده وأنه ما أولاه الجنتين الا لاستحقاقه واستئهاله وأن معه هذا الاستحقاق أينما توجه كقوله ان لى عنده للحسنى لأوتين مالا وولدا * وقرئ خيرا منهما ردا على الجنتين (منقلبا) مرجعا وعاقبة وانتصابه على التمييز أى منقلب تلك خير من منقلب هذه لانها فانية وتلك باقية (خلقك من تراب) أى خلق أصلك لان خلق أصله سبب فى خلقه فكان خلقه خلقا له (سواك) عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال * جعله كافرا بالله جاحدا لانعمه لشكه فى البعث كما يكون المكذب بالرسول صلى الله عليه وسلم كافرا (لكن هو الله ربى) أصله لكن أنا فحذفت الهمزة وألقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فكان الادغام ونحوه قول القائل وترميننى بالطرف أى أنت مذنب * وتقليننى لكن اياك لا أقلى

أى لكن أنا لا أقليك وهو ضمير الشأن والشأن الله ربى والجملة خبر أنا والراجع منها اليه ياء الضمير وقرأ ابن عامر باثبات ألف أنا فى الوصل والوقف جميعا وحسن ذلك وقوع الالف عوضا من حذف الهمزة وغيره لا يثبتها الا فى الوقف وعن أبى عمرو أنه وقف بالهاء لكنه وقرئ لكن هو الله ربى بسكون النون وطرح أنا وقرأ أبى ابن كعب لكن أنا على الاصل وفى قراءة عبد الله لكن أنا لا اله الا هو ربى (فان قلت) هو استدراك لماذا (قلت) لقوله أكفرت قال لاخيه أنت كافر بالله لكنى مؤمن موحد كما تقول زيد غائب لكن عمرا حاضر (ماشاء الله) يجوز أن تكون ما موصولة مرفوعة المحل على أنها خبر مبتدإ محذوف تقديره الامر ماشاء الله أو شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف بمعنى أى شئ شاء الله كان ونظيرها فى حذف الجواب لو فى قوله ولو أن قرآنا سيرت به الجبال والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها الامر ماشاء الله اعترافا بأنها وكل خير فيها انما حصل بمشيئة الله وفضله وأن أمرها بيده ان شاء تركها عامرة وان شاء خربها وقلت (لا قوة الا بالله) اقرارا بأن ما قويت به على عمارتها وتدبير أمرها انما هو بمعونته وتأييده اذ لا يقوى أحد فى بدنه ولا فى ملك يده الا بالله تعالى وعن عروة بن الزبير أنه كان يثلم حائطه أيام الرطب فيدخل من شاء وكان اذا دخله ردد هذه الآية حتى يخرج * من قرأ أقل بالنصب فقد جعل أنا فصلا ومن رفع جعله مبتدأ وأقل خبره والجملة مفعولا ثانيا لترنى وفى قوله (وولدا) نصرة لمن فسر النفر بالاولاد فى قوله وأعز نفرا والمعنى ان ترنى أفقر منك فأنا أتوقع من صنع الله أن يقلب ما بى وما بك من الفقر والغنى فيرزقنى لايمانى جنة (خيرا من جنتك) ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بستانك * والحسبان مصدر كالغفران والبطلان بمعنى الحساب أى مقدارا قدره الله وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقال الزجاج عذاب حسبان وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك وقيل حسبانا مرامى الواحدة حسبانة وهى الصواعق (صعيدا زلقا) أرضا بيضاء يزلق عليها لاستئصالها أو (غورا) كلاهما وصف بالمصدر (وأحيط) به عبارة عن اهلاكه وأصله من أحاط به العدو لانه اذا أحاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل فى كل اهلاك ومنه قوله تعالى الا أن يحاط بكم ومثله قولهم أتى عليه اذا أهلكه من أتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا عليهم * وتقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر لان النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن كما كنى عن ذلك بعض الكف والسقوط فى اليد ولانه فى معنى الندم عدى تعديته بعلى كأنه قيل فأصبح يندم (على ما أنفق فيها) أى أنفق فى عمارتها (وهى خاوية على

وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا لكنا هو الله ربى ولا أشرك بربى أحدا ولولا اذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لا قوة الا بالله ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا فعسى ربى أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهى خاوية على

عروشها) يعني أن كرومها المعرشة سقطت عروشها على الارض وسقطت فوقها الكروم قيل أرسل الله عليها نارا فأكلتها (ياليتني) تذكر موعظة أخيه فعلم أنه أتى من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه ويجوز أن يكون توبة من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا في الايمان * وقرئ ولم يكن بالياء والتاء وحمل ينصرونه على المعنى دون اللفظ كقوله فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم (فان قلت) ما معنى قوله (ينصرونه من دون الله) (قلت) معناه يقدرون على نصرته من دون الله أى هو وحده القادر على نصرته لا يقدر أحد غيره أن ينصره الا أنه لم ينصره لصارف وهو استيجابه أن يخذل (وما كان منتصرا) وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله (الولاية) بالفتح النصرة والتولى وبالكسر السلطان والملك وقد قرئ بهما والمعنى هنالك أى فى ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها أحد سواه تقريرا لقوله ولم يكن له فئة ينصرونه من دون الله أو هنالك السلطان والملك لله لا يغلب ولا يمتنع منه أو فى مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعنى أن قوله ياليتني لم أشرك بربى أحدا كلمة الجئ اليها فقالها جزعا مما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز أن يكون المعنى هنالك الولاية لله ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفى صدورهم من أعدائهم يعنى أنه نصر فيما فعل بالكافر أخاه المؤمن وصدق قوله عسى ربى أن يؤتينى خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء ويعضده قوله (خير ثوابا وخير عقبا) أى لاولياءه وقيل هنالك اشارة الى الآخرة أى فى تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم * وقرئ الحق بالرفع والجر صفة للولاية ولله وقرأ عمرو بن عبيد بالنصب على التأكيد كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل وهى قراءة حسنة فصيحة وكان عمرو بن عبيد من أفصح الناس وأنصحهم * وقرئ عقبا بضم القاف وسكونها وعقبى على فعلى وكلها بمعنى العاقبة (فاختلط به نبات الارض) فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا وقيل نجع فى النبات الماء فاختلط به حتى روى ورف رفيفا وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط بنبات الارض ووجه صحته أن كل مختلطين موصوف كل واحد منهما بصفة صاحبه * والهشيم ما تهشم وتحطم الواحدة هشيمة وقرئ تذروه الريح وعن ابن عباس تذريه الرياح من أذرى شبه حال الدنيا فى نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون أخضر وارفا ثم يهيج فتطيره الرياح كأن لم يكن (وكان الله على كل شئ) من الانشاء والافناء (مقتدرا * الباقيات الصالحات) أعمال الخير التى تبقى ثمرتها للانسان وتفنى عنه كل ما تطمح اليه نفسه من حظوظ الدنيا وقيل هى الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وعن قتادة كل ما أريد به وجه الله (خير ثوابا) أى ما يتعلق بها من الثواب وما يتعلق بها من الامل لان صاحبها يأمل فى الدنيا ثواب الله ويصيبه فى الآخرة * وقرئ تسير من سيرت ونسير من سيرنا وتسير من سارت أى تسير فى الجو أو يذهب بها بأن تجعل هباء منبثا * وقرئ وترى الارض على البناء للمفعول (بارزة) ليس عليها ما يسترها مما كان عليها (وحشرناهم) وجمعناهم الى الموقف * وقرئ فلم نغادر بالنون والياء يقال غادره وأغدره اذا تركه ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل * وشبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان (صفا) مصطفين ظاهرين يرى جماعتهم كما يرى كل واحد لا يحجب أحد أحدا (لقد جئتمونا) أى قلنا لهم لقد جئتمونا وهذا المضمر هو عامل النصب فى يوم نسير ويجوز أن ينصب باضمار اذكر والمعنى لقد بعثناكم كما أنشأناكم (أول مرة) وقيل جئتمونا عراة لا شئ معكم كما خلقناكم أولا كقوله ولقد جئتمونا فرادى * (فان قلت) لم جئ بحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى (قلت) للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال العظائم كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك (موعدا) وقتا لانجاز ما وعدتم على ألسنة الانبياء من البعث والنشور (الكتاب) للجنس وهو صحف الاعمال (ياويلتنا) ينادون هلكتهم التى

عروشها ويقول ياليتني لم أشرك بربي أحدا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شئ مقتدرا المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر

قوله تعالى هنالك الولاية لله الحق (قال قرئ بالرفع والجر صفة للولاية ولله تعالى الخ) قال أحمد وقد تقدم الانكار عليه فى مثل هذا القول فانه يوهم ان القراآت موكولة الى رأى الفصحاء واجتهاد البلغاء فيتفاوت فى الفصاحة لتفاوتهم فيها وهذا منكر شنيع والحق أنه لا يجوز لاحد أن يقرأ الا بما سمعه فوعاه متصلا بلفظ اليه صلى الله عليه وسلم منزلا كذلك من السماء فلا وقع لفصاحة الفصيح وانما هو ناقل كغيره ولكن الزمخشرى لا يفوت هلكوها الثناء على رأس البدعة ومعدن الفتنة فان عمرو بن عبيد أول مصمم على انكار القدر وهلم جرا الى سائر البدع الاعتزالية فمن ثم أثنى عليه

هالكوها خاصة من بين الهلكات (صغيرة ولا كبيرة) هنة صغيرة ولا كبيرة وهي عبارة عن الإحاطة يعني لا يترك شيأ من المعاصي إلا أحصاه أي أحصاها كلها كما تقول ما أعطاني قليلاً ولا كثيراً لأن الأشياء إما صغار وإما كبار ويجوز أن يريدوا ما كان عندهم صغائر وكبائر وقيل لم يجتنبوا الكبائر فكتبت عليهم الصغائر وهي المناقشة وعن ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وعن سعيد بن جبير الصغيرة المسيس والكبيرة الزنا وعن الفضيل كان إذا قرأها قال ضجوا والله من الصغائر قبل الكبائر (إلا أحصاها) إلا ضبطها وحصرها (ووجدوا ما عملوا حاضراً) في الصحف عتيداً أو جزاء ما عملوا (ولا يظلم ربك أحداً) فيكتب عليه ما لم يعمل أو يزيد في عقاب المستحق أو يعذبه بغير جرم كما يزعم من ظلم الله في تعذيب أطفال المشركين بذنوب آبائهم (كان من الجن) كلام مستأنف جار مجرى التعليل بعد استثناء إبليس من الساجدين كأن قائلاً قال ماله لم يسجد فقيل كان من الجن (ففسق عن أمر ربه) والفاء للتسبيب أيضاً جعل كونه من الجن سبباً في فسقه لأنه لو كان ملكاً كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن أمر الله لأن الملائكة معصومون البتة لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والإنس كما قال لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وهذا الكلام المعترض تعمد من الله تعالى لصيانة الملائكة عن وقوع شبهة في عصمتهم فما أبعد البون بين ما تعمده الله وبين قول من ضاده وزعم أنه كان ملكاً ورئيساً على الملائكة فعصى فلعن ومسخ شيطاناً ثم وركه على ابن عباس ومعنى فسق عن أمر ربه خرج عما أمره به ربه من السجود قال * فواسقاً عن قصدها جوائراً * أو صار فاسقاً كافراً بسبب أمر ربه الذي هو قوله اسجدوا لآدم (أفتتخذونه) الهمزة للإنكار والتعجيب كأنه قيل أعقيب ما وجد منه تتخذونه (وذريته أولياء من دوني) وتستبدلونهم بي بئس البدل من الله إبليس لمن استبدله فأطاعه بدل طاعته (ما أشهدتهم) وقرئ ما أشهدناهم يعني أنكم اتخذتموهم شركاء لي في العبادة وإنما كانوا يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الإلهية فنفى مشاركتهم في الإلهية بقوله ما أشهدتهم خلق السموات والأرض لأعتضد بهم في خلقها (ولا خلق أنفسهم) أي ولا أشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا أنفسكم (وما كنت متخذ المضلين) بمعنى وما كنت متخذهم (عضداً) أي أعواناً فوضع المضلين موضع الضمير ذماً لهم بالإضلال فإذا لم يكونوا عضداً لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة وقرئ وما كنت بالفتح الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك أن تعتز بهم وقرأ علي رضي الله عنه وما كنت متخذاً المضلين بالتنوين على الأصل وقرأ الحسن عضداً بسكون الضاد ونقل ضمتها إلى العين وقرئ عضداً بالفتح وسكون الضاد وعضداً بضمتين وعضداً بفتحتين جمع عاضد كخادم وخدم وراصد ورصد من عضده إذا قواه وأعانه (يقول) بالياء والنون * وإضافة الشركاء إليه على زعمهم توبيخاً لهم وأراد الجن * والموبق المهلك من وبق يبق وبوقاً ووبق يوبق وبقاً إذا هلك وأوبقه غيره ويجوز أن يكون مصدراً كالمورد والموعد يعني وجعلنا بينهم وادياً من أودية جهنم هو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركاً يهلكون فيه جميعاً وعن الحسن موبقاً عداوة والمعنى عداوة هي في شدتها هلاك كقوله لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً وقال الفراء البين الوصل أي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكاً يوم القيامة ويجوز أن يريد الملائكة وعزيراً وعيسى ومريم وبالموبق البرزخ البعيد أي وجعلنا بينهم أمداً بعيداً تهلك فيه الأشواط لفرط بعده لأنهم في قعر جهنم وهم في أعلى الجنان (فظنوا) فأيقنوا (مواقعوها) مخالطوها واقعون فيها (مصرفاً) معدلاً قال * أزهير هل عن شيبة من مصرف * (أكثر شيء جدلاً) أكثر الأشياء التي يتأتى منها الجدل إن فصلتها واحداً بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل وانتصاب جدلاً على التمييز يعني أن جدل الإنسان أكثر من جدل كل شيء ونحوه فإذا هو خصيم مبين * أن الأولى نصب والثانية رفع وقبلها مضاف محذوف تقديره (وما منع الناس) الإيمان والاستغفار (إلا) انتظار (أن تأتيهم سنة الأولين) وهي الإهلاك (أو) انتظار أن (يأتيهم العذاب) يعني عذاب الآخرة (قبلاً) عياناً وقرئ قبلاً أنواعاً جمع قبيل وقبلاً بفتحتين مستقبلاً (ليدحضوا) ليزيلوا ويبطلوا من إدحاض القدم وهو إزلاقها وإزالتها عن موطئها

صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقاً ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفاً ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب قبلاً وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي

(قال قوله تعالى كان من الجن مستأنف تعليل لفسوقه الخ) قال أحمد والحق معه في هذا الفصل غير أن قوله تعمده الله تعالى لفظة لا ترد ولا تليق فإن التعمد إنما يوصف به عرفاً من يفعل في بعض الأحيان خطأ وفي بعضها تعمداً فاجتنابها في حق الله تعالى واجب والله الموفق

(وما أنذروا) يجوز أن تكون ما موصولة ويكون الراجع من الصلة محذوفا أي وما أنذروه من العذاب أو مصدرية بمعنى وانذارهم * وقرئ هزأ بالسكون أي اتخذوها موضع استهزاء * وجدالهم قولهم للرسل ما أنتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لأنزل ملائكة وما أشبه ذلك (بآيات ربه) بالقرآن ولذلك رجع اليها الضمير مذكرا في قوله أن يفقهوه (فأعرض عنها) فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر (ونسي) عاقبة (ما قدمت يداه) من الكفر والمعاصي غير مفكر فيها ولا ناظر في أن المسيء والمحسن لا بد لهما من جزاء ثم علل اعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوع على قلوبهم وجمع بعد الافراد حملا على لفظ من ومعناه (فلن يهتدوا) فلا يكون منهم اهتداء البتة كأنه محال منهم لشدة تصميمهم (أبدا) مدة التكليف كلها * واذا جزاء وجواب فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول بمعنى انهم جعلوا ما يجب أن يكون سبب وجود الاهتداء سببا في انتفائه وعلى أنه جواب للرسول على تقدير قوله مالي لا أدعوهم حرصا على اسلامهم فقيل وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا (الغفور) البليغ المغفرة (ذو الرحمة) الموصوف بالرحمة ثم استشهد على ذلك بترك مؤاخذة أهل مكة عاجلا من غير امهال مع افراطهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (بل لهم موعد) وهو يوم بدر (لن يجدوا من دونه موئلا) منجى ولا ملجأ * يقال وأل اذا نجا ووأل اليه اذا لجأ اليه (وتلك القرى) يريد قرى الأولين من ثمود وقوم لوط وغيرهم أشار لهم اليها ليعتبروا وتلك مبتدأ والقرى صفة لأن أسماء الاشارة توصف بأسماء الأجناس و(أهلكناهم) خبر ويجوز أن يكون تلك القرى نصبا باضمار أهلكنا على شريطة التفسير والمعنى وتلك أصحاب القرى أهلكناهم (لما ظلموا) مثل ظلم أهل مكة (وجعلنا لمهلكهم موعدا) وضربنا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يتأخرون عنه كما ضربنا لأهل مكة يوم بدر والمهلك الاهلاك ووقته وقرئ لمهلكهم بفتح الميم واللام مفتوحة أو مكسورة أي لهلاكهم أو وقت هلاكهم والموعد وقت أو مصدر (لفتاه) لعبده وفي الحديث ليقل أحدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وأمتي وقيل هو يوشع بن نون وانما قيل فتاه لأنه كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يأخذ منه العلم (فان قلت) (لا أبرح) ان كان بمعنى لا أزول من برح المكان فقد دل على الاقامة لا على السفر وان كان بمعنى لا أزال فلا بد من الخبر (قلت) هو بمعنى لا أزال وقد حذف الخبر لأن الحال والكلام معا يدلان عليه أما الحال فلأنها كانت حال سفر وأما الكلام فلأن قوله (حتى أبلغ مجمع البحرين) غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له فلا بد أن يكون المعنى لا أبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين ووجه آخر وهو أن يكون المعنى لا يبرح مسيري حتى أبلغ على أن حتى أبلغ هو الخبر فلما حذف المضاف أقيم المضاف اليه مقامه وهو ضمير المتكلم فانقلب الفعل عن لفظ الغائب الى لفظ المتكلم وهو وجه لطيف ويجوز أن يكون المعنى لا أبرح ما أنا عليه بمعنى ألزم المسير والطلب ولا أتركه ولا أفارقه حتى أبلغ كما تقول لا أبرح المكان ومجمع البحرين المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر عليهما السلام وهو ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية ومن بدع التفاسير أن البحرين موسى والخضر لأنهما كانا بحرين في العلم وقرئ مجمع بكسر الميم وهي في الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع من يفعل (أو أمضي حقبا) أو أسير زمانا طويلا والحقب ثمانون سنة وروي أنه لما ظهر موسى على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط أمره الله أن يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا فذكر نعمة الله وقال ان الله اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له قد علمنا هذا فأي الناس أعلم قال أنا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم الى الله فأوحى اليه بل أعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر وكان الخضر في أيام افريدون قبل موسى عليه السلام وكان على مقدمة ذي القرنين الأكبر وبقي الى أيام موسى وقيل ان موسى سأل ربه أي عبادك أحب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فأي عبادك أقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فأي عبادك أعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك من هو أعلم مني فادللني عليه قال أعلم منك الخضر قال أين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يا رب كيف لي به قال تأخذ حوتا في

وما أنذروا هزوا ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا أبدا وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا واذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا فلما بلغا مجمع بينهما

مكتل

نسيا حوتهما فاتخذ سبيله فى البحر سربا فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله فى البحر عجبا قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معى صبرا وكيف تصبر على مالم تحط به

مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فأخبرنى فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع فى البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فأخبره فتاه بوقوعه فى البحر فأتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال وأنى بأرضنا السلام فعرفه نفسه فقال ياموسى أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا فلما ركبا السفينة جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر فى الماء فقال الخضر ما ينقص علمى وعلمك من علم الله مقدار ما أخذ هذا العصفور من البحر (نسيا حوتهما) أى نسيا تفقد أمره وما يكون منه مما جعل امارة على الظفر بالطلبة وقيل نسى يوشع أن يقدمه ونسى موسى أن يأمره فيه بشئ وقيل كان الحوت سمكة مملوحة وقيل ان يوشع حمل الحوت والخبز فى المكتل فنزلا ليلة على شاطئ عين تسمى عين الحياة ونام موسى فلما أصاب السمكة برد الماء وروحه عاشت وروى أنهما أكلا منها وقيل توضأ يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش ووقع فى الماء (سربا) أمسك الله جرية الماء على الحوت فصار عليه مثل الطاق وحصل منه فى مثل السرب معجزة لموسى أو الخضر (فلما جاوزا) الموعد وهو الصخرة لنسيان موسى تفقد أمر الحوت وما كان منه ونسيان يوشع أن يذكر لموسى ما رأى من حياته ووقوعه فى البحر وقيل سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد الى الظهر وألقى على موسى النصب والجوع حين جاوز الموعد ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه وقوله (من سفرنا هذا) اشارة الى مسيرهما وراء الصخرة (فان قلت) كيف نسى يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه امارة لهما على الطلبة التى تناهضا من أجلها ولكونه معجزتين اثنتين وهما حياة السمكة المملوحة المأكول منها وقيل ما كانت الاشق سمكة وقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها فى مثل السرب منه ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة الى ظهر الغد وحتى طلب موسى عليه السلام الحوت (قلت) قد شغله الشيطان بوساوسه فذهب بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان وانضم الى ذلك أنه ضرى بمشاهدة أمثاله عند موسى عليه السلام من العجائب واستأنس باخوانه فأعان الالف على قلة الاهتمام (أرأيت) بمعنى أخبرنى (فان قلت) ما وجه لتئام هذا الكلام فان كل واحد من أرأيت و (اذ أوينا) و (فانى نسيت الحوت) لا متعلق له (قلت) لما طلب موسى عليه السلام الحوت ذكر يوشع ما رأى منه وما اعتراه من نسيانه الى تلك الغاية فدهش وطفق يسأل موسى عليه السلام عن سبب ذلك كأنه قال أرأيت ما دهانى اذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت فحذف ذلك وقيل هى الصخرة التى دون نهر الزيت و (أن أذكره) بدل من الهاء فى أنسانيه أى وما أنسانى ذكره الا الشيطان وفى قراءة عبد الله أن أذكركه و (عجبا) ثانى مفعولى اتخذ مثل سربا يعنى واتخذ سبيله سبيلا عجبا وهو كونه شبيه السرب أو قال عجبا فى آخر كلامه تعجبا من حاله فى رؤية تلك العجيبة ونسيانه لها أو مما رأى من المعجزتين وقوله وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وقيل ان عجبا حكاية لتعجب موسى عليه السلام وليس بذاك (ذلك) اشارة الى اتخاذه سبيلا أى ذلك الذى كنا نطلب لانه امارة الظفر بالطلبة من لقاء الخضر عليه السلام ✱ قرئ نبغ بغير ياء فى الوصل واثباتها أحسن وهى قراءة أبى عمرو وأما الوقف فالاكثر فيه طرح الياء اتباعا لخط المصحف (فارتدا) فرجعا فى أدراجهما (قصصا) يقصان قصصا أى يتبعان آثارهما اتباعا أو فارتدا مقتصين (رحمة من عندنا) هى الوحى والنبوة (من لدنا) مما يختص بنا من العلم وهو الاخبار عن الغيوب (رشدا) قرئ بفتحتين وبضمة وسكون أى علما ذا رشد أرشد به فى دينى (فان قلت) أما دلت حاجته الى التعلم من آخر فى عهده أنه كما قيل موسى بن ميشا لا موسى بن عمران لان النبى يجب أن يكون أعلم أهل زمانه وامامهم

✱ قوله تعالى قال أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت (قال ان قلت كيف نسى يوشع ذلك ومثله لا ينسى الخ) قال أحمد وقد ورد فى الحديث ان موسى عليه السلام لم ينصب ولم يقل لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا الا منذ جاوز (٧٣٣) الموضع الذى حده الله تعالى له فلعل الحكمة فى انساء الله تعالى ليوشع ان يتيقظ موسى عليه السلام لمنة الله تعالى على المسافر فى طاعة وطلب علم بالتيسير عليه وحمل الاعباء عنه وتلك سنة الله الجارية فى حق من صحت له نية فى عبادة من العبادات ان ييسرها ويحمل عنه مؤنتها ويتكفل به مادام على تلك الحالة وموقع الايقاظ انه وجد بين حالة سفره للموعد وحالة مجاوزته بونا بينا والله أعلم وان كان موسى عليه السلام متيقظا لذلك فالمطلوب ايقاظ غيره من أمته بل من أمة محمد عليه الصلاة والسلام اذا قص عليهم القصة فما أورد الله تعالى قصص أنبيائه ليسمر بها الناس ولكن ليشمر الخلق لتدبرها واقتباس أنوارها ومنافعها عاجلا وآجلا والله أعلم

المرجوع اليه في أبواب الدين (قلت) لاغضاضة بالنبي في أخذ العلم من نبي مثله وانما يغض منه أن يأخذه ممن دونه وعن سعيد بن جبير أنه قال لابن عباس ان نوفا ابن امرأة كعب يزعم أن الخضر ليس بصاحب موسى وأن موسى هو موسى بن ميشا فقال كذب عدو الله * نفي استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد كأنها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك بانه يتولى أمورا هي في ظاهرها مناكير والرجل الصالح فكيف اذا كان نبيا لا يتمالك أن يشمئز ويمتعض ويجزع اذا رأى ذلك ويأخذ في الانكار و(خبرا) تمييز أي لم يحط به خبرك أو لأن لم تحط به بمعنى لم تخبره فنصبه نصب المصدر (ولا أعصي) في محل النصب عطف على صابرا أي ستجدني صابرا وغير عاص أو لا في محل عطفا على ستجدني رجا موسى عليه السلام لحرصه على العلم وازدياده أن يستطيع معه صبرا بعد افصاح الخضر عن حقيقة الامر فوعده بالصبر معلقا بمشيئة الله علما منه بشدة الامر وصعوبته وان الحمية التي تأخذ المصلح عند مشاهدة الفساد شيء لا يطاق هذا مع علمه أن النبي المعصوم الذي أمره الله بالمسافرة اليه واتباعه واقتباس العلم منه بريء من أن يباشر ما فيه غميزة في الدين وأنه لابد لما يستسمج ظاهره من باطن حسن جميل فكيف اذا لم يعلم * قرئ فلا تسألني بالنون الثقيلة يعني فمن شرط اتباعك لي انك اذا رأيت مني شيأ وقد علمت انه صحيح الا أنه غبي عليك وجه صحته فحميت وأنكرت في نفسك ان لا تفاتحني بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى أكون أنا الفاتح عليك وهذا من آداب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع (فانطلقا) على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركبا قال أهلها هما من اللصوص وأمروهما بالخروج فقال صاحب السفينة أرى وجوه الانبياء وقيل عرفوا الخضر فحملوهما بغير نول فلما لججوا أخذ الخضر الفأس فخرق السفينة بان قلع لوحين من ألواحها مما يلي الماء فجعل موسى يسد الخرق بثيابه ويقول (أخرقتها لتغرق أهلها) وقرئ لتغرق بالتشديد وليغرق أهلها من غرق وأهلها مرفوع (جئت شيأ امرا) أتيت شيأ عظيما من أمر الامر اذا عظم قال داهية دهياء ادا امرا (بما نسيت) بالذي نسيته أو بشيء نسيته أو بنسياني أراد أنه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي أو أخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان يوهمه أنه قد نسي ليبسط عذره في الانكار وهو من معاريض الكلام التي يتقى بها الكذب مع التوصل الى الغرض كقول ابراهيم هذه أختي واني سقيم أو أراد بالنسيان الترك أي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك أول مرة يقال رهقه اذا غشيه وأرهقه اياه أي ولا تغشني (عسرا) من امري وهو اتباعه اياه يعني ولا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالاغضاء وترك المناقشة وقرئ عسرا بضمتين (فقتله) قيل كان قتله فتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وعن سعيد بن جبير أضجعه ثم ذبحه بالسكين (فان قلت) لم قيل حتى اذا ركبا في السفينة خرقها بغير فاء وحتى اذا لقيا غلاما فقتله بالفاء (قلت) جعل خرقها جزاء للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزاء قال أقتلت (فان قلت) فلم خولف بينهما (قلت) لان خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام * وقرئ زاكية وزكية وهي الطاهرة من الذنوب اما لانها طاهرة عنده لانه لم يرها قد أذنبت واما لانها صغيرة لم تبلغ الحنث (بغير نفس) يعني لم تقتل نفسا فيقتص منها وعن ابن عباس أن نجدة الحروري كتب اليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك أن تقتل (نكرا) وقرئ بضمتين وهو المنكر وقيل النكر أقل من الامر لان قتل نفس واحدة أهون من اغراق أهل السفينة وقيل معناه جئت شيأ أنكر من الاول لان ذلك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه (فان قلت) ما معنى زيادة لك (قلت) زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية (بعدها) بعد هذه الكرة أو المسألة (فلا تصاحبني) فلا تقاربني وان طلبت صحبتك فلا تتابعني على ذلك وقرئ فلا تصحبني فلا تكن صاحبي وقرئ فلا تصحبني أي فلا تصحبني اياك ولا تجعلني صاحبك (من لدني عذرا) قد أعذرت وقرئ لدني بتخفيف النون ولدني بسكون الدال وكسر النون كقولهم في عضد عضد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي موسى استحيا فقال ذلك وقال رحمة الله علينا وعلى أخي موسى لو لبث مع صاحبه لابصر أعجب

الاعاجيب

خبرا قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيأ امرا قال ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيأ نكرا قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى اذا أتيا

* قوله تعالى قال انك لن تستطيع معي صبرا (قال نفي الاستطاعة على وجه التأكيد الخ) قال أحمد ومما يدل على ان موسى عليه السلام انما حمله على المبادرة بالانكار الالتهاب والحمية للحق انه قال حين خرق السفينة أخرقتها لتغرق أهلها ولم يقل لتغرقنا فنسي نفسه واشتغل بغيره في الحالة التي كل أحد فيها يقول نفسي نفسي لا يلوي على مال ولا ولد وتلك حالة الغرق فسبحان من جبل أنبياءه وأصفياءه على نصح الخلق والشفقة عليهم والرأفة بهم صلوات الله عليهم أجمعين وسلامه

* قوله تعالى أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا (قال ان قلت قوله أردت أن أعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها الخ) قال أحمد وكله جعل السبب فى اعابتها كونها لمساكين ثم بين مناسبة هذا السبب للسبب بذكر عادة الملك فى غصب السفن وهذا هو حد الترتيب فى التعليل ان يرتب الحكم على السبب ثم يوضح المناسبة فيما بعد فلا يحتاج الى جعله مقدما والنية تأخيره والله أعلم ولقد تأملت من فصاحة هذه الآى والمخالفة بينها فى الاسلوب عجبا ألا تراه فى الاولى أسند الفعل الى ضميره خاصة بقوله فأردت أن أعيبها وأسنده فى الثانية الى ضمير الجماعة والمعظم نفسه فى قوله فأردنا أن يبدلهما ربهما وخشينا أن يرهقهما ولعل اسناد الأول الى نفسه خاصة من باب الادب مع الله تعالى لان المراد ثم عيب فتأدب بان نسب الاعابة الى نفسه وأما اسناد الثانى الى الضمير المذكور فالظاهر انه من باب قول خواص الملك أمرنا بكذا أو دبرنا كذا وانما يعنون أمر الملك ودبر ويدل على ذلك قوله فى الثالثة أراد ربك أن يبلغا أشدهما فانظر كيف تغايرت هذه الاساليب ولم تأت على نمط واحد مكرر يمجها السمع وينبو عنها ثم انطوت هذه المخالفة على رعاية الاسرار المذكورة فسبحان اللطيف الخبير

أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا قال هذا فراق بينى وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين

الاعاجيب (أهل قرية) هى انطاكية وقيل الابلة وهى أبعد أرض الله من السماء (أن يضيفوهما) وقرئ يضيفوهما يقال ضافه اذا كان له ضيفا وحقيقته مال اليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من الازورار وأضافه وضيفه أنزله وجعله ضيفه وعن النبى صلى الله عليه وسلم كانوا أهل قرية لئاما وقيل شر القرى التى لا يضاف الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه (يريد أن ينقض) استعيرت الارادة للمداناة والمشارفة كما استعير الهم والعزم لذلك قال الراعى

فى مهمه قلقت به هاماتها * قلق الفؤوس اذا أردن نصولا

وقال

يريد الرمح صدر أبى براء * ويعدل عن دماء بنى عقيل

وقال حسان

ان دهرا يلف شملى بجمل * لزمان يهم بالاحسان

وسمعت من يقول عزم السراج أن يطفأ وطلب أن يطفأ واذا كان القول والنطق والشكاية والصدق والكذب والسكوت والتمرد والاباء والعزة والطواعية وغير ذلك مستعارة للجماد ولما لا يعقل فما بال الارادة قال

اذا قالت الانساع للبطن الحق   تقول سنى للنواة طنى   لا ينطق اللهو حتى ينطق العود

وشكا الى بعبرة وتحمحم   فان يك ظنى صادقا وهو صادق   ولما سكت عن موسى الغضب

تمرد مارد وعز الابلق   ولبعضهم   يأبى على أجفانه اغفاؤه   هم اذا انقاد الهموم تمردا

أبت الروادف والثدى لقمصها * مس البطون وان تمس ظهورا

قالتا أتينا طائعين ولقد بلغنى ان بعض المحرفين لكلام الله تعالى ممن لا يعلم كان يجعل الضمير للخضر لان ما كان فيه من آفة الجهل وسقم الفهم أراه أعلى الكلام طبقة أدناه منزلة فتمحل ليرده الى ما هو عنده أصح وأفصح وعنده ان ما كان أبعد من المجاز كان أدخل فى الاعجاز وانقض اذا أسرع سقوطه من انقضاض الطائر وهو ينفعل مطاوع قضضته وقيل افعل من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ أن ينقض من النقض وان ينقاص من انقاصت السن اذا انشقت طولا قال ذو الرمة منقاص ومنكثب بالصاد غير معجمة (فأقامه) قيل أقامه بيده وقيل مسحه بيده فقام واستوى وقيل أقامه بعمود عمده به وقيل نقضه وبناه وقيل كان طول الجدار فى السماء مائة ذراع كانت الحال حال اضطرار وافتقار الى المطعم وقد لزمتهما الحاجة الى آخر كسب المرء وهو المسئلة فلم يجدا مواسيا فلما أقام الجدار لم يتمالك موسى لما رأى من الحرمان ومساس الحاجة أن (قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا) وطلبت على عملك جعلا حتى ننتعش ونستدفع به الضرورة وقرئ لتخذت والتاء فى تخذ أصل كما فى تبع واتخذ افتعل منه كاتبع من تبع وليس من الاخذ فى شئ (فان قلت) (هذا) اشارة الى ماذا (قلت) قد تصور فراق بينهما عند حلول ميعاده على ما قال موسى عليه السلام ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى فأشار اليه وجعله مبتدأ وأخبر عنه كما تقول هذا أخوك فلا يكون هذا اشارة الى غير الاخ ويجوز أن يكون اشارة الى السؤال الثالث أى هذا الاعتراض سبب الفراق والاصل هذا فراق بينى وبينك وقد قرأ به ابن أبى عبلة فأضيف المصدر الى الظرف كما يضاف الى المفعول به (لمساكين) قيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون فى البحر (وراءهم) أمامهم كقوله تعالى ومن ورائهم برزخ وقيل خلفهم وكان طريقهم فى رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره فأعلم الله به الخضر وهو جلندى (فان قلت) قوله فأردت أن أعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه أن يتأخر عن السبب فلم قدم عليه (قلت) النية به التأخير وانما قدم للعناية ولان خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كونها

لسا كين فكان بمنزلة قولك زيد ظني مقيم * وقيل في قراءة أبي وعبد الله كل سفينة صالحة * وقرأ الجحدري
وكان أبواه مؤمنان على أن كان فيه ضمير الشأن (فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا) فخفنا أن يغشى الوالدين
المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء أو يقرن بإيمانهما طغيانه
وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر أو يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه ويطغيا
ويكفرا بعد الإيمان وإنما خشي الخضر منه ذلك لأن الله تعالى أعلمه بحاله وأطلعه على سر أمره وأمره إياه
بقتله كاخترامه لمفسدة عرفها في حياته وفي قراءة أبي فخاف ربك والمعنى فكره ربك كراهة من خاف سوء
عاقبة الأمر فغيره ويجوز أن يكون قوله فخشينا حكاية لقول الله تعالى بمعنى فكرهنا كقوله لأهب لك
* وقرئ يبدلهما بالتشديد * والزكاة الطهارة والنقاء من الذنوب * والرحم الرحمة والعطف وروي أنه ولدت
لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه أمة من الأمم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل أبدلهما ابنا
مؤمنا مثلهما * قيل اسما الغلامين أصرم وصريم والغلام المقتول اسمه الحسين واختلف في الكنز فقيل
مال مدفون من ذهب وفضة وقيل لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت
لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل
وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا إله إلا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم
والظاهر لإطلاقه أنه مال وعن قتادة أحل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم وأحلت لنا أراد
قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة (وكان أبوهما صالحا) اعتداد بصلاح أبيهما وحفظ لحقه فيهما
وعن جعفر بن محمد الصادق كان بين الغلامين وبين الأب الذي حفظا فيه سبعة آباء وعن الحسن بن علي رضي
الله تعالى عنهما أنه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما بم حفظ الله الغلامين قال بصلاح أبيهما قال
فأبي وجدي خير منه فقال قد أنبأنا الله أنكم قوم خصمون (رحمة) مفعول له أو مصدر منصوب بأراد ربك
لأنه في معنى رحمهما (وما فعلته) وما فعلت ما رأيت (عن أمري) عن اجتهادي ورأيي وإنما فعلته بأمر الله
* ذو القرنين هو الإسكندر الذي ملك الدنيا قيل ملكها مؤمنان ذو القرنين وسليمان وكافران نمروذ وبختنصر
وكان بعد نمروذ واختلف فيه فقيل كان عبدا صالحا ملكه الله الأرض وأعطاه العلم والحكمة وألبسه الهيبة
وسخر له النور والظلمة فإذا سرى يهديه النور من أمامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل نبيا وقيل ملكا من
الملائكة وعن عمر رضي الله عنه أنه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا أما رضيتم أن تسموا بأسماء
الأنبياء حتى تسميتم بأسماء الملائكة وعن علي رضي الله عنه سخر له السحاب ومدت له الأسباب وبسط له
النور وسئل عنه فقال أحب الله فأحبه وسأله ابن الكوا ما ذو القرنين أملك أم نبي فقال ليس بملك ولا نبي ولكن
كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الأيمن في طاعة الله فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الأيسر فمات فبعثه الله
فسمي ذا القرنين وفيكم مثله قيل كان يدعوهم إلى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله تعالى وعن النبي صلى الله عليه
وسلم سمي ذا القرنين لأنه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها وقيل كان له قرنان أي ضفيرتان وقيل
انقرض في وقته قرنان من الناس وعن وهب لأنه ملك الروم وفارس وروي الروم والترك وعنه كانت
صفحتا رأسه من نحاس وقيل كان لتاجه قرنان وقيل كان على رأسه ما يشبه القرنين ويجوز أن يلقب بذلك
لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا لأنه ينطح أقرانه وكان من الروم ولد عجوز ليس لها ولد غيره * والسائلون
هم اليهود سألوه على جهة الامتحان وقيل سأله أبو جهل وأشياعه والخطاب في (عليكم) لأحد
الفريقين (من كل شيء) أي من أسباب كل شيء أراده من أغراضه ومقاصده في ملكه (سببا) طريقا
موصلا إليه والسبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة * فأراد بلوغ المغرب (فأتبع سببا)
يوصله إليه حتى بلغ وكذلك أراد المشرق فأتبع سببا وأراد بلوغ السدين فأتبع سببا وقرئ فاتبع * قرئ
حمئة من حمئت البئر إذا صار فيها الحمأة وحامية بمعنى حارة وعن أبي ذر كنت رديف رسول الله صلى
الله عليه وسلم على جمل فرأى الشمس حين غابت فقال يا أبا ذر أتدري أين تغرب هذه فقلت الله ورسوله

أعلم

فخشينا أن يرهقهما
طغيانا وكفرا فأردنا
أن يبدلهما ربهما خيرا
منه زكاة وأقرب رحما
وأما الجدار فكان
لغلامين يتيمين في
المدينة وكان تحته كنز
لهما وكان أبوهما صالحا
فأراد ربك أن يبلغا
أشدهما ويستخرجا
كنزهما رحمة من ربك
وما فعلته عن أمري
ذلك تأويل ما لم تسطع
عليه صبرا ويسئلونك
عن ذي القرنين قل
سأتلوا عليكم منه ذكرا
إنا مكنا له في الأرض
وآتيناه من كل شيء سببا
فأتبع سببا حتى إذا بلغ
مغرب الشمس وجدها
تغرب في عين حمئة
ووجد عندها قوما قلنا
يا ذا القرنين إما أن
تعذب وإما أن تتخذ
فيهم حسنا قال أما من
ظلم فسوف نعذبه ثم يرد
إلى ربه فيعذبه عذابا
نكرا

أعلم قال فانها تغرب فى عين حامية وهى قراءة ابن مسعود وطلحة وابن عمر وابن عمرو والحسن وقرأ ابن عباس
حمئة وكان ابن عباس عند معاوية فقرأ معاوية حامية فقال ابن عباس حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو
كيف تقرأ قال كما يقرأ أمير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال فى ماء وطين كذلك
نجده فى التوراة وروى فى ثأط فوافق قول ابن عباس وكان ثمة رجل فأنشد قول تبع

ع ١٨٧

فرأى مغيب الشمس عند مآبها * فى عين ذى خلب وثأط حرمد

أى فى عين ماء ذى طين وحمأ أسود ولا تنافى بين الحمئة والحامية فجائز أن تكون العين جامعة للوصفين جميعه
كانوا كفرة فخيره الله بين أن يعذبهم بالقتل وأن يدعوهم الى الاسلام فاختار الدعوة والاجتهاد فى استمالتهم
* فقال أما من دعوته فأبى الا البقاء على الظلم العظيم الذى هو الشرك فذلك هو المعذب فى الدارين (وأما من
آمن وعمل) ما يقتضيه الايمان (فله جزاء الحسنى) وقيل خيره بين القتل والاسر وسماه احسانا فى مقابلة
القتل فله جزاء الحسنى فله أن يجازى المثوبة الحسنى أو فله جزاء الفعلة الحسنى التى هى كلمة الشهادة وقرئ
فله جزاء الحسنى أى فله الفعلة الحسنى جزاء وعن قتادة كان يطبخ من كفر فى القدور وهو العذاب النكر
ومن آمن أعطاه وكساه (من أمرنا يسرا) أى لا نأمره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة
والخراج وغير ذلك وتقديره ذا يسر كقوله قولا ميسورا * وقرئ يسرا بضمتين * وقرئ مطلع بفتح اللام وهو
مصدر * والمعنى بلغ مكان مطلع الشمس كقوله * كأن مجر الرامسات ذيولها * يريد كأن آثار مجر الرامسات
(على قوم) قيل هم الزنج * والستر الابنية وعن كعب أرضهم لا تمسك الابنية وبها أسراب فاذا طلعت
الشمس دخلوها فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسألت
عن هؤلاء فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا أحدهم يفرش أذنه ويلبس الاخرى ومعى صاحب
يعرف لسانهم فقالوا له جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينا نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشى
على ثم أفقت وهم يمسحوننى بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هى فوق الماء كهيئة الزيت فأدخلونا
سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه فى الشمس فينضج لهم وقيل
الستر اللباس وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الارض
(كذلك) أى أمر ذى القرنين كذلك أى كما وصفناه تعظيما لامره (وقد أحطنا بما لديه) من الجنود والآلات
وأسباب الملك (خبرا) تكثيرا لذلك وقيل لم نجعل لهم من دونها سترا مثل ذلك الستر الذى جعلنا لكم
من الجبال والحصون والابنية والاكنان من كل جنس والثياب من كل صنف وقيل بلغ مطلع الشمس مثل
ذلك أى كما بلغ مغربها وقيل تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذى تغرب عليهم يعنى أنهم كفرة مثلهم وحكمهم
مثل حكمهم فى تعذيبه لمن بقى منهم على الكفر واحسانه الى من آمن منهم (بين السدين) بين الجبلين وهما
جبلان سد ذو القرنين ما بينهما قرئ بالضم والفتح وقيل ما كان من خلق الله تعالى فهو مضموم وما كان من عمل
العباد فهو مفتوح لان السد بالضم فعل بمعنى مفعول أى هو مما فعله الله تعالى وخلقه والسد بالفتح مصدر
حدث يحدثه الناس وانتصب بين على أنه مفعول به مبلوغ كما انجر على الاضافة فى قوله هذا فراق بينى وبينك
وكما ارتفع فى قوله لقد تقطع بينكم لانه من الظروف التى تستعمل أسماء وظروفا وهذا المكان فى منقطع
أرض الترك مما يلى المشرق (من دونهما قوما) هم الترك (لا يكادون يفقهون قولا) لا يكادون يفهمونه الا
بجهد ومشقة من اشارة ونحوها كما يفهم البكم وقرئ يفقهون أى لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه
لان لغتهم غريبة مجهولة (يأجوج ومأجوج) اسمان أعجميان بدليل منع الصرف وقرئا مهموزين وقرأ
رؤبة آجوج ومأجوج وهما من ولد يافث وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل والديلم (مفسدون فى
الارض) قيل كانوا يأكلون الناس وقيل كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيأ أخضر الا أكلوه ولا يابسا
الا احتملوه وكانوا يلقون منهم قتلا وأذى شديدا وعن النبى صلى الله عليه وسلم فى صفتهم لا يموت أحدهم
حتى ينظر الى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وقيل هم على صنفين طوال مفرطو الطول وقصار

وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالوا ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال

مفرطو القصر * وقرئ خرجا وخراجا أي جعلا نخرجه من أموالنا ونظيرهما النول والنوال * وقرئ سدا
وسدا بالفتح والضم (ما مكني فيه ربي خير) ما جعلني فيه مكينا من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لي
من الخراج فلا حاجة بي اليه كما قال سليمان صلوات الله عليه فما آتاني الله خير مما آتاكم قرئ بالادغام وبفكه
(فأعينوني بقوة) بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبالآلات (ردما) حاجزا حصينا موثقا والردم أكبر
من السد من قولهم ثوب مردم رقاع فوق رقاع * قيل حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر
والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى أعلاهما ثم وضع
المنافيخ حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار
جبلا صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ * وقرئ سوى وسووى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن رجلا أخبره به فقال كيف رأيته قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رأيته * والصدفان
بفتحتين جانبا الجبلين لانهما يتصادفان أي يتقابلان وقرئ الصدفين بضمتين والصدفين بضمة وسكون
والصدفين بفتحة وضمة * والقطر النحاس المذاب لانه يقطر و(قطرا) منصوب بافرغ وتقديره آتوني قطرا
أفرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه * وقرئ قال ائتوني أي جيئوني (فما اسطاعوا) بحذف التاء
للخفة لان التاء قريبة المخرج من الطاء وقرئ فما اصطاعوا بقلب السين صادا وأما من قرأ بادغام التاء في الطاء
فملاق بين ساكنين على غير الحد (أن يظهروه) أن يعلوه أي لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه وانملاسه ولا
نقب لصلابته وثخانته (هذا) اشارة الى السد أي هذا السد نعمة من الله و(رحمة) على عباده أو هذا الاقدار
والتمكين من تسويته (فاذا جاء وعد ربي) يعني فاذا دنا مجيء يوم القيامة وشارف أن يأتي * جعل السد (دكا)
أي مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض وكل ما انبسط من بعد ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الادك المنبسط
السنام وقرئ دكاء بالمد أي أرضا مستوية (وكان وعد ربي حقا) آخر حكاية قول ذي القرنين (وتركنا)
وجعلنا (بعضهم) بعض الخلق (يموج في بعض) أي يضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويجوز
أن يكون الضمير ليأجوج ومأجوج وأنهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين في البلاد وروي
يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس
ولا يقدرون أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله نغفا في أقفائهم فيدخل في آذانهم فيموتون
(وعرضنا جهنم) وبرزناها لهم فرأوها وشاهدوها (عن ذكري) عن آياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتعظيم
أو عن القرآن وتأمل معانيه وتبصرها ونحوه صم بكم عمي (وكانوا لا يستطيعون سمعا) يعني وكانوا صما عنه
الا أنه أبلغ لان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كأنهم أصميت أسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع
(عبادي من دوني أولياء) هم الملائكة يعني أنهم لا يكونون لهم أولياء كما حكى عنهم سبحانك أنت ولينا من
دونهم * وقرأ ابن مسعود أفظن الذين كفروا وقراءة علي رضي الله عنه أفحسب الذين كفروا أي أفكافيهم
ومحسبهم أن يتخذوهم أولياء على الابتداء والخبر أو على الفعل والفاعل لان اسم الفاعل اذا اعتمد على الهمزة
ساوى الفعل في العمل كقولك أقائم الزيدان والمعنى ان ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا وهي
قراءة محكمة جيدة * النزل ما يقام للنزيل وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب أليم (ضل سعيهم) ضاع
وبطل وهم الرهبان وعن علي رضي الله عنه كقوله عاملة ناصبة وعن مجاهد أهل الكتاب وعن علي رضي
الله عنه أن ابن الكواء سأله عنهم فقال منهم أهل حروراء وعن أبي سعيد الخدري يأتي ناس بأعمال يوم
القيامة هي عندهم في العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيأ (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) فنزدري بهم
ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار وقيل لا يقام لهم ميزان لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات والسيآت
من الموحدين وقرئ فلا يقيم بالياء (فان قلت) الذين ضل سعيهم في أي محل هو (قلت) الاوجه أن يكون في
محل الرفع على هم الذين ضل سعيهم لانه جواب عن السؤال ويجوز أن يكون نصبا على الذم أو جرا على البدل
(جهنم) عطف بيان لقوله جزاؤهم * الحول التحول يقال حال من مكانه حولا كقولك عادني حبها عودا

ما مكني فيه ربي خير
فأعينوني بقوة أجعل
بينكم وبينهم ردما آتوني
زبر الحديد حتى اذا
ساوى بين الصدفين
قال انفخوا حتى اذا جعله
نارا قال آتوني أفرغ
عليه قطرا فما اسطاعوا
أن يظهروه وما استطاعوا
له نقبا قال هذا رحمة
من ربي فاذا جاء وعد
ربي جعله دكاء وكان
وعد ربي حقا وتركنا
بعضهم يومئذ يموج في
بعض ونفخ في الصور
فجمعناهم جمعا وعرضنا
جهنم يومئذ للكافرين
عرضا الذين كانت أعينهم
في غطاء عن ذكري
وكانوا لا يستطيعون
سمعا أفحسب الذين
كفروا أن يتخذوا
عبادي من دوني أولياء
انا أعتدنا جهنم
للكافرين نزلا قل هل
ننبئكم بالاخسرين
أعمالا الذين ضل سعيهم
في الحياة الدنيا وهم
يحسبون أنهم يحسنون
صنعا أولئك الذين
كفروا بآيات ربهم
ولقائه فحبطت أعمالهم
فلا نقيم لهم يوم القيامة
وزنا ذلك جزاؤهم جهنم
بما كفروا واتخذوا
آياتي ورسلي هزوا

يعنى لا مزيد عليها حتى تنازعهم أنفسهم الى أجمع لاغراضهم وأمانيهم وهذه غاية الوصف لان الانسان فى الدنيا فى أى نعيم كان فهو طامح الطرف الى أرفع منه ويجوز أن يراد نفى التحول وتأكيد الخلود * المداد اسم ما تمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج من السليط ويقال السماد مداد الارض والمعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر الجنس (لنفد البحر قبل أن تنفد) الكلمات (ولو جئنا بمثل البحر مدادا لنفد أيضا والكلمات غير نافدة و(مددا) تمييز كقولك لى مثله رجلا والمدد مثل المداد وهو ما يمد به وعن ابن عباس رضى الله عنه بمثله مدادا وقرأ الاعرج مددا بكسر الميم جمع مدة وهى ما يستمده الكاتب فيكتب به * وقرئ ينفد بالياء وقيل قال حيى بن أخطب فى كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ثم تقرؤن وما أوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت يعنى أن ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله (فمن كان يرجو لقاء ربه) فمن كان يؤمل حسن لقاء ربه وأن يلقاه لقاء رضا وقبول وقد فسرنا اللقاء أو فمن كان يخاف سوء لقائه * والمراد بالنهى عن الاشراك بالعبادة أن لا يرائى بعمله وأن لا يبتغى به الا وجه ربه خالصا لا يخلط به غيره وقيل نزلت فى جندب بن زهير قال للنبى صلى الله عليه وسلم انى أعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرنى فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه وروى أنه قال لك أجران أجر السر وأجر العلانية وذلك اذا قصد أن يقتدى به وعنه صلى الله عليه وسلم اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ عند مضجعه قل انما أنا بشر مثلكم كان له من مضجعه نورا يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ والله أعلم

ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا

﴿تم الجزء الاول ويليه الجزء الثانى أوله سورة مريم﴾

فهرست الجزء الاول من تفسير الكشاف

سورة فاتحة الكتاب	سورة البقرة	سورة آل عمران	سورة النساء	سورة المائدة
٢٧	٦٠	٢٩٣	٣٤٣	٤٠٢
سورة الانعام	سورة الاعراف	سورة الانفال	سورة التوبة	سورة يونس
٤٤٣	٤٧٨	٥٢٣	٥٤٢	٥٧٤
سورة هود	سورة يوسف	سورة الرعد	سورة ابراهيم	سورة الحجر
٥٩٣	٦١٨	٦٤٨	٦٥٧	٦٧٠
	سورة النحل	سورة الاسراء	سورة الكهف	
	٦٧٩	٦٩٩	٧٢١	

تمت

Hommage de l'auteur

Museum XXIX, 8–12

Geschichte des Qorāns von Th. Nöldeke. 2. Auflage völlig umgearbeitet von **F. Schwally.** Zweiter Teil. Die Sammlung des Qorāns mit einem literarhistorischen Anhang über die muhammedanischen Quellen und die neuere christliche Forschung. Leipzig, Dieterichsche Verlagsbuchhandlung. 1919. (Pr. M. 16).

De verdienstelijke Semitist, van wiens hand in 1909 het eerste deel van het boven genoemde werk het licht zag (zie *Museum* XVII 370—3), had ternauwernood het tweede deel voltooid, toen de dood hem in Februari 1919 uit zijn werk wegrukte. Aan de goede zorgen van H. Zimmern en den deskundigen bijstand van A. Fischer is het te danken, dat dit nagelaten werk in een welverzorgde uitgave geraadpleegd kan worden.

Zooals ook in het voorwoord wordt opgemerkt, heeft Schw., anders dan in het eerste deel, hier een veelszins zelfstandig werk geleverd, daar er met aanmerkelijke vermeerdering van bronnenmateriaal en vordering van het onderzoek te rekenen viel.

Schw. opent zijn onderzoek met een bespreking van het aandeel, dat Muḥammed aan het op schrift stellen en redigeeren van zijn openbaringen moet gehad hebben, en acht het waarschijnlijk, dat er, behalve het vanwege den Profeet geboekstaafde, door of voor ijverige volgelingen min of meer omvangrijke teksten opgeteekend waren, terwijl anderen groote stukken Qur'ān in hun geheugen geprent hadden en zoo voor te loor gaan bewaarden. Na den dood van den Profeet moest wegens de bijzondere beteekenis zijner openbaringen voor zijn gemeente allengs de behoefte opkomen om de goddelijke teksten zoo volledig mogelijk bijeen te hebben.

De verdienste van het verzamelen van den Qur'ān geeft de overlevering aan de drie eerste khaliefen, maar de vele, in bijzonderheden uiteenloopende berichten daarover dienen wegens steeds mogelijke tendentieuze voorstelling nader onderzocht te worden. Na gewezen te hebben op het feit, dat in tal van tradities gewagende van een „verzamelen" van den Qur'ān bij Muhammed's leven het bewaren in het geheugen bedoeld is, en op de gebrekkige Qur'ānkennis van het overgroote deel der oudste Muslims, gaat Schw. over tot de bespreking van de schriftelijke verzamelingen en uitgaven. De overleveringen, die een verzameling door

'Alī tot stand laten komen, moeten als tendentieuze vinding beschouwd worden. Uitvoerig behandelt Schw. de berichten omtrent de eerste verzameling, die van Zaid b. Thābit. Hij komt tot de slotsom, dat de voorstelling, dat zij geschiedde op last hetzij van Abū Bakr, hetzij van 'Umar zeer aanvechtbaar is. In een paragraaf over den vorm dier verzameling toont de schr., dat de zgn. bladen (*ṣuḥuf*) van Zaid het bewaren van een zekere vaste orde niet uitsloten. Vervolgens gaat Schw. de gegevens na over de tekstrecensies, die naast die van Zaid opkwamen en hier en daar gezag kregen, bijzonderlijk die van Ubayy b. Ka'b en van 'Abd Allāh b. Mas'ūd. De eigenaardige rangschikking en de meest overeenstemmende titels der Sūra's in deze beide recensies en in de kanonieke brengen Schw. tot het veronderstellen van weliswaar niet nader te bepalen „literarische Beziehungen", die zich ook moeten uitgestrekt hebben tot het exemplaar in het bezit van 'Umar's dochter Ḥafṣa, dat aan 'Uthmān's uitgave ten grondslag lag. — De traditie, volgens welke eenige Gezellen de Sūra's in chronologische volgorde bezaten, blijkt ongeloofwaardig te zijn.

In zijn onderzoek nopens de recensie van 'Uthmān stelt Schw. de „herrschende" traditie daarover nevens de afwijkende overleveringen en geeft, na de laatste onbetrouwbaar bevonden te hebben, een beoordeeling van de eerste, van welke niet veel meer aannemelijk blijkt te zijn, dan dat 'Uthmān, ingevolge klachten van zijn veldheer Ḥuḏaifa over twisten aangaande den juisten tekst, onder leiding van Zaid b. Thābit afschriften liet vervaardigen van het exemplaar van Ḥafṣa en andere verzamelingen liet onderdrukken. De rangschikking der Sūra's, die een plan om de langere door de kortere te laten volgen slechts gebrekkig doet uitkomen, zou, naar Schw. onderstelt, in verband kunnen staan met den staat van Ḥafṣa's afschrift, in welks volgorde men schroomde wijziging te brengen.

De verschillende verklaringen, zoo van Muslimsche als van Westersche geleerden, van de raadselachtige letters aan den aanvang van een aantal Sūra's blijken met één uitzondering (Sūra 68) onbevredigend te zijn. Zijn ze van Muḥammed afkomstig, waarvoor veel te

zeggen valt, dan moet ook de redactie der gemerkte Sūra's aan den Profeet toegekend worden. Ten aanzien van Schw.'s aanteekening omtrent de *Ḥawāmīm*-Sūra's S. 68 Anm. 2 zij terloops opgemerkt, dat ook Sūra 42 onder deze benaming valt evenals S. 26 en 28 onder de *Ṭawāsīn* (vgl. het vers *Lisān* XV 40 r. 14 en al-Kumait, *al-Hāsjimiyyāt*, ed. Horovitz, II vs. 29). — De *Basmala*, die voor alle Sūra's op één na staat, was misschien reeds in het afschrift van Ḥafṣa en andere vóór-'Uthmānische teksten aanwezig. Hoewel de formule den Profeet bekend was, schijnt ze toch wegens haar plaats met het redactioneele werk verband te houden.

De bespreking van de tekstvervalschingen, door Christelijke Westersche geleerden Abū Bakr en 'Uthmān ten laste gelegd, leidt Schw. tot de slotsom, dat de betichtingen op geen enkel punt steek houden.

De twijfel aan de integriteit van den Qur'ān, die van Muslimsche zijde geopperd werd, berustte niet op historische kritiek, maar kwam op onder invloed van dogmatische en ethische opvattingen. Verreweg de meeste gravamina tegen den kanonieken tekst kwamen van den kant der Sjī'a, die, 'Alī en zijn „recht" om den Profeet op te volgen in den Qur'ān onvermeld vindend, Abū Bakr en 'Uthmān betichtte de plaatsen, die 'Alī noemden of zijn verwerpers laakten, veranderd of geschrapt te hebben. Men wijst van deze zijde aanzienlijke lacunen aan en geeft varianten ten beste, die den naam van 'Alī in de Schrift inlijven. Schw. laat niet na de onhoudbaarheid van deze beweringen der Sjī'ieten, die, trots alle bedenkingen, tot nu toe met den tekst van 'Uthmān genoegen nemen, in 't licht te stellen. Evenwel mag hier niet uit het oog verloren worden, dat de Sjī'a op dit punt niet eenstemmig was. Van Zaidietische zijde is al vroeg betoogd, dat er niets aan den Qur'ān ontbrak. In den kanonieken tekst wisten trouwens Sjī'ieten en Sjī'ietisch voelende orthodoxen genoeg plaatsen te ontdekken, die de meerwaardigheid van 'Alī en zijn geslacht en hun „recht" op de leiding der gemeente heetten aan te toonen.

Van de Sūra's, die verdonkeremaand zouden zijn, is er een bekend geworden, de Sūra „De twee Lichten",

van welke Schw. tekst en vertaling geeft. Allerlei kenmerken stempelen haar als Sji'ietisch maakwerk en zij schijnt van vrij jongen datum te zijn.

De inlichting omtrent de wijze, waarop men den tekst van 'Uthmān gezag trachtte te verschaffen, is gebrekkig. Ondanks de eenstemmigheid der traditie omtrent de vernietiging der afwijkende recensies, is Schw. tot twijfel geneigd, daar hij van de noodzakelijkheid van den maatregel noch van zijn doeltreffendheid overtuigd is. Van de oudere recensies bleven, zeer tot schade van het onderzoek, slechts vage sporen over.

In een afsluitend hoofdstuk de kanonieke schrift der Muslims met die der Joden en Christenen vergelijkend, brengt Schw. de eigenaardigheid der eerste naar voren: het werk van één man, in één menschenleeftijd tot stand gekomen, het eigen woord van Allāh, overgebracht door zijn orgaan, den Profeet.

In een „Anhang", die een uitbreiding is van Nöldeke's Literarische Einleitung en die bijna de helft van het werk beslaat, handelt Schw. allereerst over de Muhammedaansche bronnen betreffende den Qur'ān. Ondanks belangrijke voorstudiën op het gebied van den Ḥadīth en de biographie van den Profeet bleven er tal van Arabische werken over, welker bouw en bronnen Schw. meende eenigszins nader te moeten bezien. Na een overzicht over de wijze van overleveren van historische stof, waarin de schr. o. a. het vroege opkomen eener eigen historische litteratuur in het Arabisch mede in verband wil brengen met het optreden der rhapsoden (rāwī), staat hij stil bij de beschrijvers van het leven van den Profeet, de op hen uitgebrachte kritiek, de bijzondere beteekenis en de eigenaardigheid hunner werken en de daarin verwerkte bronnen. Dan geeft Schw. een kenschetsing van den „gesetzlichen" Ḥadīth en van de werken, waarin hij is vervat, met aanduiding van hun historische en exegetische gedeelten.

Alvorens over te gaan tot de werken, die vermeerdering van inzicht in en over den Qur'ān beoogen, waaronder in de eerste plaats de commentaren, schetst de schr. de Muslimsche schriftuitlegging in haar eigenaardig karakter en vat hij in 't voetspoor van Nöldeke de voornaamste misvattingen samen, die zich in deze exegese doen gelden. Vervolgens wijdt hij een

hoofdstuk aan de grondleggers der exegese, die behoorden tot de kringen der traditiekenners. Van hen geldt vooral 'Abd Allāh b. 'Abbās als gezaghebbend, doch over den omvang van zijn werkzaamheid als exegeet loopen de gegevens uiteen. Gelet op zoovele op zijn naam staande tegenstrijdige uitleggingen moet het beroep op zijn gezag meestal wel als een fictie beschouwd worden. Het oordeel, sinds Sprenger gangbaar, dat hem als leugenaar brandmerkt, acht Schw. dan ook niet te billijken. Hij vermeldt voorts de exegeten uit de school van Ibn 'Abbās benevens andere uit de eerste en tweede eeuw der Hidjra, wier werken niet of niet zelfstandig bewaard zijn. De behouden exegetische litteratuur gaat Schw. na van de oudste proeven, vervat in de biographiën van Muḥammed en in traditiewerken, tot op den *Tafsīr* der beide Djalāl's, waarbij de beteekenis van aṭ-Ṭabarī's beroemden commentaar en zijn invloed op de latere werken in 't licht wordt gesteld. We missen in dit overzicht den commentaar van Abū Ḥayyān al-Gharnāṭī, — wiens geboortejaar, 654, S. 178 als zijn sterfjaar wordt opgegeven —, *al-Baḥr al-muḥīṭ*, die blijkens Oostersche catalogi gedrukt is. Ook van 'Abd ar-Raḥmān ath-Tha'ālibī's *al-Djawāhir al-ḥisān fī Tafsīr al-Qur'ān* (Algiers 1323—7) had gewaagd kunnen zijn.

Afzonderlijk bespreekt Schw. de exegetische werken der Sjī'ieten. Dat in de oudere, niet bewaarde werken op dit gebied van de Sjī'ietische gezindheid niet zooveel te bespeuren zou zijn en dat de „eigentliche schiitische Tendenz . . . . erst später in die Exegese eindrang" (S. 179), zouden we den schr. niet willen toegeven. De hier genoemde schrijver van een *Tafsīr*, Ziyād b. al-Mundir, werd ook van Imāmietische zijde om zijn extreme opvattingen gelaakt.

In korte hoofdstukken krijgen we verder inlichting over de werken, die de aanleiding tot de openbaringen behandelen, over de inleidingen in den Qur'ān, van welke de eenige gedrukte, as-Suyūṭī's *Itqān*, nader besproken wordt, en over gedichten, die als bronnen tot de kennis van den Qur'ān in aanmerking kunnen komen.

In de tweede helft van den „Anhang" schenkt Schw. een welkom historisch overzicht over het nieuwere onderzoek van Westersche geleerden aangaande den aard der Traditie en de levensbeschrijving van den Profeet, over hun studiën betreffende Muhammed's gemeente en zijn openbaring, en over de vertalingen van den Qur'ān.

Wij konden den rijken inhoud van het werk hier slechts kortelijk aangeven. Was het resultaat, waartoe Schw. kwam, ook in menigerlei opzicht negatief, men mag hem dankbaar zijn voor de verstrekking van zulk een voortreffelijken gids, die niet nalaat telkens tot nader onderzoek te prikkelen en meermalen aanduidt, hoeveel er nog op dit gebied te doen valt.

Ten slotte eenige kleine opmerkingen en verbeteringen: S. 7 ult. moet eer „acht" dan „sieben" gelezen worden, daar in de *Fihrist* (p. 27 ult.) òf „*bn*" voor „*Zaid*" geschrapt moet worden òf na „*bn*" een lacune moet aangenomen worden. — S. 17 Anm. 1: „Petermann I 17" moet zijn „Petermann II 17" (Ahlwardt, *Verzeichn.* No. 578). — S. 18, 11: l. „Sure 9" i. p. v. „Sure 7." — S. 22, 7 v. u.: l. „Nachfolgers" i. p. v. „Vorgängers." — S. 25, 8 v. u.: Bij de hier voorkomende verwijzingen mist men S. 11. — S. 33 Anm. 4: De citaten uit Tasjköprüzade's ***Miftāḥ as-Sa'āda*** hadden gegeven kunnen zijn naar de uitgave van Ḥaidarābād 1329. — S. 34, 1: juister ware „Qunūt al-Fadjr" i. p. v. Du'ā' al-Fadjr". — S. 181, 4 v. u.: l. „553" i. p. v. „653". — S. 184, 3 v. u.: l. „Wetzstein I 103" i. p. v. „Wetzstein I 94" (Ahlwardt, *Verzeichn.* No. 910).

Leiden. C. van Arendonk.

III in 2 vol.

A 675.–

BP 130 .4 Z33 1891 v.1

az-ZAMAḪŠARĪ. al-Kaššāf ʿan ḥaqāʾiq ġawāmiḍ
at-tanzīl wa ʿuyūn al-aqāwīl fī wuǧūh at-taʾwīl.
<u>Tog. with</u>: al-ǦURǦĀNĪ. al-Ḥāšiya. <u>In the margin</u>:
b. al-MUNAIYIR al-ISKANDERĪ. al-Intiṣāf min
al-Kaššāf; <u>And</u>: Text of the Qurʾān. <u>In the same
binding</u>: MUḤIBBADDĪN al-ḤAMAWĪ. Tanzīl al-āyāt
ʿalā 'š-šawāhid min al-abyāt šarḥ al-Kaššāf. Cairo
1308 H. 3 vol. in 2.
GAL I 290; S I 509

I